جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلاميّة

قسم الدراسات القرآنية والفقه

نورُ التّوفيقِ وكشفُ التّدقيقِ

ملّا مُحسن بن محمّد طاهر القزوينيّ (١١٥٠ هـ)

منَ الآيةِ (٣٥) من سورةِ البقرةِ إلى نهايَةِ الجزءِ الأوَّلِ –

دراسةٌ وتحقيقٌ

أُطروحةٌ مقدَّمةٌ إلى مَجلسِ كُليَّةِ العلومِ الإسلاميّةِ / جامعةُ كربلاء وهيَ جزءٌ من مُتطلّباتِ نيلِ درجةِ الدّكتوراه في فلسفةِ الشّريعةِ والعلومِ الإسلاميّةِ

كُتِبَتْ مِنْ قِبَل الطّالب

بهاء مهدي مظلوم دويج

إشراف

أ. م. د محمّد علي هوبي الرّبيعي

شهرُ رمضان ١٤٤٥هـ   شهرُ آذار ٢٠٢٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

سورة النحل ١٦: ٦٤

م/ **ترشيح الرسالة للطبع**

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الأطروحة الموسومة (**نور التّوفيق وكشف التّدقيق ملّا محسن بن محمد طاهر القزويني (١١٥٠ هـ) من الآية (٣٥) من سورة البقرة إلى نهاية الجزء الأول – دراسة وتحقيق**) لطالب الدكتوراه (**بهاء مهدي مظلوم دويج الغزالي**) فإنّي أرشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: أ. م. د محمد علي هوبي

مكان العمل: **جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة**

التأريخ: ٣ / ٣ / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

م/ إقرار مشرف

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة **(نور التّوفيق وكشف التّدقيق ملّا محسن بن محمد طاهر القزويني (١١٥٠ هـ) من الآية (٣٥) من سورة البقرة إلى نهاية الجزء الأول – دراسة وتحقيق)** التي قدَّمها طالب الدكتوراه **(بهاء مهدي مظلوم دويج الغزالي)** قد تمَّ إعدادها تحت إشرافي، في جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلاميّة.

التوقيع:

المشرف: أ. م. د محمد علي هوبي

مكان العمل: جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة

التأريخ: ١٠ / ٣ / ٢٠٢٤

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ.م.د محمد ناظم محمد المفرجي

التأريخ: 23 / 4 / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه (   ) الموسومة

بـ (تنوير التوفيق وكشف التدقيق ملا محسن بن محمد طاهر القزويني (١١٥٠هـ) من الآية (٥٣) من سورة البقرة إلى نهاية الجزء الأول - دراسة وتحقيق).

) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الاسم : آمال عبد المحسن تايه

مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٧/٤/٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار لجنة مناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطّلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ(**نور التوفيق وكشف التدقيق ملّا محسن بن محمد طاهر القزويني (١١٥٠هـ) من الآية (٣٥) من سورة البقرة إلى نهاية الجزء الأول – دراسة وتحقيق**) وناقشنا الطالب (**بهاء مهدي مظلوم دويج**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ. د محمّد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة / كليّة التربية المختلطة
عضوًا

أ. م. د قاسم رحيم حسن
جامعة بابل / كليّة العلوم الإسلاميّة
عضوًا

أ. م. د عمّار محمّد حسين
جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة
عضوًا

أ. م. د آيات عبد الوهاب عبد الرزاق
جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة
عضوًا

أ. م. د محمّد علي هوبي الربيعي
جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة
عضوًا ومشرفًا

أ. د محمّد حسين عبود الطائي
جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة
رئيسًا

صُدِّقت في جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة

التوقيع:
الاسم: أ. د محمّد حسين عبود الطائي
العميد
التأريخ: 8 / 6 / 2024

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

الإهداء

إلى أنوارِ اللهِ المحدِقةِ بعرشِهِ ..

إلى الدّعاةِ إلى اللهِ، والأدلّاءِ على مرضاتهِ ..

أئمّتي (صلوات الله عليهم)

إلى مُفيدِ الأمّةِ وعلّامتِها ...

إلى النّبعِ الصّافي والصّدرِ الحنونِ .. إلى الشّمعةِ الّتي أضاءت ليَ الحياةَ..

أُمّـــــي وأَبــــــي

إلى مَن أحاطوني بالدّعاءِ، وكانوا نعمَ السَّندِ والإخاء..

أســــــرتي العزيزة

إلى مَن لم يضنُّوا عليَّ بجهدٍ أونُصحٍ أو دعاءٍ..

أساتذتي وإخوتي

إليكم جميعًا ..

أقدّم هذا الجهد حبّاً وعرفاناً

شكرٌ وعرفانٌ

قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]، وعن مالكِ بنِ أعيُن الجهني قالَ: (أوصى عليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام بعضَ ولدِهِ فقالَ: يا بُنيَّ اشكرْ مَن أنعمَ عليكَ، وأنعِمْ على مَن شكرَكَ، فإنّهُ لا زوالَ للنّعماءِ إذا شُكِرَت، ولا بقاءَ لها إذا كُفِرَت، والشّاكرُ بشكرِهِ أسعدُ منهُ بالنّعمةِ الّتي وجبَ عليها الشّكرُ)[2].

بعد حمدِ الله وشكرِهِ، وصلواتِهِ على نبيّهِ الأمينِ وآلِهِ الطّاهرينَ:

أتقدّم بخالص دعائي وأطيب أمنياتي وجزيل شكري وتقديري وثنائي واحترامي لكل مَن ساعد وأعان ولو بكلمة في إنجاز هذا الجهد، وأخصّ بالذكر استاذي الاستاذ المساعد الدكتور (محمّد علي هوبي) الذي مَنّ الله عليّ بأن كان مُشرفًا على هذا البحث، الذي لم يضنَّ عليّ بجهدٍ أو نُصحٍ أو إرشادٍ بعدما غمرَني بالحنانِ والعطفِ والدّعمِ.

وحقٌّ لأساتذتي الأفاضلِ الذينَ تتلمذتُ على أيدِيهِم في أثناءِ سنواتِ دراسَتي أن أُوصِلَ إليهم خالصَ شكري وعظيمَ امتناني وتَقديري، وأدعو اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يوفِّقَهُم لكلِّ خيرٍ، وأن يجزيَهم عنّي خيرَ جزاءِ المحسنينَ.

كما أقدّم شكري وامتناني إلى كليَّةِ العلومِ الإسلاميّةِ لقبولي طالبًا لديها، ورعايتها الأبويّةِ لي متمثّلةً بعمادتِها الموقّرةِ، وموظّفِيها المحترمينَ كافّةً.

وأرفعُ شُكري وامتناني إلى رئيسِ لجنةِ المناقشَةِ وأعضائِها المحترمينَ الذين لهم الفضلُ عليَّ بقبولِهِم قراءةَ هذهِ الأطروحَةِ لتقويمِها، وتصويبِ هفواتِها.

كما لا أنسى بالشّكرِ إدارةَ مكتبةِ الرّوضَةِ الحيدريّةِ المقدّسةِ، ومكتبتَي العتبتَينِ الحسينيّةِ والعبّاسيّةِ المقدّستينِ ومُنتسبيها؛ لما يبذلُونَهُ وما يُقدّمونَهُ من عطاءٍ خدمةً للعلمِ والعلماءِ.

---

[1] سورة إبراهيم ١٤: ٧.

[2] وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: ١٦: ٣١٣، حديث رقم: ٢١٦٣٦.

مُلخّصُ الأطروحة:

عُرِّفَ التّحقيقُ: بأنّهُ السّعيُ لإخراجِ النّصِّ التّراثي طبقًا لما يُريدهُ المصَنِّفُ، معَ حلِّ مشكلاتِهِ والكشفِ عن غوامضِهِ.

ولَمَّا كان موروثُنا الاسلاميِّ مفخرةَ الامّةِ وأساسَ بنائِها لا سيَّما ما اتَّصلَ منه بكتابِ الله المجيد؛ لذا وجبَ الاهتمامُ به، وإعادةُ الحياةِ الى ما دُفِنَ منه، والعملُ على إحيائهِ واستثمارِهِ؛ من أجلِ الحفاظِ على ما بقيَ منه من الضياعِ والنسيانِ والإهمالِ، كما جرى على العديدِ من المؤلفاتِ التي ذكرها أصحابُ السّيرِ والتّراجمِ في مؤلّفاتِهم ولا نجدها اليوم، بُغيةَ تقريبِهِ إلى أذهانِ الأجيالِ المتعاقبةِ وتشجيعهم على الإحساسِ بقيمتِهِ، وشدِّهم إليهِ ودراستهِ على الأُسسِ العلميّةِ الصّحيحةِ.

وفي مُقدّمةِ المؤلّفاتِ التّراثيّةِ المُتّصلةِ بالقرآنِ الكريمِ كتبُ التّفسير، والتي تبحثُ في بيانِ معاني كتابِ اللهِ المجيد، وفهمِ وتوضيحِ مفاهيمِ القرآنِ ومقاصدِهِ؛ واستخراجِ كنوزِهِ الثّمينةِ وأسرارهِ البليغةِ، ومن هذهِ الكتبِ: مخطوطٌ تفسيريّ للملّا مُحسن القزوينيّ، والذي سطَّرَ بقلمِهِ الإبداعي الجميلِ صفحاتٍ من تفسيرِ القرآنِ العزيز سمّاهُ: (نورُ التَّوفيقِ وكشفُ التّدقيق).

وقد امتاز هذا التّفسيرُ بميّزاتٍ عديدةٍ، منها:

. ردُّهُ على العديدِ منَ الآراءِ اللّغويةِّ والنّحويّةِ، وبيانُ صحيحِها من سقيمِها، وقد ناقشَها بالأدلّةِ الصّحيحةِ.

. تضمَّنَ تفسيرُهُ مناقشاتٍ تفسيريّةً لكبارِ المُفسّرينَ ومن كلا المدرستينِ، كالشّيخِ الطّبرسيّ والعلّامتينِ الزّمخشريّ والبيضاويّ، مُبيّنا آراءهم مناقِشًا إيّاها.

. وقد اعتمدَ في بيانِهِ للمعنى التّفسيريّ على الرّواياتِ المأثورةِ عن أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، كما استخدَمَ الاتجاهَ اللّغويَّ في التّفسيرِ.

. كما اتّبعَ المُصنِّف المنهج التفسيري الكامل في تفسيره.

. كثيرًا ما يستدلُّ لآرائِهِ وترجيحاتِهِ التّفسيريّةِ بالأدلّةِ الرّوائيّةِ والشّواهدِ اللّغويّةِ والشّعريّةِ.

. أولى المصنِّفُ القراءاتِ القرآنيّةَ اهتمامًا كبيرًا، ذاكرًا أصحابَها وحججَهُم.

ممّا ساهمَ في اختيارِ هذا المخطوطِ التّفسيريّ؛ ليكونَ موضوعًا للدّراسةِ والبحثِ؛ لأجلِ الإفادةِ من علومِهِ ومعارفِهِ وما تضمَّنَهُ من مناقشاتٍ مختلفة؛ وكذلك لتعريفِ الباحثينَ والقرّاءِ على الجهدِ التّفسيريّ القيّمِ للمصنِّفِ؛ ولتسليطِ الضّوءِ على علمٍ من أعلامِ مدرسةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، برزَ في القرنِ الثّاني عشرَ الهجري، لهُ العديدُ من المصنَّفاتِ وفي مختلفِ العلومِ والفنونِ وكانَ من أبرزِها هذا التّفسيرُ.

وسيتمُّ بعونِ اللهِ تعالى في هذهِ الدّراسةِ تحقيقُ القسمِ الثّاني منَ الجزءِ الأوّلِ ودراستُهُ، أي: منّ الآيةِ (٣٥) من سورةِ البقرةِ إلى نهايةِ الجزءِ الأوّلِ منّ المصحفِ الشَّريفِ.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنيّة	أ
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ت
الخلاصة	ث
المحتويات	ح – ر
مقدّمة	١- ٦
القسم الأول: الدراسة	٧- ١٩٠
الفصل التّمهيدي: سطورٌ حولَ المصنِّفِ والمصنَّفِ	٨- ٤١
المبحث الأوّل: سطورٌ حولَ المصنِّفِ	٩- ١٩
المطلب الأوّل: حياتُهُ	١٠
أوّلًا: الاسمُ واللّقبُ	١٠
ثانيًا: المولدُ والنشأة	١٠
ثالثًا: الوفاةُ	١٠
المطلبُ الثّاني: شيوخُهُ وتلامذتُهُ	١١
أوّلًا: شيوخُهُ	١١
ثانيًا: تلامذتُهُ	١١
المطلبُ الثّالثُ: مكانتُهُ العلميّةُ وآثارُهُ	١٢- ١٩

الموضوع	الصفحة
أوّلًا: مكانتُهُ العلميّةُ	١٢
ثانيًا: آثارُهُ	١٦
المبحث الثّاني: سطورٌ حولَ المُصَنِّفِ	٢٠-٤١
المطلب الأوّل: نسبةُ التّفسيرِ ودواعي تصنيفِهِ	٢١-٢٢
أوّلًا: اسمُ التّفسيرِ ونِسبتُهُ	٢١
ثانيًا: دواعي التّصنيفِ	٢٢
المطلب الثّاني: منهجيّةُ المُصَنِّفِ في التّفسيرِ	٢٣-٣٢
المطلب الثالث: القيمةُ العلميّةُ للتّفسيرِ ومصادرُهُ	٣٢-٤١
أوّلًا: قيمتُهُ العلميّةُ	٣٢
ثانيًا: مُقدِّماتُهُ التّفسيريّةُ	٣٣
ثالثًا: مصادرُهُ التّفسيريّةُ	٣٤
الفصل الأول: المباحثُ القرآنِيّةُ والتفسيريّةُ في تفسير نور التوفيق	٤٢-١١٧
المبحث الأوّل: مباحثُ علومِ القرآنِ وتاريخِهِ	٤٣-٥٥
المطلب الأوّل: مباحثُ علومِ القرآنِ	٤٤-٤٨
أوّلًا: العامُ والخاصُ	٤٤
ثانيًا: المجمل والمفصّل	٤٦
ثالثًا: النّسخ	٤٨
المطلب الثّاني: مباحثُ تاريخِ القرآنِ	٤٩
أوّلًا: أسبابُ النّزولِ	٥٠
ثانيًا: القراءات	٥١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثّاني: آراءُ المُصنِّفِ التّفسيريّةُ وترجيحاتُهُ	٥٦ -٨٩
المطلبُ الأوّلُ: آراءُ المصنِّفِ التّفسيريّةُ	٥٧ -٦٧
المطلبُ الثّاني: مفهومُ التّرجيحِ وألفاظُهُ	٦٨- ٧٥
أوّلًا: مفهوم التّرجيح	٦٨
ثانيًا: ألفاظُ التّرجيح	٦٩
المطلبُ الثّالثُ: أدلّةُ التّرجيحِ	٧٥- ٨٩
أوّلًا: ظاهرُ القرآنِ	٧٥
ثانيًا: الجمعُ بينَ القرآنِ والرّوايةِ	٧٦
ثالثًا: مرويّاتُ أهلِ البيتِ عليهم السلام	٧٧
رابعًا: العقلُ	٨١
خامسًا: السّياقُ	٨٢
سادسًا: الإعرابُ	٨٣
سابعًا: القراءات	٨٥
ثامنًا: التّرجيحُ باعتمادِ قولِ أكثرِ المفسّرينَ	٨٧
تاسعًا: التّرجيحُ بالعمومِ	٨٧
المبحثُ الثّالثُ: ردودُ المصَنِّفِ التّفسيريّةُ واعتراضاتُهُ	٩٠- ١١٧
المطلبُ الأوّلُ: المسائلُ العقديّة	٩١- ٩٦
أوّلًا: أبوا رسولِ الله صلى الله عليه وآله	٩١
ثانيًا: معنى البدعةِ	٩٣
المطلبُ الثّاني: المسائلُ العرفانيّة	٩٦- ١٠٥

الموضوع	الصفحة
أوّلًا: حقيقةُ الموتِ	٩٦
ثانيًا: التّسويةُ في الإيمانِ	٩٩
ثالثًا: نيلُ العهدِ	١٠١
المطلبُ الثّالث: المسائلُ الأصوليّة: حقيقةُ النّهيّ	١٠٦- ١١٣
المطلبُ الرّابعُ: المسائلُ الفقهيّة: القبلة	١١٣- ١١٧
الفصلُ الثّاني: المباحثُ اللّغويّةُ في تفسيرِ نور التّوفيقِ	١١٨- ١٨٧
المبحثُ الأوّلُ: المباحث الصّرفيّة والنّحويّةُ في التفسيرِ	١١٩- ١٤٨
المطلبُ الأوّل: البحثُ الصّرفيّ عند المصنِّف	١٢٠- ١٢٥
المطلبُ الثّاني: البحثُ النّحويّ عند المصنِّف	١٢٦- ١٤٨
المبحثُ الثّاني: المباحثُ المعجميّةُ في التّفسيرِ	١٤٩ـ ١٦٨
المطلبُ الأوّل: طرائقُ التّفسيرِ المعجميّ	١٥٠- ١٦٠
أوّلًا: بيانُ المعاني المعجميّةِ للّفظِ من غيرِ توسّعٍ	١٥١
ثانيًا: بيانُ معنى اللّفظِ مباشرةً	١٥٣
ثالثًا: بيانُ معنى اللّفظِ بضدِّهِ	١٥٥
رابعًا: إقامةُ مباحث معجميّةٍ مفصّلةٍ	١٥٥
المطلبُ الثّاني: الألفاظُ المشتركةُ	١٦١- ١٦٨
صورُ اللّفظِ المشترك	١٦٢
المبحثُ الثّالث: المباحثُ الشّعريّةُ والبلاغيّةُ في التّفسيرِ	١٦٩- ١٨٧
المطلب الأوّلُ: الاستشهادُ بالشّعرِ العربيّ	١٧٠- ١٨٢
الصورة الأولى: الاستدلالُ لوجهٍ صرفيّ	١٧١

الموضوع	الصفحة
الصورة الثّانية: لتأكيدِ بعضِ القواعدِ الصّرفيّةِ والنّحويّةِ	١٧٢
الصورة الثّالثةُ: لتأكيدِ واختيارِ وجهٍ نحويّ	١٧٤
الصورة الرّابعةُ: في بيانِ معاني الألفاظِ الغريبةِ	١٧٦
الصورة الخامسةُ: لتأييدِ معنًى معيّنٍ	١٧٨
الصورة السّادسةُ: لتأكيدِ قراءةٍ منَ القراءاتِ	١٧٩
الصورة السّابعةُ: لبيانِ المعنى العام	١٨٠
المطلبُ الثّاني: المسائلُ البلاغيّةُ	١٨٢ -١٨٧
الخاتمة	١٨٨ -١٩٠
القسم الثاني: التحقيق	١٩١ -١٠٢٦
أولًا: وصفُ المخطوطِ وموضوعُهُ	١٩٢
ثانيًا: منهجُ التّحقيقِ	١٩٤
ثالثًا: الرّموزُ والمختصراتُ	١٩٦
رابعًا: صورٌ منَ المخطوطِ	١٩٧
خامسًا: النّصُّ المحقّقُ	٢٠٠ -٩٧٦
سادسًا: المصادرُ والمراجعُ	٩٧٧ -١٠٢٦
الخلاصة باللّغة الانكليزيّة	a.b

المُقَدِّمَةُ

مُقدّمة

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصّمدِ، الذي منَّ علينا بالهدايةِ والإيمانِ، ووفَّقَنا للصّلاةِ والسّلامِ على النّبيِّ العدنانِ، أشرفِ الخلقِ أجمعينَ، سيّدِنا ونبيِّنا الأمينِ ﷺ ، وعلى أخيهِ ووصيِّهِ أميرِ المؤمنينَ، وآلِهِ الهُداةِ الميامينَ المنتَجبينَ، واللّعنةُ الدّائمةُ على أعدائِهم وأعداءِ شيعتِهم أجمعينَ إلى قيامِ يومِ الدّينِ.

وبعد:

إنَّ إحياءَ التّراثِ ضرورةٌ علميّةٌ وإنسانيّةٌ لكلِّ أمّةٍ، تهدفُ إلى إخراجِ النّصوصِ التّراثيّةِ للنّاسِ للإفادةِ منها في بناءِ معارفِهِم وتطويرِها، لاسيّما ما يتَّصل منها بالدّراساتِ الإسلاميّةِ عمومًا والقرآنيّة خاصّة؛ إذ أنَّ كثيرًا منها لا نعلَمُها إلَّا من خلالِ كتبِ الرّجالِ والطّبقاتِ والفهارسِ.

فتراثُ الأمّةِ الإسلاميّةِ مليءٌ بالكنوزِ، ومكتَظٌّ بالجواهرِ الّتي يعزُّ وجودُها عندَ غيرِها منّ الأممِ؛ لذا يجبُ أن توجَّهَ الجهودُ إلى إحياءِ التّراثِ الإسلامي والمحافظةِ عليهِ، وإخراجِ تلكَ الدُّرَرِ من مَكنوناتِها.

وعلى الرّغمِ من كثرةِ الدّراساتِ القرآنيّةِ والتفسيريّةِ بشتّى منهجيّاتِها واتّجاهاتِها إلَّا أنّنا نجدُ القرآنَ الكريمَ لا يزالُ غضًّا جديدًا، وبحرًا واسعًا يغرفُ منهُ كلُّ مُتعرِّضٍ لهُ بما وفَّقَهُ اللهُ لهُ وبقدرِ علمِهِ وإخلاصِهِ، وكانَ ممَّن تعرَّضَ لذلكَ الملّا القزوينيَ والذي سطَّرَ بقلمِهِ الإبداعي الجميلِ صفحاتٍ من تفسيرِ القرآنِ العزيزِ سمّاهُ (نورَ التوفيقِ وكشفَ التّدقيقِ) مُبيِّنًا أنَّ الخائضَ فيهِ لا يُمكنُهُ الوصولُ إلى ساحلِ برِّ أمانِهِ من دونِ نورِ اللهِ العزيزِ الذي يُوفِّقُ صاحبَهُ بمقدارِ إخلاصِهِ وتفانيهِ وإيمانِهِ بمعبودِهِ وبكتابِهِ وبقدرِ طاقتِهِ وسعيِهِ.

وقد حفلَ تراثُنا العربيُّ والإسلاميُّ على نحوٍ عامٍّ والقرآنيُّ على نحوٍ خاصٍّ بكمٍّ كبيرٍ من المخطوطاتِ النّفيسةِ والقيّمةِ الّتي صنَّفَها مؤلِّفوها قبلَ دخولِ الطباعةِ إلى ساحةِ التأليفِ والتّصنيفِ، واليوم وبعدَ بلوغِ العلمِ مراتبَ متَقدِّمةً صارَ لزامًا على طلبةِ العلمِ استخراجُ هذهِ

الكنوزِ الدّفينةِ ونشرُها، وبيانُ علومِ أصحابِها، والتّعريفُ بِهِم، وتعريفُ القرّاءِ بما تضمَّنهُ هذا التّراثُ، وفي مقدِّمتِها المخطوطاتُ التفسيريّةُ، فقيمةُ المخطوطِ بقيمةِ محتواهُ، ومنها مخطوطنا هذا، وهو مخطوطٌ تفسيريّ للقرآنِ الكريمِ ما عثرنا عليهِ هو ثلاثةُ مجلّداتٍ فقط، تعرَّضَ الملّا في الأوّلِ منها إلى ذكرِ مقدِّماتِهِ التّفسيريّةِ فجعلَها في أربع عشرَة مقدِّمةً، أعقبَها بتفسيرِ سورةِ الفاتحةِ، ثمَّ سورةِ البقرةِ إلى نهايةِ الجزءِ الأوَّلِ منَ القرآنِ العزيزِ، وفي المجلَّدِ الثّاني أكملَ تفسيرَ سورةِ البقرةِ بتمامِها، وتعرَّضَ في المجلَّدِ الثّالثِ إلى تفسيرِ سورةِ آل عمران، وسورةِ النِّساءِ حتَّى نهايةِ الآيةِ (٤٠) منها، وسيتمُّ بعونِ اللهِ تعالى تحقيقُ هذهِ المجلّداتِ الثّلاثةِ ودراستُها من قبلِ طلبةِ الدّراساتِ العليا في كليّة العلومِ الإسلاميّةِ، وسيُعنى في هذهِ الدّراسةِ تحقيقُ القسمِ الثّاني منَ المجلّدِ الأوّلِ ودراستُهُ، أي: منّ الآيةِ (٣٥) من سورةِ البقرةِ إلى نهايةِ الجزءِ الأوّلِ منّ المصحفِ الشَّريفِ، أي إلى الآيةِ (١٤١) من سورةِ البقرةِ المباركةِ.

أهميّةُ التّفسير:

ومِن دراسةِ هذا السِّفرِ القَيِّمِ تجلّت لنا الوفرةُ العلميّةُ التي ضَمَّها هذا التفسيرُ، والتي يُمكنُ تبيانها بالمظاهرِ الآتية:

١ـ يُعَدُّ تفسيرًا بديعًا في عصرِهِ فقد ابتعدَ عن الإطالةِ المملّةِ كما اجتنبَ الإيجازاتِ المخلّةِ، قَدَّمَ اللّغةَ والإعرابَ، واعتمدَ رواياتِ أولي الألبابِ، فكانَ منهجُهُ التفسيريّ مُتكاملًا.

٢ـ اهتمَّ بالقضايا اللّغويّةِ والبلاغيّةِ وعلى قدرِ ما يحتاجهُ في إتمام بيان المعنى المرادِ.

٣ـ عرضَ الكثيرَ منَ الوجوهِ الإعرابيّةِ، والقواعدِ النّحويّةِ، عارضًا آراء النّحويّين فيها مُرجّحا فيما بينها، حتّى يمكنُ عدُّهُ من مصادرِ النَّحو القرآني.

٤ـ فيه مناقشاتٌ تفسيريّةٌ دقيقةٌ لكبارِ مفسّريّ العامَّةِ والخاصّةِ.

٥- ولهُ آراءٌ عدّةٌ في الرّدِّ على بعضِ علماءِ الإماميّةِ، فنراهُ تارةً يحاولُ تصحيحَ رأيِهم، وتارةً يحاولُ توجيهَهُ بما يتوافَقُ معَ أصولِ المذهبِ، وتارةً ثالثةً ينقدهُ ويرفضهُ، وفي كلِّ ذلكَ يستدِلُّ بالأدلَّةِ الرّوائيّةِ.

٦- كما يُمكنُ أن يُعدَّ منَ التّفسيرِ المقارنِ في كثيرٍ منّ المواردِ؛ كونهُ يستعرضُ أقوالَ المفسِّرينَ من أصحابِ المذاهبِ الأخرى كالزّمخشريّ والبيضاويّ.

أهدافُ البحث:

١- إضافةُ تفسيرٍ شيعيٍّ إلى المكتبةِ التّفسيريَّةِ الإسلاميَّةِ.

٢- تسليطُ الضوءِ على عَلمٍ من أعلامِ مدرسةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

٣- بيانُ الجهدِ التّفسيريِّ الكبيرِ الذي بذلَهُ المفسِّرُ، وظهرَ جليًّا بينَ صفحاتِ تفسيرِهِ.

٤- بيانُ قدرةِ المفسِّرِ في الجمعِ بينَ المناهجِ التفسيريَّةِ واتِّجاهاتِها في تفسيرِهِ.

الدّراساتُ السّابقة:

لقد عنيت بالمصَنِّفِ دراساتٌ سابقةٌ – وبحدودِ علمِ الباحثِ- يُمكنُ بيانُها بالآتي:

١- بحثٌ منشور في مجلّةِ كلّيّةِ التربيّة / جامعةُ واسط/ العدد ٩/ بعنوان: رسالةُ العوامل: دراسة وتحقيق: للدكتور فليح خضير شني والمدرس آلاء عبد نعيم.

٢- أطروحةُ دكتوراه في جامعة البصرة/ كلّيّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة/ ٢٠٢٢م/ بعنوان: توشيحُ الوافية بمعانٍ كافية: دراسة وتحقيق: للباحث سجّاد محمد ضرب.

٣- بحثٌ قيد العمل بتحقيق زينة السّالك في شرح خلاصة ابن مالك (الربع الأول): لباحثٍ من المملكة العربيّة السّعوديّة.

والدّراساتُ أعلاهُ لا ترتبطُ بالدّراسةِ هذهِ إلّا من جهةِ اسمِ المصنِّفِ وتاريخِهِ.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التاريخي الوصفي في الفصل التّمهيدي، إذ تضمّنَ احداثًا تاريخيّة تناسبت مع هذا المنهج، وفي الفصلينِ الأوَّلِ والثّاني أفادَ الباحثُ منَ المنهجِ التّحليلي، إذ يعرضُ آراءَ المصنِّفِ وردودَهُ وترجيحاتَهُ مُحلِّلًا إيَّاها مُبيِّنًا أدلَّتَهُ فيها، وممَّا تجدرُ الإشارةُ إليه أنَّ الباحثَ في عرضِهِ لآراءِ المصنِّفِ وترجيحاتِهِ كانَ يذكرُ أوَّلًا أقوالَ المفسِّرينَ المتقدِّمينَ عنِ المصنِّفِ والمتأخّرينَ عنهُ ثمَّ يتبعُها برأي المصنِّفِ.

أمَّا في عرضِهِ لردودِهِ واعتراضاتِهِ فإنَّهُ يُقدِّمُ قولَ المصنِّفِ واعتراضَهُ أوّلًا، ثمَّ يذكرُ أقوالَ المفسِّرينَ بعدهُ.

خطّةُ البحث:

اقتضت طبيعةُ العنوانِ أن تُقسَمَ الدِّراسةُ على قسمينِ: الأوَّلُ في دراسةِ المخطوطِ والثّاني في تحقيقِهِ، وقد جاءت الدّراسةُ على ثلاثةِ فصولٍ، مسبوقةٍ بمقدّمةٍ، ومشفوعةٍ بخاتمةٍ اشتملَت على أهمِّ ما توصَّلَ إليهِ الباحثُ من نتائجٍ، وما يطمحُ إليهِ من توصياتٍ.

وقد تضمَّنتِ المقدّمةُ أهميّةَ التّفسيرِ، وأهمَ أهدافِ البحثِ، والدّراساتِ السّابقةِ، مع بيانِ منهجيَّةِ البحثِ وخطتِهِ.

وكانَ فصلُها التّمهيدي في بيانِ أحوالِ المصنِّفِ والمصنَّفِ، فجاء على مبحثينِ تحدَّثَ الباحثُ في أوَّلِهما عن حياةِ المصنِّفِ من جهاتِ ولادتِهِ ونشأتِهِ وشيوخِهِ وتلامذتِهِ وآثارِهِ وتصنيفاتِهِ العلميّةِ، وذكرَ في الثّاني تسميةَ التّفسيرِ ومنهجيّةَ المصنِّفِ ومصادرَهُ.

واستعرَضَ في الفصلِ الأوَّلِ المباحثَ القرآنيَّةَ والتّفسيريّةَ في التّفسيرِ، كمباحثِ علومِ القرآنِ وتاريخِهِ، ذاكرًا نماذجَ لا على سبيلِ الحصرِ من آراءِ المصنِّفِ التّفسيريّةِ وترجيحاتِهِ، وردودِهِ واعتراضاتِهِ.

وبيَّنَ في الفصلِ الثّاني المباحثَ الصّرفيّةَ والنّحويَّةَ والمعجميّةَ، وأهمَّ المظاهرِ اللّغويّةِ الّتي حفلَ بها التّفسيرُ كالاستشهادِ بالشّعرِ العربيِّ، كما ذكرَ نماذجَ لردودِ المصنِّفِ اللّغويَّةِ واعتراضاتِهِ.

أمَّا القسمُ الثّاني فاختَصَّ بالتّحقيقِ، فبدأَهُ الباحثُ بوصفٍ كاملٍ للمخطوطِ، أعقبَهُ ببيانِ منهجيَّتِهِ في التّحقيقِ، عارضًا نماذجَ مصوَّرةٍ منَ المخطوطِ، وصولًا إلى بيانِ النَّصِّ المحقَّقِ، واختتَمَ الباحثُ عرضَهُ هذا بثبتٍ للمصادرِ والمراجعِ الّتي اعتمدَها في دراستِهِ وتحقيقِهِ.

وأخيراً، فإنّ ما كان في هذا العمل من جهدٍ يُرضي أهلَ العلمِ وحكّامَهُ فهوَ من توفيقاتِ اللهِ سبحانه وتعالى، ومن جهدِ استاذي المشرفِ، وإن كانَ فيهِ هفوةٌ أو زللٌ أو مجانبةٌ عنِ الصّحّةِ فهوَ من جهدِ الباحثِ، فالكمالُ لهُ سبحانهُ ولكتابِهِ، وعصمتُهُ لمَن خصَّهُم بها تعالى ـ ولا يسعني إلّا أن استذكرَ قولَ عمادِ الدّينِ الأصفهاني (٥٩٧هـ): "إنّي رأيتُ أنَّهُ لا يكتبُ إنسانٌ كتابًا في يومِهِ إلّا قالَ في غدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسنُ، ولو زِيدَ كذا لكانَ يُستحسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضلُ، ولو تُركَ هذا لكانَ أجملُ، وهذا من أعظمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ على استيلاءِ النّقصِ على جملةِ البَشَرِ"[1] ـ، فأسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يغفرَ زلَّتِي وخطيئتِي بسببِ قلَّةَ علمي وجهلي، ويُقيلَ عثرتي، ويأخذَ بيدي إلى الصّوابِ بأساتذةٍ وعلماءٍ أتعبتُهُم بقراءةِ هذهِ الدّراسةِ؛ لتسجيلِ مَلاحظِهِم وإرشاداتِهِم وتوجيهاتِهِم الّتي لابدَّ منها لتقويمِ هذا العملِ؛ كي يكونَ لهُ الحقُّ أن يكونَ كلمةً في ميدانِ العلمِ، ومنَ اللهِ التّوفيقُ.

الباحث

(١) تصحيح إعتقادات الإمامية: ١٥٥.

القسمُ الأوَّلُ

الدِّراسة

الفصلُ التّمهيدي: سطورٌ حولَ المصنِّفِ والمصنَّفِ

الفصلُ الأوّل: المباحثُ القرآنِيّةُ والتفسيريّةُ في تفسير نور التوفيق

الفصلُ الثّاني: المباحثُ اللّغويّةُ في تفسيرِ نور التّوفيق

الفصلُ التّمهيدي

سطورٌ حولَ المصنِّفِ والمصنَّفِ

المبحثُ الأوَّلُ: سطورٌ حولَ المصنِّفِ

المبحث الثّاني: سطورٌ حولَ الْمُصَنَّفِ

المبحثُ الأوَّلُ

سطورٌ حولَ المصنِّفِ

المطلبُ الأوَّلُ: حياتُهُ

المطلبُ الثّاني: شيوخُهُ وتلامذتُهُ

المطلبُ الثّالثُ: مكانتُهُ العلميّةُ وآثارُهُ

المطلبُ الأوّلُ: حياتُهُ:

أوّلًا: الاسمُ واللّقبُ:

هو الملّا مُحسِنُ بنُ مُحمَّد طاهرٍ بنُ مُحمّد مُؤمن النَّحوي، طالقانيُّ الأصلِ، قزوينيُّ المسكنِ، كما يسمّى مُحمَّد مُحسن، منَ العُلماءِ البارزينَ في القرنينِ الحادي عشرَ والثّاني عشرَ الهجريّينِ، نَحويٌّ فاضلٌ، وعالمٌ أديبٌ في علومِ اللّغةِ العربيّةِ(1).

ثانيًا: المولِدُ والنشأة:

وُلِدَ ونشأ وترَعرعَ في أسرةٍ عُرِفتْ بالعلمِ والمعرفةِ في قزوين، فقد كانَ والدُهُ مِنَ العلماءِ الأعلامِ، لهُ مؤلّفاتٌ عدّةٌ؛ منها: (آدابُ السّفرِ) باللّغةِ الفارسيّة، و(التّجريدُ في التّجويدِ) باللّغةِ العربيّةِ، و(مُنتخبُ التّجريدِ) باللّغة الفارسيّةِ، وكانَ جدُّهُ من قبلِهم من أهلِ العلمِ المصَنِّفينَ؛ إذ خطَّ بيدِهِ كثيرًا من المؤلّفاتِ، والذي أوقفَ مكتبتَهُ على أولادِهِ، اشتهرت أسرتُهُ بالنّحويّ نسبةً إليه، فهوَ جدُّ الطّائفةِ النّحويّةِ في قزوين (2).

ثالثًا: الوفاةُ:

لمْ يرد اتّفاقٌ بين أصحاب التّراجمِ على سنة وفاةِ الملّا القزوينيّ بالتّحديدِ، إذ أشارَ عمر كحالة إلى أنّهُ كان حيًّا سنة (١١٢٨هـ)(3)، وذهبَ بعضُ أصحابِ التّراجمِ إلى أنَّ وفاتَهُ كانت بعدَ سنة (١١٤٤هـ)، حينما ذكرَ الطّهراني تملّكَ الملّا لحاشية على كتاب عيونِ الحسابِ وإمضائهِ عليها بخطِّهِ سنة (١١٤٤هـ)(4)، كما نقلَ الطّهراني أنَّ وفاتَهُ كانت في حدودِ سنةِ (١١٥٠هـ)(5).

(1) ينظر: أمل الآمل: ١: ١٧، والذريعة: ١٢: ٩٥، و١٥: ٣٧٨، وطبقات أعلام الشيعة: ٦٣٧، ٦٣٨، وروضات الجنات: ٦: ١٠٣، وأعيان الشيعة: ٩: ٤٦، وتراجم الرجال: ١٧، معجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(2) ينظر: الذريعة: ١: ٢٠، و٣: ٣٥٠، وأعيان الشيعة: ٩: ٥٦، والمفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٠.

(3) معجم المؤلّفين: ٨: ١٨٦.

(4) ينظر: الذريعة: ١٥: ٣٧٩.

(5) ينظر: طبقات أعلام الشّيعة: ١٢: ٥٨٨.

المطلبُ الثّاني: شيوخُهُ وتلامذتُهُ:

أوّلًا: شيوخُهُ:

تَتلمَذَ الملّا القزوينيّ على يدِ مجموعةٍ منَ العلماءِ الأفاضلِ في عَصرهِ، فكانَ والدُهُ أوَّلَهُم، كما أنَّ لهُ إجازةً منهُ في الحديثِ(١)، وقد مرَّ ذكرُ تصانيفِهِ.

كما تتلمذَ على الشّيخِ الحرِّ العامليِّ (١١٠٤هـ) صاحبِ كتابِ (وسائلُ الشّيعةِ)(٢)، والذي قرأَ عليهِ كتابَ (الكافي) بعدَ أن نَسَخهُ بخطِّهِ، «فكتبَ الشّيخُ لهُ إنهاءً في آخرِ كتابِ الجهادِ منهُ بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٠٩٩هـ»(٣).

ويُعدُّ السّيدُ (قُوامُ الدّينِ مُحمّدُ بنُ مُحمّد مهدي السّيفيّ القزوينيّ المتوفّى١١٥٠ هـ)(٤) من أبرزُ شيوخِهِ، والذي استقى شطرًا من علومهِ منَ العلّامةِ المجلسيِّ، ولهُ منهُ إجازةٌ في الحديثِ(٥)، وكانَ الملّا من أفضلِ تلامذتِهِ، والذي شرحَ مؤلّفاتَهُ وأراجيزَهُ ومنظوماتِهِ(٦).

ثانيًا: تلامذتُهُ:

لم تذكرْ مصادرُ التّراجمِ والرّجالِ شيئًا عن تلامذةِ المصَنِّفِ ولا أحوالِهم، إلَّا أنَّ الطهرانيّ احتملَ أن يكونَ (مُحمَّدُ هادي الطّالقانيّ) أحدَ تلامذتِهِ اعتمادًا على وجودِ مجموعةٍ من مصنَّفاتِ الملّا القزوينيّ عندَهُ وبخطِّهِ، ومنها الرسالة الوضعيّة الأبهريّة(٧).

---

(١) ينظر: المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٠.

(٢) ينظر: أمل الآمل: ١: ١٧، وهداية الطالب إلى مصادر كتاب المكاسب: ٣٣٣.

(٣) المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٠.

(٤) «فقيهٌ نبيهٌ، مهرَ في الشّعرِ، نظمَ اللّمعةَ الدّمشقيّةِ، وزبدة الأصول، والكافيةَ، والشّافيةَ، وخلاصةَ الحسابِ، وغيرَ ذلكَ، ولهُ أشعارٌ كثيرةٌ في المراثي، وفي البراءةِ من أعداءِ الدّينِ، توفي سنة (١١٥٠ هـ)». الكنى والألقابِ: ٣: ٩٠، وتلامذةُ المجلسيّ: ٧٣، وموسوعة طبقات الفقهاء: ١٢: ٣٣٢.

(٥) ينظر: الذريعة: ١: ١٥٤، وتلامذة المجلسي: ٧٣.

(٦) ينظر: الذريعة: ٤: ٣١٢، و٢٣: ١٣٦، وطبقات أعلام الشيعة: ٩: ٦٥٣.

(٧) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ٩: ٨٠٣.

المطلبُ الثّالثُ: مكانتُهُ العلميّةُ وآثارُهُ:

أوّلًا: مكانتُهُ العلميّةُ:

اشتهرَ الملّا القزوينيّ بالنّحو حتّى عُرفت أسرتُهُ بالطائفةِ النّحويّة تبعًا له كما مرَّ، فضلًا عن جملةٍ من العلومِ الأدبيّةِ والفقهيّةِ والرّوائيّةِ، فصنَّفَ في مختلفِ العلومِ النّقليّةِ والعقليّةِ، فتَوسَّعت خزانةُ كتُبِهِ الّتي ورثها من جدِّهِ والتي بقيت وقفًا على أولادِهِ، وقد استمرَّ بالتّأليفِ والتّصنيفِ إلى أواخر حياتِهِ .

وقد وَصفَهُ السيّدُ مُحسنُ الأمينيّ بأنّهُ: «عالمٌ فاضلٌ، وأديبٌ، إمامٌ في العلومِ العربيّةِ»[1]، وقالَ فيهِ العلّامَةُ الطّهرانيّ: «لهُ تصانيفُ كثيرةٌ كتبَها بخطِّهِ الجيّدِ الحسَنِ، وأوقفَها على ولدِهِ»[2]، وقالَ أيضًا: «هو جدُّ الطّائفةِ النّحويّةِ بقزوين»[3].

وقالَ فيهِ السّيّدُ حسنُ الصّدر: «عالمٌ فاضلٌ، أديبٌ، إمامٌ في العلومِ العَربيّةِ، يُعرَفُ بالنّحوي، كانَ من أفاضلِ تلامذةِ السّيّدِ الفاضلِ قوامِ الدّينِ مُحمّدٍ السّيفيّ القزوينيّ المعاصِرِ للمجلسيِّ»[4].

وبيّنَ السّيّدُ أحمدُ الحسينيّ علمَهُ بقولِهِ: «كتبَ نسخةً من كتابِ (منهاج الكرامة) للعلّامةِ الحليِّ، وعَلّقَ عليها تعاليقَ يسيرةً دالّةً على فضلِهِ في العلومِ العقليّةِ والنّقليّةِ، واطّلاعِهِ على الأدبِ العربيِّ»[5]، ووسمَهُ السّيّدُ علي خان المدنيّ الشّيرازيّ المعاصرُ لهُ بأنّهُ: «من الأفاضلِ»[6].

---

(١) أعيان الشيعة: ٩: ٥٦.

(٢) الذريعة: ١٥: ٣٥٩، رقم: ٢٢٨٦.

(٣) الذريعة: ١٢: ٩٥، رقم: ٦٢٤.

(٤) تكملة أمل الآمل: ٤: ٣١١.

(٥) المفصّل في تراجم الرجال: ٢: ٣٣٤، رقم: ١٥٢٤.

(٦) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: ١: ٢٢.

الملّا القزوينيّ بينَ الأصوليّينَ والأخباريّينَ:

ذكرَ أهلُ التّاريخ أنَّ مدينةَ قزوينَ انقسمت خلالَ القرنِ الثّاني عشرَ الهجري ما بينَ الأصوليّينَ والأخباريّينَ، وأنَّ الغلبةَ والقوّةَ كانت للأخباريّينَ الذينَ تتلمذوا على الشيخِ خليلِ القزوينيّ (١٠٨٩هـ)، المعروفِ بتطرّفِهِ الأخباريّ(١).

وبسببِ اعتمادِ المصنِّفِ في تفسيرِهِ على ما أُثِرَ من رواياتٍ عن أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، وجعلِها الفيصلَ في تحديدِ المعنى المراد من النّصِّ الشّريفِ، معَ عدمِ بيانِهِ لأقسامِ هذهِ الرّواياتِ، بل كانَ في الغالبِ يُشيرُ إلى كونِها صحيحَةً أو مُعتبرةً، نحوَ قولِهِ: «وفي الآثارِ الصّحيحةِ كانتِ الأنبياءُ إذا حَزَنَهم أمرٌ فَزَعوا إلى الذّكرِ، أي: إلى الصّلاةِ»(٢)، وقولِهِ: «كَما يَجيءُ بَيانُ ذلكَ في الرِّواياتِ الصّحيحةِ والمُعتَبرةِ»(٣)، في معرضِ حديثِهِ عن قصّةِ ابني آدمَ عليه السلام، ولم يتعرّض إلى ذكرِ الأحاديثِ الحسنةِ والموثّقةِ، الأمرُ الذي يطرحُ تساؤلًا عن انتماءِ الملّا إلى أحدِ المدرستينِ، وعندَ النّظرِ والتّدقيقِ في صفحاتِ هذا السّفرِ العظيمِ نجدُ الآتي:

١ـ عندَ تعارضِ الرّواياتِ وتناقضِها يلجأُ العلماءُ إلى وسائل التّرجيحِ معَ عدمِ إمكانِ الجمعِ وحلِّ التّعارضِ فيما بينها، ومنها: النّظرُ في أسانيدِها فيُقدَّمُ السّندُ الأوثقُ على غيرِهِ، وهو ما صرَّحَ بهِ الملّا بقولِهِ: « يُؤخَذُ بالأوضَحِ مَتنًا والأوثَقِ سَنَدًا ويُعمَلُ بالمرجّحاتِ كَما هوَ المناطُ في بابِ اختِلافِ الرّوايَتَينِ»(٤)، ونحن نعلمُ أنَّ الأخباريّينَ رفضوا علمَ الرّجالِ، وقالوا بفسادِهِ، وفي حالِ تعارضِ الخبرينِ المعتبَرينِ يصيرُ الأمرُ إلى التخييرِ بينهما، أو الأخذُ بالاحتياطِ، كما لا يُمكنُ التّرجيحُ بالوثاقةِ والأعلميّةِ(٥)، فكيفَ يُحدِّدُ الملّا السّندَ الأوثقَ على غيرِهِ إن كانَ أخباريًّا؟.

---

(١) ينظر: مستدركات أعيان الشيعة: ٢: ٣٠٤.

(٢) نور التّوفيق: ٢٨٦.

(٣) نور التّوفيق: ٥٩٥.

(٤) نور التّوفيق: ٧٣٤.

(٥) ينظر: الحدائق الناضرة: ١: ١١١.

٢ـ موافقةُ الملّا القزوينيّ لجملةٍ منَ الأصوليّينَ في إنكارِهِ لحبطِ الأعمالِ[١]، والحبطُ: «هو بطلانُ العملِ، وسقوطُ تأثيرِه، ولم يُنسب في القرآنِ إلّا إلى العملِ»[٢]، كقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]، وقيلَ: «هو سقوطُ ثوابِ العملِ الصّالحِ بالمعصيةِ المتأخّرةِ، كما أنَّ المرادَ منَ التّكفيرِ هو سقوطُ الذّنوبِ المتقدّمةِ بالطّاعةِ المتأخّرةِ»[٤]، ونحنُ نعلمُ أنَّ مشهورَ المدرسةِ الأخباريّةِ أثبتتِ الحبطَ واستدلّت لهُ من الكتابِ والسنَّةِ، وفي ذلك يقولُ المحدِّثُ الجزائريّ (١١١٢هـ): «معَ وجودِ الدّلائلِ منَ الكتابِ والسّنّةِ على أنَّ الاحباطَ الّذي هو: الموازنةُ بينَ الأعمالِ، واسقاطُ المتقابلينِ، وابقاءُ الرّجحانِ حقٌّ لا شكَ فيهِ ولا ريبَ يعترِيهِ»[٥]، في قبالِ إنكارِ الأصوليّينَ لهُ[٦].

٣ـ استعمالُهُ الدّليلَ العقليَّ في التّرجيحِ والاستدلالِ، كما في استدلالِهِ بالدّليلِ العقلي لكيفيّةِ العملِ بالعامِّ والخاصِّ، حينما قالَ: «الدليلُ العقلي أيضًا في ذلكَ ثابتٌ: ولأنَّ الخاصَّ و العامَّ دليلانِ مُتعارِضانِ، ولا يُمكنُ العملُ بكُلِّ واحدٍ منهُما مُطلقًا؛ وإلّا لَزِمَ التّناقضُ، ولا إِهمالُهما مُطلَقًا؛ لِما فيهِ من إبطالِ الدّليلِ الخالي عنِ المُعارضِ، ولا العملُ بالعامِّ مُطلقًا؛ لاستِلزامِهِ إبطالَ الخاصِّ بالكلّيّةِ معَ إنَّهُ أَقوى دَلالةً مِن العامِّ على موردِهِ، فَتَعيَّنَ العملُ بالعامِّ فيما عَدا صورةِ التّخصيصِ؛ لِخُلوِّهِ مِن مُعارضٍ، وبالخاصِّ في موردِهِ؛ لكونِهِ أَقوى دِلالةً من العامِّ عليهِ، وهوَ معنى التّخصّصِ»[٧].

---

(١) ينظر: نور التّوفيق: ٢٢٥.

(٢) تفسير الميزان: ٢: ١٦٧.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٦٥.

(٤) الإلهيّات: ٤: ٣٦٣.

(٥) الأنوار النّعمانيّة: ٣: ٨٨.

(٦) ينظر: بحر الفوائد في شرح الفرائد: ١: ٣٤، والموسوعة الفقهيّة الميسّرة: ١: ٢٧٥.

(٧) نور التّوفيق: ٥٢٧.

والتّخصّصُ: هو «خروجُ موردٍ عن موضوعِ دليلٍ خُروجًا حقيقيًّا وجدانيًّا بلا وَساطةِ تعبّدٍ ولا مُعاونةِ دليلٍ، كخروجِ الخلِّ عن موضوعِ دليلِ حُرمَةِ الخمرِ. أمّا التّخصيص فهو: إخراجٌ من الحكمِ معَ دخولِ المُخرَجِ موضوعًا، ومثاله: كُلُّ مكلَّفٍ يجبُ عليهِ الصّومُ في شَهرِ رمضانَ إلّا المسافرَ، فالمسافرُ مُكلَّفٌ، ولا يجبُ عليهِ الصَّومُ»[1].

وأيضًا ما ذكرهُ في قصّةِ الملَكَينِ هاروتَ وماروتَ ووقوعِهما في المعصيةِ مع كونِهما ملَكَينِ، إذ أوردَ عدَّةَ رواياتٍ في قصّتِهما، منها ما وردَ عن الإمامِ الباقرِ عليه السلام مُعقِّبًا بعدها بالقولِ: «لا يَخفى إنَّ هذهِ الرّوايةَ وإن كانَ ظاهِرُها مِمَّا يُنكرُهُ العَقلُ والنَّقلُ؛ لِكَونِهِ قادحًا في قَداسَةِ الملائكةِ الّذينَ لا يَعصونَ اللهَ طَرفَةَ عَينٍ؛ لأنّهم عِبادٌ مُكرَمونَ لا يَسبقونَهُ بالقَولِ، وإنَّهُ قَد وَرَدَ في البابِ أخبارٌ رادَّةٌ لَها كَالخَبَرِ المروي في تَفسيرِ الإمامِ العَسكريّ عليه السلام، إلّا أنَّ التَّأمّلَ الدّقيقَ يُعطِي عَدمُ مُنافاتِها للعَقلِ ـ لأنَّ عِصيانَ الملائكَةَ مُستحيلٌ معَ كَونِهم كَذلكَ ـ أمَّا بعدَ أن أعطاهُما اللهُ تعالى ما للبَشَرِ مِنَ القُوى الشَّهويّةِ والإحساساتِ النّفسانيَّةِ ـ كَما يَظهَرُ مِن الرّوايةِ ـ فَظاهِرُهُ صَيرورتُهُما بَشَرًا أو مِثلَ البَشَرِ في فُقدانِ العِصمَةِ وإمكانِ المَعصيَةِ، وإشكالُ الفَلاسفَةِ بعدَمِ إمكانِ انقلابِ الماهيّاتِ مَدفوعٌ بعُمومِ قُدرةِ اللهِ تعالى»[2].

وظاهرُ الحال أنَّ الأخباريّةَ ينفونَ الدّليلَ العقليَّ إذ قالَ المحدِّثُ الجزائريّ: «إنَّ أكثرَ أصحابنا قد تبعوا جماعةً منَ المخالفينَ مِن أهلِ الرّأيِّ و القياسِ ومِن أهلِ الطّبيعةِ و الفلاسفَةِ وغيرِهم منَ الّذينَ اعتمدوا على العقولِ واستدلالاتِها، وطرحوا ما جاءت بِهِ الأنبياءُ حيثُ لم يأتْ على وفقِ عقولِهم»[3]، وأيّدَهُ المحقّقُ البحرانيُّ (١١٨٦هـ) بقولِهِ: «النّهيُ عنِ القولِ في الأحكامِ الشّرعيّةِ بغيرِ سُماعٍ منهم، وعلمٍ صادرٍ عنهم، و وجوبُ التّوقّفِ والاحتياطِ معَ عدمِ تيسّرِ طريقِ العلمِ، و

(١) اصطلاحات الأصول: ٩٧، والأصول العامّة للفقه المقارن: ٨٨.

(٢) نور التّوفيق: ٧٣٤.

(٣) الأنوار النّعمانيّة: ٣: ٨٨.

وجوبُ الرّدِّ إليهم في جملةٍ منها، وما ذاكَ إلّا لقصورِ العقلِ المذكورِ عنِ الاطّلاعِ على أغوارِها، وإحجامِهِ عنِ التّلجّجِ في لجَجِ بحارِها، بل لو تمَّ للعقلِ الاستقلالُ بذلكَ لبطلَ إرسالُ الرّسلِ، وإنزالُ الكتبِ)(١).

وممَّا تقَدَّمَ يظهرُ للباحثِ أنَّ المصَنِّفَ وإنْ رجُحَ ميلُهُ إلى الأصوليّينَ إلّا أنَّ ذلكَ لمْ يمنعهُ من أن يتَّخذَ منهجًا وسطًا ما بينَ المدرستينِ؛ ولعلَّ ذلكَ راجعٌ لتأثّرِهِ بشيوخِهِ منَ الأخباريّينَ، خاصّةً وأنَّ شيخَهُ هو الحرُّ العامليّ (١١٠٤هـ) أحدُ كبارِ علماءِ المدرسةِ الأخباريّةِ.

ثانيًا: آثارُهُ:

تركَ المُصنِّفُ تراثًا علميًّا ضخمًا وفي مُختلفِ فروعِ العلمِ، وقد برعَ كثيرًا في علومِ العربيَةِ من نَحوٍ وصرفٍ وأدبٍ وخطٍّ، وعلومِ القرآنِ، والمنطقِ، والحسابِ، وغيرِها، ومنها:

١ـ تفسيرُ نورِ التّوفيقِ وكشفِ التّدقيقِ: ويقعُ في أربعةِ مجلّداتٍ. وهو المعنيُّ بهذهِ الدّراسةِ(٢).

٢ـ زينةُ السّالكِ في شرح ألفيّةِ ابن مالك: وهو شرحٌ للألفيّةِ كشرحِ ابن عقيلٍ، ويقعُ في أربعةِ أجزاءٍ(٣).

٣ـ شرح العوامل المائة: وهو شرح مختصر معروف على العوامل للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، مزج بالأصل حتّى أصبحَ متنًا خاصًّا(٤).

٤ـ شرحُ أبياتِ (ثمانًا بعدَ ما جاوزتِ الاثنينِ): وهو يقرُبُ من ثلاثمائةِ بيتٍ، وهي أبياتٌ مشهورةٌ في تمييزِ أسماءِ العددِ، ذكر صاحبُ الذريعة أنَّهُ مختصرٌ عربيٌّ رآهُ في النّجف(٥).

---

(١) الحدائق الناضرة: ١: ١٣١.

(٢) ينظر: الذريعة: ٤: ٣١٢، و٢٤: ٣٦٤، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٣) ينظر: الذريعة: ١٢: ٩٥.

(٤) ينظر: الذريعة: ١٣: ٣٧١.

(٥) الذريعة: ١٣: ١٧٠.

٥ـ سراجُ العقولِ إلى منهاجِ الأصولِ: وهو شرحٌ على كتابِ منهاجِ الأصولِ إلى علمِ الأصولِ للقاضي ناصر الدّينِ البيضاويّ (٦٨٥هـ)[١].

٦ـ ردّ وجوب صلاة الجمعة عيناً . رسالتان في الموضوع [٢].

٧ـ العوامل: كتابٌ معروفٌ في النّحو، وبهِ عُرِفَ الملّا القزوينيّ بالنّحويّ، وقد شرحَها كثيرٌ مِنَ العلماءِ، منها شرحُ الشّيخِ محمّد الاسترابادي وأسماهُ: الشّرحُ المفيد[٣]، وكذلك شرحَها السّيّدُ محمّد تقي الموسوي الكازرونيّ باللّغة الفارسيّة، وأسماهُ: رضوان المتعلّمين شرح العوامل المائة[٤].

٨ـ منتهى الغايات في فضائل السور والآيات [٥].

٩ـ صيغُ النّكاحِ. في بيانِ صيغ النكاح بإيجازٍ، ألّفهُ سنة (١١١٠هـ) في قزوين[٦] .

١٠ـ تعاليقٌ يسيرةٌ على كتابِ منهاجِ الكرامَةِ للعلّامةِ الحلّيِّ (٧٢٦هـ) أتمّها سنة (١١١٢هـ)[٧].

١١ـ رسالةٌ في السّهو والشّكِّ: كتبها باللّغة الفارسيّة سنة (١١١٦هـ)[٨].

١٢ـ الحاشيةُ القديمةُ الدّوانيّةُ على شرحِ التّجريدِ: أنهى كتابتَها سنة ١١١٩هـ[٩].

١٣ـ الفوائدُ الثّلاثُ: ويتضَمّنُ ثلاثَ فوائدٍ، هي: فائدةٌ في الفرقِ بينَ (إلى وحتّى)، أنهاها سنة

---

(١) ينظر: كشف الظّنون: ٢: ١٨٨٠.

(٢) المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٢.

(٣) ينظر: الذريعة: ٢١: ٢٩٧.

(٤) ينظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢: ٣٣٢.

(٥) المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٢.

(٦) المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٢.

(٧) تراجم الرجال: ١: ٤٦٨.

(٨) توشيح الوافية بمعان كافية: اطروحة دكتوراه: ٣١.

(٩) طبقات أعلام الشيعة: ٩: ٤١٣.

(١٢٢١هـ)، وتعليقٌ على قول مُلّا خليلِ القزوينيّ: ⁽لأنَّ السّلبَ المحضَ ليسَ من فعلِ العبدِ⁾، كتبهُ سنة (١١٢٢ هـ)، وتعليقٌ على قولِ العلّامةِ في القواعدِ: ⁽مَن دخلَ البئرَ ويخرجُ الدّلو فلهُ درهمٌ⁾، أتمَّهُ سنة (١١٢٣هـ)[1].

١٤ـ تقويمُ الخطِّ: وهو شرحٌ لـ(رمحِ الخطِّ) الذي هو نظمٌ لأستاذهِ قوامِ الدّينِ السّيفيّ لبابِ الخطِّ من شافيةِ ابن الحاجبِ، أنهى هذا الشّرحَ في سنة ١١٢٣هـ[2].

١٥ـ شرحُ قولِ العلّامةِ في القواعدِ: لو نذرَ أن يَصومَ شهرًا قبلَ ما بعدَ قبلِهِ رمضانَ فهوَ شوّالُ، وقيلَ شعبانُ، وقيلَ رجبٌ، ويقعُ في ستّينَ بيتًا، ألّفهُ سنة (١١٢٤هـ)[3].

١٦ـ أرجوزةٌ في المعاني والبيانِ: فرغ من كتابتها سنة (١١٢٥ هـ)[4].

١٧ـ رشحُ السّحابِ في شرحِ نَظمِ الحسابِ: وهو شرحٌ لأرجوزةِ نظمِ الحسابِ لأستاذهِ قوامِ الدّينِ السّيفيّ، شرحهُ بأمرِ أستاذهِ في خمسةِ أشهرٍ، وفرغَ منه في سنة ١١٢٨هـ[5]، ويُذكرُ أيضًا بعنوانِ شرحِ خُلاصةِ الحسابِ، وقد أرَّخَ الملّا نظمَهُ بقولِهِ:

بلطفِ هادي الورى شرحتُ نظمَ الحسابِ

قـــلتُ لتـــاريخِهِ شَرحِي رَشحَ السّحابِ[6]

١٨ـ شرحُ تهذيبِ المنطقِ: وهوَ حاشيةٌ وتعليقاتٌ على تهذيبِ المنطقِ للتّفتازاني (٧٩٢هـ) وحاشيةِ المولى عبد الله اليزدي (ت ٩٨١ هـ) كتبها سنة (١١٣٢ هـ)، وهو في حدودِ ألفٍ وخمسمائةِ بيتٍ

---

(١) المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٢، و توشيح الوافية بمعان كافية: اطروحة دكتوراه: ٢٧.

(٢) ينظر: الذريعة: ٤: ٣٩٦، و أعيان الشيعة: ٩: ٥٦، معجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٢: ٣٠٣، والمفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧٢.

(٤) ينظر: الذريعة: ١: ٤٩٦.

(٥) ينظر: الذريعة: ١١: ٢٣٩، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٦) الذريعة: ١١: ٢٣٦، وأعيان الشيعة: ٩: ٥٦، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

باللغة العربيّة[1]، وقد ترجمها إلى اللّغةِ الفارسيّةِ أيضًا[2].

١٩ـ توشيحُ الوافيةِ بمعانٍ كافيةٍ: وهو شرحٌ لـ(الوافيةِ) الذي هو نظمٌ لأستاذهِ قوام الدّينِ السّيفيّ لشافيةِ ابن الحاجبِ في علم الصّرفِ، أنهاهُ سنةَ ١١٣٦هـ[3].

٢٠ـ الرّسالةُ الوضعيّةُ الأبهريّةُ: في تحقيقِ تحديدِ وضعِ الحروفِ الهجائيّة، وهي بما يقربُ من مِئتَي بيتٍ؛ ألّفَها استجابةً لطلبِ بعضِ علماءِ أبهرَ، وأنهاها في سنة ١١٤١هـ[4] .

٢١ـ رسالةٌ في نجاسةِ النّواصِبِ من أهلِ الخلافِ: وهيَ تعليقةٌ على رسالةِ طهارةِ كافّةِ المخالفينَ: لمحمّد حسين بنِ محمّد إبراهيم (١١٥٩هـ) في طهارةِ كافّةِ المخالفينَ المظهرينَ للشّهادتَينِ من أهلِ القبلةِ وعدمِ نَجاستِهِم، كتبَها سنة (١١٤٣هـ)[5].

---

(١) ينظر: الذريعة: ١٣: ١٦٢.

(٢) ينظر: المفصّل في تراجم الأعلام: ١: ١٧١.

(٣) ينظر: الذريعة: ٤: ٣٩٦، و٤: ٤٨٩، وتكملة أمل الآمل: ٤: ٣١١، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٤) ينظر: الذريعة: ٤: ٤٨٩، وأعيان الشيعة: ٩: ٥٦، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٥) ينظر: نور التوفيق: ٩٠٣، وقد أشارَ إليها محقّقُ توشيح الوافية بمعان كافية: اطروحة دكتوراه: ٢٧.

المبحث الثّاني

سطورٌ حولَ المُصَنَّفِ

المطلب الأوّل: نسبةُ التّفسيرِ ودواعي تصنيفِهِ

المطلب الثّاني: منهجيّةُ المُصَنِّفِ في التّفسيرِ

المطلب الثّالث: القيمةُ العلميّةُ للتّفسيرِ ومصادرُهُ

المطلبُ الأوّل: نسبةُ التّفسيرِ ودواعي تصنيفِهِ:

أوّلًا: اسمُ التّفسيرِ ونِسبتُهُ:

أجمعَ كلُّ مَن ترجَمَ للمُلّا مُحسنِ القزوينيّ أنَّ لديهِ تفسيرًا للقرآنِ الكريمِ، وقد ذكروا أنّ اسمَهُ (نورُ التّوفيقِ وكشفُ التّدقيقِ)(١)، وقد صرّح بذلكَ الملّا نفسُهُ في مقدّمةِ هذا التفسيرِ أنَّهُ قد سمّى تفسيرَهُ هذا بـ(نورُ التّوفيقِ وكشفُ التّدقيق)(٢)، إذ قالَ في مقدِّمةِ التَفسيرِ:

«أمَّا بعدُ فيقولُ العبدُ المستضيءُ بنورِ اللهِ الباهرِ: المسيءُ المدعوُّ بمُحسِنِ بنِ مُحمّد طاهرٍ عَفا اللهُ عنهُما وعَن جميعِ المؤمنينَ وحَشرَهُما وإيّاهُم معَ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾(٣)، بمنِّهِ وكرمِهِ، فإنَّ أجلَّ العلومِ باعتبارِ أجَلِّيّةِ معلومِها، وشَرافَتِها باعتبارِ شَرافةِ غاياتِها ـ إلى أن قالَ ـ وسَمّيتُهُ بـ(**نورِ التّوفيقِ وكشفِ التّدقيقِ**)»(٤).

كما وأعادَ ذكرَ اسمِهِ في ختامِ الجزءِ الأوّلِ منَ التّفسيرِ أيضًا بقولِهِ:

«قد تمَّ تفسيرُ الجزءِ الأوّلِ منَ التّفسيرِ المسمّى بـ(**نورِ التّوفيقِ وكشفِ التّدقيقِ**) بعونِ واهبِ التّوفيقِ، ويتلُوهُ تفسيرُ الجزءِ الثّاني منهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، أسألُ اللهَ مِن فضلِهِ إتمامَهُ، وأنْ يجعلَ النُّورَ في بَصري، والشِّفاءَ في صَدري، والبَصيرةَ في ديني، واليقينَ في قَلبي، والإخلاصَ في عَملي، والصِّحّةَ في بَدني، والسّعةَ في رِزقي، وذِكرَهُ باللّيلِ والنَّهارِ على لساني، والشُّكرَ لهُ أبدًا ما أبقاني، ولا حَولَ ولا قوّةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العظيمِ، وصَلّى اللهُ على مُحمّدٍ وآلهِ الطّاهرينَ، والحمدُ للهِ أوّلًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا»(٥).

---

(١) ينظر: أمل الآمل:١: ١٧، والذريعة:١٢: ٩٥، وطبقات أعلام الشيعة: ٦٣٧، ٦٣٨، وروضات الجنات: ٦: ١٠٣، وأعيان الشيعة: ٩: ٤٦، وتراجم الرجال: ١٧، ومعجم المؤلفين: ٨: ١٨٦.

(٢) نور التوفيق: ٩، من نسخةِ الأصلِ للمخطوط.

(٣) سورة النساء ٤: ٦٩.

(٤) نور التوفيق: ٨، ١٠، من نسخةِ الأصلِ للمخطوط.

(٥) نور التوفيق: ٩٧٦.

ثانيًا: دواعي التّصنيفِ:

اعتادَ العُلماءُ والمُصنِّفينَ ذكرَ الأسبابِ التي دعتهم إلى كتابةِ مؤلّفاتهم ومُصنّفاتهم في مقدِّمةِ كتبِهم، إشارةً منهم إلى بيانِ الحاجةِ إلى مثلِ هذا المؤلَّفِ، وهو ما سارَ عليهِ الملّا مُحسنُ القزوينيّ، إذ بيَّنَ الدّواعيَ والأسبابَ الّتي دفعتهُ إلى كتابةِ تفسيرِهِ هذا في مقدِّمتِهِ، فإنَّ التّفاسيرَ الّتي سبقتهُ قد اصطَبغَت بتخصُّصِ مُفسّريها، فتَراها إمّا لُغويَّةً أو نحويّةً أو بلاغيّةً أو روائيّةً، أو قد أخذت مِن كلٍّ شيئًا قليلًا لا يفي بالغرضِ، إذ قالَ:

« إنَّ أكثرَ المفسّرينَ سلكُوا طرائقَ شتّى؛ فمنهُم مَن اقتَصرَ على استِخراجِ مسائلَ الصّوفيّةِ، ومنهُم مَن اقتصرَ على بَيانِ التّراكيبِ النّحويّةِ، ومنهُم مَن اقتَصرَ على المعاني الكلاميّةِ، ومنهُم مَن استكثَرَ مِن ذكرِ اللّغاتِ والاشتِقاقاتِ، ومنهُم مَن جَمعَ بينَ أكثرِ تلكَ الأطوارِ، وتركَ ما يُحتاجُ إليهِ من الأخبارِ، والآثارِ المرويَّةِ عَنِ الأئمّةِ الأطهارِ عليهم السلام ما اختلفَ اللّيلُ والنّهارُ، في بيانِ أحكامِ الدّينِ المستنبطَةِ منَ القرآنِ المبينِ، فَأردتُ أن أجمعَ ما كانَ مُحتاجًا إليهِ في كلِّ بابٍ، مُتوَسّطًا بينَ الإيجازِ المُخِلِّ، والإكثارِ المُمِلِّ؛ مُناصحَةً لمقتبسِيهِ ومُسامحةً لمستفِيديهِ»[1].

وهذا ما أبدعَ فيهِ على طولِ التّفسيرِ، فنراهُ يستعرضُ اللّغةَ والإعرابَ بقدرِ ما يحتاجُ إلى بيانِ المعنى المرادِ، وصولًا إلى ما أُثِرَ عن أئمَّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام لتحديدِ المعنى المقصودِ من النّصِّ الشريفِ، من غيرِ اختصارٍ ولا إطنابٍ.

(١) نور التوفيق: ٩، من نسخةِ الأصلِ للمخطوط.

المطلبُ الثّاني: منهجيّةُ المُصنِّفِ في تفسيرِهِ:

اتّبَع المصنِّفُ في تفسيرِهِ هذا منهجيّةً معيّنة لا يكادُ يتركها إلّا في حالات تكرّر ذكر اللفظ أو عند تكرّرِ الآيةِ مرّةً أخرى، ويُمكنُ بيانُ هذهِ المنهجيّةِ في النّقاطِ الآتية:

أوّلًا: يذكرُ مَكّيَّ السّورِ ومَدنيَّها، وعددَ آياتِها، والاختلافَ فيها:

ومِن أمثلةِ ذلكَ ما أوردَهُ في سورةِ البقرةِ؛ إذ قالَ: «سورةُ البقرةِ مدنيّةٌ كلُّها إلّا آيةً منها نزلَت في حِجّةِ الوداعِ بمِنًى، وهي قولُهُ تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، وعددُ آياتِها مائتانِ وستٌّ وثمانونَ في العددِ الكوفيِّ، وهو العددُ المرويُّ عن أميرِ المؤمنينَ، وسَبعٌ في العددِ البصريِّ، وخمسٌ حجازيّ، وأربعٌ شاميّ»[2].

و كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، حيث قالَ: « آيَتانِ عندَ البَصريّينَ حيثُ عَدُّو (إلّا خائِفينَ) آيةً، وآيةٌ واحدةٌ عندَ غيرِهِم حيثُ لَم يَعُدُّوا (خائِفينَ) آيةً»[4]:

ثانيًا: يُوردُ رواياتٍ عنِ النّبيِّ ﷺ وأئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام في فضائلِ السّورِ:

ومن أمثلةِ ذلكَ ما أوردَهُ مِن فضائلِ سورةِ البقرةِ قالَ: « رَوى أبو بصيرٍ عنِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: مَن قرأَ البقرةَ وآل عمرانَ جاءَ يومَ القيامةِ تظلّانَهُ على رأسِهِ مثلَ الغَمامَتَينِ»[5].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٨١.

(٢) نور التوفيق: ٥٩، من نسخة الأصل للمخطوط.

(٣) سورة البقرة ٢: ١١٤.

(٤) نور التوفيق: ٧٨١.

(٥) نور التوفيق: ٦٠، من نسخة الأصل للمخطوط، والرواية من ثواب الأعمال: ١٠٤.

ثالثًا: القراءات:

يرى مشهورُ علماءِ أهلِ السّنّةِ تَواترَ القراءاتِ القرآنيَّةِ بتوافرَ ثلاثةِ شروطٍ، هي:
كونُ السّندِ مُتّصلًا إلى النبيِّ الأكرمِ ﷺ، وموافقتُها لرسمِ المصحفِ العثمانيِّ، وموافقتُها لوجهٍ من أوجهِ العربيّةِ، فإن فُقِدَ أحدُ شروطِ التّواترِ فهي شاذّةٌ[1]، وذهبَ محقّقو علماءِ أصحابِنا إلى عدمِ تواترِها[2].

وقد أشارَ المصنِّفُ إلى القراءاتِ الشاذّةِ إن وُجدت، كما في قولِهِ: (رُويَ في الشّواذِ عن ابن مسعودٍ وابنِ عباسٍ (وثُومِها) بالثّاءِ)[3]، وقُرِئَ في الشّواذِ على روايةِ عيسى الثّقفي: قُثّائِها بضمِّ القافِ[4].
كما يذكرُ الحجّةَ للقراءةِ، نحو: (وقرأَ ابنُ كثيرٍ: فارهبوني بإثباتِ الياءِ في الوصلِ دونَ الوقفِ، والجمهورُ: فارهبونِ بحذفِها مطلقًا ووصلًا ووقفًا لكراهةِ الوقفِ على الياءِ مع أنَّ في كَسرِ النّونِ دلالَةً على سقوطِ الياءِ[5])[6].

ومن أشهر هؤلاء القرّاء:

١ـ ابن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر اليحصبيّ التّابعيّ، من علماء الطبقة الثالثة، مقرئ أهل الشّام، تلقّى القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب (٩١هـ)، وأبي الدرداء عويمر بن زيد (٣٢هـ)، وممّن تتلمذ عليه ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد القرشيَ الدمشقيَ (٢٤٢هـ)، وهشام بن عمّار الدمشقيّ (٢٤٥هـ)، توفّي سنة ١١٨هـ[7].

---

(١) ينظر: الكنز في القراءات العشر: ١: ٤٦.

(٢) ينظر: البيان: ١٢٣، وقد عقدَ السيّدُ الخوئي (١٤١٣هـ) مبحثًا تفصيليًّا لإثباتِ ذلكَ في البيان: ١٥١، ١٥٢.

(٣) نور التوفيق: ٤٤٩.

(٤) ينظر: نور التوفيق: ٤٤٩.

(٥) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ١٥٧.

(٦) نور التوفيق: ٢٨٤.

(٧) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ٣٨، ومعرفة القراء الكبار: ١: ٤٦، والبيان: ١٢٦.

٢ـ ابن كثير: هو عبد الله بن كثير بن عبد الله المكّيّ، من علماء الطبقة الثالثة، تلقّى القراءة عن عبد الله بن السائب (٦٨هـ)، ومجاهد بن جبر (١٤٠هـ)، تتلمذ عليهِ عدد كثير من القرّاء، منهم: أحمد بن محمّد بن عبد الله بن أبي بزّة (٢٥٠هـ)، و محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن خالد المخزومي (٢٩١هـ)، وإسماعيل بن مسلم بن إسحاق المخزومي (١٥٩هـ)، وغيرهم، توفّي سنة ١٢٠ هـ[١].

٣ـ عاصم الكوفيّ: هو عاصم بن بهدلة أبو النّجود الأسديّ التّابعيّ، من علماء الطبقة الثالثة، قرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي (٨٣هـ) عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسعود (٣٢هـ)، وأُبيّ بن كعب (٣٠هـ)، وزيد بن ثابت (٤٥هـ) عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي قراءة متّصلة السّند متواترة، تتلمذ عليه عدد كثير، منهم: شعبة بن عيّاش (١٩٣هـ)، وحفص بن سليمان (١٨٠هـ)، وأبان بن تغلب (١٤١هـ)، توفّي سنة ١٢٧ هـ[٢].

٤ـ أبو جعفر المدنيّ: هو يزيدُ بنُ القعقاعِ المخزوميّ المدنيّ، من علماء الطبقة الثالثة، تلقّى القراءة عن عبد الله بن عبّاس (٦٨هـ) عن أُبيّ بن كعب (٣٠هـ) عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقراءتهُ متّصلةُ السّندِ، تتلمذ عليه عدد كثير منهم: نافعُ المدنيِّ، وأبو عمرو بن العلاء البصريّ، وعيسى بن وردان (١٦٠هـ)، توفّي سنة ١٣٠ هـ[٣].

٥ـ أبو عمرو بن العلاء البصري: هو زبان بن العلاء بن عمار المازني التميميّ، وقيل: اسمه يحيى، إمامُ البصرةِ ومقرئها، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي (٨٣هـ)، وزر بن حبيش الأسدي (٨٣هـ)، تتلمذ عليه عدد كثير، منهم: حفص بن عبد العزيز الدوري (٢٤٦هـ)، وصالح بن زياد السوسي (٢٦١هـ)، و شجاع بن أبي نصر (١٩٠هـ)، توفّي سنة ١٥٤هـ[٤].

٦ـ حمزة الكوفيّ: أبو عمارة الكوفيّ التّميميّ، إمامُ القراءةِ في الكوفةِ بعد عاصم والأعمش، من علماء الطبقة الرابعة، سمع من أبي عبد الله الصّادق عليه السلام عن أبيه عن أجداده عن رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر: ١: ١٠٦، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٥٧.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ٤١، ومعرفة القراء الكبار: ١: ٥١.

(٣) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر: ٨: ١١٢، و القراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٧٠.

(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار: ١: ٥٨، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٥٩.

كما قرأ على حمران بن أعين (١٢٩هـ)، فهي قراءة متّصلة السّند، من تلامذته: خلف بن هشام البزّار (٢٢٩هـ)، وخلّاد بن خالد الصّيرفيّ (٢٢٠هـ)، وسفيان الثّوريّ (١٦١هـ)، وعلي بن حمزة الكسائيّ (١٨٩هـ)، ويحيى بن زياد الفرّاء (٢١٧هـ)، توفّي سنة ١٥٦ هـ(١).

٧ـ نافع المدني: هو نافع بن عبد الرحيم بن أبي نعيم الليثيّ، من علماء الطبقة الرابعة، قرأ على يزيد بن القعقاع (١٢٨هـ)، وشيبة القاضي (١٣٠هـ)، تتلمذ عليه مالك بن أنس (١٧٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء البصري، ترأَّسَ الإقراءَ بالمدينة المنورة، توفّي سنة ١٦٩هـ(٢).

٨- علي بن حمزة الكسائيّ الكوفيّ النّحويّ: إمام القراءة في الكوفة بعد شيخه حمزة، من علماء الطبقة الرابعة، وهي أيضًا قراءة متّصلة السّند عن طريقِ شيخِهِ حمزة الكوفيّ، من تلامذته: الليث بن خالد البغداديّ (٢٤٠هـ)، وحفص الدّوري (٢٤٦هـ)، وقتيبة بن مهران الأصبهانيّ (٢٠٢هـ)، وغيرهم كثير، توفّي سنة ١٨٩ هـ(٣).

٩ـ يعقوب الحضرميّ: هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنُ زيدٍ الحضرميّ، من علماء الطبقة الخامسة، إمام أهل البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء، تلقّى القراءة عن شهاب بن شرنفة (١٦٢هـ)، وسلام بن سليمان المزني (١٧١هـ) ، من تلامذته: رويس وهو: عبد الله محمّد بن المتوكّل البصريّ (٢٣٤هـ)، وروح بن عبد المؤمن البصريّ (٢٣٤هـ)، توفّي سنة ٢٠٥ هـ(٤).

١٠ـ خلف البزّار: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزّار، تلقّى القراءة عن شعبة بن عيّاش (١٩٥هـ)، وأبي سعيد بن أوس الأنصاريّ (٢١٥هـ)، من تلامذته: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الورّاق المروزيّ (٢٦٨هـ)، وإدريس بن عبد الكريم البغداديّ (٢٩٢هـ)، توفّي سنة ٢٢٩ هـ(٥).

---

(١) ينظر: معرفة القرّاء الكبار: ١: ٦٦، والبيان: ١٣٦.

(٢) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر: ١: ١٠٥، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٥٥.

(٣) ينظر: معرفة القراء الكبار: ١: ٧٢، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٦٨.

(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار: ١: ٩٤، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٧١.

(٥) ينظر: البيان: ١٤٣، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ١: ٧٣.

رابعًا: اللغة:

فَصَّلَ القولَ في بيانِ المعاني اللّغويّة للألفاظ، ذاكرًا نظائرَها وأضدادَها وجميعَ معانيها المحتملةِ والتي تُفيدُ في الوصول إلى المعنى المُراد، كما في بيانِهِ معنى لفظِ (التّوبة)؛ إذ قالَ: «والتّوبةُ والرّجوعُ والنّدمُ والإقلاعُ والإنابةُ نظائرٌ، وضدُّ التّوبةِ: الإصرارُ، والتوَّابُ: الرّجَّاعُ، وقابلُ التوبِ كثيرًا، ومرةً بعدَ مرةٍ، وأصلُ التّوبةِ وحقيقتُها: الرجوعُ والعَودُ عن ما سَلفَ، والنّدمُ على ما فرَطَ والعَودُ إلى الانقيادِ والإطاعةِ، والرّجوعُ إلى الرّحمةِ والغفرانِ، فالعبدُ تائبٌ إلى اللهِ برجوعهِ وندمهِ مِن معصيتهِ تعالى إلى انقيادهِ، واللهُ تائبٌ على العبدِ برجوعهِ إلى العَطوفةِ والرّحمةِ على عبدهِ وتوفيقهِ إلى التّوبةِ، لكنّها إذا نُسِبت إلى العبدِ تعدَّت بـ(إلى) نحو قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا ﴾[1]، وإذا التوبةُ نُسِبت إلى اللهِ تعدَّت بـ(على) كَما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[2]، فمَعنى التّوبةِ مِنَ العَبدِ: رجوعُهُ إلى اللهِ تعالى بالانقيادِ والطّاعةِ، والاعترافِ بعد العِصيانِ والاقترافِ، ومِنَ اللهِ تعالى: رجوعهُ بالمرحمةِ والعطوفةِ على عَبدهِ العاصيَ، وبتوفيقهِ وإلهامهِ التّوبةَ أوّلًا، ثمَّ قبولِهِ إيّاها منهُ آخرًا، فكأنّ له تعالى تَوبتينِ، وللعبدِ تَوبةً واحدةً بينَهما؛ ولذلكَ إنّه هو التوَّابُ»[3].

مُستدلًا لذلك بآيات من القرآن المجيدِ، وبما ورد من رواياتٍ عنِ المعصومينَ عليهم السلام ، وبالشّعرِ العربي، كقولِ المتنبي:

لم تلقَ هذا الوَجهَ شمسُ نهارِنا إلَّا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياءُ

في بيانهِ لمعنى كلمةِ (يَستَحيي)، مع التعرّضِ إلى بعضِ الأمورِ والالتفاتاتِ الكلاميّةِ والعقديّةِ ذاتِ الصّلةِ، وبأقوالِ أصحاب المعاجم، كقولِهِ: « وقالَ ابنُ دريد: الرّاكعُ: الذي يُكِبُّ على وجهه، ومنه

(١) سورة النور ٢٤: ٣١.

(٢) سورة النساء ٤: ١٧.

(٣) نور التوفيق: ٢٥٦.

الركوعُ في الصلاةِ، وقالَ الخليلُ: كلُّ شيءٍ ينكَبُّ لوجهِهِ فتَمسُّ ركبتُهُ الأرضَ أو لا تمَسُّ بعد أن يُطَأطأَ رأسُهُ فهو راكعٌ»[1]، عند بيانِهِ لمعنى كلمةِ (الرّكّعِ).

وكذلكَ تعرّضَ لبيانِ اشتقاقِ بعضِ الألفاظِ وأوزانِها، مثلَ اشتقاقِ لفظِ (أوّل) فيقولُ: «اعلم أنَّ وزنَ «أوَّلُ» أفعَلُ؛ لأنّ تصريفَهُ على (أُولى) في الواحدةِ و(أُوَل) في جمعِها، وهما فُعلى وفُعَل دليلٌ على أنّه أفعَلُ التفضيلِ فالهمزةُ فيهِ زائدةٌ وليس وزنُه (عَوفَل) ولا (فَوعَل) ولا (عَفوَل) ولا (فَعوَل) كما قالَ الكوفيّونَ[2]، ثمَّ الصحيحُ من المذاهبِ أنّ أوّلَ على وزنِ أفعَل مشتقٌّ من (وَوَل)، وإن لم يُستعمل في غيرِ هذا اللفظِ زِيدَ في أوّلِهِ همزةٌ مفتوحةٌ وأُدغِمَتِ الواوُ في الواوِ فصار أوّل، لا من (وَأَلَ) كما ذهبَ إليهِ الجوهريُّ[3]»[4]

خامسًا: الإعراب:

حرصَ المصنِّفُ على ذكرِ الوجوهِ الإعرابيّةِ جميعِها، فكانَ يُفصّلُ فيها، ويُناقشُ آراء النّحويّين ويُعلّقُ عليها، كما يستدلُّ للرأيِ الراجح عندهُ بالأدلّةِ القرآنيّةِ والشّواهد الشّعريّةِ، وكانَ كثيرًا ما يُحيلُ إلى كتابهِ (زينةُ السّالِكِ) في بيانِ الحالاتِ الإعرابيّةِ، والمعاني النّحويّةِ.

كما في قولِهِ: « وفي قَولِهِ (فَتكونا) وَجهانِ:

أحَدُهُما: أنّهُ مجزومٌ مَعطوفٌ عَلى النّهي، و(الفاءُ) حينئذٍ: عاطفَةٌ جملةً عَلى جملَةٍ، فَكأنّهُ قالَ: فَلا تَكونا مِنَ الظّالمينَ.

وثانيهُما: وهوَ الأَحسَنُ والأصَحُّ: أَنّهُ مَنصوبٌ وجوبًا بـ(أن) الْمُقدَّرَةِ بَعدَ الفاءِ العاطفَةِ الْمُفيدَةِ للسَّببيَّةِ الّتي وَقَعت بَعدَ الأشياءِ الثّمانيَةِ، كَما يُنصَبُ الْمُضارعُ وجوبًا بَعدَ الواوِ الواقعَةِ بعدَ تلكَ الأشياءِ الثّمانيَةِ، فَيكونُ حينئذٍ مِن عَطفِ مُفرَدٍ على مُفردٍ؛ لأنَّ (أنْ) مَعَ ما بَعدَها: مُفردٌ عُطِفَ عَلى

---

(1) نور التوفيق: ٣١٧.

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣: ٤٦٠.

(3) ينظر: الصحاح: ٥: ١٨٣٨، (وَأَلَ).

(4) نور التوفيق: ٣٠٦.

المَصدَرِ المُفهومِ مِنَ الفِعلِ المُتقَدِّمِ[1]، كما في قولِهِ تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[2]، وقَولِ الشّاعِرِ:

يا ناقَ سِيرِي عُنُقًا فَسيحًا إلى سُلَيمانَ فَنَستَريحا[3]

سادسًا: أسبابُ النُّزولِ، كما يُسمّيها شأن النّزول:

إذ يُعرِّجُ على نقلِ أسبابِ نزولِ النّصِّ الشّريفِ من دونِ تعليقٍ أو إضافةٍ إن وُجدت، ومن ذلك بيانُهُ لسببِ نزولِ قولِهِ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، إذ قالَ: (في المجمَعِ: (نَزلَت الآيةُ في حُيي بنِ أخطَبَ وأخيهِ ياسرِ بنِ أخطَبَ[5] وقَد دَخلا على النَّبيِّ ﷺ لَمّا خَرَجا قيلَ لِحُيَي: أهوَ نَبيٌّ؟ قالَ: هوَ هوَ، فقيلَ: فما لهُ عندَكَ؟ قالَ: العَداوَةُ إلى الموتِ، وهوَ الّذي نَقَضَ العَهدَ وأثارَ الحَربَ يومَ الأحزابِ عَن ابنِ عَبّاسٍ، وقيلَ: نَزلَت في كَعبِ بنِ الأشرفِ عَن الزُّهري، وقيلَ: في جماعةٍ مِنَ اليَهودِ، عَن الحَسَنِ)[6])[7].

(١) نور التوفيق: ٢٠٦.

(٢) سورة فاطر ٣٥: ٣٦.

(٣) البيت من الرّجز، لأبي النّجم العجلي. ديوانه: ٨٢، وينظر: الأصول في النحو: ٢: ١٨٣، من قصيدة يمدح فيها الخليفة سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه: قوله: (فنستريحا) حين جاء منصوبًا بـ(أن) مضمرة لوقوعه بعد الفاء السّببية المسبوقة بالأمر، فكأنه قال: ليكن منك سيرٌ يوجبُ راحتَنا، والألف فيه للإطلاق.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٠٩.

(٥) هما من سادات اليهود من بني النضير، وكان حييُ أشدّهما عداوة للمسلمين وللنبيّ ﷺ. ينظر: تاريخ الإسلام: ٢: ١٥٢، والبداية والنهاية: ٣: ٢٥٨، والأعلام: ٢: ٢٩٢.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٤٧.

(٧) نور التوفيق: ٧٦٢.

وأيضًا ما أوردهُ في سببِ نزولِ قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[1]، إذ قالَ: ((نَزَلَت في اليَهودِ حيثُ قالُوا: عُزَيرٌ ابنُ الله، وفي النَّصارَى حيثُ قالُوا: المسيحُ ابنُ الله، وفي مُشرِكي العَرَبِ حيثُ قالُوا: الملائِكَةُ بَناتُ الله))[2].

سابعًا: المعنى:

يعرضُ جميعَ الأقوالِ التفسيريّةِ الواردةِ والمُحتملةِ مُرجّحًا فيما بينها مُستدلًّا عليها بالشّواهدِ القرآنيّةِ والروائيّةِ والشّعريّةِ.

وفي الغالب يوردُ العديدَ منَ الرّواياتِ التفسيريّة المأثورة عن أئمّةِ أهلِ الهدى جاعلًا إيّاها الفيصلَ في تحديد معنى النّصِّ الشّريفِ؛ إيمانًا منهُ بأنّهم عليهم السلام عِدلُ القرآنِ وأهلُهُ وتُرجمانهُ.

كما يستطرِدُ على بعضِ العلماءِ مُعترِضًا أو مناقِشًا لهم في بعضِ تفسيراتِهم، كمناقشتِهِ لقولِ الحسنِ البصريّ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾[3]، إذ قالَ: ((وقالَ الحَسَنُ البَصريّ في الآيةِ المذكورةِ: أرادَ بـ(صفراءُ فاقعٌ لَونُها): سَوداءَ شديدةُ السَّوادِ، كما يقالُ: ناقةٌ صَفراءُ، أي: سوداءُ))[4]، وبهِ فُسِّر قولُهُ تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[5] وقالَ الأعشى:

تلكَ خَيلي منهُ وتلكَ رِكابي   هُنَّ صُفرٌ أَولادُها كالزَّبيبِ[6]

---

(١) سورة البقرة ٢: ١١٦.

(٢) نور التوفيق: ٨٠٣.

(٣) سورة البقرة ٢: ٦٩.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١: ٤٩٠، والتبيان: ١: ٢٩٧، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٣٤.

(٥) سورة المرسلات ٧٧: ٣٣، وينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨٧.

(٦) البيت من الخفيف. ديوانه: ٣٨٥، وينظر: خزانة الأدب: ٥: ٤٠٨.

والشاهد فيه: استعماله اللون الأصفر بمعنى الأسود، وهو ما اعتمده الماتريدي والثعلبي في تفسيريهما لآية سورة المرسلات. ينظر: تفسير الماتريدي: ١٠: ٣٨٥، وتفسير الثعلبي: ١٠: ١١١.

وقائله: أبو بصير ميمونُ بنُ قيسٍ بنُ جندلٍ من بكرِ بن وائلٍ، من شُعراءِ الطّبقةِ الأولى في الجاهليّةِ، وأحدُ أصحابِ المعلّقاتِ، لُقِّبَ بالأعشى لضعفِ بصرِهِ، توفي سنة (٧ هـ). ينظر: جمهرة أشعار العرب: ٨٠، وشرح المعلقات التسع: ١٧.

وفيهِ نَظَرٌ؛ لأنَّ الصُّفرةَ بهذا المعنى لا يُوصَفُ بالفُقوعِ، وإنّما تُوصَفُ بالحُلوكِ والحالِكِ والغِربِيبِ والدّجوجي، وأيضًا وَصفُ شَرارةِ النّارِ بالسَّوادِ وتَفسيرُها بِهِ غيرُ معقولٍ، وأيضًا إنَّ الإبِلَ إن وُصِفَت بِهِ فَلا يُوصَفُ البَقَرُ بِهِ»[1].

وما أوردَهُ في تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾[2]، حينما قالَ: «وأصلُ (إن) في اللغةِ وإن كان للشّكِّ وعدمِ الجزمِ بوقوعِ الشّرطِ، لكنَّه قد يُستعملُ في مَقامِ الجَزمِ بوقوعِهِ، كما بُيِّن في موضعِهِ ولهُ أمثلةٌ وشواهدُ، واستُعمِل ههنا كذلكَ؛ ولذا أُكِّد بـ(ما) المزيدةِ وفعلِه بالنّونِ المؤكّدةِ، فهو هنا وأمثالِهِ بمعنى: إذا ومَهما وكلّما، أي: فكُلّما ومَهما يأتِيَنّكم منِّي هدًى؛ وذلكَ لأنَّ إرسالَ الرّسلِ وإنزالَ الكتبِ وتعيينَ الإمامِ كلُّها منَ اللّطفِ المزيحِ وهو واجبٌ عليهِ تعالى عقلًا، إذا عرفتَ هذا فقد ظهَرَ بُطلانُ قولِ البيضاويّ[3] »[4].

ثامنًا: دلالاتُ الآيات:

عادةً ما يذكرُ باختصارٍ أهمَ الدّلالاتِ المستفادَةِ منَ النصِّ الشّريفِ، جاعلًا إيّاها كالخلاصةِ للمعنى، ومن ذلك قولُهُ بعدَ تفسيرهِ قولِهِ تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5]:

« وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّ كلَّ لُطفٍ مُزيحٍ لِعلّةِ المكلَّفِ واجبٌ على الله تعالى سواءٌ كان ذلكَ اللُّطفُ عقلًا أو كتابًا أو نبيًّا أو إمامًا أو غيرَ ذلكَ، كما بيَّنّاه مُفصّلًا في تفسيرِ قولِهِ تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) نور التوفيق: ٤٩٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٣٨.

(٣) إذ قال: « والمعنى: إن يأتينكم منّي هدًى بإنزالٍ أو إرسالٍ، فَمَن تَبعهُ منكم نَجا وفازَ، وإنَّما جِيءَ بحرفِ الشّكِّ، وإتيانِ الهدى كائنٌ لا محالةَ؛ لأنَّهُ محتمَلٌ في نفسِهِ غيرُ واجبٍ عقلاً». تفسير البيضاوي: ١: ٧٤.

(٤) نور التوفيق: ٢٧٧.

(٥) سورة البقرة ٢: ٣٨.

كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وغيره، وعلى أنّه لا يجوزُ تقدُّمُ التّابعِ على المتبوعِ، والمفضولِ على الفاضلِ، والرّعيّةِ على الإمامِ المنصوصِ مِن قِبَلِهِ سبحانه وقِبَلِ نبيِّهِ ﷺ، ولا تقديمِهِ عليهِ، وعلى أنَّ مَن لم يتّبعِ الكتابَ والنّبيَّ والإمامَ فهو كافرٌ، سواءٌ جحدَهم رأسًا أو نصَّبَ نفسَه مقامَهم وادَّعى أنَّه إمامٌ من اللهِ افتراءً وظلمًا وعُلوًّا)[2] .

كما نلحظُ أنَّ المصنِّفَ يميلُ إلى الإطالةِ في عرضِهِ للمطالبِ اللّغويّةِ والمعجميّةِ والنّحويّةِ في توضيحِهِ للمفرداتِ القرآنيّةِ؛ ولعلَّ ذلكَ راجعٌ إلى كونِهِ نحويًّا بارعًا.

وكذلك نجدهُ يعرضُ القصصَ القرآنيّ بتفصيلاتِها ذاكرًا الرّواياتِ الشّريفةَ الواردةَ فيها، كما في قصّةِ موسى وفرعون والسّامريّ، وغيرها منَ القصصِ.

المطلبُ الثّالثُ: القيمةُ العلميَّةُ للتّفسيرِ ومصادرُهُ:

لتفسيرِ نورِ التّوفيقِ قيمةٌ علميِّةٌ كبيرةٌ بما حوى مِن مناقشاتٍ ودلالاتٍ قيِّمةٍ وضَّحَها المصَنِّفُ في جنباتِ تفسيرِهِ، ويُمكِنُ الإشارةُ إليها عن طريقِ مجموعةٍ مِنَ النّقاطِ نورِدُها بالآتي:

أوّلًا: قيمتُهُ العلميّةُ:

عندَ التّمعّنِ والتدقيقِ في هذا السفرِ العلميّ يقفُ القارئُ على معانٍ دقيقةٍ ومعارفَ جليلةٍ تضمَّنتها صفحاتُ هذا التفسيرِ، يُمكنُ إيجازُ بعضٍ منها بالنقاطِ الآتيةِ:

١ـ ناقشَ العديدَ من الآراءِ اللّغويَّةِ والنّحويّةِ والصّرفيّةِ، لكبارِ اللّغويّين والنحويّين من مثلِ الخليلِ، وسيبويه، والكسائيّ، والفرّاء، والرّضي الاستراباذي، وغيرهم، وبيَّنَ صحيحَها من سقيمِها بالأدلّةِ الصَّحيحةِ، كما يُحيلُ في تَفصيلِ هذهِ المسائلِ إلى كتابيهِ (توشيحُ الوافيةِ وزينةُ السّالكِ) لمن أرادَ الاستزادةِ؛ ممّا يزيدُ التفسيرَ رصانةً علميّةً.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٦.

(٢) نور التوفيق: ٢٧٩.

٢ـ ضَمَّنَ تفسيرَهُ مناقشاتٍ تفسيريّةٍ لكبارِ المُفسّرينَ منهم على سبيلِ التّمثيلِ لا الحصرِ الشّيخُ الطبرسيّ والعلّامةُ الزمخشريّ والعلّامةُ البيضاويّ، مُبيّنًا آراءَهُم مناقِشًا إيّاها.

٣ـ طرحَ بعضًا من آراءِ المعتزلةِ والمجبّرةِ مُبيّنًا فسادها رادًّا عليها.

٤ـ تناولَ في تفسيرهِ الاتّجاهَ اللّغويّ التّفسيريّ، فكان يذكرُ جميع الآراءِ التفسيريّة اللّغويّةِ والنّحويّةِ عارضًا إيّاها مُختارًا ما يراهُ الأصحَّ منها ذاكرًا دليلَهُ لذلك.

٥ـ اعتمدَ في بيانِ المعنى التفسيريّ على الرّواياتِ المأثورةِ عن أئمَّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

٦ـ يُلمِحُ ويُشيرُ إلى عقيدَتِهِ كلّما سنَحتِ الفرصةُ لذلكَ ، كما في تفسيره لـ﴿والْيَتَامَى﴾ فقال: «الّذينَ فَقَدوا آباءَهُم الكافلينَ لَهم أُمورَهم، السَّائقينَ إليهِم قُوْتَهُم وغِذاءَهُم، المُصلحينَ لَهم مَعاشَهُم، قالَ عليه السلام: «وأشدُّ مِن يُتمِ هذا اليَتيمِ مَن يَتِمَ عَن إمامِهِ لا يَقدِرُ على الوُصولِ إليهِ ولا يَدري كَيفَ حُكمُهُ فيما يُبتَلى بهِ مِن شَرائِعِ دِينِه، أَلا فَمَن كانَ مِن شيعتِنا عالمًا بعُلومِنا، وهذا الجاهِلُ بشَريعَتِنا المُنقَطِعُ عن مُشاهدَتِنا يَتيمٌ في حِجرِهِ، أَلا فَمَن هَداهُ وأَرشَدَهُ وعَلَّمَهُ شريعَتَنا كانَ مَعَنا في الرَّفيقِ الأَعلى حَدَّثَني بذلكَ أبي عن آبائِهِ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله »[1]»[2].

ثانيًا: مُقدِّماتُهُ التّفسيريّةُ:

استعرضَ المصَنِّفُ في مقدّمةِ تفسيرهِ جملةً منَ المقدّماتِ التفسيريّةِ، والّتي لابدَّ منها لكلِّ من تعرّضَ إلى الخوضَ في كتابِ اللهِ العزيز، عدّها في أربعِ عشرةَ مقدّمةً، اثنتا عشرةَ منها صرَّحَ المصنِّفُ بنقلِها موجزةً منَ التّفسيرِ الصّافي للملّا مُحسن الكاشانيّ (١٠٩١هـ)، مُضيفًا إليها مقدّمتينِ أخيرتين، وهي:

١– في وصيَّةِ النّبيِّ صلى الله عليه وآله بالتّمسّكِ بالقرآنِ وفضلهِ.

٢– في إنَّ علمَ القرآنِ كلَّه إنّما هو عندَ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

---

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٣٩، حديث رقم: ٢١٤.

(٢) نور التوفيق: ٥٩٨.

٣- في ما جاءَ في أهلِ القرآنِ، وأوليائِهم، وفي أعدائِهم.

٤- في معاني وجوهِ الآياتِ منَ التّفسيرِ والتّأويلِ، والظّهرِ والبطنِ، والمحكمِ والمتشابهِ، والنّاسخِ والمنسوخِ، وغيرهِ.

٥- في المنعِ من تفسيرِ القرآنِ بالرّأي.

٦- في جمعِ القرآنِ، وتحريفهِ، وزيادتهِ ونقصهِ، وتأويلِ ذلكَ.

٧- في بيانِ أنَّ القرآنَ تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، وتحقيقِ معناهُ.

٨- في اشتمالِ الآياتِ على البطونِ، والتّأويلاتِ، واللّغاتِ، واختلافِ القراءةِ، والمعتبرِ منها.

٩- في ذكرِ زمانِ نزولِ القرآنِ جملةً وتدريجاً.

١٠- في ثوابِ حفظِ القرآنِ، وتلاوتِهِ، وتمثّلِهِ لأهلهِ يومَ القيامةِ.

١١- في كيفيّةِ تلاوةِ القرآنِ، وآدابِها.

١٢- في كلِّ ما يحتاجُهُ النّصُّ منَ التّفسيرِ والتّأويلِ؛ لمعرفةِ مقصودِهِ.

١٣- في ذكرِ القرّاءِ وأصنافِهم، وهم: (رجلٌ قرأَ القرآنَ فاتّخذَهُ بضاعةً، واستدرَّ بهِ الملوكَ والنّاسَ، ورجلٌ قرأَ القرآنَ فَحفِظَ حروفَهُ وضَيّعَ حدودَهُ، ورجلٌ قرأَ القرآنَ فَوضَعَ دواءَ القرآنِ على داءِ قلبِهِ).

١٤- في ذكرِ ما يجبُ رعايتُهُ ليَحسُنَ بِهِ اللّفظُ، ويتزيّنَ بِهِ الصّوتُ منَ الإدغامِ والإظهارِ والإخفاءِ والقلبِ، وغيرِ ذلكَ، وأقسامِ الوقفِ وأنواعِها، وسائرِ الآدابِ والإشاراتِ والرّموزِ.

ثالثًا: مصادرُهُ التّفسيريّةُ:

مرَّ بنا سابقًا أنَّ المُصنِّفَ اعتمدَ في تفسيرِهِ المنهجَ الكاملَ في التّفسيرِ وهذا ما تطلَّبَ منهُ الاعتمادَ على مصادرَ متعدِّدةٍ وفي مُختلفِ العلومِ والمعارفِ، وهو ما صَرَّحَ بِهِ في مقدِّمةِ تفسيرِهِ؛ إذ قالَ: (وما نذكرُ مِن أخبارِ أهلِ العصمَةِ والطّهارةِ فهيَ مأخوذةٌ من كتبِ أصحابِنا رضوانُ اللهِ عليهِم منَ

(الكافي) للشّيخِ أبي جعفرٍ مُحمّدِ بنِ يعقوبَ الكلَينيّ، و(التّهذيبِ، والأمالي، والغيبةِ) للشّيخِ أبي جعفرٍ مُحمّدٍ بنِ الحسنِ الطّوسيّ، و(الفقيهِ، والتّوحيدِ، والعُيونِ، والعِللِ، وإكمالِ الدّينِ، ومَعاني الأخبارِ، والمجالِسِ، والاعتقاداتِ) للشّيخِ الصّدوقِ أبي جعفرٍ مُحمّدٍ بن بابويهِ القمّيّ، و(المناقِبِ) لمحمّدِ بنِ شهر آشوبَ المازندرانيّ، و(تفسيرِ الإمامِ الهمامِ أبي مُحمّدٍ الحسنِ العسكريِّ عليه السلام)، و(تَفسيرَي عليِّ بنِ إبراهيمَ القمّيِّ، ومُحمّدِ بنِ مسعودٍ العيّاشيِّ)، ونشيرُ إلى هذهِ الثّلاثةِ بقولِنا: تفسيرُ الإمامِ والقُمّيِّ والعيّاشيّ، ومن (مجمعِ البيانِ والجوامِعِ) للشّيخِ أبي عليِّ الطّبرسيِّ طابَ ثراهُ، وربّما نقلنا تلكَ أكثرَها من (تفسيرِ الصّافي) لمحمَّدٍ بنِ المرتضى الملقَّبُ بمولانا مُحسنِ الكاشاني ، ومن (نورِ الثّقلينِ) للعالمِ الرّبّاني عبدِ العليِّ بنِ جمعةَ الحويزيِّ طابَ ثراهُ، ونُعَبِّرُ عن هذهِ الكتبِ بما عبَّرا بهِ عنها في أكثرِ المواضِعِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى»[1]، بالإضافةِ إلى جملةٍ منَ المصادرِ الّتي لم يذكرها في المقدِّمة والتي يُصرِّحُ تارةً باسمِها، وتارةً باسم مُصنِّفيها، كما نلحظُ أنَّهُ ينقلُ في بعضِ الأحيانِ الآراءَ والأقوالَ بصورةٍ مباشرةٍ من مُصنّفاتِ أصحابِها، وفي أحيانٍ أُخرَ من مصنّفاتِ علماءَ آخرينَ نقلوا هذهِ الآراءَ والأقوالَ عنهم، كما في نقلِهِ أقوالَ ابنِ عبّاسٍ ومجاهدٍ عن تفسيرِ مجمعِ البيانِ للعلّامةِ الطّبرسي، وفيما يأتي إيجازٌ لهذهِ المصادرِ:

١ـ المصادرُ التّفسيريّة:

ـ تفسيرُ العسكريّ عليه السلام (٢٦٠هـ):

منَ التّفاسيرِ التي اختلفت فيها أقوالُ العلماءِ ما بينَ آخذٍ بهِ؛ كونِهِ مصدرًا تفسيريًّا عن المعصومِ عليه السلام، وآخر غيرِهِ رافض تارك لهُ؛ بدعوى وَضعِهِ واختلاقِهِ على الإمامِ عليه السلام؛ فضلًا عن اشتمالِهِ على أحاديثٍ ضعيفةِ السّندِ، وخلاصةُ الكلامِ فيهِ: أنَّهُ كتابٌ حديثيٌّ كسائرِ كتبِ الحديثِ، فيها الصّحيحُ والمعتبرُ والضّعيفُ والمردودُ، ولنا فيهِ كفايةٌ اعتمادُ الشّيخِ الصّدوقِ عليهِ، والعلّامةِ

(١) نور التوفيق: ١٠، من نسخة الأصل للمخطوط.

الطّبرسيّ صاحبِ الاحتجاجِ، وابن شهرآشوب، والشّهيدِ الثّاني وغيرِهم كثير[1]، والملّا محسنُ القزوينيّ (المصنِّفُ).

ـ تفسيرُ القمّيّ (ق ٤هـ):

من أقدمِ تفاسيرِ الإماميّةِ الّتي اشتملت على كثيرٍ منَ الرّواياتِ المأثورةِ عن أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، والّتي جاءت شارحَةً ومفسِّرةً لآياتِ الكتابِ العزيزِ، فضلًا عن امتيازِهِ بقلَّةِ الوسائطِ إلى الإمامَينِ الصّادقَينِ، معَ وثاقةِ راويهِ عليِّ بنِ إبراهيمَ بنِ هاشمٍ القمّيِّ، وهو من أصحابِ الإمامِ العسكريِّ عليه السلام، وكونهِ من أبرزِ مشايخِ الكلينيّ، إضافةً إلى وثاقةِ أبيهِ[2].

ـ تفسيرُ العيّاشيّ (٣٢٠هـ):

من أبرزِ التّفاسيرِ القديمَةِ الّتي اعتمدتِ المنهجَ الرّوائيَّ في التّفسيرِ، كتبهُ أبو النّضرِ مُحمّدُ بنُ مسعودِ بنُ مُحمّدٍ بنُ العيّاشِ، من مشايخِ الكشّي (٣٥٠هـ)، ومن طبقةِ الشّيخ الكلينيّ (٣٢٩هـ)، وهو مُطّلعٌ بالأخبارِ والرّواياتِ[3].

ـ التّبيانُ في تفسيرِ القرآنِ:

وهو تفسيرٌ كبيرٌ لا نظيرَ له في عصرِه، فقد ضمَّ علوم القرآنِ، اعتمد عليهِ العلّامةُ الطبرسيّ في مجمع البيانِ، كتبهُ الشيخُ أبو جعفرٍ مُحمّدُ بنُ الحسنِ الطوسيّ (٤٦٠هـ)، شيخُ الطّائفةِ وإمامُها في المنقولِ والمعقولِ[4].

---

(١) ينظر: تفسيرُ الإمام العسكريّ عليه السلام: ٦٩٨ـ ٧٠٥، إذ نقلَ محقّقُ التفسيرِ جميعَ الأقوالِ وناقشها بالأدلّةِ الصّحيحةِ، والذريعة: ٤: ٢٨٥ـ ٢٩٢.

(٢) ينظر: تفسير القمّي: ١: ٣، ٤، وفهرست الشيخ الطوسي: ١٥٢، وخلاصة الأقوال: ١٨٧، والذريعة: ٤: ٣٠٢.

(٣) ينظر: تفسير العيّاشي: ١: ٢، ورجال الطوسي: ٤٤٠، وفهرست الشيخ الطوسي: ٢١٢، والذريعة: ٤: ٢٩٥.

(٤) ينظر: التبيان: ١: ١٩، والفوائد الرجاليّة: ٣: ٢٢٨.

ـ مجمعُ البيانِ في تفسيرِ القرآنِ:

للعلّامةِ أبي عليٍّ الفضلِ بنِ الحسنِ بنِ الفضلِ الطّبرسيِّ (٥٤٨هـ)، ثقةٌ عالمٌ عينٌ، عملَ تفسيرًا لم يُكتب نظيرُهُ في وقتِهِ[١].

ـ تفسيرُ جوامعِ الجامعِ:

هو التفسيرُ الثّالثُ للعلّامةِ الطّبرسيّ، اختارهُ من تفسيريه مجمع البيانِ و الكافِ الشّافِ، كما سمّاهُ الوسيط، فهو تفسيرٌ خفيفُ الحجمِ وجيزٌ من غيرِ اختصارٍ مخلٍّ[٢].

ـ تفسيرُ الصّافي:

للمُحدِّثِ مُحمّد محسن بنِ مرتضى الفيضِ الكاشاني (١٠٩١هـ)، وهو الأكبرُ من تفاسيرهِ الثّلاث: الصّافي، والأصفى، والمصطفى، وعليهِ حَواشٍ عديدةٍ، وقد نقلَ منهُ المُصنِّفُ مقدّماتهِ التّفسيريّةِ موجزةً، كما أفادَ منهُ العلّامةُ الطباطبائي كثيرًا في تفسيرهِ الميزان[٣].

ـ تفسيرُ نورِ الثّقلَينِ:

وهو تفسيرٌ بالمأثورِ عمّا وردَ عن أهلِ البيتِ عليهم السلام، لعبد عليّ بنِ جمعةَ العروسيّ الحويزيّ الشّيرازيّ (١١١٢هـ)، وهو ثقةٌ، عالمٌ ،فقيهٌ، مُحدّثٌ، جمع فيه المؤلِّفُ الرّواياتِ الواردةِ في تفسيرِ كتابِ الله المجيدِ بعدَ ضبطِها معَ نِسبتِها إلى مصادرِها الحديثيّة[٤].

---

(١) ينظر: فهرست منتجب الدين: ٩٦، أمل الآمل: ٢: ٢١٦، و الذريعة: ٢٠: ٢٤.

(٢) ينظر: تفسير جوامع الجامع: ١: ٢٩.

(٣) ينظر: الذريعة: ٦: ٤٥، والميزان في تفسير القرآن: ٣: ٧٣، و ٥: ٣٥، و ٩: ١٠٩، وتذكرة الأعيان: ٣٠٧.

(٤) ينظر: تفسير نور الثقلين: ١: ٣، وأمل الآمل: ٢: ١٥٤، والذريعة: ٩: ٦٩٠، وفهرس التراث: ٢: ٣٤.

٢ـ المصادرُ الحديثيّة:

ـ الكافي :

وهو مِن أهمِّ الكتب الحديثيّةِ الأربعةِ المعتمدِ عليها، ولم يُكتب مثلهُ في روايات أهل البيت عليهم السلام، لثقةِ الإسلامِ محمّد بنِ يعقوب الكلينيّ (٣٢٩هـ)(١).

ـ كما اعتمدَ المصَنِّفُ بشكلٍ كبيرٍ على مصنَّفاتِ الشّيخِ أبي جعفرٍ مُحمّدٍ بنِ عليٍّ بنِ بابويهِ القمّيّ الصّدوق (٣٨١هـ)، وهي:

ـ إكمالُ الدّينِ وإتمامُ النّعمةِ:

ويقالُ: لهُ كمالُ الدّينِ وتَمامُ النّعمةِ أيضًا، يتحدَّثُ فيهِ عن غيبةِ الإمامِ عليه السلام(٢).

ـ الإعتقاداتُ:

ذكرَ فيهِ مُعتقداتِ الإماميّةِ الضّروريّةَ وغيرَ الضّروريّةِ بإيجازٍ(٣).

ـ التّوحيدُ:

كتبهُ مؤلِّفهُ في إثباتِ التّوحيدِ ونفي التّشبيهِ والجبرِ، مُستنِدًا إلى الأدلّةِ العقليّةِ المؤيَّدَةِ بالقرآنِ والحديثِ(٤).

ـ عللُ الشّرائعِ والأحكامِ:

ذكر فيه عللَ تسميةِ الأشياءِ، مُعتمدًا على ما جاءَ عن أئمّةِ أهل البيت عليهم السلام(٥).

ـ عيونُ أخبارِ الرِّضا عليه السلام:

في أحوالِ الإمامِ الرّضا عليه السلام، كتبَهُ للوزيرِ الصّاحبِ بنِ عبّادٍ(٦).

---

(١) ينظر: الذريعة: ١٧: ٢٤٦.

(٢) ينظر: الذريعة: ٢: ٢٨٣.

(٣) ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٢٣٨، والذريعة: ٢: ٢٢٦.

(٤) ينظر: التوحيد: ١٨، والذريعة: ٤: ٤٨٢.

(٥) ينظر: الذريعة: ١٥: ٣١٤.

(٦) ينظر: الذريعة: ١٥: ٣٧٦.

ـ المجالسُ:

وهو الكتابُ الّذي أدرجَ فيه الأحاديثَ المسموعةَ من إملاءِ شَيخِهِ عن ظهرِ قلبِهِ وعن كتابهِ، والغالبُ عليها ترتيبَهُ على مجالسِ السّماعِ، كما يُسمّى عرضُ المجالسِ، وهو معروفٌ بالأمالي[1].

ـ معاني الأخبار: للشّيخِ الصّدوق:

ذكرَ فيه معاني الحروف والألفاظِ طبقًا لما في روايات أهل البيتِ عليهم السلام[2].

ـ مَن لا يحضرهُ الفقيه:

أحدُ الكتبِ الحديثيّةِ الأربعةِ المعتَمَدِ عليها[3].

– كما اعتمدَ المصَنِّفُ أيضًا على مؤلّفاتِ شيخِ الطّائفةِ أبي جعفرٍ الطّوسيّ، ومنها:

ـ الأمالي:

وهو الكتابُ الذي أُدرِجَ فيهِ الأحاديثُ المسموعةُ من إملاءِ الشّيخِ عن ظهرِ قلبهِ وعن كتابهِ عمّا يرويهِ عن مشايخهِ ابنِ الغضائريّ، أو ابنِ عبدونَ، أو ابنِ شاذانَ، أو ابنِ الصّلتِ، أو غيرِهم، والغالبُ عليها ترتيبهُ على مجالسِ السُّماعِ؛ ولذا يُطلقُ عليهِ المجالسُ أو عرضُ المجالسِ أيضا، وهو نظيرُ الأصلِ في قوةِ الاعتبارِ وقلّةِ تطرّقِ احتمالِ السّهوِ والغلطِ والنّسيانِ[4].

ـ تهذيبُ الأحكامِ:

أحدُ الكتبِ الحديثيّةِ الأربعةِ والمعتمدِ عليها في سائر كتبِنا ومصنّفاتِنا، ألّفهُ منَ الأصولِ الأربعمائة المعتمدةِ، وجعلَهُ على ترتيبِ الكتبِ الفقهيّةِ[5].

---

(١) ينظر: الذريعة: ٢: ٣١٥، و ١٩: ٣٥٤.

(٢) ينظر: الذريعة: ٢١: ٢٠٤، وأمل الآمل: ٢: ٢٨٣.

(٣) ينظر: الذريعة: ٢٢: ٢٣٣.

(٤) ينظر: الذريعة: ٢: ٣١٣.

(٥) ينظر: الذريعة: ٤: ٥٠٤.

ـ كتابُ الغيبةِ للحجّة عليه السلام:

تحدّثَ فيهِ الشّيخُ عن غيبةِ الإمامِ عليه السلام ، وعِلّتِها وعمرِهِ الشّريفِ[1].

ـ مناقبُ آلِ أبي طالب:

للشّيخِ رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (٥٨٨هـ)، ألّفَهُ في مناقبِ وفضائلِ أئمّةِ أهل البيتِ ، مُعتمدًا في ذلك على ما صحَّ من الأحاديثِ عند الفريقينِ؛ لأنّهُ الحجّةُ عليهم، فَمِن فَمِكَ أُدينُكَ، والمعروفُ بالمناقبِ[2].

٣ـ مصادرٌ لغويّةٌ ونحويّةٌ:

كما أحالَ المصنِّفُ إلى مجموعةٍ منَ المصادرِ الّتي لم يُشرْ إليها في مقدّمتِهِ، وإنّما جاءَ ذكرُها في عرضِهِ التفسيريِّ، ومنها:

ـ كتاب العين: للخليلِ بنِ أحمد بنِ عمرو الفراهيديّ البصريّ (١٧٠هـ):

أقدمُ معجمٍ لغويٍّ، فهو أوّلُ مَن ضبطَ اللّغةَ مرتّبةً على حروفِ المعجمِ، كما أنشأ علمَ العروضِ لضبطِ الشّعرِ[3]، ولهُ كتابٌ آخرُ هو:

ـ الجُملُ في النّحو:

وهو كتابٌ نحويٌّ ضمَّ جُملَ الوجوهِ الإعرابيّةِ مُستشهدًا لذلكَ بالآياتِ الكريمةِ، وأشعارِ العربِ[4].

---

(١) ينظر: الذريعة: ١٦: ٧٩.

(٢) ينظر: المناقب: ١: ٦، والذريعة: ٢٢: ٣١٨.

(٣) ينظر: فهرست ابن النديم: ٤٨، وفهرس التراث: ١: ١٧٠.

(٤) ينظر: الجمل في النحو: ٦٣،

ـ الكتابُ: لسيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ (١٨٠هـ):

إمامُ النّحاةِ، فهوَ أوّلُ مَن فصَّلَ في علمِ النّحوِ، ولمْ يسبقهُ أحدٌ إلى نظيرِه، وقد تلقّى علمَ النّحوِ من الخليلِ[١].

ـ شرحُ كافيةِ ابنِ الحاجبِ: لمُحمّدِ بنِ الحسنِ الرّضيِ الاستراباذي (٦٨٤هـ):

من أحسنِ الشّروحِ على كافيةِ ابنِ الحاجبِ في النّحو، ضمَّنهُ أبحاثًا دقيقةً لمْ يُكتب مثلها[٢].

ـ القاموس المحيط: لمحمّدِ بنِ يعقوبَ الفيروزآبادي (٨١٧هـ):

من كتبِ المعاجمِ، مؤلّفهُ من أئمّةِ اللّغةِ والأدبِ[٣].

(١) ينظر: فهرست ابن النديم: ٥٧، والأعلام: ٥: ٨١.

(٢) ينظر: أعيان الشيعة: ٩: ١٥٢، والأعلام: ٦: ٨٦، وفهرس التراث: ١: ٦٧٦.

(٣) ينظر: الأعلام: ٧: ١٤٦، وفهرس التراث: ١: ٧٥٣.

الفصلُ الأوّلُ

المباحثُ القرآنِيّةُ والتّفسيريّةُ في تفسيرِ نورِ التّوفيقِ

المبحث الأوّل: مباحثُ علومِ القرآنِ وتاريخِهِ

المبحثُ الثّاني: آراءُ المُصنِّفِ التّفسيريّةُ وترجيحاتُهُ

المبحثُ الثّالثُ: ردودُ المصَنِّفِ التّفسيريّةُ واعتراضاتُهُ

المبحثُ الأوّلُ

مباحثُ علومِ القرآنِ وتاريخِهِ

المطلب الأوّل: مباحثُ علومِ القرآنِ

أوّلًا: العامُ والخاصُ

ثانيًا: المجمل والمفصّل

ثالثًا: النّسخ

المطلب الثّاني: مباحثُ تاريخِ القرآنِ

أوّلًا: أسبابُ النّزول

ثانيًا: القراءات

المطلب الأوّل: مباحثُ علومِ القرآنِ

ويُقصدُ بعلومِ القرآنِ: (هي جميعُ المعلوماتِ والبحوثِ الّتي تتعلّقُ بالقرآنِ الكريمِ) [1]، وقيل: (هي مجموعةٌ منَ المسائلِ يُبحثُ فيها عن أحوالِ القرآنِ الكريمِ من حيثُ نزولِهِ، وأداءِ كتابتِهِ، وجمعِهِ وترتيبِهِ في المصاحفِ، وتفسيرِ ألفاظِهِ، وبيانِ خصائصِهِ، وأغراضِهِ) [2]، وقيل: (هي العلومُ المتعلّقةُ مباحثُها بالمواردِ الدّاخلةِ في النّصِّ القرآني، ومثالها: النّاسخُ والمنسوخُ والمحكمُ والمتشابهُ وغريبُ القرآنِ)[3]، وقد اهتمَّ عامّةُ المفسّرينَ بهذهِ العلومِ في مباحثِ تفاسيرِهم، كما تعرّضَ المصنِّفُ إلى جملةٍ من هذهِ العلومِ في صفحاتِ تفسيرِهِ مُبيّنًا رأيَهُ فيها، وفيما يأتي بعضٌ من هذهِ العلومِ:

أوّلًا: العامُ والخاصُ:

مفهوم العام:

هو (الشّمولُ والاستيعابُ والاستغراقُ) [4]، وفي الاصطلاحِ: (ما أفادَ لفظينِ اثنينِ فما زادَ)[5]، وقيل: (هو اللفظُ الشّاملُ بمفهومِهِ لجميعِ ما يصلُحُ انطباقُ عنوانِهِ عليهِ في ثبوتِ الحكمِ لهُ)[6].

و(العمومُ ما كانَ من قبيلِ الاستيعابِ والشّمولِ، المفادُ بنفسِ اللّفظِ بالدّلالةِ المطابقيّةِ، كما في لفظِ كلّ وجميع)[7].

مفهوم الخاص:

(من خصَّهُ بكذا: إذا أفردهُ بهِ على وجهٍ لا شركةَ لغيرِهِ فيهِ، يُقالُ: فُلانٌ خاصٌّ بفلانٍ، أي: متفرّدٌ

---

(١) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ١٧.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ١٠.

(٣) علوم القرآن الموضوعيّة: محمد كاظم الفتلاوي: ٢١.

(٤) لسان العرب: ١٢: ٤٢٧، (عمم).

(٥) أصول الفقه: الشيخ المفيد، ٢٩.

(٦) أصول الفقه: الشيخ المظفر، ١٠١.

(٧) الدروس: شرح الحلقة الثانية للسيد الصدر:٢: ٨٥.

بِهِ، والخاصُّ والخاصّةُ: ضدُّ العامّةِ[1]، وفي الاصطلاحِ: (هو كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنًى معلومٍ على الانفرادِ المرادِ بالمعنى الذي وُضِعَ لهُ اللّفظُ عينًا كان أو عرضًا، وبانفرادِ اختِصاصِ اللّفظِ بذلك المعنى، وإنّما قيّدهُ بالانفرادِ ليتميّزَ عنِ المشتركِ)[2]، وقيل: (صرفُ العامِ عن عمومِهِ، وقصرِهِ على بعضِ ما يتناولُهُ منَ الأفرادِ لدليلٍ معتبرٍ)[3].

فالعامُّ لفظٌ أو معنًى يستوعبُ أفرادًا ومعانٍ كثيرةً وهو في القرآنِ الكريمِ كثيرٌ ولا يُمكنُ تغييرُ عمومِهِ إلّا بمُخصِّصٍ يأتي بعدهُ، ويُمكنُ تخصيصُ عموماتِ القرآنِ بالقرآنِ والسنَّةِ والإجماعِ، وإلى ذلكَ أشارَ المصنِّفُ في تفسيرِهِ في مواطنٍ عديدةٍ منها: (تخصيصُ بعضِ آياتِ الكتابِ ببعضٍ آخَرَ منهُ؛ لِوقوعِهِ في القرآنِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[4]، فإنَّهُ عامٌّ في كُلِّ مُطلّقةٍ سَواءٌ كانت حاملًا أو حائِلًا، ثمَّ خُصّصَ ذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[5].

وتَخصيصُ القرآنِ بالسُّنَةِ المتَواترةِ، فَلِتخصيصِ عُمومِ قولِهِ تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[6]، بقولِهِ ﷺ: «القاتلُ لا يَرِثُ»[7].

واعلم أيضًا أنَّهُ يجوزُ تَخصيصُ القرآنِ والسُّنّةِ المتَواترةِ بالإجماعِ، كتَخصيصِ آيةِ الإرثِ بالإجماعِ على أنَّ العبدَ لا يرثُ.

(١) لسان العرب: ٧: ٢٤، (خصص)، والقاموس المحيط: ٦١٧، (خصص).

(٢) التعريفات: ٩٥.

(٣) تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: ٦٣٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٢٨.

(٥) سورة الطلاق ٦٥: ٤.

(٦) سورة النساء ٤: ١١.

(٧) سنن ابن ماجة: ٢: ٨٨٣، حديث رقم: ٢٦٤٥، والسنن الكبرى: ٦: ٢٢٠.

وكَذا يجوزُ تَخصيصُ السّنّةِ المَتواترةِ بمثلِها، كَتَخصيصِ قولِهِ ﷺ: فيما سَقَتهُ السّماءُ: العُشرُ[1]، بقولِهِ ﷺ: «ليسَ فيما دونَ خَمسةِ أَوسقٍ صَدقَةٌ»[2][3].

وكذلك ما أوردهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾[4]، إذ جعل الآيات من العام، والكتاب من الخاصّ، فقالَ: (﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، أي: يَقرَأُ عَليهِم آياتِكَ الّتي يُوحَى بها إليهِ مِنَ القرآنِ وغَيرِهِ، ويُبَلِّغُهُم الدّلائِلَ الدّالّةِ عَلى التّوحِيدِ والنُّبوَّةِ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، يَعني: القرآنَ، وتَعليمُ الكِتابِ بَعدَ تِلاوَةِ الآياتِ لا يُعدُّ مِنَ التّكرارِ، بَل هوَ مِن ذِكرِ الخاصِّ بَعدَ العامِّ عَلى وَجهَينِ:

أَحَدُهُما: إنَّ الآياتِ أَعَمُّ مِنَ القرآنِ.

وثانيهُما: إنَّهُ سبحانَهُ خَصَّ الأوَّلَ بالتّلاوَةِ؛ لِيَعلَموا بذلكَ أنَّهُ مُعجِزٌ دالٌّ عَلى صِدقِ نُبوَّتِهِ، والثّاني بالتّعليمِ والتّفهيمِ لِيَعرِفُوا ما يَتَضَمَّنَهُ مِنَ التّوحيدِ وَأدِلَّتِهِ وَعَدلِهِ وحِكمَتِهِ وغَيرِ ذلكَ، وما يَشتَمِلُ عَليهِ مِن أحكامِ شَريعَتِهِ المُقدَّسَةِ)[5].

ثانيًا: المجملُ والمفصَّلُ:

مفهومُ المجمَلِ:

(أجمَلَ الشّيءَ: جمعَهُ عن تفرقَةٍ، وأجمَلَ الحسابَ: ردَّهُ إلى الجملةِ)[6]، وقيل: (أجملتُ الشيءَ إجمالًا: جمعتُهُ من غيرِ تفصيلٍ)[7]، وفي الاصطلاحِ: عرَّفهُ الشيخ الطوسي بأنَّهُ : (ما لا ينبني ظاهره عن المراد

(١) ينظر: الكافي: ٣: ٥١٣، حديث رقم: ٢، وسنن النسائي: ٥: ٤٢، إذ ورد عنهُ ﷺ قوله: « فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر وفيما سقى بالسانية نصف العشر ».

(٢) مسند أحمد: ٣: ٣٠، وصحيح البخاري: ٢: ١٢١، ومستدرك الوسائل: ٧: ٨٧، حديث رقم: ٧٧١٨.

(٣) نور التوفيق: ٥٢٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٢٩.

(٥) نور التوفيق: ٩٢٢.

(٦) القاموس المحيط: ٩٧٩، (جمل).

(٧) المصباح المنير: ١: ١١٠، (جمل).

منه مفصّلًا)[1]، وقيلَ: (هوَ المشتملُ على جملةِ أشياءٍ كثيرةٍ غيرِ ملخّصَةٍ)[2].

فالمجملُ ما يحتاجُ إلى بيانٍ وتوضيحٍ لتردّدِ معانيهِ بأكثرِ من معنى، معلومًا عندَ المُجمِلِ مجهولًا عندَ السّامعِ، فيحتاجُ إلى تفصيلٍ وتبيينٍ من قبلِ المتكلِّمِ نفسِهِ في موردٍ لاحقٍ.

مفهومُ المفصَّلِ:

هو (مافيهِ فصلٌ بينَ المعاني، من فصلتُ الشَّيءَ فا نفصَلَ، أي: قطعتُهُ فانقطعَ، وفصَلَ منَ النّاحيّةِ، أي: خرَجَ)[3]، و(التّفصيلُ: التّبيينُ)[4]، وقيلَ: (فصلتُ الشّيءَ تفصيلًا: جعلتهُ فصولًا مُتمايزةً)[5].

وفي الاصطلاحِ يتبيّنُ معناهُ من قولِ العلّامةِ البحرانيّ: (إنَّ القرآنَ أجملَ الكثيرَ منَ الأحكامِ والتّصوراتِ والمفاهيمِ، ولا بدَّ لهذا الإجمالِ من تفصيلٍ وشرحٍ وتبيانٍ كي يُمكِنَ الاستفادةُ الكاملةُ منَ النّصِّ القرآني، واستيعابُ الصّورةِ الكاملةِ للمفهومِ، أو التّصوّرِ، أو الحكمِ الذي يُقدِّمهُ النّصُّ لنا)[6].

وممّا تقدَّمَ يتّضِحُ أنَّ المفصَّلَ هو بيانٌ وتوضيحٌ وتفصيلٌ من قبلِ الشّارعِ لما وردَ مجملًا لدى السّامعِ ولم يقدر على تحديدِ معناهُ المطلوب لتعدّدِ معانيهِ.

ومن المواضعِ التي تعرَّضَ لها المصنِّفُ هو بيانُ وتفصيلُ النِّعمِ التي أغدقها اللهُ سبحانهُ على بني إسرائيلَ بقولِهِ: (لمّا خصَّ اللهُ سبحانهُ بني إسرائيل بالحُجَجِ الواضحةِ وذكّرَهم ما أسدى إليهِم والى آبائِهم من النّعمِ الجسيمةِ والتّفضيلِ العظيمِ على سبيلِ الإجمالِ في الآياتِ السّابقةِ، كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

---

(١) التبيان: ١: ٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٢٠٣.

(٣) الصحاح: ٥: ١٧٩، (فصل).

(٤) مختار الصحاح: ٢٦٢، (فصل).

(٥) المصباح المنير: ٢: ٤٧٤، (فصل).

(٦) البرهان في تفسير القرآن: ١: ١٠.

فَارْهَبُونِ﴾(١)، فَصَّلَها في هذهِ الآيةِ والآياتِ اللّاحقةِ بذكرِ بعضِها على طريقةِ عطفِ الخاصِ على العامِ والمُفصَّلِ على المجملِ فقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾(٢)، إذ بيّنَ تفصيلُ ذلكَ الإجمالِ، أي: اذكروا يا بني إسرائيلَ الوقتَ الذي أخلَصنا وأنقذنا أسلافَكم وآباءَكم من عذاب فرعون، ومن شدةِ العذابِ وقبيحِهِ، ومن تقتيلِهِ أبناءَكُم، واستحيائِهِ نساءَكُم، باسترقاقهنَّ ونكاحهنَّ، وهو أشدُّ عليكم من القتلِ، واستعبادكم، وهلاك فرعون، وإنزال المنِّ والسلوى، وغيرها من النِّعَمِ الجسامِ(٣).

ثالثًا: النّسخُ:

ويُرادُ بِهِ: «الإزالةُ، والتّبديلُ، والتّحويلُ، والنّقلُ من موضعٍ إلى موضِعٍ آخرَ»(٤)، وعرّفهُ الشّيخُ الطّوسيّ بأنَّهُ: «كلُّ دليلٍ شرعيٍّ دلَّ على أنَّ مثلَ الحكمِ الثّابتِ بالنّصِّ الأوّلِ غيرَ ثابتٍ في المستَقبلِ على وجهٍ لولاهُ لكانَ ثابتًا بالنّصِّ الأوّلِ معَ تراخيهِ عنهُ»(٥)، وقيل: «هو رفعُ أمرٍ ثابتٍ في الشّريعةِ المقدّسةِ بارتفاعِ أمدِهِ وزمانِهِ، سواءٌ أكانَ ذلكَ الأمرُ المرتفعِ منَ الأحكامِ التّكليفيّةِ، أم الوضعيّةِ، وسواءٌ أكانَ منَ المناصبِ الإلهيّةِ، أم من غيرِها منَ الأمورِ التي ترجعُ إلى الله تعالى بما أنَّهُ شارعٌ»(٦).

وقد أجمعَ العلماءُ إلّا ما نُقِلَ عن أبي مسلمٍ(٧) على جوازِ وقوعِ النّسخِ في القرآن الكريمِ، كما قالِ تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(٨)، كما في نسخِ حكم المناجاةِ في آياتِ

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٩.

(٣) نور التوفيق: ٣٥٤.

(٤) القاموس المحيط: ١: ٢٧١، (نسخ)، ولسان العرب: ٣: ٦١، (نسخ).

(٥) التبيان: ١: ٢٩٢.

(٦) البيان في تفسير القرآن: ٢٧٧.

(٧) تفسير مقتنيات الدرر: ١: ٢٦٣.

(٨) سورة البقرة ٢: ١٠٦.

سورةِ المجادلةِ، لكنّهم اختلفوا في نسخ القرآنِ بالسّنّةِ، وقد تعرّضَ المصنِّفُ إلى ذلكَ في معرضِ تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(١)، إذ قالَ: ‹ ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى المنعِ من نَسخِ القرآنِ بالسّنّة (متواترة كانت أم مشهورة)، ومنهم الإمام الشافعيّ وأحمد بن حنبل(٢)، واستدَلُّوا بهذهِ الآيةِ بتقديرِ أنَّ الآيةَ نسبتِ النَّسخَ إلى اللهِ سبحانه، فالنسخُ لا يقعُ إلّا بالقرآنِ، والسّنّةُ منسوبةٌ إلى الرسولِ ﷺ وليست منَ القرآنِ›(٣).

وقد ردَّ المصَنِّفُ على القائلين بذلك بالقولِ:

‹والنَّسخُ قَد يُعرَفُ بغَيرِ القرآنِ، وإضافَةُ السُّنّةِ إلى الله تعالى صَحيحَة؛ لأنَّها إنَّما هيَ بوَحيِهِ تعالى وأمرِهِ فَإضافَتُها إليهِ تعالى كإضافَةِ كَلامِهِ إليهِ›(٤)، كما يُمكنُ الاستدلالُ لذلك بقولِهِ تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٥)، وقد أمرَ تعالى باتّباعِ النبيِّ ﷺ والتزامِ أوامرِهِ واجتنابِ مناهيهِ بقولِ تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٦).

المطلبُ الثّاني: مباحثُ تاريخِ القرآنِ:

تاريخُ القرآنِ: هي ‹العلومُ المتعلّقةُ بخارجِ النّصِّ القرآني، أو التي تكونُ محيطةً بالنّصِّ القرآني، كالوحي، والمكّي والمدنيّ، وأسبابِ النّزولِ، والقراءاتِ ›(٧).

وقد اهتمَ عامّةُ المفسّرينَ بهذهِ العلومِ في مباحثِ تفاسيرِهم، كما تعرّضَ المصنِّفُ إلى جملةٍ من هذهِ العلومِ في صفحاتِ تفسيرِهِ مُبيّنًا رأيَهُ فيها، وفيما يأتي بعضٌ من هذهِ العلومِ:

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٠٦.

(٢) ينظر: الأحكام للآمدي: ٣: ١٥٣.

(٣) نور التوفيق: ٧٥٢.

(٤) نور التوفيق: ٧٥٢.

(٥) سورة النجم ٥٣: ٣، ٤.

(٦) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٧) علوم القرآن التاريخية: تاريخ القرآن: ٨.

أوّلًا: أسبابُ النّزولِ:

هي: (أمورٌ وقعت في عصرِ الوَحيِ واقتَضت نزولَ الوَحيِ بشأنِها)[1]، وعرَّفهُ السّيّدُ الطباطبائي بقولِهِ: هو: (الأمرُ والحادثةُ الّتي تعقبُ نزولَ آيةٍ أو آياتٍ في شخصٍ أو واقعةٍ)[2].

وقد درجَ المصنِّفُ في منهجيّتِهِ التفسيريّةِ على ذكرِ الأسبابِ الدّاعيةِ إلى نزولِ نصٍّ قرآنيٍّ معيّنٍ دونَ تعليقٍ منهُ، أو يختارُ أحدَها، من ذلكَ ما جاءَ في عرضِهِ لأسبابِ النّزولِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[3]، فقد تعدَّدتِ الأقوالُ فيها واختلفَت، وكلُّها مقبولةٌ عندَهُ، فعَن أبي عَبدِ الله جعفرِ بنِ مُحمَّدٍ الصّادقِ عليه السلام: «أنَّها نَزَلَت في قريشٍ حينَ مَنَعُوا رسُولَ الله صلى الله عليه وآله عَن دُخولِ مَكَّةَ والمَسجِدِ الحَرامِ»[4]، وسَعَوا في تَخريبِهِ بمَنعِ طاعَةِ الله فيهِ، إلى أن ألجَؤُوا رَسولَ الله صلى الله عليه وآله إلى الخُروجِ مِن مَكَّةَ حَتَّى أظهَرَ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله بفَتحِ مَكَّةَ، فَأَمَرَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله مُنادِيًا يُنادِي: «أَلَا لا يَحِجَّنَّ هذا البَيت بعدَ هذا العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطوفَنَّ بهذا البَيت عُريانٌ»[5]، الحديث، وبِهِ قالَ الرّمّاني والبَلَخي وأبو عَليٍّ[6]، وقالَ ابنُ عَبّاسٍ ومُجاهِدٌ: (إنَّها نَزَلَت في الرُّومِ حينَ غَزَوا بَيتَ المَقدِسِ، وسَعَوا في خَرابِهِ حَتَّى كانَت أيَّامُ عُمَرَ فَأَظهَرَ اللهُ المُسلمينَ عَليهِم وصارُوا لا يَدخُلونَها إلَّا خائِفينَ)[7].

---

(١) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ٣٨.

(٢) الميزان: ١: ٤٢.

(٣) سورة البقرة ٢: ١١٤.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٥٥.

(٥) وسائل الشيعة: ١٣: ٤٠٠، حديث رقم: ١٨٠٦٢، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٢٥، حديث رقم: ٥١٣.

(٦) ينظر: التبيان: ١: ٤١٦، ومجمع البيان: ١: ٣٥٥، وقد نسب الثّعلبي في تفسيره: ١: ٢٦٢، هذا القول إلى عطاء وعبد الرحمن بن عوف.

(٧) تفسير ابن عبّاس: ١: ١٧، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٤، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

وقالَ الحَسَنُ وقَتادَةُ: (هوَ بُخّت نُصَّر خَرَّبَ بيتَ المَقدِسِ وأعانَهُ عليهِ النَّصارَى)[1]، فهوَ (حُكمٌ عامٌّ في جِنسِ مَساجِدِ الله؛ ولِذا جَمَعَ المَسجدَ، أو باعتِبارِ مَواضِعِ السُّجودِ، وعَن زيدِ بنِ عَليٍّ عَن آبائِهِم عليهم السلام عَن عَليٍّ عليه السلام: «إنَّهُ أرادَ جَميعَ الأرضِ؛ لِقَولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: جُعِلَت لِيَ الأرضُ مَسجِدًا وتُرابُها طَهُورًا»[2].

فَلا مُنافاةَ بينَ هذهِ الأقوالِ؛ لأنَّهُ تعالى ذَمَّ في هذهِ الآيةِ وما قَبلَها أهلَ الكِتابِ وَغيرَهُم مِمَّن لا يَعلَمونَ؛ لأنَّ الكَلامَ خَرَجَ مَخرجَ الذَّمِّ، فَتارَةً تَوَجَّهَ الذَّمُّ إلى اليَهودِ، ومَرَّةً إلى النَّصارَى، وأُخرى إلى المُشركينَ وعَبدَةِ الأوثانِ والدَّهريَّةِ)[3].

ثانيًا: القراءات:

(مَن قرأَ قراءةً، وقرآنًا، فهوَ قارئٌ، وقرّاءٌ، وقارؤون، وقرأَ فلانٌ قراءةً حسنةً، فالقرآنُ مقروءٌ)[4]، وفيما نُقلَ عن ابن الجزريّ[5] إنَّها: (علمٌ بكيفيّاتِ أداءِ كلماتِ القرآنِ، واختلافِها معزوٌّ لناقلِهِ)[6]، وقيلَ: (علمُ القراءةِ يُعلَمُ منهُ اتّفاقُ النّاقلينَ لكتابِ اللهِ تعالى، واختلافُهُم في الحذفِ والإثباتِ والتّحريكِ والتّسكينِ والفصلِ والوصلِ، وغيرِ ذلكَ من هيئةِ النّطقِ والإبدالِ وغيرِهِ من حيثُ السّماعِ)[7]، واختلفت أقوالُ أهلِ العلمِ في القراءاتِ على ثلاثةِ أقوالٍ، هي:

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١: ٢٦١، وأسباب النّزول للواحدي: ١: ٣٦، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٥، والحديث في وسائل الشيعة: ٥: ١١٨، حديث رقم: ٦٠٨٦، وعوالي اللئالي: ٢: ١٣، حديث رقم: ٢٦.

(٣) نور التوفيق: ٧٨٦.

(٤) العين: ٥: ٢٠٥، ومجمع البحرين: ٢: ٢٥.

(٥) ابن الجزري: هو محمد بن محمد بن علي الدمشقي المعروف بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل، أخذ القراءات عن جماعة في دمشق والقاهرة والاسكندرية، توفي سنة (٨٣٣هـ). ينظر: طبقات الحفاظ: ٣٧٦، وكشف الظنون: ١: ٥٣.

(٦) علوم القرآن عند المفسرين: ٢: ١١.

(٧) إتحاف فضلاء البشر في قراءة الأربعة عشر: ٥.

الأوّلُ: إنَّ القراءاتِ متواترةٌ مطلقًا، «فإنَّ القراءاتِ قرآنٌ منزلٌ من عندِ الله تعالى، وأنَّها تُنقَلُ خلفاً عن سلفٍ، وأنَّهم أخذوها من طريقِ الرّواية، لا من جهةِ الاجتهادِ؛ لأنَّ المتواترَ المشهورَ أنَّ القرّاءَ السّبعةَ أخذوا القرآنَ روايةً؛ لأنّهم يمتنعونَ منَ القراءة بما لم يسمعوه»[1].

الثاني: «إنَّ القراءاتِ السّبعِ منها من قبيلِ الهيئةِ، كالمدِّ واللينِ والإمالةِ وتخفيفِ الهمزةِ ونحوها ، وذلك لا يجبُ تواترهُ وغيرُ متواترٍ، ومنها: ما هو من جوهر اللفظِ، كمَلِكٍ ومالكٍ وهذا متواتر»[2].

الثّالثُ: إنَّها ليست متواترةً مطلقًا، وبه قالَ مفسرو الإماميةِ[3]، وتابعهم جمعٌ منَ المفسّرينَ[4]، فعن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام: « القرآنُ واحدٌ نزلَ من عندِ واحدٍ، ولكنَّ الاختلافَ يجيءُ من قِبلِ الرّواةِ»[5].

أمَّا المُصنِّفُ فقد فصَّلَ القولَ في القراءاتِ الواردةِ في النّصوصِ الشّريفةِ وعلّقَ عليها مُبيّنًا صحيحَها وشاذّها، مُرجّحًا فيما بينها، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[6]: فقد رفضَ المصنِّفُ قراءة الأعمش(بِضارِّي بِهِ مِن أحَدٍ)[7]، والتي اعتمدها الزمخشريّ[8]، على إضافَتِهِ (بضارّي) إلى (أحَدٍ) بِجَعلِ الظَّرفِ والجارِّ جُزءًا منهُ، ووصفها بأنَّها: «كَريهةٌ قَبيحَةٌ، -وأضاف-: بَل حَذفُ النُّونِ منهُ ليسَ لِلإضافَةِ، بَل للتَّخفيفِ الاعتِباطي كما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾[9] عَلى قِراءَةِ نَصبِ (الصّلاةَ) معَ حَذفِ النّونِ[1]»[2].

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن: ٤١٥.

(٢) ينظر: الكشّاف: ٣: ٤٥٩، والبرهان للزركشي: ١: ٣١٩، وتفسير ابن عرفة: ١: ١٦.

(٣) ينظر: التبيان: ١: ٧، ومجمع البيان: ١: ٣٨، والبيان: ١٦٠، والميزان: ١٣: ٣٧٦.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١: ٦٣، وتفسير البيضاوي :١: ١١.

(٥) الكافي: ٢: ٦٣٠، حديث رقم: ١٢.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

(٧) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٣.

(٨) ينظر: الكشّاف: ١: ١٧٣.

(٩) سورة الحج ٢٢: ٣٥.

وكذلك ما ذكرهُ في قراءةِ قولِهِ تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]، إذ ذكرَ القراءتينِ الواردتينِ في (فيكونُ) وهما:

قِرَاءةُ عبدُ الله بنُ عامرٍ (فَيكونَ) بالنَّصبِ في جَميعِ القرآنِ، وقراءةُ بقيّةِ القرّاءِ: بالرَّفعِ في الجَميعِ[٤].

مُستدلًّا للقراءتين مرجّحًا بينهما، رادًّا لقراءة النصب؛ لكونِ فاعلي الفعلينِ (كن) و (فيكون) واحدًا، أضف إلى ذلك « أنَّ الجَوابَ بالفاءِ في مِثلِ ذلكَ لا يكونُ جَوابًا وجَزاءً، فلا يَجوزُ نحو: اذهَبْ فتَذهَبَ؛ لأنَّ المَعنى يَصيرُ إن ذَهبتَ ذَهبتَ، وهذا كَلامٌ لا فائدَةَ فيهِ، وإنَّما يُفيدُ إذا اختَلَفَ الفاعِلانِ والفِعلانِ، مثلَ: زُرنِي فَأُكرِمَكَ، وقُمْ فَأُعطِيكَ؛ لأنَّ المَعنى إن تَزرنِي أُكرِمكَ، وإن تَقُمْ أُعطِكَ فَيكونُ بعدَ الفاءِ جَوابًا وجَزاءً كَما كانَ بدونِها»[٥].

أمّا دليلُ قراءة الرفع عند النّحويّين فيتلخّصُ بقولِ أبي عليّ الفارسيّ: « لأنَّ قَولَهُ: ﴿كُنْ﴾ وان كانَ على لَفظِ الأمرِ فَلَيسَ بأمرٍ، بَل المُرادُ بِهِ الخَبَرَ؛ لأنَّ المَنفِيَّ الّذي لَيسَ بكائنٍ لا يُؤمَرُ ولا يُخاطَبُ»[٦]، وقد بيّنَ المصنِّفُ ذلك بقولِهِ: « فالتّقديرُ: يكونُ فَيكونُ، فَاللّفظُ لَفظُ الأمرِ والمُرادُ بِهِ الخَبرُ، كَقَولِهم في التَّعجّبِ: أكرِمْ بزَيدٍ، فإذا لَم يكنْ قَولُهُ: (كُنْ) أمرًا في المَعنى، وإن كانَ على لَفظِهِ، لَمْ يَجزْ نَصبُ المضارعِ بعدَهُ بعدَ الفاءِ بأنَّهُ جوابُهُ، كَما لَم يَجزِ النَّصبُ في الفِعلِ الّذي يدخُلُهُ الفاءُ بعدَ الإيجابِ، لا يُقالُ: آتيكَ فَأُحَدِّثَكَ بالنَّصبِ، بَل يَجبُ الرّفعُ إلّا أن يكونَ في الضّرورَةِ الشّعريَّةِ، كَقولِهِ:

---

(١) وهي قراءة ابن أبي اسحاق وابن أبي عمرو. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ٢: ٨٠، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٦٠٣.

(٢) نور التوفيق: ٧٢٣.

(٣) سورة البقرة ٢: ١١٧.

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٨، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٥.

(٥) نور التوفيق: ٨٠٧.

(٦) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٠٥، وينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٣: ٢٣٤، وشرح التسهيل لابن مالك: ٤: ٤٦.

لَنا هَضْبَةٌ لا ينزِلُ الذُّلُّ وَسْطَها وَيَأوِي إليها المُستَجيرُ فيُعصَما [1]

وإذا كانَ الأمرُ على هذا المنوالِ لَم يكنْ ما رُوِيَ عَن ابنِ عامرٍ مِن نَصبهِ (فَيَكونَ) مُتَّجهًا.

فَالوجهُ الصّحيحُ في (فَيَكونُ) الرّفعُ، على أن يكونَ (فَيَكونُ) مَعطوفًا على (كُنْ)؛ لأنَّ المرادَ بِهِ: يَكونُ فَيَكونُ، أو يَكونُ خَبرًا لِمُبتدأٍ مَحذوفٍ، أي: فَهوَ يَكونُ[2] .

ومن ذلكَ أيضًا إيرادُهُ لقراءتي (أمانيّ) بتشديدِ الياء وتخفيفِها في قولِهِ تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3] ، وهما:

قراءةُ أبو جعفرٍ: يزيدُ بنُ القَعقاعِ المَدَنيُّ وشَيبةُ بنُ نصّاح والحَسَنُ: (أَمانِيَ) بتخفيفِ الياءِ مفتوحةً، وكَذا في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[4]، وفي قولِهِ تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[5].

وقراءةُ الباقينَ: بالتّشديدِ في الجميعِ على الأَصلِ والقياسِ[6].

والحُجَّةُ في ذلكَ: (أنَّ الأَصلَ في أَمثالِهِ التّثقيلُ؛ لأَنَّهُ جمعُ أُمنيَّةٍ لقولِهِ تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[7]، كَذَراريٍّ في جَمعِ ذُرِّيَّةٍ، وسَراريٍّ في جَمعِ سُرِّيَّةٍ، وأَثافيٍّ في جَمعِ أُثفِيَّةٍ، وبَخاتيٍّ ومَهاريٍّ في

(١) البيت من الطويل، وقد أُختُلفَ في نسبته، فنسبه سيبويه في كتابه: ٣: ٣٩، إلى طرفة، وقال البغدادي في خزانة الأدب: ٨: ٣٤١: للأعشى.

(٢) نور التوفيق: ٨٠٧.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧٨.

(٤) سورة النساء ٤: ١٢٣.

(٥) سورة البقرة ٢: ١١١.

(٦) ينظر: الكنز في القراءات العشر: ٢: ٤١٠، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣١.

(٧) سورة الحج ٢٢: ٥٢.

جَمعِ بُختِيٍّ ومُهرِيٍّ[1]، لكنَّ التّخفيفَ في هذا النَحوِ كثيرٌ، كقولِهِ:

وهَل يَرجِعُ التّسليمَ أو يَكشِفُ العَمى ثَلاثُ الأَثافِي والدِّيارُ البَلاقِعُ [2]

وقولِهِ:

وَشُدَّت عَلى دُهمِ المَهارِي رِحالُنا ولَم يَنظُرِ الغادِي الّذي هوَ رائِحُ [3]

والمحذوفُ مِنها: الياءُ الأُولى الّتي هيَ نَظيرةُ ياءِ المدّةِ في كَونِها ساكِنَةً مَكسورًا ما قَبلَها معَ غيرِ الادغامِ نَحوَ: ياءِ قَراطِيسَ وهَرامِيسَ وقَراوِيحَ وسَرادِيحَ وقَراطِيطَ وحَوامِينَ في جَمعِ قِرطاسٍ وهِرماسٍ وقِرواحٍ وسِرداحٍ وقُرطاطٍ[4]»[5] .

والظّاهرُ أنَّ المصنِّفَ مع قراءةِ التشديدِ لقولِهِ: (والحُجَّةُ في ذلكَ: أنَّ الأَصلَ في أَمثالِهِ التّثقيلُ)، على الرغمِ من أنَّ التخفيفَ كثيرٌ وقد استشهدَ لكلا القراءتينِ.

(١) السُّرّيّة: الجارية. الصحاح: ٦: ٢٣٧٥، (سرا).

الأثفيّة: الحجر الذي يُوضع عليه القدر. القاموس المحيط: ٤: ٣٠٨، (ثفي).

البُختيّة: هي الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط: ١: ١٤٣، (بخت)، وحياة الحيوان الكبرى: ١: ١٦٧ .

المهريّة: هي الإبل المنسوبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان. لسان العرب: ٥: ١٨٦، (مهر)، والقاموس المحيط: ٢: ١٣٧، (مهر).

(٢) البيت من الطويل، لذي الرّمّة. ديوانه: ٤٣٩، وينظر: خزانة الأدب: ١: ٢١٤.

(٣) البيت من الطويل، نقله صاحب الشعر والشعراء: ١: ٦٧، ونسبه للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير نقلا عن الشريف المرتضى في أماليه: ٢: ١١٠، ونُسِبَ لكثير عزّة في زهر الآداب وثمر الألباب: ٢: ٤٠٥.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: الهِرماسُ: اسمٌ للأسدِ، والسِّرداحُ: للمَكان اللَّيِّن، والقِرداحُ: للأرضِ البارزةِ للشّمسِ لَم يختلِطْ بها شيءٌ، وناقةٌ طويلةُ القَوائمِ، والقُرطاطُ بالضّمِّ: البَرزَعَةُ: وهيَ حِلسٌ يُبسَطُ تحتَ الرَّحلِ. وحوامين: جمع حومانة، وهي: شقائق بين الجبال، وأراضٍ غلاظ منقادة. لسان العرب: ١٣: ١٢٨، (حمن).

(٥) نور التوفيق: ٥٥٩.

المبحثُ الثّاني

آراءُ المُصنِّفِ التّفسيريّةُ وترجيحاتُهُ

المطلبُ الأوّلُ: آراءُ المصنِّفِ التّفسيريّةُ

المطلبُ الثّاني: مفهومُ التّرجيحِ وألفاظُهُ

المطلبُ الثّالثُ: أدلّةُ التّرجيحِ

توطئة:

اشتملَ التّفسيرُ على عددٍ كبيرٍ من الآراءِ التّفسيريّةِ للمصنِّفِ والصّحيحةِ بنظرِهِ، إضافةً إلى مجموعةٍ من التّرجيحاتِ التي اعتمدها في تفسيرِهِ واختيارِهِ لبيانِ معاني كلماتِ الله سبحانهُ؛ وصولًا إلى معرفَةِ المرادِ من النّصِّ القرآنيِّ حسبَ قدرةِ المصنِّفِ وتوفيقِهِ تعالى، مُستدلًّا لما يذهبُ إليهِ بالأدلَّةِ الصّحيحةِ، ولبيانِ هذهِ الآراءِ والتّرجيحاتِ يعرضُ الباحثُ المطالبَ الآتية:

المطلبُ الأوّلُ: آراءُ المصنِّفِ التّفسيريّةُ:

توطئة:

عملَ المصنِّفُ في تفسيرِهِ على إيرادِ جميعِ الوجوهِ التّفسيريّةِ للنّصوصِ الشّريفةِ وبيانِها، فتارةً يُبيِّنُ صحةَ هذه الوجوهِ من عدمِها، وتارةً ينقلُها دونَ التّعليقِ عليها، وأخرى يُورِدُ رأيًا تفسيريًّا لهُ مُستدلًّا عليهِ بما تيسّرَ لهُ من الأدلّةِ، وفي أحيانٍ أُخَرَ يذكرُ قولَهُ حسبَ ما وصلَ إليهِ علمهُ ووُفِّقَ إليهِ بنورِهِ تعالى، فهو لا يتوانى عن إبداءِ رأيهِ بما يصلُ إليهِ، وفيما يأتي جملةٌ من هذه الآراءِ على سبيلِ الأمثلةِ لا الحصرِ:

أوّلًا: بيانُهُ لمعنى الكلماتِ الّتي ابتُلِيَ بها إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام ، في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[1]:

عندَ تتبُّعِ أقوالَ المفسّرينَ في المرادِ من هذهِ الكلماتِ نجدُهُم قد اختلفوا فيها إلى عدّةِ أقوالٍ، هيَ:

أوّلًا: ما قالَهُ أبو عَلِيٍّ الجُبّائِيُّ: (أرادَ بالكَلماتِ: جَميعَ ما كَلَّفَهُ مِنَ الطّاعاتِ العَقليَّةِ والشّرعيّةِ)[2].

ثانيًا: قال البلخيُّ (٣١٩هـ): (والكلماتُ هيَ الإمامةُ؛ لأنَّ الكلامَ متّصلٌ، ولم يَفصلْ بينَ قولِهِ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وبينَ ما تقدّمهُ بواوِ العطفِ)[3].

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٧٦.

ثالثًا: ما نقلهُ الثّعلبيُّ (٤٢٧هـ) عن ابنِ عبّاسٍ: (هيَ ثلاثونَ سهمًا، وهيَ شرائعُ الإسلامِ، ولم يُبتلْ أحدٌ بهذا الدّينِ كلِّهِ، فأقامهُ كلَّهُ إبراهيمُ عليه السلام، فَأَتَمَّهُنَّ، فكتبَ لهُ اللهُ البراءَةَ)[1].

رابعًا: عن الربيعِ وقتادة: (هيَ مناسكُ الحجِّ)[2].

خامسًا: ما أخرجهُ البغويّ (٥١٠هـ): (عن طاوسٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ: ابتلاهُ اللهُ تعالى بِعشرَةِ أَشياءَ، وهيَ الفطرَةُ خمسٌ فِي الرَّأسِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَالمضمَضةُ، والاستِنشاقُ والسِّوَاكُ، وفَرقُ الرَّأسِ، وَخمسٌ في البدنِ: تقليمُ الأظفارِ، وَنَتفُ الإبطِ، وحَلقُ العَانَةِ، والخَتَانُ، والاستِنجاءُ بالماءِ)[3].

سادسًا: قالَ الزّمخشريُّ (٥٣٨هـ): (اختبرَهُ بأوامرٍ ونواهٍ، ـ ثمَّ بيّنَ معنى هذهِ الأوامرَ فقالَ ـ: فيُرادُ بالكلماتِ ما ذَكرَهُ منَ الإمامَةِ، وتَطهيرِ البيتِ، ورفعِ قواعدِهِ، والإسلامِ)[4].

سابعًا: ما نقلَهُ القرطبيِّ (٦٧١هـ): (عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: ابتلَاهُ اللهُ بِالطَّهارةِ، خَمسٌ في الرَّأسِ وخَمسٌ في الجسَدِ: قَصُّ الشَّارِبِ، والمضمضَةُ، وَالاستنشَاقُ، وَالسِّواكُ، وفرقُ الشَّعرِ. وَفِي الجَسَدِ: تَقليمُ الأظفَارِ، وحَلقُ العَانةِ، والاختِتَانُ، وَنتفُ الإبطِ، وَغَسلُ مكانِ الغَائِطِ وَالبولِ بِالماءِ)[5]، وهو نفس قولُ البغويّ.

ثامنًا: ما اختارهُ المفسّرُ الطّهرانيُّ (١٣٥٣هـ) من كونِ الكلماتِ هي الابتلاءُ بذبحِ ولدهِ إسماعيلَ عليه السلام وانقيادِ إبراهيمَ عليه السلام لأمرِ اللهِ[6].

تاسعًا: ما ذهبَ إليهِ العلّامةُ الطباطبائيّ (١٤٠٢هـ): (إنَّ المرادَ بالكلماتِ: قضايا ابتُلِيَ بها وعهودٍ إلهيّةٍ أُريدَت منهُ، كابتلائِهِ بالكواكبِ والأصنامِ، والنّارِ والهجرةِ وتضحيتهِ بابنهِ وغيرِ ذلكَ، ولمْ

---

(١) تفسير الثّعلبيّ: ١: ٢٦٨.

(٢) تفسير الثّعلبيّ: ١: ٢٦٨.

(٣) تفسير البغويّ: ١: ١٦٢.

(٤) الكشّاف: ١: ١٨٢.

(٥) تفسير القرطبيّ: ٢: ٩٨.

(٦) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر: ١: ٢٩٨.

يَبينُ في الكلامِ ما هيَ الكلماتُ؛ لأنَّ الغرضَ غيرُ مُتعلِّقٍ بذلكَ، نَعَم قولُهُ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، من حيثُ ترتّبِهِ على الكلماتِ تدُلُّ على أنّها كانت أمورًا تَثبتُ بها لياقتُهُ عليه السلام لمقامِ الإمامةِ)[1].

أمَّا المصنِّفُ فقد أوردَ جميعَ الأقوالِ في المسألةِ، مُضيفًا إليها أقوالًا أخرى، هيَ:

الأوّلُ: هي أربعونَ خصلةً من شرائعِ الإسلام، وهي الرّوايةُ الثّانية عن ابن عبّاس: وهيَ عَشرٌ في سُورةِ التّوبةِ، وعَشرٌ في سُورةِ الأحزابِ، وعَشرٌ في سُورةِ المُؤْمِنُونَ، ورَوَى عَشرٌ في سُورةِ المعارج، فَجَعَلَها أربعينَ[2].

الثّاني: هي مجموعةُ أعمالٍ ابتدأها إبراهيمُ عليه السلام، فإبراهيمُ عليه السلام أوَّلُ النّاسِ أضافَ الضَّيفَ، وأوَّلُ النّاسِ اختَتَنَ.

الثالثُ: هي الدّعاءُ بأئمّةِ أهل البيتِ عليهم السلام.

الرابعُ: هي العُبوديَّةُ والنُّبوَّةُ والرِّسالةُ والخُلَّةُ.

الخامِسُ: هي مجموعةُ خصالٍ امتاز بها إبراهيمُ عليه السلام.

ليُعقِّبَ بعدها بالقولِ: (والآيةُ الشّريفَةُ مُحتَمِلَةٌ لجميعِ هذهِ الأقوالِ مِن غَيرِ تَنافٍ بَينها، وتُطلَقُ الكَلمةُ والكَلماتُ على المَعاني والذَّواتِ مِنَ الإمامِ والرّسُولِ والأفعالِ الحَميدةِ والخِصالِ الجَميلَةِ وفي أضدادِها)[3].

ويرى الباحثُ أنَّ عدمَ التّنافي بينَ الأقوالِ موجودٌ، إلّا أنّه لا يتّفقُ معَ المصَنِّفِ في احتمالِ الآيةِ لجميعِ الأقوالِ على الإطلاقِ، فاللهُ سبحانهُ ابتلى إبراهيمَ عليه السلام وكلَّفهُ بتكاليفِهِ الشّرعيَّةِ باعتبارِهِ نبيًّا ومن أولي العزمِ، فإطاعتَهُ وانقيادَهُ وتسليمَهُ أمرٌ مفروغٌ منهُ، وما قيامَهُ بالأعمالِ المنوطةِ بهِ والتزامَهُ

(1) تفسير الميزان: ١: ٢٧٠.

(2) ينظر: بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(3) نور التوفيق: ٨٤٩.

بالأوامرِ والنّواهي، وبناءَ البيتِ وتعميرَهُ، وخصالَهُ التي امتازَ بها إلّا المعنى الحقيقي لكونِهِ رسولًا للسّماء في الأرضِ، ولا تُعطيهِ مزيةً لما جاءَ تاليًا في النّصِّ الشّريفِ، إذ إنَّ النّجاحَ في الابتلاءِ كانت نتيجتُهُ الوصولَ إلى درجةِ الإمامةِ، فلا بدَّ من وجودِ رابطٍ وعلاقةٍ ما بينَ نوعِ الابتلاءِ هذا والإمامةِ، وعليهِ فيكونُ معنى الكلماتِ مُنحصرٌ بما لهُ علاقةٌ بالإمامةِ، وهو ما أشارَ إليهِ العلّامةُ الطباطبائيّ بالقضايا التي تدلُّ وتُثبِتُ لياقتَهُ عليه السلام لمقامِ الإمامةِ[1]، واللهُ أعلم.

ثانيًا: في بيانِ كيفيّةِ وصولِ إبليس إلى الجنّة في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[2]:

فقدَ اُختُلِفَ في كيفيّةِ وصولِ إبليس إلى آدمَ وحوّاءَ وهما في الجنّةِ حَتّى وَسوَسَ لَهما وأزلّهما بعدَ أن أُخرِجَ لعنهُ اللهُ منَ الجنّةِ حين أبى السّجودِ لآدمَ عليه السلام، إلى عدّةِ أقوالٍ:

أوّلها: عن الجبّائيّ: إنّ آدمَ وحوّاءَ كانا يخرجانِ إلى بابِ الجنّةِ وإبليسَ لم يكن ممنوعًا من الدنوِّ منه فكان يكلّمُهما، وكان ذلك قبل أن أُهبِط إلى الأرضِ وبعد أن أُخرِج من الجنّةِ[3].

ثانيها: إنّهُ قامَ لعنهُ اللهُ عندَ البابِ فناداهما وأقسمَ لهما بذلك[4].

ثالثها: إنّهُ كَلّمَهُما مشافهةً بكلامٍ عَرفاهُ وفَهِما منه[5]، وهو الظّاهرُ من كلامِ الملا فتح الله الكاشاني (٩٨٨هـ)[6]، والعلّامةِ الطباطبائيّ[7].

---

(١) ينظر: الميزان: ١: ٢٧٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٣٦.

(٣) ينظر: مجمع البيان: ١: ١٧٢، وهو قولُ الحسنِ، كما ينظر: تفسير البغويّ: ١: ١٠٦، والتفسير الكبير: ٣: ٤٦٢.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١: ٣٣٧.

(٥) ينظر: تفسير القرطبيّ: ١: ٣١٢.

(٦) ينظر: زبدة التفاسير: ١: ١٢٨.

(٧) ينظر: الميزان: ١: ١٣١.

رابعُها: قولُ الثّعلبيّ واختارهُ البغويّ: إنّه دخل في فمِ الحيّةِ وخاطبَهما من فقمِها(١).

خامسُها: إنّه لعنهُ اللهُ دخلَ الجنّةَ فَوسوَسَ لهما ابتلاءً لآدمَ وحَوّاءَ؛ لأنّهُ مُنِع من الدّخولِ على جهةِ التّكرمةِ، كدخولِ الملائكةِ ولم يُمنَع من الدخولِ على جهةِ الوسوسةِ ابتلاءً لهما، وهو اختيارُ الزّمخشريّ(٢)، ووافقهُ البيضاويّ(٣)، ورجّحهُ المفسّرُ الطّهرانيّ(٤).

سادسُها: إنّهُ وسوسَ لهما بأن أرسلَ بعضَ أتباعهِ إليهما فأزلّهما(٥).

سابعُها: إنَّ إبليسَ تمثّلَ بصورةِ دابّةٍ فدخلَ الجنّةَ ولم تعرفهُ الخزنةُ(٦).

ثامنُها: ما قالَهُ الثّعالبيّ (٨٧٥هـ): ((إنّما أغوى آدمَ بشيطانِهِ، وسُلْطَانِهِ، ووَسَاوِسِهِ التي أعطاهُ اللهُ تعالى))(٧).

وقد ذكرَ المصنِّفُ الأقوالَ السّتّةَ الأولى، واصفًا إيّاها بالسّدادِ، مُختارًا منها الوجهَ الرّابعَ(٨) مُستدلًّا لهُ بما جاءَ في تفسيرِ الإمامِ الحسنِ العسكريّ عليه السلام فقال: «فأزلّهما الشيطانُ بأن بدأ إبليسُ بآدم عليه السلام فقال: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشّجرةِ إلّا أن تكونا ملكينِ، إن تناولتُما منها تعلمانِ الغيبَ، وتقدرانِ على ما يقدرُ عليهِ من خصّه اللهُ تعالى بالقدرةِ، أو تكونا من الخالدينَ لا تموتان، وقاسمَهُما

---

(١) ينظر: تفسير الثّعلبيّ: ١: ١٨٣، وتفسير البغويّ: ١: ١٠٦.

قال ابن منظور: ((الفقمُ: اللّحيُ، وهو الفَمُ))، لسان العرب:١٢: ٤٥٧، (فَقَمَ)، وقال الخليلُ: ((الشدقُ: الفَمُ من باطنِ الخَدّينِ)). العين: ٥: ٣٤، (شَدَقَ)، وقال الفيروز آبادي: ((الشّدقُ: جانبُ الفَمِ وسِعتِهِ)). القاموس المحيط: ٣: ٢٤٩.

(٢) ينظر: الكشّاف: ١: ١٢٨.

(٣) ينظر: تفسير البيضاويّ: ١: ٢٩٨.

(٤) ينظر: مقتنيات الدرر: ١: ١٣٣.

(٥) ينظر: تفسير الآلوسيّ: ١: ٢٣٧.

(٦) ينظر: زبدة التفاسير: ١: ١٣٣.

(٧) ينظر: تفسير الثّعالبي: ١: ٢١٩.

(٨) ينظر: نور التوفيق: ٢٣٧.

إنّي لكما لمنَ النّاصحينَ، وكان إبليسُ بين لحيي[1] الحيّةِ أدخلَتهُ الجنّة، وكان آدمُ يظنُ أنّ الحيّةَ هي التي تخاطبهُ ولم يعلم أنّ إبليسَ قد اختبأ بين لحيَيها فردَّ آدمُ على الحيّةِ فقال: أيّتها الحيّة هذا من غرورِ إبليس كيفَ خاننا ربُّنا أم كيف تُعظّمين اللهَ بالقسمِ بهِ وأنت تنسبينهُ إلى الخيانةِ وسوء الظنِ وهو أكرمُ الأكرمينَ؟ أم كيف أرومُ التّوصّل إلى ما منعني منه ربّي وأتعاطاه بغير حكمةٍ؟ فلمّا آيسَ إبليسُ من قبولِ آدم منه عادَ ثانيةً بين لحيي الحيّة، فخاطبَ حوّاءَ من حيث يُوهمها أنّ الحيّة هي التي تخاطبُها، وقال يا حوّاء أرأيتِ هذه الشجرةَ التي كان اللهُ عزّ وجلّ حرّمَها عليكما، فقد أحلَّ لكما بعد تحريمِها لما عرفَ من حُسن طاعتِكما له وتوقيركما إيّاهُ يدلُّكِ أنّ الملائكةَ الموكَّلينَ بالشّجرةِ التي معها الحرابُ يدفعونَ عنها سائرَ الحيواناتِ لا تدفعُك عنها إن رمتِها[2]، فاعلمي بذلك انّه قد أحلَّ لك، وابشري بانَّك إن تناولتِها قبل آدم كنتِ أنتِ المتسلِّطةَ عليهِ الآمرةَ الناهيةَ فوقَه، فقالت حوّاءُ: سوف أُجرِّبُ هذا، فرامتِ الشّجرةَ فأرادت الملائكةُ أن يدفعوها عنها بحِرابِها فأوحى الله اليها إنَّما تدفعونَ بحرابِكم من لا عقلَ له يزجرهُ، فأمّا مَن جعلته متمكّنًا ممتازًا مُختارًا فكِلوهُ إلى عقلِهِ الذي جعلته حجّةً عليه، فإن أطاعَ استحقّ ثوابي، وإن عَصى وخالفَ أمري استحقَّ عِقابي وجَزائي، فتَرَكوها ولم يَتعرَّضوا لها بعدَ ما همُّوا بمنعِها بحرابِهم، فظنَّت أنَّ اللهَ نهاهم؛ لأنّه قد أحلَّها بعدَما حرَّمها، فقالت: صدقتِ الحيَّةُ، فظنّت أنَّ المخاطبَ لها هي الحيَّةُ، فتناولت منها ولم تُنكر مِن نَفسِها شيئًا، فقالت لآدم: ألم تعلم أنَّ الشّجرةَ المحرَّمةَ عَلينا قد أُبيحَت لنا، تناولتُ منها ولم تمنعني أملاكُها ولم أُنكِر شيئا من حالي؛ فلذلك اغترَّ آدم وغلطَ فتناولَ»[3]، مؤكِّدًا دليلَهُ بقولِهِ صلى الله عليه وآله: «ما آيسَ الشّيطانُ قطّ من بني آدم إلّا أتاهم من قِبلِ النّساءِ »[4].

والباحثُ يرى أنَّ المُصنِّفَ قد جعل لحوّاءَ دورًا في زلَّةِ آدم فهوَ قد رفضَ أوّلًا كلامَ الحيَّةِ وقسمَها ونسبتها سوءَ الظّنِّ باللهِ تعالى، ثمَّ رجعَ وقَبِلَ من حوّاءَ كلامَها؛ ولعلَّ ذلكَ راجعٌ إلى

(١) اللّحي: عظمُ الحَنَك، واللّحيانِ: العَظمانِ اللّذانِ تنبت اللّحيةُ على بَشَرتِها. مجمع البحرين: ١: ٣٧٣، (لحا).

(٢) أي: أردتِها.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٢ـ ٢٢٤.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١: ١٧٣.

إقناعِ حوّاءَ لهُ بتغيّرِ النّهي الأوّلِ إلى الإباحةِ فقبلَ منها؛ فهيَ شريكتُهُ في الجنَّةِ ويهمُّها أمرَهُما. وعندَ الرّجوعِ إلى القرآنِ الكريمِ نجدُ:

١ـ إنَّ ظاهرَ النّصوصِ القرآنيّةِ أشارت إلى تنبيهِ الله سبحانهُ لآدمَ عليه السلام من إبليسَ ومن غوايتِهِ ووسوستِهِ، وأن لا يكونَ السّببَ في إخراجِهِ منَ الجنَّةِ، ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[1]، ولفظُ (هذا) يدلُّ على مقابلةٍ ومشاهدةٍ ومعرفةٍ.

٢ـ أشارت آياتُ سورةِ الأعرافِ إلى ما قامَ بهِ إبليسُ، وهو:

– قيامُهُ بالوسوسةِ: وهو كلامٌ خفيٌّ من فعلِ الشّيطانِ يقعُ بالقلبِ فيغشاهُ[2].

– مخاطبتُهما محاولًا إقناعهما، مع التّسويلِ لهما بالخلدِ والمُلكِ.

– القَسَمُ لهما بأنّهُ منَ النّاصحينَ.

إذ قالَ تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3].

والمُتحصّلُ منه:

إنَّ حادثةَ الوسوسةِ والازلالِ حدثت؛ لاستكمالِ علَّةِ الخلقِ الأوّلِ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4]؛ وعليهِ فيُمكنُ لإبليسَ الدّخولُ إلى الجنَّةِ التي سكنَها آدمُ عليه السلام؛ ولمّا كانَ إبليسُ معروفًا عندَ آدم عليه السلام؛ بناءً على حادثةِ الأمرِ بالسّجودِ؛ لذا لا يُمكنُهُ أنْ يظهرَ لآدمَ عليه السلام بشكلهِ الحقيقي؛ بل لا بدَّ منَ التّنكّرِ ليتمكّنَ منَ الوصولِ إليهِ، أو أن يصلَ إليهِ بطريقٍ غيرِ مباشرٍ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) سورة طه ٢٠: ١١٧.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٦، ٢٥٤، (وسس).

(٣) سورة الأعراف ٧: ٢٠، ٢١.

(٤) سورة البقرة ٢: ٣٠.

ثالثًا: اختلافُ المفسّرينَ في المعنيّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ـ إلى قولِهِ:ـ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(١):

فقد اختلفَ المفسّرون بالمعنيِّ بهذا النَّصِّ الشَّريفِ إلى ثلاثةِ أقوالٍ، هي:

الأوَّلُ: «ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ قُرَيظَةَ والنّضيرَ منَ اليَهودِ كانا أَخوينِ كالأوسِ والخَزرجِ منَ العَرَبِ، والأَوسُ والخَزرَجُ مِن أَهلِ الشّركِ يَعبدُونَ الأَوثانَ لا يَعرِفونَ جَنَّةً ولا نارًا ولا قِيامةً ولا كِتابًا، وقُريظَةُ كانوا حُلَفاءَ الأَوسِ والنّضيرُ حُلفاءَ الخَزرَجِ، فإذا اقتَتَلوا عاوَنَ كُلُّ فريقٍ حُلفاءَهُ في القَتلِ والأَسرِ وتَخريبِ الدّيارِ وإجلاءِ أَهلِها، فإذا وَضَعَتِ الحَربُ أَوزارَها اجتَمعُوا تَفدُوا أُساراهُم بالأَموالِ والأَسيرِ؛ تَصديقًا لِما في التَّوراةِ؛ فَوَبَّخَ اللهُ تعالى اليَهودَ بما فَعلوهُ»(٢)، وقالَ القرطبيُّ: «قالَ عُلماؤنا: كانَ اللهُ تعالى قد أَخذَ عليهِم أَربعةَ عُهودٍ: تَركُ القتلِ، وتركُ الإِخراجِ، وتَركُ المظاهرَةِ، وفِداءُ أُساراهُم، فأَعرضُوا عن كُلِّ ما أُمرُوا بهِ إِلَّا الفِداءَ، فوَبَّخهُمُ اللهُ على ذلِكَ توبيخًا يُتلَى فقالَ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهوَ التَّوراةُ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾!»(٣).

الثّاني: وقيلَ: كانَ بَنو إسرائيلَ إذا استَضعَفَ قومٌ قومًا أخرَجوهُم مِن ديارِهِم، وقَد أَخَذَ اللهُ عليهِم الميثاقَ بأن لا يَسفِكُوا دماءَهُم ولا يُخرِجُوا أَنفسَهُم من ديارِهِم، وأَخذَ سبحانُهُ عليهِم الميثاقَ إن أَسَرَ بعضُهُم بعضًا أن يُفادُوهُم، ثمَّ إنَّهُم فادُوهُم فَآمَنوا بالفِداءِ فَفَدَوا، وكَفَرُوا بالإخراجِ منَ الدِّيارِ فَأخرَجوهُم والقتلِ(٤)، وفي ذلك يقولُ الشّيخُ الطّوسي: «فكيفَ تستجيزونَ قتلَهُم ولا تستجيزونَ تركَ فدائِهِم؟ وهما جميعًا في اللّازمِ لكم منَ الحكمِ فيهِم سَواءٌ؛ لأنَّ الذي حَرُمَ عليكم

---

(١) سورة البقرة ٢: ٨٤، ٨٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٩٢.

(٣) تفسيرُ القرطبي: ٢: ٢٢، وينظر: تفسير الثّعلبيّ: ١: ٢٣١، وتفسير البغويّ: ١: ١٣٩، والكشّاف: ١: ١٦١، والبحر المحيط: ١: ٤٥٢.

(٤) ينظر: تفسير ابن عطيّة: ١: ١٧٥، والتفسير الكبير: ٣: ٥٩٢.

من قَتلِهم وإخراجِهم من دورِهم نظيرُ الذي حَرُمَ عليكُم من تركِهم أسرى في أيدي عدوِّهم)[1].

الثّالث: قالَ أبو مُسلمٍ الأَصفهانيُّ[2]: (ليسَ المرادُ بقولِهِ: ﴿أفَتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ﴾ الآية أَنّهُم يَخرُجونَ وهوَ مُحرَّمٌ عليهِم، وَيَفدُونَ وهوَ واجِبٌ عليهِم، وإنَّما يَرجعُ ذلكَ الى بَيانِ صِفَةِ مُحمَّدٍ ﷺ وغَيرِهِ)[3].

أَمَّا المصنِّفُ فقد صرّحَ بالمعنيِّ بهذه الآيةِ بقولِهِ: (والأولى: أن يُرادَ ما هوَ الأَعمُّ مِن ذلكَ، ومِن إخراجِ صِفاتِ مُحمَّدٍ ﷺ ووَصيِّهِ عليه السلام، وقَتلِ المعصومِ منَ الأنبياءِ كَزكريَّا ويَحيَى وغَيرِهِما، والإمامِ عليه السلام كَعَليِّ بنِ أَبي طالبِ والحَسَنينِ وغَيرِهم عليهم السلام، وإِخراجِهِم من دِيارِهِم الّتي هيَ حَرَمُ الله وحَرَمُ رسولِهِ ﷺ، وقَتلِ عمَّار وأَبيهِ ياسِر وأُمِّهِ سُميَّة، وإخراجِ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه)[4].

ويرى الباحثُ أَنَّهُ بحقٍّ الإخراجُ الحقيقي والمعنى الواقعي لهذه الآية، فما ذِكرُ هذه الأحداثِ إلَّا للاعتبارِ والتّفكّرِ بما آلت إليهِ أمّةُ بني إسرائيلَ، وأن لا يقعَ المسلمونَ في الأخطاءِ نفسِها، والتي هيَ شاخصةٌ أمامهم فَلم يَرَوها ولمْ يتدبّروها، وأعماهُم الهوى والضّلالُ والسّلطانُ فأعادوا فعلَ اليهودِ بل زادوا، وهو ما أشارَ إليهِ رسولُ الله ﷺ بقولِهِ: « أفَلا أُنبِّئكُم بمَن يُضاهِيهِم مِن يَهودِ هذهِ الأُمَّةِ؟ قالوا: بَلى يا رسولَ الله، قالَ: قَومٌ مِن أُمَّتي يَنتَحِلونَ أنَّهُم مِن أهلِ مِلَّتي، يَقتُلونَ أَفاضِلَ ذُرِّيَّتي وأَطائِبَ أَرومَتي[5]، ويُبَدِّلونَ شَريعَتي وسُنَّتي، ويَقتُلونَ وَلَدَيَّ الحَسَنِ والحُسَينِ كَما قَتَلَ

---

(١) التبيان: ١: ٣٣٧.

(٢) هو: مُحمّدُ بنُ بحر الأصفهاني: المعتزلي، عالمٌ بالتفسيرِ وبغيرِهِ من العلومِ، ولي أصفهان وبلاد فارس، من كتبهِ: جامع التأويل، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢: ١٧٥، والأعلام: ٦: ٥٠.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٩٣، وينظر: التفسير الكبير: ٣: ٥٩٢، وزبدة التفاسير: ١: ١٨٤.

(٤) نور التوفيق: ٦١٩.

(٥) الأرومَةُ: أصلُ الحَسَبِ، وهي: أصلُ كلِّ شيءٍ ومُجتمعِهِ. معجم مقاييس اللغة: ١: ٨٥، (أرم).

أَسلافُ اليَهودِ زَكريًّا ويَحيَى، ألا وإنَّ اللهَ يَلعَنُهُم كَما لَعَنَهُم، ويَبعَثُ اللهُ على بَقايا ذَرارِيهِم قَبلَ يومِ القِيامَةِ هاديًا مَهديًّا مِن وُلدِ الحُسَينِ المظلومِ يُحرِقُهُم بسيوفِ أَوليائِهِ إلى نارِ جَهنَّم»[1]. أفلا مُعتبرٌ؟

رابعًا: الاختلافُ في معنى (ذلكَ) في قولِهِ تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2]:

ذهبَ الزّمخشريُّ ووافقهُ البيضاويُّ إلى أنَّ: (ذلك) الثّاني: إشارةٌ إلى الكفرِ وقتلِ الأنبياءِ لا إلى ضَربِ الذّلّةِ والمسكنةِ والبَوءِ بالغضبِ[3]، وهو قولُ الملّا الكاشاني[4]، إذ قالَ الزّمخشريُّ: «ذلِكَ: تكرارٌ للإشارةِ بِما عَصَوْا بسببِ ارتكابِهِم أنواعَ المعاصيَ واعتدائِهم حدودَ الله في كلِّ شيءٍ، معَ كفرِهِم بآياتِ اللهِ وقتلِهِم الأنبياءَ، ويجوزُ أن يُشارَ بذلكَ إلى الكُفرِ وقتلِ الأنبياءِ على معنى أنَّ ذلكَ بسببِ عصيانِهِم واعتدائِهِم، لأنَّهم انهمَكُوا فيهِما وغَلوا حتَّى قَسَت قلوبُهُم فجَسَروا على جحودِ الآياتِ وقَتلِ الأنبياءِ»[5].

وقالَ أبو حيّان (٧٤٥هـ): «ذَلِكَ: رَدٌّ على الأَوَّلِ وتَكرِيرٌ لهُ، فأُشِيرَ بِهِ لِما أُشِيرَ بذلكَ الأوّلِ، ويجوزُ أَن تَكونَ إِشارةً إِلى الكُفرِ والقَتلِ المذكُورَينِ، فَلا يكُونُ تكريرًا ولا توكيدًا، ومعناهُ: أَنَّ الّذي حمَلَهُم على جُحُودِ آياتِ اللهِ وقَتلِهِم الأَنبياءَ إِنَّما هو تَقدُّمُ عصيانِهِم واعتدائِهِم»[6]، وأرادَ بالأَوَّلِ: الإشارةُ إلى البوءِ بالغضبِ منَ اللهِ تعالى.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٦٩.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٣) ينظر: الكشاف: ١: ١٤٦، وتفسير البيضاوي: ١: ٨٤.

(٤) ينظر: زبدة التفاسير: ١: ١٥٩.

(٥) الكشّاف: ١: ١٤٦.

(٦) البحر المحيط: ١: ٣٨٣.

ويرى الشيخُ الطوسيِّ أنَّ (ذلكَ) في الموردينِ جاء بمعنًى واحدٍ، وهو: الإشارةُ إلى ما نزلَ عليهم منَ الذّلَّةِ والمسكنةِ[1].

ويُوافقُ المصنِّفُ قولَ الشيخِ الطوسيِّ؛ إذ يرى أنَّ (ذلكَ) الأوّلَ: بمعنى ضربُ الذّلّةِ والمسكنةِ بسببِ جحدِهِم حُجَجِ الله وأنبيائِهِ ومعجزاتِهِ، وقتلِهِم الأنبياءَ، وكفرِهِم بكتبِهِ التي بيّنت صفةَ النّبيِّ الخاتم ﷺ ووصيِّهِ عليه السلام.

وفي الثّاني قالَ: « فيكونُ تكريرُ اسمُ الإشارةِ للدّلالةِ على أنَّ ما لَحَقَهم من ضَربِ الذّلّةِ والمسكنةِ والغَضبِ كما هوَ بسبَبِ كُفرِهِم وقتلِهِم الأنبياءَ فهو بسبَبِ ارتكابِهِم المعاصيَ واعتدائِهِم حدودَ الله؛ لأنَّ تماديهم في العصيانِ والاعتداءِ فيهِ جَرَّهم إلى الكفرِ بالآياتِ وقتلِ النبيِّين فإنَّ صغارَ الذّنوبِ سببٌ يؤدِّي إلى ارتكابِ كبارِها كما إنَّ صغارَ الطاعاتِ أَسبابٌ مُؤدِّيةٌ إلى تحري كبارِها»[2].

فالمُصنِّف جعلَ (ذلك) في الموردينِ بمعنًى واحدٍ وهو الذّلّ والمسكنة، أمّا الزمخشريّ والبيضاويّ ومَن وافقَهُم منَ المفسّرينَ فقد فرّقوا ما بينَ الموردَينِ، بجعلِ الأوّلِ: بمعنى الذّلِّ والمسكنةِ، والثّاني: بمعنى الكفرِ والقتلِ.

ويجدُ الباحثُ أنَّ في كلا التّفسيرينِ تقاربٌ في المعنى، فما الذّلُّ والمسكنةُ والبوءُ بالغضبِ منَ اللهِ تعالى إلّا بسببِ الكُفرِ وقَتلِ النبيّينَ وإنكارِ صفةِ النّبيِّ الأكرمِ ﷺ.

(١) ينظر: التبيان: ١: ٢٧٩.

(٢) نور التوفيق: ٤٥٧.

المطلبُ الثّاني: مفهومُ التّرجيحِ وألفاظهُ:

أوّلًا: مفهومُ الترجيحِ:

ـ في اللّغة:

قالَ صاحبُ مقاييسِ اللّغةِ: «الرّاءُ وَالجيمُ والحاءُ أَصلٌ واحِدٌ، يدُلُّ على رَزانَةٍ وزيادَةٍ. يُقالُ: رَجحَ الشَّيءُ، وهوَ راجحٌ: إذا رزنَ، وهوَ منَ الرُّجحانِ»(١)، وقيلَ: «الرَّاجِحُ: الوازِنُ. ورجحَ الشّيءَ بيَدِهِ: رَزَنهُ ونَظرَ مَا ثِقلُه. وأَرجَحَ الميزانَ، أَي: أَثقلهُ حَتَّى مالَ. وأَرجَحتُ لِفُلَانٍ ورَجَّحتُ تَرجيحًا: إِذا أَعطيتهُ راجِحًا. ورَجَحَ الشّيءُ يَرجَحُ ويَرجِحُ ويَرجُحُ رُجوحًا ورَجَحانًا ورُجْحانًا، ورَجَحَ الميزانُ يَرجَحُ ويَرجِحُ ويَرجُحُ رُجحانًا: مَالَ. ويُقالُ: زِنْ وأَرجِحْ، وأَعطِ راجِحًا»(٢).

فالتّرجيحُ: إمالةٌ وميلانٌ نحو طرفٍ ما لسببٍ مُعيّنٍ.

ـ في الاصطلاح:

هو: «إثباتُ مرتبةٍ في أحدِ الدّليلينِ على الآخرِ»(٣)، وقيلَ: « هو التّفضيلُ، وتقويَةُ أحدِ الاحتمالاتِ أو الأقوالِ أو الأحكامِ على غيرِهِ»(٤)، وقيلَ: « تقويةُ أحدِ الدّليلينِ بوجهٍ مُعتبرٍ، وقيلَ: زيادةُ وضوحٍ في أحدِ الدّليلينِ، وقيلَ: التّقويةُ لأحدِ المتعارِضينِ، أو تغليبُ أحدِ المتقابلينِ»(٥).

وهوَ في الاصطلاحِ التّفسيري: «تقويةُ أحدِ الأقوالِ في تفسيرِ الآيةِ؛ لدليلٍ منَ الأدلّةِ الشّرعيّةِ، أو لقاعدةٍ منَ القواعدِ التّفسيريّةِ التي قرّرها العلماءُ، أو تضعيفُ أو رَدُّ ما سِواهُ»(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢: ٤٨٩، (رجحَ).

(٢) لسان العرب: ٢: ٤٤٥، (رجحَ).

(٣) التعريفات: ٥٦.

(٤) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٠٦.

(٥) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ١: ٤٥٤.

(٦) أسباب الخطأ بالتفسير: ٢: ٩١٩.

وعليهِ فالتّرجيحُ: اختيارٌ، أو تفضيلٌ، أو تقويةٌ لأحدِ الأقوالِ، أو الآراءِ؛ لدليلٍ مُعتبرٍ عندَ المُرجِّحِ، أو ردٌّ، أو توهينٌ للقولِ، أو الرأيّ المُقابلِ.

ثانيًا: ألفاظُ التّرجيحِ:

اعتمدَ المصنِّفُ جملةً من المفرداتِ اللّفظيّةِ في بيانِ وترجيحِ المعاني التّفسيريّةِ للنّصِّ القرآني، ومنها:

أوّلًا: الأحسن:

«الحُسنُ: ضدُّ القُبحِ، وهو الأفضلُ»[1]، ويدلُّ هذا اللفظُ على حُسنِ القَولِ المُختارِ معَ صحّةِ باقي الأقوالِ الأخرى.

ومن ذلكَ نقلُهُ للقراءاتِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، إذ قالَ: «واختلفَ سائرُ القُرّاءِ أيضًا كحمزةَ والكسائيّ وأبي عَمرو ونافعٍ وعاصِمٍ: فكُلُّ موضعٍ كان قبلَهُ خطابٌ فَقراءتُهُ بـ(التّاءِ) أحسنُ؛ لِيكونَ مِن عَطفِ الخطابِ على الخطابِ، ويجوزُ قراءَتُهُ: بـ(الياءِ) على لفظِ الغَيبةِ على معنى: وما اللهُ بغافِلٍ عمَّا يَعملُ هؤلاء اليهودِ مثلًا أيُّها المسلمونَ، وكُلُّ موضِعٍ كانَ غَيبَةً فـ(الياءُ) أحسنُ لِعطفِ الغَيبَةِ على الغَيبَةِ، ويجوزُ: بـ(التَّاءِ) باعتبارِ التّغليبِ»[3].

ثانيًا: أسدُّ وسديدٌ:

«أَسَدُّ: أعظمُ، والتَّسديدُ: التّوفيقُ لِلسَّدَادِ، وَهُوَ الصَّوَابُ وَالْقَصْدُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَرَجُلٌ سَديدٌ وأَسَدُّ: مِنَ السَّدَادِ وَقَصْدِ الطَّرِيقِ، وسدَّده اللهُ: وَفَّقَهُ ، ومُسَدَّدَيْنِ، أَي: لَازِمَي الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وأَمر سَدِيدٌ وأَسَدُّ، أَي: قَاصِدٌ »[4]، وهذا اللّفظُ يدلُّ على صحّةِ الأقوالِ جميعِها ، وهذا القولُ أقصدُها وأسدُّها.

(١) جمهرة اللغة: ١: ٥٣٥، (حسن).

(٢) سورة البقرة ٢: ٧٤.

(٣) نور التوفيق: ٥٣٧.

(٤) لسان العرب: ٣: ٧٢، ٢١٠، (أسد).

فاستعملَ هذا اللّفظَ في بيانِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾[1]، فقد وافقَ المُصنِّفُ العلّامةَ الطّبرسيّ في تفسيرِهِ؛ إذ قال: «وما قالهُ صاحبُ المجمعِ **أَسَدُّ**»[2].

ثالثًا: الأصحُّ:

«الأصحُّ: اسمُ تفضيلٍ من صَحَّ، وهو الأكثرُ صحَّةً»[3]، ويدلُّ هذا اللّفظُ على وجودِ عدَّةِ أقوالٍ مُحتملةِ الصّحّةِ وهذا القولُ أصحُّها.

وقد استعملَ هذا اللّفظَ في إعرابِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4]؛ إذ قالَ: «و(ما) في (لَمَا) في المواضِعِ: اسمٌ موصولٌ مَنصوبُ المحلِّ: اسمٌ لـ(إنَّ)، واللّامُ المفتوحةُ هيَ لامُ الزُّحلُوفَةِ والفارِقةِ، و(مِن خَشيةِ الله): تعليلٌ مُتعلّقٌ بـ(يَهبطَ)، أو بكُلِّ واحدٍ منَ الأَفعالِ الثّلاثةِ وهوَ **الأصحُّ**»[5].

رابعًا: الصّحيحُ:

«والصّحّةُ: ضدُّ المرضِ، وقيلَ: الصّحيحُ: خلافُ الباطلِ، وَهُوَ أَيضًا البراءَةُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَرَيْبٍ»[6]، ويدلُّ هذا اللّفظُ على أنَّ باقي الأقوالِ غيرُ صحيحةٍ، وهذا القولُ هو الصّحيحُ فقط.

كما في قولِهِ: «والظّنُّ: تَرجيحُ أحدِ الجائزَينِ على الآخَرِ لأمارةٍ صَحيحةٍ وليسَ هوَ مِن قَبيلِ الإعتِقاداتِ على **الصّحيحِ** مِنَ المَذهَبِ، وفي النّاسِ مَن قالَ هوَ: اعتِقادٌ، هكَذا قالهُ في المجمَعِ[7]»[8].

---

(1) سورة البقرة ٢: ٦٠.

(2) نور التوفيق: ٤٤٦.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢: ١٢٧٠، (صحح).

(4) سورة البقرة ٢: ٧٤.

(5) نور التوفيق: ٥٤١.

(6) لسان العرب: ٢، ٥٠٧، (صحح).

(7) ينظر: مجمع البيان: ١: ١٩٧.

(8) نور التوفيق: ٥٦١.

خامسًا: الأقوى:

«القُوَّةُ: نَقِيضُ الضَّعْفِ، وَالجَمْعُ قُوًى وقِوًى، وأَقْوَى الحبلَ والوَتر: جَعَلَ بَعْضَ قُواه أَغلظ مِنْ بَعْضٍ»[1]، ويدلُ هذا اللّفظُ على قوّةِ القولِ المختارِ في الدّلالةِ على المعنى المرادِ من باقي الأقوالِ معَ احتِمالِ قوّتِها.

كما في قولِهِ تعالى: ﴿قُلنَا اهبِطُوا مِنهَا جَمِيعًا﴾[2]، فقد كرَّرَ سبحانه الهبوط في الآيتين ٣٦ و٣٨ لوجوهٍ:

«أَحَدُها: وهوَ الأصَحُّ، اختلافُ المقصودِ في الحالَينِ: بأَنَّ الأوّلَ دالٌّ على أنَّ هبوطَهم إلى دارِ البليّةِ، وعَدمِ خلودِهم فيها. والثّاني: على أنَّ هُبوطَهم للابتِلاءِ والتّكليفِ.

وثانيهُما: وهوَ **الأقوَى**، أنَّ المقصودَ منَ الأوّلِ نفسُ الهبوطِ، ومنَ الثّاني: عَدمُ جوازِ تَقدُّمِ المفضولِ على الفاضلِ، والمرؤوسِ على الرئيسِ، والرّعيّةِ على الإمامِ، كَما وردتِ المُعتبرَةُ[3] بأنَّهم أُمِروا أوّلًا بالهُبوطِ، وثانيًا بأن لا يتقدَّمَ أحدُهُم الآخرينَ.

وثالثُها: التأكيدُ ودفعُ توهُّمِ السّهوِ؛ تنبيهًا على أنَّ مخافةَ الهبوطِ المقترنِ بأحدِ هذينِ الأمرينِ، أَعني: العداوةَ والتّكليفَ وحدَه كافيةٌ للعاقلِ الضّابطِ الموقنِ أن تعوقَه عن مخالفةِ أمرِ الله ونهيِهِ، ليخلص إلى القول: وجميعُ هذهِ الوجوهِ حقٌّ»[4].

والنّاظرُ المدقّقُ في هذه الوجوه يجدها تصبُّ في معنًى يكادُ يكون واحدًا، وهو الهبوط إلى دار التّكليفِ والاختبارِ، وعدم الخلودِ فيها، والعمل بما يُرضي الله سبحانه، وبما بيّنَهُ رسلُهُ من أحكامٍ وشرائعٍ.

---

(١) لسان العرب: ١٥: ٢٠٧، (قوي).

(٢) سورة البقرة ٢: ٣٨.

(٣) إذ ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام قولهُ: «كان أمر في الأوّلِ أن يهبطا، وفي الثّاني أمرهُم أن يهبطوا جميعا لا يتقدّمُ أحدُهُم الآخرَ». تفسيرُ الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٤.

(٤) نور التوفيق: ٢٧٧.

سادسًا: الأولى:

(وَلِيَ الشيءَ ووَلِيَ عَلَيْهِ وِلايةً ووَلايةً، والوِلاية، بِالْكَسْرِ: السُّلْطَانُ، والوَلاية والوِلاية: النُّصرةُ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ أَولى بِهَذَا الأَمر مِنْ فُلَانٍ، أَي: أَحقُ بِهِ، وَفُلَانٌ أَولى بِكَذَا، أَي: أَحْرى بِهِ وأَجْدَرُ)[1]، ويدلُّ هذا اللّفظُ أنَّ هذا القولَ هو أكثرُ الأقوالِ اعتمادًا مع احتمالِ صحّةِ باقي الأقوالِ.

كما في إعرابهِ لقولِهِ تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[2]، حينما قالَ: (و(آدمُ) بالرفعِ: [فاعلُ] تلقَّى، و(كلماتٍ) بالنّصبِ: مفعولُهُ؛ وهذا **أولى**؛ لأنّ آدمَ هو المُستقبِلُ الآخِذُ، وبالعكسِ على قراءةِ ابنِ كثيرٍ على معنى: أنَّ الكلماتِ استقبلَت آدمَ وبلَغَتهُ)[3].

سابعًا: الأظهرُ:

(الظّاهرُ ضدُّ الباطنِ، وظهرَ الشّيءُ: تبيَّنَ، وظهرَ على فلانٍ: غلبَهُ، وهُوَ الَّذِي ظَهَرَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَا عَلَيْهِ)[4]، ويدلُّ هذا اللّفظُ على أنَّ القولَ واضِحٌ، وهو أبينُ الأقوالِ وأوضحُها وأعلاها.

كاستعمالِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾[5]، حينما أوردَ المصَنِّفُ أربعةَ أوجهٍ تفسيريّةٍ لهذهِ الآيةِ:

الأوّل: إذا كانَ (ما أُنزِلَ) عَطفًا على (السِّحرِ) في قَولِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، فإنَّ الشّياطينَ كَفَروا بدَلالَتِهم على استِخراجِ كُتُبِ السّحرِ مِن تَحتِ كُرسِيِّ سُليمانَ عليه السلام وبتَعليمِهم النّاسَ ما أُنزِلَ على المَلَكَينِ هاروت وماروت منِ السِّحرِ الّذي نَسَبوهُ إلى سُليمانَ عليه السلام، (أي: ماهيَّةَ السِّحرِ وصِفَتَهُ وكَيفيَّةَ الاحتِيالِ فيهِ؛ لِيُعَرِّفا ذلكَ ويُعَرِّفاهُ النّاسَ فَيجتَنبوهُ، غَيرَ أنَّ الشّياطينَ لمَّا عَرِفُوهُ استَعمَلوهُ، وإن كانَ المؤمنون إذا عَرِفوهُ اجتَنَبوهُ وانتَفَعُوا بالاطِّلاعِ على كَيفِيَّتِهِ)[6].

---

(١) لسان العرب: ١٥: ٤٠٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٣٧.

(٣) نور التوفيق: ٢٥٧.

(٤) لسان العرب:٤: ٥٢٣، (ظهر)، ومختارُ الصّحاح: ١: ١٩٧، (ظهر).

(٥) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

(٦) نور التوفيق: ٧٢٠.

الثاني: إذا كانَ (ما أُنزِلَ) عَطفًا على (مُلكِ سليمانَ) في قَولِهِ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾، فيكونُ المعنى: « واتَّبَعُوا ما كَذَبَ الشّياطينُ على مُلكِ سُليمانَ وعلى ما أُنزِلَ على المَلَكَينِ هاروت وماروت، أي: ما كَذِبُوا بهِ على ألسِنَتِهِما»[1].

الثالث: إذا كانَت (ما) في ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ نافيةً، « فيكونُ المعنى: وما كَفَرَ سُليمانُ ولا أنزَلَ اللهُ السِّحرَ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ، ولكنَّ الشّياطِينَ كَفرُوا يُعلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ.

الرابع: إذا كانَت (ما) في ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ نافيةً، وهاروت وماروت بدلُ بعضٍ من الشياطينِ، والمَلَكينِ هما جبرئيل وميكائيل، « فيكونُ المعنى: وما كَفَرَ سُليمانُ، ولا أنزَلَ اللهُ السِّحرَ على المَلَكَينِ، ولكنَّ الشّياطينَ هاروتَ وماروتَ كَفرُوا يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ ببابلَ.

وقد رجَّحَ المصنِّفُ الوجه الأوّلَ بالقولِ: «والوَجهُ الأوَّلُ مِن هذهِ الأَوجهِ الأربعَةِ هوَ الأصَحُّ و**الأظهرُ**»[2].

ثامنًا: المختارُ:

«اخْتارَ لَكَ الشيءَ واجْتَباه وارْتَجَله، و الخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ، وخايَرَهُ فَخارَهُ خَيْراً: كَانَ خَيْراً مِنْهُ»[3]، و«المختارُ: المنتجب»[4].

نحو بيانهِ للقراءاتِ في (الصّابئينَ) إذ قالَ: « قرأَ نافعُ: الصّابيّين والصّابيّون بتركِ [الهمز] في جميعِ القرآنِ، إمَّا لكونِهِما مأخوذين من صَبا يصبو، أي: مالَ إلى الشّيءِ؛ لأنَّهم مالُوا من سائرِ الأديانِ إلى دينِهِم ، أو من الحقِّ إلى الباطِلِ، فحينئذٍ تركُ الهمزةِ واجبٌ ، وإمَّا من: صَبأَ مهموزُ اللاّمِ، أي:

---

(١) نور التوفيق: ٧٢١.

(٢) نور التوفيق: ٧٢١.

(٣) لسان العرب: ٤: ٢٦٤، (خير).

(٤) القاموس المحيط: ١٣٦، (اختار).

انتقلَ؛ لأنّهم انتقلُوا من دينِهم إلى دينٍ آخَرَ لم يُشرّعْ لهم، وهذا غيرُ فصيحٍ، والجمهورُ: بالهمزِ، وهو **المختارُ** لفظًا ومعنًى)[1].

تاسعًا: الرّاجحُ:

التّرجيحُ: إمالةٌ وميلانٌ نحو طرفٍ ما لسببٍ مُعيّنٍ، وهذا يعني صحّةُ جميعِ الأقوالِ.

كما في إعرابِ قولِهِ تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2]، إذ قالَ: (إِلَّا أَمانِيَّ: منصوبٌ على أَنَّهُ مُستَثنًى مُنقطِعٌ كَقولِهِ تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[3]، وقولِهِ تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[4]، و(إلّا) بمعنى: (لكن) في المستَثنَى المنقَطعِ، والنَّصبُ فيهِ هوَ: الصّحيحُ **الرّاجحُ**، وبَنو تَميمٍ يُجيزونَ فيهِ الابدالَ)[5].

عاشرًا: الأرجحُ:

كما في ترجيحِهِ لقراءةِ (وَصّى) في قولِهِ تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[6]، حينما قالَ: (قَرَأَ أهلُ المدينَةِ، وهُم: أبو جَعفرٍ يَزيدُ بنُ القَعقاعِ، وعَليٌّ مَولاهُ، ونافعُ بنُ عبدِ الرّحمنِ، وأهلُ الشّامِ، كَعبدِ الله بنِ عامرٍ وغَيرِهِم: (أوصَى) بالهَمزَةِ وتَخفيفِ الصّادِ[7]، بدليلِ قَولِهِ تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[8]، وقَولِهِ:

(١) نور التوفيق: ٤٥٩.

(٢) سورة البقرة ٢: ٧٨.

(٣) سورة النساء ٤: ١٥٧.

(٤) سورة الدخان ٤٤: ٥٦.

(٥) نور التوفيق: ٥٦٥.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٣٢.

(٧) ينظر: حجّة القراءات: ١: ١١٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٣.

(٨) سورة النساء ٤: ١١.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[1]، وقَولِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[2]، والباقونَ: (وَصَّى) بتَشديدِ الصّادِ[3]، وهوَ **أرجَحُ**، بدَليلِ قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾[4] فَإنَّ التّوصِيَةَ مَصدرُ (وَصَّى)، مِثلَ بَصَّرَ تَبصِرَةً، وذَكَّرَ تَذكِرَةً، وقَطَّعَ تَقطِعَةً، لكن لا يَجيءُ مِنَ الُمعتَلِّ اللّامِ منهُ تَفعِيلٌ؛ لِكَراهيَّةِ اجتِماعِ ثَلاثُ ياءاتٍ، بَل يُقالُ: تَفعِلَة مِثلَ تَسمِيَة وتَعدِيَة وتَوصِيَة[5].

المطلبُ الثّالثُ: أدلّةُ التّرجيح:

مَرَّ بنا أنَّ الُمصنِّفَ قد انتهجَ المنهجَ الكاملَ في التّفسيرِ، أي: إنَّهُ استفادَ من جميعِ الأدواتِ والمصادرِ والإمكانيَّاتِ اللّازمةِ لبيانِ معنى النّصِّ الشّريفِ، فهو قد استعانَ في تفسيرِهِ بالقرآنِ الكريمِ، والرّواياتِ الشريفةِ، والقرائنِ العقليّةِ، مرورًا باللّغةِ والأدبِ والفقهِ والكلامِ، وذلك ما نلمسهُ منَ الأدلّةِ التي اعتمدها في ترجيحاتهِ التّفسيريّةِ، والتي منها:

أوّلًا: ظاهرُ القرآنِ:

ومن ذلكَ ما أوردهُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[6]؛ إذ اعترضَ على ابن عبّاس في تفسيرِهِ لهذه الآيةِ حينما قال: «إنَّ الزّكاةَ الّتي فَرَضَها اللهُ سبحانهُ على بَني إسرائيلَ كانَت قُربانًا تَهبِطُ إليهِ نارٌ من السَّماءِ فَتَحمِلُهُ فكانَ ذلكَ تَقَبُّلُهُ، ومَتى لَم تَفعلِ النّارُ بهِ ذلكَ كانَ غيرَ مُتَقَبَّلٍ»[7]، بالقول:

«وفي قَولِ ابنِ عبّاسٍ نَظَرٌ ظاهرٌ: فإنَّ ذلكَ القُربانَ ليسَ من الزّكاةِ ولَم يُسَمَّ بها أَصلًا، والُمستَحِقُّ في زمنِهم موجودٌ بَل أَكثَر مِن زمنِ هذهِ الأُمَّةِ، بَل الزَّكاةُ واجبَةٌ في أَموالِهم للفُقراءِ والمساكِينِ كَما تَجبُ

(١) سورة النساء ٤: ١١.

(٢) سورة النساء ٤: ١٢.

(٣) ينظر: حجّة القراءات: ١: ١١٥، وغيث النفع في القراءات السبع: ١: ٩٣.

(٤) سورة يس ٣٦: ٥٠.

(٥) نور التوفيق: ٩٣٠.

(٦) سورة البقرة ٢: ٨٣.

(٧) مجمع البيان: ١: ٢٨٦.

في أَموالِ المسلمينَ مِن غَيرِ فَرقٍ؛ لأنّهم مُكلّفونَ بفروعِ الدّينِ وأُصولِهِ كالمسلِمينَ مِن غَيرِ تَفرقَةٍ، بَل ذلكَ القُربانُ أَمرٌ آخَرَ غيرَ الزّكاةِ وكانَ ذلكَ فيهِم دليلًا على صِدقِ مُدَّعي النُّبوَّةِ والإمامةِ، ومَن كانَ مُحقًّا ومَن كانَ مُبطِلًا كَما حَكَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَنهم في سورةِ آلِ عِمرانَ بقولِهِ: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾(١)، وفي سورةِ المائدةِ عَن ابنَي آدمَ قابيلَ وهابيلَ في استِحقاقِ الإمامةِ والرّسالةِ والخِلافةِ لآدمَ عليه السلام»(٢)؛ إذ قالَ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

ثانيًا: الجمعُ بينَ القرآنِ والرّوايةِ:

وأيضًا نجدُ المصنِّفَ في أحايينَ أخرى يرفدُ النّصَّ الشريفَ بروايةٍ تفسيريّة بيانيّة يدعمُ فيها المعنى الذي يختارهُ، ومن الأمثلةِ على ذلكَ ما ذهبَ إليهِ العلّامةُ الطبرسيّ من أنَّ الله سبحانه خلقَ آدمَ للأرضِ إن عصى، ولغيرِها إن لم يعصِ، وقال الحسنُ البصريّ: لَم يخلقِ اللهُ آدمَ إلّا لِلأرضِ، ولَو لَم يَعصِ لأخرَجَهُ إلى الأرضِ على غَيرِ تلكَ الحالِ، واختار المصنِّفُ قولَ الحسنِ البصريّ، واستدلّ لذلكَ بالقولِ: «أقولُ: ظاهرُ القرآن إنّي جاعلٌ في الأَرضِ خليفةً، والأحاديثُ تُقوّي قولَ الحسنِ بل تُعيّنُ ذلكَ كما لا يخفى»(٤) ، وفي العُيونِ: عنِ الرّضا عليه السلام: «وأمَّا قولُه تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإنّ اللهَ عزّ وجَلَّ خَلقَ آدمَ حُجّةً في أَرضهِ وخَليفةً في بلادهِ ولم يخلقهُ للجنَّةِ، وكانت المعصيةُ مِن آدمَ في الجنَّةِ لا في الأرضِ؛ لِيتمَّ مقاديرُ الله عَزَّ وجَلَّ فلمّا أُهبِطَ إلى الأرضِ وجُعِلَ حُجّةً وخليفةً عُصِمَ بقولِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾(١)»(٢).

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٨٣.

(٢) نور التوفيق: ٥٩٥.

(٣) سورة المائدة ٥: ٢٧.

(٤) نور التوفيق: ٢٦٠ .

(١) سورة آل عمران ٣: ٣٣.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ١٧١، بتغيير طفيف.

ثالثًا: مرويّاتُ أهلِ البيتِ عليهم السلام:

ويُعدُّ هذا المنهجُ من أقدمِ مناهجِ التفسيرِ، وقد اعتمدهُ كثيرٌ منَ المفسّرينَ وخاصّةً في القرونِ المتقدِّمةِ؛ لما لهُ من دقَّةٍ ووضوحٍ ووصولٍ إلى المعنى التفسيريّ من غيرِ التباسٍ، كتفسيرَي القمّيّ والعيّاشيّ، وغيرِهما، وهو ما سارَ عليهِ المصنِّفُ في تفسيرِهِ نورُ التّوفيقِ، كما نجدُهُ أيضًا قد اعتمدهُ في ترجيحِ بعضِ الأقوالِ التّفسيريّةِ على غيرِها، كما في قولِهِ تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1]، فقد أوردَ المصنِّفُ جملةً من أقوالِ المفسِّرينَ في بيانِ وتحديدِ الجنّةِ الّتي أُخرِجَ منها آدمُ عليه السلام؛ إذ ذَهبَ أكثرُ المفَسِّرينَ والحَسَنُ البَصرِيّ[2] وعَمرو بنُ عُبيدٍ[3] وواصِلُ بنُ عَطاءٍ[4] وكَثيرٌ مِنَ المُعتزلَةِ كالرُّمَّانِيُّ[5] والجُبّائِيُّ[1] إلى أنَّها: جَنَّةُ الخُلدِ؛ لأنَّ الألفَ واللّامَ للعَهدِ، وقالُوا أيضًا: وقَولُ مَن يَزعُمُ أنَّ جَنَّةَ الخُلدِ مَن يَدْخُلُها لا يَخرُجُ مِنها غَيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّ ذلكَ إنَّما يَكونُ إذا استَقَرَّ أهلُ الجَنَّةِ فِيها للثّوابِ، فَأمَّا قَبلُ فإنَّها تَفنَى لِقَولِهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥

(٢) أبو سعيد بن يسار: امام أهل البصرة وفقيهها، من كبار التابعين ومن الزّهّاد العبّاد، من كتبه: كتاب التفسير للقرآن، والرّدّ على القدريّة، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٠٢، والأعلام: ٢: ٢٢٦.

(٣) أبو عثمان بن باب مولى بني العدوية من بني تميم، متكلّم مُفسِّر، من كتبه: كتاب العدل والتوحيد، والرّدّ على القدرية، توفي سنة (١٤٤هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٠٣، ومعجم المؤلفين: ٨: ٩.

(٤) أبو حذيفة مولى بني ضبّة، لازم مجلس الحسن البصري حتّى اعتزله فسُمِّيَ أصحابه بالمعتزلة، من كتبه: كتاب التوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، توفي سنة (١٣١هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٠٢، والأعلام: ٨: ١٠٨.

(٥) أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّمّاني: النحويّ المتكلم، أخذ الأدب عن ابن دريد وابن السراج، وروى عنه أبو القاسم التّنوخيّ، تفنّن في علوم القرآن والنحو والفقه والكلام، من مؤلفاته: كتاب معاني الحروف، وشرح الصفات، وكتابي الحدود الأكبر والأصغر، توفي سنة (٣٨٤هـ). ينظر: وفيّات الأعيان: ٣: ٢٩٩، ترجمة رقم: ٤٣٥، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢: ٣١٦.

(١) أبو عليّ محمّدُ بنُ عبد الوهاب الجبّائيّ: أحدُ أئمّةِ المعتزلةِ في البصرة، كانَ إمامًا في الكلامِ، توفي سنة (٣٠٣هـ). ينظر: فهرست ابن النّديم: ٢١٧.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٨٨. و ينظر: التّبيان: ١: ١٥٦، ومفاتيح الغيب: ٣: ٤٥٢، والكشّاف: ١: ١٢٨، ومجمع البيان: ١: ١٦٨، وزاد المسير في علم التفسير: ١: ٥٥.

وقالَ أبو هاشمٍ[١]: (هيَ جَنَّةٌ مِن جِنانِ السّماءِ غَيرُ جَنَّةِ الخُلدِ؛ لأنَّ جَنَّةَ الخُلدِ أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها، وَلا تَكليفَ فيها)[٢].

وذَهبَ أبو مُسلمٍ[٣] إلى أنَّ: (قولَهُ تعالى بَعدَ ذلكَ: اهبِطُوا، لا يَقتَضِي كَونَها في السَّماءِ؛ لأَنَّهُ مِثلَ قولِهِ تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾[٤]، واستَدَلَّ بعضُهُم أيضًا على أنّها أيضًا لَمْ تكنْ جَنَّةَ الخُلدِ بقولِهِ تعالى حِكايَةً عَن ابليسَ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[٥] فَلَو كانَت جَنَّةَ الخُلدِ لَكانَ آدمُ عالمًا بذلكَ ولَمْ يَحتَجْ إلى دَلالةٍ)[٦] .

ورجّحَ المصنِّفُ منَ الأقوالِ السّابقةِ ما اختاره أبو مسلم، وهي كونها من جنانِ الدّنيا[٧]، واستدلَّ لذلكَ بأدلّةٍ، منها: أنّهُ سُئِلَ أبوعَبدِ الله عليه السلام عَن جَنَّةِ آدمَ؟ فَقالَ: «جَنَّةٌ مِن جنانِ الدُّنيا تَطلُعُ فيها الشّمسُ والقَمَرُ، ولَو كانَت مِن جنانِ الآخِرَةِ ما خَرَجَ مِنها أبدًا»[١].

وأيضًا في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾[٢]، إذ وافق المُصنِّفُ العلّامةَ الطّبرسيّ في تفسيرِهِ في قولِهِ: (متى سُئِلَ فقيل: كيف يجتمعُ ذاكَ الماءُ في ذلكَ الحجرُ الصغيرُ، وهل يمكنُ ذلكَ؟

---

(١) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ المعتزليّ، من كبار علماء المعتزلة ومفكريها، توفي سنة ٣٢١هـ. ينظر: وفيّات الأعيان: ٣: ١٨٣، ترجمة رقم: ٣٨٣، والوافي بالوفيّات: ١٨: ٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ١١: ١٤٣، والنّور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ٣٥.

(٣) محمد بن بحر الأصفهانيّ المعتزليّ، عالم بالتفسير ومختلف العلوم، ولي بلاد فارس واصفهان، له العديد من المصنفات، منها: جامع التأويل في التفسير وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب في النحو، توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢: ١٧٥، والأعلام: ٦: ٥٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٥) سورة طه ٢٠: ١٢٠.

(٦) مجمع البيان: ١: ١٧٦.

(٧) ينظر: نور التوفيق: ٢١٨.

(١) الكافي: ٣: ٢٤٧، حديث رقم: ٢.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦٠.

الجوابُ: إنَّ ذلكَ من آياتِ الله الباهرةِ بالأعاجيبِ الظاهرةِ الدالةِ على أنَّها من فعلِ الله المُنشئِ للأشياءِ، القادرِ على ما يشاءُ، الذي تذلُّ لهُ الصّعابُ، وتَتسبَّبُ بلطفِهِ الأسبابُ، فلا بِدعَ مِن كَمالِ قدرتِهِ وجلالِ عِزّتِهِ أن يبدعَ خَلقَ المياهِ الكثيرةِ؛ ابتداءً مُعجزةً لموسى عليه السلام، ونعمةً عليهِ وعلى قومِهِ، ومَنِ استبعَدَ ذلكَ من المُلحدَةِ الذينَ ما قَدروا اللهَ حقَّ قدرِهِ ولم يعرفوهُ حقيقةَ معرفتِهِ، فالكلامُ عليهم إنَّما يكونُ في وجودِ الصّانعِ وإثباتِ صفاتِهِ، واتِّساعِ مقدوراتِهِ، ولا معنى للتّشاغلِ بالكلامِ معهم في الفَرعِ مع خِلافِهِم في الأَصلِ»[1]، في قبالةِ قولِ البيضاويّ: «ومَن أنكرَ أمثالَ هذه المعجزاتِ فلغايةِ جهلِهِ باللهِ وقلّةِ تدبّرِهِ في عجائِبِ صنيعِهِ، فإنَّه لَمَّا أمكنَ أن يكونَ منَ الأحجارِ ما يَحلِقُ الشّعرَ ويُنفِّرُ الخيلَ ويجذبُ الحديدَ لم يمتنعْ أن يخلقَ اللهُ حجرًا يُسخِّرُهُ لجذبِ الماءِ من تحتِ الأرضِ، أو لجذبِ الهواءِ من الجوانبِ وتصييرِهِ ماءً بقوّةِ التّبريدِ ونحوَ ذلكَ»[2].

إذ قال: «وما قالهُ صاحبُ المجمعِ أَسَدُّ»[3]، كما استدلَّ لذلكَ بما وردَ عن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في جوابِهِ ليهوديٍّ من يهودِ الشّامِ: «وقد كانَ يومُ الميضاةِ عِبرةً وعَلامةً للمنكرينَ لنبوَّتِهِ صلى الله عليه وآله كحجَرِ موسى عليه السلام، حيثُ دعا بالميضاةِ[4] فنصَبَ يدَهُ فيها فَفاضَت بالماءِ وارتفعَ حتّى توضَّأَ منهُ ثمانيةُ آلافِ رجلٍ وشَرِبوا حاجَتَهم وسَقَوا دوابَّهم وحَمَلوا ما أَرادوا»[5].

وفي قَولِهِ تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾[1]، في بيانِ المصنِّفِ لمعنى الأسباطِ وأنَّ المقصودَ بهم أبناءُ يَعقوبَ عليه السلام وهم اثنا عَشَرَ، قد أنجبَ كُلُّ واحدٍ مِنهُم أُمَّةً مِنَ النّاسِ؛ فَسُمُّوا الأسباطَ، تعرّضَ إلى ذكرِ أقوالِ المفسّرينَ فيهم، واعتراضِهِ عليهم،

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٣٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ١: ٨٣.

(٣) نور التوفيق: ٤٤٦ .

(٤) هي: «مَطهَرةٌ، وهي: التي يُتوضَّأُ فيها أو منها». العين: ٧: ٧٦، (وضأ).

(٥) الاحتجاج: ١: ٣٢٥.

(١) سورة البقرة ٢: ١٣٦.

فقال: (قالَ بعضُ المُفسّرينَ: إنَّ أولادَ يعقوبَ عليه السلام كانُوا كُلُّهُم أنبياءَ[1]، وَليسَ كَذلكَ؛ لأنَّ الّذي يَقتَضِي مَذهبُنا أنّهُم لَمْ يكونوا أنبياءَ بأجمَعِهِم.

مُعلّلًا ذلك بوجوهٍ:

الأوّلُ: بما صدرَ عنهم من المعصيةِ وظلمِ أخيهم يوسف، والنَّبيُّ لا تصدرُ منهُ المعصيةَ بل هو مَعصومٌ مِنَ ارتكابِ القَبائحِ كُلّها[2].

الثاني: إنَّهُ (لَيسَ في ظاهرِ القرآنِ ولا في السُّنَّةِ ما يَدُلُّ على أنَّهُم كانُوا جَميعًا أنبياءَ إلّا يُوسُفَ عليه السلام، وأمّا قَولُهُ تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ فَلا يَدُلُّ عَلى أنّهُم كانُوا أنبياءَ؛ لأنَّ الإنزالَ يَجوزُ أن يَكونَ عَلى بعضِهِم مِمَّن كانَ نَبيًّا ولَمْ يَصدرْ منهُ ما ذَكرناهُ مِنَ الأفعالِ القَبيحَةِ، مَعَ إنَّا قَد ذَكَرنا أنّهُ لَمْ يَنزلْ إليهِم شَيءٌ بَل هُم مُتَعبّدونَ بِما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ مِنَ الصُّحُفِ فَهوَ مِثلُ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ بالنِّسبَةِ إلى المؤمنينَ فَإنَّ النُّزولَ كانَ على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله خاصّةً لكن لَمَّا كانَ المؤمنونَ مَأمورينَ بالتَّعبُدِ بِما فيهِ أُضِيفَ الإنزالُ إليهِم)[3].

الثالثُ: ما رَواهُ العَيّاشي: عَن أبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام قالَ: قُلتُ لهُ: أكانَ وُلدُ يَعقوبَ عليه السلام أنبياءَ؟ قالَ: «لا، وَلكنَّهُم كانُوا أسباطَ أولادِ الأنبياءِ، ولَمْ يكونوا فارَقُوا الدُّنيا إلّا سُعَداءَ تابُوا وتَدارَكُوا ما صَنَعُوا»[4].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]، بعد أن نقلَ كلامَ العلّامةِ الطبرسيّ في بيانِ نزولِ الآيةِ المباركةِ حينما قال: (قِيلَ: نَزَلَت في أهلِ السّفينةِ الّذينَ قَدِمُوا مَعَ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام مِنَ الحَبَشَةِ، وكانوا

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي: ٦: ٢٠٩، وتفسير البغوي: ١: ١٧٢، وتفسير الرازي: ١١: ٣٣١.

(٢) ينظر: نور التوفيق: ٩٥٧.

(٣) نور التوفيق: ٩٥٨.

(٤) تفسير العياشي: ١: ٦٢، حديث رقم: ١٠٦.

(١) سورة البقرة ٢: ١٢١.

أربعينَ رَجُلًا: اثنان وثَلاثونَ مِنَ الحَبشَةِ، وثَمانيَةٌ مِن رُهبانِ الشّامِ، منهُم بُحيرَى الرّاهبُ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، وقيلَ: هُم مَن آمَنَ مِنَ اليَهودِ كَعبدِ الله بنِ سَلامٍ وشُعبَة بنِ عَمرٍو وتَمامِ بنِ يَهوذا وأسَدٍ وأُسَيدٍ ابنَي كَعبٍ وابنِ يامِينَ وابنِ صُوريا، عَنِ الضّحّاكِ، وقيلَ: هُم أصحابُ مُحمَّدٍ ﷺ، عَن قَتادَةَ وعِكرِمَةَ، وعَلى القَولينِ الأوّلينِ يكونُ المرادُ بالكِتابِ: التّوراةَ، وعلى القَولِ الأخيرِ المُرادُ بهِ: القُرآنَ)[1] ، أضاف عليه: (وعلى الأقوالِ الثّلاثَةِ يَجوزُ أن يكونَ المرادُ بالكِتابِ: القُرآنَ، وسنَذكُرُ ذلكَ مُفصَّلًا في سورةِ المائدَةِ عندَ ذِكرِ مُهاجَرَةِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه إلى الحَبشَةِ عندَ قَولِهِ تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ـ إلى قَولِهِ ـ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾[2] الآياتِ الثّلاثِ)[3].

مُستدلًا أيضًا بما وردَ عن أبي عبد الله عليه السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، إذ قال: « هُمُ الأئِمَّةُ عليهم السلام»[4]، (فالمُرادُ بالكِتابِ حينئذٍ هوَ: القُرآنُ أيضًا)[5].

رابعًا: العقلُ:

فقد استفادَ المصنِّفُ من القرائنِ العقليّةِ لتحديدِ وبيانِ المقصَدِ من الآيةِ المباركةِ، وهذه القرائنُ مقبولةٌ من جميعِ العقلاءِ في فهمِ وبيانِ معاني الكلماتِ والتّراكيبِ، من ذلكَ قولُهُ تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾[1]، إذ قالَ الحسَنُ البَصريّ في الآيةِ المذكورةِ: أرادَ بـ(صفراءُ فاقعٌ

(١) مجمع البيان: ١: ٣٧٠، وينظر: أسباب النزول للواحدي: ١: ٤٠.

(٢) سورة المائدة ٥: ٨٢ ـ ٨٤.

(٣) نور التوفيق: ٨٣٥.

(٤) الكافي: ١: ٢١٥، حديث رقم: ٤.

(٥) نور التوفيق: ٨٣٥.

(١) سورة البقرة ٢: ٦٩.

لَونُها): سَوداءَ شديدةُ السَّوادِ، كما يقالُ: ناقةٌ صَفراءُ، أي: سوداءُ[1]، وبهِ فُسِّر قولُهُ تعالى: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[2]، وقالَ الأعشى:

تلكَ خَيلي منهُ وتلكَ رِكابي هُنَّ صُفرٌ أَولادُها كالزَّبيبِ[3]

فقد اعترضَ المصَنِّفُ عليهِ بالقولِ: (وفيهِ نَظَرٌ؛ لأنَّ الصُّفرةَ بهذا المعنى لا يُوصَفُ بالفُقوعِ، وإنَّما تُوصَفُ بالحُلوكِ والحالِكِ والغِربيبِ والدّجوجي، وأيضًا وَصفُ شَرارةِ النّارِ بالسَّوادِ وتَفسيرُها بهِ غيرُ معقولٍ، وأيضًا إنَّ الإبِلَ إن وُصِفَت بهِ فَلا يُوصَفُ البَقَرُ بهِ)[4].

خامسًا: السّياقُ:

سياقُ الكلامِ: (تتابعُهُ واسلوبهُ الذي يجري عليهِ)[1]، فهو (كلُّ ما يُحيطُ بالنّصِّ من عواملٍ داخليّةٍ أو خارجيّةٍ لها أثرٌ في فهمهِ)[2]، وللسّياقِ منزلةٌ كبيرةٌ في التفسيرِ والتَرجيحِ عند المفسِّرينَ، ومنهم المُصنِّفُ، نحو: اعتراضُهُ على العلّامةِ الطبرسيّ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

(١) ينظر: جامع البيان: ١: ٤٩٠، والتبيان: ١: ٢٩٧، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٣٤.

(٢) سورة المرسلات ٧٧: ٣٣، وينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨٧.

(٣) البيت من الخفيف. ديوانه: ٣٨٥، وينظر: خزانة الأدب: ٥: ٤٠٨.

والشاهد فيه: استعماله اللون الأصفر بمعنى الأسود، وهو ما اعتمده الماتريدي والثعلبي في تفسيريهما لآية سورة المرسلات. ينظر: تفسير الماتريدي: ١٠: ٣٨٥، وتفسير الثعلبي: ١٠: ١١١.

وقائله: أبو بصير ميمونُ بنُ قيسٍ بنُ جندلٍ من بكرِ بن وائلٍ، من شُعراءِ الطّبقةِ الأولى في الجاهليّةِ، وأحدُ أصحابِ المعلّقاتِ، لُقِّبَ بالأعشى لضعفِ بصرِه، عاشَ عُمرًا طويلًا، وأدركَ الإسلامَ ولم يُسلمْ، وقيلَ: إنّه خرجَ يُريدُ النّبيَّ ﷺ فقالَ شعرًا حتّى إذا كانَ ببعضِ الطريقِ نفرت بهِ راحلتُهُ فقتَلَتهُ، توفي سنة (٧ هـ). ينظر: جمهرة أشعار العرب: ٨٠، وشرح المعلقات التسع: ١٧، والأعلام: ٧: ٣٤١.

(٤) نور التوفيق: ٤٩٧.

(١) المعجم الوسيط: ٤٦٥.

(٢) السّياق القرآني: ٢٢.

وَالصَّلَاةِ﴾ [1]؛ إذ قال العلّامةُ: «قالَ الجبّائي: إنَّهُ خطابٌ للمسلمينَ دونَ أهلِ الكتابِ، وقالَ الرّمّاني وغيره: هو خطابٌ لأهلِ الكتابِ ويتناولُ المؤمنينَ على وجهِ التّأديبِ، والأولى أن يكونَ خطابًا لجميعِ المكلفينَ لفقدِ الدّلالةِ على التّخصيصِ، ويُؤيّد قولَ مَن قال: إنّه خطابٌ لأهلِ الكتابِ إنَّ ما قبلَ الآيةِ وما بعدَها خطابٌ لهم»[2]، لِيُشيرَ بعدهُ إلى أنَّ استدلالَهُ هذا ناتجٌ من كونِ الخطابِ بما قبلَ الآيةِ وما بعدَها متّجهٌ إلى أهلِ الكتابِ، وقد غابَ عنهُ أنَّ ذلكَ في الكتابِ المجيدِ كثيرٌ، وقد استدلَّ المصنِّفُ لاعتراضه بآيةِ التطهير؛ إذ إنَّ ما قبلها وما بعدها خطابٌ خاصٌّ بنساء النبيِّ ﷺ، وهنَّ خارجاتٌ عن مقصودِ آيةِ التطهيرِ[3].

سادسًا: الإعرابُ:

«وَهُوَ الإِبانةُ، يُقَالُ: أَعْرَبَ عَنْهُ لِسانهُ وعَرَّبَ، أَي: أَبانَ وأَفصَحَ، وإِنما سُمِّيَ الإِعراب إِعراباً؛ لِتَبْيِينِهِ وإِيضاحه، والإِعْراب الَّذِي هُوَ النَّحْوُ، إِنّما هُوَ الإِبانَةُ عَنِ المَعَانِي بالأَلفاظ. وأَعْرَبَ كلامَه إِذا لَمْ يَلْحَنْ فِي الإِعرابِ»[4]، وقد استفادَ المصنِّفُ من الوجوهِ الإعرابيّةِ في تفسيرِهِ، وكذا في ترجيحِهِ لبعضِ الأقوالِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾[1]، فقد نقلَ المصَنِّفُ قولَ الفرّاءِ وقطربٍ وثعلب[2] بالمرادِ بالفرقانِ في هذه الآية، إذ قالوا: « المرادُ بالفرقانِ

(١) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ١٩٤.

(٣) ينظر: نور التوفيق: ٣٣٢.

(٤) لسان العرب: ١: ٥٨٩، (عرب).

(١) سورة البقرة ٢: ٥٣.

(٢) الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: إمام الكوفيّين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، من كتبه: المقصور والممدود، ومعاني القرآن، واللغات، توفي سنة (٢٠٧هـ). ينظر: معجم الأدباء: ٦: ٢٨١٣، والأعلام: ٨: ١٤٥.

قطرب: هو: محمد بن المستنير بن أحمد المعروف بقطرب البصري النحوي اللغوي، أخذ النحو عن سيبويه وجماعة من علماء عصره، له عدّة مصنّفات منها: معاني القرآن، والقوافي، توفي سنة (٢٠٦هـ). ينظر: نزهة الألباء في

القرآنُ)[1]، والتّقديرُ: وإذ آتينا موسى الكتابَ ومُحمّدًا الفرقانَ، نظيرُ ذلكَ: حذفُ العاملِ المناسبِ لِمعطوفٍ لا يُشاركُ المعطوفَ عليهِ في العاملِ المذكورِ، كما في قولِ الشاعرِ:

عَلّفتُها تِبنًا وماءً باردًا حَتّى شَتت هَمالَةً عيناها [2]

في حين أنَّ المُصنِّفَ لا يُوافقهم هذا القول مُبيِّنًا أنَّ المرادَ بالكتابِ: (التّوراةُ، وبالفرقانِ: سائرُ معجزاتهِ الفارقةِ بين الحقِّ والباطلِ والمؤمنِ والكافرِ، مِن العصا واليدِ البيضاءِ وانفلاقِ البحرِ وانفجارِ الحجرِ إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ التّسعِ)، لِيُعقِّبَ بعدها بالقول: (ويُبَعِّدُ هذا الوجهَ أنَّه سبحانهُ أخبرَ أنَّه أعطى موسى الفرقانَ وضياءً وذكرًا)[3]، كما استدلَّ لذلك بالوجوه الإعرابيّة للفرقانِ، إذ قال: (و(الفرقانَ): عطفٌ على الكتابِ عطفَ الجزءِ على الكلِّ على وجهٍ، أو عطفَ الشّيءِ على نفسهِ باعتبارِ اختلافِ اللّفظينِ، أو عطفُ الشّيءِ على مُغايرهِ كما هو الأصلُ في العطفِ)[1]، إضافة إلى أنَّ الحملَ على الحقيقةِ أولى من المجازِ أو التغليبِ.

طبقات الأدباء: ٧٧، ومعجم الأدباء: ٦: ٢٦٤٦.

ثعلب: هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي: العلامة المحدث، إمام الكوفيين في النحو، له مصنفات عديدة منها: الفصيح والتصانيف، واختلاف النحويين ، والقراءات، ومعاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٧.

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٣٧، ومجمع البيان: ١: ٢١٥.

(٢) البيت من الرجز، وهو مجهول القائل. ينظر: الخصائص: ٢: ٤٣٣، وشرح ابن عقيل: ١: ٥٩٥، الشاهد: ١٦٦، وقد ورد صدر البيت عن ذي الرمّة في ديوانه: ٣: ١٨٦٢، بقوله من الرجز:

لمّا حططت الرّحل عنها واردًا علّفتها تبنًا وماءً باردًا

(٣) نور التوفيق: ٣٨٩.

(١) نور التوفيق: ٣٨٦.

سابعًا: القراءات:

ومن ذلكَ ما وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]، إذ قَرَأَ عبدُ الله بنُ عامرٍ: فَأُمْتِعُهُ، بسكونِ الميمِ وكَسرِ التّاءِ مُخفَّفًا، مِن أمتعَ مِن بابِ الأفعالِ وهي لغَةٌ، والباقونَ: فَأُمَتِّعُهُ، بفتحِ الميمِ وكَسرِ التّاءِ مُشدَّدًا[2]، مِن مَتَّعَ مِن بابِ التّفعيلِ، وهذهِ القراءةُ أولَى وأحسنُ لِورودِ هذهِ اللّغة في القرآنِ، قالَ تعالى: ﴿ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً﴾[3]، وقالَ: ﴿ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾[4] وعلى هاتَينِ القراءتَينِ ضَميرُ (قالَ) عائِدٌ إلى الله تعالى، وَرُوِيَ عَن ابنِ عَبّاسٍ في الشّواذِّ: (فَأَمْتِعْهُ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) بِصِيغَةِ الأمرِ على الدُّعاءِ مِن إبراهيمَ عليه السلام[5]، وعلى هذهِ القراءةِ ضميرُ (قالَ) لإبراهيمَ عليه السلام، أي: وقالَ إبراهيمُ: وَمَن كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَليلًا يا رَبِّ ثمَّ أضطَرُّهُ إلى عَذابِ النّارِ، وإنّما حَسُنَ إعادَةُ (قالَ) لِطُولِ الكَلامِ وتَغييرِ المَقامِ؛ لانتِقالِهِ مِنَ الدُّعاءِ لِقَومٍ إلى الدُّعاءِ عَلى آخَرينَ، ويَحتَمِلُ أيضًا عَلى هذهِ القراءَةِ أن يكونَ ضَميرُ قالَ اللهُ تعالى عَلى طَريقِ التَّجريدِ[1]، ومُخاطَبَةِ الإنسانِ لِنفسِهِ، أي: قالَ اللهُ تعالى: فَأَمْتِعْهُ يا إلهَ العَالمينَ عَلى حَدِّ قَولِ الأعشى:

وَدِّع هُرَيرَةَ إنَّ الرَّكبَ مُرتَحِلٌ   وهَل تُطيقُ وَداعًا أيُّها الرَّجُلُ[2]

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٦.

(٢) ينظر: السّبعة في القراءات: ١: ١٧٠، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٢١.

(٣) سورة هود ١١: ٣.

(٤) سورة القصص ٢٨: ٦١.

(٥) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٤.

(١) وهو: «أن تأتي بكلامٍ يكونُ ظاهرُهُ خطابًا لغيرِكَ وأنتَ تُريدُهُ خطابًا لنفسِكَ، فتكونُ قد جَرَّدتَ الخطابَ عن نفسِكَ وأخلصتَهُ لغيرِكَ». المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢: ١٢٨.

(٢) البيت من البسيط، ديوانه: ٥٥، وينظر: خزانة الأدب: ٦: ٤٣٧، من قصيدةٍ يتغزّلُ فيها بمحبوبتِهِ هريرة.

وقُرِئَ: (نُمَتِّعُهُ ثمَّ نَضطَرُّهُ) على صِيغَةِ المُتكَلِّمِ مَعَ الغَيرِ(1)(2).

وكذلك ما أوردهُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(3)، فقد (رُوِيَ في الشَّواذِّ: عن أَبي عَمرو بنِ العلاءِ (وآيَدْناهُ) على وَزنِ (أَفعَلناهُ) من بابِ (الافْعالِ)، والجمهورُ (أَيَّدناهُ) بالتَّشديدِ منَ التَّأييدِ(4)، وهذهِ القراءةُ هيَ الأصلُ والأصَحُّ؛ لأنَّ عَينَ الكَلمةِ بَقِيَت على حالِها منَ الصِّحّةِ معَ حُصولِ التَّخفيفِ بالإدغامِ، وأمَّا على قِراءةِ (آيَدْناهُ) على أَفْعَلْناهُ يَلْزَمُ تَوالِي الإعلالَينِ عَلى ما هوَ القِياسُ، ومَعنى ذلكَ: أنَّهُ لَو أُعِلَّت عَينُهُ كَما يَجِبُ إعلالُ أَفْعَلْتُ منَ الأجوَفِ الواوي واليائي مثلَ: أَقَمتُ وأَبَعتُ لَزِمَ فيهِ إعلالانِ؛ لأنَّ أَصلَ: آيَدتُ: أَءْيَدْتُ، كَما أَنَّ أَصلَ: آمَنَ: أَءمَنَ فانقَلَبتِ الهمزَةُ الثّانيةُ أَلفًا؛ لاجتِماعِهِما في كَلِمةٍ واحدَةٍ وكَونِ الأُولى منهُما مَفتوحةً والثّانيةِ ساكنَةً، وكانَ يَجبُ أن تُلْقَى حَرَكةُ العَينِ الّتي هيَ الياءُ على فاءِ الكَلمةِ ويُحذَفُ العَينُ كَما أُلقِيَت حَرَكةُ الواوِ والياءِ في أَقْوَمْتُ وأَبْيَعْتُ إلى القافِ والباءِ فَصارَا: أَقَمْتُ وأَبَعْتُ، وكانَ يجبُ على هذا أيضًا أن تُقْلَبَ الفاءُ الّتي هيَ الهمزةُ الثانيَةُ واوًا؛ لأنَّها قَد تَحرَّكَت وانفَتَحَ ما قَبلَها ولا بدَّ مِن قَلبِها واوًا؛ لاجتِماعِ الهمزَتينِ المُتَحرّكتينِ المفتوحَتينِ، كَما قُلِبَت وُجُوبًا في تَكسيرِ آدَمَ على أَوَادِمَ، أَصلُهُ: أَءَادِمُ قُلِبَتِ الهمزَةُ الثّانيةُ واوًا وُجوبًا كَما بُيِّنَ في موضعِهِ، معَ أنَّ أَصلَ: آدم: أَءْدَمُ، فكانَ يَجبُ أن يقالَ: أَوَدْناهُ بروحِ القُدُسِ، كَأَقَمناهُ فتُحذَفُ الياءُ الّتي هيَ عينُ الكَلمةِ فيَلزَمُ فيهِ إعلالانِ: قَلبُ الفاءِ الّتي هيَ الهمزةُ الثّانيةُ واوًا وحَذفُ العينِ الّتي هيَ الياءُ فَيَعتَلُّ الفاءُ والعينُ جميعًا، وإذا لَم يُعتَلّ عينهُ الّتي هيَ

(1) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٨، وهي قراءة أُبيّ.

(2) نور التوفيق: ٨٨٨.

(3) سورة البقرة ٢: ٨٧.

(4) ينظر: الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٤٩، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: ١: ١٨٤.

الياءُ كَما في أَعْوَرْتُ وأَغْيَمَتِ الياءُ وأَغْيَلَتِ المرأةُ[1] لَزِمَ الشّذوذُ على ما بُيِّنَ في موضِعِهِ، ويَحتَمِلُ عندي أن تكونَ قراءةُ (آيَدْنا) على وَزنِ فاعَلْناهُ من بابِ المفاعَلةِ لا أَفعَلناهُ فَلا يَلْزَمُ الإعلالانِ و لا الشُّذُوذُ»[2].

ثامنًا: التّرجيحُ باعتمادِ قولِ أكثرِ المفسّرينَ:

وهي من قواعدِ التّرجيحِ المعتبرةِ عندَ أهلِ التّفسيرِ، فإذا انفردَ قولٌ تفسيريّ ومن دونِ دليلٍ معتبرٍ وكانَ مُخالفًا لأقوالِ المفسّرينَ كانَ شاذًا في قبالةِ أقوالِ أ كثرِ المفسّرينَ، وقد اعتمدَ المصنِّفُ على قولِ أكثرِ المفسّرينَ في بعضِ ترجيحاتِهِ، كما في تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[3]، فقد نقلَ قولَ العلّامةِ الطبرسيّ في المجمَعِ أوّلًا: «وقالَ مجاهدُ لم يُمسَخُوا قِرَدَةً، وإنّما هوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى كما قالَ: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[4]، وحُكِيَ عنهُ أيضًا: أَنَّهُ مُسِخَت قلوبُهُم كقُلوبِ القِرَدَةِ لا تَقبَلُ وَعظًا ولا تَتَّقي زَجرًا»[1]، ثمَّ أتبعهُ بالقولِ: «وهذانِ القولانِ يُخالفانِ الظّاهرَ الذي **أكثرُ المُفسِّرينَ عليهِ** مِن غيرِ ضرورةٍ تَدعُو إليهِ»[2].

تاسعًا: التّرجيحُ بالعمومِ:

فإذا ما وردَ اللفظُ عامًّا ولم يقمْ دليلٌ على التّخصيصِ اعتمدَ المصنِّفُ العمومَ كمرجّحٍ لما يختارُهُ، ومن ذلك ما أوردَهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

---

(١) الغَيلُ: «إرضاعُ المرأةِ ولدَها على حَبَلٍ». العين: ٤: ٤٤٨، (غيل).

(٢) نور التوفيق: ٦٢٢.

(٣) سورة البقرة ٢: ٦٥.

(٤) سورة الجمعة ٦٢: ٥.

(١) مجمع البيان: ١: ٢٤٨، وينظر: تفسير مجاهد: ١: ٢٠٥.

(٢) نور التوفيق: ٤٨٨.

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فعَن أبي عَبدِ الله جعفرِ بنِ مُحمَّدٍ الصّادقِ عليه السلام: «أنّها نَزلَت في قريشٍ حينَ مَنعُوا رسُولَ الله صلى الله عليه وآله عَن دُخولِ مَكَّةَ والمَسجدِ الحَرامِ»[2]، وسَعَوا في تَخريبِهِ بمَنعِ طاعَةِ الله فيهِ، إلى أن ألجؤوا رَسولَ الله صلى الله عليه وآله إلى الخُروجِ مِن مَكَّةَ حَتّى أظهَرَ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله بفَتحِ مَكَّةَ، فَأمَرَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله مُنادِيًا يُنادِي: «ألَا لا يَحِجَّنَّ هذا البَيت بعدَ هذا العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطوفَنَّ بهذا البَيت عُريانٌ»[3]، وبهِ قالَ الرّمّاني والبَلخي وأبو عَليٍّ[4]، وقالَ ابنُ عَبّاسٍ ومُجاهِدٌ: (إنّها نَزلَت في الرُّومِ حينَ غَزوا بَيتَ المَقدِسِ، وسَعَوا في خَرابِهِ حَتّى كانَت أيّامُ عُمَرَ فَأظهَرَ اللهُ المُسلمينَ عَليهِم وصارُوا لا يَدخُلونَها إلَّا خائفِينَ)[5]. وقالَ الحَسَنُ وقَتادَةُ: (هوَ بُخْتَ نُصّر خَرَّبَ بَيتَ المَقدِسِ وأعانَهُ عَليهِ النَّصارَى)[1]، ليصلَ إلى النتيجةِ الأخيرةِ بقولِهِ:

(**فَهوَ حُكمٌ عامٌّ** في جِنسِ مَساجِدِ الله؛ ولِذا جَمَعَ المَسجدَ، أو باعتِبارِ مَواضِعِ السُّجودِ، فَلا مُنافاةَ بينَ هذهِ الأقوالِ؛ لأنَّهُ تعالى ذَمَّ في هذهِ الآيةِ وما قَبلَها أهلَ الكِتابِ وَغيرَهُم مِمَّن لا يَعلَمونَ؛ لأنَّ الكَلامَ خَرَجَ مَخرجَ الذّمِّ، فَتارَةً تَوَجَّهَ الذّمُّ إلى اليَهودِ، ومَرَّةً إلى النَّصارَى، وأُخرى إلى المُشركينَ وعَبدَةِ الأوثانِ والدَّهريَّةِ)[2].

وكذلكَ عندَ إيرادِهِ سببَ نزولِ قولِهِ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[3]، إذ قالَ: (وقالَ ابنُ عباس: إنَّ ابنَ صُورِيا قالَ لِرسُولِ الله صلى الله عليه وآله: يا مُحَمَّدُ ما جِئتَنا

(١) سورة البقرة ٢: ١١٤.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٣: ٤٠٠، حديث رقم: ١٨٠٦٢، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٢٥، حديث رقم: ٥١٣.

(٤) ينظر: التبيان: ١: ٤١٦، ومجمع البيان: ١: ٣٥٥، وقد نسب الثّعلبي في تفسيره: ١: ٢٦٢، هذا القول إلى عطاء وعبد الرحمن بن عوف.

(٥) تفسير ابن عبّاس: ١: ١٧، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٤، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

(١) تفسير الثّعلبي: ١: ٢٦١، وأسباب النّزول للواحدي: ١: ٣٦، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

(٢) نور التوفيق: ٧٨٦.

(٣) سورة البقرة ٢: ٩٩.

بشَيءٍ نَعرِفُهُ، وما أُنزِلَ عليكَ مِن آيَةٍ بَيِّنَةٍ فنَتَّبِعَكَ بها، فأَنزَلَ اللهُ سبحانهُ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾(١)، والحقُّ أَنَّها نَزَلَت في أمثالِ ابنِ صُوريا مِن بَني إسرائيلَ والنُّصّابِ(٢) المُنافِقينَ مِن هذهِ الأُمَّةِ(٣). فالعبرةُ بعمومِ اللّفظِ لا بخصوصِ السّبَبِ.

(١) ينظر: مجمع البيان: ١: ٣١٧، وتفسير الثعلبي: ١: ٢٤١، وتفسير البغوي: ١: ٩٧، وزبدة التفاسير: ١: ١٩٩، وكنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢: ٩٧.

(٢) قيلَ: هم قوم يتديّنونَ ببغضِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام خاصّةً وأهلِ بيتِهِ عليهم السلام عامَّةً، وقيلَ: إنّهم مَن نَصَبوا العداوةَ لشيعتِهم، [معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٤٣١، ومجمع البحرين: ٢: ١٧٤، (نصب)]، وهو المستفادُ من عدّةِ أحاديثٍ منها ما وردَ عن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «أنّه ليسَ النّاصبُ مَن نَصَبَ لنا أهلُ البيت؛ لأنّه لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغُضُ محمّداً وآل محمّد، ولكنَّ النّاصبَ مَن نَصبَ لكم، وهوَ يعلمُ أنّكم تَتوَلّونا أو تتبرّؤون مِن أعدائنا». [علل الشرائع: ٢: ٦٠١، حديث رقم: ٦٠].

(٣) نور التوفيق: ٧٠٢.

المبحثُ الثّالثُ

ردودُ المصَنِّفِ التّفسيريّةُ واعتراضاتُهُ

المطلبُ الأوّلُ: المسائلُ العقديّة

أولًا: أبوا رسولِ الله ﷺ

ثانيًا: معنى البدعةِ

المطلبُ الثّاني: المسائلُ العرفانيّة

أوّلًا: حقيقةُ الموتِ

ثانيًا: التّسويةُ في الإيمانِ

ثالثًا: نيلُ العهدِ

المطلبُ الثّالثُ: المسائلُ الأصوليّة : حقيقةُ النّهي

المطلبُ الرّابعُ: المسائلُ الفقهيّة : القبلة

توطئة:

مرَّ علينا أنَّ من مميّزاتِ تفسيرِ نورِ التّوفيقِ ردودَ الملّا القزوينيّ واعتراضاتِهِ ومناقشاتِهِ للعديدِ من العلماءِ والمفسّرينَ المتقدّمينَ والمعاصرينَ لهُ وفي مختلفِ العلومِ، وسيتمُّ تسليطُ الضّوءِ على بعضٍ من هذهِ الرّدودِ والاعتراضاتِ التّفسيريَّةِ وفي مسائل متعدِّدةٍ، ولجملةٍ منَ الأمثلةِ لا على سبيلِ الحصرِ في مبحثنا هذا، وفي أربعةِ مطالب:

المطلبُ الأوّلُ: المسائلُ العقديّة:

أوّلًا: أبوا رسولِ الله ﷺ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[1]:

قالَ المصنِّفُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: (والحالُ أنّكَ غيرُ مَسؤولٍ عَن أحوالِهم وعَدَمِ إسلامِهِم بَعدَ أن بَلَّغتَ رسالَتَكَ، ولَيسَ عَليكَ إجبارُهُم على القبولِ مِنكَ فَلا تَذهبْ نَفسُكَ عَليهِم حَسَراتٍ، فَهذا تَسليَةٌ لَهُ ﷺ لِئلَّا يَضيقَ صَدرُهُ بإصرارِهِم عَلى الكُفرِ والزَّندَقَةِ، ولِئلَّا يَبخَعَ ﷺ نَفسُهُ أَلَّا يكونوا مُؤمِنينَ كَما قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقالَ تعالى أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3]، أو أنتَ لا تُؤخَذُ بِذُنوبِهِم كَقولِهِ تعالى: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾[4]، أي: فَعَليهِ الإبلاغُ، وعَليكُم القبولُ)[5].

---

(١) سورة البقرة ٢: ١١٩.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٣.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٦.

(٤) سورة النور ٢٤: ٥٤.

(٥) نور التوفيق: ٨٢٦.

مُعترضًا على البيضاويّ الذي يرى أنَّ قراءَةَ نافعٍ ويعقوبٍ: (وَلا تَسأَلْ): «عَلى أنَّهُ نَهيٌ للرَّسولِ ﷺ عَنِ السّؤالِ عَن حالِ أبَوَيه»[1]؛ كونهما من أصحابِ الجحيمِ واصفًا قولَهُ: «بأنَّهُ ظنٌّ فاسدٌ، بَل أبَواهُ عليهما السلام كانا مُؤمِنَينِ صالحَينِ، فإنَّهُ ﷺ كانَ مِن صُلبٍ طاهرٍ ورَحِمٍ مُطهَّرةٍ»[2].

وبالرّجوعِ إلى كتبِ التّفسيرِ نجدُ هذا الكلامَ عندَ أغلبِ مفسّري العامّةِ[3]، فقد نَقَلَ الطّبريُّ (٣١٠هـ) في جامِعِهِ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ، ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ، ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ ثلاثًا، فنزلت: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ فَما ذكرَهُما حتّى توفّاهُ اللهُ»[4].

أمّا الرّازي (٦٠٦هـ) فزادَ الطينَ بلّةً، إذ قالَ: « رُوِيَ أنَّهُ قالَ: ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ؟ فَنُهِيَ عنِ السّؤالِ عنِ الكفرَةِ، وهذهِ الرّوايةُ بعيدةٌ؛ لأنَّهُ عليهِ الصّلاةِ والسّلامِ كانَ عالمًا بكفرِهِم، وكانَ عالمًا بأنَّ الكافرَ مُعذَّبٌ، فمعَ هذا العلمِ كيفَ يُمكنُ أن يقولَ: ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ»[5].

ونفَى السّيوطي (٩١١هـ) ذلكَ، فلم يقبلِ الحديثَ وقالَ: « هو حديثٌ مُرسلٌ ضعيفُ الإسنادِ، وأنَّ الآيَةَ في كفّارِ أهلِ الكتابِ»[6]، كما ذكرَ الآلوسيُّ الوجوهَ التَّفسيريَّةَ في الآيةِ، ومُعلّقًا عليها ليخلُصَ إلى القولِ: «والّذي أدينُ اللهَ تعالى بِهِ أنا: أنَّهما ماتا مُوحِّدينَ في زمَنِ الكفرِ»[7].

ويبدو للباحثِ أنّهم تغافلوا عن حقيقةِ كونِهِ خاتمَ النّبيّينَ وسيّدَ المرسلينَ الذي ذخرهُ اللهُ سبحانهُ لخاتمةِ الشّرائعِ السّماويّةِ فكيفَ يجعلهُ في صلبِ كافرٍ أو رحمٍ غيرِ طاهرٍ، وقد اتّفقَ علماءُ الإماميّةِ على أنَّ جميعَ آباءِ النّبيِّ عليهم السلام كانوا مؤمنينَ بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي

(١) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٣.

(٢) نور التوفيق: ٨٢٧.

(٣) ينظر: تفسير الثّعلبي: ١: ٢٦٥، والكشّاف: ١: ١٨٢، تفسير ابن كثير: ١: ٤٠١.

(٤) جامع البيان: ١: ٧١٩، حديث رقم: ١٥٥٨.

(٥) تفسير الرازي: ٤: ٣٣.

(٦) الدر المنثور: ١: ١١١.

(٧) تفسير الآلوسيّ: ١: ٣٦٩.

السَّاجِدِينَ﴾[1]، أي: انتقالكِ في أصلابِ المؤمنينَ إلى أرحامِ المؤمناتِ، وكما نصَّ ﷺ على ذلكَ في قولِهِ: «لم يزل ينقُلني مِن أصلابِ الطّاهرين، إلى أرحامِ المطهّراتِ حَتّى أخرَجَني في عالِمكم هذا»[2]، فلو كانَ أحدُ آبائهِ ﷺ كافرًا لما وصفهم رسولُهُ ﷺ بالطّاهرينَ لقولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[3]، فوصفهم بالطّهارةِ دليلٌ على إيمانِهم[4].

ثانيًا: معنى البدعةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[5]:

قالَ المصنِّفُ في بيانِ معنى البديعِ: (هو الخالِقُ الموجِدُ المُخترِعُ لِلأشياءِ لا عَن مادّةٍ ولا مِثالٍ قَديمَينِ، وكُلُّ مَن أحدَثَ شَيئًا فَقد أبدَعَهُ، والاسمُ: البِدْعَةُ)[6]، وفي الحديثِ النّبويِّ المُتّفقِ عَليهِ: «كُلُّ بِدعَةٍ في الدِّينِ ضَلالَةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ سَبيلُها إلى النّارِ»[7].

لِيُناقِشَ بعدها ما أوردهُ ابنُ الأثيرِ من حديثِ الخليفةِ الثّاني وابتداعِهِ لصلاةِ التّراويحِ في شهرِ رمضانَ حينما قالَ فيها: (نِعمَتِ البِدعَةُ هذهِ)[8]، جاعلًا البدعةَ على قسمينِ:

الأوّلُ: بدعَةُ ضلالَةٍ، وَهيَ في حَيِّزِ الذَّمِّ والإنكارِ، فهيَ كلُّ ما كانَ في خِلافِ ما أنزلَ اللهُ ورسُولُهُ.

والثّاني: بدعَةُ هُدًى، وَهيَ في حَيِّزِ المَدحِ، ويندرِجُ تحتها ما كانَ واقعًا تحتَ عُمومِ ما نَدَبَ اللهُ ورسولُهُ إليهِ، وحَضًّا عَليهِ، وكذا ما كانَ منَ الأمورِ المحمودةِ ومنَ المعروفِ، وإن لم يكن لهُ مثالٌ موجودٌ، على أن لا يُخالفَ الشّارعَ، امتثالًا لقولِهِ ﷺ: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كانَ لهُ أجرُها وأجرُ

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) أوائل المقالات: ٤٦، حديث رقم: ٩، وبحار الأنوار: ١٥: ١١٧، حديث رقم: ٦٣.

(٣) سورة التوبة ٩: ٢٨.

(٤) ينظر: تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٣٩.

(٥) سورة البقرة ٢: ١١٧.

(٦) نور التوفيق: ٨٠٧.

(٧) مسند أحمد: ٤: ١٢٦، ومن لا يحضره الفقيه: ٣: ٥٧٢، حديث رقم: ٤٩٥٤، وتهذيب الأحكام: ٣: ٧٠.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٠٦.

مَن عَمِلَ بها إلى يَومِ القِيامَةِ ـ وقالَ في ضِدِّهِ ـ: مَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عليهِ وِزرُها وَوِزرُ مَن عَمِلَ بها إلى يَومِ القِيامةِ»[1]، إذا كانَ في خِلافِ الشّارِعِ.

ومن هذهِ الأمورِ ابتداعُ عُمرَ لصلاةِ التّراويحِ، فهيِ بدعةٌ مُحدثةٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّاها لَيالِيَ فقط، ولا جَمَعَ النّاسَ لَها، ولَمْ يُحافِظْ عَليها، ولم تُصلَّ زمنَ الخليفةِ الأوّلِ، وإنّما هيَ سنّةٌ سنَّها عمرُ وجمعَ النّاسَ إليها[2].

وقد استدلَّ ابنُ الأثيرِ لإثباتِ هذهِ السّنَّةِ بما نقلهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «عَليكُم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ مِن بَعدِي»[3]، وقولَهُ ﷺ: «اقتَدُوا باللّذَينِ مِن بَعدي أبي بَكرٍ وعُمَرَ»[4]، وعليهِ فحديثُ «كُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ»[5]، أي: ما خالَفَ أُصولَ الدّينِ والشّرعِ ولَم يُوافِقِ السُنَّةَ[6].

وهو قولُ أبو الفداءِ (١١٢٧هـ)[7]، والآلوسي[8]، وقالَ القرطبيُّ: «وكُلُّ مَن أنشأَ ما لَم يُسبَق إلَيهِ قِيلَ لَهُ: مُبدِعٌ، ومنهُ أصحابُ البِدعِ. وسُمِّيَتِ البِدعَةُ بِدعةً؛ لأنَّ قائِلَها ابتدَعَها مِن غَيرِ فِعلٍ أَو مقالِ إمامٍ»[9].

وقسَّمَها ابنُ كثيرٍ (٧٧٤هـ) على قسمَينِ فقالَ: «تارَةً تكونُ بِدعةً شَرعيَّةً، كقولِهِ: فإِنَّ كُلَّ مُحدثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ. وتارَةً تكونُ بِدعَةً لُغَويَّةً، كقَولِ أَميرِ المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ عَن جمعِهِ إِيَّاهُم على صَلاةِ التَّراويحِ واستمرارِهِم: نعمَت البدعةُ هذهِ»[10].

---

(١) مسند أحمد: ٤: ٣٥٧، وصحيح مسلم: ٣: ٨٧، وسنن النسائي: ٥: ٧٦. (مع تغيير ببعض الألفاظ).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) مسند أحمد: ٤: ١٢٦، وسنن ابن ماجة: ١: ١٦، وسنن أبي داود: ٢: ٣٩٣.

(٤) سنن الترمذي: ٥: ٢٧١، والمستدرك على الصحيحين: ٣: ٧٥.

(٥) سنن أبي داود: ٢: ٣٩٣، والمستدرك على الصحيحين: ١: ٩٧.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٠٧.

(٧) ينظر: تفسير روح البيان: ١: ٢٩٥.

(٨) ينظر: وتفسير الآلوسي: ١٤: ١٩٢.

(٩) تفسير القرطبي: ٢: ٨٦.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١: ٣٩٨.

ونلاحظُ أنَّ ابنَ كثيرٍ في تقسيمِهِ يُحاولُ تغطيةَ شيءٍ ما، فابتدعَ البدعةَ اللّغويَّةَ لإمضاءِ هذهِ البدعةِ؛ لعلمِهِ ببطلانِ كلِّ مُحدثةٍ، وكونِها بِدعةِ ضَلالٍ، والظّاهرُ عدمُ قبولِهِ بالتقسيمِ السّابقِ للبِدعةِ، فابتدَعَ غيرَهُ.

وهناكَ مَن قسَّمَها إلى خمسةِ أقسامٍ[1] نحنُ في غنًى عن بحثِها؛ لأنَّ كلَّ الكلامِ يدورُ حولَ موضوعِ بِدعةِ الهدى، وما كانَ في حيِّزِ المدحِ.

أمَّا المصنِّفُ في اعتِراضِهِ على ابنِ الأثيرِ فقد قالَ:

«فَتَعَقَّل ما فيهِ مِنَ التَّهافُتِ والعُذرِ الّذي هوَ أسوَءُ مِنَ الجُرمِ:

أمَّا أوَّلًا: فَلأنَّ تَقسيمَهُ البدعَةَ على قِسمَينِ يُنافي الحَديثَ المُتَّفَقِ عَليهِ: «كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ مَصيرُها إلى النَّارِ»[2]؛ لأنَّ لَفظَ (كُلِّ) يَهدِمُ هذا التّقسيمَ والتّأويلَ، ولا مَعنى لِقَولِهِ: كُلُّ بِدعَةِ ضَلالَةٍ ضَلالَةٌ.

وأمّا ثانيًا: فَلأنَّهُ اعتَرَفَ نفسُهُ بأنَّ ما فَعَلَهُ عُمَرُ في شَهرِ رَمضانَ مِنَ الصّلواتِ المَسنونَةِ المُبتَدَعَةِ جَماعَةً لَم تكنْ في زَمَنِ رسُولِ الله ﷺ ولَم يَرضَ ﷺ بها، ولا في زَمَنِ أبي بكرٍ.

وأمّا ثالثًا: فقولُهُ: فَما كانَ في خِلافِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى بهِ ورَسولُهُ فهوَ في حَيِّزِ الذَّمِّ والإنكارِ، مَعَ أنَّ ذلكَ الّذي فَعَلَهُ عُمَرُ لَم يُنزِلِ اللهُ تعالى بهِ ولَم يَندِبْ رَسولَهُ ﷺ إليهِ، ولَم يَحُضِّ اللهُ تعالى ولا رَسولُهُ عَليهِ، بَل ولا أبو بَكرٍ، ولَم يَرضَوا بهِ، بَل أبدَعَهُ مِن عِندِ نَفسِهِ، فَتَكونُ هذهِ البِدعَةُ خِلافَ ما وَرَدَ بهِ الشَّرعُ؛ لأنَّ الشّارعَ الّذي هوَ اللهُ تعالى ورَسُولُهُ لَم يُشَرِّعا فيها شَيئًا، ولَم يكنِ النَّبيُّ ﷺ عاجزًا عَن فِعلِها مَعَ كَونِهِ ﷺ رَحمَةً للعالَمينَ.

وأمّا رابعًا: فالصّلاةُ المَسنونَةُ المذكورَةُ وإن كانَت مِن أفعالِ الخَيرِ لكنّ فِعلها جَماعَةً بِدعَةٌ.

وأمّا خامسًا: فدُخولُ قَولِهم: اقتَدوا إلى آخِرِهِ وغَيرِهِ تَحتَ (كُلُّ مُحدَثَةٍ بدعَةٌ) إلى غَيرِ ذلكَ مِنَ

(١) ينظر: رد المحتار: ١: ٥٦٠.

(٢) سنن ابن ماجة: ١: ١٨، وسنن أبي داود: ٢: ٣٩٣، والسنن الكبرى للنسائي: ١: ٥٥٠، حديث رقم: ١٧٨٦، ودعائم الاسلام: ١: ٢١٣، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ١٣٧، حديث رقم: ١٩٦٤.

التّهافتِ»[1].

فإطلاقُ الأدلّةِ الدّالّةِ على ذمِّ البدعةِ وكونِها من الضلالةِ المهلكةِ، وعمومِها، لا يتركُ مجالًا للقبولِ بالبدعةِ الحسنةِ، كما أنَّ السّماحَ بإضافةِ شيءٍ إلى الشّرعِ المقدَّسِ بحجَّةِ حُسنِهِ يُشيرُ إلى وجودِ نقصٍ في الشّريعةِ السّمحاءِ، كما أنَّ استدلالَ ابنِ الأثيرِ بالحديثينِ مردودٌ لكونِهما باطلينِ سندًا ودلالةً[2]، وأضافَ الشّاطبيُّ: «فلَو كانَ هنالِكَ مُحدَثةٌ يقتَضي النَّظرُ الشّرعيُّ فيها الاستِحسانَ أو أنّها لاحِقةٌ بِالمشروعَاتِ؛ لذُكِرَ ذلكَ في آيةٍ أو حديثٍ، لكنَّهُ لا يوجَدُ، فدَلَّ على أنَّ تلكَ الأَدلَّةَ بأسرِهَا على حقيقَةِ ظاهرِها منَ الكُلّيَّةِ الّتي لا يتخَلّفُ عن مُقتَضاها فردٌ منَ الأفرادِ»[3].

المطلبُ الثّاني: المسائلُ العرفانيّة

أوّلًا: حقيقةُ الموتِ في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]:

في معرضِ حديثِهِ عن بعثةِ قومِ موسى عليه السلام بعدَ الميقاتِ وطلبهم رؤيةَ الله سبحانهُ وتعالى، قالَ: «﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾، أي: أَحيَينا أسلافكُم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بسببِ أخذِ الصَّاعِقةِ إيَّاهم؛ لاستِكمالِ آجالِهم المُسمَّاةِ عندَهُ سبحانَهُ، إنَّما قَيَّدَ البعثَ هنا بعدَ الموتِ؛ لأنَّهُ قد يكونُ عن إغماءٍ أو نومٍ كما قالَ سبحانُهُ في قصَّةِ أصحابِ الكهفِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[5]، أي: فجَعَلنا على آذانِهم حِجابًا يمنعُ السَّماعَ، يعني: أنمناهُم نَومَةً لا تُنبِّهُم منها الأصواتُ ثمَّ أيقَضناهُم لِنعلَمَ إلى آخِرِه، وإنَّما ماتَ هؤلاءِ السّبعونَ

(١) نور التوفيق: ٨٠٩.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٦: ٨٠، والفصل في الملل والأهواء والنّحل: ٤: ٨٨، ولسان الميزان: ١: ١٨٨.

(٣) الاعتصام: ١: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة ٢: ٥٦.

(٥) سورة الكهف ١٨: ١١، ١٢.

دونَ موسى عليه السلام ولكن غُشِيَ عليهِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾(١)، والإفاقَةُ إنَّما تكونُ من الغَشَيانِ)(٢).

ناقلًا قولَ العلّامةِ الطّبرسيّ: (وفيها إثباتٌ لمعجزةِ نبيّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله واحتجاجٌ على مشركي العَرَبِ الذينَ كانوا غيرَ مؤمِنينَ بالبَعثِ؛ لأنَّهُ كان يذكُرُ لهم أخبارَ الذينَ يبعثُهُم اللهُ تعالى في الدنيا فكانَ يوافقُهُ على ذلكَ من يُخالِفهُ من اليهودِ والنّصارى ويجبُ أن يكونَ هؤلاءِ القومِ وإن أماتَهم اللهُ سبحانُهُ ثمَّ أحياهم غَيرَ مُضطرينَ إلى معرِفةِ الله تعالى عندَ موتِهِم كما يَضطرُ الواحدُ من اليومِ إلى معرفتِهِ عند الموتِ بدليلِ أنَّ الله تعالى أعادَهُم إلى التّكليفِ، والمعرفةُ في دارِ التّكليفِ لا تكونُ ضَروريَّةً، بل تكونُ مُكتَسبَةً، ولكنَّ موتَهم إنَّما كانَ في حُكمِ الموتِ فأذهبَ اللهُ عنهم الرّوحَ من غيرِ مُشاهدةٍ منهم لأحوالِ الآخِرةِ وليسَ في الإحياءِ بعدَ الإماتَةِ ما يُوجبُ الاضطرارُ إلى المعرِفَةِ؛ لأنَّ العلمَ بأنَّ الإحياءَ بعدَ الإماتَةِ لا يقدِرُ عليهِ غيرُ الله تعالى طريقُهُ الدليلُ وليسَ الإحياءُ بعدَ الإماتَةِ إلَّا قريبًا من الانتباهِ بعدَ النومِ، والإفاقَةِ بعدَ الإغماءِ، في أنَّ ذلكَ لا يوجبُ علمَ الاضطِرارِ، واستدلَّ قومٌ من أصحابِنا بهذهِ الآيةِ على جوازِ الرّجعةِ(٣)، وقولُ مَن قالَ: إنَّ الرَّجعةَ لا تجوزُ إلَّا في زمنِ النّبيِّ صلى الله عليه وآله(٤)؛ لتكونَ مُعجزةً لهُ ودلالَةً على نُبوّتهِ باطِلٌ؛ لأنَّ عندَنا بل عندَ أكثرِ الأُمَّةِ يجوزُ إظهارُ المُعجزاتِ على أيدي الأئمَّةِ والأولياءِ)(٥).

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

(٢) نور التوفيق: ٤١٥.

(٣) وهوَ أن يُعيدَ اللهُ تعالى قومًا إلى الحياةِ الدّنيا من بعدِ موتِهِم في هيآتِهِم الّتي كانوا عليها قبل الموتِ، فيُعزُّ فريقًا ويُذلُّ فريقًا، عندَ ظهورِ قائمِ آلِ محمّدٍ عليهم السلام. ينظر: أوائل المقالات: ٤٦، والرّجعة أو العودة إلى الحياةِ الدّنيا بعدَ الموت: ١٢.

(٤) ينظر: تفسير الآلوسي: ٧: ٣٨٢، و١٠: ٢٣٧.

(٥) مجمع البيان: ١: ٢٢٢، ٢٢٣.

وكذلكَ قولَ أبي القاسمِ البَلخيِّ: «لا تجوزُ الرَّجعةُ مع الإعلامِ بها؛ لأنَّ فيها إغراءٌ بالمعاصي من جهةِ الاتِّكالِ على التَّوبةِ في الكَرَّةِ الثّانيةِ، وجوابُهُ: إنَّ مَن يقولُ بالرّجعةِ لا يذهبُ إلى أنَّ الناسَ كلَّهم يرجعونَ فيَصيرُ إغراءً بأن يقعَ الاتّكالُ على التوبةِ بل لا أحَدَ من المُكلّفينَ إلّا ويَجوزُ أن لا يرجِعَ، وذلك يكفي في بابِ الزّجرِ»[1].

فالعلّامةُ جعلَ موتَهم في حكمِ الموتِ لا موتًا حقيقيًّا، فهم لمْ يُشاهدوا أحوالَ الآخرةِ؛ لذا لم يضطروا للإيمانِ بسببِ ما عايَنوهُ بعدَ الموتِ؛ ولذا عادوا إلى سابقِ عهدِهم، فكأنَّ موتَهُم كانَ كالنّومِ أو الإغماءِ واستيقظوا منه بالبعثِ مرّةً أخرى.

ونفى البلخيُّ الرّجعةَ بعدَ الموتِ معَ عِلمِ المكلَّفِ بالرّجوعِ؛ لاستلزامِها الإغراءَ على المعصيَةِ، والاتّكالَ على التّوبةِ بعدَ البعثِ.

لِيرُدَّ عليهِما بالقولِ:

«أقولُ: ولو سُلِّمَ رجوعُهم جميعًا لَما يلزمُ الإغراءُ ولا الاتّكالُ على التّوبةِ؛ لأنّهم لو رُدُّوا مُكلَّفينَ مُختارينَ لَعادوا لِما نُهو عنهُ من المعاصِي والمخالفةِ لله ورسولِهِ وأُولي الأَمرِ كما قالَ سبحانُهُ وهوَ أصدقُ القائلينَ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[2]، ولِما جاءَ عن أبي الحسنِ الرّضا عليه السلام: «إنَّ كليمَ الله موسى بنَ عمرانَ عَلِمَ أنَّ اللهَ مُنزَّهٌ عن أن يُرى بالأَبصارِ ولكنَّهُ لـمَّا كَلَّمهُ اللهُ تعالى وَقرَّبَهُ نجيًّا رَجعَ إلى قومِهِ فأخبرَهم إنَّ الله تعالى كَلَّمهُ وقَرَّبَهُ وناجاهُ فقالوا لن نُؤمِنَ لكَ حتّى نَسمعَ كلامَهُ تعالى كَما سَمعتَ وكانَ القومُ سبعمائةَ ألفِ رجلٍ فاختارَ منهم سبعينَ ألفًا، ثمَّ اختارَ منهم سبعةَ آلافٍ ثمَّ اختارَ منهم سبعمائةً ثمَّ اختارَ منهم سبعينَ رجلًا لِميقاتِ رَبِّهِ فَخَرجَ بهم إلى طورِ سَيناء فَأَقامَهم في سَفحِ الجَبلِ وصَعِدَ موسى إلى الطّورِ وسَأَلَ اللهَ أن يُكلِّمهُ ويُسمِعهُم كَلامَهُ فكَلَّمهُ الله تعالى وسَمِعوا كَلامَهُ تعالى من فَوقُ وأسفلُ ويمينُ وشِمالُ ووَراءُ وأمامُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أَحدَثَهُ في الشّجرةِ ثمَّ جعَلَهُ مُنبَعِثًا منها حتَّى سمِعُوهُ من جميعِ الوجوهِ فقالوا: لن نُّؤمِنَ لكَ بأنَّ هذا الذي

(١) التبيان: ١: ٢٥٥، وكنز الدقائق: ١: ٤٤٢ .

(٢) سورة الأنعام ٦: ٢٨.

سَمِعناهُ كلامَ الله حتَّى نَرى الله جَهرةً، فلَمّا قالوا هذا القولَ العظيمِ واستكبَروا وعَتَوا بعَثَ اللهُ عليهِم صاعقةً فأخذتهم بظلمِهِم فماتوا»[1].

وَلو رُدُّوا مُضطَرّينَ غيرَ مُكلّفينَ لَما يَنفعُهُم الإيمانُ والتّوبةُ حينئذٍ كما هوَ الحقُّ منَ المسألةِ، فَيجبُ على كلِّ أحَدٍ مِن المكلَّفينَ الإيمانُ والتّوبةُ في حياتِهِم الأولى في الدّنيا قبلَ مَوتِهِم ورَجعتِهِم)[2].

فالمصَنِّفُ نفى قولَ العلّامةِ بعدَمِ الاضطرارِ لعدمِ المعاينةِ، كما نفى قولَ البلخيِّ بالإغراءِ والاتّكالِ على التّوبةِ، فالموتُ الحاصلُ هنا موتٌ حقيقيٌّ، تتمُّ فيه المعاينةُ والمشاهدةُ لأحوالِ الآخرةِ، ووافقهُ القمّي المشهدي (١١٢٥هـ)[3]، وإنَّ مَن يعودُ إلى الحياةِ الدّنيا بالرّجعةِ إمَّا أنْ يكونَ مكلَّفًا مُختارًا، أو مُضطرًا، والأوَّلُ: قابلٌ للرّجوعِ إلى ما كانَ عليهِ قبلَ الموتِ منَ المعصيةِ والمخالفةِ بدليلِ الآيةِ وحديثِ الإمامِ الرّضا عليه السلام ، أمّا الثّاني: فلمّا كانَ مُضطرًّا للإيمانِ فلا ينفعهُ إيمانُهُ، وعليهِ فيجبُ على كلِّ فردٍ الإيمانُ والتّوبةُ في حياتِهِ وقبلَ موتِهِ ورجعتِهِ.

ثانيًا: التّسويةُ في الإيمانِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]:

للمفسِّرينَ في معنى التّسويةِ في هذه الآيةِ قولانِ، نذكرهما بعدَ إيرادِ تفسيرِ الآيةِ عندَ المصنِّفِ، إذ قالَ: (فالمعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بألسنتِهم وتَديَّنُوا ظاهرًا بدينِ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله سواءٌ كانوا مُخلصينَ باطِنًا أو منافقينَ، وقيلَ: المُرادُ بهم المنافقونَ فقط[5]: الّذينَ آمنُوا بأفواهِهِم ولمْ تُؤمِنْ قُلوبُهم؛ لِانخراطِهِم في سِلكِ هؤلاء الكفَرةِ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، أي: صارُوا يهودًا، ﴿وَالنَّصَارَى

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧٨.

(٢) نور التوفيق: ٤١٦.

(٣) ينظر: تفسير كنز الدقائق: ١: ٤٤٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ٦٢.

(٥) وهو قولُ سفيانُ الثّوري. ينظر: تفسير الرازي:٣: ٥٣٦.

وَالصَّابِئِينَ﴾ الذينَ لَيسوا بمَجوسٍ ولا يَهودٍ ولا نصارى ولا مُسلمينَ، بل هم عبدَةُ الملائكةِ والكواكِبِ والنّجومِ، ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم إيمانًا خالِصًا باللهِ ورسولِهِ وأوصيائِهِ المعصومينَ والمَبدأِ، وصَدَّقَ بقلبِهِ باليومِ الآخِرِ والمَعادِ الجسمانيّ تَصديقًا جازمًا عامِلًا بمقتَضى شريعَةِ مُحمّدٍ ﷺ ودخلَ في الإسلامِ دُخولًا صادِقًا ﴿فَلَهُمْ﴾ في دارِ القرارِ ﴿أَجْرُهُمْ﴾ الذي وعَدَهُم ربُّهم على إيمانِهِم الصّادقِ وعَمَلِهِم الصّالحِ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يَخافُ الكُفّارُ من العِقابِ و الخلودِ في دارِ البَوارِ جَهنَّمَ يصلَونَها فَبئسَ القَرارُ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حين يخسرُ المُبطلونَ ويَحزَنُ المُقصّرونَ على تضييعِ العُمرِ وتفويتِ الأجرِ[1].

وأوّلُ القولينِ: ما ذهبَ إليهِ بعضُ المفسّرينَ كابن عطيّة (٥٤٢هـ)، والآلوسيّ(١٢٧٠هـ)، والمفسِّرِ الطّهرانيّ (١٣٥٣هـ): من أنَّ اللهَ سبحانَهُ ساوى بينَ المؤمنينَ المخلصينَ الذين آمَنوا في أَوَّلِ استدعائِهِم إلى الإيمانِ من غيرِ عِنادٍ ولا نفاقٍ، وبينَ الذينَ آمنُوا بأفواهِهِم ولم تُؤمنْ قلوبُهُم من المنافِقينَ واليهودِ والنّصارَى والصّابئينَ إذا آمَنوا إيمانًا صادقًا بعد النّفاقِ، وأسلَمُوا إسلامًا خالصًا بعدَ العِنادِ، للتّنبيهِ على أنَّ أُجُورَ هؤلاءِ حينئذٍ مِثلَ أجرِ مَن آمَنَ في أَوَّلِ استدعائِهِ إلى الإيمانِ مِن غيرِ نِفاقٍ وعِنادٍ؛ وللردِّ على قومٍ مِن المسلمينَ حيثُ قالوا: إنَّ مَن آمَنَ بَعدَ نِفاقِهِ وعِنادِهِ كانَ ثوابُهُ أنقصَ وأجرُهُ أقَلَّ، فأخبَرَ اللهُ بهذهِ الآيةِ أنّهم سَواءٌ في الأجرِ والثّوابِ[2].

والثّاني: إنّهم ليسوا سواء[3]، ومِن غيرِ الإنصافِ التّسويةُ بينَ الاثنينِ، وهو اختيارُ المصنِّفِ، إذ قالَ: «لا يُفهمُ التّسويةُ من ظاهرِ الآيةِ فكيفَ بالباطِنِ؟ لأنَّ قولَهُ سبحانَهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يفيدُ أنَّ لكلِّ عامِلٍ أجرًا مُخصوصًا، وأنَّهُ تعالى لا يُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ من ذكرٍ أو أُنثى، ولو سَوّى بينهم في القَدرِ والمنزلَةِ لَزِمَ الظّلمُ في الجملةِ، مع أنَّه سبحانَهُ لا يَظلِمُ مثقالَ ذَرّةٍ»[4].

(١) نور التوفيق: ٤٦٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية: ١: ١٥٦، وتفسير الآلوسي: ١: ٢٨٠، وتفسير مقتنيات الدرر: ١: ١٨٥.

(٣) ينظر: الميزان: ١: ١٩٣، والأمثل: ١: ٢٥٠.

(٤) نور التوفيق: ٤٦٦.

ثالثًا: نيلُ العهدِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]:

اعترضَ المصنِّفُ على قراءةِ ابن مسعودٍ برفعِ (الظّالمينَ) كونهُ فاعلَ (لا ينالُ) ومفعولهُ (عهديَ)، وقرأ الجمهورُ: برفعِ (عهدي) ونصبِ (الظّالمينِ)[2]، وعلى الرغمِ من كونِ المعنى في القراءتينِ واحدٌ، إلّا أنَّ القراءةَ الأولى لا تُساعدُ على المعنى المرادِ منَ النّصِّ، فهيَ قراءةٌ مرذولةٌ[3].

عارضًا قولَ البيضاويُّ في تفسيرِهِ: (تنبيهٌ عَلى أنَّهُ قَد يَكونُ مِن ذُرِّيَّتِهِ ظَلَمَةٌ وأنَّهُم لا ينالُونَ الإمامَةَ؛ لأنَّها أمانَةٌ مِنَ الله وَعَهدٌ، والظّالمُ لا يَصلُحُ لَها وإنَّما ينالُها البَرَرَةُ الاتقياءُ منهُم، وفيهِ دَليلٌ على عِصمَةِ الأنبياءِ مِنَ الكَبائرِ قَبلَ البِعثَةِ، وأنَّ الفاسِقَ لا يَصلُحُ للإمامَةِ)[4]، وقد استطردَ المصنِّفُ على كلامهِ بالقولِ: (قَد نَطَقَ بالحَقِّ غَفلَةً بأنَّ الإمامَةَ أمانَةٌ مِنَ الله وعَهدٌ لَهُ إلى آخِرِه، فَكيفَ يَجوزُ لأحَدٍ أن يَأخُذَ أمانَةَ الله مِن عِندِ نَفسِهِ عُنفًا مِن غَيرِ إذنٍ مِنَ الله ورسولِهِ، ومِن غَيرِ نَصٍّ وإشارَةٍ مِنهُما، بَل ابتزازًا[5] وظُلمًا عَلى مَن نَصّا لَهُ وعَيَّناهُ، مَعَ كَونِهِ ظالمًا لِنفسِهِ سابقًا، ولَها، ولِغَيرِهِ لاحِقًا؟).

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فإبراهيمُ عليه السلام سألَ اللهَ سبحانهُ أن يَجعَلَهُم أئمَّةً مِثلَهُ، فقالَ تعالى إجابَةَ مُلتَمَسِهِ عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ تَنبيهًا عَلى أنَّهُ يكونُ مِن جُملَةِ ذُرِّيَّتِهِ ظَلَمَةٌ، وأنَّ الظّالمينَ مُطلَقًا سَواءٌ كانُوا مِن ذُرِّيَّتِهِ عليه السلام أو غَيرِهِم لا تَنالُهُم الإمامَةُ؛ لأنَّها عَهدٌ وأمانَةٌ مِنَ الله تعالى، وإنَّما تَنالُ البَرَرَةَ الأتقياءَ، المَعصومينَ مِنَ الذُّنوبِ كُلِّها)[6].

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

(٢) ينظر: الحجة للقرّاء السّبعة: ٢: ٤٢، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٦، ومعاني القرآن وإعرابه: ١: ٢٠٥، وإعراب القرآن للدعّاس: ١: ٥٣.

(٣) ينظر: نور التوفيق: ٨٣٩.

(٤) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٤.

(٥) أي: سلبًا. ينظر: الصحاح: ٣: ٨٦٥، (بزز)، ولسان العرب: ٥: ٣١٢، (بزز).

(٦) نور التوفيق: ٨٥١.

وقد استدلَّ لذلكَ بما جاءَ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ اتَّخذَ ابراهيمَ عَبدًا قبلَ أن يَتَّخذَهُ نبيًّا، واتَّخَذَهُ نَبيًّا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ رَسولًا، واتَّخَذَهُ رَسولًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ خَليلًا، واتَّخَذَهُ خَليلًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ إمامًا، فلَمّا جَمعَ هذهِ الأشياءَ وقَبَضَ يَدَهُ قالَ لهُ: يا إبراهيمُ إنِّي جاعِلُكَ للنّاسِ إمامًا، فَمِن عِظَمِها في عَينِ إبراهيمَ قالَ: يا رَبِّ ومِن ذُرِّيَّتِي؟ قالَ تَعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾»[1].

وعَن مُحَمَّدِ بنِ خالدٍ عَن مُحَمَّدِ بنِ سنانٍ عَن زَيدٍ الشَّحّامِ قالَ: سَمعتُ أبا عَبدِ الله عليه السلام يقولُ: «إنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى اتَّخَذَ إبراهيمَ عَبدًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ نَبيًّا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخذَهُ نَبيًّا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ رَسولًا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخَذَهُ رَسولًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ خَليلًا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخَذَهُ خليلًا قَبلَ أن يَجعَلَهُ إمامًا، فلَمّا جَمعَ الأشياءَ قالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قالَ: فَمِن عِظَمِها في عَينِ إبراهيمَ عليه السلام قالَ: ومِن ذُرِّيَّتِي؟ قالَ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قالَ: لا يكونُ السّفيهُ إمامَ التَّقِيِّ»[2].

وبما وردَ عن الإمامِ الرِّضا عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ يقولُ فيهِ عليه السلام: «إنَّ الإمامَةَ خَصَّ اللهُ تعالى بِها إبراهيمَ الخَليلَ صَلواتُ الله عَليهِ وآلِهِ بَعدَ النُّبوَّةِ والخُلَّةِ، مَرتَبةٌ ثالثَةٌ وفَضيلَةٌ شَرَّفَهُ بها وأشارَ بِها جَلَّ ذِكرُهُ، فَقالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فَقالَ الخَليلُ: سُرورًا بِها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فَأبطَلَت هذهِ الآيةُ إمامَةَ كُلِّ ظالمٍ إلى يومِ القِيامةِ وصارَت في الصَّفوَةِ»[3].

ليصلَ إلى القولِ: 'ويُفهَمُ مِن هذهِ الأحاديثِ المُعتَبرَةِ أنَّ الصّحيحَ هوَ القراءَةُ المَشهورَةُ في قَولِهِ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ برَفعِ عَهدِي تَقديرًا على الفاعليَّةِ لِـ(ينالَ) ونَصبِ (الظّالمين) على المفعوليَّةِ، وأمَّا عَكسُ المشهورِ، وإن كانَ جائزًا في العَربيّةِ لكِن لا يُساعِدُهُ المعنيُّ مِنها، والمُرادُ منهُ سبحانهُ؛ لأنَّ المقصودَ مِنَ الآيةِ أنَّ الإمامَةَ الّتي هيَ عَهدُ الله وأمانَتُهُ لَيسَت حَقًّا للظّالمينَ، ولَم

(١) الكافي: ١: ١٧٥، حديث رقم: ٤.

(٢) الكافي: ١: ١٧٥، حديث رقم: ٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٩٦، حديث رقم: ١.

يكونُوا مُستَحقِّينَ لَها، ولَم تَنَلهُم مِنَ الله ورَسولِهِ ﷺ، لا أنَّهُم لا يَنالونَها ظُلمًا وعُدوانًا وغَصبًا كَما يَأخُذُ الظّالِمُ مالَ الغَيرِ ظُلمًا وعُدوانًا، فَيَندَفعُ تَمسُّكُ المُخالِفِ»[1].

وقد سعى الرّازي (٦٠٦هـ) جاهدًا لإثباتِ أنَّ المقصودَ بالإمامةِ هنا النّبوّةِ، فذكرَ ثلاثةَ أدلّةٍ لذلكَ، عقّبَها بالقول: «إنَّ المرادَ مِنَ الإمامَةِ فِي هذهِ الآيَةِ: النّبوّةُ، فَمَن كَفَرَ بِالله طَرفَةَ عينٍ فَإنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلنُّبوَّةِ»[2]، كما بيَّنَ أنَّ العهدَ هو الإمامة، على الرغمِ من أنَّهُ سعى في تفسيرِهِ لإثباتِ إمامةِ الخليفتينِ الأوَّلِ والثّاني، وللرّدِّ على الإماميّةِ بعدمِ استحقاقِهِم لهذا العهدِ، مُستعرِضًا أقوالَ الفقهاءِ والمتكلِّمينَ في إمامةِ الفاسقِ، واحتجاجِ الجمهورِ بعدمِ جوازِ انعقادِ الإمامةِ للفاسقِ بهذهِ الآيةِ، موردًا وجهينِ منَ الاستدلالِ بالآيةِ[3]، ونحنُ نعلمُ أنَّ المفسِّرينَ ذهبوا إلى أنَّ إبتلاءاتِ إبراهيم عليه السلام كانت بعدَ أن بُعِثَ نبيًّا[4]، وبعدَ إتمامِهِ هذهِ الإبتلاءاتِ ونجاحِهِ فيها جعلهُ اللهُ إمامًا، فالإمامةُ مرتبةٌ نالَها إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام وهو نبيٌّ فلا يُمكنُ تفسيرُ الإمامةِ بالنُّبوَّةِ، وما ذلكَ إلّا لاستبعادِ المعنى الحقيقيّ للإمامةِ، « لذلكَ نرى أئمَّةُ آلِ البيتِ عليهم السلام يُثبتونَ بهذهِ الآيةِ تَعيُّنَ الخلافةِ بعدَ النَّبيِّ ﷺ مباشَرَةً لعليٍّ عليه السلام وانحصارَها بهِ، مُشيرينَ إلى أنَّ الآخرينَ عَبدوا الأصنامَ في الجاهليَّةِ، وعليٌّ عليه السلام وحدهُ لم يَسجدْ لصنَمٍ. وأيُّ ظلمٍ أكبرُ من عبادةِ الأصنامِ؟ ! ألَمْ يقل لقمانُ لابنهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]»[6].

وفي ذلكَ أضافَ المصنِّفُ: «أقولُ: وقَد دلَّتِ الآيةُ الشّريفةُ والرّواياتُ الصّحيحَةُ والمُعتبَرةُ على أنَّ مَنِ اتَّصَفَ بالظّلمِ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وفي حالٍ مِنَ الأحوالِ، أو عَبَدَ صَنمًا أو وَثَنًا في وَقتٍ مِنَ

(١) نور التوفيق: ٨٥٢.

(٢) تفسير الرّازي: ٤: ٣٦.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٤: ٣٨.

(٤) ينظر: تفسير الآلوسيّ: ١: ٣٧٤.

(٥) سورة لقمان ٣١: ١٣.

(٦) تفسير الأمثل: ١: ٣٧٢.

الأوقاتِ وزَمانٍ مِنَ الأزمنَةِ كانَ كافِرًا مُشركًا في ذلكَ الوَقتِ بعَينِهِ، والكافرونَ هُمُ الظّالمونَ، وأنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ، وكُلُّ مَن كانَ كافِرًا مُشرِكًا ظالِمًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وزمانٍ مِنَ الأزمنَةِ لا يَنالُ عَهدَ الله الّذي هوَ الإمامَةُ أصلًا، لا في وَقتِ الاتّصافِ بالكُفرِ والشِّركِ والظّلمِ ولا بَعدَهُ، وإن تابَ فَرضًا وتَقديرًا، ولا يَستَحقُّ الإمامَةَ، ولا تَكونُ الإمامةُ حَقًّا لَهُ؛ وذلكَ لأنَّ مِن شَرائطِ استِحقاقِ أحَدٍ عَهدَ الله الّذي هوَ الإمامَةَ عِصْمَتَهُ دائمًا قَبلَ النَّيلِ وبعدَهُ بالاتّفاقِ، كَما اعتَرَفَ بهِ الخُصومُ أيضًا، ومَن فَعَلَ الظّلمَ والفِسقَ والكُفرَ وعَبَدَ صَنمًا أو وَثَنًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ لَم يكنْ مَعصومًا البَتَّة، بَل يكونُ مُتَّصِفًا بالظُّلمِ والكُفرِ والشِّركِ ولَو في بعضِ الأوقاتِ باعتِرافِ الخُصُومِ أيضًا، ومَن اتَّصَفَ بِهِ كَذلكَ سَواءٌ كانَ إطلاقُ الوَصفِ المذكورِ عَليهِ حَقيقَةً دائمًا، أو مَجازًا في بعضِ الأوقاتِ وحَقيقَةً في بعضِها، لَم يَكنْ مُستَحقًّا للإمامَةِ ولَم تَنَلْهُ مِن قِبَلِ الله ورَسولِهِ ﷺ؛ لانتِفاءِ شَرطِها فيهِ، فَمَن ظَلَمَ في وَقتٍ دونَ وَقتٍ لَم يَصلُحْ للإمامَةِ ولَم يكنْ مُستَحقًّا لَها ولَم تَنَلْهُ دائمًا»[1].

مُضيفًا ومُبيِّنًا: ويُمكنُ بيانُ ذلكَ من وُجوهٍ ثلاثٍ[2]:

الأوّلُ: إنَّ الجَمعَ المُحلّى باللّامِ يُفيدُ العمومَ (الظالمين) كَما ذَكرَهُ أئمَّةُ الأُصولِ[3] والنّحوِ[4]، وصَرَّحَ بِهِ أئمَّةُ التّفسيرِ[5]، فيكونُ المَعنى: لا يَنالُ عَهدُ الإمامَةِ كُلَّ مَنِ اتَّصَفَ بالظّلمِ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ، أو حالٍ مِنَ الأحوالِ.

الثّاني: اتَّفقَ أهلُ العَربيّةِ والبَيانِ والأُصولِ[6] على أنَّ الفعلَ يُفيدُ التَّجدّدَ والتغيّرَ والحدوثَ مع ارتباطِهِ بالزمانِ، وبتجدُّدِ الفعلِ وتغيّرِهِ يتغيَّرُ معنى الكلامِ، وأنَّ الغرضَ من الاسمِ هو إفادةُ الثبوتِ وعدمُ تأثّرِهِ بالزّمانِ، كما في لفظِ (كاتب) فهو قد ثبتَ لهُ فعل الكتابةِ في أحدِ الأزمنةِ سواءٌ

---

(١) نور التوفيق: ٨٥٣.

(٢) ينظر: نور التوفيق: ٨٥٣- ٨٥٧.

(٣) ينظر: معارج الأصول: ٨٤، والوافية في أصول الفقه: ١١٣.

(٤) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١: ٢٩٦.

(٥) ينظر: كنز العرفان في فقه القرآن: ٢: ٩٠، وزبدة التفاسير: ٢: ٨٧.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢: ١١٣، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١: ٣٨، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ١: ٢٣٨، وهداية المسترشدين: ١: ٣٦٧، وتعليقة على معالم الأصول: ١: ٧٠.

في الماضي أو الحاضرِ أو المستقبلِ كَما نَصَّ عَليهِ أئمَّةُ النّحوِ[1]، كما قالَ الجرجانيّ (٤٧١هـ): «إن كانَ المقصودُ مِنَ الإخبارِ هوَ الإثباتُ المُطلَقُ فَينبَغي أن يَكونَ بالاسمِ، وإن كانَ الغَرضُ لا يَتُمُّ إلَّا بإشعارِ زَمانِ ذلكَ الثّبوتِ فَينبَغي أن يَكونَ بالفِعلِ، ـ وقالَ أيضًا: ـ مَوضوعُ الاسمِ أن يُثبَتَ بِهِ الشّيءُ للشّيءِ مِن غَيرِ اقتِضاءِ أنَّهُ يَتَجدَّدُ ويَحدُثُ شَيئًا فَشيئًا فَلا تَعرُّضَ في نَحوِ: زيدٌ مُنطلِقٌ أكثرُ مِن إثباتِ الانطِلاقِ فِعلًا لَهُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ»[2].

فمَن ثبتَ عليهِ الظّلمُ في وقتٍ منَ الأوقاتِ، أو حالٍ منَ الأحوالِ صدُقَ عليهِ كونِهِ ظالمًا فلا ينالُهُ عهدُ اللهِ تعالى وهو الإمامةُ.

الثّالثُ: إنَّ تعليقَ الحكمِ على وصفٍ معيَّنٍ دليلٌ على مدخليّةِ ذلكَ الوصفِ في الحكمِ، فنيلُ عهدِ اللهِ مرتبطٌ بعدمِ الظّلمِ، فمعنى قولُهُ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: إنَّ الظّالمينَ لا ينالُهُم عهدُ اللهِ؛ لصدورِ الظّلمِ منهم في وقتٍ منَ الأوقاتِ، أو حالٍ منَ الأحوالِ.

فعن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام: «قَد حَظَرَ اللهُ تعالى عَلى مَن مَسَّهُ الكُفرُ تَقَلُّدَ ما فَوَّضَهُ سُبحانَهُ إلى أنبيائِهِ وأوليائِهِ بقَولِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، أي: المُشركِينَ؛ لأنَّهُ تعالى سَمَّى الشّركَ ظُلمًا بقَولِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] فَلَمّا عَلِمَ إبراهيمُ عليه السلام إنَّ عَهدَ اللهِ تَبارَكَ وتعالى اسمُهُ بالإمامَةِ لا تَنالُ عَبَدَةَ الأصنامِ قالَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[4]»[5].

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ١٠٢٩، وشرح التسهيل: ٣: ٧٣، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٠٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ١: ١٧٤ (بتصرّف).

(٣) سورة لقمان ٣١: ١٣.

(٤) سورة إبراهيم ١٤: ٣٥.

(٥) الاحتجاج: ١: ٣٧٣.

المطلبُ الثّالثُ: المسائلُ الأصوليّة:

ـ حقيقةُ النّهي في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]:

استعرضَ المصنِّفُ في معرضِ تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ رأيَ العلّامةِ الطّبرسيّ فيها فقالَ: وقالَ في المجمَعِ: (أُختُلِفَ في هذا النّهيِّ، أعنِي قولَهُ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ، فَقيلَ: إنَّهُ نَهيُ التَّحريمِ، وقِيلَ: إنّهُ نَهيُ التّنزيهِ دونَ التّحريمِ[2]، كَمَن يَقولُ لِغَيرِهِ: لا تَجلِسْ عَلى الطُّرُقِ، وهوَ قَريبٌ مِن مَذهَبِنا، فَإنَّ عندَنا أنَّ آدمَ كانَ مَندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنَ الشّجرَةِ، وكانَ بالتّناوُلِ مِنها تارِكًا نَفلًا وفَضلًا ولَمْ يكنْ فاعلًا للقَبيحِ فَإنَّ الأنبياءَ عليهم السلام لا يَجوزُ عَليهِم القَبائِحُ لا صَغيرُها ولا كَبيرُها، مِن حَيثُ أنَّ القَبيحَ يَستَحقُّ فاعلُهُ بِهِ الذَّمَّ والعِقابَ، وإذا كانَ الذّمُّ والعِقابُ مَنفِيَّينِ عَنِ الأنبياءِ عليهم السلام وَجَبَ أن يُنتَفَى عَنهُم سائرُ الذُّنوبِ؛ ولِأنّهم لَو جازَ عَليهِم شَيءٌ مِن ذلكَ لَنَفَّرَ عَن قَبولِ قَولِهِم، والمُرادُ بالتّنفيرِ: أنَّ النّفسَ إلى قَبولِ قَولِ مَن لا نُجَوِّزُ عَليهِ شَيئًا مِنَ المَعاصِي أسكَنُ مِنها إلى قَبولِ قَولِ مَن نُجَوِّزُ عَليهِ ذلكَ، ولا نُجَوِّزُ عَليهِم كُلَّ ما يكونُ مُنَفِّرًا عَنهُم مِنَ الخُلُقِ المُشَوَّهَةِ والهَيئاتِ المُستَنكَرَةِ)[3].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٢) النّهيُ التّحريمي: (هو النهي المولوي الذي يكون مفاده الحرمة و المنع الإلزامي عن ارتكاب متعلّق النهي، و ذلك في مقابل النهي المولوي الكراهتي و الذي يكون مفاده الحكم بكراهة متعلّق النهي، و في مقابل النهي الإرشادي و الذي يرشد لمانعيّة متعلّقه مثلًا، والنّهيُ التّنزيهي: هو النهي الذي يكون تعبيرا عن وجود منقصة و حزازة في متعلّقه، فيكون متعلّق النهي بذلك مكروها، و التعبير عنه بالتنزيهي اشارة الى دلالته على تعلّق إرادة الشارع بتنزّه و ترفع المكلّف عن ارتكاب متعلّقه، والنّهيُ الإرشادي: هو النّهيُ الذي لا يكشف عن مبغوضية المولى بالمتعلّق، بل هو إرشادٌ إلى أمرٍ آخرَ، من قبيلِ النّهي عنِ الصّلاةِ بالثّوبِ النّجس، فهو إرشاد إلى لزوم تطهير الثوب عند إرادة الصلاة به، و لو أعرضَ المكلّفُ عن الثّوبِ بالكاملِ لما عُدَّ عاصيًا، فهو في الحقيقةِ إرشادٌ إلى فسادِ الصّلاةِ معَ هذا الثّوبِ).

المعجم الأصولي: ٢: ٥٦٥، ٥٦٧، ومعجم مفردات أصول الفقه المقارن: ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) مجمع البيان: ١: ١٦٨، ١٦٩.

وقد ناقشَ المصنِّفُ العلّامةَ الطّبرسيّ بقولِهِ:

«أمّا أوّلًا: فلأنّهُ إن كانَ آدمُ عليه السلام مندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنَ الشّجرَةِ وتاركًا نفلًا لا فَرضًا لما وَقَعَ عَليهِ أمثالُ هذهِ التّعنيفاتِ واللّومِ في السُّوَرِ المتعدِّدَةِ وذِكرِ العِصيانِ والغِوايَةِ والبُكاءِ أربعينَ يومًا وطَعنُ جَبرئيلَ عليه السلام ومُوسى عليه السلام عَلَيهِ.

وَأمّا ثانيًا: فَلأنَّ أمثالَ هذهِ الخَطيئَةِ والظُّلمِ غَيرُ مَعفُوٍّ عَنِ الأنبياءِ عليهم السلام بلا تَوبةٍ؛ ولِذا تابُوا صَلَواتُ اللهِ عَليهِم عَنها كَما تُنادِي عَلى ذلكَ الآياتُ والأحاديثُ المُتكثِّرَةُ.

وإذا كانَت غَيرَ مَعفوٍّ عنها عَنهُم عليهم السلام يكونُ النّهيُ عَنها تَحريميًّا لا تَنزيهيًّا، ولَو كانَ آدمُ عليه السلام مَندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنها؛ لَما كانَ فِعلُهُ مُوجِبًا لِلَّومِ والعَتَبِ؛ وَلَما يُنسَبُ فاعِلُهُ إلى العِصيانِ والظُّلمِ، حينئذٍ يَكونُ ذلكَ منهُ عليه السلام صَغيرَةً كَما ذَهَبت إليهِ المعتزلَةُ[1]، لكنَّها صَدَرَت منهُ عَلى سَبيلِ النِّسيانِ كَما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[2]، والتّلبيسِ بوَسوَسَةِ الشّيطانِ كَما نَطقَ بهِ القُرآنُ[3]، ولا يُنافِي ذلكَ عِصمةَ الأنبياءِ عليهم السلام؛ لأنّهُم يَجِبُ أن يكونُوا مَعصومينَ عَنِ المعاصِي المشتَرَكَةِ بَينهم وبَينَ الأُمّةِ الّتي يَقَعُ العِقابُ على فاعِلِها مُطلقًا، وأن يَكونُوا مَعصومينَ فِيما يَتَعلَّقُ بالتّبليغِ والأداءِ إلى الخَلقِ لا مُطلَقًا»[4].

مُشيرًا إلى أنَّ مَعصيتَهُ صَغيرَةٌ مَحمولَةٌ على الحقيقَةِ، وأنّها قَبلَ نُزولِ الوَحيِ إليهِ، كما إنَّ نِسبَةَ العِصيانِ إليهِ على الحَقيقَةِ أيضًا، وَلذا احتاجَ إلى التّوبَةِ؛ وكلُّ هذا لا يُنافي كَونَهُ مَعصومًا بَعدَ النُّبوَّةِ؛ لأنَّ كَونَهُ نَبيًّا مَبعوثًا إلى الخَلائِقِ لَم يَتَحقّقْ إلّا بَعدَ إخراجِهِ مِنَ الجَنّةِ ونُزولِهِ إلى الدُّنيا وتَعميرِها؛ لأنّهُ تعالى خَلَقَهُ للأرضِ وتَعميرِ دارِ التّكليفِ والامتِحانِ، كَما أشارت إلى ذلكَ الآياتُ

(١) ينظر: الكشّاف: ١: ١٣٠.

(٢) سورة طه ٢٠: ١١٥.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾ سورة طه ٢٠: ١٢٠.

(٤) نور التّوفيق: ٢٢٦.

والأحاديثُ المَنقولَةُ عَن أهلِ بَيتِ العِصمَةِ والطّهارَةِ عليهم السلام ولا يكونُ ذلكَ في الجَنَّةِ[1]، فَعنِ الرّضا عليه السلام: «وأمَّا قولُه تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإنّ اللهَ عزّ وجَلَّ خَلقَ آدمَ حُجّةً في أَرضِهِ وخَليفةً في بلادهِ ولم يخلقهُ للجنَّةِ، وكانت المعصيةُ مِن آدمَ في الجنَّةِ لا في الأرضِ؛ لِيتِمَّ مقاديرُ الله عَزَّ وجَلَّ فَلمَّا أُهبطَ إلى الأرضِ وجُعِلَ حُجَّةً وخليفَةً عُصِمَ بقولِه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾[2]»[3]،

وقد بيَّنَ الشيخُ الطّوسيّ (٤٦٠هـ) أنَّ النهيَ الواردَ هنا نهيٌ تنزيهيٌّ على وجه النّدبِ لا نهيٌ تحريمي؛ «لأنَّ الحرامَ لا يكونُ إلَّا قبيحًا، والأنبياءُ لا يجوزُ عليهم شيءٌ منَ القبائحِ لا كبيرها ولا صغيرها»[4].

وفيهِ قالَ العلّامةُ المجلسيّ (١١١١هـ): «والجوابُ مُجملاً عمّا استدَلَّ بِهِ المخطِّؤونَ من إطلاقِ لفظِ العِصيانِ والذّنبِ فيما صَدرَ عَن آدمَ عليه السلام هو أنَّهُ لمّا قامَ الدّليلُ على عصمتِهِم نحملُ هذهِ الأَلفاظَ على تركِ المستحبِّ والأَولى، أو فعلِ المكروهِ مجازًا، والنّكتةُ فيهِ كونُ تركِ الأَولى ومخالفَةِ الأَمرِ النّدبي وارتِكابِ النّهي التّنزيهي منهُم ممَّا يَعظُمُ موقعُهُ لِعلُوِّ درجتِهِم وارتفاعِ شأنِهم»[5].

وقالَ الشّيخُ محمَّد رضا المظفّر (١٣٨٣هـ): «ونعتقدُ أنَّ الأنبياءَ معصومونَ قاطبةً، والعصمةُ: هي التّنزّهُ عن الذنوبِ والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعنِ الخطأِ والنّسيانِ، وإنْ لم يمتنعْ عقلًا على النّبيِّ أن يصدرَ منهُ ذلكَ، بل يجبُ أن يكونَ منزَّهًا حتَّى عمَّا يُنافي المروءةِ، كالتّبذّلِ بينَ النّاسِ: من أكلٍ في الطّريقِ، أو ضحكٍ عالٍ، وكلُّ عملٍ يُستهجنُ فعلهُ عندَ العرفِ العامِّ»[6].

---

(١) ينظر: نور التّوفيق: ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٣٣.

(٣) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ١٧١، بتغيير طفيف.

(٤) التبيان: ٧: ٢١٧.

(٥) بحار الأنوار: ١١: ٩١.

(٦) عقائد الإمامية: ٧١.

كما ذكرَ العلّامةُ الطباطبائيّ (١٤٠٢هـ) أنّهُ نهيٌ إرشاديٌّ؛ لأنَّ النهيَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١) أُستتبعَ بالظلمِ، وفي سورة طه استتبعهُ بالشّقاءِ لتركِهِ الجنّةِ: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾(٢)، لأنَّ دار الدّنيا تعبٌ وعناءٌ ومشقّةٌ وجوعٌ وعطشٌ، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾(٣)، فالوقوعُ بهذهِ المشقّةِ نتيجةٌ لمخالفة هذا النّهي، و(مخالفةُ النهي الإرشادي لا تُوجبُ معصيةً مولويّةً، وتعدّيًا عن طورِ العبوديّةِ، بل يُرشَدُ بهِ إلى ما فيهِ خيرُ المكلّفِ وصلاحِهِ، وعلى هذا فالمرادُ بالظّلمِ أيضًا في ما وردَ منَ الآياتِ ظلمهما على أنفسِهما في إلقائِهما في التّعبِ والتّهلكةِ دونَ الظّلمِ المذمومِ في بابِ الرّبوبيّةِ والعبوديّةِ وهو ظاهرٌ)(٤).

كما عقدَ السيّدُ السّبزواريّ (١٤١٤هـ) مباحثَ تفسيريّةً وكلاميةً وروائيّةً مفصّلةً لبيانِ هذا الموضوعِ، كانت نتيجتهُ: إنَّ ورودَ ألفاظِ المعصيةِ والغوايةِ والاجتباءِ والتّوبةِ من آدمَ عليه السلام فيها اصلاحٌ تربويٌّ ومعنويٌّ لآدمَ عليه السلام كي لا يقعَ في الكبرِ والعجبِ كونهُ خليفةَ اللهِ في أرضهِ الذي خلقهُ بيدِهِ ونفخَ فيهِ من روحهِ وأسجَدَ له ملائكتهُ، وعليهِ فالنّهيُ نهيٌ إرشاديٌّ إلى ما يترتّبُ على فاعلِهِ من آثارٍ من مشقّةٍ وتعبٍ في دارِ الدّنيا، في قبالِ نعيمِ الجنّةِ وراحتها، والشّجرةُ المنهيُّ عنها هي مثالٌ لحقيقةِ الدّنيا فتظهرُ لأولياءِ اللهِ وأنبيائهِ بأشكالٍ مختلفةٍ وصورٍ متعدّدةٍ(٥).

فالمصَنِّفُ يرى أنّ آدمَ عليه السلام قد خُلِقَ لعمارةِ الأرضِ لا للجنّةِ، وهو الحجّةُ والخليفةُ فيها، ولازمُ ذلكَ أن يكونَ معصومًا عن كلِّ صغيرةٍ أو كبيرةٍ، بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٦)، وما وردَ عن

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٢) سورة طه ٢٠: ١١٧.

(٣) سورة طه ٢٠: ١١٨، ١١٩.

(٤) تفسير الميزان: ١: ١٣١.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١: ٢٥٠ـ ٢٨٠.

(٦) سورة آل عمران ٣: ٣٣، ٣٤.

أبي الحسنِ الرّضاعليه السلام[1]، أمَّا ما كان من خبرِهِ قبل نزولِهِ إلى الأرضِ فلم يكن معصومًا؛ لأنَّ عصمتَهُ تابعةٌ لتكليفِهِ؛ لذا صدرت منهُ المعصيةُ عَلى سَبيلِ النِّسيانِ والتّلبيسِ بوَسوَسَةِ الشّيطانِ، ولا يُنافِي ذلكَ عِصمةَ الأنبياءِ عليهم السلام[2] .

كما عقدَ الشّيخُ السّبحانيّ بحثًا قيِّمًا عالجَ فيهِ كلَّ ما يدورُ حولَ عصمةِ آدمَ عليه السلام، والأقوالَ في المسألةِ وردَّها، وحقيقةَ النّهي الواردِ في النَّصِّ الشّريف، بما ملخّصه[3]:

لا يُمكنُ عدُّ مخالفةِ آدمَ عليه السلام معصيةً حقيقةً إلَّا إذا كانَ النّهيُ مولويًّا صادرًا على نحوِ الإلزامِ، أمَّا إن كانَ النّهيُ إرشاديًّا من بابِ النّصحِ فلا يترتّبُ عليهِ سوى الآثارِ الطبيعيَّةِ والوضعيّةِ، وهناكَ مجموعةٌ من الأدلَّةِ والقرائنِ تُبيِّنُ كنهَ هذا النّهي وكونِهِ إرشاديًّا لا مولويًّا، منها:

١ـ عدمُ ارتفاعِ أثرُ هذهِ المخالفةِ بالتّوبةِ والرّجوعِ إلى اللهِ، فلم يرجع آدمُ عليه السلام إلى الجنَّةِ التي أُخرِجَ منها، وإنَّما بقيَ في الأرضِ التي خُلِقَ لعمارتِها، فالنّهيُ كانَ لتجنّبِ الإنزالِ.

٢ـ دلَّت سورة طه على آثارِ مخالفةِ هذا النّهي، وهو التّعرّضُ إلى المشقّةِ والعناءِ والكدِّ والتّعبِ، وهو ما يُفيدُ كونهُ إرشاديًّا؛ لأنَّ مخالفةِ النَّهي التحريمي يستلزمُ العقابَ والعذابَ، قال تعالى : ﴿فَقُلْنَا يا آدمُ إنَّ هَذَا عَدُوّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى * إنّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ولا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤا فِيهَا ولا تَضْحَى﴾[4].

٣ـ بعدَ وقوعِ المخالفةِ خاطبَ اللهُ سبحانهُ آدمَ وحوّاءَ بقولِهِ تعالى: ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوّ مُبِينٌ﴾[5]، وظاهرُ الخطابِ دالٌّ على الإرشادِ والنّصحِ والشّفقةِ.

(١) ينظر: أمالي الصدوق: ١٥١، وقد مرَّ ذكرهُ.

(٢) ينظر: نور التوفيق: ٢٢٦.

(٣) ينظر: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٩١ـ١١٣.

(٤) سورة طه ٢٠: ١٧ـ١٩.

(٥) سورة الأعراف ٧: ٢٢.

إضافةً إلى ذلكَ أنَّ المحلَّ الذي تلقّى فيهِ آدمُ عليه السلام النّهيَ لم يكن محلَّ تكليفٍ وتشريعٍ فتكونُ مخالفتُهُ معصيةً، بل محلُّ تعلّمٍ وتبصرةٍ بما سيُلاقيهِ بعد إنزالِهِ إلى الأرضِ فهيَ دارُ تكليفِهِ، فمَن التزمَ بأوامرِهِ ونواهيهِ فيها فازَ وسعد، ومَن خالفَ وعصى واتّبعَ إبليسَ خسرَ وهوى.

وربّما ذهبَ بعضٌ من المفسّرينَ إلى أنَّ معصيتَهُ كانت من بابِ تركِ الأولى(١)، فإنَّ التركَ وإن لم يكن معصيةً حقيقةً إن صدرَ من أيِّ شخصٍ، إلّا إنَّهُ إذا صدرَ من شخصٍ لهُ مكانةٌ دينيّةٌ كبيرةٌ كآدمَ عليه السلام فيُعدُّ معصيةً بحقِّهِ، ومخالفةً تستلزمُ النّدمَ والتّوبةَ باعتبارِ محلِّهِ وشخصِهِ.

وممَّا تقدَّمَ يبدو للباحثِ ما يأتي:

١ـ قولُهُ: (إن كانَ آدمُ مندوبًا إلى تركِ التّناولِ) إلى آخرِهِ، فإنَّ تركَ الأولى أمرٌ طبيعيٌّ إن صَدَرَ من أيِّ إنسانٍ مُكلَّفٍ، فضلًا إنَّا نرى أنَّ هناكَ منَ الأولياءِ والعلماءِ ومن سائرِ النّاسِ من يلتزمُ بالمندوبِ ولا يتركَ الأولى، فكيفَ عندَ صدورِهِ مِن أوَّلِ خلقِ اللهِ، وممَّن أسجدَ لهُ ملائكتهُ، فإنَّ لهُ وقعٌ ولهُ أثرٌ استلزَمَ هذا اللّومَ والعَتبَ لِعلوِّ قَدرِهِ ودرجتِهِ؛ لذا وقعَ اللّومُ عليهِ والبُكاءُ منهُ لما فرَّطَ بحقِّهِ.

٢ـ قولُهُ: (إنَّ أمثالَ هذهِ الخطيئةِ) إلى آخرِهِ، فإنَّ التّوبةَ لَيست بدليلٍ لوقوعِ الذّنبِ أو الخطيئةِ، بل تعني الرّجوعَ إلى اللهِ سبحانهِ، ومَنْ مِنَ الخلقِ لا يَشعرُ بأنَّهُ مُقصّرٌ بحقِّهِ تعالى، فَقبولُ الأعمالِ لا يعلمُهُ إلّا اللهَ سبحانهُ؛ ولِذا دَأَبَ الأنبياءُ والأئمَّةُ والأولياءُ عليهم السلام على طلَبِ العفوِ والمغفرةِ والتّوبةِ منَ اللهِ سبحانه.

وقد أشارَ المصنِّفُ إلى ذلك في قصّةِ خليلِ اللهِ وولدِهِ عليهما السلام، عندَ تفسيرِهِ لِقَولِهِ تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾(٢)، إذ قالَ: (أي: وَقالَا هذهِ الكَلمَةِ عَلى وَجهِ التّسبيحِ والتّعبُّدِ والتّخضُّعِ والتّخشُّعِ والانقِطاعِ إلى اللهِ تعالى، والتّعليمِ لِلعِبادِ؛ لِيقتَدِي بِهِما النّاسُ، أو المَعنى: ارجع عَلَينا بالمَغفِرَةِ

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣: ٤٥٣، وتفسير القرطبي: ١١: ٢٥٧، وتفسير البيضاوي: ١: ٧٤، وبحار الأنوار: ١١: ٩١، وتفسير الآلوسي: ٤: ٣٤١.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٢٨.

والرّحمَةِ والرّضوانِ، فَلَيسَ فيها دَلالَةٌ عَلى جَوازِ اقتِرافِ الذَّنبِ عَليهِم مِنَ الصّغائِرِ، وارتِكابِ القَبيحِ مِنهُم؛ لأنَّ الدَّلائِلَ القاطِعَةَ والبَراهينَ السّاطعَةَ مِن جِهَةِ العَقلِ والنّقلِ قَد دَلَّت على أنَّ الأنبياءَ والأئمَّةَ عليهم السلام مَعصومونَ مُنَزَّهونَ عَنِ الصَّغائِرِ والكَبائِرِ).

ألا ترى أميرَ المؤمنينَ وسيّدَ الصّديقينَ وإمامَ المَوَحّدينَ عليه السلام كيفَ يُناجي ربَّهُ بقولِهِ: (إلهي، كَم مِن مَوبقَةٍ حلمتَ عنّي فَقابلتَها بنعمتِكَ، وكَم من جَريرةٍ تَكرَّمتَ عَن كَشفِها بكرمِكَ، إلهي، إن طالَ في عِصيانِكَ عُمري، وعَظُمَ في الصّحفِ ذنبي فما أنا مُؤمِّلٌ غيرَ غفرانكَ، ولا أنا براجٍ غيرَ رِضوانِكَ)[1]، وهذا سيّدُ السّاجدينَ وزينُ العابدينَ عليه السلام يقولُ في دعائهِ: (إلهي أفكِّرُ في عَفوِكَ فتهونُ عَليَّ خطيئتي، ثمَّ أذكرُ العَظيمَ مِن أخذِكَ فتعظُمُ عليَّ بَليّتي، آهٍ، إن أنا قرأتُ في الصّحفِ سيئةً أنا ناسِيها وأنتَ مُحصِيها، فتقولَ: خذوهُ، فَيا لهُ مِن مَأخوذٍ لا تُنجيهِ عشيرتُهُ، ولا تنفعُهُ قبيلتُهُ)[2].

٣ـ وقولُهُ: (يجبُ أن يكونوا مَعصومينَ مِنَ المعاصي المشتركةِ) إلى آخرِهِ، فهو أمرٌ مفروغٌ منهُ، أمَّا قولُهُ: وأن يكونوا معصومينَ فيما يَتعلَّقُ بالتّبليغِ والأداءِ لا مُطلقًا، ففيهِ كَلامٌ، فالنَّبيُّ حافظٌ للشّرعِ والدّينِ، وقولُهُ وفعلُهُ وتقريرُهُ حُجّةٌ يجبُ الالتزامُ بها، فكلُّ حركةٍ وسَكنةٍ لها نَصيبٌ بالتّشريعِ، وبعصمتِهِ في جميعِ مَواطِنِ حياتِهِ قبلَ البعثةِ أم بعدها يَحصلُ الوثوقُ الّذي هوَ أساسُ تَقبّلِهِ والانقيادِ لهُ[3].

وهذا هو مشهورُ قولِ الإماميّةِ إن لم نقل بالإجماعِ[4]، ولايضرُّ قولُ مَن قالَ منهم بجوازِ صدورِ المعصيةِ قبلَ النّبوّةِ فقط، إذ يرى الشّيخُ المفيدُ (٤١٣هـ) في أحدِ أقوالِهِ جوازَ صدورِ المعصيةِ

---

(١) أمالي الصدوق: ١٣٧، وروضة الواعظين: ١١٢.

(٢) مفتاح الفلاح: ٢٣٨.

(٣) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤٧٢.

(٤) ينظر: تنزيه الأنبياء: ١٧، وزبدة التفاسير: ٥: ٧٦، وعقائد الإمامية: ٥٣، والعصمة: حقيقتها ـ أدلتها: ٤٤.

الصّغيرةِ الّتي لا يُستَخفُّ فاعلُها منَ النّبيِّ مِن غيرِ عَمدٍ قبلَ النّبوَّةِ فقط[1]، وقد وافقهُ القَوشجي (٨٧٩ هـ) والمحقِّقُ الأردبيلي (٩٩٣هـ)[2]، ولهُ قولٌ ثانٍ جاءَ بهِ: «والأنبياءُ والأئمَّةُ عليهم السلام من بعدِهِم معصومونَ في حالِ نبوَّتِهم وإمامتِهِم منَ الكبائرِ كلِّها والصّغائرِ، والعقلُ يُجوّزُ عليهِم تركَ مندوبٍ إليهِ على غيرِ التّعمّدِ للتّقصيرِ والعصيانِ، ولا يجوزُ عَليهِم تركَ مُفترَضٍ إلّا أنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وآله والأئمَّةَ عليهم السلام من بعدِهِ كانوا سالمينَ مِن تَركِ المندوبِ، والمفترَضِ قبلَ حالِ إمامتِهِم وبعدَها»[3]، وعقَّبهُ بقولٍ ثالثٍ بعد أن عرَّفَ العصمةَ قائلًا: «العصمةُ: لُطفٌ يفعلُهُ اللهُ تعالى بالمكلَّفِ بحيث يمتنِعُ منهُ وقوعَ المعصيَةِ، وتركَ الطّاعةِ مع قدرتِهِ عَليهِما، والنّبيُّ معصومٌ من أوّلِ عُمرِهِ إلى آخرِهِ عَن السّهوِ والنّسيانِ، والذّنوبِ الكبائرِ والصّغائرِ عَمدًا وسَهوًا»[4].

المطلبُ الرّابعُ: المسائلُ الفقهيّة:

ـ تحديدُ القبلةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5]:

للمفسِّرينَ فيها أقوالٌ عدَّة ملخّصها:

ـ إنّها قبلةُ المتحيِّرِ، وهو ما ذكرهُ الرازيُّ[6]، والعلّامةُ المجلسيّ[7].

ـ إنّها القبلةُ في النّوافلِ، وهو ما جاءَ في تفسيرِ القمّيّ[8]، ومفاتيحِ الغيبِ[9]، والمجمعِ[10].

---

(١) أوائل المقالات: ٦٢.

(٢) ينظر: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٤٣.

(٣) تصحيح إعتقادات الإمامية: ١٢٩.

(٤) النكت الاعتقادية: ٣٧

(٥) سورة البقرة ٢: ١١٥.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤: ١٩.

(٧) ينظر: بحار الأنوار: ٨١: ٣١.

(٨) ينظر: تفسير القمّيّ: ١: ٥٩.

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤: ١٩.

(١٠) ينظر: مجمع البيانِ: ١: ٣٥٨.

ـ إنّها ردٌّ على اليهودِ، وهي منسوخةٌ، وهو ما ذكرهُ صاحبُ التّبيانِ[1]، وابنُ كثيرٍ[2].

وقد أوردَ المصنِّفُ بحثًا روائيًّا لتحديد معنى الآية المباركة وذلك بعد ذكرهِ الاختلاف في تحديدِ سببِ نزولِ النّصِّ المباركِ، إذ «قالَ ابنُ عبّاس: إنَّ اليهودَ أنكرُوا تحويلَ القِبلَةِ عَن بَيتِ المَقدِسِ إلى الكَعبةِ فنَزَلَت هذهِ الآيةُ رَدًّا عَليهِم، واختارَهُ الجُبّائيُّ وقالَ: بَيَّنَ سبحانهُ أنَّهُ لَيسَ في جِهَةٍ دونَ جِهَةٍ ومَكانٍ دونَ مَكانٍ كَما تقولُ المُجسِّمَةُ، وقالَ قَتادَةُ: كانَ للمسلِمينَ التّوجّهُ إلى حَيثُ شاؤا في صَلاتِهِم وفيهِ نَزَلَت هذهِ الآيَةُ، ثمَّ نَسخَ ذلكَ قَولُهُ تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3]، وقالَ: وكانَ النَّبيُّ ﷺ قَد اختارَ التَّوجُهَ إلى بَيتِ المَقدِسِ وكانَ لَهُ أن يَتَوَجّهَ إلى حيثُ شاءَ»[4].

ـ ففي الفَقيهِ: «وسَأَلَهُ معاويةُ بنُ عَمّار عَنِ الرّجُلِ يقومُ في الصّلاةِ، ثمَّ ينظُرُ بعدَما فرغَ فيَرى أنَّهُ قَد انحَرَفَ عَنِ القِبلَةِ يَمينًا وشِمالًا، فَقالَ لهُ: قَد مَضت صَلاتُهُ، وما بينَ المَشرِقِ والمَغربِ قِبلَةٌ، ونَزَلَت هذهِ الآيةُ في قِبلَةِ المُتحيِّرِ: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾»[5].

ـ «ورُوِي عَن جابرٍ قالَ: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ سَريَّةً كنتُ فيها فَأصابَتنا ظُلمَةٌ فَلَم نَعرِفِ القِبلَةَ، فقالَ طائِفَةٌ مِنّا: قَد عَرَفنا القِبلَةَ هيَ ههنا قِبَلَ الشّمالِ فَصَلُّوا وخَطُّوا خُطوطًا، وقالَ بعضُنا القِبلَةَ ههنا قِبَلَ الجنوبِ فَخَطُّوا خُطوطًا، فَلَمّا أصبحُوا وطَلَعَتِ الشّمسُ، أصبَحَت تلكَ الخُطوطُ لِغَيرِ القِبلَةِ، فَلَمّا قَفَلنا[6] مِن سَفَرِنا سَألنا النَّبيَّ ﷺ عَن ذلكَ فَسَكَتَ، فَأنزَلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ»[7]، فَهيَ قِبلَةُ المُتحيِّرِ.

---

(١) ينظر: التّبيان: ١: ٤٢٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ١: ٣٩١.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٤) التبيان: ١: ٤٢٤، ومجمع البيان: ١: ٣٥٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ١: ٢٧٦، حديث رقم: ٨٤٨.

(٦) القَفلُ: الرّجوعُ منَ السّفرِ. معجم مقاييس اللغة: ٥: ١١٢.

(٧) مجمع البيان: ١: ٣٥٨، وبحار الأنوار: ٨١: ٣١.

ـ وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: «إنَّها نَزَلَت في صَلاةِ النّافلَةِ تُصلِّيها حيثُ تَوَجَّهتَ في السّفرِ، أمَّا الفَرائضُ فَقولُهُ تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1] يعني: الفرائضَ لا تُصلِّيها إلَّا إلى القِبلَةِ»[2]، انتهى.

ـ وفي المجمَعِ: «إنَّها نَزَلَت في صَلاةِ التّطوّعِ على الرّاحلَةِ تُصلِّيها حيثُما توجَّهتَ إذا كُنتَ في سَفرٍ، وأمَّا الفرائضُ فقَولُهُ تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يَعني: إنَّ الفرائضَ لا تُصلِّيها إلَّا إلى القِبلَةِ، وهذا هوَ المَروي عَن أئمَّتِنا عليهم السلام، قالُوا: وصَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إيماءً على راحِلَتِهِ أينما توجَّهت بهِ حيثُ خَرَجَ إلى خَيبَرَ، وحينَ رَجَعَ مِن مَكَّةَ، وجعَلَ الكَعبَةَ خَلفَ ظَهرِهِ»[3].

ـ والعَيَّاشي: عَنِ الباقرِ عليه السلام: «أنزَلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ في التّطوّعِ خاصّةً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وصَلَّى رَسولُ الله صلى الله عليه وآله ايماءً على راحلَتِهِ أينما تَوجَّهَت بِهِ حيثُ خَرَجَ إلى خَيبَرَ، وحينَ رَجَعَ من مَكَّةَ وجَعَلَ الكَعبَةَ خَلفَ ظَهرِهِ»[4].

ـ «وقالَ زرارةُ: قُلتُ لأبي عبدِ الله عليه السلام: الصّلاةُ في السَّفرِ في السّفينةِ والمَحمَلِ سَواءٌ؟ قالَ: النّافلَةُ كُلُّها سَواءٌ، تُومِئُ ايماءً أينما تَوَجَّهَت دابَّتُكَ وسَفينَتُكَ، والفَريضَةُ تَنزِلُ لها منَ المَحمَلِ إلى الأرضِ إلَّا مِن خَوفٍ، فَإن خِفتَ أومَأتَ، وأمَّا السّفينةُ فَصَلِّ فيها قائمًا وتَوَخَّ[5] القِبلَةَ بجَهدِكَ فإنَّ نوحًا عليه السلام قَد صَلَّى الفَريضَةَ فيها قائمًا مُتوجِّها إلى القِبلَةِ وهيَ مُطبَّقَةٌ عليهِم، قالَ: قُلتُ: وما كانَ عِلمَهُ بالقِبلَةِ فَيَتَوجَّهُها وهيَ مُطبَقَةٌ عليهِم، قالَ: كانَ جبرئيلُ عليه السلام يُوجِّهُهُ نَحوَها، قالَ: قُلتُ: فَأَتَوَجَّهُ

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٥٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٥٨.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، حديث رقم: ٨٠.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: فعلُ أمرٍ من التّوخّي، وهو للاختيار.

نَحوَها في كُلِّ تكبيرٍ؟ قالَ: أمَّا النّافلَةُ فَلا، إنَّما تُكَبِّرُ في النّافلَةِ على غيرِ القِبلَةِ، ثمَّ قالَ: كُلُّ ذلكَ قِبلَةٌ للمُتَنفِّلِ، إنَّهُ سبحانهُ قالَ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ـ وفي تفسيرِ العَيَّاشي وفي العِلَلِ: عنهُ عليه السلام: أنَّهُ سُئِلَ عَن رَجلٍ يَقرَأُ السَّجدَةَ وهوَ على ظَهرِ دابَّتِهِ؟ قالَ: «يَسجُدُ حيثُ تَوجَّهَت، فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يُصَلِّي عَلى ناقَتِهِ النّافلَةَ وهوَ مُستَقبلٌ المدينَةَ، يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾»[2].

ليخلصَ إلى القولِ:

(فَثَمَّ يَقصدُ اللهَ سبحانهُ وَيَتوَجَّهُ القَصدُ إلى عِبادتِهِ، أو فَثَمَّ ذاتُهُ، أي: عالِمٌ مُطّلِعٌ بِما يَفعَلُ فيهِ العِبادُ، وهذا موافقٌ لما اختارهُ الزمخشريُّ[3]، فَعلى هذا لا تَكونُ الآيةُ مَنسوخَةً، بَل تَوطِئَةً لِنسخِ قِبلَةِ اليَهودِ وتَمهيدًا لِما يأتي مِن قَولِهِ تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[4]، ولا في قِبلَةِ المتحيِّرِ، بَل للرَّدِّ على الطّوائِفِ المذكورَةِ كَما يَجيءُ في قَولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[5] الآيةَ على وَجهٍ، أو المعنى: فَفي أيِّ مَكانٍ تَوجَّهتُم إليهِ فَهناكَ وَجهُ الله، أي: قِبلَةَ الله سبحانهُ، والوَجهُ والجِهَةُ والوِجهَةُ للقِبلَةِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[6]، أو ثَمَّ رضوانُ الله يَعني: الوَجهَ الّذي يُؤدِّي إلى رِضوانِهِ باعتِبارِ الانقِيادِ والطَّوعِ والقُبولِ لأمرِهِ سبحانه وعَدَمِ الإنكارِ.

---

(١) تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، ٥٧، حديث رقم: ٨١.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٢، وعلل الشّرائع: ٢: ٣٥٩، حديث رقم: ١.

(٣) ينظر: الكشّاف: ١: ١٨٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٤٨.

أو المَعنى: ولله المَشرِقُ والمَغرِبُ فَفِي أيِّ مَكانٍ وإلى أيِّ جِهَةٍ سافرتُم وتَوَجَّهَت دَوابُّكُم إليها فَصَلُّوا صَلَواتكُم النّوافِلَ إليها؛ لأنَّ ثَمَّ وَجهُ اللهِ وجِهَتُهُ المأمورِ بها مِن غَيرِ حاجَةٍ إلى القِبلَةِ، فَتكونُ حينئذٍ لِبَيانِ قِبلَةِ النَّوافِلِ في السَّفَرِ، بَل في الحَضَرِ أيضًا، بَل قِبلَةِ سَجدَةِ التّلاوَةِ أيضًا»[1] .

(١) نور التّوفيق: ٧٩٩.

الفصلُ الثّاني

المباحثُ اللّغويّةُ في تفسيرِ نور التّوفيقِ

المبحثُ الأوَّلُ: المباحثُ الصّرفيّةُ والنَّحويَّةُ في التَّفسيرِ

المبحثُ الثّاني: المباحثُ المعجميّةُ في التّفسيرِ

المبحثُ الثّالثُ: المباحثُ الشّعريّةُ والبلاغيّةُ في التّفسيرِ

المبحثُ الأوَّلُ

المباحثُ الصّرفيّةُ والنَّحويَّةُ في التَّفسيرِ

المطلبُ الأوَّلُ: البحثُ الصّرفيّ عندَ المصنِّف

المطلبُ الثّاني: البحثُ النّحويّ عندَ المصنِّف

توطئة:

للقرآنِ الكريمِ أثرٌ بارزٌ وكبيرٌ في نشأةِ علومِ اللّغةِ العربيّةِ وتطوّرِها؛ لما لهُ منَ الفضلِ الكبيرِ في دفعِ العلماءِ المسلمينَ وزيادةِ حرصِهم على فهمِ أسرارِ العربيّةِ و أساليبِها وظواهرِها من أجلِ فهمٍ أكبرٍ وأدقٍّ لمعاني القرآنِ المجيدِ؛ فالعربيّةُ لغةُ القرآنِ وفهمهِ وحفظِهِ واستخراجِ مكنوناتِهِ لا يتمُّ إلّا بحفظِ هذهِ اللّغةِ وفهمِها، ومعرفةِ فنونِها وقواعدِها وأحكامِها، ومنَ المباحثِ اللّغويّةِ المتّصلةِ بتفسيرِ كتابِ اللهِ الكريمِ، المباحثُ الصّرفيّةُ والنّحويّةُ، وسنستعرضُ في هذا المبحثِ أمثلةً عدّةً منها على سبيلِ التّمثيلِ لا الحصرِ وفي مطلبينِ:

المطلب الأوّلُ: البحثُ الصّرفيّ عندَ المصنِّف:

إذ يُبيّنُ المصنِّفُ بعضًا من المسائلِ الصّرفيَّةِ وبالتّفصيلِ كلّما دعت الحاجةُ إلى ذلكَ، وخاصّةً في مواردِ إعتراضاتِهِ على رأيٍ سابقٍ له، كما في اشتقاقِ أفعلِ التّفضيلِ من (أوّل) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[1]:

إذ ردَّ المصنِّفُ على الكوفيّينَ قولَهم في اشتقاقِ أفعلِ التّفضيلِ من(أوّل) مُبيِّنًا الأقوالَ الواردةَ فيهِ، وهي أربعةُ أقوالٍ:

«الأوَل: إنّهُ مشتقٌّ من (وَأَل)، ثمّ قُلِبت الهمزةُ واوًا فصارَ (وَوَل) ثمّ زِيدت في أوَّلِه همزةٌ وأُدغمت الواوُ في الواوِ فصارَ أوَّلُ، وعليه يكون وزنهُ (أفعل)، وهوَ قولُ الجوهريِّ[2].

الثاني: إنّهُ مشتقٌّ من (أوَل) قُلِبت الهمزةُ واوًا فصار (وَوَل) ثم زيدت في أوَّلِه همزةٌ وأُدغمت الواوُ في الواوِ فصار أوّل، وعليه يكون وزنهُ (أفعل).

الثالث: إنّهُ مشتقٌّ من (أوَل) فالهمزةُ فاءُ الكلمةِ والواوُ عينُها، ثمّ زيدت واوٌ أخرى قبلَ الواوِ التي هي عينُ الكلمةِ وادغمت فوزنُهُ (فَوعَل) أو بعدَها وأدغمت فوزنُهُ (فَعوَل)[3].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤١.

(٢) ينظر: الصحاح: ٥: ١٨٣٨، (وَأَل).

(٣) والقولُ: لابن دريد. ينظر: شرح النظّام على الشافية: ٤٢٤.

الرابع: إنّهُ مشتقٌّ من (وَوَل)، زِيدَ في أوّلِهِ همزةٌ مفتوحةٌ وأدغِمَت الواوُ في الواوِ فصار (أوّل))[1].

وقد ردَّ الأقوالَ الثّلاثةَ الأولى، مُختارًا رابعَها بقولِهِ: «اعلم أنَّ وزنَ (أوَّلُ) أفعَلُ؛ لأنّ تصريفَهُ على (أُولى) في الواحدةِ و(أُوَل) في جمعِها، وهما فُعلى وفُعَل دليلٌ على أنّه أفعَلُ التفضيلِ، فالهمزةُ فيهِ زائدةٌ وليس وزنُه (عَوفَل) ولا (فَوعَل) ولا (عَفوَل) ولا (فَعوَل) كما قالَ الكوفيّونَ[2]»[3].

وللنّحويّين خمسةُ أقوالٍ في وزنِ (أوّل): ثلاثٌ منها للبصريّينَ، واثنانِ للكوفيّينَ، وهي[4]:

- قولُ جمهورِ البصريّينَ: إنَّهُ مِن (وَوَلَ)، ثمَّ أُدغمَتِ الواوانِ، ولم يُستعملْ هذَ إلّا في (أوَّل) ومتصرفاتِهِ، وقالَ ابنُ جنّي (٣٩٢هـ): «أوّل: أفْعَل، ومؤنثه: وُولى، نحو: أفضل وفُضْلى، فلما انضمت الواو الأولى في وُولى قلبت همزة فصارت أولى»[5].

- وقالَ بعضُهُم: إنَّهُ من (وَأَلَ)، فأصلُهُ (أَوْأَلَ)، أي: نجا؛ لأنَّ النّجاةَ في السَّبقِ، ثمَّ قُلِبتِ الهمزةُ واوًا وأُدغِمَت، وهذا خلافُ القياسِ.

- وقيلَ: إنَّهُ من (آلَ)، فأصلُهُ (أأْوَلَ)، أي: رجعَ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يرجِعُ إلى أوَّلِهِ، وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّهُ إمَّا أن تُقلبَ الهمزةُ، أو الألفُ المنقلبةُ عنِ الهمزةِ واوًا، وهو خلافُ القياسِ أيضًا.

- وقالَ الكوفيّونَ: إنَّهُ من (وَأَلَ) فيما حكاهُ ثعلبٌ عنِ الفرّاءِ[6]، ثمَّ قُلِبَتِ الهمزةُ إلى محلِّ الفاءِ فصارَ (أوَلَ)، فأصلُهُ (وَوْأَلَ)، على وزنِ (فَوْعَلَ). بدلالةِ قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾[7]، على

---

(١) نور التوفيق: ٣٠٧

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣: ٤٦٠.

(٣) نور التوفيق: ٣٠٦.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣: ١٩٥، وشرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاسترابادي: ١: ١١٨، وشرحُ الرّضيّ: ٢: ٣٤٠، والممتعُ الكبيرُ في التصريف: ٣٥٨.

(٥) المنصف: ٤٣٣.

(٦) ينظر: الممتع الكبير في التصريف: ٣٥٨.

(٧) سورة النجم ٥٣ : ٥٠.

قراءة قالون بهمزِ الواوِ، وهي قراءةٌ شاذّةٌ[1]، بإبدالِ الواوِ همزة.

ـ وقالَ بعضُ منهُم: إنَّ (فَوْعَل) من تركيبِ (وَوَلَ)، فقُلِبتِ الواوُ الأولى همزةً، وبعدها واو (فوَعل).

واختارَ شُرّاحُ الشّافيةِ قولَ جمهورِ البصريّينَ[2]؛ لمخالفَةِ غيرِه القياس، وأضافَ الرّضيُّ (٦٨٦هـ): «لأنَّ تَصريفَهُ على أُولَى وأُوَل دليلٌ على أَنَّهُ (أفعلُ التّفضيلِ) وليسَ بـ(فوعَل) كَما قالَ الكوفيّونَ، والصّحيحُ أَنَّهُ أفعلُ من تركيبِ (وَوَل)، وإن لم يُستعمَلُ في غيرِ هذا اللّفظِ لا من (أوَلَ)، ولا من (وَأَلَ) لئلّا يلزمُ قلبُ الهمزةِ شاذًّا»[3].

لِيُضيفَ بعدَها قائلًا: «اعلم أنّ «أوّل» على المذهبِ الصحيحِ مِن (أفعَلَ) الذي لا فِعلَ له كـ(آبَلَ مِن حُنَيفِ الحناتِمِ)[4]، وأحنَكَ الشّاتينِ، وأحنَكَ البعيرينِ[5]، وهو غيرُ مُنصرفٍ للوصفيّةِ ووزنِ الفعلِ، يُقالُ: هو أوّل مِن كذا، وقد يُحذفُ (مِن) كما هو الشّائعُ المتعارَفُ قال:

يا ليتَها كانت لِأهلي إبِلًا　　أو هُزِلَت في جدبِ عامٍ أوّلا[6]

(١) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٠٢.

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاستراباذي: ٢: ٥٨٨، وشرحُ الرّضيّ: ٢: ٣٤٠.

(٣) شرحُ الشافية للرّضي: ٢: ٣٤٠.

(٤) وهو من الأمثال المضروبة في التّناهي والمبالغة، وهو رجلٌ من تيم اللات حاذق برعاية الإبل، يقالُ: رجلٌ آبلُ بيِّن الإبالة إذا كان بصيرا بالإبلِ ومعالجتها. جمهرة الأمثال: ١: ٢٠٠، مثل رقم: ٢٤٦، ومجمع الأمثال: ١: ٣١٢.

(٥) أَحْنَكُ البَعِيرَيْنِ وأَحْنَكُ الشّاتَيْنِ: أي أَشَدُّهُما أَكْلاً. المخصص: ٢: ٨، و ٢: ٩١، وأساس البلاغة: ٢٠٣، وتاج العروس: ١٣: ٥٤٧، (حنك).

(٦) البيت من الرجز، من شواهد سيبويه مجهولة القائل، وقيل لأبي النّجم العجلي. ينظر: الكتاب: ٢: ٢٨٩، والمفصّل في صنعة الإعراب: ١: ٢٩٩، وإيضاح شواهد الإيضاح: ١: ٥٢٣، الشاهد رقم: ١٤٤. والشاهد فيه: مجيء «أوّلَ» ممنوعة من الصّرف للوصف وقد حُذفت (من) قبلها.

أي: أوّلُ من هذا العامِ، فـ(أوّلا): غيرُ منصرفٍ مجرورٌ بالفتحةِ نعتٌ لعامٍ، والألفُ: للإطلاق[1].

ومن ذلك أيضًا تفصيلُهُ القولَ في اشتقاقِ ألفاظِ (جبرئيلُ وميكائيلُ وإسرائيلُ)، إذ قالَ المصنِّفُ:

(جَبرئيلُ ومِيكائيلُ: اسمانِ أعَجميّانِ عُرِّبا، وقيلَ: جَبْرُ في اللّغةِ السّريانيَّةِ والعِبرانيَّةِ بمَعنى: العَبدِ، وإيل هوَ: اللهُ، ومِيكَ بمَعنى: عُبَيدٍ، فمَعنى جَبرئيلَ ومِيكائيلَ: عَبدُ الله، وعُبَيدُ الله- وقالَ في موردٍ سابقٍ-: وإِسر على زِنَةِ حِبرٍ، وإِسرا على وزنِ ذِكرى، كلاهما: بمعنى العبدِ والصّفوةِ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[2]، فصارَ مجموعُ المضافِ والمضافِ إليهِ عَلَمًا ليعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ عليهم السلام)[3].

وقد ذهبَ أبو عليٍّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) إلى أنَّ ذلكَ (لا يَستَقيمُ مِن وَجْهَينِ:

أَحَدُهُما: إنَّ إيل: لا يُعرَفُ مِن أسماءِ الله في اللّغةِ العَربيّةِ.

والآخَرُ: إنَّهُ لَو كانَ كذلكَ لَكانَ آخِرُ الاسمِ مجرورًا أبدًا كَقولِهم: عَبدُ اللهِ)[4].

فيما ناقشَ المصنِّفُ اعتراضَ أبي عليٍّ بالقولِ:

(فيهِ: أَنَّهُ يُمكنُ أن يكونَ تَركيبُ جَبرئيلَ وميكائيلَ مثلَ تَركيبِ مَعدِي كَربٍ، وبَعلَبَكَ، لا مثلَ عَبدِ الله، وأن يكونَ إيل مِنَ الإيالَةِ[5])[6].

مستدلًّا لذلكَ بما ورَدَ عنِ الصّادقِ عليه السلام في حديثٍ: «يعقوبُ عليه السلام: هو إسرائيلُ، ومعنى إسرائيلَ: عبدُ الله؛ لأنَّ إِسرا هو العبدُ، وإيلَ هو الله»[7]، وفي روايةٍ أخرى: « إِسر: هو القوَّةُ، وإِيل: هو

(١) نور التوفيق: ٣٠٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٣) نور التوفيق: ٦٨٩، و٢٨٥.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٦٩.

(٥) وهي: السّياسة. لسان العرب: ١١: ٣٤، (أول).

(٦) نور التوفيق: ٦٩٠.

(٧) علل الشرائع: ١: ٤٣، حديث رقم:١.

الله»[١]، وبما نقلهُ ابنُ الأثيرِ (٦٠٦هـ) في نِهايَتِهِ: «وفيهِ ذكرُ جَبرئيلَ وميكائيلَ، قيلَ: هُما جَبْرُ ومِيكا أُضِيفا إلى إيلٍ وهوَ: اسمُ الله تعالى، وقيلَ: هوَ الرّبوبيَّةِ، ومنهُ: إيليا»[٢]، وما جاءَ في القاموسِ المحيطِ: «إِيلُ بالكسرِ: اسمُ اللهِ»[٣].

ونقَلَ أهلُ اللّغةِ والمعجماتِ أنَّ هذهِ الألفاظَ: أسماءُ أعلامٍ مُنِعت منَ الصَّرفِ للعلميَّةِ والعجمةِ، وأصلُها سريانيٌّ أو عبرانيٌّ، وأنَّ إيل بمعنى: اللهُ أو الإلهُ، وجبرَ تعني: عبدُ، وميكا: عُبيدُ، وإسرا: صفوةُ أو سرٌّ، فهي بمعاني: عبدُ اللهِ، وعُبيدُ اللهِ، وصفوةُ اللهِ أو سرُّ اللهِ[٤]، فهي أسماءُ عبوديَّةٍ[٥].

وقيلَ: «لم يُخَاطِبِ اليهودُ في القُرآنِ إلَّا بـ(يا بني إسرائيلَ) دونَ (يا بني يعقُوبَ)؛ لنكتَةٍ هيَ: أَنَّهُم خُوطِبوا بِعبادةِ اللهِ وذُكِّرُوا بدينِ أسلافِهِم موعظَةً لَهُم، وتنبيهًا مِن غفلتِهِم، فَسُمُّوا بِالاسمِ الّذي فيهِ تذكرَةٌ باللهِ»[٦].

ووافقهم معظمُ المفسِّرينَ في ذلكَ[٧]، وقالَ القرطبيُّ: «والصَّحيحُ في هذهِ الألفاظِ أنَّها عربيّةٌ نزَلَ بها جبريلُ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، فإن قيلَ: لَيسَت هذهِ الكلماتُ عَلى أوزانِ كلامِ العرَبِ فلا تكونُ منهُ. قُلنا: ومَن سَلَّمَ لَكُم أنَّكُم حصَرتُم أوزانَهُم حَتَّى تُخرِجُوا هذهِ مِنهَا»[٨].

---

(١) علل الشرائع: ١: ٤٣، حديث رقم: ٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٨٥.

(٣) القاموس المحيط: ٣: ٣٣٢، (إيل).

(٤) ينظر: المنجدُ في اللغة: ١٦٢،(جبر)، ولسانُ العرب: ١٥: ٢٩٠، (ميكا)، وتاج العروس: ١٠: ٣٥٧، (جبر)، و ٣٨: ٢٧٥، (سرا)، والكليّات: ١١٥.

(٥) ينظر: التّوقيفُ على مهمّات التعاريف: ٣٢٠.

(٦) الكليّات: ١١٥.

(٧) ينظر: جامع البيان: ٢: ٣٩٠، و تفسير ابن أبي حاتم: ١: ١٨٢، وزاد المسير: ١: ٩١، وتفسير الرازي: ٣: ٦١٢، و اللباب في علوم الكتاب: ٢: ٣١٠، وتفسير المنار: ١: ٣٢٤.

(٨) تفسير القرطبي: ١: ٦٩، و٢: ٣٨.

وهناكَ قولٌ ثانٍ ذكرهُ بعضُ أهلِ العلمِ، ومنهم ابنُ كثيرٍ إذ قالَ: «ومِنَ النَّاسِ مَن يقولُ: (إيل) عبارةٌ عَن عَبدٍ، والكلمةُ الأُخرَى هيَ اسمُ اللهِ؛ لأنَّ كلمَةَ (إيل) لا تتَغيَّرُ في الجميعِ، فَوزانُهُ: عَبدُ اللهِ، عَبدُ الرّحمنِ، عَبدُ الملِكِ، عَبدُ القدُّوسِ، عَبدُ السّلامِ، عَبدُ الكافي، عَبدُ الجليلِ. فعبدُ مَوجُودَةٌ في هذا كُلِّهِ، واختلَفَتِ الأسماءُ المضافُ إليها، وكذلِكَ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وعزرائيلُ ونَحوَ ذلكَ، وفي كلامِ غيرِ العرَبِ يُقَدِّمُونَ المضَافَ إليهِ على المضافِ»[1].

كما نسبَ ابنُ عاشورٍ هذا القولَ إلى أبي عليٍّ الفارسيِّ[2]، وقد أشارَ أبو العلاءِ المعرِّيُّ إلى هذا المعنى أيضًا بقولِهِ: «قَد عَلِمَ الجَبرُ الّذي نُسِبَ إليهِ جِبريلُ، وهوَ في كُلِّ الخيراتِ سَبيلٌ»[3]، فجبريلُ منسوبٌ إلى اللهِ تعالى، واللهُ هوَ العالمُ بي وبأحوالي.

كما قيلَ: «إنَّ إِيلَ هُوَ العَبْدُ، وأَنَّ مَا عَداه هُوَ الاسمُ مِن أسماءِ اللهِ، كالرَّحمنِ والجلالةِ، وأَيَّدَهُ اختلافُها دُونَ إيل، فإنَّهُ لازمٌ، كما أنَّ عبدًا دائمًا يُذكَرُ، وما عَداهُ يَختلِفُ في العربيَّةِ، وزادَهُ تأييدًا بأَنَّ ذلكَ هوَ المعروفُ في إضافةِ العجَمِ، قلتُ: وأحسنُ ما قيلَ فيهِ أَنَّ الجبرَ بمنزلَةِ الرّجلِ، والرّجلُ عبدُ اللهِ»[4].

وقد نفى أبو حيّان أن يكونَ مُركَّبًا تركيبًا مزجيًّا؛ لأنَّهُ «لو كانَ مرَكّبًا تركيبَ مزجٍ لجازَ فيهِ أن يُعرَبَ إعرابَ المتَضايفينِ، أو يُبنى على الفَتحِ كأحدَ عشرَ، فإنَّ كلَّ ما رُكِّبَ تركيبَ المزجِ يجوزُ فيهِ هذهِ الأوجهُ، وكونَهُ لم يُسمَعْ فيهِ البناءُ، ولا جريانهُ مجرَى المتَضايفَينِ دليلٌ على عدمِ تركيبهِ تركيبَ المزجِ»[5].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١: ٣٣٩،

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١: ٦٢٠.

(٣) رسالة الغفران: ١: ٥.

(٤) تاج العروس: ١٠: ٣٥٧، (جبر).

(٥) اللّباب في علوم الكتاب: ٢: ٣١٠، وينظر: الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢: ١٨.

ومِمَّا تقَدَّمَ يتّضِحُ صوابُ ما ذهبَ إليهِ المصنِّفُ من كونِها أسماءَ أعلامٍ مُنِعت منَ الصَّرفِ للعلميَّةِ والعجمةِ، وأصلُها سريانيٌّ أو عبرانيٌّ، وأنَّ إيل بمعنى: اللهُ.

المطلبُ الثّاني: البحثُ النّحويّ عندَ المصنِّف:

أوردَ المصنِّفُ عنوانًا خاصًّا للإعرابِ عندَ تفسيرِ كلّ آيةٍ من كتابِ اللهِ المجيدِ فصَّلَ القولَ فيهِ في بيانِ الوجوهِ الإعرابيّةِ الواردةِ للألفاظِ في التّراكيبِ بما يُفيدُ في توضيحِ المعنى التّفسيري للآيةِ الشّريفةِ.

ويميلُ المصنِّفُ إلى اختيارِ مذهبٍ نحويٍّ معيَّنٍ في آرائهِ النّحويّةِ، مُصرِّحًا بهِ تارةً، وتارةً يذكرُهُ وكأنَّهُ منَ المسلَّماتِ، فهوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1]، قد تعرّضَ إلى موضوعِ العطفِ على الضميرِ المرفوعِ المتّصِلِ فقالَ: ((اسكُن): فِعلُ أمرٍ مِن: سَكَنَ يَسكُنُ كَنَصَرَ، وفاعِلُهُ: ضَميرٌ مُستَتِرٌ فيهِ وُجوبًا، وَ(أنتَ): تَأكيدٌ للمُستَتِرِ فيهِ أُكِّدَ بهِ ذلكَ المُستَتِرُ؛ لِيَصُحَّ عَطفُ الظّاهِرِ، أعنِي: زَوجُكَ عَليهِ، هذا في الضَّميرِ المَرفوعِ المُتَّصِلِ، دونَ المنصوبِ والمَجرورِ، ودونَ المُنفَصِلِ سَواءٌ كانَ ذلكَ المَرفوعُ المُتَّصِلُ بارزًا أمْ مُستَتِرًا؛ وَذلكَ لأنَّ المتَّصلَ المَرفوعَ كَالجُزءِ مِمّا اتَّصَلَ بِهِ لَفظًا مِن حَيثُ أنّهُ مُتَّصِلٌ لا يَجوزُ انفِصالُهُ، ومَعنًى مِن حَيثُ أنّهُ فاعِلٌ، والفاعِلُ كالجُزءِ مِنَ الفِعلِ، فَلَو عُطِفَ عليهِ بلا تَأكيدٍ كانَ كَما لَو عُطِفَ عَلى بعضِ حُروفِ الكَلمَةِ فَأُكِّدَ أوَّلًا بِمُنفَصِلٍ؛ لأنَّهُ بذلكَ التّأكيدِ يَظهَرُ أنَّ ذلكَ المُتَّصِلَ وإنْ كانَ كَالجزءِ مُنفَصِلٌ مِن حيثُ الحَقيقَةِ، بدَليلِ جَوازِ إفرادِهِ مِمّا اتَّصَلَ بِهِ بِتَأكيدِهِ، فَيَحصُلُ لهُ نَوعُ استِقلالٍ، ولا يَجوزُ أنْ يكونَ العَطفُ على هذا التّأكيدِ؛ لأنَّ المَعطوفَ في حُكمِ المَعطوفِ عَليهِ فَيَلزَمُ أن يكونَ هذا المَعطوفُ أيضًا تَأكيدًا، وهوَ باطِلٌ)[2].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٢) نور التوفيق: ٢٠٤.

فالمصنِّفُ تبنَّى رأيَ البصريّينَ في عَدمِ صحّةِ العطفِ على ضميرِ الرّفعِ المتّصلِ الظّاهرِ أو المستترِ إلّا بعدَ توكيدِهِ بضميرٍ منفصلٍ، وقالَ سيبويه بقبحِهِ إلّا في الشّعرِ[1] ، وقد وصفوا ما جاء في الشّعرِ العربيِّ على هذا المنوالِ بالضّرورةِ الشّعريّةِ كقولِ الشّاعرِ:

وَرَجَا الأُخَيطِلَ مِن سَفَاهَةِ نَفسِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وأَبٌ لَهُ لِيَنَالا[2]

أو جعلوهُ ضعيفًا، كقولِ الشّاعرِ:

قُلتُ إذ اَقْبَلَتْ وَزُهرٌ تَهادَى كَنِعاجِ الفَلا تَعَسَّفنَ رَمْلًا[3]

وأجازَ الكوفيّونَ هذا العطفَ[4]، واستشهدوا لهُ بما جاء في الذّكرِ الحكيمِ، بقولِهِ تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[5] ، وقولِهِ تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[6]، ففي الآيتينِ عُطِفَ على ضميرِ الرّفعِ المتّصلِ من غيرِ تأكيدِهِ بمنفصلٍ.

وناقشَ المصَنِّفُ أيضًا مسألةَ (أنَّ) مفتوحةَ الهمزةِ في سدِّها مسدَّ مفعولي (ظنَّ) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[7] حيث قال:« و(أنَّ) إذا وقعَت موقِعَ المفعولِ يجبُ فتحُ همزتِها، وهي مع اسمِها وخبرِها في تأويلِ المصدرِ سادٌّ مسدَّ المفعولينِ على التّحقيقِ»[8]، فلا يُحتاج إلى مفعولٍ مُقدَّرٍ، وهو قول الأخفشِ[9] الذي جعلَ أنَّ مع اسمِها وخبرِها مفعولًا أوّلًا، ثمَّ يُقدِّرُ

(١) ينظر: الكتاب: ١: ٢٧٨، وإعراب القرآن: النحاس: ٢: ٢٧١.

(٢) البيت من الكامل، لجرير بن عطية الخطفي. ديوانه: ٣٦٢ ، والأُخيطِل: تصغيرُ الأخطل، وأصلهُ: الوصفُ منَ الخَطَلِ، وهو الكلامُ الخارجُ عن حدِّ الصّوابِ والاعتدالِ.

والشاهد فيه: قوله: (يكن وأب له) حيث عطف قوله (أب) بالواو على الضمير المرفوع المستتر في (يكن).

(٣) البيت من الخفيف، لعمر بن ابي ربيعة، ديوانه: ٣٠٥.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف:٢: ٣٨٩.

(٥) سورة النجم ٥٣: ٦، ٧.

(٦) سورة الرعد ١٣: ٢٣.

(٧) سورة البقرة ٢: ٤٦.

(٨) نور التوفيق: ٣٣٧.

(٩) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١: ٨٩.

المفعول الثاني، أي: الّذينَ يظُنُّونَ مُلاقاةِ ربِّهم واقعَةً، فنرى أنَّ المصنِّفَ قد اختارَ رأيَ سيبويه في إعرابِ مفعولَي ظَنَّ بعد (أنَّ) المفتوحةِ الهمزةِ[1].

وقد يختارُ قولَ الكوفيّينَ في أحايينَ أخرى عندما يرى دقَّتَهُ وعلوَّهُ ورجحانَهُ، ومن ذلكَ إعرابُهُ لقولِهِ تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، إذ قالَ: ((الواوُ): للعطفِ على ما قبلَهُ منَ النّهي، و(لا): ناهية، (تلبسُوا): من بابِ ضَرَبَ جزمٌ بها بحذفِ النونِ، و(الحقَّ): نصبٌ على المفعوليةِ، و(بالباطلِ): متعلّقٌ بهِ، (وتكتموا): يحتملُ وجهينِ:

أحدُهُما: أن يكون مجزومًا عطفًا على (تلبِسوا)، كأنَّه قال: لا تَلبِسوا الحقَّ ولا تكتُموهُ، فيكونُ عطفَ جملةٍ على جملةٍ، فإنَّهم نُهوا عن إضلالِ الخلقِ بالتّلبيسِ على مَن سمعَ الحقَّ، وبالإخفاءِ والكتمانِ على مَن لم يسمعهُ، أو سمعهُ ونسيهُ.

الثّاني: أن يكونَ منصوبًا بـ(أن) المقدَّرة بعد الواو التي للجمعِ والصّرفِ فيكونُ حينئذٍ من عطفِ المفردِ على المفردِ، أعني: عطفَ مَصدرٍ على مَصدرِ الفعلِ الذي قبلهُ، والتّقديرُ: لا يكن منكم لبسُ الحقِّ بالباطلِ وكتمانُهُ، أي: لا تجمعوا لبسَ الحقِّ وكتمانَهُ، وفيه استقباحٌ عظيمٌ لحالِ هؤلاءِ اليَهودِ؛ لأنَّ الفعلَ الثّاني على هذينِ التّقديرينِ يكونُ مثبتًا، كما قالَ الشّاعرُ:

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَهُ　　　　عارٌ عليكَ اذا فعلتَ عظيمُ[3]

---

(١) ينظر: الكتاب: ١: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٢.

(٣) البيت من الكامل، وهو من الشواهد الشعرية التي أُختلف في نسبتها؛ فنسبه سيبويه (١٨٠هـ):٣: ٤٢: إلى الأخطل، وقال الاصفهاني في كتابه الاغاني: ١٢: ٣٨٢: إنّ البيت للمتوكّل اللّيثي، وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٢٤: ٤٦٧: إنّه للطّرمّاح، ونسبه البغدادي في خزانة الادب: ٨: ٥٦٨: إلى أبي الأسود الدؤلي.

والظّاهرُ انَّه لأبي الأسود؛ إذ ورد البيت ضمن قصيدة جاءت في الحكمة من أربعين بيتًا ذكرها السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ٧: ٤٠٤. وقد أوردَ بقيّةُ الأعلام البيت منفردًا أو منضمًّا إلى بيتٍ آخر فقط عند نسبته إلى قائله.

والشّاهدُ فيه: (وتأتيَ) حيثُ نصبَ الفعلَ المضارعِ بـ (أنْ) المضمَرة وُجوبًا بعد واو المعيّة الواقعة في جواب النّهي.

لا تجمع نهيَكَ عن خُلقٍ قبيحٍ وإتيانكَ بمثلهِ، وسمَّى الكوفيّونَ هذه الواو: واو الصّرفِ[1]، ومثَّلوا لها أيضًا بقولهِ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ بنصبِ (يَعلمَ))[2] .

وذهبَ البصريّونَ إلى إضمارِ (أن) النّاصبةِ، وتقديرُ الكلامِ: لا يكُن منكُم أن تَشتَروا وتَكتَموا[3]، ويرى الكوفيّونَ أنّهُ منصوبٌ على الصّرفِ عنِ الأداةِ الّتي قبلَهُ[4]؛ فالمصنِّفُ قد اختارَ رأيَ الكوفيّينَ لقوَّةِ دلالتِهِ، وقد انتهجَ المصنِّفُ في بيانِهِ الإعرابي صورًا مختلفةً، منها:

الصورةُ الأولى: يذكرُ الوجوهَ الإعرابيّةَ الّتي بيَّنها النّحويّون والمفسِّرونَ المتقدِّمونَ، ناقلًا لأقوالِهم فقط من غيرِ تعليقٍ أو إضافةٍ:

كما في استعراضِهِ لأقوالِ النُّحاةِ في النّاصبِ للمستثنى بـ(إلّا) في إعرابِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[5] ، إذ ذكرَ أنَّ في المسألةِ ثمانيةَ مذاهبٍ، هي:

(الأوَّلُ: مَذهَبُ بعضُ البَصرِيِّينَ[6]، وهو: أنَّ العاملَ هوَ المُتقدِّمُ بغَيرِ واسطَةِ إلّا، وإليهِ ذهَبَ المُبرِّدُ[7] وابنُ خرّوفٍ[8] والزَّجّاجُ في أَحدِ قَولَيهِ[9].

---

(١) واوُ الصّرفِ: (وهو أن تأتيَ الواوُ معطوفةً على كلامٍ في أوَّلِهِ حادثةٌ لا يستقيمُ إعادتها على ما عُطفَ عليها، كقوله: لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَهُ البيت، فإنَّهُ لا يجوزُ إعادة (لا) على (وتأتي مثله) وسُمّيَ صرفًا؛ إذ كان معطوفًا ولم يستقم أن يُعاد فيه الحادث الذي فيما قبله). القاموس المحيط: ١٣٥٥.

(٢) نور التوفيق: ٣١٤، ٣١٥.

(٣) ينظر: الجمل في النحو: ١: ٩٥، والكتاب: ٣: ٤١، ومعاني القرآن للأخفش: ١: ٧١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٢٤، وإعراب القرآن للنّحّاس: ١: ٥٠.

(٥) سورة البقرة ٢: ٨٣.

(٦) ينظر: شرح المفصّل لابن يعيش: ٢: ٧٦.

(٧) ينظر: المقتضب: ٤: ٣٩٠.

(٨) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢: ٢٧٧.

الثّاني: أَنَّهُ الفِعلُ المُتقدِّمُ بواسطةِ (إِلَّا)، وإلى هذا ذَهَبَ أبو سعيدٍ السّيرافيُّ[2]، والفارسيُّ[3]، وابنُ الباذشِ[4].

الثّالثُ: أَنَّهُ نفسُ إِلَّا وَحدَها، وإليهِ ذَهبَ ابنُ مالكٍ[5] وزَعَمَ أَنَّهُ مذهَبُ سيبويه[6] والمُبَرَّدِ.

الرّابعُ: أَنَّهُ تَمامُ الكَلامِ، فَإِنَّهُ يَنتَصِبُ كَما يَنتَصِبُ دِرهَمًا بعدَ عِشرينَ[7].

الخامسُ: أَنَّهُ الفِعلُ المحذوفُ المفهومُ مِن دلالةِ الفَحوى كَاستَثنَى، وهو أحدُ قولينِ للزَّجّاجِ[8].

السادسُ: أَنَّ العاملَ المخالفةُ المفهومةُ منَ الكَلامِ، أي: كونُ ما بعدَ إِلَّا مُخالفًا لِما قَبلَها، وحُكِيَ ذلكَ عن الكِسائيّ في أحدِ قَوليهِ[9].

ابن خرّوف: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي: نحوي، عالم بالعربية، من كتبهِ: شرح كتاب سيبويه، شرح الجمل للزجاجي، توفي سنة (٦٠٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٢: ٢٦، ترجمة رقم: ٢٠.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٤١.

الزّجّاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: نحوي لغوي، وُلِدَ وماتَ في بغداد، علّمهُ المبرّد أصول النحو، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، والأمالي في الأدب واللغة، توفي سنة (٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٣٦٠، ترجمة رقم: ٢٠٩.

(٢) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

أبو سعيد السيرافي: الحسن بن عبد الله بن المرزبان: اللغوي النحوي، اخذ القراءات عن ابن مجاهد واللغة عن ابن دريد، والنحو عن ابن السراج، ولي القضاء، من تصانيفه: الاقناع في النحو، شرح المقصورة لابن دريد، صناعة الشعر، طبقات النحاة، توفي سنة (٣٦٧هـ). ينظر: هدية العارفين: ١: ٢٧١.

(٣) ينظر: الجنى الداني: ٥١٦.

(٤) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

ابن الباذش: أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي: أديب نحوي، من تصانيفه: شرح أصول ابن السراج في النحو، شرح الايضاح لأبي على الفارسي، شرح كتاب سيبويه، توفي سنة (٥٢٨هـ). ينظر: توضيح المشتبه: ١: ٣٢٠، وهدية العارفين: ١: ٦٩٦.

(٥) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢: ٢٧٧.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢: ٣١٠.

(٧) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٣: ١٥٠٦.

(٨) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

(٩) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

السّابعُ: أنَّ بفتحِ الهمزةِ وتَشديدِ النّونِ محذوفةً هيَ وخَبرُها بعدَ إلَّا، والتَّقديرُ في جاءَني القَومُ إلَّا زيدًا: إلَّا أنَّ زيدًا لَمْ يَقُمْ، حَكاهُ السِّيرافيُّ عنِ الكِسائيّ في أحدِ قَوليهِ[1].

الثّامنُ: مَذهَبُ الفرّاءِ وابنِ عُصفورٍ[2] وهو: أنَّ إلَّا مُرَكَّبَةٌ مِن (إنَّ) المكسورةِ المُشدَّدةِ و(لا) العاطفةِ حُذِفَتِ النُّونُ الثّانيةُ مِن إنَّ، وأُدغِمَتِ النُّونُ الأُولى السَّاكنةُ في لامِ (لا) فَإذا انتَصَبَ الاسمُ بعدَها فَبـ(إنَّ)، وإذا أُتبِعَ على ما قَبلَها في الإعرابِ فَـ(بِلا) العاطِفَةِ، فكانَ أَصلُ قامَ القومُ إلَّا زيدًا: قامَ القَومُ إنَّ زيدًا لا قامَ، أي: لَمْ يَقُمْ، فَـ(لا) لِنَفي حُكمِ ما قبلَ (إلَّا) ونَقضِهِ نَفيًا كانَ ذلكَ الحُكمُ أو إثباتًا، فَهوَ كَقولِكَ: كَأنَّ زيدًا أَسَدٌ الأصلُ عندَ الخليلِ ومَن وافَقَهُ إنَّ زيدًا كَأسَدٍ فَقدَّمُوا الكافَ ورَكَّبوهُ معَ إنَّ[3]»[4].

ومن ذلكَ أيضًا ما أوردَهُ في إعرابِ قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[5]:

ففي قَولِهِ: ﴿أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ﴾ أَربعةُ أَوجُهٍ:

«أَحدُها: أن يكونَ (أَنتُم): مبتدأً، و(هؤلاءِ): اسمُ اشارةٍ خبرُهُ، وجملةُ: (تقتلون): حالًا، والعاملُ فيها مَعنى الاشارةِ، فيكونُ لَها محلٌّ من الإعرابِ، أو بَيانًا لجملةِ المبتدأِ والخَبرِ فَلا محَلَّ لها حينئذٍ.

والثّاني: أن يكونَ (أَنتُم): مبتدأً أيضًا، و(هؤلاءِ): اسمٌ موصولٌ بمَعنى الّذينَ: خبرُهُ، وجملةُ:

---

(١) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

(٢) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

ابن عصفور: علي بن موسى بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي: أبو الحسن النحوي: من تصانيفه شرح اشعار الستة، شرح ديوان المتنبي، كتاب الأزهار، كتاب البديع، توفي سنة (٦٦٩هـ). ينظر: هدية العارفين: ١: ٧١٢.

(٣) ينظر: همع الهوامع: ١: ٤٨٧.

(٤) نور التوفيق: ٥٩٠، ٥٩١.

(٥) سورة البقرة ٢: ٨٥.

(تقتلونَ): صِلَتهُ، فَلا مَحَلَّ لها حينئذٍ أيضًا، وقَد يكونُ (تلكَ وهذا وهؤلاءِ) اسماءً مَوصولةً عندَ الكوفيّينَ كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(١)، أي: ما الّتي بيَمينِكَ؟.

والثّالثُ: أن تكونَ (أَنتُم): مبتدأً أيضًا، خبرُهُ: جملةُ: (تقتلونَ)، فلَها محلٌّ منَ الإعرابِ، و(هؤلاءِ): مُنادى مُفرد معرفة بحَذفِ النّداءِ تقديرُهُ: (ثمَّ أَنتُم تقتلونَ أَنفسَكُم يا هؤلاءِ).

والرابعُ: أن يكونَ (أَنتُم) مبتدأً أيضًا، و(هؤلاءِ) تأكيدٌ لهُ، وجملةُ: (تَقتلونَ): خبرهُ، فَلَها محلٌّ أيضًا(٢).

ومن ذلكَ أيضًا ما جاءَ في بيانِهِ لقولِهِ: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ثلاثةُ أَوجُهٍ:

«أَحدُها: أن يكونَ (هوَ): مبتدأً راجعًا إلى الإخراجِ المفهومِ مِن (تُخرِجونَ)، وخبرَهُ: (مُحَرَّمٌ)، وفيهِ ضميرٌ راجعٌ إلى المبتدأِ، و(إِخراجُهُم): تأكيدٌ لهُ أو بيانٌ لهُ، وإنَّما احتاجَ إلى التّأكيدِ والبَيانِ؛ لِتَراخي الكَلامِ عَن ذكرِ المرجِعِ.

والثّاني: أن يكونَ (هوَ): ضميرَ الشّأنِ، و(الحديثُ): مبتدأٌ، و(مُحَرَّمٌ): خبرُهُ، و(إِخراجُهُم): نائبُ فاعلِ (مُحرَّم)، أي: والشّأنُ والحديثُ مُحَرَّمٌ عليكُم إخراجُهُم، كقَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٣) أي: الأَمرُ والشّأنُ الّذي هوَ الحَقُّ اللهُ أَحَدٌ.

والثّالثُ: أن يكونَ ضَميرًا مُبهَمًا يُفسِّرُهُ إخراجُهُم، خبرُهُ: (محرّمٌ) إلى آخرِهِ.

وعَلى الأَوجهِ الثّلاثةِ (عَليكُم): مُتعلِّقٌ بمُحرَّمٍ، وهذهِ الجملة على الأوجهِ الثّلاثةِ: حالٌ مِن فاعِلِ (تُخرِجونَ)، أو مِن مفعولِهِ أو كِليهِما، أو مِن فاعلِ (تَظاهرونَ)، أو مُتعلّقةٌ على سبيلِ التّرادُفِ أو التّداخُلِ، والجملةُ الشّرطيّة: مُعتَرِضَةٌ بينَ الحالِ وصاحبِها»(٤).

---

(١) سورة طه ٢٠: ١٧.

(٢) نور التوفيق: ٦١٤.

(٣) سورة الإخلاص ١١٢: ١.

(٤) نور التوفيق: ٦١٥.

فالمصنِّفُ فيما مرَّ من شواهدٍ إعرابيّةٍ استعرضَ أقوالَ النّحويّين والمفسّرينَ ولم يُعلِّقْ عليها أو يذكرِ الوجهَ الذي يُرجّحهُ.

الصّورةُ الثّانيةُ: يذكرُ الوجوهَ الإعرابيّةَ الّتي بيَّنها النّحويّونَ والمفسِّرونَ المتقدِّمونَ، ناقلًا لأقوالِهم مُعلِّقًا على بعضِها:

ومن ذلكَ ما ذكرهُ في إعرابِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[1]، فقد تعرَّضَ إلى ذكرِ الاختلافِ ما بينَ مدرستَي البصرةِ والكوفة في التمييزِ واشتراطِ نكارته عند البصريّين دون الكوفيّين، فذكر خمسةَ أوجهٍ لإعراب (نفسَهُ)، هي:

الأوّلُ: «أن تكونَ مَنصوبةً عَلى التّمييزِ، وهوَ قَولُ الفَرّاءِ وجُمهورِ الكُوفيّينَ[2]، فإنّهم لَم يَشترِطوا في التّمييزِ النّكارَةَ، ومِن ذلكَ قَولِهم: غَبِنَ رَأيَهُ وبَطِرَ عَيشَهُ، وقولِهِ تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[3]، وألِمَ بَطنَهُ، ووَفِقَ أمرَهُ، ورَشِدَ أمرَهُ، وزَيدٌ الحَسَنُ الوَجهَ، بنَصبِ الجَميعِ في الأمثلَةِ عَلى التّمييزِ، وكانَ الكُلُّ في الأصلِ مَرفوعًا عَلى الفاعليَّةِ، أي: سَفِهَ نَفسُهُ، وغَبِنَ رَأيُهُ، وبَطِرَ عَيشُهُ، إلى آخِرِه، فَنُصِبَ على التّمييزِ.

وأنكرَ البَصريُّونَ ذلكَ، واشترَطوا النّكارَةَ في التّمييزِ حَتّى قالَ الزّجّاجُ: «إنَّ مَعنى التّمييزِ لا يَحتَمِلُ التّعريفَ؛ لأنَّ التّمييزَ إنّما هوَ شَيءٌ يَدُلُّ عَلى جِنسٍ أو خلّةٍ تَخلصُ مِن خِلالٍ، فَإذا عَرَّفتَهُ صارَ مَقصودًا قَصدُهُ، وهذا لَم يَقلْهُ أحَدٌ مِمَّن تَقَدَّمَ مِنَ النُّحاةِ»[4].

الثاني: أن تَكونَ تَمييزًا أيضًا، لكنَّ إضافَتَهُ على تَقديرِ الانفصالِ، و(اللّامُ): للعَهدِ الذّهنِي، كَما في: الحَسَنُ الوَجهَ، وهذا أيضًا رَكيكٌ قَبيحٌ.

الثالث: إنَّ (سَفِهَ) بمَعنى: جَهِلَ، و(نَفسَهُ): مفعولٌ بِهِ لَهُ، أو بمَعنى: أَذَلَّ، أو استَخَفَّ؛ لأنَّ أصلَ

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٣٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٩، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ١٠٩.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٥٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢١٠، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ١٠٩.

السَّفَهِ: الخِفَّةُ، أو بمَعنى: أهلَكَ، أو أوبَقَ[1]، وعَلى التّقاديرِ (نَفسَهُ): مَنصوبٌ عَلى أنَّهُ مَفعولٌ بهِ.

الرابعُ: أن تَكونَ مَنصوبَةً عَلى نَزعِ الخافِضِ، أي: مَن سَفِهَ في نَفسِهِ، وبَطِرَت في مَعِيشَتِها، ورَشِدَ في أمرِهِ، وقَولِهِ تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[2]، أي: مِن قَومِهِ.

الخامِسُ: عَلى ما قالَ المُبَرِّدُ وثَعلبُ: «أنَّ سَفِهَ بالكَسرِ مُتَعَدٍّ، وبالضَّمِّ لازمٌ»[3] فَيكونُ (نَفسَهُ) حينئذٍ: مَفعولٌ بهِ كَالثّالثِ»[4].

فالمصنِّفُ ذكرَ الوجوهَ الإعرابيّةَ وقد علّقَ على الثّاني منها بقولِهِ: (وهذا أيضًا رَكيكٌ قَبيحٌ)، ولفظُ (أيضًا) يُشيرُ إلى أنَّ الوجهَ الأوّلَ مشمولٌ بالرّكّةِ والقبحِ، ولم يذكر شيئًا عن بقيّةِ الوجوهِ.

الصّورةُ الثّالثةُ: يستعرِضُ أقوالَ النّحويّينَ والمفسِّرينَ، مُرجّحًا فيما بينها، مُختارًا أحدَها بما يراهُ الأصوبَ منها، ذاكرًا دليلَهُ أو قد لا يذكرهُ:

ومن ذلك ما جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[5]، ففي (أربعينَ) وجهانِ إعرابيّانِ:

«الأوّلُ: ظرفٌ للمحذوفِ المعهودِ، والتقديرُ: واعدنا موسى أن نُعطيَهُ التّوراةَ بعدَ انقضاءِ أربعينَ ليلةً.

الثاني: مفعولٌ ثانٍ لـ(واعدنا)، على تقديرِ حذفِ المضافِ، والتقديرُ: واعدنا موسى انقضاءَ أربعينَ ليلةً، أو بعدَ أربعينَ ليلةً.

واختارَ العلّامةُ الطّبرسيّ الوجهَ الثّانيَ بالقولِ: «لا يجوزُ أن يكونَ (أربعينَ ليلةً) ظرفًا لِـ(واعدنا)؛ لأنَّ ليسَ فيها كلّها، فيكونُ جوابُ (كم)، ولا في بعضِها فكانَ يكونُ جوابًا لـ(متى)، وإنَّما الموعدُ

(١) أوبقَ: «ذهبَ بلا خَوفٍ ولا كَدِّ عملٍ». القاموس المحيط: ٣: ٢٠٨، (أبق).

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٥٥.

(٣) الكلّيّات: ١٠٠٣.

(٤) نور التوفيق: ٩٢٥، ٩٢٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ٥١.

تقَضّي الأربعينَ، وإذا لم يكن ظرفًا كانَ انتصابُهُ بوقوعِهِ موقعَ المفعولِ الثاني»[1][2].

وذهبَ المُصنِّفُ إلى أنَّ الوجهَ الأوّلَ هو الأصحُّ، مُستدلًا بما وردَ عن الإمامِ العسكريّ عليه السلام، قال: « وكانَ وعدَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُعطيهُ الكتابَ بعدَ أربعينَ ليلةً، فأعطاهُ إيَّاهُ، فجاءَ السّامريُّ فشبَّهَ على مُستضعَفِي بَني إسرائيلَ، وقالَ: وعدَكُم موسى أن يرجِعَ إليكم بعدَ أربعينَ ليلةً »[3].

وكما في قولِهِ تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4]: إذ أوردَ المصنِّفُ ثلاثَ صورٍ إعرابيّةٍ للفظِ (بديعُ):

الأولى: « بالرّفعِ: خبرٌ لمُبتدأٍ محذوفٍ، أي: هوَ بَديعُ السّماواتِ.

والثانية: بالنَّصبِ: على الاختِصاصِ والمدحِ، أي: نَخُصُّ بَديعَ السّماواتِ.

والثالثة: بالجَرِّ: على أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضّميرِ المجرورِ في (لهُ).

وعلى التّقاديرِ الثّلاثةِ إضافَتُهُ إلى السّماواتِ مِن إضافةِ أمثلَةِ المُبالغَةِ إلى مَفعولِها أو مِن إضافةِ الصّفةِ المُشبَّهَةِ إلى فاعلِها – مُختارًا ومُرجّحًا الصورةَ الأولى منها بالقولِ-: والأوّلُ أحسنُ وأنسَبُ بالمقامِ»[5].

وأيضًا ما ذكرهُ من وجهينِ إعرابيّينِ لـ(يعقوب) في قولِهِ تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[6]: إذ قالَ: « و(يعقوبُ): مَرفوعٌ عَطفٌ على (إبراهيمُ)، والتّقديرُ: وَوَصَّى بها إبراهيمُ ويَعقوبُ بَنيهِما، وقيلَ: إنَّهُ عَلى الاستِئنافِ كَأَنَّهُ قالَ: وَوَصَّى يَعقوبُ أن يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ إلى آخِرِهِ.

وقد رجَّحَ الوجهَ الأوَّلَ؛ لخلوِّهِ من الإضمارِ، فهو عطفُ مفردٍ (يعقوبُ) على مفردٍ (إبراهيمُ)، أمَّا الوجهُ الثاني ففيهِ إضمارٌ، وهو عطفُ جملةِ (وَوَصَّى يَعقوبُ) على جملةِ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾»[7].

(١) مجمع البيان: ١: ٢١١.

(٢) نور التوفيق: ٣٧٥.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٥٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ١١٧.

(٥) نور التوفيق: ٨١٣.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٣٢.

(٧) نور التوفيق: ٩٣٢.

الصّورةُ الرّابعةُ: يُورِدُ الأقوالَ الإعرابيّةَ الواردةَ في النّصِّ الشّريفِ، رادًّا ما يتعارضُ منها مع ما يراهُ:

كما في بيانِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]، فقد استبعدَ المصنِّفُ إعرابَ الزّجّاج لـ(إن) حينما قالَ: (وجملةُ: (إن كُنتُم مُؤمِنِينَ): شَرطٌ حُذِفَ جوابُهُ بدَلالةِ ما تَقَدَّمَ، والتّقديرُ: إن كُنتُم مُؤمنينَ فَلِمَ تَقتُلونَ أنبياءَ اللهِ؟ وقالَ الزّجّاجُ: (إنْ) هنا بمَعنى: ما النّافية، أي: ما كُنتُم مُؤمنينَ[2]، وهوَ بعيدٌ)[3].

ومن ذلك أيضًا بيانُهُ لنوعِ (أمْ) في قولِهِ تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[4]، إذ بيّنَ المصنِّفُ نوعَ (أمْ) في النّصِّ الشّريفِ بأنّها منقطعةٌ، وقد جاءت بمعنى (بل والهمزة)، مُفصِّلًا القولَ في أنواعِها ودلالتِها، فقالَ: (وهيَ ثَلاثَةُ أنواعٍ:

- مسبوقَةٌ بالخَبَرِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[5].
- ومَسبوقَةٌ بهَمزَةٍ لغَيرِ الاستفهامِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[6] إذا قَدَّرتَ أنَّ الهمزةَ في ذلكَ للإنكارِ فإنّها حينئذٍ بمَنزلَةِ النَّفي، وأم المتَّصلةُ لا تَقَع بعدَهُ.
- ومَسبوقَةٌ باستِفهامٍ بغيرِ الهَمزةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٩١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٥.

(٣) نور التوفيق: ٦٦٣.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٠٨.

(٥) سورة السجدة ٣٢: ١-٣.

(٦) سورة الأعراف ٧: ١٩٥.

(٧) سورة الرعد ١٣: ١٦.

فَمعنى (أم) المنقطِعَةُ هوَ: الإضرابُ[1]، وهوَ مَعنى (بَل))[2].

مُبيِّنًا دلالتها بأنَّها ثلاثةُ أنواعٍ :

ـ «تكونُ مُجرَّدَةً، كما في قولِهِ تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[3]، فلأنَّ الاستفهامَ لا يَدخُلُ على الاستِفهامِ.

ـ تَتَضمَّنُ استِفهامًا انكاريًّا، كما في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[4]، والتّقديرُ: بَل أَلَهُ البَناتُ ولَكُم البَنونَ، إذ لَو قُدِّرَت للإضرابِ المَحضِ لَزِمَ المُحالُ.

ـ تَتضمَّنُ استِفهامًا طَلَبيًّا، كما في قولِهِم: إنَّها لَإبِلٌ أم شاءٌ، والتّقديرُ: بَل أَهِيَ شاءٌ، وقولُ الأخطَلِ:

كَذَبَتْكَ عَينُكَ أم رَأيتَ بِواسِطٍ غَلَسَ الظَّلام مِنَ الرَّبابِ خِيالًا[5]

فـ(أم) المنقطعةُ مسبوقةٌ بالاستفهامِ أو الخبرِ وتأتي بعد كلام، أمَّا (أم) المتَّصلَةِ فإنَّها لا تَأتي إلَّا بعدَ الاستِفهامِ وتَحتاجُ إلى جَوابٍ، و(أم) في هذه الآيةِ مُنقَطِعَةٌ، و التَقديرُ: بَل أَتُريدُونَ»[6].

مُعترِضًا على العلّامةِ البيضاويّ في إعرابِهِ (أم) هذهِ بأنَّها مُتَّصلَةٌ، «مُعادلةٌ للهمزةِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7]، أي: أَلَم تَعلَمُوا أنَّ مالكَ الأُمورِ قادرٌ على

---

(١) الإضرابُ: هو «إبطالُ الحكمِ السّابقِ ونَفي مضمونِهِ، والانصرافِ عنهُ إلى ما بعدَها، ويُسمّى هذا: الإضرابُ الإبطالي. وقد يُرادُ: الانتقالُ من غَرضٍ إلى آخرَ يُخالفهُ، وحينئذٍ؛ يُسمّى: الإضرابُ الانتقالي». أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ٣٣٧.

(٢) نور التوفيق: ٧٥٦.

(٣) سورة الرعد ١٣: ١٦.

(٤) سورة الطور ٥٢: ٣٩.

(٥) البيت من الكامل. ديوانه: ٢٤٥، وينظر: خزانة الأدب: ٦: ١٠. والتقدير: أكذبتك عينك، وقد حُذفت همزة الاستفهام بدلالة أم عليها، والرَّبابُ: اسمُ امرأةٍ.

وواسط: اسم يقع على مواضع عدّة؛ منها: واسط: المدينة التي بناها الحجّاج شرقي نهر دجلة بين بغداد والبصرة، واسط نجد، وواسط الحجاز، وواسط الجزيرة، وواسط اليمامة. ينظر: معجم البلدان: ٥: ٣٤٨، ومعجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: ٤: ١٣٦٣.

(٦) نور التوفيق: ٧٥٦.

(٧) سورة البقرة ٢: ١٠٧.

الأشياءِ كُلِّها يَأمُرُ ويَنهى كَما أرادَ، أم تَعلَمونَ وتَقتَرِحونَ بالسُّؤالِ كَما اقتَرَحت اليَهودُ على موسى عليه السلام)[1]، وقد رَجَّحَ الآلوسيّ[2]، والمفسّرُ الطّهرانيُّ[3] كونها متَّصلةً أيضًا، واصفًا قولَهُ هذا بالفسادِ؛ (لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله داخلٌ في فاعلِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ كَما مَرَّ واعتَرَفَ بِهِ البَيضاوي أيضًا، وغيرُ داخلٍ في فاعلِ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ﴾ كَما لا يَخفَى ومثلُ هذا التَّفاوتِ لا يَجوزُ في المُعادلَينِ، وجَعْلُهُ مُعادلًا لِما يُفهَم مِن قَولِهِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ لَو سُلِّمَ جَوازُهُ فَبَعيدٌ جدًّا، فَالوَجهُ: القَطعُ بكَونِها مُنقطِعَةً)[4].

و(أم) من الحروفِ المهملةِ، وهي أربعَةُ أقسامٍ[5]:

الأوَّلُ: المتّصلةُ: وهي المعادلةُ لهمزةِ الاستفهامِ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[6]، أو همزةِ التّسويةِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[7]، و قولِهِ تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾[8]، وتعربُ حرفُ عطفٍ. وسُمِّيت بذلكَ (لأنَّ ما قبلَها وما بعدَها لا يُستَغنى بأحدِهِما عنِ الآخرِ)[9].

الثّاني: المنقطعةُ: لا تسبقُها همزتا التّسويةِ والاستفهامِ، وسُمِّيت منقطعةً؛ (لِوقوعِها بينَ جملتَينِ مُستقلّتينِ في معناهما، ولا يتوَقَّفُ أداءُ أحدِهِما وتمامُهُ على الآخرِ)[10]، وتدلُّ على الإضرابِ معَ

---

(١) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٠.

(٢) ينظر: تفسير الآلوسي: ١: ٣٥٤.

(٣) ينظر: مقتنيات الدرر: ١: ٢٦٦.

(٤) نور التوفيق: ٧٥٨.

(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١ : ٢٠٥-٢٠٧.

(٦) سورة النازعات ٧٩: ٢٧.

(٧) سورة البقرة ٢: ٦.

(٨) سورة الأعراف ٧: ١٩٣.

(٩) شرح الكافية الشافية: ٣: ١٢١٢، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢: ١٠٠٥.

(١٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ٣٣٧.

الاستفهامِ، أو على الإضرابِ فقط[1]، وأشارَ ابنُ مالكٍ (٦٧٢هـ) أنّها ليست للعطفِ[2].

وتدخلُ على (هل، وأسماءِ الاستفهامِ)[3]، نحو قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[4]، وقولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

الثّالثُ: الزّائدةُ، فأهلُ اليمنِ يزيدونها في الكلامِ، نحو: أم نحنُ نضربُ الهامَ، أي: نحنُ نضربُ.

الرّابعُ: حرفُ تعريفٍ بلغةِ طيءٍ.

وذهبَ العلّامةُ الطّبرسيّ[6]، وأبو حيّان الأندلسيّ إلى أنَّ هذا الاستفهامَ تقريريٌّ لا يحتاجُ إلى مُعادِلٍ، وأنَّ (أمْ) في هذا الموضِعِ منقطعةٌ[7]، وهو اختيارُ ابن عاشور (١٣٩٣هـ)[8].

وعليهِ فقولُ البيضاويِّ غيرُ تامٍّ؛ لأنّها غيرُ معادلةٍ لهمزةِ الاستفهامِ؛ لاستغناءِ الآيتينِ عن بعضِهِما في معنيهِما، وعدمِ توقّفِ أداءِ أحدِهما على الأخرى، فضلًا عن اختلافِ فاعليهما كمّا صرَّحَ المصنِّفُ؛ إذ قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾[9].

ومنهُ أيضًا رفعُ الفعلِ المضارعِ بعدَ الطّلبِ في قولِهِ تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[10]، إذ يرى المصنِّفُ أنَّ إعرابَ (فيكونُ) هو الرّفعُ؛ إمّا عطفًا على

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ٣٣٧.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية:٣: ١٢١٩.

(٣) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢: ١٠٠٧.

(٤) سورة الرعد ١٣: ١٦.

(٥) سورة النمل ٢٧: ٨٤.

(٦) ينظر: مجمع البيان: ١: ٣٤٤.

(٧) ينظر: البحر المحيط: ١: ٥٥٢، ٥٥٥.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١: ٦٦٥.

(٩) سورة البقرة ٢: ١٠٧، ١٠٨.

(١٠) سورة البقرة ٢: ١١٧.

(كنْ)، والتقديرُ: يكونُ فيكونُ، أو كونَهُ خبرًا، والتقديرُ: فهوَ يكونُ، مُعترضًا على ابنِ عامرٍ بنصبهِ (فيكونَ)(١)، على إضمارِ (أنْ) النّاصبةِ بعدَ الفاءِ، والتقديرُ: أن يكونَ فيكونَ.

ناقلًا ما صَرَّحَ بهِ أبو عَليٍّ الفارسيّ وغَيرُهُ مِنَ النّحاةِ: «أنَّهُ يُمتَنَعُ النّصبُ في قَولِهِ تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾؛ لأنَّ قَولَهُ: ﴿كُنْ﴾ وإن كانَ على لَفظِ الأمرِ فَلَيسَ بأمرٍ، بَل المُرادُ بِهِ الخَبَرَ؛ لأنَّ المَنفِيَّ الّذي لَيسَ بكائنٍ لا يُؤمَرُ ولا يُخاطَبُ»(٢)، «فالتّقديرُ: يكونُ فَيكونُ، فَاللّفظُ لَفظُ الأمرِ والمُرادُ بِهِ الخَبرُ، كَقولِهم في التَّعجّبِ: أكرِمْ بِزَيدٍ، فإذا لَمْ يكنْ قَولُهُ: (كُنْ) أمرًا في المَعنى، وإن كانَ على لَفظِهِ، لَمْ يَجزْ نَصبُ المضارعِ بعدَهُ بعدَ الفاءِ بأنَّهُ جوابُهُ، كَما لَمْ يَجزِ النَّصبُ في الفِعلِ الّذي يدخُلُهُ الفاءُ بعدَ الإيجابِ، لا يُقالُ: آتِيكَ فَأُحَدِّثَكَ بالنَّصبِ، بَل يَجِبُ الرّفعُ إلّا أن يكونَ في الضّرورَةِ الشّعريَّةِ، كَقولِهِ:

لَنا هَضْبَةٌ لا يَنزِلُ الذُّلُّ وَسْطَها وَيَأوِي إليها المُستَجيرُ فَيُعصَما(٣)

ويَدُلُّ على امتِناعِ النَّصبِ فيهِ: أنَّ الجَوابَ بالفاءِ في مِثلِ ذلكَ لا يكونُ جَوابًا وجَزاءً فلا يَجوزُ نحو: اذهَبْ فَتَذهَبَ، بالنَّصبِ على قِياسِ قراءَةِ ابنِ عامرٍ (كُنْ فَيكونَ)؛ لأنَّ المَعنى يَصيرُ إن ذَهَبت ذَهَبتَ، وهذا كَلامٌ لا فائدَةَ فيهِ، وإنَّما يُفيدُ إذا اختَلَفَ الفاعِلانِ والفِعلانِ، مثلَ: زُرنِي فَأُكرِمَكَ، وقُمْ فَأُعطِيَكَ؛ لأنَّ المَعنى إن تَزرنِي أُكرِمكَ، وإن تَقُمْ أُعطِكَ فَيكونُ بعدَ الفاءِ جَوابًا وجَزاءً كَما كانَ بدونِها»(٤).

ففي (فيكون) ثلاثةُ وجوهٍ إعرابيّةٍ تبعًا لإعرابِ الفاءِ:

الأوّلُ: إن كانتِ الفاءُ سببيّةً، فيجبُ إضمارُ (أن) بعدها ويكونُ ما بعدها منصوبًا، وهو ما عليهِ قولُ ابن عامر، إذ جعلَها مِن جَوابِ الأَمرِ، في (كنْ)، وإنْ لم يكن أمرًا حقيقةً بل على صورتِهِ

---

(١) ينظر: ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٨، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٥.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٠٥، و ينظر: الجمل في النحو: ٢١٩.

(٣) البيت من الطويل، وقد اُختُلفَ في نسبته، فنسبه سيبويه في كتابه: ٣: ٣٩، إلى طرفة، وقال البغدادي في خزانة الأدب: ٨: ٣٤١: للأعشى.

(٤) نور التوفيق: ٨٠٧.

فقط[1].

وفاءُ السّببيّةِ: (هي الّتي تُفيدُ أَنَّ ما قبلَها سَببٌ لما بعدَها، وأَنَّ ما بعدَها مُسبَّبٌ عمّا قَبلَها)[2].

فالخليلُ (١٧٠هـ) يرى الرفعَ؛ (لأَنَّهُ ليسَ بجَوابٍ ولا مجازاةٍ، إنَّما هوَ خبرٌ معناهُ إذا أرادَ اللهُ شيئًا قالَ لهُ: كنْ فكانَ، كقولِكَ: أردْتُ أَنْ أخرُجَ فَيخرجُ معيَ زيدٌ)[3].

أمّا المبرِّدُ (٢٨٥هـ) فيقولُ: (النّصبُ ها هُنا محالٌ؛ لأَنَّهُ لم يَجعَلْ (فَيكونُ) جَوابًا هذا خلافُ المعنى؛ لأَنَّهُ ليسَ ههُنا شَرطٌ، إنَّما المعنى: فإنَّهُ يقولُ لهُ: كنْ فيكونُ، وكنْ حِكَايَةً)[4].

الثّاني: إن كانتِ الفاءُ عاطفةً، فيُرفعُ ما بعدها عطفًا على (يقولُ)، وهو قولُ الفرّاءِ، والتقديرُ: إنَّما يقولُ فيكونُ[5]، أو عطفًا على (كنْ) باعتبارِ أنَّها بلفظِ الأمرِ المرادِ بِهِ الخبرَ.

ونقلَ السّيوطي (٩١١هـ) عن ابن هشامٍ قولهُ: (والتّحقيقُ أنَّها في ذلك كُلِّهِ للعطفِ، وأنَّ المعتمدَ بالعطفِ الجملةُ لا الفعلُ)[6].

الثّالثُ: إن كانتِ الفاءُ استئنافيّةٍ، فيُرفعُ ما بعدها خبرًا، وهو قولُ الزّجّاجِ، والتقديرُ: فهوَ يكونُ[7]، فهيَ جملةٌ مستقلّةٌ مستأنفةٌ.

فالصّحيحُ ما أثبتهُ المصنِّفُ، وقالهُ النّحويّونَ والمفسِّرونَ[8]، أنَّ (فيكونُ) مرفوعٌ لعدمِ وجودِ الشّرطِ والمجازاةِ، وإنَّما هو (تمثيلٌ في حُصولِ ما تَعلَّقَت بِهِ إرادَتُهُ بسهولَةٍ بلا مُهلَةٍ بطاعَةِ المأمورِ المُطيعِ بلا

---

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:٢: ٤٠١.

(٢) جامع الدروس العربية: ٢: ١٧٧.

(٣) الجمل في النحو: ٢١٩.

(٤) المقتضب: ٢: ١٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١: ٧٤.

(٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٣: ١٩٤.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٩٩.

(٨) ينظر: تفسير البغوي: ١: ١٦٠، ومجمع البيان: ١: ٣٦٤، والميزان: ١: ٢٦٢.

تَوقّفٍ، ولا بصَوتٍ يُقرَعُ، ولا بِنداءٍ يُسمَعُ، ولا بلَفظٍ، ولا نُطقٍ بلِسانٍ، ولا هِمَّةٍ، ولا تَفكُّرٍ، فَلا قَولَ هناكَ ولا نُطقَ، بَل ذلكَ كِنايةٌ عَن سُرعَةِ الإجابَةِ والانقِيادِ)(1).

ففيهِ علَّتانِ تمنعانِ النّصبَ:

ـ معنويّةٌ، تتمثَّلُ بخروجِ الأمرِ إلى الخبرِ؛ لانعدامِ المُخاطبِ.

ـ وشكليّةٌ؛ لاتِّحادِ الفاعلِ في فعلي الطّلبِ والجزاءِ.

وكذلك زيادةُ (مِن) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(2)، إذ قالَ المصنِّفُ: (و(ما): اسمُ شَرطٍ، فَيجوزُ فيهِ في مِثلِ هذا الموضِعِ وَجهانِ:

أَحَدُهُما: أن يكونَ مَنصوبًا مَفعولًا مُقدَّمًا على عامِلِهِ، وهوَ (تُقَدِّموا) ولا حَذفَ حينئذٍ.

والثّاني: أن يكونَ مَرفوعًا بالابتِداءِ، وجملةُ الشَّرطِ والجَزاءِ: خَبَرُهُ، أو الجَزاءُ فقط، والعائدُ إلى (ما) حينئذٍ محذوفٌ، أي: وما تُقَدِّمُوهُ.

و(لأنفُسِكُم) مُتَعَلِّقٌ بقَولِهِ: (تُقَدِّمُوا)، و(مِن) في قَولِهِ: (مِن خَيرٍ) للتَّبيينِ حالٌ مِن (ما) على الأَوَّلِ، أو منَ العائدِ المَحذوفِ على الثّاني)(3).

وقد ناقشَ المصنِّفُ العلّامةَ الطّبرسيّ الذي يرى (إنَّ (مِن) مزيدةٌ، والجارَّ والمجرورَ مَفعول (تُقَدِّمُوا))(4)، واصفًا رأيَهُ بقولِهِ: (ليسَ بسَديدٍ بَل هوَ مِن سَهوِ النَّاسخينَ أو مِن طُغيانِ القَلَمِ ـ معلِّلًا ذلكَ بنقطتينِ ـ:

الأولى: فَلأنَّ (مِن) لا تُزادُ في الإثباتِ.

---

(1) نور التوفيق: ٨١٥.

(2) سورة البقرة ٢: ١١٠.

(3) نور التوفيق: ٧٦٦.

(4) مجمع البيان: ١: ٣٤٨.

والثّانيةُ: فَلأَنَّهُ إذا كانَ (خَيرًا) مفعولُ (تُقَدِّمُوا) لا ارتباطَ بَينَ (ما) ومعمولِهِ الّذي هوَ (تُقَدِّمُوا)؛ لأَنَّهُ لا يُقَدَّرُ حينئذٍ عائدٌ، ولَو قُدِّرَ العائدُ لَم يكنْ (خَيرًا) مفعولُ (تُقَدِّمُوا)»[1]، وتابعَ المصنِّفَ بهذا القولِ المفسِّرُ الطّهرانيّ[2].

وقد ذكرَ النّحويّونَ مواضعَ زيادةِ (من)، فصَّلَها ابنُ هشامٍ (٧٦١هـ) في تسعةِ مواضعٍ[3]، ويرى «الكوفيّونَ: إنَّهُ لا يُشترَطُ في مجرورِ (من) الزّائدةِ إلّا شرطٌ واحدٌ، وهو أن يكونَ مجرورُها فاعلًا، أو مفعولًا، أو مبتدأً، ولا يُشترَطُ أن يَتقدَّمَ عليها نفيٌ، أو استفهامٌ، أو نهيٌ؛ واستدلوا على ذلكَ بورودِها زائدةً في الكلامِ الموجبِ الّذي لم يَتقدَّمهُ نفيٌ أو نهيٌ أو استفهامٌ، وذهبَ الأخفشُ والكسائيُّ إلى أنَّهُ تجوزُ زيادةُ (من) بغيرِ شرطٍ؛ فتُزادُ بعدَ الإيجابِ، وبعدَ النّفيِّ؛ ويجوزُ أن يكونَ مدخولُها معرفةً، وأن يكونَ نكرةً؛ ويجوزُ أن يكونَ واقعًا في أحدِ مواقعِ الإعرابِ المذكورَةِ، أو في غيرِها»[4].

وذكرَ الوَقّادُ (٩٠٥هـ)، ووافقهُ الصبّانُ (١٢٠٦هـ) في حاشيتِهِ[5]، ثلاثةَ شروطٍ لزيادةِ (من)[6]:

أحدها: أن تكونَ مسبوقةٍ بنفيٍ، أو نهيٍ، أو استفهامٍ بـ(هل) فقط.

ثانيها: أن يكونَ مجرورُها نكرةً.

ثالثُها: أن يكونَ مجرورُها فاعلًا، أو مفعولًا، أو مبتدأً.

---

(١) نور التوفيق: ٧٦٦.

(٢) ينظر: مقتنيات الدرر: ١: ٢٧٨.

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ٢١، ٢٢.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ١: ١٠٥، وشرحُ التّصريحِ على التّوضيح: ٢: ٩، ١٠، ومغني اللبيب: ١: ٤٢٨، والجنى الداني: ١: ٣١٨.

(٥) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٣: ١٣١.

(٦) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ١: ٦٣٩.

وأيضًا جَزمُ الفعلِ المضارعِ بـ(إن) الشّرطيَةِ المُقدَّرَةِ بَعدَ النّهيِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١)، إذ ذهبَ المصنِّفُ إلى بُطلانِ ما قالَهُ العَلّامَةُ اللّاهِيجِيّ في تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، حينَما قالَ: «أي: إن تَقرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ فتكونا مِنَ الظّالمينَ فَعلى هذا فتكونا مَجزومٌ؛ لِكَونِهِ جَوابًا لِشَرطٍ مَحذوفٍ»(٢)، فيما يرى المصنِّفُ أنَّ في (فَتَكونا) وجهينِ إعرابيّينِ(٣):

الأوّلُ: إنَّ (الفاءَ) عاطفةٌ، من عطفِ جملةٍ على جملةٍ، و(تكونا): فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بالعطفِ على النّهيِ المتقدِّمِ، والتّقديرُ: ولا تقرَبا فلا تكونا.

الثّاني: إنَّ (الفاءَ) عاطفةٌ، من عطفِ مفردٍ على مفردٍ، و(تكونا): فعلٌ مضارعٌ منصوبٌ بـ(أنْ) المقدَّرَةِ بعد الفاءِ السّببيّةِ الّتي جاءت بعدَ الأشياءِ الثّمانيةِ، والتّقديرُ: لا يَكُنْ مِنكُما قُربٌ لهذهِ الشَّجَرَةِ فَكَونُكُما مِنَ الظّالمينَ، وهوَ الوجهُ الأحسنُ.

مُبيِّنًا أنَّهُ « لا يجوزُ أن يَكونَ (فَتكونَا) مَجزومًا بـ(إن) المكسورَةِ المُقدَّرَةِ؛ لِيَكونَ جَوابًا للشَّرطِ المُقدَّرِ في جَوابِ النَّهيِ؛ لِفَسادِ اللّفظِ والمَعنى جَميعًا؛ لأنَّ الجَزمَ بـ(إن) المُقدَّرَةِ في جَوابِ النّهيِ وغَيرِهِ مِن سائرِ الأشياءِ الثّمانيَةِ غَيرِ النّفي(٤) مَشروطٌ بأنْ لا يَكونَ في صَدرِ ذلكَ المُضارعِ فاءٌ ولا واوٌ أصلًا؛ بَل يَجِبُ أن يَكونَ مُجرَّدًا مِنَ الواوِ والفاءِ مَعَ قَصدِ الجَوابِ والجَزاءِ في غَيرِ النّفي، وإلّا يَكن المُضارعُ مَرفوعًا عَلى الحاليَّةِ(٥)، نحو قَولِهِ تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾(٦)، أو عَلى الصِّفَةِ، نحو قَولِهِ تعالى:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٢) تفسير الشريف اللاهيجي: ١: ٣٦.

(٣) ينظر: نور التوفيق: ٢٠٦.

(٤) «لأنَّ النفيَ عدمٌ والعدمُ لَا يُجازَى بِهِ، أَو لَا يصحُّ التَّعليقُ بهِ، ولا يكونُ سَبَبًا لغيرِهِ». اللباب في علل البناء والإعراب: ٢: ٦٤.

(٥) ينظر: درر النّحو: ٤٠.

(٦) سورة المدثر ٧٤: ٦.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1] كَقَولِهِم: زُرنِي أُكْرِمْكَ، أي: إن تَزُرْنِي أُكرِمْكَ، ونحو: أَسلِمْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، وقَولِهِ عليه السلام:

أَحسِنْ إلى الأحرارِ تَملِكْ رِقابَهُم		فَخَيرُ تِجاراتِ الكِرامِ اكتِسابُها[2]

وَنحو: لا تَكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، أي: إنْ لا تكفُرْ تدخُلِ الجَنَّةَ؛ ولأنَّ شَرطَ جَزمِ المُضارِعِ بـ(إن) المَكسورَةِ المُقدّرَةِ بَعدَ النَّهي إن لَمْ يوجَدْ فيهِ واوٌ ولا فاءٌ أن يُقَدَّرَ (لا) النّاهيَةَ مَعَ الشّرطِ المُقدَّرِ، نحو: لا تكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، أي: لا تَكفُرْ إنْ لا تكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ كَما مَرَّ، ونحو: لا تَدْنُ مِنَ الأسَدِ تَسلَمْ، أي: إنْ لا تَدنُ منهُ تَسلَمْ، فَلا يَجوزُ نحو: لا تكفُرْ تدخُلِ النّارَ، وكَذا لا يَجوزُ: لا تَدنُ مِنَ الأَسَدِ يَأكُلْكَ؛ لأنَّ تَقديرَ (لا) النّاهيَةَ مَعَ الشّرطِ المُقدَّرِ في نَحوِ هذَينِ المثالَينِ يُفسِدُ المَعنى، وقَد نُصَّ عَلى جَميعِ ذلكَ في كُتُبِ الإعرابِ[3]))[4].

وفيهِ قالَ الزّمخشريُّ: ((وَحَقُّ المُضمَرِ أن يكونَ مِن جِنسِ المُظهَرِ فَلا يَجوزُ أن تَقولَ: لا تَدْنُ مِنَ الأَسَدِ يَأكُلْكَ بالجَزمِ؛ لأنَّ النّفيَ لا يَدُلُّ عَلى الإثباتِ؛ ولِذلكَ امتَنَعَ الإضمارُ في النَّفيِ، فَلَم يَقلْ: ما تَأتِينا تُحدِّثْنا بالجَزمِ، ولكنَّكَ تَرفَعُ عَلى القَطعِ كَأَنَّكَ قُلتَ: لا تَدْنُ منهُ فَإنَّهُ يَأكُلُكَ وإن أدخَلتَ الفاءَ وَنَصَبتَ فَحَسَنٌ))[5].

وفي ذلكَ قالَ ابنُ مالكٍ (٦٧٢هـ):

وَشَرطُ جَزمٍ بَعدَ نَهيٍ أنْ تَضَعْ		إنْ قَبلَ لا دُونَ تَخالُفٍ يَقَعْ[6]

(١) سورة مريم ١٩: ٥،٦.

(٢) البيت من الطويل، والمراد منه أمير المؤمنين عليه السلام ، ديوان الإمام علي عليه السلام : ٥٣.

(٣) ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٢: ٨٨٩ ، ومغني اللبيب: ١: ٨٨٧، و شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ٤: ١٨.

(٤) نور التوفيق: ٢٠٩.

(٥) المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٣٣.

(٦) ألفيّةُ ابن مالك: ٥٨.

أمَّا الكسائيُّ فقد أجازَ الإضمارَ في النّفي؛ فهوَ يُجوِّزُ عندَ قيامِ القرينَةِ أن يُضمَرَ المثبَتُ بعدَ المنفِي، فجزَمَ (يأكلكَ) في قولِكَ: لا تدنُ منَ الأسدِ يأكلْكَ، ولا يُشترَطُ تقديرُ (إن) قبل (لا)، بل يُقدِّرُ: إن تدنُ مِنَ الأسدِ يأكلْكَ، فالشّرطُ عندهُ مدلولٌ عليهِ بالمعنى لا بالألفاظِ[1].

وقيلَ: إنَّ هذا قولُ الكوفيّينَ أيضًا؛ قياسًا على جوازِ النّصبِ[2]، فإنَّهُ يجوزُ: لا تَدنُ مِنَ الأسدِ فيأكلَكَ، ومنهُ قولَهَ تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[3].

وقال ابنُ هشامٍ (٧٦١هـ): «وقالَ الجمهُورُ: لا يجوزُ (لا تدنُ مِنَ الأسدِ يَأكُلْكَ) بالجزمِ؛ لأنَّ الشَّرطَ المقدَّرَ إن قُدِّرَ مُثبتًا، أي: فإن تدنُ لم يُنَاسِبْ فعلَ النَّهي الَذي جُعِلَ دليلًا علَيهِ، وإن قُدِّرَ منفيًّا، أي: فإلَّا تدنُ، فسِدَ المعنى بخلافِ (لا تدنُ مِنَ الأسدِ تَسلمْ)، فَإنَّ الشَّرطَ المقدَّر منفيٌّ وذلكَ صحيحٌ في المعنى والصّناعَةِ»[4].

وقد علَّلَ المصنِّفُ هذا البطلانَ: بأنَّ شرطَ جزمِ الفعلِ المضارعِ بـ(إن) الشّرطيَّةِ المقدَّرَةِ بعدَ النّهي أمرانِ:

«أحَدُهُما: أن لا يَكونَ قَبلَ المُضارِعِ واوٌ ولا فاءٌ.

وثانيهُما: أن تُقَدَّرَ الجملَةُ الشّرطيّةُ مَعَ لا النّاهية.

وَكِلا الشّرطَينِ فيما نَحنُ فيهِ مَفقودانِ؛ لِوجودِ الفاءِ فيهِ فَلا يَصحُّ ذلكَ عَلى مَذهَبِ الكِسائِي أيضًا؛ وَلِعَدَمِ جَوازِ تَقديرِ (لا) هُنا لِفَسادِ المعنَى، فَلا يَجوزُ أن يَكونَ (فتكونا) مَجزومًا جَوابًا لِشَرطٍ مَحذوفٍ لا عَلى مَذهَبِ جُمهورِ النُّحاةِ لِفَقدِ شَرطَيهِ مَعًا، ولا عَلى مَذهَبِ الكِسائِي لِفَقدِ أحَدِ

---

(١) ينظر: شرح الكافية: ٣: ١٥٥٢، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: ٣: ١٢٥٧، ومغني اللبيب: ٧٨٩، وشرح ابن عقيل: ٤: ١٩، وشرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: ٢: ٣٨٤، وحاشية الصّبّان: ٣: ٤٥٦.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: ٣: ١٢٥٧، وشرح التصريح على التوضيح: ٢: ٣٨٤.

(٣) سورة طه ٢٠: ٦١.

(٤) مغني اللبيب: ١: ٨٨٧.

الشّرطَينِ(1)، أعنِي عَدَمَ وُجودِ الفاءِ، وأيضًا لَو سُلِّمَ صِحَّةُ ما قالَهُ ﷺ لَمَا جازَ جَزمُ المُضارعِ الواقِعِ جَزاءً بَعدَ الفاءِ لَفظًا اتِّفاقًا، وفِيما نَحنُ فيهِ لَيسَ فيهِ عَلامَةُ الرّفعِ، أعنِي: النّون وهوَ ظاهرٌ لا سُترَةَ فيهِ(2).

والأشياءُ الثّمانيَةُ هيَ(3):

أَوَّلًا: النّفيُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾(4).

ثانِيًا: الأَمرُ، نحو: زُرنِي فَأُكرِمَكَ، وقَولِ الشّاعرِ:

يا ناقَ سِيرِي عُنُقًا فَسيحًا إلى سُلَيمانَ فَنَستَرِيحا (5)

ثالِثًا: النَّهيُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾(6).

رابعًا: الدُّعاءُ، كَقَولِ الشّاعِرِ:

رَبِّ وَفِّقنِي فَلا أعدِلَ عَن سَنَنِ السّاعِينَ في خَيرِ سَنَن (7)

خامِسًا: الاستِفهامُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (8).

---

(1) الهداية في النحو: ٢٣١.

(2) نور التوفيق: ٢١٠، ٢١١.

(3) شرح ابن عقيل: ٤: ١٢ـ ١٤.

(4) سورة فاطر ٣٥: ٣٦.

(5) البيت من الرّجز، لأبي النّجم العجلي. ديوانه: ٨٢، وينظر: الأصول في النحو: ٢: ١٨٣، من قصيدة يمدح فيها الخليفة سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه: قوله: (فنستريحا) حين جاء منصوبًا بـ(أن) مضمرة لوقوعه بعد الفاء السّببية المسبوقة بالأمر، فكأنه قال: ليكن منك سيرٌ يوجبُ راحتَنا، والألف فيه للإطلاق.

(6) سورة طه ٢٠: ٨١.

(7) البيت من الرمل، وهو من الشواهد التي لم تُعرَف نسبتها لقائل معين، والشاهد فيه : قوله: (فلا أعدلَ) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد فاءِ السّببيّة في جواب الدعاء. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٥.

(8) سورة الأعراف ٧: ٥٣.

سادسًا: العَرضُ، كقَولِ الشّاعِرِ:

يا بنَ الكِرامِ أَلا تَدنُو فَتُبصِرَ ما قَد حَدَّثُوكَ فَما راءٍ كَمَن سَمِعَا [1]

سابعًا: التّحضيضُ، كَقَولِهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾[2].

ثامنًا: التَّمَنِّي، كَقولِهِ تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [3].

كما يُنصَبُ الفعلُ المضارِعُ وُجُوبًا بَعدَ الواوِ العاطفَةِ بَعدَ الأشياءِ الثّمانيَةِ المذكورَةِ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [4]، وقَولِ الشّاعِرِ:

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فَعَلتَ عَظيمٌ [5]

---

(١) البيت من البسيط، من الشّواهد التي لم يُعرف قائلها، والشاهد فيه: (فتبصرَ) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) المضمرة وجوبا بعد فاء السّببية في العرض. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٥.

(٢) سورة المنافقون ٦٣: ١٠.

(٣) سورة النساء ٤: ٧٣.

(٤) سورة البقرة ٢: ٤٢.

(٥) مرَّ تخريجهُ، ص: ١٢٨.

المبحثُ الثّاني

المباحثُ المعجميّةُ في التّفسيرِ

المطلب الأوّلُ: طرائقُ التّفسيرِ المعجمي

المطلبُ الثّاني: الألفاظُ المشتركَةُ

توطئة:

لقد حفلَ تفسيرُ نورِ التّوفيقِ بكثيرٍ من المسائلِ والمباحثِ اللّغويّةِ والمعجميّةِ؛ وما ذلك إلَّا لِتضلُّعِ المُلَّا في اللّغةِ والنّحو، كيفَ لا يكونُ وهو نحويٌّ قزوين؟ إذ قامَ بتحليلِ الآياتِ المباركةِ لغويًّا من طريقِ بيانهِ لمعاني الكلماتِ مُعجميًّا، ومدى استعمالاتها، والمعاني المُحتملةِ منها، وكشف ما تحمله التراكيب من معانٍ، وصولًا إلى المعنى المُرادِ والمقصودِ منَ النّصِّ الشّريفِ بحسب رؤيته، وفي هذا المبحثِ سنعرضُ جملةً منَ الأمثلةِ عمّا ذكرنا، وذلكَ في مطلبينِ وعلى النّحو الآتي:

المطلبُ الأوَّلُ: طرائقُ التَّفسيرِ المعجميّ:

إنَّ النّاظرَ في التّفسيرِ والمعاجمِ اللّغويّةِ يجدُ الصّلةَ والتّشابهَ فيما بينهما، فالغايةُ من التّفسيرِ هو بيانُ معاني ألفاظِ القرآن الكريمِ، وتوضيحُ مرادِ الله سبحانهُ في كتابِهِ، والغايةُ منَ المعاجمِ هو بيانُ معاني ألفاظِ اللّغةِ العربيّةِ، وتوضيحُ غموضِها والكشفُ عن عجمتِها، فكلا العلمينِ يهدفانِ إلى الكشفِ والبيانِ وإن اختلفت موضوعاتها ومقاصدهما، وقد استعانَ كلٌّ منهما بالآخرِ في منهجيّتهِ في التوضيحِ والاستشهادِ.

والتفسيرُ المُعجمي يعملُ على بيانِ معنى اللّفظِ لغويًّا من جهةِ مادّتِهِ اللّغويّةِ واشتقاقاتِهِ، ثمَّ بيانِ معناهُ داخلَ النّصِّ الشّريف من جهةِ تغيّرِ المعنى تبعًا للاستعمالِ القرآني من جهةِ السّياقِ والتّركيبِ، وأثر ذلك على المعنى. ولابدَّ أن نفرِّقَ بين كتبِ التّفسيرِ وكتبِ المعاجمِ القرآنيّةِ؛ إذ إنَّ الأخيرةَ تنقسمُ على ثلاثةِ مناهجٍ:

أوّلُها: معاجمُ المعاني: تركّزُ على بيانِ معنى اللّفظِ وأصلِهِ اللّغوي واشتقاقاتِهِ ومعانيها داخل النّصِّ وخارجهِ، كما في (معجمِ مفرداتِ ألفاظِ القرآن)، للراغبِ الأصفهاني (٥٠٢هـ).

وثانيها: معاجمُ الألفاظِ: تهدف إلى إحصاءِ عددِ مرّاتِ تكرارِ اللّفظِ، وبيانِ مواضعهِ في القرآنِ الكريمِ، كما في (المعجم المفهرسِ لألفاظِ القرآنِ الكريم)، لمحمّد فؤاد عبد الباقي (١٣٨٨ هـ).

وثالثها: معاجمُ الموضوعاتِ: مهمتها ترتيبُ الآياتِ الكريمةِ على وفقِ موضوعاتِها ومباحثِها، فيتمكّنُ الباحثُ من الوصول إلى الموضوعِ الذي يُريدهُ بسهولةٍ ويسرٍ، كما يجدُ جميعَ الآياتِ الشّريفةِ المُتعلّقةَ بالموضوعِ معًا، ومنها (الدّليلُ المفصّلُ لمباحثِ القرآنِ المُنزلِ)، لآمنة محمود مغنيّة.

وفي أغلبِ كتبِ التّفسيرِ نجدُ المفسّرينَ يتعرّضون إلى بيانِ معاني الألفاظِ مُعجميًّا، سواءٌ باختصارٍ، أم بشيءٍ من التوسّعِ من جهةِ بيانِ ورودِ اللّفظِ ومعانيهِ في آياتٍ قرآنيّةٍ أُخَر، وعلومٍ أُخَر، منها: الحديثِ والأدبِ من شعرٍ ونثرٍ، كما في كتبِ (غريبِ القرآنِ)، لابن قتيبة (٢٧٦هـ) و(التّبيانِ)، للشّيخِ الطّوسيّ (٤٦٠هـ) وغيرها.

وقد أجادَ المُصنِّفُ في بيانِهِ اللّغويّ في معرضِ تفسيرِهِ للآيات الكريمةِ، وعلى طرقٍ مختلفةٍ، منها:

أوّلًا: بيانُ المعاني المعجميّةِ للّفظِ من غيرِ توسّعٍ:

إذ يذكرُ مادّةَ اللّفظِ وأصلهُ واشتقاقاتِه مُوردًا عدّةً من المعاني المتعلّقةِ بهِ، مُستشهدًا بآياتٍ من الذّكرِ، أو الحديثِ الشريفِ، أو منَ الشّواهدِ الشّعريّةِ والنّثريّةِ، ونلحظُ ـ أيضًا ـ إيرادَهُ نظائرَ الألفاظِ وشبيهاتها في الاستعمالِ والمعاني، وقد يذكرُ بعضًا من أقوالِ أصحابِ المعجماتِ المتقدّمينَ؛ للاستئناسِ بها، كما في بيانِهِ لمعنى (العقل) في قولِهِ تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، قالَ: «والعقلُ واللُّبُّ والفهمُ والمعرفةُ والنّهيةُ والحِجى نظائرٌ، يقالُ: رجلٌ عاقلٌ: فهمٌ لبيبٌ ذو معرفةٍ، وضدُّ العقلِ: الحُمقُ تارةً، والجهلُ أخرى، يقالُ: عَقَلَ الشيءَ[2] عقلًا وأعقلهُ غيرُه، وقال صاحبُ العين: «العقلُ ضدُّ الجهلِ، يقالُ: عقلَ الجاهلُ إذا علمَ، وعقلَ المريضُ بعد أن أهجرَ، وعقَلَ المعتوهُ[3]، والعِقالُ: الرّباطُ، يقالُ: عقَلتُ البعيرَ أعقِلهُ

(١) سورة البقرة ٢: ٤٤.

(٢) أي: فهمهُ وعلمهُ.

(٣) أي: المجنون.

عقلًا: إذا شددتَ يدهُ بالعِقالِ)[1]. والعقلُ مجموعُ علومٍ؛ لأجلِها يمتنعُ الحيُّ من كثيرٍ من المقبّحاتِ، ويفعلُ كثيرًا من الواجباتِ، وإنّما سُمّي عقلًا؛ لأنَّه يَعقِلُ من فعلِ القبيحِ، أي: يمنعُ.

ولا يُوصفُ القديمُ تعالى بأنَّه عاقلٌ، بأنَّه يعقلُهُ شيءٌ عن فعلِ القبيحِ؛ لأنَّه تعالى عالمٌ بقبحِ الأشياءِ كما هيَ، ويوصفُ سبحانه بالعالِمِ، وقالَ عليُّ بنُ عيسى: (العقلُ هو العلمُ الذي يزجرُ عن فعلِ القبيحِ، ومَن كان زاجرهُ أقوى فهو أعقلُ)[2]، فأصلُه في جميعِ المواضعِ الحبسُ والمنعُ، ومنه عقالُ البعيرِ سُمّيَ به الإدراكُ المعهودُ للإنسانِ؛ لأنَّه يحبسه ويمنعه عمّا يقبحُ، ويعقلهُ على ما يحسُنُ، ومن ذلك العاقلةُ للعصبةِ والأقاربِ من قبلِ الأبِ يُعطون ديةَ قتلِ الخطأِ)[3].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[4]، قالَ: (الصِّبغُ بالكَسرِ: اللَّونُ الّذي يُصبَغُ بِهِ الثّوبُ ونَحوُهُ، يقالُ: صَبَغَهُ كَمَنَعَهُ وضَرَبَهُ ونَصَرَهُ، صَبغًا وصِبغًا بفَتحِ الصّادِ وكَسرِها: لَوَّنَهُ، وصَبَغَ يَدَهُ في الماءِ: غَمَسَها فيهِ، وفي الحديثِ: «فَيُصبَغُ في النّارِ صِبغَةً»[5]، أي: يُغمَسُ كَما يُغمَسُ الثّوبُ في الصِّبغِ، والصَّبّاغُ مَن يُلَوِّنُ الثِّيابَ، والكَذّابُ؛ لأَنَّهُ يُلَوِّنُ الحديثَ وَيَحُوكُهُ، وفي الحديثِ: «أكذَبُ النّاسِ الصَّبّاغونَ»[6]، والصَّوّاغونَ: هُم صَبّاغُوا الثّيابِ، وصاغَةُ الحُلِي يُماطِلُونَ النّاسَ بالمَواعيدِ يَقولونَ غَدًا، وقيلَ: أرادَ الّذينَ يَصبِغونَ الكَلامَ ويَصُوغُونَهُ)[7]، وفي القاموسِ: (والصِّبغَةُ بالكَسرِ: الدِّينُ والمِلَّةُ، وصِبغَةُ اللهِ: فِطرَةُ اللهِ الّتي أمَرَ بِها مُحَمَّدًا ﷺ وهيَ: الخِتانَةُ)[8].

---

(1) العين: 1: 159، (عقل).

(2) مجمع البيان: 1: 191، والقائل هو الرمّاني.

(3) نور التوفيق: 322.

(4) سورة البقرة 2: 138.

(5) مسند أحمد: 3: 203، وصحيح مسلم: 8: 135.

(6) مسند أحمد: 2: 292، والسنن الكبرى للبيهقي: 10: 249.

(7) نور التوفيق: 964.

(8) القاموس المحيط: 3: 109، (صبغ).

فالمُصنِّفُ استعرضَ معاني الصّبغِ واستدلَّ لها، كما ذكر قول الفيروز آبادي (٨١٧ هـ) ليصلَ إلى القولِ: «فَصِبغَةُ اللهِ: فِعلَةٌ مِن صَبَغَ، كَالجِلسَةِ مِن جَلَسَ للحالَةِ والهَيئَةِ، مأخوذَةٌ مِنَ الصِّبغِ المعروفِ باعتِبارِ المُشاكَلَةِ على فِعلِ النّصارَى؛ لأنَّهُم كانُوا إذا وُلِدَ لَهُم مَولودٌ غَمَسُوهُ بماءٍ أصفرَ يُسَمُّونَهُ بالمَعمودِيَّةِ، يَجعَلونَ ذلكَ تَطهيرًا لَهُ وعَلامَةً لِنصرانيَّتِهِ، فَقيلَ في رَدِّهِم صِبغَةَ اللهِ لا تَطهيرَكُم بِتلكَ الصِّبغَةِ، إنَّما سُمِّيَ مِلَّةُ ابراهيمَ ودِينُهُ الّذي هوَ الإسلامُ صِبغَةً؛ لأنَّها حِليَةٌ لَهُم، كَما إنَّ الصِبغَةَ حِليَةُ المَصبوغِ، وأنَّها هَيئَةٌ يَظهَرُ أثَرُها بالمُشاهَدَةِ مِن آثارِ الطّهارَةِ والصّلاةِ والخُشوعِ والاخباتِ، سِيماهُم في وُجُوهِهِم مِن أثَرِ السُّجودِ وغَيرِ ذلكَ مِنَ الآثارِ الجَميلَةِ الّتي هيَ الصِّبغَةُ والعَلامَةُ؛ لأنَّها تَتَداخَلُ في قُلوبِهِم وتُؤَثِّرُ فيها تَداخُلَ الصِّبغِ الثَّوبَ وتَأثِيرَهُ فيهِ»[١].

ثانيًا: بيانُ معنى اللّفظِ مباشرةً:

أي يذكرُ معنى اللّفظِ بصورة مباشرةٍ دون بيانِ مادتهِ وجذرِهِ، كما في بيانِهِ لمعنى (البغي) في قولِهِ تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٢] ، إذ قالَ: «والبَغيُ: الفَسادُ والظُّلمُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[٣]، وحديثُ عَمّارٍ: «تَقتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ»[٤]، أي: الظّالِمَةُ الخارِجَةُ عَن طاعةِ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ والإمامِ القائِمِ مَقامَهُ، مَأخوذٌ مِن بَغَى الجُرْحُ: إذا فَسَدَ، ومنهُ حديثُ أبي سَلمة: «أقامَ شَهرًا يُداوي جُرحَهُ فَدَمَلَ على بَغيٍ»[٥]، أي: على فَسادٍ، والبَغْيُ: الفُجورُ، وامرأَةٌ بَغِيٌّ، أي: فاجِرَةٌ، يقالُ: بَغَتِ المرأَةُ

---

(١) نور التوفيق: ٩٦٤، ٩٦٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٩٠.

(٣) سورة النساء ٤: ٣٤.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٣١، ومعاني الأخبار: ٣٥، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٣٥٠، حديث رقم: ٨٢٧، و٨٢٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٤٤.

تَبغِي بِغاءً بالكَسرِ والمَدِّ إذا زَنَت فَهِيَ: بَغِيٌّ، جعَلُوا البِغاءَ على زِنَةِ العُيُوبِ كالحِرانِ والشِّرادِ والشِّماسِ[1]؛ لأنَّ الزّنا عَيبٌ قالَ تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[2])[3].

وفي بيانِهِ لمعنى(النّسيان) في قولِهِ تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4]، قالَ: (والنّسيانُ والسّهوُ والغفلةُ نظائرُ، وحقيقتهُ: غروبُ الشّيءِ عنِ النّفسِ بعد حضورهِ، والسّهوُ قد يقعُ عمّا كان الإنسانُ عالمًا بهِ وعمّا لم يكن عالمًا بهِ، وقد يكونُ النسيانُ بمعنى التّركِ كقولهِ تعالى:﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[5] أي: تركوا ذكرَ الله فخذلهُم)[6].

وكذا ما أوردهُ في بيانِ معنى (الظّلم) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[7]، حينما قالَ: (والظُّلمُ والجَورُ والعُدوانُ: مُتَقارِبَةُ المَعنى: وهوَ تجَاوُزُ الحَدِّ، وَالظُّلمُ أيضًا: وَضعُ الشَّيءِ في غَيرِ مَوضِعِهِ، مِن قَولِهِم: (مَن أَشبَهَ أباهُ فَما ظَلَمَ)[8]، أي: فَما وَضَعَ الشَّبَهَ في غَيرِ مَوضِعِهِ كَقَولِ الشّاعِرِ:

بِأَبِهِ اقتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَم وَمَن يُشابِه أَبَهُ فَما ظَلَم[9]

وكِلا المَعنَيينِ مُطَّرِدٌ وعَلى الوَجهَينِ، فَالظُّلمُ: اسمُ ذَمٍّ لا يجَوزُ إطلاقُهُ على الأنبياءِ والمَعصومينَ والأئمَّةِ عليهم السلام)[10] .

---

(١) الحران: عدم الانقياد. ينظر: الصحاح: ٥: ٢٠٩٧، (حرن).

والشّماس: جماح الدّابّة وشرودها، ومنعها ظهرها. ينظر: لسان العرب: ٦: ١١٣، (شمس).

(٢) سورة النور ٢٤: ٣٣.

(٣) نور التوفيق: ٦٥١.

(٤) سورة البقرة ٢: ٤٤.

(٥) سورة التوبة ٩: ٦٧.

(٦) نور التوفيق: ٣٢٢.

(٧) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٨) جمهرة الأمثال: ٢: ٢٤٤، ومجمع الأمثال: ٢: ٣٠٠.

(٩) البيت من الرجز، لرؤبة بن عجاج، ديوانه: ١٨٢، من أبيات يُقال أنه مدح فيها عديَّ بن حاتم، والبيت من شواهد ابن عقيل، وهي لغة النقص في (أب). ظ: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ١: ٥٠.

(١٠) نور التوفيق: ٢٠٣.

ثالثًا: بيانُ معنى اللّفظِ بضدِّهِ:

من ذلكَ بيانهُ لمعنى (البرّ) في قولِهِ تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، إذ قالَ: «وضدُّ البرِّ: العقوقُ، وهو الإساءةُ إليهما والتضييعُ لحقِّهما، وفي الحديثِ: « تمسّحوا بالأرضِ فإنّها بكم بَرَّة »[2]، أي: مُشفقةٌ عليكم كالوالدةِ البَرّة بأولادِها، يعني: أنَّ منها خلْقَكُم وفيها معاشَكم وإليها بعد الموتِ معادَكُم»[3].

فالمصنِّفُ لم يُوضّح معنى البرّ في اللّغةِ، بل بيَّن معنى نقيضِهِ وهو العقوقِ، ليُفهمَ معناهُ.

ومثلُهُ معنى لفظِ (الرّضا) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[4]، حينما قالَ: « الرِّضا وَالرّضوانُ والموَدَّةُ والمَحبَّةُ نَظائرُ، وضِدُّ الرِّضا: السّخطُ والغَضَبُ، وضِدُّ المَودَّةِ والمَحبَّةِ: العَداوَةُ والبُغضُ وهوَ مِن بَناتِ الواوِ بدَليلِ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[5]، والرِّضا بمَعنى: المَرضِيِّ والمُرتَضَى أيضًا، يقالُ: رَجُلُ رِضًا وامرأةُ رِضًا وَرِجالٌ رِضًا ونِساءٌ رِضا»[6].

رابعًا: إقامةُ مباحث معجميّةٍ مفصّلةٍ:

ومن أمثلةِ ذلكَ ما ذكرهُ في بيانِهِ لمعنى (الفتح) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[7]، إذ قالَ: « والفَتحُ في الأَصلِ: فَتحُ المُغلَقِ، وفي الحَديثِ: «أُوتيتُ مفاتِيحَ الكَلِمِ»[8]، وفي

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٤.

(٢) المعجم الصغير: الطبراني: ١: ١٤٩، والنهاية في غريب الحديث والاثر: ١: ١١٦.

(٣) نور التوفيق: ٣٢١.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٢٠.

(٥) سورة التوبة ٩: ٧٢.

(٦) نور التوفيق: ٨٢٧.

(٧) سورة البقرة ٢: ٧٦.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

روايةٍ «مفاتِحَ الكَلِمِ»[1] وهُما جَمعُ مِفتاحٍ ومِفتَحٍ وهُما في الأصلِ كلُّ ما يُتَوصَّلُ بهِ إلى استِخراجِ المُغلقاتِ الّتي يُتَعذَّرُ الوصولُ إليها، فأخبرَ ﷺ أنَّهُ أوتِي مفاتيحَ الكَلِمِ، وهوَ ما يَسَّرَ اللهُ لهُ من البَلاغةِ والفَصاحةِ والذَّكاءِ والإدراكِ الأَكملِ، والوُصولِ إلى غَوامضِ المعاني وبَدائعِ الحِكَمِ ومَحاسِنِ العاداتِ والعباداتِ، والألفاظِ الّتي أُغلِقَت على غَيرِهِ وتَعذَّرت)[2].

ثمَّ عرضَ المصنِّفُ معانٍ أُخرَ للفتحِ فقالَ: (وقَد يُستَعملُ في مَعانٍ كثيرةٍ:

ـ بِمعنى: الحُكمِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[3] أي: احكُم، وفي حَديثِ ابنِ عبّاس: (ما كُنتُ أَدري مَعنى قَولُهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ حَتَّى سَمِعتُ بنتَ ذي يَزَن تَقولُ لِزَوجِها: تَعالَ أُفاتِحْكَ إلى القاضِي، أي: أُحاكِمُكَ)[4].

ـ بِمعنى: القَضاءِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾[5] أي: هذا القَضاءُ، ويومُ الفَتحِ: يومُ القَضاءِ، وقالَ الشّاعرُ:

ألا أَبلِغْ بَنِي عِصَمٍ رَسُولًا   فإنِّي عَن فَتاحَتِكُم غَنِيُّ[6]

أي: قَضائِكُم، ويُقالُ للقاضي: الفَتَّاحُ.

ـ بمعنى: التَّعليمِ والتَّبيينِ، يقالُ: افتَح عَليَّ هذهِ المسألةِ، أي: عَلِّمنِي ما عِندَكَ فيها وبَيِّنهُ لي.

ـ بِمعنى النُّصرةِ، يقالُ: استفتَحَهُ، أي: طَلَبَ منهُ النَّصرَ، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(٢) نور التوفيق: ٥٥٣.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٨٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧

(٥) سورة السجدة ٣٢: ٢٨.

(٦) البيت من الوافر، وقد اُختُلِفَ في قراءتِهِ ونسبته فقال صاحب كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس: ٧٤، إنّهُ لمحمد بن حمران الجعفي، وأوردهُ ابن سيده في المخصّص: ٤: ٩١، دون نسبة وبلفظ: ألا أبلغ بني عمرو رسولا، كما نقلهُ الزمخشري في أساس البلاغة: ٦٩٦، بلفظ: ألا أبلغ بني وهبٍ رسولا، ودون نسبة أيضًا، وذكره الجوهري في صحاحه: ٤: ١٧٠٩، بلفظ: ألا أبلغ أبا عمرو رسولا، ونسبه للأشعر الجعفي.

جاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[1] أي: النَّصرُ، ومنهُ حديثُ الحُدَيبيةِ: «أهوَ فتحٌ؟»[2]، أي: نَصرٌ، وفيهِ: إنَّهُ كانَ يَستَفتِحُ بصَعاليكِ المهاجرينَ[3]، أي: يَستَنصِرُ. والفَتحُ: الماءُ الجارِي في الأنهارِ على وَجهِ الأَرضِ، كَما قالَ ﷺ: «ما سُقِيَ بالفَتحِ فَفيهِ العُشرُ»[4].

ـ بِمعنى فَتحِ البُلدانِ، يقالُ: فَتحَ المسلمونَ أَرضَ كَذا)[5].

فنلحظُ أَنَّهُ بيَّنَ أوّلًا معنى الفتح المرادُ بهذِهِ الآيةِ ثمَّ عرَّجَ على بيانِ معانيهِ الأخرى مُستدلًا لما يذكرهُ.

وأيضًا ما أوردهُ في معنى (القضاء) في قولِهِ تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6]، فقالَ: (والقَضاءُ والحكمُ مِنَ النّظائرِ، وأصلُ القَضاءِ: الفَصلُ والقَطعُ والحُكمُ وإحكامُ الشّيءِ، يقالُ: قَضى يَقضِي قَضاءً فهوَ قاضٍ: إذا حَكَمَ وفَصَلَ وقَطَعَ، وقَضاءُ الشّيءِ: إحكامُهُ وإمضاؤُهُ والفَراغُ منهُ، وبمَعنى الخَلقِ والجَعلِ. وقالَ الأزهرِي: (القَضاءُ في اللّغةِ على وُجوهٍ، مَرجِعُها إلى انقِطاعِ الشّيءِ وتَمامِهِ)[7]، وكُلُّ ما أُحكِمَ عَمَلُهُ، أو أُتِمَّ، أو خُتِمَ، أو أُوجِبَ، أو أُعلِمَ، أو أُنفِذَ، أو أُمضِيَ، أو أُدِّيَ: فَقَد قُضِيَ، وقَد جاءَت هذهِ الوجوهُ كُلُّها في الحديثِ، ومنهُ القَضاءُ المقرونُ بالقَدَرِ، والمُرادُ بالقَدَرِ: التّقديرُ، وبالقَضاءِ: الخَلقُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[8] أي: خَلقَهنَّ، فالقَضاءُ والقَدَرُ مُتلازمانِ لا يَنفَكُّ أحدُهُما عَنِ الآخَرِ؛ لأنَّ

(١) سورة الأنفال ٨: ١٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧. والصعاليك: جمع: صعلوك: وهو الفقير. الصحاح: ٤: ١٥٩٥، (صعلك).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(٥) نور التوفيق: ٥٥٤، ٥٥٥.

(٦) سورة البقرة ٢: ١١٧.

(٧) تهذيب اللغة: ٩: ١٦٩، (قضي).

(٨) سورة فصلت ٤١: ١٢.

أحدَهُما بمَنزِلَةِ الأساسِ وهوَ القَدَرُ، والآخَرُ بمَنزِلَةِ البناءِ وهوَ القَضاءُ، فَمَن رامَ الفَصلَ بينَهُما رامَ هَدمَ البناءِ ونَقضَهُ فَمِنَ القَضاءِ بمَعنى إحكامِ الشّيءِ قَولُ أبي ذُوَيبٍ:

وعَليهِما مَسرودَتانِ قَضاهُما   داودُ أو صنع السَّوابغ تُبَّعُ [1]

أي: عَليهِما دِرعانِ مَسرودَتانِ، أي: مَنسوجَتانِ أحكَمَهُما داودُ عليه السلام [2].

فقد ذكرَ المصنِّفُ أصلَ اللّفظِ ونظائرَهُ ومادّتَهُ، ثمَّ نقلَ قولَ الأزهريّ (٣٧٠هـ) فيهِ، وصولًا إلى بيانِ استعمالاتِهِ ووجوهِها، وهي عشرةٌ:

«أحَدُها: بمَعنى الأمرِ والوَصيَّةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[3]، أي: أمَرَ وأوصَى.

وثانيها: بمَعنى الفراغِ والأداءِ، كَقولِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[4]، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾[5]، أي: أدَّيتُم وفرَغتُم مِن مَناسِكِكُم، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[6]، الآية.

ثالثُها: الإخبارُ والإعلامُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[7]، أي: أخبَرناهُم وأعلمناهُم، وقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ

---

(١) البيت من الكامل، ديوان الهذليّين: ١: ١٩، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٢٩، وجمهرة أشعار العرب: ٢٢.

(٢) نور التوفيق: ٨١٠.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة ٦٢: ١٠.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٠٠.

(٦) سورة النساء ٤: ١٠٣.

(٧) سورة الإسراء ١٧: ٤.

أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[1]، أي: أعلَمنا وعَهِدنا إلى لُوطٍ، وفيما رَواهُ عَليُّ بنُ موسى الرِّضا عليه السلام عَن جَدِّهِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: «القَضاءُ على عَشرَةِ أوجُهٍ»[2]، ذَكَرَ منها الوُجوهَ الثّلاثَةَ الّتي ذَكَرناها.

رابِعُها: بمَعنى الفِعلِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[3]، أي: فَافعَل ما أنتَ فاعلٌ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾[4]، يقولُ تعالى: ما كانَ لمؤمنٍ ولا مُؤمِنَةٍ إذا فَعَلَ اللهُ تعالى ورسُولُهُ شَيئًا في تَزويجِ (زَينب) أن يَكونَ لَهم الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[5]، أي: إذا كانَ في عِلمِهِ تعالى أن يَفعَلَهُ، ويَحتمِلُ أن يكونَ قَضى هنا بمَعنى الإرادَةِ الّتي هيَ فيهِ تعالى: الإحداثُ؛ لأنَّ إرادَتَهُ تعالى: إحداثُهُ، كَما قالَ في مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6].

خامسُها: إتمامُ الأجلِ ونُزولُ الموتِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[7] أي: لِيَنزلِ الموتُ، وقَولِهِ تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[8]، أي: لا يَنزلُ بِهِم الموتُ، وقولِهِ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[9]، أي: فَأنزَلَ بِهِ الموتُ.

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٦٦.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٦٢، وقد نقل هذه الأوجه الشيخُ الصدوق في التّوحيد: ٣٨٥، والعلّامةُ المجلسي في بحاره: ٥: ١٠٧، نقلًا عن أهل العلم.

(٣) سورة طه ٢٠: ٧٢.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٤٧.

(٦) سورة يس ٣٦: ٨٢.

(٧) سورة الزخرف ٤٣: ٧٧.

(٨) سورة فاطر ٣٥: ٣٦.

(٩) سورة القصص ٢٨: ١٥.

سادسُها: الإيجابُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾(١)، أي: وَجبَ العَذابُ فَوَقعَ بأهلِ النّارِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(٢)، أي: أوجَبَ أو أمَرَ أو أوصَى كَما مَرَّتِ الإشارَةُ إليهِ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾(٣).

سابعُها: الإثباتُ والكِتابةُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾(٤)، أي: مَكتوبًا مُثبتًا في اللوحِ المحفوظِ أَنَّهُ يكونُ البَتَّة، ومنهُ قَولُ الصّادقِ عليه السلام في الدّعاءِ المأثورِ عنهُ: «اللّهُمَّ فإن حالَ بَيني وبَينَهُ الموتُ الّذي جَعلتَهُ على عِبادِكَ حَتمًا مَقضِيًّا»(٥).

ثامنُها: بمَعنى الإتمامِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾(٦)، أي: أتَمَّ، وقولِهِ تعالى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾(٧)، أي: أتممتُ فَلا عُدوانَ عَليَّ، وقولِهِ تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾(٨) يعني: مِن قَبلِ أن يُتِمَّ إليكَ جَبرئيلُ الوَحيَ.

تاسعُها: الحُكمُ والفَصلُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾(٩)، وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾(١٠)، أي: يَحكُمُ ويَفصِلُ، وفي سورةِ الأنعامِ: (يقضي الحَقَّ)(١١)، أي: يَفصِلُ الأمرَ بيني وبَينكم بإنزالِ العَذابِ.

---

(١) سورة مريم ١٩: ٣٩.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٢٣.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٢٢.

(٤) سورة مريم ١٩: ٢١.

(٥) المصباح: ٥٥١، وبحار الأنوار: ٩٩: ١١١.

(٦) سورة القصص ٢٨: ٢٩.

(٧) سورة القصص ٢٨: ٢٨.

(٨) سورة طه ٢٠: ١١٤.

(٩) سورة الزمر ٣٩: ٦٩.

(١٠) سورة يونس ١٠: ٩٣.

(١١) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وابن عامر والكسائيّ. ينظر: الحجّة للقرّاء السبعة: ٣: ٣١٨، وحجّة القراءات: ١: ٢٥٤.

عاشرُها: بمَعنى الجَعلِ والخَلقِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾(١)، أي: فَجعلَهُنَّ وخَلَقهُنَّ(٢).

المطلبُ الثّاني: الألفاظُ المشتركَةُ:

قالَ الخليلُ (١٧٠هـ): (والطريق مُشْتَرَكٌ، أي، الناس فيه شُرَكاء، وكلُّ شيءٍ كانَ فيهِ القومُ سواءٌ فهو مُشْتَرَكٌ)(٣)، و(الشِّرْكَةُ والشَّرِكةُ سَوَاءٌ: مُخَالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ. يُقَالُ: اشتركنا بِمَعْنَى تَشارَكنا، وَقَدِ اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشارَكا وشارَكَ أَحدُهما الْآخَرَ، وَاسْمٌ مُشْتَرَكٌ: تَشْتَرِكُ فِيهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ كَالْعَيْنِ وَنَحْوِهَا فَإِنَّهُ يَجْمَعُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً)(٤).

وفي الاصطلاح: (أن تكونَ اللّفظةُ محتملةً لمعنيينِ أَوْ أكثرَ)(٥)، وقيلَ: (ما وُضِعَ لمعنى كثيرٍ بوضعٍ كثيرٍ، كالعينِ؛ لاشتراكِهِ بينَ المعاني، ومعنى الكثرةِ ما يُقابلُ القلّةَ، فيدخُلُ فيهِ المشتركُ بينَ المعنيينِ فقط، كالقُرءِ، فيكونُ مُشتركًا بالنسبةِ إلى الجميعِ، ومُجملًا بالنّسبةِ إلى كلِّ واحدٍ) (٦).

ويتمُّ تحديدُ المعنى المُرادِ من سياقِ الكلامِ، (والسّياقُ هو الّذي يُعيِّنُ أحدَ المعاني المشتركَةَ للّفظِ الواحدِ، وهذا السّياقُ لا يقومُ على كلمةٍ تنفردُ وحدُها في الذّهنِ، وإنّما يقومُ على تركيبٍ يوجدُ الارتباطُ بينَ أجزاءِ الجملةِ، فيخلعُ على اللّفظِ المعنى المناسبَ)(٧)، كما في لفظِ الصّلاة في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٨)، فالصّلاةُ

---

(١) سورة فصلت ٤١: ١٢.

(٢) نور التوفيق: ٨١٠- ٨١٢.

(٣) العين: ٥: ٢٩٤، (شرك).

(٤) لسان العرب: ١٠: ٤٤٨، (شرك).

(٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ٢٠٧.

(٦) التعريفات: ٢١٥، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢: ١٥٤٧.

(٧) دراسات في فقه اللغة: ٣٠٨.

(٨) سورة الأحزاب ٣٣: ٥٦.

منَ الله تعالى: الرّحمةُ والثّناءُ عليهِ والتعظيمُ، ومنَ الملائكةِ: الدّعاءُ والثّناءُ والمدحُ[1]، وهما معنيانِ مختلفانِ.

صورُ اللّفظِ المشتركِ:

الصّورةُ الأولى: اللفظُ المشتركُ لمعانٍ مختلفةٍ غيرِ متضادّةٍ، كلفظِ (العينِ) فهو لفظٌ مشتركٌ لمعانٍ متعدّدةٍ ومختلفةٍ:

كقولِ المصنِّفِ: « والعينُ منَ الأسماءِ المشتركةِ اللفظيَّةِ لعينِ الماءِ ولعينِ الحيوانِ؛ لمشابهتِها لها في خُروجِ الماءِ منها كخُروجِ الدَّمعِ مِن عينِ مَن يبكي، والعينُ: الناسُ، يقالُ: بلَدٌ قليلُ العينِ، أي: قليلُ النّاسِ وما بالدارِ عينٌ متحرِّكةٌ، والعينُ: الذاتُ، نحوَ: جاءَ زيدٌ عينُهُ، والعينُ: مطرُ أيَّامٍ لا تقلع، والعينُ: الذَّهبُ، والشّمسُ، وكفَّةُ الميزانِ، والعينُ: الرّبيئّةُ، أي: المُتجسِّسُ للأخبارِ»[2].

ويُسمّى كذلك بالوُجُوهِ والنّظائرِ، ويُقصدُ بها: «أَن تكونَ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، ذُكرت فِي مَوَاضِعِ منَ الْقُرْآنِ على لفظٍ وَاحِدٍ، وحركةٍ وَاحِدَةٍ، وَأُرِيدَ بِكُلِّ مَكَانٍ معنًى غيرَ الآخرِ، فَلفظُ كلِّ كلمةٍ ذُكرت فِي مَوضِعٍ نَظِيرٌ للفظِ الْكَلِمَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الموضعِ الآخرِ، وَتَفْسِيرُ كلِّ كلمةٍ بِمَعنًى غيرِ معنى الأخرى هُوَ: الْوُجُوهُ، فَإِذن النَّظَائِرُ: اسمٌ للألفاظِ، وَالْوُجُوهُ: اسمٌ للمعاني»[3]. وقد اختلفَ أهلُ العلمِ[4] في حقيقةِ اللّفظِ المشتركِ إلى قولينِ:

أحدُهما: إنّهُ موجودٌ ويُطلقُ على جميعِ معانيهِ، وفي ذلك يقولُ ابنُ عاشور: «وَالَّذِي يَجِبُ اعْتِمَادُهُ أَنْ يُحْمَلَ الْمُشْتَرَكُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الْمَعَانِي، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ اللَّفْظُ الْمُفْرَدُ الْمُشْتَرَكُ، وَالتَّرْكِيبُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الِاسْتِعْمَالَاتِ، سَوَاءٌ كَانَتِ الْمَعَانِي حَقِيقِيَّةً أَوْ مَجَازِيَّةً، مَحْضَةً أَوْ مُخْتَلِفَةً»[5].

(١) ينظر: تفسير القمّي: ٢: ١٩٦، ومجمع البيان: ٨: ١٧٩، وتفسير القرطبي: ١٤: ٢٣٢.

(٢) نور التوفيق: ٤٤١.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٨٣.

(٤) ينظر: المزهر في علوم اللغة: ١: ٢٩٢، ودراسات في فقه اللغة: ٣٠٢، وأصول الفقه: ١: ٧٧.

(٥) التحرير والتنوير: ١: ٩٩.

والآخرُ: إنَّهُ لا وجودَ للّفظِ المشتركِ، وفيهِ يقولُ الرّازي: «حَمْلُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِيهِ لَا يَجُوزُ، وَأَيْضًا حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ مَعًا لَا يَجُوزُ»[1].

والمصنِّفُ مع القولِ الأوّلِ لذا نراهُ يذكرُ جميعَ المعاني الواردةِ للّفظِ المشتركِ كما في قولهِ تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، حينما تعرّضَ إلى بيانِ معاني لفظِ (الأمّة)، فقالَ:

«الأُمَّةُ تَجِيءُ على سِتَّةِ أوجُهٍ:

أحَدُها: الجَماعَةُ، كَما في هذهِ الآيةِ.

ثانِيها: القُدوَةُ والإمامُ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[3]، أي: إمامًا مُقتَدَى الأنامِ، مُطِيعًا مُنقادًا لله تعالى.

ثالِثُها: بمَعنى القامَةِ، في قَولِ الأعشَى:

وإنَّ مُعاوِيَةَ الأكرَمِينَ　　　حِسانُ الوُجُوهِ طُوالُ الأُمَمِ[4]

أي: طُوالُ القامَةِ.

رابِعُها: الاستِقامَةُ في الدِّينِ والدُّنيا، في قَولِ النّابِغَةِ:

حَلَفْتُ فَلَم أتْرُكْ لِنَفسِيَ رِيبَةً　　　وَهَل يَأثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهُوَ طائِعٌ[5]

أي: ذو مِلَّةٍ ودِينٍ.

خامِسُها: الحِينُ، في قَولِهِ تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[6] أي: بَعدَ حِينٍ.

سادِسُها: أهلُ المِلَّةِ الواحِدَةِ، في نحوِ قَولِهِم: أُمَّةُ موسى، وأُمَّةُ عِيسى، وأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(١) تفسير الرّازي: ١٣: ٣٤.

(٢) سرة البقرة ٢: ١٣٤.

(٣) سورة النحل ١٦: ١٢٠.

(٤) البيت من الرمل، ديوانه: ٣٢، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ١٥٠.

(٥) البيت من الطويل، ديوانه: ٧٧، وفيه برواية: فَلَم أتركْ لِنفسِكَ ريبةً.

(٦) سورة يوسف ١٢: ٤٥.

وأصلُ الأُمَّةِ: القَصدُ، مِن أمَّهُ يَؤُمُّهُ: إذا قَصَدَهُ، فَالأُمَّةُ هيَ: المَقصودَةُ؛ سُمِّيَت بِها لأنَّ الفِرَقَ تَؤُمُّها»[1].

وعندَ النّظرِ في هذهِ المعاني نجدُ أنَّ السّياقَ هوَ مَن يُحَدِّدُ المعنى المُرادَ من اللّفظِ في هذا المحلِّ، فكلُّ تركيبٍ يبيِّنُ معنًى واحدًا من معاني اللّفظِ.

الصّورةُ الثّانية: اللّفظُ المشتركُ لمعانٍ متضادّةٍ، كلفظِ (الشّفقِ) فهو لفظٌ مشتركٌ بينَ البياضِ والحمرةِ، وهما مُتضادّانِ:

ومعنى الضّد: «الضِّدُّ كُلُّ شيءٍ ضادَّ شَيْئًا لِيَغْلِبَهُ، والسّوادُ ضِدّ الْبَيَاضِ، والموتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ، وضدُّ الشّيءِ وضدَيدُه، وضَديدَتُه: خلافُه، وَالْجَمْعُ أَضداد، وَيُقَالُ: لَقِيَ القومُ أَضْدادَهُم وأَنْدادَهُم، أَي: أَقْرانَهُم»[2].

وفي الاصطلاحِ: «هو لفظٌ يُطلق على المعنى ونقيضِهِ، كالجللِ للعظيمِ والحقيرِ منَ الأمورِ»[3]، وقيلَ: الألفاظُ الّتي تحملُ معنيينِ حقيقيّينِ مُتضادّينِ[4]، فلو كانَ أحدُ المعنيينِ على الحقيقةِ والآخرُ على المجازِ فلا يُعدُّ من الأضدادِ بالمعنى المصطلحِ.

وقد ذهبَ أهلُ اللّغةِ إلى أنَّهُ من تعدُّدِ المعاني للفظِ الواحدِ في اللّغةِ العربيّةِ[5]، أي: من المشترك اللفظي، إلّا أنَّ المعنيينِ فيهِ متَضادَّينِ، فضلًا عن انقسامهم في وقوعِهِ من عدمِهِ، إلّا إنَّ الأكثرَ قالوا بوقوعِهِ في العربيّةِ، كالظّنِّ للشكِّ واليقينِ، والبصيرِ للمُبصِرِ والأعمى[6]، والسّياقُ هو الذي يُحدِّدُ المعنى المرادَ منَ اللّفظِ.

---

(1) نور التوفيق: ٩٤٣.

(2) لسان العرب: ٣: ٢٦٤.

(3) الصاحبي في فقه اللغة: ٩٧.

(4) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٢٧.

(5) ينظر: المخصّص: ٤: ١٧٣، والمزهر: ١: ٣٠٤.

(6) ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣١٣.

وقد تطرَّقَ المصنِّفُ إلى ذكرِ بعضٍ من هذهِ الألفاظِ ومعانيها في تفسيرِهِ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾(١) ، إذ قالَ: ((الوَراءُ: معناهُ: بَعْدُ وسِوى، وفي الحَديثِ: «ليسَ وراءَ الله مَرمًى»(٢)، أي: ليسَ بعدَ الله لِطالبٍ مَطلَبٌ، فإليهِ انتهتِ العُقولُ ووَقَفَت، فليسَ وَراءَ مَعرفتِهِ سبحانِهِ والإيمانِ بِهِ غايةٌ يُقصَدُ إليهِ، والمَرمَى: الغَرضُ الّذي يَنتَهي إليهِ سَهمُ الرَّامِي فيَكونُ هُنا استِعارَةً، قالَ النّابغَةُ:

حَلَفتُ ولَم أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وَليسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ(٣)

ورُوِيَ مَطلَبُ، أي: سِوى الله، فقَولُهُ تعالى: ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾، أي: بِما بَعدَهُ وما سِواهُ، وقالَ الشّاعرُ:

تَمَنَّى الأَماني ليسَ شيءٌ وراءَها كَمَوعِدِ عُرقُوبٍ أخاهُ بيَثرِبِ(٤)

وقالَ الفَرّاءُ: ((مَعنى وَراءَهُ: سِواهُ، كَما يقالُ للرّجُلِ يَتكَلَّمُ بالكَلامِ الحَسَنِ: ما وراءَ هذا الكَلام شَيءٌ، يُريدُ ليسَ عندَ المُتكَلّمِ بهِ شيءٌ سِوى ذلكَ الكَلام))(٥)، والوَراءُ: الخَلْفُ، والقُدّامُ ضِدٌّ.

والوَراءُ أيضًا: وَلَدُ الوَلَدِ، والوَراءُ: ما تَوارى، ومنهُ التَّوراةُ، وفي الحَديثِ: ((أنَّهُ ﷺ إذا أرادَ سَفَرًا وَرَّى بغَيرِهِ))(٦)، أي: سَتَرَهُ وكَنَّى عَنهُ وأوهَمَ أنَّهُ يُريدُ غَيرَهُ، وأصلُهُ منَ الوَراءِ، أي: ألقى البَيانَ وَراءَ ظَهرِهِ، والوَراءُ في الأَصلِ: مَصدَرٌ، ثمَّ جُعِلَ ظَرفًا، فَقَد يُضافُ إلى الفاعلِ فيُرادُ بهِ ما يُتوارَى بهِ

---

(١) سورة البقرة ٢: ٩١.

(٢) الموطأ: ٢: ٩٠١، حديث رقم: ٩، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٦٩.

(٣) البيت من الطويل. ديوانه: ١٩، والزاهر في معاني كلمات الناس: ٢: ٢٩٧، وتهذيب اللغة: ١٥: ٢١٩.

(٤) البيت من الطويل، وهو مجهول القائل، ولم يقف الباحث عليه في كتب اللغة والنحو وقد ورد في تفسير التبيان: ١: ٣٥٠، ومجمع البيان: ١: ٣٠٤، كما إنَّ عجزه مثل مشهور. ينظر: مجمع الأمثال: ٢: ٢٦٨.

(٥) معاني القرآن للفرّاء: ١: ٦٠.

(٦) شعب الإيمان: ٤: ٢٠٣، حديث رقم: ٤٧٩٢، والفائق في غريب الحديث: ٣: ٣٥٥، وبحار الأنوار: ١٣: ١٣٥.

وهوَ خَلفُهُ، وقَد يُضافُ إلى المفعولِ فَيُرادُ بهِ ما يُوارِيهِ وهوَ قُدّامُهُ، ومِن ثمَّ عُدَّ منَ الأَضدادِ[1].

فالمصنِّفُ ذكرَ معنيا الوراءِ وهما: الخلفُ والقدّامُ، وهما منَ المعاني المتَضادَّةِ.

وكذلك ما أوردهُ في معنى (البلاءِ) حينما قالَ:

« والبلاءُ: الإحسانُ، والنّعمةُ والمحنةُ والعذابُ والنّقمةُ من الأضدادِ، يُستعمَلُ في الخيرِ والشرِّ كما يجيءُ من الأخبارِ والآياتِ، ثمَّ قالَ سبحانُهُ: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾[2]، إن أُشِيرَ بـ(ذلِكم) إلى صنيعِ فرعونَ وقومِهِ يكونُ البلاءُ بمعنى المحنةِ والشِدّةِ، أي: وفي سَومِكم سوءَ العذابِ، وتذبيحِ الأبناءِ، واستبقاءِ النساءِ على وجهِ الاسترقاقِ، وغيرِ ذلكَ منَ الأعمالِ الشاقَّةِ والأفعالِ الكريهةِ ابتلاءٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ ومحنةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لِما خَلَّى بينكم وبينَهم حتى فعلوا بكم هذهِ الأفاعيلَ، وإن أُشِيرَ بهِ إلى الإنجاءِ والإنقاذِ يكونُ البلاءُ بمعنى النّعمةِ والعطيَّةِ، أي: وفي إنجائِكم من عذابِ فرعونَ وقومِهِ نعمةٌ عظيمةٌ وعطيَّةٌ جسيمةٌ من ربِّكم عليكم، وأصلُ البلاءِ: الاختبارُ والامتحانُ، فتارةً يكونُ بالمحنةِ وأُخرى بالمِنحةِ»[3].

فالسّياقُ هنا هو مَن يُحدِّدُ المعنى المُرادِ من اللّفظِ ما بينَ كونِهِ: المحنةُ والشّدّةُ، أم النّعمةُ والنّجاةُ.

ومن ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[4]، فالظّنُّ في اللغةِ لهُ معانٍ:

«أحدُها: بمعنى العلمِ واليقينِ وهو المرادُ هنا، وفي عيونِ الأخبارِ في بابِ ذكرِ مجلسٍ آخرَ للرّضا عليه السلام عند المأمون في بيانِ عصمةِ الأنبياءِ عليهم السلام فقال الرّضا عليه السلام: «وأمّا قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[5] الآيةُ، إنّما ظَنَّ بمعنى استيقَنَ أن لن نُضيِّقَ عليهِ رزقَهُ »[6]،

(١) نور التوفيق: ٦٥٩- ٦٦١.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٩.

(٣) نور التوفيق: ٣٥٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ٤٦.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ٨٧.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧١.

انتهى.

وفي بابٍ آخرَ في عصمةِ الأنبياءِ عليهم السلام أيضًا: فقالَ المأمونُ: للهِ درُّك يا أبا الحسنِ فأخبِرني عن قولِ الله تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قالَ الرّضا عليه السلام: « ذاكَ يونُسُ بن متّى عليه السلام ذَهَبَ مُغاضِبًا لقومِهِ فَظَنَّ بمعنى استيقَنَ»[1]، انتهى موضعُ الحاجةِ، ويُؤيِّد هذا المعنى ما في مصحَفِ عبدِ الله بن مسعودٍ (الذينَ يعلَمُونَ أنَّهُم مُلاقُوا)[2] الآية، وقالَ دُريدُ بنُ الصُمَّة[3]:

فقُلتُ لهُم ظَنُّوا بألفَي مَدحَجٍ سُراتُهم في الفارسي المُسرَّدِ[4]

وثانيها: بمعنى ما يُقاربُ العلمُ ويُتاخِمُهُ، قال أوسُ بن حجر[5]:

الألمعِيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الظَنَّ كأَنَّ قد رأى وقد سمِعا[6]

وثالثُها: بمعنى التوقُّعِ، قال أوس بن حجر:

فأَرسلتُهُ مُستيقِنَ الظَّنَّ أَنَّهُ مُخالِطُ ما بينَ الشّراسيفِ جائِفُ[7]

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧٩.

(٢) ينظر: الكشاف: ١: ١٣٤.

(٣) أبو قرة الهوازني الجشمي البكري، بطل شجاع من الشعراء المعمرين، ادرك الاسلام ولم يُسلم، فقُتِلَ على دين الجاهلية يوم حنين سنة (٨ هـ). الوافي بالوفيات: ١٤: ٩، والإعلام: ٢: ٣٣٩.

(٤) البيت من الطويل، ينظر: جمهرة أشعار العرب: ٢١١، وزهر الآداب وثمر الألباب: ١: ٢٩٧.

الشاهد فيه: استعمال الظنّ بمعنى اليقين.

(٥) ابن مالك التّميمي:(أبو شُريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، كان كثير الاسفار، عَمَّرَ طويلًا، ولم يدرك الاسلام). توضيح المشتبه: ٣: ١٢٧.

(٦) البيت من المنسرح، من قصيدة رثى فيها فضالة بن كلدة. ينظر: رسالة الغفران: ٢٢٧، وزهر الآداب: ١: ٩٦.

(٧) البيت من الطويل. ينظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني: ١: ٢١٤. والجائفة: طعنة تبلغ الجوف، والشّراسيف: اطراف الاضلاع. العين: ٦: ٣٠٠، (شرسف)، والقاموس المحيط: ٣: ١٢٥.

والشاهد فيه: إنَّه استعمل الظنّ بمعنى التّوقّع، فهو توقّع أنَّ طعنته قد دخلت جوفه ووصلت أطراف أضلاعه.

وقد يجيءُ بمعنى الشكِّ والتجويزِ، إلّا أنَّ الظّنَّ فيهِ قوّةٌ على أحدِ الأمرينِ دونَ الآخرِ، وحدُّهُ ما قويَ عندَ الظّانِّ كونُ المظنونِ على ما ظنَّهُ معَ تجويزِهِ أن يكون على خلافِهِ، وضدُّ الظّنِّ: اليقينُ[1].

ومثلُهُ الفعلُ (اشترى) فإنَّهُ من الأضدادِ إذ يأتي بمعنى البيعِ والشّراءِ وهما معنيانِ متضادَّانِ كما في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم﴾[2]، إذ قالَ المصنِّفُ: (واشتَرَوا: افتعَلُوا، منَ الشَّراءِ بالفتحِ والمدِّ، يقالُ: شَراهُ يَشرِيهِ مِن بابِ ضَرَبَ: مَلَكَهُ بالبَيعِ، وباعَهُ كَاشتَرَى فهُما ضِدٌّ، يعني: أنَّ شَرَى واشتَرَى جميعًا بمَعنى: باعَ واشتَرَى معًا، لكنَّ الأكثرَ في الكَلامِ أنَّ شَرَيتُ بمَعنى: بعتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[3] أي: باعُوهُ، واشتَريتُ بمَعنى: ابتَعْتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[4]، وقولِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[5]، وقَد يَجيءُ اشتَريتُ بمَعنى: بعتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾[6] الآية، أي: باعَ، ويُحتَملُ هنا أن يكونَ بمَعنى: ابتَاعَ، وكَذا فيما نَحنُ فيهِ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم﴾، أي: باعُوا، وشَريتُ بمَعنى: ابتَعتُ فهوَ من قَبيلِ الأضدادِ، والأكثرُ ما تَقدَّمَ.

ثمَّ إنَّهُ سبحانَهُ ذَمَّ هؤلاءِ اليَهودَ والمنافِقينَ وعابَهُم بإيثارِهِم الدُّنيا على الدِّينِ، والكُفرَ والشَّكَّ على اليَقينِ، وإغماضَ الحَقِّ وإخفاءَهُ على عَوامِّ الخَلقِ بقولِهِ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾، أي: بِئْسَ شَيءٌ شَيئًا باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الّذي باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الشَّيءُ شَيئًا باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ بَيعُهُم أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الّذي ابْتاعُوا بهِ أنفُسَهُم إلى آخرِهِ، بدَليلِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[7]، كَما مَرَّ قُبيلَ هذا فَيكونُ منَ الأضدادِ[8].

---

(١) نور التوفيق: ٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٩٠.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ٨٦.

(٦) سورة التوبة ٩: ١١١.

(٧) سورة البقرة ٢: ٨٦.

(٨) نور التوفيق: ٦٥٠.

المبحثُ الثّالثُ

المباحثُ الشّعريّةُ والبلاغيّةُ في التّفسيرِ

المطلبُ الأوَّلُ: الاستشهادُ بالشّعرِ العربيّ

المطلبُ الثّاني: المسائلُ البلاغيّةُ

توطئة:

شاعَ في تفسيرِ نورِ التّوفيقِ العديدُ منَ المظّاهرِ اللّغويّةِ كما هو شأنُ أغلبِ التّفاسيرِ إذ عمدَ مصنِّفوها إلى الإفادةِ منها، والّتي منها: الاستشهادُ بالشّعرِ العربيّ، والمسائلُ البلاغيّةِ، ويأتي بيانُها مُختصرًا في مطلبينِ:

المطلب الأوّلُ: الاستشهادُ بالشّعرِ العربيّ:

يُعدُّ الاستشهادُ بالشّعرِ العربيّ من الأساليبِ التي اعتمدها أغلبُ المفسّرينَ في بيانِ معاني بعضِ الألفاظِ وخاصّةً غريبَ القرآنِ، وإلى ذلكَ أشارَ السّيوطي (٩١١هـ) بقولِهِ: «قالَ أبو بكر بنُ الأنباري: قَدْ جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَثِيرًا الِاحْتِجَاجُ عَلَى غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَمُشْكِلِهِ بِالشِّعْرِ وَأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ عَلَى النَّحْوِيِّينَ ذَلِكَ وَقَالُوا: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ جَعَلْتُمِ الشِّعْرَ أَصْلًا لِلْقُرْآنِ وَقَالُوا: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِالشِّعْرِ عَلَى الْقُرْآنِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ!

قَالَ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوهُ مِنْ أَنَّا جَعَلْنَا الشِّعْرَ أَصْلًا لِلْقُرْآنِ بَلْ أَرَدْنَا تَبْيِينَ الْحَرْفِ الْغَرِيبِ مِنَ الْقُرْآنِ بِالشِّعْرِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[1] ، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2]»[3]، وكذلك ما جاءَ عنِ ابنِ عبّاس قالَ: « إذا تعاجمَ شيءٌ من القرآنِ فانظروا في الشّعرِ، فإنَّ الشّعرَ عربيٌّ»[4]، ونُقِلَ عنهُ قولُهُ: «إذا سألتموني عن غريبِ القرآنِ فالتمسوهُ في الشّعرِ، فإنَّ الشّعرَ ديوانُ العربِ»[5] .

وقد أوردَ المصنِّفُ العديدَ من الشّواهدِ الشّعريّةِ في تفسيرِهِ مُستفيدًا منها في بيانِ معاني الألفاظِ والكلماتِ الغريبةِ، أو التي تحتاجُ إلى مزيدِ بيانٍ، أو في الاحتجاجِ والتّرجيحِ، كما نلحظُ أنَّهُ يُبيّنُ

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٣.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ١٩٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢: ٦٧.

(٤) جامع البيانِ: ١٨: ٦٩٠.

(٥) تفسير القرطبي: ١: ٢٤.

معاني الألفاظِ الغريبةِ الواردةِ في هذهِ الأبياتِ فضلًا عن إعرابِها، ويُمكنُ بيانُ استفادتهِ هذهِ في الصّورِ الآتيةِ:

الصّورةُ الأولى: الاستدلالُ لوجهٍ صرفيّ:

فهو قد يُوردُ بيتًا شعريًّا للاستدلالِ على وجهٍ صرفيٍّ معيَّنٍ، مثلُ اشتقاقِ لفظِ (أرِنا) في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، فبعدَ أن بيَّنَ الأصلَ فيهِ قالَ: (وأصلُ أرِنا: أرْإِنا كَأعْطِنا، بحَذفِ لامِ الفِعلِ، فَنُقِلَت كسرَةُ الهمزَةِ إلى الرّاءِ وحُذِفَتِ الهمزَةُ تخفيفًا؛ ولأنَّ في إسكانِ الرّاءِ بَعدَ حَذفِ الهمزَةِ إجحافًا بالكَلِمَةِ وإبطالًا للدّلالَةِ على الهمزَةِ المَحذوفَةِ.

ـ ثمَّ ذكرَ أنَّ هناكَ من أبقى الرّاءَ ساكنةً ـ عَلى التّشبيهِ بِما يُسَكّنْ في نَحو: كَبِدٍ وفَخِذٍ، وَاشْتَرْ في اشْتَرِ، وعُصْرَ في عُصِرَ، قالَ الشاعرُ:

قالَت سُلَيمَى اشْتَرْ لَنا سَويقًا وَاشْتَرِ وعَجِّل خادِمًا لَبيقا[2]

وقالَ:

[وهَزَّتِ الرِّيحُ النَّدَى حين قَطَرْ] لَو عُصْرَ منهُ البانُ[3] والمِسكُ انْعَصَر [4])[5]

فالمصنِّفُ استدلَّ بالشعرِ العربيّ لوجهٍ صرفيٍّ مذكورٍ عند بعضِ أهلِ العلمِ.

ومثلُهُ الاختلافُ في وزنِ (الدَّم) في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٨.

(٢) البيت من الرجز، للعذافر الكندي. ينظر: الخصائص: ٢: ٣٤٢، ولسان العرب: ٦: ٢٥، (بخس)، وقد جاء فيهما بلفظ: (وقالت لُبَينى).

وموطن الشاهد فيه: مجيء الراء في (اشتر) ساكنة، وحقّها الكسر.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: البانُ: شَجرٌ لِحَبِّ ثَمرِهِ دهنٌ طَيِّبٌ، وحَبٌّ نافعٌ للبَرَصِ والبَهَقِ والجرب.

(٤) البيت من الرجز، لأبي النجم العجلي. ديوانه: ١٠٣، وهو من شواهد سيبويه: ٤: ١١٤.

وموطن الشاهد فيه: مجيئ الصاد في (عصر) ساكنة، وأصلها الكسر، والشاعرُ خَفّفها.

(٥) نور التوفيق: ٩٠٢.

تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[1]، إذ قالَ: (والدَّمُ: اُختُلِفَ في وزنِهِ قيلَ: دَمَيٌ بالفَتحتَينِ على وزنِ جَبَلٍ[2]، قالَ الشّاعرُ:

فَلَو أنّا عَلى حَجَرٍ ذُبِحنا جَرَى الدَّمَيانِ بالخَبَرِ اليَقِينِ[3]

وقيلَ: دَمْيٌ بفَتحِ الدَّالِ وسُكونِ الميمِ على وزنِ فَلْسٍ، وجَمْعُهُ دِماءٌ كَجِبالٍ في جَبَلٍ)[4].

الصّورةُ الثّانيةُ: لتأكيدِ بعضِ القواعدِ الصّرفيّةِ والنّحويّةِ:

من ذلكَ ما ذكرَهُ المصنِّفُ من قاعدَةٍ صرفيَّةٍ مفادُها: (كُلُّ فِعلٍ مَصدرُهُ على فُعولٍ جازَ في جَمعِ الفاعِلِ منهُ أن يكونَ على فُعُولٍ كالرُّكوعِ والسُّجودِ والقُعودِ ونَحوِها، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾[5] الآيةُ، فالقِيامُ هنا: جَمعُ قائمٍ، كَرِجالٍ في جَمعِ راجِلٍ، والقُعودُ: جَمعُ قاعِدٍ)[6]، وذلكَ في بيانِهِ لمعنى (العاكف) في قولِهِ تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[7]، حينما قالَ: (والعاكِفُ: المُقيمُ على الشَّيءِ، المُلازِمُ لهُ، يقالُ: عَكَفَ يَعكِفُ ويَعكُفُ كَيَضرِبُ ويَنصُرُ عَكفًا وعُكُوفًا فهوَ: عاكِفٌ، واعتكَفَ يَعتكِفُ اِعتِكافًا فهوَ: مُعتكِفٌ، فالعاكِفُ والمُعتكِفُ: مَن لازَمَ المَسجِدَ وأقامَ عَلى العِبادَةِ فيهِ، والعُكُوفُ: أيضًا جَمعُ عاكِفٍ، كَسُجودٍ وقُعُودٍ في جَمعِ ساجِدٍ وقاعِدٍ، قالَ النّابغَةُ:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٨٤.

(٢) ينظر: شرح التصريف: ٤١٦.

(٣) البيت من الوافر، وقد اُختُلِفَ في نسبته؛ فنُسِبَ إلى المثقَّب العبدي، والفرزدق، والأخطل، والمرادس بن عمرو، ولعلي بن بدال بن سليم. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١: ١٣٦، والمخصّص: ٤: ١٩٣، ولسان العرب: ١٤: ٢٦٨، (دمي)، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ٢٩٢، وخزانة الأدب: ١: ٢٦٣.

(٤) نور التوفيق: ٦٠٣.

(٥) سورة النساء ٤: ١٠٣.

(٦) نور التوفيق: ٨٨٠.

(٧) سورة البقرة ٢: ١٢٥.

عُكُوفٌ عَلى أبياتِهِم يَثمدُونَها رَمَى اللهُ في تِلكَ الأكُفُّ الكَوانِعُ [1]

والرُّكَّعُ: جَمعُ راكِعٍ، والسُّجودُ في الآيةِ: جَمعُ ساجِدٍ[2].

وأيضًا ما استدلَّ لهُ في القاعدةِ النّحويّةِ: « كُلَّما اجتَمَعَ الشَّرطُ والقَسَمُ حُذِفَ جَوابُ المتَأَخِّرِ منهُما، واستُغنِيَ بجَوابِ المُتقدِّمِ عَن جَوابِ المُتأخِّرِ»[3] ـ بعدَما قالَ ـ مِن ذلكَ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[4]، فَلَو قُدِّمَ الشَّرطُ وأُخِّرَ القَسَمُ حُذِفَ جوابُ القَسَمِ، كَقولِكَ: إن يَقمْ زيدٌ واللهِ أقُمْ أو فَأُكرِمْهُ، هذا كُلُّهُ إذا لَمْ يَتقدَمْهُما ـ أي الشّرطَ والقَسَمَ ـ ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ، فإن تَقدَّمَهُما ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ يُحذَفُ جَوابُ القَسَمِ مُطلَقًا سَواءٌ قُدِّمَ القَسَمُ عَلى الشَّرطِ أو أُخِّرَ، نحو: زيدٌ واللهِ إن يَقُمْ أُكرِمْهُ أو زيدٌ إن يَقمْ واللهِ أقُمْ، ورُبَّما يُرجَّحُ الشّرطُ ويُذكَرُ جَوابُهُ ويُحذَفُ جَوابُ القَسَمِ، وإن قُدِّمَ القَسَمُ ولَم يَتقدَّمهُما ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ؛ وذلكَ لأنَّ القَسَمَ لِتَرويجِ الكَلامِ، أعني: الشَّرطَ والجَزاءَ ولَيسَ نفسُهُ مَقصودًا بذاتِهِ كَقولِ الشّاعرِ:

لَئِن كانَ ما حُدِّثتُهُ اليومَ صادقًا أَصُمْ في نَهارِ القَيظِ للشَّمسِ بادِيًا

واركَب حِمارًا بينَ سَرجٍ وفَروَةٍ وَأعرُ مِنَ الخاتامِ[5] صُغرى شِمالِيًا [6]

(١) البيت من الطويل، ديوانه: ٧٩.

ويثمدون: يُكثرون السؤال حتّى ينفد ما عنده. ينظر: الصحاح: ٢: ٤٥١، (ثمد).

والكوانع: جمع كانع، وهو الخاضع، «وأكنع الشيء: لانَ وخَضَعَ». العين: ١: ٢٠٤، (كنع).

(٢) نور التوفيق: ٨٨٠.

(٣) ينظر: ألفيّة ابن مالك: ٥٩.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٢٠.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: الخاتامُ لُغةٌ: في الخاتمِ.

(٦) الأبيات من الطويل، قائلها من بني عُقَيْلٍ. ينظر: لسان العرب: ١٢: ١٦٤، (ختم)، وخزانة الأدب: ١١: ٣٥٠.

حيثُ قَدَّمَ القَسَمَ على الشّرطِ؛ لأنَّ التّقديرَ: واللهِ لَئِن كانَ ما حُدِّثتُهُ اليومَ صادقًا مَعَ أنَّهُ ذكرَ جَوابَ الشَّرطِ وهوَ (أصُمْ وأركَبْ وأعْزُ) كُلَّ واحدٍ مَنها بالجَزمِ على صِيغَةِ المعلومِ مِنَ المتكلِّمِ وحدهُ، وحَذفَ جَوابَ القَسَمِ بدَلالَةِ جَوابِ الشّرطِ عليهِ»[1].

الصّورةُ الثّالثةُ: لتأكيدِ واختيارِ وجهٍ نحوي:

يرى المُصنِّفُ أنَّ الفعل (فدى) يتعدّى إلى مفعولينِ، كما يتعدّى إلى المفعول الثّاني بحرفِ الجرِّ، وذلكَ في معرضِ كلامِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[2]، إذ قالَ: «وأمَّا تَفْدُوهُم فالمَعنى فيهِ مِثلَ المعنى في تفادوهم وقَد يكونُ في طَرَفٍ واحِدٍ وهذا الفِعلُ يَتَعدّى إلى مَفعولَينِ، نحو: فادَيتُ زيدًا عَشرةَ آلافِ دِرهَمٍ، وإلى الثّاني بالجارِّ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3]»[4]، واستدلّ لذلكَ بما جاءَ في قولِ الشّاعرِ:

يوَدُّونَ لَو يَفدُونَني بِنفوسِهِم[5] [ومثلُ الأواقي والقيانِ النَّواهِدِ]

وكذلكَ ما ذكرَهُ في بَيانِ هَمزَةِ الإنكارِ في قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[6]، إذ قالَ: «(الهمزَةُ) في أتُحاجُّونَنا: لِلإنكارِ، وشَرطُهُ أن

(١) نور التوفيق: ٨٣١.

(٢) سورة البقرة ٢: ٨٦.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٠٧.

(٤) نور التوفيق: ٦١١.

(٥) لم يقف الباحث على البيت سوى في كتاب: إيضاح شواهد الإيضاح: ١: ٤٧٠، وقد نسبه لأبي ذؤيب الهذلي، كما أورده صاحب مجمع البيان: ١: ٢٩٠، من غير نسبة.

الأواقي: جمعُ أُوقِيَّة، وهي: زِنةُ سَبعةِ مَثاقِيلَ، وزنةُ أَربعينَ درهماً. لسان العرب: ١٥: ٤٠٤، (وقي).

القيان: جمع قيْنة، وهي: الأمَةُ مغنّيةٌ كانت أو غيرُ مغنّية. الصحاح: ٦: ٢١٨٦، (قين).

النّواهد: جمع ناهد، قال أبو عبيد: إذا نَهَدَ ثَدْيُ الجارية قيل: هي ناهِد، ونَهَدَ الثديُ إذا ارتفع عن الصّدرِ وصار له حَجْمٌ. لسان العرب: ٣: ٤٢٩، (نهد).

(٦) سورة البقرة ٢: ١٣٩.

يَلِيَ المُنكَرُ الهمزَةَ، فَتقولُ في إنكارِ الفِعلِ المضارِعِ: أَتَضرِبُ زَيدًا وهوَ أخوكَ، قَصدًا إلى إنكارِ الفِعلِ الواقِعِ في الحالِ، بمَعنَى: أنَّهُ لا يَنبَغِي أن يكونَ، وقَولُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، قَصدًا إلى إنكارِ المُحاجَّةِ في شَأنِ اللهِ وأمرِهِ، بمَعنى أَنَّهُ لا يَنبَغِي أن تكونَ، وقَولُ الشّاعرِ:

أَتَقتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي وَمَسنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أغوالِ [(1)][(2)]

ومنهُ أيضًا في قولِهِ تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[(3)]، تعرّضَ المصنِّفُ إلى بيانِ أفعالِ المقاربةِ، ومنها: كادَ، فقالَ: «والغالِبُ في كادَ وكَربَ التَّجرّدُ من (أن)؛ وذلكَ لأنَّ (أن) إنَّما يقتَرِنُ بأفعالٍ غيرِ ثابتَةٍ ولا مُستَقرّةٍ، مثلَ: الطّمعُ والرّجاءُ، وكادَ وكَربَ قَريبٌ من الحالِ فلا يَلزمُهُ (أن) والاقتِرانُ بها قَليلٌ.

فـ(الواو) في الآيةِ المذكورةِ: اسمُ كادَ، وجملةُ: (يفعَلونَ): خبرُهُ، ولَم يجئ في القرآنِ المجيدِ خبرُ كادَ معَ (أن) أَصلًا، وخبرُ عَسَى بدونِها أَصلًا، وقد جاءَ نادرًا كادَ مَعَ أن في غيرِ القرآنِ كقولِهِ:

رَبعٌ عَفاهُ الدَّهرُ طُولًا فَانمَحَى قَد كادَ مِن طُولِ البِلى أن يَمصَحا [(4)]

وقولِهِ:

كادَتِ النّفسُ أن تَفيضَ عليهِ إذ ثَوَى حَشوُ رَيطَةٍ وبُرُودِ [(5)][(6)]

---

(1) البيت من الطويل، لامرئ القيس. ديوانه: ١٢٥، وينظر: مختصر المعاني: ١٩٠.

(2) نور التوفيق: ٩٦٧.

(3) سورة البقرة ٢: ٧١.

(4) البيتُ من الرجز، لرؤبة بن العجاج. ديوانه: ١٧٢، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٤٦٠، الشاهد رقم: ٣٧١، أي: ذهَبَ وانقطَعَ.

(5) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في لسان العرب: ٦: ٢٣٤، (نفس)، وارتشاف الضرب من لسان العرب: ٥: ٢٣٩٣، ونسبه ابن عقيل في شرحه: ١: ٣٣٠، الشاهد رقم: ٨٨ إلى محمد بن مناذر من أبياتٍ لهُ في رثاءِ صديقٍ له.

(6) نور التوفيق: ٥٠٦.

الصّورةُ الرّابعةُ: في بيانِ معاني الألفاظِ الغريبةِ:

ففي بيانِهِ لمعنى (الخَلاق) في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(1)، قالَ: (والخَلاقُ: النَّصيبُ الوافِرُ مِنَ الخَيرِ)(2)، ثمَّ أتى بقولِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصّلتِ لبيانِ معناهُ، وهو:

يَدعُونَ بالوَيلِ فيها لا خَلاقَ لَهُم إلّا سَرابيلُ مِن قِطْرٍ وأغلالُ (3))(4)

وكذلكَ في توضيحِهِ لمعنى (الدّرء) في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(5)، قالَ: (الدَّرءُ: الدّفعُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾(6) الآيةُ، أي: يَدفعُ، ومنهُ الحديثُ: «ادرَؤوا الحُدودَ بالشُّبُهاتِ»(7)، أي: ادفَعوا، دَرَءَ يَدرَءُ: إذا دَفعَ، ويقالُ: دَرَءَ فُلانٌ علينا يَدرَءُ، أي: طَلَعَ علينا مُفاجأةً، ودَرءَ الوُسادَةَ، أي: بسَطَها، والدّريئةُ بالهَمزِ: حَلَقَةٌ يُتَعلَّمُ بها، وعليها الطّعنُ، قالَ الشّاعرُ:

ولَقد أَراني لِلرّماحِ دَرِيَّةً مِن عَن يَميني تارةً وأَمامِي (8)

بقلبِ الهَمزةِ ياءً وإدغامِ الياءِ في الياءِ، وقيلَ: الدّرءُ: العِوَجُ، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

فنكِّبْ عَنهم دَرءَ الأَعادِيَ وَداوِ بالجُنُونِ مِنَ الجُنونِ (9))(10)

---

(1) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

(2) نور التوفيق: ٧١٤.

(3) البيت من البسيط. ديوانه: ٤٧.

(4) نور التوفيق: ٧١٤.

(5) سورة البقرة ٢: ٧٢.

(6) سورة النور ٢٤: ٨.

(7) دعائم الإسلام: ٢: ٤٦٥، حديث رقم: ١٦٤٩، ومن لا يحضره الفقيه: ٤: ٧٤، حديث رقم: ٥١٤٦.

(8) البيت من الكامل، لقطري بن الفجاءة، ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح: ٢: ٥٧٨، وأسرار العربية: ١٩٠.

(9) لأبي الغول الطهوي. ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٤١٩، وخزانة الأدب: ٦: ٣٩٣.

(10) نور التوفيق: ٥٣١.

ومثلِهِ في إيرادِهِ لمعاني (الحنيف) في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١)، قالَ: (الحَنيفُ: هوَ المائِلُ إلى الإسلامِ، الثّابتُ عَليهِ، والحَنيفُ عندَ العَرَبِ: مَن كانَ عَلى دينِ إبراهيمَ عليه السلام ، والحَنيفُ: المائِلُ عَنِ الأديانِ الباطلَةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ، وأصلُ الحَنَفِ: الميلُ، وفي الحديثِ: (إنَّهُ قالَ لِرَجلٍ: ارفَعْ إزارَكَ، قالَ: إنِّي أحنَفُ)(٢)، الحَنَفُ مُحرَّكَةً: إقبالُ القَدَمِ ومَيلُها بأصابِعِها إلى القَدَمِ الأُخرَى، فَهوَ مَيلٌ في صَدرِ القَدَمِ إلى الطّرَفِ الأُنْسِي، وقالَت امرَأَةٌ مِنَ العَرَبِ وهيَ تُرَقِّصُ وَلَدَها:

وَاللهِ لَولا حَنَفٌ برِجلِهِ	مَا كانَ مِن صِبيانِكُم بمِثلِهِ(٣))(٤)

وفي بيانِهِ لمعنى (الجحم) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾(٥)، قالَ: (والجَحيمُ: النّارُ إذا شَبَّ وَقُودُها وصارَ كَالعَلَمِ على طَبَقَةٍ مِن طَبَقاتِ جَهَنَّمَ، وأصلُهُ: ما اشتَدَّ لَهَبُهُ مِنَ النّيرانِ، يقالُ: جَحَمَتِ النّارُ تَجحُمُ جَحمًا: إذا اضطَرَمَت، ومنهُ الجُحامُ بالضَّمِّ كَغُلامٍ: وهوَ داءٌ يأخُذُ الكَلبَ في رَأسِهِ فَيُكوَى منهُ ما بينَ عَينَيهِ، وقَد يُصيبُ الإنسانُ أيضًا، والجُحُم هيَ: العَينُ بلغَةِ حِميَرٍ، قالَ الشّاعرُ:

أيا جَحْمَتِي أبكِي عَلى أُمِّ واهِبٍ	قَتيلَةَ قِلُّوبٍ بإحدَى المَذانِبِ(٦)

(١) سورة البقرة ٢: ١٣٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٥١.

(٣) البيت من الرجز. ينظر: العين: ٣: ٢٤٨، (حنف)، وفيه برواية: ما كان في فتيانكم كمثله، وتاج العروس: ١٢: ١٥١، (حنف).

(٤) نور التوفيق: ٩٤٧.

(٥) سورة البقرة ٢: ١١٩.

(٦) البيت مجهول القائل. وقد اُختُلِف في لفظه، فجاء في معجم مقاييس اللغة: ١: ٤٢٩ بلفظ: أمّ عامرٍ، أكيلةَ، وفي لسان العرب: ١٢: ٨٥ بلفظ: أمِّ مالكٍ، وفي تاج العروس: ١٤: ٢٣ بلفظ: أمِّ واهبٍ.
والقِلُّوب: الذئب. لسان العرب: ١٢: ٨٥، (جحم)، والمذانب: جمع ذنب، وهم: مسيل الماء. لسان العرب: ١: ٣٩١، (ذنب).

وَجحمَتا الأسدِ: عيناهُ»[1].

الصّورةُ الخامسةُ: لتأييدِ معنًى معيّنٍ:

فبعدَ أن يذكرَ معانيَ اللّفظِ يُوردُ بيتًا شعريًّا لتأكيدِ أحدِ تلكَ المعاني، كما في بيانِهِ لمعنى (حطَّة) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[2]، حينما قالَ: «والحَطُّ: وَضعُ الأحمالِ عن الدَّوابِّ، ووَضعُ الشّيءِ عن الشيءِ كالاحتِطاطِ، واستَحَطَّ وِزرَهُ: سَأَلَهُ أن يَحُطَّهُ عنهُ، والاسمُ: الحِطَّةُ والحِطِّيطي بكسرِهما، فالحِطَّةُ بالكسرِ: اسمُ مَصدَرٍ، وفي الحديثِ: «مَن ابتَلاهُ اللهُ ببَلاءٍ في جَسدِهِ فهوَ لهُ حِطَّةٌ»[3]، أي: يَحطُّ عنهُ خَطاياهُ وذُنُوبَهُ، وهيَ فِعلَةٌ من حَطَّ الشيءَ يَحُطُّهُ كَنَصَرَ إذا أنزَلَهُ وأَلقاهُ، ومنهُ سُمِّيَتِ الصّلاةُ في التّوراةِ: حُطُوطًا؛ لأنَّها تَحُطُّ الأوزارَ والخَطايَا، والحَطُّ: الحَدَرُ من عِلْوٍ إلى سِفْلٍ، وقالَ امرؤُ القيسِ في وَصفِ الفَرَسِ:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبِرٍ مَعًا كَجُلمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلٍ[4]»[5]

ومن ذلكَ بيانُهُ لمعاني (الويل) في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[6]، إذ قالَ: «والوَيلُ: كَلمةٌ يَستعمِلُها كُلُّ مَن وَقَعَ في هَلَكةٍ أو مَكروهٍ، وأَصلُهُ: العَذابُ والهلاكُ، واسمُ وادٍ في جهنَّم، أو جَبلٌ فيها، وقالَ الاصمَعيُّ: «الوَيلُ هوَ: التّقبيحُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا

---

(١) نور التوفيق: ٨٢٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٨.

(٣) مسند أحمد: ١: ١٩٥، والمستدرك على الصحيحين: ٣: ٢٦٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٠٢.

(٤) البيت من الطويل. ديوانه: ١٢، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ١٤٢.

والجلمود: الصخر. لسان العرب: ٣: ١٢٩ (جلمد)، والصخر: «الحجرُ العظيمُ الصلبُ». القاموس المحيط: ٢: ٦٨، (صخر).

(٥) نور التوفيق: ٤٢٦.

(٦) سورة البقرة ٢: ٧٩.

تَصِفُونَ﴾(١)، وقالَ المُفضّلُ: معناهُ الحُزنُ، وقالَ قومٌ: معناهُ الهَوانُ والخِزيُ)(٢)، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

يا زَبرقانُ أَخا بَني خَلَفٍ ما أَنتَ وَيلَ أَبيكَ والفَخرُ (٣))(٤)

الصّورةُ السّادسةُ: لتأكيدِ قراءةٍ منَ القراءاتِ:

كما في قَولِهِ تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٥)، فقالَ: (وقُرِئَ: (إلهَ أَبيكَ) على أَنَّهُ جمعٌ بالواوِ والنّونِ رَفعًا، والياءِ والنّونِ جرًّا ونَصبًا(٦)، مِثلَ: هؤلاءِ أَبُونَ، ورَأيتُ أَبِينَ، ومَرَرتُ بأَبِينَ، فلَمّا أُضِيفَ إلى الكافِ حُذِفَتِ النّون، عَلى حَدِّ قَولِ الشّاعِرِ:

فَلَمَّا تَبَيَّنَّ أَصْواتَنا بَكَينَ وفَدَّينَنَا بالأَبينا (٧)

أي: لَمَّا سَمِعنَ وَعَلِمنَ أصواتَنا بَكَينَ، وقُلنَ لَنا: آباؤُنا فِداؤُكُم، أو عَلى أَنَّهُ مُفرَدٌ، و(إبراهيمَ) وَحدَهُ عَطفُ بَيانٍ أو بَدَلٌ لهُ، وإسماعيلَ وإسحاقَ مَعطوفانِ عَلى أبيكَ، أي: إلهَ أَبيكَ إبراهيمَ، وإلهَ إسماعِيلَ، وإلهَ إسحاقَ، والجُمهورُ: إلهَ آبائِكَ بِجَمعِ التَّكسيرِ(٨))(٩).

فجعلَ المصنِّفُ قولَ الشّاعرِ لتأكيدِ قراءة (أب) على أَنَّهُ جمعٌ مذكّرٌ يُرفعُ بالواوِ ويُنصبُ ويُجرُّ بالياءِ.

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ١٨.

(٢) شرح العينيّة الحميريّة: ٤٨٦، وينظر: تاج العروس: ٤: ٢٥٢، (ويح).

(٣) البيت من الكامل، للمخبّل السعدي يهجو ابن عمٍّ له. الكتاب: ١: ٢٩٩، وخزانة الأدب: ٤: ١٣٩.

(٤) نور التوفيق: ٥٦٢.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٣٣.

(٦) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١١٢، وهي قراءة الحسن وابن يعمر و الجحدري.

(٧) البيت من المتقارب، لزياد بن واصل السّلميّ. ينظر: تفسير ابن عطية: ١: ٢١٤، وبلا نسبة في الصحاح: ٦: ٢٢٦٠، (أبا)، وخزانة الأدب: ٤: ٩٨.

(٨) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١١٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٣.

(٩) نور التوفيق: ٩٣٥.

ومن ذلكَ تأكيدُهُ لقراءةِ (الرُّسُل) بضمّتينِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾(١)، حينما قالَ: (والرُّسُلُ بضَمَّتينِ: جَمعُ رسولٍ كَالصُّبُرِ والشُّكُرِ والغُفُرِ والفُخُرِ في جَمعِ صَبورٍ وشَكورٍ وغَفورٍ وفَخورٍ، قالَ طَرَفَةُ:

ثمَّ زادُوا أنَّهُم في قومِهِم غُفُرٌ ذَنبَهُمُ غَيرُ فُخُرٍ(٢)

وقَد يُسْكَنُ عَينُ مِثلِهِ)(٣).

ومثلُهُ تأكيدُهُ لقراءتي: القراءةِ والاتّباعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾(٤)، إذ قالَ: (الاتِّباعُ: الاقتِداءُ، يقالُ: اتَّبَعَهُ فُلانٌ: إذا اقتَدَى بِهِ، والتِّلاوةُ: القِراءةُ، مِن تَلوتُ الكِتابَ، أي: قَرَأتُهُ، والتِّلاوةُ: التَّتَبُّعُ، يقالُ: يَتلو فُلانٌ فُلانًا، أي: يَتبَعُهُ؛ لأنَّ التّالي تابعٌ، فَقَولُهُ تعالى: ﴿مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يَحتَمِلُ المَعنيَينِ، وكَذا قَولُ حسَّانِ بنِ ثابتٍ:

نَبيٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاسُ حَولَهُ وَيَتلُو كِتابَ اللهِ في كُلِّ مَشهَدِ(٥)

أي: يَقرَأُهُ أو يَتبَعُهُ)(٦).

الصّورةُ السّابعةُ: لبيانِ المعنى العام:

فالمصَنِّفُ يُورِدُ البيتَ الشّعري لبيانِ وتأكيدِ المعنى الذي يُستفادُ منَ النّصِّ الشّريفِ، ومنَ الأمثلةِ على ذلكَ ما ذكرهُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾(٧)، قالَ: (يعني: مِن هؤلاءِ

---

(١) سورة البقرة ٢: ٨٧.

(٢) البيت من الرمل، ديوانه: ٦٤، وهو من شواهد سيبويه: ١: ١١٣، كما ينظر: خزانة الأدب: ٨: ١٩٠.

يعني: أنّهم زادُوا عندَ قومِهِم وفُضِّلوا عليهِم؛ لأجلِ أنّهم غُفُرٌ ذَنبَ قَومهم، وأنّهم غيرُ مُفتَخرينَ في غُفرانِ ذَنبِهِم ولَم يَتطاوَلوا عليهِم ولَم يَمُنُّوهُم.

(٣) نور التوفيق: ٦٢٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

(٥) البيت من الطويل. ديوانه: ٦٠، وفي رواية الديوان: في كلِّ مسجدِ.

(٦) نور التوفيق: ٧١٠.

(٧) سورة البقرة ٢: ٧٨.

اليَهودِ الذين مَرَّت قصَّتُهُم في الآياتِ السّابقةِ وقَساوةُ قُلوبِهِم وقَطعُ الطَّمعِ عن إيمانِهِم ﴿أُمِّيُّونَ﴾: لا يقرؤونَ الكِتابَ ولا يعلمونَ، و لا يعلمونَ الكِتابةَ ولا يكتبونَ، منَ الأُمِّيِّ المنسوبِ إلى الأُمِّ، أي: كَما هوَ خَرجَ مِن بطنِ أُمِّهِ، أي: جُهَّالٌ غيرُ عارفينَ بالكتابةِ فَيُطالِعوا التّوراةَ ويُراجِعوا إلى ما فِيها، وغيرُ عالمين بمَعاني الكِتابِ الذي هوَ التّوراةُ فَلا يَعلمونَها حِفظًا ولا تِلاوةً ولا رِعايةً ولا دِرايةً ولا فَهمًا لِما فيهِ، ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: هذا تفسيرُ أُمّيّونَ ووَصفُهُم، على حَدِّ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾(1)، وقولِ أَوسِ بنِ حَجَرٍ:

الأَلَمعِيُّ الّذي يَظُنُّ بِكَ الظّنَّ كَأن قد رَأى وقَد سَمِعا (2)

والمعنى: أُمّيُّونَ لا يَعلمونَ الكتابَ المُنزلَ إليهِم منَ السّماءِ، ولا المُكذَّبَ بِهِ، ولا يُميِّزونَ بينَهُما)(3).

ومنها: في بيانِ تأثّرِ الحجارةِ وخشيتِها في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾(4)؛ قالَ: (لأنَّ الحِجارةَ تَتَأَثَّرُ وتَنفعِلُ، فَمِنها: ما يَتفَجَّرُ منهُ الأَنهارُ، ومِنها: ما يَتشَقَّقُ فَينبعُ منهُ الماءُ، ومِنها: ما يَتَرَدَّى مِن قُلَّةِ الجَبلِ إلى أَسفلِهِ ويَتَدَكدَكُ انقيادًا لِما أَرادَ اللهُ؛ وخَوفًا منهُ سبحانَهُ، ولا تَقبلُ حَملَ الأَمانةِ مُشفِقًا مِنها، والخشيةُ هنا مَثَلٌ ومَجازٌ عنِ الانقيادِ؛ لأَنَّهُ وُجِدَ منها ما يُوجَدُ مِن حَيٍّ عاقِلٍ، كما قالَ سبحانَهُ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾(5)؛ لأَنَّهُ ظَهرَ منهُ المَيلُ والخُرُورُ،

---

(1) سورة المعارج ٧٠: ١٩-٢١.

(2) البيت من المنسرح. ديوانه: ٥٣، والخصائص: ٢: ١١٤.

والشاهد فيه: تشبيه الأمّي بالشّخص الذي يعتقدُ أنه قد رأى وقد سمع وهو في الحقيقة لا رأى ولا سمع.

وقائله: ابو شريح بن مالك التميمي: شاعر جاهلي، عمَّرَ طويلًا، ولم يُدركِ اللإسلامَ، في شعره حكمة ورقّة، وكانت تميم تُقدّمهُ على سائرِ شعراءِ العربِ،، له ديوان شعر، توفي سنة (٢ ق. هـ). ينظر: أسد الغابة: ١: ١٤٧، والأعلام: ٢: ٣١، ومعجم المؤلفين: ٣: ٢٦.

(3) نور التوفيق: ٥٦٨، ٥٦٩.

(4) سورة البقرة ٢: ٧٤.

(5) سورة الكهف ١٨: ٧٧.

وقالَ: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[1]، وقالَ: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[2] وقالَ جريرُ:

لَمَّا أَتى خَبَرُ الزُّبيرِ تَواضَعَت سُورُ المَدينةِ والجِبالُ الخُشَّعُ [3]

وقالَ جريرُ أيضًا:

والشّمسُ طالعَةٌ لَيسَت بكاسِفَةٍ تَبكي عَليكَ نُجومُ اللّيلِ والقَمَرا [4]

وقالَ تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5])[6] .

المطلبُ الثّاني: المسائلُ البلاغيّةُ:

يُعدُّ الإعجازُ البلاغيِّ من أبهى صورِ الإعجازِ القرآني، والذي أذهلَ الأمّةَ التي نزلَ بها القرآن، وهم أهلُ البلاغةِ والفصاحةِ، وقد أشار المفسّرون في تفاسيرِهم إلى الأوجهِ البلاغيّةِ المنتشرةِ بينَ كلماتِ القرآنِ الكريمِ، كما سلّطوا الضّوءَ عليها باعتبارِها واحدةً من أسرارِ التّحدّي القرآني للإتيانِ بمثلِ هذا القرآن، وقد تطرّقَ المصنِّفُ إلى بعضٍ من هذهِ الوجوه، ومنها:

ما ذكرَهُ في اعتراضِهِ على العلّامتينِ الزّمخشريِّ والبيضاويّ في مسألةِ وجودِ الالتفاتِ[1] من عدمِها في قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي

---

(١) سورة سبأ ٣٤: ١٠.

(٢) سورة هود ١١: ٤٤.

(٣) البيت من الكامل. ديوانه: ٢٧٠، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب: ١: ٥٢.

(٤) البيت من البسيط. ديوانه: ٢٣٥، وجاء بلفظ: (فالشمسُ كاسفةٌ ليست بطالعةٍ)، و وافقه صاحب القاموس: ٨٤٩، وغيره، كما وافق المُصنِّف في قراءته عديد المصادر، منها: جمهرة اللغة: ١: ٥٩٧، والمخصّص: ٥: ١٣٤.

فعلى قراءة الديوان: يكون المعنى: أراد مَا طلعَ نجمٌ، وما طلعَ قمرٌ، ومَا طَلعتِ الشّمسُ حزنا عليك، وعلى القراءة الثانية: أَنَّ الشّمسَ طالِعةٌ تَبْكِي عَلَيْكَ وَلَمْ تكسِف ضَوْءَ النُّجُومِ ولا القمرِ؛ لأنّها فِي طُلُوعِها حزينةٌ باكيَةٌ.

(٥) سورة الحشر ٥٩: ٢١.

(٦) نور التوفيق: ٥٤٤.

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2]، إذ قالَ:

«﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: أعرضتُم أيُّها اليَهودُ عنِ الوَفاءِ بالميثاقِ والعَهدِ الّذي أَدَّاهُ إليكُم أنبياؤُكُم وأسلافُكُم فأَخبرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عنِ اليَهودِ بأنَّهُم نَقَضُوا ميثاقَهُ ونكَثوا عَهدَهُ وخالَفوا أَمرَهُ وتوَلَّوا عنهُ مُعرضينَ إلَّا القَليلَ مِنهم ممَّن عَصَمَهُ اللهُ فَوَفَى بعهدِ الله وميثاقِهِ، وهُمُ الّذينَ أَسلَموا منهم كَعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأَمثالِهِ، وفي كَونِ (تولَّيتُم) التِفاتًا كَما قالَهُ صاحبُ الكَشّافِ[3]، وتبِعهُ البَيضاوي[4] نَظَرٌ ظاهرٌ على ما عَرَّفَهُ عُلماءُ المعاني وما تَداوَلَ بينَهم، إلَّا أن يُريدا بالالتفاتِ: تَغييرَ الأُسلوبِ منَ المضارِعِ المخاطَبِ، أو الأَمرِ المخاطَبِ، إلى ماضي المخاطَبِ، أو يقالُ: إنَّهُ التِفاتٌ بالنَّظرِ إلى (لا يَعبُدونَ) إن قُرِئَ بالياءِ، وإلَّا فَلا التفاتَ فيهِ أَصلًا؛ لأنَّ (لا تَعبُدونَ)، والفِعلَ المحذوفَ، وقُولُوا، وتَولَّيتُم كُلُّها خِطابٌ، ولَم يُغَيَّرْ إلى الغَيبَةِ، أو التَّكلّمِ، حَتَّى يكونَ تَوَلَّيتُم التفاتًا مُصطَلَحًا عليهِ.

وفي كَونِ تَوَلَّيتُم التفاتًا بالنَّظَرِ إلى (لا يَعبُدونَ) بالياءِ التّحتانيّةِ نَظَرٌ أيضًا؛ لأنَّ الالتفاتَ حينئذٍ يكونُ في (قُولُوا) دونَ (تَوَلَّيتُم) ودونَ (وأَنتُم مُعرِضونَ)؛ لأنَّهُما جاريانِ على طَريقةِ (قُولُوا) كَما أنَّ الالتفاتَ في سورةِ الحَمدِ كانَ في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[5] فقط بالنَّظَرِ إلى ما قَبلها، وأمَّا ﴿وإِيَّاكَ

---

(١) الالتفات: هو: «أن تذكرَ الشّيءَ وتُتِمَّ معنى الكلام بهِ، ثمَّ تَعودَ لِذكْرِه، كأنَّكَ تلتَفِتُ إليهِ». فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٦، والمشهور عند الجمهور: هو: «التّعبيرُ عن معنًى بطريقٍ منَ الطّرقِ الثّلاثةِ (التّكلّم والخطاب والغَيبة) بعدَ التّعبيرِ عن ذلكَ المعنى بطريقٍ آخرَ منَ الطّرقِ الثّلاثةِ، بشرطِ أن يكونَ التّعبيرُ الثّاني على خِلافِ ما يقتَضيهِ الظّاهرُ ويَترقّبُهُ السّامعُ». الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٤، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ٨٤.

(٢) سورة البقرة ٢: ٨٣.

(٣) ينظر: الكشّاف: ١: ١٥٩.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٩١.

(٥) سورة الفاتحة ١: ٥.

نَسْتَعِينُ﴾[1]، و﴿اهْدِنَا﴾، و﴿أَنْعَمْتَ﴾ فَليسَ فيها التفاتٌ؛ لأنَّها جَرَت على طَريقةِ ﴿إِيَّاكَ نعْبُدُ﴾، كَما نَصُّوا على ذلكَ قاطبَةً، والخِطابُ في (تَوَلَّيتُم) للمَوجودينَ مِنَ اليَهودِ زَمنَ رسولِ الله ﷺ، أو لهُم ولِمَن قَبلهم فَذَمَّ سبحانَهُ كُلَّهُم بذلكَ»[2] .

وللمفسِّرينَ فيها مشاربُ متعدِّدةٌ، فمنهُم مَن وافقَ المصنِّفَ في قولِهِ بالعدمِ كابنِ عطيّةَ[3] ، وفي قولٍ لسراجِ الدّينِ النّعمانيّ (٧٧٥هـ)[4]، وابنِ عاشور الّذي قالَ: «والمرادُ بالخطابِ في تولَّيتُم خصوصُ مَن بَعدَهُم لأنَّهم الَذينَ تولَّوا فلَيسَ في الكلامِ التِفاتٌ ما، وهوَ أولى مِن جَعلِ ما صدّقَ بني إسرائيلَ هوَ ما صَدّقَ ضَميرَ (تَوَلَّيْتُمْ) وأنَّ الكلامَ التِفاتٌ»[5].

وذهبَ الرّازيُّ إلى وجودِ التفاتٍ في (قولوا)، إذ قالَ: «المسألةُ الثّانيَةُ: يُقالُ: لمَ خُوطِبوا بـ(قولُوا) بعدَ الإخبارِ؟ والجوابُ مِن ثلاثَةِ أوجُهٍ: أحدُها: أنَّهُ على طريقَةِ الالتِفاتِ كقَولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[6]»[7]، و هو ما قالهُ الشيخ الطّوسي من قبله[8].

ويرى أبو حيّان أنَّ الالتفاتَ حاصلٌ في (لا تعبدونَ) عنِ الغيبةِ السّابقةِ، فقالَ: «ومَن قرَأَ بالتّاءِ، فهوَ التِفاتٌ، وحِكمتُهُ الإقبالُ عليهِم بالخِطابِ، ليكونَ أدعَى للقَبولِ، وأقرَبَ للامتِثالِ، إذ فيهِ الإقبالُ مِنَ اللهِ على المخاطَبِ بالخِطابِ»[9].

---

(١) سورة الفاتحة ١: ٥.

(٢) نور التوفيق: ٥٩٦- ٥٩٧.

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية: ١: ١٧٣.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢: ٢٣٨.

(٥) التحرير والتنوير: ١: ٥٨٢.

(٦) سورة يونس ١٠: ٢٢.

(٧) تفسير الرازي: ٣: ٥٨٨.

(٨) ينظر: التبيان: ١: ٣٢٩.

(٩) البحر المحيط: ١: ٤٥٧.

وقيلَ: يعني بهم الّذينَ أسلموا في زمانِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كعبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وأضرابِهِ، فيكون التفاتاً على القِرَاءتين. وقيلَ: إنَّ في النّصِّ التفاتًا على القراءتينِ باعتبارِ التّغيّرِ في الخطابِ من أسلافِ بني إسرائيلَ (الغيبة) إلى بني إسرائيلَ الحاضرينَ زمنَ نزولِ القرآنِ (الخطاب)[1].

ومن أجملِ ما قيلَ في بيانِ النَّصِّ الشّريفِ قولُ العلّامةِ الطّباطبائيِّ: (قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، الآيةُ في بديعِ نَظمِها تَبتدِئُ أوّلًا بالغَيبَةِ، وتنتَهي إلى الخِطابِ، حيثُ تقولُ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾، ثمَّ إنّها تذكُرُ أوّلًا الميثاقَ وهوَ أخذٌ للعهدِ، ولا يكونُ إلّا بالقَولِ، ثمَّ تَحكي ما أُخِذَ عليهِ الميثاقُ، فتَبتدِئُ فيهِ بالخبرِ، حيثُ تقولُ: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾، وتَختَتِمُ بالإنشاءِ حيثُ تقولُ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ إلى آخرِهِ، ولعلَّ الوَجهَ في ذلكَ كُلِّهِ أنَّ الآياتِ المتعرِضةَ لحالِ بني إسرائيلَ لَمَّا بدأت بالخِطابِ لمكانِ اشتمالِها على التّقريعِ والتّوبيخِ وجَرَت عليهِ كانَ سِياقُ الكلامِ فيها: الخِطابُ، ثمَّ لَمَّا تَبدَّلَ الخِطابُ بالغَيبةِ بعدَ قصَّةِ البقرَةِ لِنكتَةٍ داعيةٍ إليها كَما مرَّ حتَّى انتهَت إلى هذهِ الآيةِ، فَبدأت أيضًا بالغَيبةِ، لكنَّ الميثاقَ حيثُ كانَ بالقَولِ وبَنى على حِكايتِهِ حُكِيَ بالخِطابِ، فقيلَ: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾ إلى آخرِهِ، وهوَ نَهيٌ في صورةِ الخبرِ، وإنَّما فعلَ ذلكَ دلالةً على شدَّةِ الاهتمامِ بهِ، كأنَّ النّاهيَ لا يشكُّ في عدمِ تحقّقِ ما نُهِيَ عنهُ في الخارجِ، ولا يرتابُ في أنَّ المكلّفَ المأخوذُ عليهِ الميثاقُ سوفَ لا ينتهي عن نهيِهِ، فَلا يُوقِعُ الفعلَ قطعًا، وكذا قولُهُ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾، كلُّ ذلكَ أمرٌ في صورةِ الخبرِ. ثمَّ إنَّ الانتقالَ إلى الخِطابِ مِن قِبَلِ الحِكايةِ أعطى فرصَةً للانتقالِ إلى أصلِ الكلامِ، وهوَ خِطابُ بني إسرائيلَ لمكانِ الاتّصالِ في قولِهِ: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلى آخرِهِ، وانتظَمَ بذلكَ السّياقُ)[2].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢: ٢٣٨.

(٢) الميزان: ١: ٢١٨.

ومُلخَّصُ كلامِ المصنِّفِ أنَّ الآيَةَ الشّريفةَ على القراءةِ المشهورةِ (لا تعبدونَ)[1] تخلو منَ الالتفاتِ نهائيًّا؛ فألفاظُها (لا تعبدونَ، وقولوا، وأقيموا، وآتوا، وتولَّيتم، وأنتم) كلُّها تُشيرُ إلى الخطابِ ولا تُغيّرَ فيها إلى الغَيبةِ أو التّكلّمِ.

أمّا على قراءةِ (لا يعبدونَ) فإنَّ الالتفاتَ منَ الغَيبةِ إلى الخِطابِ سيكونُ في (قولوا) فقط، وستجري بقيّةُ الألفاظِ على نحوهِ دونَ تغيُّرٍ، فلا التفاتَ في (تولَّيتم) مطلقًا.

والباحثُ يرى دقَّةَ قولِ العلّامةِ الطّباطبائيّ، ويُرجِّحهُ على اختيارِ المصنِّفِ، وحاصلُهُ: أنَّ الالتفاتَ حاصلٌ في المعنى دونَ اللّفظِ، فأصلُ الخِطابِ لبني إسرائيلَ السّابقينَ الغائبينَ، وهو موجَّهٌ عندَ النّزولِ إلى بني إسرائيلَ الحاضرينَ والمعاصرينَ، المُخاطَبينَ بالخِطابِ الحالي، فالالتفاتُ متحقِّقٌ بالمعنى العامِّ دونَ الألفاظِ منَ الغَيبةِ إلى الخِطابِ.

ومن ذلك أيضًا ما ذكرَهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾**[2]، حينما تطرّقَ إلى ذكرِ وجهٍ إعجازيٍّ بلاغي ورد في القرآنِ الكريم، وهو ما يسمّى بالإبهامِ والتّفسيرِ في علم المعاني والمقصودُ بِهِ: ‹ أنَّهُ إذا وَردَ فى الكلامِ مُبهَمًا فإنَّهُ يُفيدُهُ بلاغَةً، ويُكسبهُ إعجابًا وفَخامَةً؛ وذلك لأنَّهُ إذا قرعَ السَّمعَ على جهةِ الإبهامِ، فإنَّ السّامعَ لهُ يذهبُ فى إبهامِهِ كلَّ مَذهَبٍ، ووروذُهُ فى القرآنِ كثيرٌ، وهذا كقولِهِ تعالى فى قصّة موسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾[3]، فَلم يَذكرِ الفعلةَ بعينِها معَ كونِها مَعلومَةً؛ لما فى ذلكَ منَ المبالغَةِ فى أمرِها وتَعظيمِ شَأنِها›[4]، وقد ورد هذا الوجهُ في قولِ تعالى: **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾**، أي: وَقُولوا آمَنَّا بِما أُنزِلَ إلَينا، يَعنِي: القرآنَ، بأَنَّهُ حَقٌّ وصِدقٌ مُنزَلٌ

---

(١) قَرأَ عَبدُ الله بنُ كثيرٍ المكِّيُّ وحمزةُ والكسائيُّ: (لا يَعبُدُونَ) بالياءِ بالنّظرِ إلى ما قَبل؛ لأنَّ الأسماءَ الظّاهرةَ كلَّها غُيَّبٌ فَحملُهُ على لفظِ الغَيبَةِ، والباقون: بالتّاءِ حكايةً؛ لِما خُوطِبوا بِهِ؛ وباعتبارِ المعنى؛ وبالنَّظرِ إلى ما بعدِهِ. ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢: ٢١٨، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر: ١: ٤٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٣٦.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ١٩.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢: ٤٤.

مِن عِندِ الله تَعالى واجبٌ عَلَينا وعَلى جَميعِ النّاسِ اتِّباعُهُ؛ لأنَّهُ أحدُ الثّقَلَينِ اللَّذَينِ مَن تَمَسَّكَ بِهِما نَجَا ومَن تَخَلَّفَ عَنهُما، أو عَن أحَدِهِما هَوَى، وإنَّما لَمْ يُصرّحْ سبحانهُ هُنا بأحَدِ الثّقَلَينِ أعنِي بالقرآنِ لِوَجهَينِ:

أحدُهُما: لِتفخيمِ ما أُنزِلَ إلينَا عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[1]، وقَولِهِ تعالى: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[2]، وقَولِهِ تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[3].

وثانيهُما: لِيَشمِلَ الثُّقلَ الآخَرَ كَما في الحَديثِ المَنقولِ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام في قَولِهِ تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾** قالَ: «إنَّما عَنَى بذلكَ عَليًّا عليه السلام وفاطمَةَ والحَسَنَ والحُسينَ عليهم السلام وَجرَت بَعدَهُم في الأئمَّةِ عليهم السلام ثمَّ يَرجِعُ القَولُ مِنَ الله في النّاسِ، فَقالَ: فَإن آمَنوا ـ يَعنِي: النّاسَ ـ بِمِثلِ ما آمَنتُم بهِ ـ عَليًّا وفاطمَةَ والحَسَنَ والحَسَينَ والأئمَّةَ عليهم السلام ـ فَقَد اهتَدَوا، وإن تَوَلَّوا فَإنَّما هُم في شِقاقٍ ـ يَعنِي: في كُفرٍ ـ»[4]، فَتكونُ الآيةُ مُشتملَةً عَليهِما مَعًا»[5].

(١) سورة النجم ٥٣: ١٠.

(٢) سورة النجم ٥٣: ١٦.

(٣) سورة طه ٢٠: ٧٨.

(٤) الكافي: ١: ٤١٦، حديث رقم: ١٩.

(٥) نور التوفيق: ٩٥٥.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي ختامِ دراستِنا هذهِ أمكنَ للباحثِ التّوصّلُ إلى ثلّةٍ منَ النّتائجِ والتّوصياتِ، يُوجزُها بالآتي:

أوّلًا: النّتائجُ:

بعد أن جالتِ الدّراسةُ بينَ ثنايا هذا التّفسيرِ الشّافي والمنبعِ الصّافي أمكنها بيانُ مجموعةٍ منَ النّتائجِ الّتي تَوصّلت إليها، ومنها:

١ـ اتّبعَ المُصنِّف المنهج التفسيري الكامل في تفسيره.

٢ـ اعتمدَ بشكلٍ أساسيٍّ على المنهجِ الرّوائيّ في بيانِ دلالاتِ الآياتِ الشّريفةِ، كما استخدَمَ الإتجاهَ اللّغويَّ في التّفسيرِ.

٣ـ كثيرًا ما يستدلُّ لآرائهِ وترجيحاتِهِ التّفسيريّةِ بالأدلّةِ الرّوائيّةِ والشّواهدِ اللّغويّةِ والشّعريّةِ.

٤ـ أولى المصنِّفُ القراءاتِ القرآنيّةَ اهتمامًا كبيرًا، ذاكرًا أصحابَها وحججَهُم.

٥ـ نقلَ عمَّن سبقَهُ منَ المفسّرينَ مُعلِّقًا على أقوالِهِم، مؤيِّدًا تارةً، أو رادًّا تارةً أخرى، وهو ما يكشِفُ عن سعةِ علمِهِ وإحاطتهِ المعرفيّةِ بكلِّ ما يتعلّقُ بكتابِ اللهِ المجيدِ.

٦ـ استخدمَ الدّليلَ العقلي في بيانِ معاني بعضِ الآياتِ الكريمةِ وتفسيرِها.

٧ـ يميلُ إلى بيانِ وتوضيحِ عقيدتهِ ومذهبِهِ الإمامي، ويُسمّيهِ مذهبُ المُحقّةِ.

٨ـ يُمكنُ اعتمادُ هذا المصَنَّفِ مرجِعًا للنّحوِ القرآني، إذ حفلَ بالكثيرِ من القواعدِ النّحويَّةِ، والآراءِ النّحويّةِ لكبارِ علماءِ النّحوِ، ومن مدرسَتَي البصرةِ والكوفةِ.

٩ـ نهجَ المصنِّفُ المنهجَ المقارنَ وذلكَ بذكرِهِ لأقوالِ المفسِّرينَ منّ المذاهبِ الأخرى، فضلًا عن استدلالِهِ برواياتِهِم من بابِ الإلزامِ، أو التّعضيدِ لرأيِهِ.

١٠ـ اقتصرَ المصنِّفُ على الاعتمادِ على المصنّفاتِ التّفسيريّةِ والرّوائيّةِ المعتبرةِ، وقليلًا ما اعتمدَ على المعاصرينَ لهُ.

ثانيًا: التّوصياتُ:

بعدما تعرّضتِ الدّراسةُ إلى بيانِ هذا التفسيرِ، ومنهجِه، واسلوبِ مُصنِّفِهِ، تُوصِي بمجموعةٍ منَ التّوصياتِ إلى طلبةِ العلمِ والباحثينَ؛ بغيةَ إخراجِ هذا الجهدِ العلميِّ الكبيرِ إلى ساحةِ البحثِ وأيدي القرّاءِ، ومنها:

١ـ جمعُ الرّواياتِ الشّريفةِ الواردةِ ضمنَ التّفسيرِ، وتحليلُها ودراستُها متنًا وسَندًا.

٢ـ حصرُ القواعدِ التّرجيحيّةِ للمُفسِّرِ، وبيانُ أدلَّتِها، ومعانيها، ومقاصدِها.

٣ـ دراسَةُ الشّواهدِ الشّعريّةِ الّتي حفلَ بها التّفسيرُ.

٤ـ جمعُ القواعدِ اللّغويّةِ والنّحويّةِ الّتي تَعرّضَ لها المُفسِّرُ، ودراستُها، وتحليلُها.

٥ـ جمعُ المسائلِ النّحويّةِ الّتي زخَرَ بها التّفسيرُ، ودراستُها؛ لتكونَ مصدرًا أصيلًا في النحوِ القرآني.

٦ـ دراسةُ الظّواهرِ اللّغويّةِ الّتي زخرَ بها التفسيرُ كالنّظائرِ، والتّضادِّ، والمشتركِ اللّفظي، وغيرِها.

٧ـ إكمالُ تحقيقِ التَّفسيرِ بأجمعِهِ لرفدِ المكتبةِ الإسلاميّةِ بنتاجٍ تفسيريٍّ قيّمٍ.

القسمُ الثّاني

التّحقيقُ

أوَّلًا: وصفُ المخطوطِ وموضوعهُ

ثانيًا: مَنهجُ التّحقيقِ

ثالثًا: الرّموزُ والمختصراتِ

رابعًا: صورٌ منَ المخطوطِ

خامسًا: النَّصُّ المحقَّقُ

سادسًا: المصادرُ والمراجعُ

توطئة:

يُعرَضُ في هذا القِسمِ أربعُ نقاطٍ قبلَ الشّروعِ بالنَّصِّ المحقَّقِ، مُستتبَعًا بثبتٍ للمصادرِ والمراجعِ الّتي اعتمدت عليها الدّراسةُ؛ إذ ذكرَ الباحثُ أوَّلًا وصفًا كاملًا للنّسخةِ المعتمدَةِ في التّحقيقِ، وهي نسخةُ الأصلِ، والّتي سطَّرَها المصَنِّفُ بخطِّهِ البديعِ، ثمَّ يُعرِّجُ بعدها على مسارِهِ التّحقيقي، ببيانِ منهجيَّةِ التّحقيقِ والخطواتِ الّتي سارَ عليها لإخراجِ هذا السّفرِ الجليلِ بأبهى صورةٍ وأجملِ حُلَّةٍ، وبما يُؤَمِّلُ أنَّهُ بُغيَةُ المصَنِّفِ، ويتبَعُها ببيانِ الرّموزِ والمختصراتِ الّتي استخدَمَها المصّنِّفُ في مخطوطِهِ، ويَعرِضُ رابعًا مجموعةً من صورِ المخطوطِ، وصولًا إلى بيانِ النَّصِّ المحقَّقِ، وعلى وفق ما يأتي:

أوَّلًا: وصفُ المخطوطِ وموضُوعُه:

مرَّ بنا أنَّ مصنَّفاتِ المصَنِّفِ ومكتبتِهِ ومكتبةِ جدِّهِ كانت وقفًا على أولادِهِم، ممَّا جعلَ الحصولُ على نسخةٍ أخرى للتّفسيرِ مُتعذِّرًا إنْ لم يكن مُستحيلًا، وبالرّغمِ من ذلكَ فقد قصدَ الباحثُ عدَّةَ مكتباتٍ عُرِفت باهتمامِها بالمخطوطاتِ، كالمكتبةِ العلويَّةِ المطهّرَةِ، ومكتبةِ الحكيمِ العامّةِ، ومكتبةِ مؤسّسةِ كاشفِ الغطاءِ، فلم يتحصَّلْ إلَّا على نسخةٍ واحدةٍ مِنَ المجمَعِ العلمي للعتبَةِ الحسَينيّةِ المقدَّسَةِ، وهيَ مِن مُصوّراتِ خُزانَةِ المخطوطاتِ التّابعةِ للعتبَةِ العبَّاسيّةِ المطَهَّرةِ، كُتِبت بخطِّ يَدِ المصَنِّفِ نفسِهِ، وهو ما أشار إليه فهرست (فنخا) للمخطوطات الإيرانيّة في صفحة رقم (٨٠١)، جلد (٣٣)، وبرقم (٨٢٩٦).

يَقعُ المجلَّدُ الأوَّلُ منها في (٢٧٠) لوحَةً، أي: ما يُعادلُ (٥٤٠) صفحةً، و يبلغُ طولُ الصّفحةِ (٢٩) سم، وعُرضُها (٢٠) سم، احتوتِ الصّفحةُ الواحدَةُ منَ المخطوطِ على (٢٨) سطرًا، وفي كلِّ سَطرٍ ما لا يقلُّ عن (١٨) كلمةً، وسيتمُّ بعونِ الله تعالى في هذهِ الدّراسةِ تحقيقُ القسمِ الثّاني منَ الجزءِ الأوَّلِ ودراستُهُ، ويقعُ في (٢٧٩) صفحةً.

كُتِبَت هذهِ النّسخةُ بلُغةٍ عربيّةٍ تامّةٍ، وبخطٍّ واضحٍ وجميلٍ، وبمدادٍ أسودٍ غامقٍ، مع استعمالِ المصَنِّفِ للمدادِ الأحمرِ في كتابةِ الآياتِ القرآنيَّةِ موضوعةِ التّفسيرِ، وكذا الكلماتِ ذاتِ الدّلالةِ

الموضوعيّةِ، كما إنَّ صفحةَ العنوانِ للمخطوطِ غيرُ موجودةٍ، إلّا أنَّ المصنِّفَ أشارَ إلى العنوانِ في مقدِّمتِهِ، والّتي تبدأُ من صفحة (٦) منَ المخطوطِ وما قبلَها صفحاتٌ بيضاءُ فارغةٌ.

ويُلاحَظُ أيضًا إيرادُ المصَنِّفِ بعضَ الرّواياتِ التّفسيريّةِ بتمامِها على طولِها، وفي أحيانٍ أُخرَ يكتفي بنقلِ موضعِ الشّاهدِ منها فقط، كما قد يذكرُ سندَ الرّوايَةِ، وقد لا يذكرُهُ بل ينقلُها عنِ المعصومِ عليه السلام مباشرةً.

كما يُلحَظُ كتابتُهُ كلمةَ (الآية) عندَ نقلِهِ جزءًا من آيةٍ دونَ إتمامِها، وهو يعني أنَّ للآيةِ تتمَّةً لم يذكرْها، ويستشهِدُ بالشّعرِ العربيِّ في بيانِهِ لمعاني بعضِ الألفاظِ، معَ الإشارةِ في حاشيةِ النّصِّ إلى بعضِ العُنواناتِ ذاتِ الصّلةِ.

وهي نسخةٌ ممتازةٌ واضحةُ الخطِّ، مع وجودِ تعليقاتٍ بسيطةٍ، وإشاراتٍ توضيحيّةٍ وحواشي كتبَها المُصَنِّفُ بيدِهِ.

وقد اشتملَت حَواشي التّفسيرِ على الآتي:

١ـ عُنواناتٌ لما وردَ في متنِ المخطوطِ.

٢ـ بيانُ معنى كلمةٍ أو عبارةٍ وردت في النّصِّ، أو بيانُ إعرابِها.

٣ـ إضافةٌ منَ المُصنِّفِ لما وردَ في النَّصِّ، معَ وضعِ كلمةِ (صح) بجانبِهِ، وإشارةٍ داخلِ النَّصِّ لبيانِ موضِعِ الإضافةِ.

٤ـ ذكرُ تعليقٍ على ما وردَ في النّصِّ من غيرِ إضافتِهِ إليهِ، ويتبعهُ بكلمةِ (منه)، وهو بيانٌ وتَوضِيحٌ.

٥ـ كتابةُ كلمةِ (خدشَة) إشارةٌ إلى رأيٍ أو مذهبٍ يُخالفُ رأيهُ أو مذهبَهُ.

٦ـ وجودُ كلمةِ (دقّق) في أعلى بعضِ صفحاتِ المخطوطِ، وهيَ إشارةٌ إلى أنَّ النّصَّ تمَّ تدقيقُهُ من قبلِ المُصنِّفِ نفسِهِ.

٧ـ المخطوطُ: تفسيرٌ للقرآنِ الكريمِ منَ الآيةِ (٣٥) من سورةِ البقرةِ إلى نهايةِ الجزءِ الأوّلِ منَ المصحفِ الشّريفِ، أي: الآيةِ (١٤١) من نفسِ السّورة، وهو ما يتوافقُ مع نهايةِ المجلّدِ الأوّلِ منَ التفسيرِ

ثانيًا: مَنهجُ التّحقيقِ:

لأجلِ إخراجِ المخطوطِ بأفضلِ صورةٍ مُمكنةٍ، وعلى وفقِ مناهجِ التّحقيقِ المعتبرةِ؛ ألزمَ الباحثُ على نفسِهِ السّيرَ وفقًا للمنهجيّةِ الآتيةِ:

١ـ ضبطُ النّصِّ المحقَّقِ ومُقابلتُهُ وفقًا للنسخةِ المتوفّرة، وهي نسخةُ المُصنِّفِ.

٢ـ تخريجُ الآياتِ القرآنيّةِ الشّريفةِ، وضبطُها، وإثباتُ اسمِ السّورةِ ورقمِها، ورقمِ آيتِها، ووضعُ الآياتِ الشّريفةِ أو أجزائِها داخلَ قوسينِ مزهّرَينِ ﴿ ﴾، مع كتابةِ الآياتِ مَعرضِ التّفسيرِ بلونٍ غامقٍ دونَ تخريجٍ.

٣ـ الرّجوعُ إلى المصادرِ الحديثيّةِ المعتبرَةِ؛ لتخريجِ الأحاديثِ والرّواياتِ الشّريفةِ، ووضعِها ما بينَ قوسَينِ صغيرينِ « ».

٤ـ تخريجُ النّصوصِ الواردةِ في متنِ المخطوطِ، والمنقولةُ عن الكتبِ الأصوليّةِ والتّفسيريّةِ واللّغويّةِ وغيرِها، معَ ضبطِها، والإشارةِ إلى الاختلافِ فيها، مع وضعِها ما بينَ قوسٍ صغيرٍ واحدٍ ().

٥ـ التأكّدُ من نسبةِ الأقوالِ الواردةِ في المتنِ إلى أصحابِها، وذلكَ بالرّجوعِ إلى مؤلفاتِهم، فإن لمْ يجدها أثبتَها من كتبِ مَن نَصَّ على ذلكَ من غيرِهم منَ العلماءِ.

٦ـ الضّبطُ الإملائي للكلماتِ، واستخدامُ علاماتِ التّرقيمِ؛ لتسهيلِ ضبطِ النّصِّ وقراءتِهِ من قِبلِ القارئ الكريمِ؛ بغيةَ إخراجِها بحلّةٍ جديدةٍ يَسهُلُ على القارئ الإفادةُ منها.

٧ـ نقلُ النَصِّ المُحقّقِ في المتنِ كما هو موجودٌ في المخطوطِ، معَ استبدالِ الرّموزِ والمختصَراتِ المُستعملةِ بما تُشيرُ إليهِ، وبما يَنسجمُ معَ القراءةِ الحديثةِ، وتركّزَ عملُ الباحثِ في الهامشِ حفاظًا على خصوصيّةِ المخطوطِ.

٨ـ لكونِ المخطوطِ يُعنى بالتّفسيرِ؛ وحفاظًا على الأصلِ؛ صِيرَ إلى وضعِ عنواناتٍ فرعيّةٍ كُتِبَت بخَطٍّ غامقٍ، ذكرَها المصنِّفُ في حاشيتِهِ، أو جعلَها داخلَ المتنِ بمدادٍ أحمر، ولم يتمْ تقسيمُهُ إلى مباحثَ أو مطالب.

٩ـ إكمالُ الأبياتِ الشّعريّةِ الّتي وردَ شطرٌ منها في الأصلِ، ووضعُهُ ما بينَ معقوفتينِ دون الإشارةِ إلى ذلكَ في الهامشِ.

١٠ـ إدراجُ الألفاظِ السّاقطةِ منَ الأصلِ سَهوًا، والّتي يدلُّ عليها سِياقُ الكلامِ، ووَضعُها ما بينَ معقوفتينِ دونَ الإشارةِ إليها في الهامشِ.

١١ـ إدراجُ الحواشي الجانبيَةِ في الهامشِ معَ الإشارةِ إليها بعبارةِ: (ومنه في حاشيةِ الأصلِ) قبلَها.

١٢ـ بسببِ اختلافِ الطّبعاتِ المعتمدّةِ ما بينَ زمنِ المصَنِّفِ وزمنِ التّحقيقِ؛ فقد يجدُ القارئُ بعضَ الاختلافاتِ ما بينَ النّصوصِ المعتمدَةِ والمثبتَةِ في التّحقيقِ، وقد عمدَ الباحثُ إلى بيانِ هذهِ الاختلافاتِ، وكذا إن كانَ هناكَ تبديلٌ لبعضِ الألفاظِ بغيرِها، أمّا إن كانَ الاختلافُ طفيفًا ولا يضرُّ بالمعنى كَما في قولِهِ: قالَ بدلَ يقولُ، أو بدلَ فقالَ، فلا يأتي على ذكرِها للإبقاءِ على جماليّةِ النّصِّ والتّقليلِ منَ الهوامشِ غيرِ المفيدَةِ.

١٣ـ وضعُ الكلماتِ الّتي يُرادُ بيانُها، أو التنبيهُ إليها بينَ قوسٍ كبيرٍ ( ).

١٤ـ اشتملَ المخطوطُ على رموزٍ ومُختصراتٍ اعتادَ العلماءُ المُتقدّمونَ استخدامَها في مدوّناتِهم كونَها واضحَةَ الدّلالةِ عندهم، لكنّها عَصيّةُ الفهمِ على غيرِهم ممّا دعتِ الحاجةُ إلى بيانِها، وشرحِ معانيها لتحصيلِ الفائدةِ، وحَسَبِ ما موضّحٌ في قائمةِ المختصراتِ في أدناه:

ثالثًا: الرّموزُ والمختصراتُ:

ت	الرمز والمختصر	المعنى
١	إلخ	إلى آخره
٢	المط	المطلوب
٣	ح	حينئذ
٤	رضي	رضيَ اللهُ عنهُ
٥	ره	رحمه الله
٦	ص	كتاب تاج اللغة وصحاح العربيّة، للجوهري
٧	صلى	صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ
٨	صلعم	صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم
٩	ظ	الظّاهر
١٠	ف	كتابُ الخلافِ، للشّيخ الطّوسي
١١	فح	فحينئذ
١٢	قدس	قدَّسَ اللهُ سرَّهُ
١٣	ق	كتاب القاموس المحيط، للفيروز آبادي
١٤	لا نمّ	لا نسلّم
١٥	لا يخ	لا يخلو
١٦	مح	محال

رابعًا: صورٌ منَ المخطوطِ:

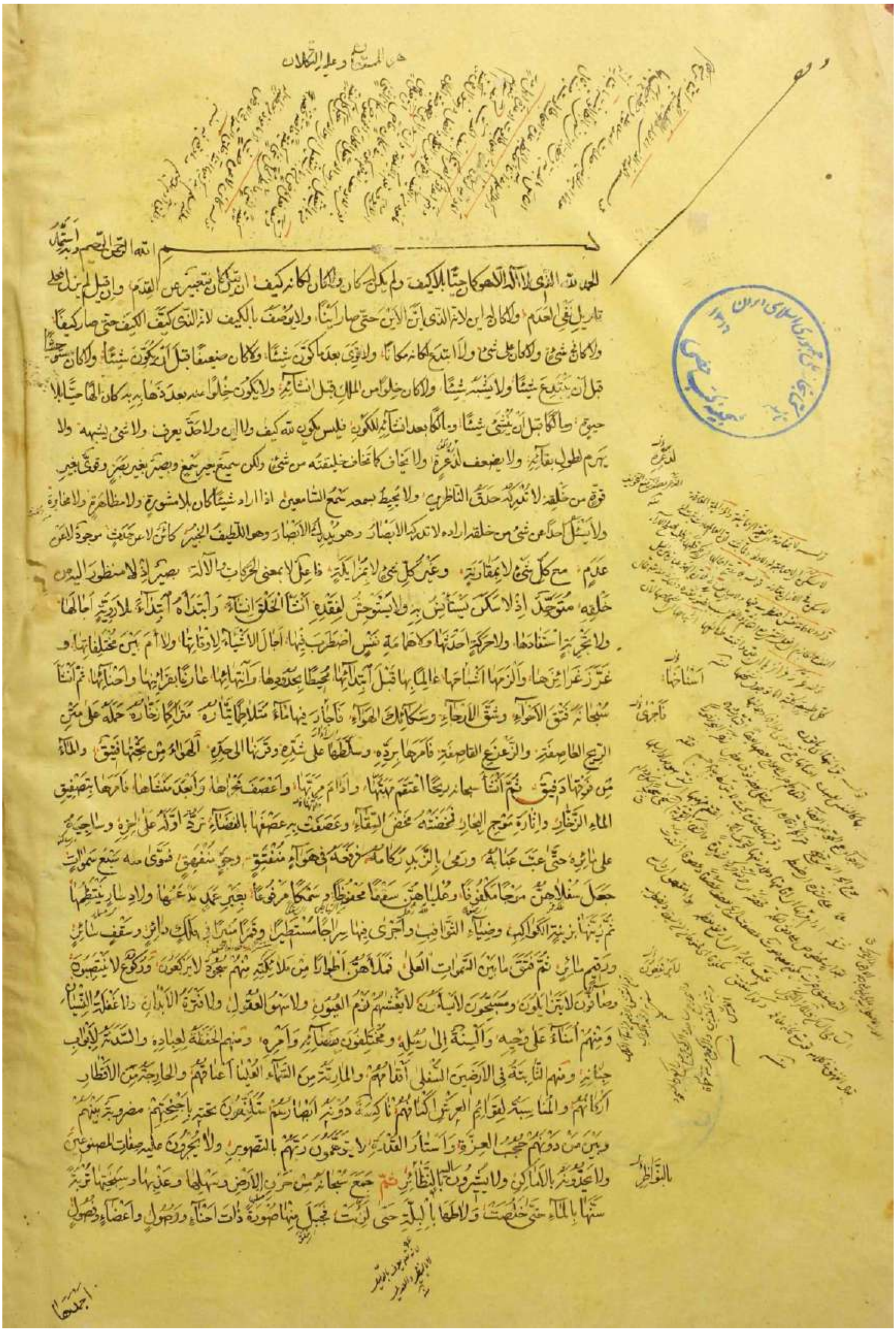

صفحة رقم (٦) مقدّمةُ المصنِّف

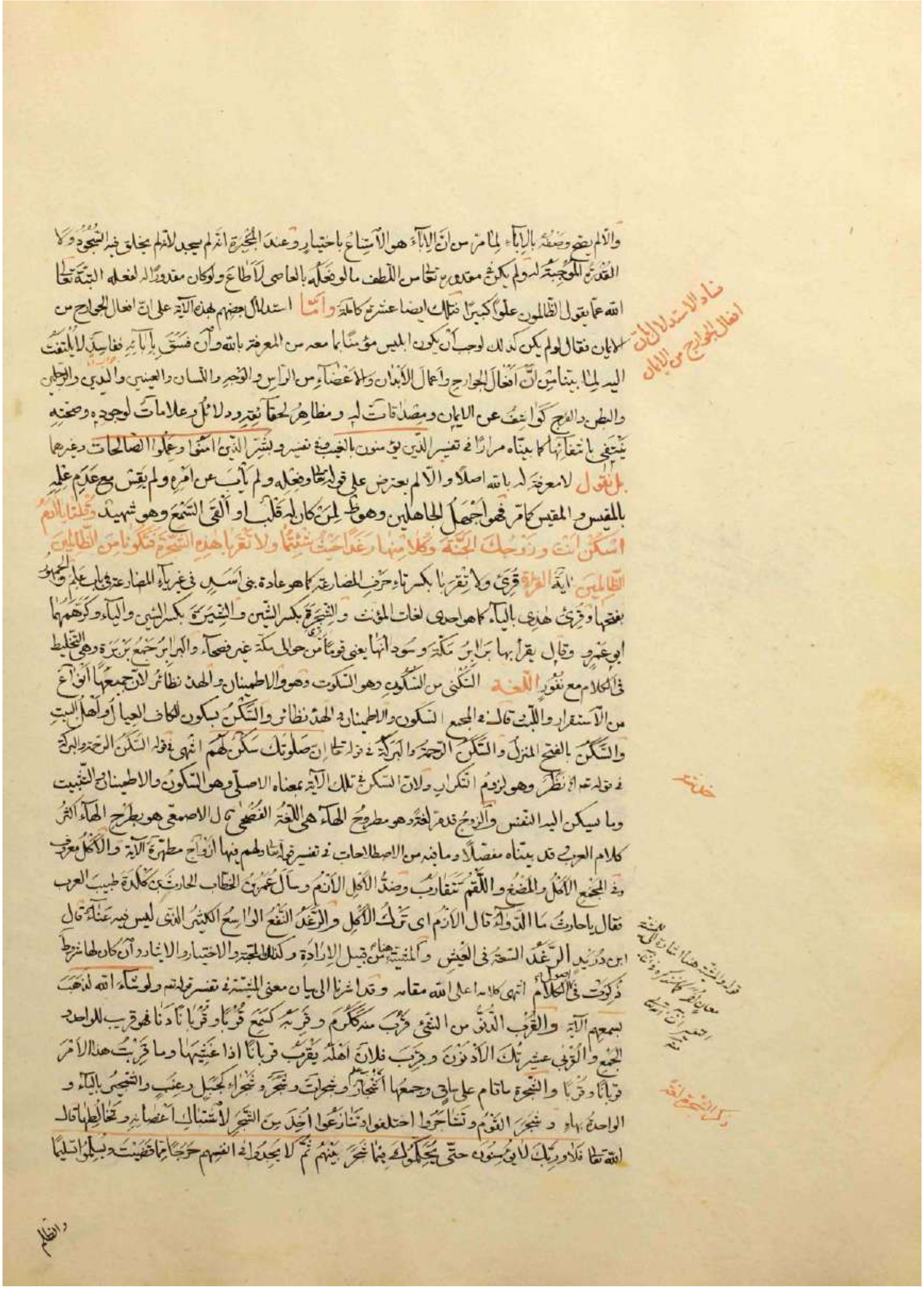

صفحة رقم (٢٦٢) منَ المخطوط، الصفحة الأولى من الدّراسة

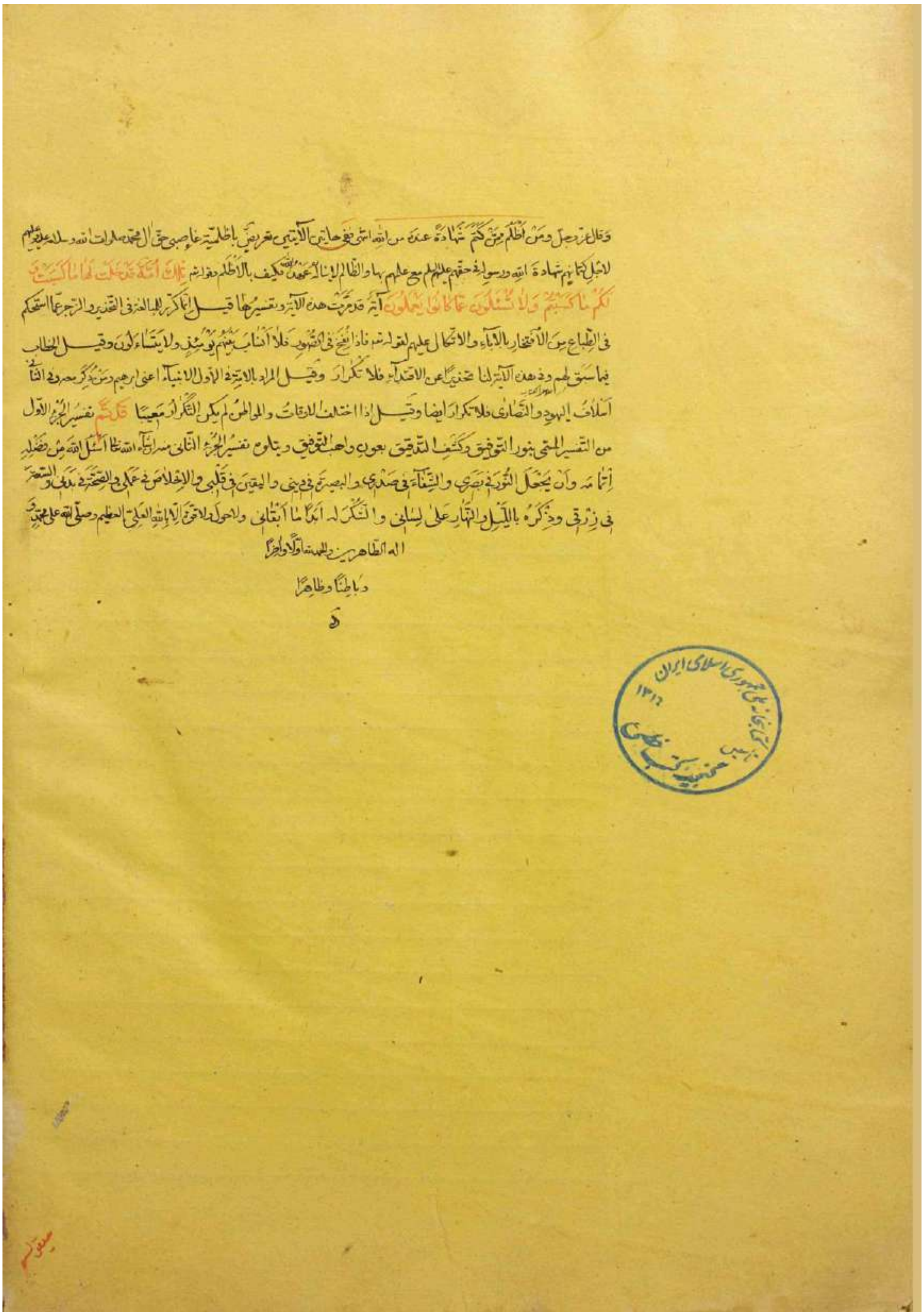
وقال عزّ وجلّ ومن أظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله الآيتين تعريض بالظلمة غاصبي حقّ آل محمّد صلوات الله وسلامه عليهم
لأجل كتمانهم شهادة الله ورسوله في حقّهم عليهم السلام مع علمهم بها والظالم إلا لأعمد فكيف بالأظلم تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون آية قد مرّت هذه الآية وتفسيرها قيل إنّما كرّر للمبالغة في التحذير والزجر عمّا استحكم
في الطباع من الافتخار بالآباء والاتّكال عليهم لقوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقيل الخطاب
فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء فلا تكرار وقيل المراد بالأمّة في الأوّل الأنبياء أعني إبراهيم ومن ذكر معه وفي الثاني
أسلاف اليهود والنصارى فلا تكرار أيضا وقيل إذا اختلف الأوقات والمواطن لم يكن التكرار معيبا تمّ تفسير الجزء الأوّل
من التفسير المسمّى بنور التوفيق وكشف التدقيق بعون واهب التوفيق ويتلوه تفسير الجزء الثاني إن شاء الله تعالى أسأل الله من فضله
إتمامه وأن يجعل النور في بصري والشفاء في صدري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والإخلاص في عملي والصحّة في بدني والسعة
في رزقي وذكره بالليل والنهار على لساني والشكر له أبدا ما أبقاني ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد و
آله الطاهرين والحمد لله أوّلا وآخرا
وباطنا وظاهرا

صفحة رقم (٥٤٠) منَ المخطوطِ، الصفحةُ الأخيرةُ منَ المجلّدِ الأوّلِ، ومنَ الدّراسةِ

النَّصُّ المحقَّقُ

مِنَ الآيةِ (٣٥) من سورةِ البقرةِ

إلى نهايةِ الجزءِ الأوَّلِ مِنَ القرآنِ الكريمِ

قولُهُ تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: (ولا تِقْرَبا) بكَسرِ تاءِ حَرفِ المُضارعَةِ كَما هوَ عادةُ بَني أَسدٍ في غَيرِ ياءِ المضارعَةِ في بابِ عَلِمَ[1]، والجمهورُ بفَتحِها[2]، وقُرِئَ: (هذِي) بالياءِ كَما هوَ إحدى لُغاتِ المُؤنَّثِ[3]، و(الشِّجَرَة) بكَسرِ الشّينِ، و(الشِّيرَة) بكَسرِ الشّينِ والياءِ، وكَرَّهَهُما أبو عَمرٍو[4]، وقالَ: يَقرأُ بها برابرُ[5] مَكَّةَ وسُودانُها[6]، يَعنِي قَومًا مِن حَوالي مَكَّةَ غَيرُ فُصحاءَ، والبَرابِرُ جَمعُ بَربَرةٍ: وهيَ التّخليطُ في الكَلامِ مَعَ نُفُورٍ.

اللغة:

السُّكنَى: مِنَ السُّكونِ وهوَ: السُّكوتُ، وهوَ والاطمِئنانُ والهُدوءُ نظائرُ؛ لأنّ جَميعَها أنواعٌ مِنَ الاستِقرارِ واللَّبثِ، قالَ في المجمَعِ: «السُّكونُ والاطمِئنانُ والهُدوءُ نظائرُ، والسَّكْنُ: بسُكونِ الكافِ: العِيالُ وأهلُ البَيتِ، والسَّكَنُ بالفَتحِ: المَنزِلُ، والسَّكَنُ: الرّحمةُ والبَرَكَةُ في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[7]»[8]، انتهى.

---

(١) باب علِم يعلَم هو الباب الرابع من أبواب الفعل الثلاثي المجرّد.

(٢) لم يقف الباحث على هذه القراءة من كتب القراءات، وأثبتها من تفسير الكشّاف: ١: ١٢٧.

(٣) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٨٣، والقراءة لابن محيصن والأعرج.

(٤) أبو عمرو بن العلاء أحدُ القرّاءِ السّبعة.

(٥) البرابر: هو «اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب، و في الجنوب إلى بلاد السودان، و هم أمم و قبائل لا تحصى، ينسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، و يقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، و قد اختلف في أصل نسبهم، وهم أجفى خلق الله و أكثرهم طيشًا و أسرعهم إلى الفتنة و أطوعهم لداعية الضلالة و أصغاهم لنمق الجهالة، لهم لغة لا يفهمها غيرهم». معجم البلدان: ياقوت الحموي: ١: ٣٦٨، البربر.

(٦) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٧٣، ٧٤، و الكشّاف: ١: ١٢٧.

(٧) سورة التوبة ٩: ١٠٣.

(٨) مجمع البيان: ١: ١٦٦.

في قَولِهِ: السَّكَنُ: الرّحمَةُ والبَرَكَةُ في قَولِهِ تعالى إلى آخِرِهِ نَظَرٌ، وهوَ لُزومُ التّكرارِ؛ ولأنَّ السَّكَنَ في تلكَ الآيةِ بمَعناهُ الأصلي، وهوَ السُّكونُ والاطمِئنانُ والتّثبيتُ ومَا يَسكُنُ إليهِ النّفسُ، والزّوجُ قَد مَرَّ لغَةً، وهوَ مَطروحُ الهاءِ هيَ اللّغةُ الفُصحَى، قالَ الأصمَعِيُّ[1]: هوَ بطَرحِ الهاءِ أكثرُ كَلامِ العَرَبِ[2]، وقَد بَيّنّاهُ مُفصَّلًا وما فيهِ مِنَ الاصطِلاحاتِ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾[3] الآيةُ، والأَكلُ مَعروفٌ، وفي المجمَعِ: «الأَكلُ والمَضغُ واللَّقمُ تَتَقارَبُ، وضِدُّ الأَكلِ الأزْمُ[4]، وسَأَلَ عُمَرُ بنُ الخَطابِ الحارِثَ بنَ كَلدَةَ[5] طَبيبَ العَرَبِ فَقالَ: يا حارِثُ ما الدَّواءُ؟ قالَ: الأَزْمُ؛ أي: تَركُ الأَكلِ. والرَّغَدُ: النَّفعُ الواسِعُ الكَثيرُ الّذي لَيسَ فيهِ عَناءٌ، قالَ ابنُ دُريدٍ[6]: «الرَّغَدُ: السِّعَةُ في العَيشِ»[7]. والمَشيئَةُ هُنا: مِن قَبيلِ الإرادَةِ، وكَذلكَ المَحبَّةُ والاختِيارُ والإيثارُ وإن كانَ لَها شُروطٌ ذُكِرَت في أُصولِ الكَلامِ»[8]. انتَهَى كَلامُهُ أعلا اللهُ مَقامَهُ، وقَد أَشَرنا إلى بَيانِ مَعنى المَشيئَةِ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾[9] الآيَةُ.

---

(١) هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: العلامةُ البصريّ، اللّغويّ الأديب، من كتبه: فحولة الشعراء، الأصمعيّات، وخلق الإنسان، توفي سنة (٢١٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٠: ١٧٦، ترجمة رقم: ٣٢.

(٢) ينظر: الغريب المصنّف: ٢: ٤١٩، وأشار صاحب لسان العرب: ٢: ٢٩٢، إلى أنّ بني تميم يجيزون زوجه بالهاء.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٥.

(٤) الأزمُ: «الحميَةُ، وألّا يُؤكَلُ اِلّا بقَدَرٍ، ومعناهُ القَبضُ للأسنانِ». العين: ٧: ٣٩٥.

(٥) واسمه: عمير بن أبي سلمة بن عبد العزّى، وكان طبيب العرب وكانَ النَّبيُّ ﷺ يأمرُ من كانت به علّةً أن يأتيه فيسأله عن علّتهِ، توفي نحو (٥٠ هـ). ظ: الطبقات الكبرى: ابن سعد: ٥: ٥٠٧.

(٦) هو: أبو بكر مُحَمَّدُ بنُ الحسنِ بن دريد الأزديّ القحطانيّ البصريّ الشيعيّ الاماميّ: عالمٌ فاضلٌ، أديبٌ شاعرٌ، نحويٌّ لغويٌّ، عدّه ابن شهرآشوب من شعراء أهل البيت عليهم السلام، من أبرزِ مصنّفاته كتاب جمهرة اللغة، توفي سنة (٣٢١هـ). ينظر: الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي: ١: ٢٨٤.

(٧) جمهرة اللغة: ٢: ٦٣٣.

(٨) مجمع البيان: ١: ١٦٦.

(٩) سورة البقرة: ٢: ٢٠.

وَالقُربُ: الدُّنُوُّ مِنَ الشّيءِ، قَرُبَ منهُ كَكَرُمَ، وَقَرِبَهُ كَسَمِعَ قُرْبًا وقُرْبانًا: دَنا، فَهوَ قَريبٌ للواحِدِ والجَمعِ، والقُربَى: عَشِيرَتُكَ الأدنونَ، وقَرِبَ فُلانٌ أَهلَهُ: يَقرَبُ قُربانًا إذا غَشِيَها، وما قَرِبتُ هذا الأمرَ قُربانًا وقُرْبًا. [٢٦٢]

والشَّجَرَةُ: ما قامَ عَلى ساقٍ، وجَمعُها أَشجارٌ وَشَجَراتٌ وشَجَرٌ وشَجراءُ كَجَبَلٍ وعِنَبٍ، والشَّجيرُ بالياءِ والواحِدَةُ بهاءٍ، وشَجَرَ القَومُ وتَشاجَروا: اختَلَفُوا وتَنازَعُوا، أُخِذَ مِنَ الشَّجَرِ؛ لاشتِباكِ أَغصانِهِ وتَخالُطِها، قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)، والظُّلمُ والجَورُ والعُدوانُ: مُتَقارِبَةُ المَعنى، وهوَ تَجاوُزُ الحَدِّ، وضِدُّ الظّلمِ: الإنصافُ، وضِدُّ الجَورِ: العَدلُ، وضِدُّ العُدوانِ: المَحَبَّةُ والوَلاءُ، وأَصلُ الظُّلمِ كَما مَرَّ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾(٢): انتِقاصُ الحَقِّ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾(٣)، أي: لَمْ تَنْقُص.

وَالظُّلمُ أيضًا: وَضعُ الشَّيءِ في غَيرِ مَوضِعِهِ، مِن قَولِهِم: (مَن أَشبَهَ أباهُ فَما ظَلَمَ)(٤)، أي: فَما وَضَعَ الشَّبَهَ في غَيرِ مَوضِعِهِ كَقَولِ الشّاعِرِ:

بأَبِهِ اقتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَم وَمَن يُشابِه أَبَهُ فَما ظَلَم(٥)

وكِلا المَعنَيينِ مُطَّرِدٌ وعَلى الوَجهَينِ، فَالظُّلمُ: اسمُ ذَمٍّ لا يَجوزُ إطلاقُهُ على الأنبياءِ والمَعصومينَ والأئمَّةِ عليهم السلام ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة النساء ٤: ٦٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٧.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٣٣.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢: ٢٤٤، ومجمع الأمثال: ٢: ٣٠٠.

(٥) البيت من الرجز، لرؤبة بن عجاج، ديوانه: ١٨٢، من أبيات يُقال أنه مدح فيها عديَّ بن حاتم، والبيت من شواهد ابن عقيل، وهي لغة النقص في (أب). ظ: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ١: ٥٠.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

الإعراب:

(اسكُن): فِعلُ أمرٍ مِن: سَكَنَ يَسكُنُ كَنَصَرَ، وفاعِلُهُ: ضَميرٌ مُستَتِرٌ فيهِ وُجوبًا، وَ(أنتَ): تَأكيدٌ للمُستَتِرِ فيهِ أُكِّدَ بِهِ ذلكَ المُستَتِرُ؛ لِيَصُحَّ عَطفُ الظّاهِرِ، أعنِي: زَوجُكَ عَليهِ، هذا في الضَّميرِ المَرفوعِ المُتَّصِلِ، دونَ المنصوبِ والمَجرورِ، ودونَ المُنفَصِلِ سَواءٌ كانَ ذلكَ المَرفوعُ المُتَّصِلُ بارزًا أمْ مُستَتِرًا؛ وَذلكَ لأنَّ المتَّصلَ المَرفوعَ كَالجُزءِ مِمّا اتَّصَلَ بهِ لَفظًا مِن حَيثُ أنّهُ مُتَّصِلٌ لا يَجوزُ انفِصالُهُ، ومَعنًى مِن حَيثُ أنّهُ فاعلٌ، والفاعِلُ كالجُزءِ مِنَ الفِعلِ، فَلَو عُطِفَ عليهِ بلا تَأكيدٍ كانَ كَما لَو عُطِفَ عَلى بعضِ حُروفِ الكَلمَةِ فَأُكِّدَ أوَّلًا بِمُنفَصِلٍ[1]؛ لأنّهُ بذلكَ التّأكيدِ يَظهَرُ أنَّ ذلكَ المُتَّصِلَ وإنْ كانَ كَالجزءِ مُنفَصِلٌ مِن حيثُ الحَقيقَةِ، بدَليلِ جَوازِ إفرادِهِ مِمّا اتَّصَلَ بهِ بِتَأكيدِهِ، فَيَحصُلُ لهُ نَوعُ استِقلالٍ، ولا يَجوزُ أنْ يكونَ العَطفُ على هذا التّأكيدِ؛ لأنَّ المَعطوفَ في حُكمِ المَعطوفِ عَليهِ فَيَلزَمُ أن يكونَ هذا المَعطوفُ أيضًا تَأكيدًا، وهوَ باطِلٌ.

وَأمَّا قَولُ الشّاعرِ:

وَرَجَا الأُخَيطِلَ مِن سَفَاهَةِ نَفسِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وأَبٌ لَهُ لِيَنَالا[2]

فَضَرورَةٌ، فَـ(أَبٌ) مَعطوفٌ عَلى الضَّميرِ المُستَتِرِ في (يَكُنْ) ولَيسَ بَينَهُما تَأكيدٌ ولا فَصلٌ[3]، وكَذا قَولُهُ:

قُلتُ إذ اَقبَلَتْ وَزُهرٌ تَهادَى كَنِعاجِ الفَلا تَعَسَّفنَ رَمْلًا[4]

---

(١) وهو قول البصريين، إذ منعوا من العطف على ضمير الرفع المتصل إلّا بعد توكيده بضمير منفصل في اختيار الكلام، وقال سيبويه بقبحه إلّا في الشّعر. ظ: كتاب سيبويه: ١: ٢٧٨، وإعراب القرآن: النحاس: ٢: ٢٧١.

(٢) البيت من الكامل، لجرير بن عطية الخطفي. ديوانه: ٣٦٢، والأُخيطِل: تصغيرُ الأخطل، وأصلهُ: الوصفُ منَ الخَطَلِ، وهو الكلامُ الخارجُ عن حدِّ الصّوابِ والاعتدالِ.

والشاهد فيه: قوله: (يكن وأب له) حيث عطف قوله (أب) بالواو على الضمير المرفوع المستتر في (يكن).

(٣) وهو موافق لرأي الكوفيّين. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف:٢: ٣٨٩.

(٤) البيت من الخفيف، لعمر بن ابي ربيعة، ديوانه: ٣٠٥.

ضَرورةٌ، ضَعيفٌ، قولُهُ: وَزُهرٌ: مَعطوفٌ عَلى الضّميرِ المُستَترِ في اَقبَلَت مِن غَيرِ تَأكيدٍ ولا فَصْلٍ(١).

و(رَغَدًا) مَنصوبٌ عَلى أنّهُ صِفَةٌ لَمصدَرٍ مَحذوفٍ، أي: أَكلًا رَغَدًا، أي: واسِعًا كَثيرًا، ويَجوزُ أن يَكونَ مَصدَرًا وُضِعَ مَوضِعَ الحالِ مِن فاعلِ كُلا، أي: كُلا مِنْها مُتَوسِّعَينِ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (٢)، عَلى وَجهٍ أي: خائِفينَ وطامِعينَ، وقَولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾(٣)، أي: ساعياتٍ.

و(حَيثُ): اسمٌ للمَكانِ المُبهَمِ وَقَعَ هُنا ظَرفًا لِقولِه (كُلا)، أي: كُلا أيَّ مَكانٍ مِنَ الجَنَّةِ شِئتُما، وهيَ مَبنِيَّةٌ على الضَّمِّ، أمّا بِناؤُها؛ فَلافتِقارِها إلى الجملَةِ مُطلَقًا اسميّةً كانَت أو فعليّةً، افتِقارًا لازِمًا كَما بَيَّنّاهُ في زِينةِ السّالِكِ(٤)، وإضافَتُهُ إلى المُفردِ قَليلٌ(٥) كَقَولِهِ عليه السلام في دُعاءِ الصّباحِ: «إلى حَيثُ النَّصَبِ والحِرمانِ»(٦)، وقَولِهِ عليه السلام في ذلكَ الدُّعاءِ: «إلَّا مِن حَيثُ الآمالِ»(٧)، وكَقَولِ الشّاعِرِ:

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وَرَجَا الأَخَيطِلُ البيت: قالَهُ جَريرٌ يَهجُو الأَخطَلَ؛ فَلِذلكَ صَغَّرَهُ، والثّاني واضحٌ. قَولُهُ: وَقُلتُ: البَيتُ: والزُهرُ: جَمعُ زهراءٍ، كَحُمرٍ وحَمراءٍ، وهيَ الجَماعَةُ البِيضُ مِنَ النّساءِ، والفَلا مقصورًا: هي الصّحراءُ، ورُوِيَ: المَلا، قالَ الجوهري: الملا مقصورٌ: الصّحراءُ، وفاعلُ أقبَلَت ضَميرُ مَحبوبَتِهِ، والشاهدُ في (وَزُهْرٌ)، وأَصلُ تَهادَى: تَتَهادَى، أي: تَتَبختَرُ في المَشي، فَحُذِفَت إحدَى التّائَينِ، والنِعاجُ: جَمعُ نَعجَةٍ، وهيَ بقرُ الرَّملِ، وتَعَسَّفنَ: حالُ أن يَأخذنَ عَلى غَيرِ الطّريقِ، ورَملًا نُصِبَ عَلى تَقديرِ الجارِّ، أي: في رَملٍ.

وقول الجوهري نسبهُ إليه ابن منظور في لسان العرب: ١٥: ٢٩٢، فصل الميم، ولم يقف الباحث عليه في الصّحاح.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٥٦. وقد نقل المصنّف سهوا الآية الشريفة بعبارة (وادعوا ربّكم خوفا وطمعا) اعتمادا على حفظه؛ لورود الآية السّابقة على موطنِ الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً... وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا....﴾ .

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

(٤) مخطوط للمُصنّف.

(٥) وقال ابن عقيل الهمداني: بإضافتها إلى المفرد شذوذًا. ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ٢: ٥٤.

(٦) بحار الانوار: ٨٤: ٣٤٠، دعاء الصباح.

(٧) بحار الأنوار: ٨٤: ٣٤٠، دعاء الصباح.

أما تَرَى حَيثُ سُهَيلٍ طالِعًا [1] [نجماً يضيء كالشّهاب ساطعًا]

حَتَّى أَوَّلوهُ بالمَكانِ، وأمّا عَلى الضَّمِّ؛ فَلِشَبَهِها بالغاياتِ مِن نحو (قَبلُ وبَعدُ) مِن مُلازِمتِها الإضافَةَ مِثلَها، ووَجْهُ الشَّبَهِ أنّها مُستَحقّةٌ للإضافَةِ إلى المفردِ كَسائرِ أخواتِها، فَمُنِعَت عَن ذلكَ كَما مُنِعَت (قَبلُ وبَعدُ) ونَحوِهِما مِنَ الغاياتِ عَنِ الإضافَةِ؛ ولأنَّ الإضافَةَ إلى الجملَةِ كَـلا إضافَةٍ لِعَدَمِ ظُهورِ الإعرابِ في لَفظِ المُضافِ إليهِ.

وجملَةُ (شئتُما) بابَ عَلِمَ مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ: مُضافٌ إليها، و(لا): ناهية، و(تَقربا) بصِيغَةِ التَّثنيَةِ: مُضارعٌ بابَ عَلِمَ مجزومٌ بـ(لا الناهية)، والألفُ: ضَميرُ الفاعِلَينِ.

وفي قَولِهِ (فَتكونا) وَجهانِ:

أَحَدُهُما: أنّهُ مَجزومٌ مَعطوفٌ عَلى النّهي، و(الفاءُ) حينئذٍ: عاطفَةٌ جملةً عَلى جملَةٍ، فَكَأنَّهُ قالَ: فَلا تكونا مِنَ الظّالمينَ.

وثانيهُما: وهوَ الأَحسَنُ والأَصَحُّ: أَنَّهُ مَنصوبٌ وجوبًا بـ(أن) المُقدَّرَةِ بَعدَ الفاءِ العاطفَةِ المُفيدَةِ للسَّببيَّةِ الّتي وَقَعت بَعدَ الأشياءِ الثّمانيَةِ، كَما يُنصَبُ المُضارعُ وجوبًا بَعدَ الواوِ الواقعَةِ بعدَ تلكَ الأشياءِ الثّمانيَةِ، فَيكونُ حينئذٍ مِن عَطفِ مُفرَدٍ على مُفردٍ؛ لأنَّ (أنْ) مَعَ ما بَعدَها: مُفردٌ عُطِفَ عَلى المَصدَرِ المُفهومِ مِنَ الفِعلِ المُتقدِّمِ، وَهذهِ الثّمانيَةُ: [٢٦٣]

أَحَدُها: النّفيُ المَحضُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[2].

ثانيها: الأَمرُ، نحو: زُرني فَأُكرِمَكَ، وقَولِ الشّاعرِ:

يا ناقَ سِيري عُنُقًا فَسيحًا إلى سُلَيمانَ فَنَستَريحا [3]

---

(١) البيت من الرّجز، وهو من الشّواهد المجهولة القائل، وقد نسبه ابن سيده المرسي إلى الفرّاء. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣: ٤٣٢. والشاهد فيه: إضافة اسم المكان (حيث) إلى المفرد (سهيل).

(٢) سورة فاطر ٣٥: ٣٦.

(٣) البيت من الرّجز، لأبي النّجم العجلي. ديوانه: ٨٢، وينظر: الأصول في النحو: ٢: ١٨٣، من قصيدة يمدح فيها الخليفة سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه: قوله: (فنستريحا) حين جاء منصوبًا بـ(أن) مضمرة لوقوعه بعد الفاء السّببية المسبوقة بالأمر، فكأنه قال: ليكن منك سيرٌ يوجبُ راحتَنا، والألف فيه للإطلاق.

ثالِثُها: النَّهيُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾(1)، وقَولِهِ تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾(2) .

رابعُها: الدُّعاءُ، كَقَولِ الشّاعِرِ:

رَبِّ وَفِّقنِي فَلا أعدِلَ عَن   سَنَنِ السّاعِينَ في خَيرِ سَنَن (3)

وَمنهُ قَولُهُ تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾(4).

خامِسُها: الاستِفهامُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (5)الآيةُ، وقَولِ الشّاعِرِ:

هَل تَعرِفونَ لُباناتِي(6) فَأَرجُو أنْ   تُقضَى فَيَرتَدَّ بَعضُ الرُّوحِ في الجَسَدِ (7)

سادسُها: العَرضُ، كَقَولِهِم: أَلَا تَنزِلُ بِنا فَتُصيبَ خَيرًا، وقَولِ الشّاعِرِ:

يا بنَ الكِرامِ أَلَا تَدنُو فَتُبصِرَ ما   قَد حَدَّثُوكَ فَما راءٍ كَمَن سَمِعَا (8)

---

(1) سورة طه ٢٠: ٨١.

(2) سورة طه ٢٠: ٦١.

(3) البيت من الرمل، وهو من الشواهد التي لم تُعرَف نسبتها لقائل معين، والشاهد فيه : قوله: (فلا أعدلَ) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد فاءِ السّببيّة في جواب الدعاء. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٥.

(4) سورة يونس ١٠: ٨٨.

(5) سورة الأعراف ٧: ٥٣.

(6) اللُباناتُ بالضّمِّ: الحاجاتُ. ينظر: مختار الصحاح: ١: ٢٧٩.

(7) البيت من البسيط، من الشّواهد التي لم يُعرف قائلها، والشاهد فيه: (فيرتَدَّ) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) المضمرة وجوبا بعد فاء السّببية في الاستفهام. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٥.

(8) البيت من البسيط، من الشّواهد التي لم يُعرف قائلها، والشاهد فيه: (فتبصرَ) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) المضمرة وجوبا بعد فاء السّببية في العرض. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٥.

سابعُها: التّحضيضُ، كَقَولِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾(١)، وقولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾(٢).

ثامنُها: التَّمَنِّي، كَقولِهِ تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣)، وقَولِ الشّاعِرِ:

يا لَيتَ أُمَّ خُلَيدٍ واعَدَت فَوَفَت ... وَدامَ لي وَلَها عُمرٌ فَنَصْطَحِبَا(٤)

وَالتّقديرُ في الآيَةِ هَكذا: لا يَكُنْ مِنكُما قُربٌ لهذهِ الشَّجَرَةِ فَكَونُكُما مِنَ الظّالمينَ، كَما يَكونُ في قَولِهِ تعالى: ﴿لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾(٥)، لا يَكُنْ مِنكُم طُغيانٌ فيهِ فَحُلُولُ غَضَبٍ مِنِّي عَليكُم.

وَكَذا يُنصَبُ المُضارِعُ وُجُوبًا بَعدَ الواوِ العاطفَةِ بَعدَ الأشياءِ الثّمانيَةِ المذكورَةِ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾(٦)، وقَولِ الشّاعِرِ:

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ ... عارٌ عَلَيكَ إذا فَعَلتَ عَظيمٌ(٧)

---

(١) سورة المنافقون ٦٣: ١٠.

(٢) سورة طه ٢٠: ١٣٤.

(٣) سورة النساء ٤: ٧٣.

(٤) البيت من البسيط، من الشواهد التي لم يُعرف قائلها، والشاهد فيه: (فنَصطَحِبا) إذ نصب الفعل المضارع بـ(أن) المضمرة وجوبا بعد فاء السّببية في التمنّي. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٦.

وقد ورد البيت بلفظ (فنَصطَحِبا) عند كلِّ مَن تَعرَّضَ إلى ذكرِهِ. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣: ١٥٤٦، وأورده ابنُ الصّائغ بلفظ (فَنَصطَلِحا). ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٢: ٨٣٢.

(٥) سورة طه ٢٠: ٨١.

(٦) سورة البقرة ٢: ٤٢.

(٧) البيت من الكامل، وهو من الشواهد الشعرية التي أُختلف في نسبتها؛ فنسبه سيبويه (١٨٠هـ):٣: ٤٢: إلى الأخطل، وقال الاصفهاني في كتابه الاغاني: ١٢: ٣٨٢: إنّ البيت للمتوكّل اللّيثي، وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٢٤: ٤٦٧: إنّه للطّرمّاح، ونسبه البغدادي في خزانة الادب: ٨: ٥٦٨: إلى أبي الأسود الدؤلي.

والظّاهرُ انَّه لأبي الأسود؛ إذ ورد البيت ضمن قصيدة جاءت في الحكمة من أربعين بيتًا ذكرها السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ٧: ٤٠٤. في حين أوردَ بقيّةُ الأعلام البيت منفردًا أو منضمًّا إلى بيتٍ آخر فقط عند نسبته إلى قائله.

والشّاهدُ فيه: (وتأتِيَ) حيثُ نصبَ الفعلَ المضارِع بـ (أنْ) المضمَرة وُجوبًا بعد واو المعيّة الواقعة في جواب النّهي.

(يا لَيتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ) بنَصبِ (لا نُكَذِّبَ) وَهكذا إلى آخِرِ الأمثلَةِ، هذا الّذي ذَكرناهُ هوَ التّحقيقُ.

ولا يجوزُ أن يَكونَ (فتكونَا) مجزومًا بـ(إن) المكسورَةِ المُقدَّرَةِ؛ لِيَكونَ جَوابًا للشَّرطِ المُقدَّرِ في جَوابِ النَّهي؛ لِفَسادِ اللّفظِ والمَعنَى جَميعًا؛ لأنَّ الجَزمَ بـ(إن) المُقدَّرَةِ في جَوابِ النّهي وغَيرِهِ مِن سائرِ الأشياءِ الثّمانيَةِ غَيرِ النّفي مَشروطٌ بأنْ لا يَكونَ في صَدرِ ذلكَ المُضارِعِ فاءٌ ولا واوٌ أصلًا؛ بَل يَجِبُ أن يَكونَ مُجَرَّدًا مِنَ الواوِ والفاءِ مَعَ قَصدِ الجَوابِ والجَزاءِ في غَيرِ النّفي[1]، وإلّا يَكنْ المُضارعُ مَرفوعًا عَلى الحاليَّةِ، نحو قَولِهِ تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾[2]، أو عَلى الصِّفَةِ، نحو قَولِهِ تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[3] كَقَولِهِم: زُرني أُكْرِمْكَ، أي: إن تَزُرني أُكرِمْكَ، ونحو: أَسلِمْ تدخُلِ الجَنَّةَ، وقَولِهِ عليه السلام:

وأَحسِنْ إلى الأحرارِ تَملِكْ رِقابَهُم	فَخَيرُ تِجاراتِ الكِرامِ اكتِسابُها[4]

وقَولِهِ عليه السلام:

فَيا حامِلَ الاسمِ الّذي لَيسَ مِثلُهُ	تَوَقَّ مِنَ الأسواءِ تَنْجُ وتَسلَمُ[5]

وَنحو: لا تَكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، أي: إنْ لا تَكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، ولأنَّ شَرطَ جَزمِ المُضارِعِ بـ(إن) المَكسورَةِ المُقدّرَةِ بَعدَ النَّهي إن لَمْ يوجَدْ فيهِ واوٌ ولا فاءٌ أن يُقَدَّرَ (لا) النّاهيَةَ مَعَ الشّرطِ المُقدَّرِ بالإجماعِ[6]، نحو: لا تَكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ، أي: لا تَكفُرْ إنْ لا تَكفُرْ تَدخُلِ الجَنَّةَ كَما مَرَّ، ونحو: لا تَدْنُ مِنَ الأسَدِ تَسلَمْ، أي: إنْ لا تَدنُ منهُ تَسلَمْ، فَلا يَجوزُ نحو: لا تَكفُرْ تَدخُلِ النّارَ، وكَذا لا يَجوزُ: لا

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: أن لا يقصد الجزاء والجواب.

(٢) سورة المدثر ٧٤: ٦.

(٣) سورة مريم ١٩: ٥، ٦.

(٤) البيت من الطويل، والمراد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ديوان الإمام علي عليه السلام: ٥٣.

(٥) البيت من الطويل، والمراد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٥١.

(٦) مغني اللبيب: ٢: ٦٠٤، وينظر: درر النّحو: ٤٠.

تَدنُ مِنَ الأَسَدِ يَأكُلْكَ؛ لأنَّ تَقديرَ (لا) النّاهيَة مَعَ الشّرطِ المُقدَّرِ في نَحوِ هذَينِ المثالَينِ يُفسِدُ المَعنى، وقَد نُصَّ عَلى جَميعِ ذلكَ في كُتُبِ الإعرابِ[1]، قالَ ابنُ مالكٍ: [٢٦٤]

وَشَرطُ جَزْمٍ بَعدَ نَهْيٍ أَنْ تَضَعْ إنْ قَبلَ لا دُونَ تَخالُفٍ يَقَعْ[2]

وقالَ في المُفَصَّلِ: «وَحَقُّ المُضمَرِ أن يكونَ مِن جِنسِ المُظهَرِ فَلا يَجوزُ أن تَقولَ: لا تَدْنُ مِنَ الأَسَدِ يَأكُلْكَ بالجَزمِ؛ لأنَّ النّفيَ لا يَدُلُّ عَلى الإثباتِ؛ ولِذلكَ امتَنعَ الإضمارُ في النَّفي، فَلَم يَقلْ: ما تَأتِينا تُحَدِّثْنا بالجَزمِ، ولكنَّكَ تَرفَعُ عَلى القَطعِ كَأنَّكَ قُلتَ: لا تَدْنُ منهُ فَإنَّهُ يَأكُلُكَ وإن أدخَلتَ الفاءَ وَنَصَبتَ فَحَسَنٌ»[3] انتَهى، وخِلافُ الكِسائِي[4] لا يَضُرُّ بالإجماعِ المذكورِ.

إذا عَرَفتَ هذهِ الدَّقيقَةَ ظَهَرَ لَكَ بُطلانُ ما قالَهُ العَلّامَةُ اللّاهِيجِي[5] في تَفسيرِ هذهِ الآيَةِ في هذهِ السّورَةِ وهوَ قَولُهُ: «أي: إن تَقرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ فَتكونا مِنَ الظّالمينَ فَعَلى هذا فتكونا مَجزومٌ؛ لِكَونِهِ جَوابًا لِشَرطٍ مَحذوفٍ»[6] انتَهى؛ وذلكَ[7] لأنَّ شَرطَ جَزمِ المضارِعِ بـ(إن) الشّرطيَةِ المُقدَّرَةِ بَعدَ النّهيِ شَيئان:

أَحدُهُما: أن لا يَكونَ قَبلَ المُضارِعِ واوٌ ولا فاءٌ.

---

(١) ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٢: ٨٨٩ ، ومغني اللبيب: ١: ٨٨٧، و شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ٤: ١٨.

(٢) ألفيّةُ ابن مالك: ٥٨.

(٣) المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٣٣.

(٤) فقد أجاز الكسائي الإضمار في النفي؛ فهو يجوّز عند قيام القرينة أن يضمر المثبت بعد المنفي، فجزم (يأكلك) في قولك: لا تدنُ من الأسد يأكلك. ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: ٣: ١٢٥٧.

(٥) هو: الشّريفُ قطبُ الدّينِ بهاءُ الدّينِ مُحمّدُ بنُ عليٍّ بنُ عبدِ الوَهابِ الدّيلميّ اللّاهيجيّ، عالمٌ، فاضلٌ، محقّقٌ، جليلُ القَدرِ، لهُ عدَّةُ مؤلّفاتٍ، منها: كتابٌ في التّفسيرِ في مجلّدينِ كبيرينِ، رسالة في عالم المثال (فارسيّ)، ومحبوبُ القلوب، وغيرها، توفي سنة (١٠٩٧هـ). ينظر: أعيان الشيعة: ٩: ٤٣١، والذريعة: ٥: ١٥، و١٠: ١٠٠، ومعجم رجال الحديث: ١٨: ٥٠، ترجمة رقم: ١١٤١٠.

(٦) تفسير الشريف اللاهيجي: ١: ٣٦.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: بُطلان ما قالَهُ.

وثانيهُما: أن تُقَدَّرَ الجملَةُ الشّرطيّةُ مَعَ لا النّاهية.

وَكِلا الشّرطَينِ فيما نَحنُ فيهِ مَفقودانِ؛ لِوجودِ الفاءِ فيهِ فَلا يَصحُّ ذلكَ عَلى مَذهَبِ الكِسائِي أيضًا؛ وَلِعَدَمِ جَوازِ تَقديرِ (لا) هُنا لِفَسادِ المعنَى، فَلا يَجوزُ أن يَكونَ (فَتكونا) مَجزومًا جَوابًا لِشَرطٍ مَحذوفٍ لا عَلى مَذهَبِ جُمهورِ النُّحاةِ لِفَقدِ شَرطَيهِ مَعًا، ولا عَلى مَذهَبِ الكِسائِي لِفَقدِ أحَدِ الشّرطَينِ[1]، أعنِي عَدَمَ وُجودِ الفاءِ، وأيضًا لَو سُلِّمَ صِحَّةُ ما قالَهُ ﷺ لَما جازَ جَزمُ المُضارِعِ الواقِعِ جَزاءً بَعدَ الفاءِ لَفظًا اتِّفاقًا، وفِيما نَحنُ فيهِ لَيسَ فيهِ عَلامَةُ الرّفعِ، أعنِي: النّون وهوَ ظاهرٌ لا سُترَةَ فيهِ، وجملَةُ (اُسكُنْ) إلى آخِرِ الآيَةِ: في مَحَلِّ النّصبِ عَلى أنّها مَفعولُ قُلنا.

المعنى:

لَمَّا أنعَمَ اللهُ تعالى عَلى آدَمَ عليه السلام بِما اختَصَّهُ مِنَ العلومِ وبِما أوجَبَ لَهُ بِهِ مِنَ الإعظامِ وَأسجَدَ لَهُ الملائكَةَ الكِرامَ وَلَعَنَ ابليسَ بِآبائِهِ، وأكرَمَ الملائكَةَ لِسُجودِهِم لآدَمَ وطاعَتِهِم للهِ تعالى، أمَرَ آدَمَ وحَوَّاءَ أنِ اسْكُنا الجَنَّةَ، فَقالَ عَزَّ مِن قائِلٍ عَلى طَريقِ العظَمَةِ والكِبرياءِ: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾** واتَّخِذاها مَسكَنًا ومَأوًى لِتَأوِيا إلَيها وَتَجعَلاها مَقامَكُما، وهذا الأمرُ للتَّعَبُّدِ والاباحةِ؛ لأَنَّهُ لَيسَ فيهِ مَشَقَّةٌ وكُلفَةٌ فَلا يَتَعلَّقُ بِهِ تَكليفٌ وَيَحتَمِلُ نوعًا خاصًّا مِنَ التّكليفِ.

بيانُ خِلقَةِ حوّاءُ عليها السلام:

وفي رِواياتِ أهلِ العِصمَةِ والطّهارَةِ: «إنَّ اللهَ تعالى ألقَى النّومَ عَلى آدَمَ وأخَذَ منهُ ضِلعًا فَخَلَقَ منهُ حَوّاءَ فَاستَيقَظَ آدَمُ فإذا عِندَ رَأسِهِ امرأَةٌ فَسَأَلَها مَن أنتِ؟ قالَت: امرأَةٌ، قالَ: لِمَ خُلقتِ؟ قالَت: لِتَسكُنَ إلَيَّ، فَقالَت الملائكَةُ: ما اسمُها يا آدَمُ ؟ قالَ: حَوّاءُ، قالَت: وَلِمَ سُمِّيَت حَوَّاء؟ قالَ: لِأنّها خُلِقَت مِن حَيٍّ، فَعِندَها قالَ اللهُ تعالى: اسْكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجَنَّةَ وادخُلا مَعًا الجَنَّةَ»[2].

---

(١) الهداية في النحو: ٢٣١.

(٢) بحار الأنوار: ١١: ١٥٦.

وَرَوَى العَيّاشي: عَن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام قالَ: «خُلِقَت حَوّاءُ مِن قُصَيرِ جَنبِ آدَمَ عليه السلام، والقُصَيرُ هوَ الضِّلعُ الأصغَرُ وأبدَلَ اللهُ مَكانَهُ لَحمًا»[1]، وفي رِوايةٍ أُخرى: «خُلِقَت حَوّاءُ مِن جَنبِ آدمَ وهوَ راقِدٌ»[2]، وعَنِ الصّادقِ عليه السلام: «إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ مِنَ الماءِ والطّينِ فَهِمَّةُ ابنُ آدمَ في الماءِ والطّينِ، وإنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ حَوّاءَ مِن آدمَ فَهِمَّةُ النّساءِ الرِّجالُ فَحَصِّنُوهُنَّ في البُيوتِ»[3]، وفي كِتابِ النُّبوَّةِ: «إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ مِنَ الماءِ والطّينِ، وخَلَقَ حَوّاءَ مِن آدمَ فَهِمَّةُ الرّجالِ الماءُ والطّينُ، وهِمَّةُ النِّساءِ الرّجالُ»[4].

ومَعنَى هذهِ الأحاديثِ[5] أنَّ حَوّاءَ خُلِقَت مِن فَضلِ الطّينِ الّذي فَضُلَ مِنَ الضّلعِ الأيسَرِ مِن آدمَ كَما سَنُشيرُ إليهِ إن شاءَ اللهُ، أو خَلَقَها مِمَّا نَقَصَهُ مِن ضِلعِهِ الأيسَرِ، أو خَلَقَها و أوجَدَها مِن فَضلَةِ الطّينِ بارِزَةً مِن تَحتِ ضِلعِهِ الأيسَرِ مُتّصِلَةً إلى مَوضِعِ النُّقرَةِ الّتي بَينَ وَرِكَيهِ، وهذا مَعنَى قَولُهُ تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[6]، أي: خَلَقَها مِن فَضلِ طِينِ أسفَلِ أضلاعِهِ الأيسَرِ أو مِمَّا نَقَصَهُ منهُ.

ذكرُ الإشارَةِ إلى مَعرفَةِ الخُنثَى المُشكلِ: [٢٦٥]

كَما قالَ عُلماؤُنا رُضوانُ اللهِ عَليهِم في بابِ مِيراثِ الخُنثى المُشكِلِ: بأن تُعَدَّ أضلاعُهُ فإن كانَت ثَمانِيَ عَشرَةَ، في كُلِّ جانِبٍ تِسعٌ فَهِيَ أُنثى، وإن كانَت سَبعَ عَشرَةَ، مِنَ الجانِبِ الأيمَنِ تِسعٌ، ومِنَ

(١) تفسير العيّاشي: ١: ٢١٥.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٢١٥.

(٣) الكافي: ٥: ٣٣٧، حديث رقم: ٤.

(٤) بحار الأنوار: ١١: ١٥٦.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: قوله: ومعنى هذه الأحاديث: تمهيدٌ لدفعِ الاشكالِ ورفعِ شُبهةِ المجوسِ، ومَن يَحذو حَذوهم.

(٦) سورة النساء ٤: ١.

الأيسَرِ ثَمانٍ فهوَ ذكَرٌ، وكَذا لَو تَساوَيا، وكانَت في الأيسَرِ ضِلعٌ صَغيرٌ ناقِصٌ[1]، ومُستَنِدُ هذا القَولِ ما رَوَوا مِن قَضاءِ عَليٍّ عليه السلام بِهِ مُعَلَّلًا بأنَّ حَوَّاءَ خُلِقَت مِن ضِلعِ آدمَ عليه السلام[2]، وفي رِواياتٍ أُخَرَ: «إن كانَت الأضلاعُ أربَعًا وعِشرينَ: في كُلِّ جانِبٍ اثنا عَشَرَ فَهيَ أُنثَى، وإن كانَ عَدَدُ الجَنبِ الأيمَنِ اثنا عَشَرَ ضِلعًا والجَنبِ الأيسَرِ أحَدَ عَشَرَ فَهوَ ذَكَرٌ، وكَذا لَو كانَ في الأيسَرِ صَغيرٌ ناقِصٌ»[3].

وعَلى ما ذَكرناهُ لا تَنافِيَ بَينَ هذهِ الأخبارِ وبَينَ ما رَواهُ في الفَقيهِ والعِلَلِ: عَنِ الصّادقِ عليه السلام: أنَّهُ سُئِلَ عَن خَلقِ حَوّاءَ، وقِيلَ لَهُ: إنَّ عِندَنا أُناسًا يَقولونَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ خَلَقَ حَوّاءَ مِن ضِلعِ آدمَ الأيسَرِ الأقصَرِ؟ قالَ: «سُبحانَ اللهِ وتَعالى عَن ذلكَ عُلُوًّا كَبيرًا، يَقولُ مَن يَقولُ هذا إنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى لَمْ يَكنْ لَهُ مِنَ القُدرَةِ أن يَخلُقَ لِآدمَ زَوجَةً مِن غَيرِ ضِلعِهِ ويَجعَلُ لِلمُتكلّمِ مِن أهلِ التّشنيعِ سَبيلًا إلى الكَلامِ، يَقولُ: إنَّ آدمَ كانَ يَنكِحُ بَعضُهُ بعضًا إذا كانَت مِن ضِلعِهِ، ما لِهؤلاءِ؟ حَكَمَ اللهُ بَينَنا وبَينَهُم، ثمَّ قالَ: إنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى لَمَّا خَلَقَ آدمَ مِن طِينٍ وَأمَرَ الملائكَةَ فَسَجَدوا لَهُ ألقَى عَليهِ السُّباتَ ثمَّ ابتَدَعَ لَهُ حَوّاءَ فَجعَلَها في مَوضِعِ النُّقرَةِ الّتي بَينَ وَرِكَيهِ وذلكَ لِكَي تَكونَ المرأَةُ تَبَعًا للرّجُلِ فَأقبَلَت تَتحرَّكُ فانتبَهَ آدمُ لِتَحرّكِها، فَلَمّا انتبَهَ نُودِيَت أن تَنحّي عنهُ، فَلَمّا نَظَرَ، نَظَرَ إلى خَلْقٍ حَسَنٍ يُشبِهُ صُورَتَهُ غَيرَ أنّها أُنثَى فَكَلَّمَها فَكلَّمتهُ بِلُغَتِهِ فَقالَ لَها: مَن أنتِ؟ فَقالَت: خَلقٌ خَلَقَنيَ اللهُ كَما تَرى، فَقالَ آدمُ: يا رَبِّ مَن هذا الخَلقُ الحَسَنُ الّذي آنَسَنِي قُربُهُ والنَّظَرُ إليهِ؟ فَقالَ اللهُ: يا آدمُ هذهِ أَمَتِي حَوّاءُ، أفَتُحِبُّ أن تَكونَ مَعَكَ فَتُؤنِسَكَ وتُحَدِّثَكَ وتَأتَمِرُ لأمرِكَ؟ فَقالَ: نَعم يا رَبِّ، ولَكَ عَلَيَّ بذلكَ الشُّكرُ والحَمدُ ما بَقِيتُ، فَقالَ اللهُ تَباركَ وتعالى: فَاخطِبْها إلَيَّ فإنّها أمَتِي وقَد تَصلُحُ لَكَ أيضًا زَوجَةً للشّهوَةِ، وألقَى اللهُ عَليهِ الشّهوةَ وقَد عَلَّمَهُ قبلَ ذلكَ المعرفَةَ بكُلِّ شَيءٍ، فَقالَ: يا رَبِّ فَإنِّي أخطِبُها إليكَ فَما رِضاكَ لِذلكَ؟ فَقالَ: رِضايَ أن تُعلِّمَها مَعالِمَ دِيني، فَقالَ: ذلكَ لَكَ يا رَبِّ

(١) ينظر: مختلف الشيعة: ٩: ٨٠، و كنز الفوائد في حل مشكلات القواعد: ٣: ٤٠٦، و رياض المسائل: ١٢: ٦٤٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٦: ٢٨٧، حديث رقم: ٣.

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني: ٢٥: ٩٠٣، حديث رقم: ٩.

عَلَيَّ إن شِئتَ ذلكَ لِيَ، فَقالَ: قَد شِئتُ ذلكَ وقَد زَوّجتُكَها فَضُمَّها إليكَ، فَقالَ لَها آدمُ عليه السلام: إليَّ فَاقبِلي، فَقالَت: لا، بَل أنتَ فَاقبِل إليَّ، فَأَمرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ آدمَ أن يَقومَ إليها، فَقامَ إليها، وَلَولا ذلكَ لَكُنّ النّساءُ يَذهَبنَ حَتّى يَخطِبنَ عَلى أنفُسهِنَّ، فَهذهِ قِصّةُ حَوّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيها»[1].

وَرَوى العَيّاشي: عَنِ الباقِرِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ مِن أَيِّ شَيءٍ خَلَقَ اللهُ حَوّاءَ؟ فَقالَ: «أيَّ شَيءٍ يَقولونَ هذا الخَلقُ؟ قُلتُ: يَقولونَ إنَّ اللهَ خَلقَها مِن ضِلعٍ مِن اَضلاعِ آدمَ، فَقالَ: كَذَبُوا، أَيعجزُ اللهُ أن يَخلُقَها مِن غَيرِ ضِلعِهِ؟ ثمَّ قالَ: أخبَرَني أبي عَن آبائِهِم عليهم السلام قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ تَبارَك وتعالى قَبَضَ قَبضَةً مِن طِينٍ فَخَلَطَها بيَمِينِهِ وَكِلتا يَدَيهِ يَمينٌ، فَخَلَقَ مِنها آدمَ، وفَضُلَ فَضلَةً مِنَ الطّينِ فَخَلَقَ مِنها حَوّاءَ»[2]، وفي العِلَلِ: عَنهُ صلى الله عليه وآله: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ آدمَ مِن طِينٍ، ومِن فَضلِهِ وبَقِيَّتِهِ خُلِقَت حَوّاءُ»[3]، وفي رِوَايَةٍ أُخرَى: «خُلِقَت مِن باطِنِهِ، ومِن شِمالِهِ، ومِنَ الطّينَةِ الّتي فَضُلَت مِن ضِلعِهِ الأيسَرِ»[4]، وقالَ في الفَقِيهِ: «وَأمّا قَولُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[5] والخَبَرُ الّذي رُوِيَ أَنَّ حَوّاءَ خُلِقَت مِن ضِلعِ آدمَ الأيسَرِ صَحِيحٌ، ومَعناهُ مِنَ الطّينَةِ الّتي فَضُلَت مِن ضِلعِهِ الأيسَرِ»[6]، وقَد ذَكرنا وَجهَهُ أيضًا. [٢٦٦]

وَقَد مَرَّ اشتِقاقُ آدمَ وتَسمِيَتُهُ بِهِ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾[7] إلى آخِرِهِ مِنَ الأحاديثِ واللُّغَةِ، وفي العِلَلِ: في بابِ العِلَّةِ الّتي مِن أجلِها سُمِّيَت حَوّاءُ حَوّاءَ: بإسنادِهِ عَن أبي

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٣٨٠، حديث رقم: ٤٣٣٦، و علل الشرائع: ١: ١٨.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٢١٦.

(٣) علل الشرائع: ٢: ٥١٢، حديث رقم: ١.

(٤) علل الشرائع: ٢: ٤٧١، حديث رقم: ٣٣.

(٥) سورة النساء ٤: ١.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٣٨١، حديث رقم: ٤٣٣٦.

(٧) سورة البقرة ٢: ٣١.

بَصيرٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «سُمِّيَت حَوّاءُ حَوّاءَ؛ لأنَّها خُلِقَت مِن حَيٍّ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾»[1] ، وفيهِ: في بابِ العِلَّةِ الّتي مِن أجلِها سُمِّيَتِ المرأَةُ مَرأَةً: بإسنادِهِ عَن أبي بَصيرٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «سُمِّيَتِ المَرأَةُ مَرأَةً؛ لأنَّها خُلِقَت مِن المَرءِ، يَعنِي: خُلِقَت حَوّاءُ مِن آدمَ»[2] انتهَى، وبَيانُهُ ما ذَكرناهُ، وفيهِ: في بابِ العِلَّةِ الّتي مِن أجلِها سُمِّيَتِ النّساءُ نِساءً؛ «لأنَّهُ لَمْ يكنْ لآدمَ أُنْسٌ غَيرَ حَوّاءَ»[3]، أو لِوجوهٍ أُخَرَ، وفي بابِ عِلَّةِ كَيفيّةِ بدءِ النّسلِ: عَن زرارَةَ[4] قالَ: سُئِلَ أبو عَبدِ الله عليه السلام عَن بَدءِ النَّسلِ مِن آدمَ كَيفَ كانَ؟ ومِن بَدءِ النَّسلِ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَإنّ عندَنا أُناسًا يَقولونَ: إنَّ اللهَ تَبارك وتعالى أوحَى إلى آدمَ أن يُزَوِّجَ بَناتَهُ مِن بَنِيهِ، وإنَّ هذا الخَلقَ كُلَّهُ أصلُهُ مِنَ الإخوَةِ والأخواتِ، فَقالَ أبو عَبدِ الله عليه السلام: «سُبحانَ الله، تَعالى اللهُ عَن ذلكَ عُلُوًّا كَبيرًا، يَقولُ مَن يَقولُ هذا إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ أصلَ صَفوَةِ خَلقِهِ وأحِبّائِهِ وأنبيائِهِ ورُسُلِهِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والمسلمينَ والمسلماتِ مِن حَرامٍ، ولَمْ يكنْ لَهُ مِنَ القُدرَةِ ما يَخلُقُهُم مِنَ الحَلالِ وقَد أخَذَ مِيثاقَهُم مِنَ الحَلالِ الطُّهرِ الطّاهرِ الطّيِّبِ، فَوَ الله لَقَد نُبِّئتُ أنَّ بَعضَ البَهائِمِ تَنكَّرَت لَهُ أُختُهُ فَلَمّا نزا عَلَيها ونَزَلَ كُشِفَ لَهُ عَنها وعَلِمَ أنَّها أُختُهُ أخرَجَ عُزْمُولَهُ[5] ثُمَّ قَبَضَ عَليهِ بأسنانِهِ حَتَّى قَلَعَهُ فَخَرَّ مَيِّتًا، ثمَّ آخَرَ تَنكَّرَت لَهُ أُمُّهُ فَفَعَلَ هذا بعَينِهِ، فَكَيفَ الإنسانُ في نَسَبِهِ وفَضلِهِ وعِلمِهِ؟ غَيرَ أنَّ حَبْلًا[6] مِن هذا الخَلقِ تَرَونَ رَغِبُوا عَن عِلمِ أهلِ بُيُوتاتِ أنبيائِهِم وَأخَذوا

---

(١) علل الشرائع: ١: ١٦، حديث رقم: ١.

(٢) علل الشرائع: ١: ١٦، حديث رقم: ١.

(٣) علل الشرائع: ١: ١٧، حديث رقم: ١.

(٤) ابن أعين بن سنسن، أبو الحسن: شيخ أصحابنا في زمانه، كان قارئًا فقيهًا، متكلّمًا شاعرًا أديبًا، لهُ كتابٌ في الاستطاعةِ والجبرِ، وكتابُ العهود، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: رجال النجاشي: ١٧٥، ترجمة رقم ٤٦٣، و معالم العلماء: ٨٨، ترجمة رقم: ٣٥٤.

(٥) العُزمول: قضيب الذّكر. وقد ورد في معاجم اللغة بلفظ: غُرْمُول: وهو الذّكر الضّخم الرّخو. العين: ٤: ٤٦٨، (غرمل)، و لسان العرب: ١١: ٤٩١، (غرمل).

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: طائفة.

مِن حَيثُ لَمْ يُؤمَرُوا بأَخذِهِ فَصارُوا إلى ما تَرَونَ مِنَ الضَّلالِ والجَهلِ، ثمَّ قالَ: وَيحٌ لِهؤلاءِ، أينَ هُم عَمَّا لَمْ يَختَلِف فيهِ فُقهاءُ أهلِ الحِجازِ ولا فُقهاءُ أهلِ العِراقِ، إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ القَلَمَ فَجَرَى عَلى اللّوحِ المَحفوظِ بِما هوَ كائنٌ إلى يَومِ القِيامَةِ قَبلَ خَلقِ آدمَ بأَلفَي عامٍ، وإنَّ كُتُبَ اللهِ كُلَّها في ما جَرَى فيهِ القَلَمُ في كُلِّها تَحريمُ الأخَواتِ عَلى الإخوَةِ مَعَ ما حَرَّمَ.

وهذا نَحنُ قَد نَرَى مِنها هذهِ الكُتُبَ الأربَعَةَ المَشهورَةَ في هذا العالَمِ التّوراةَ والإنجيلَ والزّبورَ والفُرقانَ أنزَلَها اللهُ عَنِ اللّوحِ المَحفوظِ عَلى رُسُلِهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِم مِنها: التّوراةُ عَلى مُوسى، والزَّبورُ عَلى داوُدَ، والإنجيلُ عَلى عِيسى، والقُرآنُ عَلى مُحمَّدٍ ﷺ وعَلى النَّبيِّينَ، لَيسَ فيها تَحليلُ شَيءٍ مِن ذلكَ حَقًّا، ما أرادَ مَن يَقولُ هذا وشِبهَهُ إلَّا تَقوِيَةَ حُجَجِ المَجوسِ فَما لَهُم قاتَلَهُم اللهُ؟، ثمَّ قالَ عليه السلام: إنَّ آدمَ صَلواتُ اللهِ عَليهِ وُلِدَ لَهُ سَبعونَ بَطنًا في كُلِّ بَطنٍ غُلامٌ وجارِيَةٌ إلى أن قُتِلَ هابيلُ، فَلَمَّا قُتِلَ هابيلُ جَزِعَ آدمُ عَلى هابيلَ جَزَعًا قَطَعَهُ عَن اتيانِ النّساءِ، فَبَقِيَ لا يَستطيعُ أن يَغشَى حَوَّاءَ خَمسَمائةِ عامٍ، ثُمَّ تَخَلَّى ما بِهِ مِنَ الجَزَعِ عَليهِ فَغَشِيَ حَوّاءَ فَوَهَبَ اللهُ لهُ شِيثًا وَحدَهُ لَيسَ مَعهُ ثانٍ، واسمُ شِيثٍ هِبَةُ اللهِ، وهوَ أوَّلُ وَصِيٍّ أُوصِيَ إليهِ مِنَ الآدمِيّينَ في الأرضِ، ثمَّ وُلِدَ مِن بَعدِ شِيثٍ يافِثُ ولَيسَ مَعهُ ثانٍ، فَلَمَّا أدرَكا وأرادَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أن يَبلُغَ ما تَرَونَ وأن يَكونَ ما قَد جَرَى بِهِ القَلَمُ مِن تَحريمِ ما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الأخَواتِ عَلى الإخوَةِ أنزَلَ بَعدَ العَصرِ يومَ الخَميسِ حَوراءَ مِنَ الجَنَّةِ اسمُها (نَزلَةُ)[1]، فَأمرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ آدمَ أن يُزَوِّجَها مِن شِيثٍ فَزَوَّجَها منهُ، ثمَّ أنزَلَ بَعدَ العَصرِ مِنَ الغَدِ حَوراءَ مِنَ الجَنَّةِ اسمُها (مَنزلَةُ)، فَأمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أن يُزَوِّجَها مِن يافِثٍ فَزَوَّجَها منهُ، فَوُلِدَ لِشِيثٍ غُلامٌ، ووُلِدَ لِيافِثَ جارِيَةٌ، فَأمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لِآدَمَ حِينَ أدرَكا أن يُزَوِّجَ

---

(١) أوردَ صاحبُ العلل أنَّ اسمها (نزلة)، وهو ما ذكره الحر العاملي في وسائله: ٢٠: ٣٦٤، حديث رقم: ١، وقد ذكرَ العلّامةُ المجلسيُّ في بحاره: ١١: ٢٢٤: أنّ اسمها (بركة).

ابنَةَ يافثٍ مِن ابنِ شِيثٍ ففَعَلَ، فوُلِدَ الصَّفوَةُ مِنَ النَّبيِّينَ والمُرسَلينَ مِن نَسلِهِما، ومَعاذَ الله أن يَكونَ ذلكَ ما قالوهُ مِن أمرِ الإخوَةِ والأخَواتِ»(١). [٢٦٧]

ورَوَى في الفَقيهِ: عنهُ عليه السلام: «إنَّ آدمَ وُلِدَ لَهُ شِيثٌ وإنَّ اسمَهُ هِبَةُ الله، وهوَ أوَّلُ وَصِيٍّ أُوصِيَ إليهِ مِنَ الآدميِّينَ»(٢)، وساقَ الحديثَ إلى آخِرِ ما قالَ في العِلَلِ.

وفي نِكاحِ الكافي: في بابِ النّوادِرِ: عَن أبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام أنَّهُ ذُكِرَ عِندَهُ المجوسُ وأنَّهُم يَقولونَ نِكاحُنا كَنِكاحِ وُلدِ آدمَ، وأنَّهُم يُحاجُّونّا بذلكَ، فقالَ عليه السلام: «أمَّا أنتُم فَلا يُحاجُّونَكُم بهِ، لَمَّا أدرَكَ هِبةُ الله قالَ آدمُ: يا رَبِّ زَوِّج هِبَةَ الله، فَأهبطَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ حوراءَ فَوَلَدَت لَهُ أربَعَةَ أغلمَةٍ، ثمَّ رَفعَها اللهُ فَلَمّا ادرَكَ وُلْدُ هِبةِ الله قالَ آدمُ: يا رَبِّ زَوِّج وُلدَ هِبَةِ الله، فَأوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ اليهِ أن يَخطِبَ إلى رَجُلٍ مِنَ الجِنِّ وكانَ مُسلِمًا أربعَ بَناتٍ لَهُ عَلى وُلدِ هِبَةِ الله فزَوَّجَهُنَّ، فَما كانَ مِن جَمالٍ وحِلمٍ فَمِن قِبَلِ الحَوراءِ والنُّبوَّةِ، وما كانَ مِن سَفَهٍ أو حِدَّةٍ فَمِنَ الجِنِّ»(٣).

ورَوَى العَيّاشي: بإسنادِهِ عنهُ عليه السلام قالَ: «إنَّ آدمَ وَلدَ أربعَةَ ذُكورٍ فأهبَطَ اللهُ إليهِ أربعًا مِنَ الحُورِ العِينِ فَزوَّجَ كُلَّ واحِدٍ مِنهُم واحِدَةً فتوَلَّدُوا، ثمَّ إنَّ اللهَ رَفعَهُنَّ وزَوَّجَ هؤلاءِ الأربعَةَ أربعًا مِنَ الجِنِّ فَصارَ النّسلُ فيهِم، فَما كانَ مِن حِلمٍ فَمِن آدمَ، وما كانَ مِن جَمالٍ فَمِن قِبَلِ الحُورِ العِينِ، وما كانَ مِن قُبحٍ أو سُوءِ خُلُقٍ فَمِنَ الجِنِّ»(٤)، وفي رِوايَةٍ: «لَمَّا وُلِدَ لآدمَ هِبَةُ الله وَكَبرَ سَألَ اللهَ أن يُزوِّجَهُ، فَأنزَلَ اللهُ لهُ حَوراءَ مِنَ الجَنَّةِ فزَوَّجها اِيّاهُ فوَلَدَت لَهُ اربعَةَ بَنينَ، ثمَّ وُلِدَ لآدمَ ابنٌ آخَرَ فَلَمّا كَبرَ امَرَهُ فَتزَوَّجَ إلى الجانِّ فَوُلِدَ لَهُ اربَعُ بَناتٍ، فَتزَوَّجَ بَنُو هذا بَناتِ هذا، فَما كانَ مِن جَمالٍ فَمِن قِبَلِ الحَوراءِ، وما كانَ مِن حِلمٍ فَمِن قِبَلِ آدمَ، وما كانَ مِن حِقدٍ فَمِن قِبَلِ الجانِّ، فَلَمّا تَوالَدُوا صَعَدَتِ

---

(١) علل الشرائع: ١: ١٨ـ ٢٠، حديث رقم: ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٣٨١، حديث رقم: ٤٣٣٧.

(٣) الكافي: ٥: ٥٦٩، حديث رقم: ٥٨.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٢١٥.

الحوراءُ إلى السَّماءِ»[1]، وفي الفَقيهِ: عنهُ عليه السلام: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ انزَلَ على آدمَ حوراءَ مِنَ الجَنَّةِ فَزَوَّجَها أحَدَ بَنيهِ، وَتَزَوَّجَ الآخَرُ ابنَةَ الجانِّ فَما كانَ في النّاسِ مِن جَمالٍ كَثيرٍ أو حُسنِ خُلُقٍ فَهوَ مِنَ الحوراءِ، وما كانَ فيهِم مِن سُوءِ خُلُقٍ فَهوَ مِن ابنَةِ الجانِّ»[2].

الإشارَةُ إلى رِوايَةِ العامّةِ:

وَأمَّا مَا رَوَتهُ العامّةُ عَنِ الأئمَّةِ عليهم السلام: حَمَلَت حَوَّاءُ هابيلَ وأُختًا لَهُ في بَطنٍ، ثمَّ حَمَلَت قابيلَ وأُختًا لَهُ في بَطنٍ فَتَزَوَّجَ هابيلُ الّتي مَعَ قابيلَ وَتزَوَّجَ قابيلُ الّتي مَعَ هابيلَ ثمَّ حَدَثَ التّحريمُ بعدَ ذلكَ[3]، وغَيرُ ذلكَ مِنَ الرّواياتِ الّتي رَوَتها العامّةُ كَما سَنَذكُرُها في تَفسيرِ سُورَتي النّساءِ والمائدَة إن شاءَ اللهُ تعالى فَلَيسَت بصَحيحَةٍ ولا مُعتَمَدٍ عَليها، وهذا القَدرُ كافٍ في هذا المقامِ فَلنَعُد إلى ما كُنّا فيهِ.

بيانُ الجَنَّةِ الّتي أُسكِنَ فيها آدمُ وحَوّاءُ:

تَنبيهٌ:

أُختُلِفَ في الجَنَّةِ الّتي أُسكِنَ فيها آدمُ وحَوّاءُ عليهما السلام، أهِيَ مِن جَنّاتِ الدُّنيا أم مِن جَنّاتِ الآخِرَةِ؟ فَالّذي يُستَفادُ مِن أكثرِ أحادِيثِ أهلِ العِصمَةِ والطّهارَةِ عليهم السلام أنّها مِن جَنّاتِ الدُّنيا في الأرضِ تَطلُعُ فيها الشّمسُ والقَمَرُ، في تَفسيرِ الإمامِ العَسكَري عليه السلام: أنَّهُ سُئِلَ الصّادقُ عليه السلام عَن جَنَّةِ آدمَ وحَوّاءَ أنّها مِن جَنَّاتِ الدُّنيا كانَت أم مِن جَنَّاتِ الآخِرَةِ؟ فَقالَ: «كانَت مِن جَنَّاتِ الدُّنيا، تَطلُعُ فيها الشّمسُ والقَمَرُ وَلَو كانَت مِن جَنَّاتِ الآخِرَةِ ما خَرَجَ مِنها أبدًا ولَم يَدخُلها إبلِيسُ، قالَ عليه السلام: فَلَمّا

(١) تفسير العيّاشي: ١: ٢١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٣٨٢، حديث رقم: ٤٣٣٨.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠: ٢٢٣، حديث رقم: ١١٧٥١، ونقل الطبري روايته عن ابن عباس، والبداية والنهاية: ١: ١٠٣، وقد أورد ابنُ كثير روايته عن أئمّة السّلف.

أسكَنَهُ اللهُ الجَنّةَ وأتَى حالُهُ إلى أكلِ الشَّجرَةِ أخرَجَهُ؛ لأنَّهُ خَلَقَ خَلقَهُ لا يَبقَى إلّا بالأمرِ والنّهيِ والتّوفِيقِ وإزاحَةِ العِلَلِ، فَجاءَهُ إبليسُ»[1] الحَديثُ، وسَنذكُرُ تَمامَهُ بُعَيدَ هذا إن شاءَ اللهُ تعالى.

وفي العِلَلِ: بإسنادِهِ إلى الحَسَنِ الصَّفّارِ[2] عَن إبراهيمَ بنِ هاشمٍ[3] عَن عُثمانَ عَنِ الحَسَنِ بنِ بَشّارٍ[4] عَن أبي عَبدِ اللهِ عليه السلام قالَ: سَألتُهُ عَن جَنَّةِ آدمَ؟ فَقالَ: «جَنَّةٌ مِن جَنّاتِ الدُّنيا تَطلُعُ عَليهِ الشّمسُ والقَمَرُ، ولَو كانَت مِن جَنّاتِ الخُلدِ ما خَرَجَ مِنها أبدًا»[5].

وفي الكافي: بإسنادِهِ إلى أحمدَ بنِ مُحمَّدِ بنِ أبي نَصرٍ[6] عَنِ الحُسينِ بنِ ميسّرٍ[7] قالَ: سَألتُ أبا عَبدِ اللهِ عليه السلام عَن جَنَّةِ آدمَ؟ فَقالَ: «جَنَّةٌ مِن جنانِ الدُّنيا تَطلُعُ فيها الشّمسُ والقَمَرُ، ولَو كانَت مِن جنانِ الآخِرَةِ ما خَرَجَ مِنها أبدًا»[8] [٢٦٨]

---

(١) لم يجد الباحث ذلك في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام. وقد جاء ضمن تفسير مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي: ٦: ٢٢٧ و البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ٢: ٥٢٢، مع بعض التغيير في آخر ألفاظ الرواية ولكن بالمعنى نفسه.

(٢) محمد بن الحسن بن فروخ: كان وجها في أصحابنا القمّيّين، ثقة عظيم القدر، له كتب منها: كتاب الصلاة، كتاب الوضوء، كتاب الجنائز، توفي سنة (٢٩٠هـ). ظ: رجال النجاشي: ٣٥٤، ترجمة رقم: ٩٤٨، باب الميم.

(٣) أبو إسحاق القمّي: تلميذ يونس بن عبد الرحمن، أصله من الكوفة وانتقل إلى قم، أول من نشر حديث الكوفيين بقم، لقي الرّضا عليه السلام، من كتبه كتاب النوادر، وكتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٣٦، ترجمة رقم: ٦، ومعالم العلماء: ٤٠، ترجمة رقم: ٣.

(٤) المدائني: من أصحاب الرّضا عليه السلام، وقف ثمّ رجع، وهو ثقةٌ صحيحٌ. ينظر: رجال الطوسي: ٣٥٥، ترجمة رقم: ٥٢٦٣، وخلاصة الأقوال: ١١٤، ترجمة رقم: ٦.

(٥) علل الشرائع: ٢: ٦٠٠، حديث رقم: ٥٥.

(٦) أبو جعفر البيزنطي: مولى السّكوني، ثقة جليل القدر، من أصحاب الرّضا عليه السلام، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه وأقرّوا له بالفقه، له كتاب الجامع والنوادر، توفي سنة (٢٢١هـ). ينظر: رجال الطوسي: ٣٣٢، ترجمة رقم: ٤٩٥٤، و خلاصة الأقوال: ٦١، ترجمة رقم: ١.

(٧) روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر. معجم رجال الحديث: ٧: ١١٥، ترجمة رقم: ٣٦٩٤.

(٨) الكافي: ٣: ٢٤٧، حديث رقم: ٢.

هذا هوَ الحَقُّ وإليهِ ذَهبَ أبو مُسلمٍ[1] وقالَ: «قَولُهُ تعالى بَعدَ ذلكَ: اهبِطُوا لا يَقتَضِي كَونَها في السَّماءِ؛ لأنَّهُ مِثلَ قَولِهِ تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾[2]، واستَدَلَّ بعضُهُم أيضًا على أنَّها أيضًا لَمْ تكنْ جَنَّةَ الخُلدِ بقَولِهِ تعالى حِكايَةً عَن ابليسَ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[3] فَلَو كانَت جَنَّةَ الخُلدِ لَكانَ آدمُ عالمًا بذلكَ ولَمْ يَحتَجْ إلى دَلالةٍ»[4] انتَهى، وفيهِ ما فيهِ، وَسنُشيرُ إلى بعضِ ذلكَ في ضِمنِ الأحادِيثِ الآتيَةِ:

وقالَ أبو هاشمٍ[5]: «هيَ جَنَّةٌ مِن جِنانِ السّماءِ غَيرُ جَنَّةِ الخُلدِ؛ لأنَّ جَنَّةَ الخُلدِ أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها، وَلا تَكليفَ فيها»[6] انتهى، وفيهِ ما مَرَّ في تَفسيرِ أوَّلِ هذهِ الآيةِ.

وَذَهبَ أكثرُ المفَسِّرينَ والحَسَنُ البَصرِي[7] وعَمرو بنُ عُبيدٍ[8] وواصِلُ بنُ عَطاءٍ[9] وكَثيرٌ مِنَ المُعتزلَةِ

(١) محمد بن بحر الأصفهانيّ المعتزليّ، عالم بالتفسير ومختلف العلوم، ولي بلاد فارس واصفهان، له العديد من المصنفات، منها: جامع التأويل في التفسير وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب في النحو، توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢: ١٧٥، والأعلام: ٦: ٥٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٢٠.

(٤) مجمع البيان: ١: ١٧٦، وهو قول القدرية. وينظر: التّبيان: ١: ١٣٥، وتفسير الثعلبي: ١: ١٨٢.

(٥) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ المعتزليّ، من كبار علماء المعتزلة ومفكريها، توفي سنة ٣٢١هـ. ينظر: وفيّات الأعيان: ٣: ١٨٣، ترجمة رقم: ٣٨٣، والوافي بالوفيّات: ١٨: ٢٦٣.

(٦) بحار الأنوار: ١١: ١٤٣، والنّور المبين في قصص الانبياء والمرسلين: السيد نعمة الله الجزائري: ٣٥.

(٧) أبو سعيد بن يسار: امام أهل البصرة وفقيهها، من كبار التابعين ومن الزّهّاد العبّاد، من كتبه: كتاب التفسير للقرآن، والرّدّ على القدريّة، توفي سنة (١١٠هـ). ظ: فهرست ابن النديم: ٢٠٢، والأعلام: ٢: ٢٢٦.

(٨) أبو عثمان بن باب مولى بني العدوية من بني تميم، متكلّم مُفسِّر، من كتبه: كتاب العدل والتوحيد، والرّدّ على القدرية، توفي سنة (١٤٤هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٠٣، ومعجم المؤلفين: ٨: ٩.

(٩) أبو حذيفة مولى بني ضبّة، لازم مجلس الحسن البصري حتّى اعتزله فسُمِّيَ أصحابه بالمعتزلة، من كتبه: كتاب التوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، توفي سنة (١٣١هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٠٢، والأعلام: ٨: ١٠٨.

كالرُّمَّانِيِّ[1] والجُبّائِيِّ إلى أنّها جَنَّةُ الخُلدِ؛ لأنَّ الألفَ واللّامَ للعَهدِ، قالُوا: ويَجوزُ أن تكونَ وَسوَسَةُ ابليسَ مِن خارجِ الجنَّةِ مِن حَيثُ يَسمَعانِ كَلامَهُ، كَما قيلَ إنَّهُ قامَ عِندَ البابِ فَنادَى آدمَ بقَولِهِ: يا آدمُ هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبْلَى، وقالُوا أيضًا: وقَولُ مَن يَزعُمُ أنَّ جَنَّةَ الخُلدِ مَن يَدْخُلُها لا يَخرُجُ مِنها غَيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّ ذلكَ إنَّما يَكونُ إذا استَقَرَّ أهلُ الجَنَّةِ فِيها للثّوابِ، فَأمّا قَبلُ فَإنَّها تَفنَى لِقَولِهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2]، انتهى.

ونَظيرُ هذا التّعليلِ قَولُهُ عليه السلام: «ثُمَّ يَبقَى ويَفنَى كُلُّ شَيءٍ»[3]، وآخِرُ حَديثِ: «كانَ اللهُ ولَمْ يَكنْ مَعَهُ شَيءٌ»[4] إلى آخِرِه.

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾، أي: كُلا مِنَ الجَنَّةِ عَلى سَبيلِ الإباحَةِ أكلًا واسِعًا كَثيرًا لا عَناءَ فيهِ أو مُتَوَسِّعينَ، **﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾**، أي: أيَّ مَكانٍ مِنَ الجَنَّةِ وأيَّ بِقاعٍ مِنها شِئتُما، وَسَّعَ سبحانهُ عَليهِما؛ إزاحَةً للعِلَّةِ وإزالَةً للعُذرِ في التّناوُلِ مِنَ الشَّجَرَةِ المَنهيِّ عَنها مِن بَينِ الأشجارِ الّتي لا تَنحَصِرُ بَل لا يَحومُ حَولَها الحَصرُ ولا تَتَناهَى.

وقيلَ المَعنَى: وَكُلا مِنها، أي: مِن ثِمارِها حَيثُ شِئتُما أيَّ ثَمَرَةٍ مِن ثِمارِها مِن أيِّ شَجَرَةٍ مِن أشجارِها إلّا ما استَثناهُ سبحانهُ بقَولِهِ: **﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾**، أي: لا تَأكُلا مِنها، وهوَ المَرويُّ عَنِ الباقرِ عليه السلام[5] فَيكونُ المَعنَى: لا تَقرَباها بالأكلِ؛ لأنَّ المُخالَفَةَ وَقَعَت بالأكلِ بِلا خِلافٍ، لا

---

(١) أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّمّاني: النحويّ المتكلم، أخذ الأدب عن ابن دريد وابن السراج، وروى عنه أبو القاسم التّنوخيّ، تفنّن في علوم القرآن والنحو والفقه والكلام، من مؤلفاته: كتاب معاني الحروف، وشرح الصفات، وكتابي الحدود الأكبر والأصغر، توفي سنة (٣٨٤هـ). ينظر: وفيّات الأعيان: ٣: ٢٩٩، ترجمة رقم: ٤٣٥، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢: ٣١٦.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٨٨. و ينظر: التّبيان: ١: ١٥٦، ومفاتيح الغيب: ٣: ٤٥٢، والكشّاف: ١: ١٢٨، ومجمع البيان: ١: ١٦٨، وزاد المسير في علم التفسير: ١: ٥٥.

(٣) التوحيد: ٤٧، والرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٤) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١: ١٥٤، والرّواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) الوافي: ١١: ٥٨١.

بالدّنُوِّ مِنها بقَولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[1] وقَولِهِ تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[2]، وفيهِ مَعَ ما بَعدَهُ تَشديداتٌ وتَأكيداتُ تَعليقِ النَّهي بالقُربِ الّذي هوَ مِن مُقَدِّماتِ تَناوُلِ المنهيِّ عنهُ مُبالَغَةً في تَحريمِهِ ووُجوبِ الاجتِنابِ عنهُ، وإيذانًا بأنَّ القُربَ مِنَ الشّيءِ يُوجِبُ مَيلانًا يَأخُذُ بمَجامِعِ القَلبِ ويُلهِيهِ عَمّا هوَ مُقتَضى العَقلِ والشَّرعِ، ويَجعَلُهُ مَحبوبًا عندَهُ فيُصَيِّرُ القَلبَ أعمَى وأصَمَّ لِقَولِهِ عليه السلام: «حُبُّكَ للشّيءِ يُعمِي ويُصِمُّ»[3]، وكَونِ القُربِ مِنها سَبَبًا لأن يَكونا مِنَ الظّالمينَ؛ لأنَّ مِثلَ هذهِ الفاءِ لِسَبَبيَّةِ ما قَبلَها لِما بَعدَها، ونَظيرُهُ الآية قَولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[4] الآيةُ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[5]، و﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[6].

﴿فتكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: فتكونا بأكلِها مِنَ الظّالمينَ لأنفُسِكُما بارتِكابِكُما المَنهيُّ عنهُ وبَخسِ ثَوابِكُما كَما يُقالُ لِمَن بَخَسَ نَفسَهُ الثّوابَ: إنَّهُ ظالمٌ؛ لأنَّ الظُّلمَ هوَ الانتِقاصُ كَما مَرَّ آنِفًا.

بيانُ الشَّجرَةِ الّتي نُهِيَ عَنها آدمُ وحَوّاءُ:

أُختُلِفَ في الشّجرَةِ الّتي نُهِيَ عَنها آدمُ وحَوّاءُ، (فقالَ ابنُ عَبّاسٍ: هيَ الحِنطَةُ، وابنُ مَسعودٍ والسُّدِّي[7]: هيَ الكَرمَةُ، وابنُ جُريجٍ[8]: هيَ التِّينَةُ، وقيلَ: هيَ شَجرَةُ الكافورِ، رُوِيَ ذلكَ عَن عليٍّ

(١) سورة الأعراف ٧: ٢٢.

(٢) سورة طه ٢٠: ١٢١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٨٠: حديث رقم: ٥٨١٤، وهو من أقوال نبي الرّحمة صلى الله عليه وآله الموجزة.

(٤) سورة الاسراء ١٧: ٣٢.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٥٢.

(٦) سورة النساء ٤: ٤٣.

(٧) أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن: إمام تابعي مفسّر ، سكن الكوفة، حدّث عن أنس بن مالك، وابن عباس، وحدّث عنه شعبة، وسفيان الثوري، توفي سنة (١٢٨هـ) وقال الذهبي: (١٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥: ٢٦٤، ترجمة لاقم: ١٢٤، والأعلام: ١: ٣١٧.

(٨) عبد الملك بن عبد العزيز الأموي: من رجال العامة، عالم فقيه ومن رواة الحديث، ومن أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام ، كما يسمّى بابن جريجٍ، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: نقد الرجال: ٣: ١٦٠، ترجمة رقم: ٣٢٥٩.

صَلواتُ اللهِ عَليهِ، وقالَ الكَلبيُّ[1]: هيَ شَجرَةُ عِلمِ الخَيرِ والشّرِّ، وقالَ جَدعانُ[2]: هيَ شَجرَةُ الخُلدِ[3]، وفي تَفسيرِ الإمامِ الحَسَنِ العَسكري: (هيَ شَجرَةُ عِلمِ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ عليهم السلام الّتي آثَرَهُم اللهُ بها دونَ سائِرِ خَلقِهِ لا يَتَناوَلُ بإذنِ وأمرِهِ إلّا هُم عليهم السلام، ومِنها ما كانَ يَتَناوَلُهُ النَّبيُّ وعَليٌّ وفاطِمَةُ والحَسَنُ والحُسَينُ عليهم السلام بعدَ إطعامِهِم المِسكينَ واليَتيمَ والأَسيرَ حَتّى لَمْ يَحُسّوا الجُوعَ ولا العَطَشَ ولا تَعَبَ ولا نَصَبَ[4])، وقالَ بعضُهُم: هيَ عِنايَةُ اللهِ وهيَ الشّجرَةُ الّتي مَن تَناوَلَ مِنها بإذنِ وأمرِهِ أُلهِمَ عِلمَ الأوّلينَ والآخِرينَ مِن غَيرِ تَعَلُّمٍ، ومَن تَناوَلَ بغَيرِ إذنٍ خابَ مِن مُرادِهِ وعَصَى رَبَّهُ[5]، وفي رِوايةٍ: هي شَجَرَةُ الحَسَدِ[6]، وكُلُّ ذلكَ حَقٌّ. [٢٦٩]

---

(١) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان البغدادي: من أصحاب الإمام الشافعي، له مصنّفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي، سمع من : سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، حدّث عن أبي داود وابن ماجة، توفي سنة (٢٤٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٢: ٧٢، ترجمة رقم: ١٩، والأعلام: ١: ٣٧.

(٢) الصحيح ابن جذعان وهو ما صرّح به صاحبا التّبيان والمجمع ولعل الخطأ سهوا من الناسخ، وهو أبو الحسن علي بن زيد بن أبي مليكة القرشي التيمي: فقيه ضرير، من حفّاظ الحديث الأئمة، من أهل البصرة أحد أوعية العلم في زمانه، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وُلِدَ أعمى، أُختُلِف في سنة وفاته فقيل (١٢٩هـ، و١٣١هـ، و١٣٩هـ). ينظر: تهذيب الكمال: ٢٠: ٤٣٤، ترجمة رقم: ٤٠٧٠، والوافي بالوفيّات: ٢١: ٨٢، وشذرات الذهب: ١: ١٧٦، والأعلام: ٤: ٢٨٩.

أمّا جدعان فقد مات قبل البعثة النبوية وكان كريما مطعاما. ينظر: الكنى والألقاب: ١: ٢٣٨،

(٣) التبيان: ١: ١٥٨، و مجمع البيان: ١: ١٦٩.

(٤) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢١.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢١. ولم يرد لفظ عناية الله في أيّ من المصادر التي أشار اليها المُصنّف، والوارد فيها وفي غيرها لفظ عنابة دون التصريح باسم صاحب هذا القول. ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٢، وبحار الأنوار: ١١: ١٩٠، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١: ٣٦٣.

(٦) معاني الأخبار: ١٢٤.

وفي عُيونِ الأخبارِ: بإسنادِهِ إلى عَبدِ السّلامِ بنِ صالحِ الهَرويّ[1] قالَ: قُلتُ للرِّضا عليه السلام: يا بنَ رَسُولِ الله أخبِرنِي عَنِ الشّجرَةِ الّتي أكَلَ مِنها آدمُ وحَوَّاءُ ما كانَت؟ فَقد اختَلَفَ النّاسُ فيها، فَمِنهُم مَن يَروِي أنّها الحِنطَةُ، ومِنهُم مَن يَروِي أنَّها العِنَبُ، ومنهُم مَن يَروِي أنّها شَجَرَةُ الحَسَدِ. فَقالَ: «كُلُّ ذلكَ حَقٌّ، فَقُلتُ: فَمَا مَعنَى هذهِ الوجُوهِ على اختِلافِها؟ فَقالَ: يا أبا الصَّلتِ: إنَّ شَجَرَةَ الجَنَّةِ تَحمِلُ أنواعًا، وَكانَت شَجَرَةَ الحنطَةِ وفيها عِنَبٌ لَيسَت كَشَجرَةِ الدُّنيا، وإنَّ آدمَ لَمَّا أكرَمَهُ اللهُ تعالى بإسجادِهِ الملائكةَ لَهُ، وبِدخُولِهِ الجَنَّةَ قالَ في نَفسِهِ هَل خَلَقَ اللهُ بَشَرًا أفضَلَ مِنِّي؟ فَعَلِمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ ما وَقَعَ في نَفسِهِ فَناداهُ ارفَع رَأسَكَ يا آدمُ وانظُر إلى ساقِ عَرشِي، فَرَفَعَ آدمُ رَأسَهُ فَنظَرَ إلى ساقِ العَرشِ فَوَجدَ عَليهِ مَكتوبًا: لا إلهَ إلّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ أميرُ المؤمنينَ وزَوجَتُهُ فاطمَةُ سَيِّدةُ نساءِ العالَمِينَ والحَسَنُ والحُسينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ، فَقالَ آدمُ عليه السلام: يا رَبِّ مَن هؤلاءِ؟ فَقالَ عَزَّ وجَلَّ: هؤلاءِ مِن ذُرِّيَّتِكَ وهُم خَيرٌ مِنكَ ومِن جَميعِ خَلقِي، ولَولاهُم ما خَلقتُكَ ولا خَلَقتُ الجَنَّةَ والنّارَ ولا السَّماءَ ولا الأرضَ، فَإيّاكَ أن تَنظُرَ إليهِم بعَينِ الحَسَدِ فأخرجُكَ عن جواري فنظرَ إليهم بعينِ الحسدِ وتَمنّى مَنزِلَتَهُم، فَتَسَلَّطَ عَليهِ الشّيطانُ حَتّى أكَلَ الشّجرَةَ الّتي نُهِيَ عَنها وَتَسلَّطَ عَلى حَوّاءَ لِنَظَرِها إلى فاطمَةَ بعَينِ الحَسَدِ حَتّى أكَلَت مِنَ الشّجرَةِ كَما أكلَ آدمُ فَأخرَجَهُما اللهُ تعالى عَن جَنَّتِهِ وأهبَطَهُما عَن جِوارِهِ إلى الأرضِ»[2] انتهى، وقالَ بعضُهُم: هيَ شَجرَةُ الهَوَى والطّبيعَةُ[3]، وذلكَ أيضًا حَقٌّ؛ لأنَّ الحَسَدَ هوَ ثَمرُ شَجرَةِ الهَوَى والطّبيعَةِ؛ لأنَّهُ يَنشَأُ مِنها.

(١) ابو الصّلتِ الهرويّ: من أصحاب الرّضا عليه السلام ، ثقة، مأمون الحديث ولم يُرَ منه الكذب ، عاميّ، محبٌّ لأهل البيت عليهم السلام ، له كتاب وفاة الرّضا عليه السلام. ينظر: رجال النجاشي: ٢٤٥، ترجمة رقم: ٦٤٣، ورجال ابن داود: ١٢٩، ترجمة رقم: ٩٥٧، ومعجم رجال الحديث: ١١: ١٩، ترجمة رقم: ٦٥١٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٧٤ـ ٢٧٥، حديث رقم: ٦٧.

(٣) وهم: أهل التأويل. ينظر: التفسير الصافي: ١: ١١٨.

ذكرُ النّهي في هذهِ الآيَةِ وما فيهِ مِنَ القَولَينِ: التَّحريمُ والتّنزيهُ:

وقالَ في المجمَعِ: ((أُختُلِفَ في هذا النهيِّ، أعنِي قَولَهُ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ، فقيلَ: إنَّهُ نَهيُ التَّحريمِ، وقِيلَ: إنّهُ نَهيُ التّنزيهِ دونَ التّحريمِ، كَمَن يَقولُ لِغَيرِهِ: لا تَجلِسْ عَلى الطُّرُقِ، وهوَ قَريبٌ مِن مَذهَبِنا، فَإنَّ عندَنا أنَّ آدمَ كانَ مَندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنَ الشّجرَةِ، وكانَ بالتّناوُلِ مِنها تارِكًا نَفلًا وفَضلًا ولَمْ يكنْ فاعلًا للقَبيحِ فَإنَّ الأنبياءَ عليهم السلام لا يَجوزُ عَليهِم القَبائِحُ لا صَغيرُها ولا كَبيرُها. وقالَتِ المُعتزلَةُ: كانَ ذلكَ صَغيرةً مِن آدمَ عَلى اختِلافٍ بَينَهُم في أنَّهُ وَقَعَ منهُ على سَبيلِ العَمدِ أو السَّهوِ أو التَّساهُلِ[1]. وإنّما قُلنا: لا يَجوزُ مُواقعَةُ الكَبائرِ عَلى الأنبياءِ عليهم السلام مِن حَيثُ أنَّ القَبيحَ يَستَحِقُّ فاعلُهُ بِهِ الذَّمَّ والعِقابَ؛ لأنَّ المَعاصِي عِندَنا كُلَّها كَبائرُ وإنَّما تُسمّى صَغيرَةً بإضافتِها إلى ما هوَ أكثَرُ عِقابًا مِنها؛ لأنَّ الإحباطَ[2] قَد دَلَّ الدّليلُ عِندَنا على بُطلانِهِ، وإذا بَطَلَ ذلكَ فَلا مَعصِيَةَ إلَّا ويَستحِقُّ فاعلُها الذَّمَّ والعِقابَ، وإذا كانَ الذَّمُّ والعِقابُ مَنفِيَّينِ عَنِ الأنبياءِ عليهم السلام وَجبَ أن يُنتَفى عَنهُم سائرُ الذُّنوبِ؛ ولِأنَّهم لَو جازَ عَليهِم شَيءٌ مِن ذلكَ لَنَفَّرَ عَن قَبولِ قَولِهِم، والمُرادُ بالتّنفيرِ: أنَّ النّفسَ إلى قَبولِ قَولِ مَن لا نُجَوِّزُ عَليهِ شَيئًا مِنَ المَعاصِي أسكَنُ مِنها إلى قَبولِ قَولِ مَن نُجَوِّزُ عَليهِ ذلكَ، ولا نُجَوِّزُ عَليهِم كُلَّ ما يكونُ مُنَفِّرًا عَنهُم مِنَ الخُلُقِ المُشوَّهَةِ والهَيئاتِ المُستَنكَرَةِ، وإذا صَحَّ

(١) ينظر: الكشّاف: ١: ١٣٠.

(٢) معنى الإحباط: ((أنّ المُكلّفَ يَسقطُ ثوابُهُ المتقدّمُ بالمعصيةِ المُتأخّرةِ، أو تُكفَّرُ ذنوبُهُ المُتقدّمةُ بطاعتِهِ المُتأخّرةِ، وَنفاهُما المُحقّقونَ، ثمَّ القائلون بِهِما اختَلفوا، فقالَ أبو علي: إنَّ المتأخّرَ يُسقِطُ المُتقدّمَ ويَبقى على حالِهِ، وقالَ أبو هاشم: إنَّه يَنتفي الأقلُّ بالأكثرِ ويَنتفي مِنَ الأكثرِ بالأقلِّ ما ساواهُ ويَبقى الزّائدُ مُستحِقًّا وهذا هوَ الموازنَةُ.

ويَدلُّ على بطلانِ الإحباطِ أنَّهُ يستلزمُ الظّلمَ؛ لأنَّ مَن أساءَ وأطاعَ وكانت إساءَتُهُ أكثرَ يكونُ بمنزلَةِ مَن لَم يُحسِن، وإن كانَ إحسانُهُ أكثرَ يكونُ بمنزلَةِ مَن لَم يُسيء، وإن تَساوَيا يكونُ مُساويًا لمن لَم يصدرْ عنهُ أحدُهُما وليسَ كذلكَ عندَ العقلاءِ، ولِقولِهِ تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[سورة الزلزلة ٩٩: ٧، ٨]. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٥٦٠.

وقالَ الشيخُ السّبحاني:(والمرادُ منَ الحبطِ: هو سقوطُ ثوابِ العملِ الصّالحِ بالمعصيةِ المتأخِّرةِ، كما أنَّ التّكفيرَ: هو سقوطُ الذّنوبِ المتقدِّمةِ بالطّاعةِ المتأخّرةِ)، وقد فصَّلَ الشيخُ الأقوالَ في المسألةِ مع أدلَّتِها. الإلهيّات: ٤: ٣٦٣.

ما ذكرناهُ عَلِمنا أنَّ مُخالفَةَ آدمَ عليه السلام لِظاهِرِ النّهيِ عَلى الوَجهِ الّذي بَيّنّاهُ»[1]. انتَهَى كَلامُ صاحبِ المجمَعِ قدس سره وفيهِ مَالا يَخفَى.

مُناقَشَةٌ عَلى صاحبِ المجمَعِ ومَن يَحذو حَذوَهُ:

أمَّا أوَّلًا: فَلأنَّهُ إن كانَ آدمُ عليه السلام مَندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنَ الشّجرَةِ وتاركًا نَفلًا لا فَرضًا لَما وَقَعَ عَليهِ أمثالُ هذهِ التّعنيفاتِ واللَّومِ في السُّوَرِ المتعدِّدَةِ وذِكرِ العِصيانِ والغِوايَةِ والبُكاءِ أربعينَ يَومًا وطَعنُ جَبرئيلَ عليه السلام ومُوسى عليه السلام عَلَيهِ كَما نَذكُرُهُ[2].

وَأمَّا ثانيًا: فَلأنَّ أمثالَ هذهِ الخَطيئَةِ والظُّلمِ غَيرُ مَعفُوٍّ عَنِ الأنبياءِ عليهم السلام بلا تَوبةٍ؛ ولِذا تابُوا صَلَواتُ اللهِ عَليهِم عَنها كَما تُنادِي عَلى ذلكَ الآياتُ والأحاديثُ المُتكثِّرَةُ. [٢٧٠]

وإذا كانَت غَيرَ مَعفوٍّ عَنها عَنهُم عليهم السلام يَكونُ النّهيُ عَنها تَحريميًّا لا تَنزيهيًّا، ولَو كانَ آدمُ عليه السلام مَندوبًا إلى تَركِ التّناوُلِ مِنها؛ لَما كانَ فِعلُهُ مُوجِبًا لِلَّومِ والعَتَبِ؛ وَلَما يُنسَبُ فاعِلُهُ إلى العِصيانِ والظُّلمِ حينئذٍ يَكونُ ذلكَ منهُ عليه السلام صَغيرَةً كَما ذَهَبت إليهِ المعتزلَةُ[3]، لكِنَّها صَدَرَت منهُ عَلى سَبيلِ النِّسيانِ كَما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[4]، والتّلبيسِ بوَسوَسَةِ الشّيطانِ كَما نَطقَ بهِ القُرآنُ[5]، ولا يُنافِي ذلكَ عِصمةَ الأنبياءِ عليهم السلام؛ لأنَّهُم يَجِبُ أن يكونُوا مَعصومينَ عَنِ المعاصِي المشتَرَكَةِ بَينهم وبَينَ الأُمَّةِ الّتي يَقَعُ العِقابُ على فاعِلِها مُطلقًا[6]، وأن

---

(١) مجمع البيان: ١: ١٦٨، ١٦٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: في تفسير الآية الآتية.

(٣) ينظر: الكشّاف: ١: ١٣٠.

(٤) سورة طه ٢٠: ١١٥.

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ سورة طه ٢٠: ١٢٠.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: بخلافِ السّهوِ في الصّلاةِ فإنَّهُ يَجوزُ عَلى الجميعِ ولا يَقَعُ عَلى فاعلِهِ العِقابُ مُطلَقًا، بخِلافِ السّهوِ عَنِ الصّلاةِ فإنَّهُ يَقَعُ على فاعلِهِ العِقابُ مُطلَقًا، ولا يَصدُرُ الثّاني مِنَ الأنبياءِ والمَعصومينَ مِثلَ قَولِهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون ١٠٧: ٤، ٥]، وأمَّا الأوَّلُ، أعني: السّهوَ في الصّلاةِ: فإنَّهُ يَجوزُ على الأنبياءِ والمعصومِينَ وتَحقّقَ ذلكَ منهُم أيضًا.

يَكونُوا مَعصومينَ فِيما يَتعلَّقُ بالتّبليغِ والأداءِ إلى الخَلقِ لا مُطلَقًا[1].

وقالَ الشَّارحُ الجليلُ مَولانا خَليلُ[2] في الكافي في كِتابِ التَّوحيدِ: في بابِ المَشيئَةِ والإرادَةِ وهوَ البابُ السَّادسُ والعُشرونَ: (نَهْيُ آدمَ عليه السلام عَن أكلِ الشّجرَةِ اثنان، وشَخصُ المَنهيِّ عَنهُ في كُلٍّ مِنهُما غَيرُ الشّخصِ المَنهيِّ عَنهُ في الآخَرِ وهُما مِن جِنسٍ واحدٍ:

الأوَّلُ: في آيةِ سُورَةِ البَقرَةِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] وهذا نَهيٌ صَريحٌ في التَّحريمِ وآدمُ عليه السلام لَمْ يُخالِفهُ أصلًا.

الثّاني: النّهيُ في آيةِ سُورَةِ طه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[4] وهذا نَهيٌ غَيرُ صَريحٍ عَن أكلِ شَجرَةٍ أُخرَى سَمَّاها إبليسُ شَجرَةَ الخُلدِ ومُلكًا لا يَبلَى، وهذا النَّهيُ أيضًا للتّحريمِ، وَخالَفَ آدمُ هذا النَّهيِّ نِسيانًا كَما في سُورَةِ طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[5]، ويَجيءُ بَيانُهُ في كِتابِ الإيمانِ والنُّذورِ والكفّاراتِ في ثانِي بابِ الاستِثناءِ في اليَمينِ وهوَ الرّابعَ عَشَرَ، وكانَ بَينَ النّهيِ الثّاني وبَينَ مُخالفَةِ آدمَ ثَلاثونَ سَنَةً وَلمَّا لَم يكنِ النّسيانُ مَرفوعًا عَنِ الأنبياءِ عليهم السلام وإن كانَ مَرفوعًا عَنِ الأمَّةِ كَما يَجيءُ في كِتابِ الإيمانِ والكُفرِ في بابٍ وهوَ الثّامنُ والمائتانِ كانَت نِسبَةُ العِصيانِ إلى آدمَ عليه السلام عَلى الحقيقَةِ وإن كانَ مِنَ الصّغائرِ، ولا يُنافِي عِصمَةَ الأنبياءِ عَنِ المعاصِي فَإنَّ المُرادَ عِصمتُهُم عَنِ المعاصِي المُشترَكَةِ بَينهُم وبَينَ الأُمَّةِ، ولا يُنافِي أيضًا قَولَهُ تعالى في سورةِ طه: ﴿فَتَشْقَى﴾ ولا قَولَهُ: ﴿فَغَوَى﴾؛ لأنَّ مَدلولَ

---

(1) وهذا القولُ خلافُ المشهورِ من قولِ الإماميّةِ، إذ يرَونَ عصمةَ جميعِ الأنبياءِ عليهم السلام بالعصمةِ المطلقة. ينظر: تنزيه الأنبياء: ١٧، وزبدة التفاسير: ٥: ٧٦، وعقائد الإمامية: ٥٣، والعصمة: حقيقتها- أدلتها: ٤٤.

(2) ابن غازي القزويني: فقيهٌ أصوليٌّ مُحدّثٌ، لُقّبَ ببرهانِ العلماءِ، من مصنفاته: حاشية على الجمل في النحو، وحاشية على مجمع البيان، وابواب الجنان، وشرح اصول الكافي، توفي في قزوين سنة (١٠٨٩هـ). ينظر: معجم المؤلفين: ٤: ١٢٥.

(3) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(4) سورة طه ٢٠: ١١٧.

(5) سورة طه ٢٠: ١١٥.

الفاءِ أنَّ المُرادَ بالشّقاءِ: التّعَبُ في الدّنيا كَما في: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[1] لا ما في سُورَةِ هُودٍ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾[2] الشَّقِيُّ بهذا المَعنَى: شَقِيٌّ في بَطنِ أُمِّهِ ونَحوِهِ، ولَمْ يَتوهَّمْ أحَدٌ في آدمَ ولا في نَبيٍ آخَرَ سُوءَ العاقِبَةِ، وأنَّ المُرادَ بالغِوايَةِ: التّيهُ والحَيرَةُ في الأرضِ كَما يَجيءُ في كِتابِ الحَجِّ في ثالِثِ الأوَّلِ مِن قَولِهِ: وَجَعَلَهُ تائِهًا حَيرَانَ[3] لا ما في سُورَةِ الشّعراءِ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[4]، وظاهِرُ ما يَجيءُ في كِتابِ الإيمانِ والكفرِ في حادِي عَشَرَ، بابِ ذَمِّ الدُّنيا والزُّهدِ فيها، وهوَ الحادِي والسّتُّونَ: أنَّ أصلَ الشّجرَةِ الثّانيَةِ كانَ في خارِجِ الجَنَّةِ و بعضُ فُرُوعِها كانَ في الجَنَّةِ[5] انتهَى كَلامُهُ بقَدَرِ مَوضِعِ الحاجَةِ أعلا اللهُ مَقامَهُ.

مناقشةٌ على شارِحِ الكافي مَولانا خَليل طابَ ثَراهُ:

وَفيهِ أنَّ قَولَهُ طابَ ثَراهُ: وكانَ بَينَ النّهي الثّانِي وبَينَ مُخالَفَةِ آدمَ ثَلاثونَ سَنَةً يُنافِي ما رَواهُ في كِتابِ الخِصالِ: بإسنادِهِ عَن أبي لُبابَةَ بن عَبدِ المُنذِرِ[6] قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «يومُ الجُمُعةِ سَيّدُ الأيّامِ خَلَقَ اللهُ فيهِ آدمَ، وأهبَطَ اللهُ فيهِ آدمَ إلى الأرضِ»[7].

وَعَن جَعفرِ بنِ مُحمَّدٍ الصّادقِ عَن آبائِهِ عَن عَليٍّ عليه السلام قالَ: «إنَّما كانَ لَبْثُ آدم وحَوّاءَ في الجَنَّةِ حَتّى خَرَجا مِنها سَبعَ ساعاتٍ مِن ساعاتِ الدُّنيا حَتّى أهبطَهُما اللهُ تعالى مِن يَومِهِما ذلكَ»[8]، وفي رِوايَةِ العَيّاشي: عَن الصّادقِ عليه السلام: «إنَّ مَجموعَ زَمانِ خَلقِ آدمَ وحَوّاءَ والأمرِ بِسُكُونِهِما في الجَنَّةِ والنَّهي

---

(١) سورة طه: ٢٠: ١، ٢.

(٢) سورة هود ١١: ١٠٦.

(٣) والقولُ للإمامِ الصّادقِ عليه السلام. ينظر: الكافي: ٤: ١٨٥، حديث رقم: ٣.

(٤) سورة الشعراء ٢٦: ٩٤.

(٥) الشافي في شرح أصول الكافي: المولى خليل القزويني: ٢: ٤٥١، ولم يجد الباحث ما نُسب إلى الشّرحِ المار الذكر في حدودِ تتبّعهِ لكلِّ أحاديثِ البابِ وشرحِها فيما توافرَ لديهِ، وهو من منقوله عن كتابه الصافي في شرح الكافي: ٢: ٥٢١، ٥٢٢.

(٦) بشير، وقيل: رفاعة الأنصاري: من أصحابِ رسولِ الله ﷺ شهدَ بدرًا والعقبةَ الأخيرةَ، وهو صاحبُ الاسطوانةِ المعروفةِ باسطوانةِ التّوبةِ في المسجدِ النّبويِّ. ينظر: الكنى والألقاب: ١: ١٤٨.

(٧) الخصال: ٣١٦.

(٨) بحار الأنوار: ١١: ١٤٢، حديث رقم: ١٠.

عَن أكلِ الشّجَرَةِ وإخراجِهما مِنَ الجَنَّةِ سِتُّ ساعاتٍ مِن يَومٍ»[1]، وفي أُصولِ الكافي: في بابِ أُصولِ الكُفرِ وأركانِهِ: بإسنادِهِ إلى أبي بَصيرٍ[2] قالَ: قالَ أبو عَبدِ الله عليه السلام: «أُصولُ الكُفرِ ثَلاثَةٌ: الحِرصُ والاستِكبارُ والحَسَدُ، فَأمَّا الحِرصُ فَإنَّ آدمَ عليه السلام حِينَ نُهِيَ عَنِ الشّجرَةِ حَمَلَهُ الحِرصُ عَلى أن أكَلَ مِنها، وأمَّا الاستِكبارُ فَإبليسُ حَيثُ أُمِرَ بالسُّجودِ لآدمَ فَأبى، وأمّا الحَسَدُ فابنا آدَمَ حَيثُ قَتَلَ أحَدُهُما صاحِبَهُ»[3]. [٢٧١]

بَيانٌ آخَرُ لِكَونِ مَعصيةِ آدمَ عليه السلام صَغيرَةً محَمولَةً على الحقيقَةِ، وأنَّها قَبلَ نُزولِ الوَحيِ إليهِ:

وَأقولُ أيضًا: إنّ هذا الذّنبَ مِن آدمَ كانَ مَعصيَةً صَغيرَةً يَحتاجُ إسقاطُها مِن مِثلِهِ إلى توبَةٍ وكانَ ذلكَ قَبلَ نُزُولِ الوَحيِ إليهِ والبَعثِ إلى الخَلائِقِ، وقَبلَ النُّبوَّةِ كَما يُنادِي عَلى ذلكَ القُرآنُ الكَريمُ مِنَ الآياتِ المذكورَةِ في مَواضِعِ عَديدَةٍ في مِثلِ هذهِ الحِكايَةِ والأخبارُ؛ لأنَّ كَونَهُ نَبيًّا مَبعوثًا إلى الخَلائِقِ لَم يَتَحَقّقْ إلّا بَعدَ إخراجِهِ مِنَ الجَنّةِ ونُزولِهِ في الدُّنيا وتَعميرِها؛ لأنّهُ تعالى خَلَقَهُ لِكَدخُدائيّةِ[4] الأرضِ وتَعميرِ دارِ التّكليفِ والامتِحانِ، وهيَ هذهِ الأرضُ المَسكُونُ بَنُوها لِيَبلُوَهُم أيُّهُم عَمَلًا وأيُّهُم يُطيعُهُ سبحانَهُ وأولياءَهُ وَأيُّهُم يَعصِيهِ، يَأكُلونَ رِزقَهُ ويَعبُدونَ غَيرَهُ، كَما مَرَّ في الآياتِ السّابقَةِ والأحادِيثِ المُتكَثّرَةِ المَنقولَةِ عَن أهلِ بَيتِ العِصمَةِ والطّهارَةِ ولا يَكونُ ذلكَ في الجَنَّةِ، وإنَّما نَهاهُ سبحانَهُ وزَوجَتَهُ عَن إطاعَةِ إبليسَ عِندَ إيجادِهِما في الجَنَّةِ وإسجادِ الملائكَةِ لَهُما وإباءِ إبليسَ عَن ذلكَ، وَشَدَّدَ الميثاقَ مِنهُما عَلى ذلكَ غَيرَ مَرّةٍ، وصَرَّحَ سبحانهُ بأنَّهُ لَعَنهُ اللهُ عَدُوٌّ لَهُما ولِذُرِّيَّتِهِما في

---

(١) ينظر: تفسير العيّاشي: ٢: ١٠، والمصنِّف نقل الرّواية بالمعنى.

(٢) يحيى بن القاسم الاسدي: ثقةٌ وجيهٌ، رَوى عن الإمامين الصادقين عليهما السلام، كما رَوى عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام، وهو ممّن أجمعتِ العصابةُ على تصديقِهِ، لهُ كتابُ يوم وليلة، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: رجال النجاشي: ٤٤١، ترجمة رقم: ١١٨٧، وخلاصة الأقوال: ٢٣٤.

(٣) الكافي: ٢: ٢٨٩: حديث رقم: ١.

(٤) لفظ فارسي مشتق من(كدخدا) ويعني: تدبير المنزل و إدارة البيت. ينظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر: ٩: ٤٦: حرف الكاف.

جَميعِ الأوقاتِ في كُلِّ مَكانٍ، و وَصّاهُما بأن لا يَقبَلا قَولَهُ؛ لِكَونِهِ عاصِيًا مُضِلًّا مُغوِيًا خَبيثًا مُخبِثًا مُخرِجًا إيّاهُما مِنَ النِّعَمِ والكَرامَةِ سَريعًا، ومَعَ تلكَ التّوصِيَةِ والتّشديدِ فَعَلا ما فَعَلاهُ في الجَنَّةِ اختِيارًا في بَعضِ السّاعاتِ السّتِّ أو السَّبعِ الّتي كانَا فيها كَما مَرَّ، ولَم يَرعَيا ما وَصّاهُما سبحانَهُ وتَعالى؛ لأنَّ المؤمِنَ غِرٌّ كَريمٌ وهذا لا يُنافي كَونَهُ مَعصومًا بَعدَ النُّبوَّةِ، ويُؤيِّدُ ذلكَ ما جاءَ في عُيونِ الأخبارِ في مَجلِسِ الرِّضا عليه السلام عندَ المأمونِ في عِصمَةِ الأنبياءِ عليهم السلام: بإسنادِهِ إلى حَمدانِ بنِ سُليمانَ النّيسابوري[1] عَن عَليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الجَهمِ[2] قالَ: حَضَرتُ مَجلِسَ المأمونِ وعندَهُ الرِّضا عليه السلام فقالَ لَهُ المأمونُ: يا ابنَ رَسولِ الله أليسَ مِن قَولِكَ أنَّ الأنبياءَ مَعصومونَ؟ قالَ: «بَلى، قالَ: فَما مَعنى قَولِ الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[3]؟ فَقالَ عليه السلام: إنّ اللهَ تعالى قالَ لآدمَ عليه السلام: **﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾**، وَأشارَ لَهُما إلى شَجَرةِ الحِنطَةِ فَتَكونا مِنَ الظّالمينَ ولَم يَقُل لَهُما ولا تَأكُلا هذهِ الشّجرَةَ، ولا مِمّا كانَ مِن جِنسِها فَلَم يَقرَبا تلكَ الشجرةَ، وإنَّما أكَلا مِن غَيرِها لَمّا أن وَسوَسَ الشّيطانُ اِليهِما، وقالَ: مَا نَهاكُما رَبُّكُما عَن هذهِ الشَّجرَةِ وإنَّما نَهاكُما أن تَقرَبا غَيرَها ولَمْ يَنهَكُما عَنِ الأكلِ مِنها إلّا أنْ تَكونا مَلَكَينِ أو تَكونا مِنَ الخالِدينَ، وقَاسَمَهُما إنّي لَكُما مِنَ النّاصحِينَ، ولَم يَكنْ آدمُ وحَوّاءُ شاهَدا قَبلَ ذلكَ مَن يَحلِفُ باللهِ كاذِبًا فَدَلّاهُما بغُرورٍ فَأكَلا مِنها ثِقَةً بيَمينِهِ باللهِ وكانَ ذلكَ مِن آدمَ قَبلَ النُّبوَّةِ، ولَم يَكنْ ذلكَ بذَنبٍ كَبيرٍ استَحَقَّ بِهِ دُخولَ النّارِ وإنّما كانَ مِنَ الصّغائرِ المَوهوبَةِ الّتي نُجَوِّزُها على الأنبياءِ قَبلَ نُزولِ الوَحي عَليهِم فَلَمّا اجتَباهُ اللهُ وجَعَلَهُ نَبيًّا كانَ مَعصومًا لا يُذنِبُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً، قالَ اللهُ تعالى:

(١) أبو سعيد: ثقةٌ، من وجوهِ أصحابِنا، من أصحابِ الإمامينِ الهادي والعسكري عليهما السلام ، له كتاب. ينظر: رجال النجاشي: ١٣٨، ترجمة ٣٥٧، وخلاصة الأقوال: ١٣٣، ونقد الرجال: ٢: ١٥٩، ترجمة رقم: ١٦٨٦.

(٢) ابن بدر بن الجهم بن مسعود كان شاعرًا مجيدًا عالمًا بفنونِ الشعرِ من أهلِ بغداد ، عاصرَ أبا تمّام، واختصّ بالمتوكّل العبّاسي ثمّ غضب عليه، توفي سنة (٢٤٩ هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢٠: ١٧٨، ترجمة رقم: ٢٦٩، والوضّاعون وأحاديثهم: ٢٢٥، ومعجم رجال الحديث: ١٣: ١٤٣، ترجمة ٨٤١٧.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٢١.

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[1]»[2]، انتهَى الحديثُ مَوضِعَ الحاجَةِ.

وقَدْ عُلِمَ بجَميعِ ما تقدَّم:

أنَّ نِسبَةَ العِصيانِ إلى آدمَ حَقيقَةٌ وإن كانَ مِنَ الصّغائرِ فَلا يُغفَرُ مِن مِثلِهِ بلا توبَةٍ؛ ولذا تابَ إلى اللهِ تعالى مِرارًا فَتابَ اللهُ عَليهِ إنَّهُ هوَ التَّوّابُ الرّحيمُ.

في العِلَلِ: بابُ عِلَّةِ الذّنبِ وقَبولِ التّوبَةِ: بإسنادِهِ عَن فُراتِ بنِ أحنَف[3] عَن أبي جعفرِ الباقرِ عليه السلام قالَ: «لَولا أنّ آدمَ أذنبَ ما أَذنَبَ مُؤمِنٌ أبدًا، ولَولا أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ تابَ عَلى آدمَ ما تابَ عَلى مُذنِبٍ أبدًا »[4] انتهَى، وهذا أيضًا تَأييدٌ لِما سَبَقَ.

تَتميمٌ نَفعُهُ عَميمٌ:

اعلَم أنَّهُ يَجوزُ أن يَبدأَ اللهُ تعالى بالخَلقِ في الجَنَّةِ ويُنعِّمَهُم فِيها مُؤبَّدًا تَفَضُّلًا منهُ تعالى لا عَلى وَجهِ الثّوابِ؛ لِكَونهِ تعالى مُبتَدِئًا بالنِّعَمِ قَبلَ الاستِحقاقِ مُطلَقًا، وَيَضطَرُّهُم إلى مَعرفتِهِ تعالى وإلى فِعلِ الحَسَنِ وتَركِ القَبيحِ، فَقولُ أبي القاسِمِ البَلخِي[5] غيرُ مسموعٍ[6]. [٢٧٢]

---

(١) سورة طه ٢٠: ١٢١-١٢٢.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ١٧٤.

(٣) أبو مُحمّد العبديّ: من أصحابِ الإمام السّجّاد والباقرِ والصّادقِ عليهم السلام، رُمِيَ بالغلوِّ والتفريط في القول، كان زاهدًا في الدنيا. ينظر: رجال ابن الغضائري: ٨٤، ترجمة رقم: ١٠٨، ونقد الرجال: ٤: ١٣، ترجمة رقم: ٤٠٩٣.

(٤) علل الشرائع: ١: ٨٤.

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبيّ: من أعلامِ المعتزلةِ ورجالاتها، ومن كبارِ المتكلّمين، واسعُ المعرفةِ بمذاهب الناس، من مصنّفاتهِ: كتابُ المقالات، ومعرفةُ الرجال، والغرر، توفي سنة (٣١٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد: ٩: ٣٩٢، ترجمة رقم: ٤٩٦٨، والمنتظم في تاريخ الامم والملوك: ١٣: ٣٠١، ترجمة رقم: ٢٢٩٦.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: قولُنا: اعلم أنّه يجوزُ، إلى قولِنا: فَقَولُ أبي القاسمِ البَلَخي: إشارَةٌ إلى ما اختلفوا فيه، وهو: إنّه هل كان يجوز ابتداءُ الخلقِ في الجنّة؟ =

قولُهُ تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرأَ حمزةُ: (فأزالَهُما) بالألف[1]؛ لأنّ الثّباتَ الذي يُعنَى مِن قَولِهِ: (اسكنْ) يُقابلُهُ الزّوالُ الصّرفُ، والباقونَ: أزَلَّهما بالتّشديدِ؛ لأنَّ الشّيطانَ أوقَعَهُما في الزّلّةِ والعَثرةِ، وكَسَبَهما الزّلّةَ وحَمَلَهُما على الزّلَلِ والخَطأ والذّنبِ؛ ولِقولِهِ تعالى: إنَّما استَزَلَّهما الشّيطانُ، وأزَلَّ واستَزَلَّ بمَعنًى، فالقراءتانِ مُتقارِبَتا المعنى إلّا أزَلَّ يَقتضِي عَثرَةً مَعَ الزّوالِ.

اللغة:

الزّلّةُ والزّلَلُ والخَطيئةُ والذّنبُ والمعصِيةُ نَظائرٌ، يُقال: زلّت قدمُه زَلًّا، وزَلَّ في مقالتهِ زلّةً، والمَزِلّةُ بفتحِ الزّاي وكَسرِها: المكانُ الدّحض الذي تزلقُ عليه الأقدامُ ولا تثبت، وفي حديثِ صِفَةِ الصّراطِ: (مَدحَضَةٌ[2] مَزَلّةٌ)[3] هي مفعَلَة من زلَّ يزلُّ: إذا زلَقَ. وفي حديثِ عبدِ الله بنِ أبي سَرح:

= (فجوّز أهل العدل من البصريّين وغيرهِم ذلك، قالوا: يجوز أن يُنعّمهم الله في الجنّة مؤبّدًا، تفضّلًا منه، لا على وجه الثواب؛ لأنّ ذلك نعمة منه تعالى كما أنّ خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة. وقال أبو القاسم البلخي: لا يجوز ذلك؛ لأنّه لو فعل ذلك لا يخلو من أن يكونوا مُتعبّدين بالمعرفة أو لا يكونوا كذلك؛ ولو كانوا مُتعبّدين لم يكن بدّ من ترغيب وترهيبٍ، ووعدٍ ووعيدٍ، وكان يكون لابدّ من دار اخرى يُجازون فيها ويُخلّدون، وإن كانوا غير مُتعبّدين كانوا مُهمَلينَ وذلك غير جائزٍ.

وجوابهُ: إنّه عزّ وجلّ لو ابتدأ خلقهم في الجنّة لكان يضطرّهم إلى معرفته، ويُلجئهم إلى فعل الحسن وترك القبيح، ومتى راموا القبيح مُنِعوا منه، فلا يُؤدي إلى ما قاله، ولا يقدح هذا الإلجاء والاضطرار كما يقدح في دار التكليف، وهذا كما يُدخل الله الجنّة الاطفال وغيرُ المُكلّفين لا على وجهِ الثّواب).[مجمع البيان: ١: ١٦٩، ١٧٠].

(١) ينظر: السّبعة في القراءات: ١: ١٥٤، وحجّة القراءات: ١: ٩٤، والمكرَّرُ في ما تَواتَرَ مِنَ القراءات السّبع وتحرّر: ١: ٤٠.

(٢) داحضةٌ: زائلةٌ باطلةٌ، ودحضَ الرَّجلُ: زلقَ. مجمع البحرين: ٤: ٢٠٥، (دحض).

(٣) عنِ النبيِّ ﷺ في وصف الجسر الذي يُجعل بين ظهري جهنّم. صحيح البخاريّ: ٨: ١٨٢، كتاب التوحيد.

(فأزَلّهُ الشّيطانُ فَلَحِقَ بالكفّارِ)[1]، أي: حملهُ عَلى الزّلَلِ، وهوَ الخطأ والذّنبُ، وقَد يكونُ اشتِقاقُ الزّلّةِ مِنَ الزّليلِ وهوَ انتقالُ الشّيءِ مِن مَكانٍ إلى مكانٍ آخر، ويُناسب ذلك بحسب المعنى قراءةُ حمزة.

وفي نهايةِ ابنِ الأثيرِ: (وفيهِ مَن أزلَّت إليهِ نِعمةٌ فلْيَشكرها، أي: أُسدِيت إليهِ وأُعطيها، وأصله من الزّليلِ وهو انتقالُ الجسمِ من مكانٍ إلى مكانٍ، فاستُعيرَ لانتِقالِ النّعمَةِ مِنَ المُنعِمِ إلى المُنعَمِ عَليهِ، يُقال: زلَّت منه إلى فلانٍ نعمةٌ وأزلّها إليه)[2]. انتهى.

مِن ذلكَ قَولُ كُثيّرٍ:

وانّي وإن صدَّت[3] لَمثنٍ وصادقٌ عليها بما كانت إلينا أزلَّت[4]

والأصلُ في ذلكَ كُلِّه: الزّوالُ والانتقالُ، فَالزّلَّةُ: الزّوالُ عَنِ الحقّ، والحطُّ عن المرتبةِ، والايقاعُ في الخطأ والحملُ عليه، وقد مرَّ اشتقاقُ الشّيطانِ ومَعناهُ في تفسيرِ الاستعاذة.

والهبوطُ والنّزولُ والانحطاطُ والوقوعُ نظائرٌ، وهو التحرّك من علوٍّ إلى سِفلٍ حقيقةً أو حكمًا، كما في قولِهِ تعالى: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾[5] وهو الحلولُ في المكانِ والاقامةِ بهِ والذّلُّ، يُقال: هبطنا بلدَ كذا، أي: حللنا فيه. قال زهيرٌ:

ما زلتُ أرمقُهم حتى إذا هبطت أيدي الركابِ بهم من راكسٍ فلقًا[6]

(١) سنن النسائي: ٧: ١٠٧ ، كتاب تحريم الدم.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣١٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: قَولهُ: وإن صَدّت: مِنَ الصُّدودِ وهوَ الاعراضُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [سورة النساء ٤: ٦١]، وقولُهُ: قَسَمًا اليكَ مَعَ الصُّدودِ لَأميَلُ.

(٤) البيت من الطويل، ديوانه: ١٠١، يذكرُ فيهِ امرأةً، والشاهد فيه: استعماله لفظ أزلّت بمعنى أعطت. ينظر: تهذيب اللغة: ١٣: ١١٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٦) البيت من البسيط، ديوانه : ٧٣.

أرمقهم: ألحظهم وأنظر إليهم حزنا لفراقهم، الرّكاب : الإبلُ التي يُرحَلُ عليها، راكس: موضع في ديار بني أسد، وقيل هو اسم وادٍ، والفلق: المطمئن منَ الأرضِ. ينظر: الصّحاح: ٣: ٩٣٦، (ركس)، و معجم ما استعجم: ٢: ٤٠٧.

وفي الحديثِ: (اللّهم غبطًا لا هبطًا)(١)، أي: نسألُكَ الغبطةَ ونعوذ بك من الذُّلِ والانحطاطِ، ومنهُ قولُ العبّاس:

ثمَّ هبطتَ البلادَ لا بَشرٌ أنتَ ولا مُضغَةٌ ولا عَلقُ(٢)

أي: أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الدّنيا كُنتَ في صُلبِه غيرَ بالغٍ هذه الاشياءَ، يُقال: هبطَ يهبِطُ هبوطًا وهَبِط غيرُه. والعدوُّ ضدُّ الوليِّ، من العداوةِ وهي: المجاوزةُ عن الحدِّ.

والقرارُ: الثّباتُ والبَقاءُ، وضدُّ الأوّلِ الانزعاجُ، والثّاني الزّوالُ، والثّالِثُ الفناءُ، والاستِقرارُ: هو الكونُ أكثر من وقتٍ واحدٍ على حالٍ لمكانِ السّينِ، والمستقرُ: يجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا بمعنى الاستقرار، وأن يكون اسمًا للمكان الذي يُستقَر فيه ويُؤيِّدُ الأوّلَ طرفاه.

والمتاعُ والتمتّعُ والمتعةُ والتلذذُ متقاربةُ المعنى، والحينُ والمدّةُ والوقتُ والزّمانُ متقاربةُ المعاني، وقد يُستعمَلُ حين في مثلِ قولِهِ تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(٣) ستّة أشهر، وكلٌّ منها يصلحُ للأوقاتِ، كثيرةً كانت أم قليلةً إلّا أنَّ الحينَ في الاستعمالِ في الكثيرِ منها أكثر، والمدّةَ بالعكسِ، وفي حديثِ الآذان: (كانوا يتحيَّنون وقتَ الصّلوةِ)(٤)، أي: يطلبون حينها، وفي حديثِ الجِمارِ: (كُنّا نَتحيَّنُ زَوالَ الشّمسِ)(٥)، ومنهُ الحديثُ: (تحيَّنوا نوقَكُم)(٦) هو أن تحلبَها مرةً واحدةً في وقتٍ معلومٍ يُقال حيَّنتُها وتحيَّنتُها.

(١) غريب الحديث: ابن سلام: ٤: ٤٩٧، والفائق في غريب الحديث: ٣: ٤٦.

(٢) البيت من المنسرح، وهو من قصيدة للعبّاسِ بنِ عبد المطلب في مدح النبيِّ ﷺ. الحماسة المغربيّة: ١: ٤٦، والحماسة البصريّة: ١: ١٩٤.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٢٥.

(٤) بحار الأنوار: ٢١: ٣٧٤.

(٥) سنن ابي داوود: ١: ٤٤٠، حديث رقم: ١٩٧٢.

(٦) الفائق في غريب الحديث: ١: ٢٩٥.

الإعراب:

(الفاءُ): عاطفةٌ مفيدةٌ للتّعقيبِ، و(عَنها): مُتعلِّقٌ بـ(أزَلّهما)، وفي ضميرِ (عَنها) وَجهانِ:

أحَدُهما: كونُه عائدًا إلى الشّجرةِ فتكونُ عَن للسّببيّةِ، أي: حملهُما على الزّلّةِ بسَببِها فهي مثلها في قولِهِ تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(١)، وفي قولِهِ تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾(٢)، أي: لموعدةٍ، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾(٣)، أي: لِقولِكَ ونَحوِها في كونِها للتّعليلِ، وهذا أحسَنُ لِعدَمِ توَهُّم لزومِ التّكرارِ في الجملةِ كَما في الثّاني، ويؤيِّدُهُ قراءةُ عبدِ الله: (فوسوسَ لهُما الشيطانُ عنها)(٤)، أي: بسببِ الشّجرةِ. [٢٧٣]

وثانيهُما: كونُه عائدا إلى الجنَّةِ فتكونُ (عن) بمعناها الأصلي، أعني: البُعدَ والمجاوزةَ، أي: أزلّهما عن الجنَّة، بمعنى: أذهبَها وأبعدَهما عنها، فحينئذٍ يكون قولُه فأخرَجهُما من قَبيلِ عَطفِ المُفصَّلِ على المُجمَلِ على حدِّ قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾(٥)، وقوله ﷺ: «تَوضَّأ، فَغسَلَ وجهَهُ ويديهِ ومسحَ رأسَه ورجليهِ»(٦) بدليلِ الفاءِ، هذا إذا كان الموصولُ في (مِمّا) مُرادًا بِهِ الجنّةَ، أي: فأخرجَهُما الشيطانُ مِمّا كانا فيه، أي: مِنَ الجنّةِ الّتي كانا فيها. وتذكيرُ الضميرِ باعتبار لفظِ الموصولِ وأمَّا إذا كانَ المرادُ به النّعمُ والكرامةُ والتلذّذُ والراحةُ فهو من قَبيلِ عطفِ اللازمِ على الملزومِ؛ لأنّ المرادَ بالإخراجِ حينئذٍ الإخراجُ منَ التّنعّمِ والتّلذّذِ والرّاحةِ، وهو غيرُ الإخراجِ منَ الجنّةِ الذي يُفهَم من قولِهِ فأزلّهما وإن كان لازمًا لهُ، وعلى التّقديرينِ يكون (مِمّا) مُتعلّقًا بـ(أخرجَهما)، وجملةُ (بعضُكُم لبعضٍ عدوّ) مِن المبتدأ والخبرِ نعتٌ

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٨٢.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٤.

(٣) سورة هود ١١: ٥٣.

(٤) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٢: ١٥٢، والكشّاف: ١: ١٢٨.

(٥) سورة الأعراف ٧: ٤.

(٦) مسند أبي داود الطيالسي: ٢٢.

للإخراجِ، والمتعلِّقُ المُتقدِّمُ حالٌ منَ (الواوِ) في (اهبطوا)؛ لكونِها مع الضّميرِ. ومثلُه كثيرٌ فصيحٌ وليس بضعيفٍ أصلًا كما توهَّم ابن الحاجب(١)، وكذا جملةُ (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ): حاليّة، و(في الأرضِ): يجوزُ أن يكون مُتعلِّقًا بـ(لكم)، أو بما بعدهُ من الاسمينِ على سبيلِ التّنازعِ(٢) إن جَوَّزنا تقديمَ المتنازَعِ فيه إذا كان اسمًا ظاهرًا، أو بأحدِهما فقط إن لم نجوِّزه كما بيَّناهُ مُفصّلًا في زينةِ السّالكِ(٣). وامّا قولهُ (إلى حينٍ): فهو متعلّقٌ بهما على سبيلِ التّنازعِ بلا خلافٍ.

المعنى:

ثمَّ بيَّنَ عَزّ وجَلَّ حالَ آدمَ وحَوّاءَ وما آلَ إليهِ أمرهُما باختيارِهما بمُقتَضى مَشيئتِهِ سبحانهُ بعدَ أن بَيَّنَ عَداوَةَ الشّيطانِ لَهما والنّهي عَن اِطاعتهِ وقبولِ قولِهِ، فقال: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾، أي: حملهُما إبليسُ على الزّلّةِ والعَثرةِ بوَسوستِهِ لهما ودُعائهِ وإغوائِهِ إيّاهُما ﴿**عنها**﴾، أي: عَنِ الشّجرةِ، أي: بسبَبِها وحَملهُما على أكلِ ثَمرِها، أو المعنى: فَأذهَبَهما وأبعدَهُما وأخرجَهُما عَنِ الجَنّةِ وما كانا فيهِ مِنَ الرّتَبِ الكِرامِ بإزلالهِ وإغوائِهِ إيّاهما بقوله: هل أدُلُّكَ على شجرةِ الخلدِ ومُلكٍ لا يَبلى؟ وقولِهِ: ما نهاكُما ربُّكما عن هذهِ الشّجرةِ اِلّا أن تكونا مَلكينِ أو تكونا منَ الخالدينَ، وبمُقاسمتِهِ اِيّاهُما بقوله: إنّي لَكما من النّاصحينَ.

﴿**فأخرَجَهُما**﴾، أي: فأخرجَ إبليسُ آدمَ وحوّاءَ، ﴿**مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾، أي: من الجنّةِ الّتي كانا فيها؛ بسببِ أكلِ تلكَ الشّجرةِ، وحينئذٍ يكون الموصولُ عبارةً عن الجنّةِ وتذكيرُ الضّميرِ في (فيه) نظرًا إلى لفظِهِ هذا المعنى إذا كان الضميرُ في (عنها) للشّجرةِ، أو المعنى: فأخرَجَهُما ممّا كانا فيه، أي: مِنَ النّعمِ والكرامةِ والدّعةِ والرّتبةِ العظيمةِ بعد إزلالِهما عَن الجَنّةِ، هذا إذا كان الضميرُ في (عنها)

(١) ينظر: النجم الثاقب: شرح كافية ابن الحاجب: ١: ٤٣٥.

(٢) التّنازع: عبارةٌ عَن تَوجّهِ عاملينِ إلى مَعمولٍ واحدٍ، نحو: ضربتُ واَكرمتُ زيدًا، فكُلّ واحدٍ من (ضَربتُ) و(اَكرمتُ) يطلبُ زيدًا بالمفعوليّة. شرح ابن عقيل: ١: ٥٤٥.

(٣) مخطوط للمصنِّف.

للجنّةِ، أو المعنى: فأخرجَهما ممّا كانا فيه من الطاعةِ إلى المعصيةِ، وعلى التّقادير الثلاثةِ[1] تكون إضافةُ الإخراجِ إلى إبليس؛ لكونهِ سببًا فيه.

ذكرُ كيفيّةِ وصولُ إبليسَ إلى الجنّةِ، وذكرُ الأقوالِ فيها:

واختُلِفَ في كيفيّةِ وصولِ إبليس إلى آدمَ وحوّاءَ وهما في الجنّةِ حَتّى وَسوَسَ لَهما وأزالَهما بعدَ أن أُخرج لعنهُ اللهُ منَ الجنّةِ حين أبى منَ السّجودِ لآدمَ بقوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[2] فقيل: إنّ آدمَ وحوّاءَ كانا يخرجانِ إلى بابِ الجنّةِ وإبليسَ لم يكن ممنوعًا من الدنوِّ منه فكان يكلّمُهما، وكان ذلك قبل أن أُهبِطَ إلى الأرضِ وبعد أن أُخرِج من الجنّةِ عَنِ الجبّائي[3]، وقيل: قامَ لعنهُ اللهُ عندَ البابِ فناداهما بذلك وقاسمَهما[4]، ويُقوِّي هذين الوجهين ما مرَّ في كتاب الإيمانِ والكفرِ من الكافي: من كونِ أصلِ الشّجرةِ في خارجِ الجنّةِ، وبعضِ فروعِها كانَ في الجنّةِ[5]، وقيل: إنّهُ كَلّمَهُما منَ الأرضِ بكلامٍ عَرفاهُ وفَهِما منه[6]، وقيل: إنّه دخل في فمِ الحيّةِ وخاطبَهما من فقمِها[7]، والفقمُ: جانب الشدق[8]؛ لأنّه لعنه الله ممنوعٌ من دخولِ الجنّة بارزًا للملائكة؛ لأنّهم يمنعونه وهذا

[٢٧٤]

هو المذكورُ في تفسيرِ الإمامِ الحسنِ العسكريّ عليه السلام فقال: «فأزلّهما الشيطانُ بأن بدأ إبليسُ بآدم عليه السلام

---

(١) وهي: الإخراجُ من الجنّةِ، أو الإخراجُ منَ النّعمِ والكَرامةِ والدّعةِ، أو الإخراجُ منَ الطّاعةِ إلى المعصيةِ.

(٢) سورة الحجر ١٥: ٣٤.

(٣) ينظر: مجمع البيان: ١: ١٧٢.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١: ٣٣٧.

(٥) لم يقفِ الباحثُ على هذا القولِ في المصدرِ المذكورِ.

(٦) ينظر: تفسير القرطبيّ: ١: ٣١٢.

(٧) ينظر: تفسير الثّعلبيّ: ١: ١٨٣، وتفسير البغويّ: ١: ١٠٦، ومجمع البيان: ١: ١٧٢.

(٨) قال ابن منظور: «الفقمُ: اللّحيُ، وهو الفَمُ»، لسان العرب:١٢: ٤٥٧، (فَقَمَ)، وقال الخليلُ: «الشدقُ: الفَمُ من باطنِ الخَدّينِ». العين: ٥: ٣٤، (شَدَقَ)، وقال الفيروز آبادي: «الشّدقُ: جانبُ الفَمِ وسِعتِهِ». القاموس المحيط: ٣: ٢٤٩.

فقال: ما نهاكما ربُّكما عن هذهِ الشّجرةِ إلّا أن تكونا ملَكينِ، إن تناولتُما منها تعلمان الغيبَ، وتقدران على ما يقدرُ عليهِ من خصّه اللهُ تعالى بالقدرةِ، أو تكونا من الخالدينَ لا تموتان، وقاسمَهُما إنّي لكما لمن الناصحينَ، وكان إبليسُ بين لحيي[1] الحيّةِ أدخلَتهُ الجنّة، وكان آدمُ يظنُ أنّ الحيّةَ هي التي تخاطبهُ ولم يعلم أنّ إبليسَ قد اختبأ بين لحيَيها فردَّ آدمُ على الحيّةِ فقال: أيّتها الحيّة هذا من غرورِ إبليس كيفَ خاننا ربُّنا أم كيف تُعظّمين اللهَ بالقسمِ بهِ وأنتِ تنسبينهُ إلى الخيانةِ وسوءِ الظّنِّ وهو أكرمُ الأكرمينَ؟ أم كيف أرومُ التّوصّل إلى ما منعني منه ربّي وأتعاطاه بغير حكمةٍ؟ فلمَّا آيسَ إبليسُ من قبولِ آدم منه عادَ ثانيةً بين لحيي الحيّة، فخاطبَ حوّاءَ من حيث يُوهمها أنّ الحيّة هي التي تخاطبُها، وقال يا حوّاء أرأيتِ هذه الشجرةَ التي كان اللهُ عزّ وجلّ حرّمَها عليكما، فقد أحلَّ لكما بعد تحريمِها لما عرفَ من حُسن طاعتِكما له وتوقيركما إيَّاهُ يدلُّكِ أنّ الملائكةَ الموكَّلينَ بالشّجرةِ التي معها الحرابُ يدفعونَ عنها سائرَ الحيواناتِ لا تدفعُك عنها إن رُمتِها[2]، فاعلمي بذلك انَّه قد أحلَّ لك، وابشري بانَّك إن تناولتِها قبل آدم كنتِ أنتِ المتسلِّطةَ عليهِ الآمرةَ الناهيةَ فوقَه، فقالت حوّاءُ: سوف أُجرِّبُ هذا، فرامتِ الشّجرةَ فأرادت الملائكةُ أن يدفعوها عنها بحِرابِها فأوحى الله اليها إنَّما تدفعونَ بحرابِكم من لا عقلَ له يزجرهُ، فأمّا مَن جعلته متمكّنًا ممتازًا مُختارًا فكِلوهُ إلى عقلِهِ الذي جعلته حجّةً عليه، فإن أطاعَ استحقّ ثوابي، وإن عَصى وخالفَ أمري استحقَّ عِقابي وجَزائي، فتَرَكوها ولم يَتعرَّضوا لها بعدَ ما همُّوا بمنعِها بحرابِهم، فظنَّت أنَّ اللهَ نهاهم؛ لأنّه قد أحلَّها بعدَما حرَّمها، فقالت: صدقتِ الحيَّةُ، فظنّت أنَّ المخاطبَ لها هي الحيَّةُ، فتناولت منها ولم تُنكر مِن نَفسِها شيئًا، فقالت لآدم: ألم تعلم أنَّ الشّجرةَ المحرَّمةَ عَلينا قد أُبيحَت لنا، تناولتُ منها ولم تمنعني أملاكُها ولم أُنكِر شيئا من حالي؛ فلذلك اغترَّ آدم وغلطَ فتناولَ»[3]، انتهى.

---

(١) اللّحي: عظمُ الحَنَك، واللّحيانِ: العَظمانِ اللّذانِ تنبت اللّحيةُ على بَشَرتِها. مجمع البحرين: ١: ٣٧٣، (لحا).

(٢) أي: أردتِها.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٢ـ ٢٢٤.

وهذا الوجهُ أولى وإن كان الكُلُّ سديدًا، ويُؤيِّدُ ذلك قوله ﷺ: «ما آيسَ الشّيطانُ قطّ من بني آدم إلّا أتاهم من قِبلِ النّساءِ »[1]، معنى هذا الحديث: ما آيسَ الشّيطانُ من إغواءِ بني آدم وإذلالِهِم من جهةِ غيرِ النساءِ إلّا عازمًا على إتيانِهم وإغوائِهم من قِبلِهِنَّ كما في آدمَ وحوّاءَ. وقيل: إنّه لعنهُ اللهُ دخلَ الجنّةَ فَوسوَسَ لهما ابتلاءً لآدمَ وحَوّاءَ؛ لأنّهُ مُنِع من الدّخولِ على جهةِ التّكرمةِ، كدخولِ الملائكةِ ولم يُمنَع من الدخولِ على جهةِ الوسوسةِ ابتلاءً لهما[2]. وقيل: راسلَهُما بالخطابِ بأن أرسلَ بعضَ أتباعهِ إليهما فأزلَّهما[3].

وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على أنَّهُ شافههما بالخطابِ فوسوسَ إليه الشّيطانُ فقالَ يا آدمُ: هل أدلُّكَ على شجرةِ الخلدِ؟ وقال: ما نَهاكما الآيات، وإن كان المرادُ بالجنّةِ جنّةَ الدّنيا كما مرّ بيانهُ مرارًا فليسَ الإشكالُ بتلكَ المثابةِ، أو لا إشكالَ فيه.

بيانُ خطابِ الجمعِ في هذهِ الآيةِ:

﴿وقُلنَا اهبِطُوا﴾: خاطبَ الاثنينِ، أعني: آدمَ وحوّاءَ، خطابَ الجمعِ كما هو عادةُ العربِ؛ لوجهين:

أحدُهُما: إنَّ الاثنين أوّلُ الجمعِ، كما قال الله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[4]، أرادَ حكمَ داودَ وسليمانَ عليهما السلام، وكما تأوّلوا قوله تعالى: ﴿كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[5] على معنى: فإنَّ له أخوانِ كما هو المنصوصُ أيضًا[6]، ويُؤيّدهُ ما رواهُ العيّاشي عنِ الصّادقِ عليه السلام: « قالَ اللهُ تعالى لَهما اهبطا من

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١: ١٧٣، وتفسير الثعلبي: ٣: ٢٩١.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٢٩٨.

(٣) ينظر: زبدة التفاسير: ١: ١٢٨.

(٤) سورة الأنبياء ٢١: ٧٨.

(٥) سورة النساء ٤: ١١.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٩: ٥١٧.

سَماواتي إلى الأرضِ فإنّه لا يُجاورني في جَنّتي عاصٍ ولا في سَماواتي»[1]، ويُستفادُ من هذا الحديثِ إيشاءُ كونُ ضميرِ اهبطوا عائدًا إلى آدمَ وحوَّاءَ وإن كانَ بصيغةِ الجمعِ، وكونُ جنّةِ آدمَ في السّماءِ لا في الأرضِ، وكونَ مَعصيتِهما محمولةً على الحقيقةِ، وقولُهُ تعالى في موضعٍ آخر: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾[2]. [٢٧٥]

والثّاني: إرادتُهما صَريحةً معَ قَصدِ ذرِّيّتِهما ضِمنًا؛ لأنّهما أصلا هذا النّوعِ وهُم في صُلبهِ وتَرائبِها، كَما أومَأَ العَبّاسُ إلى هبوطِهِم في قَولِهِ:

ثمَّ هبطتَ البلادَ لا بَشَرٌ　　　أنتَ ولا مُضغةٌ ولا عَلَقُ[3]

أي: لَمَّا أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الدّنيا كنتَ في صلبهِ غير بالغٍ هذه الأشياءَ كما مرّ في ذكرِ اللغةِ، أو الخطابُ للجمعِ حقيقةً بإرادةِ آدمَ وحَوّاءَ وإبليسَ حيث أُخرِجَ من الجنّةِ ثانيًا بعد ما دخلها للوَسوسةِ، أو دخلَها مَخفيًّا عنِ الخَزَنةِ، أو مِنَ السّماءِ، ويُؤَيِّدُ ذلكَ ما في تفسيرِ الإمامِ العسكري عليه السلام: أنَّ هبوطَ إبليس مِن حَواليها[4]، أي: حوالي الجنّةِ لا في الجنّةِ فإنّه لعنهُ الله كان محرَّمًا عليهِ دخولُ الجنّة.

ويجوزُ أن يكونَ الخطابُ للجمعِ حقيقةً أيضًا بإرادةِ الثّلاثةِ ويكونُ المرادُ بإخراجهِم: إخراجَهُم من أصلِ الجنّةِ لكن لا دفعةً بل متفرِّقينَ، بأن كان إبليسُ قد أُخرِج قبل ذلكَ بدليلِ ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[5] فجمع سبحانهُ للنبيِّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم قد اجتمعوا في الهبوطِ منها وإن كانت أوقاتُهم متفرقةً فيهِ، كما يُقالُ: أُخرِجَ جميعُ مَن في المجلسِ وإن أُخرِجوا متفرقينَ.

ويجوزُ أيضًا أن يكونَ خطابُ الجمعِ على الحقيقةِ أيضًا بإرادةِ آدمَ وحوّاءَ والحيّةِ بناءً على

---

(١) تفسير العيّاشي: ٢: ١١.

(٢) سورة طه ٢٠: ١٢٣.

(٣) مرّ تخريجهُ وبيانُهُ.

(٤) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٤.

(٥) سورة الحجر ١٥: ٣٤.

التغليبِ، أو باعتبارِ[1] أنّ توجُّهَ الخطابِ إلى الحيّةِ توجُّهٌ إلى إبليسَ؛ لكونهِ في فَقمِها، كما مرَّ في تفسيرِ الإمام عليه السلام[2]، وفي الحديثِ: (قلنا يا آدم ويا حوّاءُ ويا أَيَّتها الحيّةُ ويا إبليسُ اهبطوا)[3]، وجميعُ هذهِ الأوجهِ السّتّةِ سَديدٌ وإن كان بعضُها أقوى.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، أي: مُتعادينَ يَبغي بعضُكُم على بَعضٍ؛ يعني آدمَ وحوّاءَ وذُرِّيّتَهما وإبليسَ وأولادَهُ، والحيَّةَ وأولادَها، وكذا عَداوةَ ذريةِ آدمَ بعضَهم لبعضٍ بإغواءِ إبليسَ وذريتِهِ وجنودِهِ وتضليلِهم إيَّاهُم، لكنَّ عداوةَ آدمَ وذريتِهِ لإبليسَ وذريتِهِ إيمانٌ، وكذا عداوةَ المؤمنينَ من ذريةِ آدمَ لكافريهم، وعداوةَ إبليسَ وذريتِهِ لآدمَ وذريتِهِ كفرٌ كما مرَّ، وكذا عداوةَ الكافرينَ مِن ذُرّيّةِ آدمَ لمؤمنيهم كفرٌ، وهذا الحالُ مِن قبيلِ الأحوالِ اللّازمةِ لصاحبِها لكنَّه ليس مثلَ قولهِ تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[4]، وقولِهم: (خلقَ اللهُ الزرافةَ يَديها أطولَ مِن رجليها)[5]؛ لأنّ هذا اختياريّ في الجملة بخلافِها[6]، وقد بَيّنّا جميعَ أقسامِها مفصَّلًا مستوفًى في زينةِ السّالكِ.

فليس هذا الخبرُ في الجميعِ أمرًا بذلك؛ بل هو تخويفٌ وتهديدٌ بالنّسبةِ إلى البعضِ؛ لأنّه سبحانه لا يأمرُ إبليسَ والكفّارَ بعداوةِ الأنبياءِ والأولياءِ والمؤمنينَ، لكنَّ الأنبياءَ والمؤمنينَ مأمورونَ بعداوةِ إبليسَ والكفّارِ ومَن يحذو حذوَهم؛ لأنّ ذلك من باب الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: بناءً على التّغليب أو باعتبار إلى آخره: رَدٌّ على صاحبِ المجمَعِ حيثُ قال: (وفيه بُعدٌ لأنَّ خطابَ مَن لا يَفهمُ الخطابَ لا يُحسنُ) [مجمع البيان: ١: ١٧٢].

(٢) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ١١: ١٩١.

(٤) سورة النساء ٤: ٢٨.

(٥) وهذا من كلام العرب، فالزرافة مفعول لـ(خلقَ)، و(يديها): بدلٌ منه، بدل بعض من كل، و(أطول): حال من الزرافة، و(من رجليها): متعلّق بأطول. ينظر: الكتاب: ١: ١٥٥، ومغني اللبيب: ٢: ٤٦٤، وشرح شذور الذهب: ٣٢٢.

(٦) أي: بخِلافِ خلقةِ الإنسانِ والزّرافةِ فَهما مَجبولانِ على ذلك، أمّا العداوةُ فهيَ اختياريّةٌ.

﴿وَلَكم فِي الأرضِ مُستَقَرٌّ﴾، أي: استقرارٌ ومقامٌ وثبوتٌ أو موضعُ استقرارٍ ومنزلٌ ومقرٌ، ﴿ومَتَاعٌ﴾، أي: تمتُّعٌ وانتفاعٌ وتلذّذٌ وتنعُّمٌ، ﴿إِلى حِينٍ﴾، أي: إلى انقضاء مدّة آجالِكم فلكلِّ امرئٍ مستقرٌ ومتاعٌ إلى وقتِ فناءِ أجلِهِ، أو إلى قيامِ القيامةِ وهو المرويّ عن الصّادق عليه السلام[1]، وكلاهما حقٌّ؛ لأنّ هذا باعتبار النّوعِ، والأوّلُ باعتبارِ الشخصِ، ولا تنافي بينهما أيضًا؛ لكون الموتِ قيامةً صغرى للأكثرينَ وكبرى للآخرينَ، كما في الخبر: (مَن مات فقد قامت قيامتُهُ)[2].

تتميم:

في تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ قولُهُ: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ الآية، قالَ: «فَهبطَ آدمُ على الصّفا وإنّما سُمِّيتِ الصّفا؛ لأنّ صفوةَ الله هَبَطَ عَليها، ونزلَت حَوّاءُ على المروةِ وإنّما سُمِّيتِ المروةُ؛ لأنّ المرأةَ نزلَت عَليها، فبقيَ آدمُ اربعينَ صباحًا ساجدًا يبكي على الجنّةِ فَنزلَ عليهِ جبرئيلُ عليه السلام فقالَ: يا آدمُ ألم يخلقكَ اللهُ بيدهِ ونفخَ فيك من روحهِ وأسجدَ لكَ ملائكتهُ؟ قالَ: بَلى، قال: وأمرك أن لا تأكلَ مِنَ الشّجرةِ فَلِمَ عَصيتَهُ؟ قال: يا جبرئيلُ إنّ ابليسَ حَلَفَ لي باللهِ انّه ليَ ناصحٌ، وما ظننتُ أنَّ خَلقًا خلقهُ اللهُ يحلِفُ باللهِ كاذبًا»[3].

وعن ابنِ أبي عُميرٍ[4] عن ابنِ مَسكان[5] عن أبي عبدِ الله عليه السلام قال:

---

(١) ينظر: التبيان: ١: ١٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨: ٧.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٣.

(٤) أبو أحمد زياد بن عيسى الأزدي من موالي المهلب بن أبي صفرة، بغدادي الأصل والمقام: لقي أبا الحسن الكاظم عليه السلام وسمع منهُ، وروى عن الرّضا عليه السلام ، كان جليل القدر، عظيم المنزلة عندنا وعند المخالفين، ممّن أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم. ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٦، ترجمة رقم: ٨٨٧، وخلاصة الأقوال: ٢٣٩، ترجمة رقم: ١٨.

(٥) أبو محمّد مولى عنزة: مولى ، ثقةٌ ، عينٌ ، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، كما روى عن الصادق عليه السلام ، له كتب، منها: كتاب في الإمامة، وكتاب في الحلال والحرام. ينظر: رجال النجاشي: ٢١٤، ترجمة رقم: ٥٥٩، ونقد الرجال: ٣: ١٤٢، ترجمة رقم: ٣٢٠٧.

«إنّ موسى عليه السلام سأَلَ ربَّهُ أن يجمعَ بينهُ وبينَ آدمَ عليه السلام فجمعَ فقالَ لهُ موسى: يا أَبَتِ أَلَمْ يخلقكَ اللهُ بيدِهِ ونَفَخَ فيكَ من روحهِ وأسجدَ لكَ ملائكتهُ وامَركَ أن لا تأكلَ مِنَ الشّجرةِ فَلِمَ عصيتَهُ؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبلَ خَلقي في التوراة؟ قالَ: ثلاثين ألفَ سنةٍ، قالَ: قالَ فهوَ ذلك، قالَ الصّادقُ عليه السلام: فَحَجَّ آدمُ موسى عليه السلام»[1].[٢٧٦]

في كتابِ الخِصالِ: مُحَمَّدُ بنُ سهلٍ البحرانيّ[2] يرفعُهُ إلى أبي عبد الله عليه السلام قالَ: «البكَّاؤون خمسةٌ: آدمُ ويعقوبُ ويوسفُ وفاطمةُ بنت محمدٍ صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليهما السلام، فأمّا آدمُ فبكى على الجنّةِ حتّى صار في خدَّيه مثالُ الأوديةِ»[3] ، الحديث.

في العللِ: بإسنادهِ إلى عمر بنِ عليٍّ[4] عن أبيهِ عَن عليِّ بن ابي طالبٍ عليه السلام: «إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله سُئِل مِمّا

---

(١) تفسير القمّي: ١: ٤٣، ٤٤.

(٢) أحد الرواة المعاصرين للإمام الكاظم عليه السلام ، كما يروي عن الإمام الصادق عليه السلام بواسطة، وروى عنه الصّدوق، لازمَ صفوان بن يحيى، ومُحمّد بن سنان. ينظر: الرسائل الرجالية: الكلباسي: ٣: ٦٢٩، ومعجم رجال الحديث: ١٧: ١٨٠، ترجمة رقم: ١٠٩٥٤.

(٣) الخصال: ٢٧٣: البكّاؤون خمسة.

ومنه في حاشية الأصل: وتمامُ الحديث: «وأمّا يعقوب فَبكَى على يوسفَ حَتّى ذَهبَ بصرُهُ، وحَتَّى قيلَ لهُ : ﴿تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[سورة يوسف ١٢ : ٨٥]، وأمَّا يوسُفَ فَبكَى على يعقوبَ حَتّى تأذّى بِهِ أهلُ السّجنِ فَقالوا له: إمّا أن تبكي الليلَ وتَسكتُ بالنّهارِ، وإمّا أن تبكي النّهارَ وتَسكتُ باللّيلِ، فَصالحَهم على واحدٍ منهُما، أمّا فاطمةَ فبكت على رسولِ الله صلى الله عليه وآله حَتَّى تَأذّى بها أهلُ المدينةِ فَقالوا لها: قَد آذيتنا بكَثرةِ بكائكِ، فكانت تخرجُ إلى المقابرِ - مقابر الشّهداء - فَتبكي حَتّى تَقضي حاجَتها ثمّ تنصرفُ، وأمّا عَليّ بنُ الحسينِ عليه السلام فَبكَى على الحسينِ عليه السلام عشرينَ سنةً أو أربعينَ سنةً، ما وُضِعَ بينَ يَديهِ طعامٌ إلّا بكَى حَتّى قالَ له مولى لهُ: جُعلتُ فداكَ يا ابن رسول الله إنّي أخافُ عليكَ أن تكونَ منَ الهالكينَ، قال: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِّ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ١٢ : ٨٦]: إنّي ما أذكرُ مصرعَ بني فاطمةَ إلّا خَنَقتني لِذلكَ عَبرَةٌ».

(٤) روى عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ، وروى عنهُ محمّدُ بنُ أحمد بن يحيى، لهُ كتابٌ في بابِ الوقفِ و الصّدقةِ، أخبرنا به الحسين بن عبيد الله عن أحمد بن محمد بن يحيى. ينظر: رجال الطوسي: ١٨٧، ترجمة رقم: ٥١٤، ومعجم رجال الحديث: ١٤: ٥٤، ترجمة رقم: ٨٧٩٠.

خلقَ اللهُ تعالى الكلبَ، قالَ: خَلقَهُ من بُزاقِ إبليس، قيلَ: وكيفَ ذاكَ يا رسولُ الله ؟ قالَ: لَمَّا أهبطَ اللهُ تعالى آدمَ وحَوّاءَ إلى الأرضِ أهبطَهُما كالفَرخَينِ المرتعِشَينِ، فَعَدا إبليسُ الملعونُ إلى السّباعِ وكانوا قبلَ آدمَ في الأرضِ فقالَ لَهم: انَّ طَيرينِ قَد وَقَعا من السّماءِ لَم يَرَ الرّاؤون أعظمَ منهما، تعالَوا فكلوهُما فَتعَادتِ السّباعُ معهُ وجعلَ إبليسُ يحثُّهم ويصيحُ ويَعدُهم بقُربِ المسافةِ، فَوَقعَ مِن فيهِ[1] مِن عَجلةِ كَلامِهِ بُزاقٌ فَخلقَ اللهُ تعالى من ذلكَ البُزاقِ كَلبينِ أحدُهُما ذكرٌ والآخر أنثى فقاما حولَ آدمَ وحوَّاءَ، الكَلبةُ بجَدّة، والكَلبُ بالهندِ فَلَم يَتركوا السّباعَ أن يَقربوهما، ومِن ذلكَ اليومِ الكلبُ عَدوُّ السَّبُعِ، والسَّبُعُ عدوُّ الكلبِ»[2].

وبإسنادهِ إلى زيدِ بنِ عليّ[3] عن آبائهِ عَن عَليٍّ صَلواتُ الله عليهم قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: إنّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ حينَ امَرَ آدمَ أن يَهبطَ هبَطَ آدمُ وزوجتُهُ، وهَبَطَ إبليسُ ولا زَوجةَ لهُ، وهَبطَ الحَيّةُ ولا زوجَ لها، فكان أوّلُ مَن لاطَ بنفسِهِ إبليسُ لعنهُ الله، فكانت ذُرّيتُهُ مِن نفسهِ، وكذلك الحَيَّةُ، وكانت ذريَّةُ آدمَ مِن زوجتهِ فَأخبرَهُما أنَّهُما عَدوّانِ لَهما»[4].

في نهجِ البَلاغَةِ: «ثمَّ أسكَنَ اللهُ سبحانهُ آدمَ دارًا ارغدَ فيها عيشتهُ وآمنَ فيها محلَّتهُ، وحذَّرهُ إبليسَ وعداوتهُ فأغترَّهُ عدوَّهُ نفاسةً عليه بدارِ المقامِ ومرافقةِ الأبرار، فباع اليقينَ بشكِّه، والعزيمةَ بوهنهِ، واستبدلَ بالجذلِ وَجَلًا[5] وبالاغترارِ ندمًا، ثمَّ بَسطَ اللهُ سبحانهُ لهُ في تَوبتهِ ولقّيهُ كلمةَ رحمتهِ، ووَعدَهُ المردَّ إلى جنّتهِ، فاهبطهُ إلى دارِ البليّةِ وتناسُلِ الذريَّة»[6].

---

(١) أي: من فمِهِ.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٤٩٦.

(٣) زيد بن علي بن الحسين: من أصحابِ السّجّادِ والباقرِ والصّادقِ عليهم السلام، كان مؤمنًا، عارفًا، عالمًا، صدوقًا، شهد له الصادقُ عليه السلام بالوفاء، وترحَّمَ عليه. ينظر: رجال ابن داود: ١٠٠، ترجمة رقم: ٦٦٣، نقد الرجال: ٢: ٢٨٧، ترجمة: ٢١٤٤.

(٤) علل الشرائع: ٢: ٥٤٧.

(٥) الجذل: الفرح. مجمع البحرين: ٥: ٣٣٧، (جذل)، والوجل: الخوف. العين: ٦: ١٨٢، (وجل).

(٦) نهج البلاغة: ٤٤.

وفيه أيضًا بعد أن ذكرَ آدمَ عليه السلام: «فأهبطهُ بعدَ التّوبةِ لِيعمُرَ أرضَهُ بنَسلِهِ، ولِيُقِمِ الحجَّةَ بهِ على عبادِهِ»[1]، انتهى.

ويُستفادُ مِن قَولِهِ عليه السلام: فأهبَطَهُ بعدَ التّوبةِ: أنَّهُ سبحانهُ تابَ عَليهِ في الجَنَّةِ ثمَّ أهبَطَهُ إلى الأرضِ، وهذا يُنافِي ظاهرَ القرآنِ إلّا أن نَقولَ هذا على المجازِ بالمشارَفَةِ.

ذكرُ هذه الأحاديثِ الأربعةِ لتمهيدِ حقِّيّةِ مذهبِ المحقَّةِ وتوضيحِ بطلانِ مذهبِ المعتزلةِ ومَن يَحذو حذوَهُم:

في أُصولِ الكافي في بابِ المشيئةِ والإرادةِ: بإسنادهِ عَن عَليِّ بنِ إبراهيمَ الهاشِمي[2] قالَ: سمعتُ أبا الحسنِ موسى بن جعفرٍ عليهما السلام يقول: «لا يكونُ شيءٌ إلّا ما شاءَ اللهُ وأرَادَ وقَضَى وقدَّرَ»[3]، الحديثُ، أي: لا يكونُ شيءٌ مِن فعلٍ أو تَركٍ اختياريٍّ لِلعِبادِ إلّا ما شاءَ اللهُ تعالى إلى آخره.

وعَن عبدِ اللهِ بنِ سنانٍ[4] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: سمعتهُ يقول: «أمرَ اللهُ ولَم يَشأ وشاءَ ولَم يأمرْ، أَمرَ إبليسَ أن يَسجُدَ لآدمَ وشاءَ أن لا يَسجدَ، ولو شاء لسجَدَ، ونَهى آدمَ عَن أكلِ الشّجرةِ وشاءَ أن يأكلَ ولَو لَم يشأ لم يأكلْ»[5].

---

(١) نهج البلاغة: ١٦٩.

(٢) ابو الحسن القمّي: ثقة في الحديث، ثبت معتمد صحيح المذهب، وصنف كتبا، منها: كتاب التفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب قرب الإسناد، توفي سنة (٣٢٩هـ). ينظر: رجال النجاشي: ٢٦٠، ترجمة رقم: ٦٨٠، وخلاصة الأقوال: ١٨٧، ترجمة رقم: ٤٥.

(٣) الكافي: ١: ١٥١: حديث رقم: ١.

(٤) ابن طريف مولى بني هاشم: كان خازنا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، كوفي، ثقة، من أصحابنا، لا يطعن عليه في شئ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، من أصحاب الكاظم عليه السلام، له كتاب الصّلاة الذي يُعرفُ بعملِ يوم وليلة، وكتاب الصلاة الكبير، وكتاب في سائر الأبواب من الحلال والحرام. ينظر: رجال النجاشي: ٢١٤، ترجمة رقم: ٥٥٨، ومعالم العلماء: ١٠٧، ترجمة: ٤٨٧.

(٥) الكافي: ١: ١٥١: حديث رقم: ٣.

وعَن أبي الفَتحِ الجُرجانيّ[1] عَن أبي الحسنِ الرّضا عليه السلام قالَ: «إنَّ لله تعالى إرادتينِ ومشيئتينِ: إرادةُ حَتمٍ وإرادةُ عَزمٍ، يَنهى وهو يَشاءُ، ويأمرُ وهو لا يشاء، أوَ ما رأيتَ انَّه نهى آدم وزوجتهُ ان لا يأكلا من الشجرةِ وشاء ذلكَ، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبَت مشيئتهما مشيئةُ الله تعالى، وأمَرَ إبراهيمَ أن يذبحَ إسحاقَ ولَم يَشأ أن يذبحَهُ، ولو شاءَ لما غَلبت مَشيئةُ إبراهيمَ مَشيئةَ الله تعالى»[2].

وعَن فُضيلِ بنِ يَسارٍ[3] قالَ: سمعتُ أبا عبدِ الله عليه السلام يقولُ: «شاءَ وأرادَ ولَم يُحِبّ ولَم يَرضَ، شاءَ أن لا يكونُ شَيءٌ إلّا بعلمِهِ وأرادَ مثلَ ذلكَ ولَم يُحبّ أن يُقالَ ثالثُ ثَلاثةٍ، ولَم يرضَ لِعبادِهِ الكُفرَ»[4]، انتهى. [٢٧٧]

فالحَديثُ الأوّلُ للرّدِّ على المعتزلةِ بقولِهِم: التفويضُ، وإقدارُ الله العبدَ على الجهتَينِ، فَصاروا قَدرِيَّةً بذلكَ القَولِ والرّأيِ[5]:

الأُولى: إقدارُ اللهِ تعالى العبدَ على فعلٍ بحيث يخرجُ عن يدهِ تعالى أزِمَّةُ ذلك الفعلِ ما دام هذا الإقدارُ، وهو معنى استقلالُ العبدِ في القدرةِ فيلزمُهم أن لا يكون اللهُ تعالى مُقلِّبَ القلوبِ والأبصارِ، وأن يصدرَ عن العبدِ ما يختارهُ وإن شاء الله أن لا يصدرَ؛ وسببُ ذلك قولهُم بوجوبِ كلِّ لطفٍ ناجعٍ[6] على الله تعالى فإنّه يلزمُهُ انّه لو كان في مقدورهِ تعالى لطفٌ ناجعٌ للكافرِ مثلاً

---

(١) أبو عبد الله بن يزيد: صاحب المسائل، من أصحاب الرضا والهادي عليهما السلام. إماميّ حسنُ العقيدةِ، لهُ أحاديث مفصّلة في التوحيد وشرح أسماء الله وغيرها، وباب المشيئة والإرادة. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٦: ١٩٢، ترجمة: ١١٥٠١.

(٢) الكافي: ١: ١٥١: حديث رقم: ٤.

(٣) أبو القاسم النّهديّ: ثقةٌ عينٌ، جليلُ القدرِ، روى عن الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام، له كتابٌ، روى عنه: حمّاد بن عيسى وهارون بن عيسى، توفي أيام الصّادقِ عليه السلام. ينظر: خلاصة الأقوال: ٢٢٨، ترجمة رقم: ١، ونقد الرجال: ٤: ٣٠، ترجمة رقم: ٤١٤٧.

(٤) الكافي: ١: ١٥١: حديث رقم: ٥.

(٥) ينظر: الملل والنحل: ١: ٤٣.

(٦) ناجع: (معروف، ونجَع فيه القولُ والخِطابُ والوَعْظُ: عَمِلَ فيه ودخل وأثّرَ). لسان العرب: ٨: ٣٤٨، (نجع).

لفعلَ؛ لأنّه تعالى لا يترك الواجبَ عليه تعالى مع قدرتِهِ عليهِ، فَلَمْ يَتحقّقْ كُفرُ الكافرِ؛ إلّا لِعدَمِ قدرتِهِ تعالى على اللّطفِ النّاجعِ لهُ.

الثّانيةُ: إقدارُ الله تعالى العبدَ في وقتٍ على فعلٍ في ثاني الوقتِ فيلزمه أن يكونَ العبدُ قادرًا بالاستقلالِ ولا يكونَ له تعالى مدخلٌ فيه أصلًا.

فَمذهَبُ المعتزلةِ أنَّه لا فرد لِمشيئةِ الله تعالى لفعلِ العبدِ أو تركهِ إلَّا بالأمرِ بهِ مع كونهِ تعالى بحيث إن قَدرَ على ما يُفضي إليهِ من اللّطفِ الناجعِ لَفَعلَ، فمشيئتُهُ تعالى عندهم متعلقةٌ بإيمانِ الكافرِ وإن لم يكن واقعًا؛ لِعدمِ قدرتِهِ تعالى على اللطفِ الناجعِ به[1]، فلم يصدق عندَهم: كلُّ ما شاء اللهُ كان وكلُّ ما لم يشأ لم يكن؛ بل قد يكونُ ما شاء إبليسُ ولا يكون ما شاء اللهُ.

وجهُ بُطلانِ مذهبِ المعتزلةِ:

وذلك المذهبُ باطلٌ لِوجهين:

الأوّلُ: إنّه يستلزمُ إخراجَ الله تعالى من سلطانهِ، ومضادّتهِ في ملكهِ.

الثاني: إنّ المشيئةَ التي أثبتوها لله تعالى من صفاتِ المخلوقِ الذي فيه الشّوقُ والميلُ إلى شيءٍ، وإنّما سُمّوا قدريَّةً؛ لأنّهم أثبتوا جميعَ القدرِ لأنفسهِم في فعلهِم وتركهِم، حيثُ كذبوا بقَدَرِ الله تعالى وجحدوهُ فيهما.

والحديثُ الثاني؛ لبيانِ عدمِ مساوقةِ مشيئتهِ تعالى وأمرهِ؛ لتحقّقِ كلٍّ منهما بدونِ الآخرِ، للردِّ على المعتزلةِ أيضًا.

والحديثُ الثالثُ لدفعِ شبهتين للمعتزلةِ:

تقريرُ الشّبهةِ الأولى:

إنّه لو أرادَ الله سبحانهُ عصيانَ العاصي لكانَ تكليفهُ بالطّاعةِ تكليفًا بغيرِ المقدورِ، وهو تكليفٌ بما لا يُطاقُ.

---

(١) الملل والنّحل: ١: ٤٥.

تقريرُ الشّبهةِ الثانية:

إنّ إرادةَ العصيانِ قبيحةٌ لا تصدرُ عنِ الله تعالى.

تقريرُ الدّفعِ:

إنَّ لله تعالى إرادتينِ: إحداهُما: إرادةُ حَتمٍ: أي لا يَبقى مَعَها للعَبدِ قُدرَةُ اختيارٍ، بَل يَصيرُ المرادُ محتومًا كَإرادتهِ تعالى مَرضَ العَبدِ وصحتَهُ مثلا. وثانيتُهُما: إرادةُ عَزمٍ، أي: يَبقى للعَبدِ مَعَها قدرةٌ واختِيارٌ وعَزمٌ، فَإرادتهُ الأُولى لا تكونُ في فعلِ العَبدِ أصلًا بَل هيَ في فِعلِهِ تعالى فقط، وإرادَةُ الله تعالى لِعِصيانِ العاصِي هيَ إرادتُهُ الثّانية، أعني: إرادةُ عَزمٍ لا إرادةَ حَتمٍ؛ لاستِحالةِ تعلُّقها معَ بقاءِ التّكليفِ فَلا يَلزَمُ تكليفُ ما لا يُطاقُ، والتّكليفُ بغيرِ المقدورِ كَما تَوهَّمتِ المعتزلةُ؛ ولأنّ وجوبَ العصيانِ بالنّسبةِ إلى إرادةِ الله تعالى للعصيانِ وجوبٌ لاحقٌ لا سابقٌ، ولا يلزم أيضًا أن يصدرَ عَن الله تعالى قَبيحٌ، وقِس على ذلك مشيئتَهُ تعالى لعصيانِ العاصي، فقولُهُ عليه السلام: يَنهى ويأمرُ في مثل هذا المقام[1] بمعنى قَد يَنهى وقَد يأمرُ؛ لأنّه تعالى في مقامٍ آخرَ يَنهى وهو لا يشاءُ المنهي عنه، ويأمرُ وهو يَشاءُ المأمور به.

ذكرُ معنى مشيئةِ الله تعالى في أفعالِ العبادِ على مَذهبِ المُحقّةِ:

فالمرادُ بمشيئتهِ تعالى في أفعالِ العبادِ كَما في حديثِ الخصالِ السّبعِ[2] وغيرِه أن يَصدرَ عنهُ تعالى أوّل ما عَلِمَ تعالى صدورَ ذلك الفعلِ أو التّركِ معهُ عنِ العبدِ في وقتِهما باختيارهِ مع قدرتهِ تعالى من الأفعالِ والتّروكِ على ما عَلِم تعالى صدورَ ما يُنافي ذلك الفعلَ والتركَ معه في وقتِهما عن العبدِ باختيارهِ، وتُسمّى تلكَ المشيئةُ: مشيئةُ عزمٍ ومشيئةُ اختيارٍ أيضًا، ويُعبَّر عنها أيضًا في أحاديثِ أهلِ

---

(١) إشارةٌ إلى ما وردَ عن أبي الحسنِ الرّضا عليه السلام آنفًا.

(٢) عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: « لا يكون شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ إلّا بهذهِ الخصالِ السّبعِ: بمشيئةٍ، وإرادةٍ، وقَدرٍ، وقضاءٍ، وإذنٍ، وكِتابٍ، وأجَلٍ، فمَن زعِمَ أنّه يقدرُ على نقضِ واحدةٍ من هذه الخصالِ السّبعِ فقد كفرَ». الكافي: ١: ١٤٩.

العصمةِ والطهارةِ عليهم السلام بالذكرِ الأوّل[1] وبالهَمِّ بالشيءِ[2] وبابتداءِ الفعلِ[3]، أعني: إحداثَ الشّيءِ، وهو مشيئةٌ جامعةٌ لاختيارِ العبدِ مع قدرتهِ على خلافهِ، فالذّكرُ الأوّلُ لِفَيضانِ زيدٍ مثلًا: إحداثُ الماءِ الذي هو أوّلُ المخلوقاتِ، وهو مادةُ سائرُ الحوادثِ.

وللمشيئةِ أربعةُ إطلاقاتٍ أُخرَ: [٢٧٨]

أحدُها: الشّوقُ إلى الشّيءِ والميلانُ إليهِ والهمُّ بهِ، وهو أن يكونَ تعالى مائلًا راغبًا إلى فعلٍ للعبدِ أو تركهِ بحيث إذا قَدِرَ على أمرٍ علمَ تعالى أنّه يُفضي إلى صدورهِ عن العبدِ باختيارهِ، وأنَّ عدمَه يُفضي إلى عدمِ صدورهِ عنه باختيارهِ، وهو المُعبَّر عنهُ في أحادِيثِهم عليهم السلام بالضّميرِ[4]، وذلك كما في مشيئةِ العبادِ لأفعالِهم، وهذا المعنى هو الذي توهَّمهُ المعتزلةُ أنَّه مِصداقُ مشيئةِ الله تعالى في أفعالِ العبادِ وهو باطلٌ عندنا بالنسبة إليه تعالى؛ بل هذا المعنى مختصٌّ بمشيئةِ العبدِ لأفعالهِ.

وثانيها: التدبيرُ مطلقًا، وهو القدرُ المشتركُ بينَ الأربعِ الأُوَل، سواءٌ كان مشيئةً، أو إرادةً، أو قَدَرًا، أو قَضاءً، أو مُركّبًا مِن اثنتينِ، أو ثلاثًا، أو أربعًا، كما في أمثالِ هذهِ الآياتِ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ﴾[5]، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ﴾[6].

وثالثُها: القَدرُ المشتركُ بينَ المعنى الأوّلِ والثّاني[7].

(١) ومن ذلك قولُ إمامنا الرّضا عليه السلام: « يا يونس تَعلَم ما المشِيئة؟ قلتُ: لا ، قالَ: هيَ الذّكرُ الأوّلُ». روضة المتقين: ١٢: ٥٥.

(٢) الهمُّ بالشّيء: (أن يُريدَه ويَقصدَهُ، بأنّه يُحدِّثُ نفسَهُ بِهِ وهوَ معَ ذلكَ مُقبلٌ على فعلهِ). مجمع البحرين: ٦: ١٨٨، (همّ).

(٣) ومِن ذلكَ ما وردَ عن عليِّ بنِ إبراهيم الهاشِمي قالَ: سمعتُ أبا الحسنِ موسى بن جعفر عليهما السلام يقولُ:« لا يكونُ شيءٌ إلّا ما شاءَ اللهُ وأرادَ وقَدّرَ وقَضى، قلتُ: ما معنى شاءَ ؟ قالَ: ابتداءُ الفعلِ ». روضة المتقين: ١٢: ٥٩.

(٤) ومِن ذلكَ ما وردَ عن صَفوانِ بنِ يحيى، قالَ: قلتُ لأبي الحسن عليه السلام: « أخبرني عنِ الإرادةِ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ ومِنَ الخلقِ؟ قالَ: فقالَ: الإرادةُ مِنَ الخلقِ الضّميرُ ». الفصول المهمة: ١: ١٩٤.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٢٣، ٢٤.

(٦) سورة الإنسان ٧٦: ٣٠.

(٧) قولُهُ: بينَ المعنى الأوّلِ، أعني: ما قُلنا أنّهُ المرادُ بمشيئتهِ تعالى في أفعالِ العبادِ، وقولُهُ: والثّاني، أعني: مشيئةَ العبادِ لأفعالِهم.

ورابعُها: القَدرُ المشتركُ بينَ المعنى الأوّلِ والثّالثِ، وهذا القدرُ كافٍ في هذا المقامِ، فتذكَّر فإنّهُ يَنفعُكَ جدًّا إن شاء اللهُ تعالى.

والحديثُ الرابعُ أيضًا للردِّ على المعتزلةِ ومَن ذهبَ مذهبَهم من الإماميةِ [1].

في روضَةِ الكافي: بإسنادهِ عَن مقاتلِ بنِ سليمان[2] قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام كم كانَ طولُ آدمَ حينَ أُهبِط بهِ إلى الأرضِ، وكَم كان طولُ حوَّاءَ؟ قالَ: «وَجدنا في كتابِ عليٍّ عليه السلام إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَمَّا أهبطَ آدمَ وزوجتَهُ عليهما السلام إلى الأرضِ كانت رِجلاهُ بثنيَّةِ الصّفا ورأسُهُ دونَ أُفُقِ السّماءِ، وأنَّهُ شَكى إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ما يُصيبُهُ مِن حرِّ الشّمسِ فأوحَى اللهُ عزَّ وجَلَّ إلى جبرائيلَ عليه السلام: إنّ آدمَ قَد شَكى ما يُصيبُهُ مِن حرِّ الشّمسِ، فَاغمزهُ غَمزَةً وصَيِّر طولَهُ سبعينَ ذراعًا بذراعِهِ، واغمز حوَّاءَ غَمزَةً وصَيِّر طولَها خمسةً وثلاثينَ ذراعًا بذراعِها»[3].

دعاءٌ للدّنيا والآخرة:

وفي معيشةِ الكافي: عن مِسمَعٍ[4] عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «لَمَّا أُهبِطَ آدمُ إلى الأرضِ احتاجَ إلى الطّعامِ والشّرابِ فَشَكى إلى جبرائيلَ عليه السلام، فقال له جبرائيل: يا آدمُ كنْ حرّاثًا، قال: فعَلِّمني دعاءً، قالَ: قلِ اللّهم اكفني مَؤنةَ الدّنيا وكلَّ هَولٍ دونَ الجنَّة وألبِسني العافيةَ حتى تُهنِّئني المعيشةَ»[5].

---

(١) ومنهم الاسماعيليّة. ينظر: الملل والنحل: ١: ١٨٠، والمذاهب الاسلامية: ٢٦٩.

(٢) ابو الحسن البلخي: صاحب التّفسير، روى عن الضَّحّاك بن مزاحم وعطاء ومجاهد والزهري، من أصحاب الباقرِ والصّادق عليهما السلام ، وعُدّ من مشاهيرِ مُفسِّري العامّة، من مصنّفاته: كتاب التّفسير، والناسخ والمنسوخ، وكتاب القراءات، ومتشابه القرآن، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٧: ٣٧٣، ونقد الرجال: ٤: ٤١٢، ترجمة رقم: ٥٤٠٩، والذريعة: ٤: ٣١٥، ترجمة رقم: ١٣٣٤.

(٣) الكافي: ٨: ٢٣٣، حديث رقم: ٣٠٨.

(٤) أبو سيّار، كردين بن عبد الملك بن مِسمَع (بكسر الميم الأول، وفتح الثاني): عظيم المنزلة، قال له الصادق عليه السلام: (إنّي لأعدّك لأمر عظيم يا أبا السيّار)، روى عن الباقر ، وأكثر الرّواية عن الصادقِ، كما رَوى عنِ الكاظم عليه السلام، له كتابٌ. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٢٠٣، ترجمة رقم: ٥٨٣، وإيضاح الاشتباه: ٣٠١، ترجمة رقم: ٧٠٥.

(٥) الكافي: ٥: ٢٦٠، حديث رقم: ٤.

في الخِصالِ: عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «لمَّا أهبَطَ اللهُ آدمَ مِنَ الجنَّةِ أهبَطَ معهُ مائةً وعشرينَ قضيبًا[1]، منها: أربعونَ ما يُؤكَلُ داخلُها وخارجُها، ومنها أربعونَ ما يُؤكَل داخلُها ويُرمى خارجُها، ومنها أربعونَ ما يُؤكَل خارجُها ويُرمى داخلُها، وغِرارةٌ[2] فيها بزرُ كلِّ شيءٍ من النّباتِ»[3].

في كتابِ كمالِ الدينِ وتمامِ النعمةِ: عَن عَليٍّ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقولُ فيه عليه السلام لبعضِ اليَهودِ وقَد سألَهُ عن مسائلَ: «يا يَهوديّ أمَّا أوّلُ حجرٍ وُضِعَ على وجهِ الأرضِ فإنَّ اليَهودَ يزعمونَ أنَّها صخرةُ بيتِ المقدسِ وكَذَبوا ولكنَّه الحجرُ الأسودُ الذي نزلَ بِهِ آدم معهُ من الجنَّة، وأمَّا أوّلُ شجرةٍ نَبتَت على وجهِ الارضِ فإنّ اليَهودَ يزعمون أنَّها الزّيتونةُ وكَذَبوا ولكنَّها نخلةُ العجوةِ، نزلَ بها آدم عليه السلام معهُ من الجنَّة»[4].

وعَن يحيى المدائنيّ[5]: عَن أبي عبدِ الله عليه السلام عَن عليٍّ عليه السلام مثلَه إلَّا أنَّه ذَكرَ الفجلَ[6]. وعَنِ الحَكَمِ بنِ مِسكينِ الثّقفي[7] عَن صالحٍ عَن جعفرِ بنِ مُحمّدٍ عَن عَليٍّ عليه السلام مثلَه إلَّا ذَكَرَ الفجلَ أيضًا[8].

---

(١) القضيبُ والقَضبُ: (كُلُّ شجرةٍ طالت وبَسطَت أغصانُها). القاموس المحيط: ١: ١١٧، (قضب).

(٢) الغِرارةُ: (الجَوالِقُ: وهو وعاءٌ كبيرٌ). ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٣٧. ولسان العرب: ٥: ١٨،(غرر).

(٣) الخصال: ٦٠١، حديث رقم: ٤.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٩٥.

والعجوة: (تمرٌ بالمدينةِ، يقالُ: إنّهُ غرسَهُ النّبيُّ صلى الله عليه وآله). العين: ٢: ١٨٣، (عجو).

(٥) أبو إبراهيم المديني: روى الصّدوق في الصحيح: عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عنه، عن أبي عبد الله عليه السلام، كما روى عن أبي هارون العبديّ وأبي سعيد الخدريّ. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٨: ٤٨٠، ترجمة رقم: ١٧٤١٢.

(٦) ينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١: ٣٧٣.

والفجل: (نباتٌ يكونُ لآكلِهِ جشاءٌ خبيثٌ). العين: ٦: ١٢٨، (فجل).

(٧) أبو محمّد: كوفيّ، مولى ثقيف، المكفوف، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه الحسن بن موسى الخشّاب، واكثر الرواية عن محمّد بن مروان، له كتب منها: كتاب الوصايا، كتاب الطلاق، كتاب الظهار. ينظر: رجال النجاشي: ١٣٦، ترجمة رقم: ٣٥٠، ونقد الرجال: ٢: ١٤٥، ترجمة رقم: ١٦٢٧.

(٨) ينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١: ٣٧٤.

ذكرُ دلالاتِ هذهِ الآيةِ وما هوَ حَقُّ المقامِ لِرفعِ الإيهامِ:

في هذه الآيةِ دلالةٌ واضحةٌ على أنَّه تعالى لا يُحِبُّ المعصيةَ ولا يرضى لعبادهِ المعصيةَ ولا الكفرَ، وإن شاءَ وأرادَ مشيئةَ عَزمٍ واختيارٍ وإرادةَ عَزمٍ واختيارٍ كما بيَّنّاهُ مفصّلًا آنفًا، وعلى أنّه تعالى لا يَصدُّهُ أحدًا عن الطّاعةِ ولا يخرجُهُ عنها إلى المعصيةِ، وعلى أنَّه تعالى لا يُسبِّبُ المعصيةَ؛ لأنّه تعالى وتقدَّسَ نَسبَ ذلك إلى الشّيطانِ، تعالى ربُّنا عمَّا نسبهُ إلى الشّيطانِ، وعلى أنّ لِوَسوَسَةِ الشّيطانِ تأثيرًا في المعاصي.

خدشةٌ على صاحبِ مجمعِ البَيانِ في هذه المسألةِ الكَلاميّةِ:

وقالَ في المجمَعِ: « وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّ الله تعالى لا يُريدُ المعاصيَ»[1] إلى آخرهِ فيهِ خَبطٌ عظيمٌ؛ لأنّه ﷺ إن أرادَ أنَّه تعالى لا يُريدُ المعاصيَ مِنَ العبادِ أصلًا، لا إرادةَ حَتمٍ ولا إرادةَ عَزمٍ كَما هوَ الظّاهرُ المُتبادَرُ مِن كَلامِهِ في هذا الموضِعِ، وجميعِ المواضِعِ في هذا الكتابِ، فقد نقصَ واحدةً من الخصالِ السّبعِ في أفعالِ العبادِ[2]، فقَد لَزمَ الكفرَ، وكأنَّ الباعثَ له ﷺ على ذلكَ شيئان:

أحَدُهما: أنّه لو أرادَ الله عصيانَ العاصيَ لكان تكليفُهُ بالطّاعةِ تكليفًا بغيرِ المقدورِ، وتكليفًا بما لا يُطاق كما توهَّمهُ المعتزلةُ. [٢٧٩]

وثانيهما: إنّ إرادةَ العصيانِ قبيحةٌ لا تصدرُ عن اللهِ تعالى، فقد ذهبَ في ذلكَ مذهبُ المعتزلةِ فَلزِمَ عليهِ ما لَزمَ عليهِ مِنَ الأمورِ المذكورةِ سالفًا وآنفًا، وعرفتَ جوابَهما شافيًا كافيًا، وإن أرادَ أنّه تعالى لا يُريدُ المعاصيَ من العبادِ إرادةَ حتمٍ فقط كما هو الحقُّ فمسَلَّمٌ؛ لأنّ إرادتَه الحتميَّةَ لا تتعلَّق بأفعالِ العبادِ وإلَّا استحالَ التكليفُ كما مرّ آنفًا، وإن أراد أنّه تعالى لا يُريدُها منهم إرادةَ عزمٍ فقط فقد لزمَ عليه ما قلناهُ في الكافي: في بابِ: إنَّه لا يكون شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ إلَّا بسبعةٍ: بإسنادهِ عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لا يكون شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ إلَّا بهذهِ

(١) مجمع البيان: ١: ١٧٣.

(٢) قد مرَّ ذكرُها آنفًا.

الخصالِ السّبعِ بمشيئةٍ وإرادةٍ وقَدرٍ وقضاءٍ وإذنٍ وكِتابٍ وأجَلٍ، فمَن زعِمَ أنّه يقدرُ على نقصِ واحدةٍ من هذه الخصالِ السّبعِ فقد كفرَ»[1]، وقد مرَّ الحديثُ عَن أبي الحسنِ موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: « لا يكونُ شيءٌ إلَّا ما شاءَ الله وأرادَ وقدَرَ وقضى »[2] إلى آخرِه، وعن فضيلِ بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « شاءَ وأرادَ ولم يُحبّ ولم يرضَ »[3] إلى آخرِ ما مرَّ قُبيلُ، والعجبُ من هؤلاءِ العلماءِ الأجلّةِ انّهم حَفِظوا مذهبَ المعتزلةِ المفوِّضَةِ وراعَوهُ في جمهورِ المسائلِ ولم يحفَظوا أحاديثَ أهلِ العصمةِ والطّهارةِ صلواتُ الله عليهم فوقَعوا في الخَطَلِ من حيثِ لا يشعرونَ، وما توفيقي إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

قولُهُ تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأ جمهورُ القرّآءِ: برفعِ آدمَ، ونصبِ كلماتٍ، وابن كثير: بالعكسِ[4].

الحجّةُ:

حجَّةُ ابن كثيرٍ: إنَّ القراءتينِ متقاربتانِ، فإنّ الأفعالَ المتعدّيةِ ثلاثةُ أنواعٍ:
منها ما لا يجوزُ فيهِ أن يكونَ الفاعلُ مفعولًا بهِ، نحو: أكلتُ الطعامَ وشربتُ الماءَ، ومنها ما يجوزُ فيهِ أن يكونَ الفاعلُ مفعولًا بهِ نحو: ضربَ زيدٌ عمرًا، لكنَّه يتغيّرُ المعنى، ومنها ما يكون اسنادُهُ إلى الفاعلِ كإسنادهِ إلى المفعولِ بهِ نحو: أصابَ ونالَ وتلقَّى وما شاكلَها، يُقال: أصابَني شيءٌ وأصبتُ شيئًا، ونالني خيرٌ ونلتُ خيرًا، وتلقَّاني زيدٌ وتلقَّيتُ زيدًا، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[5]، حيثُ قرَأَ عبدُ الله: (لا ينالُ عهدي الظّالمونَ)[6] كما سيأتي في هذه السّورة.

(١) سبق تخريجه آنفًا.

(٢) سبق تخريجه آنفًا.

(٣) سبق تخريجه آنفًا.

(٤) أي: بنصبِ آدمَ كونه مفعولًا لـ(كلمات) الفاعل، فالكلماتُ هي التي استقبلت آدم. ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ١: ٧٠.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

(٦) إذ رفع الظالمون على انه الفاعل لـ(ينالُ). ينظر: الحجّة للقرّاء السّبعة: ٢: ٤٢.

اللغة:

تلَقِّي الشّيءِ: استقبالُهُ بالأخذِ والقَبولِ، وتلَقِّي الكلماتِ: استقبالُها بالأخذِ والقبولِ والعملِ بها حين أخَذَها وعُلِّمها، يُقال: يتلقَّى بالقرآنِ بمعنى يُتعلَّمُ ويُتواصى بهِ ويُدعى إليهِ، ومنه قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[(١)] أي ما يُعلَّمُها ويُنبَّهُ عليها ويأخُذُها بالقبولِ إلّا الصّابرونَ.

والتّلقِّي: التّلقُّنُ والتّكلُّمُ بها لقَّنَه بعينهِ، ومنه أُخذَ التّلقينُ المعروف[(٢)] ويُقال: تلقَّيتُ منهُ كلمةً، أي: أخذتُها وقبلتُها منه، وتلقَّيتُهُ بالقبولِ، أي: قبلتُ منهُ، وأصلهُ من: لقِيتُ خيرًا، متعدِّيًا إلى مفعولٍ واحدٍ، ثمَّ تعدَّى إلى مفعولين بتضعيفِ العينِ، نحو: لقَّيتُ زيدًا خيرًا، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[(٣)]، ومُطاوُعهُ: تَلقَّيتُه، أي: قبلتُه منهُ وأخذتهُ مستقبلًا، وتلقَّيتُ الرّجلَ: استقبلتُهُ، وتلقَّاني رجلٌ: استقبلَني، ومنه تلقِّي الرّكبانِ: وهو أن يستقبلَ الحَضَريُّ البَدَويَّ قبل وصولهِ إلى البلدِ ويخبرَهُ بكسادِ ما معهُ كذبًا؛ ليشتري سلعتهُ بالوكسِ[(٤)] وبأقلَّ من ثمنِ المثلِ، وذلك تغريرٌ محرّمٌ؛ ولذا نُهي عنه[(٥)]، ولكنَّ الشّراءَ منعقدٌ، ثمّ إذا ظهرَ كذبُهُ فظهرَ الغُبنُ ثبتَ الخيارُ للبائعِ[(٦)]، ومنه «إذا التقى الختانانِ فَقد وجبَ الغسلُ»[(٧)]، أي: إذا استقبلَ أحدُهما الآخرَ وتحاذيا،

---

(١) سورة القصص ٢٨: ٨٠.

(٢) ويراد منه تلقين الميِّت وهو: (تذكيره بالشهادتين والولاية ، وأمور أخرى في دينه). معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٢٥.

(٣) سورة الإنسان ٧٦: ١١.

(٤) أي: النّقصُ. الصّحاح: ٣: ٩٨٩، (وكس).

(٥) ومن ذلك ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: لا تلقَ، فإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نَهى عنِ التّلقّي». وسائل الشيعة: ١٧: ٤٤٢، حديث رقم: ٢٢٩٤٩.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٤: ٢٦٦، وجامع المقاصد: ٤: ٣٧.

(٧) الكافي: ٣: ٤٦، حديث رقم: ٢.

سواءٌ تلامَسا أو لم يتلامَسا، وتظهرُ فائدتهُ فيما إذا لَفَّ على عُضوِهِ خرقةً ثم جامعَ فإنَّ الغُسلَ يجبُ عليهِ وإن لم يلمس الختانُ الختانَ [١] خلافًا لأبي حنيفةَ[٢].

والكلماتُ: جمعُ كلمةٍ، وهي جنسٌ تحته ثلاثةُ أنواعٍ، وقد تقعُ على الكلمِ والكلامِ لقوله ﷺ: «أصدقُ كلمةً قالهَا شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ» [٣]، إشارةٌ إلى قصيدتهِ اللّاميّةِ، أعني: قولَهُ:

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ ... أَنحبٌ فيُقضى أم ضَلالٌ وباطلُ

أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

الأبيات[٤].

وقولُه تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[٥] مبيَّنةً بقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[٦]. [٢٨٠]

والكلامُ والقولُ واللفظُ متقاربةُ المعاني، قال تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾[٧]، يُقال: تكلَّمَ تكلُّمًا: تحدَّثَ، وتكالَمَا تكالُمًا: تحادثا بعد تَهاجرٍ، و(الكلمةُ الباقيةُ: كلمةُ التّوحيدِ)[٨] والتّسبيحاتُ الأربعُ، وعيسى عليه السلام كلمةُ اللهِ؛ لأنّه كان بكلمةِ كُن مِن غَيرِ أبٍ، ومنهُ: بكَلماتِكَ استَحلَلتُ فَرجَها، وهي إباحَةُ اللهِ الزّواجَ أو صيَغها، ومنهُ: (أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامّاتِ)[٩]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٤: ٢٦٧.

(٢) ينظر: المبسوط: ١: ٦٨، والجوهر النّقي: ١: ١٦٤.

(٣) مسند أحمد: ٢: ٤٧٠. وأوردَ الحديثَ العلّامةُ المجلسيّ في البحار: ٦٧: ٢٩٥، بلفظِ: قالتها العرب.

(٤) البيتان من الطويل، قالهما لبيد بن ربيعة في رثاء النعمان بن المنذر. ديوانه: ١٤٤، وينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١: ١٠٧، والمستطرف في كل فن مستظرف: ١: ٢٣.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٦٤.

(٦) سورة آل عمران ٣: ٦٤.

(٧) سورة النساء ٤: ١٤٨.

(٨) الوافي: ٣: ٨٠٩، حديث رقم: ١٤١٥.

(٩) الكافي: ٢: ٥٧١، حديث رقم: ٧.

هي القرآنُ أو صفاتُهُ تعالى أو المعصومونَ مِن أوليائِهِ، ومنهُ: الكَلمُ وهو الجرحُ لجامعِ التأثيرِ، يُقال: كَلَمُه: إذا جَرَحَهُ فهو: كَلومٌ وكَليمٌ، ومنه الحديث: ‹ إنّا نقومُ على المرضى ونداوي الكلمَى›[1]، هي جمعُ كليمٍ وهو: الجريحُ[2]، فعيلٌ بمفعولٍ.

والتّوبةُ والرّجوعُ والنّدمُ والإقلاعُ والإنابةُ نظائرٌ، وفي مجمعِ البيانِ: ‹قالَ أبو القاسم البلخيّ: والتّوبةُ والإقلاعُ والإنابةُ نظائرٌ، وضدُّ التّوبةِ: الاصرارُ›[3] انتهى، والتوّابُ: الرّجّاعُ، وقابلُ التوبِ كثيرًا، ومرةً بعدَ مرةٍ، وأصلُ التّوبةِ وحقيقتُها: الرجوعُ والعَودُ عن ما سَلفَ، والنّدمُ على ما فرّطَ والعَودُ إلى الانقيادِ والإطاعةِ، والرّجوعُ إلى الرّحمةِ والغفرانِ، فالعبدُ تائبٌ إلى اللهِ برجوعهِ وندمهِ مِن معصيتهِ تعالى إلى انقيادِه، واللهُ تائبٌ على العبدِ برجوعهِ إلى العَطوفةِ والرّحمةِ على عبدهِ وتوفيقهِ إلى التّوبةِ، لكنّها إذا نُسِبت إلى العبدِ تعدَّت بـ(إلى) نحو قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾[4]، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [5]، ﴿ تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[6]، وإذا التوبةُ نُسِبت إلى اللهِ تعدَّت بـ(على) كما في هذهِ الآيةِ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[7] الآية؛ لِتضمينِ معنى العطوفةِ والاشفاقِ والمرحمةِ وتوفيقِ المراجعةِ إليهِ، فمَعنى التّوبةِ مِنَ العَبدِ: رجوعُهُ إلى اللهِ تعالى بالانقيادِ والطّاعةِ، والاعترافِ بعد العِصيانِ والاقترافِ، ومِنَ اللهِ تعالى: رجوعهُ بالمرحمةِ والعطوفةِ على عَبدهِ العاصيَ، وبتوفيقهِ وإلهامهِ التّوبةَ أوّلًا، ثمَّ قبولِهِ إيّاها منهُ آخرًا، فكأنّ له تعالى

---

(١) صحيح البخاري: ١: ٨٣، وقد وردَ الحديثُ في المصادرِ الحديثيّةِ بلفظِ: ‹ كُنّا نُداوي الكَلمَى ونَقومُ عَلى المرضَى›، ولَعلَّ التّقديمَ والتّأخيرَ راجعٌ إلى أنّ المُصنِّف يكتبُ مِن حفظِهِ.

(٢) لسان العرب: ١٢: ٥٢٥، (كلم).

(٣) مجمع البيان: ١: ١٧٣.

(٤) سورة النور ٢٤: ٣١.

(٥) سورة البقرة ٢: ٥٤.

(٦) سورة التحريم ٦٦: ٨.

(٧) سورة النساء ٤: ١٧.

تَوبتينِ، وللعبدِ تَوبةً واحدةً بينَهما؛ ولذلكَ إنَّه هو التوَّابُ، أي: الكثيرُ الرجوع على عبادهِ بالرّحمةِ والمغفرةِ بتوفيقهِ إيّاهم لها وإعانتِهم عليها وإلهامهِم إيَّاها، والكثيرُ القبولِ لتوبتِهم.

ذِكرُ ثلاثةِ معانٍ لآيةِ سورةِ التّوبةِ:

كَما قال تعالى في سورةِ التوبةِ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1]، أي: وفَّقهم للتّوبةِ وألهمَهُم إِيَّاها ليَرجِعوا فإذا رجَعوا قبِلَ توبتَهم؛ لكونِهِ توَّابًا، ويجوزُ أن يكون معنى آية سورةِ التوبةِ: ثمَّ تابَ اللهُ على مُتقدِّميهم وقَبِلَ توبتَهم، وجعلَهُ سُنَّةً للمتأخِّرينَ؛ لِيتوبوا بأن تكون تلكَ السُنَّةُ داعيةً لهم إلى التّوبةِ كَما مرَّ في تفسيرِ الآيةِ السّابقةِ، في حديثِ العللِ، في بابِ علَّةِ الذّنبِ وقبولِ التّوبةِ[2]، أو معناها: أنَّه تعالى تابَ على المذنبينَ ذنوبَهم التي صدرَت منهُم فيما مضى وقَبِلَ توبتَهم؛ ليَتوبُوا هُم بأعيانِهِم إليه فيما يُستَقبلُ.

والرحمةُ قد مرَّت لغةً ومعنًى في ﴿بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وفي سورةِ الحمدِ.

الإعراب:

(الفاءُ): للعَطفِ، مفيدةً للسّببيَّةِ، ومُفصِحةً للشّرطِ المقدَّرِ، كما نُشيرُ إليه في ذكرِ المعنى، و(آدمُ) بالرفعِ: [فاعلُ] تلقَّى، و(كلماتٍ) بالنّصبِ: مفعوله؛ وهذا أَولى؛ لأنّ آدمَ هو المُستقبِلُ الآخِذُ، وبالعكسِ على قراءةِ ابنِ كثيرٍ على معنى: أنَّ الكلماتِ استقبلَت آدمَ وبلَغَتهُ، و(الفاءُ) الثّانية: كذلكَ، والباقي: واضحٌ.

المعنى:

لَمَّا أَذنبَ آدمُ وحوَّاءُ بمخالفةِ أمرِ ربِّهما وارتكابِ نهيهِ، وجَرَى عليهِما ما جرى بسببهِ من نَزعِ اللباسِ والإخراجِ من الجنَّةِ والاهباطِ، ونسبةِ العصيانِ والغِوايةِ، ونِسيانِ العهدِ، وعَدم العزيمةِ إليهِ، ومن إلحاقِ الذّلِّ عليهِ وظهورِ أَثرِ العِصيانِ والخطيئةِ في أعضائهِ وسائرِ بدنهِ، ندمَ وتأسَّفَ

---

(١) سورة التوبة ٩: ١١٨.

(٢) علل الشرائع: ١: ٨٤.

واعتذرَ إلى ربِّه الكريمِ بأن ذكرَ آلاءَهُ وعدَّدها وسَبقَ رحمَتهُ غضبَهُ بأن قال: يا ربِّ ألم تخلُقني بيدِكَ؟ قال: بلى، قال: يا ربِّ ألَمْ تنفخ فيَّ الروحَ؟ قالَ: بلى، قال: يا ربِّ ألم تسبِقْ رحمتُكَ غضبَكَ؟ قال: بلى، قال: ألم تُسكنِّي جنَّتَكَ؟ قال: بلى، قالَ: يا ربِّ إن تُبتُ وأصلحتُ أراجعِي أنتَ إلى درجَتي ومَرتبتِي فلقد تبيَّنَ نقصُ الخطيئةِ وذُلُّها بأعضائي وسائرِ بدني؟ قال تعالى: نعم، إذا تذكَّرتَ ما أمرتُكَ عند شدائدِكَ ودواهِيكَ بأسماءِ أوليائِي المكتوبةِ في يمينِ عرشِي محمدٍ وآلهِ الطّيبينَ. إلى آخرِ ما نذكرهُ من تفسيرِ الإمامِ عليه السلام[1]. [٢٨١]

وهيَ المرادةُ بالكلماتِ التي لقَّنَها اللهُ آدمَ ووجَّهَها إليهِ وعلَّمَها إيَّاهُ، فاستقبلَها وأخذَها وتلقَّاها بالقبولِ والعملِ بها، فقال: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾، أي: إذا صدرَ هذا الأمرُ من آدمَ وندِمَ وتأسَّفَ واعتذرَ إلى ربِّهِ أدركتهُ رحمتهُ وألقى سبحانَهُ إليهِ كلماتٍ ولقَّنَها إيَّاهُ بأن قالَ: توسَّل بها وادعُنِي بها وتُب إليَّ من ذنبكَ مُستمسِكًا بها، فاستقبلَ آدمُ من ربِّه تعالى شأنُه تلكَ الكلماتِ وتلقَّاها بالقبولِ وأخذَها منه على سبيلِ الطّاعةِ ورغبَ إليهِ تعالى بها وسألَه بحقِّها وتابَ من ذنبهِ متوسِّلًا بها كما يَتبيَّنُ لكَ ممَّا سنذكرهُ في تفاصيلِ الكلماتِ.

﴿**فتَابَ**﴾ اللهُ ﴿**عَلَيْهِ**﴾، أي: فلَمَّا تلقَّاها آدمُ بالقبولِ وأخذَها منه إلى آخرهِ رجعَ اللهُ عليهِ بالرّحمةِ والمغفرةِ ووفَّقهُ لذلكَ وقبِلَ توبتَه رحمةً منهُ وتحنّنًا، واستجابَ دعوتَهُ بأن وعدَه مردَّه إلى الجنَّةِ بعد انقضاءِ الحينِ، كما نصَّ على ذلكَ في نهجِ البلاغةِ كما ذكرناهُ في ذيلِ تفسيرِ الآيةِ السّابقةِ من قولهِ عليه السلام: «ثم بسطَ اللهُ سبحانهُ لهُ في توبتهِ ولقَّاه كلمةَ رحمتهِ ووعَدَهُ المردَّ إلى جنتِّه فأهبطَهُ إلى دارِ البليّةِ»[2] إلى آخرِه، وهَداهُ كَما قالَ تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[3]، والفاءانِ تُنبئانِ على ما حُذِف من الكلامِ على ما ذكرناهُ إيجازًا كما هو حقُّ البلاغةِ؛ بل

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ٤٣، صفة خلق آدم عليه السلام.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٢١، ١٢٢.

حُذِفَ شيءٌ آخرُ أيضًا؛ لأنَّ معنى الآيةِ في الحقيقةِ فتلقَّى آدمُ وحوّاءُ من ربِّهما كلماتٍ فتابَ عليهما، بدليلِ الآيةِ السابقةِ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ الآية، لكنَّه سبحانَهُ اكتفى بذكرِ آدمَ بأن قالَ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ لوجهين:

أحدُهُما: لِلإيجازِ والاختِصارِ، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾(١) ومعناهُ: أن يرضُوهُما، وقولِهِ تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾(٢) على وجهٍ، ومعناها: وإنَّهما لكبيرتانِ، وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(٣)، أي: إليهما، وقولِ البُرجُميّ:

ومَن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُهُ   فإنِّي وقيَّارٌ بها لَغريبُ(٤)

وقولِ الآخرِ:

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما   عندكَ راضٍ والرأيُ مُختلِفُ(٥)

وقولِ آخرِ:

رماني بأمرٍ كنتُ منهُ ووالدِي   بريئًا ومن أجلِ الطَّويّ رماني(٦)

---

(١) سورة التوبة ٩: ٦٢.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٣) سورة الجمعة ٦٢: ١١.

(٤) البيت من الطويل. ينظر: خزانة الأدب: ٩: ٣٢٩.

الشاهد فيه: قوله: لغريبٌ بصيغة المفرد مع أنّ السّياقَ يقتضِي تثنيته، أي: لغريبان.

وقائله: ضابئُ بنُ الحارث البُرجُميّ: شاعرٌ، كثيرُ الشرِّ، أدركَ الإسلامَ، كان مولعًا بالصّيدِ، وحبِّ الخيل، جَنَى جنايةً في خلافةِ عثمانَ فَحبسَهُ حتى مات سنة (٣٠هـ). ينظر: والأعلام: ٣: ٢١٢.

(٥) البيت من المنسرح، وهو لقيس بن الخطيم أحد فحول الشعراء في الجاهلية. ينظر: جمهرة أشعار العرب: ١١، وشرح العينيّة الحميريّة: ٤٥٩.

الشاهدُ فيه: وأنت بما عندك راضٍ، وتقديره: راضون، فحذف للإيجاز والاختصار.

(٦) البيت من الطويل، قيل: هو لعمرو بن أحمر الباهلي، وقيل: للأزرق بن طرفة بن العَمَرَّد الفَراصِيّ. ينظر: كتاب سيبويه: ١: ٧٥. وجاء في لسان العرب: ١١: ١٣٢، : «وهو الصّحيحُ لأَنَّ الشّاعر كان بينه وبينَ خصمهِ حُكُومة في بئر، أي: رماني بأمر عادَ عَليهِ قُبحُهُ؛ لأَنَّ الّذي يَرْمي مِن جُولِ البِئرِ يعودُ ما رَمَى بِه عَليهِ».

والشاهد فيه قوله: بريئًا: وتقديره: بريئان.

والثّاني: لِكَونِها تَبعًا لآدمَ في الحُكمِ؛ ولذلكَ وغيرِهِ طُوِيَ ذكرُ النّساءِ مواضِعَ القرآنِ والسنَّةِ.

﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ**﴾، أي: الرّجّاعُ وكثيرُ القبولِ للتّوبةِ، يقبلُ توبةَ عبادهِ مرةً بعد مرةٍ ويقبلُ توبتَهم وإن عظُمَت ذُنُوبُهم، وهو في صفةِ العبادِ كثيرُ التّوبةِ، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ بالتّائبينَ تفضُّلًا دون استحقاقٍ، فذكَرَ الرّحمةَ بعد قبولِهِ توبةَ عبدِهِ إشارةً إلى أنَّهُ متفضِّلٌ بقبولِ التّوبةِ ومُنعِمٌ بهِ، وإيماضٌ[1] إلى أنَّ ذلكَ ليسَ على وجهِ الوجوبِ، ووَعدٌ للتّائبِ بالإحسانِ بعد الغفرانِ وسقوطِ عقابِ ذنوبِهِ.

تنبيهٌ:

قالَ في المجمعِ: «قالَ الحسنُ البصريُّ: لَم يَخلقِ اللهُ آدمَ إلَّا لِلأرضِ ولَو لَم يَعصِ لأخرَجَهُ إلى الأرضِ على غَيرِ تلكَ الحالِ، وقال غَيرُهُ: يجوزُ أن يكونَ خلقَهُ للأَرضِ إن عَصى ولِغيرِها إن لَم يَعصِ، وهوَ الأقوَى»[2]، انتهى.

أقولُ: ظاهرُ القرآن إنِّي جاعلٌ في الأَرضِ خليفةً، والأحاديثُ تُقوِّي قولَ الحسنِ بل تُعيِّنُ ذلكَ كما لا يخفى، وفي العُيونِ: عنِ الرّضا عليه السلام: «وأمّا قولُه تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإنّ اللهَ عزّ وجَلَّ خَلقَ آدمَ حُجّةً في أَرضِهِ وخَليفةً في بلادِهِ ولم يخلقهُ للجنَّةِ، وكانت المعصيةُ مِن آدمَ في الجنَّةِ لا في الأرضِ؛ لِيتمَّ مقاديرُ الله عَزَّ وجَلَّ فلَمّا أُهبِطَ إلى الأرضِ وجُعِلَ حُجَّةً وخليفةً عُصِمَ بقولِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾[3] الآية»[4]، انتهى. هذا نَصٌّ فيما قُلناهُ، والحقُّ أحقُّ أن يُتّبعَ.

إرشادٌ فيه سدادٌ: [٢٨٢]

أُختُلِفَ في الكلماتِ التي تلقَّاها آدمُ وحوّاءُ من ربِّهما، ما هيَ؟

فقالَ سعيدُ بن جُبير وقتادةُ وعكرمةُ والحسنُ: «هي ما حَكاهُ اللهُ تعالى في القرآنِ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا

(١) الإيماض: الإشارةُ الخفيَّةُ. ينظر: تاج العروس: ١٠: ١٧٨، (ومض).

(٢) مجمع البيان: ١: ١٧٦، وينظر: تفسير الماوردي: ١: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٣٣.

(٤) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ١٧١، بتغيير طفيف.

أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١]؛ لأنَّ في ذلك اعترافًا بالخطيئةِ؛ فلذلكَ وقعت مَوقعَ النّدمِ، وحقيقتهُ: الإنابةُ[٢].

وقالَ في روضةِ الكافي: عَن عليِّ بنِ إبراهيمَ عَن أَبيهِ عَن ابنِ أَبي عُميرٍ عَن إبراهيمَ صاحبَ الشّعيرِ[٣] عَن كُثيرِ بنِ كُلْثُمَة[٤] عن أَحدِهما عليهما السلام في قولِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: «هي لا إِلهَ إِلَّا أنتَ سبحانكَ اللهُمَّ وبحمدكَ عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فاغفر لي وأنتَ خيرُ الغافرينَ، لا إِله إِلَّا أَنتَ سبحانكَ اللهُمَّ وبحمدكَ عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فاغفر لي وارحمني وأنتَ أرحمُ الرّاحمينَ، لا إِله إِلَّا أَنتَ سبحانكَ اللهُمَّ وبحمدكَ عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فتُب عليَّ إنّكَ أنتَ التّوّابُ الرّحيمُ»[٥] .

وفي روايةٍ أُخرى: وقولهُ تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: «سأَلَهُ بحقِّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ عليهم السلام»[٦]، وفي أُخرى: «بحقِّ محمدٍ وآلِ محمدٍ»[٧] .

وفي معاني الأخبار: (عَن أبي سعيد المدائني[٨] رفعهُ في قول اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

(١) سورة الأعراف ٧: ٢٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ١٧٥.

(٣) إبراهيم الشّعيري: روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، وروى عنه ابن أبي عُمير، وفيه إشعارٌ بوثاقتِهِ وفي بعضِ الرّوايات عن ابن أبي عمير عن إبراهيم صاحب الشعير . ينظر: أعيان الشيعة: ٢:١٤٤، ترجمة رقم: ٢٤٣، ومعجم رجال الحديث: ١: ٣٢٨، ترجمة رقم: ٣٥٥.

(٤) أبو الفضل، وقيل: كلثم، وقيل: كلثوم، وقيل: كليم النمريّ، الكوفيّ، محدّثٌ إماميٌّ ثقةٌ، من أصحاب الصادق عليه السلام، كما روى عن الإمام الباقرِ عليه السلام، روى عنه إبراهيمُ صاحب الشعير. ينظر: رجال ابن داود: ١٥٦، ترجمة رقم: ١٢٤٢، والفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام:٢: ٦١٤، ترجمة رقم: ٢٦٨٣.

(٥) الكافي: ٨: ٣٠٤، حديث رقم: ٤٧٢.

(٦) الكافي: ٨: ٣٠٤، حديث رقم: ٤٧٢.

(٧) وسائل الشيعة: ٧: ١٠٠، حديث رقم: ٨٨٤٦.

(٨) أبو سعيد المدائنيّ: من أصحاب الصّادق عليه السلام ، وقع في طريق الكلينيّ، علَّمهُ الصّادق عليه السلام ما يقوله في صلاة جعفر. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٨: ٣٩٥، ترجمة رقم: ١٦٩٥٩، ومعجم رجال الحديث: ٢٢: ١٨٦، ترجمة رقم: ١٤٣٤٨.

كَلِمَاتٍ﴾ قالَ: سَألهُ بحقِّ محمَّدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ عليهم السلام)[1].

وعَنِ المفضّلِ بنِ عُمر[2] عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقولُ بعدَ أن ذكرَ آدمَ وحَوَّاءَ: « تمنَّيا منزلةَ أهلِ البيتِ عليهم السلام فَلَمَّا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يَتوبَ عليهما جاءَهما جبرئيلُ فقالَ لَهما: إنَّكما ظلمتُما أَنفسَكُما بتمنِّي منزلةِ مَن فُضِّل عليكما فجزاؤكُما ما قد عُوقبتُما بهِ من الهبوطِ من جوارِ الله عزَّ وجلَّ إلى اَرضِهِ فَاسألا ربَّكُما بحقِّ الاسماءِ الّتي رأيتُماها على ساقِ العرشِ حتى يتوبَ عليكُما، فقالا: اللهُمَّ إنّا نسألكَ بحقِّ الأكرمينَ عليكَ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ والأئمَّة إلَّا تُبتَ علينا ورحمتَنا، فتابَ اللهُ عليهما إنَّهُ هو التّوّابُ الرحيمُ »[3].

وفي تفسيرِ الإمامِ الحسنِ العسكريّ عليه السلام: « فَلَمَّا زلَّت مِن آدمَ الخطيئةُ، واعتذرَ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، قال: يا ربِّ تُب عليَّ، واقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديكَ درجَتي فَلَقَد تبيَّنَ نقصُ الخطيئةِ وذلّها في أعضائي وسائر بدني، قالَ اللهُ تعالى: يا آدمُ أما تذكر أمري إيّاكَ بأن تدعُوَني بمحمدٍ وآلهِ الطّيّبينَ عندَ شَدائدكَ ودَواهيكَ، وفي النّوازلِ الّتي تُبهظكَ[4]؟ قالَ آدمُ: يا ربِّ بلى، قالَ اللهُ تعالى: فَبِهِم بمُحمَّدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ صلواتُ الله عَليهِم خصوصًا فادعُني أُجبك إلى مُلتَمَسِكَ، وأزدْكَ فوقَ مُرادكَ، فقالَ آدمُ: يا ربِّ و إلهي وقَد بَلَغَ عندكَ مِن مَحلِّهم أنَّكَ بالتّوسُّلِ بهم تَقبلُ تَوبَتي وتغفرُ خَطيئتي، وأنا الّذي أسجَدتَ لهُ مَلائكتكَ، وَأبحتَهُ جنَّتكَ، وزوَّجتهُ حوَّاء أمَتَكَ، وأخدمتهُ كرام ملائكتكَ!، قالَ اللهُ تعالى: يا آدمُ إنّما أمرتُ الملائكةَ بتعظيمِكَ

---

(١) معاني الأخبار: ١٢٥.

(٢) أبو عبد الله الجعفي: روى عن الصادقِ والكاظمِ عليهما السلام، له كتابٌ، ولهُ وصيّةٌ يرويها. ينظر: معالم العلماء: ١٥٩، ترجمة رقم: ٨٣٦، وقد ورد فيه كلام كثير بين علماء الرجال ذكره السيد الخوئي في معجمه وفصّل القولَ فيه، حتّى وصل إلى القول: (والنتيجة أنّ المفضّل بن عمر: جليل، ثقة). معجم رجال الحديث: ١٩: ٣٣٠، ترجمة رقم: ١٢٦١٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦: ٣٢٢.

(٤) (بهظه الأمرُ: أثقلهُ وسبّبَ لهُ مشقّة). القاموس المحيط: ٢: ٣٩٣ (بهظ).

بالسّجودِ لكَ إذ كنتَ وعاءً لهذهِ الأنوارِ، ولَو كنتَ سألتني بهم قبلَ خطيئتِكَ أن أعصمَكَ منها، وأن أفطِّنَك لدواعي عدوِّك إبليسَ حتى تحترزَ منهُ لكنتُ قد جعلتُ ذلك، ولكنَّ المعلومَ في سابقِ علمي يجري موافقًا لعلمي، فالآنَ فبِهم فادعُني لأُجبكَ.

فعندَ ذلكَ قالَ آدمُ: اللّهُمَّ بجاهِ مُحَمَّدٍ وعَليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ والطَّيّبينَ من آلهمُ لَمَّا تفضَّلتَ بقبولِ تَوبتي وغُفرانِ زَلَّتي واعدتَني من كراماتِكَ إلى مَرتَبتي، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: قد قُبلَت تَوبتُك، وأقبلتُ برضواني عَليكَ، وصَرفتُ آلائي ونَعمائي إليكَ وأعدتُكَ إلى مرتبتِكَ من كَراماتي، ووفَّرتُ نَصيبكَ مِن رحماتي. فَذلكَ قولُهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾»[1].

وفي الخصالِ: عَن ابنِ عَبّاس قالَ: سألتُ النَّبيَّ ﷺ عَنِ الكلماتِ الّتي تَلقّاها آدمُ مِن ربِّه فتابَ عليهِ قالَ: «سَألهُ بحقِّ مُحَمَّدٍ وعَليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ إلَّا تُبتَ عَليَّ فَتابَ عليهِ»[2] [٢٨٣]

وعَنِ المفضَّلِ بنِ عُمرٍ عَنِ الصّادقِ جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قالَ: سَألتُهُ عن قولِ الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[3]، ما هذهِ الكلماتُ؟ قالَ: «هيَ الكلماتُ الّتي تَلقّاها آدمُ مِن ربِّه فتابَ عليهِ، وهوَ أنَّهُ قالَ: يا ربِّ أسألكَ بحقِّ مُحمّدٍ وعَليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ إلَّا تُبتَ عَليَّ فتابَ اللهُ عليهِ إنَّهُ هوَ التّوّابُ الرّحيمُ»[4].

بيانُ أنَّ مِن جملةِ هذهِ الكلماتِ: قَميصُ رسولِ الله ﷺ أو القَسَمُ بهِ:

عَن جعفرِ بنِ مُحمّدٍ الصّادقِ عَن أَبيهِ عَن جَدِّه عَن عَليِّ بنِ أَبي طالبٍ عليهم السلام قالَ: «إنّ اللهَ تَباركَ وتعالى خَلقَ نورَ مُحمدٍ ﷺ قبلَ أن يَخلقَ السّماواتِ والأرضَ والعرشَ والكرسيَّ واللوحَ والقلمَ والجنَّةَ والنّارَ إلى أن قالَ: حَتّى أخرجَهُ مِن صُلبِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطّلبِ فَأكرَمَهُ بستِّ كراماتٍ:

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) الخصال: ٢٧٠، حديث رقم: ٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

(٤) الخصال: ٣٠٥، حديث رقم: ٨٤.

ألبسَهُ قَميصَ الرِّضا، وَردَّاهُ رِداءَ الهَيبةِ، وتوَّجَهُ بتاجِ الكَرامةِ، وألبسَهُ سَراويلَ المعرفةِ، وجعلَ تكَّتَهُ[1] تكَّةَ المَحبةِ يَشُدُّ بها سَراويلَهُ، وجعلَ نعلَهُ نعلَ الخوفِ، وناولهُ عَصا المنزلةِ، ثمَّ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يا مُحَمَّدُ اذهَب إلى النّاسِ فقل لَهم: قولوا لا إلهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ، وكانَ أَصلُ ذلكَ القَميصِ مِن سِتَّةِ أشياءٍ: قامتُهُ مِنَ الياقوتِ، وكُمّاهُ مِنَ اللؤلؤِ، ودِخريصُهُ[2] مِنَ البلّورِ الأصفرِ، وإبطاهُ مِنَ الزّبرجَدِ، وجُربانُهُ[3] مِنَ المرجانِ، وجيبُهُ[4] مِن نورِ الرّبِّ جلَّ جلالُهُ، فقَبلَ اللهُ عزَّ وجلَّ توبةَ آدمَ بذلكَ القميصِ، وردَّ خاتمَ سُليمانَ بن داودَ بهِ، وردَّ يوسُفَ إلى يعقوبَ بهِ، ونجّى يونسَ من بطنِ الحوتِ بهِ، وكذلك سائرَ الأنبياءِ عليهم السلام نجّاهُم من المحنِ بهِ، ولم يكن ذلكَ القميصُ إلّا قميصَ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله »[5].

وفي العللِ: عَنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ عَن آبائهِ عَن جَدِّهِ الحسنِ بنِ عَليِّ بنِ أبي طالب عليهما السلام عَنِ النّبيِّ صلى الله عليه وآله في حديثٍ طويلٍ يقولُ فيه: «وأمّا صَلاةُ العَصرِ: فهيَ السّاعَةُ الّتي أكَلَ فيها آدمُ مِن الشّجرةِ، فَأخرجَهُ اللهُ تعالى مِنَ الجنَّةِ، فَأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذرِّيَّتَهُ بهذهِ الصّلاةِ إلى يومِ القيامةِ، واختارَها لأمَّتي فهيَ مِن أحَبِّ الصّلواتِ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وأَوصاني أن أَحفظَها مِن بينِ الصّلواتِ، وأمّا صلاةُ المغربِ: فهي السّاعةُ الّتي تابَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيها على آدمَ، وكانَ بينَ ما أكَلَ منَ الشّجرةَ وبينَ ما تابَ اللهُ عليهِ ثلثمائةَ سَنةٍ مِن أيّامِ الدّنيا، وفي أيّامِ الآخِرةِ يومٌ كألفِ سَنةٍ ما بينَ العصرِ والعشاءِ، فَصَلّى ثَلاثَ ركعاتٍ؛ ركعةً لخطيئتهِ، ورَكعةً لخطيئةِ حوّاءَ، وركعةً لتَوبتِهِ؛ فافترَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الثّلاثَ ركعاتٍ على أُمّتي، وهي السّاعةُ التي يُستجابُ فيها الدعاءُ،

(١) التكّة: رباطُ السّراويل. القاموس المحيط: ٣: ٢٩٧ (تكه).

(٢) الدِخريصُ بالكسر: «التِخريصُ والتِخريصَةُ بكسرهما: بَنِيقةُ الثوبِ، مُعرّب تِيريز». القاموس المحيط: ٢: ٢٩٧، (التخريص).

(٣) الجُربانُ: جيبُ القميص. مجمع البحرين: ٢: ٢٣، (جرب).

(٤) جيبُ القميصِ: طوقُهُ. القاموس المحيط: ١: ٥٠، (جيب).

(٥) الخصال: ٤٨٣، حديث رقم: ٥٥.

فوعدني ربِّي عزَّ وجلَّ أن يستجيبَ لِمَن دعاهُ فيها»[1].

وبإسنادهِ عَن عبدِ الحميدِ بنِ أَبي الدَّيلم[2] عَن أَبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنّ اللهَ تباركَ وتعالى لمّا أرادَ أن يتوبَ على آدمَ عليه السلام أرسلَ إليهِ جبرئيلُ فقال: السّلامُ عليكَ يا آدم الصّابرَ على بليّتهِ التّائبَ على خطيئتهِ، إنّ اللهَ تباركَ وتعالى بعثني إليكَ لأعلّمَكَ المناسكَ الّتي يريدُ أن يَتوبَ عليكَ بها، وأخذَ جبرئيلُ بيدهِ وانطلقَ بهِ حَتّى أتى البَيتَ فنزلَت عَليهِ غَمامةٌ منَ السّماءِ، فقالَ لهُ جَبرئيلُ: خُطّ برجلِكَ حيثُ أظلَّكَ هذا الغمامُ، ثمَّ انطلقَ بهِ حَتّى أتى بهِ إلى مِنى فأراهُ موضِعَ مَسجدِ مِنى، فخطَّهُ وخطَّ المسجدَ الحرامَ بعد ما خطَّ مكانَ البيتِ، ثمَّ انطلقَ بِهِ إلى عرفاتٍ فأقامهُ على عرفةَ، وقال لهُ: إذا غَربتِ الشّمسُ فاعترَف بذَنبكَ سَبعَ مَرّاتٍ، فَفعلَ ذلكَ آدمُ؛ ولِذلكَ سُمّيَ بعَرفةَ؛ لأنَّ آدمَ عليه السلام اعترَفَ عَليهِ بذنبهِ، فجعلَ ذلكَ سُنّةً في وُلدِهِ يَعترِفونَ بذنوبِهِم كَما اعترَفَ أبوهُم، ويَسألونَ اللهَ عَزَّ وجلَّ التّوبةَ كَما سألَها أبوهُم آدمُ، ثمَّ أمرهُ جبرئيلُ عليه السلام فأفاضَ من عَرفاتٍ فَمرَّ عَلى الجبالِ السّبعَةِ فأمرهُ أن يُكبِّرَ على كُلِّ جبلٍ أَربعَ تكبيراتٍ ففعلَ ذلكَ آدمُ، ثمَّ انتهى بهِ إلى جمعٍ ثُلُثِ اللّيلِ فَجمَعَ فيها بينَ صلاةِ المغربِ وبينَ صلاةِ العشاءِ؛ فلذلكَ سُمّيّت جمعًا؛ لأنّ آدمَ جمعَ فيها بينَ الصّلاتَينِ، وقعتِ العُتمةُ تلكَ الليلةِ [٢٨٤] ثُلُثَ اللّيلِ في ذلكَ الموضعِ، ثمَّ أمرَهُ أن ينبطحَ في بطحاءِ[3] جمعٍ، فانبطحَ حتّى انفجرَ الصّبحُ، ثمَّ أمرَهُ أن يَصعَدَ على الجبلِ جَبلَ جمعٍ، وأَمرَهُ إذا طلعتِ الشّمسُ أن يعترفَ بذنبِهِ سبعَ مراتٍ ويسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ التوبةَ والمغفرةَ سبعَ مراتٍ، ففعلَ ذلكَ آدم كما أمرهُ جبرئيلُ، وإنّما جُعِلَ اعترافينِ؛ ليكونَ سُنَّةً في ولدهِ، فمَن لم يُدرك عرفاتٍ وأدركَ جمعًا فقد وَفى بحجِّهِ، فأفاضَ آدم من جمعٍ إلى مِنى[4] فبلغَ مِنى ضُحًى، فأمرهُ أن يُصلّيَ ركعتينِ في مسجدِ مِنى، ثمَّ أَمرَهُ أن يُقرِّبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ قربانًا؛ ليتقبَّلَ اللهُ منهُ ويعلمَ أنَّ اللهَ قد تابَ عليهِ، ويكون سُنَّةً في ولدهِ القربانُ، فقرَّبَ آدمُ قربانًا فَقبلَ اللهُ منهُ قربانَهُ، وأرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ نارًا من

---

(١) علل الشرائع: ٢: ٣٣٨.

(٢) النّبالي الكوفيّ: من أصحابِ الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام، روى عنه إسحاق بن عمّار، وهو ابن عمّ المُعلّى بن خُنيس. ينظر: التحرير الطاووسي: ٢٥٩، ومستدركات علم رجال الحديث: ٤: ٣٧١، ترجمة رقم: ٧٥٣٧.

(٣) وهو: بطن وادي في مكّة فيه دقاق الحصى. ينظر: معجم البلدان: ١: ٤٤٦.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: مسجد مِنى: هو المسمّى بمسجد الخَيف.

السّماءِ فقبضَت قربانَ آدم، فقال له جبرئيلُ عليه السلام: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى قد أحسنَ إليكَ إذا عَلَّمكَ المناسِكَ الّتي تابَ عليكَ بها وقَبِلَ قربانَكَ فاحلق رأسكَ تواضعًا لله عزَّ وجلَّ إذ قَبِل قربانكَ، فحلقَ آدمُ رأسَهُ تواضعًا لله تباركَ وتعالى، ثمَّ أخذَ جبرئيلُ بيدِ آدم فانطلقَ بهِ إلى البيتِ فعرضَ له إبليسُ عند العقبةِ، فقال له: يا آدمُ أينَ تريد؟ قال جبرئيلُ: يا آدمُ إرمه بسبعِ حَصَياتٍ وكبِّر مع كلِّ حصاةٍ تكبيرةً، ففعلَ ذلكَ آدمُ كما أمرهُ جبرئيلُ فذهبَ إبليسُ، ثمَّ أخذَ بيدهِ في اليومِ الثّاني فانطلق به إلى الجمرةِ الأولى فعرضَ له إبليسُ فقالَ لهُ: إرمهِ بسبعِ حَصَياتٍ وكبِّر مع كلِّ حصاةٍ تكبيرةً ففعل ذلكَ فذهبَ إبليسُ، ثمَّ عرضَ لهُ عندَ الجمرةِ الثانيةِ فقال له: يا آدمُ أينَ تريد؟ فقالَ لهُ جبرئيلُ عليه السلام: إرمهِ بسبعِ حَصَياتٍ وكبِّر مع كلِّ حصاةٍ تكبيرةً ففعلَ ذلكَ آدمُ فذهبَ إبليسُ، ثمَّ عرضَ له عندَ الجمرةِ الثّالثةِ فقالَ لهُ: يا آدمُ أينَ تريد؟ فقالَ لهُ جبرئيلُ عليه السلام:إرمهِ بسبعِ حَصَياتٍ وكبِّر مع كلِّ حصاةٍ تكبيرةً ففعلَ ذلكَ آدم فذهبَ ابليسُ، ثمَّ فعلَ ذلكَ بهِ في اليومِ الثّالثِ والرّابعِ فذهبَ إبليسُ، فقال له جبرئيلُ عليه السلام:إنّك لن تراهُ بعد مقامكَ هذا أبدًا، ثمَّ انطلقَ به إلى البيتِ فأمرهُ أن يطوفَ بالبيتِ سبعَ مراتٍ[1] ففعلَ ذلكَ آدمُ فقالَ لهُ جبرئيلُ عليه السلام: إنّ اللهَ تباركَ وتعالى قد غفرَ لكَ وقبِلَ توبتَكَ وحلَّ لكَ زوجتَكَ»[2].

وبإسنادهِ إلى أبي خديجةَ[3] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قال: «سألَ أبي رجلٌ وقالَ: حَدِّثني عَن رضا الرّبِّ عن آدمَ، فقال: إنّ آدمَ أُنزِل فنزلَ في الهندِ وسألَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ هذا البيتِ فأمرهُ أن يأتيَهُ فيطوفَ بهِ أسبوعًا، ويأتيَ مِنى وعرفاتٍ فيقضيَ مناسكَهُ كلَّها، فجاءَ منَ الهندِ وكانَ موضعَ قدميهِ حيثُ يطأُ عليهِ عُمران وما بينَ القدمِ إلى القدمِ صحارى ليسَ فيها شيءٌ، ثمَّ جاءَ إلى البيتِ فطافَ اسبوعًا وأتَى مناسكَه فقضاها كما أمرَهُ الله فقبلَ منهُ التَّوبةَ وغفرَ له، قالَ: فجُعِلَ طوافُ آدمَ عليه السلام لِما طافتِ الملائكةُ بالعرشِ سبعَ سنينَ، فقال جبرئيلُ عليه السلام: هنيئًا لكَ يا آدمُ لقد غفرَ اللهُ لكَ، لقد طُفتُ بهذا

(١) ومنه في حاشية الأصل: هو: طواف النساء.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٤٠١.

(٣) سالم بن مكرم بن عبد الله، ويقال: أبو سلمة الكنّاسيّ الكوفيّ: مولى بني أسد الجمال، وإنَّ أبا عبد الله عليه السلام كنّاهُ: أبا سلمة، ثقةٌ ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتابٌ. ينظر: رجال النجاشي: ١٨٨، ترجمة رقم: ٥٠١، ونقد الرجال: ٢: ٢٩٥، ترجمة رقم: ٢١٦٥.

البيتِ قبلكَ بثلاثةِ آلافِ سنةٍ، فقال آدمُ عليه السلام: يا ربِّ اغفر لي ولذريَّتي من بعدي مَن آمنَ منهم بي وبرسُلي، فقالَ: صدقتَ، فقالَ أبي عليه السلام: هذا جبرئيلُ عليه السلام أتاكم يُعلِّمكُم معالمَ دينِكُم»[1]، الحديثُ، كُلُّ ذلكَ حقٌّ.

وفي عيونِ الأخبارِ: عن عليٍّ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ وفيهِ سألَه كم كانَ عمرُ آدمَ عليه السلام؟ قال: «تسعمائةَ سنةٍ وثلاثينَ سنةً»[2]. وفي تفسيرِ عليِّ بن إبراهيمَ: عن الباقرِ عليه السلام: «كانَ عُمرُ آدمَ منذ خلقَهُ اللهُ إلى أن قبضَه تسعمائةً وثلاثينَ سنةً، دُفِن بمكةَ ونُفِخ فيهِ يومُ الجمعةِ بعدَ الزّوالِ، ثمَّ خلقَ زوجتَهُ من أسفلِ أضلاعِهِ وأسكنَهُ جنَّتهُ من يومهِ ذلكَ فما استقرَ فيها إلَّا ستَّ ساعاتٍ من يومهِ ذلكَ حتّى عصى»[3]. وفي العللِ: بإسنادهِ عن عليِّ بن حسّان الواسطيِّ[4] عن أصحابهِ عن أبي عبدِ الله عليه السلام قال: «أهبطَ اللهُ آدمَ من الجنَّةِ على الصفا، وحوَّاءَ على المروةِ، وقد امتشَطَت في الجنَّةِ فلمَّا صارت في الأرضِ قالت ما أرجو مِن المشطِ وأنا مَسخوطٌ عليَّ فَحلَّت مِشطَتَها فانتَشرَ مِن مِشطِها العطرُ الذي كانت امتشَطَت بهِ في الجنَّةِ فطارت بهِ الريحُ فألقت أثرهُ في الهندِ؛ فلذلكَ صارَ العطرُ بالهندِ»[5]. [٢٨٥]

وفي حديثٍ آخرَ: «أنّها حَلَّت عقيصتَها[6] فأرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على ما كانَ فيها من ذلكَ الطيبِ ريحًا فهبَّت بهِ في المشرقِ والمغربِ»[7].

---

(١) علل الشرائع: ٢: ٤٠٧.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ٢١٩.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٥.

(٤) أبو الحسن القصير، المعروف بالمنمس - بالنون، والسين المهملة - عمَّرَ أكثرَ من مائة سنةٍ، وكان لا بأسَ بهِ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، لهُ كتابٌ. ينظر: خلاصة الأقوال: ١٨٢، ترجمة رقم: ٣٠.

(٥) علل الشرائع: ٢: ٤٩١.

(٦) «العقيصةُ: الضّفيرةُ، يقالُ لِفلانٍ عقيصَتانِ، وعَقصَ الشّعرَ: ضَفَرَهُ». مختارُ الصِّحاحِ: ٢٣٤، (عقص).

(٧) علل الشرائع: ٢: ٤٩٢.

عن أحمدَ بن محمدٍ بن أبي نصرٍ[1] عن أبي الحسنِ الرضا عليه السلام قالَ: «قلتُ لهُ كيفَ كان أوَّلُ الطّيب؟ قالَ: فقالَ لي ما يقولُ مَن قِبَلَكُم فيه؟ قلتُ: يقولون آدمَ لَمَّا أُهبِطَ إلى أَرضِ الهندِ فبَكَى على الجنَّةِ سالت دموعُهُ فصارت عروقًا في الأرضِ فصارت طيبًا. فقالَ: ليسَ كما يقولون، ولكن حوَّاءَ كانت تُعلّق قُرونَها من أَطرافِ شجرِ الجنَّةِ فَلَمّا هبطَت إلى الارضِ وبُليَت بالمعصيةِ رأتِ الحيضَ فأُمِرت بالغُسل منهُ فنَفَضَت قرونَها فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ ريحًا طارت بهِ وحفظتهُ فَذَرَت حيثُ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ فمِن ذلكَ الطيبِ كان طيبُ الدنيا»[2].

فصلٌ في التّوبةِ وشروطِها وما وَقَعَ فيها مِنَ الاختِلافِ ووَقتِها:

وحينَ انجرَّ الكَلامُ في قصَّةِ آدمَ وحَوّاءَ عليهما السلام وسَبَبِ مَعصيتِهِما وذكرِ تَوبتِهما إلى ما آلَ إليهِ أمرُهُما ومنافعُ التّوبةِ فلا بأسَ علينا أن نذكرَ فَصلًا مُختصَرًا في التّوبةِ وشروطِها والاختلافِ الّذي وَقَعَ فيها، اعلم إنَّ للتّوبةِ شروطًا ستَّةً:

أحدُها: النّدمُ والإقلاعُ على ما مضى مِنَ القبيحِ.

الثّاني: العزمُ على تَركِ العَودِ إليهِ وإلى مثلهِ في القبحِ.

الثّالثُ: أن تعمدَ إلى كلِّ فريضةٍ عليكَ ضيَّعتها فتؤدِّي حقَّها كما هوَ حقُّهُ.

الرّابعُ: أن تُذيقَ الجسمَ ألَمَ الطّاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصيةِ، هذا في حقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفي حقِّ المذنبِ نفسِهِ، وإن كان الذّنبُ في حقِّ النّاسِ فلهُ مع هذهِ الشّروطِ الأربعةِ شرطانِ آخرانِ:

أحدُهُما: أن تؤدِّيَ حقوقَ المخلوقينَ إليهم حتّى تلقى اللهَ عزَّ وجلَّ أملسَ ليسَ عليكَ تَبِعَةٌ.

ثانيهُما: أن تعمدَ إلى اللحمِ الذي نبتَ على السُّحتِ فتُذيبَهُ بالأحزانِ حتى يلصَقَ الجلدُ بالعظمِ، وينشأُ بينهما لحمٌ جديدٌ، كَمَا قالَ أميرُ المؤمنينَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ في نهجِ البلاغةِ لقائلٍ قالَ

(١) أبو جعفر البزنطيّ، مولى السّكونيّ، كوفيّ ثقةٌ، جليلُ القدر، من أصحاب الإمام الرّضا والجواد عليهما السلام، أجمع أصحابنا على تصحيحِ ما يصحُّ عنهُ، وأقروا له بالفقه، له كتاب الجامع، والنوادر، توفي سنة (٢٢١هـ). ينظر: رجال الطوسي: ٣٣٢، ترجمة رقم: ٤٩٥٤، وخلاصة الأقوال: ٦١.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٤٩٢.

بحضرتِهِ: استغفرُ اللهَ: « ثَكلَتكَ أمُّكَ أتدري ما الاستغفارُ؟ إنَّ الاستغفارَ درجةُ العلّيّينَ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستّةِ معانٍ:

أوَّلُها: النَّدمُ عَلى ما مَضى. والثّاني: العزمُ على تركِ العودِ إليهِ أبدًا. والثّالثُ: أن تؤدّيَ إلى المخلوقينَ حقوقَهم حتّى تلقَى اللهَ أملسَ ليسَ عليكَ تبعةٌ. والرّابعُ: أن تعمدَ إلى كلِّ فريضةٍ عليكَ ضيَّعتَها فتؤدِّيَ حقَّها. والخامسُ: أن تعمدَ إلى اللحمِ الّذي نبتَ على السُّحتِ فتذيبَهُ بالأحزانِ حتى يلصَقَ الجلدُ بالعظمِ، وينشأَ بينهما لحمٌ جديدٌ. والسّادسُ: أن تُذيقَ الجسمَ ألَمَ الطاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصيةِ، فعند ذلكَ تقولَ: استغفرُ اللهَ »[1]، انتهى.

وإنَّ مثلَ هذهِ التّوبةَ أجمعَ المسلمونَ على قبولِها وسقوطِ العقابِ عندها، واختلفوا فيما لم يتكامل فيه جميعُ الشّروطِ وكلُّ معصيةٍ للهِ فإنَّه يجبُ التّوبةُ منها، ولا تصحُّ التّوبةُ من الطّاعةِ أصلًا، وأمّا تركُ النّدبِ فتصحُّ التوبةُ منه، ويكونُ ذلكَ على وجهِ الرّجوعِ إلى فعلِهِ، وأمّا فعلُ المكروهِ فتصحُّ التّوبةُ منه أيضًا، لكن يكونُ ذلكَ على وجهِ الرّجوعِ إلى تركِهِ، وأنَّ قبولَ التّوبةِ وإسقاطَ العقابِ بعدها تفضُّلٌ من اللهِ تعالى غيرُ واجبٍ عليهِ سبحانه[2]، وعند جمهورِ المعتزلةِ واجبٌ عليه تعالى[3]؛ لأنّه قد وعدَ اللهُ تعالى بذلكَ وإن كان تفضّلًا، وعلِمنا أنَّه تعالى لا يُخلِفُ الميعادَ، وأمَّا التّوبةُ من قبيحٍ معَ الإقامةِ على قبيحٍ آخرَ يَعلمُ قُبحَهُ أو يَعتقدُ قبحَهُ فهي عند أكثرُ المتكلّمينَ صحيحةٌ، وعند أبي هاشمٍ وأَصحابِهِ ليسَت بصحيحةٍ[4]، واعتمدَ الأوَّلونَ على أن قالوا كما يجوزُ أن يمتنعَ عن قبيحٍ لِقُبحِهِ معَ أنّه يفعلُ قبيحًا آخرَ وإن عَلِمَ قبحَهُ، كذلكَ يجوزُ أن يندمَ من قبيحٍ مع الُمقامِ على قبيحٍ يعلمُ قبحَهُ[5].

---

(١) نهج البلاغة: ٤: ٩٧، خطبة: ٤١٧.

(٢) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٤٢٧، وأوائل المقالات: ٤٨.

(٣) ينظر: الملل والنحل: ١: ٨٤، وشرح المقاصد في علم الكلام: ٢: ٢٤٢.

(٤) ينظر: أوائل المقالات: ٨٦، والجامع لأحكام القرآن: ٥: ٩٠، وشرح المقاصد: ٢: ٢٤٤ ، وجواهر الحسان: ٢: ١٩١.

(٥) ينظر: التبيان: ١: ١٧١.

ومن شرائطِها: الغُسلُ استحبابًا، على ما رُوي في كتاب مَن لا يحضرهُ الفقيه: ‹أنَّ رجلًا قال للصّادقِ عليه السلام: إنِّ لي جيرانًا ولهم جَوارٍ يتغنَّينَ ويضرِبنَ بالعودِ فربمّا دخلتُ المخرجَ فأطيلُ الجلوسَ استماعًا منّي لهنَّ، فقالَ لهُ الصّادقُ عليه السلام: لا تفعل، فقالَ: والله ما هو شيءٌ آتيهِ برجلي، وإنَّما هو سماعٌ أسمعُهُ بأذني، فقالَ الصّادقُ عليه السلام: بالله تُب أمَا سمعتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[١] فقالَ الرّجلُ: كأنّي لم أسمع بهذهِ الآيةَ من كتابِ الله عزَّ وجلَّ من عَربيّ ولا عَجَميّ لا جَرمَ أنّي تركتُها، وأنا أستغفرُ اللهَ، فقالَ لهُ الصّادقُ عليه السلام: «قُم فاغتسل وصلِّ ما بدا لكَ فلقد كنتَ مُقيمًا على أمرٍ عظيمٍ ما كان أسوءَ حالكَ لو مِتَّ على ذلكَ، استغفرِ اللهَ واسألهُ التّوبةَ من كلِّ ما يكرهُهُ فإنّه تعالى لا يكرهُ إلَّا القبيحَ، والقبيحَ دعهُ لأهلهِ فإنَّ لِكُلٍّ أهلًا»[٢].

ويُستفادُ من هذا الحديثِ: أنَّه ينبغي أن يُصلّيَ ولو ركعتينِ بعد الغُسلِ، وأنَّه يُحبّبُ أن يتوبَ جميعُ الجوارحِ والأعضاءِ منَ المعاصي الّتي اقترفَتها كما هوَ حقٌّ.

واختلفوا في قَبولِ التّوبةِ عندَ ظهورِ بعضِ أَشراطِ السّاعةِ هل تصحُّ أم لا؟ فقالَ بعضُهُم كالحسنِ: يُحجبُ عنها عند الآياتِ السّتِّ[٣]، ورُويَ عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: « بادروا بالأعمالِ سِتًّا: طلوعُ الشمسِ من مغربِها، والدّجّالُ، والدّخانُ، ودابَّةُ الأرضِ، وخُويصَّةُ أحدِكم[٤]، يعني: الموتَ، وأمرُ العامّةِ، يعني: القيامة »[٥].

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٣٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١: ٨٠، حديث رقم: ١٧٧.

(٣) ينظر: الفتوحات المكية: ٤: ٢٦٢، ومتشابه القرآن ومختلفه: ٢: ٨٢، و التبيان: ١: ١٧١.

(٤) أي: ‹ الَّتِي تَخُصُّ كُلَّ إِنسانٍ، وصُغِّرَتْ لاحْتِقَارِهَا في جَنْبِ ما بَعْدَها مِنَ البَعْثِ والعَرْضِ والحِسَابِ ، أَيْ: بادِرُوا المَوْتَ واجْتَهِدُوا في العَمَلِ›. تاج العروس: ٩: ٢٦٩ (خصص).

(٥) بحار الانوار: ٦: ٢٩٥.

وفي نهجِ البلاغَةِ: « فاعملوا وأنتم في نَفَس البقاءِ[1] والصُّحفُ منشورةٌ، والتّوبةُ مبسوطةٌ، والمدبرُ[2] يُدعى، والمسُيء يُرجَى، قبلَ أن يخمُدَ العملُ، ويَنقطِعَ المحَلُ، وتَنقضيَ المدّةُ[3]، ويُسدُّ بابُ التّوبةِ وتصعدُ الملائكةُ[4] »[5].

وفي كتابِ مَن لا يحضرهُ الفقيهُ: قالَ رسولُ الله ﷺ في آخرِ خطبةٍ خطبَها: مَن تابَ قبلَ موتهِ بسنةٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: إنَّ السّنةَ لكثيرةٌ، مَن تابَ قبلَ موتهِ بشهرٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: إنَّ الشّهرَ لكثيرٌ، ومَن تابَ قبل موتهِ بجمعةٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: إنَّ الجمعةَ لكثيرةٌ، ومَن تابَ قبلَ موتهِ بيومٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: وإنَّ يومًا لكثيرٌ، ومَن تابَ قبلَ موتهِ بساعةٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: وإنَّ السّاعةَ لكثيرةٌ، ومَن تابَ وقد بلغت نفسُهُ هذهِ وأهوَى بيدهِ إلى حلقِهِ تابَ اللهُ عليهِ[6].

وَروَى الثّعلبي: ‹عَن عبادةَ بنِ الصّامتِ عنِ النّبيِّ ﷺ هذا الخبرَ بعَينهِ إلّا أنّه قالَ في آخرهِ: وإنَّ السّاعةَ لكثيرةٌ، مَن تابَ قبلَ أن يُغرغِرَ بها تابَ اللهُ عليهِ›[7]، وروَى أيضًا: بإسنادهِ عن الحسنِ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:« لمـَّا أُهبِطَ إبليسُ قالَ : وعزّتكَ وجلالكَ وعظمتكَ لا أفارقُ ابنَ آدمَ حَتّى تفارقَ روحُهُ جسدَهُ، فقال اللهُ سبحانهُ: وعزَّتي وجلالي وعظمتي لا أحجبُ التّوبةَ عن عَبدي حَتّى يُغرغِرَ بها»[8].

(١) ومنه في حاشية الأصل: في سعته.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: المُدبرُ عن طاعة الله.

(٣) وقد جاء في المصدرِ المُعتمَدِ بلفظ: ‹ وينقطعَ المهلُ، وينقضيَ الأجلُ› ولعلّ ذلك راجعٌ إلى كتابةِ المُصنِّفِ من حفظه.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: الحفظةُ وكتبةُ الأعمال.

(٥) نهج البلاغة: ٣٥٦، خطبة: ٢٣٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٣٣. وقد أورد المصنّف الحديث ناقصا من جملة: ‹ ومَن تابَ قبل موتهِ بجمعةٍ تابَ اللهُ عليهِ، ثمَّ قال: إنَّ الجمعةَ لكثيرةٌ ›، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى كتابته من حفظه.

(٧) تفسير الثعلبيّ: ٣: ٢٧٤.

(٨) تفسير الثعلبيّ: ٣: ٢٧٤.

وفي الكافي ما يقربُ منهُ، وقال في آخره: «مَن تابَ قبلَ أن يُعايِن قبلَ اللهُ توبتَه»[1]، وفيهِ: عنِ الصّادقِ عليه السلام: «إذا بلغتِ النّفسُ ههنا وأشارَ بيدهِ إلى حَلقهِ لم يكن للعالمِ تَوبةٌ ثمَّ قرأ هذهِ الآيةَ»[2]، والعيّاشي: عَنِ الباقرِ عليه السلام مثلَهُ وزادَ «وكانَت للجاهِلِ تَوبةٌ »[3]، انتهى.

لعلَّ العالمَ حينئذٍ ييأسُ من حَبوَتهِ بأماراتِ الموتِ دونَ الجاهلِ، أو لأنَّ التّشديدَ عليهِ أقوى على الجاهلِ، والحقُّ أنَّ المرادَ بالجاهلِ هو المستضعَفُ، بَل وقتُ التّوبةِ المقبولةِ في الكلِّ هو قبلَ أن يُعايِنَ، وقبلَ الغرغرةِ، وقبلَ بلوغِ الرّوحِ الحُلقومَ، وأمَّا عند ذلكَ فلا تُقبَلُ لأحدٍ توبةٌ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[5] الآيةُ، في الكافي باب فيما أعطى اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ وقتَ التّوبةِ: بإسنادهِ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «إنَّ آدمَ عليه السلام قال: يا ربِّ سلَّطتَ عليَّ الشّيطانَ وأجريتَهُ منّي مجرى الدّمِ فاجعل لي شيئًا، فقالَ: يا آدمُ جعلتُ لكَ أنَّ مَن هَمَّ من ذريتك بسيّئةٍ لم تُكتب عليهِ، فإن عملَها كُتبَت عليهِ سيئةٌ، ومَن هَمَّ منهم بحسنةٍ فإن لَم يعملها كُتِبَت له حَسنةٌ، فإن هو عملها كُتِبَت لهُ عشرًا، قالَ: يا ربِّ زدني، قالَ: جعلتُ لكَ أنَّ مَن عَمِلَ منهم سيئةً ثم استغفرَ غفرتُ لهُ، قال: يا ربِّ زدني، قال: جعلتُ لهم التّوبةَ - أو قال: بسطتُ لهم التّوبةَ- حَتّى تبلُغَ النّفسُ هذهِ، قال: يا ربِّ حسبي»[6].

---

(١) الكافي: ٢: ٤٤٠، حديث رقم: ٢.

(٢) الكافي: ٢: ٤٤٠، حديث رقم: ٣.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٢٢٨.

(٤) سورة النساء ٤: ١٨.

(٥) سورة المؤمنون ٢٣: ٩٩.

(٦) الكافي: ٢: ٤٤٠، حديث رقم: ١.

وقَد ذكرتُ هذا الحديثَ وغيرَه في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾[1]، وهذا القدرُ كافٍ في هذا المقامِ. [٢٨٧]

قولُهُ تعالى: **﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)﴾** آيةٌ:

القراءة:

قَرأَ يعقوبُ: (فَلا خَوفَ) بالفَتحِ مِن غَيرِ تنوينٍ بجعلِ (لا) لِنَفي الجنسِ، ومَنفِيَّها مبنيًّا مُتضمّنًا لِمَن الاستِغراقيّة كَما هوَ القاعدةُ، والباقونَ: بالرّفعِ والتّنوينِ، بجعلِهم (لا) مُلغاةً عنِ العَملِ ومدخولَها مبتدأ وخبرًا، أو مُشابهةً بليسَ، والمرفوعَ اسمَها والجارّ والمجرورَ خبرَها، واتَّفقوا على إثباتِ الألفِ في مثلِ هدايَ وفتايَ وعَصايَ ومَحيايَ معَ تحريكِ ياء المتكلّم بالفتحِ؛ لالتقاءِ السّاكنين، وثقلِ الضمّةِ والكسرةِ عليها[2].

ورُويَ: سكونُ الياءِ عن الأعرجِ[3]، وهو غلطٌ، إلّا أن يكون على نيّةِ الوقفِ، وقُرِئ: هُدَيَّ، على لغة هذيلٍ، وهي: أنّهم يقلبون الألف لغيرِ التثنيةِ ياءً ويدغمون الياءَ في الياءِ؛ لأنَّ شأنَ ياء المتكلم أن يُكسَر ما قبلَها فيجعلون قلب الألفِ ياءً بدل الكسرةِ ما قبلِها؛ لمؤاخاتِها إذ الألف لا تقبلُ الحركةَ فهو عندَهم مثلَ: عَليَّ وإليَّ ولَديَّ، وقالوا في: هَوايَ وفَتايَ وعَصايَ وحُبلايَ ومَحيايَ: هَويَّ وفَتيَّ وعَصيَّ وحُبليَّ ومَحييَّ[4]، قال أبو ذؤيب الهذليّ في قصيدةٍ يرثي بها بنيهِ:

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٦.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ١٢٩.

(٣) هو: أبو داود: مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، روى عن عبد الله بن بحينة وأبي هريرة ، تابعي، مدني، ثقة ثبت، كثير الحديث، عالم من الطبقة الثالثة، توفي سنة (١١٧هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٥: ٢٨٣.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٧٤، والبحر المحيط: ١: ٢٧٣.

سبقُوا هَويَّ وأعنَقوا لِهَواهُم فَتَخرَّموا ولكلِّ جنبٍ مَصرعُ (١)

وكانَ لأبي ذؤيبٍ عشرةُ أبناءٍ وكان يرجو أن يموتَ قبل بنيهِ، وهم يرجون أن يموتوا قبل أبيهِم فماتَ بنوهُ كلُّهم في وقتٍ واحدٍ قبل أبيهم، والمعنى كنتُ أهوى حياتَهم وكانوا يهوون الموتَ قبلي فسَبَقوا هوايَ وأسرعوا إلى هواهُم واعتنَقوا لهواهُم فماتوا وانقطَعوا، ولكلِّ جنبٍ مسقطُ و﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(٢) والأصلُ: هوايَ بلا قلبٍ وإدغامٍ وهو الأفصحُ، كَما قالَ جَعفرُ بنُ عُلبةَ الحارثي(٣):

هوايَ مع الرّكبِ اليَمانينَ مُصعِدٌ جَنيبٌ وجثماني بمكّةَ مُوثَقُ (٤)

وقالَ تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: هيَ عَصايَ ونُسُكي ومَحيايَ(٥).

اللغة:

قد مرَّ أنَّ الهبوطَ في الأصلِ: النّزولُ من عِلوٍ إلى سِفلٍ ويُستعملُ بمعانٍ أُخَر(٦). والإتيانُ والإقبالُ والمجيءُ نظائرٌ، ضدُّها الذّهابُ والإدبارُ والانصرافُ. والتَّبعُ والتّباعةُ والإتباعُ والاقتداءُ نظائرٌ،

---

(١) البيت من الكامل. ديوان الهذليّين: ٢، وينظر: الشعر والشعراء: ٢: ٨٢٩.والشاهد فيه: قوله: هويّ حيث قلب الألف المقصور ةِ ياءً، ثمَّ أدغمها في ياء المتكلم، وأصله: هَوايَ على لغة هذيل.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨٥.

(٣) هو: أبو عارم بن ربيعة: من شعراء الغزل والحماسة، عاصر الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة (١٤٥هـ). ينظر: الأغاني: ١٣: ٣٣، والأعلام: ٢: ١٢٥.

(٤) البيت من الطويل، من قصيدة قالها الشاعر وهو في الحبس، ومحبوبته تريد السفر إلى اليمن، إذ يقول: هواي راحلٌ ومبعدٌ معَ ركبانِ الإبلِ القاصدين نحوَ اليمنِ، وأولُهُ:

عَجبتُ لِمسراها وأنّى تخلَصت عَليَّ وبابُ السجنِ دونيَ مُغلَقُ

أَلَمَّت فَحَيَّت ثمَّ قامَت فوَدَّعَت فَلَمّا تولَّت كادَتِ النّفسُ تَزهقُ

ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ١: ٩١.

(٥) إشارةٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ سورة طه ٢٠: ١٨.

(٦) ومنها: النَقصُ والذّلُّ والإتيان. ينظر: لسان العرب: ٧: ٤٢٢، (هبط).

والتّابعُ: المقتدَى، يقالُ: تبعَه كعَلمَه تبعًا وتباعةً: مَشى خلفَهُ وجعلَ متبوعَهُ إمامًا لهُ ومرَّ بهِ فمَضى معَهُ.

وفي الحديث: «اتَّبعُوا القرآنَ ولا يَتبعنَّكُم»(١)، أي: اجعلوهُ أَمامَكم واتلوهُ حقَّ تلاوتهِ، ولا تجعلوهُ وراءَ ظهورِكم. والتّبيعُ: ولدُ البقرةِ أولُ سنةٍ يتبعُ أمَّهُ في الرّعي؛ أو لأنَّه يتبعُ قرنُهُ أُذنَهُ. والتَّبعُ: الظِلُّ؛ لأنَّه يتبعُ الشّخصَ. والتَّبَعُ مُحرّكةً يكونُ واحدًا وجمعًا ويُجمعُ على أتباعٍ. والتِّباعُ بالكسرِ: الولاءُ. والمتَّابعُ: المتوالي.

والخوفُ والفرقُ والجزعُ والفزعُ نظائرٌ، كقولهم: أو فَرَقًا خَيرٌ مِن حُبٍّ، وضدُّ الخوفِ الامنُ، وطريقٌ مخوفٌ: يخافُهُ النّاسُ، ورجلٌ مخيفٌ: يُخيفُ النّاسَ. والحُزنُ بالضّمِّ وَيُحرَّكُ. والهمُّ والغمُّ نظائرٌ، ونقيضُ الحُزنِ السرورُ يقالُ: حَزِنَ كفَرِحَ حزنًا وتحَزَّنَ وتَحازنَ فهو: حَزنانٌ، وحَزنَه الأمرُ حزنًا كنَصَر جعلهُ حزينًا، قال تعالى حكايةً: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي ﴾(٢) فهو محزونٌ، وأحزَنَهُ الأمرُ أيضًا: جعلَهُ حزينًا، فهو مُحزِنٌ. وقالَ ابنُ الأثيرِ: (وفيهِ كانَ إذا حزَنَهُ أمرٌ صلَّى، أي: أوقعَه في الحُزنِ، يقالُ حزَنَني الأمرُ وأحزَنَني فأنا محزونُ ولا يُقالُ مُحزَنٌ)(٣)، انتهى. [٢٨٨]

والحَزنُ: المكانُ الغليظُ الخَشنُ، وتَحزَّنَ عليهِ توجَّعَ، وهوَ يقرأُ القرآنَ بالتَّحزّنِ: يُرقِّقُ صوتَهُ، وأصلُ البابِ: غِلَظُ الهمِّ والغمِّ مأخوذٌ من الحَزنِ، وهو ما غَلُظَ من الأرضِ وخَشُنَ، وقد يُفرَّقُ بين الهمِّ والغَمِّ بأنَّ الهمَّ قبلَ نزولِ المكروهِ، والغمَّ بعدُهُ، وقد يُفرَّقُ بينَهما أيضًا بأنَّ الهمَّ ما يقدرُ الانسانُ على إزالتهِ كالإفلاسِ ونحوهِ، والغمُّ ما لا يقدرُ على إزالتهِ كموتِ الولدِ مثلًا.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٧٩.

(٢) سورة يوسف ١٢: ١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٨٠.

الإعراب:

(جميعًا): حالٌ من فاعلِ (اهبطُوا) لفظًا وتأكيدَ معنًى، كأنَّه قيلَ: اهبطُوا أَجمعونَ ومن ثمَّ لا يستدعي اجتماعُهم على الهبوطِ في زمانٍ واحدٍ، نحو: جاءوا جَميعًا، و(الفاءُ) هُنا: فصيحةٌ مفيدةٌ لبيانِ التّكليفِ إجمالًا؛ ولتفصيلِ مآلِ المُطيعِ والعاصي، و(م) مزيدةٌ دخلَت على (إن) الشّرطيَّة ليَصحَّ دخولُ نونِ التّوكيدِ على فعلِ الشّرطِ تنبيهًا على المبالغةِ بأمرِ الاتّباعِ، وعِظَمِ ثوابِ التّابعِ، وعدمِ خوفٍ وحزنٍ عليهِ جزمًا، وعِظَمِ عقابِ المُعرضِ العاصي وخلودهِ في النّارِ أبدًا، وإشعارًا بأنَّ (إن) ههنا أُستُعمِلَ في مقامِ الجزمِ بوقوعِ الشّرطِ كَما وَقعَ في استعمالاتِهم كثيرًا، كما سنُشير إليه في بيانِ المعنى.

و(يأتينَّكُم): فِعلٌ مُضارعٌ مبنيٌّ على الفتحِ فعلُ الشّرطِ، و(مِنِّي): مُتعلِّقٌ به، و(هدًى): مرفوعٌ تقديرًا فاعلٌ له، و(الفاءُ) في (فمَن): جزائيَّةٌ، و(مَن): شرطيّةٌ مبتدأ، و(تَبِعَ): في مَوضِعِ جَزمٍ بالشّرطِ وجَزاؤُهُ الفاءُ وما بعدَهُ، أَعني: فَلا خَوفٌ عَليهِم، وجملةُ (لا هم يحزَنونَ): إسميَّةٌ معطوفةٌ على ما قبلِها، وجملةُ الشّرطِ الثّاني والجزاءِ: جزاءٌ للشّرطِ الأوّلِ، ودخولُ الفاءِ الجزائيَّة في أمثالِ تلك الجملِ واجبٌ كما بيَّنّاهُ مرارًا.

المعنى:

بيَّنَ سبحانهُ ثانيًا إهباطَهُم إلى دارِ التّكليفِ للعَملِ بما كُلِّفَ به وإطاعَةَ مَن أُمِروا بإطاعتِهِ بقولِهِ: ﴿**قُلنَا اهبِطُوا مِنهَا جَمِيعًا**﴾، أي: انزلُوا مِن الجنَّةِ جميعًا، خطابًا لِآدمَ وحوّاءَ وغيرِهما على ما ذكرناهُ سابقًا في مثلِهِ في ضِمنِ الأحاديثِ وغيرِها، وإنَّما كرَّر الهبوطَ لوجوهٍ:

أَحدُها: وهوَ الأصَحُّ، اختلافُ المقصودِ في الحالَينِ: بأنَّ الأوّلَ دالٌّ على أنَّ هبوطَهم إلى دارِ البليّةِ إنَّما كانَ في حالِ عَداوةِ بعضِهم لبعضٍ، وعَدمِ خلودِهم فيها. والثّاني: على أنَّ هُبوطَهم للابتِلاءِ والتّكليفِ، وأنَّ مَن تَبِعَ هُدى الله اهتدَى ونجَى، ومَن لم يتَّبعه ضلَّ وهوَى، ونظيرُه قولهُم: اذهبوا سالمينَ غانمينَ، اذهبُوا مصاحَبينَ مُعاوَنينَ وإن كان الذهابُ واحدًا لاختلافِ الحالينِ.

وثانيهُما: وهوَ الأقوى، أنَّ المقصودَ منَ الأوّلِ نفسُ الهبوطِ، ومنَ الثّاني: عَدمُ جوازِ تَقدُّمِ المفضولِ على الفاضلِ، والمرؤوسِ على الرئيسِ، والرّعيّةِ على الإمامِ، كَما وردتِ المُعتبرَةُ(١) بأنّهم أُمِروا أوّلًا بالهُبوطِ، وثانيًا بأن لا يتقدَّمَ أحدُهُم الآخرينَ، وهذا أيضًا مؤيّدٌ للوجهِ الأوّلِ.

وثالثُها: التأكيدُ ودفعُ توهُّمِ السّهوِ؛ تنبيهًا على أنَّ مخافةَ الهبوطِ المقترنِ بأحدِ هذينِ الأمرينِ، أَعني: العداوةَ والتّكليفَ وحدَه كافيةٌ للعاقلِ الضّابطِ الموقنِ أن تعوقَه عن مخالفةِ أمرِ الله ونهيِه، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهُما كفى به ناهيًا ونكالًا لمن أرادَ أن يذَّكَّرَ أو أَرادَ شكورًا، فكيفَ بالمقترنِ بهما جميعًا؟

وجميعُ هذهِ الوجوهِ حقٌّ.

و(قال الجبَّائيُّ: الأوّلُ: منَ الجنَّةِ إلى السّماءِ الدّنيا، والثّاني: منَ السّماءِ إلى الأرضِ)(٢)، وفيهِ ما فيهِ، وقال في الكشّاف: إنَّما كرَّرَ ليربطَ بهِ قولَهُ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾(٣) إلى آخرِه، انتهى مُلخّصًا، وهذا قريبٌ من أوّلِ الوجوهِ الثّلاثةِ السّابقةِ.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي﴾، أي: مِن قِبَلي بتعييني وتنصِيصِي، **﴿هُدًى﴾**، أي: بيانٌ وكتابٌ ونبيٌّ ورسولٌ ووَصيٌّ منصوصٌ من قِبَلي؛ ولذا قالَ: **﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾**، أي: اتَّبعَ كتابي واقتَدى برِسُلي وبأوصيائِهم المنصوصينَ بأجمعِهم من قِبَلي وبتَعييني إيَّاهم، واحتذى حذوَهُم حَذوَ النّعلِ بالنّعلِ والقُذَّةِ بالقُذَّةِ؛ ولذلكَ أضافَ الهدى إلى نفسِه لكونهِ سبحانهُ جاعلًا لَهُم رُسلًا وأئمةً مهتدًى بهم، يهدونَ بالحقِّ وبه يَعدلونَ.

استعمالُ (إن) بمعنى (مهما وكلّما) في كونِها للجَزمِ بوقوعِ الشّرطِ: [٢٨٩]

وأصلُ (إن) في اللغةِ وإن كان للشّكِّ وعدمِ الجزمِ بوقوعِ الشّرطِ، لكنَّه قد يُستعملُ في مَقامِ الجَزمِ بوقوعِه، كما بُيِّن في موضعِه ولهُ أمثلةٌ وشواهدُ، واستُعمِل ههنا كذلكَ؛ ولذا أُكِّد بـ(ما) المزيدةِ

---

(١) إذ ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام قوله: «كان أمر في الأوّلِ أن يهبطا، وفي الثّاني أمرهُم أن يهبطوا جميعا لا يتقدّمُ أحدُهُم الآخرَ». تفسيرُ الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٤.

(٢) البداية والنهاية: ١: ٨٨.

(٣) ينظر: الكشّاف: ١: ١٢٩.

وفعلِه بالنّونِ المؤكّدةِ فهو هنا وأمثالِه بمعنى إذا ومَهما وكلَّما، أي: فكُلَّما ومَهما يأتِيَنَّكم منِّي هدًى؛ وذلكَ لأنَّ إرسالَ الرّسلِ وإنزالَ الكتبِ وتعيينَ الإمامِ كلُّها منَ اللّطفِ المزيحِ وهو واجبٌ عليهِ تعالى عقلًا.

إذا عرفتَ هذا فقد ظهَرَ بُطلانُ قولَ البيضاوي ومَن يَحذو حذوَه(١).

﴿فَلا خَوفٌ عَلَيهِم﴾، أي: فَمَن تَبعَ هُدايَ واقتدى بكتابي ورُسلي وبما جاؤوا بهِ وبأوصيائِهم المنصوصينَ القائمينَ مقامَهم بنَصِّي وتَعييني فلا يَلحقُهُم خَوفٌ من أهوالِ يومِ القيامةِ وشدائدِها وعقابِها فضلًا عن أن يحلَّ بهم ذلكَ.

﴿وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ على فَواتِ الثَّوابِ مِمَّا لا عَينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشرٍ، أي لا يفوتُ عنهم محبوبٌ فيَحزنوا؛ لأنَّ الخوفَ إنَّما يكونُ على الأمرِ المتوقَّعِ، والحُزنَ على الأمرِ الواقعِ، فنَفى اللهُ سبحانُه عنهم العقابَ وأثبتَ لهم الثّوابَ آجِلًا على أَبلغِ وجهٍ وآكَدِهُ، وإمَّا عاجلًا فالخوفُ والحزنُ قد يلحقُهم؛ لأنَّ من المعلومِ أنَّ المؤمنينَ لا ينفكُّون من ذلكَ غالبًا؛ لأنَّ الدّنيا سجنُهم، وإنَّما كرَّرَ لفظَ (الهدى) مع أنَّ المقامَ مقامُ الإضمارِ لوجهين؛ لكونِ أحدِهما أعمُّ من الآخَرِ؛ ولإرادةِ إضافتِهِ إلى نفسهِ المقدَّسِ تشريفًا وتنبيهًا على أنَّه يجبُ أن يكونَ النَّبيُّ والرسولُ والإمامُ صلواتُ الله عليهِم منصوصينَ من قِبَلِه سبحانَه؛ لأنَّه العالمُ بالغيبِ والشّهادةِ لا يَعزُبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهو الحكيمُ الخبيرُ، لا مِن قِبَلِ الرَّعيَّةِ واختيارِهم؛ لأنَّهم مفتونونَ بحطامِ الدّنيا وزخارفِها، وتابعون للشّيطانِ والهوى، ومخالفونَ للرّحمنِ والهدى، يأكلون رزقَه ويعبدونَ غيرَه، لا يعلمون المُفسِدَ من المصلحِ، ولا يتَمَيَّزون بينَ الحقِّ والباطِلِ فهم بأسرِهِم كالأنعامِ بل هُم أضلُّ سبيلًا، فكيفَ يجوزُ أن يكونَ تعيينُ الإمامِ باختيارِهم مع تشاجرِهم واختلافِ آرائِهم بما تشتهيهِ أنفسُهُم؟

---

(١) إذ قال: ‹ والمعنى: إن يأتينكم منِّي هدًى بإنزالٍ أو إرسالٍ، فَمَن تَبعهُ منكم نَجا وفازَ، وإنَّما جِيءَ بحرفِ الشّكِّ، وإتيانُ الهدى كائنٌ لا محالةَ؛ لأنَّهُ محتمَلٌ في نفسِهِ غيرُ واجبٍ عقلاً›. تفسير البيضاوي: ١: ٧٤، ويُنظر: البحر المحيط: ١: ٢٧٢.

دلالاتُ هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّ كلَّ لُطفٍ مُزيحٍ لِعلّةِ المكلَّفِ واجبٌ على الله تعالى سواءٌ كان ذلكَ اللُطفُ عقلًا أو كتابًا أو نبيًّا أو إمامًا أو غيرَ ذلكَ، كما بيَّنّاه مُفصَّلًا في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وغيره، وعلى أنَّه لا يجوزُ تقدُّمُ التّابعِ على المتبوعِ، والمفضولِ على الفاضلِ، والرّعيّةِ على الإمامِ المنصوصِ مِن قِبَلِهِ سبحانه وقِبَلِ نبيِّهِ ﷺ، ولا تقديمِهِ عليهِ، وعلى أنَّ مَن لم يتَّبعِ الكتابَ والنّبيَّ والإمامَ فهو كافرٌ، سواءٌ جحدَهم رأسًا أو نصَّبَ نفسَه مقامَهم وادَّعى أنَّه إمامٌ من اللهِ افتراءً وظلمًا وعُلوًّا، أو زعمَ أنَّ لهذينِ نصيبًا في الإسلامِ.

في الكافي: بإسنادِهِ عن ابن أبي يعفورٍ[2] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قال: «سمعتُه يقولُ: ثلاثةٌ لا يكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ، مَن ادَّعى إمامَةً من اللهِ ليست لَهُ، ومَن جَحَدَ إمامًا من اللهِ، ومَن زَعَمَ أنَّ لهم في الإسلامِ نصيبًا»[3]. في الخِصالِ: بإسنادِهِ عَن أبي مالكٍ الجُهَني[4] قال: سمعتُ أبا عبدِ الله عليه السلام يقولُ: «ثلاثةٌ لا يكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظُرُ إليهم، ولا يُزكِّيهِم، ولهم عذابٌ أليمٌ، مَن ادَّعى إمامةً ليسَت إمامتُهُ مِنُ اللهِ، ومَن جَحَدَ إمامًا إمامتُهُ مِن عندِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، ومَن زَعَمَ أنَّ لهما نصيبًا في الإسلامِ»[5].

(١) سورة البقرة ٢: ٦.

(٢) أبو محمد عبد الله العبدي: ثقةٌ، جليلٌ في أصحابنا، مِن أصحابِ الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام، كريم على أبي عبد الله عليه السلام، وقد ترحّم عليه، كان قارئًا يقرأ في مسجد الكوفة، له كتابٌ، توفّي أيّام الصّادق عليه السلام. ينظر: رجال النجاشي: ٢١٣، ترجمة رقم: ٥٥٦، وخلاصة الأقوال: ١٩٥، ترجمة رقم: ٢٥.

(٣) الكافي: ١: ٣٧٣، حديث رقم: ٤.

(٤) مُحدِّثٌ إماميٌّ، من أصحابِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام، له كتابٌ يرويه أحمد بن محمّد بن عيسى عن ابن أبي عمير عنه، وروايةُ ابن أبي عمير عنه تُشيرُ إلى الوثاقة. ينظر: طرائف المقال: ١: ٦٤٤، ترجمة رقم: ٦٤٥٤، ومعجم رجال الحديث: ٢٣: ٣٥، ترجمة رقم: ١٤٧٦٧.

(٥) الخصال: ١٠٦، حديث رقم: ٦٩.

عنِ الأعمشِ[١] عن صالحٍ[٢] عن أبي هريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلِّمُهم اللهُ إلى قوله ﷺ: رجلٌ بايعَ إمامًا لا يُبايعُه إلّا للدّنيا، إن أعطاهُ فيها ما يريدُ وَفَّى لهُ، وإلّا كَفَّ عنهُ»[٣] الحديثُ، وعلى أنَّ مُتَّبعَ الهدى مأمونُ العاقبةِ ليس له خوفٌ على متوقَّعٍ، وحُزنٌ على واقعٍ أصلًا كما مرَّ في بيانِ المعنى، وعلى أنَّ معرفةَ الهدى بدونِ اتّباعِهِ لا يجدي نفعًا ولا يَدفعُ خوفًا ولا حُزنًا؛ بل يكونُ مصاحِبًا للنّارِ خالدًا فيها، كما يُنادي بهِ قولهُ تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ آيةٌ:

اللغة:

الكفرُ والتّكذيبُ قد مرَّا لغةً ومعنًى، والآياتُ جمعُ آيةٍ وهي العلامةُ المبيِّنة، قال تعالى: ﴿ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾[٤] أي: علامةً مبيِّنةً لإجابةِ دعائِنا، وكلُّ آيةٍ من كتابِ الله علامةٌ دالّةٌ على المضمونِ فيها . [٢٩٠]

في الكافي في بابِ الجمعِ بين الأختينِ في الإماءِ[٥] في الحديثِ: أَحلَّتها آيةٌ وحَرَّمتها آيةٌ، الآيةُ المحلِّلةُ: هي قولهُ تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٦]، والآيةُ المحرِّمةُ: هي قولهُ تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ

---

(١) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي: مولاهم الكوفيّ معروفٌ بالفضلِ والثقةِ والجلالةِ والتّشيّع والاستقامةِ، أثنى عليهِ العامةُ أيضًا وأطبقوا على فضلهِ وثقتهِ معَ اعترافِهم بتشيّعهِ. ينظر: الكنى والألقاب: ٢: ٤٥.

(٢) هو: أبو الأزهر، صالحُ بنُ درهمٍ الباهليّ: البصريّ، ثقة، روى عن أبي هريرة وسمرة بن جندب وأبي سعيد وابن عمر، وروى عنه شعبةُ وولدهُ إبراهيم بن صالح ومسلمة بن صالح ويحيى القطان. ينظر: تاريخ الإسلام: ٩: ١٧٧، وتهذيب التهذيب: ٤: ٣٤٠، ترجمة رقم: ٦٦١.

(٣) الخصال: ١٠٧، حديث رقم: ٧٠.

(٤) سورة المائدة ٥: ١١٤.

(٥) فقد «سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام عن رجلٍ عندهُ أختانِ مملوكتانِ فَوطِئَ إحداهُما ثمَّ وَطِئ الأخرى؟ قال: إذا وطئ الأخرى فقد حَرُمت عليهِ الأولى حتَّى تموتَ الأخرى، قلتُ: أرأيتُ إن باعَها؟ فقال: إن كانَ إنَّما يَبيعُها لحاجةٍ ولا يخطرُ على بالهِ منَ الأخرى شيءٌ فلا أرى بذلكَ بأسًا، وإن كان إنَّما يبيعُها ليرجعَ إلى الأولى فَلا». الكافي: ٥: ٤٣٢، حديث رقم: ٦.

(٦) سورة النساء ٤: ٣.

الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1]. في الكافي: عَن أَبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: سألتهُ عن الأمَةِ الحُبلى يشتريها الرجلُ؟ فقال: «سُئِل عن ذلك أبي صَلواتُ الله عليهِ فقال: أحَلَّتها آية وحرَّمتها أُخرى أنا ناهٍ عنها نفسي ووُلدي»[2] الحديث، الآيةُ المحلِّلةُ هي قولهُ تعالى في سورةِ المؤمنينَ والمعارجِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[3] والآيةُ المحرِّمةُ هي قولهُ تعالى في سورةِ الطّلاقِ: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[4]. وقالَ ابنُ الأثيرِ: (معنى الآيةِ مِن كتابِ الله: جماعةُ حروفٍ وكلماتٍ دالّةٍ على معنًى مخصوصٍ مأخوذٍ من قولِهم: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي: بجماعتِهم لم يدَعوا من ورائهم شيئًا)[5]. وقالَ أبو عبيدة[6]: (معنى الآيةِ: أنّها علامةٌ بانقطاعِ الكلامِ الذي قبلَها وانقطاعِه من الذي بعدَها)[7]، وقد تجيءُ بمعنى القصّةِ والرّسالةِ. وجميعُ ذلكَ في الأصلِ بمعنى العلامةِ، وقد تُضافُ إلى الجملةِ الفعليةِ قال:

بآيةِ يُقدِمونَ الخيلَ شُعثًا كأنَّ على سَنابِكها مُداما[8]

بـ(آيةِ): متعلِّقةٍ بمحذوفٍ، وجملةِ (يُقدِمون): مضافٌ إليها، و(الخيلَ): مفعولُ يُقدِمون، و(شُعثًا): حالٌ من الخيلِ، أي: أعرفُ قومي بهذهِ العلامةِ، وقالَ:

---

(١) سورة النساء ٤: ٢٣.

(٢) الكافي: ٥: ٤٧٤، حديث رقم: ١.

(٣) سورة المؤمنين ٢٣: ٥-٧، وسورة المعارج ٧٠: ٢٩-٣١.

(٤) سورة الطلاق ٦٥: ٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٨٧.

(٦) هو معمّر بن المثنى البصريّ: من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب، أخذ عن يونس وأبي عمرو، من مصنّفاته: غريب القرآن، ومعاني القرآن، توفي سنة (٢٠٩هـ). معجم الأدباء: ١٩: ١٥٥، ترجمة رقم: ٥١.

(٧) الوسيط في تفسير القران المجيد: ١: ١٢٦.

(٨) البيت من الوافر، قاله الأعشى مشبّها سيلان عرق الخيل عند تعبها بالخمر. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ٩٤٧. والشاهد فيه: إضافة آية إلى الجملة الفعلية.

أَلا مَن مُبلِغٌ عَنِّي تَمِيمًا بآيةِ ما يُحِبُّون الطَّعاما [1]

ونحوَ ذلكَ.

وأصلُها: أَوَيَة أو أَيَيَة مهموزُ الفاءِ لفيفٌ مقرونٌ بالواوِ والياءِ، أو باليائينِ، ساكنَ العينِ في الوجهينِ كتَمْرَةٍ، أو مُتحرِّكَها كشَجَرَةٍ، قُلِبَت عينُها في الجميعِ ألفًا فصارَ آية، والنسبةُ إليها أَوَوِيّ. وقالَ ابنُ الأثيرِ: (وقيلَ: أصلُها: فاعلةٌ، فذهبَ منها اللامُ أو العينُ تخفيفًا ولو جاءت تامَّةً لكانت آيِيَة)[2] مثل قائِلَة.

والأصحابُ جمعُ صاحبٍ كطاهرٍ وأطهارٍ، أو جمعُ صَحِبٍ كنَمِرٍ وأنمار، أو جمع صَحبٍ كنَهرٍ وأنهار وهو القريبُ، و أصلُ الصحبةِ: المقاربةُ، والصاحبُ هو: الحاصلُ مع آخَر مدةً كأصحابِ النبيِّ ﷺ ؛ لأنّه إذا اجتمَعَ معهُ وقتًا واحدًا لم يكن صاحبًا له، لكن يقالُ: صحبَهُ وقتًا ثمَّ فارقهُ. والنّارُ والخلودُ قد مَضى معناهما لغةً ومعنًى.

الإعراب:

(الواوُ): عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ، أَعني: الّذينَ كَفروا إلى آخرهِ على جملةِ (مَن تَبعَ هُدايَ) إلى آخرهِ، و(الّذينَ): مبتدأٌ، و(كفروا): صلتُه، وكذا (كَذَّبوا)، و(بآياتِنا): مُتعلّقةٌ بكلِّ واحدٍ منهُما على سبيلِ التّنازعِ، و(أُولئِكَ): مبتدأٌ ثانٍ خبرُهُ (أصحابُ النّارِ)، والجملةُ: خبرُ الأوَّل، وحينئذٍ جملةُ (هُم فيها خالدون): حالٌ من فاعلِ كفروا وكذَّبوا، أو من أصحابِ النارِ، وعاملُها حينئذٍ اسمُ الإشارةِ مثلَ قولهِ تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[3]، وقولِهِ:﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[4]، ويجوزُ أن يكونَ (الّذينَ): مبتدأ، و(أولئكَ): بَدَلٌ مِنَ (الّذينَ)، أو عطفُ بيانٍ له، و(أصحابُ النّارِ): خبرُ (الّذينَ)،

(١) البيت من الوافر، ليزيد بن عمرو بن الصعق وصف فيه تميمًا بحبّهم للطعام، ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ٩٤٧. والشاهد فيه: إضافةُ آية إلى الجملة الفعلية.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٨٨.

(٣) سورة هود ١١: ٧٢.

(٤) سورة النمل ٢٧: ٥٢.

وجملةُ (هم فيها خالدون): حالٌ أيضًا على النهجِ المذكورِ، ويجوزُ أن يكونَ (الّذينَ): مبتدأٌ، و(أولئكَ): بدلٌ أو عطفُ بيانٍ أيضًا، و(أَصحابُ النّارِ): بَيانٌ عن أولئكَ على طريقِ جَري الوصفِ على الموصوفِ، وخبرُ المبتدأ حينئذٍ جملةُ (هم فيها خالدون)، فلا تكونُ حينئذٍ حاليّةً، ويجوزُ أن تكونَ الجملتانِ كلتاهما خبرينِ عن مبتدأٍ واحدٍ، وإنَّما لم يدخلِ الفاءُ في هذا المقامِ مع تحقّقِ شرطِهِ، أعني: كونُ المبتدأ موصولًا مُتضمِّنًا معنى الشّرطِ، كما دخلَت في مواضِع أُخَرَ، مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1] وقولِهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]؛ لأنَّ دخولَ الفاءِ في أمثالِ ذلكَ جائزٌ وليسَ بواجبٍ، فإنَّ دخولَها في ذلكَ لأجلِ مشابهةِ هذا المبتدأ بالشّرطِ، والخبرِ بالجزاءِ والمشبَّهِ لا يجبُ تساويهِ مع المشبَّهِ بهِ في جميعِ الأحكامِ. [٢٩١]

المعنى:

لَمَّا أمرَهُم سبحانَهُ بالهبوطِ إلى دارِ التّكليفِ، والتّعريضِ للثّوابِ والتّخويفِ والتّحذيرِ عَمَّا يُوجِبُ العقابَ، بيَّنَ أنَّ هذينِ الأمرينِ المتقابلينِ إنَّما يترتبانِ على اتِّباعِ الهدى، ومُجانبةِ الهوى، وعلى اتّباعِ الهوَى، ومُجانبةِ الهدى، فَلَمَّا ذكرَ الأوّلَ أشارَ إلى الثاني بقولِهِ: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾**، أي: ولَم يتبَع هُدايَ؛ بل كفرَ به وباللهِ وآياتهِ وكتبهِ قلبًا وجنانًا[3]، وكَذَّبَ بهداهُ وآياتهِ ودلالاتِهِ لسانًا **﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾**، أي: الملازمونَ للنارِ **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، أي: ثابتون دائِمون مؤبَّدون لا يخرجون منها ولا يَبغونَ عنها حولًا.

في هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّ مَن ماتَ ثابتًا على كفرهِ غيرَ تائبٍ، وكَذَّب بآياتِ ربِّهِ جنانًا ولسانًا فهو خالدٌ في النّارِ، وعلى أنَّ التّكذيبَ دالٌّ على الكفرِ؛ لأنَّه لا يصدرُ إلَّا مِن كافرٍ، وعلى أنَّ الجنَّةَ والنّارَ

---

(١) سورة الحج ٢٢: ٥٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٧٤.

(٣) الجنان: قيل: هي الرّوح، وقيل: روع القلبِ وذهنهُ وخلده، وهو أَذْهَبُ في الخَفاءِ. ينظر: العين: ٢: ٢٤٢، (روع)، ولسان العرب: ١٣: ٩٣، (جنن)، وتاج العروس: ١٨: ١١٣، (جنن).

مخلوقتانِ الآنَ كما مرَّ مرارًا.

قولُهُ تعالى: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)** ﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأَ جمهورُ القرَّاءِ: إسرائيلَ بالهمزِ مع المدِّ على زِنَةِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وهي الفصحى، وقُرِئَ: إسراييلَ باليائينِ، بقَلبِ الهمزةِ ياءً بلا مدّ عن الزّهري والحسنِ، وإسرائِلَ بكسرِ الهمزةِ وحذفِ الياءِ عن الأعمشِ[١]، وإسرالَ بحذفِهما معًا[٢]، وإسرائِينَ بإبدالِ النّونِ مع اللّامِ[٣] كقولِهِ :

قالت وكنتُ رجلًا فَطينًا هذا لعَمرُ الله إسرائينا[٤]

وقُرِئَ: ادَّكِروا للمبالغةِ في أداءِ الذّكرِ، والأصلُ: إذدَكَروا على وزنِ افتعلوا[٥]، وقُرِئَ: نِعمَتي بإسكان ياءِ المتكلمِ وإسقاطِها درجًا، وبفتحِها[٦]، كما هو الدأبُ في إضافةِ كلِّ اسمٍ صحيحٍ أو ملحقٍ به إلى ياءِ المتكلمِ، واُختُلِفَ في أنَّ أيَّهما هو الأصلُ، والصّحيحُ انَّهُ الفتحُ إذِ الأصلُ في الكلمةِ الّتي على حرفٍ واحدٍ هو الحركةُ لِئَلَّا يلزمُ الابتداءُ بالسّاكنِ حقيقةً أو حُكمًا، والأصلُ فيما هو على الحركةِ الفتحُ دونَ الضّمِّ والكسرِ، وقُرِئَ: أُوَفِّ بالتشديدِ للمبالَغةِ والتّكثيرِ[٧]، وقرأَ ابنُ كثيرٍ: فارهبوني بإثباتِ الياءِ في الوصلِ دونَ الوقفِ، والجمهورُ: فارهبونِ بحذفِها مطلقًا ووصلًا ووقفًا

---

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٧٩.

(٢) وهي قراءة ابن أبي ليلى، ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٣٣.

(٣) والقراءة من لغات العرب، وهي لغة تميم، ينظر: إعراب القرآن للنّحّاس.

(٤) البيت من الرجز، لأعرابي صادَ ضَبًّا فأتى بهِ أهلَه، فقالت لهُ امرأتُهُ: هذا لَعمرُ الله إسرائيل، أي: هو ما مُسِخَ مِن بَني إسرائيل. شرح ابن عقيل: ١: ٤٥٠. والشاهد فيه: استعمل لفظ (اسرائينا) إذ استبدل اللّام بالنّون.

(٥) وهي قراءة عبد الله، ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٢٩.

(٦) إذ قرأ حمزة وعاصم بالسكون، والباقون بالفتح، ينظر: جامع البيان في القراءات السبع: ٢: ٩٤٩.

(٧) والقراءة للزّهريّ، ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٨١.

لكراهةِ الوقفِ على الياءِ مع أنَّ في كَسرِ النّونِ دلالَةً على سقوطِ الياءِ[1].

اللغة:

الابنُ والولدُ والنّسلُ والذّرّيَّةُ متقاربةُ المعاني، لكنَّ الابنَ للذّكرِ فقط، بخلافِ الولدِ والنّسلِ والذّرّيّةِ فإنَّها تقعُ على الذكَرِ والانثى، و أصلُ ابن: بَنَوٌ كفَرَسٍ حُذِفت لامُ الكلمةِ، أعني: الواو وعُوِّضَ عنها بهمزِ الوصلِ، أصلهُ من البناءِ وهو: وضعُ الشيءِ على الشيءِ، فالابنُ: مَبنَى الله على الأبِ؛ ولذا يُنسَبُ المصنوعُ إلى صانعِهِ والمعالَجُ إلى معالِجِهِ، كقولِهم للنتيجةِ بنتَ الفكرِ؛ لأنَّها مبنيَّةٌ له، وأبو الحرثِ وأخو الحربِ؛ لأنَّ الأبَ أصلٌ والابنَ فرعٌ لهُ، ويُجمَعُ على بنونَ وأبناءٍ .

وإِسر على زِنَةِ حِبرٍ، وإِسرا على وزنِ ذِكرى، كلاهما بمعنى العبدِ والصّفوةِ، وإِيل بالعبرانيّةِ بمعنى الله، ثمَّ صارَ مجموعُ المضافِ والمضافِ إليهِ عَلَمًا ليعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ عليهما السلام، وكذلك جبرائيلُ وميكائيلُ. قالَ ابنُ الأثيرِ: (وفيه ذكرُ جبرائيلَ وميكائيلَ، قيلَ هما جَبر وميكا أُضيفا إلى إِيل وهو اسمُ اللهِ تعالى، وقيلَ هو الربوبيّة)[2]، انتهى.

وفي القاموسِ المحيطِ: (إِيل بالكسرِ: اسمُ الله)[3]، انتهى.

وفي العللِ: عنِ الصّادقِ عليه السلام في حديثٍ: «يعقوبُ عليه السلام: هو إسرائيلُ، ومعنى إسرائيلَ: عبدُ الله؛ لأنَّ إِسرا هو العبدُ وإيلَ هو الله»[4]، وفي روايةٍ « إِسر: هو القوَّةُ، وإِيل: هو الله»[5]. في عيونِ الأخبارِ: بإسنادهِ إلى أميرِ المؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويلٍ وفيه: سألهُ عن ستَّةٍ من الأنبياءِ لهم إسمان، فقالَ: «يوشعُ بنُ نون وهو ذو الكفل، ويعقوبُ وهو إسرائيلُ»[6]. والذّكرُ: جَريُ الشّيءِ على

---

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ١٥٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٨٥.

(٣) القاموس المحيط: ٣: ٣٣٢، (إيل).

(٤) علل الشرائع: ١: ٤٣، حديث رقم: ١.

(٥) علل الشرائع: ١: ٤٣، حديث رقم: ٢.

(٦) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ٢٢٢.

اللّسانِ، وحفظُ الشّيءِ وتَذَكُّرُه، وضدَّهُ النّسيانُ، والذّكرُ: الشّرفُ والفخرُ لقولهِ تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(١)، أي: شرفٌ وفخرٌ لكَ ولقومِكَ. [٢٩٢]

ومنه «الحديثُ في صفةِ القرآنِ وهوَ الذكرُ الحكيمُ، أي: الشّرفُ المُحكَمُ العاري من الاختلافِ»(٢)، أو المبيّنُ للحلالِ والحرامِ والقصّةِ والأحكامِ على ما هي عليهِ، والذّكرُ: الجَلالةُ والعظمةُ، ومنهُ الحديث: «القرآنُ ذكرٌ فَذَكِّروه»(٣) أي: انّهُ جليلٌ خطيرٌ فأجِلّوه وعَظّموه، والذّكرُ: الكِتابُ الذي فيهِ تفصيلُ الدّينِ كالقرآنِ وسائرِ كُتبِ الانبياءِ، والذّكرُ: الدّعاءُ والصّلاةُ، وفي الآثارِ الصّحيحةِ «كانتِ الأنبياءُ إذا حَزَبَهم أمرٌ فَزَعوا إلى الذّكرِ»(٤) أي: إلى الصّلاةِ، كما يجيءُ مثلُه إن شاء اللهُ تعالى عن قريبٍ.

والذّكرُ: تمجيدُ اللهِ تعالى وتقديسُهُ وتسبيحُهُ وتهليلهُ والثّناءُ عليهِ بجميعِ محامدهِ، والذِّكرُ: الخِطبةُ بالكسرِ، وفي الحديثِ: «إنَّ عليًّا يذكرُ فاطمةَ عليها السلام ، أي: يخطبَها، أو يَتَعرَّضُ لخطبتها»(٥)، والذّكرُ: النّبيُّ والإمامُ(٦)، ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾(٧).

والنِّعمةُ بالكسرِ: معروفةٌ، وهي تشملُ جميعَ ما أنعمَ اللهُ بهِ على العبادِ من إفاضةِ الوجودِ إلى سائرِ ما يحتاجُ إليهِ الوجودُ والبقاءُ والقوامُ من أحوالِ المبدأ والمعادِ، ونعمةُ الله أيضًا: النبيُّ والأئمةُ عليهم السلام؛ بل هُم أعظمُ نعمةٍ من نعمائهِ كما قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: « وأنزلَ اللهُ تعالى فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٤٤.

(٢) ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ١٠: ٢٥٣.

(٣) غريب الحديث: ابن قتيبة : ٢: ٣٠.

(٤) مجمع البيان: ١: ١٨٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٦٣.

(٦) ينظر: بحار الأنوار: ٢٣: ١٧٣، ومن ذلك ما قالَهُ أبو الحسن الرّضا عليه السلام : «الذّكرُ: رسولُ الله صلى الله عليه وآله، ونحنُ أهلُهُ».

(٧) سورة العنكبوت ٢٩: ٤٥.

إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[1]، ونعمةُ الله: مُحمّدٌ ﷺ وأهلُ بيتِهِ، حبُّهم إيمانٌ يُدخِلُ الجنَّةَ، وبُغضُهم كُفرٌ ونِفاقٌ يُدخِلُ النارَ»[2].

والمرادُ بـ(الّذينَ): هُم بنو أميَّةَ ومَن يحذو حَذوَهم، والتّنوينُ في (كُفرًا) للتّعظيمِ، والمعنى: ألَمْ ينتهِ عِلمُكَ إلى بني أميَّةَ الذينَ بَدَّلوا نِعمَةَ الله كفرًا، أي: وضَعوا موضِعَها كفرًا عظيمًا كأنَّهم لعَنَهم اللهُ نفسُ الكفرِ، وأحلُّوا، أي: أنزلوا قومَهُم دارَ البوارِ، أي: الهلاكُ كقولِهِ تعالى في حكايةِ فرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[3] جهنّمَ: عطفٌ لدارِ البوارِ. والنَّعمةُ بالفتحِ المسرَّةُ والفرحُ والتَّرفُّةُ.

وفيتُ بعهدِكَ وأوفيتُ بمعنًى، قالَ الخليلُ في عينِ اللغةِ: «تقولُ وفَيتُ بعهدِكَ وفاءً، وأوفيتُ لغة تهامةَ»[4]، يقالُ وَفَى الشّيءُ ووَفَّى وأوفَى: إذا تَمَّ وكَملَ، فَوَفَى الشيءَ وأوفَى ووَفَّى بمعنًى، قالَ الشّاعرُ في الجمعِ بين اللغتينِ:

أَمَّا ابنُ عَوفٍ فَقَد أوفَى بِذِمَّتِهِ　　　كَما وَفَى بِقِلاصِ النَّجمِ حادِيها[5]

يعني بهِ الدَّبرانَ[6] وهوَ التّالي.

والعهدُ: الأمرُ والميثاقُ والوصيّةُ والإمامةُ والرهبةُ والخوفُ والفَرَقُ نظائرٌ إلّا الرّهبةَ: هي الخوفُ مع تحرّزٍ من وقوعِ ما يُخافُ منهُ، وضدُّ الرّهبةِ: الرّغبةُ، وضدُّ الخوفِ: الطّمعُ، وفي أمثالِهِم: «رَهَبوتٍ مِن رَحَموتٍ»[7]، أي: لأن تُرهَبَ خيرٌ مِن أن تُرحَمَ، فَعَلُوتٌ من الرّهبةِ والرّحمةِ كَجَبَروتٍ ومَلَكوتٍ مِن الجَبرِ والمُلكِ.

---

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٢٨، ٢٩.

(٢) الصحيفة السّجاديّة: ٢٠.

(٣) سورة هود ١١: ٩٨.

(٤) العين: ٨: ٤٠٩، (وفي).

(٥) البيت من البسيط، للطّفيل الغنوي، وقِلاص النّجم: هي العشرون نجماً التي ساقها الدَبران في خِطبة الثّريّا كما تزعم العرب، والشاهد فيه: أنّه جمع لغتي وَفَى وأوفَى. لسان العرب: ٧: ٨٢، (قلص).

(٦) وهو: نجم أحمر يقع ضمن نجوم برج الثور؛ سُميَ الدّبران لأنّه يدبر الثريَّا. جمهرة اللغة: ١: ٢٩٧.

(٧) مجمع الأمثال: ١: ٢٨٨، مثل رقم: ١٥٢٧.

الإعراب:

(يا): حرفُ النّداءِ، و(بَني): مُنادى منصوبٌ لفظًا؛ لكونهِ مضافًا، ونصبهِ بالياءِ، و(إسرائيلَ): مجرورٌ؛ لكونهِ مضافًا إليهِ وجرُّه بالفتحةِ؛ لأَنَّهُ غيرَ منصرفٍ لوجودِ سَببينِ: العجمةُ والتّعريفُ مع كونهِ زائدًا على الثّلاثةِ، (اذكروا): فعلُ أمرٍ من بابِ نَصَرَ وفاعلٌ، و(نعمةً): منصوبةٌ تقديرًا؛ لكونها مفعولًا بها، و(الياء) في محلِّ الجرِ؛ لكونهِ مضافًا إليه، و(الّتي): نعتٌ للنّعمةِ، وجملةُ (أنعمت): صلتها، والعائدُ: محذوفٌ، أي: أنعمتها أو أنعمتَ بها، و(عليكم): متعلّقٌ بالصلةِ.

جملة (أوفوا): بهمزةٍ مفتوحةٍ بصيغةِ الأمرِ من بابِ الافعالِ من الفاعلِ: عطفٌ على (اذكروا)، و(بعهدي): متعلِّقٌ بهِ، وهو من إضافةِ المصدرِ إلى الفاعلِ، (أُوفِ): بضمِّ الهمزةِ بصيغةِ المتكلمِ وحدَه: فعلُ مضارعٍ من بابِ الافعالِ مجزومٌ لوقوعِه جوابًا، وعلامةُ جزمهِ حذفُ الياءِ التي هي لامُ الفعلِ، وبـ(عهدِكم): متعَلِّقٌ بـ(أُوفِ) وهو من إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ أو إلى الفاعلِ. و(إيَّايَ): مفعولٌ به لـ(ارهَبوا) محذوفٌ يُفسِّرُهُ ارهبوني، ولا يجوزُ أن يكونَ منصوبًا بقولهِ (فارهبونِ) لكونِهِ مشغولًا، كما لا يجوزُ أن يقالَ: إنَّ زيدًا في مثلِ زيدًا فاضربهُ منصوبٌ بـ(اضربهُ) لكنَّهُ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ غيرِ مشغولٍ يُفسِّرُهُ ما هو مذكورٌ في اللفظِ، أي: زيدًا أضرِبُ فاضربهُ، والتّقديرُ في الآيةِ: وإيَّايَ ارهبوا فارهَبوني، أو إيَّايَ فارهَبوا ارهبونِ، وعلى التّقديرينِ يُفيدُ التّقديمُ [٢٩٣] المذكورُ الحصرَ والتّخصيصَ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، حتّى أنّه أبلَغُ وآكَدُ في ذلكَ من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]؛ لما فيهِ معَ التّقديرِ منَ التّكريرِ كما في قولِهم: زيدًا عرفتُهُ، إذا كانَ تقديرهُ: زيدًا عرفتُ عرَفتُهُ، بخلافِ إذا كانَ عرفتُ زيدًا عرفتُهُ، والفاءُ في أمثالِ هذهِ المواضعِ، أعني: في الآيةِ المذكورةِ ونحوِها إمَّا زائدةٌ؛ لأنَّ ما بعد الفاءِ غير الزائدةِ لايعملُ فيما قبلَها فالتقديرُ الثّاني مبنيٌّ عليهِ، وإمَّا غيرُ زائدةٍ، بل هي واقعةٌ في غيرِ موقعِها لأجلِ تقديرِ الشّرطِ المحذوفِ، ونظيرُ ذلكَ قولهُ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ

(١) سورة الفاتحة ١: ٥.

فَاهْجُرْ﴾[1]؛ لأنَّه قد تُحذف أمَّا الشّرطيّةُ المفتوحةُ الهمزةُ حذفًا مطّردًا لكثرةِ الاستعمالِ إذا كان ما بعدَ الفاءِ أمرًا أو نهيًا وما قبلَها منصوبًا بهِ أو بمُفسَّرٍ بهِ معَ وجودِ واوٍ غالبًا مفيد للتّفصيلِ، والتّقديرُ: وأمَّا ربَّكَ فكبِّر وأمَّا ثيابَكَ فطهِّر وأمَّا الرجزَ فاهجُر، وذكرُها، أي: (أمَّا) أكثرُ من حذفِها كقولهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وعلى التّقديرينِ ما بعد هذه الفاءِ يعملُ فيما قبلَها؛ لكونِها واقعةً في غيرِ موقعِها؛ لأنَّ التقديرَ في نحوِ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: مهما يكن من شيءٍ فلا تقهرِ اليتيمَ، ومهما يكن من شيءٍ فلا تنهرِ السائلَ، ومهما يكن من شيءٍ فحَدِّث بنعمةِ ربِّكَ، فلمَّا التزموا حذفَ فعلِها، أعني: مهما يكن من شيءٍ، وإقامةَ أمَّا مقامَها صارَ الكلامُ هكذا: أمَّا فلا تقهرِ اليتيمَ إلى آخرِه فوقعَ أداتا الشرطِ والجزاءِ، أعني: (أمَّا والفاءَ) كلتاهما في صدرِ الجملةِ الشرطيّةِ وذلك مُستبشَعٌ جدًا فعَوَّضوا وجوبًا بينَها وبينَ فائِها جزءًا ممَّا في حيِّزِ فائِها سواءٌ كان ذلكَ الجزءُ مبتدأً، نحو: أمَّا زيدٌ فمُنطلقٌ، وقولهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[3] على قراءةِ رفعِ ثمودَ[4]، أو خبرًا، نحو: أمَّا قائمٌ فزيدٌ، أو مفعولًا بهِ، نحو: قولهِ تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ الآيتانِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ الآيات كما مرَّ، وكذا قولهِ تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾، تقديرَهما: وأمَّا إيَّايَ فارهبونِ، وأمَّا ايَّايَ فاتّقونِ، أصلُهُما مهما يكن من شيءٍ فإيَّايَ ارهبوا ارهبونِ، وفإيَّايَ اتّقوا اتّقونِ، فالتُزِمَ حذفُ فعلِها وعُوِّضَ بينَها وبينَ فائِها جزءٌ ممَّا في حيِّزِ فائِها وهو المفعولُ ههنا أيضًا، أعني: إيَّايَ فصارَ: وأمَّا إيَّايَ فارهَبونِ ثُمَّ حُذِفَت أمَّا لكثرةِ الاستعمالِ كما ذَكَرنا، أو ظرفًا، نحو: أمَّا يومُ الجمعةِ فزيدٌ منطلِقٌ، وقولهُم بعدَ إتمامِ الخُطَبِ: أمَّا بعدُ فيقولُ فلانٌ كذا، أو فلمَّا كانَ كذا، أو هذهِ فوائدٌ ونحوَ ذلكَ، أو

---

(١) سورة المدثر ٧٤: ٣ـ ٥.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ٩ـ ١١.

(٣) سورة فصّلت ٤١: ١٧.

(٤) وهي قراءة عبد الله بن أبي اسحاق. ينظر: إعراب القرآن للنّحّاس: ٤: ٣٩، وتفسير البيضاوي: ٥: ٦٩.

فإنَّ اللهَ تباركَ إلى آخِرِه، أو جارًّا ومجرورًا، كقولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أو مفعولًا مطلقًا، نحو: أمَّا ضربُ الأميرِ فأنا ضاربُكَ، أو مفعولًا له، نحو: أمَّا تأديبًا فأنا ضاربُكَ، أو حالًا، نحو: أمَّا مجرَّدًا فإنِّي ضاربُك، أو فعلَ الشّرطِ، نحو: قولِهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1] الآياتُ الثّلاثُ[2]، فهذه تسعةُ أشياءٍ قد ذكرناها في تفسيرِ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾[3] الآية، وستجيءُ الإشارةُ إلى بعضِها أيضًا، وقال نجمُ الأئمّةِ الشّارحُ الرّضيُّ في شرحِ مقدمةِ ابنِ الحاجبِ في النّحوِ في بحثِ أمَّا الشّرطيَّة: «وقد يُحذَفُ أمَّا لكثرةِ الاستعمالِ، نحو: قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ وكذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾[4] و ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[5] وإنَّما يطَّردُ ذلكَ إذا كانَ ما بعدَ الفاءِ أمرًا أو نهيًا وما قبلَها منصوبًا بهِ أو بمُفسَّرٍ بهِ، فلا يقالُ: زيدًا فضَربتُ، ولا زيدًا فضربتُهُ، بتقدير أمَّا»[6]، انتهى.

وقالَ ﷺ في بيانِ ذلكَ المطلبِ في بابِ خبرِ كانَ: «لأنَّ ما بعدَ الفاءِ لايعملُ فيما قبلَها إلَّا معَ أمَّا الشرطيّة، إمَّا ظاهرةً كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وإمَّا مُقدَّرةً، نحو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ كما يجيءُ في حروفِ الشرطِ»[7]، انتهى.

وأمَّا الفاءُ في قولِهم: زيدٌ فوُجِدَ أو فَموجودٌ: فزائدةٌ لا غير؛ لعدمِ جوازِ دخولِ الفاءِ غيرِ الزائدةِ وغيرِ الواقعةِ موقعها على خبرِ المبتدأِ الذي لم يكن اسمًا موصولًا بفعلٍ أو ظرفٍ ولا اسمًا موصوفًا بهما، وأمَّا نحوَ قولِ الشاعرِ: [٢٩٤]

---

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٨٨.

(٢) وهي الآياتُ: ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ من سورة الواقعة المباركة.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦.

(٤) سورة ص ٣٨: ٥٧.

(٥) سورة يونس ١٠: ٥٨.

(٦) شرح الرضي على الكافية: ٤: ٤٧٤.

(٧) شرح الرضي على الكافية: ٢: ١٥٠.

وقائلةٍ خَولانُ فانكِح فَتَاتَهم وأُكرُومَةُ الحَيَّينِ خِلوٌ كما هِيا [١]

فالفاءُ فيهِ زائدةٌ عند الأخفشِ[٢]، أو الكلامُ جملتانِ عند سيبويهِ تقديرُهُ: هؤلاءِ خَولانُ فانكح فَتاتَهم[٣]، كما بَيَّنَّاه في زينةِ السالكِ[٤]، وأما قولُه تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[٥]، وقولهُ تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٦] فتقديرُهُ عند سيبويه: حكمُ الزانيةِ والزاني فيما يُتلى عليكم بعدُ فإن ثبتَ زِناهُما فاجلِدوا إلى آخِرِه، وحُكمُ السارقِ والسارقةِ فيما يُتلى عليكم بعدُ فإن ثبتَت سرقتُهما فاقطعوا أيديَهما[٧]، فالآيةُ جملتانِ عندَه، وارتكابهُ لهذا الحَذفِ والتقديرُ؛ لأجلِ أنَّ ما بعدَ الفاءِ لا يعملُ فيما قبلَها على ما ذكرناهُ وجزءُ الجملةِ لا يعملُ في جزءِ جملةٍ أخرى أيضًا، وأمَّا عند الأخفشِ فالفاءُ في هاتينِ الآيتينِ ونحوِهما فاءُ الجزائيّة[٨] لكونِ الألفِ واللامِ فيهما اسمًا موصولًا متضمِّنًا معنى الشرطِ، ومثل هذهِ الفاء لا يعملُ ما حيّزها فيما قبلَها لكونها هنا غيرَ زائدةٍ، وكونها واقعةً في موقعِها؛ ولأجلِ هذينِ الوجهينِ اتّفقَ القرّاءُ قاطبةً على رفعِها في الآيتينِ ولم يُجوِّزوا نصبَهما مع كونهما واقعينِ قبل الأمرِ[٩]، ولا يجري فيما نحنُ فيه شيءٌ من هذينِ الوجهينِ أصلًا لعدمِ وجودِ الشّرائطِ فيهِ، فتأمَّل تثبَّت.

---

(١) البيت من الطويل، ولا يُعرف قائله، وهو من شواهد سيبويه: ١: ١٣٩، وخولان: حي في اليمن. ينظر: خزانة الأدب: ١: ٤٣٣.

(٢) ينظر: خزانة الادب: ٨: ١٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ١: ١٣٩.

(٤) مخطوط للمُصنِّف.

(٥) سورة النور ٢٤: ٢.

(٦) سورة المائدة ٥: ٣٨.

(٧) ينظر: الكتاب: ١: ١٤٣.

(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١: ٨٦.

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٧١، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٢٠٦.

تحقيقُ مقامٍ لدفعِ إبهامٍ:

اعلم أنَّه قد يكونُ الفاصلُ بينَ أمَّا الشرطيّةِ وفائِها حرفُ شرطٍ آخرَ مع فعلهِ كقولهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[1] الآياتُ الثّلاثُ، والتّقديرُ: فمَهما يكن من شيءٍ فإن كانَ من المقربين فلهُ روحٌ وريحانٌ وجنَّةُ نعيمٍ، أو فجزاؤهُ روحٌ إلى آخرهِ، فعلى الأوَّلِ (روحٌ) مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ، وعلى الثاني خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، فلمّا حُذِفَ مَهما وأُقيمَت كلمةُ أمَّا مقامَها صارَ الكلامُ هكذا: فأمَّا فإن كان من المقرّبينَ فَروحٌ إلى آخِره فاجتمَعَتِ الأداتانِ في صدرِ الجملةِ الشرطيّةِ فقُدِّمَت حرفُ الشرط، أعني: (إن) مع فعلِ الشّرطِ، أعني: (كانَ منَ المقرّبينَ) على (الفاءِ) فالتقى فاءانِ حُذِفَت الفاءُ الثانيةُ منهما التي هي جوابُ الشّرطِ الثّاني للتّكرارِ فصارَ هكذا فأمَّا إن كانَ مِنَ المقربين فروحٌ إلى آخِرهِ، فقولهُ فروحٌ أي فلهُ رَوحٌ أو فجزاؤهُ روحٌ جوابٌ للشّرطِ الأوّلِ، أعني: أمَّا، وحُذِفَ جوابُ الشّرطِ الثّاني، أعني: إن كانَ كما هو القاعدةُ في اجتماعِ الشّرطينِ أو الشّرطِ والقَسَمِ، وكذا قولهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[2] والفاءُ الثاني: جوابُ الشرطِ الأوّلِ، وجواب الشرط الثاني محذوفٌ، والفاءُ الأوّلُ لعطفِ التفصيلِ على الإجمالِ، وليست فاءٌ جزائيَّةٌ، ولا يحتاجُ إلى تقديرِ اسمٍ بينَ أمَّا وفائِها في مثلِ قولهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ بأن يقالُ: فأمّا المتوفّيَ إن كانَ من المقرّبينَ؛ لأنَّه سمِجٌ[3] قبيحٌ مغسولٌ من الكلامِ رَذْلٌ، كما نَصَّ عليهِ فحولُ النّحاةِ والبيانيّين[4] كما بيَّنّاه في تفسيرِ قولهِ: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾[5] الآيةُ،

---

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٨٨.

(٢) سورة الفجر ٨٩: ١٦.

(٣) (أي: لا ملاحةَ فيه). العين: ٦: ٦٠.

(٤) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٩: ٤٣٩٨، ومغني اللبيب: ١: ٥٨، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ١: ٩٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٦.

خلافًا للمحقِّق التّفتازانيّ[1].

مناقشةٌ على المحقِّقِ التّفتازانيّ:

فإنَّه زعمَ أنَّها لزمَها لصوقُ الاسمِ كما نصَّ على ذلك في شرحيهِ الكبيرِ والصغيرِ على تلخيصِ المفتاحِ[2]، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا في الآيةِ المذكورةِ، أعني: قولَهُ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾.

تنبيه:

قالَ الرضيُّ ﵀: «وأمَّا بيانُ معنى الشرطِ فيها، أي: في (أمَّا) فبأن نقولَ: هي حرفٌ بمعنى (إن) حُذِفَ شرطُها؛ لكثرةِ استعمالِها في الكلامِ؛ ولكونِها في الأصلِ موضوعةً للتّفصيلِ وهو مقتضٍ تكرارها غالبًا، كما ذكرنا من قولنا: أمَّا زيدٌ ففقيهٌ، وأمَّا عمروٌ فمتكلِّمٌ، فيؤدِّي إلى الاستثقالِ لهذا؛ وأيضًا حُذِفَ ذلك وجوبًا لغرضٍ معنويٍّ؛ وذلك أنَّهم أرادوا أن يقومَ ما هو الملزومُ حقيقةً في قصدِ المتكلِّمِ مقامَ الشرطِ الذي هو الملزومُ في جميعِ الكلامِ، تفسيرُ ذلك: أنَّ أصلَ: أمَّا زيدٌ فقائمٌ: أمَّا يكن من شيءٍ فزيدٌ قائمٌ، بمعنى إن يكن، أي: إن يقعَ في الدنيا شيءٌ يقعُ قيامُ زيدٍ، فهذا جزمٌ بوقوعِ قيامهِ وقطعٌ بهِ، بأنَّه جعلَ حصولَ قيامِهِ لازمًا لحصولِ شيءٍ في الدنيا، وما دامتِ الدنيا باقيةٌ فلابدَّ من حصولِ شيءٍ فيها، ثمَّ لمّا كان الغرضُ الكلّي من هذهِ الملازمةِ المذكورةِ بين الشرطِ والجزاءِ لزومِ القيامِ لزيدٍ حُذِفَ الملزومُ الذي هو الشرطُ، أي: يكن من شيءٍ وأُقيمَ ملزومُ القيامِ وهو زيدٌ مقامَ ذلك الملزومِ[3] وبقيَ الفاءُ بين المبتدأِ والخبرِ؛ لأنَّ فاءَ السببيَّةِ ما بعدها لازمٌ لما قبلَها،

---

(1) هو: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي الشافعي: من أئمة العربية والبيان والمنطق، له العديد من المصنّفات، منها: تهذيب المنطق، و المطول، ومقاصد الطالبين، وغيرها، توفي سنة (٧٩١هـ). ينظر: الكنى والألقاب: ٢: ١٢١، والأعلام: ٧: ٢١٩.

(2) ينظر: الأطول: ٩، ومختصر المعاني: ١٠.

(3) ومنه في حاشية الأصل: أي: الملزوم الأول وهو: يكن من شيءٍ.

فحصَلَ غرضُكَ الكلِّي وهو لُزومُ القيامِ لزيدٍ فلهذا الغرض جازَ وقوعُ الفاءِ في غيرِ موقعِها، فقد تبيّنَ أنَّه حصَلَ لهم من حذفِ الشرطِ وإقامةِ جزءِ الجزاءِ موقعَهُ شيئانِ مقصودانِ مهمّانِ: [٢٩٥]

أحدُهُما: تخفيفُ الكلامِ بحذفِ الشّرطِ الكثيرِ الاستعمالِ.

والثاني: قيامُ ما هو الملزومُ حقيقةً في قصدِ المتكلِّمِ مقامَ الملزومِ في كلامِهم، أَعني: الشّرطَ، وحصَلَ أيضًا من قيامِ جزءِ الجزاءِ موضعِ الشّرطِ ما هو المتعارفُ عندَهم من شغلِ حيِّزٍ واجبِ الحذفِ بشيءٍ آخرَ، ألا تَرى أنَّ خبرَ المبتدأ بعد (لولا) وبعد القسمِ لم يُحذَف وجوبًا إِلَّا معَ سدِّ جوابِ (لولا) وجوابِ القسمِ مسَدَّه، وحصَلَ أيضًا منه بقاءُ الفاءِ متوسطةً للكلامِ كما هو حقُّها، ولو لم يتقدَّم جزءُ الجزاءِ لوَقَعت فاءُ السببيَّة في أولِ الكلامِ، وكذا يُقدَّمُ على (الفاءِ) من جزءِ الجزاءِ المفعولُ به، أو الظرفُ، نحو: أمَّا اليتيمُ فلا تَقهَر، وأمَّا يومُ الجمعةِ فأنا ذاهبٌ، إذا قصدتَ أنَّهما ملزومانِ لحكمٍ، والمعنى: أنَّ عدمَ القهرِ ينبغي أن يكونَ لازمًا لليتيمِ، وذهابي لازمًا ليومِ الجمعةِ، وكذا غيرُ ذلك من معمولاتِ الجزاءِ كالحالِ، نحو: أمَّا مجرّدًا فإنِّي ضاربُك، والمفعولِ المطلقِ، نحو: أمَّا ضربَ الأميرِ فإنِّي ضاربُك، والمفعولِ له، نحو: أمَّا تأديبًا فأنا ضاربُك، فلا يُستَنكَرُ عملُ ما بعد فاءِ السببيّةِ فيما قبلَها وإن كانَ ذلك ممُتنِعًا في غيرِ هذا الموضِعِ؛ لأنَّ تقديمَ المعمولاتِ المذكورةِ لأجلِ الأغراضِ المهمةِ التي مضت، ولا تقولَ مثلًا: إن جئتَني زيدًا فأنا ضاربٌ، على أنَّ زيدًا مفعولُ (ضاربٌ) إذ لم يحصل بالتّقديمِ شيءٌ منَ الأغراضِ، ثمَّ إنَّه يجوزُ التّقديمُ للأغراضِ المذكورةِ وإن كانَ هناك مانعٌ آخرُ من التّقديمِ غيرِ (الفاء)، نحو قولكَ: أمَّا يومُ الجمعةِ فإنَّ زيدًا سائرُ، وكذا نحو: أمَّا زيدًا فما أضرِبُ، ولا تُقَدِّمُ من أجزاءِ الجزاءِ شيئَينِ فصاعدًا؛ لأنَّكَ لا تتجاوزُ قدرَ الضرورةِ فلا تقولَ: أمَّا زيدٌ طعامَك فلا يأكلُ.

وقد يقعُ كلمةُ الشّرطِ معَ الشّرطِ من جملةِ أجزاءِ الجزاءِ مقامَ الشرطِ كقولهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[١]، أي: أمَّا يكن من شيءٍ، فإن كانَ من المقرَّبين، فلهُ روحٌ وريحانٌ،

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٨٨ ـ ٨٩.

فقولهُ: فروحٌ: جوابُ أمَّا أُستُغنِيَ بِهِ عن جوابِ (إن)، والدّليلُ على أنَّه ليس جوابَ (إن) عدمُ جوازِ: أمّا إن جئتَني أُكرمْكَ بالجزمِ، ووجوبِ أمَّا إن جئتَني فأُكرمُكَ، معَ إنَّ نحو: إن ضربتَني أُكرمْكَ بالجزمِ أكثرُ مِن نحوِ: إن ضربتَني فأُكرمُكَ»[1]، انتهى كلامُ الرضيِّ ﵀. ويُعلم منه فوائدُ جمَّة فتبصَّر، إذا عرفتَ ما ذكرناهُ سابقًا علمتَ أنَّه ما قالهُ البيضاويُّ من قولهِ كأنَّه قيلَ: إن كنتم راهبينَ شيئًا فارهبونِ ليس بجيِّدٍ ولا ما قالهُ غيرُهُ[2].

المعنى:

لَمَّا ذكرَ سبحانُهُ عمومَ النّاسِ من بني آدمَ وأمرَهم بعبادتِهِ في قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾[3] إلى آخره؛ لاستحقاقِهِ لها بالحججِ الواضحةِ على توحيدِهِ؛ وكونهِ مُنعِمًا عليهم بأنواعِ النّعمِ المتكاثِرةِ الظاهرةِ والباطنةِ من تكوينهِم وإيجادِهِم تعريضًا للثّوابِ الأبديِّ، وجعلِهِ الأرضَ لهم بساطًا، والسماءَ بناءً وسقفًا محفوظًا، وإنزالِهِ منَ السماءِ ماءً، وإخراجِهِ بِهِ منَ الثمراتِ رزقًا لهم، وجعلهِ أباهم آدمَ حجَّةً وخليفةً، وتعليمِهِ سبحانهُ إِيَّاهُ ما يحتاجونَ إليهِ من علمِ الشرائعِ والأحكامِ، وغير ذلك ممَّا لا يحيطهُ به نطاقُ البيانِ؛ إزاحةً لعللِهِم، ومنًّا له تعالى عليهِم وبشارتهِ لمؤمنيهِم بالثّوابِ الدائمِ، وذكرِ سائرِ ما أنعمَ بِهِ عليهم في أبيهم آدمَ وبالتّنصيصِ بإمامتِهِ وخلافتهِ بالحُجَجِ النيِّرةِ خصَّ من بينهم أولادَ يعقوبَ ﵇ بالحججِ الباهرةِ والآياتِ القاهرةِ، وذكَّرَهم بما أسدَى إليهم وإلى آبائِهم وأسلافِهِم منَ النّعمِ الباطنةِ والظاهرةِ؛ لكونهِم أكثرَ من سواهِم وكونهِم من أهلِ الكتابِ والعلمِ، وهم مع ذلكَ أشدُّ عنادًا لمحمدٍ ﷺ وأوصيائهِ صلواتُ الله عليهم [٢٩٦]

---

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤: ٤٦٧ ـ ٤٦٩.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٣١٠، وتفسير أبي السعود: ١: ٩٥، وزبدة البيان: ١: ١٣٥، وفتح القدير: ٣: ١٦٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢١.

فقالَ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: يا أولادَ يعقوبَ، وأرادَ بالبنين: ما هو أعمُّ منهم ذكورًا وإناثًا هودًا ونصارى جميعًا، نسبَهم سبحانُه إلى الأبِ الأعلى، كما قالَ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾(١)، و﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٢)، والخطابُ لليهودِ والنّصارى جميعًا الذين كانوا بالمدينةِ وغيرِها.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ بها عَلَيْكُمْ﴾، أي: النّعمةُ الواصلةُ إليكم أنفسِكم وإلى آبائِكم بالتّفكّرِ فيها، وبحمدِ مُنعمِها، وقَيدِ الأوابدِ الشّاردةِ منها بتحدِيثِها، والقيامِ بشكرِها، أمَّا النِّعمُ الواصلةُ إلى أسلافِهم وآبائِهم فهي كثرةٌ، من ذلكَ: جعلُ أكثرِ الأنبياءِ فيهم، والكتبِ، وإنجائِهم من سوءِ عذابِ فرعَونَ، ومن الغرقِ، وإنزالِ المنِّ والسّلوى عليهِم، وتضليلِ الغَمامِ، وكونِ الملكِ فيهم في زمنِ سليمانَ عليه السلام، وغيرِ ذلكَ، كما قالَ تعالى في قولهِ في سورةِ المائدةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾(٣) وغيرِ ذلك ممَّا يجيءُ في سورةِ البقرةِ وغيرِها، وعدُّ النّعمةِ على آبائِهم نعمةٌ عليهِم في نفسِ الامرِ؛ ولأنَّ الأولادَ يتشرَّفون بفضيلةِ الآباءِ، وأمَّا النّعمُ الواصلةُ إليهم أنفسِهم ممَّا اختصُّوا به دونَ آبائِهم فهي كثيرةٌ أيضًا، من ذلكَ تبقيةُ آبائِهم حتَّى تناسَلوا فصاروا من أولادِهم، وعدَمُ مسخِ آبائِهم، ومن ذلكَ أيضًا خِلقتُهُم وخلقةُ آبائِهم على وجهٍ يُمكنُهم الاستدلالُ على توحيدِهِ والوصولِ إلى معرفتِهِ فيشكروا نعمَهُ ويَستحقُّوا ثوابَهُ، ومن ذلك أيضًا ما يُوصَلُ إليهم حالًا بعد حالٍ من الرزقِ ودفعِ المكارهِ والأَسواءِ عنهم، ومِن أعظمِ تلكَ النّعمِ أيضًا هي ممّا استودَعَهم سبحانُهُ من علمِ التّوبةِ وتبيينِهِ سبحانهُ فيها محمَّدًا صلى الله عليه وآله وصفاتِهِ واوصيائِهِ والزامِهِ تعالى إيَّاهم وتصديقِ أَوصيائهِ واتّباعِهم، وأخذِ المواثيقِ المؤكّدةِ منهم على ذلكَ، بأن قالَ: أبعثُ محمدًا صلى الله عليه وآله

(١) سورة الأعراف ٧: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٣١.

(٣) سورة المائدة ٥: ٢٠.

وأقررتُهُ[1] في مدينتِكم، ولم أُجشِّمَكم الحطَّ والرّحالَ إليهِ، وأَوضحتُ صفاتِه وعلاماتِه ودلائلَ صدقهِ من المعجزاتِ الباهرةِ كيلا يشتَبِهُ عليكم حالُهُ، بل أنتُم تعرفونَهُ كما تعرفونَ أبناءَكُم، ولمّا بُعِثَ ﷺ ولم يتّبِعوهُ، بل كَفَروا ما عَرَفوهُ، جُعِلُوا كالنّاسينَ، وخُوطِبوا بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، وإنَّما وَحَّدَ النّعمةَ مع أنَّ المرادَ بها الجنسُ إشعارًا بأنَّ نعمةً واحدةً منه سبحانُه لا يمكنُ عَدُّها وإحصاؤُها، كما قالَ عزَّ مَن قائِل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[2]، وقليلُ نعمةٍ منهُ تعالى لا يكونُ قليلًا كَما قالَ:

قليلٌ منكَ يكفيني ولكن قَليلُكَ لا يُقالُ لهُ قليلُ [3]

وإذا كانتِ الواحدةُ منها لا يُمكِنُ عدُّها فكيفَ يُمكِنُ عَدُّ الجميعِ؟

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: الذي عهدتُهُ إليكم في عالَمِ الذرِّ من الإقرارِ بربوبيّتي والإيمانِ بي وبِرسلي وما يَلحَقُ بذلكَ، والذي عهدتُهُ إليكم في كتُبِكُم وأخذتُهُ على أسلافِكُم وأنبيائِكم، وأمرتُهُم أن يؤدُّوا إلى أخلافِكُم بأنّي باعِثٌ نبيًّا اسمُهُ أحمدُ ومُحَمَّدُ العربيُّ القرشيُّ الهاشميُّ، المُبانُ بالآياتِ الباهرةِ، المؤيَّدُ بالمعجزاتِ القاهرةِ، الذي مِن آياتِهِ عليُّ بنُ ابي طالبٍ الذي هوَ شقيقُهُ ورفيقُهُ ووزيرُهُ ووصيُّهُ بلا فصلٍ، عقلُهُ من عقلِهِ، وعلمُهُ من علمِهِ، وحلمُهُ من حلمِهِ، مؤيِّدُ دينِهِ بسيفِهِ، ومِن بعدهِ أفضلُ أولادِهِ الحسنُ والحسينُ والتّسعةُ من ذريَّةِ الحسينِ عليهم السلام واحِدًا بعدَ واحدٍ، فَمَن تَبِعَهُ في جميعِ ذلك كانَ له أجران: أَجرٌ باتّباعِهِ موسى في وصِيّتِهِ إيّاكُم بذلكَ، وأجرٌ باتّباعِهِ مُحمّدًا ﷺ، وإيمانهِ بالقرآنِ الذي نَزَلَ عليهِ، وبأوصيائهِ الّذين أَوَّلهم عليُّ بنُ ابي طالبٍ وآخرُهُم المهديُّ الحُجَّةُ بنُ الحسنِ صلوتُ اللهِ وسلامهُ عليهِم أجمعينَ، ومَن كفَرَ بهِ ﷺ تكامَلَت أوزارُهُ وكانتِ النّارُ جزاءَهُ وقرارَهُ بأن قالَ أوفُوا بِعَهدِيَ الذي عهدتُهُ إليكُم باتّباعِ مُحَمَّدٍ ﷺ والإيمانِ بهِ وأوصيائِهِ،

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: أثبتُّه وأسكنتُهُ.

(٢) سورة النحل ١٦: ١٨.

(٣) البيت من الوافر، ولا يُعرف قائلُهُ، ينظر: الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة: ٣٧٣، وشرح الشواهد الشعريّة: ١: ١٠٨. والشاهد فيه: بيان عظيم النّعمِ الإلهيّة على الإنسان.

وأشهدتُكُم على ذلكَ وجعلتُ نَفسي شاهِدًا عليكُم؛ لِئلَّا يُمكِنكُم الانكارُ بعدَ ذلكَ كما قالَ سبحانُهُ في سورةِ آلِ عمرانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي - أي عهدي - قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، وكما قالَ في آخِرِ تلكَ السّورةِ أيضًا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[2] في محمّدٍ، عن الباقرِ عليه السلام في تفسيرِ القمّي: «لَتُبيّنُنّهُ للنّاسِ ولا تكتمُونَه»[3]عندَ خروجِهِ وظهورِهِ في ظهرانِيكم، فَنَبَذُوهُ، أي: الميثاقُ المذكورُ وراءَ ظهورِهِم فلَم يَرعَوهُ ولم يَلتفِتُوا إليهِ وَلم يَعتدُّوا بهِ واشتَرَوا بهِ، أي: اخذوا بَدَلَه ثَمنًا قَليلًا من حطامِ الدنيا وزخارِفِها فَبئسَ ما يَشترونَ ،كما سنشيرُ إلى بيانِ ذلكَ مُفصَّلًا في موضِعِه إن شاءَ اللهُ تعالى. [٢٩٧]

وَكَمَا وَصَّى بذلكَ وعاهدَهُم عليهِ حيثُ قالَ لِبني إسرائيلَ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[4]، أي: بجدٍّ ويقينٍ واذكروا ما فيهِ، أي: ما في ذلكَ الكتابِ، وكما قالَ سبحانهُ في سورةِ المائدةِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ - أي: نصرتموهم وقوّيتموهم - وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا﴾[5] إلى آخرِهِ، ويشتملُ على جميعِ ذلكَ ما اخذَهُ سبحانُهُ منهم في عالمِ الذّرِّ وما بعدهُ عند إرسالِ أنبيائِهِ عليهِم تترى.

(١) سورة آل عمران ٣: ٨١.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨٧.

(٣) ينظر: تفسير القمّي: ١: ١٢٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٦٣.

(٥) سورة المائدة ٥: ١٢، ١٣.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي أوجبتُ به الجنَّةَ ونعيمَ الأبدِ في دارِ المقامَةِ لا يَمسَّكُم فيها نَصَبٌ، ولا يمسَّكُم فيها لُغُوبٌ، ﴿وَإِيَّايَ﴾ فقط لا غَيري، ﴿فَارْهَبُونِ﴾ في نقضِ العهدِ، ومخالفةِ المواثيقِ المؤكّدةِ في أمرِ مُحمَّدٍ ﷺ وأوصيائِه، فإنِّي القادِرُ على صرفِ بلاءِ وبأسِ مَن يُعادِيكم على موافَقَتي، وغيري لا يقدِرُ على صَرفِ انتقامِي منكم إذا خالفتُموني وخالفتُم عهدي.

والعيَّاشي: عن الصادق عليه السلام انَّهُ سُئِل عن هذهِ الآيةِ فقال: «أوفوا بولايةِ عليٍّ عليه السلام فرضًا مِن الله أُوفِ لكم الجنَّةَ»[1]. في الكافي: عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن سُماعة[2] عن أبي عبد الله عليه السلام: «في قولِ الله عَزَّ وجَلَّ واوفُوا بِعَهدِي قالَ: بولايةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام أُوفِ بِعهدِكُم أُوفِ لكُم الجنَّةَ»[3]، وفيهِ أحمدُ بنُ مُحمّد عن مُحمّدِ بن الحسين عن عبد الله بن محمد عن الخَشَّابِ[4] قال: حدَّثَنا بعضُ أصحابِنا عن خيثمةَ[5] قال: قالَ لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا خيثمة نحنُ عهدُ اللهِ فَمَن وَفَى بعهدِنا فقد وَفَى بعهدِ اللهِ، ومَن خَفرَها[6] فقد خَفرَ ذِمَّةَ اللهِ وعهدِهِ»[7] الحديثُ طويلٌ أخذنا منهُ موضعَ الحاجةِ.

---

(١) تفسير العياشي: ١: ٤٢، حديث رقم: ٣٠.

(٢) هو: ابن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي: مولى عبد بن وائل بن حجر الحضرمي، يكنى أبا ناشرة، وقيل: أبا محمد، نزل الكوفة في كندة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، مات بالمدينة، ثقةٌ ثقة، لهُ كتابٌ يرويه عنه جماعة كثيرة. ينظر: رجال النجاشي: ١٩٤، ترجمة رقم: ٥١٧، ورجال ابن الغضائري: ١٢٣، ترجمة رقم: ٢١٣.

(٣) الكافي: ١: ٤٣١، حديث رقم: ٨٩.

(٤) هو: الحسنُ بنُ موسى: من وجوهِ أصحابِنا ، مشهورٌ ، كثيرُ العلمِ والحديثِ ، لهُ كتابٌ، روى عنه عمران بن موسى الأشعري ومحمد بن الحسن الصفار، من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام. ينظر: خلاصة الأقوال: ١٠٤، ترجمة رقم: ١٩، ونقد الرجال: ٢: ٦٦، ترجمة رقم: ١٣٨٣.

(٥) هو: أبو عبد الرّحمن بنُ عبدِ الرّحمنِ الجعفيّ الكوفيّ، كان وجهًا فاضلًا، من أصحابِ الإمامين الباقرِ والصادقِ عليهما السلام. ينظر: رجال الطوسي: ١٣٣، ترجمة رقم: ١٣٨٦، وخلاصة الأقوال: ١٣٩، ترجمة رقم: ٨.

(٦) أي: انتهكها. ينظر: العين: ٤: ٢٥٤، (خفر).

(٧) الكافي: ١: ٢٢١، حديث رقم: ٣.

في تفسيرِ عليِّ بن إبراهيمَ قال: حدَّثَني أبي عن مُحمّد بن أبي عمير عن جميل[1] عن أبي عبدِ الله عليه السلام قال: «قالَ له رجلٌ: جُعِلتُ فِداكَ إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وإنّا ندعوهُ فلا يُستجابُ لنا، فقالَ: إنّكم لا تَفونَ الله بعهدِهِ فإنَّه تعالى يقولُ: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** واللهِ لو وَفيتُم لله سبحانَه لَوَفَى لَكم»[3]. في معاني الأخبارِ بإسنادهِ إلى ابنِ عباس قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «لمَّا أنزلَ الله عَزَّ وجَلَّ **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** واللهِ لقد خرجَ آدمُ من الدنيا وقد عاهَدَ على الوفاء لولدِهِ شيثٍ فما وُفِيَ لَهُ، ولقد خرجَ نوحٌ من الدنيا وعاهدَ قومَهُ على الوفاءِ لوصيِّهِ

[٢٩٨]

سام فما وفَت أُمَّتُهُ لَهُ، ولقد خرجَ إبراهيمُ عليه السلام من الدنيا وعاهدَ قومَهُ على الوفاءِ لوصيِّهِ إسماعيل فما وفَت أُمَّتَهُ لهُ، ولقد خرجَ موسى عليه السلام من الدنيا وعاهدَ قومَهُ على الوفاءِ لوصيِّهِ يوشَع بن نون فَما وَفَت أُمَّتَهُ لهُ، ولقد رُفِعَ عيسى بن مريم عليه السلام إلى السّماءِ وعاهدَ قومَهُ على الوفاءِ لوصيِّهِ شَمعون بن حمون الصَّفا فما وَفَت أُمَّتَهُ لهُ، وإنِّي مُفارِقُكُم عن قريبٍ، وخارجٌ من بينِ أظهرِكم، ولقد عهدتُ إلى أمَّتِي في عهدِ عليِّ بن أبي طالبٍ وإنَّها لَراكِبَةٌ سُنَنَ مَن قَبلِها من الأمَمِ في مُخالفةِ وَصيِّي وعِصيانِهِ، ألا وإنِّي مُجدِّدٌ عليكم عهدي في عليٍّ عليه السلام، فَمَن نَكَثَ فإنَّما ينكُثُ على نفسهِ، وَمَن أوفى بما عاهدَ عليهُ الله فسَيؤتيهِ أجرًا عظيمًا، أيُّها النّاسُ: إنَّ عليًّا إمامُكُم مِن بَعدي، وخليفَتي عليكم، وهوَ وَصيِّي وَوَزيري وأخِي ونَاصِرِي، وزَوجُ ابنتي، وأبو وَلَدَيَّ وصاحبُ شفاعتي وحوضي ولوائِي، مَن أنكَرَهُ فقد أنكرَني، ومَن أنكرَني فقد أَنكَرَ اللهَ تعالى، ومَن أَقَرَّ بإمامتِهِ فقد أقرَّ بنُبوَّتي، ومَن أقرَّ بنُبوَّتي فقد [أَقرَّ] بوحدانيَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أيُّها النّاسُ: مَن عَصا عليًّا فقد عصاني، ومَن عَصاني فقد

(١) هو: أبو مُحمّد بنُ درّاج بنُ عبدِ الله، أبو علي النخعي: وجهُ الطّائفةِ، ثقةٌ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، أخذ عن زرارة، لهُ كتابٌ، وهو مِمّن اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه فيما يقول، ماتَ في أيّام الرّضا عليه السلام. ينظر: رجال النجاشي: ١٢٦، ترجمة رقم: ٣٢٨، وخلاصة الأقوال: ٩٣، ترجمة رقم: ١.

(٢) سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٦.

عَصَى اللهَ، ومَن أطاعَ عليًّا فقد أطاعَنِي، ومَن أطاعَني فقد أطاعَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ، يا أيُّها النّاسُ: مَن رَدَّ على عليٍّ في قولٍ أو فِعلٍ فقد رَدَّ عَلَيَّ، ومَن ردَّ عَلَيَّ فقد رَدَّ على اللهِ فوقَ عرشِهِ، يا أيُّها النّاسُ: مَن اختارَ منكم عَلى عليٍّ إمامًا فقد اختارَ عَلَيَّ نبيًّا، ومَن اختارَ عَلَيَّ نبيًّا فقد اختارَ على اللهِ عزَّ وجلَّ ربًّا، أيُّها النّاسُ: إنَّ عليًّا سيِّدُ الوصيّينَ، وقائدُ الغرِّ المحجَّلينَ، ومولى المؤمنينَ، وَلِيُّهُ وَلِيِّي ووَلِيِّي وَلِيُّ اللهِ، وعَدُوّهُ عَدوِّي وعَدُوِّي عدُوُّ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، أيُّها النّاسُ: أوفوا بعهدِ اللهِ في عَلِيٍّ يُوفِ لَكم بالجَنَّةِ يومَ القيامةِ»[1] الحديثُ، فعُلِم ممَّا ذكرناهُ من المراتِبِ أنَّ عهدَ اللهِ تعالى عَرضٌ عَريضٌ يشملُ جميعَ العُهودِ والمواثيقِ.

دلالاتُ هذهِ الآيةِ:

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ صريحةٌ على وجوبِ شكرِ المُنعِمِ والنّعمةِ، بإظهارِها وإفشائِها وتذكُّرِها وتحديثِها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وفي الأحاديثِ الصّحيحةِ: «التّحدّثُ بالنِّعَمِ شكرٌ»[3]، وعلى عِظَمِ المعصيةِ بكفرانِ النّعمةِ وجحودِها، ولحُوقِ الوعيدِ الشديدِ بكتمانِها وإخفائِها، وعلى وجوبِ الوفاءِ بالعهدِ، وعلى الوعدِ والوعيدِ، وعلى أنَّ المؤمنَ لا ينبغي أن يَخافَ أحدًا إلَّا اللهَ تعالى، وعلى ثبوتِ أفعالِ العبادِ إذ لو لم تكن لَهم أفعالٌ؛ لَمَّا صحَّ الأمرُ والنهيُ والعهدُ والوفاءُ بهِ والوعدُ والوعيدُ؛ وَلَأدّى إلى بُطلانِ إرسالِ الرّسلِ وإنزالِ الكُتُبِ، وإلى عدمِ الحاجةِ إليهم وإلى كتُبِهم عليهم السلام. [٢٩٩]

---

(١) معاني الأخبار: ٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) سورة الضّحى ٩٣: ١١.

(٣) مسند الشهاب: ١: ٦١، حديث رقم: ٤٤.

قولُهُ تعالى: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) ﴾ آية.

اللغة:

الإيمانُ والتّصديقُ والكفرُ والاشتراءُ والتّقوى وغيرُها مرَّت لغةً في مواضِعَ، والثّمنُ والعِوضُ والبدلُ نظائرٌ.

الفَرقُ بينَ الثّمَنِ والعِوَضِ والبدلِ:

والفرقُ بينها أنّ الثّمنَ هو: البدلُ في البيعِ من العينِ والورقِ[١]، وإذا اُستُعمِل في غيرهما كان مجازًا ومُشبّهًا، كالرّئاسةِ التي كانت لهم في قومِهم خافوا عليها الفواتَ لو أصبحوا أتباعًا لرسول الله ﷺ ونحو ذلكَ ممَّا يجيءُ في القرآن.

والعِوضُ هو: البدلُ الذي يجوزُ الانتفاعُ بهِ أيَّ شيءٍ كان، والبدلُ هو: الشيءُ الذي يُجعلُ مكانَ غيرهِ، وثوبٌ ثمينٌ: كثيرُ الثّمنِ، والثمينُ ايضًا بمعنى الثمنِ، والجمعُ أثمانٌ وأثمنٌ وأثمنةٌ، وأثمَنَهُ سلعَتَهُ وأثمنَ لهُ: أعطاهُ ثمنَها، ويُقالُ: ثامنتُ الرجلَ في المبيعِ أُثامنُهُ إذا ناولتَهُ في ثمنِهِ وساوَمتَهُ على بيعِهِ واشترِائهِ، والثُّمُنُ مُحرَّكةٌ أعَمُّ من القيمةِ؛ لأنّه قد يكونُ وفقًا للمثمَّنِ، وقد يكونُ بخسًا، وقد يكونُ زائدًا، والقيمةُ لا تكون إلّا وِفقًا ومتساويةً للمثمَّنِ من غيرِ نقصانٍ ولا زيادةٍ، كما نُصَّ على ذلكَ في الفقهِ واللغةِ والتفسيرِ[٢]؛ لأنّ اشتقاقَهُ من قامَ الشّيءُ بمعنى عدلَ، وما يقومُ بحاجتهِ، ومن قولهم عليهم السلام: «العلمُ ثلاثةٌ: آيةٌ محكمةٌ، أو سنّةٌ قائمةٌ، أو فريضةٌ عادلةٌ»[٣].

الإعراب:

(الواو): لعطفِ الخاصِ على العامِ تنبيهًا على مزيّةِ الخاصِ على العامِ على حدِّ قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾[٤] و﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[٥]، وعلى أنّهُ هو العمدةُ في

(١) ينظر: الفروق اللغوية١٥٠.

(٢) ينظر: القاموس الفقهي: ٣١١، ومعجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٣٣، والفروق اللغوية: ٤٤٠، والتبيان: ١: ١٨٨، وكنز العرفان: ١: ٣٢٤، وتفسير أبي السعود: ٣: ٨٠.

(٣) ينظر: الكافي: ١: ٣٢، حديث رقم: ١.

(٤) سورة البقرة ٢: ٩٨.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

الوفاءِ بالعهدِ؛ بل هو شرطٌ لقبولِهِ، كما سنُشيرُ إلى ذلكَ في بيانِ المعنى، كأنّه قيلَ: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتيَ الّتي أنعمتُ عليكم، وأوفُوا بعهدِي، وآمنوا بما أنزلتُ، إلى آخره. والإيمانُ من جملةِ العهدِ أيضًا.

(آمِنوا) بكسر الميم: فعلُ أمرٍ من بابِ الأفعالِ وفاعلٌ، و(بِما): مُتعلّقٌ بِهِ، وجملةُ (أنزلتُ): صلة ما، والعائدُ محذوفٌ، أي: أنزلتُهُ، و(مصدّقًا): حالٌ من العائدِ المحذوفِ، أو من الموصولِ نفسه، و(لِما): متعلّقٌ بمصدّق، و(معكم): صلة ما، و(لا): ناهية، و(الواو): اسم تكون، و(أوَّلَ) بالنصب: خبره، وهو اسمُ تفضيلٍ نكرةٌ مضافةٌ إلى نكرةٍ، والضّابطُ والقاعدةُ الكليّةُ حينئذٍ فيه:

(إنّهُ يجبُ توحيدهُ وتذكيرهُ مع مطابقةِ المضافِ إليهِ للموصوفِ إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، وتذكيرًا وتأنيثًا) يُقال: زيدٌ أفضلُ رجلٍ، والزيدان أفضلُ رجلين، و الزيدون أفضلُ رجالٍ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ، والهندانِ أفضلُ امرأتينِ، والهنداتُ أفضلُ نساءٍ.

وأمّا إذا أُضيفَ إلى المعرفةِ فتجبُ إضافتهُ إلى التّثنيةِ والجمعِ دون المفردِ وإن كان الموصوفُ مفردًا، لكن ههنا يجوزُ في أفعل التّفضيلِ وجهان: الإفرادُ والمطابقةُ، كما بُيّن في موضعهِ.

بيانُ ذلك أنّ أفعلَ التفضيلِ يُضافُ إلى مثل ما يُضافُ إليهِ (أيُّ)، تقولُ: هو أفضلُ الرجلينِ وأفضلُ القومِ، وتقولُ: هو أفضلُ رجلٍ وهما أفضلُ رجلين وهم أفضلُ رجالٍ، إلى آخره.

والمعنى في ذلك كلّهِ: إثباتُ الفضلِ على الرجالِ إذا فُضّلوا رجلًا رجلًا، واثنينِ اثنينِ، وجماعةً جماعةً، وكذا أيّ بعينهِ؛ والعلّةُ في ذلكَ أنّ (أيًّا) استفهامًا كان أو شرطًا أو موصولًا موضوعٌ ليكونَ جزءًا من جملةٍ معيّنةٍ ممّا بعدهُ مجتمعةٍ منه ومن أمثالِهِ، وكذا أفعلُ التفضيلِ مطلقًا بالمعنى الأوّل الّذي هو الأكثر؛ وهو كون الموصوفِ من جملةِ المضافِ إليهم، وتفضيلهُ على المضافِ إليهم، فلا يجوز[1]: أيُّ زيدٍ أحسنُ، وأيُّ بغدادَ أطيبُ، إلّا أن يُقدَّر مضافٌ محذوفٌ، أي: أيُّ أعضائِهِ أحسنُ، وأيُّ موضِعهِ أطيبُ، وكذا لا يجوز زيدٌ أفضلُ الرجلِ بإفراد الرجل؛ لأنّ الرجلَ ليس كلًّا يشملُ زيدًا وغيرَهُ، بخلاف المثنى والمجموع المعرّفينِ، وبخلاف ما اذا كان المضافُ إليه نكرةً فإنّه يجوز زيدٌ أفضلُ رجلٍ، أي: أفضلُ أقسامِ هذا الجنس، اذا كان كلُّ قسمٍ منه رجلًا، أي اذا أعددتَهُم رجلًا

(١) ومنه في حاشية الأصل: سواءٌ كان مضافًا إلى نكرةٍ أو إلى المعرفةِ.

رجلًا، ونحو: الزيدانِ أفضلُ رجلينِ، أي: أفضلُ أقسامِ هذا الجنس إذا كان كلُّ قسمٍ منه رجلينِ، أي: إذا أعددتَهُم رجلينِ رجلينِ، وهكذا حكمُ نحوِ الزيدونَ أفضلُ رجالٍ، والمعنى في كل ذلك أنّ زيدًا والزيدَينِ والزيدِينَ أفضلُ جميعِ الرجالِ اذا أعددتَهُم رجلًا رجلًا في الأوّلِ، ورجلينِ رجلينِ في الثاني، ورجالًا رجالًا في الثالث، فأفعلُ سواءٌ أضفتَهُ إلى المعرفة أو إلى النّكرةِ لتفضيلِ صاحبهِ على كلِّ ما هو مثلُه مِن أجزاءِ ما بعده إفرادًا وتثنيةً وجمعًا؛ فلهذا لم يجزِ الزّيدانِ أفضلُ الرّجلينِ؛ لأنّ الرجلينِ المُعرّفينِ ليس لهما أجزاءٌ؛ بل هما مثل الزّيدَينِ تثنيةً، وجاز زيدٌ أفضلُ الرّجلينِ وزيدٌ أفضلُ الرّجالِ والزّيدانِ أفضلُ الرّجالِ والزّيدونَ أفضلُ الرّجالِ؛ لأنّ الرّجالَ تصحُّ تجزئتُها رجلًا رجلًا كزيدٍ، ورجلينِ رجلينِ كالزّيدَينِ، ورجالًا رجالًا كالزّيدِينَ، وجميعُ تلك صدقٌ وحقٌّ لا خلافَ فيه كما بُيّن في موضعهِ، واتّفقَ عليهِ النّحاةُ قاطبةً(١)، خلافا لمحمَّد بنِ مسعودٍ بنِ الزّكي(٢) كما سنُصرِّحُ بكلامِهِ في التنبيه الآتي: [٣٠٠]

إذا عرفتَ هذه الدّقيقةَ فقولُهُ تعالى: ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ لا يوافقُ بظاهرِهِ هذه القاعدةَ المستمرّةَ المتّفقِ عليها؛ لأنّه وقع خبرًا عن ضميرِ الجمعِ مع كونِ ما أضيف إليه مفردًا وهو (كافر) فيجبُ حينئذٍ تأويلُه على وجه يطابق القاعدة المتّفقِ عليها، إمّا بحذفِ موصوفٍ(٣) للمضاف إليهِ مفردٍ لفظا وجمعٍ معنًى، والتقديرُ: ولا تكونوا أوّلَ فريقٍ كافرٍ به، أو أوّلَ صنفٍ كافرٍ به أو فوجٍ، وإمّا بحذفِ مضافٍ قبل أفعل التّفضيل، أي: ولا تكونوا مثلَ أوّلِ كافرٍ به، أي: مثلَ مَن كفرَ بهِ أوّلًا، كمُشركي العربِ والقريش كما سنشيرُ إلى ذلك في بيان المعنى. وإمّا بإرادةِ كلِّ واحدٍ من المخاطَبينَ على حيالِهِ، والتّقديرُ: لا يكن كلُّ واحدٍ منكم أوّلَ كافرٍ به، على حدِّ قولِهِم: فلانٌ كسانا حُلّةً، أي: كلَّ واحدٍ منّا، ونظيرُهُ في ذلك: ألأمُ طاعمٍ، في قول الشاعر:

---

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢: ٢٥١، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ٢٨١.

(٢) الغزني: نحوي، (قَالَ ابْن هِشَام: له كتاب وحيد وهو كتاب البديع في النحو. أَكثر أَبُو حَيَّان من النَّقْل عَنهُ، وَذكره ابْن هِشَام فِي الْمُغنِي، وَقَالَ: إِنَّه خَالف فِيهِ أَقْوَال النَّحوِيّين، توفي سنة ٤٢١هـ). بغية الوعاة: ١: ٢٤٥، ترجمة: ٤٤٩، وسمّاه صاحب كتاب كشف الظنون: ٢: ١٤٩٧: (ظهير الدين أبي المحامد الغزنوي)، وقال الطهراني في الذريعة: ٥: ٢٩٩، ترجمة رقم: ٥٤٩: (شرف الدين أبي المحامد).

(٣) ومنه في حاشية الأصل: وهو الواو في (ولا تكونوا).

فإذا هُم طعمُوا فألأمُ طاعمٍ　　　وإذا هُم جاعُوا فشرُّ جِياعٍ[1]

أي: فهم ألأمُ فريقٍ طاعمٍ إلى آخر التأويلات، وأمّا قوله: فشرُّ جياعٍ فهو جارٍ على القاعدةِ الكليّةِ.

ذكرُ كلامِ مُحمّدِ بن مسعودِ بن الزكي في هذا المقام وتزييفه:

تنبيه:

قال محمَّدُ بنُ مسعودِ بن الزكي في كتابِ البديعِ: «النّكرةُ المضافُ إليها اسم التفضيل يجب إفرادُها نحو: أنتَ أفضلُ رجلٍ، وأنتما أفضلُ رجلٍ، وأنتم أفضلُ رجلٍ، ومنه ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾، وذلك هو القياس؛ لأنّ النّكرةَ تمييزٌ لهُ وقد خُفِّضت بالإضافةِ فأشبه مائةَ رجلٍ، وقد أجازوا قياسًا لا سُماعًا أن يُثنّى وأن يُجمع، نحو: أنتما أفضلُ رجلينِ، وأنتم أفضلُ رجالٍ»[2]، انتهى.

والحقُّ ما هو المشهورُ عند الجمهورِ مِن وجوبِ مطابقةِ المضافِ إليهِ للموصوفِ في أفعلِ التّفضيلِ المضافِ إلى النكرةِ لما ذكرناهُ آنفًا؛ ولأنّ قياسَ التّمييزِ بعد أفعلِ التفضيلِ أنْ يكونَ منصوبًا، كقوله تعالى: ﴿ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ﴾[3]، و﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾[4] و﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾[5]، ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[6]، ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴾[7]، ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾[8]، ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[9]، ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾[10]، ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[11] إلى غيرِ ذلك؛ بل قد يجبُ نصبُهُ في

---

(١) البيت من الكامل، أنشده الفرّاء، وقال إنّه لشاعر جاهلي. ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٣٣، وشرح ديوان المتنبي: ١: ١٤٨. والشاهد فيه: جمع المطابقة وعدمها بين النّكرة التي أُضيف اليها أفعل التفضيل وموصوفها.

(٢) البديع في النحو: مسألة ١٤.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٧٧.

(٤) سورة الجن ٧٢: ٢٤.

(٥) سورة مريم ١٩: ٧٥.

(٦) سورة مريم ١٩: ٧٣.

(٧) سورة مريم ١٩: ٧٤.

(٨) سورة مريم ١٩: ٧٦.

(٩) سورة النساء ٤: ٧٧.

(١٠) سورة يوسف ١٢: ٦٤.

(١١) سورة الفرقان ٢٥: ٤٤.

نحو: زيدٌ أحسنُ النّاسِ رجلًا، أعني: ما إذا كانَ أفعلُ التفضيلِ مضافًا قبل ذكرِ التّمييزِ كما في هذا المثالِ ونحوِه.

وما ذكره مُحمّدُ بنُ مسعودٍ من نحوِ: أنتَ أفضلُ رجلٍ، وأنتما أفضلُ رجلٍ، وأنتم أفضلُ رجلٍ على تقديرِ كونِ رجلٍ تمييزًا في الأمثلةِ كلِّها. على ما قاله يجب أن يكون تقدير الكلام: أنت أفضلُ الناس رجلًا، وأنتما أفضلُ الناسِ رجلًا، وأنتم أفضلُهُم رجلًا ثم حُذِف المضافُ إليهِ، أعني: الناسَ وقامَ التمييزُ، أعني: رجلًا مقامَهُ وأُعرِب بإعرابِهِ، وهو خلافُ الظاهرِ، وغيرُ محتاجٍ إليهِ، وأيضًا لو كان تقديرُ الآيةِ: ولا تكونوا أوّلَ النّاسِ كافرًا به لكانَ مغسولًا من الكلامِ وسخيفًا.

وأيضا قد بُيِّنَ في النّحو أنّ التّمييزَ إن كان مشتقًا وجبَ أن يكونَ مطابقًا لما أُنتُصِبَ عنه إفرادًا وتثنيةً وجمعًا لا غيرُ(١)، والآيةُ المذكورةُ كذلك؛ لكونِهِ اسمَ فاعلٍ فقياسُ الآيةِ بالاسمِ الجامدِ أشدُّ سخافةً على أنّهم صرَّحُوا في باب التّمييز بأنّ الاسم الجامد إذا كان مؤوّلًا بالمشتقِ يجبُ أن يكونَ مطابقًا لما انتصبَ عنه في الأمورِ المذكورةِ نحو كفى زيدٌ رجلًا، أي: كاملًا في الرجوليةِ، وكفى الزيدانِ رجلينِ، أي: كاملينِ فيها، والزيدونَ رجالًا، أي: كاملينَ فيها، فكيفَ المشتقُّ الصّرفُ في هذا الباب؛ فتعليلُهُ عليلٌ وغيرُ ذلك من البياناتِ، فالحقُّ ما قالهُ الجمهورُ، فإنّ القولَ ما قالت حَذامِ(٢).

تحقيقُ مقامٍ لدفعِ إبهامٍ:

اعلم أنَّ وزنَ (أوَّلُ) أفعَلُ؛ لأنّ تصريفَهُ على (أُولى) في الواحدةِ و(أُوَل) في جمعِها، وهما فُعلى وفُعَل دليلٌ على أنّه أفعَلُ التفضيلِ فالهمزةُ فيهِ زائدةٌ وليس وزنُه (عَوفَل) ولا (فَوعَل) ولا (عَفوَل) ولا (فَعوَل) كما قالَ الكوفيّونَ(٣)، كما نُصرِّحُ بذلك آنفًا. [٣٠١]

ثمَّ الصحيحُ من المذاهبِ أنّ أوَّلَ على وزنِ أفعَل مشتقٌ من (وَوَل)، وإن لم يُستعمل في غيرِ هذا اللفظِ زِيدَ في أوّلِهِ همزةٌ مفتوحةٌ وادغِمَت الواوُ في الواوِ فصار أوّل، لا من (وَأَل) كما ذهبَ إليهِ

---

(١) ينظر: الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية: ٣٣٤، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٩٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: صدره: إذا قالت حذامِ فصدِّقوها.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣: ٤٦٠.

بعضُهُم منهم الجوهريُّ[1]، ثمّ قُلِبت الهمزةُ واوًا فصارَ (وَوَل) ثمّ زِيدت في أوَّلِه همزةٌ وأُدغمت الواوُ في الواوِ فصارَ أوَّلُ حينئذ أفعلَ ايضًا كـ(أوّل). فعلى هذا قلبُ الهمزةِ واوًا شاذٌّ لمخالفةِ القياس، ولا من (أوَل) قُلِبت الهمزةٌ واوًا فصار (وَوَل)، ثمَّ زيدت في أوَّلِه همزةٌ وأُدغمت الواوُ في الواوِ، فصار أوّل حينئذ أفعلُ أيضًا، فعلى هذهِ الصورةِ قلبُ الهمزةِ بالواوِ وجوبًا أشذُّ، مع أنّه ليس من مواضعِهِ كما بُيّن في بابِ تخفيفِ الهمزةِ، فوزن أوّل في تلكَ الوجوهِ الثلاثةِ أفعَلُ لكن الصحيح منها هو الأوّل. وقال بعضُ الكوفيّنَ: إنّه مشتقٌّ من (أوَلَ) فالهمزةُ فاءُ الكلمةِ والواوُ عينُها، ثمّ زيدت واوٌ أخرى قبلَ الواوِ التي هي عينُ الكلمةِ وادغمت فوزنُهُ فَوعَل أو بعدَها وأدغمت فوزنُهُ فَعوَلَ[2].

ذكرُ مذاهبِ الكوفيّين في وزنِ (أوّل) واشتقاقِهِ:

وقال بعضُهُم إنّه مشتقٌّ من (وَأَل)، أي: نجا، كأنّ الأَوّليّة النجاة[3]، ثم زيدت واوٌ أخرى بعد الواوِ التي هي فاءُ الكلمةِ فصارَ (وَوأَل) على وزنِ جَوهَر وكَوثَر، ثمَّ نقَلُوا الهمزةَ إلى موضعِ الفاءِ، والفاءَ إلى موضعِ الهمزةِ، وأدغمت، فوزنُهُ (عَوفَل) أو قُدّم الهمزةُ على الفاءِ وأدغمت فوزنُهُ (عَفوَل).

تتميم:

اعلم أنّ (أوّلَ) على المذهبِ الصحيحِ مِن (أفعَلَ) الذي لا فِعلَ له كـ(آبَلَ مِن حُنَيفِ الحناتِمِ)[4]، وأحنَكَ الشّاتينِ، وأحنَكَ البعيرينِ[5]، وهو غيرُ مُنصرفٍ للوصفيّةِ ووزنِ الفعلِ، يُقالُ: هو أوّل مِن كذا، وقد يُحذفُ (مِن) كما هو الشّائعُ المتعارَفُ قال:

---

(1) ينظر: الصحاح: ٥: ١٨٣٨، (وَأَلَ).

(2) والقولُ: لابن دريد. ينظر: شرح النظّام على الشافية: ٤٢٤.

(3) ينظر: الايضاح في شرح المفصّل: ١: ٦٣٠، وشرح الشافية للرضي: ٢: ٣٤٠.

(4) وهو من الأمثال المضروبة في التّناهي والمبالغة، وهو رجلٌ من تيم اللات حاذق برعاية الإبل، يقالُ: رجلٌ آبلٌ بيّن الإبالة إذا كان بصيرا بالإبلِ ومعالجتها. جمهرة الأمثال: ١: ٢٠٠، مثل رقم: ٢٤٦، ومجمع الأمثال: ١: ٣١٢.

(5) أَحْنَكُ البَعِيرَيْنِ وأَحْنَكُ الشّاتَيْن: أي أَشَدُّهما أَكْلاً. المخصص: ٢: ٨، و ٢: ٩١، وأساس البلاغة: ٢٠٣، وتاج العروس: ١٣: ٥٤٧، (حنك).

يا ليتَها كانت لِأهلي إبِلًا أو هُزِلَت في جدبِ عامٍ أوّلا[1]

أي: أوّلُ من هذا العامِ، فـ(أوّلا): غيرُ منصرفٍ مجرورٌ بالفتحةِ نعتٌ لعامٍ، والألف: للإطلاق. وأمّا حكمُ إضافتِهِ إلى المعرفةِ والنكرةِ فقد بيّنّاه آنفا، وأمّا انتصاب ((أوّلًا)) في قولهم: أمّا أوّلًا وأمّا ثانيًا وأمّا ثالثًا مع إنّه أفعلُ التفضيلِ بدليلِ الأُولى والأوائِل والأُوَل كالفُضلى والأفاضِل والفُضَل؛ فلأنّه ههنا أُستُعمِلَ ظرفًا بمعنى قبل، وهو حينئذٍ منصرفٌ لا وصفيّةَ له أصلًا، وهذا معنى ما قاله الجوهريُّ: ((إذا جعلتهُ صفةً لم تصرفهُ، تقولُ: لقيتُهُ عامًا أوّلَ، وإذا لم تجعله صفةً صَرفتَهُ، تقولُ: لقيتُهُ عامًا أوّلًا، ومعناه في الأوّل أوّلَ مِن هذا العام، وفي الثّاني قبل هذا العامِ))[2]، انتهى.

وبيّنّاه مفصَّلًا في توشيحِ الوافيةِ[3] وبه متعلّقٌ بكافرٍ والهاء في (بِهِ) عائدٌ إلى (ما) في قولِهِ بما أنزلتُ، أو إلى (ما) في قولِهِ: (لِما)، أو إلى (النّبيِّ ﷺ)، ولا تشتروا: نهيٌ عطفٌ على النّهيِ السّابق، وبآياتي: مُتعلّقٌ بـ(لا تشتروا).

قال الفرّاءُ: ((إنّما أدخلَ الباءَ في آياتي دون الثّمنِ، وفي سورةِ يوسُفَ أدخلَهُ في الثّمنِ في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[4]؛ لأنّ العروضَ كلّها أنتَ مُخيّرٌ فيها إن شِئتَ قُلتَ: اشتريتُ الثّوبَ بكساءٍ، وإن شئتَ قلتَ: بالثّوبِ كساءً أيّهما جعلتَ ثمنًا لصاحبِهِ جاز، فإذا جئتَ إلى الدّراهمِ والدّنانيرِ وضعتَ الباءَ في الثّمنِ كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾؛ لأنّ الدراهمَ ثمنٌ أبدًا))[5]، انتهى كلامُ الفرّاءِ، هذا في غيرِ الصّرفِ[6] مستقيمٌ، وأمّا في الصّرفِ فقد يكونُ الدّراهمُ والدّنانيرُ مُثمّنًا أيضًا.

---

(١) البيت من الرجز، من شواهد سيبويه مجهولة القائل، وقيل لأبي النّجم العجلي. ينظر: الكتاب: ٢: ٢٨٩، والمفصّل في صنعة الإعراب: ١: ٢٩٩، وإيضاح شواهد الإيضاح: ١: ٥٢٣، الشاهد رقم: ١٤٤. والشاهد فيه: مجيء ((أوّلَ)) ممنوعة من الصّرف للوصف وقد حُذفت (من) قبلها.

(٢) الصحاح: ٥: ١٨٣٨، (وأَلَ).

(٣) مخطوط للمُصنِّف.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

(٥) معاني القرآن: الفراء: ١: ٣٠.

(٦) الصّرف: ((بيعُ النّقدينِ بالنّقدينِ ولا فرق بين المسكوك منهما أو غير المسكوك)). معجم الفاظ الفقه الجعفري: ٢٥٣.

وثمنًا: مفعولٌ به لـ(تشتروا)، وقليلًا: نعتٌ له، وإعرابُ: وإيّايَ فاتّقون: كإعراب: وإيّايَ فارهبون، من غيرِ فرقٍ كما بيّنّاه سابقًا مفصّلًا فلا نعيدُهُ. [٣٠٢]

المعنى:

لـمّا أمرَ اللهُ سبحانهُ بني إسرائيل باذّكارِ نعمتهِ والإيفاءِ بعهدهِ عمومًا خَصَّ بالذكرِ من بينِ العهودِ الإيمانُ بما يجبُ الإيمانُ بهِ بعدَ الإيمانِ باللهِ، وتوحيدهِ وصفاتهِ الجماليّةِ والجلاليّةِ، وحثَّ عليهِ بطريقِ عطفِ الخاصِ على العامِ؛ لأجلِ أنّهُ الوسيلةُ والأصلُ والعمدةُ للوفاءِ بالعهودِ عمومًا بل لا يُقبَلُ الوفاءُ إلّا بهِ، و للتنبيهِ على مزيّتهِ عليهِ كأنّهُ من غيرِ جنسهِ، فقال: ﴿وَآَمِنُوا﴾، أي: صدِّقُوا ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾، أي: أنزلتُهُ على محمدٍ ﷺ من القرآنِ المُنزَلِ من السّماءِ إلى الأرضِ حال كونِ ذلكَ القرآنِ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ منَ التّوراةِ والإنجيلِ وغيرِهما؛ لأنّ تصديقَهُم بالقرآنِ تصديقٌ مِنهم للتّوراةِ والإنجيلِ وتكذيبَهم بهِ تكذيبٌ مِنهم لهما؛ لأنّ الذي في القرآنِ منَ الدّعاءِ إلى التّوحيدِ وخَلعِ الأندادِ والإقرارِ بالنّبوّةِ لمحمدٍ ﷺ، والإمامةِ لِأوصيائِهِ المرضيّينَ، ووُجوبِ الاتّباعِ بهم، والأمرِ بالعبادةِ والعدلِ بين النّاسِ، والنّهي عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغي، وسائرِ ما فيهِ مِن الأحكامِ الشّرعيّةِ الخمسةِ؛ من الوجوبِ والحرمةِ والنّدبِ والكراهةِ والإباحةِ، والخمسةِ الوضعيّةِ[١]، والمواعيدِ[٢] والقصصِ، وغيرِ ذلك من كلِّ رَطبٍ ويابسٍ، نظيرُ الّذي في التّوراةِ والإنجيلِ مِن جميعِ ما مرَّ سيّما البشارةِ بمحمدٍ ﷺ وبيانِ أوصافِهِ الكريمةِ وأخلاقهِ العظيمةِ، فالقرآنُ مُصدِّقٌ لهما في جميعِ تلكَ المراتبِ، ومطابقٌ لما فيهما منها، وإن كانَ مُخالفًا لهما في بعضِ الأحكامِ الجزئيّةِ مِن التخفيفِ والزيادةِ والنقصانِ بحَسبِ تفاوتِ الأعصارِ في المصالحِ معَ كونِ كلِّ واحدةٍ مِن تلكَ الأحكامِ الجزئيّةِ حقًّا بالنسبةِ إلى زمانِها مُراعًى فيهِ صلاحُ مَن خُوطِبَ بها حتّى لو نزَلَ المتقدِّمُ في

(١) الأحكام الوضعية: (هي الاعتبارات الشّرعيّة المتعلّقة بالأشياء من نحو: السّبب والشّرط والعلّة والمانعيّة والصّحّة والفساد). معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٤.

(٢) هكذا جاءت في نسخة الأصل، والسّياقُ يقتضي كونها (والمواعظ).

زمانِ المتأخِّرِ لَنزَلَ على وفقِ المتأخِّرِ؛ ولذا قالَ النبيُّ ﷺ: « لو كانَ حيًّا في زماني لَمَا وَسِعَهُ إلّا اتِّباعِي»[١]، فوَجبَ على أهلِ الكتابِ الموجودينَ في زمانِهِ ﷺ إلى قيامِ السّاعةِ الإيمانُ بِهِ ﷺ وبأوصيائِهِ المرضيّينَ واتّباعِهِم وعدمِ الكُفرِ. كما قالَ مُعرِّضًا في ذلكَ ﴿**وَلَا تَكُونُوا**﴾ يا أهلَ الكتابِ ﴿**أَوَّلَ**﴾ فريقٍ أو صنفٍ أو فوجٍ مِن أهلِ الكتابِ ﴿**كَافِرٍ بِهِ**﴾، أي: بالقرآن أو بِما معكُم أو بمحمدٍ ﷺ وصفاتِهِ؛ وذلك لِأنَّ مشركي العربِ من القريشِ وغيرِها كفروا بهِ بمكةَ قبلَ اليهودِ، أو ولا تكونوا يا أهلَ الكتابِ مثلَ أوّلِ مَن كفرَ بهِ من مشركي العربِ، والمقصودُ لا تكونوا سابقينَ إلى الكفرِ بهِ فيتبعُكُم الناسُ، أي: لا تكونوا أئمةً وقدوةً في الكفرِ بهِ، وأوّلَ ظالمٍ وجاحدٍ جَحدَ حقَّ محمدٍ وآلِهِ صلوات الله عليهم أجمعين، وليس في نهيِهِ تعالى عن أن يكونوا أوّل كافرٍ بهِ دلالةٌ على أن يجوزَ أن يكونوا آخِرَ كافرٍ بهِ؛ لأنَّ المقصودَ النهيُ عن الكفرِ بهِ على جميعِ الأحوالِ وإنّما خَصَّ أوّلَ كافرٍ بهِ بالذكرِ وعَظَّمَ كُفرَ مَن كان أئمّةً وقدوةً في ضلالةِ مَن تبعَهُ ممَّن كانَ أو يكونُ إلى يومِ القيامةِ؛ لكونهِ أعظمَ وِزرًا وأشدَّ نَكالًا ممَّن كانَ تابعًا لهُ في ذلك كما إنَّ مَن آمنَ بهِ أوّلًا كانَ قدوةً في ذلكَ، فكانَ أعظمَ أجرًا وثوابًا، كما قالَ النّبيُّ ﷺ: «مَن سَنَّ سُنّةً حسنةً فلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ، ومَن سَنَّ سُنّةً سيّئةً كانَ عليهِ وِزرُها ووِزرُ مَن عَملَ بها إلى يومِ القيامةِ»[٢]، فهذا تعريضٌ بأنّهُ كانَ يجبُ أن يكونَ بنو إسرائيل أوّلَ مَن آمَن بهِ ﷺ؛ لمعرفتِهم إيّاهُ ﷺ باسمِهِ وصفتِهِ؛ ولأنّهم كانوا يُبشِّرون الناسَ بزمانهِ ومَقدَمِهِ ويَستفتحُون على الذينَ كفروا مِن الأوسِ والخزرجِ وغيرِهم.

---

(١) شعب الإيمان: ١: ٢٠٠، حديث رقم: ١٧٦، وبحار الأنوار: ٢: ٩٩، حديث رقم: ٥٤، وقد ورد الحديث بلفظ: « لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلّا اتّباعي».

(٢) الحديث منقول بالنّصّ من تفسير التّبيان: ١: ١٨٧، وقد ورد في مختلف كتب الحديث بألفاظ متعددة والمعنى واحد، ومن ذلك: «من استن سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن استن سنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» بحار الانوار: ٩٠: ١١٧.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾، أي: لا تستبدِلوا ولا تختارُوا بالإيمانِ، ﴿بِآيَاتِي﴾، أي: بما في التّوراةِ مِن صِفةِ محمّدٍ ﷺ ونعتِهِ، والاتّباعِ لهُ والإيفاءِ بسائرِ العهودِ. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، أي: عَرَضًا يسيرا من حُظوظِ الدنيا والرُشى فإنّها وإن عَظُمَت وجَلّت وكَثُرَت فهي قليلةٌ مُستَرذِلةٌ بالنّسبةِ إلى ما يفوتُ عنهم مِن حظوظِ الآخرةِ وثوابِها، بتركِ الإيمانِ والإيفاءِ بالعهودِ. [٣٠٣]

وعن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام في هذهِ الآيةِ قال:« كان حَيُّ بن أخطب وكعبُ بن الأشرفِ وآخرونَ مِن أحبارِ اليهودِ لهم مأكلةٌ على اليهودِ في كلِّ سَنةٍ فكرِهوا بُطلانَها لو أصبَحُوا تابعينَ لمحمدٍ ﷺ فَحرَّفوا لذلكَ آياتٍ مِن التّوراةِ فيها صفتُهُ ﷺ وذكرُهُ فذلكَ الثّمنُ الذي أُريدَ في الآيةِ »[١]، ووَصفُ الثّمنِ بالقلّةِ لا يدلُّ على أنّهُ إذا كانَ كثيرًا يجوزُ شراءُ آياتِ الله بهِ؛ لأنَّ المقصودَ مِن أمثالِ ذلكَ المُقامِ وأنواعِ ذلكَ الكلامِ، إنّهُ أيَّ شيءٍ باعُوا بهِ آياتِ الله مِن الدّنيا وما فيها كانَ قليلًا، وأنّهُ لا يُمكنُ أن يكونَ ثمنٌ يُساويها، ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[٢]؛ لأنّه تعالى أرادَ بذلك نفي البرهانِ عنهُ قطعًا وعلى كلِّ حالٍ، وأنّه لا يجوزُ أن يكونَ عليهِ برهانٌ، ومثلُهُ قولُه تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٣]، فإنّه إنّما أراد بهِ أنَّ قتلَهُم لا يكونُ إلّا بغيرِ حقٍّ، وأمثالُ ذلك كثيرٌ كقولِ امرئ القيس:

على لاحِبٍ لا يَهتدي بمنارِهِ[٤] [إذا سافه العود الدّيافيّ جرجرا]

وإنّما أرادَ لا مَنار هُنالكَ فلا يُهتدى بهِ كما مرَّ مرارًا .

---

(١) بحار الأنوار: ٩: ٦٤، باب احتجاج الله على ارباب الملل المختلفة، مع تغيير طفيف لا يؤثر في المعنى، و مجمع البيان: ١: ١٨٦.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣: ١١٧.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١١٢.

(٤) البيت من الطويل، ديوانه: ٦٤. و(سافه: شمّه، والعودُ: الجملُ المُسنّ وفيه بقية، والدّيافي: نسبة إلى دياف، وهى قرية بالشام تُنسَبُ إليها النّجائبُ. يريدُ: إذا شَمَّ الجملُ تربة هذا الطريقِ جرجَرَ جَزعًا من بُعدهِ وقلّةِ مائهِ)، الشعر والشعراء: ١: ١١٩، وخزانة الأدب: ١٠: ٢١٠.

والشاهد فيه: أراد نفي وجود المنارة أصلا، لا عدم الهداية إليها.

﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾، أي: فاخشَونِ في أمرِ محمّدٍ ﷺ وأوصيائهِ والإيمانِ بهِ، وبِما أنزلتُ إليهِ الذي هو مُصدِّقٌ لِما معكُم، والايفاءِ بسائرِ عهودي واتِّباعِ الحقِّ والإعراضِ عن الباطلِ، ولم تُبالوا ما يفوتُ عنكُم مِن المأكلِ والرُشى[1] والرّئاسةِ؛ لأنّي خالقُكُم ورازقُكُم وجاعلٌ فيكُم أنبياءَ وملوكًا وجاعلُكُم ذَوي مالٍ، ومُؤتيكُم ما لم أوتِ أحدًا مِن العالمينَ.

ذكر دلالات هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على وجوبِ الإيمانِ على جميعِ الأنبياءِ والكتبِ المنزلةِ، وعلى عدمِ الانتفاعِ بالإيمانِ ببعضٍ دونَ بعضٍ، وعلى تحريمِ أخذِ الرُشى في الدِّينِ؛ لأنَّه لا يخلو إمّا أن يكونَ أمرًا يجبُ إظهارُهُ أو يحرمُ إظهارُهُ، وأخذُ الرُشى على كلا الوجهينِ ومخالفتِهما جميعًا حرامٌ.

وهذا الخطابُ يتوجّهُ على جميعِ القضاةِ وشهداءِ الزورِ وعلماءِ السوءِ مِن الأمّةِ إذا اختارُوا الدنيا على الدينِ، فتدخلُ فيهِ الشهاداتُ والقضايا والأحكامُ والفتاوى وغيرُ ذلكَ. وعلى وجوبِ الاتِّقاءِ منهُ تعالى في كلٍّ مِن أوامرهِ ونواهيهِ وعهودهِ ومواثيقهِ في حقِّهِ جلَّ وعَلا، وفي حقِّ أنبيائهِ وأوصياءِ أنبيائهِ وكتبهِ والصالحينَ مِن عبادهِ وإمائهِ.

وجمعَ سبحانهُ في الآيتين، أعني قوله: ﴿يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا﴾ إلى قوله:﴿ فَارْهَبُونِ﴾، وقوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ إلى قوله ﴿ فَاتَّقُونِ﴾ بين الرهبةِ والاتِّقاءِ تأكيدًا للانزجارِ، وقدَّمَ الرهبةَ على الاتقاءِ؛ لأنَّها مُقدَّمةٌ لهُ غالبًا، وظاهرُ العطفِ بل الصّوابُ إنَّ الخطابَ في الآيتينِ وفي جميعِ المعطوفاتِ عامٌّ لجميعِ بني إسرائيل عالمِهم ومُقَلِّدِهم، فقولُ البيضاوي: (إنَّ الخطابَ بالآيةِ الأولى لّما عَمَّ العالِمَ والمُقلِّدَ أمرَهُم بالرّهبةِ التي هي مَبدأُ السّلوكِ، والخطابَ بالثّانيةِ لّما خَصَّ أهلَ العلمِ أمرَهُم بالتّقوى الذي هو منتهاهُ)[2]، سخيفٌ، على أنَّ ما قالَ في صدرِ الآيةِ الثّانيةِ أنَّ كلَّهم مأمورونَ بالرّهبةِ والاتّقاءِ كما هوَ حقُّ المقامِ والانصافِ .

---

(١) الرُشى: جمع رشوة.

(٢) تفسير البيضاوي: ١: ٧٦.

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ آية:

القراءة:

قرأَ ابنُ مسعودٍ: وتكتمونَ بالرّفع، والباقون: وتكتموا بحذفِ النّونِ مجزومًا أو منصوبًا(١)، كَما سنبيِّنُهُ في الإعرابِ إن شاءَ اللهُ.

اللغة:

ذكرُ الفرقِ بين التّغطيةِ والتّعميةِ والإخفاءِ والإلباسِ والإشكالِ:

اللَّبسُ بالفتحِ: الخلطُ، والإخفاءُ هو والتّغطيةُ والتّعميةُ نظائرُ، إلّا أنّ التّغطيةَ: تكونُ بالزّيادةِ، والتّعميةَ: قد تكونُ بالزّيادةِ، وقد تكونُ بالنّقصانِ، واللَبسُ: ضدُّ الإيضاحِ، وخلطُ الأمورِ بعضُها ببعضٍ، واشتباهُ الشّيءِ بالشّيءِ، والتّلبيسُ: التّخليطُ والتّدليسُ، وتلبّسَ بالأمرِ: اختلطَ، والطّعامُ باليدِ التزقَ، ولابَسَهُ: خالطَهُ، وفلانٌ عرفَ باطنَهُ، واللِّباسُ بالكسرِ، واللَّبوسُ بالفتحِ، واللِّبسُ بالكسرِ، والملبَسُ كمقعَدٍ ومنبَرٍ كلُّها ما يُلبسُ، أي ما يُوارى به الجسدُ ولِبسُ الكعبةِ بالكسر كسوتُها، واللِبسُ بالكسر أيضًا من السّمحاق(٢)، واللُّبسُ بالضّمِّ: الشُّبهةُ، والفعلُ: لَبِسَ الثّوبَ كَسَمِع، لُبسًا بالضَّمِّ كقولها: [٣٠٤]

لَلُبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني أَحبُّ اليَّ من لُبسِ الشُفوفِ(٣)

كما مرَّ، ولَبَسَ الأمرُ يلبِسُهُ كضربَ يضرِبُ لَبسًا بالفتح، ولِباسُ التقوى هو الحياءُ والإيمانُ وخشيةُ اللهِ وسترُ العورةِ وأسبابُ الحربِ وآلاتُها، والسَّمتُ الحَسنُ، ولباسُ الجوعِ والخوفِ تمثيلٌ وتشبيهٌ واستعارةٌ، والفرقُ بين اللّبسِ والإخفاءِ أنَّ الإخفاءَ يُمكن أن يُدرك معه المعنى، ولا يُمكن إدراك المعنى مع اللّبسِ، والإشكالُ يُدرك معه المعنى بصعوبةٍ؛ لأجلِ التّعقيدِ، وقالَ أميرُ المؤمنينَ

(١) لم يقف الباحث على القراءة في كتب القراءات، وأثبتها من تفسير البيضاوي: ١: ٧٦، وتفسير ابن كثير: ١: ٢٤٥.

(٢) السّمحاق: ‹جلدة رقيقة فوق قحف الرأس، وكل جلدة رقيقة تشبهها تُسمى سمحاقًا›. العين: ٣: ٣٢٢، ومعجم لغة الفقهاء: ٤٥٩.

(٣) البيت من الوافر، وهو لامرأة من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقري قالتها حين تزوجت يزيد بن هبيرة المحارس أول أمير ولي اليمامة لعبد الملك بن مروان. ينظر: بلاغات النساء: ١١٩، وهومن شواهد سيبويه: ٣: ٤٥، و قال ابن عقيل في شرحه: ٢: ٣٥٨: ‹إنّ البيت لميسون أُمّ يزيد بن معاوية›.

صلواتُ اللهِ عليهِ للحارثِ بن خوط[1]: «يا حارُ إِنَّهُ ملبوسٌ عليكَ إنَّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرّجالِ، اعرفِ الحقَّ تَعرِفُ أهلَه»[2].

والكتمانُ: الإخفاءُ والمواراةُ والمخالطةُ والإلباسُ، وضدُّ الإظهارِ.

بيانُ اشتقاق البَاطِلِ:

والباطلُ: ضدُّ الحقِّ، يُجمعُ على أباطيل من غيرِ قياسٍ كأنَّه جمعُ أُبطولَة، والبُطلانُ والفسادُ والكذبُ والمَينُ والزّبورُ والبهتانُ نظائرٌ، وأبطلتُ الشيءَ: جعلتهُ باطلًا، وأبطلَ الرّجلُ: جاءَ بباطلٍ.

بَطَلَ بطلًا وبُطلانًا وبُطُولًا بضمّتينِ: ذهبَ ضِياعًا وخُسرًا. والباطلُ: إبليسُ، ومنه:﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ ﴾[3]، ورجلٌ بَطَّالٌ ذو باطلٍ بَيِّنُ البُطُولِ، وتبَطَّلوا بينهم تداوَلوا الباطلَ، ورجلٌ بَطَلٌ محرَّكةٌ وكشدّادٍ: بيِّنِ البطالةِ والبُطولةِ شُجاعٌ يبطلُ جراحتَه فلا يكترثُ لها وتبطُلُ عنده دماءُ الأقرانِ، جمعهُ أبطالٌ وهي بـِ(هاءٍ)، وبينهم أُبطُولةٌ بالضّمِّ وإبطالةٌ بالكسرِ: باطلٌ، والبطَلَةُ: السّحرةُ.

الإعراب:

(الواوُ): للعطفِ على ما قبلِهِ منَ النّهي، و(لا): ناهية، (تلبسُوا): من بابِ ضَرَبَ جزمٌ بها بحذفِ النونِ، و(الحقَّ): نصبٌ على المفعوليةِ، و(بالباطلِ): متعلِّقٌ بهِ، (وتكتموا): يحتملُ وجهينِ: أحدُهُما: أن يكون مجزومًا عطفًا على (تلبِسوا)، كأنَّه قال: لا تَلبِسوا الحقَّ ولا تكتُموهُ، فيكونُ عطفَ جملةٍ على جملةٍ، فإنّهم نُهوا عن إضلالِ الخلقِ بالتّلبيسِ على مَن سمعَ الحقَّ، وبالإخفاءِ والكتمانِ على مَن لم يسمعهُ، أو سمعهُ ونسيهُ.

الثّاني: أن يكونَ منصوبًا بـ(أن) المقدَّرة بعد الواو التي للجمعِ والصّرفِ فيكونُ حينئذٍ من عطفِ المفردِ على المفردِ، أعني: عطفَ مَصدرٍ على مَصدرِ الفعلِ الذي قبلهُ، والتّقديرُ: لا يكن منكم لبسُ

(١) لم يقف الباحث على ترجمة للرّجل إلّا ما ورد من اسمه في بعض الأسانيد، وقد اختلفت الكتبُ في تحديدِ اسمِ أبيه بين (حوت، وحوط، وخوط) على الرغم من كونه نفس الشخص الذي روى عن أمير المؤمنين عليه السلام. ينظر: تنقيح المقال في علم الرجال: ١٧: ١٢٢.

(٢) روضة الواعظين: ٣١، ومنهاج البراعة: ٣: ٣٧٤.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ٤٩

الحقِّ بالباطلِ وكتمانِهِ، أي: لا تجمعوا لبسَ الحقِّ وكتمانِهِ، ويُؤيّدهُ قراءةُ ابن مسعود: (وَتَكتُمونَ الحَقَّ)، أي: وأنتُم تكتمونَهُ، وفيه استقباحٌ عظيمٌ لحالِ هؤلاءِ اليَهودِ؛ لأنَّ الفعلَ الثّاني على هذينِ التّقديرينِ يكونُ مثبتًا، كما قال الشاعر:

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليكَ اذا فعلتَ عظيمُ [1]

لا تجمع نهيَكَ عن خُلقٍ قبيحٍ واتيانكَ بمثلِهِ، وسمَّى الكوفيّونَ هذه الواو: واو الصّرفِ، ومثَّلوا لها أيضًا بقولِهِ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2] بنصبِ يَعلمَ.

قال في القاموسِ: «السابعةُ والعشرون: واوُ الصّرفِ: وهو أن تأتيَ الواوُ معطوفةً على كلامٍ في أوَّلِهِ حادثةٌ لا يستقيمُ إعادتها على ما عُطِفَ عليها، كقوله: لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَهُ البيت، فإنَّهُ لا يجوزُ إعادة (لا) على (وتأتي مثله) وسُمّيَ صرفًا؛ إذ كان معطوفًا ولم يستقم أن يُعاد فيه الحادث الذي فيما قبله»[3]، انتهى.

المعنى: [٣٠٥]

لَمَّا أجملَ سابقًا: أنَّ من اليهودِ ككعبِ بن الأشرفِ[4] وأضرابِهِ كان لهم مأكلةٌ على اليهودِ في كلِّ سنةٍ فكرهوا بطلانها بأمرِ النّبيِّ ﷺ فحرَّفوا لذلكَ آياتٍ كثيرةً من التّوراةِ فيها صفته ﷺ وذكرُهُ، وبيانُ قصّتهِ وخليفتهِ بقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[5] فصّلَ ذلكَ بقولِهِ: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾**، أي: لا تخلطوا من جهةِ التّحريفِ والتّأويلِ ونحوهما، **﴿الْحَقَّ﴾** الذي نزلَ عليكم من كونِ مُحمّدٍ هذا ﷺ نبيًّا، ووصيِّهِ هذا إمامًا، وغير ذلك من الحقِّ الذي نزلَ عليكم من آياتِ الرجمِ وغيرِها،

---

(١) مرَّ تخريجُهُ.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٢.

(٣) القاموس المحيط: ١٣٥٥.

(٤) الطائي من بني نبهان: «شاعرٌ جاهليٌّ، يُقيمُ في حصنٍ له قريبٌ من المدينةِ، أدركَ الإسلامَ ولم يسلم، وأكثر من هجو النّبيِّ ﷺ وأصحابه، وتحريضُ القبائلِ عليهم وإيذائهم، خرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندبَ قتلى قريشٍ فيها، وحضّ على الاخذ بثأرهم، فأمر النّبيُّ ﷺ بقتله». تاريخ المدينة: النّميري: ٢: ٤٥٤، والاعلام: ٥: ٢٢٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٤١.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تكتبونَهُ بأيديكُم وتخترعونَهُ بأحلامِكم، وتذكُرونهُ في تأويلِه حتى لا يكونَ بينهما تمييزٌ فيكونُ ذلك إضلالًا للخلقِ الذين سمعوا الحقَّ، كما مرّ في بيانِ الإعرابِ، أو لا تقولوا نؤمنُ ببعضٍ، وهو ما ليسَ وصفًا له ﷺ ولا بشارةً لقدومهِ ووقتِ بعثتِه ومبعثِه، ونكفرُ ببعضٍ، مثلَ ما كان وصفًا له ﷺ وبشارةً لقدومهِ وميعادهِ وميلادهِ ولا تقولوا لعوامّكم آمِنوا بالذي أُنزلَ على الذين آمَنوا وجه النهارِ واكفروا آخِره لعلَّهم يرجعون؛ لأنّ الذين يؤمنونَ باللهِ وببعضِ رسلهِ وبعضِ كتبهِ ويكفرون بالبواقيَ هم الكافرونَ باللهِ وبجميعِ رسلهِ وكتبهِ حقًّا لا شكَّ فيه، إذ لا واسطةَ بين الإيمانِ والكفرِ كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِّ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾(١).

﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، أي: ولا تكتموا الحقَّ الذي هو نعتُ النَّبيِّ ﷺ وأوصيائهِ صلواتُ الله عليهم، وسائرُ الأحكامِ الشّرعيةِ، أو لا تجمعوا لبسَ الحقِّ بالباطلِ وكتمانهِ والحالِ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: عالمينَ بفعلتِكم من اللبسِ والكتمانِ وتتعمَّدونَ بهما جَحدا وعنادًا للهِ ورسولهِ ﷺ مع استيقانِ أنفسِكم بكونهِ ﷺ حقًّا، وكونُ ما جاء به صدقًا وعدلًا من عندِ اللهِ تعالى مصدِّقًا لما معكم، وهذا تقبيحٌ(٢) لما يفعلونه؛ لأنَّه من أقبحِ القبائحِ فانَّ الجاهلَ قد يُعذرُ لما يفعلهُ من القبيحِ لجهلهِ بِهِ بخلافِ العالمِ مع علمهِ بهِ.

إذا عرفتَ ما ذكرنا لا يردُ أن يُقال: كيف يجوزُ أن يكونَ هؤلاءِ عارفينَ بنبوّةِ مُحمّدٍ ﷺ وذلكَ مبنيٌّ على معرفةِ اللهِ وعندكم مَن عرفَ اللهَ لا يجوزُ أن يَكفُر وهؤلاءِ صاروا كفَّارًا وماتوا على كفرِهم؟ ولا يُحتاجُ إلى ما أجابَ عنه بقولهِ: لا يمتنعُ أن يكونوا عَرفوا اللهَ على وجهٍ لا يُستحَقُّ بهِ الثواب إلى آخرِ الجوابِ بطولهِ، أو المعنى وأنتم تعلمون أنّه حقٌّ، وشهدت عليكم ثيابُكم وأخفافُكم وجِمالُكم كما مرَّ بيانُهُ في أوّلِ هذهِ السّورةِ من تفسيرِ الإمامِ عليه السلام(٣).

---

(١) سورة النساء ٤: ١٥٠، ١٥١.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: منسوبٌ إلى القبحِ.

(٣) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٩.

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ آية:

اللغة:

قد مرَّ في أوَّلِ السّورةِ أنَّ الصّلوةَ فَعَلَةٌ من صَلّى، كالزّكوةِ من زَكّى، وكتابتُها بالواو للتّفخيمِ وحقيقةُ صلّى: حَرَّكَ الصّلوينِ في الرّكوعِ والسّجودِ: وهما العظمانِ النّابتانِ في أعالي الفخذينِ، وأصلُها عند أهلِ اللّغةِ: الدّعاءُ واللّزومُ ورفعُ النّقيصةِ[١]، يُقالُ: صلّيتُ، أي: دعوتُ ولزمتُ العبادةَ على الحدِّ الذي أمرهُ سبحانهُ وبيَّنهُ نبيّهُ ﷺ.

والزّكاةُ والزّيادةُ والنّماءُ نظائرُ، وقال الخليلُ في عينِ اللّغةِ: (زكاةُ المالِ تطهيرهُ، وزكا الزّرعُ وغيرهُ يزكو زكاءً بالمدّ، أي: نَما وازدادَ)[٢]، انتهى. وأصلُها تثميرُ المالِ بالبركةِ التي يجعلها اللهُ فيهِ وتطهيرُهُ من الخبثِ، وتطهيرُ النّفسِ من الشُّحِّ وتثميرُها فضيلةَ السّخاوةِ، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾[٣] الآيةُ.

والرّكوعُ والانحناءُ والانخفاضُ نظائرُ، قالَ الشّاعرُ:

لا تُهِينَ الفقيرَ علّكَ أن   تَركَعَ يومًا والدّهرُ قد رفعَهُ[٤]

أي: تنخفضُ أنت.

وقال ابنُ دريد: (الرّاكعُ: الذي يُكِبُّ على وجهه، ومنه الركوعُ في الصلاةِ)[٥]، وقالَ الخليلُ: (كلُّ شيءٍ ينكَبُّ لوجههِ فتمسُّ ركبتُهُ الأرضَ او لا تمسُّ بعد أن يُطَأطأَ رأسُهُ فهو راكعٌ)[٦].

---

(١) ينظر: العين: ٧: ١٥٥، (صلى)، والصحاح: ٦: ٢٤٠٢، (صلى)، والفروق اللغوية: ٥٣.

(٢) العين: ٥: ٣٩٤، (زكا).

(٣) سورة التوبة ٩: ١٠٣.

(٤) البيت من المنسرح، للأضبط بن قريع السعدي، وقد رواه الجاحظ بلفظ: (لا تحقرن الفقير). ينظر: البيان والتبيين: ٥٤٤، وخزانة الادب: ١١: ٤٧٧. والشاهد فيه: استعمال الركوع بمعنى الفقر بعد الغنى وهو من معاني الخضوع والانخفاض.

(٥) جمهرة اللغة: ٢: ٧٧٠.

(٦) العين: ١: ٢٠٠، (ركع).

الإعراب: [٣٠٦]

(الواوُ): لعطف الأوامرِ على الأوامرِ السّابقةِ، أو على النّواهي السّابقة، (أقيموا الصّلاة): فعلُ أمرٍ من بابِ الافعالِ وفاعلٌ ومفعولٌ بهِ، وكذا (وآتوا الزّكاةَ) بعينِها، و(اركعوا): فعلُ أمرٍ من بابِ مَنَعَ وفاعلٌ، و(معَ): ظرفُ اركعوا، أو حالٌ من فاعلهِ، و(الرّاكعينَ): مضافٌ إليهِ.

المعنى:

لـمّا أمرَ سبحانهُ بني إسرائيل بأصولِ الدينِ والإسلامِ من ذكرِ نعمتهِ التي أَنعمها عليهِم، ومعرفتهِ تعالى، والإيفاءِ بعهدهِ، والرّهبةِ منه سبحانهُ، والإيمانِ بما أنزلهُ مصدّقًا لما معهم، والنّهي عن كونهم أوَّلَ كافرٍ به، وعَنِ الاشتِراءِ بآياتهِ سبحانه ثمنًا قليلًا، وعن لبسِ الحقِّ بالباطلِ وكتمانهِ مع كونهم عالمينَ بذلكَ، اَمرَهم بفروعهِ من إقامةِ الصّلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ اللّذينِ هما أصلُ مِصداقِ الإيمانِ وشعيرتهِ بقوله: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾**، أي: داوموا عليها بالتجلّدِ والتَّشمّرِ[١] من غيرِ فتورٍ ولا توانٍ، أو أدُّوها بأركانِها وحدودِها وشرائطِها في أوقاتِها كما أتى بهِ نبيّنا ﷺ و بيَّنها لكم وللمسلمينَ، وقد مرّ في أوّلِ السورةِ أنَّ معنى إقامةِ الصّلاةِ: تعديلُ أركانِها وحفظِها من أن يقعَ زيغٌ في فرائضِها وسننِها وآدابِها، مِن أقامَ العُودَ: إذا قوَّمهُ، أو الدّوامُ عليها بالمحافظةِ كما قال سبحانه ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[٢] الآية، أو أداؤها فعبَّر بالأداءِ عَنِ الإقامةِ كَما مَرَّ، أو أقيموا الصّلاةَ على مُحَمَّدٍ وآلهِ الطاهرينَ.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ : أي: أعطوا الأصنافَ الثّمانيةَ كلَّهُم أو بعضَهُم ما فرضَ اللهُ عليكم في أموالِكم منَ الذّهبِ والفضّةِ والأنعامِ الثّلاثةِ والغلّاتِ الأربعِ وغيرِها، وما سنَّهُ عليكم كلَّ يومٍ أو أُسبوعٍ أو شهرٍ على ما بيَّنه ﷺ للمسلمينَ ولكم مفصَّلًا، وهكذا حكمُ كلِّ ما وردَ في القرآنِ مجملًا فإنَّ بيانَه موكولٌ إلى تفسيرِ النّبيِّ ﷺ ومَن قامَ مقامَه بنصٍّ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ ورسولِه ﷺ كما قالَ سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٣]؛ فلذا أمرَهُم سبحانهُ بإقامةِ

(١) التّشمّر: الجد والاجتهاد. لسان العرب: ٤: ٤٢٨، (شمر).

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

(٣) سورة الحشر ٥٩: ٧.

الصّلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ على الإجمال، وأحالَ التّفصيلَ على بيانهِ ﷺ، وكذا آتوا زكاةَ جاهِكم.

وفي الكافي: عن موسى بن جعفر عليه السلام: «انّهُ سُئِلَ عن صدقةِ الفطرةِ: أهيَ ممَّا قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾؟ فقالَ: نعم»[1].

ولمّا كانت الزّكاةُ من جملةِ كمالِ الصّلاةِ وتمامِها، ولم تُقبَلِ الصّلاةُ إلَّا بأداءِ الزّكاةِ كما قال النّبيُّ ﷺ: «زكُّوا اموالَكم تُقبَلُ صلاتُكُم»[2] ؛ ولأنَّ التّصرّفَ في مالِ الغيرِ من أخذِ المأكَلِ والملبسِ ونحوِهما سببٌ لِنقصانِ الصّلاةِ وعدمِ قبولِها؛ قرنَ سبحانهُ ذكرَ الزّكاةِ معَ الصّلاةِ في أكثرِ مواضعَ من القرآنِ. فلمّا أمرَهم سبحانهُ بأن صلُّوا صلاةَ المسلمينَ وزكُّوا زكاتَهم؛ لأنَّ صلاةَ غيرِهِم وزكاةَ غيرِهم كَلَا صلاةٍ ولا زكاةٍ أمرَهُم بصَلاةِ الجماعةِ بأن صلُّوا في جماعاتِ المسلمينَ بقوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ لانَّ صلاةَ الجماعةِ تفضُلُ على صلاةِ الفذِّ، أي: المنفردِ بسبعٍ وعشرينَ درجةً مع غيرِ العالمِ، ومعهُ تعدُلُ ألفًا، هذا إذا وقعَت في غيرِ المسجدِ، ولو وقعَت في مسجدٍ تضاعفَت بقدرِ مضروبِ عددهِ[3] في عددِها، ففي الجامعِ مع غيرِ العالمِ ألفان وسبعمائةٍ، ومعه مائة الفٍ[4]؛ وذلك لأنَّ صلاةَ المنفردِ في المسجدِ الجامعِ تعدلُ مائةَ صلاةٍ، كما سنشيرُ اليه آنفا في ذكرِ فضلِ المساجدِ لهذا المطلبِ، وصلاةَ الجماعةِ في غيرِ المسجدِ تعدُلُ سبعًا وعشرينَ صلاةً فيكونُ مضروبُ مائةٍ في سبعةٍ وعشرينَ ألفينِ وسبعمائةٍ هذا مع غيرِ العالمِ، وأمَّا مع العالمِ فمائةُ ألفِ صلاةٍ؛ لأنَّ الصّلاةَ في الجامعِ بغيرِ جماعةٍ تعدُلُ مائةَ صلاةٍ، والجماعةَ مع العالمِ في غيرِ المسجدِ تعدلُ ألفًا كما مرَّ ومضروبُ المائةِ في الألفِ مائةُ ألفٍ، والجماعةُ في المسجدِ الحرامِ مع غيرِ العالمِ ألفا ألفٍ و ستونَ ألفًا، ومع

---

(١) لم يجد الباحث الحديث في كتاب الكافي لا بلفظه ولا بمعناه، وإنّما ورد في غيره من الكتب الحديثية، كتهذيب الأحكام: ٤: ٨٩، حديث رقم: ٢٦٢، والاستبصار: ٢: ٥٢، حديث رقم: ١٧٥، والوافي: ١٠: ٢٧٠، حديث رقم: ٩٥٧٤.

(٢) الكافي: ٣: ٤٩٧، حديث رقم: ٢.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: ثواب هذا المسجد.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٨٥: ٢٠.

[٣٠٧] ففي كلِّ واحدٍ العالمِ مائةُ ألفِ ألفٍ، (وهذا كلَّه مع اتّحادِ المأمومِ، فَلو تَعدَّدَ تضاعفَت، بقدرِ المجموعِ في سابقِهِ فلا يُحصِي ذلك إلّا اللهَ سبحانهُ) [1]، وإنّما تفضُلُ الجماعةِ على الفذِّ بما مرَّ؛ لما فيها من تظاهرِ النّفوسِ وتعاونِها، وإنَّما عبَّر سبحانهُ عن الصّلاةِ بالرّكوعِ للردِّ على اليهودِ؛ لأنَّه لم يكن في صلاتِهم ركوعٌ؛ ولما هو المتعارفُ عند العربِ من تعبيرِ الصّلاةِ بالرّكوعِ، يقول القائلُ: فرغتُ من ركوعي؛ أي: من صلاتي: وإنَّما قيل ذلك؛ لأنَّه أوّلُ ما يشاهدُ من الأفعالِ التي يُستدلُّ بها على أنَّ الإنسانَ يصلي، فمعنى ﴿ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: صلُّوا مع هؤلاءِ المسلمينَ المصلِّينَ في جماعاتِهم فلا تكرارَ في الآيةِ؛ لأنَّه أمرَ في الأوَّلِ بإقامةِ الصّلاةِ على الوجهِ الشرعيِّ، وفي الثّاني بفعلِها مع الجماعةِ، وفي هذه الآيةِ دلالةٌ على أنَّ الكفّارَ والمشركينَ مأمورونَ بفروعِ الدّينِ الذي هو الإسلامُ كما أنَّهم مأمورون بأُصولهِ[2].

فصلٌ في فضلِ المساجدِ:

صلاةُ المنفردِ في المسجدِ الحرامِ بمائةِ ألفِ صلاةٍ، وفي المسجدِ النبويِّ بالمدينةِ بعشرِ آلافِ صلاةٍ، وفي كلِّ واحدٍ من مسجدِ الكوفةِ والأقصى بألفِ صلاةٍ، وفي المسجدِ الجامعِ في البلدِ للجمعةِ، أو للجماعةِ وإن تعدَّد بمائةِ صلاةٍ، وفي مسجدِ القبيلةِ كالمحلَّةِ بسبعٍ وعشرينَ أو بخمسٍ وعشرينَ صلاةً، وفي مسجدِ السّوقِ باثنتي عشرةَ صلاةً[3]، هذا ما وعدناهُ.

---

(١) الوسائل: الحر العاملي: ٥: ٣٧٤.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: لقوله تعالى: ﴿إنَ الدين عند الله الاسلام﴾ و قوله: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾. وتكليف الكفّار بفروع الشريعة من الأمور المُختلَفِ فيها، إذ نقلَ العلّامة الحلّي في تذكرة الفقهاء: ٤: ٨٥: الإجماعُ بكونِ الكفّارِ مكلّفينَ بالفروعِ، وقال المحقّقُ النّراقي: بعدمِ التّكليفِ، وقد نقل أقوالَ المانعينَ كالاسترابادي في الفوائد المدنية: ٤٦٩، والفيض الكاشاني في الوافي: ٢: ٨٢، حديث رقم: ٥٢٣، والمحقّق البحراني في الحدائق الناضرة: ٣: ٣٩.

(٣) ينظر: تهذيب الاحكام: ٣: ٢٥٣، حديث رقم: ٦٩٨، ومن لا يحضره الفقيه: ١: ٢٣٣، حديث رقم: ٧٠٢.

وقولُهُ تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ آيةٌ:

اللغة:

البِرُّ بالكسرِ والخيرُ والإحسانُ والاصطناعُ و الصلةُ نظائرُ، وفي أسماءِ الله تعالى البَرُّ بالفتحِ هو: العطوفُ على عبادهِ ببرِّه ولطفهِ، والبَرُّ بالفتحِ والبارُّ بمعنًى، وإنَّما جاء في اسمِ الله تعالى: البَرُّ دون البارُّ كمال سبحانه إنَّه هو البَرُّ الرحيمُ، يُقالُ: بَرَّ يبَرُّ من باب عَلِم فهو بارٌّ وجمعه بررة، وبَرٌّ وجمعهُ أبرار، وهو في الأغلبِ يخصُّ الأولياءَ والزهّادَ والعبّادَ، ومنه الحديثُ في بِرِّ الوالدينِ[1]، وضدّ البِرُّ: العقوقُ: وهو الاساءةُ إليهما والتضييعُ لحقِّهما، وفي الحديثِ: « تمسّحوا بالأرضِ فإنّها بكم بَرَّة »[2]، أي: مُشفقةٌ عليكم كالوالدةِ البَرّة بأولادِها، يعني: أنَّ منها خلَقَكُم وفيها معاشَكم وإليها بعد الموتِ معادَكُم.

وبَرَّت يمينُه: صدقَت، ويُقال: بَرَّ حجُّهُ وبُرَّ حجُّهُ وبَرَّ اللهُ حجَّهُ وأبَرَّه بِرًّا بالكسرِ وأبرارًا وبَرَّ قسمَهُ أي صدّقهُ، وفي الحديث: « الحجُّ المبرورُ ليس لهُ ثوابٌ إلَّا الجنَّةَ »[3] هو الذي لا يخالطهُ شيءٌ من المآثمِ، وقيل: هو المقبولُ. والبَرُّ سعةُ الخيرِ ومنهُ البَرُّ لسعتهِ، ويتناولُ كلَّ خيرٍ؛ ولذا قيل: (إنَّ البِرَّ ثلاثةٌ: برٌّ في عبادةِ الله وبرٌّ في مراعاةِ الاقاربِ وبرٌّ في معاملةِ الاجانبِ)[4]، وفي حديثِ زمزم (أتاهُ آتٍ فقال: احفر بَرَّةً)[5] سمّاها بَرَّة؛ لكثرةِ منافعِها، وسعةِ مائِها، وقولهم: (لا يَعرِفُ الهِرَّ من البِرِّ)[6]، قال الأخفش: (معناه لا يعرفُ مَن يهِرُّ عليهِ ممَّن يبِرَّه)[7] . وقالَ المازني: (الهِرُّ: السنّورُ، والبِرُّ

(١) عَنْ أَبِي عبدِ الله عليه السلام قَالَ: «جاءَ رجلٌ و سألَ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله عن بِرِّ الوالدَينِ فقالَ: ابرَر أُمَّكَ، ابرَر أُمَّكَ، ابرَر أُمَّكَ، ابرَر أباكَ، ابرَر أباكَ، ابرَر أباكَ، و بدأَ بالأُمِّ قبلَ الأَب». الكافي: ٢: ١٦٢، حديث رقم: ١٧.

(٢) المعجم الصغير: الطبراني: ١: ١٤٩، والنهاية في غريب الحديث والاثر: ١: ١١٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر: ١: ١١٧.

(٤) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: ٢: ١٢١.

(٥) الكافي: ٤: ٢١٩، حديث رقم: ٦، و النهاية في غريب الحديث والاثر: ١: ١١٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٤١، والتبيان: ١: ١٩٧.

(٧) لم يقف الباحث على هذه النّسبةِ في كتبِ الأخفشِ وأثبتها من مجمع البيان: : ١٩١.

الفأرةُ أو دُويبةٌ تشبهُها»[1]، والفرقُ بين البِرِّ والخيرِ: أنَّ البِرَّ يدلُّ على قصدٍ، والخيرَ يقعُ على وجهِ السّهو أيضًا.

والنّسيانُ والسّهوُ والغفلةُ نظائرٌ، وضدُّ النّسيانِ: الذّكرُ، وحقيقتهُ: غروبُ الشّيءِ عنِ النّفسِ بعد حضورهِ، والسّهوُ قد يقعُ عمّا كان الإنسانُ عالمًا بهِ وعمّا لم يكن عالمًا بهِ، وقد يكون النسيانُ بمعنى التّركِ كقولهِ تعالى:﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2] أي: تركوا ذكرَ الله فخذلهُم.

والتّلاوةُ: القراءةُ، يقالُ: تلا يتلو تلاوةً أي: قرأَ، و أصلُ التّلاوةِ: اتباعُ الحروفِ، والقراءةُ: جمعُ الحروفِ. والعقلُ واللُّبُّ والفهمُ والمعرفةُ والنّهيةُ والحِجى نظائرٌ، يقالُ: رجلٌ عاقلٌ فهمٌ لبيبٌ ذو معرفةٍ و ضدُّ العقلِ: الحُمقُ تارةً والجهلُ أخرى، يقالُ: عَقَلَ الشيءَ[3] عقلًا وأعقلهُ غيرُه، وقال صاحبُ العين: «العقلُ ضدُّ الجهلِ، يقالُ: عقلَ الجاهِلُ إذا علمَ، وعقلَ المريضُ بعد أن أهجرَ، وعقَلَ المعتوهُ[4]»، والعِقالُ: الرّباطُ، يقالُ: عقَلتُ البعيرَ أعقِلهُ عقلًا: إذا شددتَ يدهُ بالعِقالِ»[5]. والعقلُ مجموعُ علومٍ؛ لأجلِها يمتنعُ الحيُّ من كثيرٍ من المقبّحاتِ، ويفعلُ كثيرًا من الواجباتِ، وإنّما سُمِّي عقلًا؛ لأنَّه يَعقِلُ من فعلِ القبيحِ، أي: يمنعُ. [٣٠٨]

ولا يُوصفُ القديمُ تعالى بأنَّه عاقلٌ، بأنَّه يعقلُهُ شيءٌ عن فعلِ القبيحِ؛ لأنَّه تعالى عالمٌ بقبحِ الأشياءِ كما هيَ، ويوصفُ سبحانه بالعالِمِ، وقالَ عليُّ بنُ عيسى: «العقلُ هو العلمُ الذي يزجرُ عن فعلِ القبيحِ، ومَن كان زاجرهُ أقوى فهو أعقلُ»[6].

فأصلُه في جميعِ المواضعِ الحبسُ والمنعُ، ومنه عقالُ البعيرِ سُمّيَ به الإدراكُ المعهودُ للإنسانِ؛ لأنَّه يحبسه ويمنعه عمّا يقبحُ، ويعقلهُ على ما يحسُنُ، ومن ذلك العاقلةُ للعصبةِ والأقاربِ من قبلِ الأبِ يُعطون ديةَ قتلِ الخطأِ. وفي المجمعِ: «والفرقُ بين العلمِ والعقلِ: أنَّ العقلَ قد يكملُ لَمن فقد بعضَ

---

(١) مجمع البيان: ١: ١٩١، ونسبه الشيخ الطوسي في التبيان: ١: ١٩٧ إلى الرمّاني.

(٢) سورة التوبة ٩: ٦٧.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: فهمهُ وعلِمهُ.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: المجنون.

(٥) العين: ١: ١٥٩، (عقل).

(٦) مجمع البيان: ١: ١٩١، والقائل هو الرمّاني.

العلومِ ولا يكملُ العلمُ لَمَن فقد بعضَ عقلِهِ[1].

الإعراب:

(الهمزةُ): للتّوبيخِ والتّعجّبِ مع تقريرِ مدخولِها، وجملةُ (وأنتم تتلونَ الكتابَ): حالٌ من فاعلِ تنسَونَ، والهمزةُ في (أفلا تعقلونَ): لتأكيدِ التّوبيخِ والتّقريعِ، وإعرابُ الباقي: واضحٌ.

المعنى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أصلُ الخطابِ هنا لِعلمائِهم وأحبارِهم ثمَّ لكلِّ مَن يحذو حذوَهم ممَّن كانَ يصنعُ مثلَ صنيعِهم من أمرِ الغيرِ بالبرِّ ونسيانِ نفسهِ، فالمرادُ بالبرِّ هنا بالأصالةِ الايمانُ بمحمدٍ ﷺ وأوصيائهِ وأتباعهِم، ثمَّ يشملُ سائرَ أنواعهِ ولوازمِه وبَّخهُم اللهُ على ما كانوا يفعلون من أمرِ الناسِ من أقاربِهم وغيرِهم بالإيمانِ بمحمدٍ ﷺ واتّباعهِ إذا بُعِثَ، فلمَّا بُعِث عرفوهُ وكَفروا بهِ كما قالَ تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[2] الآية، وما تبعوهُ، وكانوا أيضًا يأمرونَ النّاسَ بالصّدقاتِ ويتركونها، ولا يتصدَّقونَ بصدقاتِهم وإذا أُتُوا بصدقاتٍ ليُفرِّقوها في المساكينِ خانوا فيها، أي: أتأمرونَ النّاسَ بالصّدقةِ وإخراجِ الزّكواتِ وتتركونَها أنتم، وإذا أتتكُم العوامُّ بالصّدقاتِ لتُفرِّقوها على الفقراءِ والمساكينِ وسائرِ الأصنافِ خِنتُم فيها، وكانوا أيضًا يأمرونَ النّاسَ بطاعةِ اللهِ والتمسُّكِ بالتوراةِ والعملِ بما فيها، وهم يخالفونَ ذلك ويتركونَ التّمسّك بها؛ لأنَّ جحدَهم النّبيَّ ﷺ وصفتُهُ فيها تركٌ للتمسُّكِ بها.

﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي: والحالُ أنتم تقرؤونَ التّوراةَ وفيها نعتُهُ وصفتُه ﷺ، وفيها الوعيدُ على الخيانةِ وتركِ البرِّ ومخالفةِ القولِ العملَ، ففيه تبكيتٌ[3] لهم في جميعِ ذلكَ. وقوله: **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**: توبيخٌ عظيمٌ عليهم وتقريعٌ على سوءِ صنيعِهم، بمعنى أفلا عقلَ لكم فتفقهوا أنَّ ما في التوراةِ حقٌّ وصدقٌ جاء من عندِ ربِّكم وأنَّ ما تفعلونَهُ قبيحٌ في العقولِ وإنَّ عاقبتَه وخيمةٌ وفاعلَهُ معذَّبٌ، أو أفلا تفطِنونَ لِقُبحِ ما أقدمتُم عليهِ حَتّى يمنعَكُم استقباحُهُ عن ارتكابِهِ؛ لأنَّ مَن يعقِلُ

---

(١) مجمع البيان: ١: ١٩١.

(٢) سورة البقرة ٢: ٨٩.

(٣) التبكيت: التقريع والتوبيخ. مجمع البحرين: ٢: ١٩٢، (بكت).

لا يفعلُ مثلَ هذا أبدًا فكأنَّكم مسلوبوا العقولِ فلا عَقلَ لكم يحبسُكم عن ذلكَ، فإن قلتَ اذا كان فعلُ البِرِّ واجبًا حَسنًا، والأمرُ بهِ واجبًا آخرَ فلِمَ وبَّخهم اللهُ سبحانهُ على الأمرِ بالبرِّ؟ قلتُ: لم يوبِّخهم على مجرَّدِ الأمرِ بالبرِّ، وإنَّما وبَّخهم على تركِ فعلِهم البِرَّ منضمّا إلى الأمرِ بهِ؛ لأنَّ تركَ البِرِّ ممَّن يأمرُ بهِ أقبحُ من تركهِ ممَّن لا يأمرُ بهِ كما مرَّ في قولِ الشّاعرِ:

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ (1)

لأنَّ من المعلومِ انَّهُ لم يُرِد بهِ تركَ النهي عن الخُلُقِ المذمومِ، وإنَّما نهى عن ذلكَ منضمًّا إلى إتيانهِ مثلَهُ بل يجبُ على الواعظِ الحكيمِ أن يبدأ بنفسهِ في تركِ المناهي وانزجارهِ منها، وفعلِ الأوامرِ و ائتِمارهِ بها؛ ليُسمَعَ قولُهُ وتقعَ موعظتُهُ في محلِّ القبولِ وتؤثِّر في القلوبِ كالنصلِ في السهمِ ثمَّ على الهدفِ، كما قال هذا الشّاعرُ بعد هذا البيتِ: [٣٠٩]

ابدأ بنفسِكَ فانهِها عن غيِّها فاذا انتَهت عنهُ فأنتَ حكيمُ

فهناك يُسمَعُ ما تقولُ ويُقتدى بالقولِ منكَ وينفعُ التّعليمُ

وإلَّا كان معذَّبًا بقرضِ شفاههِ بمقاريضَ من نارٍ كما رُوي عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: « مررتُ ليلةَ أُسريَ بي على أناسٍ تُقرَضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبرائيلُ؟ قال: هم خطباءُ من أهلِ الدنيا ممَّن كانوا يأمرونَ الناسَ بالبِرِّ وينسَونَ أنفسَهم»(2).

بيانُ مَن كان صالحًا للأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ:

وفي مصباحِ الشّريعةِ عَنِ الصّادقِ عليه السلام أنَّه قال: «مَن لم ينسلخ من هوى جَنبَيهِ ولم يتخلَّص من آفاتِ نفسهِ وشهواتِها ولم يهزمِ الشيطانَ ولم يدخل في كنَفِ الله تعالى وتوحيدِهِ وأدانَ عصمتهِ لا يصلحُ للأمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المنكرِ؛ لأنَّه إذا لم يكن بهذه الصفةِ فكلُّ ما أظهرَ يكونُ حجّةً عليهِ ولا ينتفعُ الناسُ بهِ، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ويُقالُ له: يا

(١) مرَّ بيانه، ص: ٢٠٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣: ١٢٠، مسند أنس بن مالك، وبنفس المعنى في الوسائل: ١٦: ١٥١، حديث رقم: ٢١٢١٨.

خائنُ أتطالبُ خلقي بما خنتَ بهِ نفسكَ وأرخيتَ عنه عنانَكَ »[1].

وفي تفسيرِ عليِّ بن إبراهيمَ: وقولُهُ تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ قال: نزلت في القُصّاصِ والخُطّابِ، وهو قولُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام: «وعلى كلِّ منبرٍ منهم خطيبٌ مُصقَعٌ[2] يكذبُ على الله تعالى ورسولهِ صلى الله عليه وآله وعلى كتابهِ»[3]، وفي أصولِ الكافي: بإسنادهِ إلى أبي بصيرٍ عَن أبي عبد الله عليه السلام قال: «في قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[4] قال: يا أبا بصير هم قومٌ وَصَفوا عدلًا بألسنتِهم ثمَّ خالفوه إلى غيرهِ»[5]، وبإسنادهِ إلى خيثمةَ قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: « أبلغ شيعتَنا إنَّ أعظمَ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ مَن وصفَ عدلًا ثم خالفهُ إلى غيرهِ »[6]، وبإسناده عن ابن يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال:« إنَّ أعظمَ النّاسِ حسرةً يومَ القيامةِ مَن وصفَ عدلًا ثم خالفهُ إلى غيرهِ »[7]، وبإسنادهِ عن قتيبة الأعشى[8] عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال:« من أشدِّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ مَن وصفَ عدلًا وعملَ بغيرهِ »[9]، وعن مُعلَّى بن خُنيس[10] عن أبي عبد الله عليه السلام: « إنَّ أشدَّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ مَن وصفَ عدلًا ثمَّ عملَ بغيرهِ »[11]، وإنَّما قال سبحانه: ﴿ **أَفَلَا**

---

(١) مصباح الشريعة: : ١٨، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جاء في نسخة المصدر لفظ (هواجسه) بدل (هوى جنبيه).

(٢) بليغ . العين : ١: ١٢٩، (صقع).

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٦، حج آدم.

(٤) سورة الشعراء ٢٦: ٩٤.

(٥) الكافي: ٢: ٣٠٠، حديث رقم: ٤.

(٦) الكافي: ٢: ٣٠٠، حديث رقم: ٥.

(٧) الكافي: ٢: ٣٠٠، حديث رقم: ٣.

(٨) أبو محمد الكوفي: المؤدب مولى الأزدي، ثقة عين، روى عن الصادق عليه السلام، له كتاب. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٢٠٣، ترجمة رقم: ٥٨١، وطرائف المقال: البروجردي: ٥: ٥٦٣، ترجمة رقم: ٥٣٥٢.

(٩) الكافي: ٢: ٣٠٠، حديث رقم: ٢.

(١٠) أبو عبد الله: مولى الصادق عليه السلام، ومن قبله كان مولى بنى أسد، كوفي، بزاز، ضعيف، له كتاب يرويه جماعة. ينظر: رجال النجاشي: ٤١٧: ترجمة رقم: ١١١٤.

(١١) الكافي: ٢: ٣٠٠، حديث رقم: ١.

تَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل تفقهونَ، أو تفهمونَ ونحوَ ذلك؛ لأنَّ العقلَ هو مناطُ التكليفِ كما صُرِّحَ بهِ في أحاديثِ أهلِ العصمةِ والطهارةِ عليهم السلام، في أصولِ الكافي بإسنادهِ إلى مُحمّد بن مسلم[1] عن أبي جعفر عليه السلام قال: « لمَّا خلقَ اللهُ العقلَ استنطقهُ ثمّ قالَ لهُ أقبل فأقبلَ، ثمَّ قالَ لهُ أدبر فَأدبَرَ، ثمَّ قالَ: و عزَّتي وجلالي ما خلقتُ خلقًا هو أحبُّ إليَّ منكَ، ولا أكملتُكَ إلَّا فيمَن أُحِبُّ، أما إنّي إيَّاك آمرُ وإيَّاكَ أنهى وإيَّاكَ أعاقبُ وإيَّاكَ أثيبُ »[2] ، وبإسنادهِ إلى سعد بن طريف عن الأصبغِ بن نباتة[3] عن عليٍّ عليه السلام قال: «هبطَ جبرائيلُ عليه السلام على آدمَ عليه السلام فقال: يا آدمُ إنّي أُمرتُ أُخيُّرِكَ واحدةً من ثلاثٍ فاخترها ودعِ اثنتينِ فقال له آدمُ: يا جبرائيلُ وما الثلاثُ؟ فقال: العقلُ والحياءُ و الدينُ. فقال آدمُ عليه السلام: انّي اخترتُ العقلَ. فقال جبرائيلُ عليه السلام للحياءِ والدينِ: انصرفا ودعاهُ، فقالا: يا جبرائيلُ إنّا أُمِرنا أن نكونَ مع العقلِ حيثُ كان، قال: فشأنكما وعرجَ »[4].[٣١٠]

وبإسنادِهِ إلى أحمد بن محمدٍ بن خالدٍ[5] عن بعضِ أصحابهِ رفعهُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ما قسمَ اللهُ للعبادِ شيئًا أفضلَ من العقلِ، فنومُ العاقلِ أفضلُ من سهَرِ الجاهلِ وإقامَةُ العاقلِ أفضلُ من شخوصِ الجاهلِ ولا بعثَ الله نبيًّا ولا رسولًا حتى يستكملَ العقلَ ويكونَ عقلُهُ أفضلَ من عقولِ جميعِ أُمّتهِ»[6]، وما يُضمِرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله في نفسهِ أفضلُ من اجتهادِ المجتهدينَ، وما أدّى العبدُ فرائضَ

---

(١) أبو جعفر بن رباح: الطّحّان، وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروى عنهما وكان من أوثق الناس . له كتاب يسمى الأربع مائة مسألة في أبواب الحلال والحرام، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٤، ترجمة رقم: ٨٨٢.

(٢) الكافي: ١: ١٠، حديث رقم: ١.

(٣) من خواصِّ أميرِ المؤمنين عليه السلام وعمَّرَ بعده، روى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولّاه مصر، كما روى وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية . ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٨٥، ترجمة رقم: ١١٩.

(٤) الكافي: ١: ١٠، حديث رقم: ٢.

(٥) أبو جعفر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي: أصله كوفي، كان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل، صنّف كتبا كثيرة، منها المحاسن وغيره. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٦٢، ترجمة رقم: ٦٥ ، ومعالم العلماء: ٤٧، ترجمة رقم: ٥٥.

(٦) الكافي: ١: ١٠، حديث رقم: ١١.

الله حتى عقَلَ منه ولا بلَغَ جميعُ العابدينَ في فضلِ عبادتِهم ما بلغَ العاقلُ، والعقلاءُ هم: أولو الألبابِ الذين قال الله تعالى:﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١) ، في كتابِ العللِ بإسناده إلى عيسى بن جعفرٍ بن محمدٍ بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن علي بن أبي طالب عن آبائه عن عمر بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام : « إنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله سُئِل ممَّا خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ العقل؟ قال: خلقهُ مَلكٌ لهُ رؤوسٌ بعددِ الخلائقِ مَن خَلقَ ومَن يخلُقُ إلى يومِ القيامةِ ولكلِّ رأسٍ وجهٌ ولكلِّ آدميٍّ رأسٌ من رؤوسِ العقلِ، واسمُ ذلك الإنسانُ على وجهِ ذلكَ الرأس مكتوبٌ، وعلى كلِّ وجهٍ سِترٌ مُلقًى ما يكشفُ ذلكَ السّتر من ذلكَ الوجهِ حتى يُولَد هذا المولودُ ويبلغَ حدَّ الرجالِ أو حدَّ النساءِ، فاذا بلغَ كُشِفَ ذلك السترُ من ذلكَ الوجهِ فيقعُ في قلبِ هذا الإنسانِ نورٌ فَيفهمَ الفريضةَ والسنَّةَ والجيّدَ والرديءَ، ألا ومَثَلُ العقلِ في القلبِ كمَثَلِ السّراجِ في وسطِ البيتِ » (٢).

وفي تفسيرِ عليِّ بن إبراهيم: وقال الصّادقُ عليه السلام: «موضعُ العقلِ الدّماغُ، ألا ترى الرّجلَ إذا كان قليلَ العقلِ قيل له ما أخفَّ دماغَكَ» (٣)، وفي أصول الكافي: احمد بن ادريس عن مُحمّدِ بن عبد الجبّار(٤) عن بعضِ أصحابِنا رفعهُ إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: « قلتُ لهُ: ما العقلُ؟ قال: ما عُبِدَ بهِ الرحمنُ واُكتسِبَ بهِ الجنان. قلتُ: فما الذي كانَ في معاويةَ؟ قال: النّكراءُ: تلكَ الشّيطنةُ وهي شبيهةٌ بالعقلِ، وليست بالعقلِ»(٥).

قولُهُ تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

العَونُ: الظهيرُ، للواحدِ والجمعِ والمؤنثِ، ويُكسّرُ أعوانًا، يقالُ: استعنتُهُ و بهِ: فأعانَني، والاسمُ

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٦٩.

(٢) علل الشرائع: ١: ٩٨، العلة التي من أجلها صار العقل واحدا في كثير من الناس.

(٣) تفسير القمّي: ٢: ٢٣٩.

(٤) ابن أبي الصهبان: قمّي، ثقة، من أصحاب الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام ، روى عن ابن بكير، وروى عنه: سعد بن عبد الله والحميري ومحمد بن يحيى وأحمد بن إدريس. ينظر: خلاصة الاقوال: ٢٤٢، ترجمة رقم: ٢٦، ونقد الرجال: ٤: ٢٣٨، ترجمة رقم: ٤٨١٢.

(٥) الكافي: ١: ١١، حديث رقم: ٣.

العَونُ والمعانةُ والمعونةُ والمعونُ، وتعاوَنوا واعتوَنوا: أعانَ بعضُهم بعضًا، وعاونَهُ معاونةً وعوانًا.
والصّبرُ: حبسُ النفسِ ومنعُها محابَّها وكفُّها عن هَواها، وهو من بابِ ضَرَبَ يقالُ: صَبَرَه عنه يصبُرُهُ إذا حبسهُ عن الجزعِ، وصبرَ الإنسانُ غيرَه على القتلِ وهو أن يحبسهُ ويرميهُ حتى يموتَ، وقد قتلَهُ صبرًا، ومنه الحديث: « اقتلوا القاتلَ واصبروا الصّابرَ »(1)، وذلك فيمَن أمسكَه حَتَّى قتلَهُ آخرُ فأمرَ بقتلِ القاتلِ وحبسِ المُمسِكِ ويمينُ الصّبرِ التي يُمسِكُ الحاكمُ عليها حتّى يحلِفَ أو التي تلزمُ، والمصبورةُ: اليمينُ، ومن ذلك يقالُ للصومِ الصّبرُ؛ لأنَّ الصائمَ يصبرُ نفسَهُ ويحبسُها ويكفُّها عمّا يُفسِد الصومَ، ومنهُ جاءَ في الحديثِ لشَهرِ رمضانَ: «هو شَهرُ الصّبرِ»(2)، ومنه الصّبرُ عَنِ المعصيةِ لكفِّ الصّابرِ نفسهُ عن ارتكابِها، والصّبرُ: نقيضُ الجزعُ، يقالُ: صبَرَ يصبِرُ فهو صابرٌ وصبيرٌ وصبورٌ، ويقالُ فيه: صبَرَ واصطَبَرَ وتصبَّرَ، وأصبَرَهُ أمرهُ بالصّبرِ كصَبَّرَهُ، ويقالُ: صبرَتُهُ كنَصَر صَبرًا وصبارَةً: كَفَلَ، وأَصبَرَني كأَنصَرَني أَعطاني كفيلًا، والصّبرُ: الكفيلُ ومُقدّمُ القومِ في أُمورِهِم.

والكبيرةُ: العظيمةُ الثّقيلةُ تقعُ على المعاني و الأجسامِ ومنه الكبيرةُ للفعلةِ القبيحةِ من الذنبِ المنهيِّ عنه شرعًا، العظيمُ إثمُها كالقتلِ والزّنا والفرارِ من الزّحفِ و غير ذلك، وهي منَ الصّفاتِ الغالبةِ وأصلها من الكِبَرِ بالكسرِ وهو العظمةُ ويقالُ: كبُرَ بالضمِّ: يكبُرُ، أي: عظُمَ فهو كبيرٌ، وفي أسماءِ الله تعالى المتكبِّرُ والكبيرُ، أي: العظيمُ ذو الكبرياءِ، أي: الكاملُ الذّاتِ والكاملُ الوجودِ المتعالي عن صفاتِ خلقهِ الغالبُ على عُتاةِ خلقهِ، والتّاءُ فيه للتخصُّصِ والتّفرُّدِ، لا تاءُ التّعاطيَ والتّكلُّفَ، كما في تحلَّمَ زيدٌ وتشجَّعَ والمُتحلِّم والمُتشجِّعُ كما قالَ:

تَحلَّم عن الأدنينِ واستَبقِ وُدَّهُم ولن تستطيعَ الحِلمَ حتى تَحَلَّما (3)

---

(1) غريب الحديث لابن سلام: ١: ٢٥٤.

(2) الكافي: ٤: ٦٦، حديث رقم: ٤، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٩٥، حديث رقم: ١٨٣١.

(3) البيت من الطويل، وهو لحاتم الطائي. ديوانه: ٤٤، وينظر: خزانة الأدب: ٣: ١١٩، وهو من شواهد سيبويه: ٤: ٧١، ونسبه ابن هشام في مغني اللبيب: ٢: ٦٧١، إلى الأحنف بن قيس.

وقالَ ابنُ الأثيرِ: «وفي حديثِ الأذانِ: اللهُ أكبرُ معناهُ الكبيرُ فوُضِعَ أفعَلُ موضِعَ فعيل، كقولِ الفرزدقِ:

إنَّ الذي سمَكَ السّماءَ بَنى　　لنا بيتًا دعائِمُهُ أعَزُّ وأطوَلُ [1] [٣١١]

أي: عزيزةٌ وطويلةٌ، وقيل: معناهُ اللهُ أكبرُ من كلِّ شيءٍ، أي: أعظمُ فحُذِفَت (مِن) لوضوحِ معناها، وأكبرُ: خبَرٌ، والأخبارُ لا يُنكَرُ حذفُها، وقيلَ: معناهُ: اللهُ أكبرُ مِن أن يُعرَفُ كُنهُ كبريائهِ وعظمتِهِ، وإنَّما قُدِّر له ذلكَ وأُوِّلَ؛ لأنَّ أفعل فُعلى يلزمُهُ الألفُ واللامُ والإضافةُ كالأكبرِ، وأكبرِ القومِ»[2]، ومنه الحديث: «يومُ الحجِّ الأكبر قيل: هو النحرُ[3]، وقيل: يومُ عرفة»[4]، وانَّما سُمِّيَ الحجُّ الأكبرُ؛ لأنَّهم يُسمّونَ العُمرَةَ الحجَّ الأصغرَ[5]، ويُجمع أكبرُ على أكابرَ وأكبرونَ رفعًا وأكبرينَ نصبًا وجرًّا، وكُبرى على الكُبَرِ والكُبرَياتِ، وقد يُستعملُ أكبرُ مثلَ أحمرَ وحمراءَ فلا يكونُ حينئذٍ من بابِ أفعلِ التفضيلِ؛ بل من بابِ أفعل فعلاءَ ويُجمَعُ حينئذٍ على الكُبرِ كحُمرٍ، ومنه حديثُ القِسامةِ: «الكُبرُ الكُبرُ، أي: لِيبدأ الأكبرُ بالكلامِ، أو قدِّموا الأكبرَ إرشادًا إلى الأدبِ في تقديمِ الأسَنِّ»[6].

والخشوعُ و الخضوعُ والاخباتُ والتذلّلُ والتواضعُ نظائرٌ، وضدُّها الاستكبارُ، يقالُ: خشَعَ الرجلُ: إذا رمى ببصرهِ إلى الأرضِ، واختشعَ: طأطَأَ رأسَهُ كالمتواضعِ، والفرقُ بين الخشوعِ والخضوعِ أنَّ الخضوعَ في الأبدانِ والإقرارِ والاعترافِ بالاستخدامِ، والخشوعَ في الأصواتِ والأبصارِ كما قال تعالى:﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾[7] الآية، أي: سكنَت وسكتَت وقالَ:

(١) البيت من الكامل. ديوانه: ٤٨٩، وينظر: خزانة الأدب: ٨: ٢٤٥، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٤٠.

(٣) الكافي: ٤: ٢٩٠، حديث رقم: ١، وتهذيب الاحكام: ٥: ٤٥٠، حديث رقم: ١٥٧١.

(٤) الكافي: ٤: ٢٩٠، حديث رقم: ٣.

(٥) الكافي: ٤: ٢٩٠، حديث رقم: ١ ، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٤٨٨، حديث رقم: ٣٠٤١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٤١.

(٧) سورة طه ٢٠: ١٠٨.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾[1]، وأصلُ البابِ كما قال في المجمعِ: «اللّينُ والسّهولةُ، والخاشعُ والمتواضِعُ والمتذلّلُ والمخبِتُ والمستكِينُ بمعنًى»[2].

قال الشّاعرُ:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزّبيرِ تواضَعَت سُورُ المدينةِ والجبالُ الخشَّعُ[3]

ومنه في الحديثِ: «كانت الكعبةُ خُشعَةً على الماءِ فدُحيَت منها الأرضُ»[4] ، الخُشعةُ: أكمةٌ لاطِئةٌ بالأرضِ، وقيلَ: «ما غلبَت عليه السهولةُ، أي: ليسَ بحجرٍ ولا طينٍ»[5]، والجمعُ: خُشَعٌ كغُرفةٍ وغُرَفٍ.

الإعراب:

(الواوُ): لعطفِ الأمرِ على الأوامرِ السّابقةِ، لكنّ المخاطبينَ المأمورينَ ههنا أعمُّ، (استعينوا): فعلُ أمرٍ من العونِ وفاعلٍ، و(بالصّبرِ والصّلاةِ): متعلّقان بهِ، و(الهاء) في إنّها: اسمُ إنّ، وهي عائدةٌ على الصّلاةِ؛ لأنّها أغلبُ وأفضلُ، والعائدُ إلى الصّبرِ محذوفٌ نظيرُ قولهِ تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[6] أي: إليها وإليهِ، وقولهِ تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[7]، وقولهِ تعالى:﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[8]، والعائدُ إلى أحدِهما محذوفٌ في هذهِ الآياتِ، أو المرادُ بهما جميعًا وإن كان اللفظُ واحدًا، كقولِ الشّاعرِ:

---

(١) سورة القلم ٦٨: ٤٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ١٩٣.

(٣) البيت من الكامل، وهو لجرير. ديوانه: ٢٧٠، وينظر: خزانة الأدب: ٤: ٢٠٣، وهو من شواهد سيبويه: ١: ٥٢، ونسبه صاحب فقه اللغة وسر العربية: ٣٥٣، إلى الفرزدق.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ١: ٢٤٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٤.

(٦) سورة الجمعة ٦٢: ١١.

(٧) سورة التوبة ٩: ٣٤.

(٨) سورة التوبة ٩: ٦٢.

أمّا الوَسامَةُ أو حُسنُ النساءِ فقد أُوتيتَ منهُ أو أنَّ العقلَ مُحتنَكُ[1]

أو إلى الاستعانةِ المفهومةِ من استعينوا كما في اعدلوا، هو أقربُ للتّقوى، أي: وإنَّ الاستعانةَ بهما لكبيرةٌ أو إلى محذوفٍ وهو: الإجابةُ للنّبيِّ ﷺ، أو إلى جملةِ: ما أُمِروا بها وما نُهوا عنها، أو إلى هذهِ الفعلةِ كما في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام كما سنشيرُ إليهِ في ذكرِ المعنى، أو (إلى هذهِ الخطيئةِ كما قالَ أبو مُسلم)[2].

(لَكبيرَةٌ): خبر إنَّ، واللّام تدخلُ في خبرِ إنَّ المكسورةِ ولا تدخل في خبرِ أخواتِها الخمسِ الباقيةِ على الأصحِّ، وقراءةُ (ألا أنَّهم لَيأكلونَ الطّعامَ) بفتحِ أنَّ فشاذّةٌ[3] على أنَّها مُخرّجةٌ بزيادةِ اللّامِ، وأمّا قولُ الشّاعرِ:

[يلومونني في حُبِّ ليلى عواذلي] ولكنَّني مِن حبِّها لعَميدُ[4]

فضرورةٌ ملحونةٌ على أنَّهُ لا يُعرَفُ قائلُهُ ولا تتمَّتُهُ ومُخرّجٌ أيضًا على زيادةِ اللّامِ، أو على أنَّ الأصلَ: لكِن إنَّني، كما قالوا في ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾[5] إنَّ أصلَهُ: لكن انا، والعميدُ: مَنْ عَمِدَهُ العشقُ بكسرِ الميمِ: إذا انكسرَ قلبُهُ بمودتِها وصار قريبًا من الهلاكةِ، ورويَ لَكميدٌ[6] من الكمدِ وهو: الحزنُ، و تُسمّى هذه اللّامُ لامُ الابتداءِ واللّامُ المزحلقةُ أيضًا بالفاءِ والقافِ؛ لأنَّ أهلَ

---

(١) لم يجد الباحث البيت الشعري في أي مصدر شعري أو لغوي أو نحوي، وإنّما أثبته من كتب التفسير. كالتبيان: ١: ٢٠٣، ومجمع البيان: ١: ١٩٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ١٩٦.

(٣) لم يقف الباحث على هذه القراءة من كتب القراءات وأثبتها من كتب التفسير، ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ٢: ٧٧، وتفسير الآلوسي: ١٤: ٧٣.

(٤) البيت من الطويل، وقال ابن هشام في المغني: ١: ٢٩٢: ولا يعرف له قائل ولا تتمّة ولا نظير، في حين إنّ ابن عقيل أورد له صدرًا في شرحه: ١: ٣٦٣، الشاهد: ٩٩: وهو قولُهُ: يلومونني في حُبِّ ليلى عَواذلي. والشاهد فيه: دخول اللام على خبر لكنَّ ضرورة، وهو قول الكوفيين، ومنعه البصريّون وأجابوا عن هذا بأنّهُ: إمّا شاذٌّ وإمّا إنَّ أصلَهُ لكن إنّني. خزانة الادب: ١٠: ٣٨٦، وشرح الرضي على الكافية: ٤: ٣٦٣، الشاهد: ٨٥٠.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٣٨.

(٦) ينظر: الصحاح: ٦: ٢١٩٧، (لكن).

العاليةِ[1] يقولونَ زُحلُوفةً بالفاءِ و بني تميم زُحلُوقةً بالقافِ؛ سُمّيت بذلكَ الاسمِ لأنَّ أصلَ إنَّ زيدًا لفاضلٌ: لَإنَّ زيدًا فاضلٌ فكرِهُوا افتتاحَ الكلامِ بحرفينِ مؤكّدينِ بمعنًى فزَحلَفُوا اللامَ عن مكانِها دونَ إنَّ؛ لئلّا يتقدَّمَ معمولُها عليها؛ ولأنَّ إنَّ عاملةٌ والعاملُ حريٌّ بالتقدّمِ على معمولهِ سيَّما إذا كانَ حرفًا إذ هو ضعيفٌ فأَدخَلوا اللّامَ على الخبرِ، أو ما وقعَ في محلِّهِ من معمولِ الخبرِ وضميرِ الفصلِ والاسمِ بشُرُوطِها.

والزُحلُوفةُ: هي المكانُ المنحدرُ الأملسُ اللّزِقُ، وزُحلوفَةُ الصبيِّ: تحرّكَهُ بإستهِ على وجهِ الارضِ[2]، ومنهُ في وصفهِ ﷺ: «والثابتِ القدمِ على زحالِيفِها في الزمنِ الأوّلِ»[3]، أي قبلَ النبوّةِ، والضميرُ للدنيا وإن لم يجرِ لها ذكرٌ لمعلومِيّتِها، والكلامُ استعارةٌ، وعلى الخاشعينَ: متعلّقٌ بكبيرةٍ، والاستثناءُ مُفرّغٌ، والتقديرُ: وإنّها لكبيرةٌ على جميعِ الإنسانِ، أو على كلِّ أحدٍ إلّا على الخاشعينَ.

النُّزول: [٣١٢]

في المجمعِ: «قالَ الجبّائي: إنَّهُ خطابٌ للمسلمينَ دونَ أهلِ الكتابِ، وقالَ الرّمّاني وغيره: هو خطابٌ لأهلِ الكتابِ ويتناولُ المؤمنينَ على وجهِ التّأديبِ، والأولى أن يكونَ خطابًا لجميعِ المكلفينَ لفقدِ الدّلالةِ على التّخصيصِ، ويُؤيّدُ قولَ مَن قال: إنَّه خطابٌ لأهلِ الكتابِ إنَّ ما قبلَ الآيةِ وما بعدَها خطابٌ لهم»[4]، انتهى. وفي كونِ ذلكَ فقط تأييدًا نظرٌ؛ لأنَّ نظائرَ ذلكَ كثيرٌ في القرآنِ ولا يحتملُ تأييدًا كما في آيةِ التّطهيرِ ونحوِها.

المعنى:

﴿**وَاسْتَعِينُوا**﴾ أيُّها المسلمونَ قاطبةً والمكلّفونَ بالتّكاليفِ الشّرعيّةِ التي كلّفناكُم بها على مطالِبكم وتحصيلِ حوائجِكم إلى الله سبحانهُ من جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ بهاتَينِ الخصلَتينِ وهما:

---

(١) والعالية: اسمٌ لكلِّ ما كان من جهةِ نجدٍ منَ المدينةِ مِن قُراها وعَمائِرِها إلى تُهامةَ، فَهيَ العالية. معجم البلدان: ٤: ٧١.

(٢) الإست: العجز. الصحاح: ٦: ٢٢٣٣، (عجز)، وقال الزبيدي: «زَحَفَ الصَّبِيُّ عَلَى اسْتِهِ، وهو أَن يَزْحَفَ قَبْلَ أَنْ يَمْشِيَ». تاج العروس: ١٢: ٢٤٢ (زحف).

(٣) بحار الانوار: ٨٤: ٣٤٠، دعاء الصباح.

(٤) مجمع البيان: ١: ١٩٤.

﴿بِالصَّبْرِ﴾: الذي هوَ منعُ النّفسِ عن محابِّها من المحرّماتِ والمعاصِي، وكفُّها عمَّا تهويهِ من الرئاسةِ ومخالفةِ الهدى ومُتابعةِ الرَّدى، وصبرُها على انتظارِ الفرجِ وإنجاحِ المآربِ بظهورِ القائمِ عليه السلام؛ لأنَّ الصبرَ مفتاحُ الفرجِ ولكلِّ عسرٍ يسرٌ، بل يسرانِ، ولكلِّ ضيقٍ سعةٌ، ولكلِّ شدّةٍ ومحنةٍ مدًى، أو الصّومُ الذي هو صبرُ النفسِ وكفُّها عن المفطراتِ؛ لما فيه من كسرِ الشهواتِ وتصفيةِ النّفسِ عنِ المهلكاتِ، وإمساكِ الجوارحِ والقلوبِ عن المعاصي والخواطرِ الباطلةِ والنيّاتِ الفاسدةِ والمللِ والأهواءِ المضِلّةِ والمعتقداتِ المرديةِ.

﴿وَالصَّلَاةِ﴾: التي هي جامعةٌ لأنواعِ الطّاعاتِ والعباداتِ النفسانيّةِ والأبدانيّةِ من الطهارةِ وسَترِ العورةِ وصرفِ المالِ فيها، ومعرفةِ آدابِ الصلاةِ، والتوجُّهِ إلى الكعبةِ، والإقامةِ والعكوفِ على العبادةِ وإظهارِ الخشوعِ والخضوعِ بالجوارحِ، وإخلاصِ النيّةِ بالقلبِ، ودفعِ الوساوسِ ومراعاةِ الآدابِ، والاجتنابِ من المكارهِ مع الخشيةِ والاخباتِ، واستحضارِ العلمِ بأنّها انتصابٌ بين يَدي جبّارِ السمواتِ، ومجاهدةِ الشّيطانِ ومناجاةِ الرحمنِ، وقراءةِ القرآنِ والتدبُّرِ لمعانيهِ، والإيقاظِ بمواعظهِ، والائتمارِ بأوامرهِ والانزجارِ عن نواهيهِ، والاعتبارِ بقَصَصهِ وما تحويهِ.

والمقصودُ: استعينوا على حوائجِكم إلى اللهِ سبحانهُ بعدَ معرفتهِ سبحانهُ وتوحيدهِ وخلعِ الأندادِ، ومعرفةِ رُسُلهِ وأنبيائهِ وحججهِ واتِّباعِهم واقتفاءِ آثارِهم والاهتداءِ بهديِهم بجميعِ ما أُمرتُم بهِ، سيَّما بهاتينِ الخصلتينِ اللتينِ أحدهما من أعظَمِ أفعالِ القلوبِ وهو الصَّبرُ والأُخرى من أعظمِ أفعالِ الجوارحِ؛ فلكونهما أعظمَ من سائرِ العباداتِ والطاعاتِ أمرَ سبحانهُ بهما، وعنِ الصّادقِ عليه السلام أنَّه قال: «ما يمنعُ احدُكم إذا دخلَ عليهِ غَمٌّ من غُمومِ الدنيا أن يتوضَّأَ ثم يدخلَ المسجدَ فيركعَ ركعتينِ يدعو اللهَ فيهما، أما سَمِعتَ اللهَ تعالى يقولُ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾»(1)، وفي الكافي والفقيهِ عنه عليه السلام أنَّهُ قال: «إذا نزلَت بالرّجلِ النّازلةَ الشّديدةَ فليَصُم فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ يعني الصّيام»(2) ،وفي الكافي عنه عليه السلام: «كان عليٌّ صلواتُ اللهِ عليهِ إذا هالهُ

---

(1) وسائل الشيعة: ٨: ١٣٩، حديث رقم: ١٠٢٥١.

(2) الكافي: ٤: ٦٣، حديث رقم: ٧، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٧٦، حديث رقم: ١٧٧٧.

شيءٌ فزِعَ إلى الصّلاةِ ثمَّ تلا هذهِ الآيةَ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾»(١)، وعن عليٍّ عليه السلام: «الصّبرُ صبران: صَبرٌ على الطّاعاتِ والعباداتِ، وصَبرٌ عن المحرماتِ والمعاصي»(٢)، وأمّا الصّبرُ على المصيباتِ فهو داخلٌ في الصّبرِ على الطّاعاتِ أيضًا.

والمرادُ بالصّلاةِ: ما يعُمُّ الخمسَ المفروضاتِ والنّوافلَ الرّواتبَ، وغيرَها ممَّا يختصُّ بوقتٍ أو مكانٍ وما لا يختصُّ بهما، والصّلاةَ على النّبيِّ وآلهِ الطّاهرينَ، وإنّها أي: الصّلاةَ وكذا الصّومَ أو الاستعانةَ بهما أو هذهِ الفعلةَ منَ الصّلواتِ الخمسِ والصّلاةَ على مُحمّدٍ وآلهِ مع الانقيادِ لأوامرِهم والإيمانِ بسرِّهم وعلانيَّتِهم وتركِ معارضتِهم بِلِمَ وكيفَ، كما في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام(٣)، أو هذهِ الموعظةَ أو جملةَ ما أُمِرتُم بهِ و ما نُهيتُم عنهُ. [٣١٣]

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾، أي: ثقيلةٌ عظيمةٌ شاقّةٌ، ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: أي: المتذلّلينَ المخبتينَ المتواضِعينَ المؤمنينَ الخائفينَ عقابَ الله في مخالفةِ أوامِرِهِ ونَواهيهِ فإنّهم لمَّا آمنوا بذلكَ وعلِموا ما يحصلُ لهم مِنَ الثّوابِ الدّائمِ وطَنُّوا أنفسَهم على فعلِها وصَبَروا عليها وعَوَّدوها إيَّاها فلم تثقُل عليهِم، كما إنَّ الإنسانَ يتجرَّعُ مرارةَ الدّواءِ لما يرجو به من نيلِ الشّفاءِ، فجعلوا أنفسَهم مُرتاضَةً بامتثالِها مُتوقّعةً في مقابلَتِها ما يستخفُّ لأجلِهِ مشاقِّها، كما قالَ النّبيُّ صلى الله عليه وآله: «وجُعِلَت قُرّةُ عيني في الصلاةِ»(٤)، و«إنّها مِعراجُ المؤمنِ»(٥)، و«قربانُ كلُّ تقيٍّ(٦)»بخِلافِ الضّالِّينَ والمشركينَ والمنافقينَ فإنّها كبيرةٌ

---

(١) الكافي: ٣: ٤٨٠، حديث رقم: ١، باب صلاة من خاف مكروها.

(٢) لم يجد الباحث الحديث بالنصّ الوارد في الأصل، وإنّما جاء بالمعنى كحديث: «الصبرُ صبرانِ: صبرٌ على البلاءِ حسنٌ جميلٌ، وأفضلُ الصّبرينِ الورعُ عنِ المحارمِ». وسائل الشيعة: ١١: ١٨٧، حديث رقم: ٤، باب وجوب الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، وحديث: «صبرٌ عندَ المصيبةِ، وصبرٌ على الطّاعةِ، وصبرٌ عنِ المعصيةِ». الكافي: ٢: ٩١، حديث رقم: ١٧.

(٣) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ: ٢٣٨.

(٤) شرح أصول الكافي: ١: ٢٦٠.

(٥) بحار الأنوار: ٨١: ٢٥٥.

(٦) دعائم الإسلام: ١: ١٣٣.

عليهِم كما قالَ تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[1].

قولُهُ تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

الظّنُّ: لغةً يجيءُ بمعانٍ:

أحدُها: بمعنى العلمِ واليقينِ وهو المرادُ هنا، وفي عيونِ الأخبارِ في بابِ ذكرِ مجلسٍ آخرَ للرّضا عليه السلام عند المأمون في بيانِ عصمةِ الانبياءِ عليهم السلام فقال الرّضا عليه السلام: «وأمّا قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[2] الآيةُ، إنّما ظَنَّ بمعنى استيقَنَ أن لن نُضيّقَ عليهِ رزقَهُ »[3]، انتهى. وفي بابٍ آخرَ في عصمةِ الأنبياءِ أيضًا: فقالَ المأمونُ للهِ درُّك يا أبا الحسنِ فأخبِرني عن قولِ الله تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قالَ الرّضا عليه السلام: « ذاكَ يونُسُ بن متّى عليه السلام ذَهَبَ مُغاضِبًا لقومِهِ فظَنَّ بمعنى استيقَنَ»[4]، انتهى موضعُ الحاجةِ، ويُؤيِّد هذا المعنى ما في مصحَفِ عبدِ الله بن مسعودٍ (الذينَ يعلَمُونَ أنَّهُم مُلاقُوا)[5] الآية، وقالَ دُريدُ بنُ الصُّمَّة[6]:

فقُلتُ لهُم ظَنُّوا بألفَي مَدحَجٍ سُراتُهم في الفارسيّ المُسرَّدِ[7]

وثانيها: بمعنى ما يُقاربُ العلمُ ويُتاخِمُهُ، قال أوسُ بن حجر[8]:

---

(١) سورة الشورى ٤٢: ١٣.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٨٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧٩.

(٥) ينظر: الكشاف: ١: ١٣٤.

(٦) أبو قرة الهوازني الجشمي البكري، بطل شجاع من الشعراء المعمرين، ادرك الاسلام ولم يُسلم، فقُتِلَ على دين الجاهلية يوم حنين سنة (٨ هـ). الوافي بالوفيات: ١٤: ٩، والإعلام: ٢: ٣٣٩.

(٧) البيت من الطويل، ينظر: جمهرة أشعار العرب: ٢١١، وزهر الآداب وثمر الألباب: ١: ٢٩٧.

الشاهد فيه: استعمال الظنّ بمعنى اليقين.

(٨) ابن مالك التّميمي: أبو شُريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، كان كثير الاسفار، عَمَّرَ طويلًا، ولم يدرك الاسلام. توضيح المشتبه: ٣: ١٢٧.

الألمعِيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الظَنَّ كأَنَّ قد رأى وقد سمِعا [1]

وثالثُها: بمعنى التوقُّعِ، قال أوس بن حجر:

فأَرسلتُهُ مُستَيقِنَ الظَّنَّ أَنَّهُ مُخالِطٌ ما بينَ الشّراسيفِ جائِفُ [2]

وقد يجيءُ بمعنى الشكِّ والتجويزِ، وفي المجمعِ: (قال بعضُ المحقِّقينَ: أصلُ الظنِّ: ما يجولُ في النفسِ من الخاطرِ الذي يغلِبُ على القلبِ كأَنَّهُ حديثُ النفسِ بالشيءِ، ويُؤوّلُ جميعُ ما في القرآنِ من الظَّنِّ بمعنى العلمِ)[3]. على هذا انتهى وفيهِ ما فيهِ.

ثُمَّ قالَ صاحبُ المجمعِ: (والظَّنُّ والشّكُّ والتّجويزُ نظائرٌ، إلَّا أنَّ الظّنَّ فيهِ قوّةٌ على أحدِ الأمرينِ دونَ الآخرِ، وحدُّهُ ما قويَ عندَ الظَّانِّ كونُ المظنونِ على ما ظنَّهُ معَ تجويزِهِ أن يكون على خلافِهِ، فبالتجويزِ ينفصلُ منَ العلمِ، وبالقوَّةِ ينفصلُ منَ الشّكِّ والتّقليدِ وغيرِ ذلكَ، وهو من جنسِ الاعتقادِ عندَ أبي هاشم، وجنسٌ برأسِهِ سوى الاعتقادِ عند أبي عليّ[4] و القاضي[5] وذهبَ إليهِ المرتضى قدس سره[6])[7].

(1) البيت من المنسرح، من قصيدة رثى فيها فضالة بن كلدة. ينظر: رسالة الغفران: ٢٢٧، وزهر الآداب: ١: ٩٦.

(2) البيت من الطويل. ينظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني: ١: ٢١٤. والجائفة: طعنة تبلغ الجوف، والشّراسيف: اطراف الاضلاع. العين: ٦: ٣٠٠، (شرسف)، والقاموس المحيط: ٣: ١٢٥.

والشاهد فيه: إنَّه استعمل الظنّ بمعنى التّوقّع، فهو توقّع أنَّ طعنته قد دخلت جوفه ووصلت أطراف أضلاعه.

(3) مجمع البيان: ١: ١٩٦.

(4) محمد بن عبد الوهاب بن سلام: شيخ المعتزلة وأحد متكلّميها، أخذ عن أبي يعقوب بن عبد الله البصري، وأخذ عنه ابنه أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري، له مقالات مشهورة وتصانيف، توفي سنة (٣٠٣هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ٤: ٥٥، ووفيات الأعيان: ٤: ٢٦٧، ترجمة رقم: ٦٠٧.

(5) ابو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن عبد الله الهمدانيّ، الاسترابادي: فقيه أصولي، متكلّم، مفسِّر، من رجالات المعتزلة، تولى القضاء بالري، له مؤلفات كثيرة، منها: دلائل النبوة، طبقات المعتزلة، تنزيه القرآن عن المطاعن، توفي سنة (٤١٥هـ). ينظر: سير اعلام النبلاء: ١٧: ٢٤٤، ترجمة رقم: ١٥٠، ومعجم المؤلفين: ٥: ٧٨.

(6) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٢٣.

(7) مجمع البيان: ١: ١٩٦، ١٩٧.

وضدُّ الظّنِّ: اليقينُ، والظّنينُ: المتَّهمُ، ومصدرُهُ الظِّنَّةُ بالكسرِ، والظَّنونُ كصَبُور: الرجلُ السّيِّءُ الظّنِّ بكلِّ أحدٍ، والظَّنُونُ: البئرُ التي يُظنُّ بها ماءٌ ولا يكونُ.

وأصلُ الملاقاةِ: الملاصقةُ والاتصالُ، يقالُ: التقى الخطّانِ إذا تلاصَقا، والتقى الختانانِ: إذا تلاصَقا وتداخلا في الجملةِ، ثمَّ كثُرَ استعمالُهُ في المجاورةِ و المُحاذاةِ، يقالُ: التقى الفارسانِ: إذا تجاورا وتحاذَيا ولم يتلاصَقا. وأصلُ الرجوعِ العودُ إلى الحالِ الأوَّلِ يقالُ: رجعَ زيدٌ ورجَعتُهُ أنا، لازمٌ و مُتعَدٍّ، قال عزَّ وعلا: ﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] وهذه الآيةُ كذلكَ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ﴾[2] الآية، وقد يجيءُ لابتداءِ الفعلِ نادرًا، وهكذا العودُ كقولهِ تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[3] .

الإعراب:

(الّذينَ): هنا في موضعِ الجرِّ صفةُ الخاشعينَ، ويجوزُ قطعُهُ عنِ الموصوفِ رفعًا بإضمارِ المبتدأِ، ونصبًا بإضمارِ الناصبِ كما هو القاعدةُ، وجملةُ (يظنُّونَ): صلتُهُ، و(أنَّهم) هنا بفتحِ الهمزةِ: ليسَ إلَّا، لأنَّ الظّنَّ ونحوَه فعلٌ يتعدَّى إلى مفعولينِ، و(أنَّ) إذا وقعَت موقِعَ المفعولِ يجبُ فتحُ همزتِها، وهي مع اسمِها وخبرِها: في تأويلِ المصدرِ سادٌّ مسدَّ المفعولينِ على التّحقيقِ؛ لأنَّ مفعولَ أفعالِ القلوبِ في الحقيقةِ مصدرُ الخبرِ مضافًا إلى المبتدأِ، وأنَّ المفتوحةَ موضوعَةٌ لهذا المعنى، فإذا قلتَ: زيدًا قائمًا فكأنَّك قلتَ: علمتُ قيامَ زيدٍ، وكذا إذا قلتَ: إنَّ زيدًا قائمٌ كأنَّكَ قلتَ: علمتُ قيامَ زيدٍ من غيرِ [٣١٤] فرقٍ؛ وذلكَ لأنَّها لا تطلبُ في ظاهرِ الحالِ إلَّا مُسندًا ومُسندًا إليهِ سواءٌ نصبَهما كظننتُ زيدًا قائماً أو لم ينصِبهما، نحو: ظننتُ أنَّ زيدًا قائمٌ، إذ مقصودُ الجزئينِ المنصوبينِ هو المصرَّحُ به في الجزئينِ المصدَّرينِ بأنَّ المفتوحةَ فهي سادَّةٌ مسدَّ المفعولَينِ الصّريحينِ ولا يُحتاجُ إلى مفعولٍ آخرَ مقدَّرٍ هذا مذهبُ سيبويه والمحقِّقينَ[4]، وأمَّا الأخفشُ فيجعلُ أنَّ مع جزئيها في مقامِ المفعولِ الاوّلِ، ويُقدِّرُ المفعولَ الثاني، أي: علمتُ أنَّ زيدًا قائمٌ حاصلًا، أي علمتُ قيامَ زيدٍ حاصلًا، ويُقدِّرُ الاخفشُ في أمثالِ هذهِ الآيةِ: الّذينَ يظُنُّونَ مُلاقاةِ ربِّهم واقعَةً، أي: يعلمونَ

(١) سورة البقرة ٢: ١٥٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ٨٣.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٨٨.

(٤) ينظر: الكتاب: ١: ١٢٥.

ويتيَقَّنُون ملاقاتِهِ واقعةً[1]، وذكرنا ذلكَ مُفصَّلًا مستوفًى في شرحِنا في بابِ أفعالِ القلوبِ في التّنبيهِ الرّابعِ من خصائصِ أفعالِ القلوبِ[2].

و(ملاقوا ربِّهِم): خبرُ أنَّ، حُذِفَت النّونُ للإضافةِ عندَ الكوفيّينَ وللتّخفيفِ عندَ البصريّينَ[3]، والمعنى على إثباتِها فإنَّ المضافَ إليهِ وإن كانَ مجرورًا في اللّفظِ فهو منصوبٌ في المعنى، فهيَ إضافةٌ لفظيّةٌ غيرُ معنويّةٍ، ومثلُهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾[4]، ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾[5]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[6]، وقولُ الشّاعرِ:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتِنا وعبدَ رَبٍّ أخا عَونِ بنِ مِخراقِ[7]

ولو كانت للماضي والاستمرارَ لتعرَّفَ الاسمُ المضافُ بالإضافةِ ولم يجز فيهِ إظهارُ النونِ البتَّة.

(وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) بفتحِ الهمزةِ لا غيرُ: عطفٌ على الأولى.

المعنى:

لَمَّا ذكرَ سبحانُهُ الخاشعينَ على الإجمالِ والإبهامِ بيَّنَ بعضَ صفاتِهم للإيضاحِ والإعلامِ؛ لأنَّ السّامعَ إذا لم يفهمِ المقصودَ من اللفظِ انتظرَهُ فيتمكّنُ بعد ورودِهِ فضلَ تمكُّنٍ؛ لأنَّ المحصولَ بعد الطّلبِ أعزُّ مِن المُنساقِ بلا تعبٍ؛ ليكونَ أوقعَ في النفسِ فقالَ: **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾**: أي: يتيقَّنونَ ويعلمونَ **﴿أَنَّهُمْ﴾** يُحشَرون إلى ربِّهم فهم **﴿مُلَاقُوا﴾** ما وَعَدَهُم **﴿رَبِّهِمْ﴾** من الثوابِ، أي ثوابَ ربِّهم أو جزاءَ ربِّهم أو لقاءَهُ، ونيلَ ما عندهُ فيُجازيهِم بالصّلاةِ والصّبرِ وبسائرِ الأعمالِ الحسنةِ بما

---

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١: ٨٩.

(٢) ينظر: زينة السالك، مخطوط للمُصنِّف.

(٣) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٣: ٣٧٨، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٢٩٣.

(٤) سورة القمر ٥٤: ٢٧.

(٥) سورة الصافات ٣٧: ٣٨.

(٦) سورة العنكبوت ٢٩: ٥٧.

(٧) البيت من البسيط، مجهول القائل، وهو من شواهد سيبويه: ١: ١٧١، وينظر: خزانة الأدب: ٨: ٢١٨. الشاهد فيه: نصب (عبدَ ربٍّ) إمّا على إضمار فعلٍ، تقديره: (تبعثُ عبدَ ربٍّ)، أو عطفًا على محل المُضاف إليهِ (دينار).

أُخفِيَ لهم مِن قرَّةِ عينٍ جزاءً بما كانوا يكسِبون فلذا لم تثقُل عليهِم كما تثقُلُ على غيرِهم كما مرَّ بيانهُ، فليس اللقاءُ من الرؤيةِ في شيءٍ، وفي الحديثِ: «مَن حلفَ على مالِ امرئٍ مُسلمٍ كاذبًا لَقيَ اللهَ وهو عليهِ غضبانٌ »(١).

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: أي ويعلمونَ أنَّهم راجِعونَ إليهِ سبحانهُ لا إلى غيرِهِ، أي إلى ثوابهِ ودارِ كرامتهِ لأجلِ الاستبشارِ بالمبايعةِ التي وقعَت بينَهم وبينهُ سبحانهُ كما مرَّ ويجيءُ في سورةِ التّوبةِ.

في المجمعِ: (يُسأَلُ هنا فيُقالُ: ما معنى الرجوعِ في الآيةِ وهم ما كانوا قطُّ في الآخرةِ فيعودوا إليها؟

وجوابُهُ من وجوهٍ:

أحدُها: أنَّهم راجعونَ بالإعادةِ في الآخرةِ عن أبي العاليةِ.

وثانيها: أنَّهم يرجعونَ بالموتِ كما كانوا في الحالِ المتقدِّمةِ؛ لأنَّهم كانوا أمواتًا فأُحيُوا ثمَّ يموتونَ فيرجعونَ أمواتًا كما كانوا.

وثالثُها: أنَّهم راجعونَ إلى موضعٍ لا يملِكُ لهم أحدٌ ضرًّا ولا نفعًا غيرُهُ تعالى كما كانوا في بدءِ الخلقِ؛ لأنَّهم في أيامِ حياتِهم قد يملكُ غيرُهُم الحكمَ عليهم والتدبيرُ لنفعِهم وضرِّهم، بَيَّنَ ذلكَ قولهُ تعالى:﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٢)، وتحقيقُ معنى الآيةِ أنَّهم يُقِرّون بالنشأةِ الثانيةِ فجعلَ رجوعَهم بعد الموتِ إلى المحشرِ رجوعًا إليهِ)(٣)، انتهى.

وقد ذكرنا أنَّه يجيءُ لابتداءِ الفعلِ أيضًا كما في ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾(٤) على وجهٍ يجيءُ في الأعرافِ. [٣١٥]

(١) صحيح مسلم: ١: ٨٦، والسنن الكبرى: ٣: ٤٨٦، حديث رقم: ٥٩٩٥، مع تغيير طفيف وبنفس المعنى.

(٢) سورة الفاتحة ١: ٤.

(٣) مجمع البيان: ١: ١٩٨.

(٤) سورة الأعراف ٧: ٨٨.

قولُهُ تعالى: ﴿ **يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)**﴾ آية:

قد مرَّ تفسيرُ هذهِ لغةً وإعرابًا ومعنًى مستوفًى، وأنَّي فضَّلتُكم: بفتحِ الهمزةِ عطفٌ على نعمَتي وإنَّما كرَّر قولُهُ ﴿ **يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾؛ للتّأكيدِ والتّذكيرِ لجلالةِ النِّعمِ التي هي الأصلُ فيما يجبُ شكرُهُ سبحانهُ لأجلِها فربطَها بالتفضيلِ الذي هو أجَلُّ النِّعمِ بقولهِ ﴿**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ أي: عالمِي زمانِهم، أرادَ سبحانُهُ تفضيلَ آبائِهم الذين كانوا في عصرِ موسى عليه السلام وبعدَهُ ممَّن آمنَ بموسى عليه السلام وبجميعِ ما جاءَ بهِ من أحوالِ المبدأ والمعادِ وبالآياتِ التّسعِ، ومنحَهُم اللهُ تعالى من العلمِ والإيمانِ والعملِ بهِ، وجعلَهُم أنبياءَ وملوكًا وآتاكُم ممَّا لم يؤتِ أحدًا من عالمِي زمانِهم، قبلَ أن يُغيِّروا ذلكَ وصاروا كافرينَ بعيسى ومُحمّدٍ صلى الله عليه وآله و عليه السلام ، وبما جاءَ بهِ ولِأن يصِلَها بالوعيدِ الشديدِ؛ تخويفًا لِمَن غفَلَ عنها ولم يشكُرها وأخلَّ بحقوقِها بقولِهِ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾[1] الآيَةَ؛ لِيكونوا مؤمِنينَ حقًّا كائنينَ بينَ الخوفِ والرّجاءِ ليَعمَلوا ولم ييأسُوا ولم يَقنَطُوا و لم يَظنُّوا باللهِ ظَنَّ السَّوءِ.

قال في المجمعِ: «قال ابنُ عباس: أرادَ بهِ عالمِي أهلِ زمانِهم؛ لأنَّ أمَّتَنا أفضلُ الأُمَمِ بالإجماعِ، كَما إنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وآله أفضلُ الأنبياءِ، وبدليلِ قولِهِ تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، وقيل: أرادَ بهِ تفضيلَهم في أشياءَ مخصوصةٍ وهي إنزالُ المنِّ والسَّلوى، وما أرسلَ اللهُ فيهم منَ الرّسُلِ وأنزلَ عليهِم من الكُتبِ إلى غيرِ ذلكَ من النِّعمِ العظيمةِ من إغراقِ فرعونَ وجنودهِ والآياتِ الكثيرةِ، يَخِفُّ معَها الاستدلالُ ويسهُلُ بها المشاقُّ.

وتفضيلُ اللهِ تعالى إيَّاهُم في أشياءَ مخصوصةٍ لا يُوجِبُ أن يكونوا أفضَلَ النّاسِ على الإطلاقِ، كما يُقالُ: حاتمُ أفضلُ النّاسِ في السّخاءِ، ونظيرُ هذهِ الآيَةَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

(١) سورة البقرة ٢: ٤٨.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١١٠.

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[1])[2] انتهى.

ويؤيِّدُ ذلكَ قولُهُ ﷺ: « فاطمةُ خيرُ نساءِ العالمينَ إلّا ما ولَدَت مريمُ »[3].

قولُهُ تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٨)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأَ جمهورُ القرّاءِ: (لا تَجزي) بفتحِ حرفِ المضارعةِ بلا همزٍ، وقرأَ بعضُهم: (لا تُجزِئُ) بضمِّ حرفِ المضارعةِ مع همزٍ مِن أجزَأَ: إذا غَنى[4]، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ أبي عمرو مِن المكيّين والبصريّين: (لا تُقبَلُ) بالتاءِ؛ لكونِهِ مُسندًا إلى المؤنّثِ، أعني: شفاعة، وإيذانًا على ذلكَ في أوّلِ الأمرِ، وقرأَ الباقون: بـ(الياءِ) للفصلِ وكون تأنيثِ الشّفاعةِ غيرَ حقيقيٍّ[5].

اللغة:

الجزاءُ والمجازاةُ والمكافاةُ والمقابلةُ نظائرٌ، يقالُ: جزاهُ يَجزِيهِ من بابِ رَمى، فهو على هذا مُتعَدٍّ كقولِهم عليه السلام: «فجزاكَ اللهُ يا رسولَ الله أفضَلَ ما جَزى نبيًّا عن أُمَّتِهِ»[6]، ويتعَدَّى إلى اثنينِ كقولِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ صلوات الله عليه:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٩، ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ١: ١٩٨، ١٩٩.

(٣) اللمعة البيضاء: ١٨١، وجاء في كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢: ٧٨ بلفظ: (فاطمةُ خيرُ نساءِ أهلِ الجنّةِ إلّا ما كانَ من مريمَ بنتِ عمران)، كما جاء في مستدرك سفينة البحار: ٨: ٢٥٥بلفظ: (فاطمةُ خيرُ نساءِ أمّتي إلّا ما ولدتهُ مريمَ).

(٤) لم يقف الباحث على هذه القراءة من كتب القراءات، وأثبتها من كتب التفسير. ينظر: تفسير الكشّاف: ١: ١٣٥، وتفسير البيضاوي: ١: ٧٨.

(٥) ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ١: ١٥٥، والحجة في القراءات السبع: ١: ٧٦.

(٦) وسائل الشيعة: ٦: ٤٧٤، حديث رقم: ٢٤.

جَزَى اللهُ عَنّي والجزاءُ بفضلِهِ ربيعةَ خَيرًا ما أعَفَّ وأكرَما[1]

فـ(ربيعةَ) مفعولُهُ الأوَّلُ، و(خيرًا) مفعولُهُ الثّاني، ومفعولُ فِعلَي التّعجّبِ محذوفٌ كما هو القانونُ عندَ وجودِ القرينةَ، أي: ما أعفَّهُم وأكرمَهُم، ويقالُ: جازاهُ مجازاةً، أي: كافأَهُ وقابلَه مكافأةً ومقابلةً، ويقال،: جزَى عنه، أي: غَنى عنه وكفى، وفلانٌ ذو جزاءٍ، أي: ذو غِنًى، ومنهُ الحديثُ: أنّه عليه السلام قالَ لأبي بُردة في الجَذَعَةِ[2] التي أمرَهُ أن يُضحّيَ بها:« ولا تَجزي عَن أحَدٍ بعدَكَ»[3] فيكونُ على هذا لازمًا، ومثلُهُ قولُه تعالى:﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ على وجهٍ سنُشيرُ إلى ذلكَ في بيانِ الإعرابِ، أي: لا تُغني ولا تقابلُ مكروهَها بشيءٍ تَدرَأَهُ عنها، ومثلَه قولُه عليه السلام في حديثِ الإضحيَّةِ: «البقرةُ تُجزي عَن سبعةٍ»[4]، أي: تقضي وتَكفِي.

(قالَ أبو عبيدة: هوَ مأخوذٌ من قولِكَ جَزى عَنّي هذا الأمر، فأمَّا قولهُم أجزَأني الشّيءُ، أي: كَفاني، فمَهمُوزٌ)[5]، انتهى. وقبولُ الشّيءِ: أخذُهُ وتلقِّيهِ وعدمُ الإعراضِ عنهُ، ومِن ثمَّ قيلَ لِتُجاهِ الشّيءِ قُبالَتَه، والقبولُ والانقيادُ والطّاعةُ والإجابةُ نظائِرٌ، وخلافُه: الامتناعُ والاستنكافُ.

والشّفاعةُ والوسيلةُ والقربةُ والوصلةُ نظائِرٌ، والشّفاعةُ مأخوذةٌ من الشَّفع، كَأنَّ المشفوعَ لهُ كانَ فردًا فجعلَهُ الشفيعُ شَفعًا بضمِّ نفسِهِ، ومنه الشُّفعةُ في الحيَوانِ والدّارِ؛ وإنَّما سُمِّيَت بها لأنَّ صاحبَها يشفعُ مالَهُ بها ويَضمَّها إلى ملكِهِ. [٣١٦]

والعدلُ والإنصافُ نظائرٌ، و نقيضُهما الجورُ والاعتسافُ، والعدلُ المرضيُّ من الناسِ يَستوي فيهِ المذكَّرُ والمؤنَّثُ والواحدُ والتثنيةُ والجمعُ، والعدلُ: الفديةُ كما في هذهِ الآيةِ وأمثالِها. والعدلُ:

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ٢: ٣٧، ومواقف الشيعة: ١: ١٢٦، كما أورده الطبري في تاريخه: ٤: ٢٦، بلفظ: جزى اللهُ قومًا صابروا في لقائِهم * لدى الموتِ قومًا ما أعفَّ وأكرمَا.

(٢) الجذعة: الأنثى الصّغيرة السّنّ منَ الإبلِ والبقرِ والضأنِ والمعزِ ، وتُسمى الإبل جذعة إذا أتمّت أربعة أعوام ودخلت في السّنة الخامسة، وفي البقر إذا أكملت سنتين ودخلت في الثالثة، وفي الضأن إذا أتمّت سنة، وقيل: ثمانية أو تسعة أشهر، وفي المعز إذا أتمّت سنة من عمرها. ينظر: لسان العرب: ٨: ٤٤، (جذع).

(٣) غريب الحديث: ابن سلام: ١: ٥٦.

(٤) الخصال: ٢٩٢، وبحار الأنوار: ٩٦: ٢٩٥، حديث رقم: ١٠.

(٥) مجمع البيان: ١: ١٩٩.

التسويةُ والبدلُ، كما في قولهِ تعالى في سورةِ المائدةِ في قتلِ الصيدِ مُتعمِّدًا:﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾[1].

والنُّصرةُ والمعونةُ والتّقويةُ نظائِرٌ، وأنصارُ الرجلِ أعوانُهُ ومقوُّوهُ، وفي الحديثِ: « انصر أَخَاكَ ظالمًا أو مظلومًا»[2] أي: (امنعهُ منَ الظّلمِ إن كانَ ظالمًا وامنع عنهُ الظّلمَ إن كان مظلومًا) ذكره في المجمعِ[3].

الإعراب:

(اتَّقوا): فعلُ أمرٍ وفاعلٌ، (يومًا): مفعولٌ بهِ لـ(اتّقوا)، وليسَ ظرفًا لهُ؛ لأنَّ معناهُ: اتّقوا ذلكَ اليومَ نفسَه لأنَّ المرادَ اتِّقاءُ اليومِ نفسهِ لا الاتِّقاءُ في هذا اليومِ؛ لأنَّ ذلكَ اليومَ لا يؤمَرُ فيهِ بالاتِّقاءِ؛ لانقطاعِ التّكليفِ فيهِ وإنّما يؤمرُ في غيرهِ لأجلِهِ، ويجوزُ أن يكونَ مفعولُ اتّقوا محذوفًا ويكونُ يومًا ظرفًا لذلكَ المحذوفِ لا لاتّقوا، والتقديرُ: اتَقوا العقابَ والنكالَ في يومٍ لا تَجزي.

وجملةُ (لا تجزي نفسٌ): في موضِعِ نصبٍ: صفةٌ ليومٍ، والعائدُ إلى الموصوفِ محذوفٌ عندَ سيبويه، أي لا تجزي فيهِ نفسٌ كما هو مذكورٌ في قولهِ تعالى:﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[4] قالَ: إنَّ الصّفةَ تشابهُ الصلةَ، فإنَّ الصفةَ تُخصِّصُ الموصوفَ كما إنَّ الصّلةَ تخصِّصُ الموصولَ، وكما يحسُنُ حذفُ العائدِ من الصّلةِ كذلكَ يحسُنُ من الصّفةِ وغيرِ ذلكَ من المشابهةِ[5].

وقالَ آخرونَ: لا يجوزُ حذفُ العائدِ المجرورِ إلّا في مواضعَ[6] وليسَ ما نحنُ فيهِ منها، ولا يجوزُ

(١) سورة المائدة ٥: ٩٥.

(٢) صحيح البخاري: ٣: ٩٨.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٠٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٨١.

(٥) ينظر: الكتاب: ١: ٣٨٦.

(٦) وهذه المواضع هي: (الأول: أن ينجرَّ الموصول بمثل الحرف الجارِّ للعائدِ لفظًا، فلو اختلفا لفظا لم يجز الحذف، نحو:حللتُ في الذي حللتَ بهِ.

الثاني: أن يتّحدَ الحرفانِ معنًى، فلو اختلفا معنًى لم يجز الحذف نحو: مررتُ بالذي مررتُ بهِ.

الثالث: أن يتَّحدَ متعلّقهما معنًى، فلو اختلَفَ المتعلّقُ لم يجز الحذف، نحو:سررتُ بالذي مررت به). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك:١: ٤٥٧، ٤٥٨، ومغني اللبيب: ٧٣٦.

أيضًا إظهارٌ فيهِ؛ لأنَّكَ لا تقولُ: هذا رجلٌ رغبتُ، أو قصدتُ، وانتَ تريدُ رغبتُ فيهِ وقصدتُ إليهِ، فهو عندَهم محمولٌ على الاتّساعِ بأن حُذِفَ الجارُّ أوَّلًا وأُوصِلَ الضَّميرُ وأُجرِيَ مجرى المفعول بهِ، أي: لا تَجزِيهِ ثمَّ حُذِفَ الهاءُ كما حُذِفَ من قولِهم: جاءني رجلٌ أُحِبُّ، أي: أُحِبُّهُ، ومن قولِ جريرٍ:

فما أدري أغَيَّرَهُ تَناءٍ　　　　وطولُ العهدِ أم مّالٌ أصابُوا[1]

أي: أصابوه[2].

وعن نفسٍ: مُتعلِّقٌ بـ(لا تجزي) ومعناها هنا: البدلُ، أي: بدلَ نفسٍ كما في الحديثِ: «صومي عن امِّكِ»[3] أي: بدلها ونيابَتها، وشيئًا: إمّا مفعولٌ بهِ لـ(تجزي) إذا كانَ بمعنى لا تقضي عنها شيئًا من العذاب أو لا تؤدِّي عنها حقًّا وجَبَ علَيها، أو لا تدفعُ عنها شيئًا من العذابِ، أو لا تَحمِلُ عنها شيئًا من الوِزرِ كما ذهبَ اليهِ الرمَّانِي[4]، وإمّا مصدرٌ لقولهِ (لا تجزي) إذا كانَ بمعنى لا تقضي عنها شيئًا من الجزاءِ، أي: لا تجزي عنها جزاءً أو لا تُغني عنها شيئًا من الغِنى، أي: لا تَغني عنها غنًى كما ذهبَ إليهِ الأخفشُ[5]. وإمَّا على قراءةِ: (لا تُجزِئ) بضمِّ حرف المضارعةِ مع الهمزِ من أجزَأَ عنه إذا غنى فهو: لازمٌ، أي: لا تُغني ولا تنوبُ نفسٌ عن نفسٍ شيئًا من الغِنى والنِّيابةِ، وجملةُ: لا تُقبَلُ منها شفاعةٌ: في موضعِ النّصبِ عطفٌ على الجملةِ الأولى؛ لكونِها وصفًا ليومٍ مثلَها، وكذلكَ جملةُ ولا يؤخَذُ منها عدلٌ، وجملةُ ولا هُم يُنصَرونَ: إسميّةٌ عطفٌ على الفعليّةِ أو حاليّةٌ. والضميرُ في

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢: ١٩٧، الشاهد: ٢٨٧، ونسبه سيبويه: ١: ٨٨، إلى الحارث بن كلدة.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولهُ فما أدري: الفاءُ: للعطفِ، والهمزةُ في (أغيَّرَ): اسمٌ للاستفهامِ، وتناءٍ: تفاعلٌ فاعلُ غيَّرهم، أي أغيَّرَهم تباعدٌ، وطولُ العهدِ: عَطفٌ على تناءٍ، والعهدُ هنا: الزمانُ، وأمّ: متّصلةٌ، ومالٌ: عُطِفَ على ما قبله من المرفوعينِ. وجملةُ اصابوا: صفةَ مالٍ، والشّاهدُ في اصابوا فإنَّ اصلَه اصابوه فحُذِف الضميرُ العائدُ إلى الموصوفِ.

(٣) السنن الكبرى: ٤: ١٥١.

(٤) ينظر: مجمع البيان: ١: ٢٠١.

(٥) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١: ٩٣، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١: ١٠٠، (جزي).

(منها) في الموضعينِ: عائدٌ إلى النّفسِ حملًا على اللفظِ، وفي قولِهِ: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ على المعنى لأَنَّه ليسَ بها المفردُ؛ فلذلكَ جُمِعَ مع مراعاةِ التّغليبِ.

المعنى:

لَمَّا كرَّر سبحانُهُ ذكرَ نعمِهِ العظامِ عليهِم وآلائِهِ الجسامِ، أنذَرَهم في كُفرانِها بحِسابِ يومِ الجزاءِ وعذابِهِ، فقالَ مخاطبًا بخطابِ العامِ: ﴿وَاتَّقُوا﴾: أي: اخشَوا واحذَروا، ﴿يَوْمًا﴾: أي: يومَ الجزاءِ والقيامةِ ويومَ الجمعِ الذي لا ريبَ فيهِ، ويومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمينَ، يومَ الآزفةِ ليسَ لها من دونِ اللهِ كاشفةٌ، واليومَ الذي يقعُ فيه الجزاءُ والمكافأةُ، أو احذَروا العذابَ في يومٍ ﴿لَا تَجْزِي﴾، أي: لا تُقضى فيهِ، ﴿نَفْسٌ﴾: مطيعةٌ او مطلقةٌ، ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾: بدلَ نفسٍ عاصيةٍ، ﴿شَيْئًا﴾: مِن الحقوقِ، أي: حقًّا منَ الحقوقِ، أو لا تدفعُ عنها مكروهًا، أو لا تؤدّي أحدٌ عن أحدٍ حقًّا وجَبَ عليهِ سواءٌ كانَ حقًّا للهِ عزَّ وجلَّ أو لغيرِهِ، أو لا تحمِلُ نفسٌ عن نفسٍ شيئًا من العذابِ؛ لأَنَّه لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى، أو لا تُغني عنها شيئًا، أي: غنًى، أو لا تَجزي عنها جزاءً، ونظيرَةُ هذهِ الآيةِ قولهُ تعالى في سورةِ لقمان:﴿ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1]، وإنَّما نَكَّر يومًا في الآيتينِ للتفخيمِ والتهويلِ ونكَّر النفسينِ والوالدَ والمولودَ وشيئًا للتعميمِ والإحاطةِ الكليّةِ؛ لِيُبيِّنَ أنَّ كلَّ نفسٍ وكلَّ والدٍ ومولودٍ هكذا حكمُها.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾، أي: من النّفسِ الثّانيةِ العاصيةِ، أو الأُولى، أو الأَعَمَّ، شفاعةٌ، ﴿شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ كذلكَ[2]. ﴿عَدْلٌ﴾: أي: فداءٌ، وإنَّما سُمّيَ الفداءُ عدلًا؛ لأَنَّه يعادلُ المُفَدّى، وقال ابن عباس: لا يؤخَذُ من أحدٍ فداءً يُكفِّرُ عن ذنوبِهِ، أو المعنى لا يؤخَذُ منها بدلٌ بذنوبِهِ. [٣١٧]

وفي المجمعِ: وأمَّا ما جاءَ في الحديثِ: «لا يَقبَلُ اللهُ منهُ صرفًا ولا عدلًا»[3] (فاختُلِفَ في معناهُ؛ قال الحسنُ: الصرفُ: العملُ، والعدلُ: الفديةُ، وقال الاصمعيُّ: الصرفُ: التطوّعُ، والعدلُ: الفريضةُ، وقالَ ابو عبيدة: الصرفُ: الحيلةُ، والعدلُ: الفديةُ، وقال الكلبيُّ: الصرفُ: الفديةُ، والعدلُ: رجلٌ

(١) سورة لقمان ٣١: ٣٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: من النفسِ الثانيةِ العاصيةِ أو الأولى أو الأعَمِّ.

(٣) الكافي: ٧: ٥٥، حديث رقم: ٩.

مكانَهُ»[1]، انتهى.

أقولُ: الأحسنُ أن يُرادَ بالصَّرفِ التّوبةُ أيضًا؛ لأنَّها تَصرِفُ الذّنوبَ وتدفَعُ العذابَ لكنَّها في هذا اليومِ لا تنفعُ ولا تصرفُ شيئًا منَ العذابِ؛ لعدمِ قبولِها فيهِ.

وقالَ ابنُ الأثيرِ في النّهايةِ فيهِ: «لا يقبلُ اللهُ منهُ صرفًا ولا عدلًا قد تكرَّرت هاتانِ اللفظتانِ في الحديثِ فالصّرفُ: التّوبةُ، وقيلَ: النّافلةَ، والعدلُ: الفديةُ وقيل: الفريضةُ»[2]، انتهى. وفي تفسيرِ العيّاشي: عن يعقوبَ الأحمرِ[3] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « العدلُ: الفريضةُ »[4].

وعن إبراهيم بن الفضيلِ[5] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « العدلُ في قولِ أبي جعفر عليه السلام : الفداءُ»[6]، وعن أبي عبد الله عليه السلام: « فوَ الله لا يَقبَلُ اللهُ منهُ صرفًا ولا عدلًا، قال: الصّرفُ: النافلةُ، والعدلُ: الفريضةُ»[7]، انتهى. ويجوزُ أن يُرادَ بالصّرفِ الذّهبُ موافقًا لقولهِ تعالى في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[8]؛ ولأنَّ الصّرفَ يُناسِبُ الذّهبَ مناسبةً تامَّةً، وقالَ تعالى في سورةِ الزمرِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[9] الآيةُ، وقالَ تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٠٢، وينظر: دعائم الإسلام: ١: ٢٩٥، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٢٣، ١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٣: ٢٤.

(٣) يعقوب بن سالم البزاز: من أصحاب الصادق والكاظم صلوات الله عليهما ، ثقة، يروي عنه ابن مسكان. ينظر: رجال الطوسي: ٣٢٤، ترجمة رقم: ٤٨٥٠، وجامع الرواة: ٢: ٣٤٥.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧.

(٥) ابن قيس بن رمانة الأشعري: من أصحاب الصادق عليه السلام ، مولاهم، وهو نفسه إبراهيم بن المفضّل؛ لأنّ إبراهيم بن الفضيل لم يعلم وجوده وإبراهيم بن الفضل لم تعهد روايته عن المعصومين عليهم السلام. ينظر: نقد الرجال: ١: ٨٨، ترجمة رقم: ١٤٢، ومعجم رجال الحديث: ١: ٢٧٣، ترجمة رقم: ٣٠٧.

(٦) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧.

(٧) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧.

(٨) سورة آل عمران ٣: ٩١.

(٩) سورة الزمر ٣٩: ٤٧.

تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[١].

﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: أي لا يُعاوَنُونَ ولا يُدفَعونَ من عذابِ الله، ليسَ لهُ من دونِ الله دافِعٌ يدفعُهُ عنهم، والمقصودُ من الآيةِ كما نصَّ عليهِ البيضاوي أيضًا: «نَفيُ أن يدفعَ العذابَ أحَدٌ عن أحَدٍ من كلِّ وجهٍ مُحتمَلٍ؛ لأنَّ دفعَ العذابِ إمّا أن يكونَ قَهرًا أو غَيرَهُ؛ والأوَّلُ: النّصرةُ، والثّاني: إمَّا أن يكونَ مجَّانًا أو غيرَهُ؛ والأوَّلُ: أن يشفَعَ لهُ، والثاني: إمَّا بأداءِ ما كانَ عليهِ وهو أن يقضي ما كانَ عليهِ من شُغلِ الذمَّةِ، أو بغيرِ الأداءِ وهو أن يُعطِي عنهُ عَدلًا من الفديةِ وغيرِها»[٢].

استدلالُ الوعيديّةِ والمعتزلةِ في نفي الشّفاعةِ والجوابُ عن استدلالهم:

استدلَّ الوعيديّةُ وبعضُ المعتزلةِ بهذهِ الآيةِ على نفي الشّفاعةِ لأهلِ الكبائرِ ولمن دخَلَ في النّارِ[٣]، والجوابُ: أنَّ أمثالَ هذه الآياتِ ممَّا مَرَّ ويجيءُ مخصوصَةٌ بالكفّارِ والمشركينَ والنّواصبِ واليهودِ والنّصارى للآياتِ والأخبارِ الواردةِ في ثبوتِ الشّفاعةِ كما بيَّنّاها مفصَّلةً في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٤]، وفي تفسيرِ عليِّ بن إبراهيمَ قولُه تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[٥]، وهو قولُهُ عليه السلام:« واللهِ لو أنَّ كلَّ ملَكٍ مُقرَّبٍ وكلَّ نبيٍّ مُرسلٍ شَفعوا في ناصِبٍ ما شَفعُوا»[٦].

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٠.

(٢) تفسير البيضاويّ: ١: ٧٨.

(٣) ينظر: الملل والنحل: ١: ٤٥، والشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها: ١٠٩.

وقد أُختُلِف في تفسير الكبيرة إلى عدّة أقوال، أرجحها: أنّها الذنوب التي توعّد عليها الله بالعقاب سواء كان بالنار أو الحد، وللإطّلاع على جميع الأقوال يُنظر: التكفير ضوابط الاسلام وتطبيقات المسلمين: ٢٩٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ٤٨.

(٦) تفسير القمّي: ١: ٤٥.

وفي كتابِ الخصالِ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ استكمَلَ خِصالَ الإيمانِ؛ مَن صَبَرَ على الظُلمِ، وكَظَمَ غيضِهِ، واحتَسَبَ وعَفا وغفَرَ، كان ممَّن يُدخِلُهُ اللهُ في الجنَّةِ بغيرِ حسابٍ»[١]، الحديثُ طويلٌ يقولُ فيهِ صلى الله عليه وآله: « أمَّا شفاعَتي ففي أهلِ الكبائرِ ما خلا أهلِ الشركِ والظلمِ»[٢]، وأيضا أجمعتِ الأمَّةُ على أنَّ للنبيِّ صلى الله عليه وآله شفاعةً مقبولةً ومقامًا محمودًا، فهيَ ثابتَةٌ للنّبيِّ والأئمّةِ الطّاهرينَ من أهلِ بيتِهِ ولأصحابِهِ المنتجبينَ ولصالحي المؤمنينَ كما مرَّ بيانُهُ في موضعِ الحوالة، ويؤيِّدُهُ أيضًا قولُهُ تعالى مُخبِرًا عن الكفَّارِ عندَ حسَراتِهم على الفائتِ لهم ممَّا حَصَلَ لأهلِ الإيمانِ من الشفاعةِ المقبولةِ: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٣]، و﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٤]، كما مَرَّ مستوفًى وسيَجيء أيضًا إن شاءَ الله تعالى. [٣١٨]

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: قالَ الصّادقُ عليه السلام: « هذا يومُ الموتُ، فإنّ الشفاعةَ والفداءَ لا يُغنى عنهُ، فأمَّا يومَ القيمةِ فإنَّا وأهلَنا نَجزي عن شيعَتِنا كلَّ جزاءٍ، لَنكونَنَّ على الأعرافِ بينَ الجنَّةِ والنّارِ؛ محمَّدٌ وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ، والطيّبونَ من آلهِم، فَنَرى بعضَ شيعَتِنا في تلكَ العَرَصاتِ فمَن كانَ منهم مُقَصِّرًا وفي بعضِ شدائِدِها فنبعَثُ عليهِم خِيارَ شيعتِنا كسلمانَ والمقدادَ وأبي ذرٍّ وعمّارٍ ونظرائِهِم في العصرِ الذي يَلِيهِم، ثمَّ في كلِّ عصرٍ إلى يومِ القيمةِ، فَينقَضُّونَ عليهِم كالبُزاةِ والصقورةِ ويتَناوَلونَهم كما يتناولُ البُزاةُ والصُّقورةُ صيدَها، فَيَزفُّونَهم إلى الجنَّةِ زفًّا، وإنَّا لَنبعَثُ إلى آخرينَ من مُحِبِّينا خيارَ شيعتِنا كالحمامِ فيَلتقطونَهم من العَرَصاتِ كما يَلتَقطُ الطيرُ الحبَّ، ويَنقلونَهم إلى الجنانِ بحَضرَتِنا. وسَيُؤتى بواحِدٍ من مُقصِّري شيعَتِنا في أعمالِهِ بعدَ أن حازَ الولايَةَ والتقيَّةَ وحقوقَ إخوانِهِ، ويُوقَفُ بأزائِهِ ما بينَ مائةً وأكثرَ من ذلكَ إلى مائةِ ألفٍ من النُصّابِ فيقولَ لهُ هؤلاءِ: فداؤكَ من النارِ. فيُدخَلُ هؤلاءِ المؤمنونَ الجنَّةَ، وأولئكَ النُصّابِ النارَ، وذلكَ ما قالَ الله

(١) الخصال: ١٠٤: حديث رقم: ٦٣.

(٢) الخصال: ٣٥٥، حديث رقم: ٣٦.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ١٠٠، ١٠١.

(٤) سورة غافر ٤٠: ١٨.

عزَّ وجلَّ: ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] يعني بالولايَةِ لو كانوا مسلمينَ في الدنيا مُنقادينَ للإمامَةِ لِيجعَلَ مُخالِفوهُم من النارِ فِداهُم»[2].

قولُهُ تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئ: أنجيناكُم، وقَرأَ الزُّهري وابنُ محيصٍ: يذبَحونَ بالتّخفيف[3]، يُقالُ: قطَّعتُ الثيابَ وقطَعتُها، وغَلّقتُ الابوابَ وغلَقتُها، لكن لا يُقال قطَّعتُ الثّوبَ وغلَّقتُ البابَ بالتشديدِ مع إفرادِ المفعولِ بهِ؛ بل يقالُ: قطَعتُ الثّوبَ وغلَقتُ البابَ بالتّخفيف، وقرأ عبدُ الله: يُقتّلون[4].

اللغة:

التّنجِيةُ والانجاءُ والانقاذُ والتّخليصُ نظائرٌ، والنّجاةُ والخلاصُ والسّلامةُ والتّخلُّص نظائرٌ، لكن قد يُستعمَلُ الانجاءُ في الخلاصِ قبل وقوعهِ في المهلكةِ، والتّنجيةُ تُستعمَل في الخلاصِ بعد وقوعهِ في المهلكةِ. ويُقالُ للمكانِ المرتفعِ نَجوةٌ؛ لأنَّ مَن كان فيها ينجو من كثير من المضارّ، وفي الحديث: « انا النّذيرُ العُريانُ فالنَّجاءَ النَّجاءَ»[5] أي: انجُوا بأنفسِكم، وهو مصدرٌ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، أي: انجوا النجاءَ، وكُرّرَ للتّأكيدِ. والنّجاءُ: السّرعةُ، يقالُ: نجا ينجو نجاءً: إذا أسرعَ، وفي حديثِ بلالٍ في بابِ الأذانِ: (النّجا النّجا، الوحا الوحا)[6] ممدودًا ومقصورًا، أي: السّرعةُ السّرعةُ، يُقالُ: توَحَّيتُ توحّيًا إذا اسرعتَ، و هو منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ على الإغراءِ.

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٢.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) وقراءة (أنجيناكم) لابن أبي عبلة. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٨١، والكامل في القراءات العشر: ١: ٤٨٥.

(٤) لم يجد الباحث القراءة في كتب القراءات بحسب ما توافرت لديه من مصادر، وأثبتها من كتب التفسير، كالكشاف: ١: ٢٧٩، وتفسير البحر المحيط: ١: ٣٥١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٢٥ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: ١: ٢٩٧.

وأصلُ (آل) على المشهورِ: أهلٌ، بدليلِ (أُهَيلٍ) فأُبدِلَت هاؤهُ همزةً ثمَّ الهمزةُ الفًا، و(سمعَ الكسائيُّ اعرابيًّا يقولُ: أهلٌ وأُهيلٌ وآلٌ وأُويلٌ)[1]، وعلى التّقديرينِ: خُصَّ استعمالُه في الأشرافِ وأُولي الخَطَرِ كالأنبياءِ والملوكِ، كآلِ إبراهيمَ، وآلِ فرعونَ، ولا يُقالُ: آلُ الحجّامِ، وآلُ الإسكافِ، فبينَهما عمومٌ مطلقٌ، يقالُ: أهلُ البصرةِ وأهلُ مكةَ، ولا يقالُ: آلُ البصرةِ ومكّةَ، وآلُ الرجلِ: قومُهُ، وكلُّ مَن يَؤل إليهِ بنَسَبٍ، أو قرابةٍ، أو دينٍ ومَذهبٍ.

وآلُ النبيِّ ﷺ: عِترَتُهُ المعصومونَ: وهم الأئمّةُ الاثنا عشر وفاطمةُ صلوات الله عليهم. ويُقالُ: آلُ الجبلِ أطرافُهُ ونواحيه، و قال ابن دريد: (آلُ كلِّ شيءٍ شخصُهُ)[2]، ومثلهُ ما قيلَ في قولهِ تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾[3]، أي: شخصهما. وفِرعَونُ: عَلَمٌ: لَقبٌ لملكِ العمالقةِ[4]، كما إنَّ كسرى لَقَبُ ملَكِ الفرسِ، وقيصرُ لقَبُ ملكِ الرومِ، وخاقانَ لقَبُ ملكِ التّركِ، وتُبَّعٌ لَقبُ ملكِ اليمنِ، فهو مَلموحٌ فيهِ الوصفُ، كما رَكَبَ عليٌّ وهَربَ معاويةَ؛ ولِعُتُوِّ الفراعنةِ اشتقّوا منه تفَرعَنَ إذا عتا وتجَبَّرَ، وكان فرعَونُ موسى عليه السلام مصعَبُ بنُ ريّان، وقالَ مُحمّدُ بنُ إسحق[5]: هو الوليدُ بنُ مصعبٍ[6].

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١: ٤١٧.

(٢) تفسير مجمع البيان: ١: ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٤٨.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: والعمالقةُ: جمعُ عمليقٍ وعملاقٍ، والتاءُ فيها للدلالةِ على النسبةِ كما بُيِّنَ في موضعِهِ، كالبغدادة والتبارزةِ والقزاونةِ والاشاعثةِ، وهم الجبابرةُ الذينَ كانوا بالشامِ من بقيةِ قومٍ، وهم اولادُ عمليق بن سامِ بن نوحٍ عليه السلام، وهو كان ملكًا عظيماً.

(٥) ابن يسار المطلبي: مولاهم المدني، صاحب السّيرة، من أقدم مؤرخي العرب، عالما ذكيا، حافظا نسّابة، له (السيرة النبوية) هَذّبها ابنُ هشام. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب:١: ٢٣٠، والأعلام: ٦: ٢٨.

(٦) لم يقف الباحث على اسمه من كتاب سيرة ابن اسحاق، وأثبته ممّا نُسب إليه في كتب التفسير، كجامع البيان: ٢: ٣٨، وتفسير الثعلبي: ١: ١٩١.

وقال محمّدُ بنُ يعقوب الفيروز آبادي[1] في القاموسِ: «الفرعَونُ: التِّمساحُ، وبلا لامٍ: الوليدُ بن مصعب: صاحبُ موسى ووالدُ الخضرِ أو ابنُهُ فيما حكاهُ النَّقَّاشُ وتاجُ القرّاءِ[2] في تفسيريهما ، ولقبُ كلِّ مَن ملكَ مصرًا، وكلُّ عاتٍ متمرّدٍ»[3]، انتهى. فعلى هذا ما ذكرهُ البيضاويُّ في تفسيرهِ: «وقيلَ: ابنهُ وليدٌ»[4]، انتهى. مدخولٌ. [٣١٩]

وفِرعَونُ يوسف ﷺ ريّان، وكانَ بين موسى ويوسُفَ أكثرُ من أربعمائةِ سنةٍ، وفرعون: بوليس، وفِرعَونُ محمد ﷺ: فلانٌ وفلانٌ.

السّومُ: التّكليفُ، مِن سامَهُ الأمرَ كلّفَه إيّاه، والذّهابُ في طلبِ الشّيءِ وإلحاقُ الذلِّ والهوانِ، يقالُ: سامَهُ خسفًا: إذا أولاهُ ذُلًّا وظلمًا، قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما المَلكُ سامَ الناسَ خَسفًا أَبَينا أن نُقِرَّ الخسفَ فينا [5]

ويقالُ: سامَ السّلعةَ إذا طلبَها، أي: يبغونَكم سوءَ العذابِ، ويطلبون لكم سُوءَ العذابِ، وسُوءُ العذابِ وأليمَ العذابِ وشديدَ العذابِ وشديدَ المحالِ نظائرٌ. والسّوءُ: مصدرُ ساءَه يسوؤهُ،

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، أبو طاهر ، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي : من أئمة اللغة والأدب . وكان قوي الحافظة حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، له العديد منَ المصنّفات، منها القاموس المحيط، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، توفي سنة (٨١٧هـ). ينظر: شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ٧: ١٢٧، والاعلام: ٧: ١٤٦.

(٢) النقّاش: أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري: ولد في الموصل، أحد القراء بمدينة بغداد، من مصنفاته: كتاب الموضّح في القرآن ومعانيه، وكتاب الإشارة في غريب القران، توفي سنة (٣٥١هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٣٦، وسير اعلام النبلاء: ١٥: ٥٧٣.

تاج القرّاء: أبو الحسن عليُّ بنُ عبدُ الرّحمن الطوسي ثمّ البغدادي: روى عن أبي عبدِ الله البانياسي ويحيى السّيبي وجماعة، كان صوفيا كبيرا، توفي سنة (٥٦٣هـ). ينظر: العِبر في خَبر مَن غبر: ٤: ١٨٢.

(٣) القاموس المحيط: ٤: ٢٥٥، ٢٥٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ١: ٧٩.

(٥) البيت من الوافر. خزانة الادب: ١٩٢. والقائل: أبو الأسود بن مالك بن عتاب، من بني تغلب: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، عمّر طويلًا، وكان من أعزّ النّاس نفسًا، وهو من الشجعان، توفي نحو (٤٠ ق.هـ). ينظر: تاريخ ابن خلدون: ٢: ٣٠١، والاعلام: ٥: ٨٤.

ويقالُ: نعوذُ باللهِ من سوءِ الفِعلِ وسوءِ الخُلُقِ، أي: من قبيحِهما، والمرادُ بسوءِ العذابِ: أشدُّهُ وأفظعُه؛ لأنَّ العذابَ كلَّه سيّءٌ كأنّه قبيحٌ، بالإضافةِ سائرِه، قالهُ الزمخشري(١).

وقالَ صاحبُ العينِ: (السوءُ اسمُ العذابِ الجامعِ للآفاتِ والداءِ)(٢)، يقالُ: سُؤتُ فلانًا أسوؤُهُ مساءةً، والسَّوءةُ: الفعلةُ القبيحةُ، والسَّوءةُ: الفَرجُ، والسَّوءةُ: كلُّ عملٍ شَينٍ، وتقولَ في النكرةِ: رجلَ سوءٍ، كما يقالُ: رجلَ صدقٍ، فإذا عرفتَ قلتَ: الرجلُ السّوءُ، ولا تقولَ: الرّجلُ الصّدقُ، وقولُهُ تعالى: ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾(٣) أي من غيرِ برصٍ.

والذَّبحُ بالفتحِ: فريُ الأوداجِ، والتّذبيحُ: التّكثيرُ منهُ، وأصلُه الشّقُّ، يقالُ: ذبحتُ المسكَ إذا فتقتُ عنهُ، والذِّبحُ بالكسرِ: الشيءُ المذبوحُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٤)، والذُّباحُ والذَّبَحَةُ بفتحِ الباءِ وسكونِها: داءٌ يصيبُ الإنسانَ في حلقِهِ، والذَّبحُ يقالُ في الضّأنِ والمعزِ والبَقرِ ونحوِها، والنَّحرُ في البعيرِ.

والأبناءُ: جمعُ مكَسَّرِ ابنٍ، أصلُه (بَنَوٌ) بفتحتينِ ويُجمعُ مُصحَّحًا على: بنونَ وبنينَ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٥)، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾(٦).والاستحياءُ: الاستبقاءُ حيًّا وطلبُ الحياةِ، قال النّبيُّ ﷺ: «اقتلوا شيوخَ المشركينَ واستَحيوا شَرخَهُم»(٧)، أي: استَبقُوا شبابَهم. والنّساءُ والنّسوانُ والنّسوةُ: جمعُ تكسيرٍ لا واحدَ لها من لفظِها. والبلاءُ: الإحسانُ والنّعمةُ والمحنةُ والعذابُ والنّقمةُ من الأضدادِ، يُستعمَلُ في الخيرِ والشرِّ كما يجيءُ من الأخبارِ والآياتِ.

---

(١) ينظر: الكشاف: ١: ١٣٨.

(٢) العين: ١: ٣٢٧، (سوء).

(٣) سورة طه ٢٠: ٢٢.

(٤) سورة الصافات ٣٧: ١٠٧.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٤٦.

(٦) سورة الصافات ٣٧: ١٥٣.

(٧) مسند أحمد: ٥: ١٢، وسنن ابي داود: ١: ٦٠٢، حديث رقم: ٢٦٧٠.

الإعراب :

(الواوُ): للعطفِ، و(إذ): مفعولٌ بهِ لـ(اذكروا) في قوله ﴿ يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي﴾[1] إلى آخرهِ فهو مِن عطفِ المفَصَّلِ على المجملِ، ومن عطفِ جبرئيلَ وميكائيلَ على الملائكةِ، وليس (إذ) مفعولًا فيهِ كما مرَّ بيانهُ[2]، إذ المراد: ذكرُ ذلكَ الوقتِ نفسِهِ لا الذّكرُ فيهِ، والجملةُ مضافٌ إليها إذ، ومِن آلِ فرعَونَ: متعلّقٌ بـ(نجّيناكم) على حذفِ المضافِ، أي: من عذابِهِم وبلائهِم، وجملةُ (يسومونَكُم): يجوزُ أن تكونَ منصوبةً على الحاليةِ مِن (كُم) في نجّيناكُم، أو مِن آل فِرعَونَ، أو منهما جميعًا؛ لكونِها مُشتملَةً على ضميرِ كلِّ واحدٍ منهما، وعاملُ الحالِ نجَّينا، ويجوزُ أن تكونَ استئنافًا بيانيًّا جوابًا لسؤالٍ مُقدَّرٍ ولذا لم يأتِ بالعاطفِ كَأَنَّه قيلَ: وما عذابُ آلُ فرعَونَ إيّاهُم؟ فقيلَ: يسومُونَكُم. وسوءَ العذابِ: إمَّا مفعولٌ مطلقٌ لـ(يسومونكم) على وجهٍ، وإمَّا مفعولٌ ثانٍ على وجهٍ آخرَ كما يجيءُ في بيانِ المعنى.

وجملةُ (يُذبِّحُونَ أبناءَكم): عطفُ بيانٍ لقولهِ: (يسومونَكم)؛ ولذلكَ تُرِكَ العاطفُ كما تُرِكَ في قولهِ تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[3] فقولُهُ يا آدمُ إلى آخرهِ: عَطفُ بَيانٍ لوَسوَسَ، ولكن قد تُعطَفُ الجملةُ الثّانيةُ التي تصلحُ بيانًا للجملةِ الأولى عليها تنبيهًا على استقلالِها ومغايرتِها للأولى كما في هذهِ الآيةِ، فإنَّها في هذهِ السورةِ وغيرِها بلا (واو)، وفي سورةِ إبراهيمَ ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾[4] بالواوِ فحيثُ طُرِح الواو جعلَها بيانًا لِـ(يسومونَكُم) وتفسيرًا، وحيثُ أثبتَها جعَلَ التّذبيحَ باعتبارِ أنَّهُ أوفَى على جنسِ العذابِ وزادَ عليهِ زيادةً ظاهرةً كأنَّه جنسٌ آخرَ، و جملةُ (ويَستحيونَ نساءَكم): عطفٌ على جملةِ (يُذبِّحونَ أبناءَكم)، (وفي ذلِكم): خبَرٌ مقدَّمٌ، و(بلاءٌ): مبتدأٌ مُؤَخَّر، و(مِن ربِّكم وعظيم): صفتانِ لـ(بلاءٍ). [٣٢٠]

(١) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٢) مرَّ بيان ذلك سابقا.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٢٠.

(٤) سورة إبراهيم ١٤: ٦.

المعنى:

لَمّا خصَّ اللهُ سبحانهُ بني إسرائيل بالحُجَجِ الواضحةِ وذكّرَهم ما أسدى إليهِم والى آبائِهم من النّعمِ الجسيمةِ والتّفضيلِ العظيمِ على سبيلِ الإجمالِ في الآياتِ السّابقةِ، فَصَّلَها في هذهِ الآيةِ والآياتِ اللّاحقةِ بذكرِ بعضِها على طريقةِ عطفِ الخاصِ على العامِ والمُفصَّلِ على المجملِ فقال: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ**﴾، أي: اذكروا يا بني إسرائيل الوقتَ الذي أخلَصنا وأنقذنا أسلافَكم وآباءَكم ﴿**مِنْ**﴾ عذابِ ﴿**آلِ فِرْعَوْنَ**﴾ نفسِهِ ومَن يؤلُ اليهِ بنسبٍ أو قرابةٍ أو دينٍ ومذهبٍ، في هذه الحالةِ وهي انَّهم ﴿**يَسُومُونَكُمْ**﴾، أي: يُعذِّبونَكُم، ﴿**سُوءَ الْعَذَابِ**﴾، أي: شدةِ العذابِ وقبيحِهِ، فعلى هذا (سوءَ العذابِ) مصدر، أو يُكلِّفونَكم سوءَ العذابِ، أو يُذيقونَكُم سوءَ العذابِ، أو يَبغونَكُم سوءَ العذابِ، فعلى هذهِ الأوجهِ (سوءَ) مفعوله الثاني، أو يطلبونَ لَكم سُوءَ العذابِ، وإمَّا على تقديرِ الاستئنافِ فقد مرَّ بيانه في ذكرِ الإعرابِ ثمَّ بيَّنَ سبحانُه بعضَ ذلكَ العذابِ بقولِه: ﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾: يُقتّلونهم؛ لِما رأى فِرعَونُ في المنامِ؛ وما قال له الكهنةُ: أنَّه سَيُولَد من بني إسرائيل مَن يكونُ على يدهِ هلاكُكَ وزوالُ ملكِكَ، كما يجيءُ في بيانِ القصةِ والأخبارِ فلم يُغنِ تَحفُّظُهم، وكان ما شاء اللهُ أن يكونَ، ﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾: جمَعَ صغرى وكبرى وطفلًا ويافعًا، فذكَرَ النّساءَ على التّغليبِ أو على ما يَؤُلُ حالهُنَّ إليهِ، أي: يستبقونَهنَّ أحياءً؛ لِـ(يستعبدونَهنَّ ويتخذونَهنَّ إماءً وينكِحوهُنَّ على وجهِ الاسترقاقِ) وهذا أشدُّ منَ الذّبحِ، ومن جملةِ ذلكَ العذابِ أيضًا ما يُكلِفونَهم من الأعمالِ الشّاقّةِ، ويجعلونَهم أصنافًا:

فصنفٌ يخدمونَهم، وصنفٌ يحرثونَ لهم، وصنفٌ يعملونَ لهم البناءَ والطينَ، وصنفٌ لا يَصلحونَ للعملِ يضربونَ عليهم الجزيةَ، وإذا خافَ فرعونُ أن يهربوا عن العملِ أمَرَ قومَه بتقييدِهم، وكانوا ينقلونَ ذلك الطّينَ السّلاليمَ إلى السّطوحِ فربَّما سقطَ الواحدُ منهم فماتَ أو زَمَنَ(1)، ولا يستريحونَ ساعةً أصلًا إلى أن (أوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى موسى ﵇: أن قل لهم لا يبتَدِرونَ عملًا إلّا بالصّلاةِ على مُحمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ فخفَّفَ عليهم، فكانوا يفعلونَ ذلكَ فيَخِفُّ عليهم و ربَّما يسلمُ بسببِ ذلكَ أبناؤُهم مِنَ الذّبحِ ويَنشأُ في محلٍّ غامضٍ بصلاتِهم على مُحمّدٍ وآلهِ الطيّبينَ، وكذلكَ نساؤهُم

(1) رجلٌ زَمَن: مُبتلى بَيِّنِ الزّمانةِ. ينظر: الصحاح: ٥: ٢١٣١، (زمن).

يسلمنَ من الافتراشِ بصلاتِهِنَّ على مُحمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ، وقالَ اللهُ تعالى: **﴿يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا﴾**، إذ كان البلاءُ يُصرَفُ عن أسلافِكم ويُخفَّفُ بالصّلاةِ على مُحمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ، أفما تعلمون انّكم إذا شاهدتُموهُم فآمنتُم بهِ وبآلِهِ الطّيبينَ كانتِ النّعمةُ عليكم أعظمَ وأفضلَ وفضلُ اللهِ لديكم أجزلَ)، هكذا في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام[1].

ثمَّ قالَ سبحانُهُ: **﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾**، إن أُشِيرَ بذلِكم إلى صنيعِ فرعونَ وقومهِ يكونُ البلاءُ بمعنى المحنةِ والشِدّةِ أي وفي سَومِكم سوءَ العذابِ وتذبيحِ الأبناءِ واستبقاءِ النساءِ على وجهِ الاسترقاقِ وغيرِ ذلكَ منَ الأعمالِ الشاقَّةِ والأفعالِ الكريهةِ ابتلاءٌ **﴿عَظِيمٌ﴾** ومحنَةٌ **﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾** لِما خَلَّى بينكم وبينَهم حتى فعلوا بكم هذهِ الأفاعيلَ، وإن أُشِيرَ بهِ إلى الانجاءِ والانقاذِ يكونُ البلاءُ بمعنى النعمةِ والعطيَّةِ، أي: وفي إنجائِكم من عذابِ فرعونَ وقومهِ نعمةٌ عظيمةٌ وعطيَّةٌ جسيمةٌ من ربِّكم عليكم، وأصلُ البلاءِ: الاختبارُ والامتحانُ، فتارةً يكونُ بالمحنةِ وأُخرى بالمِنحةِ كما مرَّ لغةً.

القصّة: [٣٢١]

قالَ في المجمعِ: (والسّببُ في قتلِ الأبناءِ أنَّ فرعونَ رأى في منامِهِ كأنَّ نارًا أقبلَت من بيتِ المقدِسِ حتَّى اشتملَت على بيوتِ مِصرَ فأحرقَتها واحترقَتِ القِبطُ، وتركَت بني إسرائيلَ، فهالَه ذلكَ المنامُ، ودعا السّحرةَ والكهنةَ والقافةَ[2] فسألَهم عن رؤياهُ، فقالوا: إنَّهُ يُولَدُ في بني إسرائيل غلامٌ يكونُ على يدهِ هلاكُكَ وزوالُ ملكِك وتبديلُ دينِكَ، فأمَرَ فرعونُ بقتلِ كلِّ غلامٍ يُولَد في بني إسرائيلَ، وجمَعَ القوابلَ من أهلِ مملكَتِه فقال لهُنَّ: لا يسقطُ على أيديكُنَّ غلامٌ من بني إسرائيل إلّا قُتِلَ ولا جاريةٌ الَّا تُركَت، ووكَّلَ بهِنَّ جمعًا كثيرًا، فكُنَّ فعلنَ ذلكَ وأسرعَ الموتُ في مشيَخَةِ بني إسرائيل فدخَلَ رؤوسُ القِبطِ على فرعونَ فقالوا لهُ: إنَّ الموتَ قد وقعَ في بني إسرائيل فيُذبَحُ صغارُهم و يموتُ كبارُهم فيُوشَك أن يقعَ العملُ علينا، فامرَ فرعونُ أن يُذبَحوا سنةً ويُترَكوا سنةً، فوُلِدَ هرونُ في السنةِ التي لا يُذبَحونَ فيها فتُرِكَ، ووُلِدَ موسى في السنةِ التي يُذبَحونَ فيها)[3].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤٣، ٢٤٤، (بتصرف).

(٢) القافة: جمع قائف: وهو الذي يعرف الآثار. الصحاح: ٤: ١٤١٩، (قاف).

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٠٥، ٢٠٦.

في كتابِ الغيبةِ للشّيخِ الطّوسي رحمهُ الله بإسنادِهِ إلى الصّادقِ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقولُ فيهِ عليه السلام: « أمَّا مولدُ موسى عليه السلام، فإنَّ فرعونَ لمَّا وقفَ على أنَّ زوالَ ملكهِ على يدِهِ، أمَرَ بإحضارِ الكهنةِ فدَلُّوا على نَسَبِهِ أنَّه يكونُ من بني اسرائيلَ، فلَم يزل يأمُرُ أصحابَهُ بشقِّ بطونِ الحواملِ من نساءِ بني إسرائيلَ، حتى قُتِلَ في طلبهِ نيّفٌ وعشرونَ الفَ مولودٍ وتعذَّرَ الوصولُ إلى قتلِ موسى عليه السلام لحفظِ اللهِ تعالى إيَّاهُ»[1]. وفي كتابِ كمالِ الدّينِ وتمامِ النِّعمةِ بإسنادهِ إلى سيدِ العابدينَ عليِّ بن الحسينِ عن أبيهِ سيِّدِ الشّهداء الحسينِ بن عليٍّ عن أبيهِ سيّدِ الوصيّينَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم قالَ: «قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: لمَّا حضُرَت يوسفَ عليه السلام الوفاةُ جمَعَ شيعتَهُ وأهلَ بيتهِ فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ، ثمَّ حدَّثهم بشدّةٍ تنالُهُم يُقتَلُ فيها الرجالُ وتُشقُّ بطونُ الحَبالى وتُذبَحُ الاطفالُ، حتّى يُظهِرَ اللهُ الحقَّ في القائمِ من ولدِ لاوي بنِ يعقوبَ وهو رجلٌ أسمرٌ طويلٌ ووصفَهُ لهم بنعتهِ، فتَمسَّكوا بذلكَ ووقعتِ الغيبةُ والشِّدةُ على بني إسرائيلَ وهم مُنتظِرون قيامَ القائمِ أربعمائةَ سنةٍ، حتَّى إذا بُشِّروا بولادتهِ ورأَوا علاماتِ ظهورهِ اشتدَّتِ البلوى عليهِم وحُمِلَ عليهم بالحجارةِ والخُشُبِ وطُلِبَ الفقيهُ الذي كانوا يستريحونَ إلى احاديثِهِ فاستترَ فراسَلوه وقالوا كنَّا مع الشّدةِ نستريحُ إلى حديثِكَ فخرجَ بهم إلى بعضِ الصحاري وجلَسَ يُحدِّثَهم حديثَ القائمِ ونعتهِ وقُربِ الأمرِ وكانَت ليلةٌ قمراءَ فبينما هم كذلكَ إذ طلَعَ عليهم موسى عليه السلام، وكانَ في ذلكَ الوقتِ حَدِثَ السِّنِّ وخرَجَ من دارِ فرعَونَ يُظهِرُ النُزهةَ فعَدَلَ عن موكبهِ[2] و أقبلَ إليهِم وتحتَهُ بغلَةٌ وعليهِ طَيلُسانِ خزٍّ فلمَّا رآهُ الفقيهُ عرَفَهُ بالنّعتِ فقامَ وأكَبَّ على قدميهِ فقبَّلَهما ثم قالَ: الحمدُ لله الذي لم يُمتنِي حتَّى أرانيكَ.

فلمَّا رأى الشّيعةُ ذلكَ عَلِموا انَّهُ صاحبُهُم فأكَبُّوا على الأرضِ شكرًا للهِ عزَّ وجلَّ فلم يَزدهُم إلَّا أن قال أرجو أن يُعجِّلَ الله فرجَهم ثمَّ غابَ بعد ذلكَ وخرَجَ إلى مدينةِ مَديَنَ فأقامَ عند شُعيبٍ ما أقامَ، فكانت الغيبةُ الثانيةُ أشدَّ عليهِم من الأولى، وكانت نيفًا وخمسينَ سنةً واشتدَّتِ البلوى

(١) الغيبة: ١٦٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الموكِب: الجماعةُ ركبانا أو مشاةً، أو ركّاب الابل، والمَوكب: جماعةُ ركّاب يسيرون برفقٍ، وهم أيضًا القومُ الركوب للزّينةِ والنّزهة.

عليهِم واستتَرَ الفقيهُ فبَعَثوا اليهِ أنَّه لا صبرَ لنا على استِتارِكَ عنَّا فخرَجَ إلى بعضِ الصحاري واستدعاهُم وطيَّبَ نفوسَهم واعلمَهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى اليهِ[1] أنَّه مُفَرِّجٌ عنهم بعد اربعينَ سنةً، فقالوا بأجمعِهِم: الحمدُ لله فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ اليهِ قُل لهم قد جعلتُها ثلثينَ سنةً؛ لقولِهِم الحمدُ لله، فقالوا: كلُّ نعمةٍ فمِن الله، فأوحى اللهُ اليهِ قل لهم قد جعلتُها عشرينَ سنةً، فقالوا: لا يأتي بالخيرِ إلَّا اللهَ، فأوحى اللهُ إليهِ قل لهم قد جعلتُها عشرًا، فقالوا: لا يَصرفُ السّوءَ إلَّا الله فأوحى اللهُ إليهِ قل لهم لا تبرَحوا فقد أذِنتُ في فَرَجِكم، فبينما هم كذلكَ إذ طلعَ موسى عليه السلام على حمارٍ فأرادَ الفقيهُ أن يُعرِّفَ الشيعةَ ما يستبصرونَ بهِ فيهِ، وجاءَ موسى حتَّى وقَفَ عليهم فسلَّمَ، فقالَ له الفقيهُ: ما اسمُكَ؟ فقال: موسى. قالَ: ابنُ مَن؟ قالَ: ابنُ عمرانَ. قالَ ابنُ مَن؟ قالَ: ابنُ قاهِت بنُ لاوي بنُ يعقوبَ. قالَ: بماذا جئتَ؟ قالَ: جئتُ بالرسالةِ من عندِ الله عزَّ وجلَّ. فقامَ إليهِ فقَبَّلَ يدَه ثمَّ جلَسَ بينَهم، وطيَّبَ نفوسَهم وأمَرَهُم أمرَهُ ثمَّ فرَّقَهم، فكانَ بينَ ذلكَ الوقتِ وبينَ فرجِهِم بغَرقِ فِرعَونَ أربعونَ سنةً »[2].

وبإسنادِهِ إلى أحمدَ بن محمّدِ بن عيسى عن أحمدَ بن محمّدِ بن أبي نصرٍ البزنطيِّ عن أبانَ بن عثمان عن مُحمّدٍ الحلبيِّ[3] عن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ يُوسُفَ بنَ يعقوب صلواتُ الله عليهِما حينَ حضرتهُ الوفاةُ جمَعَ آلَ يعقوبَ وهم ثمانونَ رجلًا فقال: إنَّ هؤلاءِ القِبطِ سَيظهَرونَ عليكم ويَسومونَكم سُوءَ العذابِ، وإنَّما يُنجِّيكُم اللهُ من أيدِيهم برجلٍ من ولدِ لاوي بنِ يعقوبَ اسمُهُ موسى بنُ عِمرانَ غلامٌ طويلٌ جعدٌ[4] ادمُ فجعَلَ الرجلُ من بني إسرائيل يُسمِّي ابنهُ عِمران ويُسمِّي عمرانُ ابنَه موسى، فذكَرَ أبانُ بنُ عثمانَ عن أبي الحصينِ عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: إلى الفقيه المذكورِ، فكان الوحي المذكور كالوحي إلى أمِّ موسى كما سيجيءُ، إذ كان هذا الفقيهُ نبيًّا من الأنبياء.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٤٥ـ ١٤٧، حديث رقم: ١٢.

(٣) محمد بن علي بن أبي شعبة، أبو جعفر: وجه أصحابنا، فقيه، والثقة الذي لا يطعن عليه، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه المفضل بن صالح تفسير القمّي: سورة نوح، له كتاب التفسير، وكتاب مبوب في الحلال والحرام. ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٥، ترجمة رقم: ٨٨٥، ونقد الرجال: ٤: ٢٧٠، ترجمة رقم: ٤٩١٨.

(٤) الجعد من الشعر: خلاف السبط، أو القصير منه. القاموس المحيط: ١: ٢٨٣.

أنَّه قالَ: ما خرَجَ موسى عليه السلام حتَّى خرَجَ قبلَهُ خمسونَ كذَّابًا من بني إسرائيل كلُّهم يَدَّعي أنَّه موسى بن عمرانَ فبلَغَ فِرعَونُ أنَّهم يُرجِفونَ(١) ويطلبونَ هذا الغلامِ، وقالَ لهُ كَهَنَتهُ وسحَرتهُ إنَّ هلاكَ دينِكَ وقومِكَ على يَدَي هذا الغُلامِ الذي يُولَدُ العامَ من بني إسرائيل [٣٢٢] فوضَعَ القوابلَ على النّساءِ، وقالَ: لا يُولَدُ العامَ غُلامٌ إلّا ذُبِحَ، ووضَعَ على امِّ موسى قابلةً فلمّا رأى ذلكَ بنو إسرائيل قالوا: إذا ذُبِحَ الغِلمانُ واُستُحيَى النّساءُ هلَكنا فلَم نبقِ فتعالَوا لا نَقربُ النساءَ، فقالَ عمرانُ أبو موسى: بل باشِروهُنَّ فإنَّ امرَ الله واقعٌ ولوكرِهَ المشركونَ، اللّهُم مَن حَرَّمَه فإنّي لا اُحرِّمُهُ ومَن تَركَه فإنّي لا أترُكُهُ، وباشَرَ أمَّ موسى فحمَلَت بهِ فوضَعَ على أمِّ موسى قابلةً تحرسُها فإذا قامَت قامَت وإذا قعدَت قعدَت، فلمَّا حمَلتهُ أُمُّه وقعَت عليها المحَبَّةُ، وكذلكَ حُجَجُ الله على خلقهِ، فقالَت لها القابلةُ: مالَكِ يا بُنيَّة تصفِرينَ وتذوبينَ؟ قالت: لا تلومِيني فإنِّي إذا ولدتُ أُخِذَ ولدي فَذُبِحَ، قالت: فلا تحزني فإنِّي سوف أكتُمُ عليكِ، فلَم تُصدِّقها، فلَمَّا أن ولَدَت التَفَتَت إليها وهِيَ مُقبِلَةٌ فقالت: ما شاءَ الله، فقالت لها: ألَم أقل لَّكِ أنّي سوفَ اكتُمُ عليكِ ثمَّ حملَته وأدخلَتهُ المخدَعَ(٢) وأصلَحَت امرَهُ ثمَّ خرَجَت إلى الحرسِ فقالَت: انصرِفوا وكانوا على البابِ فإنَّهُ خرَجَ دمٌ مُقطَّعٌ فانصرَفوا، فأرضَعَتهُ فلمّا خافَت عليهِ الصوتَ أوحى اللهُ اليها أن اعملِي التّابوتَ ثمَّ اجعليهِ فيهِ ثمَّ اخرجيهِ فاطرَحيهِ في نيلِ مصرَ، فوَضَعتهُ في الماءِ ثمَّ دفعَتهُ في اليَمِّ فجعَلَ يرجِعُ اليها، وجعَلَت تدفعُه في كثرَةِ الماءِ الغَمرِ وأنَّ الريحَ ضربتهُ فانطلقَت بهِ فلمّا رأتهُ قد ذهبَ بِهِ الماءُ همَّت أن تصيحَ فرَبَطَ اللهُ على قلبِها.

قال: وكانت المرأةُ الصالحةُ امرأةُ فِرعَونَ وهيَ من بني إسرائيلَ، قالَت لِفرعَونَ: إنّها أيّامُ الربيعِ فأخرِجني واضرِب لي قُبَّةً على شطِّ النيلِ حتَّى أَتنزَّهَ(٣) هذهِ الأيامِ، فضرَبَ لها قبَّةً على شَطِّ النّيلِ

(١) أرجف القوم: خاضوا في اخبار الفتن، ونحوٍ بادٍ منه ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [سورة الاحزاب ٣٣: ٦٠]، منه. ينظر: القاموس المحيط: ٣: ١٤٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الخُدع: اخفاءُ الشيء، وبِهِ سُمِّيَ المَخدع: وهو البيتُ الصغير يكونُ داخلَ البيتِ الكبيرِ، وتُضمُّ ميمهُ وتُفتح.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: قال صاحب القاموس: «استعمال التّنزّهِ في البساتينِ والخُضَرِ والرّياضِ غَلطٌ قبيحٌ». القاموس: ٤: ٢٩٤، (نزه).

إذ أقبَلَ التابوتُ يُريدُها، فقالَت: هل تَرونَ ما أرى على الماءِ؟ قالُوا: إي واللهِ يا سيدَتَنا، إنَّا لَنَرى شيئًا، فلمَّا دنا مِنها قامَت إلى الماءِ فتناولَتهُ بيدِها، وكادَ الماءُ يغمُرُها، حتَّى تَصايحوا عليها فجَرَّتهُ فأخرَجَتهُ من الماءِ فأخَذَتهُ فوَضَعتهُ في حِجرِها فاذا هوَ غُلامٌ أجملُ النّاسِ وأسرُّهُم فوَقَعَت عليهِ مِنها محبَّةً، ووَضَعَتهُ في حِجرِها، وقالَت: هذا ابني، فقالوا: إي واللهِ يا سيدَتَنا واللهِ مالَكِ من ولدٍ ولا لِلملِكِ فاتخذِي هذا ولدًا، فقامَت إلى فِرعَونَ فقالَت إنِّي أصبتُ غُلامًا طَيِّبًا حَلوًا(١) نتّخِذهُ وَلدًا فيكونُ قرَّةَ عَينٍ لِيَ ولَكَ فلا تَقتُلهُ.

قالَ: ومن أينَ هذا الغُلام؟ قالت: واللهِ ما أدري إلَّا أنَّ الماءَ جاءَ بهِ فلَم تزل بهِ حتَّى رضيَ فلمَّا سُمِعَ أنَّ الملكَ تبنَّى ابنا لم يبقَ احدٌ من رؤوسِ القِبطِ مَن كانَ مع فِرعَونَ الَّا بعَثَ اليهِ إمرأتَه لِتكونَ ظِئرًا(٢)، أو تحضنُهُ فأبى أن يأخُذَ من امرأةٍ منهُنَّ ثديًا، قالت امرأةُ فِرعَونَ: اطلبوا لابني ظِئرًا ولا تُحقِّروا أحدًا، فَجَعَلَ لا يَقبَلُ من امرأةٍ منهنَّ ثديًا، فقالت أمُّ موسى لأختِهِ: قُصِّيهِ، انظري أترينَ لهُ أثرًا؟ فانطلقت حتَّى أتَت بابَ الملِكِ فقالت: قد بلَغَني أنّكم تطلبونَ ظِئرًا وههنا امرأةٌ صالحةٌ تأخُذُ ولَدَكم وتكفُلُه لكم، فقالت: ادخلوها فلَمّا دخلت قالت لها امرأةُ فرعَونَ: ممَّن أنتِ؟ قالت: من بني إسرائيلَ.

فقالت: اذهبي يا بُنيَّةَ فليسَ لنا فيكِ حاجَةً، فقالت لها النساءُ: انظري عافاكِ اللهُ هل يَقبَلُ او لا يَقبَلُ؟ فقالت امرأةُ فرعَونَ: أرَأيتُم لو قبِلَ هل يرضى فِرعَونُ أن يكونَ الغُلامُ من بني إسرائيل والمرأةُ من بني إسرائيلَ؟ تعني الظِئرَ لا يرضى.

فقُلنَ: فانظري يَقبَلُ أو لا يقبَلُ؟ قالت امرأةُ فِرعَونَ: فاذهبي فادعيها. فجاءَت إلى أمِّها فقالت: إنَّ امرأةَ الملِكِ تدعوكِ فدخَلَت عليها فَدُفِعَ إليها موسى فوَضَعَتهُ في حِجرِها ثمَّ التَقَمَته ثَديَها فاداقَحَمَ(٣) اللّبَنُ في حلقِهِ، فلَمّا رأتِ امرأةَ فرعَونَ إنَّ ابنَها قد قَبِل قامَت إلى فِرعَونَ فقالت: قد أصَبتُ لابني ظِئرًا وقَد قَبِلَ منها، فقالَ: وممَّن هِيَ؟ قالت: من بني إسرائيلَ. قالَ فِرعَونُ: هذا ممَّا

(١) ومنه في حاشية الأصل: حَلو الرجالِ: (ورجلٌ حَلوٌ كعَدوٍّ وحُلوٌ). القاموس المحيط: ٤: ٣١٩، (حلو).

(٢) الظئرُ: المرأة المرضعة. ينظر: العين: ٨: ١٦٧، (ظئر).

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: أدخلهُ وسكتَ عنهُ البُكاءُ، فَحَمَ بالفاء والقاف معا.

لا يكونُ أبدًا، الغلامُ من بني إسرائيلَ، والظِئرُ من بني إسرائيلَ، فلَم تزل تُكلِّمَهُ فيهِ وتقولُ: ما تخافُ من هذا الغلامِ؛ إنَّما هوَ ابنكَ ينشأُ في حِجرِكَ حتَّى قلَّبتَهُ عن رَأيهِ ورَضيَ، فنَشَأ موسى عليه السلام في آلِ فِرعَونَ، وكتَمَت أمُّهُ خبَرَهُ وأختُهُ والقابِلَةُ حتَّى هَلَكَت أُمُّهُ والقابِلَةُ التي قبَلَتهُ[1] فنَشأَ عليه السلام لا يَعلَمُ بهِ بنو إسرائيلَ. [٣٢٣]

قالَ: وكانت بنو إسرائيل تطلُبُه وتَسألُ عنه فعَميَ عليهِم خبَرَه، قال: فبلَغَ فِرعَونُ أنَّهم يطلبُونَهُ ويسألونَ عنهُ فأرسَلَ إليهم فزادَ عليهِم في العذابِ وفرَّقَ بينَهم ونهاهُم عن الإخبارِ بهِ والسّؤالِ عنهُ، قال: فخرجَت بنو إسرائيل ذاتَ ليلةٍ مُقمِرةٍ إلى شيخٍ لهم عندَهُ عِلمٌ فقالوا: قد كنَّا نَستريحُ إلى الأحاديثِ فحتَّى مَتى؟ وإلى مَتى نحنُ في هذا البلاءِ؟ قال: واللهِ إنَّكم لا تزالونَ فيهِ حتَّى يجيءَ اللهُ تعالى ذكرُهُ بغُلامٍ وِلدِ لاوي بنِ يعقوب اسمهُ موسى بنَ عمرانَ غُلامٌ طويلٌ جَعدٌ.

فبينا هُم كذلكَ إذ أقبَلَ عليه السلام على نعلِهِ حتَّى وقفَ عليهِم فرَفَعَ الشيخُ رأسَهُ فعرَفَهُ بالصفةِ، فقالَ له: ما اسمُكَ رحمكَ اللهُ؟ قال: موسى. قالَ: ابنُ مَن؟ قالَ: ابنُ عِمرانَ. قال: فوَثَبَ إليهِ الشيخُ فأخَذَ بيدهِ فقَبَّلَها، وثاروا إلى رجلِهِ فقَبّلوها فعَرَفَهم وعَرَفُوهُ واتَّخَذهم شيعَةً، فمَكَثَ بعدَ ذلكَ ما شاءَ اللهُ ثم خَرَجَ فدَخلَ مدينةً لفِرعَونَ فيها رجلٌ من شيعتِهِ يقاتلُ رجلًا من آلِ فِرعَونَ من القِبطِ فاستغاثَهُ الّذي من شيعتِهِ على الّذي مِن عدُوِّهِ القِبطِيّ فوَكَزَهُ موسى فقَضَى عليهِ »[2]، الحديثُ طويلٌ نذكُرُهُ في سورةِ القَصَصِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)** ﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأَ الزُّهري: فَرَّقنا بالتّشديدِ، بمعنى: جعَلنا فِرَقًا كثيرةً؛ لِأنَّه للتّكثير لكَثرةِ المسالكِ على حسَبِ عددِ الأسباطِ، والباقونَ: فَرَقنا بالتّخفيفِ بمعنى شقَقنا بِكم البحرَ[3].

(١) ومنه في حاشية الأصل: قَبَلَت القابلةُ الولدَ إذا تلقَّته عند ولادته من بطن أمّه.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٤٧ـ ١٥٠.

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات:١: ٨٢، و الكشاف: ١: ١٣٨، والجامع لأحكام القرآن١: ٣٨٧.

اللغة:

الفَرقُ والفَصلُ والفَلْقُ نظائرُ، وهو: الفصلُ بين شيئينِ إذا كانت بينَهما فُرجَةٌ، يقالُ: فَرَقت بين الشيئينِ أفرُقُ فَرقًا وفُرقانًا، والفُرقانُ: من أسماءِ القرآنِ على التّغليبِ؛ لأنَّ مُحكماتِهِ فارقٌ بينَ الحقِّ والباطلِ والحلالِ والحرامِ، ومنهُ الحديثُ: «محمّدٌ ﷺ فَرقٌ بينَ النّاسِ»[1] أي يفرُقُ بين المؤمنينَ والكافرينَ بتصديقهِ وتكذيبِهِ، ومنه الحديثُ في صفتهِ ﷺ في الكُتبِ السّالفةِ: «انَّهُ فارقٌ لِيطا»[2] أي يفرُقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، والفِرقُ والفَريقُ والفِرقَةُ بمعنًى، والفريقَةُ: القطيعةُ من الغنمِ، وفي الحديثِ: « البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يتفَرَّقا»[3]، وفي رواية «ما لم يَفترِقا»[4]، ومنهُ الحديثُ: «فَرّقُوا عن المنيَّةِ واجعلوا الرأسَ رأسينِ»[5]، يعني: إذا اشتَرَيتُم الرقيقَ أو غيرَه من الحيوانِ فلا تُغالُوا في الثمنِ واشتَروا بثمنِ الرأسِ الواحدِ رأسينِ فإن ماتَ الواحدُ بَقِيَ الآخرُ فكأنَّكُم قد فَرَّقتُم مالَكُم عن المنيَّةِ، والفِرقُ: الطّائِفةُ من كلِّ شيءٍ، ومن الماءِ: اذا انفرَقَ بعضُهُ عن بعضٍ حتَّى حصَلَت فيهِ مسالِكُ فكلُّ طائفةٍ من ذلكَ فِرقٌ، ومنهُ قولُه تعالى:﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[6]، أي: كالجبلِ العظيمِ، والفِرقُ بكسرِ الفاءِ وفتحِها مِكيالٌ يُكالُ بِهِ اللبَنَ، وفي حديثِ عائشةَ: «إنَّه كانَ يغتسِلُ من إناءٍ يُقالُ لهُ الفَرَقُ»[7]، الفَرَقُ: بالتحريكِ مِكيالٌ يَسَعُ سِتَّةَ عَشَرَ رِطلًا وهي اثنا عَشَر مُدًّا[8]، أو ثلاثةَ أُصُعٍ[9] عندَ أهلِ الحجازِ، وقيلَ: الفَرقُ خمسةُ أقساطٍ، والقِسطُ نِصفُ صاعٍ، فأمّا

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٣٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٣٩.

(٣) الوافي: ١: ٢٥٢، حديث رقم: ١٩٠.

(٤) الكافي: ٥: ١٧٠، حديث رقم: ٦ ، والوافي: ١٧: ٥٠٧، حديث رقم: ١٧٧٢٩.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ٣: ٢١.

(٦) سورة الشعراء: ٢٦: ٦٣.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٣٧.

(٨) المُدّ: «مكيال قديم، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، أي ربع صاع، ورطلان عند أهل العراق». القاموس الفقهي: ٣٣٧.

(٩) جمع صاع، وهو إناءٌ يُشربُ به، ومكيالٌ يُكالُ به الحيوان، وغيره. القاموس الفقهي: ٢١٨.

الفَرْقُ بالسّكونِ: فمائةٌ وعشرونَ رِطلًا، وفي الحديثِ: «ما أسكَرَ الفَرْقُ منهُ فالحَسوَةُ منهُ حرامٌ»[1]، وفي روايةٍ:« فالجرعَةُ منهُ حرامٌ»[2]، وهو مِكيالٌ يُعرَف بالمدينةِ، و(الفَرَقُ) مُحرَّكةً: الخوفُ والفزعُ، يقالُ: فَرِقَ يَفرَقُ فَرَقًا كعَلِمَ يَعلَمُ، ويقولونَ: (أو فَرَقًا خيرًا من حُبٍّ)[3]، وفي حديثِ بدءِ الوحيِ: «فَجُئِثتُ منهُ فَرَقًا»[4] أي خوفًا وفزعًا، والإفراقُ: البُرءُ من المرضِ، يقالُ: أفرَقَ المريضُ من مَرضِهِ: إذا أفاقَ من عِلَّتِهِ، كالجُدَريّ والحصبَةِ.

والبحرُ: السّعَةُ، سُمِّيَ البحرُ بحرًا؛ لِسعَتِهِ وانبساطِهِ، في الحديثِ: (إنَّه رَكِبَ فرسًا لأبي طَلحة فقالَ: إن وجَدنَاهُ لبحرًا)[5]، أي: واسعَ الجَري، وتَبَحَّر فلانٌ في العلمِ، أي: اتَّسعَ، والمُتبحِّرُ: المُتّسعُ في العلمِ، وكذا تبَقَّرَ في العلمِ: اذا اتَّسعَ، والبحرُ: الشَّقُّ والتوسِعَةُ، ومنهُ حديثُ عبدُ المطلبِ: (وحَفرَ زَمزمَ ثمَّ بَحرَها)[6]، أي: شَقَّها ووسَّعَها، ومنه البَحيرةُ للنّاقةِ، كانَ أهلُ الجاهليّةِ إذا انتجَتِ الناقةُ خمسةَ ابطنٍ آخِرُها ذكَرٌ بَحَروا أُذنَها، أي: شَقُّوها وحَرَّموا رُكوبها ولا تُطرَدُ عن ماءٍ ولا مَرعًى، وإذا لقِيَها المُعيَّى[7] لم يركَبها واسمُها البحيرةُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾[8]الآية، ومن ذلكَ «حتَّى تَرى الدَّمَ البَحرانيّ»[9]، يُريدُ الدمَ الغليظَ الواسعَ شديدةَ الحُمرة كأنَّهُ قد نُسِبَ إلى البحرِ وهو: اسمُ قَعرِ الرحمِ، زادُوه في النَسَبِ ألفًا ونونًا للمبالَغةِ، وقيلَ نُسِبَ إلى البحرِ؛ لكثرتهِ وسِعتِهِ، [٣٢٤] والعربُ تُسَمِّي الماءَ المِلحَ والعَذبَ: بحرًا إذا كثُرَ، ومنه قولهُ تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[10]، يعني المِلحُ والعذبُ، قال في المجمعِ: (وأصلُ البابِ: الاتِّساعُ،

---

(١) السنن الكبرى: ٨: ٢٩٦، والمعجم الاوسط: ٩: ١٣٠.

(٢) سنن الدار قطني: ٤: ١٧٠، حديث رقم: ٤٦١٦.

(٣) مجمع الأمثال: ٢: ٢٣.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير: ١: ٤١٢، وبحار الأنوار: ١٨: ١٦٧.

(٥) صحيح البخاري: ٧: ١٢٢، وبحار الأنوار: ١٦: ٢٥٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٩٩.

(٧) أي: التَّعِب. لسان العرب: ٢: ٥٣٤.

(٨) سورة المائدة ٥: ١٠٣.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٩٩.

(١٠) سورة الرحمن ٥٥: ١٩.

وأمَّا اللَّجُّ: فَهو الذي لا يُرى حافَّتاهُ من وَسَطِهِ، لكثرةِ مائهِ وعِظَمِهِ، ودِجلَةُ بالإضافةِ إلى السّاقيةِ بحرٌ، والغَرَقُ: الرُسُوبُ في الماءِ، والنّجاةُ هنا: خِلافُ الغَرقِ، كما إنَّه ضدُ الهلاكِ، وأغرَقَ في الأمرِ: إذا جاوَزَ الحدَّ(١).

والنّظرُ هنا: النّظرُ بالعينِ، يقالُ: نظَرتُ إلى كذا ونظرتُ في الكتابِ وفي الأمرِ، والنَّظرُ: التفكّرُ، وأصلُ البابِ كلِّه: الاقبالُ نحوَ الشيءِ بوجهٍ من الوجوهِ، وحقيقةُ النظرِ: تقليبُ الحدقَةِ الصّحيحةِ نحوَ المرئيِّ طلبًا لرؤيتِهِ.

الإعرابُ:

و(إذ): مفعولٌ بِهِ لـ(اذكروا) كما مَرَّ وليس مفعولًا فيهِ؛ لأنَّ المرادَ ذكرُ ذلكَ الوقتِ نفسِهِ لا الذِّكر فيهِ. وجملةُ (فرَقنَا): مضافٌ إليها، و(البحرُ): مفعولٌ بِهِ لفَرَقناهُ، و(بكم): متعلِّقٌ بفَرَقنا، و(الباءُ): للسّببيّةِ فيكونُ بمعنى اللّامِ التعليليةِ المشعرةِ بالانتفاعِ، أي: بسببِكم البحرَ لتمرُّوا فيهِ، أو بسببِ إنجائِكم، أو للملابسةِ أي مُلتبِسًا بكم، كما في: دخلتُ عليهِ بثيابِ السّفرِ، كقولِ المتنبيّ في وصفِ الخيولِ:

[فمرت غير نافرةٍ عَلَيْهِم] تدوسُ(٢) بِنا الجماجِمَ والتَّريبا (٣)

أي: تدوسُ الجماجمَ ونحنُ راكِبوها، أو للآلةِ، أي: فَرَقنا بِدخولِكُم فيهِ كما في تشَقَّقُ السماءُ بالغَمامِ، وجملةُ (وأنتم تنظرونَ): حالٌ مِن (كُم)، والباقي واضحٌ.

المعنى:

ثمَّ فصَّلَ سبحانَهُ ذلكَ المُجملَ أيضًا بذِكرِ نِعمٍ أُخرى كما مرَّ بيانُهُ في الآيةِ السّابقةِ، فقال: **﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾**، أي: اذكروا يا بَني إسرائيل إذ فصَلنا بِكم البَحرَ ومَيَّزناهُ وشقَقناهُ وجعَلنا بعضَه مُنضمًّا إلى بعضٍ حتَّى صارَت مسالِكَ لِسلوكِكم فيهِ ومرورِكم فيهِ، أو بسببِ إنجائِكم أو مُلتَبِسًا

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٠٦.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الدَّوس: كَوَقّي، والجماجمُ: جمع جمجمة، أي: تدقُّ الخيولُ مُلتبسةً بنا جماجمَ الاعداءِ، والتّريبُ: جمع التّريبة: وهي أعظَمُ الصدرِ.

(٣) الحماسة المغربية: ١: ٧١٣، ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار: ١: ٦٨.

بِكم، وعلى قراءةِ: فَرَّقنا بالتّشديدِ كان معناهُ: فَصَّلناهُ فِرَقًا كثيرةً؛ لأنَّ المسالِكَ كانت اثنتي عشرَةَ على حسَبِ عدَدِ الاسباطِ، ﴿**فَأَنْجَيْنَاكُمْ**﴾ مِن البحرِ والغَرَقِ فيهِ، ﴿**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ**﴾، أي: شخصَهُ وقومَهُ، أرادَ بِآلِ فِرعَونَ: فِرعَونَ نفسَهُ وقومَه كما ذكرناه سابقًا فاقتصَرَ على ذكرِهِم للعلمِ بأنَّه أولى بالغرقِ منهم. ﴿**وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾، أي: تُشاهدونَ تلكَ الأمورَ العظامَ من انفلاقِ البحرِ بضربِ العصا وصيرورتِهِ طريقًا يَبَسًا مزلَّلةً وإغراقِهِم وإطباقِ البحرِ عليهِم، وقذفِ البحرِ جثَّتَهُم الخبيثةَ إلى السّاحلِ.

وقالَ في المجمعِ: «﴿**وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ معناهُ: إنَّكم تشاهدونَ أنَّهم يغرقونَ، وهذا أبلغُ في الشّماتَةِ وإظهارِ المعجزةِ. وقالَ فيهِ: وقيلَ: معناهُ وأنتم بمَنظَرٍ ومشهدٍ منهم حتَّى لو نَظرتُم إليهِ لأمكَنكم ذلكَ؛ لأنَّهم كانوا في شُغلٍ من أن يَروهم. ثمَّ قالَ: والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّهم لم يكن لَهم شُغلُ شاغِلٍ عن الرّؤيةِ فإنَّهم كانوا قَد جاوَزوا البحرَ.

وتَظاهَرَت أقوالُ المفسّرينَ على أنَّ أصحابَ موسى عليه السلام رَأوا انفراقَ البَحرِ والتِطامَ أمواجِهِ بآلِ فرعَونَ حتى غَرِقوا فلا وَجهَ للعُدولِ عن الظاهرِ»[1]. انتهى.

القصّةُ:

في العيونِ والفقيهِ والمجمعِ: جملةُ قصَّةِ فرعَونَ مع بني إسرائيل في البحرِ: ما رواهُ حسنُ بن فَضَّال عن أبي الحسنِ الرّضا وعنِ الصّادقِ عليهما السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن يسريَ ببني إسرائيل من مِصرَ فسَرَى بهم ليلًا آخرَ الشّهرِ ووَعَدَهُ طلوعَ القَمرِ فاحتبَسَ القمرُ على بني إسرائيل وأبطَأَ طلَوعُهُ عليهِم فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى موسى أن أخرِج عظامَ يوسُفَ عليه السلام من مِصرَ، ووَعَدَهُ طلوعَ القَمرِ إذا أخرَجَ عظامَهُ فَسَأَلَ عمَّن يَعلَمُ موضِعَهُ؟ فقيلَ: ههنا عجوزٌ تعلمُ علمَهُ، فبعَثَ إليها فَأُتِيَ بعجوزٍ مُقعدَةٍ عمياءَ، فقال: تعرفينَ قبرَ يوسُفَ عليه السلام؟ قالت: نعم.

قالَ: فأخبريني بموضعِهِ. قالت: لا أفعلُ حتَّى تُعطينيَ خِصالًا: تُطلِقَ رجلي وتُعيدَ اليَّ بَصري وتَرُدَّ إليّ شبابي، وتجعلَني معَكَ في الجنَّةِ. فكَبُرَ ذلكَ على موسى عليه السلام فأوحى الله عزَّ وجَلَّ اليهِ إنَّ ما تُعطِي عليَّ فاعطِها ما سَألَت، ففعلَ فَدَلَّتهُ على قبرِ يوسُفَ عليه السلام، فاستخرَجَهُ من شاطئِ النّيلِ في

(١) مجمع البيان: ٢٠٧.

صُندوقٍ مَرمَرٍ، فلَمَّا أخرَجَهُ طلَعَ القمرُ فحَمَلهُ إلى الشّامِ في بيتِ المقدِسِ، وسَرى ببني إسرائيل فأتبَعَهُم فِرعَونُ وجنودُهُ في ألفِ ألفِ حصانٍ سوى الإناثِ، وكان موسى عليه السلام في ستِّمائةِ ألفٍ و عشرينَ ألفاً، فلَمّا عايَنَهُم فِرعَونُ قالَ: إنَّ هؤلاءِ لَشرذِمةٌ قَليلونَ وإنَّهم لنا لغائظونَ وإنَّا لجميعٌ حاذِرونَ فَسَرى موسى عليه السلام [٣٢٥] ببني إسرائيل حتى هَجَموا على البحرِ فالتَفَتوا فاذا هم بِرَهجِ[١] دوابِّ فرعَونَ، فقالوا: يا موسى أُوذِينا مِن قبلِ أن تأتينا ومِن بعدِ ما جِئتنا هذا البحرُ أمامَنا، وهذا فرعَونُ قد رهَقَنا بِمَن معهُ. فقالَ موسى عليه السلام: عسى ربُّكم أن يُهلكَ عَدوَّكم ويستخلِفَكم في الأرضِ فينظُر كيفَ تعملونَ. فقال له يوشعُ بن نون[٢]: بِمَ أُمِرتَ؟ قال: أُمِرتُ أن أضرب بِعصايَ البحرَ.

قالَ: اضرب.

وكانَ اللهُ تعالى أوحى إلى البحرِ أن أطِع موسى عليه السلام إذا ضَرَبَكَ. قال: فباتَ البحرُ لهُ أفكَلَ، أي: رَعِدَةً لا يُدرى في أيِّ جوانبِهِ فضَرَبَ بعصاهُ البحرَ فانفَلَق وظهَرَ اثنا عَشَرَ طريقًا، فكانَ لكلِّ سِبطٍ منهم طريقٌ يأخُذونَ فيهِ، فقالوا إنَّا لا نَسلُكُ طريقًا نَديًّا، فأرسَلَ اللهُ تعالى ريحَ الصَّبا حتَّى جَفَّفَتِ الطريقَ كما قالَ تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾[٣] فَجَروا فيهِ، فلَمّا أَخذوا في الطريقِ قالَ بعضُهم لبعضٍ: ما لَنا لا نرى أصحابَنا؟ فقالوا لموسى: أينَ أصحابُنا؟ فقالَ: في طريقٍ مثلَ طريقِكُم. فقالوا: لا نرضى حتَّى نراهُم. فقالَ موسى عليه السلام: اللهم اَعِنِّي على أخلاقِهم السّيئةِ.

فأوحى اللهُ تعالى إليهِ أن مِل بعصاكَ هكذا وهكذا يمينًا وشِمالًا، فَأشارَ بعصاهُ يمينًا وشمالًا فظَهَر الكُوى[٤] يَنظرُ منها بعضُهُم إلى بعضٍ، فلَمَّا انتهى فرعَونُ إلى ساحلِ البحرِ وكانَ على فرسٍ حصانٍ

(١) الرّهج: الغبار. العين: ٣: ٣٨٩، (رهج).

(٢) ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو فتى موسى بن عمران عليه السلام، والخليفة بعده على أمته. تاريخ مدينة دمشق: ٧٤: ٢٦٥.

(٣) سورة طه ٢٠: ٧٧.

(٤) جمع كوّة وهي: ((الخَرْق في الحائط والثَّقْب في البيت ونحوه)). لسان العرب: ١٥: ٢٣٦، (كوي).

أدهَم فهابَ دُخولَ الماءِ تمَثَّل له جبرئيلُ عليه السلام على فَرسٍ أنثى وَدِيقٍ(1) وتقَحَّمَ البحرَ فلمّا رآها الحصانُ تقَحَّمَ خلفَها ثمَّ تَقَحَّمَ قَومُ فرعَونَ، فلَمّا خرَجَ آخِرُ مَن كانَ معَ موسى عليه السلام البَحرَ، ودَخَلَ آخِرُ مَن كانَ مع فِرعَونَ البحرَ أطبَقَ اللهُ عليهِم الماءَ فغَرِقوا جميعًا، ونجا موسى ومَن معَهُ »(2).

في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: « قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ إلى قولِهِ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وذلكَ أنّ موسى لَمّا انتهى إلى البحرِ أوحَى اللهُ إليهِ قُل لبني إسرائيل جَدِّدوا توحيدي وأقِرُّوا بقلوبِكم ذِكرَ مُحمّدٍ سيِّدِ عبيدي وإمائِي، وأعيدوا على أنفسِكم ولايَةَ عليٍّ أخي مُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيبينَ، وقولوا: اللَّهم جَوِّزنا على مَتنِ هذا الماءِ فإنّ الماءَ يتَحوَّلُ لكم أرضًا. فقالَ لَهم موسى ذلكَ، فقالوا: تُورِدُ علينا ما نكرهُ، وهل فَرَرنا مِن فِرعَونَ إلّا مِن خَوفِ الموتِ وأنتَ تقتَحِمُ بنا هذا الماءَ المُغمَرَ بهذهِ الكلماتِ وما يُدرينا ما يَحدُثُ من هذهِ علينا؟ فقالَ لموسى كالبُ بنُ يوحنّا(3) وهو على دابَّةٍ لهُ وكانَ ذلك الخليجُ(4) أربعةَ فراسخٍ: يا نبيَّ اللهِ، اللهُ أمرَكَ بهذا أن نقولهُ وندخُلَ الماءَ؟ قالَ: نعم.

قالَ: وأنتَ تأمُرُني بهِ؟ قالَ: بلى. فوقَفَ وجدَّدَ على نفسهِ من توحيدِ اللهِ ونبُوَّةِ مُحمّدٍ وولايةِ عليٍّ والطّيبينَ من آلِهما ما أمرَهُ بهِ، ثمَّ قال: اللَّهم بجاهِهم جَوِّزني على متنِ هذا الماءِ، ثمَّ أقحَمَ فرسَهُ فركَضَ على متنِ الماءِ، وإذا الماءُ من تحتهِ كأرضٍ ليِّنَةٍ حتَّى بلغَ آخرَ الخليجِ، ثمَّ عادَ راكِضًا، ثمَّ قالَ لبني إسرائيلَ: يا بني إسرائيلَ أطيعوا موسى فما هذا الدعاءُ إلّا مفتاحُ أبوابِ الجنانِ ومغاليقُ أبوابِ النّيرانِ ومُنزِلُ الأرزاقِ والجالبُ على عبادِ اللهِ وإمائِهِ رِضَى الرَّحمنِ المُهيمِنِ الخلّاقِ. فأبَوا

(1) فرسٌ وديقٌ: التي تُريدُ الفحل. الصحاح: ٢: ٨٣٨، (نور).

(2) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٣٦، حديث رقم: ١٨، ومن لا يحضره الفقيه: ١: ١٩٤، حديث رقم: ٥٩٤، ومجمع البيان: ١: ٢٠٧، ٢٠٨.

(3) كالب بن يوحنا بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام: ورد مع موسى عليه السلام بأرض كنعان من البلقاء من نواحي دمشق وهو الذي قام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع بن نون. مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١: ٦٥، وتاريخ مدينة دمشق: ٥٠: ٨.

(4) الخليجُ: النّهرُ وشرمُ البحرِ، والشّرمُ: لجّةُ البحرِ أوالخليجِ. القاموس المحيط: ٤: ١٣٥ (الشرم).

وقالوا: نحنُ لا نسيرُ إلّا على الأرضِ، فأوحى اللهُ إلى موسى أن اضرِب بعصاكَ، وقُل اللَّهُم صلِّ على مُحمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ لمّا فلَقتَه(١) ففعَلَ فانفلَقَ وظهرَتِ الارضُ إلى آخِرِ الخليجِ، فقالَ موسى: ادخلوها، قالوا: الأرضُ وَحِلةٌ نخافُ أن نَرسبَ فيها. فقالَ اللهُ: يا موسى قُلِ اللَّهم بحقِّ محمّدٍ وآلهِ الطيبينَ جَفِّفها. فقالها: فأرسَلَ الله عليها ريحَ الصَّبا فجَفَّت، وقال موسى: ادخلوها، قالوا: يا نبيَّ الله نحنُ اثنتا عَشرةَ قبيلةً بنو اثني عشرَ ابًا فإن دخَلنا رامَ كلُّ فريقٍ منّا تقدَّمَ صاحبَهُ لا نأمَنُ وقوعَ الشّرِ بينَنا فلو كانَ لِكلِّ فريقٍ منّا طريقٌ لأمَنّا ممّا نخافُهُ. فأمَرَ اللهُ موسى أن يضربَ البحرَ بعددِهِم اثنتَي عشرةَ ضربةً في اثني عشرَ موضِعًا إلى جانبِ ذلكَ الموضع، ويقولُ: اللَّهم بجاهِ محمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ بيِّن لنا الأرضَ وأَمِطِ(٢) الماءَ عنها، فصارَ فيهِ تمامَ اثنَى عشرَ طريقًا وجَفَّ قرارَ الأرضِ ريحُ الصَّبا. فقالَ: ادخلوها، قالوا: كلُّ فريقٍ منّا يدخلُ سكّةً من هذهِ السككِ لا يدري ما يحدثُ على الآخرينَ.

فقالَ الله عزَّ وجلَّ: فاضرب كلَّ طَودٍ من الماءِ بينَ هذهِ السّكَكِ، فضربَ وقالَ: اللَّهم بجاهِ محمّدٍ وآلهِ الطّيبينَ لمَّا جعلتَ في هذا الماءِ طيقانًا(٣) واسعةً يرى بعضُهم بعضًا. ثمَّ دخَلوها فلمّا بَلَغوا آخِرَها جاءَ فِرعَونُ وقومُهُ فدَخَلَ بعضُهم فلَمّا دخَلَ آخرُهُم وهَمَّ بالخروجِ أوَّلُهُم أمَرَ اللهُ تعالى البحرَ فانطَبَقَ عليهِم فغَرِقوا واصحابُ موسى ينظرونَ إليهِم، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لبني إسرائيل في عَهدِ محمّدٍ ﷺ فإذا كانَ اللهُ فعلَ هذا كلَّه بأسلافِكم لكرامةِ محمّدٍ ﷺ ودُعاءِ موسى دُعاءَ تَقرُّبٍ بِهم أفَلا تعقلونَ أنَّ عليكم الإيمانَ بمُحمّدٍ وآلهِ إذ قد شاهدتُموهُ الآن»(٤)، انتهى. [٣٢٦]

وفي المجمعِ: «وممّا يُسألُ عن هذا أن يُقالَ كيف لم يعطِ اللهُ تعالى كلَّ نبيٍّ مثلَ ما أعطى لموسى من الآياتِ الباهراتِ لتكونَ الحجَّةُ أظهرَ والشّبهةُ أبعدَ؟ والجوابُ: أنَّ الله تعالى يَنصِبُ الأعلامَ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: إلَّا فلقته، و(لمّا) هنا بمعنى إلّا كما بُيِّن في موضعه.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: أبعِدهُ وأزلهُ عنها.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: والطّاق ما عُطِفَ من الابنيةِ، والجمع: طاقات وطيقان.

(٤) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٤٥ـ ٢٤٧.

الباهرةَ والمعجزاتِ القاهرةَ لاستصلاحِ الخلقِ على حسَبِ ما يرى لهم من الصلاحِ وقد كانوا في قومِ موسى من بَلادةِ النفسِ وكَلالةِ الحَدَثِ ممّا لم يمكنهُ معهُ الاستدلالَ بالآياتِ الخفيّةِ، ألا ترى أنّهم لمّا عَبَروا النَهرَ وأتَوا على قومٍ يعكفونَ على أصنامٍ لهم، قالوا بعدَ ما شاهدوهُ من هذهِ الآياتِ: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهُم آلهةٌ، قال: إنّكم قومٌ تجهلونَ.

وكانَ في العربِ وأمّةِ نبيِّنا ﷺ من جودةِ القريحةِ وحِدَّةِ الفِطنةِ وذكاءِ الذهنِ وقوَّةِ الفَهمِ ما كانَ يُمكنُهم معهُ الاستدلالُ بما يُحتاجُ فيهِ إلى التأمّلِ والتدبّرِ والاستضاءةِ بنورِ العقلِ في التفكّرِ؛ فجاءَت آياتُهم متشاكِلةً لطباعِهِم المتوقّدَةَ ومجانِسةً لما ركّبَ في أفهامِهِم من الدقّةِ والحِدّةِ على أنَّ في جميعِها من الحُجَّةِ الظاهرةِ والبيّنةِ الزاهرةِ ما يُنفي خِلاجَ الشكِّ عن قلبِ النّاظرِ المُستبينِ ويُفضِي بهِ إلى فضاءِ العلمِ اليقينِ ويوضّحَ مناهجَ الصدقِ ويولِجُهُ موالجَ الحقِّ وما يستوي الأعمى والبصيرُ وما يُنبئكَ مثلُ خبيرٍ»[1]، انتهى.

أقولُ: ويُقوّي هذا الجوابَ قولُهُ ﷺ: «علماءُ أمّتي كأنبياءِ بني إسرائيلَ»[2]، ويؤكِّدُ هذا الجوابَ ما ذكرناهُ سابقًا في تفسيرِ قولهِ تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[3] الآيَةَ، منَ الخبرِ المرويِّ عن أبي الحسنِ موسى بن جعفرٍ عليهما السلام في كتابِ العقلِ من الكافي، وفي عيونِ الأخبارِ عن أبي يعقوبَ البغداديِّ قال: قالَ ابن السِّكّيت لأبي الحسنِ عليه السلام: لماذا بعثَ اللهُ تعالى موسى بن عمرانَ عليه السلام باليدِ البيضاءِ والعصا وآلةِ السّحرِ، وبعثَ عيسى عليه السلام بالطِّبِّ، وبعثَ محمّدًا ﷺ بالكلامِ والخُطبِ؟ فقال لهُ أبو الحسنِ عليه السلام:« إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ لمّا بعثَ موسى عليه السلام كانَ الأغلبُ على أهلِ عصرهِ السّحرَ فأتاهُم من عندِ اللهِ بما لم يكن مِن عندِ القومِ، وفي وِسعِهم مثلُهُ، وبما أبطلَ بهِ سحرَهم، وأثبتَ بهِ الحجّةَ عليهِم، وأنَّ اللهَ تعالى بعثَ عيسى عليه السلام في وقتٍ ظهرَت فيه الزَّماناتُ

(١) مجمع البيان: ١: ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٧: ٣٢٠، حديث رقم: ٢١٤٦٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٣.

واحتاجَ الناسُ إلى الطِّبِّ فأتاهُم من عندِ اللهِ تعالى بما لم يكن عندَهم مثلُهُ، وبما أحيى لهُم الموتى وأبرَأ بهِ الأكمَهَ والأبرصَ بإذن الله، وأثبتَ بهِ الحجَّةَ عليهم، وأنَّ اللهَ تعالى بعثَ محمَّدًا ﷺ في وقتٍ كانَ الأغلبُ على أهلِ عصرهِ الخُطَبَ والكلامَ، - وأظنُّهُ[1] قالَ -: والشِّعرَ، فأتاهُم مِن كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومواعِظِهِ وأحكامِهِ بما أبطَلَ بهِ قولَهُم، وأثبتَ بهِ الحجَّةَ عليهِم. فقالَ ابنُ السِّكّيت: تاللهِ ما رأيتُكَ مثلَ هذا اليومِ قطُّ، فما الحجَّةُ على الخلقِ اليومَ؟ فقالَ عليه السلام: العقلُ، تعرفُ بهِ الصادقَ على اللهِ فتصَدِّقُهُ والكاذبَ على اللهِ فتكذِّبُهُ. فقالَ لهُ ابنُ السّكّيت: هذا واللهِ الجوابُ»[2].

ومثلُ ذلكَ ما ذكرَهُ البيضاويّ: «واعلم أنّ هذه الواقعةَ من أعظمِ ما أنعمَ الله تعالى على بني إسرائيل من الآياتِ الملجئةِ إلى العلمِ بوجودِ الصّانعِ الحكيمِ، وتصديقِ موسى عليه السلام ثمَّ إنّهم بعد ذلك اتّخذوا العجلَ وقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً ونحو ذلك فهم بمعزلٍ من الفطنةِ والذكاءِ وسلامةِ النفسِ وحسنِ الاتِّباعِ عن أمّةِ مُحمّدٍ ﷺ معَ إنَّ ما تواترَ من معجزاتِهِ أمورٌ نظريَّةٌ دقيقةٌ يُدركها الاذكياءُ، وإخبارِهِ عليه السلام عنها من جملةِ معجزاتِهِ على ما مَرَّ تقريرُهُ»[3]، انتهى.

---

(١) هذا كلام الراوي.

(٢) الكافي: ١: ٢٤، ٢٥، حديث رقم: ٢٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٨٦، حديث رقم: ١٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ١: ٨٠.

قولُهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)﴾، آيةٌ:

القراءةُ:

قرأَ أهلُ البصرةِ: أبو عمرو وغيرُهم وأبو جعفرَ يزيدُ بن القعقاع المدنيّ ههنا، وفي الأعراف، وطه أيضًا: وَعَدْنا بغيرِ ألفٍ، والباقونَ كعبد الله بن كثيرٍ ونافعٍ وعاصمٍ وابنِ عامرٍ وحمزةَ والكسائيّ: واعَدْنا بالألفِ؛ لأنَّ الله تعالى وعَدَ موسى الوحيَ ووَعَدَه موسى المجيءَ للميقاتِ إلى الطورِ فيكونُ المواعدةُ من الجانبينِ. وقرأَ ابنُ كثير وحفص ورويس والبرجُميّ: (اتَّخذتم) بإدغامٍ واحدٍ، وأخذتُم كلَّ ما جاءَ منهُ بإظهارِ الذّالِ و وافقَهم الأعشى، والباقونَ يُدغِمون الذالَ في التاءِ أيضًا؛ لتَقارُب مخرجَهيما وحجَّةُ مَن لم يدغم أنَّ مخرجَهيما متغايرانِ[1]. [٣٢٧]

اللغة:

الوعدُ والوعيدُ والعِدَةُ والموعِدةُ والميعادُ كلُّها مصادرُ (وعَدتُه: أعِدُهُ)، و(وَعَدَ) يتعدَّى إلى مفعولين، كقولهِ تعالى:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] فمغفرةً مفعولهُ الثاني وكذا أجرًا، وقولِهِ تعالى:﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾[3] فـ(جانبَ) مفعولُه الثاني، وقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4] فـ(الهاء) مفعولُه الثاني قُدِّمَ؛ لكونهِ ضميرًا وأصلُه أن يكون متَّصِلًا حتَّى لو كانَ الفاعلُ ظاهرًا والمفعولُ ضميرًا وجبَ اتّصاله، نحوَ: ضَربَكَ زيدٌ، والذينَ كَفروا مفعولُه الاولُ، ويجوزُ الاقتصارُ على أحدِهما كأعطيتُ، كقولهِ تعالى حكايةً عن الشيطانِ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[5] ، فمفعولُه الثاني محذوفٌ.

---

(١) ينظر: العنوان في القراءات السبع: ١: ٦٩، والحجة في القراءات السبع: ١: ٧٧.

(٢) سورة الفتح ٤٨: ٢٩.

(٣) سورة طه ٢٠: ٨٠.

(٤) سورة الحج ٢٢: ٧٢.

(٥) سورة ابراهيم ١٤: ٢٢.

ويُستعمَلُ الوعدُ والعِدةُ اسمينِ أيضًا، ويُجمَعُ العدةُ على العِداتِ ولا يُجمَع الوعدُ، وأمَّا الموعِدُ فقد يكونُ مصدرًا، وقد يكونُ اسم زمانٍ ومكانٍ، وكذا الميعادُ، ووعدتُهُ يُستعمَل في الخيرِ غالبًا وفي الشرِّ قليلًا كقولِهِ تعالى:﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]، وأمَّا أوعَدتُهُ فيُستعمَلُ في الشرِّ والمكروهِ، ويقالُ: أوعدتُهُ بالشرِّ، ولا يُقالُ: أوعدتُهُ الشرَّ. وحقيقةُ الوعدِ: هو الإخبارُ عن خيرٍ ينالهُ المُخبَرُ في المستقبلِ، أو شرٍّ، وخُلفُ الوعدِ الذي هو الخيرُ: غيرُ مُستحسَنٍ من الجوادِ المطلَقِ بل غيرُ جائزٍ؛ لأنَّه قبيحٌ تعالى اللهُ عن ذلكَ عُلوًّا كبيرًا، ولكن يجوزُ خُلفُ بعضِ الوعيدِ؛ لكونهِ حَسَنا في الجملةِ، كقولِ الشّاعرِ:

وإنِّي إذا أوعدتُهُ أو وَعَدتُهُ لَمُخلِفُ إيعادي ومُنجزُ مَوعِدي[2]

وقد بيَّنَّاهُ مفصّلًا في تفسيرِ قولِهِ تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[3]؛ ردًّا لمذهبِ الوعيديةِ ومَن يحذو حذوَهُم. وموسى: اسمٌ مركَّبٌ من اسمينِ باللّغة القبطيّةِ: فـ(مُو) هوَ: الماءُ، و(سى) هوَ: الشجرُ؛ وسُمّيَ بذلكَ لأنَّ التابوتَ الذي كانَ فيه موسى وُجِدَ عند الماءِ والشجرِ، وَجدَهُ آسيةُ امرأةُ فرعَونَ أو جواريها وقد خَرجنَ لِيغتَسلنَ بالمكانِ الذي وُجِدَ فيه.

وفي كتابِ العللِ: في باب العلّةِ التي من أجلِها سُمِّيَ موسى موسى: بإسنادِهِ إلى مقاتَلِ بن سليمانَ يقولُ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى باركَ موسى بن عِمرانَ عليه السلام في بطنِ أُمّهِ بثلثمائةٍ وستّينَ بركةً فالتقطَهُ فِرعَونُ من بينِ الماءِ والشّجرِ وهو التابوتُ، فمِن ثَمَّ سُمِّيَ موسى وبلغةِ القِبطِ الماءُ: مُو، والشّجَرُ: سى، فسَمُّوهُ موسى لذلكَ[4]. انتهى.

---

(١) سورة الحج ٢٢: ٧٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو لعامر بن الطفيل. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٩٢، وشرح الاشموني على ألفية ابن مالك: ١: ٢٠.

والشاهد فيه: جعله خُلف الوعيد مفخرة يفتخر بها.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٤.

(٤) علل الشرائع: ١: ٥٦.

فعلى هذا يكونُ موسى غيرَ مُنصرِفٍ للعلميَّةِ والعُجمةِ والزّيادةِ على الثلاثةِ، (ووزنُهُ: فُعلَل كجُخدَب عندَ الأخفشِ، فيكونُ جميعُ حروفِهِ أصليّةً، وحينئذٍ إذا نُكِّرَ صُرِفَ كما في لكلِّ فِرعَونٍ موسًى، وقال أبو عمرو بنُ العلاء: وزنُهُ مُفعَلٌ بدليلِ انصرافهِ بعد التّنكيرِ، وفُعلى لا يَنصرفُ على كلِّ حالٍ، وقالَ أيضًا: إنَّ مُفعَلًا أكثرُ من فُعلى، فحَملُ الأعجميّ على الأكثرِ أولى)[1]، انتهى.

وهو ممنوعٌ؛ لأنَّ فُعلى يجيءُ مُؤنّثًا لكلِّ أفعل التفضيلِ، ومُفعَلٌ لا يجئُ إلَّا من بابِ أفعَلَ يُفعِلُ فهوَ عندهُ يَنصرفُ بعد التنكيرِ. وقال الكسائيُّ: (هو فُعلى فينبغي أن تكونَ ألفُهُ للإلحاقِ بِجُخدبٍ وإلّا لوجَبَ منعُ صرفِهِ بعد التنكيرِ؛ لأنّ فُعلى مؤنَّثًا لا ينصَرِفُ على جميعِ الأحوالِ)[2].

وأمَّا موسى الحديدُ فهوَ عند البصريّينَ مُفعَلٌ من أوسَيتُ، أي: حَلقتُ، وهو اشتقاقٌ ظاهرٌ، وهو مؤنّثٌ سماعيّ كالقِدرِ والنّارِ والدّارِ، قال:

فإن تَكنِ الموسى جَرت فوقَ بَظرِها فما اختَتَنَت إلَّا وَمصَّانُ قاعِدُ[3]

فهيَ مُنصرفَةٌ قبلَ العلميَة غيرَ منصرفةٍ معَها كعَقرَب، ثم تنصَرِفُ بعد التنكيرِ، (وقال أبو سعيدٍ الأمويّ هو: مُذكَّرٌ؛ لكونهِ مُفعَلًا، وقال أبو عبيدة: لم يُسمَعُ التذكيرُ فيهِ إلَّا منَ الأمويِّ، وجَوَّزَ السِّيرافيُّ[4] اشتقاقهُ من أَسَوتُ الجرحَ أي: أصلحتُهُ وداويتُهُ، فأصلُه مُؤسَوٌ بهمزِ الفاءِ مُفعَلٌ أيضًا)[5]، وقال الفرّاءُ وسائرُ الكوفيّين: هو فُعلى من ماسَ يَميسُ إذا تَبختَرَ فلا ينصرفُ في كلِّ

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرّضي: ٢: ٣٤٨.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرّضي: ٢: ٣٤٩.

(٣) البيت من الطويل، لزياد الأعجم. ينظر: لسان العرب: ٧: ٩١، والمخصص: ٥: ١٧، ونسبه الرضي في شرح الشافية: ٢: ٣٤٨، للأعشى.

والشاهد فيه: مجيء (موسى) مؤنثًا.

(٤) أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان: نحوي، عالم بالأدب، سكن بغداد، وتولى نيابة القضاء فيها، كان معتزليًّا، متعفّفا، ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها، من كتبه: الاقناع في النحو، و أخبار النحويين البصريين، و صنعة الشعر، توفي سنة (٣٦٨هـ). سير اعلام النبلاء: ١٦: ٢٤٧، ترجمة رقم: ١٧٤، والاعلام: ٢: ١٩٥.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب للرضي: ٢: ٣٤٨.

حالٍ؛ لكونهِ كالبُشرى والحُبلى وهو عندَهم من الميسِ؛ لأنَّ المَزِّينَ يتبختَرُ[1]، فأصلُهُ مُيسى قُلِبت الياءُ واوًا لسكونِها وانضمامِ ما قبلِها، كما بيَّنَّاه مفصَّلًا في توشيحِ الوافيةِ في شرحِ نظمِ الشافيةِ.

ذكرُ نسَبِ موسى عليه السلام: [٣٢٨]

وهو موسى بنُ عمرانَ بنُ يصهرَ بنُ فاهثَ بنُ لاوي بنُ يعقوبَ بنُ إسحقَ بنُ إبراهيمَ عليه السلام.

تحقيقُ مقامٍ لإزالةِ إبهامٍ:

وإنَّما قالَ أربعينَ ليلةً؛ لأنَّ اللياليَ غُرَرُ الشهور فأوَّلُ كلِّ شهرٍ أوَّلُ ليلةٍ منه؛ فلذلكَ أُرِّخت بالليالي وغُلِّبَت على الأيّامِ واُكتفِيَت بذكرِ الليالي عن الأيّامِ، يقالُ: لخمسٍ خَلونَ ولعشرٍ بقينَ، وقالَ الله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2] أي: عشرَ ليالٍ، والليلةُ شرعًا: الوقتُ الكائنُ من غروبِ الشمسِ إلى طلوعِ الفجرِ الثاني. واليومُ: من طلوعِ الفجرِ الثّاني إلى غروبِ الشمسِ، وقد يُطلَقُ الليلُ على الوقتِ الكائنِ من منتصفِ النّهارِ الشرعيِّ إلى منتصفِ الليلِ، أعني: من عندِ وصولِ مركزِ الشمسِ في نقطةِ زوالِ النهارِ من دائرةِ نصفِ النهارِ إلى وصولهِ إلى نقطةِ دائرةِ نصفِ الليلِ، والنّهارُ يُطلَقُ على منتصفِ الليلِ الشّرعيِّ إلى منتصفِ نهارِه، كما هوَ اصطلاحُ أهلِ التنجيمِ.

وعلى هذا الاطلاقِ يندفعُ الإشكالُ المشهورُ الناشئُ من الآيةِ والحديثِ، ويقالُ ليلةٌ ليلاءَ وليلٌ أليَلُ: إذا اشتدَّت ظلمَتُها، وتصغيرُ ليلةٍ على لُيَيلِيَّةٍ بزيادةِ الياءِ بعد اللامِ الثانيةِ على خلافِ القياسِ كأُنَيسِيَّان في تصغيرِ الإنسانِ، فكَأَنَّها تصغيرُ ليلاةٍ كما بُيِّن في موضعِه.

اتَّخذَ: افتعَلَ، مِن: تَخِذَ يتَخذُ كعَلِمَ يَعلَمُ، وهي الفصحى حينئذٍ، وليس اتَّخذ من أَخذَ؛ لأنَّ التاءَ لا تُبدَل من الهمزةِ وكذا لا تُبدَل التاءُ من الياءِ المُبدَلةِ من الهمزةِ كما بُيِّن في موضعِهِ فاذا بُنيَ افتعَلَ من أخذَ يُقالُ: ايتَخذَ بقلبِ الهمزةِ الثانيةِ الساكنةِ المكسورةِ ما قبلَها ياءً مع بقاءِ الياءِ من غيرِ إدغامِها في التاءِ؛ لأنَّ الياءَ المنقلبةُ من الهمزةِ أو من الواوِ لا يجوزُ قلبُها بالتاءِ وإدغامِها كما بُيِّن في موضعِه. يقالُ: اتَّعَد واتَّسَر، أصلُهما: اوتَعَد وايتَسَر قُلِبت الواوُ والياءُ الأصليتانِ تاءً وادغِمَت التاءُ في التاءِ،

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرّضي: ٢: ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٣٤.

وأما إذا قيل في اوتَعَد ايتَعَد بقلبِ الواوِ ياءً فلا يجوزُ فيهِ اتَّعدَ بالإدغام، ومثل ايتعَدَ: ايتَخَذَ من أَخَذَ في عدمِ جوازِ الإدغامِ في اللغةِ الفصحى، ومثلُهُ ايتكَلَ وايتَزَرَ من الأكلِ والأزارِ، وأمَّا اتَّكَلَ واتَّزَرَ فشاذٌّ غيرُ فصيحٍ.

قال المراديُّ: فالتاءُ فيهما أُبدِلَت من الياءِ المُبدَلَة من الهمزةِ، واللغةُ الفصحى في ذلكَ عدمُ الإبدالِ والإدغامِ ، (وحُكِيَ عن البغداديِّين: أنَّهم أَجازوا الإبدالَ في ذي الهمزِ وحَكَوا من ذلكَ ألفاظًا وهي: اتَّزَر واتَّمَن من الإزارِ والأمانةِ، واتَّهَل من الأهلِ، واتَّكَل من الأكلِ، ومنهُ عندَهم اتَّخَذَ منَ الأخذِ، وقالَ بعضُهم هي لغةٌ رَديَّةٌ متنازَعٌ في صحةِ نقلِها، قال أبو عليٍّ[1]: هذا خطأٌ في الروايةِ فإن صحَّت فإنها سُمِعَت من قومٍ غيرِ فصحاءَ لا ينبغي أن يُؤخَذ بلغتِهم، ولم يَحكِ هذا سيبويه ولا الأئمَّةُ المقتَدَونَ العارفونَ بالصيغةِ ومجرى النّقلِ)[2].

وما وقعَ في حديثِ عائشةَ: (كانَ رسولُ الله ﷺ يأمرُني إذا حِضتُ أن أتَّزِر)[3] بالإدغامِ فليسَ بفصيحٍ، وقال الشيخُ جمالُ الدين[4] في هذا المحلِ: (إنَّك تقولُ في افتَعَلَ منَ الأزارِ: ايتَزَرَ بإظهارِ الياءِ المبدَلةِ من الهمزةِ؛ لأنَّه لا يجوزُ حينئذٍ إبدالُ الياءِ تاءً وإدغامَها في التاءِ لأنَّ هذهِ الياءَ بدلَ من همزةٍ وليست أصليّة، وقال: إنَّ قولَ عائشةَ أن ءاتَزِر بهمزةٍ فألفٍ وإنَّ عوامَ المحدِّثين يحرِّفونَهُ ويقولونَ: أن اتَّزِر)[5].

والعِجلُ: ولدُ البقرةِ، كالعَجولِ من العَجَلةِ كأنَّهم عَجَّلوا فاتَّخذوهُ إلهًا قبلَ أن يأتيَهم موسى من ميقاتِ ربِّهِ.

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل: أحد الأئمة في علم العربية، كان متهما بالاعتزال، وله شعر قليل . من كتبه (التذكرة) في علوم العربية، و(تعاليق سيبويه)، و(الشعر)، من تلامذته أبو الفتح بن جني، وعلي بن عيسى الربعي، توفي سنة (٣٧٧هـ). ينظر: سير اعلام النبلاء:١٦: ٣٧٩، ترجمة رقم: ٢٧١، والاعلام: ٢: ١٨٠.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: ٣: ١٦١٩.

(٣) سنن الترمذي: ١: ٨٩، حديث رقم: ١٣٢، والسنن الكبرى: ٥: ٣٥٢، حديث رقم: ٩١٢٨.

(٤) أي: المحقِّقُ التّفتازانيّ.

(٥) شرح التصريح على التوضيح: ٢: ٧٣٧.

الإعرابُ:

(الواوُ): للعطفِ، و(إذ): مفعولٌ بهِ لـ(اذكروا) كما مرَّ بيانهُ، وجملةُ: (واعدنا): مضافٌ إليها، و(موسى): مفعولٌ أوّلٌ لـ(واعَدنا)، و مفعولهُ الثاني إمَّا محذوفٌ، والتقديرُ: واعدنا موسى أن نُعطيَهُ التورةَ، أي: إعطاءَ التوراةِ بعدَ أو عندَ انقضاءِ أربعينَ ليلةً، أو على رأسِ أربعينَ ليلةً وهو تمامُ الميقاتِ، وحينئذٍ (أربعينَ): ظرفٌ للمحذوفِ المعهودِ، أعني: أن نعطيَهُ، وهذا هوَ الأصحُّ، وأمَّا (أربعينَ) نفسَهُ: مفعولهُ الثاني على تقديرِ حذفِ المضافِ، والتقديرُ: واعدنا موسى انقضاءَ أربعينَ ليلةً، أو تمامَ أربعينَ فحُذِف المضافُ كما يقالُ: اليومُ خمسةُ عشرَ من الشهرِ، أي: تمام خمسةَ عشرَ. وقال في المجمع: «لا يجوزُ أن يكونَ (أربعينَ ليلةً) ظرفًا لِـ(واعدنا)؛ لأنَّ ليسَ فيها كلّها، فيكونُ جوابُ (كم)، ولا في بعضِها فكانَ يكونُ جوابًا لـ(متى)، وإنَّما الموعدُ تقَضّي الأربعينَ، وإذا لم يكن ظرفًا كانَ انتصابُهُ بوقوعِهِ موقعَ المفعولِ الثاني، والتقديرُ وواعدنا موسى انقضاءَ أربعينَ ليلةً أو تَتمَّةَ أربعينَ ليلةً فحُذِفَ المضافُ»[1] ، انتهى. [٣٢٩]

وما ذكرناهُ أوَّلًا هو الأصحُّ، وموافقٌ للحديثِ وتفسيرِ الإمامِ عليه السلام[2].

وأمَّا انتصابُ (أربعينَ ليلةً) في قولهِ تعالى:﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3] فعلى التمييز بهِ؛ لأنَّ الميقاتَ هو الأربعينَ وهو ميقاتٌ وموعدٌ فيكونُ من قبيلِ قولهِم: تمَّ القومُ أربعينَ رجلًا، والمعنى تمَّ القومُ معدودينَ هذا العددِ، وتمَّ الميقاتُ معدودًا هذا العددِ، وقولهِم الموصولُ ما يُتمُّ جزءًا بصلَةٍ و عائدٍ، ويجوزُ أن يكونَ (أربعينَ ليلةً) خبرًا لقولهِ: تمَّ، على أن يكونَ من الأفعالِ الناقصةِ كما بُيِّنَ في موضعهِ.

وقد يُطلَقُ الميقاتُ على مكانِ الميعادِ وموضعهِ على سبيلِ الاستعارةِ كما في مواقيتِ الحجِّ، وقد يُطلَق المكانُ والموضعُ على الوقتِ. و(ليلةً) في الآيتين: تمييزٌ لأربعينَ على جميعِ التقاديرِ؛ لكونِ

(١) مجمع البيان: ١: ٢١١.

(٢) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٥٠.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٤٢.

الأربعينَ اسمًا تامًّا بنونِ شبهِ الجمعِ؛ لأنَّ التميزَ لا ينتصِبُ عن مفردٍ إلّا عن تامٍّ، والذي يتمُّ به المفردُ أربعةُ أشياءٍ: التّنوينُ، ونونُ التّثنيَةِ، ونونُ الجمعِ وشِبهِهِ، والإضافةُ، كما بُيِّن في النحوِ(١).

(ثمَّ): حرفُ عطفٍ للترتيبِ والتراخي. و(اتَّخذ): تارةً يُستعمَل متعدّيًا إلى مفعولٍ واحدٍ كقولهِ تعالى:﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾(٢) ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً﴾(٣) وأخرى إلى مفعولينِ كقولهِ تعالى حكايةً عن الطاغينَ:﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾(٤)، وقولهِ تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾(٥)، وقولهِ تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾(٦)، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾(٧)، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾(٨)، ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾(٩)، وهذا الاستعمالُ أكثرُ من الأوَّلِ وهو فيما نحنُ فيه كذلكَ، فـ(العجلَ) مفعولهُ الاوَّلُ، ومفعولهُ الثاني محذوفٌ، والتقديرُ: ثمَّ اتَّخذتُم العجلَ إلهًا أو معبودًا، ولا يجوزُ أن يكونَ هنا متعدّيًا إلى مفعولٍ واحدٍ؛ ولأنَّ عملَ صورةِ العجلِ وإن كان حرامًا إلّا أنَّهم لا يستحقّونَ بمَحضِ جعلِهِ وبنفسِ فعلِهِ الغضَبَ والنَّكَالَ من اللهِ عزَّ وعَلا والتّشديدِ العظيمِ.

المعنى:

لمّا عادَ موسى وبنو إسرائيل إلى مصرَ بعد هلاكِ فرعَونَ وقومهِ وعَدَ الله سبحانهُ موسى أن يُؤتيَهُ التورةَ وعيَّنَ له ميقاتًا هو أربعونَ ليلةً: ذو القعدةِ وعشرٌ من ذي الحجّةِ فقالَ: **﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾**، أي:

---

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢: ٥٨.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ١٦.

(٣) سورة مريم ١٩: ٨١.

(٤) سورة ص ٣٨: ٦٣.

(٥) سورة التوبة ٩: ٢٣.

(٦) سورة الممتحنة ٦٠: ١.

(٧) سورة التوبة ٩: ٣١.

(٨) سورة المجادلة ٥٨: ١٦.

(٩) سورة النساء ٤: ١٢٥.

اذكروا يا بني إسرائيل إذ واعَدنا ﴿مُوسَى﴾ أن نعطيَهُ الألواحَ التي فيها التّوراةُ والبيانُ والشفاءُ والشرائعُ والأحكامُ على رأسِ ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أو عندَ انقضاءِ أربعينَ ليلةً، فخلَفَ موسى أصحابَهُ واستخلَفَ عليهم أخاهُ هارونَ فمكَثَ على الطّورِ أربعينَ ليلةً، وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ التوراةَ في الألواحِ، وهذه أربعونَ ليلةً هي التي ذكرها في سورةِ الأعرافِ: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ﴾[1] الآيةُ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا أو معبودًا كما مرَّ بيانهُ في ذكرِ الإعرابِ.

قال في المجمعِ: «لأنّهم بنفسِ فعلِهم لصورةِ العجلِ لا يكونونَ ظالمينَ؛ لأنَّ فعلَ ذلكَ ليسَ بمحظورٍ وإنّما هو مكروهٌ، وأمّا الخبرُ الذي رُويَ أنّه ﷺ لعَنَ المصوِّرينَ[2] فالمرادُ بهِ: مَن شبَّهَ اللهَ بخلقهِ أو اعتقدَ فيهِ أنّه صورةٌ»[3]، انتهى، فيهِ ما لا يخفى؛ لإجماعِ العلماءِ على تحريمِ عملِ الصورِ المجسَّمةِ وذواتِ الأرواحِ، وبعضُهُم قالَ بتحريمِ عملِ الصّورِ مطلقًا سواءُ كانت من ذواتِ الارواحِ أو من الصورِ المنقوشةِ على الوسادةِ والجدارِ والورقِ[4]، وحينئذٍ لا يحتاجُ الحديثُ إلى التأويلِ. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: بعدَ غيبتهِ عنكم وخروجهِ إلى الطورِ لميقاتِ ربِّه وانتظارهِ فيهِ لإنزالِ التّوراة، كما قالَ تعالى في سورةِ طه: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[5] .

[٣٣٠]

وقال في المجمعِ: «وقيلَ من بعدِ وعدِ الله إيّاكم بالتّوراة، وقيلَ من بعدِ غَرَقِ فرعَونَ وما رأَيتم من الآياتِ، والكلُّ مُحتَملٌ»[6]. انتهى؛ لأنَّ جميعَ ذلكَ قبلَ غيبةِ موسى عليه السلام عنهم وخروجَهُ إلى الطورِ.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٤٢.

(٢) ينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤: ٢٩٧ ، و وسائل الشيعة: ٧: ٢٩٧، حديث رقم: ٢٢٥٧٤، إذ جاء في الحديث: نهى رسول الله ﷺ عن التّصاوير ، وقال: «من صوّر صورةً كلّفهُ اللهُ تعالى يومَ القيامةِ أن ينفخَ فيها، وليسَ بنافخٍ».

(٣) مجمع البيان: ١: ٢١٢.

(٤) ينظر: النهاية ونكتها: ١: ٧٢، ومسالك الافهام: ٣: ١٢٦، ولمن أراد التفصيل في المسألة فليراجع جواهر الكلام: ٢٢: ٤١ ـ ٤٤.

(٥) سورة طه ٢٠: ٨٥.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢١٢.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ على أنفسِكم بما استحقَقتُم من النّكالِ والعذابِ على اتِّخاذِكم العجلَ إلهًا مستقلًا أو شريكًا للإلهِ، أو كونَه تعالى حالًّا فيهِ كَما اعترفَ به السّامريُّ، في ما يجيءُ في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام[1].

في أصولِ الكافي بإسنادِهِ إلى الفضيلِ بن يسار عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قلتُ لهذا الأمر وقتٌ؟ فقال: « كذَبَ الوقّاتون كذَبَ الوقّاتون، إنَّ موسى عليه السلام لَمّا خرجَ وافدًا إلى ربِّه واعدَهم ثلاثينَ يومًا فلمّا أن زادَهُ الله على الثلاثين عشرًا قالَ قومهُ: قد أخلفَنا موسى فصَنَعوا ما صَنعوا، فإذا حدَّثناكم الحديثَ فجاءَكم على ما حَدَّثنا فقولوا صدَقَ الله، وإذا حدَّثناكم الحديثَ فجاءَ على خِلافِ ما حدَّثنا بهِ فقولوا صدَقَ الله تُؤجَروا مرتينِ »[2].

القصّةُ:

قالَ في المجمعِ: (رُويَ عن ابنِ عبّاس قالَ: كانَ السامريُّ من أهلِ باجرم، قيلَ كان اسمهُ مِيحا، وقالَ ابنُ عبّاس: اسمهُ موسى بن زفَر، وكان من قومٍ يعبدونَ البقرَ وكان حبُّ عبادةِ البقرِ في نفسهِ، وقد كان أظهرَ الإسلامَ في بني إسرائيلَ، فلمّا قصدَ موسى إلى ربهِ وخلَفَ هرونَ في بني إسرائيل قال هارونُ لقومهِ قد حُمِّلتم اوزارًا من زينةِ القومِ آلِ فرعَونَ فتَطَهَّروا منها فإنَّها نَجَسٌ، يعني: إنّهم استعاروا من القِبطِ حُليًّا واستبدُّوا بها، فقالَ هارونُ: طَهّروا أنفسَكُم منها فإنّها نَجِسةٌ، وأوقَدَ لهم نارًا فقالَ اقذفوا ما كانَ معكم فيها، فجَعلوا يأتونَ بما معَهم من تلكَ الامتعةِ والحليِّ فيقذفون بهِ فيها، قال: وكان السامريُّ رأى أثَرَ فرسِ جبرئيلَ عليه السلام فأخَذَ ترابًا من أثَرِ حافرهِ ثمَّ أقبلَ إلى النّارِ، فقال لهارونَ: يا نبيَّ الله ءأُلقي ما في يَدي؟

قال: نعم وهو لا يدري ما في يدهِ ويَظُنُّ أنَّه ممَّا يجيءُ بهِ غيرهُ من الحليِّ والأمتعةِ فقذفَ فيها وقالَ: كن عِجلًا جَسَدًا لهُ خوارٌ، فكان البلاءُ والفتنةُ، فقال: هذا إلهُكم وإلهُ موسى فعَكَفوا عليهِ وأحَبُّوهُ حُبًّا لم يحبُّوا مثلَهُ شيئًا قطّ. وقالَ الحسنُ: صار العجلُ لحمًا ودمًا، وقال غيرهُ: لا يجوزُ ذلك؛ لأنَّه من معجزاتِ الانبياءِ، ومن وافقَ الحسنُ قالَ: إنَّ القبضةَ من أثَرِ الملكِ كانَ الله قد أجرى العادةَ بأنَّها إذا طُرِحَت على أي صورةٍ كانت حَييَت فليس ذلكَ بمعجزةٍ، إذ سبيلُ السّامريِّ فيه كسبيلِ غيرِهِ،

---

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٥١.

(٢) الكافي: ١: ٣٦٩، حديث رقم: ٥.

ومَن لم يُجز انقلابهُ حيًّا تأوَّل الخوارَ على أنَّ السّامريَّ صاغَ عِجلًا وجعلَ فيهِ خُروقًا تدخلُها الريحُ فيخرجُ منها صوتٌ كالخوارِ ودعاهُم إلى عبادتِهِ فأجابوهُ وعبَدوهُ»(١) انتهى.

ذكرُ ما يُنافي قولَ الحسنِ البصريِّ:

أقولُ: يُنافي قولَ الحسنِ البصريِّ ما في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام حيثُ قالَ: «كان موسى بن عمرانَ يقولُ لبني إسرائيلَ: إذا فرَّجَ الله تعالى عنكم وأهلَكَ أعداءَكم آتيتُكُم بكتابٍ من ربِّكم يشتملُ على أوامرِهِ ونواهيهِ ومواعظهِ وعبرِهِ وأمثالِهِ، فلمَّا فرَّجَ عنهم أمرَهُ الله عزَّ وجلَّ أن يأتيَ الميعادَ ويصومُ ثلاثينَ يومًا، فلمّا كان آخِرَ اليومِ استاكَ قبلَ الفِطرِ فأوحى الله عزَّ وجلَّ يا موسى أما عَلمتَ أنَّ خَلوفَ فَمِ الصائمِ أطيبُ عندي من ريحِ المسكِ، صُم عَشرًا ولا تَستَك عندَ الافطارِ، ففعَلَ ذلك موسى عليه السلام فكانَ وعد الله عزَّ وجلَّ أن يؤتيَهُ الكتابَ بعد أربعينَ ليلةً فأعطاهُ ايَّاهُ، فجاءَ السامريُّ فشبَّهَ على مستضعفي بني إسرائيل وقال: وعدَكُم موسى أن يرجعَ إليكم بعدَ أربعينَ وهذهِ عشرون ليلةً وعشرون يومًا تمَّت أربعونَ، اخطأَ موسى ربَّهُ وقد أتاكم ربُّكم أرادَ أن يُريكَم أنَّه قادرٌ على أن يدعوكم إلى نفسِهِ بنفسِهِ وأنَّه لم يبعث موسى لحاجةٍ منهُ اليهِ، فأظهَرَ لهم العجلَ الذي كان عملَهُ، فقالوا له: فكيفَ يكونُ العجلُ إلهَنا؟

قال لهم: إنَّما هذا العِجلُ يُكلِّمُكم منهُ ربُّكم كما كَلَّمَ موسى منَ الشجرةِ، فالإلهُ في العجلِ كما كانَ في الشجرةِ، فضَلُّوا بذلكَ وأضلُّوا. فقال موسى: يا أيّها العِجلُ أكان فيكَ ربُّنا كما يزعمُ هؤلاءِ؟ فنطَقَ العِجلُ وقالَ: عزَّ ربُّنا عن أن يكونَ العجلُ حاويًا لهُ، أو شيءٌ من الشجرةِ والأمكنةِ عليهِ مشتملًا، لا واللهِ يا موسى ولكنَّ السامريَّ نصَبَ عِجلًا مؤخِرَهُ إلى حائطٍ وحفرَ في الجانبِ الآخَرِ الأرضَ وأجلَسَ فيهِ بعضُ مَرَدَتِه فهو الذي وضَعَ فاهُ على دُبرِه وتكلَّم بها تكَلَّمَ، قالَ: هذا إلهُكم وإلهُ موسى، يا موسى ما خَذَل هؤلاءِ بعبادتي واتِّخاذي إلهًا إلَّا لِتهاونِهم بالصّلاةِ على مُحمّدٍ وعليٍّ فما تخافونَ من الخذلانِ الأكبرِ في معانَدَتِكم لهما وقد شاهدتمُوهما وتبيَّنتُم آياتِهما ودلائلِهما»(٢).

(١) مجمع البيان: ١: ٢١٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤٨-٢٥٢.

[٣٣١] ولكن يناسِبُهُ في الجملةِ ما في تفسيرِ عليّ بن إبراهيم: (أنَّ بني إسرائيل لَمَّا ذهَبَ موسى إلى الميقاتِ ليأتيَهم بألواحِ التّوراةِ ووعدَهُم الرجعةَ بعد ثلاثينَ يومًا فعندَما انتهتِ الثلاثونَ يومًا ولم يرجِع موسى إليهم جاءَهم إبليسُ في صورةِ شيخٍ وقالَ لهم: أنَّ موسى قد هَرَبَ ولا يرجِعُ إليكم أبدًا فاجمَعوا لي حليِّكم حتَّى اتَّخذ لكم الهًا تعبدونَهُ، وكان السامريُّ يومَ غَرقِ الله فرعَونَ وأصحابَه على مُقدمةِ موسى وهو من خِيارِ مَن اختصَّهُ موسى فنظَرَ السّامريُّ إلى جبرئيلَ عليه السلام وهو على مركوبٍ في صورةِ رمكةٍ[١]، فكانت كلَّما وضَعَت حافرَها على موضِعٍ من الأرضِ تحرَّكَ موضِعُ حافرِها فجَعَلَ السّامريُّ يأخُذُ الترابَ من تحتِ حافرِ رمكةِ جبرئيلَ فَصَرَّه في صُرَّةٍ وحفظَهُ، وكانَ يفتخِرُ به على بني إسرائيلَ، فلمَّا اتَّخذَ إبليسُ لهم العجلَ قال للسامريِّ: هاتِ الترابَ الذي عندَكَ فأتاهُ به فألقاهُ في جَوفِ العجلِ فتحرَّكَ وخارَ ونَبَتَ له الوبرُ والشّعرُ، فسَجَدَ بنو إسرائيل للعِجلِ، وكان عددُ مَن سجَدَ له سبعينَ الفًا)[٢]، انتهى. وفي عيونِ الأخبارِ عن الرّضا عليه السلام عن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ، وفيهِ: وسأَلَهُ عن الثّورِ ما بالُهُ غاضٌّ طرفُهُ لا يرفعُ إلى السّماءِ؟ قالَ: « حياءٌ من الله تعالى لمّا عبَدَ قومُ موسى العِجلَ نكَسَ رأسَهُ»[٣].

وفي الخصالِ عن الصّادقِ عليه السلام مثلَهُ بتغييرٍ يسيرٍ[٤].

قولُهُ تعالى: ﴿ **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

العفوُ والسّترُ والصّفحُ والمحوُ والمغفرةُ والتّجاوزُ نظائرٌ، وقالَ ابنُ الأنباري: عفا اللهُ عنكَ، معناهُ: محا اللهُ عنكَ، مأخوذٌ من قولِهم: عفَتِ الريحُ الأثَرَ: إذا درسَتهُ وطَمَستهُ ومحَتهُ، فَعفو الله محوُه الذّنوبَ عن العبدِ. وفي حديثِ الزّكاةِ: « قد عَفَوتُ عن الخيلِ والرَّقيقِ فأدُّوا زَكاةَ أموالِكم»[٥]،

(١) الرمكة: الفرس والبرذونة تُتَّخذ للنّسلِ. العين: ٥: ٣٧٠ (رمك). والبرذون: الدابّة. الصحاح: ٥: ٢٠٧٨ (برذن).

(٢) تفسير القمّي: ٢: ٦١، ٦٢، مع تغيير طفيف.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢١٩.

(٤) ينظر: الخصال: ٤٠٧، حديث رقم: ٥.

(٥) السنن الكبرى: ٢: ١٩، حديث رقم: ٢٢٥٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٦٥.

أي: تركتُ أخذَ زكاتِها وتجاوزتُ عنهُ، ومنهُ الحديث: «سلوا الله العفوَ والعافيةَ والمعافاةَ» [1]، فالعفوُ: محوُ الذنوبِ، ومن أسماءِ الله تعالى: العافي، والعفوُّ، أي: الماحِي المتجاوِزُ عن ذُنوبِ عبادهِ. والعافيةُ أن تسلمَ منَ الأسقامِ والبلايا: وهي الصّحّةُ وضدُّ المرضِ، والعافيةُ أيضًا: دفاعُ الله عن العبدِ، يقالُ: عافاهُ اللهُ منَ المكروهِ معافاةً وعافيةً: وَهَبَ له العافيةَ من البلايا والعللِ كأعفاهُ، والمعافاةُ أن يُعافيكَ اللهُ تعالى من النّاسِ ويعافِيهم منكَ، أي: يُغنيك عنهم ويُغنيهم عنكَ ويَصرفُ أذاكَ عنهم وأَذاهم عنكَ. وقال الرمّاني: العفوُ: التّركُ، ومنه قولهُ تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [2]، أي: تُركَ العقوبةُ.

والعفوُ: أحلُّ المالِ وأطيبُهُ، وخيارُ الشّيءِ وأجودُهُ، والفضلُ وما لا يبلغُ منهُ الجهدَ بل ما يكونُ زائدًا عن مَؤنةِ اليومِ والليلِ، قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [3]، أي: أحلُّ المالِ وأطيبُهُ وأجودُهُ، وما فَضُلَ عن النّفقةِ اليوميةِ وما لا يبلغُ إنفاقُه منه الجهدَ واستفراغَ الوِسعِ. والعفُو: النّموُّ والكثرةُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا﴾ [4] الآية، أي: أزَلنا عنهم ما كانوا فيهِ منَ البلاءِ والمحنةِ والجدبِ، ووَضعنا مَكانَها الحسنةَ، أي: الرّخاءَ والسّعةَ والصّحّةَ حَتّى عفَوا، أي: كَثَروا ونَموا في أنفسِهم وأموالِهم، مِن قولِهم: عَفا النباتُ والشّحمُ والوَبرُ إذا كثُرت، ومنه قولهُ ﷺ: «حُفُّوا الشّواربَ واعفوا اللِّحى» [5] وهو توفيرُ شعرِ اللِّحى، والعافي: الزائدُ والشّعرُ الطويلُ، وكلُّ طالبِ فضلٍ أو رزقٍ كالمُعتَفى، الجمعُ: العُفاةُ والمُعتفون، والعافيةُ من الانسانِ، والطيرُ والدّوابُّ: طُلّابُ الرزقِ، والجمعُ العوافِيَ، ومنه

(١) السنن الكبرى: ٦: ٢٢٠، حديث رقم: ١٠٧١٧، وبحار الأنوار: ٨٣: ٥٢، حديث رقم: ٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٧٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢١٩.

(٤) سورة الاعراف ٧: ٩٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٣٠، حديث رقم: ٣٢٩.

الحديث: «مَن غَرَسَ شجرةً مُثمِرةً فما أكلَتِ العافيةُ منها إلّا كُتِبَ لهُ صدَقةٌ»(١) والعَفاءُ بالمدِّ كـ(سماءٍ): التّرابُ والبياضُ على الحَدَقةِ والدّروسُ كالعَفوِ والمَطرُ، وبالكَسرِ: ما كَثُرَ من ريشِ النَّعامِ، والاستعفاءُ: طلبكَ مَن يُكلِّفكَ أن يعفيَكَ منهُ، ويقالُ: أعفى: إذا أنفقَ العَفوَ من مالِهِ، و العَفوَةُ: الدِّيَةُ، والعَفوُ: السّهلُ المُتيسّرُ منَ الأخلاقِ.

وفي حديثِ الزّبيرِ: (أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ أن يأخذَ العَفوَ من أخلاقِ الناسِ وأفعالِهم)(٢) أي: السّهلَ المتيسِّرَ، يعني: أمرَهُ أن يحتملَ أخلاقَهم ويَقبلَ منها ما سَهُلَ وتيسَّرَ ولا يستقصي عنه، وهذا الحديثُ ايماضٌ إلى قولهِ تعالى في سورة الأعرافِ مخاطِبًا لنبيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾(٣) الآية، أي: خُذ من أفعالِ الناسِ وأخلاقِهم وما يتأتّى منهم من غيرِ كلفةٍ عليهم ولا تُداقِّهم، واقبلِ الميسورَ منهم، ومنه قولهُ ﷺ: « يسِّرُوا ولا تُعسِّروا»(٤)، أمرَ سبحانهُ بالتّسامحِ وتركِ الاستقصاءِ في القضاءِ والاقتضاءِ، وعن الصّادقِ ﷺ: « أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ بمكارمِ الأخلاقِ وليسَ في القرآنِ آيةٌ أجمَعُ لمكارمِ الأخلاقِ منها»(٥).

والعَفوَ: مثلثةُ ولدِ الحمارِ، وفي النهايةِ: وفي حديثِ أبي ذرٍّ: (أنَّه تركَ أتانينِ وعفوًا، العِفو: بالكسرِ والضّمِّ والفتحِ: الجَحشُ، والأُنثى: العِفوةُ)(٦)، انتهى. [٣٣٢]

---

(١) لم يقف الباحث على نصّ الحديث الوارد في الأصل سوى في التبيان: ١: ٢٣٩، ومجمع البيان: ١: ٢١٤، وقد جاء في كتب الحديث نفس المعنى ولكن بألفاظ أخرى كقوله ﷺ: « مَن أحيا أرضًا ميتةً فهيَ لهُ، وما أكلَت العافيةُ فهوَ لهُ صدقةٌ». مسند أحمد: ٣: ٣٣٨، مسند جابر بن عبد الله، وصحيح ابن حبّان: ١١: ٦١٢، حديث رقم: ٥٢٠٠.

(٢) صحيح البخاري: ٥: ١٩٨، وسنن ابي داود: ٢: ٤٣٤، وبحار الأنوار: ٨٧: ٨٩، وقد جاء الحديث في نسخة الأصل بزيادة لفظ (وأفعالهم).

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٩٩.

(٤) مسند أحمد: ٣: ١٣١، مسند أنس بن مالك، وصحيح البخاري: ١: ٢٥.

(٥) عوالي اللئالي: ٢: ١٣٨، حديث رقم: ٣٧٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٦٧.

والشّكرُ: الاعترافُ بالنّعمةِ وإظهارُها مع ضربٍ منَ التّعظيمِ، ومن أسماءِ الله تعالى الشّكورُ، وهو الذي يزكو عنده القليلُ من أعمالٍ فيُضاعِفُ لهم الجزاءَ، فشكرهُ تعالى لعبادهِ قبولُ أعمالِهم ومغفرتِهِ لهم. والشّكورُ: من أبنيةِ المبالغةِ، قال تعالى:﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، يقالُ شكرتكَ وشكرتُ لكَ والثاني أفصحُ، أشكرُ شُكورًا بالضّمِّ وانا شاكرٌ وشَكورٌ بالفتحِ، والشّكرُ: مثلُ الحمدِ إلَّا أنَّ الحمدَ أعمُّ منه من وجهٍ؛ باعتبارٍ، فإنَّك تحمدُ الإنسانَ على صفاتِه الجميلةِ وعلى معروفهِ ولا تَشكرُ إلَّا على معروفهِ دونَ صفاتهِ، والشّكرُ: مُقابلةُ النّعمةِ بالقولِ والفعلِ والنيّةِ، أي: الاعتقادُ، فتُثني على المُنعِمِ بلسانِك وتُذيبُ نفسكَ في طاعتهِ وتعتقدُ أنَّهُ هو مَولاها، وقد بيَّنا الفرقَ بينَ الحمدِ والشّكرِ لغةً واصطلاحًا، وفي الحديثِ: « لا يشكرُ اللهَ مَن لا يشكرُ النّاسَ»[2]، قُرِئ: على رفعِ اسم الله ونصبهِ، فعلى الأوّلِ: معناهُ أنَّ اللهَ لا يقبلُ شكرَ العبدِ على إحسانهِ إليهِ إذا كانَ العبدُ لا يشكرُ إحسانَ الناسِ اليهِ ويَكفُرُ معروفَهم؛ لاتِّصالِ أحدِ الأمرينِ بالآخرِ، وعلى الثّاني: معناهُ إنَّ مَن لا يشكرُ الناسَ كانَ كمَن لا يشكرُ اللهَ وإن شَكرهُ، ويقالُ: شكَرَتِ الإبلُ تشكرُ إذا أصابَت مرعًى فسَمِنَت، والشَّكَرُ مُحرَّكةٌ: السِّمنُ والامتلاءُ، يقالُ: شِكَرَ الشاةُ بالكسرِ تشكَرُ شَكَرًا بالتّحريكِ: إذا سَمِنت وامتلأ ضَرعُها لبنًا، والشّكيرُ: الكثيرُ من شكيرِ الزرعِ، وهو ما ينبتُ منهُ صغارًا في أصولِ الكبارِ، والشَكْرُ بفتحِ الشّينِ فسكونِ الكافِ: الفَرجُ، ومنه الحديث:« إنَّهُ نهى عن شَكرِ البَغيِّ »[3]، أي: عن وطئِها، أو عن ثمنِ شَكرِها على حذفِ المضافِ، كقولهِ ﷺ:« نهى عن عَسبِ الفَحلِ»[4]، أي: ثمنَهُ.

الإعرابُ:

(ثمَّ): حرفُ عطفٍ، وهو في الأصلِ للتّرتيبِ مع التّراخي والانفصال، وجملةُ: (عفونا): عطفٌ على الجملةِ السّابقةِ ومُرتّبةٌ على اتّخاذِ العجلَ إلهًا، و(عنكم) و(من بعد ذلكَ): متعلّقانِ بعَفَونا،

---

(١) سورة سبأ ٣٤: ١٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٨٠، حديث رقم: ٥٨١٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٩٤.

(٤) صحيح البخاري: ٣: ٥٤، والخصال: ٤١٨، حديث رقم: ١٠.

وذلكَ إشارةٌ إلى اتِّخاذِ العِجلِ المدلولِ عليهِ من قولهِ اتَّخذتم العجلَ، وجملةُ (لعلَّكم تشكرون): من الحروفِ المشبَّهةِ بالفعلِ مع الاسمِ والخبر متعلِّقةٌ بـ(عفَونا) على جهةِ التعليلِ؛ لكي تشكروا لِما ذكرناهُ سابقًا في تفسيرِ قولهِ تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١)، أنَّ الرَّجاءَ والشكَّ بالنسبةِ إليهِ سبحانهُ مُحالٌ، فهو في كلامِهِ تعالى بالنسبةِ إليهِ سبحانهُ للتعليلِ، أي: خَلقَكم لتتَّقوهُ وتعبُدوهُ مثلَ قولهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) وهذا مثلُ قولِ القائلِ لِأجيرِهِ: اعمَلْ لَعلَّكَ تأخُذُ الأُجرةَ، وليسَ بذلكَ على شكٍّ وإنَّما يريدُ لِتأخُذَ أُجرَتَكَ، وقولُ الشاعرِ:

وقُلتُم لَنا كُفُّوا الحُروبَ لَعلَّنا ... نَكُفُّ ووَثَّقتُم لَنا كلَّ مَوثِقِ

فَلَمَّا كَففنا الحَربَ كانَت عُهُودُكُم ... كَلَمحِ سَرابٍ في المَلاَ مُتَألِّقِ(٣)

أرادَ: قُلتُم لنا: كُفُّوا الحُروبَ لِنكُفَّها؛ لأنَّه لو كانَ شاكًّا لما قالَ: ووَثَّقتُم لنا كُلَّ مَوثِقِ. [٣٣٣] فهيَ في كلامِهِ سبحانهُ للتّحقيقِ، وأمَّا بالنّسبةِ للعبادِ فيجوزُ أن يكونَ ترجّيًا لهم، وشَكًّا وإبهامًا عليهم.

المعنى:

﴿ثُمَّ﴾، أي: بعدَ مُضي مدةً من مخالفتِكم لأمري وأمرِ موسى نبيِّي واتِّخاذِكم العجلَ إلهًا وارتكابِكم الوزرَ واستحقاقِكم العقابَ **﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾**، أي: وضَعنا عنكم وعن أسلافِكم العقابَ استوجَبتُموهُ، ودفعناهُ عنكم وعن أسلافِكم حينَ تبتُم أنتُم وأسلافُكُم بقبولِ توبتِكم من عبادةِ العجلِ وسائرِ المعاصي، **﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾**، أي: من اتِّخاذِكم العجلَ إلهًا، وارتكابِكم ذلكَ الأمرَ الذي تكادُ السّماواتُ يتفطَّرنَ منه وتَنشقُّ الارضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا، أي: خسفًا، **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**، أي: لكي تشكُروا لي على عَفوي عَنكم وعن أسلافِكم، أو المعنى ثمَّ عَفَونا عنكم،

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢١.

(٢) سورة الذاريات ٥١: ٥٦.

(٣) البيت مجهول القائل، ولم يجده الباحث في أيٍّ من المصادر الشعريّة أو اللغويّة أو النحويّة، وأثبته من كتب التفسير كالتبيان: ١: ٩٩، وزاد المسير في علم التفسير: ١: ٣٧، والجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٢٧.

أي: أمهَلنَاكم وتَركنا معاجَلَتكم بالعقابِ وأغمَضنا عَنه من بعدِ اتِّخاذِكم العجلَ شريكًا لي ومَعبودًا من دوني لَعلَّكم تشكرونَ؛ لتَشكروا لي وتُؤمنوا بي فيما بعدُ ويَتَولَّدُ منكم المؤمنونَ، فعَرَّضناكُم للشّكرِ.

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «إنَّما عَفا اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم؛ لأنَّهم دَعَوا الله بمحمّدٍ وآلِهِ الطّاهرينَ، وجَدَّدوا على أنفسِهِم الولايةَ لمحمّدٍ وعليٍّ وآلِهما الطّاهرينَ فعند ذلكَ رَحِمَهم وعَفا عَنهم»[1].

ذكرُ دلالةِ هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على وجوبِ شكرِ المُنعمِ لإنعامِهِ، وعلى أنَّ العفوَ عن المعاصي بعدَ التوبةِ نعمةٌ من الله سبحانهُ على عبادِهِ، وتفضُّلٌ يجبُ عليهِم الشكرُ والاعترافُ بتلكَ النعمةِ وإظهارُها على جهةِ التّعظيمِ والتّبجيلِ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وهُم صلواتُ الله عليهِم أعظمُ نعمةٍ من نِعمِ الله تعالى على العبادِ، فيجبُ الاعترافُ بهم، وإظهارُ ولايتِهِم وتَعظيمُهُم، والائتمامُ بهم، والائتمارُ بِما أمروا بهِ، و الانتهاءُ عَمّا نَهوا عَنهُ.

وقالَ في المجمعِ: (وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على وجوبِ شكرِ النّعمةِ، وعلى أنَّ العَفوَ عنِ الذّنبِ بعد التوبةِ نعمةٌ من الله تعالى على عبادِهِ ليَشكروهُ، ومعنى قولِهِ في الله: أنَّه غفورٌ شكورٌ: أنَّه يُجازي العبدَ على طاعتِهِ من غيرِ أن ينتَقِصَهُ شيئًا من حقِّه، فجعَلَ المُجازاةَ على الطّاعةِ شكرًا في مَجازِ اللغةِ ولا يستحقُّ الإنسانُ الشّكرَ على نفسِهِ؛ لأنَّه لا يكونُ مُنعِمًا على نفسِهِ، فالنّعمةُ تقتضي مُنعِمًا غيرَ المُنعَمِ عليه، كما أنَّ القرضَ يقتضي مُستقرِضًا غيرَ المُقرِضِ، وقد يَصحُّ أن يُحسِنَ الإنسانُ إلى نفسِهِ كما يَصحُّ أن يُسيئَ اليها؛ لأنَّ الإحسانَ من الحَسَنِ فإذا فعلَ بها فِعلًا حَسَنًا ينتفِعُ بِهِ كان مُحسِنًا اليها بذلكَ الفعلِ، وإذا فَعَلَ بها فِعلًا قبيحًا يستضِرُّ بِهِ كان مُسيئًا إليها، ولا يستحِقُّ الكافرُ الشكرَ على الوجهِ الذي يَستَحقُّهُ المؤمنُ؛ لأنَّ المؤمنَ مَن يستحقُّ الشّكرَ على وجهِ الإجلالِ والإعظامِ، والكافرُ لا يستحِقُّهُ كذلكَ، وإنَّما يجبُ لهُ مكافاةُ نعمتهِ كما يجبُ قضاءُ دينِهِ على وجهِ الخروجِ منهُ اليهِ من غيرِ تعظيمٍ لهُ، والفرقُ بين الشّكرِ والمكافاةِ: أنَّ المكافاةَ منَ التّكافؤِ وهو: التّساوي وليس كذلكَ

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٥٢.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ١١.

الشّكرُ، ففي المكافاةِ للنّعمةِ دلالةٌ على أنَّه قد استُوفِيَ حقُّها وقد يكونُ الشّكرُ مُقصِّرًا عنها وإن كان ليسَ على المُنعَمِ عليهِ أكثرَ منهُ إلَّا أنَّه كلَّما ازدادَ من الشكرِ حَسُنَ الازديادُ وان لَم يكن واجبًا؛ لأنَّ الواجبَ لا يكونُ إلَّا مُتَناهيًا وذلكَ كالشكرِ لِنعمةِ اللهِ لو استكثَرَ بهِ غايةَ الاستكثارِ لم يكن لِيَنتَهيَ إلى حَدٍّ لا يجوزُ لهُ الازديادُ لِعظَمِ اللهِ تعالى وصِغَرِ شُكرِ العبدِ»[1]، انتهى.

قولُهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ آيةٌ:

اللغة:

الفرقانُ: مصدرُ فرَقتُ بين الشيئينِ: أفرُقُ فرقًا وفُرقانًا كما مرَّ بيانهُ مُستوفًى في قولهِ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾[2]، ومن أسماءِ القرآنِ: الفرقانُ، والفَرقُ بينَ القرآنِ والفرقانِ: أنَّ الفرقانَ مُحكماتُ القرآنِ، والقرآنُ جميعُ الكتابِ، قالَ اللهُ تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[3]، رَوى الكليني بإسنادِهِ عَمَّن ذَكرَهُ قال: سألتُ أبا عبدِ الله عليه السلام عنِ القرآنِ والفرقانِ: أهُما شيئانِ أم شيءٌ واحدٌ؟ فقالَ عليه السلام: « القرآنُ جملةُ الكتابِ، والفرقانُ المُحكمُ الواجبُ العملِ»[4]، انتهى. وكُلُّ فارقٍ يُسمَّى فُرقانًا، وسَمَّى اللهُ سبحانهُ يومَ البدرِ يومَ الفرقانِ كما قالَ في سورةِ الأنفالِ: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[5]، أرادَ به يومَ بدرٍ؛ لأنَّه فرَّقَ فيه بين المؤمنينَ والكافرينَ. [٣٣٤]

الإعراب:

(إذ): مفعولٌ بهِ لـ(اذكروا) كَما مرَّ مرارًا، و(موسى): مفعولٌ أوَّل لـ(آتينا)، و(الكتابَ): مفعولهُ الثّاني، و(الفرقانَ): عطفٌ على الكتابِ عطفَ الجزءِ على الكلِّ على وجهٍ، أو عطفَ الشّيءِ على نفسهِ باعتبارِ اختلافِ اللّفظينِ، كما في قولِ عَديِّ بن زيدٍ بن الأبرشِ في قصَّةِ قتلِ الزَّبّاء جذيمة

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢١٤.

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٠.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٨٥.

(٤) الكافي: ٢: ٦٣٠، حديث رقم: ١١.

(٥) سورة الأنفال ٨: ٤١.

الأبرش:

وقَدَّدَتِ الأدِيمَ لِراهِشَيهِ وأَلفَى قولَها كِذبًا ومَينًا[1]

والكذبُ والمَينُ واحدٌ، أو عطفُ الشّيءِ على مُغايرهِ كما هو الأصلُ في العطفِ على وجهٍ آخرَ يجيءُ في بيانِ المعنى، ويحتملُ وجهًا آخرَ من العطفِ على حذفِ معطوفٍ آخرَ على موسى كما سنُشيرُ إليه في بيانِ المعنى وإن كانَ بعيدًا، وجملةُ (لعلَّكم تهتدون): تعليليَّة كما مرَّ في الآيةِ السابقةِ وقبلِها في قولِهِ: ﴿**لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾.

المعنى:

ثمَّ ذكرَ سبحانهُ نعمةً أخرى أنعمَها على بَني إسرائيلَ فقالَ: ﴿**وَإِذْ**﴾، أي: واذكروا يا بني إسرائيلَ إذ ﴿**آتَيْنَا**﴾، أي: أعطَينا ﴿**مُوسَى الْكِتَابَ**﴾ الذي هو جملةُ التوراةِ ﴿**وَالْفُرْقَانَ**﴾ الذي هو مُحكماتُ التّوراةَ التي يجبُ العملُ عليها، أو الفرقانَ الذي هو التّوراةُ الجامعُ بينَ كونهِ كتابًا مُنزلًا وفرقانًا بينَ الحقِّ والباطلِ، كما قال سبحانهُ في موضِعٍ آخرَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، أي: الكتابَ الجامعَ بين كونهِ وضياءً وذِكرًا، أو المرادُ بالكتابِ: التّوراةُ،

---

(١) البيت من الوافر. ينظر: مختصر المعاني: ١٧١، والزاهر في معاني كلمات الناس: ٥١. (والراهِشانِ: عِرْقانِ في باطن الذراعين) . لسان العرب: ٦: ٣٠٧ (رهش).

والشاهد فيه: إنّ الشاعر عطف لفظ المينِ على الكذب وهما بمعنًى واحد.

عَدِيِّ بن زيد: وهو ابن حماد بن زيد العبادي التميميّ: شاعر، من دهاة الجاهليّين، كان قرويًّا، من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، توفي نحو (٣٥ ق هـ). ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٢٣٣، والأعلام: ٤: ٢٢٠.

الزّبّاء: وهي: (نائلة بنت عَمْرو بْنَ الظَّربِ بنِ حسَّان بنِ أُذَيْنة الْعمْلِيقِيّ مِن عَامِلةِ الْعمَالِقةِ، مَلَكَت بَعدَ أباها، وكَانَ جُنودُ الزَّبَّاءِ بقايَا الْعمالِيقِ وَغيرِهم، وكَانَ لَها مِن الْفُرَاتِ إلى تدمُرَ). الكامل في التاريخ: ١: ٣١٦.

جذيمة: وهو: (جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، ملكا شاعرا، كان أبوه مالك بن فهم ملكاً على العرب بالعراق عشرين سنة وكان يقال لجذيمة الأبرش الوضّاح لبرص كان به وملك بعد أبيه ستين سنة وكان ينزل الأنبار). المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٤٨.

وبالفرقانِ: سائرُ معجزاتِهِ الفارقةِ بين الحقِّ والباطلِ والمؤمنِ والكافرِ، مِن العصا واليدِ البيضاءِ وانفلاقِ البحرِ وانفجارِ الحجرِ إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ التّسعِ، أو الشَّرعُ الفارقُ بين الحلالِ والحرامِ، أو النّصرُ الذي فرَقَ به بين موسى وأصحابِهِ المؤمنينَ وبينَ فرعَونَ وأتباعِهِ الكافرينَ.

وقالَ الفرَّاءُ وقطربٌ وثعلبٌ[1]: المرادُ بالفرقانِ القرآنُ[2]، على تقديرِ حذفِ معطوفٍ على موسى، والتّقديرُ: وإذ آتينا موسى الكتابَ ومُحمّدًا الفرقانَ، نظيرُ ذلكَ: حذفُ العاملِ المناسبِ لِمعطوفٍ لا يُشاركُ المعطوفَ عليهِ في العاملِ المذكورِ، كقولِ الشاعرِ:

عَلَفتُها تِبنًا وماءً باردًا حَتّى شَتت هَمالَةً عيناها[3]

وسَقَيتُها ماءً باردًا؛ لأنَّ الماءَ لا يكونُ علفًا، وقولُ الآخرِ:

إذا ما الغانياتُ بَرزنَ يومًا فَزَجَّجنَ الحواجِبَ والعُيونا[4]

(١) الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: إمام الكوفيّين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، من كتبه: المقصور والممدود، ومعاني القرآن، واللغات، توفي سنة (٢٠٧هـ). ينظر: معجم الأدباء: ٦: ٢٨١٣، والأعلام: ٨: ١٤٥.

قطرب: هو: محمد بن المستنير بن أحمد المعروف بقطرب البصري النحوي اللغوي، أخذ النحو عن سيبويه وجماعة من علماء عصره، له عدّة مصنّفات منها: معاني القرآن، والقوافي، توفي سنة (٢٠٦هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٧٧، ومعجم الأدباء: ٦: ٢٦٤٦.

ثعلب: هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي: العلامة المحدث، إمام الكوفيين في النحو، له مصنفات عديدة منها: الفصيح والتصانيف، واختلاف النحويين، والقراءات، ومعاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٣٧، ومجمع البيان: ١: ٢١٥.

(٣) البيت من الرجز، وهو مجهول القائل. ينظر: الخصائص: ٢: ٤٣٣، وشرح ابن عقيل: ١: ٥٩٥، الشاهد: ١٦٦، وقد ورد صدر البيت عن ذي الرمّة في ديوانه: ٣: ١٨٦٢، بقوله من الرجز:

لمّا حططت الرّحل عنها واردًا علّفتها تبنًا وماءً باردًا

(٤) البيت من الوافر، وهو للراعي النّميري. ينظر: مغني اللبيب: ٢: ٣٥٧، الشاهد: ٥٧٧، وشرح ابن عقيل: ٢: ٢٤٢، الشاهد: ٢٩٩.

أي: وكَحَّلنَ العيونَ؛ لأنَّ العيونَ لا تزَجَّج، وقولُ آخرٍ:

تراهُ كأنَّ اللهَ يجدَعُ أنفهُ		وعَينَيهِ إن مَولاهُ كان لهُ وَفرٌ [1]

أي: ويفقأُ عينيهِ؛ لأنَّ الجدعَ لا يكونُ في العينِ، والوفرُ: المالُ الكثيرُ.

وقال عليٌّ عليه السلام:«ولا ادَّخرتُ من غنائِمِها وَفرًا»[2]، يقالُ: وَفَرَه يَفِرُه كوَعَدَهُ يَعِدُهُ، أي: أكثَرَهُ يُكثِرُهُ، وفي الحديثِ:« الحمدُ لله الذي لا يَفِرُهُ المنعُ»[3]، أي: يُكثرهُ، من الوافرِ: المالُ الكثيرُ.

ويُبَعِّدُ هذا الوجهَ أنَّه سبحانهُ أخبرَ أنَّه أعطى موسى الفرقانَ وضياءً وذكرًا، كما أشرنا إلى ذلكَ في بيانِ الإعرابِ، وأنَّ الحملَ على الحقيقةِ أولى من المجازِ أو التغليبِ. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾، أي: آتينا موسى الكتابَ والفرقانَ؛ لكي تهتدوا؛ أي: لأجلِ هدايَتي إيَّاكم واهتدائِكم بِهِ بالتدبّرِ والتفكّرِ فيهِ والعملِ والإيمانِ بما بشَّرَ بهِ فيهِ من محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأهلِ بيتِهِ الطّاهرينَ، وبيانِ نعتهِ وعددِ أوصيائهِ والأمرِ باتِّباعهِم والولايةِ لهم.

وفي تفسيرِ الإمام عليه السلام: «والفرقانَ، أي: آتيناهُ أيضًا فرقَ ما بينَ الحقِّ والباطلِ، وفرقَ ما بينَ المُحقِّ والمُبطلِ؛ وذلك أنَّه لمَّا أكرمَهم بالكتابِ والإيمانِ بِهِ والانقيادِ لهُ أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى: هذا الكتابُ قد أقَرُّوا بِهِ، وقد بَقيَ الفرقانُ فرقُ ما بينَ المؤمنينَ والكافرينَ، والمُحقّين والمُبطلين، فجَدِّد عليهم العهدَ فإنِّي آليتُ[4] على نفسي قَسَمًا حقًّا لا أتَقَبَّلُ من أحدٍ إيمانًا ولا عَملًا إلّا معَ الإيمانِ بهِ، قال موسى عليه السلام: ما هو يا ربِّ؟ قالَ: يا موسى تأخذُ عليهم أنّ مُحَمَّدًا خيرُ النّبِيِّين

---

(١) البيت من الطويل، وهو لعلقمة بن عبدة. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٥، وينظر: التذكرة الحمدونيّة: ٥: ٢١٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٧٠، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف.

(٣) نهج البلاغة: ١: ١٦٠، من خطبة له عليه السلام تُعرف بخطبة الأشباح، وبحار الأنوار: ٤: ٢٧٤، باب جوامع التوحيد. أي: الذي لا يَزيدُهُ ولا يُكثِرُهُ المنعُ وعدمُ الإعطاء.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: أقسمتُ.

وسيِّدُ المرسلينَ وأنَّ أخاه ووصيَّه عليًّا خيرُ الوصيّينَ، وأنّ أولادَهُ الذين نُقيمهم سادةَ الخلقِ، وأنَّ شيعتَه المنقادينَ لهُ ولخلفائهِ بحرمِ الفردوسِ الأعلى وملوكُ جنانِ عَدنٍ، قال: فأخذَ عليهم موسى ذلكَ، فَمنهُم مَن اعتَقدهُ حقًّا ومنهم مَن اعتَقَدهُ بلسانهِ دون قلبِهِ، قالَ: فالفرقانُ النورُ المبينُ الذي يلوحُ على جبينِ مَن آمَنَ بمحمَّدٍ وعليٍّ وعِترتِهما وشيعتِهما، وفَقدُهُ مِن جبينِ مَن أعطى ذلكَ بلسانهِ دون قلبهِ ثمَّ قالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾: لَعَلَّكم تعلَمونَ أنَّ الذي يَشرُفُ بهِ العبدُ عندَ الله هو اعتقادُ الولايةِ كما شَرُفَ به أسلافُكُم»[1]، انتهى.　　　　[٣٣٥]

وقولهُ تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

في المجمعِ: «قرأَ أبو عمرو: بارِئكُم، ويأمُرُكُم، وينصُرُكُم، باختلاسِ الحركةِ، ورُويَ عنه: السكونُ أيضًا، والباقون: بغيرِ اختلاسٍ ولا تخفيفٍ»[2]، قال أبو عليّ: «حروفُ المعجمِ على ضربينِ: أحدُهُما: ساكنٌ، والآخَرُ: متحرِّكٌ، والساكنُ على ضربينِ: أحدُهما: ما أصلهُ السّكون في الاستعمالِ، والآخَرُ: ما أصلهُ الحركةُ، فما أصلهُ الحركةُ يُسَكَّنُ على ضربين: أحدُهما: أن تكونَ حركةُ بناءٍ، والآخَرُ: أن تكونَ حركةُ إعرابٍ، وحركةُ البناءِ تُسكَّنُ على ضربينِ: أحدُهما: أن يكون الحرفُ المُسكَّنُ من كلمةٍ مفردةٍ، نحو: فَخذٍ وسَبُعٍ وإبلٍ وضُرِبَ وعَلِمَ، والآخَرُ: أن تكونَ من كلمتينِ فيُسَكَّنُ على تشبيهِ المنفصِلِ بالمتَّصلِ»[3]، نحو: قراءةِ مَن قَرأَ: (ويَخشَ اللهَ ويتَّقِهِ)[4]، ومنهُ قولُ العجَّاجِ:

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) ينظر: الحجّة في القراءات السبعة: ١: ٧٧، ٧٨.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٧٨.

(٤) ينظر: التيسير في القراءات السبع: ١: ١٦٢، والعنوان في القراءات السبع: ١: ١٣٩.

فباتَ مُنتَصْبًا(١) وما تَكَردَسا (٢) [إذا أحسَّ نبأةً توجَّسَا]

ألا ترى: أنَّ تَقِه مِن يتَّقِه، مثلَ: كَتِفَ، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

قالَت سُلَيمى اشترِ لنا سُوَيقًا (٣) [وهات بُرَّ البخسِ أو دقيقا]

ولا خلافَ في تجويزِ إسكانِ حركةِ البناءِ في نحوِ ما ذكرنا من مقولِ العربِ والنحويِّين، وأمَّا حركةُ الإعرابِ فمُختلَفٌ في تجويزِ إسكانِها، فمِن النّاسِ من يقولُ إنَّ إسكانَها لا يجوزُ من حيث كان علمًا للإعرابِ، وأمَّا سيبويه فيُجوِّزُ ذلك ولا يفصِلُ بين القبيلينِ(٤)، و رُوِيَ قولُ امرئ القيسِ:

فاليومَ أشربْ غيرَ مُستحقٍّ إثمًا من اللهِ ولا واغِل (٥)

وقولُ الآخرِ:

[رُحْتِ وفي رجْليْكِ ما فيهما] وقد بَدَا هَنْكِ مِنَ المئزَرِ (٦)

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولهُ: فباتَ مُنتصبًا، رُويَ: فباتَ، والاستشهادُ في قولِهِ: منتَصبًا، حيث أسكنَ عينَ الكلمة، أعني: الصادَ، شبَّهَ تصب في منتصبٍ بكتفٍ فخفَّفَ مثل تخفيفهِ، الانتصابُ: القيامُ، والنَّصْبُ: التَعبُ، والكردسةُ: الوثاق، ويقالُ: كُردِسَ: إن جُمِعت يداه ورجلاه، وفي حديثِ الصّراطِ: (ومنهم مُكَردَسٌ) [النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٦٢] وهو: ضمُّ الشّيء بعضُهُ إلى بعضٍ، وتكردَسَ: انقبضَ واجتمعَ.

(٢) البيت من الرجز. ديوانه: ١: ١٩٧، وينظر: إيضاح شواهد الإيضاح: ١: ٣٥٦، الشاهد: ٨٩.

والشاهد فيه: تسكينُ الصّادِ في (مُنتَصْبًا) وأصلُها الكسر، لأنّها اسمُ فاعلٍ منَ الخماسي (انتَصَبَ).

وقائله: عبد الله بن رؤبة البصري التميمي، وهو أوّلُ من أطال الرّجز، وكان في الرجز مثل امرئ القيس في الشعر، ليس في شيء من شعر العجاج شيء من الكلام يستطيع قائل أن يقول: لو كان مكانه غيره كان أجود. ينظر: وفيات الأعيان: ٢: ٣٠٣، والمذاكرة في ألقاب الشعراء: ٢٧.

(٣) البيت من الرجز، وهو للعذافر الكندي. ينظر: النوادر في اللغة: ١٧٠، والخصائص: ٢: ٣٤٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤: ٢٠٤.

(٥) البيت من السريع، ديوانه: ١٤١، وأورده سيبويه: ٤: ٢٠٤، بلفظ: غير مُستَحقِبٍ، والمُستَحقِبِ: المُكتَسِبِ. امرؤ القيس: هو ابن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، ومن اصحاب المعلقات، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ، كان أبوه ملك أسد وغطفان. توفي نحو (٨٠ ق هـ). ينظر: مختصر تاريخ دمشق: ٥: ٣٣، والأعلام: ٢: ١١.

(٦) البيت من السريع، وهو: للأُقيشِر الأسدي، ينظر: خزانة الأدب: ٤: ٤٤١، وقال سيبويه: ٤: ٢٠٣ : إنّ التسكين جاء للضرورة الشعرية، ووافقه الرضي في شرح الكافية: ٢: ٢٧٣، كما نسبه الدينوري في الشعر والشعراء: ١: ١٠١: إلى الفرزدق، والهَنُ: كناية عن الشيء. لسان العرب: ١٥: ٣٦٧ (هَنُ).

ومن هذا النحوِ قولُ جريرٍ:

سيروا بني العمِّ فالأهوازُ منزلُكُم ونهرُ تِيْرَى ولا تَعرفْكُم العربُ [1]

فشبَّهَ ما يدخلُ على المُعرَبِ بما يدخلُ على المبني، كما شبَّهُوا حركاتِ البناءِ بحركاتِ الإعرابِ، فَمِن ثَمَّ أدغمَ نحوَ: رُدَّ وفِرَّ وعَضَّ كما أدغموا يردُّ ويفرُّ ويعضُّ.

واعلم أنَّ الحركاتِ التي تكونُ للبناءِ والإعرابِ قد يستعملونَ في الضمّةِ والكسرةِ منها الاختلاسَ والتّخفيفَ كما يستعملونَ الإشباعَ والتَّمطيطَ[2]، فأمَّا الفتحةُ فَليسَ إلَّا الإشباعَ فقط، فلم يُخَفَّف نحو: جبلٍ كمَّا خفَّفَ نحو: سَبُعٍ وكَيفٍ وعلى هذا المذهب حمَلَ سيبويه قولَ: أبي عمرو: إلى بارئِكم، فذهبَ إلى أنَّه اختلَسَ الحركةَ ولم يُشبِعها[3] فهو بزِنَةِ حرفٍ متحرّكٍ، فمَن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النّحوِ فلعَلَّه سمِعَه يختلسُ الحركةَ فحسِبَها إسكانًا لضعفِ الصوتِ بِهِ والخفاءِ، وعلى هذا قولهُ: يأمُركُم وينصُرُكم وغيرِهما)[4].

أقولُ: قولهُ: (فأمَّا الفتحةَ فليسَ فيها إلَّا الاشباعَ فقط فلَم يُخَفَّفْ نحو جَبَلٍ) إلى آخرِهِ معناهُ: أنَّهُ إذا توالى الفتحتانِ لم تُحذَف الثّانيةُ تخفيفًا لا في الاسمِ ولا في الفعلِ؛ لِخفَّةِ الفتحةِ، فنحو: فَرَسٍ وجَبَلٍ وجَمَلٍ وضَرَبَ ومَنَعَ لا تُسَكَّنُ عينُها، وأمَّا قولُ الشّاعرِ:

---

(١) البيت من البسيط، ديوانه: ١: ٤٤١، وقد جاء بلفظ: (فلَم تعرفْكُم)، ونقله ابن جنّي في الخصائص: ٢: ٣٤٢ موافقا للأصل.

وبنو العم: جماعة (نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم، فقال الناس: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والإخوان وبنو العمّ، فلقّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب). الأغاني: ٣: ١٧٩، والأهواز: جمع هوز، وأصله: حوز، استعمله الفرس فقالوا: الأهواز، ولكثرة الاستعمال قال العرب: الأهواز: وهي مدينة في فارس. ينظر: معجم البلدان: ١: ٢٨٤، وتِيْرَى: (بلدة في نواحي الأهواز). معجم البلدان: ٥: ٣١٩.

(٢) أي: التمديد.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤: ٢٠٢.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢١٦، ٢١٧.

وما كلُّ مغبونٍ إذا سَلْفَ صَفقةً براجعٍ ما قد فاتَهُ بِرَدادِ[1]

فشاذٌّ؛ ضرورةً كما بيَّنّاهُ مفصَّلًا في التّوشيحِ[2].

اللغة:

قد مرَّ معاني الظلمِ والاتِّخاذِ والتوبةِ والرحمةِ لغةً فلا نُعيدها، والبارئُ والذارئُ والخالقُ والصانعُ نظائرُ إلّا أنَّ التمييزَ التامَّ والدّقّةَ والاستواءَ وعدمَ التّفاوتِ في الإتقانِ والإحكامِ والتّكوينِ على الوجهِ الألطفِ، والإنشاءَ بالتّقويمِ الأحسنِ ملحوظةٌ في البارئِ؛ لأنَّهُ منَ البَراءةِ من العيوبِ والمكارهِ؛ ولهذه الدّقيقةِ يقالُ لصانعِ النَّبلِ: البارئُ، ومن أسمائهِ تعالى البارئُ وهو: المبدعُ المُحدثُ؛ أي: الذي خَلقَ الخلقَ لا عن مّادةٍ ولا عن مثالٍ قديمينِ، ولهذه اللفظةِ من الاختصاصِ بخَلقِ الإنسانِ ما ليس لها بغيرِهِ من الحيواناتِ وسائرِ المخلوقاتِ، وقلَّ ما تُستعملُ في غيرِ الإنسانِ فيقالُ: برأ اللهُ النّسمةَ، وقولهُ عليه السلام: « والذي فلقَ الحبَّةَ وبرأَ النسمةَ »[3] الحديثُ، وخلقُ السّماواتِ والأرضِ، والخالقُ الصّانعُ المقدِّرُ الناقلُ من حالٍ إلى حالٍ، وأهلُ الحجازِ والفصحاءُ من العربِ العَرباءِ يقولونَ: برَأتُ من المرضِ أَبرَأُ برأً بالفتحِ، كمَنعَ يَمنَعُ مَنعًا فأنا بارئٌ معافًى، وفي حديثِ مرضِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: قال العبّاسُ لعليٍّ عليه السلام: كيف أصبحَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله؟ فقالَ: «أصبحَ بحمدِ الله بارئًا»[4]، أي: معافًى.

---

(١) البيت من الطويل، وهو: للأخطل: ديوانه: ١٣٧، وينظر: لسان العرب: ٩: ١٥٨، وشرح شافية ابن الحاجب: ١: ٤٤، وقد جاء بلفظ (ولو سَلْفَ صَفقَةُ)، وما جاء في الأصلِ موافقٌ لما نُقِلَ في رسالة الغفران: ١٤٠. والمغبونُ: الذي يُخدعُ ويُنقصُ منهُ في البيعِ أو الشراءِ، والسَّلَفُ: الإمضاءُ، والرِدادُ: فسخُ البيعِ. ينظر: لسان العرب: ٣: ١٧٣، و٩: ١٥٨، و١٣: ٣١٠.

والشاهد فيه: إسكانُ اللّامِ في (سَلْفَ) ضرورة، إذ أنّ الكوفيّين أجازوا التسكين في المضموم والمكسور، دون المفتوح، وما يأتي في الشعر فهو ضرورة شاذّة، فالشاعر إنّما أراد (سَلَفَ) فأَسكَنَ للضّرورةِ.

(٢) توشيح الوافية ، مخطوط للمُصنِّف.

(٣) الكافي: ١: ٢٨٢، وكامل الزيارات: ١٨٦.

(٤) مسند أحمد: ١: ٢٦٣.

وأمَّا غيرُ أهلِ الحجازِ فإنَّهم يقولونَ: بَرئتُ مِنَ المرضِ، كعَلِمَ: بُرءًا بالضّمِّ، نصَّ على ذلك ابنُ الأثيرِ[1]. [٣٣٦]

وأمَّا البراءةُ منَ العيبِ والمكروهِ فلا يُقالُ فيها إلَّا بَرِئ بالكسرِ وفاعلهُ بَريءٌ وبَراءٌ كجبانٍ، يقالُ: رجلٌ بَراءٌ، وامرأةٌ بَراءٌ، ورجالٌ بَراءٌ، ونسوةٌ بَراءٌ، يستوي فيه الواحدُ والتّثنيةُ والجمعُ، والمذكَّرُ والمؤنَّثُ، وقولهُ تعالى: ﴿ إِنَّا بُرَآءُ﴾[2] فهو: جمعُ بريءٍ كشُرفاءَ في جمعِ شريفٍ، وأصلُ التّركيب: الخُلوصُ وانفصالُ الشّيءِ عنِ الشّيءِ، يقالُ: برأ اللهُ الخلقَ، أي: فطرَهم لا عن مَّادةٍ ولا عن مثالٍ قدِيمينِ بألطَفِ وجهٍ وأحسنِ تقويمٍ كأنَّهم انفصلوا من العدمِ إلى الوجودِ، وخَلصوا من العيبِ والنّقصانِ.

والبريَّةُ: فعيلةٌ بمعنى مفعولة من بَرَأَ، ولا تُهمَز بَريَّةٌ على الأفصحِ كالنَّبيِّ من نَبَأَ، واتَّفَقَ القُرّاءُ في النَّبيِّ والبريَّةِ في ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي﴾[3] الآية، و﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[4] و﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[5] بقلبِ الهمزةِ ياءً وإدغامِ الياءِ في الياءِ، إلّا نافعًا فإنَّهُ قرأَ: النّبيءُ بالهمزةِ في جميعِ القرآنِ[6]، وإلّا النّافعَ وابنَ ذكوانٍ فإنَّهما قرءا البريئةَ بالهمزِ[7] وهوَ غيرُ فصيحٍ؛ لأنَّ للهمزةِ نبرةً كريهةً تجري مجرى التهوُّعِ؛ ولِذا وَجَبَ تخفيفُها في لغةِ أهلِ الحجازِ ولا سيَّما قريشٍ؛ لكونِها أدخلَ الحرفَ في الحلقِ وهم ليسوا من أصحابِ نبرٍ؛ لِما رُوِيَ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام:« نزلَ القرآنُ بلسانِ قريشٍ وليسوا بأصحابِ نبرٍ، ولولا أنَّ جبرئيلَ نزلَ بالهمزِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ما همَزنا»[8]، ورُوِيَ: « أنَّ رجلًا

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١١١.

(٢) سورة الممتحنة ٦٠: ٤.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٥٧.

(٤) سورة البينة ٩٨: ٦.

(٥) سورة البينة ٩٨: ٧.

(٦) ينظر: الكنز في القراءات العشر: ١: ٢٦٧.

(٧) ينظر: العنوان في القراءات السبع: ٢١٢.

(٨) بحار الأنوار: ٨٩: ٢١١.

قال: يا نبيءَ الله، قالَ عليه السلام:لا تَنبِرْ باسمِي وإنَّما انا نَبيُّ الله، ثم قال: إنَّا معشرُ قريشٍ لا نَنبِرُ»[1]، انتهى. والنَّبرُ: الصوتُ الكريهُ، والنَّبرُ والنَّبرةُ: الهمزةُ، وجمع البريَّةِ: البرايا بخمسِ إعلالاتٍ، وما قال بعضُهم: البريَّةُ مشتقّةٌ من البَري وهو التراب؛ فلذلك لم تُهمز، أو مأخوذةٌ من بَريتُ العودَ؛ ولذلك لم تُهمز[2]، فليسَ بسَديدٍ ولا مُعتمَدٍ عليه.

الفرقُ بينَ القَتلِ والذّبحِ والإماتَةِ:

والقتلُ والذّبحُ والإماتةُ نظائرُ وهو: إبطالُ الحياةِ بإزهاقِ الروحِ، إلَّا أنَّ القتلَ: نقضُ بنيةِ الحياةِ بأيّ وجهٍ كان، والقتيلُ: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، يستوي فيه الواحدُ والمذكّرُ والمؤنّثُ والجمعُ إذا جرى على الموصوفِ.

والذّبحُ: فَريُ الأوداجِ كما مرَّ، والإماتةُ: إخراجُ الروحِ، والموتُ: عَرَضٌ يُضادُّ الحياة، وفي الحديثِ:

«أشدُّ النّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ مَن قتلَ نبيًّا أو قتلهُ نبيٌّ»[3]، أي: قَتَلهُ نبيٌّ وهو كافرٌ، كقتلهِ صلى الله عليه وآله وسلم أُبيَّ أُبيِّ ابنِ خَلف يومَ بدرٍ[4]، لا مَن قَتَلَهُ تطهيرًا له في الحدِّ كـ(ماعِزٍ)[5]، وقد يُستعمل القتلُ بمعنى اللّعنِ والطّردِ والمُعاداةِ، كما في قولهِ تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[6]، أي: قتلَهم أو لَعنَهم أو طَردَهم أو عاداهم، والقتلُ: مزجُ الشّرابِ بالماءِ، كقولِ الشاعرِ:

فقلتُ اقتلُوها عنكم بِمزاجِها وحُبَّ بها مقتولَةً حين تُقتَلُ[7]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٣، و ٥: ٧.

(٢) ينظر: معاني القراءات: ٣: ١٥٦.

(٣) المعجم الكبير: ١٠: ٢١١، حديث رقم: ١٠٤٩٧، وبحار الأنوار: ٢: ١٢٣، حديث رقم: ٤٩.

(٤) ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ٢: ٦، والسيرة النبوية: ابن كثير: ٣: ٦٣.

(٥) وهو: ماعز بن مالك الأسلمي، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي رُجِمَ في عهدِهِ صلى الله عليه وآله حدًّا. ينظر: إمتاع إمتاع الأسماع: ٩: ١٦٨.

(٦) سورة المنافقون ٦٣: ٤.

(٧) البيت من الطويل، وهو: للأخطل التغلبي. ديوانه: ١: ١٤، وينظر: ديوان امرئ القيس: ٣٤.
والشاهد فيه: جعلَ مزجَ الخمرِ بالماءِ قتلٌ لها.

والقِتلُ: العدوُّ المقاتِلُ، جمعهُ: أقتالٌ، كحِبرٍ وأحبارٍ وحِملٍ وأَحمالٍ، والصديقُ أيضًا منَ الأضدادِ، والقِتلُ: النظيرُ وابنُ العمِّ والمثلُ والشجاعُ والقِرنُ، والقُتُلُ بضمّتين: جمعُ قَتُولٍ بالفتحِ: للكثيرِ القتلِ، وأقتَلَهُ عرَّضَهُ للقتلِ، والقَتالُ بالفتحِ كسَحابٍ: النفسُ والقُوّةُ وبقيَّةُ الجسمِ، وناقةٌ ذاتُ قَتالٍ: إذا كانت وثيقَةً، واقتُتِلَ بالضّمِّ: إذا قتَلَهُ العشقُ أو الجِنُّ، والمُقَتَّلُ كمُعظَّمٍ: المُجرَّبُ، ومنَ القلوبِ: المُذَلَّلُ الذي قتلَهُ العِشقُ، واستَقتَلَ: استَماتَ، وقتَلتُ الشّيءَ علمًا: إذا تحَقَّقتَهُ وتيقّنتَهُ، وتقَلَّتِ الجاريةُ للفتى حَتَّى عشِقَها كأنَّها خَضعَت لهُ، قالَ:

تَقَلَّت لي حتَّى إذا مَا قَتَلْتِني تَنَسَّكتِ ما هذا بِفعلِ النَّواسِكِ [1]

الإعراب: [٣٣٧]

(إذ): مفعولٌ به لـ(اذكروا) كما مرَّ مرارًا، وجملةُ (قالَ موسى): مضافٌ إليها، ولـ(قومِهِ): متعلِّقٌ بـ(قالَ)، و (يا قومِ) بكسرِ الميمِ و هو المختارُ بعد حذف ياءِ الإضافةِ: مُنادى مضافٌ؛ لأنَّ النداءَ مقامُ التّخفيف، فحُذِفتِ الياءُ وبقيتِ الكسرةُ دلالةً عليها؛ لأنَّهم إذا كانوا يحذفون ياءَ الإضافةِ في النّداءِ كانوا فيه أحذفَ، وفي مثلِهِ أربعةُ أوجهٍ: إثباتُ الياءِ مع فتحِها، وسكونِها، وحذفُها، والاكتفاءُ بالكسرةِ، وهذه ثلاثةُ أوجهٍ في الإضافةِ.

و (يا قومُ): بالضّمِّ على أَنَّهُ مُنادًى مفردٌ معرّفٌ بالنّداءِ إذ كانوا مُعيَّنين كما في يا ربُّ، وقُرِئ: (ربُّ احكُم)[2]، ويجوزُ في غيرِ القرآنِ: يا قومَ بالفتحِ بقلبِ الياء ألفًا وحذفِها والاكتفاءِ بالفتحةِ كما في يا غلامَ. وجملةُ (إنَّكُم ظَلَمتُم)إلى آخرِهِ: بكسرِ الهمزةِ كما في القاعدةِ مقولُ قالَ، وبـ(اتِّخاذِكم): مُتعلِّقٌ بـ(ظلمتُم)، والباءُ للسببيّة من إضافةِ المصدرِ إلى فاعلِه. و(العِجلَ): مفعولُه الأوّلُ، ومفعولُه الثاني محذوفٌ كما مرَّ، أي: باتِّخاذِكم العِجلَ إلهًا. و(الفاءُ): في (فتوبوا) للسببيَّةِ المُفصِحةِ؛ لأنَّ الظلمَ سببٌ للتوبةِ، أي: إذا ثبتَ ظلمُكُم أنفسِكم باتِّخاذِكم العجلَ إلهًا فتُوبوا وارجِعُوا إلى خالِقِكم، و(إلى بارئِكم): مُتعلِّقٌ بقولِهِ: (توبوا).

---

(١) البيت من الطويل، وهو: مجهول القائل. ينظر: العين: ٥: ١٢٧ (قتل)، والمخصص: ١: ٥٥.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ٣٠٣، والقراءة لأبي جعفر.

ذكرُ الفاءِ الفَصيحةِ وبيانُها:

و(الفاءُ) في (فاقتلوا): للتّبيينِ والتّفصيلِ المفيدِ للتّعقيبِ، فيكونُ من عطفِ المفصَّلِ على المجملِ إذا كانتِ التوبةُ قتلَ الأنفسِ، كقوله ﷺ: «تَوضَّأَ، فغَسَلَ وجههُ ويديهِ، ومَسحَ رأسَهُ ورجليهِ»[1]؛ لأنَّ غسلَ الوجهِ واليدينِ ومسحَ الرأسِ والرجلينِ تفصيلٌ؛ لقولهِ ﷺ: تَوضَّأ، ومثلَه قولُه تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[2]، وتقولَ: أجبتُهُ، فقلتُ: لبَّيكَ؛ وذلكَ لأنَّ موضعَ ذكرِ التفصيلِ بعد الإجمالِ، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[3]؛ لأنَّ تبييتَ البأسِ تفصيلٌ للإهلاكِ المُجملِ، نَصَّ على ذلكَ نجمُ الأئمّةِ ﴿رَحِمَهُ﴾[4]، وحينئذٍ يندفعُ الإشكالُ ويستقيمُ التّعقيبُ والتّرتيبُ ولا يُحتاجُ إلى تقديرِ الإرادةِ لذلكَ أصلًا، كما فعلَهُ المفسِّرونَ وبعضُ النّحاةِ[5] للتفَصِّي[6] عن هذا الإشكالِ. والمعنى: اعزموا على الإنابةِ والرجوعِ إلى الله تعالى فاقتلوا أنفَسَكم من حيثُ أنَّه تعالى جعلَ توبَتَكم قتلَ أنفُسِكُم، ويحتملُ أن يكونَ لمحضِ الاتِّباعِ والعطفِ على توبوا، ويكونَ قَتلُ الأنفسِ من اتباعِ التّوبةِ وإتمامِهِ، فيكونَ المعنى: فَتُوبوا إلى بارئِكم فأَتبِعُوا التوبةَ القتلَ تَتمَّةً لتوبَتِكم وكمالًا لها فتكونَ كاملةً بها.

(ذلكم خيرٌ): مبتدأٌ وخبرٌ. و(لَكم): مُتعلِّقٌ بخيرٍ، وكذا (عند بارِئكم)، و(الفاءُ): في قولِهِ: (فتابَ عليكم) للعطفِ على محذوفٍ، وتُسمَّى هذه الفاءُ فصيحةٌ[7]، وهي التي تكونُ معطوفةً على مقدَّرٍ يدلُّ عليهِ سياقُ الكلامِ مع كونِ المقدَّرِ سببًا لِما عُطِفَ، أي: لِما ذُكرَ بعد الفاءِ مُطلقًا سواءٌ كانَ المقدَّرُ شرطًا أو لا، كما هو مذهبُ الأكثرينَ، وقيلَ: تُسمَّى فصيحةً إذا كانَ المقدَّرُ شرطًا كما ذهبَ إليه

---

(١) مستدرك الوسائل: ١: ٣٠٥، حديث رقم: ٦٨٧، كنز العمال: ٩: ٤٥١، حديث رقم: ٢٦٩٢٢.

(٢) سورة هود ١١: ٤٥.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٤.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤: ٣٨٥.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢: ٨٧، وتفسير الرازي: ١٤: ١٩٨، وتفسير البيضاوي: ٣: ٦، والجنى الداني في حروف المعاني: ٦٢، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٣: ٣٢٤.

(٦) (وتفَصَّى الإِنسانُ: إذا تخلَّص من الضيق والبلية). لسان العرب: ١٥: ١٥٦ (فصي).

(٧) ومنه في حاشية الأصل: الفصيحة: فعيلةٌ بمعنى مُفعِلة أي: المُظهِرةُ للمُقدَّرِ شرطًا كان أو غيرهُ.

الزّمخشريُّ[1]، وقيل: تُسمّى فصيحةً إذا كان المقدَّرُ غيرَ شرطٍ كما ذهبَ إليه صاحبُ المفتاحِ[2]، والتقديران: أعني: تقديرَ الشّرطِ وتقديرَ غيرَ الشّرطِ جائزانِ في هذهِ الآيةِ؛ أمَّا الأوَّلُ: فهو أن يكونَ التقديرُ: فإن فعلتم ذلك فقد تابَ عليكم بارئُكُم، فحينئذٍ يكونُ هذا أيضًا من قولِ موسى لبني إسرائيلَ، وأمَّا الثّاني: فهو أن يكونَ التقديرُ: ففعلتم ما أمرَكم به موسى فتابَ عليكم بارئُكُم، فحينئذٍ يكون هذا من خطابِ الله تعالى على بني إسرائيلَ لكن على طريقةِ الالتفاتِ[3]، وعلى التّقديرينِ: يكونُ المحذوفُ سببًا لقولِهِ: فتابَ عليكم، ومثلُ هذه الفاءِ في كونِها فصيحةً، وكونِ المقدَّرِ سببًا لِما ذُكرَ بعد الفاءِ: الفاءُ في (فانفجرت) في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾[4] الآية، والتّقديرُ: فإن ضربتَهُ بها فانفجرَت منه اثنتا عشرةَ عينًا، أو فضَرَبَهُ بها فانفجرَت، وعلى التّقديرينِ يكونُ المحذوفُ، أعني: جملتَي (فإن ضربتَهُ بها، و فَضَرَبَهُ بها) سببًا لقولِهِ: فانفجرت.

و(التّوّابُ الرّحيمُ): خبرانِ لـ(إنَّ)؛ و(الهاءُ): اسمُها، و(هوَ): ضميرُ الفصلِ عند البصريّين، والعِمادُ عند الكوفيّين[5]، وهل لَهُ محلٌّ من الإعرابِ أم لا؟ بيَّنّاهُ مفصّلًا في قولِهِ تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6].

---

(١) ينظر: تفسير الكشّاف: ١: ١٤٠.

(٢) وهو: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي السّكّاكي: إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه، متفنّن في علوم شتى، من كتبه: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة، توفي سنة (٦٢٦هـ). ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٨.

(٣) الالتفات: هو: ((أن تذكرَ الشّيء وتُتِمَّ معنى الكلام به، ثمَّ تَعودَ لِذِكْرِه، كأَنَّكَ تلتَفِتُ إليهِ)). فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٦، والمشهور عند الجمهور: هو: ((التّعبيرُ عن معنًى بطريقٍ منَ الطّرقِ الثّلاثةِ (التّكلّم والخطاب والغَيبة) بعدَ التّعبيرِ عن ذلكَ المعنى بطريقٍ آخرَ منَ الطّرقِ الثّلاثةِ، بشرطِ أن يكونَ التّعبيرُ الثّاني على خِلافِ ما يقتَضيهِ الظّاهرُ ويَترقّبُهُ السّامِعُ)). الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٤، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ٨٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ٦٠.

(٥) ينظر: الأصول في النحو: ٢: ٢٥٧، و شرح المفصّل : ٢: ٣٢٨.

(٦) سورة البقرة ٢: ٥.

المعنى: [٣٣٨]

ثُمَّ ذكَّرَ سبحانهُ بني إسرائيل بنعمةٍ أخرى أَنعمَها عليهم فقالَ: ﴿**وَإِذْ**﴾، أي: اذكروا يا بني إسرائيلَ الوقتَ الذي ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**﴾ الّذين اتَّخذوا العجلَ إلهًا وعَبَدوهُ عند(١) رجوعهِ من طورِ سيناء إليهم ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾، أي: أضرَرتُم بأنفسِكُم ونَقصتُم حقَّها وثمَنَها الذي هو الجنَّةُ ووضَعتُم العبادةَ الّتي تَحقُّ لخالِقِكم وبارئِكم، ويَخصُّ بها غيرَ موضعِها(٢) ﴿**بِاتِّخَاذِكُمُ**﴾، أي: بسببِ اتِّخاذِكم ﴿**الْعِجْلَ**﴾ معبودًا وعبادتِكم إيَّاهُ وفعلِكم ما نهاكُم خالِقُكم عنهُ، وتعريضَكُم أنفسَكم للعقابِ الأبديِّ والخذلانِ السَّرمديِّ منَ الظلمِ العظيمِ فإذا(٣) ثَبَتَ ظلمُكم أنفسَكم باتِّخاذِكم العجلَ إلهًا وإشراكِكُم بذلكَ وتَبيَّنَ لكم وَخامَةُ عاقبَتِه، ﴿**فَتُوبُوا**﴾، أي: فاندمُوا وأنيبُوا وارجعُوا ﴿**إِلَى بَارِئِكُمْ**﴾، أي: خالِقِكم الّذي خلقَكم وأبدَعَكم، لا عن مادةٍ ولا مثالٍ قديمينِ، بأحسنِ(٤) تقويمٍ: بدقَّةٍ كاملةٍ وتمييزٍ تامٍّ واستواءٍ وإتقانٍ وإحكامٍ بريئًا منَ التّفاوتِ في في ذلكَ بالطاعةِ(٥) والعبادةِ والتوحيدِ وكمالِ المعرفةِ، ثمَّ فصَّلَ(٦) التّوبةَ وفسَّرَها بقوله: ﴿**فَاقْتُلُوا**﴾، أي: فَبأن اقتُلوا ﴿**أَنْفُسَكُمْ**﴾، أي: ليَقتل بعضُكم بعضًا، يقتلُ البريءُ مِن عبادةِ العجلِ المجرمَ بعبادتهِ، أو المعنى(٧): فتُوبوا إلى بارئِكم بالنّدمِ والإنابةِ والإقلاعِ عن عبادةِ العجلِ، فأتبِعُوا توبتكم قتلَ أنفسِكم قتلًا حقيقيًّا أيضًا بضربِ الأعناقِ ونحوِها، كَما سنُشيرُ إلى بيانِ ذلكَ آنفًا، أو فاستسلِموا أنفسَكم للقتلِ بالبخعِ(٨)، وقطعِ الأطماعِ، وقمعِ الشّهواتِ، والأحزانِ الطويلةِ، فجعلَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: عندَ: ظرفٌ لقولِهِ: قالَ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: غيرَ موضِعِها: ظرفٌ لقولهِ ووضعتُم، أي: وَضعتُم في غيرِ موضعِها.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى أنّ الفاء في (فتوبوا) فصيحة كما مرّ في بيان الإعرابِ.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: متعلِّقٌ بخلقَكم وأبدعَكم أو بخالِقِكم وبارِئِكم.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: مُتعلّق بقولِهِ: (فتوبوا).

(٦) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى أنّ الفاء في (فاقتلوا) للتّفسيرِ والتّفصيلِ.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى أنّ الفاء في (فاقتلوا) لمحضِ العطفِ كما مرّ في بيانِ الإعراب أيضا.

(٨) «بخعَ نفسُهُ بخعًا، أي: قتلَها غمًّا». الصحاح: ٣: ١١٨٣ (بخع).

استسلامَهُم للقتلِ قتلًا لأنفسِهم على وجهِ التّوسّعِ، كما قيل: مَن لم يعذبْ نفسهُ لم ينعمْها، ومَن لم يقتلْها لم يُحْيِها، عن أبي إسحاقٍ(١) واختارهُ الجبّائيُّ(٢).

﴿ذَٰلِكُمْ﴾، أي: ذلكَ القتلُ الحقيقي أو الاستسلامُ وتحمّلُ المشقّةِ العظيمةِ، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من إيثارِكُم الحياةَ الدنيا التي تفنى ولا تَبقى، وتحصَّلون بعدَ الحياةِ على عذابٍ شديدٍ، فإذا قتلتُم أنفسكُم كما أُمِرتُم زالَت عنكم مشَقَّةُ القتلِ عن قريبٍ وبقيتُم في نعيمٍ دائمٍ لا يبيدُ؛ لأنَّ ذلكَ كفّارةٌ لذنوبكم وطهرَةٌ لأدناسِ عيوبِكم ووَصلَةٌ إلى الحياةِ الأبديَّةِ والبهجةُ السّرمديَّةُ فهو خَيرٌ لكم من أن تعيشوا في الدّنيا الفانيةِ قليلًا ثمَّ تكونوا في النّارِ خالدينَ، وكَرَّرَ ذكرَ بارئكم: تعظيمًا لهُ، وتفظيعًا لما أتَوا به، وتَقريعًا لهم بما صدرَ منهم، وإشعارًا بأنَّهم بلَغُوا غايةَ الجهلِ والغباوةِ حتَّى تَركوا عبادةَ خالقِهم العليمِ الحكيمِ، الذي برأَهُم وأبدعَهُم بلطفِ حكمتِهِ الكاملةِ لا عن مَّادةٍ ولا مثالٍ قديمينِ على الأشكالِ والهيئاتِ المختلفةِ بريئًا من التّنافرِ والتّفاوتِ في الاتقانِ، مُتوجّهينَ بالكليَّةِ إلى عبادةِ البقرةِ التي هي مَثَلٌ في البلادةِ والغباوةِ، حتَّى عَرَّضوا أنفسَهم لِسَخطِ خالقِهم، ونزولِ أمرهِ بأن يُفكَّ بالقتلِ وقطعِ الأوداجِ والأوصالِ ما ركَّبَه سبحانَهُ من أجسامِهم، ويُنثرَ ما نظَمهُ من صورِهِم وهيئاتِهِم حينَ عمَطُوا(٣) نعمةَ الله سبحانَهِ في ذلكَ ولم يشكروها وَصَرَفوها بعبادةِ ما لا يَقدِرُ على شيءٍ منها.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ففعَلتُم ما أمَركم بهِ من النَّدمِ وقتلِ الأنفُسِ فتابَ عليكم بارِئُكم، أي: قَبِلَ توبتَكُم قبل استيفاءِ القتلِ لجميعِكم وقبلَ إتيانِهِ على كافَّتِكم فأمهَلَكم للتّوبةِ واستبقاكم للطّاعةِ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾، أي: القابلُ توبةَ عبادهِ مرةً بعد مرةٍ عن ذنبٍ بعد ذنبٍ، وقابلُ التّوبةِ

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من حفاظ الحديث، من كتبه: السيرة النبويّة وقد هذبها ابن هشام، و كتاب الخلفاء، و كتاب المبدأ، سكن بغداد ومات فيها سنة (١٥١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٧: ٣٢١، ومشاهير علماء الأمصار: ٢٢٢، ترجمة رقم: ١١٠٥، والأعلام: ٦: ٢٨.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨١، وتفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٣: ٣٠٦، ومفاتيح الغيب: ٣: ٥١٦.

(٣) «عَمَطَ نِعْمةَ الله عَمْطاً، وعَمِطَها عَمْطاً، كغَمِطَها: لم يَشْكُرْها وكَفَرها». لسان العرب: ٧: ٣٥٦ (عمط).

عن الذنوبِ العظامِ والخطايا الجسامِ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: يرحمُكُم إذا تبتُم فيُنجيكم من النارِ تفضّلًا، ويُدخِلُكم الجنّةَ تحنُّنًا.

بيانُ كيفيَّةِ القَتلِ والمأمورينَ بهِ:

واختلفوا في كيفيةِ القتلِ، وفي المأمورينَ بهِ، ففي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: (إنَّ موسى عليه السلام لمَّا أبطلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ على يديهِ أمرَ العِجلِ فأنطَقَهُ بالخبَرِ عن تمويهِ السَّامِريّ وأمرِ موسى بأن يقتُلَ مَن لم يعبدْهُ مَن عبدَهُ تَبرَّأَ أكثرُهُم وقالوا لم نَعبُدهُ ووَشَى بعضُهُم ببعضٍ، فقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لموسى عليه السلام: أبردِ العِجلَ الذّهبَ بالحديدِ[1] بَردًا ثُمَّ ذُرَّهُ في البحرِ فمَن شَرِبَ من مائهِ اسوَدَّت شَفَتاهُ وأنفُهُ [إن كانَ أبيَضَ اللونَ، وأبيَضَّا إن كانَ أسودَ] وبانَ ذنبُهُ، ففعَلَ فبانَ العابدونَ، فأمَرَ اللهُ الاثنى عشرَ ألفًا أن يخرجوا على الباقينَ شاهرينَ السّيوفِ ويقتُلوهم، ويُنادي مناديهِ ألا لَعَنَ اللهُ أحَدًا اتَّقاهم بيدٍ أو رِجلٍ، ولعَنَ اللهُ مَن تأمَّلَ المقتولَ لعلَّهُ تبيَّنَهُ حميمًا أو قريبًا فيَتَعدَّاهُ إلى الأجنبي، فاستسلَمَ المقتولونَ، فقالَ القاتلونَ: نحنُ أعظمُ مصيبةً منهم نقتلُ بأيدِينا آبائِنا وإخوانِنا وأقربائِنا ونحنُ لم نعبُدْهُ، فقد ساوى بيننا وبينَهم بالمصيبةِ، فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى: يا موسى إنّي إنَّما امتحنتُهم بذلكَ؛ لأنَّهم اعتزلوهُم لمَّا عبدُوا العِجلَ ولم يَهجروهُم ولم يُعادوهُم على ذلكَ، قل لَهُم: مَن دَعا اللهَ بمحمَّدٍ وآلهِ الطّيبينَ يُسَهِّل عليهِ قتلَ المستحقّينَ للقتلِ بذنوبِهم، فقالوها، فَسَهَّلَ عليهم ولم يجدُوا لقتلِهم ألمًا، فَلَمَّا استحَرَّ القتلُ فيهم وَهم ستّمائةِ ألفٍ إلّا اثنى عَشَرَ ألفًا، وَقَفَ اللهُ الذينَ عبدوا العِجلَ بمثلِ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قالعليه السلام: (أبردِ العجلَ الذهبَ بالحديدِ، إشارةً إلى قولِهِ في سورةِ طه حكايةً عمَّا قالَ موسى عليه السلام للسَّامريّ: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [سورة طه ٢٠: ٩٧]، يُقالُ: حرَقَهُ، أي: برَدَهُ بالمبرَدِ، وحَكَّ بعضَه ببعضٍ يُحرِقُهُ، ويُحرِقُهُ: سَحقَهُ حتَّى سُمِعَ لهُ صَريفٌ، وفي الجوامعِ: وقراءةُ عليٍّ عليه السلام: لَنَحرُقَنَّهُ، [تفسير جوامع الجامع: ٢: ٤٩٩]، ومعناهُ لَنبردَنَّهُ بالمبردِ، قال: ويجوزُ أن يكونَ لَنُحرِقَنَّهُ مبالغةً في حَرَقَ إذا بَرَدَ، قال: وهذهِ القراءةُ تدُلُّ على أنَّهُ كانَ ذهبًا وفضَّةً ولم يَصِرْ حَيَوانًا، والحديثُ نَصٌّ في كونِهِ ذَهَبًا كما مَرَّ، والمِبرَدُ كَمِنبَرٍ السّوهانِ، [البَردُ: سَحكَكَ الحديدَ بالمبرَدِ، أي: السّوهانُ (بالفارسية). العين: ٨: ٢٩ (بَرَدَ)]، وقيلَ: إنَّ موسى عليه السلام بَرَدَ العجلَ بالمِبرَدِ ثُمَّ أحرقَهُ بالنّارِ فذَرَّهُ في اليَمّ).

هذا التّوسّلِ، فَتوسَّلوا بهم واستَغفروا لِذنوبِهم، فأزالَ اللهُ القتلَ عنهم)[1].   [٣٣٩]

وفي تفسيرِ عليٍّ بن إبراهيمَ: (إنَّ موسى عليه السلام لَمَّا رجعَ من الميقاتِ وقد عبَدَ قومُهُ العجلَ قالَ لهم بعد الغضَبِ عليهِم والعَتبِ لهم: توبُوا إلى بارئِكم فَاقتُلوا أنفسَكم، قالوا: وكيفَ نقتلُ أنفسَنا؟ قال لهم: لِيَعمدَ كلُّ واحدٍ منكم إلى بيتِ المَقدسِ ومَعَه سيفٌ أو سكّينٌ فإذا صَعدتُ المنبرَ تكونوا أنتُم مُتَلثِّمينَ لا يعرفُ أحدُكُم صاحبَهُ، فَليَقتُل بعضُكم بعضًا، فاجتمَعُوا الّذينَ عَبَدوا العِجلَ وكانوا سبعينَ ألفًا فلَمّا صلَّى بهم موسى عليه السلام وصعِدَ المنبَرَ أقبلَ بعضُهُم يقتُلُ بعضًا حتَّى نزَلَ الوحيُ قل لهُم يا موسى: ارفَعوا [2]القتلَ فقَد تابَ اللهُ عليكم وكانَ قُتِلَ منهم عشرةُ آلافٍ)[3].

وفي المجمعِ: (رُويَ أنَّ موسى عليه السلام أمرَهم أن يقوموا صَفَّينِ فاغتَسلوا ولَبَسوا أكفانَهم، وجاءَ هارونُ باثنَي عشَرَ ألفًا ممَّن لم يعبدِ العِجلَ ومعَهم الشِّفارُ المُرهَفةُ وكانوا يقتُلونهم فلَمَّا قتَلوا سَبعينَ ألفًا تابَ اللهُ على الباقينَ وجَعلَ قتلَ الماضِين شهادَةً لهم، وقِيلَ: إنَّ السّبعينَ الذينَ كانوا معَ موسى عليه السلام في الطّورِ الّذينَ قتَلُوا ممَّن عبَدَ العجلَ سبعينَ ألفًا، وقيلَ: إنَّ عبَدَةَ العجلِ أنفسَهُم قاموا صَفَّينِ فجَعلَ بعضُهُم يَطعنُ بعضًا حتَّى قَتلوا سبعينَ ألفًا، وقيلَ: غَشِيَهم سحابةٌ وظلمةٌ شديدةٌ فجعَلَ بعضُهُم يقتلُ بعضًا، ثمَّ انجلَتِ الظّلمةُ فأجلَوا عن سَبعينَ ألفَ قتيلٍ، ورُويَ أنَّ موسى وهارونَ وقَفَا يدعُوانِ اللهَ تعالى ويتضرَّعانِ إليهِ وَهُم يقتُلُ بعضُهُم بعضًا حتَّى نزَلَ الوَحيُ بِرفعِ القتلِ، وقُبلَت توبةُ مَن بَقيَ، وذكرَ ابنُ جريجٍ: إنَّ السّببَ في أمرِهِم بقتلِ أنفسِهم أنَّ اللهَ تعالى عَلِمَ أنَّ ناسًا مِنهم ممَّنْ لم يَعبدِ العجلَ لم يُنكِروا عليهِم مخافَةَ القَتلِ معَ علمِهِم بأنَّ العِجلَ باطِلٌ فلذلك ابتلاهم اللهُ بأن يقتُلَ بعضُهم بعضًا، وإنَّما امتحنَهم اللهُ بهذهِ المحنةِ العظيمةِ؛ لِكفرِهم بعدَ الدلالاتِ والآياتِ العظامِ، قالَ الرُّمَّاني: لا بدَّ أن يكونَ في الأمرِ بالقتلِ لطفٌ لهم، ولغيرِهم كما

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٥٤، ٢٥٥، والإضافة من الأصل لم ترد في نسخة المصدر المعتمدة.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: هذا مثل أكلوني البراغيث.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٧، مع اختلاف طفيف.

يكونُ في استسلامِ القاتِلِ لطفٌ لهُ ولغيرِهِ، فإن قيلَ: كيفَ يكونُ في قتلِهِم نفوسَهم لُطفٌ لهم ولا تكليفَ عليهم بعدَ القَتلِ، واللُطفُ لا يكونُ لطفًا فِيما مَضَى ولا فيما يُقارِنُهُ؟ فالجوابُ: إنَّ القومَ إذا كُلِّفوا أن يَقتُلَ بعضُهم بعضًا وكُلُّ واحِدٍ منهم يقصدُ قتلَ غيرِهِ، ويجوزُ أن يبقى بعدَهُ فيكونَ القتلُ لطفًا له فيما بَعدُ ولو بمقدارِ زمانٍ يفعلُ فيهِ واجِبًا واحِدًا، أو يمتنعُ عن قَبيحٍ، وهذا كما نقولُ في عبادتِنا بِقتالِ المشركينَ وأنَّ اللهَ تعبَّدَنا بأن نُقاتِلَ حتَّى نَقتُلَ أو نُقتَلَ ويَمدحُنا على ذلكَ.

وكذلكَ روى أهلُ السِّيَرِ[1]: إنَّ الذينَ عَبَدوا العِجلَ تُعُبِّدوا بأن يَصبروا على القَتلِ حتَّى يَقتُلَ بعضُهُم بعضًا، فكانَ القتلُ شهادةً لَمن قُتِلَ، وتَوبةً لَمن بَقيَ وإنَّما كانت بكونِ شبهَةٍ لو أُمِرُوا بأن يَقتُلوا نفوسَهُم بأيديهِم ولَو صَحَّ ذلكَ لم يمتَنع أن يكونوا أُمِرُوا بأن يَفعَلوا بنفوسِهِم الجراحَ التي تُفضِي إلى الموتِ وإن لم يَزُلْ معها العقلُ فيُنافِيَ التّكليفَ، وأمَّا على القولِ الآخَرَ وهوَ أنَّهم أُمِرُوا بالاستسلامِ للقتلِ والصّبرِ عليهِ فلا سِلَةَ؛ لأنَّهم ما أُمِرُوا بِقتلِ نفوسِهِم فَعلى هذا يكونُ حَسَنًا؛ لأنَّه لو كان قَبيحًا لَمَا أُمِرُوا بالاستسلامِ لهُ؛ ولذلك نقولُ: لا يجوزُ أن يُتعبَّدَ نَبيٌّ ولا إمامٌ بأن يَستسلِمَ للقتلِ معَ قدرَتِهِ على الدّفعِ عن نَفسِهِ فلا يَدفعُهُ؛ لأنَّ في ذلكَ استسلامًا للقبيحِ معَ القُدرةِ على دفعِهِ وذلكَ لا يجوزُ، وإنَّما كانَ يقعُ قتلُ الأنبياءِ والأئمّةِ عليهم السلام على وَجهِ الظُلمِ وارتفاعِ التَّمكّنِ منَ المنعِ غَيرَ إنَّهُ لا يمتَنعُ بأن يُتعَبَّدَ بالصّبرِ على الدّفاعِ وتَحمّلِ المشَقَّةِ في ذلكَ وإن قتلَهُ غيره ظُلمًا، والقَتلُ وإن كان قَبيحًا بِحكمِ العَقلِ فهو ممَّا يجوزُ تغييرهُ بأن يصيرَ حَسَنًا؛ لأنَّهُ جارٍ مجرَى سائرِ الآلامِ وليسَ يجري مَجرى الجهلِ والكَذبِ في إنَّهُ لا يصيرُ حَسَنًا قطُّ، ووَجهُ الحُسنِ في القتلِ أنَّهُ لُطفٌ على ما قلناهُ، وأيضًا فكما يجوزُ من الله تعالى أن يُميتَ الحَيَّ فكذلكَ يجوزُ أن يأمُرَنا بإماتَتِهِ ويُعوِّضَه على الآلامِ التي تدخُلُ عليهِ فيكونُ فيهِ لُطفٌ على ما ذَكرناهُ[2]، انتهى. ما ذَكرهُ في المجمعِ وفي بعضِهِ تـأمّلًا. [٣٤٠]

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١: ٣٥٠، والكامل في التاريخ: ١: ١٩٢.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢١٨ ـ ٢٢٠.

قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾ آيتانِ:

القراءة:

قرأَ جمهورُ القُرّاءِ: جَهْرةً على وزنِ رَحْمةً، مصدرُ جَهَرَهُ كمَنَعَ، وقُرِئَ: جَهَرَةً مُحَرَّكَةً كغَلَبَةٍ على أنّها مصدرٌ أيضًا، أو جمعُ جاهِرٍ، كظَلَمَةٍ وفَسَقَةٍ في جمعِ ظالمٍ وفاسقٍ[١]، وقرأَ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام: الصّعقةُ بصيغةِ المرَّة، والجمهورُ: الصّاعقةُ[٢].

اللغة:

الإيمانُ: التّصديقُ والإقرارُ، يقالُ آمنَ بهِ ولهُ، كما قالَ: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾[٣] و﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾[٤] وفي موضعٍ آخَرَ ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾[٥]، أصلُ الرؤيةِ: الإدراكُ بالبَصرِ فيتَعَدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو: رأيتُ زيدًا بمعنى أبصرتُهُ، يقالُ: رأيتُهُ رؤيةً ورأيًا وراءَةً ورايَةً، وكذا قولُهُ تعالى: ﴿نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ وليس جَهرةً مفعولًا ثانيًا، بل حالٌ أو مصدرٌ كما سنُشيرُ إليهِ في بيانِ الإعرابِ، وكذا يتعدَّى إلى واحدٍ إذا كانَ بمعنى أصابَ الرِّئةَ، نحو: رأيتُ الصّيدَ إذا أصبتَ وضَربتَ رئتَهُ، ومن اسمُ فاعلِ رَأَى بمعنى: أصابَ الرِّئَةَ، قولُهُ:

(١) ينظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها: ١: ٥٤٠.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢: ٣٧٧، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٢١٥، وقد نسب أصحاب القراءات هذه القراءة إلى الكسائي.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٣٧.

(٤) سورة الاعراف ٧: ١٥٨.

(٥) سورة طه ٢٠: ٧١.

وحرفٌ[1] كنونٍ تحتَ راءٍ ولم يكنْ بِدالٍ يؤومُ الرسمَ غيَّرَهُ النِّقْطُ[2]

ثمَّ اُستُعمِلَ بمعنى العلمِ فيكونُ من أفعالِ القلوبِ ويتعدَّى إلى مفعولينِ، وهو من الرَّأيِ فحينَئذٍ يكونُ بمعنى اليقينِ والرّجحانِ، ولكنَّ الغالبَ كونُهُ بمعنى اليقينِ، كقولِهِ:

رَأيتُ اللهَ أكبرَ كلِّ شيءٍ محاولَةً وأكثرَهُم جنُودًا[3]

فـ(اللهَ): مفعولُهُ الأوّل، و(أكبرَ كلِّ شيءٍ): مفعولُهُ الثّاني، و(محاولةً) تمييزٌ عن نسبةِ أكبرِ إلى فاعلِهِ، وهي: القدرةُ والطّاقةُ، و(أكثرَهم جنودًا) مثلُه في الإعرابِ، أي: علمتُ اللهَ أكبرَ كلِّ شيءٍ من حيثُ القدرةِ والطاقةِ، وأكثرَهم من حيثِ الجنودِ، وأمَّا كونُهُ للرجحانِ، فنحو: رأيتُ زيدًا فاضلًا، أي: ظننتُهُ إيَّاهُ، وقد اجتمعا في قولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[4] ، وكذا يتعدَّى إلى مفعولينِ رأى الحُلُميّة يقالُ رأيتُ رؤيا حسنةً كقولِهِ تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[5]، كوكبًا: تمييز، وساجدينَ: مفعولُهُ الثّاني في الموضعينِ، وقولِهِ: ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[6]، وكقولِ عمرو بن أحمر الباهلي يذكرُ جماعةً من قومِهِ لحقوا

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وحرفٌ، البيت: الحرفُ: الناقةُ المهزولةُ، والنّونُ: من الحروفِ المعجمةِ، وقيل هي: الحوتُ، وراءٍ: اسمُ فاعلٍ من رأيتُهُ إذا أصبتَ وضربتَ رِيتَهُ، وفيهِ الاستشهادُ.

وكذا دالٍ من: دَلَا الرّكائبَ، وهي: جمعُ ركوبةٍ من الإبلِ، إذا رفِقَ بسوقِها، والنُّقطُ: ما تقاطَرَ على الرسومِ من المطرِ، وجملةُ يؤمُّ: صفةُ راءٍ، وجملةُ غَيَّرَهُ النقطُ: حال من الرسمِ بتقديرِ قد، أو صفةٌ لهُ على حدِّ قولِهِ: (ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسُبُّني).

وفي البيتِ إيهامُ التّناسبِ الذي هوَ منَ المحسّناتِ البديعيّةِ كما لا يخفى، فشَبَّهَ النّاقةَ بالنّونِ في الدّقّةِ، والباقي واضحٌ.

(٢) البيت من الطويل، لأبي العلاء المعرّيّ. ديوانه (سقط الزّند): ١٧٧، وخزانة الأدب: ٢٣٩.والشاهد فيه: صياغة اسم الفاعل (راءٍ) من الثلاثي: رأى.

(٣) البيت من الوافر، لخداش بن زهير. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك:١٤١، والنوادر في اللغة: ٢٠٠.

(٤) سورة المعارج ٧٠: ٦، ٧.

(٥) سورة يوسف ١٢: ٤.

(٦) سورة يوسف ١٢: ٣٦.

بالشّام فرآهم في منامِهِ[1]:

أبـو حنَشٍ يُـؤرِّقُنــــي وَطَلْقٌ وَعَمّـارٌ وآوِنَةً أُثـالا

أَراهُم رِفقَتي حتّى إذا ما تجافَى الليلُ وانخزَلَ انخِزالا[2]

فالرُّؤيةُ ثلاثةُ أصنافٍ.

ومنَ الأوّلِ: المرآةُ التي يُنظرُ فيها، والجمعُ: المرائي، وترَأيتُ بالمرآةِ إذا نظرتُ فيها، وفي الحديثِ: «لا يتراءى أحدُكم بالماءِ، أي: لا ينظر»[3]، وتَراءى القومُ إذا نظرَ بعضُهم إلى بعضٍ، قالَ

(١) ومنه في حاشية الأصل: آخرُهُ: إذا أنا كالذَّرِّ يجري لِوِردٍ إلى آلٍ فَلم يُدرِكِ بِلالا

وقولُهُ: أبو حَنَشٍ الأبيات، والاستشهادُ في قولِهِ: أَراهُم رفقَتي حيثُ نصبَ رأى الحُلُميّة مفعولينِ أحدُهُما: هُم، وثانيهُما: رُفقَتي بضمِّ الراءِ وكسرِها، وهيَ: الجماعةُ التي ينزلونَ جملةً ويرتحلونَ جملةً؛ وسُمّوا رفقةً لارتفاقِ بعضِهِم ببعضٍ، وأبو حنشٍ: كُنيةُ رجلٍ من تلكَ الجماعةِ، الرِّفقةُ: مبتدأ، وجملةُ: يؤرِقُني بمعنى يُسهرني: خبرُهُ، وطلقٌ: اسمُ رجلٍ منهم، عَطفٌ على أبي حنَشٍ، وعَمّارٌ كذلكَ، وأُثُالا بضمِّ الهمزةِ والثّاءِ المثلَّثةِ: اسمُ رجلٍ منهم أيضًا، عطفٌ على أبي حنَشٍ وأصلُهُ: أُثالَةُ فَرخّمه للضّرورةِ؛ لكونهِ غيرَ منادًى كما بُيِّنَ في موضعهِ، والألفُ: للإطلاقِ، وآونةً: جمعُ أوانٍ: نُصِبَ على الظّرفيّةِ، وهي وقعَت فاصلةً بينَ المعطوفِ والعاطِفِ، أي: وعَمّارٌ وأُثالةُ آونَةً، والرؤيا هنا حُلُميّة بدليلِ تجافي الليل أي: انطُوى وانقَطَعَ وذهَبَ، ورُويَ تَولّى الليلُ وهو مثلُهُ في المعنى، وانخزَلَ، أي: انقطعَ وذهَبَ، وانخزالًا: مفعولٌ مطلقٌ، وإذا: للمفاجئةِ، وأنا: مبتدأٌ، وكالذَّر: خبرُهُ، على تقديرِ الموصوفِ، أي: كالرجلِ الذَّرِّ، وجملةُ يجري: صلتُهُ، ولِوِردٍ بكسرِ الواو خلافُ الصّدورِ متعلّق بـ(يجري)، والآلُ: قالَ الجوهريُّ: هو ما تراه في أوّلِ النّهارِ وآخرِهِ كأنّهُ رفعُ الشخوصِ وليس هو السَّرابُ [الصحاح: ٤: ١٦٢٧ (أول)]، وفي القاموسِ: الآلُ: السَّرابُ. [القاموس المحيط: ٤: ٣٣٩ (زفت)]، انتهى. والبِلالُ بكسرِ الموحدة: ما يُبَلُّ بِهِ الحلقُ من الماءِ وغيرِهِ، والمرادُ هنا الماءُ.

(٢) الأبيات من الوافر. وقد رواها سيبويه بلفظ: (يؤرّقنا)، الكتاب: ٢: ٢٧٠، ونقلها ابن جنّي بالقول: (وعبّادٌ)، الخصائص: ٢: ٣٨٠.

والشاعر هو: ابن العمرد بن تميم بن ربعة بن حرام الباهلي أبو الخطاب: شاعرٌ مُخضرمٌ أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ، فأسلمَ وغَزا في مغازي الرّوم، وأُصيبَ بإحدى عينيهِ هناكَ، نزلَ الشامَ، وتوفيَ على عهدِ عثمانَ بعد أن بلَغَ سنًّا عاليةً. ينظر: معجم الشعراء: ١: ٢١٤، والأعلام: ٥: ٧٢.

(٣) ورد الحديث بلفظ: «لا يتمرأى أحدكم في الدنيا، أي لا ينظر فيها، وهو يتمفعَلُ، منَ الرؤية، والميم زائدة». النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣١٤، وبحار الأنوار: ١٦: ٢٥٥، أمّا ما ورد في الأصل فقد أُثبِتَ من التبيان: ١: ٢٤٩، ومجمع البيان: ١: ٢٢٠.

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[1]، أي: نظرَت أحدُهُما إلى الأُخرى، وفي الحديثِ: «أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ معَ مشركٍ، قيل: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: لا تراءى ناراهُما»[2]، أي: يلزمُ المسلمُ ويجبُ عليه أن يتباعَدَ منزلُهُ مِن منزلِ المُشرِكِ ولا ينزلُ بالموضِعِ الذي إذا أُوقِدَت فيهِ نارُهُ تلوحُ وتظهرُ لنارِ المُشرِكِ إذا أوقدَها في منزِلِهِ، والتّرائي تفاعلٌ منَ الرؤية، ويقالُ: تراءى ليَ الشّيءُ، أي: ظهرَ حتّى رأيتُهُ، وإسنادُ التّرائي إلى النّارِ مجازٌ من قولِهم: دارُ فلانٍ تنظرُ إلى دارِ فلانٍ، أي: تُقابِلُها، يعني: ناراهُما مُختلِفتانِ، هذهِ تدعو إلى الله تعالى، وهذهِ تدعو إلى الشّيطانِ، فكيفَ تتَّفقانِ؟ والأصلُ: تَتَراءَى فَحُذِفَت إحدى التّائينِ، وفيهِ: «أنَّ أهلَ الجنَّةِ لَيَتراءَون أهلَ عليّين كما تَرونَ الكَوكَبَ الدّرّيَّ في أُفُقِ السّماءِ»[3] أي: ينظرونَ ويَرونَ، وفيهِ: «تراءَينا الهلالَ، أي: تَكَلَّفنا النظرَ إليهِ هل نراهُ أم لا؟»[4] ولِكَثرةِ استعمالِ هذهِ الكلمةِ، أعني (رأى): يَحذِفونَ الهمزةَ في كُلِّ موضِعٍ يكونُ راؤُها ساكنةً فيَحذِفونَ الهمزةَ من مضارعِ رأى، أعني: يَرى، ومنَ الماضي والمضارعِ واسمِ الفاعلِ من بابِ الافعالِ، نحو: أرى يُرى وأريتُ ومُرْ.

ذكرُ تصرّفاتِ (رأى): [٣٤١]

أصلُ يَرى: يَرأى كيَمنَعُ نقلُوا حركةَ الهمزةِ إلى الراءِ فحُذِفتِ الهمزةُ على قياسِ التخفيفِ فصارَ يَرَى على وزنِ يَفَل بحذفِ عينِ الكلمةِ فقُلِبتِ الياءُ ألفًا لتحرّكِها وانفتاحِ ما قبلِها فصارَ يرى، وقِس عليهِ نَرى وأَرَى ويَرى وأَرَيتُ ومُرٍ، ويُثبِتُونها في مَوضعينِ نحو: مَرأى وأراءتِ الناقةُ أو الشاةُ: إذا عُرِفَ في لونِ ضَرعِها أنَّها قد أقربَت، والرِّئْيُ: بكسرِ الرَّاءِ وسكونِ الهمزةِ: حُسنُ المَنظَرِ والهيئةِ، قالَ جريرُ:

وكُلُّ قومٍ لَهم رِئْيٌ ومُختَبَر   وَليسَ في تَغلِبَ رِئْيٌ وَلا خَبَر[5]

(١) سورة الانفال ٨: ٤٨.

(٢) السنن الكبرى: ٨: ١٣١، والفائق في غريب الحديث: ٢: ٣.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ٢: ٣.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ٢: ٣، مع اختلاف يسير، وجاء بالنصّ في: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٧٧.

(٥) لم يقف الباحث على البيت في ديوان جرير، وأثبته من: النحو الوافي: ١: ٢٦٧، وقد رواه الخليل في عينه: ٨: ٣١٠، بلفظ (رِي) بَدَلَ (رِئْي).

ويُقالُ: أَريتَكَ وأَريتكما وأَريتكم، وهي: كلمةٌ تقولُها العربُ عند الاستخبارِ، بمعنى: أخبرني وأَخبراني وأخبروني، وتاؤها مفتوحةٌ أبدًا، والكافُ في جميعِ الأحوالِ من الواحِدِ والتثنيةِ والجمعِ: حرفُ خطابٍ لا محلَّ لهُ من الإعرابِ، وتقولُ العربُ: أَلَمْ ترَ إلى فلانٍ، وأَلم تَرَ إلى كذا، تقولهُا عند التعجّبِ مِن الشّيءِ، وعند تنبيهِ المخاطَبِ كقولِهِ تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[1]، و﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾[2]، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[3] الآية، أي: أَلَمْ تُعجَب بفعلِهم؟ أَلَمْ يَنتَهِ شأنُهم اليكَ وحالهُم لديكَ؟ ويقالُ: فلانٌ رَئِيُّ قومِهِ على وزنِ غَنِيّ: إذا كان صاحبَ رأيِهم، ويقالُ للتّابعِ منَ الجِنِّ: رَئِيّ كَغَنِيّ أيضًا، ومنه الحديثُ: «قال عمرُ لسَوادِ بن قارِب: أنتَ الذي أتاكَ رَئِيُّك بظهورِ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فقال: نعم»[4]، والرَّئِيُّ أيضًا: الحيّةُ العظيمةُ، وفي حديثِ الخدريّ: «فإذا رِئيٌّ مثلُ نِحيٌّ[5] يعني: حيّةً عظيمةً كالزِّقِّ سمّاها بالرِّئِيِّ؛ لأنَّهم يزعمونَ يزعمونَ أنَّ الحيّات من مَسخِ الجِنِّ؛ ولهذا سَمُّوها شيطانًا وَجانًّا»[6].

والجهرُ والمعايَنةُ والعلانيّةُ نظائِرُ وهي: ما ظَهَرَ، فأصلُ البابِ: الظهورُ، يقالُ: جهرَ بقراءتِهِ وبكلامِهِ جهرًا: إذا أعلَنَ وكلامٌ جَهرٌ ومُجهَرٌ وجَهيرٌ وجَهوَريٌّ عالٍ، ومنه الحروفُ المجهورَةُ، وضدُّ الجهرِ: السِّرُّ، وهوَ: ما خَفِيَ، وحقيقةُ الجهرِ: ظهورُ الشّيءِ معاينةً، وأَرِنا جهرَةً، أي: عيانًا بلا حِجابٍ.

وفي المجمعِ: «والفرقُ بين الجهرَةِ والمعايَنةِ أنَّ المعاينةَ ترجعُ إلى حالِ الْمُدرِكِ، والجهرَةَ ترجعُ إلى حالِ الْمُدرَكِ، وقد تكونُ الرؤيةُ غيرَ جهرةٍ كالرّؤيةِ بالنّومِ والرّؤيةِ بالقلبِ فإذا قالَ جهرَةً لم تكن إلّا

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤٣.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٢٣.

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣: ٦٠٨، والمعجم الكبير: ٧: ٩٣.

(٥) النِّحِيُّ بالكسرِ: الزِّق. القاموس المحيط: ٤: ٣٩٤ (نحا).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٧٨.

رُؤيةَ العينِ على التّحقيقِ دونَ التّخييلِ[1]، وجَهِرَتِ العينُ كَفَرِحَ: إذا لم تُبصِرْ في الشّمسِ، فهو الأجهَرُ.

والصاعقَةُ: الموتُ وكلُّ عَذابٍ مُهلِكٍ، وصَيحَةُ العذابِ، والمِخراقُ: الذي بيدِ المَلَكِ يسوقُ بهِ. والصّاعقَةُ: النّارُ التي يرسلُها اللهُ تعالى مع الرّعدِ الشّديدِ ولا تأتي على شيءٍ إلّا أحرَقَهُ، وصعقَتهُم السّماءُ كمَنَعَ صاعقَةً: مصدرٌ، كالعاقبةِ والكاذِبةِ أصابتهُم، والصّعقُ: أن يغشى الإنسانُ من صَوتٍ شديدٍ يسمعُهُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[2]، ورُبّما ماتَ ثم اُستُعمِلَ في الموتِ كثيرًا، والصّعقةُ المَرَّةُ الواحدةُ، يقالُ صَعِقَ وصُعِقَ وقد صَعَقتهُ الصّاعقةُ وكلُّها ترجعُ إلى الغشي والموتِ والعذابِ، ومنهُ الحديثُ: (يُنتَظَرُ بالمصعوقِ ثلاثًا ما لم يَخافُوا عليهِ نَتنًا)[3] هو المغشيُّ عليهِ أو الذي يموتُ فُجاءةً لا يُعَجَّلُ دفنُهُ، والصَّعِقُ ككَتِفٍ: الشديدُ الصوتِ والمَتوقَّعُ صاعقَةً، ولقَبُ خُويلدِ بن نُفيلِ بن عمرو بنِ كلابٍ[4]، والصَّعَقُ مُحرَّكَةً: شدَّةُ الصوتِ، وصَعِقَ كفَرِحَ صَعقًا، ويُحرَّكُ وَصَعقَةً.

وفي المجمَعِ: (الصّاعقَةُ على وجهين: أحدُهُما: نارٌ تسقُطُ من السّماءِ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾[5]، والثّاني: الموتُ، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[6])[7]، انتهى. [٣٤٢]

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ٢: ٢٤٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٢.

(٤) وهو: الكلابي: شاعرٌ وفدَ على الحارثِ بنِ شمّر الغسّانيّ متظلّمًا، فارسا يُطعِمُ بعكاظ، أحرقتهُ صاعقةً؛ فلذلك قيل لهُ: الصّعق، من ولدِهِ: الشاعرُ: يزيد بن عمرو بن الصّعقِ. تاريخ مدينة دمشق: ١٧: ٦١، ترجمة رقم: ٢٠٢٨، وجمهرة أنساب العرب: ٢٨٦.

(٥) سورة الرعد ١٣: ١٣.

(٦) سورة فصلت ٤١: ١٣.

(٧) مجمع البيان: ١: ٢٢١.

البعثُ: الإرسالُ وإثارةُ الشّيءِ من محلِّهِ والإحياءُ بعد الإماتةِ، يقالُ: بعَثَهُ كمَنَعَهُ، أرسلَهُ كَابتَعَثَهُ، وفي أسماءِ الله تعالى: الباعِثُ وهو: الذي يبعثُ الخلقَ ثم يُحييهِم بعدَ الموتِ يومَ القيامَةِ كقولِهِ:

والباعِثِ الوارِثِ الأمواتِ قد ضَمِنَت إِيَّاهُمُ الأرضُ في دَهرِ الدَّهاريرِ [1]

وبَعَثْتُ فلانًا من مَنامِهِ فانبَعَثَ، أي: نبَّهتُهُ فانتبَهَ، قال تعالى حكايَةً عنهم: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وفي الحديثِ: (أتَاني الليلةَ آتِيانِ فابتَعثاني)[2]، أي: أيقظاني، وبعثَ فلانٌ راحلَتَهُ: إذا أثَارَها من مَبرَكِها للسَّيرِ، وبعَثتُ فلانًا لحاجَتي إذا أقمتَهُ من مَكانِهِ الذي فيهِ للتّوجّهِ إليها، ويقالُ ليومِ القيامةِ: يومُ البعثِ؛ لأنَّه يومٌ يُثارُ النّاسُ فيهِ من قُبورِهِم لموقِفِ الحسابِ والبعثِ، وَيُحرَّكُ الجيشُ: يُبعَثونَ إلى وجهٍ أو في أَمرٍ، والجمعُ: البعوثُ، والبَعْثُ: النَّشْرُ، والبَعِثُ كَكَتِفٍ: المُتهَجِّدُ السّهرانُ، والبَعيثُ كقَتيلٍ: بمعنى المفعولِ، وفي كلامِ عليٍّ صلواتُ الله عليهِ يَصفُ النَّبيَّ ﷺ: «شهيدُكَ يومَ الدّينِ وبَعيثُكَ نِعمةً»[3]، أي: مَبعوثُكَ الذي بَعَثتَهُ على الخَلقِ، أي: أرسلتَهُ.

الإعراب:

إعرابُ (إذ) قد مَرَّ في الآياتِ السّابقةِ، وجملةُ: (لَن نؤمنَ لكَ) إلى آخرِهِ: مَقولُ القَولِ، و(حَتَّى): جارَّةٌ بمعنى (إلى) الجارَّةِ للاسمِ، فانتَصَبَ نَرى بعدَها بإضمارٍ كَما ينتَصِبُ بعدَ اللّامِ الجارَّةِ بإضمارِ (أن)، وهي معَ الفعلِ في تأويلِ المصدرِ في موضِعِ جرٍّ بـ(حَتَّى) مُتعَلِّقٌ بقولِهِ: لن نُؤمِنَ، ويجوزُ أن يكونَ حتَّى في هذهِ الآيةِ بمعنى (إلَّا) كَما في قَولِهِم: لا أفعلُ كذا حتَّى تفعَلَ كذا، أي: إلَّا أن تفعَلَ، وقولُهُ تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾[4] إلى آخرِهِ، فانتِصابُ نرى حينئذٍ بإضمارِ (أن) أيضًا، وعلى التّقديرينِ: (جهرَةً) إمَّا مفعولٌ لـ(نَرى)؛ لأنَّها نوعٌ منَ الرّؤيَةِ، أو حالٌ

---

(١) البيت من البسيط: واُختُلِف في نسبته فقال ابن جنّي في الخصائص: ١: ٣٠٨: لأميّة بن أبي الصلت، وقيل: هو للفرزدق. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٢: ٥٧٢، الشاهد: ٤٣٨، وشرح ابن عقيل: ١: ١٠١.

(٢) صحيح البخاري: ٥: ٢٠٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٣٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

منَ الفاعِلِ بمعنى مُجاهرينَ مُعاينينَ إيَّاهُ سبحانهُ، أو منَ المفعولِ، أي: مجاهِرًا معاينًا، وعلى قراءةِ جَهَرَةً مُحرَّكةً على أنّها مصدرٌ تكونُ مثلَ المُسكَّنةِ في الوجوهِ المذكورةِ، وعلى أنّها جمعُ جاهِرٍ تكونُ حالًا منَ الفاعلِ فقط، و(الفاءُ) في (فأَخذَتكُم): عاطفةٌ مفيدةٌ للتَّسبيبِ والإفصاحِ كما مَرَّ نظيرُهُ، وجملةُ: (وأَنتُم تنظُرونَ): حالٌ مِن (كُم)، والباقي: واضِحٌ.

المعنى:

واذكُروا يا بَني إسرائيل **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾**: يعني: أسلافكم، وهم: السَّبعونَ الّذين اختارَهُم موسى لِميقاتِ ربِّهِ، **﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾**: أي: لن نُقِرَّ لكَ بالنّبوَّةِ وبما تُخبِرُ بِهِ من صفاتِهِ تعالى، وما يجوزُ عليهِ وما لا يجوزُ عليهِ، فلَن نُصدِقَكَ في قولِكَ أنَّكَ نبيٌّ مبعوثٌ من عندِ الله، وأنَّ اللهَ تعالى كلَّمكَ في طورِ سَيناءَ وأنَّ الذي سمِعناهُ كلامَ اللهِ تعالى، **﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾**: أي: عَيانًا وعلانيّةً لِيُخبِرَ بأنَّك مبعوثٌ من عندِهِ وبأنَّ ما قلتَهُ كُلَّه من عندِهِ، وأنَّهُ انزلَ التّوراةَ وأنَّ الذي سمعناهُ كلامُهُ.

بيانُ ذلكَ ما جاءَ في العيونِ في البابِ الخامس عشرَ في ذِكرِ مجلسٍ آخَرَ للرّضا عليه السلام عند المأمونِ في عصمَةِ الأنبياءِ عليهم السلام: عن حمدانِ بن سليمانِ النيسابوريّ عن عليِّ بنِ مُحمّدِ بنِ الجهمِ إلى قولهِ: قالَ المأمونُ: باركَ اللهُ فيكَ يا بنَ رسولِ اللهِ فَما مَعنى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآيةُ، كيفَ يجوزُ أن يكونَ كليمُ اللهِ موسى بنُ عمرانَ عليه السلام لا يعلمُ أنَّ اللهَ تعالى لا يجوزُ عليهِ الرؤيةَ حتَّى يسألَهُ هذا السؤالَ؟

فقالَ الرّضا عليه السلام: «إنَّ كليمَ اللهِ موسى بنَ عمرانَ عَلِمَ أنَّ اللهَ مُنزَّهٌ عن أن يُرى بالأَبصارِ ولكنَّهُ لمَّا كَلَّمَهُ اللهُ تعالى وَقرَّبَهُ نجيًّا رَجعَ إلى قومِهِ فأخبرَهم إنَّ اللهَ تعالى كَلَّمهُ وقَرَّبَهُ وناجاهُ فقالوا لن نُؤمِنَ لكَ حتّى نَسمعَ كلامَهُ تعالى كَما سَمعتَ وكانَ القومُ سبعمائةَ ألفِ رجلٍ فاختارَ منهم سبعينَ ألفًا، ثمَّ اختارَ منهم سبعةَ آلافٍ ثمَّ اختارَ منهم سبعمائةً ثمَّ اختارَ منهم سبعينَ رجلًا لِميقاتِ رَبِّهِ فَخرَجَ بهم إلى طورِ سَيناء فَأَقامَهم في سَفحِ الجَبلِ وصَعِدَ موسى إلى الطّورِ وسَأَلَ اللهَ أن يُكلِّمهُ ويُسمِعهُم كَلامَهُ فكَلَّمهُ اللهُ تعالى وسَمِعوا كَلامَهُ تعالى من فَوقُ وأسفلُ ويمينُ وشِمالُ ووَراءُ وأمامُ؛ لأنَّ اللهَ

تعالى أَحدَثَهُ في الشّجرةِ ثمَّ جعلَهُ مُنبَعِثًا منها حَتَّى سمِعُوهُ من جميعِ الوجوهِ فقالوا: لن نُّؤمِنَ لكَ بأنَّ هذا الذي سَمِعناهُ كلامَ الله حتَّى نَرى الله جَهرةً، فلَمَّا قالوا هذا القولَ العظيمِ واستكبَروا وعَتَوا بعَثَ اللهُ عليهِم صاعقةً فأخذتهم بظلمِهِم فماتوا، فقالَ موسى عليه السلام: يا ربِّ ما أقولُ لبني إسرائيل إذا رجَعتُ إليهم وقالوا إنَّكَ ذهبتَ بهم وقَتلتَهم لِأنَّك لم تكُن صادقًا فيما ادَّعيتَ من مناجاةِ الله تعالى إيَّاكَ، فأحياهُم اللهُ وبعثَهم مَعَهُ فقالوا إنَّكَ لو سَألتَ اللهَ أن يُريكَ تَنظرَ إليهِ لأجابَكَ وكنتَ تُخبرُنا كيفَ هوَ فَنعرفَهُ حَقَّ معرفَتِهِ، فقالَ موسى: يا قومِ إنَّ اللهَ لا يُرى بالأبصارِ ولا كَيفيَّةَ لهُ وإنَّما يُعرَفُ بآياتِهِ ويُعلَمُ بأعلامِهِ فقالوا لن نُّؤمنَ لكَ حَتَّى تسأَلَهُ، فقالَ موسى عليه السلام: يا ربِّ إنَّكَ قد سَمِعتَ مقالَةَ بني إسرائيل وأنتَ أعلَمُ بصلاحِهِم، فأوحى إليهِ: يا موسى سَلني ما سَألوكَ فلَن أُؤاخِذَكَ بجهلِهِم، فعندَ ذلكَ قالَ موسى: رَبِّ أَرِني أنظُر إليكَ، قالَ لن تَرانيَ ولكن انظُر إلى الجَبَلِ فإن استَقرَّ مكانَهُ وهوَ يَهوي(1) فسوف تَراني، فَلَمَّا تَجلَّى رَبُّهُ للجَبلِ بآيَةٍ من آياتِهِ جعَلهُ دَكًّا وخَرَّ موسى صَعِقًا فلَمَّا أفاقَ قالَ سبحانكَ تُبتُ اليكَ، يقولُ: رجعتُ إلى معرفَتِي بكَ عن جَهلِ قَومِي وأنا أَوَّلُ المؤمنينَ منهم بأنَّكَ لا تُرى، فقالَ المأمونُ: لله درُّكَ يا أبا الحَسَنِ»(2)، انتهى. [٣٤٣]

﴿فَأَخَذَتْكُمُ﴾، أي: أسلافَكُم السَّبعينَ المذكورينَ، ﴿الصَّاعِقَةُ﴾، أي: الموتُ، أو نارٌ من السماءِ فأحرَقتكُم، أو صَيحَةٌ فَخررتُم صَعِقينَ مَيِّتينَ يومًا وليلَةً، وإنَّما أخذتكُم الصَّاعقَةُ لِجهلِكم وفرطِ معاندَتِكم لنَبيِّ اللهِ موسى عليه السلام وطلبِكُم الأمرَ المستَحيلَ، وظَنِّكم أنَّه تعالى يُشبهُ الأجسامَ فطَلبتُم رُؤيَتَهُ بالعينِ رؤيةَ الأَجسامِ من الجهاتِ المُقابلَةِ للرّائي معَ أنَّها مُحالٌ في الدّنيا والآخِرةِ، بل تكادُ السّماواتُ يَتفطَّرنَ من ذلكَ وتَنشَقُّ الارضُ وتَخرُّ لهُ الجبالُ هَدًّا؛ لأنَّه سبحانَهُ مُنزَّهٌ عن الكيفيَّاتِ وليسَ بجسمٍ ولا جِسماني لَكنَّهُ شيءٌ لا كالأشياءِ، وما يجوزُ عليهِ رؤيةُ العيونِ والأبصارِ فهوَ: إمَّا جسمٌ أو جِسماني.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: يسقط.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧٨، ١٧٩.

وفي الخِصالِ: عن ابنِ عباسٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «منَ الجبالِ التي تَطايرَت يومَ موسى والصّاعقَةِ سَبعةُ أَجبُلٍ: فَلَحِقت بالحِجازِ واليَمَنِ، منها: بالمدينَةِ: أُحُدٌ ووَرَقاتٌ، وبمَكّةَ: ثَورٌ وثُبَيرٌ وحَرَّاءُ، وباليَمَنِ: صَبرٌ وحَصُونٌ»[1]، والحالُ ﴿أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى الصَّاعقةِ وأسبابِ الموتِ والنَّارِ النّازِلةِ من السّماءِ لإهلاكِكُم.

وفي تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «إنَّ موسى لَمَّا أَرادَ أن يأخُذَ عليهِم عَهدَ الفرقانِ فَرق ما بَينَ المُحِقِّينَ والمُبطِلينَ لمحمّدٍ ﷺ بنُبوَّتِهِ ولعليٍّ عليه السلام والأئمَّةِ صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم بإمامَتِهم، قالوا: لَن نُؤمِنَ لكَ إنَّ هذا أَمرُ رَبِّكَ حتَّى نَرى اللهَ عِياناً يُخبِرُنا بذلكَ، فَأخذَتهمُ الصَّاعقةُ مُعاينةً، فقالَ موسى للباقينَ الذينَ لم يُصعَقوا: أتقبَلونَ وتَعترفونَ وإلَّا فأنتُم بهؤلاءِ لاحِقونَ؟ فقالوا: لا نَدري ما حَلَّ بهِم، فإن كانَت إنَّما أَصابَتهُم لِرَدِّهِم عليكَ في أَمرِ مُحَمَّدٍ وعَليٍّ فاسأَلِ اللهَ رَبَّكَ بمُحمَّدٍ وآلِهِ أن يُحييَهم لِنَسأَلَهم لماذا أَصَابَهم ما أصابَهم فَدَعا الله موسى عليه السلام فأحياهُم فَسَألوهُم فقالوا أَصابَنا ما أَصابَنا لِآبائِنا[2] اعتِقادَ إمامةَ عليٍّ عليه السلام بعدَ اعتقادِ نبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ لقد رَأينا بَعد مَوتِنا هذا مَمالِكَ رَبِّنا من سماواتِهِ وحُجُبِهِ وعَرشِهِ وكرسِيِّهِ وجِنانِهِ ونيرانِهِ فما رَأينا أنفذَ أَمرًا في جَميعِ المَمالِكِ وأعظَمَ سُلطانًا من مُحمَّدٍ وعَليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ عليهم السلام وإنَّا لَمَّا مِتنا بهذهِ الصّاعقَةِ ذُهِبَ بنا إلى النّيرانِ فناداهُم مُحمَّدٌ وعَليٌّ كُفُّوا عن هؤلاءِ عذابَكم فإنَّهم يُحيَونَ بِمسأَلةِ سائلٍ سأَلَ ربَّنا عَزَّ وجَلَّ بنا وبآلِنا الطّيّبينَ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لأهلِ عَصرِ مُحمّدٍ ﷺ فإذا كانَ بالدّعاءِ بمُحمَّدٍ وآلهِ الطّيّبينَ نشَرَ ظُلمةَ أسلافِكم المصعوقِينَ بِظلمِهِم فَإنّما يجِبُ عليكم أن لا تَتعرَّضوا لمثلِ ما هَلكوا بهِ إلى أن أحياهُمُ اللهُ»[3]، انتهى.

وفي المجمَعِ: «إنّما قرَعَ اللهُ سبحانهُ اليهودَ لسؤالِ أسلافِهِم الرؤيَةَ من حيثُ أنَّهم سَلكوا طَريقَتَهم

---

(١) الخصال: ٣٤٤.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: لامتناعنا.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٥٦، ٢٥٧.

في المخالَفةِ للنَّبيِّ الذي لَزِمَهُم إتِّباعَهُ والتّصديقُ بجميعِ ما أتى بهِ فَجَرَوا على عادَةِ أسلافِهِم الذينَ كانوا يَسألونَ تارَةً نَبيَّهُم أن يَجعلَ لهم إلهًا غيرَ الله، ومَرَّةً يعبُدونَ العِجلَ من دُونِ اللهِ وطَورًا يقولونَ لَن نُّؤمنَ حتَّى نَرى اللهَ جَهرَةً.

واستَدَلَّ أبو القاسم البلَخيِّ بهذهِ الآيَةَ على أنَّ الرؤيَةَ لا تَجوزُ على اللهِ تعالى، قالَ: لأنَّها إنكارٌ تضَمَّنَ أمرينِ: رَدُّهُم على نَبيِّهِم، وتَجويزُهُم الرؤيَةَ على ربِّهم ويؤيّدُ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[1] فدَلَّ ذلكَ على أنَّ المُرادَ انكارَ الأمرينِ، وتَدُلُّ هذه الآيَةَ أيضًا: على أنَّ قولَ موسى عليه السلام: ربِّ أرِني أنظُر إليكَ كانَ سُؤالًا لِقومِهِ؛ لأنَّهُ لا خِلافَ بينَ أهلِ التّوراةِ أنَّ موسى عليه السلام لم يَسألِ الرؤيَةَ إلّا دَفعَةً واحدَةً وهي التي سَأَلها لِقومِهِ[2]، انتهى.

[٣٤٤]

أقولُ: حديثُ عُيونِ الأخبارِ نَصَّ على ذلكَ[3]، **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾**، أي: أَحيَينا أسلافَكُم **﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾** بسببِ أخذِ الصَّاعِقةِ إيَّاهم لاستِكمالِ آجالِهِم المُسمَّاةِ عندَهُ سبحانَهُ إنَّما قَيَّدَ البعثَ هنا بعدَ الموتِ؛ لأنَّهُ قد يكونُ عن إغماءٍ أو نومٍ كما قالَ سبحانَهُ في قصَّةِ أصحابِ الكهفِ: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[4] أي: فجعَلنا على آذانِهم حِجابًا يمنعُ السَّماعَ، يعني: أنَمناهُم نومَةً لا تُنَبِّهُم منها الأصواتُ ثمَّ أيقَضناهُم لِنعلَمَ إلى آخرِهِ، وإنَّما ماتَ هؤلاءِ السّبعونَ دونَ موسى عليه السلام ولكن غُشِيَ عليهِ؛ لما ذَكرناهُ في بَيانِ اللغةِ؛ ولقولِهِ تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[5]، والإفاقَةُ إنَّما تكونُ من الغَشَيانِ؛ وللحديثِ المرويِّ عن الرّضا عليه السلام في عُيونِ الأخبارِ.

---

(١) سورة النساء: ٤: ١٥٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٢٢.

(٣) قد مرَّ ذكرُ الحديثِ آنفًا في عيونِ أخبارِ الرّضا عليه السلام.

(٤) سورة الكهف ١٨: ١١، ١٢.

(٥) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: لتَشكُروا الله تعالى نِعمةَ البعثِ وردَّ الحياةِ وسائِرَ النّعمِ التي كَفرتُموها قبل البعثِ والتي يُعطيكُموها فيما بَعدُ سِيّما نعمةَ الله التي هيَ نُبوّةُ محمَّدٍ وإمامَةُ عليٍّ وأولادِهِ الأحَدَ عَشرَ صَلواتُ الله وسلامهُ عليهِ وعليهِم.

وفي المجمَعِ: «وفيها إثباتٌ لمعجزةِ نبيّنا محمَّدٍ ﷺ واحتجاجٌ على مشركي العَرَبِ الذينَ كانوا غيرَ مؤمِنينَ بالبَعثِ؛ لأنَّهُ كان يذكُرُ لهم أخبارَ الذينَ يبعثُهُم اللهُ تعالى في الدنيا فكانَ يوافقُهُ على ذلكَ من يُخالِفهُ من اليهودِ والنّصارى ويجبُ أن يكونَ هؤلاءِ القومِ وإن أمَاتَهم اللهُ سبحانَهُ ثمَّ أحياهم غَيرَ مُضطرينَ إلى معرِفةِ الله تعالى عندَ موتِهِم كما يَضطرُ الواحدُ من اليومِ إلى معرفتِهِ عند الموتِ بدليلِ أنَّ الله تعالى أعادَهُم إلى التّكليفِ، والمعرفةُ في دارِ التكليفِ لا تكونُ ضَروريَّةً، بل تكونُ مُكتَسبَةً، ولكن موتُهم إنَّما كانَ في حُكمِ الموتِ فأذهبَ اللهُ عنهم الرّوحَ من غيرِ مُشاهدةٍ منهم لأحوالِ الآخِرةِ وليسَ في الإحياءِ بعدَ الإماتَةِ ما يُوجبُ الاضطرارُ إلى المعرفَةِ؛ لأنَّ العلمَ بأنَّ الإحياءِ بعدَ الإماتَةِ لا يقدِرُ عليهِ غيرُ الله تعالى طريقُهُ الدليلُ وليسَ الإحياءُ بعدَ الإماتَةِ إلَّا قريبًا من الانتباهِ بعدَ النومِ، والإفاقَةِ بعدَ الإغماءِ، في أنَّ ذلكَ لا يوجبُ علمَ الاضطِرارِ»[1]، انتهى فيه ما لا يخفى.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[2] يكشِفُ عن ذلكَ، وكذا بعضُ ما مَرَّ من تفسيرِ الإمامِ عليه السلام[3] وقال فيه أيضًا: «واستدلَّ قومٌ من أصحابِنا بهذهِ الآيةِ على جوازِ الرجعةِ، وقولُ مَن قالَ إنَّ الرَّجعةَ لا تجوزُ إلَّا في زمنِ النّبيِّ ﷺ لتكونَ مُعجزةً لهُ ودلالَةً على نُبوَّتهِ باطِلٌ؛ لأنَّ عندَنا بل عندَ أكثرِ الأُمَّةِ يجوزُ إظهارُ المُعجزاتِ على أيدي الأئمَّةِ والأولياءِ، والأدلَّةُ على ذلكَ مذكورَةٌ في كتبِ الأصولِ. وقالَ أبو القاسمِ البَلخيِّ: لا تجوزُ الرَّجعةُ مع الإعلامِ بها؛ لأنَّ فيها إغراءٌ بالمعاصي من جهةِ الاتّكالِ على التَّوبةِ في الكرَّةِ الثانيةِ، وجوابُهُ: إنَّ مَن يقولُ بالرّجعةِ لا يذهبُ إلى أنَّ الناسَ

(١) مجمع البيان: ١: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٢٨.

(٣) ينظر: ص: ٢١٧.

كلّهم يرجعونَ فيَصيرُ إغراءً بأن يقعَ الاتّكالُ على التوبةِ بل لا أحَدَ من المُكلّفينَ إلّا ويَجوزُ أن لا يرجِعَ، وذلك يكفي في بابِ الزّجرِ)[1]، انتهى.

فيه مناقشة:

أقولُ: ولو سُلِّمَ رجوعُهم جميعًا لَما يلزمُ الإغراءُ ولا الاتّكالُ على التّوبةِ؛ لأنّهم لو رُدُّوا مُكلَّفينَ مُختارينَ لَعادوا لِما نُهو عنهُ من المعاصِي والمخالفةِ لله ورسولِهِ وأُولي الأَمرِ كما قالَ سبحانُهُ وهوَ أصدقُ القائلينَ، وَلو رُدُّوا مُضطَرينَ غيرَ مُكلّفينَ لَما يَنفعُهُم الإيمانُ والتّوبةُ حينئذٍ كما هوَ الحقُّ منَ المسألةِ، فَيجبُ على كلِّ أحدٍ مِن المكلَّفينَ الإيمانُ والتّوبةُ في حياتِهم الأولى في الدّنيا قبلَ مَوتِهم ورَجعَتِهم. وفي الصّافي فيهِ: (يعني في قولهِ تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾ إلى آخِرِهِ دَلالةٌ واضِحةٌ على الرَّجعَةِ التي قالَ بها أصحابُنا نَقلًا عن أئمّتهم عليهم السلام وقد احتجَّ بهذهِ الآيةِ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام على ابنِ الكَوَّاءِ حينَ أنكرَها كما رَواهُ اصبغُ بنُ نُباتَةَ)[2]، وفي تفسيرِ علي بن إبراهيم: هذا دليلُ الرّجعةِ في أُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فإنَّهُ صلى الله عليه وآله قالَ: «لم يكُن في بَني إسرائيل شيءٌ إلّا وَفي أُمَّتي مثلُهُ»[3].

وقولُهُ تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)**﴾ آيةٌ:

اللغة: [٣٤٥]

الظُّلّةُ والسُّترَةُ والغَمامةُ والغَيابَةُ[4] والذَّرَى[5] بالفتحِ والغُمَّةُ بالضّمّ نظائِرُ، والظِّلُّ: الفَيءُ الحاصلُ من الحاجزِ بينكَ وبينَ الشّمسِ مُطلقًا، وقيلَ: هو مَخصوصٌ بما كانَ منهُ إلى زوالِ الشّمسِ، وما كانَ بعدَهُ فهو الفَيءُ، يقالُ: ظلَّلَهُ عليهِ تَظليلًا وأظلَّهُ، والظِّلّ: ضدُّ الضَّحّ، الجمعُ: ظِلالٍ وظُلولٍ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٢٣.

(٢) التفسير الصافي: ١: ١٣٣.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٧.

(٤) (غيَابةُ كلِّ شيءٍ: ما ستَرَكَ منهُ). القاموس المحيط: ١: ١١٢ (غيب).

(٥) (قال الأصمَعيُّ: الذَرا بالفَتحِ: كُلُّ ما استَتَرتَ بهِ، يقالُ: أنا في ظلِّ فُلان، وفي ذراه، أي: في كَنفِهِ وسترِهِ ودفئِهِ). الصحاح: ٦: ٢٣٤٥ (ذرا).

وأَظلالٍ، والظِّلُّ: الجنَّةُ، ومنهُ: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾(١)، والظِّلُّ: الليلُ، قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾(٢)، ويقالُ: أظَلَّ يومُنا: صارَ ذا ظِلٍّ، كأغَدَّ البعيرُ، واستَظَلَّ الظِّلَّ: مالَ إليهِ وقَعَدَ فيهِ، ومَكانٌ ظليلٌ: ذو ظِلٍّ أو دائِمُهُ، ومنهُ ظِلٌّ ظَليلٌ للمُبالغةِ، والظُّلَّةُ: الإقامَةُ والصِّحَّةُ، وبالضَّمّ الغاشيةُ، وعذابُ يومِ الظُّلَّةِ: غَيمٌ تحتهُ سَمومٌ أو سَحابَةٌ أَظَلَّتهُم فَاجتَمعوا تحتَها مُستجيرينَ بها مِمَّا نالهَم من الحرِّ فأُطبِقت عليهِم وأهلَكَتهُم، وفي الحديثِ: «سَبعةٌ يُظلِّهُم اللهُ بِظلِّهِ»(٣)، وفي حديثٍ آخَرَ: «سَبعةٌ في ظِلِّ عرشِهِ»(٤)، أي: في ظلِّ رحمتِهِ وفيهِ: «السّلطانُ العادلُ ظِلُّ اللهِ في الأرضِ»(٥)؛ لأَنَّهُ يَدفَعُ الأَذى عن النَّاسِ كما يدفَعُ الظِّلُّ أذى حَرِّ الشّمسِ عنهم، وقَد يُكنَى بالظِّلِّ عن الكَنَفِ والناحيةِ، يقالُ فلانٌ في ظِلِّ فلانٍ أي: في كَنَفِهِ وسِترِهِ، ومنه الحديثُ «إنَّ في الجَنَّةِ شجَرَةً يسيرُ الرّاكِبُ في ظِلِّها مائةَ عامٍ»(٦) أي: في ذرَاها وناحيَتِها، وخطَبَ النّبيُّ ﷺ آخرَ جُمعةٍ من شعبان فقالَ: «أيُّها النّاسُ قد أظَلَّكُم شَهرٌ عظيمٌ»(٧)، يعني: رمضانَ، أي: أقبلَ عليكُم ودَنا منكُم كأنَّه أَلقَى ظِلَّهُ ورَحمَتَهُ عليكم، وفيه: «الجنَّةُ تحتَ ظِلالِ السّيوفِ»(٨)، وهوَ كنايَةٌ عن الدُّنوِّ من الظِرابِ في الجهادِ حتَّى يَعلوَ السّيفُ ويَصيرُ ظِلُّهُ عليهِ، ومن ذلكَ قولهُم: واترُكهُ تَركَ الظّبيِ ظِلَّهُ(٩)، يُضرَبُ للرّجلِ النَّفور؛ لأنَّ الظَّبيَ إذا نَفَرَ من شيءٍ لا يَعودُ إليهِ أبدًا.

وَالغَمامُ: السَّحابُ، والقَطعَةُ منها: غَمامَةٌ، كقولِهِ:

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٢١.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

(٣) صحيح البخاري: ١: ١٦١، ووسائل الشيعة: ٥: ١٩٩، حديث رقم: ٦٣٢٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٦٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٦٠.

(٦) مسند أحمد: ٢: ٤٣٨، وصحيح البخاري: ٦: ٥٧، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٩: ٢٧٦.

(٧) صحيح ابن خزيمة: ٣: ١٩١، وكنز العمال: ٨: ٤٧٧، ومستدرك الوسائل: ٧: ٣٥٤، حديث رقم: ٨٣٩٤. ٨٣٩٤.

(٨) صحيح مسلم: ٥: ١٤٣، وكنز العمال: ٤: ٢٧٩، ومستدرك الوسائل: ١١: ١١: ١٢٢٨٩.

(٩) جمهرة الأمثال: ١: ٢٦١، مثل رقم: ٣٥٨، ومجمع الأمثال: ١: ١٢٨.

كما أبرَقَت قومًا عِطاشًا غَمامَةٌ فلَمّا رَأَوها أقشَعَت وَتَجلَّت [1]

وقالَ ابنُ الأثيرِ: «الغَمامَةُ: السَّحابةُ، وجمعُها: الغَمامُ»[2]، انتهى. يعني: إنَّها مثلَ تمرَةٍ وتمْرٍ، لا مثلَ رجالٍ ورَجُلٍ، وإنَّما سُمّيَ السَّحابُ غَمامًا؛ لأنَّه يَغُمُّ السّماءَ، أي: يسترُها، وكُلُّ ما سَتَرَ شيئًا فقد غَمَّهُ، وقيلَ: الغَمامُ هو: السَّحابُ الابيضُ، والغُمَّةُ: الغِطاءُ على القلبِ، مِن الغَمِّ، وفلانٌ في غُمّةٍ من أَمرِهِ إذا لم يَهتَدِ بهِ، وفي حديثِ الصّومِ: «فإن غُمَّ عليكُم فأكمِلُوا العِدَّةَ»[3] يقالُ: غُمَّ علينا الهلالُ: إذا حالَ دونَ رؤيتِهِ غَيمٌ أو نَحوهُ من غَمَمتُ الشيءَ: إذا غَطَّيتَهُ.

والمَنُّ: العَطاءُ، والمَنُّ: الإحسانُ إلى مَن لا يَستثيبُهُ ولا يطلُبُ الجزاءَ عليهِ، ومنهُ المَنَّانُ في أسماءِ الله تعالى، أي: المُنعِمُ المُعطي مِن المَنِّ والعَطاءِ إلى مَن لا يَستثيبُهُ ولا يطلُبُ الجزاءَ، والاسمُ: المِنَّةُ، وهو: المنّانُ علينا، وقَد يقَعُ المَنَّانُ على الذي لا يُعطي أحَدًا شَيئًا إلّا مَنَّهُ واعتَدَّ بهِ على مَن أعطاهُ وهوَ مَذمومٌ؛ لأنَّ المِنَّةَ تُفسِدُ الصَّنيعَةَ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾[4]، وقولُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[5]، وقولُهُ تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[6] الآية، وفي الحديث: « ثلاثةٌ يَشنؤهُم اللهُ: اللهُ: منهُ البخيلُ المَنَّانُ»[7] ، وفيهِ «لا تَتزوَّجَنَّ حَنَّانَةً ولا مَنَّانَةً»[8] هيَ التي يُتزوّجُ بها لِمالِها فهيَ أبدًا تَمُنُّ على زوجِها ويقالُ لها المَنونُ أيضًا، والمَنُّ قطعُ الخَيرِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[9] أي:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لكثيّر. ينظر: مختصر المعاني: ١٩٩، ونقله النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب: ١: ٧٨، بلفظ: فلمّا رجوها.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٨٩.

(٣) مسند أحمد: ٢: ٤٣٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٨٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٦٢.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٦٤.

(٦) سورة الحجرات ٤٩: ١٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٦٦.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٦٦.

(٩) سورة فصلت ٤١: ٨.

أي: غَيرَ مقطوعٍ، والمُنَّةُ بالضّمِّ: قوةُ القلبِ، وفلانٌ ضعيفُ المُنَّةِ، والمنُّ: الكمأةُ، وفي الحديثِ: «الكمأةُ مِنَ المَنِّ وماؤها شِفاءٌ للعَينِ»(1)، أي: هيَ ممَّا مَنَّ اللهُ بِهِ على عبادِهِ، وقيلَ: شبَّهَهَا بالمَنِّ، وهو: العسَلُ الحُلوُ الذي ينزلُ من السَّماءِ عَفَوا بلا عِلاجٍ، وكذلكَ الكمأة لا مَؤنةَ فيها ببذرٍ ولا سقيٍ، وأَصلُ البابِ: الإحسانُ، فالمَنُّ الذي كان يسقُطُ على بني إسرائيل هو مِمَّا مَنَّ اللهُ تعالى عليهِم، أي: أحسَنَ بِهِ إليهِم.

والسَّلوى والسُّلوانَةُ: العَسَلُ والنّعمَةُ، وفي القاموسِ: (والسُّلوانَةُ بالضّمِّ: العَسَلُ كالسَّلوى)(2)، وفي الحديثِ: «تكونُ لكم سَلوَةٌ مِن العيشِ»(3)، أي: نعمةٌ ورفاهيّةٌ ورَغَدٌ يُسليكُم عنِ الهَمِّ(4).

والسَّلوى: طائِرٌ، واحدتُهُ سَلواةٌ، قالَ الشّاعرُ:

[وإني لَتَعْرُونِي لذكراكِ نُفْضَةٌ] كما انتفَضَ السَّلواةُ مِن بَلَلِ القَطرِ(5)

(قالَ الزّجّاجُ(6): غلَطَ خالدُ بنُ زهيرٍ في قولِهِ:

وقاسَمَهُما باللهِ جَهدًا لَأنتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلوى إذا ما نَشورُها(7)

(1) الفائق في غريب الحديث: ٣: ٢٦٢، ومستدرك الوسائل: ١٦: ٤٢٣، حديث رقم: ٢٠٤٢٥.

(2) القاموس المحيط: ٤: ٣٤٤.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٧.

(4) ومنه في حاشية الأصل: أي: يُزيلُ عنكُم الهَمَّ.

(5) البيت من الطويل، وهو لأبي صخر الهذلي، ولم يقف الباحث عليه من كتب الدواوين، وقد أثبت القراءة الواردة في الأصل من العين: ٧: ٢٩٨ (سلا)، ولسان العرب: ١٤: ٣٩٥ (سلا)، وينظر: مجمع البيان: ١: ٢٢٤، والجامع لأحكام القرآن: ١: ٤٠٨، وقد ورد البيت في كتب النحو بلفظ: (كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ)، ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: ١: ٢٠٥، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٢٦٢، وعلى ذلك فلا شاهد فيه موطن البحث.

(6) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق: النحويّ اللغويّ، ولد ومات في بغداد، علّمهُ المبرِّدُ أصولَ النّحو، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، والأمالي في الأدب واللغة، توفي سنة (٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٣٦٠، ترجمة رقم: ٢٠٩، وفهرست ابن النديم: ٦٦.

(7) البيت من الطويل. ديوان الهذليّين: ١: ١٥٨، (نَشُورُها: نأخذها، والشَّوْر: أخذُ العَسلِ من موضعها). لسان لسان العرب: ١٤: ٣٩٦.

وقائله هو: ابن محرث الهذلي، ابن أخت أبي ذؤيب الشاعر المشهور. ينظر: الوافي بالوفيّات: ١٣: ٢٧٤.

فَظَنَّ أنَّ السَّلوى العَسَلُ، وإنَّما هوَ طائرٌ.

قالَ أبو عليٍّ الفارسيُّ: وقُرِئَ على الزّجّاجِ في مُصَنَّفِ أبي عُبيدة: أَنَّهُ العسَلُ، وقالَ: والذي عندي فيهِ أنَّ السَّلوى كانَ ما يُسلى على غيرِهِ لفَضيلَةٍ فيهِ [٣٤٦] من فَرطِ طِيبهِ أو قِلَّةِ مُعاناةٍ وعِلاجٍ في اقتِنائهِ[١]، فالعَسَلُ لا يَمتنِعُ أن يُسمَّى سَلوى لِجمعِهِ الأَمرينِ كَما يُسمّى الطّائرُ الذي كانَ يسقُطُ معَ المَنِّ[٢]، يقالُ: سَلا يَسلو سَلوًا إذا تَسلَّى عنهُ و زالَ عنهُ الغَمُّ والهمُّ. والطَّيِّبُ: ضدُّ الخبيثُ: معروفٌ، والطَّيِّبُ: الحلالُ، كالطَّيِّبَةِ والأفضلُ من كلِّ شيءٍ، قالَ ابنُ الأثيرِ: قد تكَرَّر ذكرُ الطَّيبِ والطَّيِّباتِ وأكثرُ ما تَردُ بمعنى الحلالِ كَما إنَّ الخبيثَ كنايَةٌ عن الحرامِ، ويرِدُ الطَّيِّبُ بمعنى الطّاهِرِ، ومنه الحديثُ: إنَّهُ عليه السلام قالَ لعَمّارٍ: «مرحبًا بالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ»[٣]، أي: الطّاهِرِ المُطَهَّرِ، ومنه حديثُ عليٍّ عليه السلام لمَّا ماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «بأبي أنتَ وأُمّي طِبتَ حَيًّا ومَيِّتًا»[٤]، أي: طَهُرتَ، والطَيِّباتُ في التّحيّاتِ، أي: الطّيِّباتُ منَ الصّلاةِ والدّعاءِ والكَلامِ مَصروفاتٌ إلى الله تعالى، وفيهِ: (أَنَّهُ عليه السلام أَمَرَ أن تُسمَّى المدينَةُ طَيبَةَ وَطابَةَ، هما: مِن الطَيّبِ؛ لأنَّ المدينَةَ كانَ اسمُها يَثرِبَ، والثربُ: الفَسادُ)[٥] والخَباثَةُ من الأمعاءِ والأحشاءِ والتَّوبيخِ ونَحوِهِ؛ فنَهى صلى الله عليه وآله أن تُسَمَّى بهِ وسَمّاها طَيبَةَ وطابَةَ، وهما تأنيثُ طَيْبٍ وطابٍ بمعنى: الطَّيِّبِ والطَّاهِرِ لِخلوصِها من الشرِّكِ وتَطهُّرِها منهُ، يقالُ: طابَ يَطيبُ طابًا وطَيبًا وطَيبَةً وتِطيابًا لَذَّ وَزكا.

الإعراب:

جملةُ: (كلُوا من طيِّباتِ ما رَزَقناكُم): مقولةٌ لقُلنا محذوفًا معطوفًا على قولِهِ: (وأنزَلنا)، أي:

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: اكتسابه.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٢٤.

(٣) مسند احمد: ١: ١٠٠، وسنن ابن ماجه: ١: ٥٢، حديث رقم: ١٤٧، وبحار الأنوار: ٣١: ٢٠٢.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٩: ٥٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٤٩.

وأنزَلنا عليكم المَنَّ والسَّلوى، وقُلنا لَكُم كُلُوا، وجُملةُ: (وما ظَلَمونا): معطوفةٌ على جملةِ: (خالفونا) محذوفَةٍ مَربوطَةٍ، والتقديرُ: وقُلنا لكم كلُوا مِن طيِّباتِ ما رَزقناكُم واشكرُوا هذهِ النِّعَمَ العِظامَ وأمثالَهَا، فخالَفُونا فيما أمرناهُم بِهِ وكَفروا هذهِ الأَنعُمَ وما ظلَمونَا، و(أنفُسَهم): مفعولُ يظلمونَ مُقدَّمٌ عليهِ، وأمثالُ هذهِ الفقراتِ أعني: قولُهُ: (وما ظَلموا ولكِن كانُوا) إلى آخِرهِ تُسمَّى إِرصادًا[1] في عِلمِ البَديعِ.

المعنى:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: سَخَّرنا لأسلافِكم السَّحابَ فجعلناهُ ظُلَّةً عليهِم يَسيرُ معَهم حيثُ يسيرونَ ويَقيهِم حَرَّ الشّمسِ في التِّيهِ ولا تَتّسخُ ثيابُهُم ولا تَبلى، كما سيجيءُ آنفًا.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾، أي: التَّرَنجَبينَ ينزلُ من طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمسِ لكُلِّ إنسانٍ صاعٌ أو شيئًا، يقعُ على الشَّجرِ مثلَ الثّلجِ في البَياضِ والعَسلِ في الحَلاوةِ، أو الخُبزَ المُرقَّقَ أو الكمأَ، كما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ: «الكمأَةُ مِن المَنِّ ماؤُها شِفاءٌ للعَينِ»[2] كما مرَّ، وقيلَ: جميعَ نِعَمِ الله التي أتتهُم ممَّا مَنَّ اللهُ تعالى بها عليهِم ممَّا لا تَعبَ فيهِ ولا نَصَبَ، **﴿وَالسَّلْوَى﴾** وهوَ: السَّماني أطيَبُ طائرٍ يبعثُهُ اللهُ إليهِم فيذبحونَ منهُ ما يَكفيهِم، **﴿كُلُوا﴾**، أي: قُلنا لهم كُلُوا **﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**، أي: من الشّيءِ المُباحِ الحلالِ الطَّيِّبِ الذي يُستَلذُّ أكلُهُ جعلناهُ رزقًا لأسلافِكُم، **﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾** على حذفِ المعطوفِ عليهِ كما مرَّ بيانهُ في الإعرابِ، أي: فخالفونا وظَلَموا بهذهِ النِّعمِ الطَّيِّبةِ اللذيذةِ غيرِ المُتعَبةِ بأن مَلُّوا منها وكفَروها ولم يَشكرُوها ولم يَرضَوا بها ولَم يَصبِروا عَليها واستَبدَلوا الذي هو أَدنى بالذي هوَ خيرٌ، وما ظَلمونا وما نَقَصونا[3] بكُفرانِهم أَنعُمَنا وما ضَرّونا في ذلكَ؛ لأنَّ كُفرَ

---

(1) الإرصادُ: (ويُسمّى (التّسهيمُ) أيضًا وهو: أن يجعلَ قبلَ العجزِ منَ الفقرَةِ أو البيتِ ما يَدلُّ على العَجزِ إذا عُرِفَ الرَّوي). الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٥٩.

(2) الفائق في غريب الحديث: ٣: ٢٦٢، ومستدرك الوسائل: ١٦: ٤٢٣، حديث رقم: ٢٠٤٢٥.

(3) ومنه في حاشية الأصل: عطفٌ تفسيرٌ لـ(ظلمونا).

الكافرِ لا يَقدَحُ في سلطانِنا وممالِكِنا كما إنَّ إيمانَ المؤمنِ لا يزيدُ في سُلطانِنا، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: ينقصونَ حُظوظَ أنفسِهِم بالكُفرانِ فيَضرّونَها؛ لأنَّهُ لا يتَجاوَزَهُم ضَررَهُ.

في الكافي: عن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام في قولِهِ عزَّ وجَلَّ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أعظَمُ وأعزُّ وأَجَلُّ وأمنَعُ مِن أن يُظلَمَ ولكنَّهُ تعالى خَلَطَنا بنفسِهِ فَجعَلَ ظُلمَنا ظُلمَهُ ووِلايَتَنا ولايَتَهُ حيثُ يقولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾(١) الآيَة يعني الأئمَّةَ»(٢)، فهذا يَدُلُّ على أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لا يَنفَعُهُ طاعةُ المطيعينَ ولا يَضُرُّهُ معصيةُ العاصينَ، وإنَّما تعودُ منفعةُ الطاعةِ إلى المُطيعينَ ومَضرَّةُ المعصيةِ إلى العاصينَ. وفي تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: «لمَّا عبَرَ بهِم موسى عليه السلام البحرَ نَزَلوا في مَفازَةٍ فقالُوا أهلَكتَنا وأَخرَجتَنا من العُمرانِ إلى مَفازَةٍ لا ظِلَّ فيها ولا شَجَرَ ولا ماءَ فَكانَت تَجيءُ بالنَّهارِ غَمامَةٌ تُضلُّهُم من الشّمسِ ويَنزلُ عليهم بالليلِ المَنُّ فيأكُلونهُ بالعَشيّ يَجيءُ طائِرٌ مَشويٌّ فيَقَعُ على موائِدِهِم فإذا أَكَلوا وشَبِعُوا طارَ عنهُم، وكانَ مع موسى عليه السلام حجَرٌ يَضَعُهُ في وَسَطِ العَسكَرِ ثمَّ يَضرِبُهُ بعَصاهُ فتَنفجرُ منهُ اثنَتا عَشَرَةَ عَينًا فيَذهَبُ الماءُ إلى كُلِّ سِبطٍ وكانوا اثني عَشَرَ سِبطًا فَلَمَّا طالَ عليهِم مَلُّوا وقالوا لَن نَّصبرَ على طَعامٍ واحِدٍ»(٣)، انتهى. [٣٤٧]

القصّة:

وفي المجمَعِ: «القصّةُ: وكانَ سببُ إنزالِ المَنِّ والسَّلوى عليهِم أنَّهُم لمَّا ابتلاهُم اللهُ بالتِّيهِ إذ قالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(٤) حينَ أمرَهُم بالمَسيرِ إلى بيتِ المقدِسِ وحَربِ العمالقةِ بقولِهِ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى

---

(١) سورة المائدة ٥: ٥٥.

(٢) الكافي: ١: ١٤٦.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٤٨.

(٤) سورة المائدة ٥: ٢٤.

أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[1] فَوَقعوا في التِّيهِ، صاروا كلّما ساروا تاهُوا في قَدرِ خَمسَةِ فراسِخَ أو ستَّةَ أو سبعَةَ، وكلَّما أصبحوا سارُوا غادِينَ فأَمسَوا ، فإذا هم في مكانِهم الذي ارتَحلوا منهُ، كذلك حتَّى تمَّتِ المُدَّةُ ، وبَقوا فيها أَربعينَ سنَةً، وفي التِّيهِ تُوفيَ موسى وهارونَ، ثم خرجَ يوشعُ بنُ نونٍ، وقيلَ: كانَ اللهُ تعالى يَرُدُّ الجانبَ الذي انتَهَوا إليهِ من الأرضِ إلى الجانِبِ الذي ساروا منهُ، فكانوا يضلُّون عنِ الطّريقِ؛ لأنَّهُم كانُوا خَلقًا عَظيمًا، فلا يَجوزُ أن يَضلُّوا كُلُّهُم عنِ الطّريقِ في هذهِ المدَّةِ المديدَةِ ، في هذا المقدارِ من الأرضِ، ولِما حَصَلوا في التِّيهِ، نَدِمُوا على ما فَعَلوا ، فألطَفَ اللهُ لهم بالغَمامِ لمَّا شَكَوا حَرَّ الشّمسِ، وأنزَلَ عليهِم المَنَّ والسَّلوى، فكانَ يسقُطُ عليهم المَنَّ من وقتِ طلوعِ الفَجرِ إلى طلوعِ الشّمسِ، فكانوا يأخذونَ منها ما يكفِيهم ليومِهم، وقالَ الصّادقُ عليه السلام: كانَ ينزلُ المَنُّ على بَني إسرائيل من بعدِ الفَجرِ إلى طلوعِ الشّمسِ، فمَن نامَ في ذلكَ الوقتِ لم ينزِل نصيبُهُ؛ فلذلكَ يُكرهُ النّومُ في هذا الوقتِ إلى بعدِ طلوعِ الشّمسِ .

قال ابنُ جريجٍ: وكانَ الرجلُ منهم إذا أَخَذَ من المَنِّ والسَّلوى زيادَةً على طعامِ يومٍ واحدٍ، فَسِدَ إلّا يومَ الجُمعةِ، فإنَّهم إذا أخَذوا طعامَ يومينِ لم يفسُد، وكانوا يأخُذونَ منها ما يَكفِيهم ليومِ الجمعةِ والسّبتِ؛ لأَنَّهُ كانَ لا يأتِيهم يومَ السّبتِ، وكانوا يخبزونَهُ[2] مثلَ القرصَةِ، ويوجدُ لهُ طَعمٌ كالشّهدِ المعجونِ بالسَّمنِ، وكانَ الله تعالى يبعَثُ لهم السَّحابَ بالنّهارِ، فيَدفَعُ عنهم حَرَّ الشّمسِ، وكانَ يَنزِلُ عليهم في الليلِ من السَّماءِ عَمودٌ من نورٍ يُضيءُ لهم مَكانَ السِّراجِ، وإذا وُلِدَ فيهم مَولُودٌ يكونُ عليهِ ثَوبٌ يطولُ بِطولِهِ)[3]، انتهى.

وقالَ في سورةِ المائدةِ: (فاغتاظَ لذلكَ موسى عليه السلام فقال: ربِّ إنِّي لا أملكُ إلَّا نَفسي وأخي، فأوحى اللهُ إليهِ: إنَّهم يَتيهونَ في الأرضِ أربعينَ سنةً، وإنَّما يخرجُ منهم مَن لم يعصِ اللهَ في ذلكَ،

(١) سورة المائدة ٥: ٢١.

(٢) وقد ورد في نسخةِ المصدرِ المُعتَمد بلفظ: (يأخذونَهُ).

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٢٥.

فبَقَوا في التِّيهِ أربعينَ سنةً في ستَّةِ عَشَرَ فَرسَخًا، وقيلَ: تسعَةَ فراسِخَ، وهم ستّمائةُ ألفِ مقاتِلٍ، لا تَنخرِقُ ثيابُهم، وتثبُتُ معهُم، ويَنزِلُ عليهِم المَنَّ والسَّلوى، وماتَ النّقباءُ، غيرَ يوشَعٍ وكالِبِ بنِ يوحَنَّا، وماتَ أكثرُهم، ونَشأَ ذَرارِيُّهم، فَخَرجوا إلى حَربِ أرِيحا، وفَتَحوها، واختَلَفوا فيمَن فَتَحَها، فقيلَ: فتَحَها موسى ويُوشَعُ على مُقدِّمتهِ، وقيلَ: فتَحَها يوشَعُ بعدَ موتِ موسى عليه السلام، وكانَ قد تُوفِّيَ موسى، وبعَثَهُ اللهُ نبيًّا، وَرُويَ أنَّهم كانوا في المحاربةِ إذ غابَتِ الشّمسُ، فدَعا يوشَعُ فَرَدَّ اللهُ تعالى عليهِم الشّمسَ حَتَّى فَتَحوا أريحا»[1]، إلى آخِرِه كما يَجيءُ في سورةِ المائدةِ.

وفي كتابِ الاحتجاجِ للطبرسيِّ رحمه الله: «رُويَ عن موسى بنِ جعفرٍ عن أبيهِ عن آبائهِ عن الحسينِ بن عليٍّ عليه السلام قال: إنَّ يهوديًّا من يهودِ الشّامِ وأحبارِهم قال لأميرِ المؤمنينَ في أثناءِ كلامٍ طويلٍ: فإنَّ موسى بن عِمرانَ قد أُعطِيَ المَنَّ والسَّلوى فهل لُمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله نظيرُ هذا؟ فقالَ لهُ عليٌّ عليه السلام: لقد كانَ ذلكَ لموسى عليه السلام في التِّيهِ ومُحمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعطِيَ ما هوَ أفضلُ من هذا إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أحلَّ لهُ الغنائِمَ وَلِأُمّتِهِ ولَم تَحل لِأحَدٍ غيرَهُ قبلَهُ، فهذا أفضَلُ مِن المَنِّ والسَّلوى، قالَ لهُ اليهوديُّ: فإنَّ موسى عليه السلام قد ظَلَّلَ عليهِ الغَمامَ. قالَ لهُ عليٌّ عليه السلام: لقد كانَ ذلكَ، وفعلَ ذلكَ لموسى عليه السلام في التِّيهِ، وأعطى محمَّدًا صلى الله عليه وآله أفضَلَ من هذا: إنَّ الغَمامَةَ كانت لمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله تُظِلُّهُ مِن يَومِ وُلِدَ إلى يومِ قُبِضَ في حَضَرِهِ وأسفارِهِ فهذا أفضَلُ ممَّا أُعطِيَ موسى عليه السلام»[2]، انتهى. [٣٤٨]

(١) مجمع البيان: ٣: ٣٠٨.

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٢٥.

وقولُهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: حِطَّةً بالنّصبِ، والجمهورُ: بالرّفعِ[١]، وسَيجيءُ بيانُهما في الإعرابِ، وقَرَأَ المَدَنيّان أبو جعفرٍ يزيدُ ابن القعقاع ونافعُ بنُ عبدُ الرحمنِ: يُغفَرُ بالياءِ على البناءِ للمفعولِ، وقرأَ الشّاميُّ: أعني: عبدُ الله بنُ عامرٍ: تُغفَرُ بالتّاءِ مبنيًّا للمفعولِ، وقرأَ الباقونَ: نَغفِرُ لكم مبنيًّا للفاعلِ وهو المختارُ[٢]؛ لكونهِ أشبهَ بما قبلَهُ من قولِهِ: قُلنا وأنزَلنا وظلَّلنا؛ ولأنَّ أكثرَ القُرَّاءِ عليهِ، وأجمَعَ القُرّاءُ على إظهارِ الرّاءِ عند اللامِ في نحوِ قولِهِ تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾، وأمَّا إدغامُ الرّاءِ في اللامِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾[٣]، و(نَغْفِرْ لَكُمْ) على قراءةِ أبي عمرو[٤] فَلَحنٌ؛ لِما بُيِّنَ في موضِعِهِ أنَّ حروفَ (ضَوِيَ مِشفَرٌ) لا تُدغَمُ فيما يُقارِبها، واتَّفقَ القُرَّاءُ هنا على (خَطاياكُم)، واختلَفوا في الأعرافِ ونوحٍ، فَقَرأَ بعضُهم هنالكَ: خطِيئاتِكُم؛ وذلكَ لأنَّ التي هنا كُتِبَت في المصاحِفِ بالألفِ، واللّتينِ فيهِما كُتِبَتا بغيرِ ألفٍ[٥].

اللغة:

الدّخولُ والوُلوجُ والاقتِحامُ نظائرُ، والفرقُ بينَ الدّخولِ والاقتِحامِ: أنَّ الاقتحامَ دخولٌ على صعوبَةٍ، ويقالُ: في الأمرِ دَخَلٌ، أي: فَسادٌ، ودخَلَ أمرُهُ: إذا فَسَدَ، وفلانٌ دخيلُ بني فلانٍ: إذا كانَ من غيرِهِم، والدّخيلُ: الضّيفُ والنّزيلُ، وأطلعتُهُ على دخلَةِ أَمري: إذا بَيَّنتَهُ مَكنُونَكَ، وفلانٌ

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٢٦٤، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٨٥، والقراءة لابن أبي عبلة.

(٢) ينظر: الحجّة في القراءات السبع: ١: ٧٩، والحجّة للقراء السبعة: ٢: ٨٥.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٨٦.

(٤) ينظر: الحجّة في القراءات السبع: ١: ٨٠.

(٥) ينظر: الحجّة في القراءات السبع: ١: ٧٩، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٨٦.

مدخولٌ: إذا كانَ في عقلِهِ أو حَسَبِهِ دَخَلٌ، والمدخولُ: المهزولُ، والدَّخَلُ مُحرَّكَةً: العيبُ والغِشُّ والفسادُ، وما داخلَكَ من فَسادٍ في عقلٍ أو جسمٍ، وفي الحديثِ: «إذا بلغَ بَنو أبي العاصِ ثلاثينَ كانَ دينُ اللهِ دَخَلًا وعِبادُ اللهِ خَوَلًا»(١)، والخَوَلُ مُحرَّكَةً: العبيدُ والإماءُ للواحِدِ والجمعِ والذكرِ والأُنثى، وحقيقتُهُ أنَّهُم يُدخِلونَ في الدّينِ أمورًا لم يَجرِ بها كتابٌ وَسُنَّةٌ، ودَخلَةُ الرّجلِ بالفَتحِ والكَسرِ: نيَّتُهُ ومذهَبُهُ.

والقريةُ والبلدَةُ نظائِرُ، وأصلُها الجمعُ، وقَريتُ الماءَ في الحَوضِ أَقريهِ قَريًا، وقَريتُ الضيفَ أَقريهِ قِرًى، والمِقراةُ: الجَفنَةُ(٢) التي يُعدُّ فيها الطّعامُ للأضيافِ وكُلُّ ما اجتمَعَ فيهِ الماءُ والمقارِي: القُدورُ، وقالَ الخليلُ: «القَريَةُ والقِريَةُ: لغتانِ، والكَسرُ لغةٌ يمانيّةٌ، وهيَ المِصرُ الجامِعُ والجمعُ قُرى»(٣)، يقالُ فلانٌ أقرَى القَريةِ أي: لَزِمَها، والقاري: ساكنُها، ومنهُ قُرَى النَّملِ للمواضِعِ الّتي تَجمَعُ فيها التُّرابَ. والسُّجودُ: شِدّةُ الانحناءِ والتَّطَأمُنُ، ومنهُ سجودُ الصّلاةِ، سَجَدَ خَضَعَ، وانتَصَبَ: ضِدٌّ، وأسجَدَ: طَأطَأَ رَأسَهُ وانحنَى، قالَ الشّاعرُ:

وقُلنَ لهُ أَسجِد لليَلى فَأسجَدا (٤)

يعني: البَعيرَ، أي: طَأطِأ لِتَركَبَهُ، ويقالُ: أَسجَدَ: إذا أَدامَ النَّظَرَ في أَطرافِ الأجفانِ، ومنهُ السُّجَّدُ للنّساءِ، وهيَ: الفاتِراتُ الأعيُنِ وقاصِراتُ الطّرفِ. والحَطُّ والوَضعُ والخَفضُ نظائرُ، والحَطُّ: وَضعُ الأحمالِ عن الدّوابِّ، ووَضعُ الشّيءِ عن الشيءِ كالاحتِطاطِ، واستَحَطَّ وِزرَهُ: سَأَلَهُ أن يَحُطَّهُ عنهُ، والاسمُ: الحِطَّةُ والحِطِّيطي بكسرِهِما، فالحِطَّةُ بالكسرِ: اسمُ مَصدَرٍ، وفي الحديثِ: «مَن ابتَلاهُ اللهُ ببَلاءٍ في جَسدِهِ فهوَ لهُ حِطَّةٌ»(٥)، أي: يَحطُّ عنهُ خَطاياهُ وذُنُوبَهُ، وهيَ فِعلَةٌ من حَطَّ الشيءَ يَحُطُّهُ

(١) الفائق في غريب الحديث: ١: ٣٦٤، ووسائل الشيعة: ٢٠: ١٥٧.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: القصعة.

(٣) العين: ٥: ٢٠٣، مع اختلاف يسير.

(٤) البيت من الرجز، وهو: لإعرابي أسديّ. ينظر: ديوان جرير: ١: ٣٨٢، ومعجم مقاييس اللغة: ٣: ١٣٣.

(٥) مسند أحمد: ١: ١٩٥، والمستدرك على الصحيحين: ٣: ٢٦٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٠٢.

.٤٠٢

كَنَصَرَ إذا أنزَلَهُ وأَلقاهُ، ومنهُ سُمِّيَتِ الصّلاةُ في التّوراةِ: حُطُوطًا؛ لأنّها تَحُطُّ الأوزارَ والخَطَايَا، والحَطُّ: الحَدَرُ من عِلْوٍ إلى سِفْلٍ، وقالَ امرؤُ القيسِ في وَصفِ الفَرَسِ:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعًا كَجُلمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ [1]

معاني الغفر:

والغفرانُ والتّغطيةُ والعَفوُ والصّفحُ والسّترُ نظائرُ، يقالُ غفَرَ اللهُ لهُ ذنبَهُ يغفِرُهُ غَفرًا وغِفرَةً حَسنةً ومَغفِرَةً، وغُفورًا وغُفرانًا بضمِّهما وغَفيرَةً، أي: غَطّى عليهِ وسَتَرَهُ وعَفا عنهُ، والغَفورُ والغَفّارُ بفتحِهما مِن صفاتِ اللهِ تعالى، ومنهُ يقالُ للمِغفَرِ مِغفَرٌ لتغطيَتِهِ الرأسَ والعُنُقَ، والغِفارَةُ: خرقَةٌ تُلَّفُ على سِيَةِ القوسِ، ويقالُ: اصبغْ ثوبَكَ فَإنّهُ أغفَرُ للوسَخِ، أي: أَستَرُ، وفي حديثِ عليٍّ عليه السلام: «إذا رَأى أحدُكُم لأحدِكُم غَفيرَةً مِن أهلٍ أو مالٍ فلا يَكونَنَّ لهُ فتنةً»[2]. [٣٤٩]

الغفيرةُ: الكثرةُ والزيادةُ، من قولِهم: جاؤا الجمّاءَ الغفيرَ، وجمّاءَ الغفيرِ، وجَمًّا غفيرًا، وجَمَّ الغفيرِ، وجَمّاءَ الغَفيري، وجَمِّ الغَفيرةِ، وجمّاءَ الغَفيرةِ، والجمّاءَ الغفيرةَ، وجمّاءَ غَفيرةً، والجَمّ الغَفيرَ، أي: جميعًا، شريفَهُم ووضيعَهُم صغيرَهُم وكبيرَهُم بحيث يُغَطُّونَ وجهَ الأرضِ فتكون الجميع منصوبَةً على الحاليّةِ كما بُيِّنَ في موضعِهِ، وهي من بابِ وَضْعِ المعرفَةِ في موضِعِ النّكرةِ، وأصلُ البابِ: السّترِ، وحَدُّ المغفِرةِ: سَترُ الذّنوبِ والخطيئةِ برَفعِ العقوبَةِ، ومنهُ يقالُ: لِصَمغِ العِرفِطِ: المُغفُورُ[3]، ومُغفُرٌ بضَمِّها ومِغفارٌ ومِغفيرٌ بكسرِهما وجمعُها مَغافِرُ ومَغافيرُ، ومنه الحديثُ: «أنَّهُ صلى الله عليه وآله دخلَ على

(١) البيت من الطويل. ديوانه: ١٢، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣: ١٤٢.

والجلمود: الصخر. لسان العرب: ٣: ١٢٩ (جلمد)، والصخر: «الحجرُ العظيمُ الصلبُ». القاموس المحيط: ٢: ٦٨، (صخر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٧٤، وبحار الأنوار: ١٠٠: ٣٨ مع اختلاف يسير.

(٣) العرفط: شَجَرَةٌ من شَجَرِ العِضاةِ، تأكلُهُ الإبلُ، والعضاةُ: كلُّ شجرٍ لهُ شوكٌ كالطّلحِ والعَوسَجِ، والمغفورُ: دودٌ يخرجُ منَ العَرفَطِ حُلوٌ يضيحُ بالماءِ فَيُشرَبُ. العين: ٢: ٣٢٧ (عرفط)، و٤: ٤٠٧ (غفر).

عائشةَ وحفصةَ، فقالتا: يا رسولَ الله أَكلتَ مغافيرَ[1]، تَعنِيانِ هذا الصّمغَ ولهُ ريحٌ كريهةٌ مُنكَرَةٌ، ومِن العربِ مَن يقولُ بدلَ مغافيرَ: معاثيرَ بالثاءِ المثلَّثةِ، كما يقولونَ: جَدَثَ وجدَفَ وهذا البناءُ قليلٌ في العربيَّةِ لم يرد منهُ إلّا مُغفُورٌ، ومُنخُورٌ للمُنخُرِ، ومُغرودٌ لضربٍ من الكمأةِ، ومُعلوقٌ واحِدُ المعاليقِ[2]، والغَفرُ أيضًا: الزِئبِرُ على الثوبِ، والزِّئبِرُ بالكسرِ مهموزًا على وزنِ زِبرِجٍ: ما يَعلو الثّوبَ الجديدَ، مثلَ ما يَعلوَ الخزَّ، ويقالُ: ثوبٌ ذو غَفرٍ إذا كانَ له زِئبِرٌ يسترُ نَسجَهُ.

والخطيئةُ والزَّلَّةُ والذّنبُ والمعصيةُ نظائرُ، الخَطْأُ بالفتحِ والخَطَأُ مُحرَّكَةً والخَطاءُ بالمدِّ: الذنبُ والإثمُ وضِدُّ الصَّواب، وقد أخطَأَ إِخطاءً وخاطِئَةً، والخطيئةُ: الذّنبُ أو ما تُعِمُّدَ منهُ كالخِطأِ بالكسرِ، والخَطَأُ: ما لَم يُتعمَّدُ، ويقالُ: أخطَأَ يُخطِئُ: إذا سلَكَ سبيلَ الخَطَأِ عمدًا وسهوًا، ويقالُ: خَطِئَ بمعنى أَخطَأَ أيضًا، وقيلَ: خَطِئَ إذا تَعمَّدَ، وأَخطَأَ إذا لم يَتعمَّدَ.

وقال في المجمعِ: «يُقالُ: خَطِئَ الشّيءَ خَطَأً إذا لَم يُردهُ وأَصابَهُ، وأَخطَأَهُ إِخطاءً إذا أرادَهُ فلَم يُصبهُ، والأَوَّلُ الخاطِئُ، والثاني المُخطِئُ»[3]، انتهى. ولذا يقالُ لمَن أرادَ شيئًا ففَعَلَ غيرَهُ أو فعلَ ضِدَّ الصّوابِ أَخطَأَ، وقَتلُ الخَطَأِ منَ الأَوَّلِ.

ذكرُ جموعِ الخطيئة:

وتُجمعُ الخطيئةُ على الخطيئاتِ، مثلَ صحيفاتٍ وسفيناتٍ في جمعَي صحيفةٍ و سفينةٍ، وعلى الخطايا وعلى خَطاءٍ بإبدالِ الياءِ الزائدةِ الواقعةِ بعد أَلفِ الجمعِ همزةً من غيرِ إعلالٍ آخَرَ.

ذكرُ الإعلالاتِ الخمسةُ في خَطايا عندَ سيبويه والأربعةُ عندَ الخليلِ:

وأَمَّا خطايا فَفيهِ خمسةُ إعلالاتٍ عند سيبويهِ[4]، بيانُ ذلكَ: أَنَّ أَصلَهُ خَطايِء بياءٍ مكسورةٍ بعد

(١) بحار الأنوار: ٢٢: ٢٢٨.

(٢) «ويقال للمِعْلاق: مُعْلوقٌ، وهو: ما يُعَلَّق عليهِ الشَّيء». لسان العرب: ١٠: ٢٦٥ (علق).

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٢٧.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣: ٥٥٣.

ألفٍ، بابِ مساجِد وهي ياءُ خطيئةٍ وهمزةٍ بعدَها هي لامُها، فأُبدِلَتِ الياءُ همزةً على حَدِّ إبدالِها في صحائِفَ، فصارَ خَطاءِء بهمزتينِ، ثمَّ أُبدِلتِ الهمزةُ الثانيةُ ياءً؛ لتطرّفِها وانكسارِ ما قبلِها، كما هو القاعدةُ في تخفيفِ الهمزةِ المتطرِّفةِ سِيَّما في الهمزتينِ المُتحرّكتينِ في كلمةٍ، فصارَ خَطاءِيَ، ثمَّ قُلِبَت كسرةُ الهمزةِ الأُولى فتحَةً؛ للتخفيفِ، كما هو القاعدةُ في مَطايا ورَكايا وهَدايا ونَحوِها، فصارَ خَطاءَيَ، فقُلِبَتِ الياءُ الأخيرةُ المُبدَلةُ من الهمزةِ ألفًا، لِتَحرّكِها وانفتاحِ ما قبلَها، فصارَ خَطاءا، اُستثقِلَتِ الهمزةُ بينَ ألفينِ؛ لأنَّ الهمزةَ مُجانسَةٌ للألفاتِ فكانَ كأنَّما اجتَمعت ثَلاثُ أَلفاتٍ، فأُبدِلَتِ الهمزةُ ياءً، فصارَ خَطايا، وأمَّا عند الخليلِ(1) ففيها أربعةُ إعلالاتٍ بإسقاطِ الإعلالِ الأوَّلِ بالقلبِ المكانيَ، بيانُهُ: أنَّ أصلَهُ خَطايِءُ أيضًا فيَجعلُ الهمزةَ التي هي لامُ الكلمةِ مكانَ الياءِ الزائدةِ فيصيرُ خطاءِي على وزنِ فَعالي، والإعلالاتُ الأربعةُ الباقيةُ على حالِها، فوزنُ خَطايا عندَ سيبويه: فَعايَل، وعند الخليلِ: فَعالَى.

والمجمَعِ: «والمحسِنُ: فاعلُ الإحسانِ أو الفاعلُ للحُسنِ، يقالُ: أحسَنَ إلى غيرِه، وأحسنَ في فعلِهِ، والفرقُ بينهُما: إنَّ أحسَنَ إليهِ لا يُقالُ إلَّا في النّفعِ، فَلا يُقالُ: أحسَنَ اللهُ إلى أهلِ النّارِ بتَعذيبِهِم، ويقالُ: وأحسَنَ في تعذيبِهم بالنّارِ، بمعنى: في فعلِهِ وتَدبيرِهِ، ويقالُ: امرأةٌ حسناءُ، ولا يقالُ رجلٌ أحسنُ، وحَدُّ الحَسَنِ من طريقِ الحكمةِ هو: الفعلُ الذي يدعو إليهِ العقلُ، وضِدُّ القبيحِ وهو: الفعلُ الذي يَزجُرُ عنهُ العقلُ، وحَدُّ الإحسانِ هو: النفعُ الحَسَنُ، وحَدُّ الإساءَةِ هو: الضّررُ القبيحُ، وهذا إنَّما يصُحُّ على مَذهَبِ مَن يقولُ: إنَّ الإنسانَ يكونُ مُحسِنًا إلى نفسِهِ ومسيئًا إليها، ومَن لم يذهب إليهِ يزيدُ فيه الواصلَ إلى الغيرِ معَ قصدِهِ إلى ذلكَ، والأولى في حَدِّ الحَسَنِ أن يقالَ هو: الفعلُ الذي إذا فعَلَهُ العالِمُ بهِ على وَجهٍ لم يستحقّ الذَّمَّ»(2)، انتهى. [٣٥٠]

(١) ينظر: العين: ٤: ٢٩٢ (خطأ).

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٢٧، ٢٢٨.

الإعراب:

(إذ): مرَّ إعرابُهُ مرارًا، (هذهِ): مفعولٌ فيهِ لـ(ادخُلُوا) على الأصَحِّ بتقديرِ: في، وقيلَ: إنَّها مفعولٌ بهِ، وعلى التّقديرينِ (القريةَ): نعتٌ لـ(هذهِ)، والجملةُ مقولُ القولِ، وكذا (وادخُلوا البابَ): بعينِهِ، و(الفاءُ): للعطفِ والتّعقيبِ، و(حيثُ): ظرفُ مكانٍ لـ(كُلُوا) مبنيٌّ على الضّمِّ كما مَرَّ بيانُهُ في حكايةِ آدمَ وحوّاء عليهما السلام وجملةُ: (شِئتُم): مضافٌ إليهِ، و(رَغَدًا): نَصبٌ على أنَّهُ صفةُ مصدرٍ مُقَدَّرٍ، أي: فَكُلُوا أكلًا رَغَدًا، أي: واسِعًا كثيرًا بلا تَعَبٍ، أو على الحاليّةِ، أي: مُوَسَّعينَ كما مَرَّ في موضِعِ الحوالةِ، (سُجَّدًا): جمعُ ساجدٍ: حالٌ من الواوِ في (ادخُلُوا)، أي: ساجدينَ خاضِعينَ لله، والأصلُ في (حِطَّةٌ) النّصبُ على المصدريّةِ بمعنى: حُطَّ عَنَّا ذُنوبَنا حِطَّةً فَرُفِعَت ليُعطِيَ معنى الثباتِ، كقولِهِ تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[1] فتكونُ[2] خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، أي: مسألَتُنا حِطَّةٌ، أي: حِطَّةُ ذُنوبِنا عَنَّا، أي: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنا فَيكونُ أمرًا باستِغفارِ الذّنوبِ، أو أمرُكَ حِطَّةٌ، أي: شَأْنُكَ حِطَّةُ ذُنوبِنا، والمخاطَبُ هو اللهُ تعالى فَيَكونُ أمرًا بإخبارِهِم عن أنَّ شأنهُ تعالى غَفرُ ذُنوبِ عِبادِهِ وسَترُ عيوبِهِم، أو دُخُولُنا البابَ سُجَّدًا حِطَّةٌ لِذُنُوبِنا فيكونُ أمرًا بإخبارِهِم عن أنَّ إطاعتَهم لهُ سبحانَهُ وامتثالَهم لأمرِهِ تعالى وتَواضُعَهُم لجنابِهِ المُقدّسِ سَبَبٌ لحَطِّ سَيِّئاتِهم، والجملةُ على التقاديرِ: مقولَةُ (قولُوا)، هذهِ كلّها على قراءةِ الرّفعِ، وأمَّا قراءةِ النّصبِ فهيَ على وَجهينِ:

أحدُهُما: أن تكونَ منصوبةً على المصدريّةِ لعامِلٍ محذوفٍ كَما هوَ الأصلُ، والتقديرُ: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنا حِطَّةً، والجملةُ: مقولَةٌ لـ(قولُوا) كما يقالُ: سمعًا وطاعةً، أي: أسمَعُ سمعًا وأُطيعُ طاعَةً، فيكونُ مطابقًا لأوّلِ وجوهِ تقاديرِ الرّفعِ في كونِهِ أمرًا باستغفارِ الذّنوبِ.

وثانيهُما: أن تكونَ مفعولًا بهِ لِـ(قولُوا)، أي: قُولوا هذهِ الكلمةَ، أي: حُطَّ عَنَّا ذُنوبَنا، كما يقالُ: قُلتُ: شعرًا أو قافيَةً، كما قالَ:

(١) سورة يوسف ١٢: ١٨.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: حطّةٌ.

وَكمْ علَّمتُهُ نَظمَ القَوافيَ فلَمَّا قالَ قافيَةً هَجانيَ [1]

وقال ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالَها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ»[2]، وهي إشارةٌ إلى قصيدَتِهِ:

ألا تَسألانِ المرءَ ماذا يُحـاوِلُ أنَحبٌ فيُقضى أم ضَلالٌ وباطِلُ

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ وَكُلُّ نَعيـــمٍ لا مُحالَـــةَ زائِلُ

الأبياتُ[3]، و(نغفِرْ): على جميعِ القِراءاتِ: مجزومٌ بجوابِ الأمرينِ على تقديرِ الشّرطِ المحذوفِ كما هو القاعدةُ، كقولِهِم: زُرني أُكرِمْكَ، أي: زُرني إن تَزُرني أُكرِمْكَ؛ لدلالةِ الأمرِ المذكورِ على السّببيَّةِ، أي: إن تَدخُلوا البابَ سُجَّدًا، وإن تَقولُوا حِطَّةً نغفِرْ لَكُم إلى آخِرِهِ، و(خَطاياكُم): مفعولُ (نَغفِرْ)، والباقي: واضحٌ، و(السّينُ): لِتأكيدِ الزّيادةِ وتَحقيقِها كَما في: ﴿سَنكْتُبُ مَا قَالُوا﴾[4].

المعنى:

اذكُروا يا بني إسرائيل **﴿إِذْ قُلْنَا﴾** لأسلافِكُم: **﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾** التي هيَ بيتُ المقدسِ كما في المائدةِ: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾[5] وذلكَ قبلَ التّيهِ، أو هذهِ القريةَ هي أَرِيْحا بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الرّاءِ وسكونِ الياءِ المثنّاةِ تحتَ ثُمَّ الحاءِ المهملةِ والألفِ المقصورةِ وهي: قريةٌ قريبةٌ من بيتِ المقدِسِ[6]، وكانَ فيها بقايَا من قومِ عادٍ وهُم العمالِقةُ ورَأسُهُم عَوجُ بنُ عُنُق أُمِرُوا بِدخولِها بعدَ التّيهِ **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾**، أي: من هذهِ القريةِ **﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾**، أي: أينَ شِئتُم وأيَّ مكانٍ منها شِئتُم؟ **رَغَدًا**، أي: أكلًا واسِعًا مُوَسَّعًا عليكم، أو مُوسَّعينَ مُستمتِعينَ من طعامِ

(١) البيت من الوافر، وقائله: معن بن أوس المزني، وأراد بالقافية: القصيدة. ينظر: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ١: ١٢٣.

(٢) مسند احمد: ٢: ٤٧٠. وأورد الحديث العلامة المجلسي في البحار: ٦٧: ٢٩٥، الباب: ٥٦، بلفظِ: قالتها العرب.

(٣) مرَّ بيانُها، ص: ٢٥٥.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٨١.

(٥) سورة المائدة ٥: ٢١.

(٦) ينظر: معجم البلدان: ١: ١٦٥، وآثار البلاد وأخبار العباد: ١٤٢.

هذهِ القريةِ بعدَ المَنِّ والسَّلوى، فهذا الأمرُ إباحَةٌ لهُم منهُ سجانهُ لغنائِمِها وتَمَلُّكِ أَموالِها إتمامًا للنّعمةِ عليهِم ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ**﴾، أي: بابَ بيتِ المَقدِسِ، وهو: البابُ الثامنُ منهُ الذي يقالُ لهُ بابُ حِطَّةٍ، عن مجاهدٍ[١]، أو بابُ القُبَّةِ التي كانَ موسى وبنو إسرائيلَ يصلُّونَ إليها، أي: بابَ البيتِ الذي هوَ قِبلَتُهُم، كما أنَّا نَدخُلُ بابَ الكَعبةِ التي هي قبلَتُنا، أو بابَ القريةِ التي أُمِروا بِدخُولِها وهيَ أَرِيحا.

تحقيقُ مقامٍ:

وفي المجمَعِ: «قالَ أبو عليّ: والآيةُ تدُلُّ على أنَّ قولَ مَن يزعُمُ أنَّها بابُ القُبَّةِ أَولى منها على قَولِ مَن يَزعُمُ أنَّهُ بابُ القَريةِ؛ لأنَّهم لَم يَدخُلوا القَريةَ في حياةِ موسى عليه السلام ولا بيتَ المقدِسِ، وآخِرُ الآيةِ يدُلُّ على أنَّهم كانوا يدخلونَ هذا البابَ في أيّامِ موسى عليه السلام على غيرِ ما أُمِروا بهِ؛ لأنَّهُ سبحانَهُ قالَ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[٢]، والعطفُ بالفاءِ التي هيَ للتعقيبِ مِن غيرِ تراخٍ يدلُّ على أنَّ هذا التبديلَ منهم كانَ في أثرِ الأمرِ فدَلَّ ذلكَ على أنَّهُ كانَ في حياةِ موسى عليه السلام»[٣]، انتهى. [٣٥١]

﴿**سُجَّدًا**﴾، أي: خاضِعينَ متواضِعينَ للهِ مُتطَأمنينَ[٤] خاشِعينَ لهُ سبحانهُ، أو ساجدينَ سجدةَ الصّلاةِ شكرًا، أو سجدةَ صلاةِ الشكرِ على إخراجِكُم من التِّيهِ على وَجهٍ، وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «مَثّلَ اللهُ سبحانهُ على البابِ محمّدًا وعَليًّا وأمرَهُم أن يسجُدوا ويخضَعوا تعظيمًا لذلكَ ويُجدِّدوا على أنفسِهِم بيعَتَهُما وذِكرِ موالاتِهما ويَذكرُوا العهدَ والميثاقَ المأخوذَينِ عليهِم لهما»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٣: ٥٢٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٢٩. والقائل: أبو علي الجبّائيّ.

(٤) أي: مُنخفضين: ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢: ٢٦١.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٠.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي: مسألتُنا حِطَّةٌ، أي: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنا إلى آخِرِ الوجوهِ الخمسَةِ التي مَرَّت في بيانِ إعرابِها، و(قالَ ابنُ عباس: أُمِرُوا أن يقولوا هذا الأمرَ حَقٌّ، وقالَ عكرمةُ: أُمِروا أن يقولوا لا إلهَ إلَّا الله؛ لِأنَّها تَحُطُّ الذنوبَ، وَرُوِيَ عن الباقرِ عليه السلام: نحنُ بابُ حِطَّتِكُم) هكذا في المجمَعِ[1]، وفي عيونِ الأخبارِ: بإسنادهِ إلى الحسينِ بنِ خالدٍ عن الرّضا عليه السلام عن أبيهِ عن آبائِهِ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهم السلام قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «لِكُلِّ أُمَّةٍ صِدِّيقٌ و فاروقٌ، وصِدِّيقُ هذهِ الأُمّةِ وفاروقُها عليُّ بنُ أبي طالبٍ، إنَّ عليًّا سفينةُ نجاتِها وبابُ حِطَّتِها»[2]، وفي كتابِ الخصالِ: في مناقبِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام وتعدادُها، قالَ عليٌّ عليه السلام: «وأمَّا العشرونَ فإنِّي سَمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ لي: مَثَلُكَ في أُمَّتي مَثَلُ بابِ حِطَّةٍ في بَني إسرائيلَ فَمَن دَخَلَ في ولايَتِكَ فقد دخَلَ البابَ كَما أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ»[3]، وفيهِ: يقولُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ: «ونحنُ بابُ حِطَّةٍ»[4]، وفي كتابِ التّوحيدِ: بإسنادهِ إلى أبي بصيرٍ عن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «قالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في خِطبَتِهِ: أنا بابُ حِطَّةٍ»[5]، وفي رَوضةِ الكافي: في خِطبَةٍ لأميرِ المؤمنينَ عليه السلام في الوسيلَةِ قالَ فيها عليه السلام: «ألا وإنِّي فيكُم أَيُّها النّاسُ كهارونَ في آلِ فِرعَونَ، وكَبابِ حِطَّةٍ في بَني إسرائيل»[6]، انتهى.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، أي: أن تدخُلوا البابَ سُجَّدًا، وأن تَقُولوا حِطَّةً نَصفَحُ ونَعفُ عن ذُنوبِكم السَّالفةِ التي أذنَبتُموها عَمدًا وسَهوًا ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذينَ لم يُذنِبوا ثوابًا تَفضّلًا وإحسانًا لنُوفّيهُم اجورَهُم ونزيدَهُم من فضلِنا، أي: مَن كانَ مُحسِنًا منكُم كانَ دخولُ البابِ مع تلكَ الكلمةِ سببًا في زيادةِ ثوابِهِ ومَن كانَ مُسيئًا نغفِرُ لهُ ونَصفَحُ عن ذُنوبِهِ؛ فجعلَ سبحانُهُ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٢٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٦.

(٣) الخصال: ٥٧٤.

(٤) الخصال: ٦٢٦.

(٥) التوحيد: ١٦٥.

(٦) الكافي: ٨: ٣٠.

الامتثالَ والانقيادَ توبةً للمُسيءِ، وسَببًا لِزيادةِ الثّوابِ للمُحسِنِ، وإنَّما لم يقل ونَزِدِ المُحسنين بالجزمِ؛ ليكونَ جوابًا للأمرِ أيضًا، بل أخرجَ الكلامَ عن طَريقةِ الجوابِ إلى الوعدِ؛ إيهامًا بأنَّهُ سبحانَهُ يفعلُ ذلكَ بالمُحسِنِ لا مُحالةَ؛ لأنَّ خُلفَ الوَعدِ من الكريمِ غيرُ جائزٍ سيَّما مِن الكريمِ الحَقِّ والجوادِ المُطلَقِ، وبأنَّ المُحسِنَ يليقُ بذلكَ وإن لَم يفعلْ ذلكَ، فكيفَ إذا فَعَلَهُ؟ اللّهُم أنتَ المُحسِنُ ونحنُ مُسيئونَ فارحمنا بِرحمَتكَ، وأَجِرنا مِن عذابِكَ، وآمِنَّا بعدَ ذلكَ، وزِدنا مِن فَضلِكَ الجميلِ وثوابِكَ الجزيلِ، وآتِنا الامانَ، واحفَظنا من آفاتِ الزّمانِ، بحُرمَةِ وَليِّكَ ومولانا وَبابِ حِطَّتِنا صاحِبِ الزَّمانِ وَآبائِهِ الكرامِ صَلواتُكَ عليهِم ما كَرَّ اللّيالي والأَيّامُ.

قولُهُ تعالى: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

التّبديلُ: تغييرُ الشيءِ إلى غَيرِ حالِهِ، والتّحريفُ وجعلُ شيءٍ مكانَ غيرِهِ بدلًا منهُ، يقالُ بدَّلَهُ تبديلًا حرَّفَهُ، وتَبدَّلَ: تغيَّرَ، وبَدَلُ الشّيءِ مُحرَّكَةً وبالكسرِ وكأميرٍ الخَلَف منهُ، جمعُهُ أَبدالٌ ويقالُ تَبدَّلَهُ وبه واستَبدَلَهُ وبهِ وأَبدَلَهُ منهُ وبدَّلَهُ منهُ، أي: اتَّخذَ منهُ بدلًا، والبِدلُ بالكَسرِ ويُحرَّكُ: الشّريفُ الكريمُ جمعُهُ أبدالٌ أيضًا.

ذكرُ الأبدالِ: [٣٥٢]

وهم: (قومٌ يُقيمُ اللهُ بهم الأرضَ وهم سبعونَ: أربعونَ بالشّامِ وثلاثونَ بغيرِها لا يموتُ أحدُهُم إلّا قامَ مكانَهُ آخَرُ من سائرِ النّاسِ) كذا في القاموسِ(١)، وقالَ ابنُ الأثيرِ في حديثِ عليٍّ عليه السلام: (الأبدالُ بالشامِ: همُ الأولياءُ والعُبّادُ، الواحِدُ بِدلٌ كَحِملٍ، وبَدَلٌ كَحَمَلٍ سُمُّوا بذلكَ؛ لأنَّهم كلّما ماتَ منهم واحِدٌ أُبدِلَ بآخرَ)(٢)، والرّجزُ بالكسرِ: العذابُ السّريعُ، كما (رُوِي: أنَّه ماتَ منهُم في

(١) القاموس المحيط: ٣: ٣٣٣، (بدل).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٠٧.

ساعَةٍ واحدةٍ أربعةٌ وعشرونَ أَلفًا من كُبرائِهم، وقالَ أبو عبيدةَ: الرجزُ والرجسُ: لغتانِ، مثل: البُزاقِ والبُساقِ[(١)]، وقالَ النّبيُّ ﷺ في الطاعونِ: «إنَّه رِجزٌ عُذِّبَ به الأُممُ قبلَكم»[(٢)]، فهوَ غيرُ الرِّجسِ، والرِّجزُ: الذّنبُ والإثمُ، ورجزُ الشيطانِ: وَسواسُهُ، والرُّجزُ بالكسرِ والضّمِّ: القَذَرُ وعِبادةُ الأوثانِ والشركِ، و«الرَّجَزُ مُحرَّكَةً: ضربٌ من الشّعرِ وزنُهُ مُستَفعِلُن سِتَّ مرّاتٍ سُمّيَ بهِ؛ لِتقاربِ أَجزائِهِ وقِلّةِ حروفِهِ»[(٣)]، وقال الخليلُ: «إنَّه ليس بشعرٍ، وإنَّه أنصافُ أبياتٍ وأَثلاثٌ»[(٤)]، وأصلُ البابِ: السّرعةُ، والفِسقُ: الخروجُ من العقيدةِ، وكلُّ مَن خرَجَ عن شيءٍ فقد فَسقَ إلّا إنَّه في الشَّرعِ مخصوصٌ بالخروجِ عن طاعةِ اللهِ وأَمرهِ وطاعةِ أُولائِهِ وأَوامِرِهِم، يقالُ: فسَقَ يفسُقُ كيَنصُرُ، ويَفسِقُ كيَضرِبُ، والضّمُّ أشهرُ وعليهِ القراءَةُ.

الإعراب:

(الفاءُ): للتعقيبِ، ومُتعلّقُ ظلمُوا محذوفٌ، أي: بَدَّلوا من قولِ اللهِ أو أمرِهِ قولًا غيرَ الذي قيلَ لهم فحُذِفَ بدلالةِ غيرِ الذي قيلَ لهُم من قولِهِم: بَدَّلَهُ إذا اتَّخذَ منه بَدَلًا، وغَيرَ الذي: صفةُ قولًا وهوَ لا يُتعَرَّفُ بالإضافةِ إلى المعارِفِ كَمَثلٍ وشبهٍ ونحوهِما إلّا ما اُستثنِيَ كما مَرَّ في غيرِ المغضوبِ عليهِم وموصوفُ الذي محذوفٌ، أي: قولًا غيرَ القولِ الذي قيلَ لهم، أو غَيرَ الأمرِ الذي قيلَ لهم، والثّاني أولى كما يظهَرُ في بيانِ المعنى، و(الفاءُ): في (فَأَنزلنا) فَصيحةٌ؛ لأنَّ ما قبلَها سببٌ لِما بعدَها كما مَرَّ بيانُهُ[(٥)]، (رِجزًا): مفعولُ أنزلنا، و(مِن السّماءِ): نعتٌ، و(الباءُ): مُتعلّقٌ بـ(أنزلنا) أو بـ(ظلَموا)؛ لأنَّ فسقَهم كانَ سببًا لهذا الظُّلمِ ومؤدِّيًا إليهِ كما يجيء فيما بعدُ في قولِهِ تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٣٠.

(٢) السنن الكبرى: ٧: ٢١٧.

(٣) القاموس المحيط: ٢: ١٧٦ (رجز).

(٤) العين: ٦: ٦٤ (رجز).

(٥) ومنه في حاشية الأصل: في الآيات السابقة.

عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1] حيثُ أدّى عصيانُهُم والاعتداءُ فيهِ إلى الكفرِ بآياتِ الله وقتلِ النبيِّين فإنَّ صغارَ الذنوبِ سببٌ يؤدّي إلى ارتكابِ كبارِها وعلى التقديرينِ تكونُ سببيّةً، و(ما): مصدريَّةً، أي: أنزلنا عليهِم رِجزًا من السّماءِ بسببِ فسقِهِم، أو ظَلَموا بسببِ فسقِهِم، والأوَّلُ أحسَنُ.

المعنى:

بيَّنَ سبحانُهُ وتعالى أنَّهم قد خالَفوا أَمرَهُ تعالى في دخولِهِم البابَ المأمورَ بالدخولِ فيهِ وفي امتِثالِ قولِهِ مِن طَلَبِ الاستغفارِ بقولِهِم: حِطَّةٌ، وعَصَوهُ في كُلِّ ما أُمِروا بهِ فقالَ: **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾**، أي: فخالَفَ الذين عَصَوا بأنْ فَعلوا مكانَ ما أُمِروا بهِ مِن دخولِهِم البابَ سُجَّدًا ومِن قولِهِم حِطَّة غيرَ ذلكَ بأنْ دخَلوهُ زاحِفينَ على أَستاهِهِم بدَلَ دخولِهِم على وجوهِهِم سُجَّدًا وقالوا: حِنطَةً بدلَ حِطَّةٍ، أو (حِطًّا سَمقاثًا، أي: حِنطَةً حمراءَ، وهي رمضان أيضًا في الإنجيلِ أو غيرِهِ) كما في القاموسِ[2] وكانَ قصدُهُم في الاستهزاءِ بما قيلَ لهم، **﴿فَأَنْزَلْنَا﴾**، أي: فعَلوا ما لَم يكن لَهم فعلُهُ من تَبديلِهِم ما أَمرَهُم اللهُ بهِ من الفعلِ والقَولِ، أَنزلنا **﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾**، أي: عليهِم، ففي تكريرِهِ وإيرادِهِ باسمِ الظّاهرِ زيادَةٌ في تقبيحِ أَمرِهِم وإيذانٌ بأنَّ إنزالَ العَذابِ عليهم لظُلمِهِم **﴿رِجْزًا﴾**، أي: عَذابًا مُقَدَّرًا **﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**، أي: بسببِ فسقِهِم، أو بسببِ كونِهِم فاسقينَ، وفي ذكرِ (كانَ) إشعارٌ بأنَّ الفِسقَ كانَ من عاداتِهِم القديمةِ، أو طاعونًا؛ لِما رُويَ أنَّهُ ماتَ في ساعةٍ واحِدةٍ أربعةٌ وعُشرونَ ألفًا من كُبَرائِهِم وشيوخِهِم وبَقِيَ الأنبياءُ ما بقى، فَانتَقَلَ عنهم العِلمُ والعبادةُ، فكأنَّهُ إشارَةٌ إلى أنَّهم عُوقِبوا بإخراجِ الأفاضِلِ والكُبراءِ والشّيوخِ من بينِهِم، وهكذا في جميعِ الأيّامِ حَذوَ النَّعلِ بالنّعلِ والقُذَّةِ بالقُذَّةِ[3].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٢) القاموس المحيط: ٢: ٣٥٤، (حطّة).

(٣) مَثَلٌ يُضربُ للشّيئينِ يستويانِ ولا يتفاوتانِ. مجمع الأمثال: ١: ٢٠٤، و القُذَّةُ: ريشُ السهم. لسان العرب: ٣: ٥٠٣، (قذذ).

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: (فبَدَّلَ الذينَ ظلموا إلى آخِرِهِ: لم يسجُدوا كما أُمِروا ولا قالُوا ما أُمِروا بل دخَلُوها مُستقبليها بأستاهِهِم، وقالوا: ما معناهُ حِنطَةٌ حمراءُ نَتَقوَّتُها أحبُّ إلينا من هذا الفِعلِ)[1] ، وفي تفسيرِهِ عليه السلام أيضًا في موضِعٍ آخَرَ مِن القرآنِ: (كان خلافُهُم إنّهم لمّا بلَغوا البابَ رَأَوا بابًا مُرتَفعًا قالوا: ما بالُنا نحتاجُ أن نركعَ عندَ الدخولِ ههنا، ظَنَنَّا أنَّه بابٌ مُتطَأمِنٌ[2] لابُدَّ من الركوعِ فيهِ، وهذا بابٌ مُرتفِعٌ، والى مَتى يَسخَرُ بنا هؤلاءِ؟ يعنونَ موسى عليه السلام ويوشَعَ فجعَلوا أستاهَهُم نَحو البابِ)[3]، فَأنزلنا على الذينَ ظَلموا رِجزًا من السَّماءِ فماتَ الذينَ في عِلمِ الله أنّهم لا يؤمنونَ ولا يَتوبونَ ولا يخرُجُ من صُلبِهِ ذريَّةٌ طيّبةٌ. محمدُ بنُ مسعودِ العيَّاشي عن الباقرِ عليه السلام قال: «نزلَ جبرئيلُ عليه السلام بهذهِ الآيةِ فَبَدَّلَ الذينَ ظَلموا آلَ مُحمّدٍ حقَّهم قولًا غيرَ الذي قيلَ لهُم فَأَنزلنا على الذينَ ظَلموا آلَ مُحمَّدٍ حقَّهم رِجزًا مِن السَّماءِ بما كانوا يفسُقُونَ»[4] ، انتهى. [٣٥٣]

وفي أُصولِ الكافي: أحمدُ بنُ مهران عن عبدِ العظيمِ بن عبدِ الله عن مُحمّدٍ بنِ الفضلِ عن أبي حمزةَ الثّمالي[5] عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «نزلَ جبرئيلُ عليه السلام بهذهِ الآيةِ على مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله هكذا: فَبَدَّلَ الذين ظَلموا آلَ مُحمَّدٍ حَقَّهم قَولًا غَيرَ الذي قيلَ لهُم فَأنزلنا على الذينَ ظَلموا آلَ مُحمَّدٍ حَقَّهم رِجزًا»[6] إلى آخِرِهِ.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٢٦٠.

(٢) أي: مُنخفض. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢: ٢٦١.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٥٤٥.

(٤) تفسير العيّاشيّ: ١: ٤٥.

(٥) هو: ثابت بن دينار مولى المهلب بن أبي صفرة، لقى علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام، وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، له كتاب تفسير القرآن، وكتاب النوادر ، وكتاب الزهد، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: رجال النجاشي: ١١٥، ترجمة رقم: ٢٩٦، وفهرست الشيخ الطوسي: ٩٠، ترجمة رقم: ١٣٨.

(٦) الكافي: ١: ٤٢٣، حديث رقم: ٥٨.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأَ بعضُ الكوفيّين: عَشِرَةَ بكسرِ الشّينِ في المؤنَّثِ عندَ التركيبِ تحرّزًا عن توالي أربعَ فَتَحاتٍ مع ثقلِ التّركيبِ و اجتماعِ التّأنيثينِ في إحدى عشَرَةَ واثنتا عشَرَةَ أو خمسٍ في ثَلاثَ عشَرَةَ إلى تسعَ عشَرَةَ، وقرأَ الجمهورُ: بسكونِها فيها، وهي[1] لغةُ الحجازيّين وهي الفُصحى[2]؛ لأنَّ السّكونَ أخفُّ من الفتحةِ والكسرِ لغَةَ ربيعةَ وتميمٍ؛ فَعِلّةُ الكسرِ ثلاثةُ أشياءَ:

أحدُها: تَواليَ أربعُ فتحاتٍ أو خمسٍ، وثانيها: ثقلُ التركيبِ، وثالثُها: اجتماعُ التّأنيثينِ؛ ولذا قلنا في المؤنَّثِ وإلَّا ففي المذكَّرِ أيضًا ثقلُ التّركيبِ مع تواليَ أربعُ فتحاتٍ أو خمسٍ، كما في ثلاثَةَ عَشَرَ إلى تسعةَ عَشَرَ ومع هذا لا يُكسَرُ شينُهُ؛ لعدمِ اجتماعِ التأنيثينِ.

اللغة:

الاستسقاءُ: طلبُ السُقيا بالضّمِّ وهو: الماءُ والمطرُ، والمصدرُ: السّقى، فالاستسقاءُ: استفعالٌ بمعنى طلَبِ السّقي مثلَ الاستِمطارِ في طلبِ المطرِ، ويقالُ: سقيتُهُ وأسقيتُهُ بمعنًى، يقالُ: سَقَى اللهُ عبادَهُ الغيثَ وأَسقاهُم إيَّاهُ قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[3]، وقالَ: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[4]، والاسمُ: السُّقيا[5] بالضّمِّ والقصرِ، وقيلَ: سقيتُهُ: مِن سَقي الشّفةِ، وأسقيتُهُ: دللتُهُ على

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: السّكون.

(٢) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ٤٨٦، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٢٩١.

(٣) سورة الإنسان ٧٦: ٢١.

(٤) سورة الجن ٧٢: ١٦.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: وهو: الماءُ والمطرُ كما مرَّ.

الماءِ، وفي الحديثِ: (إنَّه خرجَ ﷺ يستسقي فقَلَبَ رداءَهُ)[1]، والاستسقاءُ: طلبُ الماءِ على البلادِ والعبادِ، وقد حذَفَ أبو دُؤاد[2] في قولِهِ:

أَلا مَن رأى رَي بَرقٍ شَريقٍ أسالَ البحارَ فانتحى للعقيقِ[3]

مضافَينِ، أي: أسالَ سُقيا سحابِهِ البحارَ فقَصَدَ إلى العقيقِ، فـ(سُقيا): فاعلُ أسالَ، والهاءُ في (سَحابِهِ): عائدٌ إلى البرقِ، والبحارُ والعقيقُ موضِعانِ، واللّامُ في للعقيقِ بمعنى إلى، كقولهِ تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[4]، أي: أسالَ مطرُ سحابِ ذلكَ البرقِ البحارَ قاصدًا إلى العَقيقِ، والشّريقُ: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ مِن شَرِقَ بريقِهِ: غَصَّ، ومن ذلكَ: سِقايَةُ الحاجِّ، وقالَ النّبيُّ ﷺ : «كلُّ مأثرةٍ من مآثرِ الجاهليّةِ تحتَ قَدَمَيَّ إلَّا سِقايَةَ الحاجِّ وسِدانَةَ البيتِ»[5]، هي ما كانت قريشٌ تَسقيهِ الحاجّ في الموسِمِ من الزّبيبِ المنبوذِ في الماءِ وكانَ يليها العباسُ بنُ عبدِ المطّلبِ في الجاهليّةِ والإسلامِ، والسّقايةُ: آلةٌ تُتَّخَذُ لسقي الماءِ، والسّقايَةُ مصدرٌ كالسّقي، وبيتُ البئرِ سقايَةٌ ايضًا، وكانت سِدانةُ البيتِ يليها طلحةُ بنُ شيبةَ في الجاهليّةِ والإسلامِ، سِدانةُ الكعبةِ: خدمتُها وتَولّي أَمرِها وفتحُ بابِها

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٨١.

(٢) هو: أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك البصري ثم البغدادي: المعتزلي، كان داعية إلى خلق القرآن، شاعرا مجيدا فصيحا بليغا، كما ولي القضاء، توفي سنة (٢٤٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١: ١٦٨، ترجمة رقم: ٧١، وفهرست ابن النديم: ٢١٢.

(٣) البيت من الطويل، وقاله الشاعر يصف البرق، ولم يقف الباحث عليه في كتب الشعر وأثبته من كتب النحو والصرف. ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ١٣٨.

وقد أشار البيتُ إلى أمكنةٍ ثلاث: شريق: تصغيرُ شرقٍ: وهوَ: مَوضعٌ قُرب المدينةِ، في وادي العقيق. وبِحار: جمعُ بحرٍ، وهي: كلُّ أرضٍ سَهلةٍ يحفُّها جبالٌ. والعقيق: وهوَ: كلُّ مَسيلِ ماءٍ شقّهُ السّيلُ في الأرضِ فأنهَرَهُ ووسَّعهُ، وفي ديارِ العربِ أعقّةٌ: فمنها عقيق عارض اليمامة، وعقيق المدينة، وغيرها. ينظر: معجم البلدان: ٤: ١٣٨، ومراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ١: ١٦٤، و ٢: ٧٩٥، و ٢: ٩٥٢.

(٤) سورة الأعراف ٧: ٥٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث ولأثر : ٢: ٣٨٠، وبنفس المعنى: تحف العقول عن آل الرسول: ٣١.

وإغلاقُهُ، يقالُ: سَدَنَ يَسدُنُ سِدانَةً فهو: سادِنٌ، والجمعُ سَدَنَةٌ، وستجيءُ الإشارةُ إلى ذلكَ مفصَّلًا في سورةِ التّوبةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

معاني العَصا:

والعَصا بالقصرِ معروفٌ يقالُ: عصًى عَصَوانِ وثلاثُ أعصٍ، وعُصِيّ بضمِّ العينِ، وأمَّا عِصِيّ بكسرِها: فللإتباعِ، وقد تُجعلُ العَصا كنايةً عن التّأديبِ والمنعِ عن الفسادِ؛ لِكونِها آلةً لذلكَ، كما قالَ ﷺ: «لا ترفَعْ عَصاكَ عن أهلِكَ»[1]، أي: لا تدع تأديبَهم وجمعَهُم على طاعةِ الله، لَم يُرِدِ الضربَ بالعَصا لكِنَّه جعلَهُ مثلًا، والمقصودُ لا تغفَلْ عن تأديبِهِم ومنعِهِم من الفسادِ، وقد تُجعَلُ كنايةً عن الجماعَةِ يقالُ: فلانٌ شَقَّ العَصا، أي: فارقَ الجماعَةَ، وفي الحديثِ: «إنَّ الخوارجَ شَقّوا عَصا المسلمينَ»[2]، أي: فارَقوا جماعَتَهم، وفيهِ: «إيَّاكَ وقتيلَ العَصا»[3]، أي: إيَّاك أن تكونَ قاتِلًا أو مقتولًا في شقِّ عَصا المسلمينَ، وفي حديثِ أبي جَهمٍ: «فإنَّهُ لا يضعُ عَصاهُ عن عاتِقِهِ»[4]، أرادَ أنَّه يُؤدِّبُ أهلَهُ بالضربِ، وقيلَ: أرادَ بهِ كثرةَ الأسفارِ، يقالُ: رفعَ عَصاهُ إذا سارَ، وألقى عَصاهُ إذا نزَلَ واقامَ، وفي الحديثِ: «ألا إنَّ قتيلَ الخَطَأ: قتيلُ السّوطِ والعَصَا»[5]؛ لأنَّهما ليسا من آلاتِ القَتلِ، فإذا ضُرِبَ بهما فماتَ كانَ قتلُهُ خطَأً.

الانفجارُ والانشقاقُ والانبجاسُ: نظائرُ، إلَّا أنَّ الانبجاسَ أَضيقُ منها، فيكونُ أوَّلًا انبجاسًا ثمَّ يصيرُ انفجارًا؛ ولذلكَ قال تعالى في سورةِ الأعرافِ: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[6].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٥٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٥٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٥٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٥٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٥١.

(٦) سورة الأعراف ٧: ١٦٠.

معاني العين: [٣٥٤]

والعينُ منَ الأسماءِ المشتركةِ اللفظيَّةِ لعينِ الماءِ ولعينِ الحيوانِ؛ لمشابهتِها لها في خُروجِ الماءِ منها كخُروجِ الدَّمعِ مِن عينِ مَن يبكي، والعينُ: الناسُ، يقالُ: بلَدٌ قليلُ العينِ، أي: قليلُ النّاسِ وما بالدارِ عينٌ متحرِّكةٌ، والعينُ: الذاتُ، نحوَ: جاءَ زيدٌ عينُهُ، والعينُ مطرُ أيَّامٍ لا تقلع، والعينُ: الذَّهبُ والشمسُ وكفَّةُ الميزانِ، والعينُ: الرّبئيّةُ، أي: المُتَجسِّسُ للأخبارِ، وقد مرَّ ذكرُ النّاسِ والأُناسِ وأنَّه لا واحدَ لهُ من لفظِهِ.

والعَثوُ والعَيثُ والفسادُ والطُغيانُ والاعتداءُ نظائرُ، يقالُ: عَثا يَعثو عَثوًا، وعَثِيَ يَعثى، وعَثَى يَعثَى عَثيًا، وعاثَ يَعيثُ عَيثًا، وعُيوثًا وعِيثانًا كانَ الأصلُ فيهِ العَيثُ أي: كونهُ أجوفَ، والعَيثُ: الفسادُ والتبذيرُ، يقالُ: عاثَ في مالِهِ يعيثُ عَيثًا وعَيثانًا إذا بَذَّرَهُ وأفسَدَهُ، وأصلُ العَيثُ: الفسادُ، وغلبَ العيثُ في الفَسادِ الحسِّي.

الإعراب:

(إذ): مفعولٌ بهِ لـ(اذكُروا) محذوفًا أو مَذكورًا فيما تَقدَّمَ من قولِهِ: يا بني إسرائيلَ اذكروا نعمَتِيَ الآيَةَ، وجملةُ: (استسقى) إلى آخِرِهِ: مضافٌ إليهِ ومفعولُهُ محذوفٌ بدلالةِ المقامِ عليهِ، أي: ماءً، و(الفاءُ) في (فانفجَرَت): فصيحةٌ كما مرَّ بيانُهُ في إعرابِ قولِهِ تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[1] وفي غيرِهِ أيضًا، والتقديرُ: فضرَبَهُ بها فانفجَرَت، أو فَإن ضربتَ بها فقد انفجَرَت بتقديرِ قَد في التقديرِ الثاني، و(اثنتا عَشرَةَ): فاعلُ انفجَرَت، و(عينًا): نصبٌ على التمييزِ؛ لأنَّ الاسمَ الثاني أعني: عَشرَةَ من اثنتا عشرَةَ قامَ مقامَ النونِ مِن عشرونَ بدلالةِ سقوطِ النّونِ مِن اثنانِ واثنتانِ وثنتانِ؛ ولذا نَصبَ التمييزَ؛ لتمامِهِ بالقائِمِ مقامَ النّونِ، و(مفسدينَ): حالٌ مؤكدّةٌ لعاملِهِ، مثلَ: وَلَّى مُدبِرًا، وتَبسَّمَ ضاحِكًا، وَ﴿أَرْسَلْنَاكَ

(١) سورة البقرة ٢: ٥٤.

لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾[1]، وجملةُ: (وَكلوا واشرَبُوا): مقولةٌ للقولِ المُقدَّرِ، أي: وقُلنا: كلُوا واشربُوا، وجملةُ: (لا تَعثَوا): عطفٌ على كُلوا واشربُوا عطفَ الإنشاءِ على الإنشاءِ، وإعرابُ الباقي: واضحٌ.

المعنى:

ثُمَّ عدَّدَ سبحانُهُ وتعالى على بني إسرائيلَ نعمةً أُخرى وذَكَّرهُم بها إضافةً إلى نعمِهِ الأُولى فقالَ: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى**﴾، أي: اذكُروا يا بني إسرائيل وقتَ استِسقاءِ موسى عليه السلام ﴿**لِقَوْمِهِ**﴾، أي: سألَ موسى ربَّهُ أن يَسقيَ قومَهُ ماءً لمَّا عَطِشوا عندَ وقوعِهِم في التِّيهِ فماتَ منهم سبعونَ ألفًا عِطاشًا فَشَكَوا إلى موسى الظَّمَأَ فَدَعا لهم موسى بالسُّقيا، فالسّينُ: سينُ السُّؤالِ والطَّلَبِ، وتَرَكَ ذِكرِ المسؤولِ، أعني: الماءَ بقرينَةِ المقامِ.

ذكرُ عصا موسى عليه السلام:

﴿**فَقُلْنَا**﴾ لموسى عليه السلام: ﴿**اضْرِبْ بِعَصَاكَ**﴾ المعروفةِ، وكان مِن آسِ الجنَّةِ دفَعَهُ إليهِ شعيبٌ عليه السلام، وكانَ من آدمَ عليه السلام حملَهُ معهُ منَ الجنَّةِ إلى الأرضِ حينَ أُهبِطَ وكانَ يدورُ بينَ أولادِهِ حَتّى انتهَت إلى شُعيبٍ عليه السلام، فكان ميراثًا لهُ معَ أربعينَ عَصًا كانت لِآبائِهِ، فلمّا استأجرَ شُعيبٌ موسى عليه السلام أمرَهُ بدخولِ بيتٍ فيهِ العَصا وقالَ لهُ: خُذ عصًا مِن تلكَ العِصِي فوقَعَ تلكَ العَصا بيدِ موسى فاستَرَدَّه شعيبٌ وقالَ: خُذ غيرَها حَتّى فعلَ ثلاثَ مرّاتٍ في كُلِّ مَرّةٍ يقعُ يدُهُ عليها دونَ غيرِها فتَرَكَها في يدِهِ المرَّة الرّابعةِ وكانَ طولُهُ عشرَةَ أذرُعٍ على طولِ قامةِ موسى، وله شُعبتانِ تَتَّقدانِ في الظُّلمة نُورًا فَلمَّا خرَجَ من عندِهِ[2] متوجِّهًا إلى مصرَ ورأى نارًا وأَتى الشّجرةَ فناداهُ اللهُ: أن يا موسى إنِّي أنا اللهُ وأَمَرَهُ بإلقائِها فلَمّا أَلقاها صارَت حَيَّةً تسعى فوَلّى هارِبًا فناداهُ الله سبحانُهُ خُذها ولا تَخَف سنُعيدُها سيرتَها الأولى فأدخَلَ يدَهُ بينَ لَحيَيها فعادَت عَصًا، فَلَمّا أن أتى فرعَونَ أَلقاها بينَ يَديهِ

---

(١) سورة النساء ٤: ٧٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: عندَ شعيب.

فصارَت ثُعبانًا مُبينًا تلقَفُ ما يأفكهُ السّحَرَةُ، وبها ضربَ البحرَ فانفلَقَ فكانَ كُلُّ فِرقٍ كالطَّودِ العظيمِ.

كونُ العصا من سُنَنِ المُرسَلينَ، وفضيلةُ اتِّخاذِ العَصى من اللَّوزِ المرِّ، والدّعاءُ الذي يَنبغي أن يتلوَ المُتَّخِذَ، والذي يُكتبُ ويُوضَعُ في رأسِها:

وكانَ الأنبياءُ عليهم السلام يأخذونَ العَصا تجنُّبًا من الخُيلاءِ، وقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «تعَصّوا فإنّها مِن سُننِ اخواني المرسَلينَ»[1]، وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ عليه السلام: «قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن خرَجَ في سَفرٍ ومعهُ عَصا لَوزٍ مُرٍّ، وتَلا هذهِ الآيةَ ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ** ـ إلى قولِهِ ـ **عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾[2] آمَنَهُ اللهُ تعالى مِن كلِّ سَبُعٍ ضاري، ومِن كُلِّ لُصٍّ عادي، ومن كُلِّ ذاتِ حُمَةٍ حتّى يَرجِعَ إلى أهلِهِ ومنزلِهِ وكانَ لهُ سبعةٌ وسبعونَ مِن المُعقّباتِ يستغفرونَ لهُ حتّى يرجِعَ ويَضعُها»[3] . [٣٥٥]

ذِكرُ الدعاءِ الذي يُكتَبُ إلى رَقٍّ ظَبيٍ ويُوضَعُ في عَصا لَوزٍ مُرٍّ:

(سلمحلس وهيه. يهر. يا. يا ايبه يبيه. ياويه صاف. مصيبايه. هـ)[4]

﴿**الحَجَرَ**﴾: أي: الحجرَ المعلومَ، فيكونُ اللّامُ للعهدِ كما رُويَ عن ابن عباس: أنَّهُ حجَرٌ طورِيٌّ خفيفٌ إذا رَحلوا حَملوهُ في مِخلاةٍ[5] مُكعَّبٌ، أي: مُربَّعٌ لهُ أربعةُ أوجُهٍ تنبعُ من كُلِّ وجهٍ ثلاثُ أعينٍ لِكلِّ سِبطٍ عَينٌ تسيلُ في جَدولٍ إلى ذلكَ السّبطِ الذي هي لهُ، وكانَ كلَّ يومٍ يسقي ستّمائةَ ألفٍ، وسِعةُ المُعسكرِ اثنا عَشَرَ ميلًا، وقيلَ: هو الحجَرُ الذي أهبطَهُ آدمُ من الجنَّةِ فتوارَثَ أولادُهُ حتّى وقعَ إلى شُعيب فأعطاهُ موسى مع العَصا، وقيلَ: هو الحجرُ الذي فَرَّ بثوبِ موسى لمَّا وضعَهُ عليهِ

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٧٠، حديث رقم: ٢٤١٢.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢٢ـ٢٨.

(٣) الدعوات: ١٢٨، و من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٧٠، حديث رقم: ٢٤١٠، ووسائل الشيعة: ١١: ٣٧٧، حديث رقم: ١٥٠٥٨.

(٤) بحار الأنوار: ٩٧: ١٠٨، حديث رقم: ١٧.

(٥) المخلاة: ما يُوضَعُ فيهِ الشيء. ظ: لسان العرب: ١٤: ٢٤٣ (خلى).

لِيغتسلَ فَبرَّأهُ الله بهِ عمَّا رمَوهُ منَ الأُدرَةِ وهيَ: الانتفاخُ في الخصيتينِ، قالَ له[1] جبرئيلُ: يقولُ اللهُ: احملْ هذا الحجَرَ فإنَّ فيهِ قدرةً، ولكَ فيه معجزةٌ فحملَهُ في مِخلاتِهِ، ورُويَ: إنَّهُ كان مثلَ شكلِ رأسِ الإنسانِ.

وفي المجمعِ والعيّاشيِّ: عن الباقرِ عليه السلام: «نزلَت ثلاثةُ أحجارٍ من الجنَّةِ: مقامُ إبراهيمَ عليه السلام، وحَجَرُ بني إسرائيلَ، والحَجَرُ الأسودُ»[2]، وفي الكافي وكمالِ الدينِ: عنهُ عليه السلام: «إذا خرجَ القائمُ عليه السلام من مكَّةَ يُنادي مُناديهِ: ألا لا يحمِلنَ أحدٌ طعامًا ولا شرابًا وحمَلَ معهُ حجَرَ موسى بن عمران وهو وَقرُ بعيرٍ ولا ينزلُ مَنزلًا إلّا انفجَرت منهُ عُيونٌ، فمَن كانَ جائعًا شَبعَ ومَن كانَ ظمآنًا رَوِيَ ورَوِيَت دَوابُّهُم حتَّى ينزلوا النّجفَ من ظهرِ الكوفةِ»[3].

وفي الخرائجِ: ‹عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن جعفرِ بن مُحمّدٍ عن أبيهِ عليه السلام مثلَهُ وزادَ في آخِرهِ: فإذا نزَلوا ظاهرَها انبعثَ منه الماءُ واللبنُ دائمًا، فمَن كانَ جائعًا شَبعَ، ومَن كانَ عطشانًا رَوِيَ، ورَوِيَت دوابُّهُم›[4]، هذا كُلّهُ إذا كانَ اللّامُ في الحَجَرِ للعَهدِ، وقيلَ: إنَّهُ للجنسِ، أي: اضرب بعصاكَ حَجَرًا مِن عَرَضِ الحجارةِ، أي: الشّيءُ الذي يقالُ لهُ الحجرُ.

عن وهبِ بنِ منبّهٍ والحَسَنِ: ‹أنّه سبحانهُ لم يأمرُهُ أن يضربَ حجَرًا بعينهِ، قال: وهذا أظهرُ في الحجّةِ وأبينُ في القدرةِ›[5]، ورُويَ: ‹أنَّهم قالوا كيفَ بنا لو أفضَينا إلى أَرضٍ ليست فيها حجارةٌ فحمَلَ حجَرًا في مخلاتِهِ، فحيثُ ما نزلوا وضَعَهُ فيضربُ بعصاهُ فتنفَجِر منه اثنتا عَشرةَ عينًا، وإذا ارتَحلوا يضربهُ بعصاهُ فييبس، فقالوا: إن فقدَ موسى عَصاه مِتنا عطشًا، فأوحى اللهُ تعالى إليهِ لا

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: لموسى.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٠، وتفسير العيّاشي: ١: ٥٩، حديث رقم: ٩٣ (بنفس المعنى).

(٣) الكافي: ١: ٢٣١، حديث رقم: ٣، وكمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٠، حديث رقم: ١٧.

(٤) الخرائج والجرائح: ٢: ٦٩٠، حديث رقم: ١.

(٥) تفسير جوامع الجامع: ١: ١٠٩، وتفسير ابن كثير: ١: ١٠٤.

تقرعِ الحجارةَ بعصاكَ وكلِّمها تُطعكَ لعلَّهم يعتبرونَ، وقيلَ: كان حجَرًا رُخامًا ذراعًا في ذراعٍ[1].

قولُهُ: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾: مُسبَّبٌ عن سببٍ محذوفٍ، أي: فضربَهُ بها داعيًا بمُحمّدٍ وآلِهِ الطّيّبين فانفجرَت، أو فإن ضربَهُ بها يا موسى فقد انفجرَت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعددِ الأسباطِ الاثنا عَشَرَ لِكلِّ سِبطٍ عينٌ واحدةٌ، ولا تَنافيَ بينَ الانفجارِ في هذهِ السورةِ وبينَ الانبجاسِ في سورةِ الأعرافِ؛ لما ذكرناهُ في بيانِ اللغةِ: أنَّ الانبجاسَ هو: الانفجارُ إلَّا أنَّهُ أقلُّ منهُ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾، أي: قد علِمَ كلُّ سبطٍ موضِعَ شُربِهِم وعَينَهُم التي يشربونَ منها، قولهُ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ على تقديرِ القولِ وهو: ابتداءُ كلامٍ، أي: قلنا لَهم كلُوا واشربُوا ﴿مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾، أي: مِن نِعمِ الله التي مَنّ اللهُ تعالى بها عليكم مِن المنِّ والسّلوى وغيرِ ذلكَ من نعمائِهِ، واشربوا من هذا الماءِ وغيرِهِ، فهذا كلُّهُ من رزقِ الله الذي ضَمنَهُ لكم ويأتيكم بلا مَشَقّةٍ ولا مَؤنةٍ ولا تَبعَةٍ؛ فإنَّ الرزقَ كما مرَّ في اوّلِ هذه السّورةِ ما للمرزوقِ أن يَنتفعَ بِهِ وليسَ لأحَدٍ منعُهُ منهُ، وقيلَ: المرادُ بكلوا واشربُوا الماءَ وحدَهُ؛ لأنَّهُ يُشرَبُ ويُؤكَلُ ما يَنبتُ بهِ، ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾، أي: لا تُفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حالَ كونِكُم ﴿مُفْسِدِينَ﴾، أو لا تعتَدوا حالَ إفسادِكُم، وإنَّما قالَ ذلكَ[2] وقَيَّدَهُ بهذا الحالِ وإن كانَ العَثى والعَثو والعَيثُ لا يكونُ إلَّا فسادًا ظاهرًا؛ لِأنَّهُ يجوزُ أن يكون فعلٌ ظاهرُهُ الفسادُ وباطنُهُ المصلحَةُ كقتلِ الخِضرِ عليه السلام الغلامَ، وخَرقِهِ السّفينةَ، وكمقابلَةِ الظالمِ المُعتدي بفعلِهِ، فقيَّدَهُ بِهِ؛ ليُبيِّن أنَّ فعلَهم هو العَيثُ والعَثو الذي هو الفسادُ ظاهرًا وباطنًا، حسّيًّا وعقليًّا.

سُؤالٌ وجوابٌ: [٣٥٦]

وفي المجمَعِ: «متى سُئِلَ فقيل: كيف يجتمعُ ذاكَ الماءُ في ذلكَ الحجرُ الصغيرُ، وهل يمكنُ ذلكَ؟ الجوابُ: انَّ ذلكَ من آياتِ الله الباهرةِ بالأعاجيبِ الظاهرةِ الدالةِ على أنَّها من فعلِ الله المُنشئِ للأشياءِ، القادرِ على ما يشاءُ، الذي تذلُّ لهُ الصّعابُ، وتَتسبَّبُ بلطفِهِ الأسبابُ، فلا بِدعَ مِن كَمالِ

(١) تفسير الكشّاف: ١: ٢٨٤، ومفاتيح الغيب: ٣: ٩٥، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢: ٢٢.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا تعثَوا في الأرضِ مُفسدينَ.

قدرتِهِ وجلالِ عِزّتِهِ أن يبدعَ خَلقَ المياهِ الكثيرةِ ابتداءً مُعجزةً لموسى عليه السلام ونعمةً عليهِ وعلى قومِهِ، ومَنِ استبعَدَ ذلكَ من المُلحدَةِ الذينَ ما قَدروا اللهَ حقَّ قدرِهِ ولم يعرفوهُ حقيقةَ معرفتِهِ، فالكلامُ عليهم إنّما يكونُ في وجودِ الصّانعِ وإثباتِ صفاتِهِ، واتّساعِ مقدوراتِهِ، ولا معنى للتّشاغلِ بالكلامِ معهم في الفَرعِ مع خِلافِهِم في الأَصلِ›[1]، انتهى.

أقولُ: ونظيرُ ذلكَ أيضًا: ابتلاعُ عصاهُ الحبالَ والعِصِيَّ الكثيرةَ مع بقائِها على حالِها.

وقالَ البيضاوي: ‹ومَن أنكرَ أمثالَ هذه المعجزاتِ فلغايةِ جهلِهِ باللهِ وقلّةِ تدبّرِهِ في عجائِبِ صنيعِهِ، فإنَّه لَمَّا أمكنَ أن يكونَ منَ الأحجارِ ما يحلِقُ الشّعرَ ويُنفِّرُ الخيلَ ويجذبُ الحديدَ لم يمتنعْ أن يخلقَ اللهُ حجَرًا يُسخِّرُهُ لجذبِ الماءِ من تحتِ الأرضِ، أو لجذبِ الهواءِ من الجوانبِ وتصييرِهِ ماءً بقوّةِ التّبريدِ ونحوَ ذلكَ›[2]، انتهى فتأمَّل فيهِ، وما قالهُ صاحبُ المجمعِ أَسَدُّ، ويُؤيِّدُهُ ما رُويَ في كتابِ الاحتجاجِ للطّبرسي رحمه الله: عن موسى بنِ جعفرٍ عن أبيهِ عن آبائهِ عن الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام قال: «إنَّ يهوديًّا من يهودِ الشّامِ وأحبارِهِم قالَ لأميرِ المؤمنينَ عليه السلام في أثناءِ كلامٍ طويلٍ: فإنَّ موسى قد أُعطِيَ الحجرَ فانبجَسَت منه اثنتا عَشرةَ عينًا، فهل لُمحمّدٍ صلى الله عليه وآله نظيرُ هذا؟ قال لهُ عليٌّ عليه السلام: لقد كانَ كذلكَ، ومُحمَّدٌ صلى الله عليه وآله لَمَّا نزلَ الحُديبيّةَ وحاصَرَهُ أهلُ مكّةَ قد أُعطِيَ ما هو أفضلُ من ذلكَ، وذلكَ إنَّ أصحابَهُ شَكَوا إليهِ الظّمأَ وأصابَهم العطَشُ حتّى التقَت خواصِرُ الخيلِ فذكَروا لهُ صلى الله عليه وآله ذلكَ فدعا بركوَةٍ[3] يمانيّةٍ ثمَّ نَصَبَ يدهُ المباركة فيها فتَفجّرت من بينِ أصابعِهِ عيونُ الماءِ فصدرنا وصَدَرَتِ الخيلُ رِواءً، وملأنا كُلَّ مزادَةٍ[4] وسِقاءٍ، وقد كُنّا بالحديبيّةِ وإذا ثَمَّ قليبٌ جافّةٌ فأخرَجَ صلى الله عليه وآله سهمًا مِن كنانتِهِ فناولَهُ البراءَ بنَ عازبٍ فقال: اذهب بهذا السّهمِ إلى تلكَ القَليب الجافّة

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٣٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ١: ٨٣.

(٣) هي: ‹إناءٌ صغيرٌ من جِلْدٍ يُشْرَبُ فيه الماءُ›. لسان العرب: ١٤: ٣٣٣، (ركا).

(٤) هي: ‹التي يُحمَلُ فيها الماءُ، وهي ما فُئِمَ بجلدٍ ثالثٍ بينَ الجلدينِ ليَتّسعَ ، سُمّيت بذلكَ لمكانِ الزّيادةِ›. لسان العرب: ٣: ١٩٩، (زود).

فاغرسهُ فيها، ففعَلَ ذلكَ فتفَجَّرت اثنتا عَشرةَ عَينًا من تحتِ السّهمِ، وقد كانَ يومُ الميضاةِ عِبرةً وعَلامةً للمنكرينَ لنبوَّتهِ ﷺ كحجَرِ موسى عليه السلام، حيثُ دعا بالميضاةِ[1] فنصَبَ يدَهُ فيها فَفاضَت بالماءِ وارتفَعَ حتّى توضَّأَ منهُ ثمانيةَ آلافِ رجلٍ وشَرِبوا حاجَتَهم وسَقَوا دوابَّهم وحَملوا ما أَرادوا)[2] الحديثُ.

قولُهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) ﴾ آيةٌ:

القراءةُ:

قرأَ أهلُ المدينةِ: النّبيئينَ بالهمزِ؛ لأنَّ أصلَهُ الهمزُ والأَصلُ إبقاؤهُ مُحقَّقًا إذا لم يعرضْ عارضٌ للإبدالِ، والباقونَ: بغيرِ همزٍ[3]؛ لوجودِ علّةِ الإبدالِ هنا، وقُرِئَ في الشّواذِ على روايةِ عيسى الثّقفي: قُثّائِها بضمِّ القافِ، والجمهورُ: بكسرِها[4]، وقرأَ ابنُ مسعودٍ: مِصرَ بلا أَلفٍ ولا تنوينٍ؛ لكونِها غيرَ مُنصرفةٍ للعلميّةِ والتّأنيثِ؛ لأنَّهُ اسمٌ للمدينةِ المُعيّنةِ فهو مُذكّرٌ سُمّيَ به مؤنَّثٌ كما سُمّيَت: امرَأَةٌ بزيدٍ، والباقونَ: بالألفِ مع التّنوينِ؛ لكونهِ مُنصرِفًا؛ لأنَّهُ أرادَ مِصرًا منَ الأمصارِ مِن غيرِ تعيينٍ[5].

اللغةُ:

---

(١) هي: (مَطهَرةٌ، وهي: التي يُتوضَّأُ فيها أو منها). العين: ٧: ٧٦، (وضأ).

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٢٥.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ١٥٨، وغيث النفع في القراءات السبع: ٧٧ .

(٤) لم يقف الباحث على هذه القراءة من كتب القراءات وأثبتها من كتب التفسير. ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٠٥.

(٥) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٨٠.

الصّبرُ: قد مرَّ لغةً ومعنًى، والطّعامُ: ما يُتَغذَّى بِهِ وهو عامٌّ في كلِّ ما يُقتاتُ بهِ من الحنطةِ والشّعيرِ والتّمرِ وغيرِ ذلكَ، وقد يُخصُّ بالبُرِّ والتَّمرِ بالقرينةِ، كما في حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ: «كنّا نُخرِجُ صدقةَ الفِطرةِ صاعًا من طعامٍ أو صاعًا من شعيرٍ»(١)، وقال الخليلُ: «إنَّ العالي في كلامِ العربِ: إنَّ الطعامَ هو البرُّ خاصّةً»(٢) ، والطُعمُ بالضّمِّ: الأكلُ و الطّعامُ، وفي حديثِ زمزمَ: «أنّها طعامُ طُعمٍ وشِفاءُ سُقمٍ»(٣)، أي: يشبعُ الإنسانُ إذا شَرِبَ ماءَها كما يشبعُ من الطّعامِ، وبالفتحِ عَرَضٌ يُدرك بحاسّةِ الذّوقِ من الحلاوةِ والمرارةِ وغيرِهما، وفي الحديثِ: «إذا استطعمَكُم الإمامُ فأَطعِموهُ»(٤)، أي: إذا ارتَجَّ(٥) عليهِ في قراءةِ الصّلاةِ واستفتَحَكُم عليهِ فافتَحوا عليهِ ولَقِّنوهُ. [٣٥٧]

[٣٥٧]

وهو مِن بابِ التّمثيلِ تشبيهًا بالطّعامِ كأنّهم يُدخِلون القراءةَ في فيهِ كما يُدخَلُ الطّعامُ فيهِ، وقد يكونُ أطعمَ لازمًا كَما وقعَ في الحديثِ: «أنَّه نهى عن بيعِ الثَّمرةِ حتَّى تُطعَمَ»(٦)، يقالُ: أطعَمَتِ الشّجرةُ إذا أثمرَتْ، وأعمَتِ الثّمرةُ: إذا أدركت، أي: صارت ذاتَ طعمٍ وشيئًا يُؤكَلُ منها، وفيهِ: «أخبروني عن نَّخلِ بيسانَ هل أطعمَ؟ أي: أثمرَ»(٧)، وبيسان: قريةٌ بالشّامِ، وموضعٌ باليمامةِ(٨).

والواحدُ: أوَّلُ عددِ الحسابِ على وجهٍ، وحدُّهُ: ما لا يتجزَّأ، ولهُ معانٍ وإطلاقاتٌ، واللهُ عَزَّ اسمهُ واحدٌ؛ لتفرّدِهِ في صفاتِهِ العُليا وأنَّهُ ليسَ بذي أبعاضٍ ولا يجوز عليه التّجزّؤ والانقسام مطلقًا ولا نظيرَ لهُ ولا شبيهَ وأنّه واحدٌ في الإلهيّةِ واستحقاقِ العبادةِ، وقد تكونُ الوحدةُ شخصيّةً وقد تكون

(١) صحيح البخاري: ٢: ١٣٨، وبحار الأنوار: ٦٣: ٥.

(٢) العين: ٢: ٢٥، (طعم).

(٣) المعجم الصغير: ١: ١٠٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٢٥.

(٤) السنن الكبرى: ٣: ٢١٣، والفائق في غريب الحديث: ٢: ٣٠٣.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: اضطرب واشتبه.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٢٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٢٥.

(٨) ينظر: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: ١: ٢٩٢.

نوعيّةً وجنسيّةً. والدعاءُ: أصله النداء، وكلُّ مَن يدعو ربَّهُ فهو يُناديهِ، وحقيقةُ الدعاءِ: قولُ القائلِ لَمَن هو فوقهُ: افعلْ، والفرقُ بينه وبين الأمرِ بحسبِ الرّتبةِ والإنباتُ: إخراجُ النّباتِ وظُهورهُ.

(والبقلُ: ما ينبتُهُ الله تعالى في الرّبيعِ، يقالُ: بقلَتِ الأرضُ وأبقلَت: إذا أنبتَتِ البقلَ هما لغتانِ فصيحتانِ، والبقلُ كلُّ نباتٍ ليس له ساقٌ. والقِثّاءُ بكسر القافِ وضمِّها والكسرُ أجودُ وهي: لغةُ القرآنِ، ورَوَى عيسى الثقفي في الشّواذِ: بالضّمِّ، والفُومُ بضمِّ الفاءِ هو: الحنطةُ، وهو المروي عن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام وابنِ عبّاسٍ وقَتادة والسُّدّي، وقالَ الفرّاءُ والازهريُّ: هو الحنطةُ والخبزُ، تقولُ العَرَبُ فَوِّموا لنا، أي: اختبِزوا، وقال قومٌ: هو الحبوبُ التي تُختبَزُ، وقال الكسائيُّ: هو الثّومُ أُبدِلَ من الثّاءِ فاءً، كما يقالُ في جَدَثٍ جَدَفٌ، وقال الفرّاءُ: هذا أشبهُ بما ذكرهُ بعدهُ من البصلِ، وقال الزّجّاجُ: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّهُ لا يُعرَف الفومُ بمعنى الثّومِ؛ ولأنَّ القومَ لا يجوزُ أن يطلبوا الثّومَ ولا يطلبون الخُبزَ الذي هو الأصلُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّهُ قد رُويَ في الشّواذِ عن ابن مسعودٍ وابنِ عباسٍ وثُومِها بالثّاءِ[1]) هكذا قالهُ في المجمعِ[2].

والعدَسُ: حبٌّ معروفٌ، وأدنى: إمّا مِن الدّنوِّ وهو القُربُ، أي: أقربُ وأَدوَنُ وإمّا من الدّناءةِ وهيَ: الخسّةِ، يقالُ: دنوءَ دناءةً فهو دَنِيءٌ وهو: أَدنَأُ منهُ، فتُرِكَ همزُها وهو اختيارُ الفرّاءِ[3]، وحكى الأَزهريُّ عن أبي زيدٍ: الدَّني بلا همزٍ: الخسيسُ[4]، والدّنيءُ بالهمزِ: الماجن. ومِصرٌ هو: البلدُ العظيمُ، وأصلُهُ: الحدُّ، اشتقاقُهُ بمعنى القطعِ؛ لانقطاعهِ بالعمارَةِ عمّا سواهُ والفصلُ بينهُ وبين غيرِهِ، قال عديُّ بنُ زيدٍ:

---

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ٨٨.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٣٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٤٢.

(٤) تهذيب اللغة: ١٤: ١٣٢، (دنا).

وجاعِلُ الشّمسِ مِصرًا لا خَفاءَ بِهِ بينَ النّهارِ وبينَ الليلِ قد فَصَلا[١]

ضُرِبَت عليهم، أي: فُرِضَت وأُلزِمَت ووُضِعَت عليهم الذّلّةُ من قولِهم: ضَرَبَ النّبيُّ ﷺ الجزيةَ[٢] على أهلِ الذّمّةِ، وضَرَبَ الأميرُ على عبيدِهِ الخَراجَ[٣]، أو وُسِموا بها، أو حُلُّوا ونُزِّلُوا بمنزلةِ الذّلّةِ والمسكنةِ من ضَربِ القِبابِ، قال الفرزدقُ:

ضَرَبَت عليكَ العنكبوتُ بِنسجِها وقضى عليكَ به الكتابُ المُنزَلُ[٤]

والذّلّةُ: مصدرُ ذَلَّ فلانٌ يذلُّ، والمسكنَةُ مصدرٌ أيضًا، وهيَ هنا: مسكنةُ الفاقةِ والحاجةِ وخُشوعُها.

معاني بَاءَ:

و باءَ: بمعنى رجعَ وانصرَفَ، و(قالَ المُبرِّدُ[٥]: أصلُهُ المنزلةُ، أي: نزلُوا منزلةَ غضَبِ الله، وقال الزّجّاجُ: أصلُ ذلكَ التّسويةِ)[٦].

---

(١) أُختُلِفَ في نسبته، فنسبه ابن جني في المخصّص: ٤: ١٦٤، والجوهري في الصحاح: ٢: ٨١٧، إلى أُميّة بن أبي الصلت، ووافق ابن فارس المُصنِّف في نسبته إلى عديٍّ بن زيد. ديوانه: ١٥٩، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥: ٣٣٠، ومعجم ديوان الأدب: ١: ١٨٤.

(٢) هو: مالٌ يُؤخذُ من أهلِ الكتابِ، أعني: اليهود والنصارى، ومَن لهُ شُبهَةُ الكتابِ كالصّابئين، وفقًا لعقدِ الذّمّةِ. ينظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٤١، والاصطلاحات الفقهية في الرسائل العمليّة: ٥٨.

(٣) هو: (ما يأخذه السلطانُ منَ الضّرائبِ المجعولةِ على الأراضي والأشجار). الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العمليّة: ٧٧.

(٤) البيت من الكامل، هجا فيه الفرزدق جريرا. لم يقف الباحث عليه في ديوان الفرزدق وأثبته من: الكامل في اللغة والأدب: ١: ٢٧، ومعاني القرآن للنّحّاس: ١: ١٦١.

الشاهد فيه: استعمل الشاعر لفظ (الضرب) بمعنى: الإحاطة والذّل.

(٥) هو: أبو العبّاس محمّدُ بنُ يزيد بنُ عبدِ الأكبرِ الأزديّ البصريّ: إمامُ النّحو، فصيحٌ، مفوّهٌ، أخذَ عن: أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، له العديد من المصنفات، منها: المقتضب، والكامل، والكامل في اللغة والأدب، توفي سنة (٢٨٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٣: ٥٧٦، ترجمة رقم: ٢٩٩، وفهرست ابن النديم: ٦٥.

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١: ٦٦٥.

و(منهُ ما رُويَ عن عبادةَ بنِ الصّامتِ[1] قال: جعلَ الله تعالى الأنفالَ إلى نَبيِّهِ ﷺ فقسَمَها بينهم على بواءٍ، أي: على سَواءٍ بينهم في القِسمةِ[2]، و(قال قومٌ: هو: الاعترافُ[3]، ومعناهُ: إنّهم اعترفوا بما يُوجِبُ غضَبُ الله عليهم، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

إنِّي أَبوءُ بعثرَتي وخطيئَتي ربِّي وهَل إلّا إليكَ المَهربُ[4]

والغضبُ: إرادةُ إيصالِ الضّررِ إلى مَن غضَبَ عليهِ، وإذا أُضيفَ إليهِ تعالى فالمرادُ بهِ: إنزالُ العقوبةِ بالمغضوبِ عليهِ. والنّبيُّ: من النّبأ وهوَ الخبرُ وهوَ المُخبِرُ عن الله تعالى فعيلٌ بمعنى مُفعِل كالبديعِ، أو من النّباوةِ وهيَ: الرّفعةُ فهو فعيلٌ بمفعولٍ أو فاعلٍ، والعصيانُ معروفٌ، والاعتداءُ: تجاوزُ الحدِّ الذي حدَّهُ اللهُ تعالى لعبادهِ إلى غيرهِ.

الإعراب: [٣٥٨]

مُتعلِّقُ (ادعُ): محذوفٌ بقرينةِ يخرجُ، أي: أُدعُ لنا ربَّك أن يُخرِج لنا ممّا تُنبِتُ، و(يُخرِجْ) هنا مجزومٌ بجوابِ هذا الأمرِ على تقديرِ شرطٍ محذوفٍ مدلولٍ عليهِ بالأمرِ المذكورِ، كما هو الأصلُ والقاعدةُ، كقولهِم: زُرني أُكرِمْكَ إن تزرني أُكرِمْكَ كما ذكرنا بيانَهُ مُفصَّلًا فيما قبلُ في قولهِ تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[5] الآيةُ، أي: إن تدخلوا البابَ سُجَّدًا وإن تقولوا حطَّةً، أي: حطَّ عنَّا ذنوبَنا، نغفرْ لكم خَطاياكُم، والتّقديرُ هنا: إن تدعُ لنا ربَّك لإخراجِ ما تُنبتهُ الأرضُ يُخرِجُ لنا ممّا تُنبِتُ الأرضُ، وهذا هوَ الأصحُّ؛ لأنَّ دعاءَهُ عليه السلام سببٌ للإجابةِ والإخراجِ،

---

(١) هو: أبو الوليد ابن قيس الأنصاري الخزرجي: صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدرا وسائر المشاهد، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، توفي سنة (٣٤هـ). ينظر: الأعلام: ٣: ٢٥٨.

(٢) التبيان: ١: ٢٧٨، ومجمع البيان: ١: ٢٣٦، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٢٩.

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١: ٦٦٥.

(٤) لم يقف الباحث عليه من الكتب الشعرية، وقد نقله صاحبا التبيان: ١: ٢٧٩، ومجمع البيان: ١: ٢٣٦، دون دون نسبة، فيما نسبه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٢: ٥٢٦ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مذكور في الديوان المنسوب إليه عليه السلام: ٤٢. والشاهد فيه: مجيء (البوء) بمعنى: الاعتراف بالذنب والخطيئة.

(٥) سورة البقرة ٢: ٥٨.

وقيلَ[1]: هو مجزومٌ بجوابِ أمرٍ محذوفٍ تقديرُهُ: ادعُ لنا ربَّك وقل لَّهُ: أخرِجْ لنا يُخرِج لنا، ونحوه قولهُ تعالى في سورةِ إبراهيم: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾[2] الآيةُ، والتقديرُ: قل لعباديَ الذين آمنوا: أَقيموا الصّلاةَ وأنفقوا يُقيموا الصّلاةَ ويُنفقوا، وهذا سخيفٌ جدًا سيَّما في آيةِ سورةِ إبراهيمَ؛ لأنَّ الأمرَ بالقولِ وبالإقامةِ ليسَ سببًا لإقامتِهم الصّلاةَ وإنفاقِهِم ممّا رزقَهُم الله كما هو القاعدةُ في صورةِ مجزومٍ بجوابِ الأمرِ وسائرِ الأشياءِ السّتّةِ، ويجوزُ هنا أن يكونَ (يُخرِجْ) مجزومًا بإضمارِ اللّامِ الدّعائيّة، أي: لِيُخرج لَنا ممّا تُنبتُهُ الأرضُ كما يجوزُ في قولهِ تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾[3]، أي: لِيُقيموا ويُنفقوا فحُذِفَ اللّام الدّعائيّة في آيةِ البقرةِ، ولامُ الأمرِ في آيةِ سورةِ إبراهيمَ كما أنشدَ أبو زيدٍ:

فَيَضحى صَريعًا ما يقومُ لحاجَةٍ ولا يَسمعُ الدّاعي ويَسمَعكَ مَن دَعا[4]

أي: ليَسمَعكَ، وأنشدَ الاصمعيُّ قولَ ربيعةَ بنَ جُشَم:

فقلتُ ادعِي و ادعُ إنَّ أَندى لِصَوتٍ أن يُناديَ داعيانِ[5]

بجزمِ (ادعُ) على صيغةِ الأمرِ بحذفِ اللّام ولِ(ادعُ)، والباقون أنشَدوهُ: وأدعوَ، بنصبِ المضارعِ للمُتكلّمِ بإضمارِ (أن) بعدَ واو الجمعِ، وقال الآخرُ:

---

(١) ينظر: إعراب القرآن: النحاس: ١: ٥٧، وتفسير القرطبي: ١: ٤٢٣.

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٣١.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٣١.

(٤) البيت من الطويل. ولم يقف الباحث عليه من الكتب الشعرية وأثبته من: شرح المفصّل لابن يعيش: ٤: ٢٩١، والمخصّص: ٥: ٢٢٢.

(٥) البيت من الوافر. وقد اُختُلِفَ في نسبته وموطن الشاهد فيه: فقد نسبه سيبويه في كتابه: ٣: ٤٥: للأعشى، كما أورد موطن الاستشهاد (أدعوَ) منصوبًا بـ(أن) مضمرة بعد الواو، وهو اختيار ابن عقيل في شرحه: ٢: ٣٥٣ إلّا أنّه نسبه إلى دثار بن شيبان النمري، كما نقله ابن الناظم في شرحه على ألفيّة ابن مالك: ٤٨٤ دون نسبة، وأورده الزمخشري في مفصّله: ٢٤٨ لربيعة بن الجشم، مجزوما بلام الأمر المحذوفة، وهو ما أورده أيضا صاحب لسان العرب: ١٥: ٣١٦ (ندي) ونسبه إلى دثار بن شيبان.

مُحَمَّدُ تَفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ   اذا ما خِفتَ مِن أَمرٍ تَبالا[1]

أي: يا مُحَمَّدُ لِتفدي نفسَكَ، وهذا قياسٌ عند الكوفيّين[2].

و(مِمَّا تُنبِتُ): مُتعلّقٌ بقولِهِ (يُخرِج)، و(مِن) هنا: لِلتبعيضِ؛ لأنَّ مقصودَهم إخراجُ بعضِ ما تُنبتُهُ الأرضُ لا جميعُهُ، وقولُ مَن قالَ: إنّها زائدةٌ[3] هنا فاسِدٌ؛ لأنَّها لا تُزادُ في الإيجابِ وإنَّما تُزادُ في النّفي، و(مِن) في (مِن بقلِها): للتبيينِ مُتعلّقةٌ بمُقدَّرٍ حالٌ مِن (مِمَّا)، أو من الضميرِ المحذوفِ العائدِ إلى (ما)، أي: تُنبتُه الأرضُ، وقيلَ: بدلٌ مِن (ما) في (مِمَّا) بإعادةِ الجارِّ كما هو القاعدةُ المستمرّةُ كقولِهِ تعالى في سورةِ الزّخرفِ: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[4] فإنَّ بيوتَهم بدلٌ مِن (مَن) في (لِمَن)؛ ولذا كرَّرَ اللّامَ، و(مِصرًا): ظرفٌ لـ(اهبطوا)، أو منصوبٌ بنزعِ الخافِضِ، أي: انحدِروا إليهِ، وهو على قراءةِ ابنِ مسعودٍ: غيرُ مُنصرفٍ للعلميّةِ والتأنيثِ؛ لكونهِ مُعيّنًا، وكان في الأصلِ مُذكّرًا سُمّيَ به مؤنّثٌ كما مَرَّ في ذكرِ القراءةِ، وعلى قراءةِ الجمهورِ فيهِ وجهان:

أَحدُهُما: أن يكون مُعيّنًا فيكونُ صرفُهُ؛ لِسكونِ وَسطِهِ أو على تأويلِهِ بالبلَدِ.

وثانيهُما: أن يكون غيرَ مُعيّنٍ، والفاءُ: للتعليلِ أو فصيحةٌ، وبَيانُ ذلكَ: إنَّ ما يسألونَهُ إنَّما يكونُ في الأمصارِ لا في المفاوزِ[5]، أي: إذا نزلتُم مِصرًا ذا طولٍ وعَرضٍ وماءٍ وعوامِلٍ وغيرِها فإنَّ لكم ما سَألتُم، و(الواوُ) في (وَضُرِبَت): للاستئنافِ، والجملةُ دعائيّةٌ، و(ذلكَ): مبتدأٌ، و(إنَّ) في (إنّهم

(١) البيت من الوافر، لا يُعرفُ قائلهُ، من شواهد سيبويه: ٣: ٨، كما ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤: ٨٥، وقال البغدادي في خزانة الأدب: ٩: ١٢: (قيل إنّه لحسّان بن ثابت، وقيل لأبي طالب عمّ النّبيِّ ﷺ).

وتبالا: من التبل: وهو: (خلاف الصلاح والسلامة). معجم مقاييس اللغة: ١: ٣٦٣

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٢: ٤٣٢.

(٣) وهو قول الأخفش، عن النحّاس في إعراب القرآن: ١: ٥٧.

(٤) سورة الزخرف ٤٣: ٣٣.

(٥) جمع مفازة، وهي: البريّة القفر التي لا ماء فيها. ينظر: لسان العرب: ٥: ٣٩٣، (فوز).

كانوا) إلى آخرِهِ مع ما بعدِها: في تأويلِ المصدرِ: مجرورٌ بحرفِ جَرٍّ مُقدَّرٍ في موضعِ خبرِ المبتدأِ، وكذلكَ قولهُ (ذلكَ بما عَصَوا) إلى آخِرِهِ بعينهِ، وإعرابُ الباقي: واضِحٌ؛ لِمَا مَرَّ مثلُهُ.

المعنى:

لمَّا بيَّنَ اللهُ سبحانُهُ فيما قبلُ ما أَسداهُ إليهم مِن النِّعمِ والإحسانِ والكرمِ والامتنانِ من غيرِ تعبٍ وعَناءٍ، ذكرَ ما قابلوا بهِ تلكَ النّعمِ العِظامِ مِن المعصيةِ والكفرانِ وسوءِ الاختيارِ لأنفسِهِم لكونِهِم فلّاحينَ فَأَمَلوا عِكرَهُم[1] واشتَهَوا ما أَلِفوهُ فقالَ: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾**، أي: واذكروا يا بني إسرائيلَ الوقتَ الذي قالَ أسلافُكُم لِموسى: **﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ﴾**، أي: لن نُطيقَ حبسَ أنفسِنا في التِّيهِ **﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾**، نوعِيٍّ أو جنسيٍّ وإن كانَ طعامُهُم فيهِ المَنِّ والسّلوى وهما شيئانِ فأرادَ بالواحِدِ ما لا يتبَدَّلُ ولا يختلِفُ ولا يتغيَّرُ كما لو كانَ على مائدةِ السّلطانِ عِدَّةُ ألوانٍ يداوم عليها كُلَّ يومٍ لا يتبدَّلها جازَ أن يقالَ لا يأكُلُ السّلطانُ إلّا طعامًا واحدًا، ويرادُ بالوحدةِ: الوحدةُ النّوعيّةُ أو الجنسيّةُ وعدمُ التّبدّلِ والاختلافِ، **﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾**، أي: فاسأل ربَّكَ وادعُهُ أن يُخرِجَ لأجلِنا ممّا تُنبتُهُ الارضُ **﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾**، أي: إن تدعُهُ إخراجَ ما تُنبتُهُ الأرضُ لأجلِنا يُجِبْ دعاءَكَ، ويُخرِج لأجلِ انتفاعِنا وتَلَذُّذِنا **﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾** بعضَ ما تُنبتُهُ الأرضُ، وهو مِنَ الإسنادِ المجازيِّ من إقامةِ القابِلِ مقامَ الفاعِلِ كقولِ المؤمنِ: أَنبتَ الربيعُ البَقلَ، ثمَّ بيَّنَ ذلكَ البعضَ الذي تُنبتُهُ الأرضُ بقولِهِ **﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾** والمرادُ بالبَقلِ ما أَنبتَهُ الأرضُ من الخُضرِ التي لا ساقَ لها، المقصودُ به: أطائبُهُ التي يأكلُها النّاسُ من نحوِ: النَّعناعِ والكرَّاثِ والاسفناجِ وأَشباهِها، وبالفُومِ: الحنطةُ والخبزُ وسائرُ الحبوبِ التي يُختبَز بها كما مَرَّ في بيانِ اللغةِ. [٣٥٩]

وقال الكسائيُّ: «الفومُ هو الثّومُ»[2]، وقد مَرَّ أيضًا، **﴿قَالَ﴾**: أي: اللهُ سبحانهُ أو موسى عليه السلام **﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾**، أي: أتستدعونَ أو أتختارونَ وتُؤثِرون **﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾**، أي: أَخسُّ وأَدونُ قدرًا

---

(١) أي: أرادوا الرجوع إلى أصل مذهبهم. الصحاح: ٢: ٧٥٦، (عكر).

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٠٥، والبحر المحيط: ١: ٣٥٤.

وقيمةً وقد مَرَّ في القراءةِ، ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ بكُلٍّ من المَنِّ والسَّلوى الذي هو خيرٌ من ذلك الأدنى في النّفعِ واللّذّةِ وعدمِ الحاجةِ إلى السّعي والعَناءِ.

ذكرُ سببِ مسألتِهِم هذهِ الأشياءُ:

وفي المجمعِ: «كان سببُ مسألتِهِم ذلكَ ما رواهُ قتادة قال: كان القومُ في البريّةِ في التِّيهِ قد ضَلَّلَ اللهُ عليهم الغمامَ، وأنزلَ عليهم المَنَّ والسَّلوى في أربعينَ سنةً فَملُّوا من ذلكَ وذَكَروا عيشًا كانَ لهم بمصرَ فَسَألوا موسى عليه السلام فدعا موسى عليه السلام ربَّهُ فاستجابَ لهُ، وقالَ تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾، أي: انزلوا وانحَدِروا واخرُجوا من التِّيهِ إلى مِصرٍ منَ الأَمصارِ، عن قتادةَ ومجاهدٍ والسّديِّ، وقال الحسنُ والربيعُ: أرادَ مصرَ فرعونَ الذي خرَجوا منهُ، وقال أبو مسلم وابنُ زيدٍ: أرادَ بيتَ المقدسِ»[1]، والمعنى: ما تسألونَهُ إنَّما يكونُ في الأمصارِ ولا يكونُ في المفاوزِ والتّيهاءِ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾، أي: إذا نزلتُم مِصرًا منَ الأمصارِ ذا عرضٍ وطولٍ وعمارةٍ وماءٍ فإنَّ لكم حينئذٍ ما سألتُم ممَّا تُنبتُ الأرضُ مِن البقلِ والقثّاءِ إلى آخرِه، وقد تَمَّ الكلامُ ههنا.

ذكرُ أنَّ هذا السّؤالَ منهم هل كانَ معصيةً أم لا؟

وقالَ في المجمعِ: «واُختُلِفَ في سؤالهم هذا، هل كان معصيةً أم لا؟ فقيلَ: لم يكن معصيةً؛ لأنَّ الأوَّلَ كان مُباحًا فَسألوا مُباحًا آخَرَ، وقيلَ: بل كانَ معصيةً؛ لأنَّهم لَم يَرضَوا بما اختارهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لهم؛ ولذلكَ ذَمَّهُم على ذلك، وهو أَوجهُ»[2]، انتهى.

ثمَّ ابتدأَ الكلامَ بحكمِ الذين كفَروا واعتَدَوا في السَّبتِ، ومَن قَتَلَ الأنبياءَ سواءٌ كانوا مِن جملةِ هؤلاءِ الذين كانوا في التِّيهِ أو غيرَهم أو مِن أعقابِهِم فقالَ تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، أي: الجزيةُ وزِيُّ اليهودِ ولُبسُ الكُستيجِ والصَّغارُ[3]؛ لقولهِ تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٣٩.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٣٩.

(٣) الكُستيج بالضّمِّ: خيطٌ غليظٌ يَشدُّهُ الذّمّي فوقَ ثيابهُ. القاموس المحيط: ١: ٢٠٥، (كستيج). والصَّغارُ: هو: الذُّلُّ والضَّيْمُ، وإظهارُ صغر الإنسانِ، وخلافُهُ الكِبَرُ وهو: إظهارُ عظمُ الشّأنِ. ينظر: الفروق اللغوية: ٣١٤، ولسان العرب: ٤: ٤٥٩، (صغر).

صَاغِرُونَ﴾[1]، ﴿**وَالْمَسْكَنَةُ**﴾، أي: الفقرُ والفاقةُ، فألزموهُما[2] إلزامًا لا تزولُ عنهم كما يُضرَبُ المسمارُ على الشيءِ فيلزَمُهُ لُزومَ الطَّوقِ على الحَمامِ أو أُحيطتِ الذّلّةُ والمسكَنةُ بهم إحاطةَ القبّةِ بمَن ضُربَت عليهِ أو أُلصقَتا بهم مِن ضَربِ الطّينِ على الحائطِ؛ وإنّما فعلَ اللهُ تعالى ذلك بهم مُجازاةً لهم على كُفرانِهم نِعَمِ الله سبحانهُ ومخالفتِهم ما أَمرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ ورسلُهُ عليهم السلام بهِ ونهاهم عنهُ، واليهودُ في الأغلبِ أذلّاءُ ومَساكينُ إمّا على الحقيقةِ، أو على التّكلّفِ فيكونونَ على زِيِّ الفُقراءِ فَترى الثّريَّ منهم يَتَبائسُ مخافَةَ أن تَضاعَفَت عليهم الجزيَةُ فيعيشونَ عَيشَ الفقراءِ ويُحاسبونَ حسابَ الأغنياءِ.

وفي المجمعِ: (قال قومٌ: هذهِ الآيةُ تدلُّ على الغِنى؛ لأنَّهُ تعالى ذَمَّهم على الفقرِ وليس ذلكَ بالوجهِ؛ لأنَّ المرادَ به فقرُ القلبِ؛ لأنّهُ قد يكونُ في اليهودِ مَياسيرُ ولا يوجدُ يهوديٌّ غَنيُّ النّفسِ، وقالَ النّبيُّ صلى الله عليه وآله: «الغِنى غِنى النّفسِ»[3]، وقالَ ابنُ زيدٍ: أبدلَ الله سبحانَهُ اليهودَ بالعِزِّ ذُلًّا وبالنِّعمةِ بُؤسًا وبالرِّضا عنهم غَضَبًا؛ جَزاءً لهم بما كفروا بآياتِهِ وقَتَلوا أنبياءهُ ورسلَهُ اعتداءً وظُلْمًا)[4]، انتهى.

وقد أمرَ اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله بتحديثِ النِّعمةِ وإفشائِها في قولِهِ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]، ﴿**وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ**﴾ رَجعوا مُصاحبينَ بغَضبٍ عظيمٍ كائنٍ من الله مُتَحمِّلينَ إيّاهُ، أي: وَجبَ غَضبُ الله عليهم وحَلَّ سخطُهُ بهم فصاروا أحقّاءَ بغضَبِهِ مُستأهلينَ لهُ، مِن باءَ فلانٌ بصاحبِهِ اذا قُتِلَ بهِ، وباءَ فلانٌ بفلانٍ إذا كانَ حقيقًا بأن يُقتَلَ بهِ، فلهم غضبُ الله تعالى في الدّارينِ وهو ما حَلَّ بهم في الدّنيا مِن البلاءِ والنِّقمةِ بَدَلًا من الرَّخاءِ والنِّعمةِ وما ينالهُم في الآخرةِ من العقابِ على مَعاصيهم، ﴿**ذَلِكَ**﴾، أي: ضربُ الذّلّةِ والمسكنةِ ورجوعِهم مُصاحبين بِغَضَبٍ مِن الله كائنٌ عليهم ﴿**بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾، أي: بسبَبِ أنّهم يجحَدون

---

(١) سورة التوبة ٩: ٢٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: الذلّة والمسكنةُ.

(٣) مسند أحمد: ٢: ٢٤٣، وبحار الأنوار: ٧٢: ١٠٦، حديث رقم: ٥.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٣٩.

(٥) سورة الضحى ٩٣: ١١.

حُججَ الله وبيّناتهِ وأنبياءَهُ ومُعجزاتِهم مِن فَلقِ البحرِ وتَضليلِ الغَمامِ وإِنزالِ المَنِّ والسّلوى وانفجارِ العُيونِ الاثنتي عَشرَةَ من الحَجَرِ، وإِغراقِ فِرعونَ وجنُودِهِ، واليدِ البيضاءِ وغيرِ ذلك؛ وبسبَبِ كُفرِهم بكتُبِهِ المنزلةِ من الإنجيلِ والزّبورِ والقرآنِ كُلِّها، ومِن التّوراةِ آيةُ الرّجمِ والآياتُ التي فيها نعتُ نَبيِّنا ﷺ ووصيِّهِ عليه السلام؛ وبسبَبِ قَتلِهم النّبيّينَ بغيرِ جُرمٍ صَدَرَ منهم فإنَّهم قَتلوا شَعيا وزكريَّا ويَحيى وغيرِهم بغيرِ الحقِّ عندهم إذ لم يفعلوا فيهم ما يُوجِبُ قتلَهُم ولم يَرَوا منهم ما يعتقِدونَ بهِ جَوازَ قتلِهم، فقولُهُ: بغيرِ الحقِّ لا يدُلُّ على أنَّه قد يَصحُّ أن يُقتَلَ الأنبياءُ بِحقٍّ؛ لأنَّهُ خرَجَ هذا مَخرَجَ الصّفةِ لِقتلِهم وأنَّهُ لا يكونُ إلَّا ظُلمًا وبغيرِ حَقٍّ مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[1]، يعني: إنَّ ذلكَ لا يمكنُ أن يكونَ عليهِ بُرهانٌ، وقولِ الشّاعرِ:

على لاحِبٍ لا يُهتدَى بمنارِهِ[2]		[إذا سافه العود الدّيافيّ جرجرا] [٣٦٠]

؛لأنَّهُ ليس هنا منارٌ يُهتدى بهِ كما مَرَّ سابقًا، وله نظائرُ كثيرةٌ، وإنَّما حمَلَهُم على ذلك اتّباعُ الهوى، وحُبُّ الشّهواتِ، والحرصُ على الدنيا، وطولُ الأَملِ، ومَحبَّةُ الرّئاسَةِ، وتجاوزُهُم حدودَ الله تعالى، كما أشارَ إلى ذلكَ بقوله: **﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**، ذلك: إشارةٌ إلى ما تقدَّم أيضًا من ضَربِ الذّلّةِ والمسكنةِ والغضَبِ، أي: إنّما وقعَ عليهم الذّلّةُ والمسكنةُ والغضَبُ منَ الله تعالى أيضًا بسببِ عصيانِهم ونَقضِهم العهدَ والميثاقَ، وعدوِهم في السّبتِ واعتدائِهم في أوامرِ الله ونواهيهِ؛ فيكونُ تكريرُ اسمُ الإشارةِ للدّلالةِ على أنَّ ما لَحَقَهم من ضَربِ الذّلّةِ والمسكنَةِ والغَضبِ كما هوَ بسبَبِ كُفرِهم وقتلِهم الأنبياءَ فهو بسبَبِ ارتكابِهم المعاصيَ واعتدائِهم حدودَ الله؛ لأنَّ تماديهم في العصيانِ والاعتداءِ فيهِ جَرَّهم إلى الكفرِ بالآياتِ وقتلِ النبيِّين فإنَّ صغارَ الذّنوبِ سببٌ يؤدِّي إلى ارتكابِ كبارِها كما إنَّ صغارَ الطاعاتِ أَسبابٌ مُؤدِّيةٌ إلى تحري كبارِها.

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١١٧.

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس. وقد مرَّ تخريجُهُ.

وقالَ بعضُهم[1]: (ذلكَ) الثّاني إشارةٌ إلى الكفرِ وقتلِ الأنبياءِ لا إلى ضَربِ الذِّلّةِ والمسكنَةِ والبَوءِ بالغضبِ، وحينئذٍ يكونُ (الباءُ) بمعنى معَ وهوَ بحسبِ المعنى قريبٌ ممّا ذكرناهُ أوّلًا بل عينُهُ إلَّا أنَّ ذلكَ الثّاني في هذا الوجهِ إشارةٌ إلى الكُفرِ والقَتلِ، وفيما ذكرناهُ أوّلًا إشارةٌ إلى ضربِ الذّلّةِ والمسكنةِ والبَوءِ بالغضَبِ.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: «عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: يا عبادَ الله احذروا الانهماكَ في المعاصي والتّهاونِ بها، فإنَّ المعاصيَ يستولي بها الخُذلانُ على صاحبِها حتَّى توقِعَه فيما هوَ أعظمُ منها، فلا يزالُ يعصي ويتَهاونُ فيُخذَلُ ويُوقَع فيما هو أعظمُ ممَّا جَنَى حتَّى تُوقِعَهُ في رَدِّ وِلايَةِ وَصيِّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، و دفعِ نبُوَّةِ نبيِّ الله ولا يزالُ أيضًا كذلك حتَّى تُوقِعَهُ في دفعِ توحيدِ الله والإلحادِ في دينِ الله»[2].

وفي الكافي والعيَّاشي: «عن الصادقِ عليه السلام إنَّهُ تلى هذهِ الآيَةَ فقال: والله ما ضربوهُم بأيديهِم ولا قَتلوهُم بأسيافِهِم ولكن سمعوا بأحاديثِهِم فأذاعُوها فأُخِذوا عليها فَقُتِلُوا فصارَ قتلًا واعتداءً ومَعصيَةً»[3] انتهى.

قال في المجمع: «سؤالٌ: إن قيلَ كيف يجوزُ التخليةُ بين الكفَّارِ وقَتلِهِم الأنبياءَ؟ فالجوابُ: إنَّما جازَ ذلك لِينالَ أنبياءُ الله سبحانهُ مِن رفعِ المنازلِ والدرجاتِ ما لا ينالونَهُ بغيرِ القتلِ، وليسَ ذلك بخذلانٍ لهم، كما إنَّ التخليةَ بين المؤمنينَ والأولياءِ والمطيعينَ وبينَ قاتليهِم ليست بخذلانٍ لهم، وقال الحسنُ: إنَّ الله تعالى لم يأمر نبيًّا بالقتالِ فقُتِلَ فيهِ، وإنَّما قُتِلَ مِنَ الأنبياءِ مَن قُتِلَ في غيرِ قتالٍ، والصحيحُ أنَّ النّبيَّ عليه السلام إن كان لم يُؤدِّ الشّرعَ الذي أُمِرَ بتأديتهِ لم يجزْ أن يُمكِّنَ الله تعالى مِن قتلِهِ؛ لأنَّهُ لو أَمكنَ من ذلكَ لَأدَّى إلى أن يكونَ المكلَّفونَ غيرَ مُزاحَي العلَّةَ في التّكليفِ وفيما لهم من

---

(١) ينظر: الكشاف: ١: ١٤٦، وتفسير البيضاوي: ١: ٨٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٤، حديث رقم: ١٣٢.

(٣) الكافي: ٢: ٣٧١، حديث رقم: ٦، وتفسير العياشي: ١: ٤٥، حديث رقم: ٥١.

الألطافِ والمصالحِ، فأمَّا إذا أدَّى الشَّرعَ فحينئذٍ يجوزُ أن يُخلِّيَ اللهُ بينهُ وبينَ قاتليهِ ولم يجبْ عليهِ المنعُ من قتلِهِ[1].

انتهى كلامُ صاحبِ المجمعِ ولا يخفى ما في كلامِ الحسنِ من المناقشةِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)** ﴾ آيةٌ:

القراءة:

قرأَ نافعُ: الصّابيّين والصّابيّون بتركِ [الهمز] في جميعِ القرآنِ، إمَّا لكونهِما مأخوذين من صَبا يصبو، أي: مالَ إلى الشّيءِ؛ لأنّهم مالُوا من سائرِ الأديانِ إلى دينِهم ، أو من الحقِّ إلى الباطِلِ، فحينئذٍ تركُ الهمزةِ واجبٌ ، وإمَّا من: صَبأَ مهموزُ اللّامِ أي: انتقلَ؛ لأنّهم انتقلُوا من دينِهم إلى دينٍ آخَرَ لم يُشرّعْ لهم، فقَلَبَ الهمزةَ ياءً لتطرّفِها وانكسارِ ما قبلِها ولكن مثلَ هذا القلبِ لا يُجيزُهُ سيبويه إلَّا في الشّعرِ كما قال الشاعرُ:

فكأنَّ البرقَ مُصحَفُ قارٍ فَانطِباقًا مرةً وانفِتاحًا[2]

أصلُهُ: قارِئ، أي: ينطبقُ انطباقًا مرّةً، وينفتحُ انفتاحًا أخرى، وهذا غيرُ فصيحٍ، والجمهورُ: بالهمزِ[3]، وهو المختارُ لفظًا ومعنًى.

اللغة: [٣٦١]

يقالُ: هادَ وتهَوَّدَ، أي: صار يهوديًّا ودخلَ في اليهوديّةِ ودان بدينِهم، وهادَ يهودُ هَودًا، أي: تابَ ورجعَ، واختلفوا في اشتقاقِ اسمِ اليهودِ، وفي إنَّهُ عربيٌّ أو مُعرَّبٌ، (فقالَ ابنُ جريحٍ: إنَّهُ عربيٌّ مِن

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٤٠.

(٢) البيت من المديد، وقائله: ابن المعتز. ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: ٢٣٣، وأسرار البلاغة: ١: ١٥٣.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٥٨، وغيث النفع في القراءات السبع: ١: ٧٨.

هادَ يهودُ، أي: تابَ[١]، كقولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٢] وسُمُّوا بذلكَ؛ لتوبتِهِم عن عبادةِ العجلِ، قالَ زهيرٌ:

سوى رُبُعٍ لم يأتِ فيهِ مخافَةً ولا رهقًا مِن عائذٍ مُتهوِّدِ[٣]

أي: تائب، وقالَ بعضُهُم: إنَّه عربيٌّ أيضًا مِن هادَ إذا مالَ ورجَعَ سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم مالوا عن الإسلامِ وعن دينِ موسى عليه السلام[٤]، وقال آخرُ: إنَّه عربيٌّ أيضًا مِن تَهَوَّدَ اذا تحرَّكَ سُمُّو بذلكَ؛ لأنَّهم يَتهوَّدونَ، أي: يتحرَّكونَ عند قراءةِ التوراةِ[٥]، ويقولون: إنَّ السّمواتِ والأرضَ تحرَّكتْ حتَّى آتى الله تعالى موسى التوراةَ، أو منَ الهوادةِ وهي: السّكونُ والرّخصةُ والمحاباةُ والفتورُ في أمرِ الدينِ والمَشيُ الرّويدُ، وفي وصفِهِ عليه السلام: «لا تأخذُهُ في الله هوادةٌ»[٦]، أي: فتورٌ، ولا يسكُنُ عند وجوبِ حَدٍّ لله ولا يُحابي فيهِ أحَدًا، ومنهُ حديثُ عُمرُ: «أُتِيَ بشاربٍ، فقال: لَأبعثَنَّكَ إلى رجلٍ لا تأخُذُهُ منكَ هوادَةٌ»[٧]، وهوَ: عليٌّ عليه السلام، سُمُّو بذلك؛ لأنَّهم يَفتُرونَ في أمرِ الدينِ ويُرخِّصونَ عدمَ الرّجمِ في المُحصِنِ إذا صدَرَ مُوجبُهُ من أَربابِ الاعتبارِ وأمثال ذلك، وقالَ بعضُهُم[٨]: إنَّهُ مُعرَّبُ يهوذ سُمُّو به؛ لأنَّهم نُسِبُوا إلى يَهوذا أكبرُ وُلدِ يعقوب عليه السلام فعُرِّبَتِ الذّالُ المعجمةُ دالًا كما يُقالُ في بغداذَ: بغدادَ. واليهودُ: اسمُ جمعٍ، واحدهُ: يهوديّ، كالمجوسِ والمجوسيِّ، والزنجِ والزنجيِّ، والرّومِ والرّوميِّ.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٤١.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٥٦.

(٣) البيت من الطويل، ديوانه: ٢٣٥، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٥٥٨، ونقله ابن سيده في المخصص: ٤: ٩٩، دون نسبة.

(٤) وهو: ابن سيده، نقلا عن لسان العرب: ٣: ٤٣٩، (هود).

(٥) وهو: أبو عمرو بن العلاء، نقلا عن تفسير الثعلبي: ١: ٢٠٨، وتفسير الرازي: ٣: ١٠٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٢٨١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٢٨١، وبحار الأنوار: ٢٩: ٥٩٥.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٣: ٤٣٩، (هود).

والنّصارى: جمعُ نصرانٍ، كالنّدامى في نَدمان والسَّكارَى بفتحِ السّينِ على ما هو القياسُ في سَكران وسُكارى بضمِّ السّين شاذٌّ، فالنَّصرانُ هوَ: المُمتلِئُ نصرًا، كما إنَّ الغَضبانَ هوَ: المُمتلِئُ غَضَبًا، وأُنثاهُ: نَصرانةٌ كندمانَةٌ في نَدمان، قالَ الشّاعرُ:

[فكلْتاهما خَرَّتْ وأَسْجَدَ رأْسُها]		كما سجَدَتْ نَصرانَةٌ لم تَحنَف[1]

وقيل: النَّصارى جمعُ نَصرَى كَمَهرَى ومَهارى، والياءُ في نَصرانيّ للمبالغةِ والتأكيدِ، مثلَها في أَحمَريٍّ وأَوحَديٍّ وخارجيٍّ وكَروبيٍّ[2] ودَوَّاريٍّ، وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّ حَواريّهم نَصَروا عيسى عليه السلام ودينَهُ لقولِهِ تعالى حكايةً عن عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إلى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾[3]، أو لِتَناصُرِ بعضِهِم بعضًا، وقال ابنُ عباس: لأنَّهم كانوا يسكنون مع عيسى عليه السلام في قريةٍ يقالُ لها: نَصران أو ناصِرة، فنُسِبُوا إليها وسُمُّوا باسمِها أو مِن اسمِها[4].

وفي العيونِ: بإسنادهِ إلى الرِّضا عليه السلام في حديثٍ طويلٍ في آخرِهِ: «فقلتُ لهُ ولمَ سُمّيَ النّصارى نَصارى؟ قالَ: لأنّهم مِن قريةٍ اسمَها ناصرةَ مِن بلادِ الشّامِ نزلَتها مريمُ وعيسى عليهما السلام بعد رجوعِهما مِن مِصرَ»[5]، انتهى.

(والصابئون: جمعُ صابئيٍّ بالهمزِ، وهو: مَن انتقلَ من دينٍ إلى دينٍ آخرَ لم يُشرَّع لهم بل هوَ باطِلٌ، قال أبو زيدٍ: صبأَ الرجلُ في دينهِ يصبو: إذا كان صابِئًا، وصَبأَ نابُ الصّبيّ يَصبأُ: إذا طَلَعَ، فكان معنى الصّابِئ: التّاركُ دينَه الذي شُرِعَ لهُ إلى دينٍ آخرَ غيرهُ: كما إنَّ الصابئَ على القومِ: تاركٌ

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي الأخزر الحِمّانيّ. ينظر: الكتاب: ٣: ٢٥٦، والمخصّص: ٥: ٤٤.
والشاهد فيه: مجيء لفظ (نصرانة) اسمًا لامرأة.

(٢) مفرد كروبيّين مخففة الرّاء وهم: سادةُ الملائكة المقرّبين. ينظر: القاموس المحيط: ١: ١٢٣، (كرب)، ومجمع البحرين: ٢: ١٥٩، (كرب).

(٣) سورة الصف ٦١: ١٤.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣: ٥٣٦، وتفسير القرطبي: ١: ٤٣٤.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٨٥، حديث رقم: ١٠.

لأرضِهِ ومُنتقِلٌ إلى سِواها، فالمرادُ بمفارقتِهم الدّينَ الذي شُرِعَ لهم هو تَركُهُم التَّوحيدَ إلى عِبادةِ الكواكِبِ والنّجومِ أو تَعظيمها.

وقال قتادة: وهم قومٌ معروفونَ ولهم مذهبٌ يتَفرَّدونَ بهِ، ومِن دينِهم عبادةُ النّجومِ وهم يقرُّونَ بالصّانعِ وبالمَعادِ وببعضِ الأنبياءِ، وقالَ مجاهدٌ والحسنُ: الصّابئون بين اليهودِ والمجوسِ لا دينَ لهم، وقال السُّدّي: هم طائفةٌ مِن أَهل الكتابِ يقرأون الزّبورَ، وقال الخليلُ: هم قومٌ دينُهُم يشبهُ دينَ النّصارى إلَّا أنَّ قبلتَهم نحوَ مَهَبِّ الجَنوبِ بفتحِ الجيمِ، حِيالُ مُنتصفِ النّهارِ، يزعمونَ أنَّهم على دينِ نوحٍ، وقال أبو زيدٍ: هم أَهلُ دينٍ مِن الأديانِ كانوا بالجزيرةِ جزيرةِ مَوْصِل[١] يقولون لا إله إلَّا الله ولم يُؤمِنوا برسولِ الله ﷺ فَمِن أَجلِ ذلك كان المشركونَ يقولون للنّبيِّ ﷺ ولأصحابهِ: هؤلاء هم الصّابئون، يُشبِّهونَهُم بهم، وقالَ آخرون: هم طائفةٌ من أهل الكتابِ، والفُقهاءُ بأجمَعِهم يُجيزون أَخذَ الجزيةِ منهم[٢]، وعندَنا لا يجوزُ ذلك لأنَّهم ليسُوا بأهلِ الكتابِ[٣]»[٤]، هكذا قالَ في المجمعِ، وقيلَ: هم عبَدَةُ الكواكبِ كما مرَّ، وقيلَ: هُم عَبَدَةُ الملائكةِ، وفي تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: «الصابئون: قومٌ لا مجوسٌ ولا يهودٌ ولا نَصارى ولا مسلمونَ، وهُم يعبُدون الكواكبَ والنجومَ»[٥] والنجومَ»[٥] انتهى.

(١) بالفتحِ، وكَسرِ الصّادِ: من أشهر مدن العراق، وإحدى قواعد بلاد الإسلام، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي بابُ العراقِ ومفتاحُ خراسان ومنها يُقصدُ إلى أذربيجان، وسُمّيَت الموصل؛ لأنّها وَصَلت بينَ الجزيرةِ والعراقِ، وقيل: وَصَلت بينَ دجلةَ والفراتِ. ينظر: معجم البلدان: ٥: ٢٢٣، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٤: ١٢٧٨.

(٢) ينظر: المغني: ١٠: ٥٦٩، والمجموع: ١٦: ٢٣٥، وفتح الوهاب: ٢: ٧٧، والبحر الرائق: ٥: ١٨٨.

(٣) ينظر: المؤتلف من المختلف بين أئمّة السلف: ٢: ١٣٧، ومختلف الشيعة: ٧: ٧٢، وكشف اللثام: ٧: ٢١٧.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٤٨ مع اختلاف يسير.

(٥) تفسير القمّي: ١: ٤٨.

الإعراب:

(والّذينَ هادوا): عطفٌ على اسمِ إنَّ وصلتِها، (والنّصارى والصّابئِينَ): معطوفانِ عليهِ، و(مَن): مُبتدأٌ، وهي إمَّا شرطيَّةٌ أو موصولةٌ مُتضَمّنةٌ معنى الشّرطِ، وعلى التقديرينِ (الفاءُ) في (فَلَهم): جزائِيّةٌ، و(لهم): خبرٌ مُقدّمٌ، و(أجرُهُم): مبتدأٌ مؤخَّرٌ، والجملةُ جوابُ الشّرطِ، وخبرُ المبتدأ الذي هو: (مَن آمنَ) وتلك الجملة بأسرِها: خَبرُ إنَّ، وحُذِفَ العائدُ إلى اسمِ إنَّ، والتّقديرُ: مَن آمَنَ منهم باللهِ إلى آخِرهِ، فَحُذِفَ منهم لِدلالةِ الكلامِ عليهِ على حَدِّ: البُرُّ الكُرُّ بستّينَ درهمًا، والسَّمنُ مَنوَانِ بدرهمٍ، أي: منهُ، وإنَّما وحَّدَ آمَنَ وعَمِلَ نَظَرًا إلى لفظِ (مَن)، وجَمَعَ الضميرَ في (لهم، وأجرَهم، وعندَ ربِّهِم، وهم، وعليهم، ويَحزنونَ) نظَرًا إلى مَعناهُ كما مَرَّ مِرارًا، ويجوزُ أن يكونَ مَن آمَنَ بدَلًا مِن اسمِ إنَّ، وخَبَرُها: جملةُ (فلَهم أَجرُهُم) إلى آخِرِهِ؛ ودخولُ الفاءِ في الخَبَرِ لِتَضمُّنِ الذينَ معنى الشّرط، ومَنْعُ سيبويه[1] دُخولَها في خبرِ إنَّ مَردودٌ بقولِهِ تعالى في سورةِ البروجِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾[2]، وفي سورةِ آلِ عِمرانَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3]، وفيها أيضًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾[4] وإنّما رُفِعَ قولُهُ: ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾؛ لِتكريرِ لا؛ وَلِكونِ ما يَلي الثّانيةَ مَعرفةً وكِلاهُما مُوجِبٌ للرّفعِ كما قالَ الشاعرُ: [٣٦٢]

---

(١) ينظر: الكتاب: ٣: ٣٨.

(٢) سورة البروج ٨٥: ١٠.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٩١.

وما هَجَرتُكِ حَتّى قُلتِ مُعلِنةً لا ناقَةٌ لي في هذا ولا جَمَلُ [1]

وقولُهُ تعالى: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]، وفي سورةِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[3]، أمَّا معَ النّكرةِ المُكرّرِ فيها (لا) فّالرفعُ جائزٌ وليس بواجبٍ، بل يجوزُ فتحُهُ أيضًا، كما قالَ تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4] بفَتحِ الجميعِ بلا تَنوينٍ على قراءةِ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرو بنِ العلاء ويعقوبَ على روايةٍ في يعقوبَ، وكذا قرَأَ هؤلاء: (لا بيعَ ولا خُلّةَ ولا شَفاعَةَ) بفتحِ الجميعِ، وكذا قرؤا في سورةِ إبراهيمَ: (لا بَيعَ فيهِ ولا خِلالَ)، وكذا قرؤا في سورةِ الطّورِ: (يتَنازَعونَ فيها كَأسًا لا لَغوَ فيها ولا تَأثيمَ) بفتحِهما، والباقونَ من السّبعةِ قرؤا جَميعَها في تلكَ السّورِ: بالرّفعِ والتّنوينِ[5]، ويجوزُ فتحُ أَحدِهما

---

(١) البيت من البسيط، لعبيد بن حصين الراعي. من شواهد سيبويه: ٢: ٢٩٥، وينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب: ٣: ٥٩.

وعجزُ البيتِ: من الأمثالِ التي تقالُ للتّبرؤِ من الظلم والإساءة، وقائله: الحارث بن عباد. ينظر: جمهرة الأمثال: ٢: ٣٩٠، مثل رقم: ١٨٨٤.

ومنه في حاشية الأصل: معنى البيت: وما تركتُكِ حتّى تبرأتِ منّي، وقُلتِ معلنةً وصريحةً: لا ناقةٌ لي ولا جملٌ، وهو مَثَلٌ ضربَهُ لِبرائتها منهُ.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٥٤.

(٣) سورة ابراهيم ١٤: ٣١.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٩٧.

(٥) عند الرجوع إلى كتب القراءات تبيّن أنَّ المصنِّفَ قد عمّمَ سهوًا قراءَةَ الفتحِ في النّصوصِ الثّلاث عن ابنِ كثيرٍ وأبي عمرو، لتشملَ النّصَّ الأوّل، والصحيحُ: أنّهما قرءا : (فَلَا رفثٌ وَلَا فسوقٌ) بِالرَّفْع والتّنوين فيهمَا، و(لا جدالَ) بالنّصبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ جَمِيع ذَلِك: بِالنّصب من غير تَنْوِين ، وَحجَّةُ مَن فَتحَ: إِنَّه أبلغُ للمعنى الْمَقْصُود، أَلا ترى أَنه إِذا فتح فقد نفى جَمِيع الرَّفَث والفسوق كَمَا أَنه إِذا قَالَ لَا ريب فِيهِ فقد نفى جَمِيع هَذَا الْجِنْس، وَإِذا رفع وَنون فَكَأَن النَّفْي لوَاحِد مِنْهُ، فالفتحُ أولى لِأَن النَّفْي بِهِ أَعمُّ، وباقي القراءات كما وردَ في الأصلِ. ينظر: حجة القراءات: ١: ١٢٨، ١٤١، ٦٨٣، والتيسير في القراءات السبع: ١: ٨٠، ٨٢، والعنوان في القراءات السبع: ١: ٧٣، ١٨١.

ونَصبُ الآخَرِ ورفعُهُ مع التّنوينِ، وأمّا معَ المعرفةِ فالرّفعُ واجِبٌ، وأمّا مع النّكرةِ غيرِ المُكرّرةِ فيها (لا) فَفيها الفتحُ لا غيرُ، نَحو: لا رجلَ في الدّارِ ولا أَبَ لكَ، قال نَهارُ بن تَوسعَةَ اليشكريّ:

أَبي الإسلامُ لا أَبَ لي سِواهُ   إذا افتَخَروا بقَيسٍ أو تَميمِ [1]

كما بيَّنّا جميعَ الأقسامِ مُفصَّلًا مستوفًى في شرحِنا المُسمّى بزينةِ السّالِكِ، فـ(خوفٌ) في الآيةِ: مُبتدَأٌ، و(عليهم): خبرُهُ، وكذا: (ولا هُم يَحزنونَ): مُبتدأٌ وخَبرٌ.

المعنى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بألسِنتِهم وتَديَّنُوا ظاهِرًا بِدينِ مُحمّدٍ ﷺ سواءٌ كانوا مُخلصينَ باطِنًا أو منافقينَ، وقيلَ: المُرادُ بهم المنافقونَ فقط: الذينَ آمنُوا بأفواهِهِم ولمْ تُؤمِنْ قُلوبُهم؛ لِانخراطِهِم في سِلكِ هؤلاءِ الكفَرةِ، ﴿**وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾ أي: صارُوا يهودًا، ﴿**وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ**﴾ الذينَ لَيسوا بمَجوسٍ ولا يَهودٍ ولا نصارى ولا مُسلمينَ، بل هم عبدَةُ الملائكةِ والكواكِبِ والنّجومِ، ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾ منهم إيمانًا خالِصًا باللهِ ورسولِهِ وأَوصيائِهِ المعصومينَ والمَبدَأِ، وصَدَّقَ بقلبِهِ باليومِ الآخِرِ والمَعادِ الجسمانيّ تَصديقًا جازمًا عامِلًا بمقتَضى شريعَةِ مُحمّدٍ ﷺ ودخلَ في الإسلامِ دُخولًا صادِقًا ﴿**فَلَهُمْ**﴾ في دارِ القرارِ ﴿**أَجْرُهُمْ**﴾ الذي وعَدَهُم ربُّهم على إيمانِهِم الصّادقِ وعَمَلِهِم الصّالحِ ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ حين يَخافُ الكُفّارُ من العِقابِ و الخلودِ في دارِ البَوارِ جَهنَّمَ يصلَونَها فَبئسَ القَرارُ، ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ حين يخسرُ المُبطلونَ ويَحزَنُ المُقصّرونَ على تضييعِ العُمرِ وتفويتِ الأجرِ، وإنّما سوَّى سبحانُهُ وتعالى بينَ المؤمنينَ المخلصينَ الذين آمَنوا في أوَّلِ استدعائِهِم إلى الإيمانِ من غيرِ عِنادٍ ولا نفاقٍ وبينَ الذينَ آمنُوا بأفواهِهِم ولَم تُؤمنْ قلوبُهُم من المنافِقينَ واليهودَ

---

(١) البيت من الوافر. ينظر: الكتاب: ٢: ٢٨٢، والمخصّص: ٤: ١٧٤، وأورده الدينوري في الشعر والشعراء: ١: ٥٢٨ باختلاف في عجزه بلفظ: إذا هتفوا ببكر أو تميم، كما نسبه غير واحد إلى سلمان المحمدي رضي الله عنه. ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٤: ١٨٧، والمستطرف في كل فن مستظرف: ١: ٢٢٢.

وقائله: ابن أبي عتبان، من بكر بن وائلٍ، كان أشعرَ بكرٍ في خراسان، اشتهر بالهجاء، توفي سنة (٨٣هـ). ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٥٢٨، والأعلام: ٨: ٤٩.

والنّصارَى والصّابئينَ إذا آمَنوا إيمانًا صادقًا بعد النّفاقِ، وأسلَمُوا إسلامًا خالصًا بعدَ العِنادِ، للتّنبيهِ على أنَّ أُجُورَ هؤلاءِ حينئذٍ مِثلَ أجرِ مَن آمَنَ في أوّلِ استدعائِهِ إلى الإيمانِ مِن غيرِ نِفاقٍ وعِنادٍ؛ وللردِّ على قومٍ مِن المسلمينَ حيثُ قالوا: إنَّ مَن آمَنَ بَعدَ نِفاقِهِ وعِنادهِ كانَ ثوابُهُ أنقصَ وأجرُهُ أقَلَّ، فأخبَرَ اللهُ بهذهِ الآيةِ أنَّهم سَواءٌ في الأجرِ والثّوابِ، هكذا قالَ المفسِّرونَ(1).

أقولُ: لا يُفهمُ التّسويةُ من ظاهِرِ الآيةِ فكيفَ بالباطِنِ؟ لأنَّ قولَهُ سبحانَهُ: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ**﴾ يفيدُ أنَّ لكلِّ عامِلٍ أجرًا مخصوصًا، وأنَّهُ تعالى لا يُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ من ذكرٍ أو أُنثى، ولو سَوّى بينهم في القَدرِ والمنزِلَةِ لَزِمَ الظّلمُ في الجملةِ، مع أنّه سبحانَهُ لا يَظلِمُ مثقالَ ذرّةٍ.

وقالَ في المجمعِ: «قولُهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أُختُلِفَ في هؤلاءِ المؤمنينَ مَن هُم؟ فقالَ بعضُهُم: هُم الذينَ آمنُوا بعيسى عليه السلام ثُمَّ لم يَتهوَّدوا ولم يَتنَصّروا ولم يَصبَؤا، وانتَظَروا خروجَ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وقيلَ: هُم طُلّابُ الدّينِ: منهُم حبيبُ النَّجّارِ وقيسُ بنُ ساعدةَ وزيدُ بنُ عَمرو بنُ نُفيلٍ وورقَةُ بنُ نَوفلٍ والبَرّاءُ المُثنّى وأبو ذرٍّ الغِفاريّ وسلمانُ الفارسيّ وبُحيرى الرّاهِبُ ووفدُ النّجاشيِّ، آمنُوا بالنّبيّ صلى الله عليه وآله قبلَ مَبعثِهِ فمنهم مَن أدركَهُ وتابعَهُ، ومنهم مَن لَم يُدركْهُ، وقيلَ: هُم مُؤمنو الأممِ الماضيةِ، وقيلَ: همُ المؤمنونَ مِن هذهِ الأمّةِ، وقال السُّدّي: هو سلمانُ الفارسيّ وأَصحابُهُ النّصارى الذي كانَ قد تَنَصّرَ على أيديهِم قبلَ مبعثِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وكانوا قد أخبروهُ بأنَّهُ سيُبعَثُ وأنَّهم يؤمنون بهِ إن أَدركُوهُ، واختلَفوا في قولِهِ تعالى: ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾، فقالَ قومٌ هو: خبَرٌ عن الذينَ هادُوا والنَّصارَى والصّابئينَ فقط، والضميرُ يرجعُ إليهم؛ لأنَّ الذينَ آمنُوا قد كانوا مُؤمنينَ فلا معنى أن يُشترَط فيهم استئنافُ إيمانٍ، فكأنَّه قال: إنَّ الذين آمنوا ومَن آمن مِن اليهود والنّصارى والصّابئينَ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلَهم أجرُهُم إلى آخِرهِ، وقالَ آخرونَ: مَن آمَنَ منهم: الضّميرُ يرجعُ إلى الكلِّ ويكونُ رجوعُهُ إلى الذينَ آمنوا، بمعنى الثّباتِ منهم على الإيمانِ والاستقامةِ وتركِ التّبديلِ، وإلى الذين هادوا والنّصارى والصّابئينَ بمعنى استئنافُ الإيمانِ بالنَّبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء بهِ،

(1) ينظر: تفسير ابن عطية: 1: 156، وتفسير الآلوسي: 1: 280.

وقالَ بعضُهُم: مَن أرادَ مَن آمَنَ بمُحمَّدٍ ﷺ بعدَ الإيمانِ باللهِ وبالكُتُبِ المتقدِّمةِ؛ لأنَّهُ لا يتمُّ أحدُهُما إلّا بالآخَرِ، ونظيرُهُ قولهُ تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾[1] ﷺ)[2] ، انتهى كلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ.

دلالةُ هذه الآية:

ثمَّ قال بعد ذلكَ: (وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّ الإيمانَ هو: التّصديقُ والاعتقادُ بالقلبِ؛ لأنَّه تعالى قالَ: **﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** ثمَّ عطفَ عليهِ بقولهِ: **﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**، ومَن حمَلَ ذلك على التّأكيدِ أو الفضلِ فقد ترَكَ الظاهرَ، وكلَّ شيءٍ يذكرونهُ ممّا عُطِفَ على الأوَّلِ بعدَ دخولِهِ فيهِ مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[3]، وقولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[4] فإنَّ جميعَ ذلكَ على سبيلِ المجازِ والاتّساعِ، ولَو خُلِّينا والظّاهِرَ لقلنا إنَّه ليسَ بداخِلٍ في الأوَّلِ)[5] انتهى كلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ، وما اختارَهُ ﷺ هو التّحقيقُ كما مَرَّ بيانُهُ في أوَّلِ السّورةِ .

في كتابِ ثوابِ الأعمالِ: بإسنادهِ إلى حنانِ بن سدير قال: « حدَّثَني رجلٌ مِن أصحابِ أبي عبدِ اللهِ ﷺ قال: سمعتهُ يقولُ: إنَّ أشَدَّ النّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ لَسبعةُ نفرٍ: أوَّلهُمُ ابنُ آدمَ الذي قتَلَ أخاهُ، إلى قولِهِ: ورجلانِ مِن بني إسرائيل هَوَّدا قومَهُما ونَصّراهُم»[6]، وبإسنادِهِ إلى إسحاقَ بنَ عَمّارٍ

(١) سورة محمد ٤٧: ٢.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٤٣.

(٣) سورة الرحمن ٥٥: ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٥) مجمع البيان: ١: ٢٤٤.

(٦) ثواب الأعمال: ٢١٥.

الصّيرفيّ[1] عن أبي الحسنِ الماضي عليه السلام في حديثٍ طويلٍ قال عليه السلام: «إنَّ في النّارِ لَوادِيًا يُقالُ لهُ سَقَرُ وإنَّ في ذلكَ الوادي لجَبلًا، وإنَّ في ذلكَ الجَبلِ لشُعبًا وإنَّ في ذلكَ الشِّعبِ لَقَليبًا، وإنَّ في ذلكَ القَليبِ لَحَيَّةً، ـ وذَكَرَ شدَّةَ ما في الوادي وما بعدَهُ من أنواعِ العذابِ ـ وقالَ: إنَّ في جَوفِ تلكَ الحيّةِ سبعةَ صناديقَ فيها خمسةٌ من الأُمَمِ السّالفةِ، واثنانِ مِن هذهِ الأمّةِ، قُلتُ: جُعلتُ فِداكَ ومَنِ الخمسةُ، ومَنِ الاثنان؟ قالَ: أمَّا الخمسَةُ فقابيلُ الذي قَتَلَ هابيلَ إلى قولِهِ ويَهودا الذي هَوَّدَ اليَهودَ وبولِسَ الذي نَصَّرَ النّصارَى»[2].

قولُهُ تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

الميثاقُ: أصلُهُ: مِوثاق مِن الوَثيقةِ، قُلِبتِ الواوُ ياءً؛ لِسكونِها وانكسارِ ما قبلِها، وهو: إمّا بعهدٍ أو يمينٍ أو غيرِ ذلكَ من الوثائقِ، والطّورُ: الجبَلُ مطلقًا، قال العجّاجُ:

دانى جَناحَيهِ من الطُّورِ فَمَرَّ   تَقَضِّي البازي إذا البازي كَسَرَ[3]

وقالَ ابنُ عبّاس: اسمُ جَبَلٍ بعينِهِ ناجَى اللهُ عليهِ موسى عليه السلام[4]، والقُوّةُ: الجِدُّ والشّدُّ في الأَمرِ والعزيمةُ فيهِ، وأصلُها: الطّاقةُ من طاقاتِ الحَبلِ، وفي حديثِ ابنُ الدّيلميّ: (يُنقَضُ الإسلامُ عُروَةً

---

(١) ابن حيان مولى بني تغلب، أبو يعقوب الصيرفي: شيخٌ من أصحابِنا، ثقةٌ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب نوادر، يرويه عنه عدة من أصحابنا. ينظر: رجال النجاشي: ٧١، ترجمة رقم: ١٦٩، وخلاصة الأقوال: ٣١٧.

(٢) ثواب الأعمال: ٢١٦.

(٣) البيت من الرجز. ديوانه: ١: ٤٢، كما ينظر: البديع في علم العربية: ٢: ٥١٨، فالشاعرُ يمدحُ عمرَ بنَ معمّرٍ التّيمي مُشبِّهًا لهُ بطائرِ البازي الذي يَنقضُّ وهوَ يضُمُّ جناحيهِ.

(٤) لم يقف الباحث على هذه النسبة من تفسير ابن عباس، وأثبتها فيما نُقِلَ عنه من: مفاتيح الغيب: ٣: ٥٣٨، وتفسير القرطبي: ١: ٤٣٦.

عُرْوَةً، كما يُنقَضُ الحَبلُ قُوّةً قُوّةً[1]، والجمعُ قُوًى، والقُوّةُ: القدرةُ والتّمكّنُ من الفعلِ، وفي المجمعِ: «القُوّةُ: القُدرةُ، وهي: عَرَضٌ يصيرُ بِهِ الحَيُّ قادرًا، وكُلُّ جِسمٍ قادرٌ بقدرِهِ لا يصحُّ منهُ فعلُ الجسمِ»[2]، والأخذُ: القَبضُ، وضدُّ الإعطاءِ، وأصلُ خُذْ: أؤخُذْ، وكذا كُلْ أؤكُلْ، وإنّما لزَمَ حَذفُ الهمزةِ الثّانيةِ فيهما لكثرةِ الاستعمالِ ثُمَّ استغنى عن همزةِ الوَصلِ، وكذا مُرْ وقد جاءَ فيهِ أومُرْ على الأصلِ، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾[3].

الإعراب: [٣٦٤]

(فوقَكم): ظرفٌ لـ(رفعناهُ)، و(الطّورَ): مفعولٌ بهِ، وجملةُ (خُذوا ما آتيناكُم): مقولٌ لِـ(قُلنا) مَحذوفاً، وثاني مفعولَي (آتيناكُم): محذوفٌ، وهوَ ضميرٌ عائدٌ إلى (ما)، أي: قُلنا لكم خُذوا ما آتيناكُمُوه، أو قالَ لهم موسى عليه السلام: كما تقولُ أوجبتُ عليهِ: قُم، أي: أوجبتُ عليهِ، فقلتُ لهُ: قُم، قالَ الفَرَّاءُ: «أخذُ الميثاقِ قَولٌ، فلا حاجةَ بالكلامِ إلى إضمارِ القولِ فيهِ غيرَ إنَّهُ ينبغي لِكلِّ ما خالفَ القولَ من الكلامِ الذي بمعنى القولِ أن يكونَ معهُ (أن) المفَسِّرة، كقولِهِ تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[4]، وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾[5]، قالَ: ويجوزُ هنا حذفُ (أن)، أي: خُذوا، مِن غيرِ حاجةٍ إلى تقديرِ القولِ»[6]، و(بقوّةٍ): مُتعلّقٌ بـ(خُذوا)، و(اذكروا ما فيهِ): عطفٌ على (خُذوا ما آتيناكُم)، و(الهاءُ) في (فيهِ): عائدٌ إلى (ما) في (ما آتيناكُم)، وأمَّا العائدُ إلى (ما) في قولِهِ: واذكروا ما: فهوَ ضميرٌ مُستترٌ في (فيهِ)، وجملةُ: (لعلَّكُم تتَّقونَ): تعليلٌ لـ(قُلنا)

---

(١) مسند أحمد: ٤: ٢٣٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٢٧.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٤٥.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٣٢.

(٤) سورة الصافات ٣٧: ١٠٤.

(٥) سورة نوح ٧١: ١.

(٦) لم يقف الباحث على هذا القول من كتب الفرّاء، وقد جاءت نسبته إليه في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١: ٤٦٤، والتبيان: ١: ٢٨٧.

مَحذوفًا على حَذفِ المضافِ، أي: قُلنا خُذوا ما آتيناكُم بقوّةٍ واذكروا ما فيهِ إرادةَ أن تَتَّقوا، وقد مَرَّ مِرارًا أنَّ (لَعلَّ) في كلامِهِ تعالى ليسَ على معناهُ الأصلي الذي هوَ: رجاءُ المُتكلِّمِ، بل هوَ بمعنى: كَي التعليليّةِ، أو لرجاءِ المُخاطَبينَ، أي: لِكي تتَّقوا، أو رجاءً منكُم أن تكونُوا مُتَّقينَ، فَهيَ في هذينِ الوجهينِ: مفعولٌ لهُ لقولهِ: (خُذوا واذكُروا)، وإعرابُ الباقي: قد مَرَّ مثلُهُ.

المعنى:

«ثمَّ أعادَ اللهُ سبحانُهُ الخطابَ إلى بني إسرائيل فقال: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾، أي: واذكروا يا بني إسرائيلَ الوقتَ الذي أَخذنا عَهدَكُم وعَهدَ أسلافِكُم وهوَ: العهدُ الذي فطَرَ اللهُ الخَلقَ عليهِ مِن الإقرارِ بربُوبيَّتِهِ سبحانه وتوحيدِهِ وعَدلِهِ وحِكمَتهِ، وما نَصَبَ لهم مِن الحُجَجِ الواضِحةِ والبَراهينِ السّاطعةِ الدّالّةِ على ذلكَ، وعلى صِدقِ الأنبياءِ عليهم السلام، ومِن الايمانِ بملائِكتهِ وكُتُبهِ ورسُلهِ، ومِن أن تعملُوا بما في التّوراةِ وما في الفرقانِ الذي أُعطيَهُ موسى عليه السلام مع الكتابِ، وأن تُقِرُّوا بما فيهِ من نبوَّةِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله ووَصيِّهِ عليٍّ والطّيّبينَ مِن ذريَّتِهما، وأن تُؤدُّوهُ إلى أَخلافِكُم بَطنًا بعدَ بَطنٍ وقَرنًا بعدَ قَرنٍ، ثُمَّ أَبيتُم ذلكَ واستكبَرتُموهُ، ﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾، أي: الجَبَلَ، «فأَمرنا جبرَئيلَ أن يقلَعَ مِن جَبلِ فلسطينَ[1] قطعَةً على قَدرِ مُعسكَرِ أسلافِكُم فَرسَخًا في فَرسَخٍ فقطَعها وجاءَ بها فَرفعَها فوقَ رُؤوسِهم، ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ**﴾، أي: قُلنا أو قال موسى عليه السلام مِن قِبَلِنا لهم: إمَّا أن تأخُذوا بما أُمِرتُم بهِ فيهِ مِن العملِ بما في التّوراةِ إلى آخرِه، وإمَّا أن أُلقِيَ عليكم هذا الجَبَل، فَأُلجِئوا إلى قَبولِهِ كارهينَ إلَّا مَن عَصَمهُ من العِنادِ فإنَّهُ قَبِلَهُ طائعًا مُختارًا، ثُمَّ قَبلُوهُ وسَجَدُوا وعَفَّرُوا، وكثيرٌ منهم

---

(١) وهي: آخرُ كورِ الشّامِ من ناحيَةِ مِصرَ، ومن أشهرِ مُدنِها: عسقلان والرّملة وغزّة، وإعرابها على مذهبين: أوّلهُما: جعلها بمنزلَةِ ما لا يَنصرفُ ويُلزمُها الياء في كلِّ حالٍ، وثانيهُما: بجعلها بمنزلةِ الجمعِ، فيكونُ إعرابُها بالحرفِ الذي قبلَ النّونِ فيقولُ: هذه فلسطونَ، ورأيتُ فلسطينَ، ومررتُ بفلسطينَ. ينظر: معجم البلدان: ٤: ٢٧٤.

عَفَّرَ خَدَّيهِ لا لِإرادَةِ الخُضوعِ لله تعالى، لكن نَظَرَ إلى الجَبَلِ هل يَقعُ عليهِم أم لا؟»[1] هكذا في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام.

وفي تفسيرِ القُمّي: قالَ الصّادقُ عليه السلام: «لمَّا أَنزَلَ اللهُ التّوراةَ على بني إسرائيلَ لم يقبلُوهُ، فَرَفَعَ عليهم جبَلَ طورِ سَيناء، فقالَ لهم موسى عليه السلام: إن لَم تقبَلوهُ وَقَعَ عليكم الجَبَلَ، فَقَبِلوهُ وَطَأطَؤا رُؤوسَهُم»[2].

﴿بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجدٍّ وعزيمَةٍ ويقينٍ مِن قلوبِكُم وأَبدانِكم، في المحاسِنِ والعَيّاشي: عن الصّادقِ عليه السلام: «أنَّهُ سُئِلَ عن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿خُذوا ما آتيناكُم بقوَّةٍ﴾، أقُوَّةٌ في الأبدانِ أم قُوَّةٌ في القلوبِ؟ فقال: فيهِما جميعًا»[3]، انتهى. وذلكَ حينَ رَجَعَ موسى عليه السلام من الطّورِ فَأَتى بالألواحِ وفيها مِن كُلِّ شيءٍ مَوعِظَةٌ وتفصيلٌ لِكلِّ شيءٍ، وفيها التّوراةُ والحلالُ والحرامُ، ونعتُ النّبيِّ صلى الله عليه وآله ووَصِيِّهِ عليه السلام والطّيّبينَ مِن ذُرِيَّتِهِما، فقال موسى عليه السلام لقومِهِ: جئتُكُم بالألواحِ وفيها التّوراةُ والحلالُ والحرامُ إلى آخرِهِ، فاعمَلوا بها، فَرَأوا ما فيها مِن بعضِ التّكاليفِ الشّاقّةِ فَأَبوا وقالُوا: ومَن يَقبلُ قولَكَ؟ فَأَرسلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ الملائكَةَ حَتّى نَتَقوا الجَبَلَ فوقَ رُؤوسِهِم كأَنَّهُ ظُلَّةٌ، وظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بهم، كما قالَ تعالى في سورةِ الأعرافِ: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[4] أي: تيَقَّنوا أَنَّهُ ساقطٌ عليهِم؛ لأنَّ الجَبَلَ لا يثبتُ في الجوِّ، فقال موسى عليه السلام: خُذوا ما آتيناكُم بقُوَّةٍ وجِدٍّ ويقينٍ واقبَلوهُ واعمَلوا بهِ، وإلَّا وَقَعَ الجَبَلُ عليكُم وهلَكتُم جميعًا، فأخَذوا التّوراةَ وسَجَدوا لله تعالى طائعًا بعضُهُم كارهًا آخَرونَ مُلاحِظينَ إلى الجَبلِ، فمِن ثُمَّ يسجدُ اليَهودُ على أَحَدِ شَقَّي وجُوهِهِم، فأَخَذَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في حالِ رَفعِ الجَبلِ ميثاقًا آخَرَ منهم، بأن أَخَذوا ما آتاهُم وَعَمِلُوا ما فيهِ عَزمًا جزمًا جدًّا ويَقينًا، **﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾**: والهاءُ في (فيهِ): عائدٌ إلى (ما) في (ما آتيناكُم) كما

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٦.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٢٤٦.

(٣) المحاسن: ١: ٢٦١، حديث رقم: ٣١٩، وتفسير العيّاشي: ١: ٤٥، حديث رقم: ٥٢.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٧١.

مَرَّ في الإعرابِ، وهوَ: الألواحُ التي فيها التّوراةُ، يعني: احفظوا ما في التّوراةِ مِن الحلالِ والحرامِ والشّرائعِ والأحكامِ، وذِكرِ خاتمِ النّبيّينَ ووَصيِّهِ وذريَّتِهِما الطّيّبينَ، ولا تَنسَوهُ وادرُسُوهُ وتَفكَّروا فيهِ فإنَّ التّفكرَ ذِكرٌ بالقلبِ، أو مِن الذُّكرِ بالضّمِّ، أو اعمَلوا بهِ ولا تَترُكُوهُ. [٣٦٥]

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «واذكُروا فيهِ من جزيلِ ثوابِنا على قيامِكُم بهِ وشديدِ عِقابِنا على إبائِكُم لهُ»(١) وفي المجمعِ: عن الصّادقِ عليه السلام: «معناهُ: واذكروا ما في تَركِهِ من العقوبَةِ»(٢).

﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «لِتتَّقُوا المخالفَةَ الموجبةَ للعِقابِ فتَستَحقُّوا بذلكَ جزيلَ الثَّوابِ»(٣) انتهى؛ أو لكي تتَّقونيَ إذا فعلتُم ذلكَ(٤)، وتخافوا عقابي، وتَنتَهوا إلى طاعَتي، وتتَورَّعُوا عَمّا أنتم عليهِ مِن المعصيَةِ، أو إرادةَ أن تَتَّقوا، أو رجاءً منكم أن تكونوا مُتَّقينَ مِن ذلكَ.

تنبيه:

اعلم إنَّه سبحانَهُ قد أَمَرَ موسى عليه السلام بأخذِ الألواحِ بقُوّةٍ، وبأمرِهِ عليه السلام قومَهُ أن يأخُذوا بأحسَنِها كذلكَ قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِمَّا يحتاجونَ إليهِ من أَمرِ الدّينِ ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجِدٍّ وعزيمةٍ وبقُوّةِ القَلبِ ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(٥)، كانت الألواحُ زبرجدةً من الجنّةِ كما رواهُ العيّاشيّ(٦) عن الصادقِ عليه السلام، وفي بصائرِ الدرجاتِ: عن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام: «أنّها كانت مِن زمرّدٍ أخضَر»(٧)،

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٦.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٤٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٧.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: الأخذُ بالقوّةِ وذكرُ ما فيهِ.

(٥) سورة الأعراف ٧: ١٤٥.

(٦) ينظر: تفسير العيّاشي: ٢: ٢٨.

(٧) بصائر الدرجات: ١٦١.

والعيّاشيّ: عنِ الصّادقِ عليه السلام في الجفرِ[1]: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لمَّا أنزلَ الألواحَ على موسى عليه السلام أنزلَها عليهِ وفيها تبيانُ كلِّ شيءٍ كانَ أو هو كائنٌ إلى أن تقومَ السّاعةَ، فلَمّا انقضَت أيّامُ موسى عليه السلام أوحى اللهُ إليهِ أنِ استودعِ الألواحَ، وهيَ: زبرجدةٌ مِن الجنّةِ جبَلًا يقالُ لهُ: زينة، فأتَى موسى عليه السلام الجبَلَ فانشَقَّ لهُ الجَبَلُ فجعلَ فيهِ الألواحَ ملفوفَةً فلمّا جعلَها فيهِ انطَبَقَ الجبَلُ عليها فلَم تَزلْ في الجَبَلِ حَتَّى بعثَ اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله فأقبَلَ ركبٌ من اليَمنِ يُريدونَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فلَمّا انتهَوا إلى الجَبَلِ انفرجَ الجبلُ وَخَرجتِ الألواحُ ملفوفَةً كما وضَعَها موسى عليه السلام فأخَذَها القومُ فلمّا وقعَت في أيديهِم أُلقِيَ في قلوبِهم أن لا ينظُروا إليها وهابُوها حَتّى يَأتوا بها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فأنزلَ اللهُ جبرَئيلَ على نَبيِّهِ صلى الله عليه وآله فأخبَرَهُ بأمرِ القومِ وبالذي أَصابُوهُ، فلَمّا قَدِموا على النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسَلَّموا عليهِ ابتَدَأهُم فسَأَلَهم عمّا وجَدُوه، فقالوا: وما عَلَّمَكَ بما وَجدنا؟ قالَ: أخبرَني بهِ رَبِّي، وهوَ الألواحُ، قالَ نشهَدُ إنَّكَ لَرسولُ اللهِ فَأخرَجوها ووَضَعوها إليهِ، فنَظَرَ اليها وقَرَأَها وكانَت بالعِبرانيِّ، ثمَّ دعا أميرَ المؤمنينَ عليه السلام فقالَ: دونَكَ هذهِ ففيها عِلمُ الأوَّلينَ وعلمُ الآخرينَ، وهيَ ألواحُ موسى عليه السلام وقد أَمَرَ رَبِّي أن أدفعَها إليكَ، فقالَ: لَستُ أُحسِنُ قراءَتَها، قالَ: إنَّ جبرَئيلَ أَمرَني أن آمرَكَ أن تَضَعَها تحتَ رأسِكَ لَيلَتك هذهِ فَإنَّكَ تُصبحُ وقد عُلِّمتَ قراءَتَها، قالَ: فجعَلَها تحتَ رأسِهِ فأَصبَحَ وقد عَلَّمَهُ اللهُ كُلَّ شيءٍ فيها، فَأَمَرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بنَسخِها في جِلدٍ وهوَ الجَفرُ وفيهِ عِلمُ الأوَّلينَ والآخرينَ، وهوَ عندَنا والأَلواحُ عندَنا وعَصَا موسى عندَنا، ونحنُ وَرِثنا النّبيِّين صَلَّى اللهُ عليهِم أجمعينَ.

قالَ: قالَ أبو جعفرٍ عليه السلام: تلكَ الصّخرةُ التي حَفِظَت ألواحَ موسى تحتَ شجَرَةٍ في وَادٍ يُعرَفُ بكذا»[2]، وفي البصائرِ: إنَّ الباقرَ عليه السلام عرَّفَ تلكَ الصَخرةِ لِيمانيٍّ دخلَ عليهِ[3]، وفيهِ هذا الخبرُ بنَحوٍ آخَرَ: عن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام وفي آخِرهِ: «فأخذَهُ النّبيُّ صلى الله عليه وآله وإذا هوَ كتابٌ بالعِبرانيّةِ دقيقٌ فدَفعَهُ إليَّ

(١) هو: «الكتابُ المشتملُ على عِلمِ المنايا والبَلايا، وعِلمِ ما كانَ وما يكونُ إلى يومِ القيامَةِ، الّذي خَصَّ اللهُ بهِ مُحَمَّدًا والأئمَّةَ مِن بَعدِهِ عليهم السلام». غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام: ٤: ١٢١.

(٢) تفسير العياشي: ٢: ٢٨، حديث رقم: ٧٧.

(٣) ينظر: بصائر الدرجات: ١٦٢.

ووَضَعتُهُ عند رأسي فأَصبَحتُ بالغَداةِ وهوَ كتابٌ بالعَربيَةِ جليلٌ فيهِ عِلمُ ما خلَقَ اللهُ منذُ قامَتِ السّماواتُ والأرضُ إلى أن تقومَ السّاعةُ فَعُلِّمتُ ذلكَ»(١).

وقولُهُ تعالى: ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

التَّولّي: الإعراضُ وجعلُ الشّيءِ خلفَ الظّهرِ، وهوَ مُطاوعٌ قولَهم وَلّاهُ فلانٌ دُبُرَهُ: إذا استدبَرَ عنهُ وجعلَهُ خلفَ ظهرِهِ، ويقالُ: وَلّى الشيءُ: إذا ذهَبَ هاربًا ومُدبرًا، وتَولّى عنهُ: إذا أعرَضَ، ثمَّ استُعمِلَ في كُلِّ تاركٍ طاعةِ آمِرٍ ومُعرِضٍ بوجهِهِ، وفي كُلِّ مَن خالفَ ما وعَدَ اللهُ وما عهِدَهُ وما عَقَدَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا ﴾(٢)، أي: خالَفوا ما وَعدُوا اللهَ وما عاهَدُوهُ من قولِهِ حكايَةً عنهم: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣)، والخُسرانُ: ذهابُ رَأسِ المالِ، والخاسِرُ: هو الذي ذهبَ رأسُ مالِهِ، ورأسُ مالِ الإنسانِ: نفسُهُ، وما سِواها ممَّا يحصلُ من المنافِعِ فهوَ: رِبحٌ.

الإعراب: [٣٦٦]

(ثُمَّ): حرفُ عطفٍ، و(من ذلكَ): مُتعلّقٌ بقولِهِ: تولَّيتم.

تحقيقُ معنى (لو ولولا):

و(لَو) في الأَصلِ: لتعليقِ حصولِ مَضمونِ الجَزاءِ بحصولِ الشّرطِ فَرضًا في الماضي مع القَطعِ بانتِفاءِ الشّرطِ، فهيَ موضوعَةٌ لامتِناعِ الثّاني، أَعني: الجزاءَ لامتِناعِ الأَوَّلِ، أعني: الشّرطَ، يعني: أنّها للدَّلالةِ على أنَّ انتفاءَ الثّاني في الخارجِ إنّما هوَ بسببِ انتِفاءِ الأَوَّلِ، فَمعنى قولُهُ تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ

(١) بصائر الدرجات: ١٦١.

(٢) سورة التوبة ٩: ٧٦.

(٣) سورة التوبة: ٩: ٧٥.

﴿فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]: أنَّ انتفاءَ الفسادِ إنَّما هوَ بسببِ انتِفاءِ تعدُّدِ الآلهةِ، يعني: أنَّها تُستعمَلُ للدَّلالةِ على أنَّ عِلّةَ انتفاءِ مضمونِ الجزاءِ في الخارجِ هيَ: انتفاءُ مضمونِ الشّرطِ مِن غيرِ التفاتٍ إلى أنَّ علّةَ العلمِ بانتفاءِ الجزاءِ ما هيَ؟

دفعُ اعتِراضِ ابنِ الحاجِبِ:

فلا يَرِدُ عليهِ ما أَوردَهُ ابنُ الحاجبِ: (بأنَّ الأَوَّلَ سببٌ والثّاني مُسبَّبٌ، وانتفاءُ السّببِ لا يدلُّ على انتفاءِ المُسبَّبِ؛ لجوازِ أن يكونَ للشّيءِ أَسبابٌ مُتعدِّدةٌ، بل الأمرُ بالعَكسِ)[2]، انتهى.

فإذا دخلَت على (لا) أَفادَ إِثباتًا، وهو: امتِناعُ الثّاني لِثبوتِ الأوَّلِ، قال المحقّقُ التّفتازاني: (ألا ترى أنَّ قولَهم: لولا: لامتِناعِ الثّاني لوجودِ الأوَّلِ، نَحوَ قولهُ: لولا عليٌّ لهلَكَ عُمَرُ، معناهُ: أنَّ وجودَ عليٍّ سبَبٌ لعدمِ هلاكِ عُمَرَ، لا أنَّ وجودَهُ دليلٌ على أنَّ عُمَرَ لم يهلكْ)[3]، انتهى.

والاسمُ الواقعُ بعدهُ عندَ سيبويه[4]: مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ وجوبًا إذا كانَ من أفعالِ العمومِ لِدلالةِ (لولا) عليهِ، وسَدِّ جوابِ (لولا) مَسدَّهُ، هذا إذا تَعلَّقَ الامتناعُ على نفسِ المبتدأِ دونَ صِفَتِهِ، نَحوَ: لولا زيدٌ لأكرمتُكَ أي: لولا زيدٌ موجودٌ لأكرمتُكَ، ولولا عليٌّ لهلَكَ عُمَرُ، أي: موجودٌ، فَحُذِفَ الخبرُ لحصولِ شَرطَي الحذفِ، أعني: القرينةَ الدّالةَ على الخبرِ المعيَّنِ وهيَ (لولا)، واللفظَ السّادَّ مَسَدَّ الخبرِ، وهوَ: جوابُ لولا، ولا يجوزُ أن يكونَ جوابُ لولا خبَرَ المبتدأِ؛ لكونِهِ جملةً خاليةً عن العائدِ في الأغلبِ، نَحو: لولا زيدٌ لأكرمتُكَ، ولولا عَليٌّ إلى آخِرِهِ، وقولِ الشّاعرِ:

لَولا رَجاؤُكَ قد قَتَّلتَ أَولادِي		[كانوا ثَمانينَ أو زادُوا ثَمانيةً][5]

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١: ٢٢.

(٢) لم يقف الباحث على قول ابن الحاجب في كتبه، وأثبته عن التفتازاني في مختصر المعاني: ٩٤.

(٣) مختصر المعاني: ٩٤.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢: ١٢٩.

(٥) البيت من البسيط، وهو لجرير بن عطيّة، ديوانه: ٢: ٧٤٥، كما ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٤: ٥٦، ومغني اللبيب: ١: ٢٧٢.
والشاهد فيه: مجيء جواب لولا خاليًا منَ العائدِ.

وأمَّا إذا كان الخبرُ خاصًّا وهوَ إذا تعلَّقَ الامتناعُ على صفةِ المبتدأِ لا نفسِهِ فلا يجبُ حَذفُ الخبَرِ، بل إمَّا يجبُ ذِكرُهُ إذا فُقِدَ دليلُهُ، كقولِهم: لولا زيدٌ سالِمًا ما سَلِمَ، وفي حديثِ عائشةَ: (لولا قومُكِ حَديثو عَهدٍ بكُفرٍ لَبَنيتُ الكعبَةَ على قواعدِ إبراهيمَ عليه السلام)[1]، وفي روايةٍ أُخرى: (لولا قومُكِ حَديثو عَهدٍ بالإسلامِ لهَدَمتُ الكعبةَ وجَعَلتُ لها بابينِ)[2]، وكقولِ الزّبيرِ بنِ العوّامِ في زوجتِهِ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، وكانَ ضَرًّا للنّساءِ:

ولولا بَنوها حَولَها لَخَبَطتُها كَخَبطَةِ عُصفُورٍ ولَمَ أَتَلَعثَمِ [3]

وإمَّا يجوزُ فيهِ الوَجهانِ: الذّكرُ والحَذفُ إذا كان الخاصُّ معلومًا بالقَرينةِ، كَما قالَ أبو العلاءِ المعرّيّ:

يُذيبُ الرُّعبُ منهُ كُلَّ عَضبٍ فَلَولا الغِمدُ يُمسِكُهُ لَسالا [4]

---

(١) مسند أحمد: ٦: ١١٣، وصحيح البخاري: ٢: ١٥٦، وبحار الأنوار: ٢٩: ٤١٢، وقد جاء فيها الحديث بنص: (قالت: قُلتُ: يا رسولَ الله أفلا تَردَّها على قواعدِ إبراهيمَ؟ قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لولا حَدَثانِ قَومِكِ بالكفرِ).

(٢) صحيح مسلم: ٤: ٩٨، وسنن الترمذي: ٢: ١٨١، حديث رقم: ٨٧٦، وجاءَ الحديثُ بلفظِ: (لولا أنَّ قومَكِ حديثُو عهدٍ بشركٍ لَهَدمتُ الكعبَةَ فَألزقتُها بالأرضِ، وجَعلتُ لَها بابَينِ)، وبلفظٍ آخر: (لولا أنَّ قومَكِ حديثُو عهدٍ بالجاهليّةِ لَهَدمتُ الكعبَةَ وَجعلتُ لَها بابَينِ).

(٣) البيت من الطويل. ينظر: مغني اللبيب: ٢: ٤٣١، وشرح ابن عقيل: ١: ٢٤٩.

ومنه في حاشية الأصل: وخَبرُ المبتدأِ المذكورُ في الحَديثينِ هوَ: لفظُ (حَديثو عَهدٍ)، وفي البيتِ لفظُ (حَولَها)، والضّميرُ في بَنوها، وَحَولهَا، وخَبَطتها، يَرجِعُ الى: أسماءَ، وجُملةُ: (لَخَبَطتُها): جوابَ لَولا، وَ(كَخَبطَةِ عُصفورٍ): نَعتٌ لِمصدَرٍ مُقدَّرٍ، أي: خَبطَةً كَخَبطَةِ عُصفُورٍ مِن خَبَطتُ الشّجرةَ بالعَصا: إذا ضَرَبتَها بها لِيَسقطَ وَرَقُها، ولَم أَتَلَعثَمْ: مِن تَلَعثَمَ بالأَمرِ: إذا تَأَنّى فيهِ.

(٤) البيت من الوافر. ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٨٧، ومغني اللبيب: ٣٦٠، الشاهد: ٤٩٣، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١: ٢١٨.

وقائله: هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: لغوي، وشاعر من شعراء الدولة العباسية، له عدّة تصانيف منها: رسالة الملائكة، ورسالة الغفران، ولزوم ما لا يلزم، وغيرها، توفي سنة (٤٤٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٨: ٢٣، والوافي بالوفيات: ٧: ٤٩. =

وفي هذا المبحثِ تحقيقٌ آخرٌ نفيسٌ ذكرناهُ مُفصَّلًا في زينَةِ السّالِكِ، وعندَ الكسائيِّ وسائِرِ الكوفيّين[1]: الاسمُ الواقعُ بعدَ لولا فاعلُ فِعلٍ مُقدّرٍ، أي: لولا وُجِدَ عليٌّ لهَلَكَ عُمَرُ، ولولا وُجِدَ زيدٌ لأكرمتُكَ، وقالَ الأخفشُ: الاسمُ الواقعُ بعد لولا: مرفوعٌ بـ(لولا)[2]، ففي ما نحنُ فيهِ: (فَضلُ الله): مُبتدأٌ، والخبَرُ: إمَّا محذوفٌ، وحينئذٍ (عليكُم): مُتعلِّقٌ بـ(فضلِ الله)، أي: فلولا فَضلُ الله عليكُم ورحمَتُهُ إيّاكُم كائنانِ لكنتُم مِن الخاسِرينَ، وإمَّا أن يكونَ الخَبَرُ: عليكُم، فلا حَذفَ، كما في قولِهِ:

ولَولا بَنُوها حَولَها لَخَبطتُها　　　　كَخَبطَةِ عُصفُورٍ ولَم أَتَلَعثَمِ[3]

المعنى:

﴿**ثُمَّ**﴾، أي: بعدَ أَخذِ الميثاقِ ونَتقِ الجَبَلِ ورَفعِهِ فَوقَكُم وقَبولِكُم العَمَلَ بما فيها والذِّكرِ والتّفكّرِ فيها، ﴿**تَوَلَّيْتُمْ**﴾، أي: أعرَضتُم عنِ الوَفاءِ بالميثاقِ والعَهدِ الذي أخذناهُ عليكُم ﴿**مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾، أي: من بعدِ أَخذِ الميثاقِ، وَنبَذتُموهُ وراءَ ظُهورِكُم وجَعَلتُموهُ نَسيًا منسِيًّا، ﴿**فَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ**﴾، أي: فَلولا أن تَفَضَّلَ اللهُ عليكُم بِتوفِيقِكم للتّوبةِ بعدَ نَكثِكُم الميثاقَ الذي وَاثَقتُموهُ عندَ

= ومنه في حاشية الأصل: فَلَو قيلَ في الكلامِ: فلَولا الغِمدُ لَسالَ: لجازَ، ولكنَّهُ اختارَ ذكرَ الخَبَرِ رفعًا لإيهامِ تَعلّقِ الامتناعِ على نَفسِ الغِمدِ بطريقِ المجازِ، ويُذيبُ: مِن الإذابةِ، وهيَ: السَّيَلانُ، والرُّعبُ بضمِّ الرّاءِ وسكونِ العينِ المُهملَتينِ: الخَوفُ، فاعلُ يُذيبُ، ومنهُ: مُتعَلِّقٌ بهِ، وكُلَّ عَضبٍ: مفعولٌ بهِ، والعَضبُ بفتحِ العَينِ المُهملةِ وسُكونِ الضّادِ المُعجمةِ: السّيفُ القاطعُ، والغِمدُ بالكَسرِ: غِلافُ السّيفِ، وهو مبتَدأٌ، وجملةُ: (يُمسِكُهُ): خَبَرُهُ، وجملَةُ: (لَسالَ): جوابُ لَولا، والمُستَتِرُ فيهِ عائدٌ على عَضبٍ، والألِفُ: للإطلاقِ، وكذا قولُهُم: لَولا أنصارُ زيدٍ حَمُوهُ ما سَلِمَ، فلَو قيلَ: لَولا أنصارُ زيدٍ ما سَلِمَ لجازَ أيضًا.

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: ١: ٦٠، والجنى الداني في حروف المعاني: ٦٠٢، والمساعد على تسهيل الفوائد: ١: ٢١٢.

(٢) ينظر: شرح قواعد الإعراب: ١: ٦٨.

(٣) مرَّ بيانه قريبًا.

رَفعِ الطّورِ فَوقَكُم وأنعمَ عليكُم بالإسلامِ، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ التي شَملتكُم، ورَحِمَكُم بها فَتَجاوَزَ عنكُم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذّاهِبِ رُؤوسُ أموالِهِم، المغبُونينَ مِن جَميعِ الجهاتِ.

وفي تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «ولَولا فَضلُ اللهِ عليكُم وَرَحمَتُهُ بإمهالِكُم للتّوبةِ وإنظارِكُم لِلإنابَةِ»[1].

وقال في المجمَعِ: «ويُحتَمَلُ أن يكونَ المعنى: فَلولا فَضلُ اللهِ عليكُم بإمهالِهِ إيّاكُم بعدَ تَولّيكُم عن طاعَتِهِ حَتَّى تابَ عليكُم برجوعِ بعضِكُم عن ذلكَ وتوبَتِهِ لكنتُم من الخاسِرينَ»[2]، انتهى. وهذا قريبٌ مِن تفسيرِ الإمامِ عليه السلام. [٣٦٧]

وقالَ أبو العاليةِ[3]: «فضلُ اللهِ: الإيمانُ، ورحمَتُهُ: القرآنُ، أي: فَلَولا اقداري لَكُم على الإيمانِ، وإزاحةِ عِلّتِكُم، حتّى فعلتم الإيمانَ؛ لَكنتُم مِن الخاسرينَ»[4] انتهى، وإنّما جعَلَ الإيمانَ وَتوبَتَهُ التي نَجَوا بها فَضلًا منهُ سُبحانُهُ مِن حيثُ كانَ هوَ الدّاعيَ إليهِ والمُقدِّرَ لهُ والمُرغِّبَ فيهِ، فجميعُ ذلكَ مِن فَضلِ اللهِ وإحسانِهِ.

قولُهُ تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)** ﴾ آيتانِ:

القراءة:

قُرِئَ: خاسِيينَ بلا هَمزٍ، والجمهورُ: بالهمزةِ وهي الفُصحى[5].

اللغة:

العِلمُ منَ الأفعالِ القَلبيّةِ؛ سُمِّيَت بها لِكونِ مَعانيها قائمةً بالقَلبِ، وهي ثلاثةُ أنواعٍ:

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٧ مع اختلاف يسير.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٤٧.

(٣) هو: رفيعُ بنُ مهران الرّياحيّ البصريّ: أدرك الإسلام، وأسلم بعد وفاة النّبيِّ صلى الله عليه وآله بسنتينِ، رَوى عن جماعةٍ منَ الصّحابةِ، كانَ عالمًا بالقرآنِ، توفي سنة (٩٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال: ٦: ٢٢٠.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٤٦.

(٥) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ١: ٧٨، وهي قراءة حمزة.

نوعٌ لا يَتَعدَّى إلى مفعولٍ بِنفسِهِ أَصلًا، نَحوَ: فَكَّرَ في كذا، وتَذَكَّرَ فيهِ وتَفكَّرَ وتَيقَّنَ وجَبُنَ. وَنوعٌ يَتَعدَّى لمفعولٍ واحدٍ بنفسِهِ، نَحو: عَرَفَ زيدٌ الحقَّ، وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[1]، وفَهِمَ زيدٌ المسألةَ، وكَرِهَ زيدٌ كذا، وعَلِمَ زيدٌ الحقَّ، وقولُهُ تعالى: ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2]، بمعنى: يعرفونَ، وقالَ تعالى: ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[3]، أي: لا تَعرفونَهُ. ونَوعٌ يَتَعدَّى إلى مفعولينِ بنفسِهِ، نَحوَ: عَلِمَ ورأى وخَالَ وظَنَّ، ونَحوِها: عَلِمتُ زيدًا فاضلًا، وقالَ تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾[4]، وقالَ تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[5]، وقالَ الشّاعرُ:

عَلِمتُكَ الباذلَ المعروفَ فانبَعَثَت إليكَ بي واجِفاتُ الشّوقِ والأَمَلُ[6]

ثمَّ إنَّ عَلِمَ ثَلاثةُ أنواعٍ:

النَّوعُ الأوَّلُ: لازِمٌ لا يَتَعدَّى إلى مفعولٍ بنفسِهِ أَصلًا، وهوَ عَلِمَ بمعنى: صارَ، أعلَمَ، أي: صارَ مَشقوقَ الشّفَةِ العُليا، يقالُ: عَلِمَ الرّجلُ عُلمَةً بالضّمِّ: إذا صارَت شَفَتُهُ العُليا مشقوقَةً فهو: أَعلَمُ.

النّوعُ الثّاني: يَتَعدَّى إلى مفعولٍ واحِدٍ بنفسِهِ، نَحو: عَلمتُ زيدًا، بمعنى: عَرفتُهُ، وعَلِمتُ أخاكَ ولمْ أَكنْ أعلَمُهُ، وقولُهُ: ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[7] كما مَرَّ، وقولُهُ تعالى: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٣) سورة النحل ١٦: ٧٨.

(٤) سورة محمد ٤٧: ١٩.

(٥) سورة سبأ ٣٤: ٦. ومنه في حاشية الأصل: الّذينَ: مفعولٌ أوّل يرى: والحقَّ: مفعولُهُ الثّاني، وهوَ: ضميرُ الفصلِ.

(٦) البيت من البسيط، مجهول القائل. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ٥٤٢، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١: ٣٥١. الشاهد فيه: مجيء الفعل عَلِمَ بمعنى اليقين وقد تعدّى إلى مفعولين بنفسه؛ لأنّهُ ناظرٌ إلى أحوالِهِ وصفاتِهِ.

(٧) سورة النحل ١٦: ٧٨.

تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1]، أي: لا تعرِفونَهم اللهُ يَعرِفُهُم، والآيةُ التي نحنُ فيها مِن هذا النّوعِ أي: لقد عَرفتُم.

النّوعُ الثّالثُ: يَتَعدَّى إلى مفعولينِ بنفسِهِ، نَحوَ: عَلِمتُ زيدًا كريمًا كما مَرَّ.

والفَرقُ بينَ النّوعِ الثّاني الذي يَتَعدَّى إلى مفعولٍ واحِدٍ، والنّوعِ الثّالثِ الذي يَتَعدَّى إلى مفعولينِ: إنَّ المعرفَةَ تنصَرِفُ إلى ذاتِ المُسمّى، والعِلمُ ينصَرِفُ إلى أَحوالِهِ، فاذا قُلتَ: عَلِمتُ زيدًا، فالمرادُ عَرفتُ شَخصَهُ، وعَلمتُ زيدًا لئيمًا أو كريمًا، فالمرادُ عَلِمتُ أَحوالَهُ مِن فَضلٍ أو نَقصٍ، كما بيَّنّاهُ مَفصَّلًا مُستَوفًى في زينَةِ السّالِكِ.

والاعتِداءُ: الظّلمُ وتَجاوزُ الحدِّ الذي حَدَّهُ اللهُ سبحانُهُ، والسّبتُ: مِن جُملةِ أَيّامِ الأُسبوعِ، والسّبتُ: القَطعُ، والسّبتُ: الرّاحةُ، قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[2]، أي: قَطعًا عَنِ الإحساسِ والحَركةِ، واستِراحَةً للقُوى، قالَ الزّجّاجُ: «السّبتُ قِطعَةٌ منَ الدّهرِ؛ فسُمّيَ بها اليومَ، وقالَ أبو عُبيدةَ: سُمّيَ بذلِكَ؛ لأنَّهُ يومٌ سُبِتَ فيهِ خَلقُ كُلِّ شيءٍ»[3]، أي: قُطِعَ وفُرِغَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ العالَمَ في سِتّةِ أَيّامٍ آخِرُها الجُمعَةُ وانقَطَعَ العَمَلُ؛ فَسُمّيَ اليومُ السّابعُ يومَ السّبتِ لذلِكَ، وقالَ قومٌ: سُمّيَ بهِ؛ لأنَّ قومَ موسى يَسبِتونَ فيهِ الأعمالَ[4]، وقالَ آخرونَ: سُمّيَ به لِما لَهم فيهِ من الاستِراحَةِ؛ لأنَّ أصلَ السّبتِ السُّكونُ والرّاحةِ، ويقالُ للنّائِمِ مَسبوتٌ؛ لاستِراحَتِهِ وسُكونِ جَسَدِهِ عَن الاحساسِ والحَركَةِ[5]، والاسباتُ: الدّخولُ، والسُّباتُ: نَومُ المريضِ والشّيخِ المُسنِّ وهو: النَّومَةُ الخفيفةُ، فأصلُهُ منَ السّبتِ للرّاحَةِ والسّكونِ، أو منَ القَطعِ وتَركِ الأَعمالِ.

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٦٠.

(٢) سورة النبأ ٧٨: ٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٤٧.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٩٢.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٤.

والسِّبتُ بالكَسرِ: جُلودُ البَقرِ المدبُوغةُ بالقَرَظِ[1] يُتَّخَذُ منها النّعالُ؛ سُمِّيَت بذلكَ لأنَّ شَعرَها قد سُبِتَ عنها أي: حُلِقَ وأُزِيلَ وقُطِعَ.

والقِرَدَةُ بكسرِ القافِ والرّاءِ والدّالِ المفتوحَتين: جَمعُ مُكسّر: قِردٍ بكسرِ القافِ وسُكونِ الرّاءِ، وهو: حَيَوانٌ معروفٌ، والأُنثى قِردَةٌ بسكون الرّاءِ، وفِعلٌ يُجمَعُ على ثمانيةِ أَوزانٍ فِعَلَة أَحدُها، والخاسِئُ بالهَمزِ: المُبعَدُ والمطرودُ، يقالُ: خَسأتُ الكَلبَ مِن بابِ مَنَعَ أخسَأُهُ خَسأً وخُسُوءًا، أي: طردتُهُ وأَبعدتُهُ، وخَسَأَ الكلبُ يَخسَأُ خُسُوءًا كانخَسَأَ وخَسِئَ، ويقالُ خَسأتُ الكلبَ فَخَسَأَ وانخَسأَ أي: طردتُهُ فَانطَرَدَ يتَعَدَّى ولا يَتعدَّى، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[2]، قالَ الرّاجِزُ:

كَالكَلبِ إن قُلتَ لهُ اخسَأ انخَسَأ[3]

ويكونُ الخاسِئُ: الصّاغرُ القَمِئُ[4]، أي: الذّليلُ. والنَّكالُ هوَ: العقوبَةُ [٣٦٨] وإِرهابُ الغَيرِ، وأصلُهُ: المنعُ مِن النّكلِ، وهوَ: القَيدُ واللِجامُ أيضًا؛ لأَنَّهُ يَمنعُ المُقيَّدَ مِن الفِرارِ، والفَرَسَ عنِ الجِماحِ والشِّماسِ[5]، وسُمّيَتِ العُقوبةُ نَكالًا؛ لأنّها تَمنَعُ عن ارتكابِ مثل ما ارتَكبَهُ مَن نَزَلَت بهِ، وقَطعُ الأُذُنِ والأنفِ وكالعَذابِ لَفظًا ومعنًى، يقالُ: نَكَلَ عن الأَمرِ ينكُلُ: كَنَصَرَ يَنصُرُ ونَكِلَ يَنكَلُ كَعَلِمَ يَعلَمُ كلاهُما بمعنى: امتنَعَ، ومنهُ النّكولُ في اليمينِ وهو: الامتِناعُ منها وتَركُ

---

(١) القرظ: «شجرٌ معروف يُدبغُ به». جمهرة اللغة: ٢: ٧٦٣.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠٨.

(٣) وهو ما أنشده أبو عبيدة. الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٢٧، وجاء بلفظ: (إن قيل له). أي: كالكلب إن طردته وأبعدته ابتعد.

(٤) «قَمأَ كجَمعَ وكَرُمَ: ذَلَّ وصَغُرَ فهوَ: قَمِيءٌ». القاموس المحيط: ١: ٢٥، (قمأ).

(٥) «جَمِحَ الفرسُ بصاحبِهِ جماحًا: إذا ذهبَ جريًا غالبًا، وكُلُّ شيءٍ مضى لوجهِهِ على أمرٍ فقد جَمَحَ». العين: ٣: ٨٨، (جمح). وشَمَسَتِ الدّابةُ تَشْمُسُ شِماسًا وشُمُوسًا وهي: شَمُوسٌ: شَرَدَتْ وجَمَحَتْ». المحكم والمحيط الأعظم: ٨: ٥، (شمس).

الإقدامِ عليها، والنُّكولُ أيضًا: جمعُ نَكلٍ وفي الحديثِ: «يُؤتى بقَومٍ في النُّكولِ»(١) يعني القُيودَ. والموعِظَةُ والعِظَةُ والوَعظُ: الحُجّةُ والنّصيحةُ، وفي الحديثِ: «على رأسِ الصّراطِ واعِظُ الله تعالى في قَلبِ كُلِّ مسلمٍ»(٢) يعني: حُجَجَهُ التي تَنهاهُ عنِ الدُّخولِ فيما حَرَّمَهُ اللهُ تعالى عليهِ ومَنَعَهُ منهُ، وأصلُهُ التّخويفُ، يقالُ: وَعَظتُ فُلانًا مَوعِظَةً وعِظَةً ووَعظًا، والتّقوى قد مَرَّ لغةً ومَعنًى.

الإعراب:

(الذينَ اعتَدَوا): مفعولٌ بهِ لِـ(عَلمتُم)، و(منكُم): حالٌ من (الواوِ) في (اعتَدوا)، و(في السّبتِ): مُتعَلّقٌ بـ(اعتدَوا)، وجملةُ: (كُونوا قِرَدَةً): مقولُ قُلنا، والأمرُ هنا للتّسخيرِ كما يَجيءُ بيانُهُ في المعنى، و(خاسِئينَ): خبرٌ بعدُ لـ(كونوا)، و(الهاءُ) في (جعلناها): مفعولُهُ الأوّلُ وهي عائدَةٌ إلى الأمّةِ التي مُسِخَت، وهم: أَهلُ أيلةَ(٣): قَريَةٌ على شاطِئِ البَحرِ، وهو المرويّ عن أبي جعفرٍ عليه السلام(٤)، وقال الزّجّاجُ: (هيَ عائدَةٌ إلى المَسخَةِ، أو إلى العُقوبةِ، أو إلى القَريةِ التي اعتَدَى أَهلُها فيها)(٥).

(لِما بينَ يدَيها): مُتعلِّقٌ بـ(نَكالًا)، و(مَوعِظَةً): عطفٌ على نَكالًا في كونِها مَفعولًا ثانيًا لجعلناها مثلَهُ.

المعنى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾، أي: لقد عَرفتُم يا معشرَ اليهودِ ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾، أي: الذينَ ظلَمُوا وجاوَزوا ما أَمَرَهم الله عَزَّ وجَلَّ بهِ من تَركِ صَيدِ الحِيتانِ يومَ السّبتِ حالَ كونِهِم منكُم؛ وذلك أنَّ الحيتانَ تجتَمِعُ في يومِ السّبتِ؛ لِكونِها آمنةً يومئذٍ لِقولِهِ تعالى في سورةِ الأَعرافِ: ﴿ إِذْ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٢٠٦.

(٣) وهي: (مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود تقع على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشّام). معجم البلدان: ١: ٢٩٢.

(٤) ينظر: سعد السعود: ١١٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٤٩.

تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾[1] فَحَبَسوها يومَ السّبتِ لِيأخُذوها يومَ الأحدِ فاعتِداؤهُم وظُلمُهُم في السّبتِ هوَ هذا الحَبسِ، واُختُلِفَ في أنَّهم كيفَ اصطادُوا في السَّبتِ؟ فقيلَ: إنّهم ألقَوا الشَّبكَةَ في الماءِ يومَ السّبتِ حتّى كانَ يقَعُ فيها السّمكُ فلا يُخرِجونَ الشَّبكَةَ مِن الماءِ إلى يومِ الأَحدِ، وهذا السَّبتُ محظورٌ.

وعن ابنِ عبّاس: «إنّهم اتَّخذوا الحِياضَ والغُدرانَ فكانوا يَسوقونَ الحيتانَ إليها، ولا يُمكِنُها الخُروجُ منها فيَأخذونَها يومَ الأَحَدِ»[2]، وهذا السَّبتُ أيضًا محظورٌ، وهذان الوجهانِ: هُما الصَّحيحُ والأَصلُ كما يَجيءُ آنفًا في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام، وعنِ الحسنِ: إنَّهم اصطادُوها وتَناوَلوها بأيدِيهم في يومِ السَّبتِ مُستَحلّينَ بعدَ ما نُهُوا عنهُ[3]، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، أي: كونوا جامِعينَ بينَ القِرَدَةِ والخَسؤُ.

حقيقةُ هذا الأمر:

وهذا الأمرُ كما مَرَّ للتّسخيرِ فهوَ أَمرٌ صورةٌ، وليسَ بأمرٍ حَقيقةً، إذ لا قُدرَةَ لهم على ذلكَ، وفي المعنى إخبارٌ عَن سُرعةِ فِعلِهِ سبحانِهِ ومَسخِهِ إيَّاهُم لا أنَّ هناك أمرًا، ومعناهُ فَجَعلناهُم قِرَدَةً، ونَحوهُ قولُهُ تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[4]، ولم يكن هُناكَ قولٌ وإنَّما أَخبَرَ سبحانُهُ عن تَسهُّلِ الفِعلِ عليهِ وتِكوِّنِهِ بلا مَشَقّةٍ ولا استِعمالِ آلةٍ كقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5]، ﴿ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٦٣.

(٢) زبدة التفاسير: ٢: ٦١٥، وبحار الأنوار: ١٤: ٦٠.

(٣) ينظر: مجمع البيان: ٤: ٣٨١، وبحار الأنوار: ٦٦: ١٠١.

(٤) سورة فصلت ٤١: ١١.

(٥) سورة النحل ١٦: ٤٠.

فَيَكُونُ﴾[1]، و﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2]؛ وذلكَ لأنَّ إِرادَتَهُ سبحانَهُ: إِحداثُهُ، كما مَرَّ بَيانُهُ مُفصَّلًا في أوائِلِ هذهِ السّورةِ. [٣٦٩]

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «قالَ عليُّ بنُ الحسينِ عليهما السلام: كانَ هؤلاءِ قومًا يسكنونَ على شاطِئِ بَحرٍ [قريةٍ اسمُها أيلَةَ]، نَهاهُم اللهُ تعالى وأنبياؤهُ عليهم السلام عن اصطيادِ السَّمَكِ في يومِ السَّبتِ، فتَوصَّلوا إلى حيلةٍ لِيُحِلُّوا بها لأنفسِهم ما حرَّمَ اللهُ، فَخَدُّوا أخاديدَ، وعَمِلوا طرُقًا تُؤدِّي إلى حِياضٍ، يَتَهَيَّأُ للحِيتانِ الدُخولُ فيها من تلكَ الطُرُقِ، ولا يَتَهيَّأُ لها الخُروجُ إذ هَمَّت بالرّجوعِ، فجاءَتِ الحيتانُ يومَ السَّبتِ جاريةً على أمانٍ لها، فَدَخلتِ الأخاديدَ وحَصَلَت في الحِياضِ والغُدرانِ، فلَمّا كانت عَشيّةُ اليومِ هَمَّت بالرّجوعِ منها إلى اللّجَجِ[3] لِتأمَنَ من صائِدِها، فَرامَتِ الرّجوعَ فَلَم تَقدِرْ، وبَقِيَت لَيلَتَها في مَكانٍ يَتَهَيَّأُ أَخذُها بلا اصطِيادٍ؛ لاستِرسالِها فيهِ، وعَجزِها عن الامتِناعِ لِمَنعِ المكانِ لها، فكانوا يَأخُذونَها يومَ الأَحَدِ، ويقولون: ما اصطَدناها يَومَ السَّبتِ، إنَّما اصطَدنا في الأحَدِ، وكَذَبَ أعداءُ اللهِ بل كانوا آخذينَ لها بأخادِيدِهم التي عَمِلُوها يومَ السَّبتِ حتّى كَثُرَ من ذلك مالُهم وثَراؤُهُم، وتنَعَّمُوا بالنِّساءِ وغيرِهنَّ؛ لاتِّساعِ أيديهم بهِ، وكانوا في المدينةِ نَيِّفًا وثمانينَ ألفًا، فعَلَ هذا منهم سَبعُونَ ألفًا، وأنكرَ عليهم الباقونَ، كما قَصَّ اللهُ تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾[4] الآية، وذلكَ أنَّ طائفةً منهم وعَظُوهم وزَجرُوهم، ومِن عَذابِ اللهِ خوَّفوهُم، ومن انتقامِهِ وشدائدِ بأسِهِ حَذَّروهم، فأجابوهم من وعظِهِم [طائفةٌ أُخرى]: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾[5] بذنوبِهِم هَلاكَ الاستئصالِ ﴿ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[6]، أجابَ القائِلونَ هذا لَهُم :

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٦٨.

(٢) سورة يس ٣٦: ٨٢.

(٣) جمع لجّة : وهو: مُعظمُ الماء . القاموس المحيط: ١: ٢١٢، (لجج).

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٦٣.

(٥) سورة الأعراف ٧: ١٦٤.

(٦) سورة الأعراف ٧: ١٦٤.

﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾[1]، أي: هذا القَولُ مِنّا لهم مَعذرَةً إلى ربِّكم إذ كُلِّفنا الأمرَ بالمعرُوفِ والنَّهيَ عن المنكَرِ؛ لِيعلَمَ ربُّنا مُخالَفتَنا لهم، وكراهَتَنا لِفعلِهم، ولَعلَّهم يتَّقونَ، ولَعلَّهم ينجَعُ فيهم المواعِظُ، فيتَّقوا هذهِ الموبِقَةَ، ويَحذَروا عُقوبَتَها، فلمّا عَتَوا وأَعرَضُوا وتَكبَّروا عن قَبولِ الزَّجرِ عَمّا نُهُوا عنهُ قُلنا لهم كُونوا قِرَدةً خاسِئينَ مُبعَدينَ مِن الخيرِ، مُغضَبينَ، فنَظَرَ العَشرةُ الآلافُ والنَّيِّفُ أنَّ السَّبعينَ ألفًا لا يَقبَلونَ مَواعِظَهُم، ولا يَخافونَ بتَخويفِهِم إيَّاهُم وتَحذيرِهِم لهم، اعتَزَلوا إلى قَريةٍ أُخرى قَريبةٍ من قريتِهِم وقالوا: نَكرَهُ أن يُنزَلَ بهم عَذابُ اللهِ ونَحنُ في خِلالِهِم، فَأمسَوا لَيلَةً، فمَسَخَهم اللهُ تعالى كُلَّهم قِرَدَةً، وبَقيَ بابُ المدينةِ مُغلَقًا لا يَخرُجُ منهم أحدٌ ولا يَدخُلُهُ أحدٌ.

وتَسامَعَ بذلكَ أهلُ القُرى فقَصَدُوهم، وتَسَنَّموا[2] حِيطانَ البلدِ، واطَّلَعوا عليهِم فإذا هُم كلُّهُم رِجالُهُم ونِساؤُهُم قِرَدَةً يموجُ بعضُهُم في بَعضٍ يَعرِفُ هؤلاءِ النّاظرينَ معارِفَهم وقراباتِهِم وخُلَطاءَهم، يقولُ المُطّلِعُ لبعضِهِم: أنتَ فُلانٌ ؟ أنتِ فُلانَةٌ ؟ فَتَدمَعُ عينُهُ، ويُؤمِئُ برأسِهِ أو بفَمِهِ بَلى، أو نَعم.فما زالوا كذلكَ ثلاثةَ أيّامٍ، ثمَّ بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ مَطَرًا وريحًا فَحَرَفَهم إلى البَحرِ، وما بَقيَ مَسخٌ بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ، وإنَّما الذينَ تَرَون مِن هذهِ المُصَوَّراتِ بصُورِها فإنَّما هيَ أشباهُها، لا هيَ بأعيانِها ولا مِن نَسلِها»[3]، انتهى الحديث.

وفي أُصُولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى الحسينِ بنِ ميمون عن مُحمَّدِ بنِ سالمٍ[4] عن أبي جعفر عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ فيهِ يقولُ عليه السلام: «وكانَ منَ السَّبيلِ والسُّنّةِ التي أَمرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بها موسى عليه السلام أن جَعَلَ عليهِم السَّبتَ، وكانَ مَن أَعظَمَ السَّبتَ، ولَم يَستَحل أن يَفعَلَ فيهِ ذلكَ مِن خَشيةِ اللهِ أَدخَلَهُ

(١) سورة الأعراف ٧: ١٦٤.

(٢) أي: عَلَوا. ينظر: لسان العرب: ١٢: ٣٠٦، (سنم).

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٦٨. والاضافة من المصنِّف غير موجودة في المصدر المعتمد؛ لاحتمال الاختلاف في النسخ المعتمدة.

(٤) هو: أبو سلمة الكندي السّجستاني: روى عن الباقر عليه السلام، لهُ كتابٌ. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٢١٥، ٢١٥، ترجمة رقم: ٦٠٨، ورجال ابن داود: ١٧٢: ترجمة رقم: ١٣٨٢.

اللهُ الجنَّةَ، وَمَنِ استَخَفَّ بحقِّهِ واستَحَلَّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى عليهِ مِن العَمَلِ الذي نَهاهُ اللهُ عنهُ فيهِ أَدخَلَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ النَّارَ وذلكَ حيثُ استَحلُّوا الحِيتانَ واحتبَسوها وأَكَلُوها يومَ السَّبتِ غَضِبَ اللهُ عليهِم مِن غَيرِ أن يكونُوا أَشرَكوا بالرّحمنِ ولا شَكُّوا في شَيءٍ ممَّا جاءَ بِهِ موسى عليه السلام قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1](2).

وفي تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: «قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: سيكونُ قومٌ يَبيتونَ على شُربِ الخَمرِ واللّهوِ والغِناءِ فَبينَما هُم كذلكَ إذ مُسِخُوا من لَيلَتِهم وأصبَحوا قِرَدَةً وخنازيرَ، وهوَ قولُهُ عليه السلام: واحذَروا أن تَعتَدوا كما اعتَدَى أصحابُ السَّبتِ، فَقَد كانَ أُمليَ لهم حَتَّى أَثروا، وقالوا: إنَّ السَّبتَ لنا حَلالٌ وإنَّما كانَ حُرِّمَ على أُولانا وكانوا يُعاقَبونَ على استحلالِهم السَّبتَ، فأمَّا نحنُ فليسَ علينا حَرامٌ وما زلنا بخيرٍ منذُ استَحلَلناهُ، وقد كَثُرَت أموالُنا وصَحَّت أجسامُنا، ثُمَّ أَخَذهم اللهُ ليلًا وهُم غافِلونَ فهو قولُهُ عليه السلام: واحذَرُوا أن يَحِلَّ بكُم مِثلَ ماحَلَّ بمَنْ تَعَدَّى وعَصَى»[3] .

وفي كِتابِ الخِصالِ: عَن أَبي عبدِ الله عليه السلام عن أبيهِ عن جَدِّهِ عليهم السلام قالَ: «المُسُوخُ مِن بَنِي آدمَ ثَلاثَةَ عَشَرَ صِنفًا إلى أن قالَ: فَأَمَّا القِرَدَةُ فكانوا قَومًا من بني إسرائيلَ ينزِلونَ على شاطِئِ البَحرِ اعتَدَوا في السَّبتِ فَصادوا الحِيتانَ فَمَسَخَهُم اللهُ قِرَدَةً»[4]. وفيهِ أيضًا: عن جعفرِ بنِ مُحمّدٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ عليهم السلام قالَ: «سَألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عنِ المُسوخِ؟ فقالَ: هُم ثَلاثَةُ عَشَرَ: الفِيلُ، إلى أن قالَ: وأمَّا القِرَدَةُ: فقومٌ اعتَدَوا في السَّبتِ»[5].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٦٥.

(٢) الكافي: ٢: ٢٩، حديث رقم: ١.

(٣) تفسير القمّي: ١: ١٨١.

(٤) الخصال: ٤٩٣، حديث رقم: ١

(٥) الخصال: ٤٩٤: حديث رقم: ٢

وفي العُيونِ: عن مُحمَّدِ بنِ سنانٍ(١) عنِ الرّضا عليه السلام في حديثٍ طويلٍ وفيهِ: «وكذلكَ حرّمَ القِرَدَ؛ لأنَّهُ مَسخٌ مثلُ الخنزيرِ، وجَعَلَهُ عِظَةً وعِبرَةً للخَلقِ دليلٌ على ما مُسِخَ على خَلقَتِهِ وصورتِهِ وجَعَلَ فيهِ شَبَهًا من الانسانِ؛ لِيَدلَّ على أنَّهُ مِن الخَلقِ المغضوبِ عليهِم»(٢). وفي العلَلِ: بإسنادهِ إلى عليِّ بنِ عُقبةَ(٣) عن رَجلٍ عن أَبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ اليهودَ أُمِروا بالإمساكِ يومَ الجُمعةِ فتَركوا يومَ الجُمعَةِ وأَمسَكوا يومَ السَّبتِ فَحَرَّمَ عليهم الصَّيدَ يومَ السَّبتِ»(٤)، وبإسناده: (الى عبدِ الله بنِ يزيدِ بنِ سلامٍ أنَّهُ قالَ لرَسولِ الله صلى الله عليه وآله: وقد سَأَلَهُ عن أَيّامِ الأُسبوعِ: فالسَّبتُ: يومٌ مَسبوتٌ؛ وذلكَ قولُهُ عَزَّ وجَلَّ في القُرآنِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٥) والسّبتُ مُعَطَّلٌ، قالَ صَدَقتَ يا مُحَمَّدُ)(٦) . [٣٧٠]

وفي الخِصالِ: عن أبي عبدِ الله عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ في بَيانِ الأيّامِ، وفي آخِرِهِ: «وقالَ بعضُ مواليهِ: قُلتُ: فالسَّبتُ؟ قالَ: سَبتَتِ الملائكةُ لِربِّها يومَ السَّبتِ فَوَحّدَتهُ لم يَزلْ واحِدًا»(٧)، و(قالَ ابنُ ابنُ عباس: فَمَسَخَهم اللهُ تعالى عُقوبَةً لهم وبَقَوا ثلاثَةَ أيّامٍ لَم يأكُلوا ولَم يشربوا ولَم يتناسَلوا ثُمَّ أَهلَكَهم اللهُ تعالى وجاءَت ريحٌ فَهَبَت بِهم فألقَتهُم في الماءِ، وما مسَخَ اللهُ أُمّةً إلّا أَهلَكَها، فهذِهِ القِرَدَةُ والخنازيرُ لَيست مِن نَسلِ أولئكَ، ولكن مَسخَ أولئِكَ على صورةِ هؤلاءِ يَدلُّ عليهِ إجماعُ

---

(١) هو: أبو جعفر الزاهري من ولد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي، وهو محمد بن الحسن بن سنان مات أبوه الحسن وهو طفل وكفله جدّهُ فَنُسِبَ إليه، لهُ كتبٌ، رَوَى عن أبي الحسن الرضا، وأبي جعفر الجواد عليهما السلام. ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٨، ترجمة رقم: ٨٨٨، ورجال ابن داود: ١٧٤، ترجمة رقم: ١٤٠٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٠١.

(٣) هو: أبو الحسن بن خالد الأسدي: مولى، كوفي، ثقة ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ١٥٤، ترجمة رقم: ٣٨٥، وخلاصة الأقوال: ١٨٩، ترجمة رقم: ٥٩.

(٤) علل الشرائع: ١: ٦٩، حديث رقم: ١.

(٥) سورة ق ٥٠: ٣٨.

(٦) علل الشرائع: ٢: ٤٧١، حديث رقم: ٣٣.

(٧) الخصال: ٣٨٤، حديث رقم: ٦١.

المسلمينَ على إنَّه ليسَ في القِرَدَةِ والخنازيرِ مَن هوَ مِن أولادِ آدمَ عليه السلام ولو كانت مِن أولادِ المسوخينَ لكانَت مِن بَني آدم»[1] وهذا مأخوذٌ مِن تفسيرِ الإمامِ عليه السلام أيضًا[2].

وفي المجمَعِ: «وقالَ مجاهدُ لم يُمسَخُوا قِرَدَةً، وإنَّما هوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى كما قالَ: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[3]، وحُكِيَ عنهُ أيضًا: أَنَّهُ مُسِخَت قلوبُهُم كقُلوبِ القِرَدَةِ لا تَقبَلُ وَعظًا ولا تَتَّقي زَجرًا»[4]، وهذانِ القولانِ يُخالفانِ الظّاهرَ الذي أكثرُ المُفسِّرينَ عليهِ مِن غيرِ ضرورَةٍ تَدعُو إليهِ. **﴿خَاسِئِينَ﴾**، أي: مُبعَدينَ عن الخَيرِ صابرينَ مَطرودينَ.

وقالَ في المجمَعِ: «في هذهِ الآيةِ احتجاجاتٌ مِن اللهِ سبحانهِ على اليَهودِ بنِعَمِهِ المُترادِفَةِ على آبائِهم وإخبارِ الرّسولِ صلى الله عليه وآله عن عِنادِ أَسلافِهِم مَرَّةً بعدَ أُخرى، وكُفرانِهم وعِصيانِهم ثانيَةً بعدَ أُولى معَ ظُهورِ الآياتِ اللّائحةِ والمُعجزاتِ الواضِحةِ؛ تَعزيَةً[5] لهُ صلى الله عليه وآله وتَثبيتًا لِفؤادِهِ وتَسليَةً إيّاهُ عَمَّا يُقاسِيهِ مِن مُخالفَةِ اليهودِ ومُنابَذَتِهم وبَراءةً من جُحودِهِم وكُفرِهم وعِنادِهم ولِيكونَ وُقوفُهُ على ما وَقَفَ عليهِ من أخبارِ سَلَفِهِم تنبيهًا لهم وحُجَّةً عليهِم في إخلادِهِم إلى الهَوى وإلحادِهِم وتحذيرًا لهم مِن أن يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بآبائِهِم وأَجدادِهِم»[6]، انتهى.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾، أي: فجَعلنا تلكَ العُقوبةَ أو المسخَةَ أو تلكَ الأمَّةَ المَمسوخَةَ أو القَريَةَ **﴿نَكَالًا﴾**، أي: عُقوبَةً واشتهارًا وفَضيحَةً وتَذكرَةً وعِبرَةً تَنكُلُ المُعتَبَرَ بها، أي: تمنعُهُ عن ارتِكابِ مِثلِ هذهِ الأفعالِ الّتي فَعَلَها أصحابُ السَّبتِ مِنَ التَّعدّي والتَّجاوزِ عن حُدودِ ما انزلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، **﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾** مِن الأُممِ الّتي تَراها وتَنظُرُ إليها مِن مُعاصِريهِم، **﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾**، أي: ما يكونُ بعدَها

(١) بحار الأنوار: ١٤: ٥٩.

(٢) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٧٠.

(٣) سورة الجمعة ٦٢: ٥.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٤٨، وينظر: تفسير مجاهد: ١: ٢٠٥.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: تسلية.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢٤٨، ٢٤٩.

مِن الأُمَمِ الّتي كانَت بعدَهم، وهوَ المرويُّ عنِ الباقِرِ والصّادِقِ عليهما السلام إنَّهما قالا: «لِما بينَ يدَيها، أي: لِما معَها يُنظَرُ إليها مِن القُرَى، وما خَلفَها: نَحنُ، ولَنا فيها موعِظَةٌ»[1]، أو المعنى: لِما قَبلَها وما بَعدَها من الأمَمِ إذ ذُكِرَت حالُهم في كُتبِ الأوَّلينَ، واشتَهَرَت قصَّتُهُم في الآخِرينَ، فعلى هذينِ الوَجهينِ تكونُ (ما) في (لِما) بمعنى: مَن، في كونِها لذوي العُقولِ أو لِما يَحضُرُها مِن القُرى، وما تَباعَدَ عنها منها، أو لأجلِ تلكَ القريةِ وما حَوالَيها، أو جَعَلناها عُقوبَةً لِذنوبِهِم الّتي تَقَدَّمَت على الاصطيادِ والّتي تَأَخَّرت عَنهُ إلى أن مُسِخُوا، فَعَلى هذهِ الأوجُهِ الثّلاثةِ تكونُ (ما) بِمعناها الأصلي لغيرِ ذَوي العُقولِ، واللّامُ في (لِما) للسَّببيّةِ في بعضِها.

﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي: لِمتَّقي قَومِهِم مِن العَشرَةِ الآلافِ والنَّيِّفِ الّذينَ نَهوهُم عنِ الاعتِداءِ كَما مَرَّ في حَديثِ عليِّ بنِ الحسينِ عليهما السلام[2]، أو لكُلِّ مُتَّقٍ سَمِعَها مِن الأمَمِ. وفي المجمَعِ: «معناهُ إنَّهُ إنَّما يَتَّعِظُ بها المتَّقونَ فقط فكَأنَّها مَوعِظَةٌ لهم دونَ غيرِهِم، وهذا كَقَولِهِ تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

دلالةُ هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةُ دلالَةٌ على أنَّ مَن فَعَل مثلَ أَفعالِ هؤلاءِ مِمَّن تَقَدَّمهم أو تَأخَّرَ عنهم يَستَحقُّ مِن العَذابِ مثلَ ما حَلَّ بِهِم مِن التَّشويهِ وتَغييرِ الخِلقَةِ؛ إذ كانَ نَكالًا لهم جَميعًا وتَحذيرًا وتَنبيهًا للمُتَّقينَ لِكَي لَا يُواقِعُوا مِن المعاصِيَ ما واقَعَ اولئكَ فَيستَحِقّوا ما استَحَقُّوهُ نَعوذُ باللهِ مِن سَخَطِهِ[4]»، انتهى. انتهى.

ويُؤَيِّدُهُ ما مَرَّ آنفًا في الحديثِ المرويِّ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله والمَرويِّ عن أبي عبدِ الله عليه السلام. [٣٧١]

(١) مجمع البيان: ١: ٢٤٩.

(٢) مرَّ بيانه، ص: ٤٨١.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٥٠.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)** ﴾ خمسُ آياتٍ:

القراءة:

قَرَأَ حمزةُ وابنُ عباسٍ عَن أَبي عَمرو وإسماعيلَ عَن نافعٍ: هُزْءًا وكُفْؤًا بالهَمزِ معَ سكونِ الزّاي والفاءِ في كُلِّ القرآنِ(١)، وهذهِ اللغةُ هيَ الفُصحى؛ لأنَّ كلَّ اسمٍ ثُلاثيٍّ أَوَّلُهُ مَضمومٌ الأَصلُ فيهِ: سُكونُ العَينِ، نَحو عُسْرٍ ويُسْرٍ، وتحقيقُ الهمزَةِ هيَ الأَصلُ أيضًا، وقرَأَ حفصُ عَن عاصِمٍ: هُزُوًا وكُفُوًا بضَمِّ الزّاي والفاءِ غيرِ مَهموزينِ(٢)، بقَلبِ الهَمزَةِ واوًا؛ لِانضِمامِ ما قبلَها وإن كانَتِ الضَّمّةُ فَرعًا غيرَ أصليّةٍ فإنَّ الضّمَّ فرعُ السُّكونِ؛ لِقلَّةِ استعمالِهِ بالضّمِّ وكَثرتِهِ بالسّكونِ، ومنهُم مَن يعكِسُ؛ لأجلِ أنَّ الفَرعَ يجبُ أن يكونَ أَخفَّ كما هوَ مذكورٌ في بابِ نَقلِ أَوزانِ الاسمِ الثّلاثيِّ المجرّدِ بعضِها إلى بَعضٍ فيكونُ الضّمُّ أَحقَّ بالأَصالةِ والسُّكونُ بالفَرعيّةِ وكَثُرَ استعمالُهُ لكونِهِ أَخفَّ، ويجوزُ أن يكونَ كلاهُما لغتينِ أَصليّتينِ، وقَرَأَ يعقوبُ: هُزُوًا بضَمِّ الزّاي غيرِ مَهموزٍ وكُفْوًا بسِكونِ الفاءِ غيرِ مَهموزٍ في جميعِ القرآنِ، وقرأَ الباقونَ: هُزُؤًا وكُفُؤًا بضَمِّ الزّاي والفاءِ مع الهمزِ فيهِما في كلِّ القرآنِ(٣).

وقالَ الأخفَشُ: (كُلُّ فُعْلٍ في الكلامِ بِضَمِّ الفاءِ وسُكونِ العَينِ فَتثقيلُ عينِهِ، أي: تَحريكُها بالضَّمِّ جائزٌ إلَّا ما كانَ جمعًا صفَةً كَحُمْرٍ في جَمعِ أَحمَرَ أو مُعتلَّ العَينِ كَسُوقٍ في جَمعِ ساقٍ فإنَّهما لا يُثقَّلانِ

(١) ينظر: : الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٠١.

(٢) ينظر: الحجّة في القراءات السبع: ١: ٨١.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٠.

إلّا في ضَرورَةٍ شِعريَةٍ[١]، كما بَيَّنَّاهُ مُفصَّلًا في شرحِنا المُسمَّى بتَوشيحِ الوافيةِ[٢]، والحاصلُ إنَّ في كلِّ واحِدٍ مِن مِثلِ هُزءٍ وكُفؤٍ أَربعَ استعمالاتٍ:

ـ فُعُلٌ: بضمَّتينِ معَ الهَمزِ تارَةً، ومع الواوِ أُخرى.

ـ وفُعْلٌ: بِضّمِّ الفاءِ وسُكونِ العينِ مع الهمزةِ تارَةً ومعَ الواوِ أُخرى.

وفي (تَشابَهَ): وجوهٌ من القِراءاتِ لم نذكرْها هنا؛ لِتَعسُّفِها ونشيرُ إليها في المعنى.

وقرَأَ الجمهورُ: قالوا الْآنَ، بحذفِ واوِ قالُوا من اللفظِ وإِسكانِ الّلامِ مِن الْآن، وهيَ اللّغةُ الفُصحى، وقُرِئَ: قالُ لآنَ، بحذفِ الواوِ والهمزةِ جميعًا مع تَحريكِ اللّامِ، وقالوا لآنَ بإثباتِ الواوِ وحَذفِ الهمزةِ مع تَحريكِ اللّامِ مع ما هوَ القاعدةُ في بابِ تَخفيفِ الهمزَةِ في نَحو: مِنَ الأَحمَرِ، وعلى الأَحمَرِ[٣].

اللغة:

الذّبحُ بالفتحِ: الشّقُّ، وفي عُرفِ الشّرعِ: فَريُ الأَوداجِ بالحديدِ ونَحوِهِ[٤]، وهو يَقعُ في البَقَرِ والغَنَمِ لا في الإبِلِ، ويقعُ فيهِ النَّحرُ وهوَ: غَمزُ الرّمحِ أو الشَّفرةِ في لَبَّةِ الإبلِ وهي الوَهدَةُ التي فوقَ الصّدرِ وهيَ المنحَرُ ومنها تُنحَرُ الإبلُ، وقيلَ للصّادقِ عليه السلام: إنَّ أهلَ مكَّةَ يَذبحونَ البَقَرةَ في اللَّبَّةِ فما تَرى في أكلِ لحومِها؟ فسَكَتَ هُنيئةً ثمَّ قالَ: «قالَ الله تعالى: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾[٥] لا تأكُلْ إلّا ما ذُبِحَ مِن مَذبَحِهِ»[٦].

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ١: ٤٦.

(٢) مخطوط للمُصَنِّف.

(٣) ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ١: ٣٤، وإعراب القرآن للنحاس: ١: ٦٠، وتفسير القرطبي: ١: ٤٥٥، فقرأ أهل المدينة بحذف الواو والهمزة معًا، ورويت القراءة الأخيرة عن الأخفش.

(٤) ينظر: مختلف الشيعة: ٨: ٢٥٨، والدروس الشرعية في فقه الإمامية: ٢: ٤١٢، والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٧: ٢١٣.

(٥) سورة البقرة ٢: ٧١.

(٦) وسائل الشيعة: ٢٤: ١٥، حديث رقم: ٢٩٨٦٥.

وأمَّا الذِّبحُ بالكَسرِ فهو: ما يُذبَحُ مِن الأَضاحِي وغيرِها من الحيَوانِ مِن الظّأنِ والمَعزِ والبَقَرِ، قالَ تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(١) وفي حديثِ الأضحيَّةِ: «فدَعا بِذِبحٍ فَذَبَحَهُ»(٢).

ذكرُ حديثِ القضاءُ وذَبحِ القاضي نفسُهُ بغيرِ سكّينٍ وما عُني بذلك:

وفي حَديثِ القضاءِ: «مَن وُلِّيَ قاضيًا فَقَد ذُبِحَ بغيرِ سكّينٍ»(٣) معناهُ: التَّحذيرُ من طلبِ القَضاءِ والحِرصِ علَيهِ، أي: مَن تَصدَّى للقَضاءِ وتَولّاهُ فقَد تَعرَضَ للذّبحِ فليَحذرَ منهُ، والذَّبحُ هنا مجازٌ عن الهلاكِ فَإنَّه أَسرعُ أسبابِهِ، وقولُهُ ﷺ بغيرِ سِكِّينٍ يَحتمِلُ وجهَينِ:

أَحدُهُما: إنَّ الذَّبحَ في العُرفِ إنّما يكونُ في السِّكّينِ فَعَدَلَ عنهُ لِيُعلَمَ أنَّ الذي أَرادِ بهِ ما يُخافُ عليهِ مِن هلاكِ دينِهِ دونَ هلاكِ بَدَنهِ.

والثّاني: أنَّ الذَّبحَ الذي فيهِ راحَةُ الذَّبيحَةِ وخَلاصُها مِن الألَمِ إنّما يكونُ بالسّكّينِ؛ فإذا ذُبحَ بغيرِ السّكّينِ كانَ ذَبحُهُ تعذيبًا لَهُ، فَضُرِبَ بهَ المَثَلُ؛ ليكونَ أبلَغَ في الحَذَرِ وأَشَدَّ في التّوقّي منهُ.

ومنهُ الذُّبحَةُ بضَمِّ الذّالِ المُعجمَةِ وفتحِ الباءِ الموحّدَةِ، وقد تُسكَّنُ وهي: داءٌ يَعرِضُ في الحَلقِ مِن الدَّمِ، وقيلَ: هيَ قُرحَةٌ تظهَرُ فيهِ فَينسَدُّ معَها وتَنقَطِعُ النَّفسُ فَيقتُلُ، والذُّباحُ كَغُراب: القَتلُ، وهو أيضًا: نَبتٌ من السّمومِ يقتُلُ آكِلُهُ. [٣٧٢]

والبَقَرُ: اسمٌ للمُؤنّثِ مِن هذا الجنسِ، واسمُ المذَكَّرِ منهُ: الثّورُ، وهذا ممَّا يُخالِفُ فيهِ صيغَةَ المُذَكَّرِ منهُ صيغَةَ الأُنثى كالجَمَلِ والنَّاقَةِ والرّجُلِ والمرأةِ والجَدي والعَناقِ، وأَصلُ البَقْرِ: الشَّقُّ، يقالُ بَقَرتُ بطنَهُ، أي: شَقَقتُهُ وسُمِّيَ البَقَرُ بقَرًا؛ لأنَّ من شَأنهِ شَقُّ الأرضِ بالكِرابِ، والتَّبَقُّرُ: الكَثرةُ والتّوسِعَةُ، وفي الحديثِ: «سَيأتي على النَّاسِ فِتنَةٌ باقِرَةٌ تَدَعُ الحليمَ حيرانَ»(٤)، أي: واسِعَةٌ عظيمَةٌ،

---

(١) سورة الصافات ٣٧: ١٠٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٥٣.

(٣) سنن أبي داود: ٢: ١٥٨، حديث رقم: ٣٥٧١، وسنن الترمذي: ٢: ٣٩٣، حديث رقم: ١٣٤٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٤٤، وبحار الأنوار: ٥١: ٥٧، حديث رقم: ٤٨.

والبَقَرُ: جمعُ بَقَرَةٍ، كالباقِرِ والجامِلِ في جَمعِ جَمَلٍ، أو هيَ جنسٌ كَتَمرٍ وتَمرَةٍ على اختلافِ الرّأيينِ، والباقرُ: اسمُ جَمعٍ.

والهُزُءُ: اللّعبُ والسّخرِيَّةُ، يقالُ هَزِءتُ بهِ هُزءًا ومَهزَأَةً، وأَعوذُ، أي: أَلجَأُ إلى الله تعالى عَوذًا وعِياذًا، وحَقيقَةُ العِياذِ: استِدفاعُ ما يُخافُ من شَرّهِ بما يُطمَعُ ذلكَ منهُ كما مَرَّ في ذِكرِ الاستِعاذَةِ، والجهلُ: نَقيضُ العِلمِ، وقيلَ: نقيضُ الحِلمِ، والصحيحُ: إنَّهُ اعتقادُ الشّيءِ على خِلافِ ما هوَ بهِ، كما إنَّ العِلمَ اعتقادُ الشّيءِ ما هوَ بهِ.

والتّبيينُ: التّعريفُ، وأَصلُهُ مِن البَينِ، وهوَ: الفَرقُ والتّمييزُ، فكُلُّ مَن بَيَّنَ الشيءِ فقَد مَيَّزَهُ عَمّا يَلتبِسُ بهِ حتّى يَعرفَهُ غيرُهُ، قالَ سيبويهُ: (يقالُ: بانَ الشّيءُ وأَبَنتُهُ، وبَيَّنَ الشّيءَ وبَيّنتُهُ واستَبانَ واستَبنتُهُ، والمعنى واحِدٌ)[1]. والفارِضُ: الكبيرَةُ المُسِنَّةُ، يقالُ فَرَضتِ البَقَرةُ تَفرِضُ فُرُوضًا إذا أَسَنَّت وقَطَعت سِنَّها، والفَريضَةُ: الهَرِمَةُ المسِنَّةُ من الإبلِ والبَقَرِ، وأَصلُ الفَرضِ: القَطعُ، ومنهُ اشتِقاقُ الفَرضِ بمعنى الواجِبِ؛ لأنَّ المفروضَ هو المقطوعُ، ويقالُ فَرَضَهُ ويَفرُضُهُ فَرضًا وافتَرَضهُ افتِراضًا، وهوَ والواجبُ سِيَّانٌ عندَ الشّافعِيِّ[2]، والفَرضُ آكَدُ مِن الواجِبِ عندَ أبي حنيفَةَ[3]، وقد يقالُ الفَريضَةُ للميراثِ لِقَطعهِ تعالى حصَّةَ كُلِّ ذي حِصَصٍ مِن الأَنسابِ والأَسبابِ.

مَعاني البِكرِ وذكرُ المثل:

والبِكرُ: الصّغيرةُ التي لَم تحملْ، والبكرُ مِن بَني آدمَ ومِن البَهائِمِ: ما لَم يفتَحلهُ الفَحلُ، والبِكرُ من كُلِّ شيءٍ أَوَّلُهُ، والبِكرُ: التي وَلَدت بَطنًا واحِدًا فقط، وبِكرُها: وَلَدُها، ومنهُ الحديثُ والمَثَلُ المشهورُ: (أُمُّ الكاذبِ بِكرٌ)[4]، أي: وَلَدَت واحِدًا فقَط ولا شَريكَ لهُ في كَثرَةِ الكَذِبِ، أو لا تَقبَلُهُ أُمٌّ

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤: ٦٣، وشرح أبيات سيبويه: ٢: ٢٧٥.

(٢) ينظر: كتاب الأم: ٧: ٢٨٧، وحواشي الشرواني: ٢: ٧.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع: ٢: ١٢٧، والبحر الرائق: ٢: ٦٧.

(٤) مجمع الأمثال: ١: ٨٧، والأمثال المولّدة: ١٨١، مثل رقم: ٦٧٦. وقد ذكرَ المُصنِّفُ المَثَل بلفظٍ آخرَ يختلفُ عمّا جاء في كتب الأمثال وغيرها فقال: (أمُّ الكذوبِ بكرٌ)، وقد صحَّحَ الباحثُ المثلَ منَ الكُتبِ المختصّةِ.

من الأُمّهاتِ، فتَقولُ كُلُّ واحِدَةٍ منهُنَّ: لَمْ أَلِدهُ فإنِّي بِكرٌ، وبِكرُ الرّجلِ: أوَّلُ ولدِهِ، وقالَ الشّاعرُ:

يا بكرُ بكرَينِ وَ يا خُلبَ الكَبِدِ أصبَحتَ مِنّي كَذِراعٍ مِن عَضُدِ [1]

ومنهُ يقالُ: ضَربَةٌ بِكرٌ، أي: قاطِعةٌ لا تُثَنّى، وقالَ ابنُ الأثيرِ: (وفيهِ كانت ضَرَباتُ عَليٍّ عليه السلام مُبتَكراتٍ لا عُونًا، أي: إنَّ ضَربَتَهُ عليه السلام كانَت بِكرًا يَقتُلُ بواحِدَةٍ منها لا يحتاجُ أن يُعيدَ الضَّربَةَ ثانيًا، يقالُ ضَربَةٌ بِكرٌ إذا كانَت قاطِعةً ماضِيَةً لا تُثَنَّى ولا تَحتاجُ إلى المعاوَدَةِ والتّثنيةِ، والعونُ جمعُ عَوانٍ وهيَ في الأَصلِ: الكَهلَةُ مِن النّساءِ يُريدُ بها المثناةَ)[2]، انتهى.

وفي المَجمَعِ: (وحَديثُ ابنُ عائشةَ عن أَبيهِ عن جَدِّهِ: كانَت ضَرَباتُ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام أبكارًا، كانَ إذا اعتَلى قَدَّ، وإذا اعتَرَضَ قَطَّ ذكرَهُ ابنُ فارسٍ في مُجمَلِ اللغةِ)[3] انتهى .

والبَكرُ بالفتحِ: الفَتِيُّ مِن الإبِلِ، والأُنثى: بَكرَةٌ، والعَوانُ: دونَ المُسِنَّةِ وفوقَ الصّغيرةِ، وهيَ: النَّصَفُ التي وَلَدَت بطنًا أو بَطنينِ؛ ومنهُ قيلَ للحربِ: عَوانٌ: إذا لم تكن أوَّلَ حَربٍ بينَ القَومِ، بل كانوا قد قاتَلوا قَبلَهُ.

وبَينَ: منَ الأسماءِ اللّازمةِ الإضافةِ إلى المثنّى وما فوقَهُ لفظًا ومعنًى أو معنًى فقط، كما سَنُشيرُ إلى ذلكَ في بيانِ الإعرابِ، وهوَ يُستعمَلُ على ضَربينِ: ظرفًا غيرَ مُتصَرِّفٍ، ومَصدرًا، والضّربانِ يرجعانِ إلى معنًى واحِدٍ وهو الإفتراقُ والانكشافُ، واللّونُ: عَرَضٌ يَتعاقَبُ على الجَوهَرِ تَعاقُبَ التّضادِّ وشِبهِهِ مِن التّخالُفِ، والفَقعُ: الصُّفرَةُ الشّديدةُ، فاقِعٌ لَونُها، أي: شديدُ الصُّفرَةِ، والفُقُوعُ: نَصوحُ الصُّفرةِ وخُلوصُها، ويقالُ: أَصفَرُ فاقِعٌ وأَخضَرُ ناضِرٌ وأَحمَرُ ناصِعٌ وأَحمَرُ قاني وأَبيَض

---

(١) البيت من الرجز، نسبه صاحب الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٥٥، إلى ابن الإعرابي، وهو بلا نسبة في الصحاح: ٢: ٥٩٥، (بكر)، ولسان العرب: ٤: ٧٨، (بكر).

والشاهد فيه: كون البكر للذكر والأنثى، فهو يخاطبه بكونه: بكرٌ من بكرَينِ، فكِلا أبويهِ بكرٌ لأبيهِ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٤٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٥٢، نقلا عن مجمل اللغة: ١٣٣.

يَقَق[١] وأَسوَدُ حالِكٌ وحلُوكٌ وحلكُوكٌ وأَسوَدُ غِربيبٌ ودَجوجي[٢]، فهذهِ كُلُّها صفاتُ مُبالغَةٍ للأَلوانِ مُفيدَةٌ للتَّأكيدِ، وفي إسنادِهِ سبحانَهُ في الآيةِ المذكورَةِ الفُقوعَ إلى اللّونِ معَ إنَّهُ صِفَةٌ صَفرَاءَ لِمُلابَسَتِهِ بها فَضلُ تَأكيدٍ، كأَنَّهُ قالَ: صفراءُ شَديدَةُ الصُّفرةِ صُفرَتُها.

حكايةُ كلامٍ لِتَوضيحِ مَرامٍ، وتَحقيقُ حالٍ لِدفعِ إشكالٍ:

قالَ الجَوهريُّ: «تقولُ هذا أَسودُ غِربيبٌ، أي: شديدُ السَّوادِ، وإذا قُلتَ: غرابيبُ سُودٌ تجعَلُ السُّودَ بدلًا من غَرابيبِ؛ لأنَّ تواكيدَ الأَلوانِ لا تتَقَدَّمُ»[٣]، انتهى كلامُهُ.

أقولُ: مرادُهُ أنَّ الأَصلَ في ذلك أن يقالَ: أَسودُ غِربيبٌ وأَسوَدُ حالِكٌ وأصفَرُ فاقِعٌ وسُودٌ غَرابيبُ ونَحوَ ذلك بتأخيرِ ما هو الأبلَغُ عَمّا هو أدنى منهُ؛ ليكونَ الثَّاني الذي هوَ الأبلَغُ نَعتًا للأوَّلِ مُفيدًا تَأكيدَهُ كقولِهِ تَعالى: ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[٤] و ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[٥]، وهذا: أَعني: النَّعتَ المُفيدَ للتّأكيدِ هوَ المُرادُ في أَمثالِ هذهِ العِباراتِ لا التّأكيد المصطَلحِ في فَنِّ النّحوِ، أعني: اللّفظيّ: الذي هوَ إعادةُ اللّفظِ الأوَّلِ، والمعنويَّ: الذي هوَ بألفاظٍ مخصوصَةٍ محصورَةٍ هيَ: نفسُهُ وعينُهُ، وكلاهُما وكُلُّهُ، وأجمعُ وأكتَعُ وأبتَعُ وأبصَعُ[٦]، وأَمَّا إذا قيلَ: غربيبٌ أسودُ، وحالِكٌ أسودُ، وغَرابيبُ سُودٌ، وفاقِعٌ أصفرُ، وقاني أحمَرُ، ويَقَقٌ أبيَضُ، فالثّاني: أعني: أسودَ منها بَدَلٌ مِن الأوَّلِ، أعني: غِربيبَ وهكذا إلى آخرِ الأَمثلَةِ، لا نَعتٌ مؤكّدٌ؛ لأنَّ التّوابعَ الخمسَةَ كُلَّها سَواءٌ كانَت بَدَلًا

---

(١) أي: شديد البياض. ينظر: لسان العرب: ١٠: ٣٨٧، (يقق).

(٢) الحالك، والغربيب، والدّجوجي: شدّة السّواد. ينظر: العين: ٦: ١٠، (دجّ)، و ٤: ٤١٢، (غرب)، والصحاح: ١: ١٩٢، (غرب)، و ٤: ١٥٨١، (حلك).

(٣) الصحاح: ١: ١٩٢، (غرب).

(٤) سورة الحاقة ٦٩: ١٣.

(٥) سورة النحل ١٦: ٥١.

(٦) أَكْتَعُ: رِدْفٌ لأَجْمَعَ، لا يُفردُ منهُ ولا يُكسَّرُ، وأَبْتَعُ: كلمةٌ يُؤكَّد بها، وأبصعُ: هو تأكيدٌ مرتّبٌ، لا يُقدّمُ على أجمع. والبصعُ: الجمعُ، ويقالُ: جاءَ القومُ أَجْمعونَ أَكْتعونَ أَبْصعونَ أَبْتَعونَ، وهذا من بابِ التّوكيدِ. لسان العرب: ٨: ٥، (بتع)، و٨: ١٢، (بصع): و٨: ٣٠٥، (كتع).

أو نَعتًا أو عَطفَ نَسَقٍ أو تأكيدًا أو عَطفَ بيانٍ مِن حيثُ هيَ تابعَةٌ خاصّةٌ لا تَتَقدَّم على مَتبوعاتِها الخاصّةِ، بل إذا تقَدَّمَ عليهِ صارَ قِسمًا آخَرَ، مثلًا إذا قيلَ في نَحوِ: جاءَ زيدٌ الظّريفُ جاءَ الظّريفُ زيدٌ كانَ زيدٌ بَدَلًا من الظّريفِ أو عَطفَ بَيانٍ لهُ لا نَعتًا لهُ كما في قَولِ الشّاعرِ: [٣٧٣]

رُكبانُ مَكَّةَ بينَ الغِيلِ والسَّنَدِ[1] والمؤمنِ العائذاتِ الطّيرَ يَمسَحُها

فإنَّ الطّيرَ عَطفُ بيانٍ للعائِذاتِ، وكانَ في الأَصلِ: والمُؤمِنِ الطّيرَ العائذاتِ[2]، وكانَت العائِذاتُ نعتًا للطّيرِ، فلَمّا قُدِّمَ صارَ العائذاتُ عَطفَ بيانٍ لها؛ لأنَّ نعتَ المعرفَةِ اذا قُدِّمَ على المنعوتِ صارَ المنعوتُ عَطفَ بَيانٍ لهُ وانفَسَخَ النّعتُ عنِ النّعتيّةِ كما إذا قيلَ في غيرِ القرآنِ: ونُفِخَ في الصُّورِ واحِدةٌ نَفخةٌ كانَ الثّاني أَعني: نفخَةٌ بدَلًا مِن الأوَّلِ، أَعني: واحِدةٌ، لا نَعتٌ لهُ؛ ولَمّا كانَ امتِناعُ التّقديمِ في نَعتِ الأَعراضِ والأَلوانِ المفيدِ للتّأكيدِ أفحَشَ وأقبَحَ من امتِناعِ غيرِهِ قالَ: لأنَّ تواكيدَ الأَلوانِ لا تَتَقدَّمُ[3] وإلّا فقَد عَرَفتَ امتِناعَ تقديمِ جميعِ التّوابعِ على مَتبوعاتِها مِن حيثُ هيَ هيَ، وبعدَ الفَسخِ صارَ قِسمًا آخَرَ كما عَرَفتَ.

اعتراضٌ على الحسَنِ البَصريّ:

وقالَ الحسَنُ البَصريّ في الآيةِ المذكورةِ: أرادَ بـ(صفراءُ فاقعٌ لَونُها): سَوداءَ شديدةُ السَّوادِ، كما يقالُ: ناقةٌ صَفراءُ، أي: سوداءُ[4]، وبهِ فُسِّر قولُهُ تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[5] وقالَ الأعشى:

---

(١) البيت من البسيط، للنابغة الذبياني. ديوانه: ٢٥، وينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٣٣ وهو بلفظ: (والسَّعدِ)، كما وَرَدَ أيضًا بلفظ: (والسّنَدِ). شرح المعلقات التسع: ٩٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: والمؤمنُ المرادُ بِهِ هوَ: اللهُ تعالى، والواوُ: للقَسَمِ، والألفُ واللّامُ في المؤمِنِ بمعنى: الذي، والعائذاتِ: مفعولٌ بِهِ للمؤمِنِ مأخوذٌ مِن الأمانِ، وفاعلُ يمسَحُها: رُكبانُ مَكّةَ، وجملةُ يمسَحُها: حالٌ مِن الطَّيرِ، وكذا جملةُ بينَ الغِيلِ والسَّنَدِ: وهما موضعانِ بمكَّةَ، والغِيلِ: بكسرِ الغينِ المعجَمَةِ، ويجوز أن تكونَ تلكَ الجملةُ الثّانيةُ : حالًا مِن رُكبانِ مَكّةَ.

(٣) إشارةٌ إلى قولِ الجوهريّ المُتقدِّمِ آنفًا.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١: ٤٩٠، والتبيان: ١: ٢٩٧، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٣٤.

(٥) سورة المرسلات ٧٧: ٣٣، وينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨٧.

تلكَ خَيلي منهُ وتلكَ رِكابي هُنَّ صُفرٌ أَولادُها كالزَّبيبِ [1]

وفيهِ نَظَرٌ؛ لأنَّ الصُّفرةَ بهذا المعنى لا يُوصَفُ بالفُقوعِ، وإنَّما تُوصَفُ بالحُلوكِ والحالِكِ والغِربيبِ والدّجوجي، وأيضًا وَصفُ شَرارةِ النّارِ بالسَّوادِ وتَفسيرُها بهِ غيرُ معقولٍ، وأيضًا إنَّ الإبِلَ إن وُصِفَت بهِ فَلا يُوصَفُ البَقَرُ بهِ.

والذّلولُ: الدّابَّةُ التي قَد ذَلّلها الحَملُ والرّكوبُ أو غيرُها، ويقالُ في بني آدمَ: رَجلٌ ذَليلٌ بَيِّنُ الذُّلِّ. والاثارةُ: إظهارُ الشّيءِ بالكشفِ، وأثارَ الأرضَ، أي: كَرَبها وقَلَبها، والسّقيُ: إشرابُ الماءِ وإخراجُهُ من البئرِ؛ لإشرابِ النَّخلِ والزّرعِ ونَحوِ ذلكَ، والحَرثُ: التّفتيشُ، والحَرثُ: كُلُّ أَرضٍ ذَلّلتهُ للزّرعِ، وقالَ الخليلُ: «الحرثُ: قذفُ البَذرِ في الأرضِ للإزراعِ»[2].

عدمُ جوازِ إطلاقُ لَفظِ الزّارعِ على غَيرِ الله عَزَّ اسمُهُ:

والزَّرعُ: الإنباتُ والإنماءُ، قالَ عَزَّ اسمُهُ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[3] فَلا يقالُ لأحَدٍ إنَّهُ الزّارعُ إلّا اللهُ عَزَّ اسمُهُ.

والمُسلَّمةُ: المُبَرّأَةُ من العُيوبِ والعَمَلِ، مُفعَّلَةٌ مِن السّلامَةِ، والشِّيَةُ: من الوَشيِ: لَفيفٌ مفروقٌ كما يَجيءُ بيانُهُ في الإعرابِ، وهيَ: لونٌ في الشّيءِ يُخالِفُ عامّةَ لونِهِ، والوَشيُ: خَلطُ لَونٍ بلونٍ آخَرَ، لا شِيَةَ فيها: أي: لا لَونَ فيها يُخالفُ لونَ جِلدِها الأَصفَرِ، ويقالُ: وَشَيتُ الثَّوبَ أَشيهِ شِيَةً ووَشيًا:

---

(1) البيت من الخفيف. ديوانه: ٣٨٥، وينظر: خزانة الأدب: ٥: ٤٠٨.

والشاهد فيه: استعماله اللون الأصفر بمعنى الأسود، وهو ما اعتمده الماتريدي والثعلبي في تفسيريهما لآية سورة المرسلات. ينظر: تفسير الماتريدي: ١٠: ٣٨٥، وتفسير الثعلبي: ١٠: ١١١.

وقائله: أبو بصير ميمونُ بنُ قيسٍ بنُ جندلٍ من بكرِ بن وائلٍ، من شُعراءِ الطّبقةِ الأولى في الجاهليّةِ، وأحدُ أصحابِ المعلّقاتِ، لُقِّبَ بالأعشى لضعفِ بصرهِ، عاشَ عُمرًا طويلًا، وأدركَ الإسلامَ ولم يُسلِمْ، وقيلَ: إنّه خرجَ يُريدُ النّبيَّ ﷺ فقالَ شعرًا حتّى إذا كانَ ببعضِ الطريقِ نفرت بهِ راحلتُهُ فقتَلَتهُ، توفي سنة (٧ هـ). ينظر: جمهرة أشعار العرب: ٨٠، وشرح المعلقات التسع: ١٧، والأعلام: ٧: ٣٤١.

(2) العين: ٣: ٢٠٥، (حرث).

(3) سورة الواقعة ٥٦: ٦٣، ٦٤.

إذا نَسَجهُ بأَلوانٍ مُختلفَةٍ، ومنهُ اشتقاقُ: الواشي للنَّمّامِ، ولِمَن يَسعى بالرّجلِ إلى السّلطانِ لكَذبهِ عليهِ عندَهُ وتحسينِهِ كذبَهُ بالأَباطيلِ.

الإعراب:

قد مَرَّ إعرابُ (إذ) مِرارًا، و(أن تذبَحوا) على حَذفِ الجارِ: مُتعلِّقٌ بـ(يأمُرُكم)، أي: بأن تَذبَحوا، قولُهُ: (أَتَتَّخذنا هُزُءًا)، وقالَ: أعوذُ بالله إلى آخِرهِ بتَقديرِ الفاءِ، أي: فقالوا، فَحُذِفَتِ الفاءُ؛ لاستغناءِ ما قَبلَه من الكلامِ عنهُ، وكونِ ما بعدَها استفهامًا يَحسُنُ السّكوتُ عليهِ، فلو قُلتَ: قُمتُ فَفَعلتُ لَم يَجزْ اسقاطُ الفاءِ؛ لأنَّها عَطفٌ وليسَ باستفهامٍ، وَ(هُزُوًا): مفعولٌ ثانٍ لِـ(تَتَّخِذُ) إمَّا على حَذفِ مضافٍ، أي: موضعَ هُزءٍ أو أَهلَ هُزءٍ؛ لأنَّ الهُزءَ حَدَثٌ لا يُحمَلُ على الجثَّةِ، وإمَّا على تقديرِ كونِهِ بمعنى المفعولِ، أي: المهزوءِ، أي: أَتَتَّخِذُنا مَهزوءًا بنا كما يقالُ: رجُلٌ رِضًى، أي: مَرضيٌّ، أُقيمَ المصدرُ مقامَ المفعولِ: وإمَّا الهُزءَ نفسَهُ وقَعَ مفعولًا للمبالغَةِ، وأمَّا قولُهُ تعالى في سورةِ المائدةِ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾[1] فَلا يحتاجُ فيهِ إلى تقديرِ مضافٍ محذوفٍ؛ لأنَّ الدِّينَ ليسَ بعينٍ ولا جُثَّةٍ، والجملةُ: مقولُ قالوا، وكذا جملةُ أعوذُ إلى آخِرهِ: مَقولُ قالَ. [٣٧٤]

وأصلُ (أَعوذُ): أَعْوذُ نُقِلَت ضمّةُ الواو إلى السّاكِنِ قبلَها، و(يُبيِّنْ): في المواضعِ الثّلاثةِ مجزومٌ بجوابِ الأَمرِ على النّهجِ الذي في قولِهِ: ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾[2]، و(ما) في قولِهِ: (ما هيَ): مُبتدأٌ، و(هيَ): خبَرُهُ عند سيبويه كما في: مَن أَبوكَ؟ وبالعَكسِ عندَ غيرهِ[3]، والجملةُ: مفعولٌ بهِ لِـ(يُبيِّن) مَعنًى لا لفظًا؛ لأنَّهُ تعليقٌ لفظًا، والتّعليقُ هو إبطالُ العَمَلِ لفظًا لا مَعنًى.

إشارةٌ اجماليَّةٌ إلى بَيانِ ثُبوتِ التّعليقِ في غيرِ أفعالِ القلوبِ:

وقَد أُلحِقَ بأفعالِ القلوبِ في التّعليقِ أفعالٌ أُخَرُ مِن نَحو: نَظَرَ وأبصَرَ وتَفكَّرَ وبَيَّنَ وسَأَلَ واستَنبأَ وبَلا، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾[4]، أي: فَابعَثوا أَحَدَكم بدراهِمِكم هذهِ إلى المدينَةِ

(١) سورة المائدة ٥: ٥٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢: ١٢٨، والخصائص: ١: ٣٠٠.

(٤) سورة الكهف ١٨: ١٩.

التي خَرجتُم منها، فَلينظُر ذلكَ الأَحَدُ المبعوثُ أيُّها أَطهَرُ طَعامًا إلى آخِرِهِ، وقالَ تعالى: ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[1] وقالَ تعالى: ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[2] وقالَ تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[3] سَواءٌ كانت الباءُ زائدةً أم لا فإنَّ جملةَ المبتدأِ والخبرِ على التّقديرينِ مُعلَّقٌ عنها، وقالَ تعالى: ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[4] وقالَ تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾[5] إلى آخِرِهِ وقالَ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[6] وقال تعالى: ﴿ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾[7]، وكذا الكلامُ في قولِهِ: ﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾[8] كما بَيَّنّاهُ مفصَّلًا في زينَةِ السّالكِ[9].

وإنَّ المشدَّدَةَ في المواضعِ الثّمانيةِ مكسورةُ الهمزةِ؛ لكونِها مقولةً للقَولِ وكَذا في قولِهِ: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[10] باعتِبارِ اللّامِ التي في خَبَرِها، وقولُهُ: **﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾** ارتفعَ الاسمانِ ولَم يَنتصبْ كما ينتَصبُ المنفي بـ(لا) الّتي لنفي الجنسِ؛ لأنَّهما صِفتانِ لبقرة، ولا فيهما: اسمٌ بمعنى غير وليسَ لنَفي الجنسِ ولا بمعنى ليسَ، فتكونُ تابعةً لموصوفِها في الاحوالِ الثّلاثةِ الإعرابيّةِ، ويجبُ تكرارُ لا هذهِ سواءٌ دخلَتِ الثّانيةُ على اسمٍ أيضًا أو على فعلٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[11] وقالَ تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[12]، وقولُهم: زيدٌ لا راكبٌ ولا ماشٍ، وجاءَ زيدٌ لا راكبًا ولا ماشيًا، وقولُهُ تعالى: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ

---

(١) سورة النمل ٢٧: ٣٣.

(٢) سورة سبأ ٣٤: ٤٦.

(٣) سورة القلم ٦٨: ٥-٦.

(٤) سورة القيامة ٧٥: ٦.

(٥) سورة يونس ١٠: ٥٣.

(٦) سورة هود ١١: ٧.

(٧) سورة البقرة ٢: ٦٨.

(٨) سورة البقرة ٢: ٦٩.

(٩) مخطوط للمُصَنِّف.

(١٠) سورة الزخرف ٤٣: ٤٩.

(١١) سورة الواقعة ٥٦: ٣٢، ٣٣.

(١٢) سورة الواقعة ٥٦: ٤٣، ٤٤.

* لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾[1] وقولُهُ تعالى: ﴿بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾، ولمَّا كانت صورةُ (لا) الّتي بمعنى: غيرٍ مثلَ صورةِ (لا) النّافيةِ الحرفيّةِ أُجريَ الإعرابُ فيما بعدَها كما في صِلَةِ (ال) الموصولةِ وفي (إلّا) بمعنى: غيرٍ في بابِ الاستثناءِ كما قالَ تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[2].

خدشةٌ على العَوامِ:

وأمَّا قولُ العَوامِ: (اللّا إنسانُ أعمُّ منَ اللّا حيوانِ) فغَيرُ مُستندٍ إلى حجَّةٍ، ولَقد فَصَّلنا هذهِ المراتبَ مُستوفاةً في زينةِ السَّالكِ.

وقراءةُ فتحِ لا ذَلولَ شاذَّةٌ غيرُ مُلتَفتٍ إليها، وأمَّا (لا) في قولِهِ تعالى: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ فهيَ لنَفيِ الجنسِ مثلَ لا رجلَ في الدّارِ.

خدشةٌ على الزَّجّاج:

وما قالَهُ الزَّجّاجُ: (إنَّهُ ارتفعَ فارِضٌ بإضمارِ هيَ)[3]، أي: هيَ لا فارِضٌ ولا بِكرٌ فلا طائلَ تحتهُ. و(عَوانٌ): نَعتٌ لبقرةٍ أيضًا، أو خبرُ مُبتدأٍ محذوفٍ على تقديرِ: بل هيَ عَوانٌ، و(بَينَ ذلكَ): نعتٌ لِعَوانٍ.

تحقيقُ ما أُضِيفَ إليهِ (بينَ وكِلا):

وإنَّما قالَ: (بينَ ذلكَ) معَ إنَّ (بينَ) لا يُضافُ إلّا إلى (اثنَينِ) مثلَ: كِلا أو أكثرَ؛ لأنَّ ذلكَ يَنوبُ مَنابَ الاثنينِ والجمعِ باعتبارِ الإشارةِ إلى المذكورِ، أي: عَوانٌ بينَ ما ذُكِرَ من الفارِضِ والبِكرِ، وقالَ الشّاعرُ:

إنَّ للخيرِ وللشَّرِّ مَدًى وكِلا ذلكَ وَجهٌ وقَبَل[4]

---

(١) سورة المرسلات ٧٧: ٣٠-٣١.

(٢) سورة الأنبياء٢١: ٢٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٥٠.

(٤) البيت من الرمل: وهو لعبد الله بن الزعبري. ديوانه: ٤١، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢: ٦٢، الشاهد رقم: ٢٢٨.

والشاهد فيه: مجيئ (كِلا) مضافة إلى لفظ مفرد (ذلك)، والذي جوّزَ ذلك كونه: مفردٌ لفظًا مثنًى بالمعنى، وهو: (الوجهُ والقبل).

وقد ينوبُ ذلكَ مَوضعَ الجملةِ كما تقولُ: ظَنَنتُ زيدًا قائمًا فيقولُ القائِلُ: ظَنَنتُ ذلكَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾(١) الآيةُ(٢).

وأمَّا إذا أُضِيفَ (بَين وكِلا) إلى الواحِدِ لفظًا ومَعنًى فيجبُ أن يُعطَفَ عليهِ اسمٌ آخَرَ بالواوِ فقط دونَ سائرِ الحروفِ العاطفةِ؛ لِما ذكرنا مِن أنَّ أَصلَهُ الافتراقُ، فكَما لا يصحُّ افتراقُ زيدٍ واجتِماعُ خالدٍ حَتَّى تُضيفَ اليهِ ما يزيدُ بِهِ بالواوِ لا غيرُ، نحو: افتراقُ زيدٍ وعَمرٍو واجتِماعُ خالدٍ وبَكرٍ كذلكَ لا يَصحُّ بينَ زيدٍ حَتَّى تُضيفَ إليهِ آخرَ بالواوِ دونَ غيرِها مِن الحروفِ، نحوَ بينَ زيدٍ وعَمرٍو ولهذا قالُوا في قَولِ امرئِ القيسِ:

قِفا نَبكِ من ذكرى حَبيبٍ ومَنزِلٍ بِسَقطِ اللِّوى بَينَ الدُّخولِ فَحَومَلِ(٣)

إنَّ التّقديرَ: بينَ مواضِعِ الدَّخولِ، ونَحو: كِلا زيدٍ وعَمرٍو، قالَ الشّاعرُ:

كِلا أخي وخَليلي واجِدي عَضُدًا في النّائباتِ وإلمامِ المُلِمّاتِ(٤)

وأمَّا إذا أُضِيفا(٥) إلى الواحِدِ لفظًا فقط دونَ معنًى فيجوزُ بلا خِلافٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(٦)، وعَوانٌ بينَ ذلكَ وغيرِهما منَ الآياتِ، و(لَونُها) في (فاقِعٌ لَونُها): مرفوعٌ

---

(١) سورة محمد ٤٧: ١ ـ ٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: في سورة النّساءِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الآية: ١٥٠]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: ١٥٢].

(٣) البيت من الطويل. ديوانه: ١٤، وينظر: جمهرة أشعار العرب: ٥١.

والشاهد فيه: مجيء (بين) مضافة إلى مفرد لفظا ومعنى وقد عُطِفَ على مضافها بالفاء دون الواو.

(٤) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة. ينظر: شرح ابن عقيل: ٢: ٦٣، الشاهد رقم: ٢٢٩، وشرح شواهد المغني: ٢: ٥٥٢، الشاهد رقم: ٣٢٤.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: بينَ وكِلا.

(٦) سورة البقرة ٢: ٢٨٥.

بأنَّهُ فاعلُ فاقعٌ معَ أنَّ الفُقوعَ صِفةُ بقرةٍ مثلَ صفراء، و(تَسُرُّ النّاظرينَ): للمبالغةِ والتّأكيدِ كما مَرَّ في بيانِ اللّغةِ. [٣٧٥]

قولُهُ: (إنَّ البَقَرَ تشابَهَ علينا): إنّما ذَكرَ تشابَهَ ولَم يقلْ تَشابهَت وتَتَشابَهُ؛ لأنَّ كُلَّ جمعٍ أو جنسٍ يكونُ واحدُهُ بالتّاءِ، نحو: البَقَرِ والسَّحابِ والنّخلِ، ونحوِها فإنَّه يُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[١] وفي موضعٍ آخَرَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٢]، والتّذكيرُ هوَ الغالِبُ؛ لأنَّهُ أَخفُّ وأَقدَمُ، وقولُهُ: (تُثيرُ الأَرضَ) في محلِّ الرّفعِ: صفةٌ لِـ(ذلول) وهوَ داخلٌ في معنى النَّفي، أي: بقرةٌ غيرُ ذَلولٍ مُثيرةٍ للأَرضِ وغيرُ ساقيَةٍ للحربِ، و(مُسلَّمةٌ): صفةٌ لـ(بقرة) وهيَ ليسَت بداخِلةٍ في معنى النَّفي.

وجملةُ: (لا شِيَةَ فيها): في موضِعِ رفعٍ صفةٌ لـ(بقرة) أيضًا، و(شِيَةَ): مصدرُ وَشيتُ الثّوبَ، مثلَ: عِدَةٍ في مصدرِ وَعَدَ، لكنَّها لفيفٌ مفروقٌ أَصلُها: وِشيٌ نُقِلَت كسرةُ الواوِ لِثقلِها عليها إلى الشّينِ فَأُسقِطَت الواوُ وعُوِّضَت عنها التّاءُ في آخِرِها فَصارَت: شِيَةً، قالوا: وَشَيتُهُ شِيَةً ووَشيًا، كما قالوا: وَعدتُهُ عِدَةً ووَعدًا، ووَزَنتُهُ زِنَةً ووَزنًا، ووَصَلتُهُ صِلَةً ووَصلًا فوزنُ الجميعِ: عِلَةٌ.

بيانُ ثبوتِ الواوِ في قولِهِ: وِجهةٌ، وقولِهِم: وِلدَةٌ في جمعِ وليدٍ:

وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾[٣] بإثباتِ الواوِ فقَليلٌ لكنَّهُ فَصيحٌ؛ لورودِهِ في القرآنِ، أو ليست بمصدرٍ بل هي: اسمٌ للجِهةِ المتوجَّهِ إليها فلا يَلزمُ فيها ولا في وِلدَةٍ في جمعِ وَليدٍ لِعدمِ المصدريّةِ.

بناءُ الآن:

قولُهُ: (الآنَ): ظرفٌ لجئتَ وقَد مَرَّ، وقالَ بعضُ النّحاةِ كأبي عليٍّ[٤] وغَيرِهِ: إنَّما بُنِيَ (الآن) لِتضَمّنهِ مَعنى حرف التّعريفِ، أَعني: (أل) الّتي لتعريفِ الحضورِ، وحينئذٍ تكونُ الأَلِفُ واللّامُ

(١) سورة القمر ٥٤: ٢٠.

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ٧.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٨.

(٤) أرادَ بِهِ: أبا عليّ الفارسيّ.

الموجودةُ فيهِ زائدةً لازمَةً[1]، وقالَ صالحُ المكوديّ[2]: «وهذا من الغرائبِ حيثُ جَعلوهُ مُتضمِّنًا معنى (أل)، وجَعَلوا (أل) الموجودةِ فيهِ زائدةً»[3]، انتهى. وقيلَ: إنَّ اللّامَ الموجودَةَ فيهِ لتعريفِ الحضورِ، كما في: مَررتُ بهذا الرّجلِ[4]، انتهى.

والحاصلُ أنَّ (أل) الزّائدةَ غيرُ المعرّفةِ قسمانِ:

أَحدُهُما: لازمَةٌ لا تُفارقُها إلّا في ضَرورةٍ.

والثاني: عارضَةٌ.

واللّازمةُ ثلاثةُ أقسامٍ:

ـ إمَّا قارَنَتِ العَلَمَ عند وضعهِ، كَالسَّمَوأَلِ[5]: اسمُ شاعرٍ، واليَسَعَ: اسمُ نبيٍّ، واللّاتَ والعُزَّى: اسمُ صَنَمينِ.

ـ وإمَّا قارَنَتِ المُعرَّفَ بتعريفِ الحضورِ، وهو: الآنَ كما مَرَّ.

ـ وإمَّا قارَنَتِ الموصولَ، وهوَ: الذي والتي وفروعُهما؛ لأَنَّهُ لا يَجتمِعُ تعريفانِ:

وأَل الزَّائدةُ العارضَةُ، قسمانِ:

ـ أَحدُهُما: ما هوَ مُختَصٌّ بالضّرورةِ كبَناتِ الأَوبرِ في قولِ الشّاعرِ:

ولَقد جَنَيتُكَ أَكمُؤًا وعَساقِلا ... ولَقَد نَهَيتُكَ عَن بَناتِ الأَوبَرِ[6]

---

(١) ينظر: التعليقة على كتاب سيبويه: ٣: ١١٠، و أمالي ابن الشّجريّ: ٢: ٥٩٧، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٤٢٦.

(٢) وهو: عبد الرحمن بن علي بن صالح المَكُّودي، أبو زيد: عالِم بالعربية. نسبته إلى بني مَكُّود (قبيلة قرب فاس) وُلِدَ بفاس، له عدّة مصنّفات، منها: شرح ألفية ابن مالك، شرح مقدمة ابن آجروم، البسط والتعريف في علم التصريف، توفي سنة (٨٠٧هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٤: ٩٧، ترجمة رقم: ٢٨٢، ومعجم المؤلفين: ٥: ١٥٦.

(٣) شرح المكودي على الألفيّة في علمي النحو والصرف: ٤٢.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ١: ١٨٠.

(٥) الأزدي: شاعر جاهلي حكيم، من سكّانِ خيبر كان يتنقل بين المدينة وبين حصن لـه توفي (نحو ٦٥ ق. هـ). الأعلام: ٣: ١٤٠، ومعجم المؤلفين: ٤: ٢٨٠.

(٦) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة. ينظر: العين: ٢: ٢٩٠، (عسقل)، وجمهرة اللغة: ١: ٣٣٠، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٣٧.

أرادَ: بناتِ أَوبَر بدونِ اللّامِ؛ لأنّهُ عَلَمٌ لِنوعٍ مِن الكَمَأةِ رَديءٌ.

ـ والثّاني: غيرُ مُختَصٍّ بالضّرورةِ، وهوَ: الذي يدخُلُ على بعضِ الأعلامِ لِلَمحِ الأَصلِ كالفَضلِ والحارِثِ والنُّعمانِ والحَسنِ والحُسينِ والعَلاءِ والعَبّاسِ والقاسِمِ ونحوِها، وقد استَوفينا هذا المقامَ في زينَةِ السَّالكِ.

أصلُ (كادَ) ومضارعُهُ ومصادرُهُ:

قولُهُ: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: (ما) نافيةٌ، و(كادَ): من أَفعالِ المقاربَةِ: فعلٌ ماضٍ أجوفٌ عينُهُ واوٌ أو ياءٌ، جاءَ من بابِ خافَ يَخافُ وصانَ يَصونُ، يقالُ: كِدتُ بكسرِ الكافِ وضمِّها حَكاهما سيبويه[1]، والأَوَّلُ أَشهرُ، قالَ تعالى: ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾[2] فعلى الأوَّلِ مضارعُها: يَكادُ، كَيخافُ، وهوَ الذي وقعَ في القرآنِ، كقولهِ تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[3]، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾[4]، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾[5]، ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6] الآية، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[7].

وعلى الثّاني: يَكودُ، كَيَصُونُ، ولم يجئ في القرآنِ، ومَصدرُهُ على الوجهينِ كَيدًا ومَكادَةً ومَكادًا، وقالَ نجمُ الأَئمَّةِ[8] ﵀: (وكادَ مِن كِدتُ تَكادُ كَيدًا ومَكادَةً كهِبْتَ تهابُ ـ فعلى هذا تكونُ عينُهُ ياءً

(١) ينظر: الكتاب: ٤: ٤٠.

(٢) سورة الصافات ٣٧: ٥٦.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٠.

(٤) سورة النور ٢٤: ٣٥.

(٥) سورة الحج ٢٢: ٧٢.

(٦) سورة القلم ٦٨: ٥١.

(٧) سورة النور ٢٤: ٤٠.

(٨) هو: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: عالم فاضل مدقّق، له جملة من الكتب، منها: شرح الكافية، شرح الشافية، شرح قصائد ابن أبي الحديد، وغيرها، توفي سنة (٦٨٦هـ). ينظر: أمل الآمل: ٢: ٢٥٥، ترجمة رقم: ٧٥٤، وهدية العارفين: ٢: ١٣٤.

ـ وحَكى الأصمَعيُّ[1]: كَودًا بالواوِ فيكونُ: مِن خِفتُ تَخافُ خَوفًا ومَخافَةً، والأَوَّلُ أشهرُ[2]، انتهى كلامُهُ ﷺ.

وهذهِ الأفعالُ ترفعُ الاسمَ وتَنصِبُ الخبرَ مثلَ الأفعالِ النّاقصةِ إلّا إنَّهُ يُشتَرطُ أن يكونَ خبَرُ جميعِ هذهِ الأفعالِ فعلًا مُضارعًا لِيدلَّ على الحالِ أو الاستقبالِ كونُهُ[3] فعلًا ماضيًا، أو اسمَ فاعلٍ، أو جملةً اسميّةً شاذٌّ وغيرُ فصيحٍ، وهيَ: أَعني تلكَ الأفعالُ: ثلاثةُ أَقسامٍ:

ـ قِسمٌ وُضِعَ للدَّلالةِ على قُربِ الخَبرِ، وهوَ ثلاثةُ أَفعالٍ: كادَ وكَرَبَ وأَوشَكَ.

ـ وقِسمٌ وُضِعَ للدَّلالةِ على رجائِهِ، وهوَ أيضًا ثلاثةٌ: عَسى وحَرَى واخلَولَقَ.

ـ وقِسمٌ وُضِعَ للدَّلالةِ على الشّروعِ فيهِ، وهوَ كثيرٌ: منهُ: أَنشَأَ وجَعَلَ وطَفِقَ وأَخَذَ وعَلِقَ وغيرِها.

ذكرُ أَخبارِ هذهِ الأفعال وأَقسامِها: [٣٧٦]

فَتسميةُ الجميعِ بأفعالِ المُقارَبةِ من بابِ التّغليبِ، ويجبُ أن يكونَ أَخبارُها كُلُّها فعلًا مُضارعًا، وهوَ باعتِبارِ اقتِرانِهِ بأنِ المصدريّةِ النّاصبةِ وعَدَمِها على ثلاثةِ أَوجهٍ:

ـ فَكُلُّ ما دَلَّ على الرّجاءِ، مِن نَحوِ: حَرَى واخلَولَقَ، فقَد وَجبَ أن يكونَ خبَرُهُ مضارعًا مقرونًا بأن المصدريَّةِ؛ لأنَّ الفعلَ المُرجَى وقوعُهُ قد يَتراخَى حُصولُهُ فاحتُيجَ إلى (أن) المُشعرَةِ بالاستِقبالِ.

ـ وكُلُّ ما دَلَّ على الشُّروعِ، يجبُ أن يكونَ مُجَرَّدًا عن (أن)؛ وذلكَ لأنَّها للأخذِ في الفِعلِ والشُّروعِ فيهِ وهو يُنافي الاستقبالَ.

ـ وفي البَواقي، أعني: عَسَى وأَوشَكَ وكادَ وكَرَبَ، تفصيلٌ:

ـ وهوَ أنَّ الغالبَ في عَسى وأوشَكَ الاقترانُ بـ(أن) المصدريَّةِ والتّجرّدُ منها قليلٌ.

---

(١) وهو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: الإمام العلّامة الحافظ البصري، اللغوي الاخباري، حَدَّث عن: أبي عمرو بن العلاء، وحدّث عنه الإمام مالك: توفي سنة (٢١٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل: ٥: ٣٦٣، ترجمة رقم: ١٧١٠، وسير أعلام النبلاء: ١٠: ١٧٦، ترجمة رقم: ٣٢.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٤: ٢٢٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: كون خبر هذه الأفعال.

ـ والغالِبُ في كادَ وكَربَ التَّجرّدُ من (أن)؛ وذلكَ لأنَّ (أن) إنَّما يقتَرنُ بأفعالٍ غيرِ ثابتَةٍ ولا مُستَقرّةٍ، مثلَ: الطّمعُ والرّجاءُ، وكادَ وكَربَ قَريبٌ من الحالِ فلا يَلزمُهُ (أن) والاقترانُ بها قَليلٌ.

وقَد استَوفينا جميعَ ذلكَ مُفصَّلًا في زينَةِ السَّالِكِ أيضًا، فـ(الواو) في الآيةِ المذكورةِ: اسمُ كادَ، وجملةُ: (يفعَلونَ): خبرُهُ، ولَم يجئ في القرآنِ المجيدِ خبرُ كادَ معَ (أن) أَصلًا، وخبرُ عَسَى بدونِها أَصلًا، وقد جاءَ نادرًا كادَ مَعَ أن في غيرِ القرآنِ كقولِهِ:

رَبعٌ عَفاهُ الدَّهرُ طُولًا فَانمَحَى قَد كادَ مِن طُولِ البِلى أن يَمصَحَا [1]

وقولِهِ: كادَتِ النّفسُ أن تَفيضَ عليهِ إذ ثَوَى حَشوُ رَيطَةٍ وبُرُودِ [2]

تحقيقُ مَقامٍ لإزالةِ إبهامٍ:

إذا دخَلَ النّفيُ على كادَ ومضارِعِهِ وسائرِ مُتصرّفاتِهِ ففيهِ ثلاثةُ أَقوالٍ:

الأوَّلُ: وهوَ الأصَحُّ والصّوابُ: أَنَّهُ كسائرِ الأَفعالِ في إفادةِ أَدواتِ النّفي نَفيَ مضمونِها مُطلقًا، ماضيًا كانَ أو مستقبلًا أو غيرَهما، أمَّا في الماضي؛ فلِقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[3] فإنَّ المرادَ: عدمُ قربِهِم ذَبحَ البقَرَةِ فيما قبلُ، وقولِ الشّاعرِ:

[أتهجرُ ليلى للفراقِ حبيبَها] وما كادَ نَفسًا بالفِراقِ تَطيبُ [4]

---

(١) البيتُ من الرجز، لرؤبة بن العجاج. ديوانه: ١٧٢، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٤٦٠، الشاهد رقم: ٣٧١.

ومنه في حاشية الأصل: مَصَحَ الشّيءَ مُصُوحًا: ذهَبَ وانقَطَعَ، ومَصَحَ الثّوبُ: أُخلِقَ ودُرِسَ.

(٢) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في لسان العرب: ٦: ٢٣٤، (نفس)، وارتشاف الضرب من لسان العرب: ٥: ٢٣٩٣، ونسبه ابن عقيل في شرحه: ١: ٣٣٠، الشاهد رقم: ٨٨ إلى محمد بن مناذر من أبياتٍ لهُ في رثاءِ صديقٍ له.

ومنه في حاشية الأصل: ومقصودُ الشّاعرِ من هذا البيتِ: إنَّ نفسَهُ كادَت تَقضي وتموتُ حينَ رَأى الميِّتَ المُعيّنَ صارَ بينَ الرّيطةِ والبُرودِ، أي: بينَ أَكفانِهِ، وثَوَى بمعنى: أَقامَ، ورُوِيَ: (غدا) بَدَلَ: (ثَوَى)، وهوَ بمعنى: صارَ.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧١.

(٤) البيت من الطويل، وقد أُختُلِفَ في نسبته، فقيل: للمخبّل السّعدي، ولأعشى همدان، ولقيس بن معاذ. ينظر: الخصائص: ٢: ٣٨٦، وشرح الأشموني لألفيّة ابن مالك: ٢: ٥٣. وقد ورد البيت بلفظ: (وما كان نفسًا)، وعليه فلا شاهد فيه. وجاء بلفظ المُصنِّف (وما كادَ) في أسرار العربية: ١٥٤. والشاهد فيه: مجيء الفعل (كادَ) بالماضي منفيًّا.

وقولِهِ:

فَأُبتُ إلى فهمٍ وما كُدتُ آيِبًا [1] [وَكم مثلهَا فارقتها وهيْ تَصْفِرِ]

وأمَّا في المضارعِ فلقولِهِ تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[2]، ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾[3]، ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[4] الآيةُ، وهوَ ظاهرٌ لا سُترَةَ فيهِ.

الثّاني[5]: إنَّ نفيَهُ للإثباتِ مُطلقًا ماضيًا كانَ أو مستقبلًا، أمَّا في الماضي فلقولِهِ تعالى: ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[6] فإنَّ المقصودَ: إثباتُ الفعلِ لا نَفيُهُ بدليلِ فَذَبَحوها، وإلَّا لَزِمَ اجتماعُ النّقيضينِ، وهوَ مُحالٌ، وأمَّا في المضارعِ فَلِتَخطئَةِ الشُّعراءِ قَولَ ذِي الرُّمّةِ:

إذا غَيَّرَ الهجرُ المُحبِّينَ لَم يَكدْ رَسِيسُ[7] الهوى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبرَحُ [8]

---

(١) البيت من الطويل، وهو لتأبّطَ شرًّا. ديوانه: ٩١، وينظر: شرح المفصّل لابن يعيش: ٤: ٢٢١.
والشاهد فيه: مجيء الفعل (كادَ) المتّصل بضمير الرفع المتحرّك منفيًّا.

(٢) سورة النساء ٤: ٧٨.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٩٣.

(٤) سورة النور ٢٤: ٤٠.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: القولُ الثّاني.

(٦) سورة البقرة ٢: ٧١.

(٧) الرّسِيسُ: «الشيءُ الثابتُ اللّازمُ مكانهُ». العين: ٧: ١٩١، (رس).

(٨) البيت من الطويل. ديوانه: ٤١٤، وينظر: تهذيب اللغة: ١٢: ٢٠٥، وقد ورَدَ البيتُ بلفظ:

إذا غيَّرَ النأيُ المُحبّينَ لم أجد رسِيسَ الهوَى مِن ذِكرِ مَيَّةَ يَبرَحُ

وجاء بلفظ المُصَنِّفِ في: شرح المفصّل لابن يعيش: ٤: ٣٨٣، والكافية في علم النحو: ٤٩.

وقائلهُ هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، أبو الحارث: من فحول شعراء الطبقة الثانية في عصره، وكان شديد القصر، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، توفي سنة (١١٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥: ٢٦٧، ترجمة رقم: ١٢٨، والأعلام: ٥: ١٢٤.

بأنَّهُ يدُلُّ على زَوالِ رَسيسِ الهَوى، ولِتسليمِ ذي الرُّمّةِ تخطِئَتَهُم وتغييرِهِ قولَهُ: لَم يَكدْ، بقولِهِ: لَم أَجِدْ، فلَولا كانَ نفيُ كادَ للإثباتِ لَمَا خطّأُوهُ ولَمَا غَيَّرَ، والجَوابُ عن الأوّلِ، أَعني: الماضي، بأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ يدلُّ على انتفاءِ الذّبحِ وانتفاءِ القُربِ منهُ في وَقتٍ ما فيما قَبلُ، وقولُهُ ﴿**فَذَبَحُوهَا**﴾ يدلُ على ثُبوتِ الذّبحِ بعدَ انتِفاءِهِ وانتِفاءِ القُربِ منهُ، ولا تَناقضَ بينَ انتفاءِ الشّيءِ في وَقتٍ وثُبوتِهِ في وَقتٍ آخرَ، وإنَّما التّناقُضُ بينَ ثُبوتِ الشّيءِ ونَفيهِ في وَقتٍ واحدٍ، لاشتراطِ ثَماني وَحَداتٍ في التّناقُضِ، ولا تَتَحقَّقُ الوحدةُ الزّمانيّةُ هنا؛ لأنَّ قولَهُ ﴿**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ بمعنى: وما كادُوا يذبَحونَ قَبلَ الذَّبحِ وما قَرُبُوا منهُ إشارةً إلى ما سَبقَ قبلَ ذلكَ من تعَنُّتِهِم في قولِهِم أَتَتَّخذُنا هُزُوًا وقَولُهُم: ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ**﴾، و﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا**﴾، و﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾ إلى آخرِهِ، وهذا التَّعنُّتُ دَأبُ مَن لا يَفعلُ ولا يُقارِبُ الفعلَ أيضًا، وعن الثّاني: أَعني: المضارعَ بتَخطِئَةِ بعضِ الفُصحاءِ مُخَطِّئَ ذي الرُّمّةِ، وذا الرُّمّةِ نفسَهُ[1] أيضًا في تَسليمِهِ تَخطِئَتَهُ.

بيانُ ذلكَ:

إنَّهُ رُوِيَ عن عَنبَسَةَ[2] أنَّهُ قالَ: قَدِمَ ذو الرُّمّةِ الكوفةَ واعتَرَضَ عليهِ ابنُ شَبرَمَةَ فغَيَّرَهُ، قالَ عَنبَسَةُ: حدَّثتُ أَبي بذلكَ فقالَ: أَخطَأَ ابنُ شَبرَمَةَ في إنكارِهِ عليهِ، وأَخطأَ ذو الرُّمّةِ حينَ غَيَّرَهُ، إنَّما هوَ كَقَولِهِ تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، وإنَّما هوَ لَم يَرَها[3]، انتهى. وكَذا قولُهُ تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وذا الرُّمّةِ بالنّصبِ عطفُ مُخطِّئ، ونفسَهُ بالنّصب تأكيد لهُ.

(٢) هو ابن معدان الفيل المهريّ: من بني أبى بكر بن كلاب، من الطبقة الثالثة، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢: ٣٨١، ترجمة رقم: ٥٢٨، ومعجم الأدباء: ١٦: ١٣٣، ترجمة رقم: ١٦.

(٣) ينظر: أمالي الشريف المرتضى: ٢: ١٢، وخزانة الأدب: ٩: ٣١٥.

وابن شبرمة: علّامةٌ، فقيهُ العراقِ، قاضي الكوفة، حَدَّثَ عن أنس بن مالك، وعامر الشّعبي، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، كما حَدَّثَ عنه: سفيان الثّوري، وسفيان بن عيينة، توفي سنة (١٤٤هـ). ينظر: تاريخ مدينة دمشق: ٤٨: ١٣٢، وسير أعلام النبلاء: ٦: ٣٤٨.

حَدِيثًا﴾ و﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، وإنَّما هُم لَم يَفقَهوا الحديثَ والقَولَ، وهوَ ظاهرٌ، فَبطَلَ القولُ واستدلالُهُ معًا.

الثّالثُ[1]: إنَّ نفيَ كادَ في الماضي للإثباتِ، وفي المستقبَلِ كسائرِ الأَفعالِ في إِفادةِ النّفيِ، نَفيَ مَضمونِهِ تَمسّكًا في الدّعوى الأُولى بقولِهِ تعالى: ﴿**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ وقَد عَرفتَ وجهَ التّمسُّكِ والجوابَ عنهُ، وفي الدَّعوى بقَولِ ذي الرُّمّةِ:

إذا غَيَّرَ الهجرُ المُحبِّينَ لَم يَكدْ رَسيسُ الهَوى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبرَحُ

حيثُ أَرادَ بالنّفيِ الدّاخلِ على يَكادُ: انتفاءَ قُربِ رَسيسِ الهَوى عن البُراحِ والزَّوالِ، فَالنّفيُ الدَّاخلُ على يَكادُ كالنَّفيِ الدَّاخلِ على سائرِ الأفعالِ في إفادةِ النّفيِ النَّفيَ، وهذا مُسَلَّمٌ منهُ لكن لا يَثبُتُ مُدَّعاهُ بمجَرَّدِ ذلكَ ما لَم يُثبِتْ دَعواهُ الأُولى وقَد عَرَفتَ وجهَ القَدحِ فيهِ وتمسّكَهُ عليها. [٣٧٧]

النّزولُ والقصّةُ:

كانَ السّببُ في أَمرِ اللهِ تعالى بذَبحِ البقَرَةِ فيما ذُكِرَ في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «أنَّ امرأَةً حسناءَ ذاتَ جمالٍ وخُلقٍ كاملٍ، وفَضلٍ بارعٍ، ونَسَبٍ شريفٍ وسَترٍ ثَخينٍ كَثُرَ خُطّابُها وكانَ لها بَنو أعمامٍ ثلاثةٌ، فَرضيت بأَفضلِهم عِلمًا وأثخَنِهم سَترًا، وأرادَتِ التّزويجَ بهِ فَاشتَدَّ حَسدُ ابنَي عَمِّهِ الآخرَينِ لهُ، وغَبَطاهُ علَيها لإيثارِها إيَّاهُ فَعمَدا إلى ابنِ عمِّها المرضيّ فأَخذاهُ إلى دَعوتِها، ثُمَّ قتَلاهُ وحمَلاهُ إلى محلَّةٍ تشتَمِلُ على أكثرِ قبيلَةٍ في بني إسرائيلَ، فَألقَياهُ بينَ أَظهُرِهم ليلًا، فَلمّا أصبَحُوا وَجدوا القَتيلَ هناكَ، فَعُرِفَ حالُهُ، فجاءَ ابنا عَمِّهِ القاتلان لهُ فمَزَقا ثيابَهُما على أنفسِهِما، وَحَثَيا التّرابَ على رؤوسِهِما، واستَعدَيا عليهم، فَأحضَرَهُم موسى عليه السلام وسَأَلَهم، فأَنكَروا أن يَكونُوا قَتَلوهُ، أو عَلِمُوا قاتِلَهُ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: القولُ الثّالث.

التّحليفُ في القِسامةِ:

فَألزَمَ موسى عليه السلام أهلَ القَبيلةِ بأمرِ الله تعالى أن يَحلِفَ خَمسونَ من أماثِلِهم(١) بالله القَوِيِّ الشّديدِ إلهِ بَني إسرائيلَ، مُفَضِّلِ مُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيّبينَ على البَرايا أجمَعين: إنّا ما قَتَلناهُ ولا عَلِمنا لهُ قاتِلًا، فَإن حَلَفوا بذلكَ غَرِموا دِيَةَ المقتولِ، وإن نَكَلُوا نَصُّوا على القاتلِ، أو أقَرَّ القاتلُ فَيُقادُ منهُ، فَإن لَم يَفعَلوا حُبِسوا في مَحبَسٍ ضَنكٍ(٢) إلى أن يَحلِفوا أو يُقِرُّوا، أو يَشهَدوا على القاتلِ.

فَقالوا: يا نَبيَّ الله أما وَقَتْ(٣) أيمانُنا أموالَنا و لا أموالُنا أيمانَنا؟ قالَ موسى عليه السلام: لا، هَكذا حُكمُ الله، فقالَ: فَحكمُ الله عَزَّ وجَلَّ على مَن فَعلَ هذهِ الحادثةَ ما عَرَفتُمُوهُ، فَالتَزِموهُ. فَقالوا: يا موسى: أيَّ نَفعٍ في أيمانِنا لنا إذا لَم تَدرأ عَنّا الغَرامَةَ الثّقيلَةَ؟ أم أيَّ نَفعٍ في غَرامتِنا إذا لَم تَدرَأ عَنَّا الأيمانَ؟ فقالَ موسى عليه السلام: كُلُّ النَّفعِ في طاعةِ الله والائتِمارِ لأمرِهِ والانتهاءِ عَمَّا نَهى عنهُ.

فَقالوا: يا نَبيَّ الله غُرمٌ ثَقيلٌ ولا جِنايةَ لَنا؟ وأيمانٌ غَليظةٌ ولا حَقَّ في رِقابِنا؟ لو عَرَفَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ قاتلَهُ بعينِهِ وكفانا مَؤنَتَهُ، فَادعُ لَنا رَبَّكَ أن يُبيِّنَ لَنا هذا القاتلَ لِتُنزلَ بهِ ما يستحقُّهُ من العِقابِ، ويَنكَشفَ أمرُهُ لِذَوي الألبابِ. فَقالَ موسى عليه السلام: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قد بَيَّنَ ما أَحكُمُ بهِ في هذا، فليسَ لِيَ أن أقتَرِحَ عليهِ غيرَ ما حكَمَ، ولا اعترِضُ عليهِ فيما أمَرَ، ألَا تَرَونَ أنّهُ لَمَّا حَرَّمَ العَمَلَ في يومِ السَّبتِ وحَرَّمَ لَحمَ الإبلِ(٤) لَم يكن لنا أن نَقتَرِحَ عليهِ أن يُغيِّرَ ما حكَمَ بهِ علينا من ذلكَ، بل عَلينا أن نُسَلِّمَ لهُ حُكمَهُ، ونَلتزِمَ ما ألزَمَنا. وهَمَّ بأن يَحكُمَ عليهِم بالذي كانَ يَحكُمُ بهِ على غيرِهم في مثلِ حادِثتِهِم، فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه: يا موسى أجِبهُم إلى ما اقتَرَحوا وسَلنِي أن أُبيِّنَ لهم القاتلَ لِيُقتَلَ ويَسلَمَ غيرُهُ من التّهمَةِ والغَرامةِ، فَإنّي أُريدُ بإجابتِهِم إلى ما اقتَرَحوا تَوسِعَةَ الرّزقِ على رَجلٍ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: أفاضلهم.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: ضيّق.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: من الوقاية.

(٤) وردَ بلفظِ (الجملِ) في المصدرِ.

مِن خِيارِ أُمَّتِكَ، دِينُهُ الصّلاةُ على مُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيبينَ، والتّفضيلُ لُمحمَّدٍ وعَليٍّ بعدَهُ على سائرِ البَرايا، وأُغنيهِ في الدُّنيا في هذهِ القَضيَّةِ؛ لِيكونَ بعضُ ثوابِهِ عن تَعظيمِهِ لُمحمَّدٍ وآلِهِ.

فقالَ موسى عليه السلام: يا ربِّ بَيِّن لنا قاتلَهُ. فأوحى اللهُ تعالى إليه: قُل لِبَني إسرائيلَ: إنَّ اللهَ بَيَّنَ لكُم ذلكَ بأَن يَأمُرَكم أن تَذبَحوا بَقَرةً، فَتضربوا بِبعضِها المقتولَ فَيَحيى، أفَتُسلِّمونَ لربِّ العالمينَ ذلكَ؟ وإلَّا فَكُفُّوا عن المسألَةِ، والتَزِموا ظاهرَ حُكمي.

فذلكَ ما حَكَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾**، أي: سَيأمُرُكُم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً إن أَرَدتُم الوُقوفَ على القاتلِ(١) إلى آخِرِه كما يجيءُ.

وفي تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: عنِ الصّادقِ عليه السلام: «إنَّ رجُلًا مِن خِيارِ بَني إسرائيلَ وعلمائِهم خَطَبَ امرأةً منهم فَأنعمَت لهُ، وخَطَبَها ابنُ عَمٍّ لذلكَ الرّجلِ(٢) وكانَ فاسقًا رَديًّا فَلَم يَنعمُوا لهُ، فحَسَدَ ابنَ عمِّهِ الذي أنعَموا لهُ [فقعَدَ لهُ](٣) فقَتَلَهُ غِيلَةً ثمَّ حمَلهُ إلى موسى عليه السلام فقالَ: يا نَبيَّ اللهِ هذا ابنُ عَمِّي قَد قُتِلَ، فقالَ موسى: مَن قَتلهُ؟ قالَ: لا أدري، وكانَ القَتلُ في بَني إسرائيلَ عَظيمًا جدًّا فعَظُمَ ذلكَ على موسى عليه السلام فَاجتَمعَ إليهِ بنو إسرائيلَ فقالوا: ما تَرى يا نَبيَّ اللهِ؟ وكانَ في بني إسرائيلَ رَجلٌ لهُ بَقَرةٌ وكانَ لهُ ابنٌ بارٌّ وكانَ عندَ ابنِهِ سِلعةٌ فَجاءَ قومٌ يطلبونَ سِلعتَهُ وكانَ مفتاحُ بيتِهِ تحتَ رأسِ أبيهِ وكانَ نائمًا وكَرِهَ ابنهُ أن يُنبِّهَهُ ويُنَغِّصَ عليهِ نومَهُ، فَانصَرفَ القومُ ولَم يَشتَرُوا سلعَتَهُ فلَمَّا انتبَهَ أبوهُ قالَ لهُ: يا بُنيَّ ماذا صنعتَ في سِلعَتِكَ؟ قالَ: هيَ قائمةٌ لَم أبعْها؛ لأنَّ المفتاحَ كانَ تحتَ رأسِكَ فكرِهتُ أن أُزعِجَكَ مِن رَقدَتِكَ(٤) وأُنَغِّصَ عليكَ نومَكَ، قالَ لهُ أبوهُ: قَد جعلتُ هذهِ البقرَةَ [٣٧٨] لكَ عِوَضًا عَمَّا فاتَكَ مِن رِبحِ سِلعتِكَ وشكَرَ اللهُ للابنِ ما فَعلَ بأبيهِ، وأمرَ بَني إسرائيلَ أن يَذبَحُوا تلكَ البقَرةِ بعينِها، فلَمَّا اجتَمعوا إلى موسى وبَكَوا وضَجُّوا قالَ لهم موسى عليه السلام: **﴿إِنَّ**

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٧٣ـ ٢٧٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: الخيار.

(٣) الاضافة من المصدرِ لم ترد في نسخة المصنِّف.

(٤) لم ترد عبارة (أُزعِجَكَ مِن رَقدَتِكَ) في المصدر المُعتمد وقد جاءت بلفظ: (أُنَبِّهَكَ).

اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فَتعجَّبوا وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ نَأتيكَ بقَتيلٍ فتقولُ: اذبَحُوا بَقرَةً، فقالَ لهم موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فَعَلِموا أنَّهم قد أخطَأوا فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، الآيات إلى أن قالوا: ﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، هيَ بَقرَةُ فُلانٍ فذَهَبوا ليشتَروها، فقالَ: لا أبيعُها الّا بمِلءِ جِلدِها ذَهبًا، فرَجَعوا إلى موسى عليه السلام فَأخبَروه، فقالَ لهم موسى: لابُدَّ لكم مِن ذَبحِها بعينِها بمِلءِ جِلدِها ذَهبًا فذَبَحوها ثمَّ قالوا: ما تأمُرُنا يا نَبيَّ الله؟ فأوحى اللهُ تعالى إليهِ: قُل لَهم اضرِبُوهُ ببعضِها وقُولوا مَن قَتلَكَ؟ فَأَخذوا الذَّنَبَ فَضرَبُوهُ بهِ، وقالوا مَن قَتلكَ يا فُلانُ؟ فقالَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ ابنِ عَمِّهِ الذي جاءَ بهِ، وهوَ قولُهُ تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] »[2].

وفي العُيونِ: بإسنادِهِ إلى أحمَدَ بنِ مُحمَّدِ بنِ أبي نَصرٍ البَزنطي قالَ: سمعتُ أبا الحسنِ الرّضا عليه السلام يقولُ: إنَّ رجُلًا من بَني إسرائيلَ قتَلَ قَرابةً لهُ ثمَّ اخذَهُ وطَرحَهُ على طريقِ أفضَلِ سِبطٍ من أسباطِ بَني إسرائيلَ، ثمَّ جاءَ يَطلُبُ بدمِهِ، فقالَ لموسى عليه السلام: إنَّ سِبطَ آلِ فلانٍ قَتلوا فُلانًا فَأخبِرنا مَن قَتلَهُ؟ قالَ: ائتُوني ببقَرةٍ، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، ولَو أنَّهم عَمَدوا إلى أيِّ بقرةٍ أجزَأَتهُم ولكن شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللهُ عليهم، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾، يَعني لا صَغيرَةً ولا كبيرةً ، ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ولَو أنَّهم عَمَدوا إلى أيِّ بقرَةٍ أجزَأَتهُم، ولكن شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللهُ عليهم، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾، ولَو أنَّهم عَمَدوا إلى أيِّ بقرَةٍ لأَجزَأتهم، ولكن شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللهُ عليهم، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، فَطَلبوها فَوَجَدوها عندَ فتًى مِن بَني إسرائيلَ، فقالَ لا أبيعُها إلّا بمِلءِ

(١) سورة البقرة ٢: ٧٣.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٤٩، ٥٠.

مِسكِها[1] ذَهَبًا، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا لهُ ذلكَ، فقالَ: اشتَروها[2]، فاشتَروها[3] وجاؤوا بها، فأمَرَ بذبحِها ثمَّ أمَرَ أن يُضرَبَ الميّتُ بِذَنَبِها فلَمّا فعَلوا ذلكَ حَيِيَ المقتولُ، وقالَ: يا رسولَ اللهِ[4] إنَّ ابنَ عمِّي قتلَني دونَ مَن يَدَّعي عليهِ قَتلِي فعَلِموا بذلكَ قاتلَهُ، فقالَ رسولُ الله موسى بنُ عِمرانَ عليه السلام لبعضِ أصحابِهِ إنَّ هذهِ البقرَةَ لها نَبَأً، فقالَ: وما هوَ؟ قالَ: إنَّ فتًى مِن بني إسرائيلَ كانَ بارًّا بأبيهِ وإنَّهُ اشترى تَبيعًا فجاءَ إلى أبيهِ والإقليدُ[5] تحتَ رأسِهِ فكَرِهَ أن يُوقِظَهُ فتَرَكَ ذلك البيعَ، فاستيقَظَ أبوهُ فأخبرَهُ، فقالَ لهُ: أحسَنتَ خُذ هذهِ البقرَةَ فهيَ لكَ عِوَضًا لما فاتَكَ، قالَ: فقالَ رسولُ الله موسى بن عمران عليه السلام: انظُروا إلى البِرِّ ما بَلَغَ بأَهلِهِ[6]، انتهى ولا تَنافِيَ بينَ هذهِ الأخبارِ.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ: كانَ القَتيلُ شَيخًا مُوسِرًا قتلَهُ بَنو أَخيهِ طَمعًا في مِيراثِهِ وطَرَحوهُ على بابِ بعضِ الأَسباطِ ثمَّ جاؤوا يُطالِبونَ بِدَمِهِ فأَمَرَهُم اللهُ أن يَذبَحوا بقرَةً ويَضرِبوهُ ببعضِها لِيَحيَى فيُخبِرَ بقاتِلِهِ[7].

المعنى:

﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**﴾ الآياتِ، هذهِ الآياتُ الخَمسُ معَ ما بَعدِها مَعطوفةٌ على ما تَقدَّمَها مِن الآياتِ الواردةِ في تَعدادِ نِعَمِ الله تعالى على بَني اسرائيلَ ومُقابَلَتِهم إيَّاها بالعِصيانِ والكُفرانِ، وأوَّلُ هذهِ القصَّةِ قولُهُ تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ إلى آخِرِهِ، فَقُدِّمَ المُؤخَّرُ تَنبيهًا على استقلالِهِ بنوعٍ آخَرَ مِن مَساوِئِهم وهوَ استِهزاؤُهُم بأمرِ الله

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: جلدها.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: فعل أمرٍ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: فعل ماضٍ.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: وهو هنا موسى عليه السلام.

(٥) لم يرد لفظ (الإقليد) في المصدر المُعتمد وقد جاء بلفظ: (رأى أنَّ المقاليدَ)، و «الإقليدُ: المفتاحُ». العين: ٥: ١١٧، (قلد).

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٦، ١٧.

(٧) ينظر: جامع البيان: ٢: ٢٢٦، وتفسير ابن كثير: ١: ٢٩٥، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: ١: ١٨٧.

واستِقصاؤُهُم في السّؤالِ بما اقترَحوهُ، أي: واذكُروا أيضًا مِن نَكثِكُم مِيثاقيَ الذي أَخَذتُهُ عليكُم بالطَّاعةِ، ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ تضرِبونَ هذا القَتيلَ الذي بينَ أَظهُرِكُم ببعضِها لِيَقومَ حَيًّا سَويًّا بإذنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويُخبِرَكم بقاتِلِهِ، ﴿**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**﴾، أي: فقالَ قومُ موسى عليه السلام: أتتَّخِذُنا مَوضِعَ هُزُؤٍ أو أَهلَ هُزُؤٍ أو هُزُؤًا نَفسَهُ؛ للمُبالغةِ لِفَرطِ الاستِهزاءِ استِبعادًا لِما قالَهُ واستِخفافًا بِهِ، أو مَهزوءًا بنا، أي: أَتَسخَرُنا وتَهزَؤُنا حيثُ سَألناكَ عنِ القتيلِ وإحيائِهِ؛ لِيُخبِرَنا بقاتِلِهِ وأنتَ تَأمرُنا بذَبحِ بَقرَةٍ وتَزعُمُ أنَّ اللهَ تعالى يَأمُرُنا بذَبحِ بَقرَةٍ وأَخذِ قِطعَةٍ مِن مَيِّتٍ نَضرِبُ بها مَيِّتًا فَيَحيى أَحدُ الميِّتَينِ بمُلاقاةِ بعضِ الميِّتِ لهُ فكيفَ يكونُ هذا مَعَ تَباعُدِ ما بينَ الأَمرينِ في الظّاهرِ فلا يكونُ هذا إلَّا استِهزاءً بنا ﴿**قَالَ**﴾، أي: موسى عليه السلام: ﴿**أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾، أي: أَعوذُ باللهِ مِن أن أكونَ مِنَ المُستهزِئينَ، إنَّما قالَ مِنَ الجاهلينَ؛ لِيدلّ على أنّ الاستهزاءَ لا يَصدُرُ إلَّا عن جاهلٍ؛ لأنَّ مَنِ استَهزأَ بغيرِهِ لا يَخلو إمَّا أن يَستَهزِئَ بخِلقَتِهِ أو بفعلِهِ، فأَمَّا الخِلقَةَ فلا معنى للاستِهزاءِ بها وإلَّا كانَ مُستَهزِئًا بخالقِها جَلَّ وعَلا، وأَمَّا الفعلَ فإذا كانَ قَبيحًا فالواجبُ أن يَنبِّهَ فاعلَهُ على قُبحِهِ؛ لِينزَجرَ عنهُ، فَأمَّا أن يَستَهزِئَ بِهِ فَلا، فَالاستِهزاءُ على هذا يكونُ كَبيرةً لا يَصدُرُ إلَّا عَن جاهلٍ وسَفيهٍ، نَفى عليه السلام عَن نَفسِهِ ما رُمِيَ بِهِ على طريقِ البُرهانِ، وبَيَّنَ ذلكَ[1] في صورةِ الاستِعاذةِ استِفظاعًا لهُ. [٣٧٩]

استدلالٌ منهُ عليه السلام:

أي: ءَأَنسِبُ إلى اللهِ تعالى ما لَم يَقُل لي ولَم يَأمُرني بِهِ، أُعارِضُ أَمرَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ بقِياسي على ما شاهدتُ دافِعًا لقولِ اللهِ تَعالى وأَمرِهِ، ثمَّ قالَ عليه السلام[2] لهم: أَوَ ليسَ ماءُ الرّجلِ نطفَةً مَيِّتةً، وماءُ المرأةِ كذلكَ مَيِّتانِ يلتقيانِ فيُحدِثُ اللهُ من التِقاءِ المَيِّتينِ بَشرًا حَيًّا سَويًّا، أَوَ ليسَ بُذُورُكم التي تَحرثونَها في أَرضِكم تَنفَسِخُ في أَرضِكم وتَتَعفَّنُ وهيَ مَيِّتةٌ، ثمَّ يُخرِجُ اللهُ منها هذهِ السّنابلَ الحَسَنَةَ البَهيجَةَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: النفي المذكور.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: موسى عليه السلام.

وهذهِ الأشجارَ الباسِقةَ المونِقَةَ، فلَمَّا بَهرَهم[1] موسى عليه السلام، وعَلِموا أنَّ ذَبحَ البقرَةِ فَرضٌ مِن الله تعالى سَأَلوا عَنها، وإنَّما أُمِرُوا بِذَبحِ البَقرةِ دونَ غيرِها معَ أنَّهُ يَحصَلُ الْمُدَّعى منهُ أيضًا؛ لأنَّها من جِنسِ ما عَبَدوهُ مِن العِجلِ ليَهونَ عندَهُم ما كانوا يَرَونَهُ من تَعظيمِهِ، ويَزولَ ما كانَ في نُفوسِهِم من عبادَتِهِ كَما وردَتِ الرّوايةُ في ذلكَ في العُيونِ وفي الفَقيهِ والخِصالِ أيضًا[2]، وإنَّما أَحيى اللهُ تعالى القَتيلَ بقَتلِ حَيٍّ لِيكونَ أظهرَ لقدرتِهِ تعالى في اختِراعِ الأشياءِ مِن أضدادٍ، فبَدَؤوا بالسّؤالِ بِسنِّها **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾**، أي: سَلْ مِن أَجلِنا رَبَّكَ **﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾**، أي: ما حَقيقتُها وصَفتُها وسِنُّها؟

نكتةٌ حِكَميَّةٌ:

وينبغي أن يقولوا: أيَّ بَقرَةٍ هيَ؟ بإيرادِهِ بلَفظةِ: أيّ، أو كيفَ هيَ؟ لأنَّ (ما)[3] هذهِ يُسأَلُ عن حَقيقَةِ الجنسِ والنَّوعِ وماهِيَّةِ الْمُسمّى غالبًا، فَيقالُ ما الحَيَوانُ؟ أو الحَيَوانُ ما هوَ؟ وما الإنسانُ؟ أو الإنسانُ ما هُوَ؟ أي: ما حقيقَةُ مُسمَّى هذا اللفظِ؟ فَيُجابُ بإيرادِ ذاتِيَّاتِهِ مِن الجِنسِ والفَصلِ، ولكنَّهم لمَّا رَأَوا ما أُمِرُوا بِهِ على حالٍ لَم يُوجَد بها شيءٌ مِن جنسِهِ أَجرَوهُ مَجرى ما لَم يَعرِفوا حَقيقتَهُ ولَم يَرَوا مثلَهُ، وإنَّما قُلنا: ما هذهِ؟ لأنَّ (ما) قِسمانِ:

ـ قسمٌ يُطلَبُ بها شَرحُ الاسمِ، كقَولِنا: ما العَنقاءُ؟ طالبًا أن يُشرَحَ هذا الاسمُ ويُبيَّنَ مفهومُهُ، فيُجابُ بإيرادِ لَفظٍ أَشهَرُ.

ـ وقسمٌ يُطلَبُ بها ماهيَّةِ الْمُسَمَّى، أي: حقيقتُهُ التي هوَ بها هوَ، كقَولِنا: ما الحَيَوانُ؟ إلى آخرِهِ.

و(هل) البسيطةُ تَقعُ بَينَهما[4] في التّرتيبِ؛ لأنَّ مُقتَضى التّرتيبِ الطّبيعي أن يُطلَبَ أوَّلًا: شَرحُ الاسمِ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: غلبهم.

(٢) ينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٦، حديث رقم: ٣١، ومَن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٠١، حديث رقم: ٢١٣٦، والخصال: ٢٩٢.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: لفظة (ما).

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: بين القسمين.

بـ(ما) الشّارحةِ لهُ، كقولِنا: ما العَنقاءُ؟ طالبًا أن يُشرَحَ هذا الاسمُ إلى آخرِهِ، ثمَّ يُطلَبُ وجودُ المفهومِ في نفسِهِ بـ(هَل) البسيطةِ، كقولِنا: هل العنقاءُ مَوجودٌ؟ ثمَّ يُطلَبُ ماهيَّتُهُ وحقيقتُهُ بـ(ما) التي هيَ ماهيَّةُ المُسمَّى، ووَصفُهُ الذي تَشخَّصَ بهِ، كقولِنا: ما العنقاءُ؟ أي: ما حقيقتُهُ التي هوَ بها هوَ؟ وما وَصفُهُ الذي امتازَ بهِ عن غيرِهِ من الحيَواناتِ؟ ولا تكونُ (ما) في هذهِ الآيةِ مِن القِسمِ الأوَّلِ على الأَصلِ؛ لأنَّهم عارِفونَ اسمَ البقَرِ وشَرحَهُ، ووجودَ مفهومِهِ في نفسِهِ، إلَّا على سَبيلِ الفَرضِ المذكورِ، وتكونُ من القِسمِ الثّاني بناءً على الأغلبِ، والمعنَى يُبيِّن لَنا ما سِنُّها وما حالُها وإن لَم يظهرْ في السّؤالِ أنَّ المسؤولَ عنهُ سِنُّ البقَرةِ وحالُها لكنَّهُ يظهرُ من الجَوابِ، ﴿**قَالَ**﴾، أي: فقالَ موسى ﷺ: ﴿**إِنَّهُ**﴾، أي: الله تعالى ﴿**قَالَ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ**﴾، أي: بَقرَةٌ متَّصفَةٌ بكونِها غيرَ كبيرَةٍ هَرِمَةٍ مُسِنَّةٍ فَرضَت سِنَّها وقَطَعَتها وبلَغت آخِرَها، وغيرَ صغيرةٍ لَم يَفتَحلها الفَحلُ، ولَم تلِد بَطنًا واحدًا؛ لأنَّ تركيبَ البِكرِ لِلأوَّليَةِ ومنهُ الباكُورَةُ والبُكرَةُ.

﴿**عَوَانٌ**﴾، أي: وَسَطٌ ﴿**بَيْنَ ذَلِكَ**﴾، أي: بينَ الفارِضِ والبِكرِ، وهوَ أقوى ما يكونُ وأحسَنُ من البَقرِ والدَّوابِّ فَهيَ وَلَدَت بَطنًا أو بَطنينِ، ﴿**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾، أي: فَاذبَحوا ما أُمِرتُم بذَبحِهِ فلَمّا بَيَّن سبحانُهُ سِنَّ البقرَةِ سَألُوا عَن لَونِها ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا**﴾، أي: فَقالوا: سَلْ مِن أَجلِنا رَبَّكَ يُبيِّن لنا ما لَونُ البَقرَةِ الّتي أُمِرنا بِذَبحِها ﴿**قَالَ**﴾، أي: موسى ﷺ: ﴿**إِنَّهُ**﴾، أي: اللهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿**يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ**﴾ بكُلِّيَّتِها ﴿**فَاقِعٌ لَوْنُهَا**﴾، أي: شَديدَةٌ صُفرَةُ لونِها وخالِصَةٌ صُفرَتُها، وقَد مَرَّ في بَيانِ الإعرابِ: أنَّ في إسنادِ الفُقوعِ إلى اللَّونِ معَ أنَّهُ صفَةُ صَفراءِ فَضلَ تأكيدٍ ومُبالغَةٍ كَأنَّهُ قيلَ: صَفراءُ شَديدةُ الصُّفرَةِ، صُفرَتُها حَسَنةُ الصُّفرَةِ ليسَت بناقِصَةٍ تُضرَبُ إلى البَياضِ، ولا بِمشبِعةٍ تُضرَبُ إلى السَّوادِ، وتفسيرُ الصّفراءِ في هذا المقامِ بالسَّوداءِ كما فَعلَهُ الحسنُ البَصريِّ حَشوٌ كَما مَرَّ في بَيانِ اللّغةِ، ﴿**تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾ إِلَيها، أي: تُعجِبُهُم وتَفرِّحُهم لِبَهجَتِها وحُسنِها وبَريقِها. [٣٨٠]

ذكرُ فضيلةِ النَّعلِ الصّفراء:

وفي المجمَعِ: (رُوِيَ عن الصَّادقِ عليه السلام إنَّهُ قالَ: مَن لَبِسَ نَعلًا صَفراءَ لَمْ يَزلْ مَسرورًا حَتَّى يُبلِيَها كَما قالَ تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾)[1]. وفي الكافي: (بإسنادِهِ إلى أَبي البُختري عن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: مَن لَبِسَ نَعلًا صَفراءَ كانَ في سُرورٍ حَتَّى يُبلِيَها)[2]، وعنهُ: عن جابرٍ الجُعفي عن أَبي جعفرٍ عليه السلام قال: «مَن لَبِسَ نَعلًا صَفراءَ لم يزلْ يَنظرُ في سُرورٍ ما دامَت عليهِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾»[3].

فلَمَّا بَيَّنَ سبحانَهُ سِنَّ البَقرةِ ولَونَها سَألُوا عن صِفَتِها، ﴿قَالُوا﴾ يا موسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾: أهيَ مِن العَوامِلِ أم مِنَ السَّوائِمِ؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ اعتذارٌ منهُم بأَنَّ البقَرَ الموصوفُ بالتَّعوينِ والصُّفرةِ كَثيرٌ مُشتَبِهٌ عَلينا، وقُرِئَ: تَتَشابَهُ: بالتّائينِ وضَمُّ الهاءِ، ويَتشابهُ: بالياءِ مع التّاءِ وضَمِّ الهاءِ، وتَشَّابهُ: بطَرحِ التّاءِ وإدغامِها في الشِّينِ على التّذكيرِ والتّأنيثِ، وتَشابَهَت مُخَفَّفَةَ الشِّينِ ومُشدَّدَتِها وغيرُ ذلكَ[4]، وكُلُّها تَعسُّفٌ وشُذوذٌ، ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى صِفَةِ البقَرَةِ بتَعريفِ الله تعالى إِيَّاها وبِما يَشاؤُوهُ لَنا مِن اللّطفِ والزِّيادةِ في البَيانِ وإلى معرفَةِ القاتلِ.

عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «إنَّهم أُمِرُوا بأدنى بَقرَةٍ، ولكنَّهم لَمَّا شَدَّدُوا على أنفسِهِم شَدَّدَ اللهُ عليهِم وأَيمَ الله لو أَنَّهم لَم يَستَثنُوا لَما بُيِّنَت لهم آخِرَ الأَبدِ»[5]، ﴿قَالَ﴾، أي: موسى ﴿إِنَّهُ﴾، أي: الله عَزَّ اسمُهُ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا﴾، أي: البقرَةُ التي أُمِرتُم بِذَبحِها ﴿بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾، أي: لَم يُذَلِّلها العَمَلُ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٥٩.

(٢) الكافي: ٦: ٤٦٦، حديث رقم: ٥.

ابو البختري: وهب بن وهب القرشيّ المدنيّ: عاميّ المذهب، ضعيف، لَقِيَ الصّادق عليه السلام، له كتاب أخبرنا به جماعة، وله كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام. ينظر: فهرست الشيخ الطوسي: ٢٥٧، ترجمة رقم: ٧٧٩، وخلاصة الأقوال: ٤١٤.

(٣) الكافي: ٦: ٤٦٦، حديث رقم: ٦.

جابر الجعفي: أبو عبد الله، جابر بن يزيد: تابعي لَقِيَ أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، له أصل، وكتاب التفسير، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: خلاصة الأقوال: ٩٤، ورجال ابن داود: ٦١، ترجمة رقم: ٢٩٠.

(٤) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٨٦، وتفسير الآلوسي: ١: ٢٨٩.

(٥) جامع البيان: ١: ٤٩٣، وتفسير ابن كثير: ١: ١١٤.

بإثارةِ الأرضِ وكِرابها ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾، أي: لا يُستَقَى منها الماءُ بالدِّلاءِ والنّواعيرِ لسَقيِ الزَّرع، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِن العُيوبِ والعِملِ أو الخالصَةُ اللّون، مِن سَلِمَ لهُ كذا إذا أخلَصَ، كما قالَ تعالى في سورةِ الزّمرِ: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾[1] أي: خالصًا لهُ لا شريكَ لهُ فيهِ، ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، أي: لا وَضَحَ ولا لَونَ فيها يُخالِفُ لَونَها الاصفرَ السَّارَّ للنّاظرينَ، فلمّا استثنوا هَداهُم اللهُ اليها وعَلِمُوا انّها عندَ رجلٍ مِن خِيارِ بَني إسرائيلَ، ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، أي: الآن ظهرَ لَنا الحَقُّ وهيَ بقرةُ فُلانُ بنُ فُلانٍ ﴿فَذَبَحُوهَا﴾، أي: فاشتَروا البقرَةَ الموصوفَةَ المأمورَ بذَبحِها بثَمَنٍ غالٍ، فَذَبحوها على حذفِ المعطوفِ عليهِ معَ المتعَلّقاتِ، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي: ما قارَبُوا أن يفعَلُوهُ، أي: أن يَذبَحوها حَتّى انتهَت سُؤالاتُهُم وانقَطَعَت تَعلُّلاتُهُم كالمُضطَرِّ المُلجَأِ إلى الفِعلِ مخافةَ اشتهارِ فَضيحةِ القاتلِ أو لِغلاءِ ثَمنِها.

عَنِ الرِّضا عليه السلام: «إنّهم اشتَروها بمِلءِ جِلدِها ذَهبًا»[2]، كما مَرَّ في النّزولِ. وعن «السُّدّي: بوَزنِها عَشرَ مَرّاتٍ ذهبًا»[3].

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «فَلَمّا سَمعوا هذهِ الصّفاتِ قالوا: يا موسى لقَد أَمَرنا رَبُّنا بذَبحِ بقرَةٍ هذهِ صفتُها، قالَ: بلى، فلَمّا استَقرَّ الأمرُ عليهِم طَلَبوا هذهِ فَلمْ يَجدُوها إلّا عندَ شابٍّ مِن بَني إسرائيلَ أَراهُ اللهُ تعالى في مَنامهِ مُحَمَّدًا وعَليًّا وطَيِّبي ذُرّيَتِهِما فقالا لهُ: إنّكَ كنتَ لنا مُحبًّا مُفضِّلًا ونحنُ نُريدُ أن نَسوقَ إليكَ بعضَ جَزائِكَ في الدّنيا فإذا رامُوا[4] شِراءَ بَقرَتِكَ فَلا تَبعْها الّا بأمرِ أُمِّكَ فإنَّ اللهَ تعالى يُلقِّنُها ما يُغنيكَ بهِ وعقبَكَ، ففَرِحَ الغُلامُ وجاءَ القومُ يطلبونَ بَقرَتَهُ فَقالوا: بكَم تَبيعُ بقرَتَكَ هذهِ؟ قالَ: بدينارينِ والخِيارُ لأُمّي، قالوا: رَضِينا بدينارٍ، فَسَألَها فقالت: بأربعَةٍ، فَأخبرَهُم، فقالوا: نُعطيكَ دينارَينِ، فأخبرَ أُمَّهُ فقالَت: ثَمانيةَ دَنانيرَ، فَما زالوا يَطلِبونَ النّصفَ مِمّا تقولُ أُمُّهُ ويَرجِعُ إلى

(١) سورة الزمر ٣٩: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٣: ٢٦٦، حديث رقم: ٥، ومسند الإمام الرضا عليه السلام: ١: ٣٠٢، حديث رقم: ٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٣: ٢٦٢، حديث رقم: ١.

(٤) أي: قَصدوا.

أُمِّهِ فَتُضَعِّف الثَّمَنَ حَتّى بلغَ ثَمَنُها مِلأَ مَسكِ ثَورٍ أكثرَ ما يكونُ مِلأَ دنانيرَ، فأوجبَت لَهم البَيعَ، ثمَّ ذَبَحوها قالوا الآنَ جئتَ بالحَقِّ)[1]، انتهى. [٣٨١]

وفي روايَةِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: (قالوا عَرَفناها هيَ بَقَرَةُ فُلانٍ فَذَهَبوا لِيشتَروها فقالَ لا أبيعُها إلّا بملءِ جِلدِها ذهَبًا فَرَجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبَروهُ فقالَ لَهم موسى عليه السلام لابُدَّ لكم مِن ذَبحِها فَاشتَروها بملءِ جِلدِها ذَهَبًا)[2]، انتهى. وفي روايةٍ: (بملءِ جِلدِها ذَهبًا مِن مالِ المقتولِ)[3].

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: إنَّهُ بلَغَ خمسةَ آلافِ ألفِ دينارٍ[4]، ومثلها ما رُوِيَ: (إنَّ شيخًا صالحًا مِن بَني إسرائيلَ كانَ لهُ عِجلَةٌ فَأتى بها الغَيضَةَ[5] وقال: اللَّهم إنِّي استَودِعُكَها لابنِي حَتّى يَكبَرَ، فَشبَّت وكانَت وَحيدَةً بتلكَ الصِّفاتِ[6]، فسَاوَمُوها اليتيمَ وأُمَّهُ بملءِ مَسكِها[7] ذَهَبًا، وكانت البَقَرَةُ إذ ذاكَ بثلاثةِ دَنانيرَ)[8] .

نقلُ كلامٍ لتوضيحِ مرامٍ، وذكرُ فصولٍ لتبيينِ أُصولٍ:

قالَ البَيضاويُّ: (وَعَودُ هذهِ الكِناياتِ[9] وإجراءُ تلكَ الصِّفاتِ على بَقَرةٍ يدُلُّ على أنَّ المُرادَ بها مُعيَّنةٌ، ويَلزَمُهُ تأخيرُ البَيانِ عن وقتِ الخِطابِ، ومَن أنكرَ ذلكَ زعمَ أنَّ المرادَ بها بقرةٌ مِن شَقِّ البَقرِ غيرُ مخصُوصَةٍ ثمَّ انقلَبت مخصوصَةً بسؤالِهم، ويلزَمُهُم النّسخُ قَبلَ الفِعلِ فإنَّ التّخصُّصَ إبطالٌ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٥٠.

(٣) التبيان: ١: ٣٠١، وبحار الأنوار: ١٣: ٢٦٢، حديث رقم: ١.

(٤) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٧٩.

(٥) وهيَ: الأجمة، وهيَ: مغيضُ ماءٍ يجتمعُ فَينبتُ فيهِ الشّجرُ. لسان العرب: ٧: ٢٠٢، (غيض).

(٦) ومنه في حاشية الأصل: وصارت وحشية بذلك كما في بعض التفاسير. [ينظر: جامع البيان: ٢: ١٩٩، وتفسير ابن أبي حاتم: ١: ١٣٨، وتفسير ابن عطية: ١: ١٦٤].

(٧) أي: جلدها .

(٨) مفاتيح الغيب: ٣: ١٢٢، وزبدة التفاسير: ١: ١٦٨.

(٩) ومنه في حاشية الأصل: أقول: مرادُهُ بالكناياتِ: الضمائرُ المؤنّثة في: هيَ، وفي: إنّها في المواضع المذكورة.

للتّخييرِ الثّابتِ بالنَّصِّ والحَقُّ جوازُهُما، ويُؤيّدُ الرّأيَ الثّانيَ ظاهرُ اللّفظِ والمَروِيُّ عنهُ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ: «لو ذَبَحوا أيَّ بَقَرَةٍ أرادُوا لأجزَأتهُم ولكن شَدَّدُوا على أنفسِهِم فَشدَّدَ اللهُ عليهِم»[1]»[2]، انتهى.

ومثلُ هذا المَرويِّ ما رُوِيَ في العُيونِ وغيرِهِ[3] كما مَرَّ، وقالَ في المجمَعِ: «ونذكَرُ ههنا فَصلًا موجَزًا يَنجَذِبُ إلى الكلامِ في أصولِ الفقهِ:

اختَلَفَ العُلماءُ في هذهِ الآياتِ، فَمنهُم مَن ذهبَ إلى أنَّ التَّكليفَ مُتغايرٌ، وأنَّهم لمَّا قيلَ لهم: اذبَحوا بقَرَةً لم يكن المُرادُ منهم إلَّا ذَبحَ أيَّ بقرَةٍ شاؤُوا مِن غَيرِ تَعيينٍ بصَفةٍ، ولو أنَّهم ذَبَحوا أيَّ بقرَةٍ اتَّفَقَت لَهم كانُوا قَد امتَثَلوا الأمرَ فَلمَّا لَم يَفعَلوا كانَت المصلَحَةُ أن يُشَدَّدَ عليهم التّكليفُ، ولمَّا راجَعوا المَرَّةَ الثّانيَةَ تغَيَّرَت مصلَحَتُهم إلى تكليفٍ ثالِثٍ.

ثُمَّ اختلَفَ هؤلاءِ مِن وَجهٍ آخَرَ، فَمنهُم مَن قالَ في التّكليفِ الأخيرِ: إنَّهُ يجبُ أن يكونَ مُستَوفيًا لكُلِّ صِفةٍ تَقدَّمَت، فَعلى هذا القَولِ يكونُ التّكليفُ الثّاني والثّالثُ ضَمُّ تَكليفٍ إلى تكليفٍ زيادَةً في التّشديدِ عليهِم لِما فيهِ مِن المصلحَةِ، ومنهُم مَن قالَ: إنَّهُ يجبُ أن تكونَ بالصّفةِ الأَخيرَةِ فقط دونَ ما تقدَّمَ[4]، وعلى هذا القولُ يكونُ التّكليفُ الثّاني نَسخًا للأوَّلِ، والتّكليفُ الثّالثُ نَسخًا للثّاني، وقَد يجوزُ نَسخُ الشّيءِ قَبلَ الفِعلِ؛ لأنَّ المصلحَةَ يجوزُ أن تَتَغيَّرَ بعدَ فَواتِ وقتِهِ وإنَّما لا يجوزُ نَسخُ الشّيءِ قبلَ حُضورِ وَقتِهِ؛ لأنَّ ذلكَ يُؤدِّي إلى البَداءِ.

وذَهبَ آخَرونَ: إلى أنَّ التّكليفَ واحِدٌ، وأنَّ الأوصافَ المتَأخِّرةِ هيَ للبَقَرَةِ المُتقَدِّمةِ، وإنَّما تأخَّرَ البيانُ، وهوَ مَذهبُ المرتَضى ﵀[5].

(١) تخريج الأحاديث والآثار: ١: ٦٦، حديث رقم: ٣٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ١: ٨٦.

(٣) ينظر: ص: ٣١٠.

(٤) ينظر: الفصول في الأصول: ٢: ٦٥، وأصول السرخسي: ٢: ٣٤، والإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٣: ٣٦.

(٥) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٣٦٤.

مذهبُ السّيدِ المرتَضى ﭭ واستدلالُهُ بهذهِ الآية:

واستدلَّ بهذهِ الآيةِ على جَوازِ تأخيرِ البَيانِ عن وَقتِ الخِطابِ إلى وَقتِ الحاجَةِ، قالَ: «إنَّهُ تعالى لمَّا كَلَّفَهم ذَبحَ بَقرَةٍ قالوا لموسى عليه السلام: ادعُ لَنا رَبَّكَ يُبيِّن لَنا ماهيَ؟ فَلا يَخلو قَولُهم ماهيَ؟ مِن أن تكونَ كنايَةً عنِ البَقرَةِ المُتقدِّمِ ذِكرُها، أو عَن الّتي أُمِرُوا بها ثانيًا، والظاهرُ مِن قولهِم ماهيَ؟ يقتَضي أن يكونَ السّؤالُ عن صِفةِ البَقرَةِ المَأمورِ بذَبحِها؛ لأنَّهُم لا عِلمَ لَهم بتكليفِ ذَبحِ بَقرَةٍ أُخرى فَيستَفهُموا عَنها وإذا صَحَّ ذلكَ فليسَ يَخلو قولُهُ تعالى: ﴿**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ**﴾ مِن أن تكونَ الهاءُ فيهِ كنايَةً عنِ البَقرَةِ الأولى أو غيرِها وليسَ يجوزُ أن تكونَ كنايَةً عن بَقرَةٍ ثانيَةٍ؛ لأنَّ الظاهرَ يَقتَضي أن تكونَ الكِنايَةُ مُتعلّقةً بما تَضَمَّنَهُ سُؤالُهُم؛ ولأنَّهُ لَو لَم يكنِ الأَمرُ على ذلكَ لَم يكن جَوابًا لَهم، وقَولُ القائلِ في جَوابِ مَن سَأَلَهُ ما كَذا وكَذا؟ إنَّهُ: بالصِّفةِ الفلانيَّةِ صَريحٌ في أنَّ الهاءَ كِنايَةٌ عَمَّا وقعَ السُؤالُ عنهُ، هذا معَ قولِهِم إنَّ البقَرَ تَشابَهَ علينا فَإنَّهم لَم يَقولوا ذلكَ إلَّا وقَد اعتَقَدوا أنَّ خِطابَهم مُجمَلٌ غيرُ مُبيّنٍ ولَو كانَ الأمرُ على ما ذَهبَ إليهِ القَومُ فلِمَ لَم يقُلْ لَهم: وأيُّ تَشابُهٍ عليكُم؟ وإنَّما أُمِرتُم في الابتِداءِ بذَبحِ بَقرَةٍ أيَّ بقَرَةٍ كانَت، وفي الثّاني: بما يَختَصُّ بالسِنِّ المخصُوصِ، وفي الثّالث بما يَختَصُّ باللّونِ المخصوصِ مِن أيِّ البَقرِ كانَ»[1]، وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾، فالظاهرُ أنَّ ذَمَّهم مَصروفٌ إلى تَقصيرِهِم أو تَأخيرِهِم امتِثالَ الأَمرِ بعدَ البَيانِ التّامِّ، وهوَ غيرُ مُقتَضٍ ذَمَّهُم على تَركِ المُبادَرَةِ في الأوّلِ إلى ذَبحِ بَقرَةٍ، فَلا دَلالَةَ في الآيةِ على ذلكَ»[2]، انتهى كلامُهُ[3] أعلى اللهُ مقامَهُ.

أقولُ: هذا القَولُ من السَّيّدِ المرتَضى ﭭ بناءٌ على أَصلَيهِ، وهما:

- عَدمُ تَجويزِهِ تَخصيصَ الكتابِ بخَبرِ الواحِدِ.

---

(١) أمالي الشريف المرتضى: ٣: ١٢٥، ١٢٦.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: صاحب المجمع.

ـ وتَجويزُهُ تأخيرَ البَيانِ عن وقتِ الخِطابِ[1].

فَلنَذكر نحنُ أيضًا فُصولًا أَربعَةً مُوجزَةً:

ذكرُ جوازِ تَخصيصُ الكتابِ العزيزِ بالسُّنَّةِ المَتواترَةِ بالاتِّفاقِ، وبأخبارِ الآحادِ على الاختِلافِ:

الفصلُ الأوَّلُ: [٣٨٢]

اتَّفقَ العلماءُ قاطبَةً على أَنَّهُ يجوزُ تَخصيصُ الكتابِ بالسّنّةِ المتواتِرةِ[2]، ولكن اختَلَفوا في جَوازِ تَخصيصِهِ بخبرِ الواحِدِ، فقالَ بهِ الفُقهاءُ الأربَعةُ مُطلقًا[3]، ومنعَهُ السّيّدُ المرتضى ﵀ وجماعةٌ مطلَقًا[4]، وقالَ عيسى بنُ أَبانَ[5]: إن كانَ قد خُصَّ قبلَ ذلكَ بدليلٍ قَطعيٍّ جازَ وإلّا فَلا[6]، وقال أبو الحسنِ الكرخيِّ[7]: إن كانَ قد خُصَّ بدليلٍ مُنفصِلٍ جازَ وإلّا فَلا[8]، وتوقَّفَ القاضي أبو بكرٍ[9].

---

(١) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٣٦٢، و١: ٤٦١.

(٢) ينظر: معارج الأصول: ٩٥، اللمع في أصول الفقه: ١٠٥، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢: ٣١٨، والبحر المحيط في أصول الفقه: ٢: ٤٩٥.

(٣) ينظر: المحصول: ٣: ٨٥، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢: ٣٢٢، والبحر المحيط في أصول الفقه: ٢: ٤٩٧.

(٤) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٢٨٠، والعدّة في أصول الفقه: ١: ٣٤٤.

(٥) هو: أبو موسى: فقيه العراق، ومن كبار فقهاء الحنفية، تتلمذ على محمد بن الحسن، خدم المنصور العباسي مدة. وولي القضاء بالبصرة عشر سنين، له كتب، منها: إثبات القياس، واجتهاد الرأي، توفي بالبصرة. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٠: ٤٤٠، ترجمة رقم: ١٤١، والأعلام: ٥: ١٠٠.

(٦) ينظر: اللمع في أصول الفقه: ١٠٦، والمحصول: ٣: ٨٥.

(٧) هو: عبد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم، درس فقه أبي حنيفة وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وانتشر أصحابه في البلاد، وكان متعبدا زاهدا، رأسا في الاعتزال، توفي سنة (٣٤٠هـ). ينظر: المختصر في أخبار البشر: ٢: ٩٩، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١٤: ٨٥: ترجمة رقم: ٢٥٢٩.

(٨) ينظر: المحصول: ٣: ٨٥، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢: ٣٢٢.

(٩) ينظر: المحصول: ٣: ٨٥، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢: ٣٢٢.

وهو: أبو بكر الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري المتكلم الأشعري، سكن بغداد، من تصانيفه: اعجاز القرآن، والانتصار، وكشف الاسرار الباطنية، ومناقب الأئمة، توفي سنة (٤٠٣هـ). ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١٥: ٩٦، ترجمة رقم: ٣٠٤٤، والبداية والنهاية: ١١: ٤٠٢.

ذكرُ جوازِ تأخيرُ البَيانِ عَن وقتِ الخطابِ وعَدَمُهُ مُطلقًا، والتّفصيلُ:

الفصلُ الثّاني:

اتّفقَ الأُصوليّونَ على عدمِ جوازِ تأخيرِ البيانِ عن وَقتِ الحاجةِ، إلّا الذين جَوَّزوا تَكليفَ ما لا يُطاقُ[1]، وأمّا تأخيرُ البيانِ عن وَقتِ الخطابِ فقَد اختَلَفوا فيهِ: فَجَوَّزَهُ جماعةٌ منَ الأشاعرَةِ والحَنَفيّةِ مطلَقًا فيما لهُ ظاهرٌ ومَا لا ظاهرَ لهُ[2]، ومنَعهُ آخَرونَ كأبي اسحاقَ المَروزيّ[3] والصَّيرفيّ[4] مُطلقًا[5]، وفَصَّلَ آخرونَ: فقالَ السّيّدُ الأجلُّ المرتَضى ﵁، وأَبو الحَسَنِ الكَرخيّ: يجوزُ تأخيرُ بَيانِ المُجمَلِ خاصَّةً عن وَقتِ الخطابِ[6].

---

(١) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٣٦١، ومبادئ الوصول إلى علم الأصول: ١٦١، والمستصفى: ١٩٢، والمحصول: ٣: ١٨٧.

وذهب المُحدّث الاسترابادي إلى جواز ذلك، إذ قالَ بعد عرضهِ أقوالَ العلماءِ واتّفاقهم: (وأنا أقول: مضمون هذه الرواية الشريفة متواترٌ معنىً، وما اشتهرَ في كتبِ العامّةِ وكتبِ أُصولِ الخاصّةِ: من أنّه لا يجوزُ تأخيرُ البيانِ – كما هو الواقع – عن وقتِ الحاجةِ إنّما يتّجهُ على مذهبِ العامّةِ، حيثُ قالوا: بعده ﷺ لم تقع فتنةٌ انتهت إلى إخفاءِ بعضِ ما جاءَ بِهِ النّبيُّ ﷺ ، فذكرُهُ في كُتبِ أُصولِ الخاصّةِ من بابِ العَجلةِ وقلّةِ التأمّلِ في أسرارِ المسألةِ). الفوائد المدنيّة والشواهد المكيّة: ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) ينظر: اللمع في أصول الفقه: ١٥٩، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣: ٣٢٢.

(٣) ابو اسحاق: هو: إبراهيمُ بن أحمدَ بن إسحاقَ المروزي الشافعي: فقيهٌ من أصحابِ المزني، له عدّة كتب، منها: شرحُ مختصرِ المزني، والفصول في معرفة الأصول، والشروط والوثائق ، والوصايا، توفي بمصر سنة (٣٤٠هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٢٦٦، ووفيات الأعيان: ١: ٢٦، ترجمة رقم: ٣.

(٤) الصّيرفيّ: هو: أبو بكر محمد بن عبد الله: فقيه شافعي، إمام في الأصول، وكان يقال إنّه أعلمُ خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي، تفقَّهَ على ابن سريج وسمع الحديث من أحمد بن منصور الرمادي روى عنه علي بن محمد الحلبي، من تصانيفه: شرح الرسالة، وكتاب في الإجماع، وكتاب في الشروط، توفي سنة (٣٣٠هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٣: ١٨٦، ترجمة رقم: ١٥٢، ووفيات الأعيان: ٤: ١٩٩، ترجمة رقم: ٥٧٤.

(٥) ينظر: اللمع في أصول الفقه: ١٥٩، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣: ٣٢٢.

(٦) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٣٦٣، والفصول في الأصول: ٢: ٤٦، واللمع في أصول الفقه: ١٥٩.

وقالَ أَكثرُ المعتَزلةِ كالجُبّائي والقاضي عبدِ الجبّارِ[1]: يجوزُ تأخيرُ بيانِ النَّسخِ دونَ غيرِهِ[2].

وقالَ أَبو الحسينِ البَصريّ[3]: يجوزُ تأخيرُ بيانِ ما ليسَ لهُ ظاهرٌ كالمجمَلِ إمَّا بأن يكونَ اللفظُ مشترِكًا بينَ معانٍ متعدِّدةٍ، أو مُتَواطئًا: بأن يكونَ موضوعًا لمعنى يشترِكُ فيهِ كَثيرونَ على السَّواءِ، وأمَّا ما لهُ ظاهرٌ قد اُستُعمِلَ في خِلافِ ظاهرِهِ كالعامِّ المخصوصِ، والمُطلقِ المرادِ منهُ المُقيَّدُ، والمَنسوخِ، أَعني: الحكمَ الذي يَتعقَّبهُ ما يَنسخُهُ، والحقيقةِ المرادِ بها المجازُ، والمنكَرِ المرادِ بهِ المعيَّنُ، فلا يجوزُ تأخيرُ بيانِهِ مُطلقًا لا عَن وَقتِ الحاجةِ ولا عَن وقتِ الخطابِ، نعم يجوزُ تأخيرُ بيانِهِ التّفصيليّ ويُكتَفى فيهِ بالبَيانِ الإجمالي إلى وَقتِ الحاجَةِ، كَما لو قالَ: هذا العامُّ مَخصوصٌ، أو هذا المطلقُ مُقيَّدٌ، أو هذا الحُكمُ سَيُنسَخُ، أو المرادُ مِن هذا اللفظِ مجازُهُ دونَ حقيقتِهِ، أو المرادُ بالنّكرةِ مُعيَّنٌ[4].

فَلَهم ثلاثُ دَعاوٍ:

ـ أَحدُها: امتِناعُ تأخيرُ البَيانِ فيما لهُ ظاهرٌ عن وقتِ الخطابِ.

ـ وثانيَتُها: الاكتِفاءُ فيهِ بالبَيانِ الإجمالي إلى وَقتِ الحاجَةِ.

ـ وثالثتُها: جوازُ تأخيرُ ما لا ظاهرَ لهُ كالمشتَرَكِ والمُتَواطئ.

جوازُ تأخيرُ التّبليغِ إلى وَقتِ الحاجةِ:

وجَوَّزَ السّيّدُ المرتَضى ﷺ تأخيرَ تبليغِ النّبيّ ﷺ بعضَ ما أَوحى اللهُ تعالى اليهِ مِن الأَحكامِ إلى

---

(١) هو: أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل: العلّامة المتكلم، من كبار فقهاء الشافعيّة في الفروع، وشيخ المعتزلة في الأصول، لُقِّبَ بقاضي القضاة، صاحب التصانيف، توفي سنة (٤١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧: ٢٤٤، ترجمة رقم: ١٥٠، والأنساب: ١: ١٣٧.

(٢) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: ١: ٣١٥، والمستصفى: ١٩٣، والمحصول: ٣: ١٨٨.

(٣) هو: محمّد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي: أحد أئمّة المعتزلة، وله مصنّفات معروفة، منها: المعتمد في أصول الفقه، والذي يُعدُّ من أركان الأصول عند السّنّة ، توفّي ببغداد سنة (٤٣٦ هـ) . ينظر: تاريخ بغداد: ٣: ٣١٤، ترجمة رقم: ١٤١٢، وسير أعلام النبلاء: ١٧: ٥٨٧، ترجمة رقم: ٣٩٣.

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: ١: ٣١٦، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣: ٣٧.

وَقتِ الحاجةِ، وهوَ اختيارُ المحقِّقينَ(١) بوجهينِ:

الأوَّلُ: إنَّ التّأخيرَ إلى وقتِ الحاجةِ قد يَتضَمَّنُ مصلحةً لا تحصَلُ في تَقديمِهِ فيجبُ التّأخيرُ تحصيلًا لتلكَ المصلحَةِ، وقد يَتَساوى التّقديمُ والتّأخيرُ في المصلحَةِ فلا يَتعيَّنُ احدُهُما وحينئذٍ لا يكونُ تَقديمُ التّبليغِ مُتعيّنًا على الإطلاقِ وهوَ المدَّعَى.

والثّاني: إنَّ الأَمرَ بالتّبليغِ لا يَقتضِي الفَورَ ولا العُمومَ؛ لانصرافِ المُنزَلِ إلى القرآنِ عُرفًا(٢).

احتَجَّتِ الأَشاعرةُ والحَنفيّةُ ومَن يحذو حَذْوَهُم ممَّن يُجوِّزونَ تأخيرَ البيانِ عن وَقتِ الخطابِ بوجوهٍ:

الأوَّلُ: بقولِهِ تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ(٣) فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(٤) و(ثمَّ) موضوعةٌ للتَّراخِي.

والثّاني: بأنَّهُ تعالى أمرَ بني إسرائيلَ بذَبحِ بَقرَةٍ مُعيَّنةٍ غيرِ مُنكّرةٍ ولَم يُبيِّنها لهم إلَّا بعدَ سُؤالِهِم البيانَ، أمَّا أَمرُهُ تعالى بذلكَ؛ فَلقولِهِ: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾**، وأمَّا كونُها مُعيَّنةً فَلقولِهِ تعالى: **﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾**، **﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾**، **﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾**، وهذهِ الكناياتُ عائدَةٌ إلى ما أُمِرُوا بذَبحِهِ؛ ولِأنَّهم سَألوا عَن تَعيينِها بقولِهِ تعالى: **﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾**، ما لونُها؟ ولو كانَت نَكرَةً لَما احتاجُوا إلى ذلكَ لِخُروجِهِم حينئذٍ عن العُهدةِ بذَبحِ بَقرَةٍ، أيَّ بقرَةٍ كانَت، وأمَّا إنَّهُ لَم يُبيِّنْها لَهم إلَّا

---

(١) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٣٦٠، والعدّة في أصول الفقه: ٢: ٤٤٧، ومعارج الأصول: ١١٠.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ ﷺ: ((الأمرُ بالتّبليغِ لا يَقتَضِي الفَورَ ولا العُمومَ؛ لِانصرافِ المُنزَلِ إلى القرآنِ عُرفًا)) إشارةٌ إلى جوابِ احتجاجِ المانعينَ في تأخيرِ التّبليغِ إلى وَقتِ الحاجةِ حيثُ احتجّوا بقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة ٥: ٦٧] وبَيانُ الجوابِ: المنعُ، باقتِضاءِ مطلقِ الأمرِ: الفورَ وقَد تَقدَّمَ، سلَّمنا لكنَّ المرادَ بالمنزَلِ إنَّما هوَ: القرآنُ عرفًا لا يَعمُّ الأحكامَ المُدَّعى وُجوبُ تبليغِها سَلَّمنا، لكنَّ ذلكَ إنَّما يتناولُ ما أُنزِلَ إليهِ ﷺ من الأحكامِ قبلَ وقتِ الأمرِ بالتّبليغِ، ولا يتناوَلُ ما اُستُنزِلَ إليهِ منها؛ لأنَّ لفظَ أُنزِلَ ماضٍ فلا يَتناوَلُ الحالَ والاستِقبالَ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: أنزلناهُ.

(٤) سورة القيامة ٧٥: ١٨، ١٩.

بعدَ السُّؤالِ المُتكرّرِ فَظاهرٌ، وهذا يَختصُّ بجوازِ تأخيرِ بيانِ تَعيينِ النّكرةِ.

الثّالثُ: لَمَّا نَزلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(١) قال ابنُ الزّبعرَى(٢): «لَأخصُمَنَّ(٣) مُحَمَّدًا قد عُبِدَتِ الملائكةُ والمسيحُ فهؤلاءِ حَصَبُ جهَنَّمُ؟»(٤)، فَتَأَخَّرَ بيانُ ذلكَ إلى أن نَزلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٥)، وهذا يَدُلُّ على جوازِ تأخيرِ مُخَصِّصِ العامِّ في الخبَرِ، وغيرِ ذلكَ من الأدلّةِ(٦).

واحتَجَّ المعتزلَةُ على امتِناعِ تأخيرِ البَيانِ مُطلقًا: بأنَّ المقصودَ من الخطابِ: الإفهامُ على ما عرَفتَ، وهوَ غيرُ مُتحقِّقٍ في المُجمَلِ؛ لِحصولِ التّردُّدِ بينَ معانيهِ(٧). [٣٨٣]

والجوابُ: المنعُ مِن عَدمِ الإفهامِ، فإنَّ المكلَّفَ يَفهَمُ منهُ أنَّهُ مُكلَّفٌ بأحدِ الأَمرينِ، أو الأمورِ فَيحصلُ الثّوابُ بالعزمِ على الامتثالِ عندَ حُضورِ وقتِ الفِعلِ المأمورِ بهِ وتَحقّقِ بيانِهِ.

الفصلُ الثّالثُ:

اعلَم أنَّهُ مَن يُريدُ اللهُ تعالى إفهامَهُ بالخطابِ المُحتاجِ إلى البَيانِ وَجبَ عليهِ تعالى بَيانُهُ لهُ، وهُم صنفانِ؛ لأنَّهُ إمَّا لأن يَعملَ بهِ كالعالمِ في الصّلاةِ فإنَّهُ مُكلّفٌ بفعلِها، أو لا كذلكَ كالعالِمِ المُكلّفِ بمَعرفةِ أَحكامِ الحَيضِ والنّفاسِ ونحوِهِما، وأمَّا مَن لا يُريدُ اللهُ تعالى إفهامَهُ بالخطابِ لا يجبُ عليهِ بَيانُهُ لهُ، ثمَّ قَد يُرادُ منهُ العملُ كالعَوامِّ فإنَّهُ يُرادُ منهم التّكليفُ بما يُفتيهِ بهِ المُفتي، وكالنِّساءِ العَوامِّ

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٩٨.

(٢) هو: عبد الله بن قيس بن عدي بن سعد: من شعراء قريش، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ في الجاهليّة، وعلى أصحابه بلسانِهِ ونفسهِ، وكان يناضل عن قريش، ويهاجي المسلمين، أسلمَ بعد الفتح، بعد أن هرب إلى نجران، توفي نحو (سنة ١٥ هـ). ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣: ١٥٩.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: لأخصُمَنَّ: متكلّم وحدهُ من مضارعٍ، بابَ نَصَرَ للمغالبةِ، كما هوَ مذكورٌ في مقامِهِ، أي: لأغلِبَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ في الخُصومةِ.

(٤) ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧: ٦٩، وبحار الأنوار: ٨: ٢٥١. وقد نقلَ المُصنِّفُ الحديثَ بالمعنى.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ١٠١.

(٦) ينظر: المستصفى: ١٩٢، ١٩٣، والمحصول: ٣: ١٨٩ ـ ٢٠٢.

(٧) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ١: ٧٥، والمنخول: ١٢٨.

بالنّسبةِ إلى مَسائلِ الحَيضِ فإنَّ المرادَ منهُنَّ العملُ بما يُفتيهنَّ بهِ المُفتي، ولَيسوا مُكلَّفين بسَماعِ الآياتِ الإلهيّةِ والأخبارِ النّبويّةِ المُتضمِّنةِ لتلكَ الأحكامِ فضلًا عن مَعرفَةِ وُجوهِ دِلالاتِها.

ذكرُ جَوازِ تَخصيصُ عُمومِ الكتابِ العَزيزِ بالكتابِ العزيزِ، وبالسّنّةِ المتَواترةِ، وبالإجماعِ، وجَوازِ تَخصيصِ الأخبارِ المتَواترةِ بمثلِها، وبالكتابِ العَزيزِ، وبالإجماعِ:

واعلَم أيضًا إنَّهُ كَما يجوزُ تَخصيصُ الكتابِ العزيزِ بالسّنّةِ المتَواترةِ كذلكَ الكتابُ العزيزُ بالكتابِ، أعني: تَخصيصَ بعضِ آياتِ الكتابِ ببعضٍ آخَرَ منهُ؛ لِوقوعِهِ في القرآنِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾(١) فإنَّهُ عامٌّ في كُلِّ مُطلّقةٍ سَواءٌ كانت حاملًا أو حائِلًا، ثمَّ خُصّصَ ذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٢)، وكَذا قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾(٣) فإنَّهُ عامٌّ في كُلِّ مشركٍ وخُصّصَ ذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾(٤).

الدليلُ العقلي أيضًا في ذلكَ ثابتٌ:

ولأنَّ الخاصَّ و العامَّ دليلانِ مُتعارِضانِ، ولا يُمكنُ العملُ بكُلِّ واحدٍ منهُما مُطلقًا؛ وإلَّا لَزِمَ التّناقضُ، ولا إِهمالُهما مُطلَقًا؛ لِما فيهِ من إبطالِ الدّليلِ الخالي عنِ المُعارضِ، ولا العملُ بالعامِّ مُطلقًا؛ لاستِلزامِهِ إبطالَ الخاصِّ بالكلّيّةِ معَ إنَّهُ أقوى دَلالةً مِن العامِّ على موردِهِ، فَتعيَّنَ العملُ بالعامِّ فيما عَدا صورةِ التّخصيصِ؛ لِخُلوِّهِ مِن مُعارضٍ، وبالخاصِّ في موردِهِ؛ لكونِهِ أَقوى دِلالةً من العامِّ عليهِ، وهوَ معنى التّخصّصِ(٥).

(١) سورة البقرة ٢: ٢٢٨.

(٢) سورة الطلاق ٦٥: ٤.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٢١.

(٤) سورة المائدة ٥: ٥.

(٥) «التّخصّص هو: خروجُ موردٍ عن موضوعِ دليلٍ خُروجًا حقيقيًّا وجدانيًّا بلا وَساطةِ تعبّدٍ ولا مُعاونةِ دليلٍ، كخروجِ الخلِّ عن موضوعِ دليلِ حُرمَةِ الخمرِ.
أمّا التّخصيص فهو: اخراجٌ من الحكمِ معَ دخولِ المُخرَجِ موضوعًا، ومثالُه: كُلُّ مكلَّفٍ يجبُ عليهِ الصّومُ في شَهرِ رمضانَ إلّا المسافرَ، فالمسافرُ مُكلَّفٌ، ولا يجبُ عليهِ الصَّومُ». اصطلاحات الأصول: ٩٧، والأصول العامّة للفقه المقارن: ٨٨.

وكَذا يجوزُ تَخصيصُ السّنّةِ المتَواترةِ بمثلِها، كَتَخصيصِ قولِهِ ﷺ: فيما سَقَتهُ السّماءُ: العُشرُ[1]، بقولِهِ ﷺ: «ليسَ فيما دونَ خَمسةِ أَوسقٍ صَدقَةٌ»[2].

وبالكتابِ العَزيزِ أيضًا لقولِهِ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، والسُّنّةُ: شيءٌ.

ويجوزُ تَخصيصُ القرآنِ بالسُّنَةِ المتَواترةِ لِما تَقدَّمَ وبالعكسِ؛ ولأنَّهُ واقعٌ فيكونُ جائزًا، إمَّا الأوّلُ فَلِتخصيصُ عُمومِ قولِهِ تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[4] الآية بقولِهِ ﷺ: «القاتلُ لا يَرِثُ»[5]؛ ولِتخصيصِ عُمومِ قولِهِ تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[6] بما تواترَ عنهُ ﷺ: مِن رَجمِ المُحصَنِ والمُحصَنةِ[7]، والثّاني فظاهرٌ.

واعلم أيضًا إنَّهُ يجوزُ تَخصيصُ القرآنِ والسُّنّةِ المتَواترةِ بالإجماعِ، كتَخصيصِ آيةِ الإرثِ بالإجماعِ على أنَّ العبدَ لا يرثُ، وتَخصيصِ آيةِ الجَلدِ بالإجماعِ على أنَّ العبدَ بمثابةِ الأمَةِ في تَنصيفِ الحَدِّ[8]، ولا رَجمَ فيهِما[9].

---

(١) ينظر: الكافي: ٣: ٥١٣، حديث رقم: ٢، وسنن النسائي: ٥: ٤٢، إذ ورد عنهُ ﷺ قولُهُ: « فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر وفيما سقى بالسانية نصف العشر ».

(٢) مسند أحمد: ٣: ٣٠، وصحيح البخاري: ٢: ١٢١، ومستدرك الوسائل: ٧: ٨٧، حديث رقم: ٧٧١٨.

(٣) سورة النحل ١٦: ٨٩.

(٤) سورة النساء ٤: ١١.

(٥) سنن ابن ماجة: ٢: ٨٨٣، حديث رقم: ٢٦٤٥، والسنن الكبرى: ٦: ٢٢٠.

(٦) سورة النور ٢٤: ٢.

(٧) صحيح البخاري: ٨: ٢١، وكنز العمال: ٥: ٤٣٩، (حد الرجم).

(٨) ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة: ١: ٢٨٥، والعدّة في أصول الفقه: ١: ٣٤١، والمحصول: ٣: ٨١، والفصول في الأصول: ١: ١٤٦، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢: ٣٢٧.

ومنه في حاشية الأصل: والحقُّ إنَّ الإجماعَ بنفسهِ ليسَ مُخصِّصًا؛ لأنَّهُ لا يكونُ إلَّا عن دليلٍ أو أمارةٍ، بل هوَ كاشفٌ عن وجودِ المُخصِّصِ.

(٩) ينظر: المحلى: ١١: ٢٣٩، والنهاية ونكتها: ٣: ٢٨٩، والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٩: ١١٦.

ولا يجوزُ تخصيصُ الإجماعِ بهما[1]؛ لأنَّ وُقوعَهُ معَ سَبقِ أَحدِهما خطأٌ وهوَ ظاهرٌ؛ وذلكَ لأنَّ تحقُّقَ الإجماعِ وكونَهُ حجَّةً، إنَّما يكونُ بعدَ وفاةِ الرّسولِ ﷺ، فلَو كانَ في الكتابِ العزيزِ أو السُّنّةِ المقدَّسةِ شَيءٌ يُنافيهِ لكانَ مُقدَّمًا عليهِ، فيكونُ الإجماعُ خطأً؛ لوقوعهِ على خِلافِ مُقتضى الكتابِ أو السُّنَةِ.

ذكرُ جوازِ نَسخِ الشّيءِ قبلَ فعلهِ بالإجماعِ، وفي جوازِ نَسخهِ قبلَ حضورِ وقتِهِ على الاختلافِ:

الفصلُ الرّابعُ:

قالَ الفاضلُ المحقِّقُ العلّامةُ جمالُ المِلَّةِ والحقِّ والدّينِ الحسَنُ بنُ المطهَّرِ الحلِّي قدس سره[2] في تَهذيبِ الأُصولِ: (يجوزُ نسخُ الشّيءِ قبلَ فعلهِ إجماعًا)[3]؛ لجَوازِ كونِ للفعلِ مَصلحةً في وَقتٍ مأمورٍ بهِ ومَفسَدةً في آخَر مَنهيٍّ عنهُ، والمُطيعُ والعاصي مُتَساويانِ في تَناولِ الخطابِ بالنّاسخِ والمنسوخِ لَهما سَواءٌ كانَ العاصي كافرًا أو فاسِقًا؛ لِما تَقدَّمَ مِن تَناولِ كونِ الكفّارِ مُخاطَبينَ بفروعِ الشّريعةِ.

واختَلَفوا في جَوازِ نَسخهِ قبلَ حضورِ وَقتهِ، كَما لَو قالَ الشّارعُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ في أوّلِ النّهارِ: صلُّوا عندَ غُروبِ الشّمسِ ركعَتينِ، ثمَّ قالَ عندَ الزَّوالِ: لا تُصلُّوا عندَ غُروبِ الشّمسِ شيئًا، فَمَنعَ جماهيرُ المُعتزلَةِ وأَبو بكرٍ الصّيرفيّ مِن أصحابِ الشّافعي وبعضُ الحنابلَةِ[4]، وجَوَّزَهُ الأشاعرةُ وأكثرُ الشّافعيّةِ، والعلّامةُ قدس سره منَ الإماميّةِ[5]، والقاضي البَيضاويّ منَ الأشعريَّةِ؛ ولذا

---

(١) أي: بالكتاب والسنّة المتواترة.

(٢) هو: جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي: شيخ الطائفة، وعلامة وقته، فاضل عالم، محقّق مدقّق، فقيه محدث متكلم ماهر جليل القدر، لا نظير له في الفنون والعلوم العقليّة والنقليّة، قرأ على المحقق الحلي والمحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقليات، وقرأ عليه في الفقه المحقق الطوسي، له أكثر من سبعين كتابا، منها: منتهى المطلب في تحقيق المذهب، وتحرير الأحكام الشرعية على مذهب الامامية، وبسط الكافية، وتهذيب الوصول إلى علم الأصول، توفي سنة (٧٢٦هـ). ينظر: أمل الآمل: ٢: ٨١، ومعجم المؤلفين: ٣: ٣٠٣.

(٣) تهذيب الوصول إلى علم الأصول: ١٨٨.

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: ١: ٣٧٦، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣: ١٢٦.

(٥) ينظر: المنخول: ٣٩٣، والمستصفى: ٩٠، والمحصول: ٣: ٣١٢، وتهذيب الوصول إلى علم الأصول: ١٨٨.

قالَ: (والحقُّ جوازُهُما)[1]، كما ذكرناهُ سابقًا؛ وذلكَ لأنَّ إبراهيمَ عليه السلام أُمِرَ بذَبحِ ابنِهِ ولَم يفعلْ للبِداءِ؛ لأنَّهُ عليه السلام كانَ مأمورًا بذَبحِ وَلَدِهِ بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[2]، وقولِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾[3]، ولَم يذبحْ ابنَهُ لقولِهِ تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[4]، ولو كانَ قَد ذَبَحَ لَما احتاجَ إلى الفِداءِ، وذلكَ هوَ: النّسخُ؛ لاستحالةِ إخلالِهِ عليه السلام بالواجبِ، فَثَبَتَ وقوعُهُ فيكونُ جائزًا، وأيضًا يَحسُنُ أن يقولَ السّيّدُ لعبدِهِ: خِطْ هذا الثّوبِ بشرطِ ألَّا أنهاكَ عن خياطتِهِ، فكذا يَحسنُ مثل ذلكَ من الشّارعِ عليه السلام؛ ولاحتِمالِ أن يكونَ الفعلُ المأمورُ بهِ في الوَقتِ المعيَّنِ مَصلحةً والأمرُ بِهِ كذلكَ، ثمَّ تزولُ مصلحَةُ الأمرِ بهِ خاصّةً في وَقتٍ آخَرَ فيأمُرُ بهِ، ويَتضمَّنُ مفسَدةً فيَحسُنُ النّهيُ عنهُ، إلى غيرِ ذلكَ منَ الأدلّةِ، وهذا القَدرُ كافٍ في هذا المقامِ. [٣٨٤]

وقولُهُ تعالى: **﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾** آيتانِ:

اللغة:

الدَّرءُ: الدّفعُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾[5] الآيةُ، أي: يَدفعُ، ومنهُ الحديثُ: «ادرَؤوا الحُدودَ بالشّبُهاتِ»[6]، أي: ادفعوا، دَرَءَ يَدرَءُ: إذا دَفعَ، ومنهُ قولُهُ عليه السلام: «اللّهُمَ إنّي أَدرءُ بكَ في نُحورِهِم»[7]، أي: أدفعُ بكَ في نُحورِهِم لتكفِيَني أُمورَهُم؛ وإنَّما خصَّ

(١) في تفسيره في هذا المقام: ١: ٨٦، أي: تأخيرُ البيانِ عن وقتِ الخطابِ، ونَسخُ الشّيءِ قبل فعلهِ مطلقًا.

(٢) سورة الصافات ٣٧: ١٠٢.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٠٦.

(٤) سورة الصافات ٣٧: ١٠٧.

(٥) سورة النور ٢٤: ٨.

(٦) دعائم الإسلام: ٢: ٤٦٥، حديث رقم: ١٦٤٩، ومن لا يحضره الفقيه: ٤: ٧٤، حديث رقم: ٥١٤٦.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٠٩، وبحار الأنوار: ٤٤: ٧١، والقول لأبي محمدٍ الحسنِ الزكي عليه السلام.

النُّحورَ لأنَّهُ أسرعُ وأَقوى في الدّفعِ والتّمكّنِ منَ المدفوعِ، والتَّدارُءُ: التّدافُعُ والتّخالُفُ والتّخاصُمُ، وفي الحديثِ: «إذا تَدارَأتُم في الطَّريقِ»[1]، أي: تَدافعتُم واختَلفتُم واختَصمتُم، إذ المتَخاصمونَ يدفعُ بعضُهُم بعضًا، ويقالُ: دَرَءَ فُلانٌ علينا يَدرَءُ، أي: طَلَعَ علينا مُفاجأةً، ودَرءَ الوُسادةَ، أي: بسَطَها، والدّريئةُ بالهَمزِ: حَلَقةٌ يُتَعلَّمُ بها، وعليها الطّعنُ، قالَ الشّاعرُ:

ولَقد أَراني لِلرّماحِ دَرِيَّةً مِن عَن يَميني تَارةً وأَمامِي [2]

بقلبِ الهَمزةِ ياءً وادغامِ الياءِ في الياءِ، والدَّرِيَّةُ بغيرِ هَمزٍ: حَيَوانٌ يَستَترُ بِهِ الصّائدُ فَيتركَهُ يَرعى معَ الوَحشِ حَتَّى إذا أَنِسَت وأَمكَنَت مِن طالِبِها رَماها، وقيلَ على العَكسِ منهُما في الهَمزِ وتَركِهِ، وأَمَّا المداراةُ في حُسنِ الخُلقِ والصّحبةِ فغيرُ مَهموزٍ ويُهمَزُ، وقيلَ: الدّرءُ: العَوجُ، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

فنكِّب عَنهم دَرءَ الأَعاديَ وَداوِ بالجُنُونِ مِنَ الجُنونِ [3]

وأصلُ ادَّارَأتُم: تَدارَأتُم: فعلُ ماضٍ من بابِ التّفاعلِ، فَأُدغِمَتِ التّاءُ بعد إِسكانِها وقَلبِها بالدّالِ في الدّالِ؛ لِقُربِ المَخرجِ ثمَّ اجتَلَبوا بهمزةِ الوَصلِ لِيُمكِنُ النّطقُ بالسّاكنِ.

الإعراب:

وإعرابُ الآيتينِ واضحٌ بما مَرَّ من نَظائرِهِ، وجملةُ: (واللهُ مُخرِجٌ): حاليّةٌ، وإنَّما أُعمِلَ (مُخرِجٌ) في (ما كنتُم تكتمونَ)؛ لأَنَّهُ حكايةُ مستقبلٍ في وَقتِ التّدارُءِ كما أعملَ (باسطٌ) في: ذِراعَيهِ؛ لأَنَّهُ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، وقولُهُ: (فقلنا): عطفٌ على قولِهِ: فادَّارَأتُم، و(ما بينهُما): جملةٌ حاليّةٌ مُعترِضةٌ، والضّميرُ المؤنَّثُ في (فيها): للنَّفسِ، وأمَّا تذكيرُهُ في (اضرِبُوهُ) فعلى تَأويلِ القَتيلِ أو الشّخصِ.

المعنى:

إنَّهُ سبحانَهُ بيَّنَ المقصودَ منَ الأَمرِ بذَبحِ البَقرةِ المخصوصَةِ، فبَدأَ بذِكرِ القَتلِ فقالَ: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ**

(١) سنن أبي داود: ٢: ١٧٢، حديث رقم:٣٦٣٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٠٩.

(٢) البيت من الكامل، لقطري بن الفجاءة، ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح: ٢: ٥٧٨، وأسرار العربية: ١٩٠.

(٣) لأبي الغول الطهوي. ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٤١٩، وخزانة الأدب: ٦: ٣٩٣.

نَفْسًا﴾، أي: اذكُروا يابَني إسرائيلَ وَقتَ قَتلِ آبائِكُم وأسلافِكُم شَخصًا صالحًا وهوَ (عاميلُ)، ذَكَروا في هذهِ وَجهينِ:

أَحدُهما: ما ذَكرناهُ سابقًا في صَدرِ الآياتِ الخَمسِ في أوَّلِ القصَّةِ، وهوَ إنَّ هذهِ الآيَة مُتقدِّمَةٌ في المعنى على الآياتِ المُتقدِّمةِ في اللفظِ، فعَلى هذا يكونُ معناهُ: وإذ قَتلتُم نفسًا فادَّارَأتُم فيها فَسألتُم موسى عليه السلام أن بَيَّنَ[1] لكم قاتِلَهُ تَعنتًا، وإرادةً لتكذيبِ موسى عليه السلام، بِزعمِكم أنَّ اللهَ تعالى لا يُجيبُهُ، فقالَ موسى عليه السلام بإيحاءِ الله تعالى إليهِ: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾** فَقُدِّمَ المؤخَّرُ وأُخِّرَ المُقدَّمُ للنّكتةِ التي ذَكرناها ثَمَّةً، ومثلَ هذا كثيرٌ في القرآنِ والشِّعرِ، قالَ اللهُ سبحانَهُ: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾[2] تقديرُهُ أَنزلَ على عبدهِ الكتابَ قَيِّمًا ولَم يجعَلْ لَهُ عِوَجًا، وقالَ الشّاعرُ:

أَلا يا نَخلةً مِن ذاتِ عِرقٍ عَليكِ ورَحمةُ الله السَّلامُ[3]

أي: عَليكَ السَّلامُ ورحمةُ الله. [٣٨٥]

وثانيهُما: إنَّ هذهِ الآيَةَ قَد تَعلَّقَت بما هوَ مُتأخِّرٌ في الحقيقةِ وهوَ قولُهُ تعالى: **﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾**؛ لينكَشِفَ أَمرُهُ ويَحيى فيُخبِرَ بقاتِلِهِ، والمعنى: واذكُروا يا بَني إسرائيلَ إذ قَتلتُم نَفسًا وهوَ: عاميلُ **﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾**، أي: اختَلفتُم في شأنِ هذهِ النّفسِ واختَصَمتُم وتَدافَعتُم بأن طَرَحَ قَتلَها كُلُّ قَبيلةٍ منكم إلى صاحِبَتِها فيَجوزُ أن يكونَ الخطابُ لَمن كانَ على النّبيِّ صلى الله عليه وآله والمرادُ بهِ أَسلافُهُم على عادةِ العَربِ في خطابِ الأَبناءِ والأَحفادِ بخطابِ الأسلافِ والأجدادِ؛ وإنّما خاطبَ خطابَ الجمعِ معَ إنَّ القائِلَ واحدٌ لِوجودِ القَتيلِ فيهم كما يُقالُ فَعلَت بَنو تَميمٍ كَذا وإن كانَ

(١) والأصوب: أن يُبيِّنَ.

(٢) سورة الكهف ١٨: ١، ٢.

(٣) البيت من الوافر، قاله بعض العرب. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٦: ١٤٠، والمعجم الوسيط: ٢: ١٠٠٦، وخزانة الأدب: ١: ٣٨٤.

والشاهد فيه: تقديم المؤخّر (ورحمة الله) وأخّر المُقدّم (السّلام).

الفاعلُ واحِدًا منهم، وأن يكونَ الخطابُ معَ مَن حَضَرَ حياةَ القَتيلِ زَمنَ موسى عليه السلام أو حَضَرَ نُزولَ الآيةِ.

﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، أي: والحالُ إنَّهُ سبحانَهُ مُظهِرٌ البَتَّةَ ما كنتُم تكتُمونَهُ مِن خبرِ القَتيلِ وإرادَةِ تكذيبِ موسى عليه السلام بزَعمِكم أنَّ ربَّهُ عَزَّ وجَلَّ لا يُجيبُهُ إليهِ وهوَ سبحانُهُ مُطّلعٌ على معائِبكم ومَعائِبِ أَسلافِكُم التي تَكتُمونَها، **﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾**، أي: إذ قَتلتُم نَفسًا فادَّارَأتُم فيها، فقُلنا لَهم اضرِبُوا هذا القَتيلَ ببعضِ هذهِ البقرَةِ، والباءُ هذهِ مثلُها في قولِهم ضَربتُ زيدًا بالعَصا.

ذكرُ الأقوالِ في بعضِ هذهِ البقرةِ:

واختَلَفَ العُلماءُ في بعضِ هذهِ البقرةِ، قيلَ: هو العَجْبُ، أعني: عَظمَ أصلِ الذَّنَبِ، عَن سعيدِ بنِ جبيرٍ[١]، وهوَ الموافقُ لِما يَجيءُ من تفسيرِ الإمامِ عليه السلام، وقيلَ: لِسانُها، عنِ الضَّحَّاكِ[٢]، وقيلَ: فَخِذُها اليُمنى[٣]، وقيلَ: بأصغَرَيها[٤]، وقيلَ: عَظمٌ مِن عِظامِها عَن أبي العاليَةِ[٥]، وقيلَ: أيُّ بعضٍ كانَ[٦]، وقيلَ: البَضعَةُ التي بينَ الكَتِفينِ عنِ السّدّي[٧]، وقيلَ: بعضُ آرابِها عَن أبي زيدٍ[٨]، جمعُ إربٍ، أي: بعضوٍ مِن أعضائِها، وفي حديثِ الصّلاةِ: (كانَ يَسجدُ على سبعةِ آرابٍ)[٩]، أي: سبعةَ أعضاءٍ،

---

(١) وهو قول مجاهد أيضًا، ينظر: تفسير الماوردي: ١: ١٤٣، وتفسير البغوي: ١: ١٣٠.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٢٠.

(٣) وهو قول عكرمة والكلبي، ينظر: معاني القرآن: الفرّاء: ١: ٤٨، وتفسير البحر المحيط: ١: ٤٢٠.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨٨، وتفسير البحر المحيط: ١: ٤٢٠.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ١: ١٤٣.

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: ١: ٩٤.

(٧) ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٢٠.

(٨) ينظر: تفسير البغوي: ١: ١٣٠، وتفسير العز بن عبد السلام: ١: ١٣٥.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٦، كما وردَ في الوافي: ٨: ٦٣٣، بلفظ: « أُمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ آرابٍ».

واحدُها: إِرْبٌ بالكسرِ فالسّكونِ، والمرادُ بالسّبعةِ: الجبهةُ واليَدانِ والرّكبتانِ وإبهاما الرِّجلينِ، والكُلُّ مُحتَمَلٌ.

في الآيةِ حذفٌ:

وفي الآيةِ حَذفٌ واختِصارٌ، والتّقديرُ: فقُلنا: اضرِبوهُ ببعضِها فَضرَبُوهُ بهِ فَحَيَي وأَخبَرَ بقاتِلِهِ فَزالَ الحَلفُ والتَّدارؤُ بينَ القَومِ، واللهُ عَزَّ اسمُهُ وإن كانَ قادرًا على إِحيائهِ مِن دونِ ذلكَ لكن أَمرَهُم بذلكَ؛ لِما مَرَّ ولأنّهم سَألوا موسى عليه السلام أن يُبيِّنَ لهم قاتلَ القَتيلِ، وهُم كانوا يَعدُّونَ القُربانَ مِن أَعظمِ القُرباتِ، وجَعَلوا بَيتًا على حِدَةٍ لا يَدخُلُهُ إلّا خِيارُهُم، فأمرَ اللهُ تعالى بتَقديمِ هذهِ القُربةِ تَعليمًا منهُ سبحانَهُ لكُلِّ مَن اعتاصَ[1] عليهِ أَمرٌ منَ الأمورِ أن يُقدِّمَ نوعًا منَ القُرَبِ قبلَ أن يَسألَ اللهَ تعالى كَشفَ ذلكَ عنهُ؛ ليكونَ أَقربَ إلى الإجابَةِ ويَنتَفعَ اليَتيمَ، والتَّنبيهَ على بَركةِ التّوكّلِ والشَّفَقَةِ.

وفي تفسيرِ الإِمامِ عليه السلام: «أَخَذوا قطعةً وهيَ عَجزُ الذَّنَبِ الذي خُلِقَ منهُ ابنُ آدمَ وعليهِ يركَب إذا أُعيدَ خَلقًا جديدًا فَضربوهُ بها، وقالوا اللّهمَّ بجاهِ مُحمَّدٍ وعَليٍّ والطّيّبينَ مِن ذُرّيّتِهما لَمَّا أَحييتَ هذا الميِّتَ وأَنطَقتَهُ لِيُخبِرَ عن قاتلِهِ، فقامَ سالمًا سَويًّا، وقالَ: يا نبيَّ الله قَتَلَني هذانِ ابنا عَمّي حَسَداني على بنتِ عَمِّي فَقَتلاني، وأَلقَياني في مَحلَّةِ هؤلاءِ لِيَأخُذا دِيَتي، فَأخذَ موسى عليه السلام الرّجلينِ فَقتَلَهُما»[2].

وفي روايةِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: (ابن عَمِّي فُلانٌ بن فلان الذي جاءَ بهِ)[3]، **﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾** في الدّنيا، كَما مَرَّ في أوَّلِ هذهِ القِصّةِ، وفي الآخرةِ عندَ النّفخةِ الثّانيةِ، يُحتَمَلُ أن يكونَ هذا حِكايةُ خِطابِ موسى عليه السلام لِقومِهِ، أي: اعلَموا بِما عَايَنتَموهُ إنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على إِحياءِ الموتَى، وأن يكونَ خِطابًا منَ الله عَزَّ وجَلَّ لِمشركي قَريشٍ ومُنكِري البَعثِ والجَزاءِ والمعادِ الجِسماني، **﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾**، أي: دلائِلِهِ الظّاهرةِ، وآياتهِ الباهرةِ، ومعجزاتهِ القاهرةِ الدّالةِ على توحيدهِ وكمالِ قدرتهِ،

---

(١) أي: التوى. الصحاح: ٣: ١٠٤٦، (عوص).

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٧٨.

(٣) تفسير القمّيّ: ١: ٥٠.

ونبوَّةِ موسى عليه السلام ومُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وفضلِ مُحمَّدٍ وآلِهِ عليهم السلام على سائرِ الخلقِ أجمعينَ سِوى هذهِ الآيةِ المذكورةِ، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، أي: لكَي تَستَعملوا عقولَكُم وتَجروا على مُقتَضاها فإنَّ مَن لَم يَستعملْ عَقلَهُ ولَم يُبصِر رُشدَهُ فَهوَ كَمن لا عَقلَ لهُ أو لكَي يَكمُلَ عُقولُكُم أو لكَي تَعقِلُوا ما يجبُ عليكم من أُمورِ دِينكم ودُنياكُم وتَعلَموا أنَّ مَن قَدَرَ على إِحياءِ نَفسٍ واحدةٍ قَدَرَ على إِحياءِ الأنفسِ كلِّها للتّساوي.

احتِجاجُهُ سبحانُهُ:

فاحتَجَّ سبحانُهُ بهذهِ الآياتِ على المشركينَ ومَن استبَعَدَ البعثَ والجزاءَ وقيامَ القيامةِ وإحياءَ الأمواتِ بقولِهِم: ﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾(١) فأَخبرَهم سبحانَهُ بأنَّ ذلكَ لا يَتعاظمُ ولا يَتعذَّرُ عليهِ؛ لاتّساعِ قدرتِهِ، بل يَهونُ عندهُ ما هوَ أعظمُ مِن ذلكَ.

دلالةُ الآياتِ: [٣٨٦]

وفيها دلالةٌ على صِدقِ نبوَّةِ نَبيِّنا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله حيثُ أَخبرَهُم بغوامضِ أَخبارِهِم التي لا يعلمُها إلَّا مَن قَرأَ كُتُبَ الأَوَّلينَ، أو أُوحيَ إليهِ عندَ ربِّ العالمينَ، وقد صَدَّقَهُ مُخالِفوهُ مِن اليهودِ وغيرِهِم فيما أَخبرَهُم بهِ من أَمثالِ هذهِ الأقاصيصِ، وقد عَلِموا أنَّهُ صلى الله عليه وآله أُمِّيٌّ لَم يقرأْ كتابًا ولَم يرتابُوا في ذلكَ، فهذهِ آياتٌ صادِعةٌ وحُجَجٌ قاطعةٌ وبُرهانينَ ساطعَةٌ في تَثبيتِ نُبوَّتِهِ صلى الله عليه وآله.

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «إنَّ المقتولَ المنشورَ تَوسَّلَ إلى اللهِ سبحانِهِ بمُحمَّدٍ وآلِهِ أن يُبقيَهُ في الدّنيا مُتَمتِّعًا بابنَةِ عَمِّهِ ويَجزيَ عنهُ أَعداءَهُ ويَرزقَهُ رِزقًا كَثيرًا طَيِّبًا فَوَهَبَ اللهُ تعالى لهُ سَبعينَ سَنَةً بعدَ أن كانَ قد مَضى عليهِ ستُّونَ سَنَةً قبلَ قَتلِهِ صَحيحَةً حَواسُّهُ فيها قَوِيَّةً شَهواتُهُ فَتمتَّعَ بحلالِ الدّنيا وعاشَ لَم يُفارِقها ولَم تُفارقهُ وَماتا جَميعًا وصارا إلى الجَنَّةِ وكانا زَوجينِ فيها ناعِمَينِ، وأنَّ اَصحابَ البقرَةِ ضَجُّوا إلى موسى عليه السلام وقالُوا افتقَرَتِ القَبيلةُ وانسَلَخنا بلِجاجِنا عَن قَليلِنا وكَثيرِنا،

(١) سورة الإسراء ١٧: ٤٩.

فَأرشَدَهُم موسى عليه السلام إلى التّوسُّلِ بنبيِّنا صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، فأوحى الله إليهِ لِيذهَب رُؤساؤُهُم إلى خَرِبةِ بَني فُلانٍ ويَكشِفوا عن مَوضِعِ كَذا، ويَستخرجوا ما هناكَ فإنَّهُ عَشَرَةُ آلافِ ألفِ دينارٍ لِيَردُّوا على كُلِّ مَن دفعَ في ثَمنِ هذهِ البَقرَةِ ما دفعَ لِتعودَ أَحوالُهم على ما كانَت، ثمَّ لِيَتقاسَموا بعد ذلك ما يَفضُلُ؛ لِتَتَضاعَفَ أَموالُهُم جَزاءً عَلى تَوسُّلِهِم بمُحمَّدٍ وآلِهِ عليهم السلام واعتِقادِهِم لِتَفضيلِهِم»[1].

وقالَ البيضاويُّ في تَفسيرِهِ بعدَ قولِهِ تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: «وتَعلَموا أنَّ مَن أَرادَ أن يَعرِفَ أَعدى عَدُوِّهِ، السّاعِيَ في إماتَتِهِ المَوتَ الحَقيقيَّ، فَطَريقُهُ أن يَذبحَ بَقرَةَ نَفسِهِ، التي هيَ القُوَّةُ الشّهويَّةُ حينَ زالَ عنها شَرَهُ الصِّبا ولَم يَلحقْها ضَعفُ الكِبَرِ[2]، وكانَت مُعجِبَةً رائقَةَ المنظَرِ[3] غيرَ مُذلَّلَةٍ[4] في طلَبِ الدّنيا مُسلَّمَةً عَن دَنَسِها لا سِمَةَ بها مِن قَبائِحِها بحيث يَصلُ أَثرُهُ إلى نفسِهِ، فَتَحيا حياةً طَيِّبَةً وتُعرِبُ عمّا بِهِ يَنكشِفُ الحالُ ويَرتَفعُ ما بينَ العَقلِ والوَهمِ مِنَ التَّدارُئِ والنِّزاعِ»[5]، انتهى وهذهِ نَصيحةٌ أَنيقَةٌ و مَوعظَةٌ بليغَةٌ.

وقولُهُ تعالى: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾** آية:

القراءة:

قُرِئَ: (أَشَدَّ) بفَتحِ الدَّالِ مجرورًا عَطفًا على الحجارةِ، والجمهورُ: على ضَمِّ الدّالِ عَطفًا على الكافِ، وقُرِئَ: (إنْ) بتسكينِ النّونِ في المواضعِ الثّلاثةِ، فهيَ حينئذٍ مُخفَّفةٌ من الثّقيلةِ بقرينةِ ذكرِ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٨٠، ٢٨١، (بتصرّف)، وهو منقول بالنصّ من التفسير الصافي: ١: ١٤٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى قولِهِ: لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى قوله: تَسرُّ الناظرينَ.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: إشارة إلى قوله: لا ذلولَ إلى آخِرِهِ.

(٥) تفسير البيضاوي: ١: ٨٨.

اللّامِ الفارقةِ، والجمهورُ: بتَشديدِها[1]، وقرأَ عبدُ الله بنُ كثيرٍ المكّي وحدَهُ ههنا: (عَمَّا يعملونَ) بقَرينةِ ما بعدَهُ من قولِهِ تعالى: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[2]، والباقونَ: بـ(التّاءِ)، بقرينةِ ما قبلَهُ من الخطابِ في قولِهِ ﴿قُلُوبُكُمْ﴾، وكذا اختَلَفوا في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ في سائرِ السّورِ فَقرأَ أبو جعفرٍ بنُ يزيدٍ القعقاع المدنيّ وحدَهُ: بـ(التّاءِ) في كُلِّ القرآن، إلَّا في سورةِ الأَنعامِ، وقرأَ عبدُ الله بنُ عامرٍ الشّاميّ: بـ(التّاءِ) في كلِّ القرآنِ، واختلفَ سائرُ القُرّاءِ أيضًا كحمزةَ والكسائيّ وأبي عَمرو ونافعٍ وعاصِمٍ: فكُلُّ موضعٍ كان قبلَهُ خطابٌ فَقراءتُهُ بـ(التّاءِ) أحسنُ؛ لِيكونَ مِن عَطفِ الخطابِ على الخطابِ، ويجوزُ قراءَتُهُ: بـ(الياءِ) على لفظِ الغَيبةِ على معنى: وما اللهُ بغافِلٍ عمَّا يَعملُ هؤلاء اليهودِ مثلًا أيُّها المسلمونَ، وكُلُّ موضِعٍ كانَ غَيبَةً فـ(الياءُ) أحسنُ لِعطفِ الغَيبَةِ على الغَيبَةِ، ويجوزُ: بـ(التَّاءِ) باعتبارِ التّغليبِ، ونَحوِ ذلكَ[3].

اللغة:

القَسوةُ: الصّلابةُ في كُلِّ شيءٍ، والغِلظَةُ واليُبسُ، وذهابُ اللّينِ والرَّحمةِ من القلبِ، ونَقيضُها: الرِّقّةُ، يقالُ: قَسا قَلبُهُ يَقسُو قَسوًا وقَسوَةً وقَساوَةً، ومنهُ قَسَتِ الدّراهمُ إذا زافَت، ودِرهَمٌ قَسِيٌّ، أي: زَيفٌ، والشِّدَّةُ: القُوّةُ في الجسمِ وصُعوبةُ الأمرِ والفَتلُ المُحكَمُ، ومنهُ لا تَبيعُوا الحَبَّ حَتّى يَشتَدَّ أَرادَ بالحبِّ: الطَّعامَ، كالحِنطَةِ والشَّعيرِ، واشتِدادُهُ: قُوَّتُهُ وصَلابتُهُ، وفي حديثِ قِيامِ رَمضانَ: «أَحيَى اللّيلَ وشَدَّ المئزَرَ»[4]، وهوَ كِنايةٌ عن اجتنابِ النّساءِ أو عنِ الجِدِّ والاجتهادِ في العَملِ أو عنهُما معًا، والنَّهرُ: المجرى الواسِعُ مِن مَجاري الماءِ، وفي الحديثِ: «نَهرانِ مؤمنانِ، ونَهرانِ كافرانِ،

---

(١) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ١: ٧٩، وإعراب القرآن للنحّاس: ١: ٦١، والتبيان في إعراب القرآن: ١: ٧٩، والكشّاف: ١: ١٥٥، والقراءتان للأعمش.

(٢) سورة البقرة ٢: ٧٥.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٠، ١٦١، والحجّة في القراءات السبع: ١: ٨٢، ٨٣، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١١١ـ ١١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٥٢.

فأمّا المؤمنانِ: النِّيلُ والفُراتُ، وأمّا الكافرانِ دِجلةُ ونَهرُ بَلخٍ»[1] ، ويقالُ: نَهْرٌ بالسّكونِ ونَهَرٌ بالفَتحِ، والفَتحُ أَفصَحُ، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾[2] الآيةُ، وقالَ تعالى: ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[3] وجمعُهُ: نُهُرٌ وأَنهارٌ، وفي الحديثِ: «أَنهِرُوا الدَّمَ بما شِئتُم إلَّا الظُّفرَ والسِّنَّ»[4]، أي: اذبحُوا واجرُوا الدَّمَ بكُلِّ آلةٍ من الحديدِ واللِّيطَةِ والمروَةِ الحادَّةِ[5] دونَ الظُّفرِ والسِّنِّ، وفي حديثٍ آخَرَ: «ما أَنهَرَ الدَّمَ فكُل»[6]، والإنهارُ بالكَسرِ: مَصدرُ أَنهَرَ، وهوَ: الاسالةُ بسِعَةٍ وكثرةٍ من النَّهرِ وهوَ: المجرى الواسِعُ كَما مَرَّ، والصَّبُّ بكَثرةٍ شَبَّهَ خُروجَ الدَّمِ مِن موضِعِ الذَّبحِ بجَري الماءِ في النَّهرِ.

[٣٨٧]

ذكرُ الاختلافِ في جَوازِ الذَّبحِ بالظُّفرِ والسِّنِّ مطلَقًا وعندَ الضّرورةِ والحديثِ:

وفي جَوازِ ذَبحِ الحَيَوانِ بالظُّفرِ والسِّنِّ خِلافٌ بينَ العلماءِ، فبعضُهُم يمنَعُ مُطلقًا: كالشّيخِ في الخِلافِ[7]، مُحتَجًّا بالإجماعِ والرّوايةِ السّابقةِ، ورِوايةِ رافعِ بنِ خُديجٍ[8] عنِ النّبيِّ ﷺ: «إنَّهُ ما أَنهَرَ الدَّمَ، وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ فكُلوا إلَّا ما كانَ مِن سِنٍّ أو ظُفرٍ»[9]، وبعضُهُم يقولُ: بالجَوازِ للضَّرورةِ

---

(١) الكافي: ٦: ٣٩١، حديث رقم: ٥، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٣٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٤٩.

(٣) سورة القمر ٥٤: ٥٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٣٥.

(٥) الليطة: (قشرة القصبة، والجمع: ليط). الصحاح: ٣: ١١٥٨، (ليط).

والمروة: (حجارةٌ برّاقةٌ تُقدحُ منها النار). الصحاح: ٦: ٢٤٩١، (مرا).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٣٥.

(٧) الخلاف: ٦: ٢٣.

(٨) هو: أبو عبد الله وقيل: أبو خديج ابن عدي بن تزيد الأنصاري الخزرجي: شهدَ أحدًا والخندق، واستُصغِرَ يومَ بدرٍ، أصابهُ سهمٌ يوم أحد، وكانَ بصفّين مع عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام ، توفي سنة (٧٤هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ١٤: ٤٦، وأعيان الشيعة: ٦: ٤٤٧.

(٩) بحار الأنوار: ٦٢: ٣٠٩، (في حقيقة التذكية).

وعدَمِ وجودِ الحَديدِ ونَحوِهِ[1].

ومِنهُ[2]: اشتِقاقُ النَّهارِ؛ لأنَّهُ اسمٌ لِضَوءٍ واسعٍ مُمتَدٍّ من طُلوعِ الشّمسِ إلى غُروبِها، ولا يُثَنّى ولا يُجمَعُ وربَّما جُمِعَ على تَأويلِ اليومِ، وأمَّا الجدولُ والسَّرِيُّ فهما دونَ النَّهرِ، قالَ تعالى: ﴿تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[3]، والتَّفجُّرُ: التَّفعُّلُ، من فَجَرَ الماءُ: إذا خَرجَ من مَنبَعِهِ، والانفجارُ: الخُروجُ والسَّيَلانُ.

والشَّقُّ: القَطعُ والفَصلُ، وأصلُ يَشَّقَّقُ: يَتَشَقَّقُ من بابِ التَّفعُّلِ، أُدغِمتِ التّاءُ في الشّينِ بعد القَلبِ والاسكانِ كما هوَ القاعدةُ، ثمَّ أُجتُلِبَ في الماضي بهمزَةِ الوَصلِ، والهَبطِ والهُبوطِ قد مَرَّ لغةً، والغَفلةُ: السَّهوُ عنِ الشّيءِ، وذهابُ المعنى عَنِ النّفسِ بعدَ حضُورِهِ وشُغلُ القَلبِ بغيرِهِ.

الإعراب:

(ثُمَّ): حرفُ عَطفٍ مُفيدٌ للتّراخي في الزّمانِ، وهيَ ههنا استِعارةٌ لاستِبعادِ القَسوةِ معَ وجودِ الآياتِ الباهرةِ والمعجزاتِ القاهِرةِ والدّلائلِ الظّاهرةِ تَنزيلًا لبُعدِ ذلكَ منهم مَنزلةَ بُعدِ الزَّمانِ، و(قُلوبُكُم) بالرّفعِ: فاعلُ (قَسَت)، و(مِن بَعدِ ذلكَ): مُتعلِّقٌ بـ(قَسَت) وهيَ: مُبتدأٌ خبرُهُ كالحَجارةِ، و(الفاءُ) هذهِ هيَ الّتي تدخلُ في نَتيجةِ القِياسِ أو فَصيحةٌ، و(الكافُ): يجوزُ أن تكونَ حرفًا جارًّا وأن تكونَ اسمًا، و(أشُدُّ) بالرّفعِ: عَطفٌ على (الكافِ) الاسميَّةِ فهوَ: خَبرٌ آخَرُ لِـ(هيَ).

معاني لفظة (أو) في هذهِ الآيةِ:

و(أو) فيهِ: يجوزُ أن تكونَ للإبهامِ كما يجيءُ في تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام كقَولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[4]، والاستشهادُ في (أو) الأُولى دونَ الثّانيةِ، وأن تكونَ للإباحةِ كما في: جالِسِ الحسنَ أو ابنَ سيرينَ، وكما في قولِهِ تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾[5] كما مَرَّ، أي: إن

(١) وهو قول: الشيخ ابن ادريس الحلّي في السرائر: ٣: ٨٦.

(٢) أي: من النَّهرِ.

(٣) سورة مريم ١٩: ٢٤.

(٤) سورة سبأ ٣٤: ٢٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٩.

شَبَّهت قُلوبَهُم بالحجارةِ أَصبتَ، أو بشيءٍ أَشدَّ منَ الحجارةِ أَصبتَ، وبِهِما جميعًا أَصبتَ، وأن تكونَ بمعنى: (بَل)، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]، أي: بَل يزيدونَ، وقولُهُ:

كانُوا ثَمانِينَ أو زَادوا ثَمانِيَةً   لَولا رَجاؤكَ قَد قَتَّلتَ أولادِي [2]

أي: بَل زادُوا، وقولُهُ:

بَدَت مثلَ قَرنِ الشَّمسِ في رَونَقِ الضُّحَى   وَصورَتِها أو أَنتِ في العَينِ أَملَحُ [3]

أي: بَل أَنتِ، وهوَ نظيرُ بَدلِ الإضرابِ في كَونِ الثّاني داخلًا في الأَوَّلِ معَ شيءٍ زائدٍ، وليسَ مثلَ لَقيتُ رَجلًا بَل حِمارًا، وأن تكونَ للتّفضيلِ والتّمييزِ بمعنى: أنَّ قلوبَهُم قاسيةٌ لا مَحالةَ فبعضُها كالحَجارةِ وبعضُها أَشدُّ قَسوةً من الحِجارةِ، وقالَ لَبيدٌ:

تَمَنَّى ابنَتَايَ أن يَعيشَ أبوهُما   وَهَل أَنا إلَّا مِن رَبيعَةَ أو مُضَر [4]

أَرادَ إنَّهُ مِن قبيلَةٍ كانَ يُدركهُ الموتُ والفَناءُ؛ لأنَّ الموتَ ليسَ بتاركٍ لأحَدٍ، وأن تكونَ بمعنى: (الواو) كَما قالَ الشّاعرُ:

نَالَ الخِلافَةَ أو كانَت لهُ قَدَرًا   كَما أَتَى رَبَّهُ مُوسى على قَدَرِ [5]

أي: وكانَت، وقالَ تَوبَةُ:

وَقد زَعَمَت لَيلى بأنِّي فاجِرٌ   لِنَفسي تُقَاها أو عَلَيها فُجُورُها [6]

---

(١) سورة الصافات ٣٧: ١٤٧.

(٢) البيت من البسيط، لجرير مادحًا هشام بن عبد الملك. ديوانه: ١٢٣، وينظر: شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ٣٧٩.

(٣) البيت من الطويل، لذي الرّمّة. ديوانه: ٦٢٤، وينظر: الخصائص: ٢: ٤٦٠.

(٤) البيت من الطويل. ديوانه: ٥٠، وينظر: شرح المفصّل لابن يعيش: ٥: ١٩.

(٥) البيت من البسيط، لجرير مادحًا عمر بن عبد العزيز. ديوانه: ٢١١، وينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٢: ٦٩٥.

(٦) البيت من الطويل. ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٢٧٩، ومغني اللبيب: ٨٩.

وقائله: أبو حرب، توبة بن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري: شاعرٌ من العُشّاقِ المشهورين، هوى ليلى الأخيليّة وقد رفضه أبوها وزوّجها غيره، فانطلق يقول الشعر فيها، توفي سنة (٨٥ هـ). ينظر: تاريخ مدينة دمشق: ٧٠: ٦٠، والأعلام: ٢: ٨٩.

أي: وعَليها، وحينئذٍ يَنبغَي أن يُقالَ لِقلوبِهِم حالاتٌ شَتَّى، فِفِي بعضِ الحالاتِ لانَتْ بعضَ اللِّينِ وكادَت تُصغِي الحَقَّ فَتكونُ في هذهِ الحالةِ كالحِجارةِ الّتي ربَّما لانَتْ بالأقسامِ الثّلاثةِ، وتكونُ في الحالةِ الأُخرى في نِهايةِ الصّلابةِ وغَايةِ البُعدِ عن الخَيرِ فَهيَ أَشدُّ قَسوةً من الحِجارةِ فَتكونُ (أو) في هذهِ الآيةِ مُحتَملَةٌ لِلأَقسامِ الخَمسةِ، والأَوسَطُ أوسَطُ[1]، و(قَسوةً): نَصبٌ على التّمييزِ لِنسبةِ أَشَدّ إلى فاعلِهِ، و(ما) في (لَمَا) في المواضِعِ: اسمٌ موصولٌ مَنصوبُ المحلِّ: اسمٌ لـ(إنَّ)، واللّام المَفتوحةِ هيَ لامُ الزُّحلُوفَةِ والفارِقةِ، و(مِن خَشيةِ الله): تعليلٌ مُتعَلّقٌ بـ(يَهبطَ)، أو بكُلِّ واحدٍ منَ الأَفعالِ الثّلاثةِ وهوَ الأصحُّ.

قولُهُ: ﴿وَمَا اللهُ﴾: (ما) نافيةٌ مُشبَّهَةٌ بـ(ليسَ)، و(الله) اسمُهُ، وبِـ(غافلٍ): خبرُهُ، والباءُ: مَزيدةٌ قِياسًا، و(عَمَّا): مُتعلّقٌ بـ(غافلٍ)، و(ما): موصولٌ اسميّ، أو حرفيّ مصدريّ وعلى التّقديرينِ: (تعملونَ): صِلةٌ لـ(ما) لكنِ العائدَ مَحذوفٌ على الأوَّلِ، أي: وما اللهُ بغافلٍ عَمَّا تَعملونَهُ دونَ الثّاني، أي: وما اللهُ بغافلٍ عَن أَعمالِكُم وهذا هوَ الفَرقُ بينَ الموصولِ الاسميّ والحَرفيّ كَما بُيِّنَ في موضعِهِ.

المعنى: [٣٨٨]

لمَّا عَدَّدَ اللهُ سبحانَهُ النِّعمَ الّتي أَنعمَها على بَني إسرائيلَ، وذَكَرَ المُعجزاتِ الباهراتِ والآياتِ القاهراتِ والأَعلامِ الظّاهراتِ الّتي صَدَرَت على موسى عليه السلام وفي زَمَنِهِ والّتي شاهَدُوها مِن نَبيِّنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَيَّنَ ما فَعلوا بعدَها منَ العِصيانِ وقابَلوها بالكُفرِ والطّغيانِ معَ استِبعادِ ذلكَ منهم، فقالَ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي: صَلُبَت ويَبُسَت من الخيرِ والرَّحمةِ وغَلُظَت وجَفَّت وعَتَت وبَعُدَت عنِ الاعتِبارِ، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أي: مِن بعدِ إحياءِ القَتيلِ وإخبارِهِ عَن قاتلِهِ، وما بَيَّنَتِ الآياتُ الباهراتُ على يَدِ موسى عليه السلام من انفِجارِ الماءِ، وانفراقِ البَحرِ، ورَفعِ الجَبلِ فوقَ رؤوسِكُم، ومَسخِ أسلافِكُم قِردَةً وخنازيرَ، وغيرِ ذلكَ، والمعجزاتُ الّتي شَاهدتُموها من مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله فإنَّ جميعَ ذلكَ يُوجبُ لِينَ القُلوبِ لا قَسوتَها، وذلك إشارةٌ إلى الجميعِ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾، أي: فقُلوبُكم

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونها بمعنى: (بل) أفضل.

كالحِجارةِ في قَسوتِها وصَلابتِها ويُبسِها وغِلظَتِها وشِدَّتِها، وعن النَّبيِّ ﷺ: «لا تُكثِروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ اللهِ تعالى فإنَّ كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ اللهِ تعالى يُقسِي القَلبَ، وإنَّ أَبعدَ منَ اللهِ القاسِي القَلبِ»[1]

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، أي: أو هيَ أشدُّ قسوةً وصَلابةً منَ الحِجارةِ، أو بَل هيَ أشدُّ صَلابةً مِنَ الحِجارةِ، أو المعنى هيَ: مثلُ الحِجارةِ أو مثلُ ما هوَ أشدُّ مِنها قَسوةً وصَلابةً كالحديدِ، فَحُذِفَ المضافُ وأُقِيمَ المضافُ إليهِ مقامَهُ كَما في صورةِ قراءةِ الجَرِّ بفَتحِ الدَّالِ؛ لِكونهِ غيرَ مُنصرِفٍ وإنَّما لَم يَقلْ أَقسى لِما أَشَدَّ مِنَ المبالغةِ والدَّلالةِ على اشتِدادِ القَسوتَينِ، أَعني: قَسوةَ القَلبِ وقَسوةِ الحِجارةِ، واشتِمالِ المُفضَّلِ، أَعني: القُلوبَ على زيادةٍ، ولَم يُشبِّه قلوبَهُم بالحديدِ وإن كانَ أَصلبَ من الحِجارةِ؛ لأَنَّهُ قابلٌ للتَّليينِ فَقُلوبُهم أَشَدُّ صَلابةً من الحِجارةِ والحديدِ؛ لامتِناعِهم عنِ الاقرارِ اللازمِ بقيامِ حجَّتِهِ والعملِ بالواجبِ من طاعتِهِ بعدَ مشاهدةِ الآياتِ القاهرةِ، ثمَّ فَضَّلَ اللهُ سبحانُهُ الحِجارةَ على القُلوبِ القاسيةِ فقالَ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، يعني: إنَّ مِن جُملةِ الحِجارةِ ما هوَ أَنفعُ مِن قُلوبِكُم القاسيةِ؛ لأَنَّهُ ينفجرُ منهُ أنهارُ الماءِ، واستَغنى بذكرِ الأَنهارِ عن ذِكرِ الماءِ، وهوَ عامٌّ الأَحجارِ الكثيرةِ الواقعةِ في أكثرِ الجبالِ، وهوَ ظاهرٌ لِمن سَيَّرَ فيها واعتَبَرَ بآياتِها، أو هوَ: الحَجَرُ الذي انفجرَت منهُ اثنَتَا عَشرَةَ عينًا.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ فيكونُ عينًا نابعةً لا أنهارًا جاريةً لِيحصلَ الفَرقُ وعَدمُ التّكرارِ، وقالَ الحسينُ بنُ عليٍّ المغربيّ[2]: «الحِجارةُ الأُولى حِجارةُ الجِبالِ مِنها يتفجَّرُ الأنهارُ، والثّانيةُ حَجَرُ موسى عليه السلام الّذي كانَ يضربُهُ فيخرجُ منهُ العُيونَ»[3] فلا يكونُ تكرارًا.

(١) بحار الأنوار: ٩٠: ١٦٤، (أشد الأعمال)، ومستدرك الوسائل: ٥: ٢٨٧، حديث رقم: ٥٨٧٥.

(٢) الوزير: كان آية في الحفظ، نظم الشعر وتصرّف في النثر في حساب النجوم والجبر والمقابلة، وهو لم يتعد الأربعة عشر سنة، قُتِلَ مسموماً بميّا فارقين وحُمِلَ إلى الكوفة، فدُفِنَ بجوارِ قبر الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من كتبه: كتاب السياسة، والمنخل، توفي سنة (٤١٨هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ١٢: ٢٥٨، والأعلام: ٢: ٢١٦.

(٣) التبيان: ١: ٣٠٩، ومجمع البيان: ١: ٢٦٨.

وقَد ذكرنا سابقًا في تَفسيرِ قولِهِ تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]، الحديثَ الّذي رَواهُ الطَّبرسيّ في كِتابِ الِاحتجاجِ: (عَن موسى بنِ جعفرٍ عَن أَبيهِ عَن آبائِهِ عنِ الحسينِ بنِ عليٍّ عليه السلام قالَ: قالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: ولَقد مَررنا معَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بجبلٍ فَإذا الدُّموعُ تَخرجُ مِن بعضِهِ، فقالَ صلى الله عليه وآله ما يُبكيكَ يا جَبلُ؟ فقالَ: يا رسولَ الله كانَ المسيحُ عليه السلام مَرَّ بيَ وهوَ يُخوِّفُ النّاسَ بنارٍ وَقودُها النّاسُ والحِجارةُ، وأنا أخافُ أن أكونَ مِن تلكَ الحجارةِ، قالَ صلى الله عليه وآله: لا تَخَف تلكَ الحِجارةُ الكبريتُ، فَقرَّ الجَبلُ وسَكنَ وهَدأَ وأجابَ)[2]، انتهى.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ إذا أُقسِمَ عليها باسمِ الله تعالى، وبأسماءِ أَوليائِهِ مُحمَّدٍ وعَليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ والطَّيبينَ مِن ذُرّيّةِ الحسينِ عليهم السلام فَيَتَدكدَكُ وَتَخرُّ ساجِدةً، ويُسَلِّمُ ويَخرُجُ منهُ النّاقةُ، أو التّعليلُ راجعٌ إلى الأفعالِ الثّلاثةِ كَما أشرنا إليهِ في الإعرابِ، فيكونُ تَعليلًا لِتفضيلِ قُلوبِهِم على الحِجارةِ في شِدَّةِ القسوةِ؛ لأنَّ الحِجارةَ تَتأثَّرُ وتَنفعِلُ فَمِنها ما يَتفجَّرُ منهُ الأَنهارُ، ومِنها ما يَتشَقَّقُ فَينبعُ منهُ الماءُ، ومِنها ما يَتَردَّى مِن قُلَّةِ الجَبلِ إلى أَسفلِهِ ويَتَدكدَكُ انقيادًا لِما أَرادَ اللهُ؛ وخَوفًا منهُ سبحانُهُ، ولا تَقبلُ حَملَ الأَمانةِ مُشفِقًا مِنها[3]، والخشيَةُ هنا مَثَلٌ ومَجازٌ عنِ الانقيادِ؛ لأَنَّهُ وُجِدَ منها ما يُوجَدُ مِن حَيٍّ عاقِلٍ، كما قالَ سبحانُهُ: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[4]؛ لأَنَّهُ ظَهرَ منهُ المَيلُ والخُرُورُ، وقالَ: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[5] وقالَ: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[6] وقالَ: ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[7] وقالَ جريرُ:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤.

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٢٦.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: خوفًا وخَشيةً.

(٤) سورة الكهف ١٨: ٧٧.

(٥) سورة الإسراء ١٧: ٤٤.

(٦) سورة سبأ ٣٤: ١٠.

(٧) سورة هود ١١: ٤٤.

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبيرِ تَواضَعَت سُورُ المَدينةِ والجِبالُ الخُشَّعُ [1]

وقالَ جريرُ أيضًا:

والشّمسُ طالعَةٌ [2] لَيسَت بكاسِفَةٍ تَبكي عَليكَ نُجومُ اللّيلِ والقَمَرا [3]

وقالَ تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِّ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أيُّها الجاحِدونَ المُنكرونَ المُكذّبونَ بآياتهِ ونُبوَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أو وَما اللهُ بغافلٍ عَمَّا يَعملُهُ هؤلاءِ اليَهودُ والمنافقونَ والنَّواصبُ، ومِنهم مَن جَعلَ (الهاءَ) في قولِهِ: **﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** راجعًا إلى القُلُوبِ[5]، أي: وإنَّ منَ القُلوبِ ما يَهبطُ مِن خَشيةِ اللهِ، أي: تَخشَعَ، وهيَ: قُلوبُ مَن آمنَ مِن أَهلِ الكِتابِ، فَيكونونَ مُستَثنينَ مِن القاسيَةِ قلوبِهِم عَن

(١) البيت من الكامل. ديوانه: ٢٧٠، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب: ١: ٥٢.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: والشّمسُ طالعةٌ البيت: قالهُ جريرُ في مرتبةِ عُمرُ بن عبدِ العزيزِ، ونجومَ اللّيلِ والقَمرا: منصوبانِ بـ(تَبكي)، وهوَمن بابِ المغالبةِ كما بَينَّاهُ مفصَّلًا في تَوشيحِ الوافيةِ، وفاعلُ (تبكي): ضميرُ الشّمسِ، ويجوزُ أن يكونا منصوبينِ بكاسِفةٍ، وهو أَبلغُ في المعنى، أي: ليسَتِ الشّمسُ معَ طلوعِها كاسفةً نجومَ الليلِ والقَمرَ معَ إنَّهُ المُتعارفُ في جميعِ الأوقاتِ؛ لأنَّ عِظَمَ المصيبةِ قَد سَلبَها ضوءَها، ويلزمُ منهُ المغالبةُ أيضًا ضِمنًا فيكونُ من قَبيلِ قولِ النّابغةِ:

تَبدوا كَواكِبُهُ والشّمسُ طالعةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

[البيت من البسيط. ديوانه: ١٠٥] ، وَفصَّلنا جميعَ ذلكَ في تَوشيحِ الوافيةِ مَن أراد الإطّلاعَ فَليَرجع إليهِ.

(٣) البيت من البسيط. ديوانه: ٢٣٥، وجاء بلفظ: (فالشمسُ كاسفةٌ ليست بطالعةٍ)، و وافقه صاحب القاموس: ٨٤٩، وغيره، كما وافق المُصنِّف في قراءته عديد المصادر، منها: جمهرة اللغة: ١: ٥٩٧، والمخصّص: ٥: ١٣٤.

فعلى قراءة الديوان: يكون المعنى: أَراد مَا طلعَ نجمٌ، وما طلعَ قمرٌ، ومَا طَلعتِ الشّمسُ حزنا عليك، وعلى القراءة الثانية: أَنَّ الشّمسَ طالِعةٌ تَبْكِي عَلَيْكَ وَلَمْ تكسِف ضَوْءَ النُّجُومِ ولا القمرِ؛ لأَنّها فِي طُلُوعِها حزينةٌ باكيَةً.

(٤) سورة الحشر ٥٩: ٢١.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: على قراءةِ الياء.

أَبي مُسلِمٍ[1]، وهوَ بعيدٌ عنِ القِياسِ والسَّماعِ. [٣٨٩]

ففي كِتابِ الاحتِجاجِ للطّبرسي: (قالَ أَبو مُحمَّدٍ العَسكري عليه السلام: لَمّا نَزلَت هذهِ الآيةُ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ في حَقِّ اليهودِ والنّواصِبِ فَغَلَظَ ما وَبَّخهم بهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، فقالَ جماعةٌ مِن رُؤسائِهِم وذَوِي الألسُنِ والبَيانِ منهم: يا مُحمَّدُ إنَّكَ تَهجونا وتَدَّعي على قُلوبِنا ما اللهُ يَعلمُ منهُ خِلافَهُ إنَّ فيها خَيرًا كَثيرًا نَصومُ ونَتَصدَّقُ ونُواسيَ بينَ الفُقراءِ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّما الخيرُ ما أُريدَ بهِ وجهُ اللهِ وعُمِلَ على ما أمرَ اللهُ تعالى، فأمَّا ما أُريدَ بهِ الرّياءُ والسُّمعةُ ومعانَدةُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وإظهارُ الغِنى لَهُ والتَّمالُكُ والتّشرفُ عليهِ فليسَ هوَ بخَيرٍ بل الشّرُّ الخالصُ ووَبالٌ على صاحبِهِ يُعذِّبهُ اللهُ تعالى بهِ أَشَدَّ العذابِ، فقالوا لهُ: يا مُحمَّدُ أَنتَ تقولُ هذا، ونحنُ نقولُ: بل ما نُنفِقُهُ إلَّا لإبطالِ أمرِكَ ودَفعِ رئاسَتِكَ؛ ولِتفريقِ أَصحابِكَ عنكَ وهو الجِهادُ الأَعظَمُ نأمَلُ بهِ منَ اللهِ الثّوابَ الأجلَّ الأجسَمَ)[2].

وفي الخَرائجِ والجَرائحِ: (عن الحسينِ[3] بنِ عليٍّ عليه السلام: قولُهُ تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الآيةُ، قالَ: إنَّهُ تعالى يقولُ يَبسَت قُلوبُكُم معاشرَ اليهودِ كالحِجارةِ اليابسةِ، لا تَرشَحُ برطوبةٍ، أي: إنّكم لا حَقَّ اللهِ تُؤدُّونَ، ولا بأموالِكم تَتَصدّقون، ولا بالمعروفِ تَتكرّمونَ، ولا للضَّيفِ تَقرونَ، ولا مَكروبًا تُغيثونَ، ولا بِشيءٍ مِن الإنسانيةِ تُعاشِرونَ وتُعاملونَ[4]، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: أَبهمَ على

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ١: ٢٦٨.

وهو: محمد بن علي بن مهر يزد بن بحر الأصبهاني: المعتزلي، كان كاتب بليغا ومتكلما جدلا، عاصر الشيخ الطوسي، له من الكتب: جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة في تفسير القرآن، جامع الرسائل، ناسخ الحديث ومنسوخه، توفي سنة (٤٥٧هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ١٥١، وهدية العارفين: ٢: ٧١، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥: ٤٤.

(٢) الاحتجاج: ١: ٥١.

(٣) ذكرَ الراونديُّ الحديثَ عن الإمامِ الحسن بن علي عليه السلام.

(٤) وردت في نسخة المصدر بلفظ: (تواصلون).

السّامعينَ[1] ولَمْ يُبيِّن لَهم كَما يقولُ القائلُ: أكلتُ لَحمًا أو خُبزًا، وهوَ لا يُريدُ إنَّهُ لا يدري ما أكلَ، بل يُريدُ أن يُبهمَ على السّامعِ حتَّى لا يعلمَ ماذا أكلَ، [وإن كانَ يعلمُ أنَّهُ قد أكلَ أيّهما][2]، **﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾**، أي: قُلوبُكُم في القَساوةِ بحيثِ لا يَجيءُ منها خَيرٌ يا يهود، وفي الحِجارةِ ما يَتفجَّرُ منهُ الأنهارُ فَيجيءُ بالخيرِ والنّباتِ لِبني آدمَ، **﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾**، أي: وإنَّ منَ الحِجارةِ لَمَا يَشَّقَّقُ فيخرجُ منهُ الماءُ دونَ الأنهارِ، وقُلوبُكم لا يَجئُ منها لا كَثيرٌ منَ الخيرِ ولا قليلٌ، **﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾**، أي: منَ الحِجارةِ[3] [لَمَا يَهبِطُ من خَشيةِ الله][4] إن أُقسِمَ عليها باسمِ الله عَزَّ وجَلَّ تَهبِطُ، وليسَ في قُلوبِكَم شَيءٌ منهُ.

فقالوا : زعِمتَ يا مُحَمَّدُ أنَّ الحجارةَ أَلينُ من قُلوبِنا، وهذهِ الجبالُ بِحضرتِنا فاستَشهِدها على تَصديقِكَ، فإن نَطقَت بتَصديقِكَ فأنتَ المُحقُّ، فَخَرجوا إلى أَوعَرِ جَبلٍ فقالوا: استَشهدهُ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: أسألكَ يا جبلُ بجاهِ مُحَمَّدٍ وآلهِ الطّيّبينَ الذين بذِكرِ أسمائِهم خفَّفَ اللهُ العرشَ على كواهلِ ثَمانيةٍ منَ الملائكةِ بعدَ أن لَم يَقدِروا على تَحريكِهِ، فَتحرَّكَ الجبلُ وفاضَ الماءُ، فنادى: أشهَدُ أنَّكَ رسولُ ربِّ العالمينَ، وأنَّ قلوبَ هؤلاءِ اليهودِ كَما وَصفتَ أقسى مِنَ الحجارةِ، فقالَ اليهودُ: أَعلينا تَلبَسُ؟ أجلَستَ أصحابَكَ خَلفَ هذا الجَبلِ ينطقونَ بمثلِ هذا، فإن كنتَ صادقًا فَتنَحَّ مِن موضِعِكَ إلى ذي القَرارِ ومُر هذا الجَبَلَ يسيرُ إليكَ، ومُرهُ أن يَتَقطَّعَ نصفينِ، تَرتفِعُ السّفلى، وتَنخفِضُ العُليا، فأشارَ ﷺ إلى حَجَرٍ فَتدحرَجَ، ثمَّ قالَ لمخاطِبِهِ: خُذهُ وقَرِّبهُ فَسيعيدُ عليكَ بما سَمعتَ فإنَّ هذا جزءٌ من هذا الجبلِ، فأخذَهُ الرّجلُ فأدناهُ من أُذنِهِ، فَنطقَ الحَجرُ بمثلِ ما نَطقَ بهِ الجبلُ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: يُفهمُ منه أنَّ (أو) هنا للإبهامِ كما وعدناه في بيان الإعراب ما يأتي في تفسير الإمام عليه السلام.

(٢) الإضافة من المصدر لم يذكرها المصنِّف.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: ويُفهمُ من هذا الحديث: إنّ (الهاء) في (منها) ليسَ عائدا إلى القلوب كما توهَّمَ البعضُ، كَما أشرنا إنّه بعيدٌ عنِ السّماعِ.

(٤) الإضافةُ من المصنِّف لم ترد في نسخةِ المصدرِ المُعتَمَد.

قالَ: فَأتني بما اقترَحتُ، فَتباعدَ رسولُ الله ﷺ إلى فَضاءٍ واسعٍ هناكَ ثمَّ نادى: أيُّها الجبلُ بحَقِّ مُحمَّدٍ وآلهِ الطّيِّبينَ لمَّا اقتَلَعتَ مِن مَكانِكَ بإذنِ الله وجِئتَ إلى حضرَتي فَتزلزلَ الجبلُ وسارَ مثلَ الفَرسِ الهِملاجِ ونادى: هَا أنا سامعٌ لكَ ومطيعٌ، مُرني. فقالَ ﷺ: هؤلاء اقترَحوا عَليَّ أن آمرَكَ أن تَنقطِعَ مِن أصلكَ فتَصيرَ نصفينِ، فَينخفضَ أعلاكَ ويرتفعَ أسفلُكَ، فتَقطَّعَ نصفينِ، فارتفَعَ أسفلُهُ وانخفَضَ أعلاهُ، فصارَ فَرعُهُ أصلُهُ، ثمَّ نادى الجَبلُ: أهذا الذي تَرونَ دونَ مُعجزاتِ موسى عليه السلام الّذي تَزعمونَ أنَّكم به مؤمنون؟ فقالَ رجلٌ منهم: هذا رَجلٌ تَتأتّى لهُ العجائبُ.

فنادى الجبلُ: يا أعداءَ الله أَبطلتُم بما تَقولونَ نُبوَّةَ موسى عليه السلام حيثُ كانَ وقَفَ الجبلُ فوقَهُم كالظُّلَّةِ، فيقالُ: هوَ رجلٌ يأتي بالعجائِبِ، فَلَزِمتهم الحجَّةُ وما أسلَمُوا »[1].

وعَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: « إنَّ حَجَرًا كانَ يُسلِّمُ عليَّ في الجاهليَّةِ وإنِّي لأعرِفُهُ الآنَ»[2].

مضرَّةُ الإتيانِ ببابِ السّلطانِ: [٣٩٠]

وفي الخِصالِ: عن أَبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «كانَ فيما أَوصى بهِ رسولُ الله ﷺ عَليًّا عليه السلام إنَّهُ قالَ: يا عَليُّ ثَلاثٌ يُقسينَ القَلبَ: استِماعُ اللَّهوِ، وطَلَبُ الصّيدِ، وإتيانُ بابِ السّلطانِ»[3]، وفيهِ: «ما عَلَّمَ أَميرُ المؤمنينَ عليه السلام أَصحابَهُ: ولا يَطولُ عليكُم الأَملُ فَتَقسُوا قُلوبُكُم»[4]، و« عن أَبي عبدِ الله عليه السلام عن أبيهِ عليه السلام قالَ: أَوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السلام لا تَفرح بكَثرةِ المالِ ـ إلى قولِهِ ـ وتَركُ ذِكري يُقسِي القُلوبَ»[5].

وفي العِلَلِ: عن اصبَغ بنِ نُباتَةَ عن أَميرِ المؤمنينَ عليه السلام وقَد قالَ: «ما جَفَّتِ الدُّموعُ الّا لِقَسوةِ القُلوبِ، وما قَسَتِ القُلوبُ الّا لِكثرةِ الذّنوبِ»[6].

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢: ٥٢١.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٤١، حديث رقم: ٦٩٦، ومسند الإمام الرضا عليه السلام: ٢: ٤٧٨، حديث رقم: ٢.

(٣) الخصال: ١٢٦، حديث رقم: ١٢٢.

(٤) الخصال: ٦٢٢: حديث رقم: ١٠.

(٥) الخصال: ٣٩، حديث رقم: ٢٣.

(٦) علل الشرائع: ١: ٨١، حديث رقم: ١.

وفي أصولِ الكافي: «بإسنادِهِ إلى أن قالَ فيما ناجَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ: يا موسى لا يَطولُ في الدُّنيا أمَلُكَ فيُقسِي قَلبَكَ، والقاسي القَلبِ منّي بَعيدٌ»[1]، انتهى.

وفي هذهِ الآيةِ أيضًا دَلالَةٌ على صِدقِ نُبوَّةِ نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ كَما مَرَّ في الآياتِ السّابقةِ مُفصَّلًا.

ههنا تَمَّ تفسيرُ نِصفِ الجزءِ الأوَّلِ من الأَجزاءِ الثّلاثينَ للقرآنِ المجيدِ، ويَتلوهُ إن شاءَ اللهُ تفسيرُ نصفِهِ الثّاني منهُ بتأييدِ الله وعَونِهِ، اللَّهُمَّ وَفِّقني على إتمامِهِ على ما يَنبغِي ويَليقُ لابتغاءِ مَرضاتِكَ وأَداءً لِشُكرِ آلائِكَ.

قولُهُ تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

الطَّمَعُ: وُلوعُ النّفسِ وتَعليقُها بِما تَظُنُّهُ منَ النَّفعِ، يقالُ: طَمِعَ فيهِ وبهِ كَفَرِحَ طَمَعًا وطَماعًا وطَماعِيَةً بالتّخفيفِ: حَرِصَ عليهِ فهوَ طامِعٌ، ونَظيرُهُ: الأَمَلُ والرّجاءُ[2]، ونَقيضُهُ: اليأسُ، وامرأةٌ مِطماعٌ: تُطمِعُ ولا تُمَكِّنُ، والمَطمَعُ كَمَقعَدٍ: ما يُطمَعُ فيهِ.

والفَريقُ: اسمُ جمعٍ كالطَّائفةِ لا واحدَ لهُ مِن لَفظِهِ، وهوَ فَعيلٌ منَ التّفرّقِ، وهوَ الانفصالُ ومُفارقَةُ بعضِهِم بعضًا.

مسألةٌ فقهيّةٌ:

ومنهُ الحديثُ: «البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَم يَتفرَّقا»[3] وفي روايةٍ: «ما لَم يَفترِقا»[4]، واختلَفَ العُلماءُ في التّفرّقِ الذي يَصحُّ ويَلزَمُ بِهِ البيعُ، فقيلَ: هوَ التّفرّقُ بالأبدانِ وهوَ مذهَبُ الأئمّةِ[5]، ومُعظَمِ

(١) الكافي: ٢: ٣٢٩، حديث رقم: ١.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: الحرصُ.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨: ١١، حديث رقم: ٢٣٠٢٨، ورياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: ٣: ٥٨٨.

(٤) الكافي: ٥: ١٧٠، حديث رقم: ٦، والخصال: ١٢٨، حديث رقم: ١٢٨.

(٥) ينظر: الخلاف: ٣: ٩، والسرائر: ٢: ٢٧٦، وتذكرة الفقهاء: ١١: ٧.

الفُقهاءِ منَ الصّحابةِ والتّابعينَ، وبهِ قالَ الشّافعيُّ وأحمدُ[1]، وقالَ أبو حنيفةَ ومالكُ وغيرُهُما: إذا تَعاقدَا وانقَطعَ الكَلامُ صَحَّ ولَزمَ، وإن لَم يَتفرَقا بالأبدانِ[2]، والتَّفرّقُ والافتِراقُ سواءٌ في ذلكَ، ومنهم مَن يجعَلُ التّفرّقَ بالأبدانِ، والافتراقَ في الكَلامِ، يقالُ: فَرَقتُ بينَ الكَلامينِ فَافترَقَا، وفَرَقتُ بينَ رَجُلينِ فَتَفرَّقا.

والتَّحريفُ في الكَلامِ: تَغييرُ معناهُ، ووَضعُهُ في غيرِ موضعِهِ، وأَصلُهُ: الميلُ منَ الحَرفِ، أي: الميلُ إلى جانِبٍ آخر غَيرَ ما عَناهُ اللهُ، والتَّحريفُ: قَطُّ القَلمِ مُحَرَّفًا، واحرَورَفَ: مالَ وعَدَلَ كَانحَرَفَ وتَحَرَّفَ.

الإعراب:

أَصلُ أَمثالِ هذهِ الهمزةِ: لِلاستفهامِ والاستِخبارِ، ثمَّ تَجري في المواضِعِ الكثيرةِ مَجرى الإنكارِ إذا لَم يَكن مَعَها نَفيٌ، فإذا كانَ معهُ نَفيٌ فإنكارُ النَّفي تَثبيتٌ، فيَكونُ بمعنى الاستِدعاءِ إلى الإقرارِ، وحملِ المُخاطَبِ عليهِ كَقولِهِ تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[3]، أي: اللهُ كافٍ عبدَهُ، وقولِهِ تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾[4]، أي: اللهُ عَزيزٌ ذو انتِقامٍ، و﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[5]، أي: اللهُ أَحكمُ الحاكِمينَ، وبعضُهُم يقولُ: أنَّها في أمثالِ هذهِ الآياتِ الثّلاثِ، أَعني: في صُورةِ اجتِماعِها معَ النّفي: للتّقريرِ[6]، مُرادُهُم أنَّ الهمزةَ فيها لِتقريرِ المُخاطَبِ وحَملِهِ على الإقرارِ بما دَخلهُ النّفيُ، وهوَ: اللهُ كافٍ عبدَهُ، واللهُ عزيزٌ ذو انتِقامٍ، واللهُ أحكمُ الحاكِمينَ، لا بالنَّفيّ، أَعني: ليسَ اللهُ كافٍ إلى آخِرِهِ وإلّا فَسَدَ الكَلامُ، هكذا يَنبغي أن يُفهَمَ المقامُ، فَجوابُهُ: بَلى، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَسْتُ

(١) ينظر: الأم: ٣: ٤، والمجموع: ٩: ٢٢٣، والمغني: ٤: ٧١، والمحلّى: ٨: ٣٥١.

(٢) ينظر: المدوّنة الكبرى: ٤: ١٨٨، وبدائع الصنائع: ٥: ١٣٤، والبحر الرائق: ٥: ٤٤٢.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٣٦.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٣٧.

(٥) سورة التين ٩٥: ٨.

(٦) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢: ٣٧٩، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٢: ٥٤٢، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك: ٣: ١٥٠.

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]، وقولِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى﴾[2] وأمّا إذا لم يكن مَعَها كما في قولِهِ تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[3] وقولِهِ تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾[4] و﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[5] ونَحوِ ذلكَ فجَوابُهُ: لا.

وأمّا (الفاءُ) في (أَفَتَطْمَعُونَ) فهيَ: العاطفَةُ، دَخلت عليها الهَمزةُ الإنكاريّةُ؛ ولمَّا كانَتِ الهمزةُ أصلًا وعَريقًا في الاستِفهامِ كانَت أَعظَمَ تَصرّفًا مِنَ العَشرِ البَواقِي[6]، فَتدخُلُ على العاطِف، كقولِهِ تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾، ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ﴾[7] الآيةُ، ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾[8] الآيةُ، بخِلافِ العَشرَةِ الباقيَةِ، وتَكونُ لِطلبِ التّصديقِ نَحوَ: أزيدٌ قائمٌ وأقامَ زيدٌ، ولِطلبِ التّصوُّرِ أيضًا نَحوَ: أَدِبسٌ في الإناءِ أم عَسَلٌ، وأفي الخابيَةِ دِبسٌ أم في الزِّقِّ، بخِلافِ البَواقيَ فإنَّ هَل لِطلبِ التّصديقِ فحَسبُ، والتّسعةُ الباقيَةُ لِطلَبِ التّصوّرِ فقط.

و(أَنْ يُؤْمِنُوا): في مَحلِّ الجرِّ مُتعلّقٌ بقولِهِ: (تَطمعونَ) على حَذفِ الجارِّ، أَعني: (في) أو (الباءِ) كَما أَشَرنا إليهِ في بَيانِ اللّغةِ، أي: في أن يُؤمنوا لَكم أو بأن يُؤمِنوا، (وَلَكُم): مُتعَلّقٌ بـ(يُؤمِنوا)، واللّامُ للتَّعليلِ أو لِتَضمينِ الإيمانِ مَعنى التّذلّلِ والتَّخضّعِ والانقيادِ، وجملةُ: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ) إلى آخِرِهِ: حالٌ مِن فاعلِ: (يُؤمِنوا)، وهوَ نَظيرُ قولِهِم: أتَضرِبُ زيدًا وهوَ أخوكَ؟ كَأَنَّهُ قيلَ: أفتؤمنونَ لَكم وقَد كانَ فَريقٌ مِنهم يَسمَعونَ كَلامَ اللهِ إلى آخِرِهِ، (ومِنهُمْ): صِفةُ فَريقٍ، وجُملةُ: (يَسْمَعُونَ): خبرُ

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٣.

(٢) سورة الملك ٦٧: ٨، ٩.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧٥.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٤٠.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٤.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: الألفاظُ الموضوعةُ للاستفهامِ أحدَ عشَرَ: الهمزةُ، وهل، وما، ومَن، وأيّ، وكيفَ، وكَم، وأينَ، وأنّى، ومَتى، وأيّانَ.

(٧) سورة البقرة ٢: ١٠٠.

(٨) سورة يونس ١٠: ٥١.

كانَ، (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ): عطفٌ على يَسمعونَ، و(مِنْ بَعْدِ): مُتعلِّقٌ بِهِ، و(مَا): مَوصولٌ حَرفيٌّ، وجملةُ: (وَهُمْ يَعْلَمُونَ): منَ المبتدأِ والخَبرِ حالٌ من فاعلِ (يُحرّفونَهُ)، ولا يَجوزُ أن يكونَ حالًا من فاعلِ (عَقَلُوهُ).

المعنى: [٣٩١]

خاطَبَ سبحانُهُ نَبيَّنا مُحمَّدًا ﷺ وأَصحابَهُ والمؤمنينَ مِن أُمَّتِهِ فقالَ: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾** يا مُحمَّدُ وأَصحابُكَ والمؤمنونَ مِن أُمَّتِكَ **﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾**، أي: يَتذلَّلوا ويَنقادوا لَكم ويُصَدِّقوكم بقلوبِهِم، أو يُؤمنوا باللهِ واليومِ الآخِرِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ؛ لأجلِ دَعوتِكُم إِيَّاهُم إلى الإِيمانِ مِن طَريقِ النَّظرِ والاستِدلالِ والمُعجزِ والاعتِبارِ، **﴿وَ﴾** الحالُ إنَّهُ **﴿قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾**، أي: طائفَةٌ مِن أَسلافِهِم مِمَّن كانَ مثلَ حالِهِم **﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ﴾**، يعني: التَّوراةَ ويعلمونَ أَنَّهُ حَقٌّ جاءَ مِن عندِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، **﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾**، أي: يُحرِّفونَ ما في التّوراةِ بأن جَعَلوا حلالَها حَرامًا وحَرامَها حَلالًا اِتِّباعًا لِأَهوائِهِم، وغَيَّروا نَعتَ مُحمَّدٍ ﷺ وأَوصيائِهِ الطَّيّبينَ وَاَخرَجوهُ مِنها، وبدَّلُوهُ بغَيرِهِ، وآيَةَ الرّجمِ وفَسَّروها بما اشتَهَت أَنفسُهُم؛ مُعانَدةً لِرسولِ اللهِ ﷺ، وحُبًّا للرّئاسَةِ، واِعانَةً لِمَن يَرشُوهُم، وقيلَ: إنَّهم السّبعونَ رَجلًا اختارَهُم موسى عليه السلام مِن قَومِهِ لِميقاتِ ربِّهِ كَما يَجيءُ في الأَعرافِ، فَسَمَعوا كَلامَ اللهِ مِنَ الجِهاتِ فَلَم يَقبَلُوا ونَسَبوا موسى عليه السلام إلى السِّحرِ، أو اخفاءِ بعضِ أَصحابِهِ في الجَبلِ لِيتكلَّموا بهذا الكَلامِ، وحَرَّفُوا القَولَ في إِخبارِهِم لِقومِهِم حينَ رَجَعوا إِليهِم فَقالوا سَمِعنا اللهَ تعالى يقولُ في آخِرِهِ إن استَطعتُم أن تَفعلوا هذهِ الأَشياءَ فَافعَلوا وإن شِئتُم فَلا تَفعَلوا.

نكتةٌ بيانيّةٌ:

ويَسمعونَ ويُحرِّفونَ: كِلاهُما بمعنى الماضي عُدِلَ عنهُ إلى المضارعِ؛ استِحضارًا لصورةِ ذلكَ الأمرِ القَبيحِ الشَّنيعِ غيرِ المَتوقَّعِ منهم معَ سُطوعِ البَراهينِ الواضحَةِ؛ وتَفظيعًا لِحالِهِم الذَّميمةِ، وتَسجيلًا لِكفرِهم باللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعِنادِهِم لرسولِهِ ﷺ .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾، أي: حَرَّفوهُ وغَيَّروهُ بعدَ ما فَهِموهُ بِعقولِهِم الّتي هيَ الحجَّةُ عليهِم ولَم تَبقَ لهم فيهِ رِيبَةٌ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم حَرَّفوهُ ووَضَعوهُ في غيرِ مَوضِعِهِ، ويَعلمونَ أنّهم مُفتَرونَ ومُبطِلونَ، ويَعلمونَ أيضًا ما عليهِم في تَحريفِهِ منَ العِقابِ؛ تَرجيحًا للرّئاسةِ وحُطامِ الدّنيا العاجلةِ الفانيَةِ على نَعيمِ الآخرةِ الآجلَةِ الباقيَةِ، كَما قالَ مَن قالَ: (و لي في الرَّيِّ قُرَّةُ عَينٍ)[1].

وإنَّما أَرادَ اللهُ سبحانُهُ في ذلكَ تَسليَةَ نَبيِّهِ ﷺ بأنَّ هؤلاءِ السّفلةِ منَ اليَهودِ الّذين كانوا على عهدِهِ ﷺ إن لَم يُؤمنوا بهِ ﷺ ولَم يُصدِّقوهُ بَل كَذَّبوهُ وجَحَدوا نُبوَّتَهُ فَلَهم بآبائِهم وأَسلافِهِم الّذين كَذَّبوا مُوسى عليه السلام هُم وأَحبارُهُم وعلماؤهُم ومُتقَدِّموهُم أُسوَةٌ إذ جَرَوا على طريقَتِهم في الجَحدِ والعِنادِ، وهؤلاء الذينَ عانَدوا مُحَمَّدًا ﷺ كانُوا مَعدودينَ يَجوزُ على مثلِهِم التَّواطُؤُ والاتّفاقُ على كتمانِ الحَقَّ، وإن كانَ يَمتنِعُ ذلكَ على الجَمِّ الغَفيرِ والجمعِ الكثيرِ؛ لأمرٍ يَرجعُ إلى اختِلافِ الدَّواعِي وإن كانوا بأجمعِهِم كافرينَ.

دلالةُ الآيةِ على عِظَمِ الذّنبِ في تَحريفِ الشَّرعِ:

وفي هذهِ الآية دلالةٌ على كُفرِ اليَهودِ قاطبَةً وعِظَمِ الذّنبِ في تَحريفِ الشَّرعِ، وهوَ عامٌّ في إظهارِ البِدَعِ والفَتاوِي والقَضايَا وجميعِ أُمورِ الدّينِ بغيرِ ما أَنزلَ اللهُ.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)** ﴾ آيتانِ:

اللغة:

والحَديثُ والخَبَرُ والنَّبأُ نظائرٌ، واشتِقاقُ الحديثِ منَ الحُدوثِ كأنَّهُ إخبارٌ عَن حَوادثِ الزّمانِ، والتَّحديثُ: الإخبارُ. والفَتحُ في الأَصلِ: فَتحُ المُغلَقِ، وفي الحَديثِ: «أُوتِيتُ مفاتِيحَ الكَلِمِ»[2]، وفي

(١) وهو قول عمر بن سعد عليه لعائن الله. اللهوف في قتلى الطفوف: ١٩٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

روايةٍ «مفاتِحَ الكَلِمِ»[1] وهُما جَمعُ مِفتاحٍ ومِفتَحٍ وهُما في الأصلِ كلُّ ما يُتَوصَّلُ بهِ إلى استِخراجِ المُغلقاتِ الّتي يُتَعذَّرُ الوصولُ إليها، فأخبرَ ﷺ أنَّهُ أوتِي مفاتيحَ الكَلِمِ، وهوَ ما يَسَّرَ اللهُ لهُ من البَلاغةِ والفَصاحةِ والذَّكاءِ والادراكِ الأَكملِ، والوُصولِ إلى غَوامضِ المعاني وبَدائعِ الحِكَمِ ومَحاسِنِ العاداتِ والعباداتِ، والألفاظِ الّتي أُغلِقَت على غَيرِه وتَعذَّرت.

ذكرُ معاني الفَتحِ:

وقَد يُستَعملُ في مَعانٍ كثيرةٍ:

ـ بِمعنى: الحُكمِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[2] أي: احكُم، وفي حَديثِ ابنِ عبّاس: (ما كُنتُ أَدري مَعنى قَولُهُ عَزَّ وجَلَّ: **﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾** حَتَّى سَمِعتُ بنتَ ذي يَزَن تَقولُ لِزَوجِها: تَعالَ أُفاتِحُكَ إلى القاضِي، أي: أُحاكِمُكَ)[3].

ـ وبِمعنى: القَضاءِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾[4] أي: هذا القَضاءُ، ويومُ الفَتحِ: يومُ القَضاءِ، وقالَ الشّاعرُ:

ألا أَبلِغْ بَنِي عِصَمٍ رَسُولًا فإنِّي عَن فَتاحَتِكُم غَنِيُّ[5]

أي: قَضائِكُم، ويُقالُ للقاضي: الفَتّاحُ. [٣٩٢]

ـ وبمعنى: التَّعليمِ والتَّبيينِ، يقالُ: افتَح عَليَّ هذهِ المسألةِ، أي: عَلِّمني ما عِندَكَ فيها وبَيِّنهُ لي.

ـ وبِمعنى النُّصرةِ، يقالُ: استَفتَحَهُ أي، طَلَبَ منهُ النَّصرَ، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٨٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧

(٤) سورة السجدة ٣٢: ٢٨.

(٥) البيت من الوافر، وقد أُختُلِفَ في قراءتِهِ ونسبته فقال صاحب كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس: ٧٤، إنّهُ لمحمد بن حمران الجعفي، وأوردهُ ابن سيده في المخصّص: ٤: ٩١، دون نسبة وبلفظ: ألا أبلغ بني عمرو رسولا، كما نقلهُ الزمخشري في أساس البلاغة: ٦٩٦، بلفظ: ألا أبلغ بني وهبٍ رسولا، ودون نسبة أيضًا، وذكره الجوهري في صحاحه: ٤: ١٧٠٩، بلفظ: ألا أبلغ أبا عمرو رسولا، ونسبه للأشعر الجعفي.

جاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[1] أي: النَّصرُ، ومنهُ حديثُ الحُدَيبيةِ: (أهوَ فَتحٌ؟)[2]، أي: نَصرٌ، وفيهِ: إنَّهُ كانَ يَستَفتِحُ بصَعاليكِ المهاجرينَ[3]، أي: يَستَنصِرُ. والفَتحُ: الماءُ الجارِي في الأنهارِ على وَجهِ الأَرضِ، كَما قالَ عليه السلام: «ما سُقِيَ بالفَتحِ فَفيهِ العُشرُ»[4].

ـ وبِمعنى فَتحِ البُلدانِ، يقالُ: فَتحَ المسلمونَ أَرضَ كَذا.

والمُحاجَّةُ والمُناظَرَةُ والمُخاصَمةُ نظائرُ، والكُلُّ يكونُ بينَ اثنينِ فَصاعدًا: فالمُحاجَّةُ: أن يَحتجَّ كُلٌّ مِنَ الخَصمينِ على صاحبِهِ، والحُجَّةُ الوَجهُ الذي يكونُ بِهِ الظَّفَرُ عندَ الحِجاجِ، ويقالُ: حاجَجتُهُ فَحَجَجتُهُ، أي: غَلبتُهُ بالحُجَّةِ، وفي الحديثِ: (فَحجَّ آدمُ مُوسى عليه السلام)[5]، أي: غَلبَهُ بالحُجَّةِ، وفي حديثِ الدّجّالِ: «إن يَخرُج وأنا فيكُم فَأَنَا حَجيجُهُ»[6]، أي: مُحاجِجُهُ ومُغالبُهُ بإظهارِ الحُجَّةِ عليهِ، وأَصلُهُ: القَصدُ، ومنهُ: الحَجُّ، وهو: القَصدُ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ على وَجهٍ مَخصوصٍ، فالحُجَّةُ هيَ: النّكتَةُ المخصوصَةُ في تَصحيحِ الأمورِ والقِياسُ المُنتِجُ للحّقِّ، والحُجَّةُ: الدّليلُ والبُرهانُ، وحديثُ الدّعاءِ: (اللّهُمَّ ثَبِّت حُجَّتِي في الدُّنيا والآخِرةِ)[7]، أي: قَولي وعَمَلي وإِيماني في الدُّنيا وعندَ جَوابِ المَلَكينِ في القَبرِ.

الإعراب:

(إذا لَقوا الّذينَ) إلى آخِرِهِ: (إذا): شَرطيّةٌ عاملُها الجَزاءُ وهو (قالوا) في الموضِعينِ كَما مَرَّ مفصَّلًا في أوَّلِ السّورةِ، وجملةُ: (أَتُحدِّثونَهُم): مَقولُ قالوا الثّانيةَ، والاستِفهامُ هنا: للتَّقريعِ على وجهٍ،

---

(1) سورة الانفال ٨: ١٩.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧. والصعاليك: جمع: صعلوك: وهو الفقير. الصحاح: ٤: ١٥٩٥، (صعلك).

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٤٠٧.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٤١.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٤١.

(7) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٤١.

وللإنكارِ والنَّهي على وجهٍ آخَرَ، كَما يَجيءُ بيانُهُ في المعنى، وفي (أفَلا تَعقلونَ): للتّوبيخِ أو للتّقريرِ كَما مَرَّ بَيانُهُ في الآيةِ السّابقةِ، والباقي: واضحٌ بما مرَّ.

النُّزولُ:

في المَجمَعِ: عَن أَبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام: «إنَّهُ كانَ قَومٌ منَ اليَهودِ لَيسوا منَ المُعاندينَ المُتَواطئينَ إذا لَقُوا المسلمينَ[1] حَدَّثُوهُم بما في التَّوراةِ من صِفَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَنَهاهُم كُبَراؤُهُم عن ذلكَ وقالوا لا تُخبِروهُم بما في التَّوراةِ من صِفةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَيُحاجُّوكُم بِهِ عندَ ربِّكُم، فَنزَلت الآيةُ، وقالَ مُجاهِدٌ: نَزلَت في بَني قُرَيظَةَ لمَّا قالَ لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: يا إخوَةَ القِرَدَةَ والخنازيرِ، قالوا: مَن أَخبرَ مُحَمَّدًا بهذا؟ ما خَرَجَ إلَّا مِنكُم، وقالَ السُّدِّي: هؤلاء ناسٌ منِ اليَهودِ آمَنوا ثمَّ نافَقُوا فكانوا يُحدِّثونَ المؤمنينَ منَ العَربِ بما عُذِّبَ بهِ أَسلافُهُم، فقالَ بعضُهُم لبعضٍ: أَتُحدِّثونَ بما فَتَحَ اللهُ عليكم منَ العَذابِ لِيُحاجُّوكُم بهِ، فَيقولونَ نَحنُ أَكرمُ على الله منكُم»[2]، انتهى.

المعنى:

ثمَّ وَبَّخَهُم اللهُ سبحانَهُ بِذِكرِ خِصلةٍ أُخرى مِن خِصالِهم الذَّميمةِ، بأنَّهم تَخلَّقُوا بأخلاقِ المُنافقينَ واستَنُّوا بِسنَّتِهِم وتَحلَّوا بحِليتِهِم بما مَرَّ في أوَّلِ السّورةِ فقالَ: **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، أي: إذا رَأَوهُم **﴿قَالُوا آمَنَّا﴾**، أي: صَدَّقنا بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله بأنَّهُ نبيٌّ صادِقٌ نَجدُهُ في التّوراةِ بنعتِهِ وصفَتِهِ وسَمتِهِ، وبِما صَدَّقتُم بهِ، وأَقرَرنا بأنَّكُم على الحَقِّ، وأنَّ رسولَكُم مُحَمَّدًا هوَ المُبشَّرَ بهِ في التَّوراةِ، **﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾**، أي: الذينَ أَخلَصُوا اليَهوديَّةَ ورَسَخُوا فيها ولَم يُنافِقُوا **﴿إِلَى بَعْضٍ﴾**، أي: إلى الذينَ نافَقُوا مِنهم **﴿قَالُوا﴾**، أي: قالَ خالصُوا اليَهوديّةِ غيرُ المنافقينَ عاتِبينَ ومُقرِّعينَ على مَن نافَقَ مِنهم: **﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾**، أي: ءَأنتُم تُحدِّثُونَ المؤمنينَ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَسلمانَ وأَبي ذَرٍّ ومُقداد وغيرِهِم.

(١) ومنه في حاشية الأصل: كسلمان وأبي ذرٍّ والمقداد.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٧٢.

ذكرُ معنى الاستِفهامِ على الوَجهينِ:

﴿بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: بما عَلَّمَكُم اللهُ وبَيَّنَهُ لكم في التّوراةِ مِن نَعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ووَصيِّهِ وذُرِّيَّتِهِما الطَّيّبينَ، فالاستِفهامُ في **﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾** على هذا للتَّقريعِ، أو قالَ الذينَ نافَقوا منَ اليَهودِ لبَقاياهُم ولأولادِهِم وأعقابِهِم: أَتُحَدِّثونَهُم بما عَلَّمَكُم اللهُ وبَيَّنَهُ لكُم، فعَلى هذا يكونُ الاستِفهامُ للإنكارِ والنَّهيِ، أي: لا تُحَدِّثونَهُم إظهارًا للتَّصلّبِ في اليَهوديّةِ ومَنعًا لَهم عن إبداءِ ما وَجَدُوهُ في التّوراةِ فيُنافِقُ هؤلاءِ المنافِقونَ منهم الفَريقينِ، أي: فريقَ المسلمينَ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وفريقَ اليَهودِ الرّاسخينَ في اليَهوديّةِ الثّابتينَ فيها، أمَّا نِفاقُهُم لِأهلِ الإسلامِ فَظاهِرٌ وأمَّا نِفاقُهُم لِقومِهِم فَباعتِبارِ أنَّهُم يُظهِرونَ التّصلُّبَ في اليَهوديّةِ معَ إنَّهُ لا تَصلّبَ لهم فيها؛ إذ لَو كانُوا صُلبًا لَكانُوا كالمُجاهرينَ، وقالَ الكَلبي: (مَعنى قولُهُ تعالى: **﴿بِمَا فَتَحَ اللهُ﴾**، أي: بما قَضى اللهُ عَليكُم في كِتابِكُم أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبيَّ حَقٌّ، وقولُهُ صِدقٌ)[1]، وعَن ابنِ عبّاس: (إنَّ معناهُ: قالوا لا تُحَدِّثُوا العَربَ بهذا، فَإنَّكم قَد كُنتُم تَستَفتِحونَ بهِ عَليهِم، أي: لا تُقِرُّوا بأنَّهُ نَبيٌّ وقَد عَلِمتُم اللهَ قَد أخَذَ لهُ الميثاقَ عَليكم باتِّباعِهِ، وأنَّهُ النَّبيَّ الّذي كُنَّا نَنتَظِرُهُ ونَجِدُهُ في كتابِنا اجحَدُوهُ ولا تُقِرُّوا لَهم بهِ)[2]، وقالَ الكِسائيُّ: (معناهُ: أَتُحَدِّثُونَهُم بما بَيَّنَهُ اللهُ لَكم في كتابِكُم مِنَ العِلمِ ببَعثِ مُحَمَّدٍ ﷺ)[3]، وقالَ بعضُهُم معناهُ: (أَتُحَدِّثُونَهُم بما فَتحَ اللهُ، أي: حَكَمَ بِهِ عَليكُم وقَضاهُ فيكُم، ومِن حُكمِهِ عَليكم ما أخَذَ بِهِ ميثاقَكُم مِن الإيمانِ بمُحمَّدٍ ﷺ وصِفتِهِ الموصُوفةِ لَكم في التّوراةِ، ومِن قَضائِهِ فيكم أنَّهُ جعلَ مِنكُم القِردَةَ والخنازيرَ)[4]. [٣٩٣]

﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾، أي: لِيَحتَجُّوا عَليكُم ويكونُ لَهم حُجَّةً عليكُم عندَ اللهِ في الدّنيا والآخِرةِ **﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾**، أي: بما أَنزلَ رَبُّكُم في كتابِكُم المُسمَّى بالتّوراةِ جَعلوا مُحاجَّتَهم بكتابِ اللهِ وحُكمِهِ

---

(١) تفسير الثعلبي: ١: ٢٢٢.

(٢) جامع البيان: ٢: ٢٥١، وتفسير ابن كثير: ١: ٣٠٨.

(٣) تفسير الثعلبي: ١: ٢٢٢.

(٤) جامع البيان: ٢: ٢٥٤، وهو قول الطبري.

مُحاجَّةً عندَ اللهِ كَما يقالُ: هذا عندَ اللهِ كَذا، ويُرادُ به: إنَّهُ في كتابِهِ وحُكمِهِ كَذا، كَما يقالُ: هذا حَلالٌ عندَ الشّافعيِّ، أي: في حُكمِهِ ورَأيِهِ، أو بَينَ يَدَي رسولِ ربِّكُم، وقِيلَ: أو عندَ رَبِّكُم في القِيامةِ[1]، وفيهِ نَظرٌ؛ لأنَّ الإخفاءَ لا يَدفعُ المحاجَّةَ عندَ ربِّكُم يومَ القِيامةِ؛ لأنَّهُ تعالى عَلَّامُ الغُيوبِ يَعلمُ السِّرَّ وأَخفى ولا يَخفَى عليهِ خافيَةٌ، لكنَّهُم بسبَبِ جهلِهِم قَدَّروا أنَّهُم إن لَم يُخبِروهُم بتلكَ الآياتِ والدّلالاتِ وصفاتِ خاتَمِ الأَنبياءِ ﷺ لَم تكن عليهِم حُجَّةٌ لا فِيها ولا في غَيرِها كَما يَجيءُ، هذا حالُ عُلمائِهِم فَما ظَنُّكَ بحالِ جهّالِهِم وَسَفَلَتِهِم.

وقولُهُ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: إمَّا مِن تَتِمَّةِ كَلامِ اللّائمينَ المُعاتبينَ على المُنافقينَ، فَيكونُ الخِطابُ لليَهودِ، فَالمعنى: أفَلا تَعقِلونَ أيُّها أنَّ إخبارَكُم مُحَمَّدًا وأَصحابَهُ بِما تُخبِرُونَهُم بِهِ من وجودِ نَعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ في كتابِكُم حُجَّةٌ عليكُم وإنَّهم يُحاجّونكُم بِهِ فَيَحُجُّونَكُم، أي: يَغلبونَكُم بالحُجَّةِ، وإمَّا أن يكونَ مِن كلامِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مُخاطِبًا للمُؤمنينَ مُتَّصِلًا بقولِهِ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ إلى آخِرِهِ، فالمَعنى: أفَلا تَعقِلونَ أيُّها المؤمنونَ أنَّ هؤلاءِ اليَهودَ لا يُؤمنونَ، فلا تَطمَعوا في ذلكَ؛ لأنَّكم تَعقِلونَ حالَهم وأن لا مَطمَعَ لكُم في إيمانِهِم.

ثُمَّ وبّخَ سبحانُهُ علماءَهُم الرّاسِخينَ في اليَهوديّةِ عاتِبينَ لِمنافِقيهِم وسَفلَتِهِم أو الأَعمَّ منهُم بقولِهِ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: اليَهودَ الرّاسِخينَ على اليَهوديّةِ، اللّائمينَ لِمنافِقيهِم أو كِليهِما أو الأَعمَّ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، أي: ما يُسِرُّونَهُ وما يُعلِنونَهُ أو إسرارَهُم وإعلانَهُم، فكيفَ يَستَجيزُونَ أن يُسِرّوا إلى إخوانِهِم النَّهيَ عنِ التَّحديثِ بما هوَ الحَقُّ وهُم مُقِرُّونَ بذلكَ غيرَ مُنكرينَ بأنَّ اللهَ تعالى يَعلَمُ سِرَّهُم وعَلانيَّتَهُم فَهُم في هذهِ الحجَّةِ أَلوَمُ وبهذهِ المُزَّةُ[2] أَلزَمُ، أو المعنى: أوَ لا يَعلمونَ أنَّ اللهَ يَعلمُ ما يُسِرّونَ مِن تَكذيبِهِم مُحَمَّدًا ﷺ وكُفرِهِم بهِ، وما يُعلِنونَ مِن قَولِهِم بأفواهِهِم آمَنَّا إذا لَقُوا أَصحابَ مُحَمَّدٍ ﷺ ليُرضُوهُم بذلكَ، ومِن تَحريفِهِم آيَةَ الرَّجمِ ونَعتَ النَّبيِّ ﷺ وغيرَ ذلكَ.

---

(١) جامع البيان: ٢: ٢٥٥.

(٢) المُزّة: «المرّة الواحدة». الصحاح: ٣: ٨٩٦، (مزز).

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ آيتانِ:

القراءة:

قَرأَ أبو جعفرٍ: يزيدُ بنُ القَعقاعِ المدَنيُّ وشَيبةُ بنُ نصّاح والحَسَنُ: (أَمانِيَ) بتخفيفِ الياءِ مفتوحةً وكَذا في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[١] وفي قولِهِ تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[٢]، والباقونَ: بالتّشديدِ في الجميعِ على الأَصلِ والقياسِ[٣].

الحُجَّةُ في ذلكَ: أنَّ الأَصلَ في أَمثالِهِ التّثقيلُ؛ لأنَّهُ جمعُ أُمنيَّةٍ لقولِهِ تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[٤]، كَذَراريٍّ في جَمعِ ذُرِّيَّةٍ، وسَرارِيٍّ في جَمعِ سُرِّيَّةٍ، وأَثافيٍّ في جَمعِ أُثفيَّةٍ، وبَخاتيٍّ ومَهارِيٍّ في جَمعِ بُختِيٍّ ومُهرِيٍّ[٥]، لكنَّ التّخفيفَ في هذا النَحوِ كثيرٌ، كقولِهِ:

وهَل يَرجِعُ التّسليمَ أو يَكشِفُ العَمى   ثَلاثُ الأَثافِي والدِّيارُ البَلاقِعُ[٦]

وقولِهِ:

---

(١) سورة النساء ٤: ١٢٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ١١١.

(٣) ينظر: الكنز في القراءات العشر: ٢: ٤١٠، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣١.

(٤) سورة الحج ٢٢: ٥٢.

(٥) السُّرِّيّة: الجارية. الصحاح: ٦: ٢٣٧٥، (سرا).

الأثفيّة: الحجر الذي يُوضع عليه القدر. القاموس المحيط: ٤: ٣٠٨، (ثفي).

البُختيّة: هي الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط: ١: ١٤٣، (بخت)، وحياة الحيوان الكبرى: ١: ١٦٧.

المهريّة: هي الإبل المنسوبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان. لسان العرب: ٥: ١٨٦، (مهر)، والقاموس المحيط: ٢: ١٣٧، (مهر).

(٦) البيت من الطويل، لذي الرّمّة. ديوانه: ٤٣٩، وينظر: خزانة الأدب: ١: ٢١٤.

وَشُدَّت عَلى دُهمِ المَهارِي رِحالُنا	ولَم يَنظُرِ الغادِي الّذي هوَ رائِحُ (١)

والمحذوفُ مِنها: الياءُ الأُولى الّتي هيَ نَظيرةُ ياءِ المدّةِ في كَونِها ساكِنَةً مَكسورًا ما قَبلَها معَ غيرِ الادغامِ نَحوَ: ياءِ قَراطِيسَ وهَرامِيسَ وقَراوِيحَ وسَرادِيحَ وقَراطِيطَ وحَوامِينَ في جَمعِ قِرطاسٍ وهِرماسٍ وقِرواحٍ وسِرداحٍ وقُرطاطٍ(٢)، أَلا تَرى أنّها حُذِفَت في قَولِ جَندلِ بنِ المُثنّى الطّهويّ:

[حَنَّ عِظامي وأَراهُ ثاغِري]	وكَحَّلَ العَينينِ بالعَواوِرِ(٣)

يريدُ عَواوِير ولِذا لَم تُعَلَّ الواوُ الواقعةُ بعدَ ألفِ الجَمعِ بالهمزةِ كَما أُعِلَّت في أَوائِلِ وخَيائِرِ وعَيائِلِ في جَمعِ أَوَّلٍ وَخَيِّرٍ وعَيِّلٍ(٤) لِقُربِها منَ الطّرفِ بخِلافِ عَواوِيرَ وطَواوِيسَ وبَيابِيعَ وقَياوِيمَ في جَمعِ: عَوَّارٍ وهوَ القَذى(٥) والجَبانُ، وطاووسٍ وبَيّاعٍ وقَيّامٍ فإنَّ الواوَ والياءَ الواقعتَينِ فيها بعدَ أَلفِ الجَمعِ

---

(١) البيت من الطويل، نقله صاحب الشعر والشعراء: ١: ٦٧، ونسبه للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير نقلا عن الشريف المرتضى في أماليه: ٢: ١١٠، ونُسِبَ لكثير عزّة في زهر الآداب وثمر الألباب: ٢: ٤٠٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الهِرماسُ: اسمٌ للأسدِ، والسِّرداحُ: للمَكان اللَّيِّن، والقِرداحُ: للأرضِ البارزةِ للشّمسِ لَم يختلِطْ بها شيءٌ، وناقةٌ طويلةُ القَوائمِ، والقُرطاطُ بالضّمِّ: البَرزَعَةُ: وهيَ حِلسٌ يُبسَطُ تحتَ الرَّحلِ. وحوامين: جمع حومانة، وهي: شقائق بين الجبال، وأراضٍ غلاظ منقادة. لسان العرب: ١٣: ١٢٨، (حمن).

(٣) البيت من الرجز. وهو من شواهد سيبويه في الكتاب: ٤: ٣٧٠، وينظر: الخصائص: ١: ١٩٦.

وقائله: من تميم: شاعر راجز، كان معاصرا للراعي، وكان يهاجيه، ونُسِبَ إلى طهية وهي جَدّتهُ، توفي سنة (٩٠هـ). الأعلام: ٢: ١٤٠.

ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وكَحَّلَ العَينينِ أَوَّلُهُ:

غَرَّكِ أن تَقاربَت أباعِري	وأن رأيتِ الدَّهرَ ذا الدّوائِرِ

أن تَقاربت فاعلُ غَرَّكِ، والاستشهادُ في: العَواوِرِ، أَصلُهُ: عَواوِير، جَمعُ عَوَّارٍ، حُذِفَت ياءُ المَدَّة ولِذا لَم تُعَلّ الواوُ قبلَها، والمعنى: غرَّكِ يا امرأة حتّى اجترَأتي عَلَى مُخالَفتي أنّي كَبرتُ واجتَمعَت إبلي لا يُفارقُ بعضُها بعضًا لأنّي تركتُ السّفرَ والرّحلةَ إلى الملوكِ، وأنَّ الدَّهر حنَّ عِظامِي وكَسرَ أَسناني وأفسدَ بَصري، والثّغرُ: ما تقدَّمَ منهُ: يقالُ: ثَغرتُهُ، أي: كسرتُ ثَغرَهُ.

(٤) العيّل: الفقير. القاموس المحيط: ٤: ٢٣، (عال).

(٥) القذى: ما يقعُ في العينِ. العين: ٥: ٢٠٢، (قذي).

لا تُعَلّانِ بالهمزةِ؛ لِبُعدِهما مِنَ الطّرفِ كَما بُيِّنَ في موضِعِهِ وذكرناهُ مُفصَّلًا مُستوفًى في تَوشيحِ الوافيَةِ[1]، على أنَّ حذفَ الياءِ في صورةٍ تُدغَمُ أَسهَلُ مِن حَذفِهِ في صورةٍ لا إدغامَ فيها وذلكَ إنَّ هذهِ الياءَ لمَّا أُدغِمَت خَفِيَت وكادَت تُستَهلَكَ، وإذا حَذَفتَها فكَأَنَّكَ إنَّما حَذَفتَ شيئًا في حالِ وجودِهِ في حُكمِ المحذوفِ[2].

اللغة:　[٣٩٤]

الأُمّيّ: الذي لا يُحسِنُ الكِتابةَ ولا يَخطُّها ولا يَعلَمُها إنَّما سُمِّيَ أُمّيًّا لِوجوهٍ:

أَحدُها: إنَّهُ مَنسوبٌ إلى الأُمِّ الّتي هيَ الوالدةُ، أي: كَما هوَ خرَجَ مِن بطنِ أُمِّهِ لا يَقرَأُ ولا يَكتُبُ، عَن أَبي مُحَمَّدٍ العسكري عليه السلام[3].

وثانيها: إنَّهُ مَنسوبٌ إلى الأُمّةِ، وهيَ أَصلُ الخِلقةِ، فهوَ باقٍ على خِلقَتِهِ الأصليّةِ ابتداءً.

وثالثُها: إنَّهُ منسوبٌ إلى الأُمِّ، يعني: المرأةَ؛ لأنَّ الكتابةَ للرّجالِ دونَ النّساءِ غالبًا، وفي الحديثِ: «إنَّا أُمَّةٌ أُمّيَّةٌ لا نَكتبُ ولا نَحسُبُ»[4]، أَرادَ إنَّهُ على أَصلِ وِلادةِ أُمِّهم لَم يَتَعلَّموا الكتابةَ ولا الحِسابَ، فهُم على جِبِلَّتِهم الأُولى ومنهُ الحديث: «بُعِثتُ إلى أُمَّةٍ أُمّيَّةٍ»[5]، قيلَ للعَربِ: الأُميُّونَ؛ لأنَّ الكتابةَ كانَت فيهِم عَزيزةً أو عَديمةً ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿ بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ﴾[6] والمتعارَفُ في تفسيرِ الفُقهاءِ الأُمّيُّ: بمَن لا يُحسِنُ مِن فاتحةِ الكِتابِ حَرفًا[7].

---

(١) مخطوطٌ للمُصَنِّف.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: كَما في عَواوِيرٍ وقَراطيسٍ وطَواوِيسٍ إلى آخِرِ الأَمثلةِ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: كما يجيء في المعنى.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٦٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٦٨.

(٦) سورة الجمعة ٦٢: ٢.

(٧) ينظر: الخلاف: ١: ٥٥٠، وتحرير الأحكام: ١: ٣١٩، والمجموع: ٤: ٢٦٦، ومغني المحتاج: ١: ٢٣٩.

معنى التَّمنِّي والأُمنيَّة:

والأمنيَّةُ هيَ: ما يَتمنّاهُ الإنسانُ ويُقدِّرُهُ ويَختَلِقُهُ ممَّا لا حَقيقَةَ منَ الأكاذيبِ، كَما يقالُ: ما تَمَنَّيتُ منذُ أَسلمتُ، أي: ما كَذِبتُ، والتَّمنّي: تَشَهِّي حُصولِ الأَمرِ المرغوبِ فيهِ، وحديثُ النّفسِ بما يكونُ وما لا يكونُ، وفي الحديثِ: «إذا تَمَنّى أحدُكُم فَليُكثِر، فإنَّما يَسأَلُ ربَّهُ»[1]، يعني: إذا سألَ اللهَ حوائِجَهُ وفضلَهُ فَليُكثِر فَإنَّ فضلَ الله كثيرٌ وخَزائِنَهُ واسعَةٌ.

والتَّمنِّي: التِّلاوةُ والقراءةُ، يقالُ: تَمَنَّى: إذا قَرأَ ومنهُ قولُ كَعبِ بنِ مالكٍ في مَرثِيَّةِ عُثمانَ:

تَمَنَّى كِتابَ الله أوَّلَ لَيلِهِ وآخِرَهُ لاقَى حِمامَ المَقادِرِ[2]

ومنهُ الحديثُ: «ليسَ الإيمانُ بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمَنِّي، ولكن ما وَقرَ في القَلبِ وصَدَّقتهُ الأعمالُ»[3]، أي: ليسَ هوَ بالقولِ الذي تُظهِرَهُ بلِسانِكَ فقط، ولكن يَجِبُ أن تَتبَعَهُ معرفةُ القَلبِ.

والظَّنُّ: تَرجيحُ أحدُ الجائزَينِ على الآخَرِ لأمارةٍ صَحيحةٍ وليسَ هوَ مِن قَبيلِ الاعتِقاداتِ على الصّحيحِ مِنَ المَذهَبِ، وفي النّاسِ مَن قالَ هوَ: اعتِقادٌ، هكَذا قالهُ في المجمَعِ[4] وقَد مَرَّ بيانُهُ في قولهِ تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾[5] الآيةُ، والوَيلُ: كَلمةٌ يَستعمِلُها كُلُّ مَن وَقَعَ في هَلَكةٍ أو مَكروهٍ، وأَصلُهُ: العَذابُ والهلاكُ، واسمُ وادٍ في جَهنَّم، أو جَبلٌ فيها، والويحُ والوَيسُ والوَيبُ مثلُهُ في قولِهم: وَيلَكَ ووَيحَكَ ووَيسَكَ وويبَكَ وهيَ كُلُّها منَ المصادرِ الّتي لا فِعلَ لها لكن قَد

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٦٧.

(٢) البيت من الطويل. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٥٠٩، ولسان العرب: ١٥: ٢٩٤، دون نسبة، ونسبه الشريف المرتضى في تنزيه الأنبياء عليهم السلام: ١٥٢، إلى حسّان بن ثابت.

وقائله: أبو عبد الله ابن أبي كعب بن عمرو بن القين الأنصاري الخزرجي: شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله، شهد العقبة، وله عدّة أحاديث تبلغ الثلاثين، كان من أهل الصفة، ذهب بصره في خلافة معاوية، توفي سنة (٥١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢: ٥٢٣، ترجمة رقم: ١٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٦٧.

(٤) ينظر: مجمع البيان: ١: ١٩٧.

(٥) سورة البقرة ٢: ٤٦.

يُستعملُ الوَيحُ في التَّعجّبِ والتَّرحّمِ والتّوجّعِ لَمِن وَقعَ في هَلكَةٍ لا يَستَحقُّها، كَما قالَ ﷺ لِعمّارٍ: «وَيحَ ابنَ سُميَّةَ تَقتُلُهُ الفِئَةُ الباغيَةُ»(١) وقد يقالُ بمعنى المَدحِ.

وقالَ الأصمَعيُّ: (الوَيلُ هوَ: التّقبيحُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(٢)، وقالَ المُفضّلُ: معناهُ الحُزنُ، وقالَ قومٌ: معناهُ الهَوانُ والخِزيُ)(٣)، ومنهُ قولُ الشّاعرِ:

يا زَبَرقانُ أَخا بَني خَلَفٍ ما أَنتَ وَيلَ أَبيكَ والفَخرُ(٤)

ورُوِيَ: ما أَنتَ وَيبَ أَبيكَ والفَخرُ.

معاني الكسب:

والكَسبُ: الطَّلَبُ والسَّعيُ في طَلَبِ الرِّزقِ والمَعيشَةِ، والعَمَلُ الّذي يُجلَبُ بهِ نَفعٌ أو يدفَعُ بهِ ضَرَرٌ، وكُلُّ عاملٍ عَمَلًا بمُباشَرَةٍ منهُ لهُ ومُعاناةٍ فَهوَ كاسِبٌ سَواءٌ كانَ بجارحَةٍ أو بقَلبٍ، يقالُ: كَسَبتُ مالًا وكَسَبتُ زيدًا مالًا يَتَعدّى إلى واحِدٍ والى اثنينِ بلا هَمزٍ، وأَكسَبتُ زيدًا مالًا بالهمزِ أيضًا، أي: أَعنتُهُ على كَسبِهِ أو جَعَلتُهُ يَكسِبُهُ، وفي الحديثِ: (إنَّهُ نُهِيَ عن كَسبِ الإماءِ)(٥)، وفي رِوايةٍ مُقيَّدٌ بقولِهِ: «حتَّى يُعلَمُ مِن أينَ هوَ؟»(٦)، وفي روايةٍ أُخرى: «إلَّا ما عَمِلَت بيدِها»(٧)، وأَصلُ ذلكَ: أَنَّهُ كانَ لأهلِ مَكَّةَ والمدينةِ إماءٌ عَليهِنَّ ضَرائِبُ يَخدِمنَ ويَأخُذنَ أُجورَهُنَّ ويُؤَدِّينَ ضَرائِبَهُنَّ فَلا يُؤمَنُ أن تَبدو مِنها زَلَّةٌ، إمَّا للاِستِزادَةِ في المَعاشِ وإمَّا لِشَهوةٍ تَغلِبُ عَلَيهِنَّ، أو لِغيرِ ذلكَ

---

(١) المعجم الأوسط: ٦: ٢٤٩، والفائق في غريب الحديث: ٣: ٣٨٣، وبحار الأنوار: ٣٣: ٢٣، حديث رقم: ٣٧٨.

(٢) سورة الانبياء ٢١: ١٨.

(٣) شرح العينيّة الحميريّة: ٤٨٦، وينظر: تاج العروس: ٤: ٢٥٢، (ويح).

(٤) البيت من الكامل، للمخبّل السعدي يهجو ابن عمٍّ له. الكتاب: ١: ٢٩٩، وخزانة الأدب: ٤: ١٣٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١، وينظر: الكافي: ٥: ١٢٨، حديث رقم: ٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١، وهي رواية رافع بن خديجٍ

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١.

والمعصومُ قليلٌ، فَنُهِيَ عَن كَسبِهنَّ، وقيلَ: «الكَسبُ عِبارَةٌ عَن كُلِّ عَمَلٍ بجارِحَةٍ يُجتَلَبُ بهِ نَفعٌ أو يُدفَعُ بهِ مَضَرَّةٌ، ومنهُ يقالُ للجَوارِحِ مِنَ الطَّيرِ: كَواسِبٌ»(1).

الإعراب:

(منهم): خَبرٌ مُقدَّمٌ على قولِ سيبويه والزَّجّاجِ، وفيهِ ضَميرُ (أُمِّيّون)، و(أُمِّيّونَ): مبتدأٌ مؤخّرٌ، وقالَ الأخفشُ: إنَّهُ فاعلٌ لِفعلٍ مُقدَّرٍ، وهوَ مُتعلَّقُ الجارِ والمجرورِ، أي: واستَقرَّ مِنهم أُمِّيّونَ(2)، وقالَ أبو عليٍّ(3): وهوَ عندَ الأَخفشِ(4): ليسَ بفاعِلٍ لِفعلٍ مَحذوفٍ، بَل هوَ فاعلُ الظّرفِ نفسِهِ، أعني: منهم، فَعلى مذهبِ سيبويه: (منهم) في مَوضِعِ رَفعٍ لِوقوعِهِ خَبرَ المُبتدأِ، وأمَّا على مَذهبِ الأَخفشِ: فَلا ضَمير فيهِ لِـ(أُمِّيّونَ) ولا مَوضِعَ لهُ، كَما لا مَوضعَ لِنحوِ (ذَهبَ) ولا ضميرَ فيهِ في نَحوِ قَولِكَ: ذَهبَ زيدٌ، وإنَّما رفعَ الأَخفشُ الاسمَ بالظّرفِ لمّا جَرى مَجرَى الفِعلِ في مواضِع، وفي إنَّهُ يَحتمِلُ الضّميرَ كَما يَحتملُ الفِعلَ وما قامَ مَقامَهُ مِن أَسماءِ الفاعلينَ والمفعولينَ ومَا أَشبَهَهُما، ويُؤكِّدُ ما فيها كَما يُؤكِّدُ ما في الفِعلِ وما قامَ مَقامَهُ، نَحو: مَررتُ بقَومٍ لكَ أَجمعونَ، ويَنتصبُ عنها الحالُ، والدّليلُ على أنَّ الاسمَ ههنا مُرتَفعٌ بالظّرفِ دونَ الفعلِ الذي هوَ استقرَ ونَحوه: إنَّهُ لَو كانَ مُرتفِعًا بالفعلِ لجازَ: قائمًا في الدّارِ زيدٌ، كَما يجوزُ: قائمًا استقرَّ زيدٌ، فامتِناعُ تقديمِ الحالِ هنا على الاتّفاقِ(5) يدُلُّ على إنَّهُ [٣٩٥] لا عَملَ للفِعلِ هنا، وجملةُ: لا يَعلمونَ الكِتابَ: صفةٌ

(١) التبيان: ١: ٣٢٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢: ١٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١: ١٥٩.

(٣) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل: أحد الأئمة في علم العربية. من كتبه: التذكرة، تعاليق سيبويه، جواهر النحو، والعوامل، توفي في بغداد سنة (٣٧٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ١: ١٣١، وإنباه الرواة: ١: ٢٧٣.

(٤) هو: عليُّ بنُ سليمان بنُ الفضلِ، أبو المحاسنِ، المعروفُ بالأخفشِ الأصغرِ: نحويٌّ، لازمَ ثعلبًا والمبرِّدَ، لهُ تصانيف، منها: شرح سيبويه، الأنواء، والمهذب، توفي سنة (٣١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٤٨١، ترجمة رقم: ٢٦٥، وهديّة العارفين: ١: ٦٧٦.

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١: ٣٥١.

لِـ(أمّيّونَ) وتَفسيرٌ لهُ، إِلَّا أَمانِيَّ: منصوبٌ على أنَّهُ مُستَثنًى مُنقطِعٌ كَقولهِ تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾(١)، وقولِهِ تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾(٢)، و(إِلَّا) بمعنى: (لكن) في المستَثنَى المنقَطِعِ، والنَّصبُ فيهِ هوَ: الصّحيحُ، الرّاجحُ، وبَنو تَميمٍ يُجيزونَ فيهِ الابدالَ، كَما قالَ جِرانُ العُودِ عامرُ بنُ حارثٍ:

وَبَلدةٍ ليسَ بها أنيسٌ إلَّا اليَعافِيرُ وإلَّا العِيسُ (٣)

وقالَ ضِرارٌ:

عَشِيّةَ لا تُغنِي الرّماحُ مَكانَها ولا النّبلُ إلَّا المَشرَفيُّ المُصَمّمُ (٤)

والهاءُ في مَكانِها ضَميرُ الحَربِ.

وقالَ الفرزدقُ:

---

(١) سورة النساء ٤: ١٥٧.

(٢) سورة الدخان ٤٤: ٥٦.

(٣) البيت من الرجز. ينظر: الكتاب: ٢: ٢٢١، وخزانة الأدب: ٤: ١١٤.
والشاهد فيه: أنّ بني تميم جعلوا اليعافير والعيس بدلا من الأنيس، وفي ذلك نظر.
اليعفور: الخِشف، وهو: ولد البقرة الوحشيّة، وقيل: تيس الظّباء. لسان العرب: ٤: ٥٨٥، (عفر)، وحياة الحيوان الكبرى: ٢: ٥٦٠.
العيس: عراب الإبل البيضاء خاصّة. العين: ٢: ٢٠١ ، (عيس).
وقائله: النميري: شاعر أدرك الاسلام، وسمع القرآن، واقتبس منه كلمات وردت في شعره، ومعنى جران العود: مُقدّم عُنُقِ البعير المُسنّ، كان يلقب نفسه به في شعره. ينظر: الأنساب: ٢: ٣٨، والأعلام: ٣: ٢٥٠.

(٤) البيت من الطويل. شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ٢١٧، وخزانة الأدب: ٣: ٢٩٩.
والمشرفيُّ: السيف المنسوب إلى قرية مشارف، وهي من قرى العرب التي تدنو من الريف، وقيل: من قرى اليمن. معجم البلدان: ٥: ١٣١.
وقائله: ضرار بنُ الأزورِ، واسم الأزورِ: مالكُ بنُ أوسٍ بنُ جذيمةَ الأسدي، لهُ صحبةٌ ورواية، كان فارسا شاعرا ، قيل: كان على ميسرةِ خالدِ بنِ الوليدِ يوم لَقِيَ الرّوم ببُصرى، وشهدَ اليرموكَ أميرًا، وشهدَ فتحَ دمشقَ، توفي سنة (١٣هـ). ينظر: تاريخ الإسلام: ٣: ٩٣، والوافي بالوفيات: ١٦: ٢٠٩.

وَبنتَ كَريمٍ قَد نَكحنا ولَم يكُنْ لَنا خاطِبٌ إلَّا السِّنانُ وعامِلُهُ[1]

بابُ انقطاعِ الاستثناءُ:

وإنَّما يكونُ هذا الاستثناءُ، أعني: (إلَّا أَمانيَّ) مُنقطِعًا؛ لأنَّ ما هم عليهِ منَ الأَباطيلِ أو سَمعوهُ منَ الأكاذيبِ ليسَ منَ الكِتابِ، وكَذا ما يقرأون تَلقُّفًا من عُلمائِهم لِما فيهِ منَ التّحريفِ والافتراءِ؛ ولأنَّهُ ليسَ من جِنسِ المعلومِ، و(إن) في قولِهِ: (إن هُم): نافِية انتَقضَ نَفيُهُ بإلَّا ولِذا لَم يعملْ، فَـ(هُم): مُبتدأٌ، وجملةُ: (إلَّا يظنُّونَ): خبرُهُ، والمُستثنى مُفرَّغٌ، قولُهُ: (فَويلٌ): رَفعٌ بالِابتداءِ، خَبرُهُ: (للّذينَ)، وكَذا في الموضِعينِ الأخيرينِ، ونَظيرهُ قولُهُم: سَلامٌ عليكَ، ونَحوه منَ الأدعيَةِ، ولمَّا كانَت هيَ مفعولًا مُطلقًا جُعِلَت مَتروكَةً على حالِها، إذ كانَت منصوبةً مُنزَّلةً مَنزلةَ الفعلِ، وهذا القَدرُ منَ التّخصيصِ كافٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: «ولَو كانَ في غيرِ القرآنِ لجازَ: فَويلًا للّذين، على معنى: جَعلَ اللهُ وَيلًا للّذين، أو أَلزَمهُم وَيلًا، والرّفعُ: على معنى ثبوتِ الوَيلِ للّذينَ»[2]، وقالَ غيرُهُ: إذا أَضفتَ وَيلَ ووَيحَ ووَيسَ ووَيبَ نصبتَ من غيرِ تنوينٍ، فقلتَ: وَيلَ زيدًا، أو وَيلَك إلى آخرِهِ[3].

والتّعسُ والبُعدُ وما أَشبهُهُما فلا يحسُنُ فيها الإضافةُ بغيرِ لامٍ؛ ولذلكَ لَم يرتفعْ في نَحوِها وإنَّما يقالُ: تَعسًا لهُ، وبُعدًا لهُ، وتَبًّا لهُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَتَعْسًا لَهُمْ﴾[4] و﴿ بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾[5]، وقالَ عليه السلام:

---

(١) البيت من الطويل. لم يقف الباحث عليه في ديوانه. ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢: ٢٨٦، وشرح الأشموني لألفيّة ابن مالك: ١: ٥٠٦.

والشاهد فيه: مجيء المستثنى بـ(إلَّا) على لغة تميم بالإبدال.

وقائلُهُ: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس: شاعر، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، يُشبَّهُ بزهيرِ بنِ أبي سلمى، وكلاهُما من شعراء الطبقة الأولى، زهيرٌ في الجاهليّين، والفرزدق في الاسلاميّين، توفي سنة (١١٠هـ، وقيل: ١١٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ٢٧: ٢٢٤، ترجمة رقم: ٣، والأعلام: ٨: ٩٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٦٠.

(٣) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ١: ٢٩٩.

(٤) سورة محمد ٤٧: ٨.

(٥) سورة هود ١١: ٩٥.

«فَبئسَ المَطيَّةُ الّتي امتطَت نَفسي مِن هَواهَا، فَوَاهًا لَها[1] لِمَا سَوَّلَت لها ظُنُونُها ومُناها، وتَبًّا لَها لجرأَتِها على سيِّدِها ومولاها»[2]، وقَد نُصِبَ وَيحٌ ووَيلٌ مع اللّامِ فقالوا: وَيلًا لزيدٍ، ووَيحًا لهُ، قالَ الشّاعرُ:

كَسا اللّؤمُ تَيمًا خُضرَةً في جلُودِها فويلًا لِتَيمٍ مِن سَرابيلِها الخُضرِ[3]

نكتة بيانيّة:

و(بأيدِيهم): مُتعلِّقٌ بقولِهِ: (يكتبونَ)، وهوَ مِثلُ قولِهِم: كَتبتُهُ بيَميني، وسَمعتُهُ بأُذني في افادةِ التّأكيدِ ودَفعِ التَّوهّمِ والمَجازِ؛ لأنَّهُ يُضيفُ الإنسانُ الكتابةَ إلى نفسِهِ وقَد أَمَرَ غَيرَهُ بالكتابةِ عنهُ، فَيقولُ: أنا كَتبتُ إلى فُلانٍ، وهذا كِتابي إلى فُلانٍ، وكَقولِهِ تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾[4]، معَ إنَّهُ آمِرٌ بِهِ فَأعلَمنا اللهُ سبحانُهُ إنَّهم يكتبونَ بأيدِيهم ويَقولونَ هوَ مِن عندِ الله وقَد عَلِموا يَقينًا إنَّهُ ليسَ من عندِ الله، (ثمَّ يقولونَ): عطفٌ على (يكتبونَ).

نكتة معانيّة:

وكلاهُما بمعنى الماضِي عُدِلَ عنهُ إلى المضارعِ؛ استِحضارًا لِصورةِ ذلك الأمرِ القَبيحِ الشّنيعِ الصّادرِ منهم؛ وتَفضيعًا لِخصالِهِم الذّميمَةِ وشَنارًا لِحالِهِم القَبيحةِ.

وجملةُ (هذا مِن عندِ الله): منَ المبتدأِ والخَبرِ مَقول القولِ، و(اللّامُ) في (لِيشتَروا): لامُ كَي التّعليليّةِ مُتعلِّقٌ بـ(يقولونَ)، و(قليلًا) هنا: صفةٌ لازِمَةٌ لِـ(ثمنًا)، و(مِن) في: (مِمَّا): للسَّببيّة والتّعليلِ في الموضِعينِ، كَما في قولهِ تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[5]، و﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[6] وقولِهِ:

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: فويلا لها.

(٢) بحار الأنوار: ٨٤: ٣٤٠، و٩١: ٢٤٤ (دعاء الصباح)، ومفاتيح الجنان: ١٢٣.

(٣) البيت من الطويل، لجرير. ديوانه: ١٦٢، ولسان العرب: ١١: ٧٣٨، (ويل).

(٤) سورة القصص ٢٨: ٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ٧٤.

(٦) سورة نوح ٧١: ٢٥.

يُغضِي حَياءً ويُغضَى مِن مَهابَتِهِ فَلا يُكلَّمُ إلّا حينَ يَبتسِمُ[1]

و(أَيديهم): فاعلُ (كَتبَت)، والعائدُ إلى (ما) مَحذوفٍ فيهِما، أي: ممَّا كَتبتهُ، ومِمَّا يَكسِبونهُ، ويُحتمَلُ أن يكونَ مَوصولًا حَرفيًّا فَلا حَذفَ.

المعنى:

﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعني: مِن هؤلاءِ اليَهودِ الذين مَرَّت قِصَّتَهم في الآياتِ السّابقةِ وقَساوةِ قُلوبِهِم وقَطعِ الطَّمعِ عن إيمانِهِم **﴿أُمِّيُّونَ﴾** لا يقرأونَ الكِتابَ ولا يعلمونَ، و لا يعلمونَ الكِتابةَ ولا يكتبونَ، منَ الأُمِّيِّ المنسوبِ إلى الأُمِّ، أي: كَما هوَ خَرجَ مِن بطنِ أُمِّهِ، أي: جُهَّالٌ غيرُ عارفينَ بالكتابةِ فَيُطالِعوا التّوراةَ ويُراجِعوا إلى ما فِيها، وغيرُ عالمين بمَعاني الكِتابِ الذي هوَ التّوراةُ فَلا يَعلمونَها حِفظًا ولا تِلاوةً ولا رِعايةً ولا دِرايةً ولا فَهمًا لِما فيهِ، **﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾**: هذا تفسيرُ أُمّيّونَ ووَصفُهُم على حَدِّ قولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[2]، وقولِ أَوسِ بنِ حَجَرٍ[3]:

---

(١) البيت من البسيط، للفرزدق في مدح الإمام السجّاد عليه السلام. ديوانه: ٥١٢، وشرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ٢٦٠.

والشاهد فيه: مجيء (من) للتعليل، فالناس لا تُكلّم الإمام عليه السلام احتراما له ولهيبته ووقاره، إلّا بعد أن يبتسمَ في وجوههم.

(٢) سورة المعارج ٧٠: ١٩-٢١.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: في مَرثيّةِ فَضالةَ بن كلدة من قصيدةٍ أَوّلها:

أَيُّتها النَّفسُ اجمِلي جَزَعًا إنَّ الذي تَحذرينَ قَد وَقَعا

إلى قولِهِ: إنَّ الذي جَمعَ السّماحَةَ والنَّجدةَ والبِرَّ والتُّقى جُمعا

إلى قولِهِ: أَودى فَلا يَنفعُ الإشاحَةُ من أَمرٍ قَد يُحاوِلُ البِدَعا

الاشاحة: الحَذرُ من أَمرٍ كائنٍ لا مَحالَةَ، قولُهُ: يُحاوِلُ البِدَعا، أي: يَطلبُ الأمورَ العَجيبةَ لَم يُسبَق بِمِثلِها شَخصٌ.

[وفضالة هذا: (شاعر جاهلي، من أعيان بني أسد، كان صديقا للشاعر أوس بن حجر التميمي، واشتهر بما قاله أوسٌ في رثائهِ). الأعلام: ٥: ١٤٦.]

الأَلمَعِيُّ الّذي يَظُنُّ بِكَ الظّنَّ كَأن قد رَأى وقَد سَمِعا [1]

والمعنى: أُمِّيُّونَ لا يَعلمونَ الكتابَ المُنزلَ إليهِم منَ السّماءِ، ولا المُكذَّبَ بهِ، ولا يُميِّزونَ بينَهُما، ولا يَعلمونَ ما في الكتابِ الذي أُنزلَ إليهِم مِن رَبِّهِم ولا يَدرونَ ما أَودَعَهُ إِيّاهُ من الفرائضِ والحُدودِ والأَحكامِ، ولا ما فيهِ من صِفاتِ خيرِ الأَنامِ وأوصيائِهِ الكِرامِ عليهِ وعليهِم أَفضلُ السّلامِ، ولا يَعرفونَ الكتابةَ فهُم كالأنعامِ مُقلِّدَةٌ لا يَعرفونَ ما يقولُ المُحرِّفونَ بَل أَضلُّ سَبيلًا. [٣٩٦]

﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾، أي: لكِن يَعتقدونَ أكاذيبَ تَقوَّلَها المُحرِّفونَ فَأخذُوها مِنهم تَقليدًا لَهم، واعتَقَدوا ولَم يَعرِفوا أَنَّهُ على خِلافِ ما في التَّوراةِ، وأحادِيثَ موضوعةً يُحدِّثُهم عُلَماؤهُم على ما وَضَعوهُ ومَواعيدُ فارغة[2] سَمِعوها مِنهم مِن أنَّ الجنَّةَ لا يَدخلُها إلَّا مَن كانَ هُودًا أو نَصارَى تِلكَ أَمانِيُّهُم، وأنَّ النَّارَ لن تَمسَّهُم إلَّا أَيّامًا مَعدودةً كَما حَكى اللهُ تعالى عَنهم، ويَتمنُّونَ على اللهِ الرّحمةَ ويَخطرُ الشّيطانُ ببالِهِم أنَّ لهم عِندَ اللهِ خَيرًا، وأنَّهم أبناءُ اللهِ وأَحِبّاؤُهُ، ويَتمنّونَ ذَهابَ الإسلامِ بموتِ رسولِ اللهِ ﷺ، وعودِ الرّئاسةِ إليهِم، ويَختلقونَ الكَذبَ ويَفترونَهُ على اللهِ تعالى، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ جَميعَ تلكَ الأمانيّ ولا عِلمَ لَهم ولا يقينَ فَيَظنّونَ ما يُقلّدونهُ من عُلمائِهِم ورُؤَسائِهِم ويَتَّخذونَهم أَربابًا من دونِ اللهِ معَ أَنَّهُ مُحرَّمٌ عليهِم تَقليدُهُم واتِّخاذُهُم أَربابًا، وقيلَ: معنى (إِلَّا أَمانِيَّ): إِلَّا ما يَقرؤُونَهُ[3] قِراءةً ويَتلونهُ تِلاوةً عاريةً عَن مَعرفَةِ المعنى وتَدبّرِهِ[4]، مأخوذًا مِن قولِ كعبِ بنِ مالك:

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيلِهِ وآخِرَهُ لاقَى حِمامَ المَقادِرِ [5]

(١) البيت من المنسرح. ديوانه: ٥٣، والخصائص: ٢: ١١٤.
والشاهد فيه: تشبيه الأمّي بالشّخص الذي يعتقدُ أنه قد رأى وقد سمع وهو في الحقيقة لا رأى ولا سمع.
وقائله: ابو شريح بن مالك التميمي: شاعر جاهلي، عمَّر طويلًا، ولم يُدركِ اللإسلامَ، في شعره حكمة ورقّة، وكانت تميم تُقدّمهُ على سائرِ شعراءِ العربِ،، له ديوان شعر، توفي سنة (٢ ق. هـ). ينظر: أسد الغابة: ١: ١٤٧، والأعلام: ٢: ٣١، ومعجم المؤلفين: ٣: ٢٦.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: باطلةٌ وخليّةٌ لا حقيقةَ لها.

(٣) والأصح: ما يقرؤونه.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٨٩.

(٥) مرَّ تخريجُهُ.

البيتُ كَما مَرَّ في اللّغةِ، وقولِ الآخرِ:

تَمَنَّى كِتابَ الله باللّيلِ خاليًا تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ عَلى رِسل[1]

أي: على التَّأنّي والهَيْنةِ واليُسرِ، لكن هذا المَعنى لا يُناسِبُهُ وَصفُهُم بأنَّهم أُمّيّونَ، ولا كَونُهم ظانِّينَ، هذا إذا كانَ بمعنى الفِعلِ المعلومِ، وأمَّا إذا كانَ: إلّا أَمانيّ، بمعنى: الفِعلِ المجهولِ، أي: إلَّا أن يُقْرَأَ عليهم ويُقالَ لهم هذا كِتابُ الله وكلامُهُ، لا يَعرفونَ أنَّ ما قُرِئَ عليهم من الكِتابِ خِلافُ ما فيهِ، وحينئذٍ يكونُ المعنى سَديدًا مُناسِبًا، فَإطلاقُ البَيضاوي عدم المناسبةِ[2] غير مُناسِبٍ كما يَجيءُ من تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام[3]، والحَقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبعَ.

ذكرُ الفَرقِ بينَ عَوامِّ اليَهودِ وعوامِّنا وعُلمائِهم وعُلمائِنا:

وقال الإمامُ عليه السلام: «قالَ رجلٌ للصّادقِ عليه السلام: فإذا كانَ هؤلاء العَوامُّ من اليَهودِ لا يَعرفونَ الكتابَ إلّا بما يَسمعونَهُ من عُلمائِهم لا سَبيلَ لهم إلى غَيرِهِ، فكيفَ ذَمَّهُم سبحانُهُ بتَقليدِهِم، والقبولِ من عُلمائِهم؟ وهَل عوامُّ اليَهودِ إلّا كَعوامِّنا يُقلِّدونَ عُلماءَهُم؟ فإن لَم يَجُزْ لِاؤلئكَ القبولُ من عُلمائِهِم لَم يَجزْ لهؤلاءِ القبولُ من عُلمائِهِم، فقالَ عليه السلام: بينَ عَوامِّنا وعُلمائِنا وبينَ عَوامِّ اليَهودِ وعُلمائِهِم فَرقٌ من جِهةٍ، وتَسويَةٌ من جِهةٍ، أمَّا من حَيثُ أنَّهم اسْتَوَو: فإنَّ اللهَ تعالى قَد ذمَّ عَوامَّنا بتقليدِهِم عُلمائهم كَما ذَمَّ عَوامَّهم بتقليدِهم عُلمائهم، وأمَّا من حيث افتَرَقوا: فَلا، قالَ: بَيِّن لي ذلكَ يا ابنَ رسولِ الله، قالَ عليه السلام: إنَّ عَوامَّ اليَهودِ كانوا قَد عَرَفوا عُلماءَهُم بالكِذبِ الصّراحِ وبأكلِ الحَرامِ والرُّشى، وبتَغييرِ الأحكامِ عن وَجهِها بالشَّفاعاتِ والعناياتِ والمصانَعاتِ، وعَرَفوهُم بالتَّعصُّبِ الشَّديدِ

---

(١) البيت من طويل. لم يقف الباحث على قائله. ينظر: المنجد في اللغة: ١٥٤، وجاء في الزاهر في معاني كلمات الناس: ٥١٠، بلفظ: (تمنّى كتابَ الله أوّلَ ليلهِ)، وأورده صاحب لسان العرب: ٥: ٢٩٤، (مني) بلفظ: (آخِرِ ليلهِ).

والشاهد فيه: مجيء: تمنّى بمعنى: تَلا وقرأ.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٩٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أبي مُحمّدٍ الحسنِ بنِ عليّ العسكري عليه السلام. كما ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٩٠.

الّذي لا يُفارقونَ بهِ أَديانَهم، وأنَّهم إذا تَعصَّبوا أَزالُوا حُقوقَ مَن تَعَصَّبوا عَليهِ وأَعْطَوا ما لا يَستَحقّه مَن تَعَصَّبُوا لَهُ مِن أَموالِ غَيرِهم وظَلَموهُم مِن أَجلِهِم، وعَرَفوهُم بأنّهُم يُقارفونَ المُحرَّماتِ واضطَرّوا بمَعارفِ قُلوبِهِم إلى أنَّ مَن فَعَلَ ما يَفعلونَهُ فهوَ فاسقٌ لا يجوزُ أن يصدّقَ على الله ولا على الوَسائطِ بينَ الخَلقِ وبينَ الله؛ فَلذلكَ ذَمَّهم اللهُ لِما قَلَّدُوا مَن قَد عَرَفوا ومَن قَد عَلِمُوا أَنَّهُ لا يجوزُ قبولُ خَبَرِهِ ولا تَصديقُهُ في حِكايتِهِ ولا العَمَلُ بِما يُؤدِّيهِ إليهِم عَمَّن لَم يُشاهدُوهُ، ووَجبَ عليهم النَّظرُ بأنفسِهِم في أَمرِ رَسولِ الله ﷺ إذ كانَت دلائلُه أَوضَحَ من أن تَخفَى وأَشهَرَ مِن أن لا تَظهَرَ لهم، وكَذلكَ عَوامّ امَّتِنا إذا عَرَفوا مِن فُقهائِهِم الفِسقَ الظّاهِرَ والعَصَبيَّةَ الشّديدةَ والتَّكالُبَ على حُطامِ الدُّنيا وحَرامِها، وإهلاكِ مَن يَتعصّبونَ عليهِ وان كانَ لإصلاحِ أَمرهِ مُستحقًّا، وبالتّرفّقِ بالبِرِّ والاحسانِ على مَن تَعصّبُوا لهُ، وإن كانَ للاذلالِ والإهانةِ مُستحقًّا، فَمَن قَلَّدَ مِن عَوامِّنا مثلَ هؤلاءِ الفُقهاء فَهُم مثلُ اليَهودِ الّذين ذَمّهم اللهُ بالتَّقليدِ لِفسَقَةِ فُقهائِهِم، فَأمَّا مَن كانَ مِنَ الفُقهاءِ صائِنًا لِنفسِهِ حافِظًا لِدينِهِ مُخالفًا لهَواه مُطيعًا لِأَمرِ مَولاهُ فَللعَوامِّ أن يُقلِّدوهُ، وذلكَ لا يكونُ إلّا في بعضِ فُقهاءِ الشّيعةِ لا جَميعهم، فَإنَّ مَن يَركَبُ مِنَ القَبائحِ والفَواحشِ مَراكِبَ فَسَقةِ فُقهاءِ العامَّةِ فَلا تَقبَلُوا مِنها عَنّا شَيئًا ولا كَرامةَ لهُم»[1]، انتهى كلامُ الصّادقِ عليه السلام.

وفي كتابِ الاحتِجاجِ للطّبرسي رحمه الله: بإسنادِهِ إلى «أبي مُحمَّدٍ العَسكري عليه السلام في قولهِ تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ أنَّ الأُمِّيَّ منسوبٌ إلى أُمِّهِ، أي: هوَ كَما خَرجَ مِن بَطنِ أُمِّهِ، لا يَقرأُ ولا يَكتُبُ، لا يَعلمونَ الكِتابَ المُنزَلَ من السَّماءِ ولا المُكذَّبَ بهِ، ولا يُميِّزونَ بينهُما إلَّا أَمانِيَّ، أي: إلَّا أن يُقرَأَ[2] عليهِم ويقالُ لهُم: هذا كتابُ الله وكلامُهُ، لا يَعرفونَ أنَّ ما قُرِئَ عليهِم خِلافُ ما فيهِ، وإن هُم إلَّا يَظنُّونَ، أي: ما يَقرأُ عليهِم رؤساؤُهُم مِن تكذيبِ مُحمَّدٍ ﷺ في نُبوَّتِهِ

---

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: هذا ما وعدنا أنّه يَجيءُ من تفسير الإمام عليه السلام.

وإمامَةِ عَليٍّ سَيِّدِ عِترتِهِ وهُم يُقلِّدونَهُم معَ أنَّهُ مُحَرَّمٌ عليهِم تقليدِهِم»[1]، انتهى كلامُ الإمامِ عليه السلام.

[٣٩٧] ثمَّ عادَ سبحانُهُ إلى ذَمِّ عُلمائِهِم مُضافًا إلى ما سبقَ، ووخامَةِ فِعلِهِم ووَبالِ أَمرِهِم، فقالَ: ﴿فَوَيْلٌ﴾، أي: عذابٌ وهَوانٌ وخِزيٌ وحُزنٌ، وقيلَ: جبلٌ في النّارِ، أو جُبٌّ. وفي المَجمعِ: «عن أبي سعيدٍ الخُدري عَن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّهُ وادٍ في جَهنمَ يَهوي فيهِ الكافرُ أَربعينَ خَريفًا قبلَ أن يَبلُغَ قَعرَهُ، والأَصلُ فيهِ ما ذكرناهُ من أنَّهُ كَلمةُ التّحسّرِ والتَّفجُّعِ والتّلهّفِ والتَّوجّعِ، يَقولُها كُلُّ مَكروبٍ، وفي التّنزيلِ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[2] وغيرِها مِنَ الآياتِ»[3].

﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، يَعني: إنَّهم أَنفسَهم يَتولَّونَ كتابَتَهُ مُحرَّفًا ثمَّ يُضيفونَ إلى اللهِ سبحانه، وفي المَجمعِ: «قيلَ: إنَّ كتابتَهُم بأيديهِم أنَّهُم عَمَدوا إلى التَّوراةِ وحَرَّفوا صفةَ النّبيِّ صلى الله عليه وآله؛ لِيوقعوا الشَّكَّ بذلكَ للمُستضعفينَ منَ اليَهودِ، وهوَ المرويُّ عن أَبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام وعَن جماعةٍ مِن أَهلِ التّفسيرِ»[4].

وقيلَ: كانَت صِفتُهُ صلى الله عليه وآله في التَّوراة أَسمَرُ رَبعَةٌ فَجَعلوهُ آدَمَ طَويلًا، وفي روايةِ عكرمَةَ عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: إنَّ أَحبارَ اليَهودِ وَجَدوا صِفةَ النّبيِّ صلى الله عليه وآله مكتوبَةً: أَكحَلُ، أَعيَنُ، رَبعَةٌ[5]، حَسَنُ الوَجهِ،

---

(١) الاحتجاج: ٢: ٢٦٢، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٩٩.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٤٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٧٨.

(٤) ينظر: التبيان: ١: ٣٢٢، وتفسير ابن عرفة: ١: ٣٤٣، وزبدة التفاسير: ١: ١٧٦.

(٥) أسمر: «من كان لونه بين السواد والبياض». القاموس المحيط: ٢: ٥١، (سمر).

ربعة: «ورجلٌ ربعةٌ، أي: ليس بطويلٍ ولا قصيرٍ». العين: ٢: ١٣٣، (ربع).

آدم: «الأدمة في الناس: شربة من سواد». العين: ٨: ٨٨، (أدم).

الأكحل: «وهو: الذي يعلو جفونَ عينيه سوادٌ مثلَ الكُحلِ من غيرِ اكتِحالٍ». الصحاح: ٥: ١٨٠٩، (كحل).

الأعين: «واسع العين، بيّنها». الصحاح: ٦: ٢١٧٢، (عين).

فَمَحَوهُ منَ التّوراةِ حَسَدًا وبَغيًا فَأَتاهُم نَفَرٌ مِن قريشٍ فَقالوا: أَتَجِدونَ منَ التّوراةِ نَبيًّا منّا؟ قالوا: نَعَم نَجدُهُ طويلًا أزرق بَسط الشَّعرِ، ذَكَرَهُ الواحِديُّ بإسنادِهِ في الوَسيطِ[1]»[2].

وفي كتابِ الاحتِجاجِ للطّبرسي ﷺ: بإسنادِهِ إلى أَبي مُحَمَّدٍ الحسنِ العَسكريِّ عليه السلام في قولِهِ تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**، قالَ عليه السلام: « هذا القَولُ منَ اليَهودِ كَتَبوا صِفةً زَعَموا أنّها صِفةُ محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهيَ خِلافُ صِفتِهِ، وقالوا للمُستضعفينَ مِنهم هذهِ صِفةُ النّبيِّ المبعوثِ في آخرِ الزّمانِ أنَّهُ: طَويلٌ، عَظيمُ البَدَنِ والبَطنِ أَهدَفُ، أَصهَبُ الشّعرِ[3]، ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله بخِلافِهِ، وأَنَّهُ يَجيءُ بعدَ هذا الزّمانِ بخمسمائةِ عامٍ؛ وإنّما أرادوا بذلكَ لِتبقى لهُم على ضُعفائِهم رِئاستُهُم وتَدومُ لهم اصاباتُهُم، ويَكُفُّوا أَنفسَهم مَؤنةَ خِدمَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وخِدمةِ عَليٍّ عليه السلام وأَهلِ بيتِهِ وخاصَّتِهِ، فقالَ عَزَّ وجَلَّ: **﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾** من هذهِ الصّفاتِ المُحرّفاتِ المُخالفاتِ لِصفةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعَليٍّ عليه السلام الشِّدّةُ لهم منَ العَذابِ في أَسوءِ بِقاعِ جهنَّمَ، ووَيلٌ لهم: الشِّدّةُ في العذابِ ثانيةً مُضافةً إلى الأُولى، بما يَكسِبونَهُ منَ الأَموالِ الّتي يأخذونها، إذا ثبّتوا عَوامَّهُم على الكُفرِ بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبِوَصيِّهِ وأَخيهِ عليّ بنِ أَبي طالبٍ عليه السلام وليّ الله»[4]، انتهى كلامُهُ عليه السلام.

وقولُهُ: **﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**، أي: لِيأخُذوا بذلكَ التّحريفِ مِن عَوامِّهم منَ الأَموالِ والرُّشى ثَمَنًا قَليلًا وعَرَضًا مِن أَعراضِ الدُّنيا الفانيَةِ فإنَّهُ وإن جَلَّ وكَثُرَ فهوَ قَليلٌ بالنّسبةِ إلى نَعيمِ الآخرةِ الباقيَةِ، أو قَليلٌ بالنّسبةِ إلى ما استوجَبوهُ منَ العِقابِ الدّائمِ، وقيلَ: قليلًا بمعنى: حَرام،

---

(١) التفسير الوسيط: ١: ١٦٤، وينظر: تفسير الزمخشري: ١: ٥١٦، وتفسير ابن عطيّة: ١: ١٧٠، والبحر المحيط في التفسير: ٣: ٦٦١.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٧٩.

(٣) أهدف: «الهَدَفُ من الرجال: الجسيمُ الطويلُ العُنقِ العريضُ الألواحِ». لسان العرب: ٩: ٣٤٦، (هدف). أصهب: «لونُ حمرةٍ في شعرِ الرأسِ واللّحيةِ، إذا كان في الظاهرِ حُمرةٌ وفي الباطنِ سَوادٌ». العين: ٣: ٤١٣، (صهب).

(٤) الاحتجاج: ٢: ٢٦٢.

هذا وإن كانَ حَقًّا في هذا المقامِ لكنَّهُ لم يَجِئْ بمعنى حَرام في لغةِ العَرَبِ، وإنَّما ذُكِرَ الاشتِراءُ للاِستِعارةِ والتّشبيهِ والتّوسّعِ، والمقصودُ: إنّهم تَركوا الحَقَّ وأَظهَروا الباطِلَ؛ ليَأخُذوا على ذلكَ شيئًا مِن حُطامِ الدُّنيا ولِتَبقى رِئاستُهُم، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾، أي: عَذابٌ شَديدٌ وخِزيٌ عَظيمٌ في أَسوءِ بِقاعِ جهنَّم ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ منَ المُحرَّفِ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ منَ المعاصِي وأَخذِ المالِ الحَرامِ والرُّشى الّتي يَأخذونَها منَ العَوامِ، وهوَ الكُفرُ باللهِ العَظيمِ على ما يَجيءُ في سورةِ المائدةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

ذكرُ دلالةِ الآيةِ الأُولى:

وفي الآيةِ الأُولى: «دلالةٌ على أنَّ التّقليدَ في مَعاني الكِتابِ وفيما طَريقهُ العلمُ غيرُ جائزٍ، وأنَّ الاقتصارَ على الظّنِّ في أبوابِ الدّياناتِ لا يجوزُ، وأنَّ الحجَّةَ بالكتابِ قائمةٌ على جميعِ الخَلقِ وإن لَم يكونوا عالمينَ إذا تَمكَّنُوا منَ العِلمِ بهِ، وأنَّ منَ الواجبِ أن يكونَ التّعويلُ على مَعرفةِ مَعاني الكِتابِ لا على مُجرَّدِ تِلاوتِهِ»[1]، نَصَّ على ذلكَ في المجمَعِ وهوَ كَما قالَ ﵀.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرأَ ابنُ كثيرٍ وحَفصٌ: بإظهارِ الذّالِ، والباقونَ: بإدغامِهِ في التّاءِ[2].

اللغة:

المسُّ: اللّمسُ الشّديدُ، والفَرقُ بينهُما أنَّ معَ اللّمسِ اِحساسًا وأَصلُهُ اللّصوقُ، وحَدُّهُ: الجمعُ بينَ الشّيئينِ على نهايةِ القُربِ يقالُ: مَسِستُهُ بالكسرِ: أَمَسُّهُ من بابِ عَلِمَ يَعْلَمُ: مَسًّا ومَسيسًا ومِسِّيسي

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٧٧.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ٥٥، والحجة في القراءات السبع: ١: ٧٧.

ومنه في حاشية الأصل: مثل: اتَّخَتّم.

كَ(خِلِّيفِي)، وبينَهُم رَحِمٌ ماسّةٌ، أي: قَرابَةٌ قريبةٌ، وقَد مَسَّت بكَ رَحِمُ فُلانٍ، والمِسْمِسَةُ: اختلاطُ الأمرِ والتباسُهُ وتَداخُلُهُ، والمَسُّ: الجُنونُ، كأنَّ الجِنَّ مَسَّتْهُ واُستُعيرَ للجِماعِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾(١)؛ لأنَّهُ لَمسٌ وتَداخُلٌ، والإخلافُ: نَقضُ ما تَقَدَّمَ من العَهدِ، يقالُ: أَخلَفَ وَعدَهُ: إذا لَم يَفِ بوَعدِهِ ولَم يَصدُقْ، والاسمُ منهُ: الخُلفُ بالضّمِّ، والتَّخلُّفُ: التّأَخُّرُ. [٣٩٨]

الإعراب:

جملةُ: (لَن تَمسَّنا النّارُ) منَ الفِعلِ والمفعولِ والفاعلِ: مَقولُ القَولِ، و(أَيّامًا): ظرفٌ لِـ(تَمسَّنا)، والاستِثناءُ مُفرَّغٌ، والهمزةُ المفتوحَةُ في (أَتَّخذتُم): همزةُ استفهامٍ، وهمزةُ الوَصلِ: مَحذوفةٌ؛ لِاجتِماعِ المُتجانسَينِ معَ الاستِغناءِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾(٢)، وقولُهُ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾(٣)، و﴿ أَسْتَغْفَرْتَ﴾(٤) الآيةَ.

و(عَهدًا): مفعولُ (اتَّخذتُم)، والجملةُ: مَقولُ قُلْ، و(الفاء) في: (فَلَن يُخلِفَ اللهُ عهدَهُ): فَصيحةٌ، كَما يَجيءُ بيانُها في المعنى، و(أم) هذهِ تَحتملُ وَجهَينِ:

أحدُهُما: أن تكونَ مُتَّصلةً مُعادِلةً لِهمزِ الاستِفهامِ المذكورِ، أَعني: أَتَّخذتُم، نظيرُ قولُهُ تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾(٥) بمعنى: أيُّ الأَمرينِ كائنٌ على سَبيلِ التّقريرِ لِعلمِ اللهِ ورسولهِ ﷺ على التّعيينِ بِوقوعِ أَحدِهما(٦).

---

(١) سورة النساء ٤: ٤٣.

(٢) سورة الصافات ٣٧: ١٥٣.

(٣) سورة ص ٣٨: ٧٥.

(٤) سورة المنافقون ٦٣: ٦.

(٥) سورة ص ٣٨: ٧٥.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: اتخاذُهم العهدَ منَ الله كائنٌ، أم القولُ على الله ما لا تعلمون.

مسألة نحويّة:

ويُعلَمُ مِن هذا: أنَّ الواقعَ بعدَ أم المتَّصلة قَد يكونُ جملةً؛ لأنَّ التّسويةَ قَد تكونُ بينَ الحُكمَينِ، صَرَّحَ بذلكَ ابنُ الحاجبِ في الإيضاحِ(١)، خِلافًا لصاحبِ المفتاحِ حيثُ قالَ: عَلامةُ أم المتّصلةِ: إفرادُ ما بعدَها، وعَلامةُ أم المنقَطعَةُ: كَونُ ما بَعدَها جملةً أو المحذوف(٢)، والتّقديرُ والمعنى: أيُّ الحالينِ أَنتُم: أتقولونَ على الله ما تَعلَمونَ أم تَقولونَ على الله ما لا تَعلَمونَ؟.

والثّاني: أن تكونَ مُنقطعَةً على تَقديرِ إتمامِ الكَلامِ قبلَهُ، فتكونُ بمعنى: بَل والهمزةُ، بمعنى: بَل أَتقولونَ ما لا تَعلمونَ على سَبيلِ التّقريرِ والتّقريعِ.

النّزول:

في المجمَعِ: «قالَ ابنُ عبّاس ومجاهدٌ: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، واليَهودُ تَزعمُ أنَّ مُدَّةَ الدُّنيا سَبعةُ آلافِ سنةٍ وإنَّما نُعَذَّبُ بكُلِّ أَلفِ سنةٍ يومًا واحِدًا ثمَّ يَنقطعُ عنَّا العَذابُ فَأَنزلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ، وقالَ أَبو العاليةَ وعِكرمةَ وقَتادةَ هيَ أَربعونَ يومًا؛ لأنَّها عَددُ الأَيَّامِ الّتي عَبَدوا فيها العِجلَ»(٣).

وفي تفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: إنَّهُ قالَ: «قالَ بَنو إسرائيلَ لَن تَمسَّنا النّارُ، ولَن نُعذَّبَ إلّا الأيَّام المعدوداتِ التي عَبَدنا فيها العِجلَ، فَردَّ اللهُ عليهم بقَولِهِ: قُل يا مُحَمَّدُ لهُم: **﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**»(٤).

المعنى:

﴿وَقَالُوا﴾ يعني: اليَهودَ **﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾**، أي: لَن تُصيبَنا وَقتًا منَ الأَوقاتِ، وزَمانًا منَ الأَزمِنةِ **﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾**، أي: قَلائِلَ مُحصاةً كَقولِهِ تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾(٥)، **﴿قُلْ﴾** يا مُحَمَّدُ لهم

(١) ينظر: الإيضاح في شرح المفصّل: ٢: ١٩٨.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٨، ومواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح: ١: ٤٧٠.

ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: أو المحذوف، عطفٌ على قولِهِ المذكور، أي: معادلةٌ لهمزِ الاستفهامِ المحذوفِ.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٨٠.

(٤) تفسير القمّيّ: ١: ٥١.

(٥) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا﴾، أي: مَوثِقًا أنَّهُ لا يُعذِّبكُم إلَّا هذهِ المُدَّةِ القَليلةِ المنقَطعَةِ وَعَرفتُم ذلكَ بوَحيِ اللهِ وتَنزيلهِ ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ فإن كانَ الأمرُ[1] كَما زَعمتُم فاللهُ سبحانُهُ لا يَنقُضُ عَهدَهُ وميثاقَهُ، أو إن اتّخَذتُم عَهدَهُ فَلَن يُخلِفَ اللهُ عَهدَهُ، وعلى التّقديرينِ تكونُ الفاءُ فَصيحةً، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: الباطِلَ والافتِراءَ جَهلًا منكم وجُرأَةً عَليهِ تعالى.

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: لمَّا قالَ للعلماءِ المُحرِّفينَ منَ اليَهودِ ذَوُو أَرحامِهِم: «لِمَ تَفعلونَ هذا النّفاقِ الّذي تَعلمونَ أنَّكُم بهِ عندَ رَبِّكم مَسخوطٌ عَليكُم مَعذَّبونَ؟ أَجابَهُم هؤلاء بأنَّ مُدَّةَ العَذابِ الّذي نُعَذَّبُ بهِ لهذهِ الذُّنوبِ أَيّامٌ مَعدودةٌ، وهيَ الّتي عَبَدنا فيها العِجلَ وهيَ تَنقَضي ثُمَّ نَصيرُ بعدَهُ في النّعمةِ في الجِنانِ، ولا نَستَعجِلُ المَكروهَ في الدُّنيا للعذابِ الذي هوِ بقَدَرِ ايّامِ ذُنوبِنا فإنَّها تَفنى وتَنقَضي، ونَكونُ قد حَصَّلنا لَذّاتِ الحُرّيّةِ منَ الخِدمةِ ولَذّاتِ نِعمَةِ الدُّنيا ثمَّ لا نُباليَ بما يُصيبُنا بعدُ، فإنَّهُ إذا لَم يكن دائِمًا فكأنَّهُ قد فَنِيَ فقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: قُل يا مُحَمَّدُ ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا﴾ أنَّ عَذابَكم على كُفرِكُم مُنقَطعٌ غيرُ دائِمٍ، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ يَعني: إن اتَّخذتُم عَهدَهُ[2] فَلَن يُخلِفَ اللهُ عَهدَهُ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: اتَّخذتُم عَهدًا[3] أم تَقولونَ على اللهِ ما لا تَعلَمونَ بل أَنتُم في أيِّهِما ادَّعَيتُم كاذبونَ، إذ ما هوَ إلَّا عَذابٌ دائِمٌ لا نَفادَ لهُ»[4] انتهى كَلامُ الإمامِ عليه السلام.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: هذا التّقديرُ وما يليهُ بيانُ إنَّ الفاءَ في قولِهِ: ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ﴾الآيةُ: للفصيحةِ كَما وعدناهُ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: يُفهمُ من هذا أنَّ الفاءَ فصيحةٌ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: يُفهمُ من كلامهِ عليه السلام هذا أنَّ أم متّصلةٌ.

(٤) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٠٤.

وقولُهُ تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)﴾:

القراءة:

قَرَأَ أهلُ المدينةِ: خَطيئاتُهُ على صِيغَةِ الجمعِ، نَظَرًا إلى المعنى، والباقونَ: على التّوحيدِ، نَظَرًا إلى اللَّفظِ، وقُرِئَ: خَطِيَّتُهُ وخَطِيَّاتُهُ بالإدغامِ، فَفيها أَربعَةُ أَوجهٍ منَ القِراءةِ(١).

اللغة: [٣٩٩]

السَّيِّئَةُ: الذَّنبُ والخَطيئةُ، وهيَ في الأصلِ: كُلُّ كَلِمَةٍ قَبيحةٍ أو فِعلَةٍ قَبيحةٍ، وفي الحديثِ: «سَوآءُ وَلُودٌ خيرٌ مِن حَسناءَ عَقيمٍ»(٢)، والسَّوآءُ: المَرأَةُ القَبيحَةُ، يقالُ: رَجلٌ أَسْوَءُ وامرأَةٌ سَوآءُ، يقالُ: ساءَ سَوءًا وسَواءً وسَواءَةً وسَوايَةً ومَساءَةً ومَسايَةً: فَعلَ بهِ ما يَكرهُ فَاستاءَ هوَ، والسُّوءُ بالضّمِّ: الاسمُ منهُ، والبَرَصُ وكُلُّ آفةٍ والسُّوآى ضدُّ الحُسنى أفعلُ تَفضيلٍ، وأَساءَهُ: أَفسَدَهُ وأَساءَ إليهِ: ضِدُّ أَحسنَ، ومنهُ: السَّوءَةُ: لِلفَرجِ، قالَ تعالى: ﴿ مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾(٣)، والسَّوءَةُ: الفاحِشةُ والخَصلةُ القَبيحةُ، والسَّيِّئَةُ: الخطيئَةُ.

الفرقُ بينَ السَّيِّئةِ والخطيئَةِ:

وقَد يُفرَقُ بينها وبينَ الخَطيئةِ: أنَّها يقالُ فيما يُقصَدُ بالذّاتِ، والخطيئَةُ: تَغلِبُ فيما يُقصَدُ بالعَرَضِ؛ لأنَّها في الأَصلِ منَ الخَطأِ الذي هوَ ضِدُّ العَمدِ، وقَد مَرَّ معنى الإحاطَةِ لغَةً في أوائلِ السّورةِ، والخَطَأُ والخِطْأُ والذَّنبُ والإثمُ نظائرُ، وأَخْطَأَ يُخْطِئُ: إذا سَلكَ سَبيلَ الخَطَأِ عَمدًا أو سَهوًا، ويقالُ: خَطِئَ بمعنى: أَخطَأَ أيضًا، وقيلَ: خَطِئَ: إذا تَعمَّدَ، وأَخطَأَ: إذا لَم يَتعَمَّدْ، والخَطَأُ ضِدُّ العَمدِ، كَقَتْلِ الخَطَأ.

---

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣١، وحجة القراءات: ١: ١٠٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٨٣.

(٢) غريب الحديث: ابن سلام: ١: ١٥٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤١٦.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٢٠.

الإعراب:

(بلى): حرفُ ايجابٍ: جوابٌ لِقولِهِم: لَن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّامًا مَعدودةً، أي: بَلى تَمَسَّكُم النّارُ دائمًا على الخُلودِ.

الفرقُ بين: بلى ونَعَم:

والفَرقُ بينَ بَلى ونَعم: أنَّ بَلى مُختَصَّةٌ بإيجابِ النَّفي على الأَفصَحِ، يعني: أَنَّهُ ينقضُ النَّفيَ المتقدّمَ ويَجعلُهُ ايجابًا سَواءٌ كانَ ذلكَ النَّفيُ مُجرّدًا عنِ الاستِفهامِ، نحو: بَلى، في جَوابِ مَن قالَ: ما قامَ زيدٌ؟، أي: قَد قامَ، ومِثلُ الآيةِ المذكورةِ بعينِها، أو مَقرونًا بهِ، فهيَ حينئذٍ لِنقضِ النّفيِ الّذي بعدَ ذلكَ الاستِفهام فَيجعلُ ذلكَ ايجابًا كَقولِهِ تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]، أي: بَلى أنتَ ربُّنا، وقولِهِ تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ﴾[2] الآية، أي: بَلى نَجمَعُها قادرينَ على أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ، لكن قَد يَقعُ (بَلى) جَوابًا في الايجابِ في أَبوابِ الإقرارِ في الكُتُبِ الفِقهيَّةِ وأَهلِ العُرفِ في مَقامٍ: نَعَم على النّدرةِ والشُّذوذِ، كَما تقولُ في جَوابِ: أَقامَ زيدٌ؟ بَلى، قامَ زيدٌ، و أَنَّ (نَعَم) مُقرِّرةٌ لِمضمونِ ما سبقَها سَواءٌ كانَ استِفهامًا أو خَبرًا، فهيَ في جَوابِ: أَقامَ زيدٌ؟ بمعنى: قامَ زيدٌ، وفي جَوابِ: أَلَم يَقُمْ زيدٌ؟ بمعنى: لَم يَقُمْ زيدٌ، بخِلافِ: بَلى، فَإنّها في جَوابِ: أَلَمْ يَقُمْ زيدٌ؟ بمعنى: قامَ زيدٌ، كَما مَرَّ في: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ بمعنى: بَلى، أَنتَ رَبُّنا، ولَو قالُوا في مَوضِعِ بَلى ههنا: نَعَم، لكانَ كُفرًا، فإنَّ معناهُ حينئذٍ: لَستَ رَبَّنا.

وقالَ الفَرّاءُ: «إنَّما امتنَعوا مِن استِعمالِ نَعَم في جَوابِ الجَحدِ؛ لأَنَّهُ إذا قالَ لغيرِهِ: ما لَكَ عَليَّ شَيءٌ؟ فقالَ لهُ: نَعَم، فقَد صَدَّقَهُ، وكأَنَّهُ قالَ: نَعَم، ليسَ لِيَ عَليكَ شيءٌ، وإذا قالَ: بَلى، فإنَّما هوَ رَدٌّ لِكلامِهِ، أي: لِيَ عَليكَ شيءٌ»[3]، وقيلَ: يجوزُ استعمالُ نَعَم ههنا لجَعلِها تصديقًا لِلإثباتِ المُستَفادِ من إنكارِ النّفيِ، وقَد اشتهَرَ هذا في عُرْفِ الإقرارِ، فلَو قالَ: يا زيدُ أليسَ عليكَ أَلفُ دِرهَمٍ؟ وقالَ

---

(١) سورة الاعراف ٧: ١٧٢.

(٢) سورة القيامة ٧٥: ٣، ٤.

(٣) التبيان: ١: ٣٢٥، ومجمع البيان: ١: ٢٨١. ولم يقف الباحث على قوله بالنّصّ من كتبه، وإنّما جاء قريبا من المعنى في معاني القرآن: ١: ٥٣.

زيدُ: نَعَم، يكونُ إِقرارًا بألفِ دِرهَمٍ، ويقومُ مقامَ: بَلى في تَقريرِ الإثباتِ بعدَ النّفي، فَعلى هذا قَولُ الفَرَّاءِ ليسَ بكُلِّيٍّ بَل أَكثريٌّ فهيَ عَكسُ (بَلى) في الصّورتينِ كَما بَيَّنّاهُ.

و(مَنْ) شَرطيَّةٌ لِذَوي العُقولِ لَفظُها مُفردٌ ومَعناها جَمعٌ في هذا المَقامِ؛ لأَنَّهُ مِن أدواتِ العُمومِ التي يُساوى فيها الإفرادُ والتّثنيةُ والجَمعُ، والتّذكيرُ والتّأنيثُ، فهيَ مُبتدأٌ، و(كَسَبَ) في مَحلِّ الجزمِ بـ(مَنْ)، والجملةُ: فِعلُ الشّرطِ، و(سَيِّئةً) مفعولُ (كَسَبَ)، وجملةُ: (أَحاطَت بِهِ خَطيئَتُهُ) من الفِعلِ والفاعلِ والمفعولِ بالواسطةِ: عَطفٌ على الجملةِ الشَّرطيّةِ، وإِفرادُ الضّميرِ في (كَسَبَ وخطيئتُهُ) بالنّظرِ إلى لَفظِ مَنْ وكَذا إفرادُ الخطيئَةِ إِلّا أن يُقصَدَ أَنواعُ الذَّنبِ منَ الشّخصِ الواحدِ.

و(الفاءُ) في (فأولئكَ): جَزائيّةٌ واجبةٌ في أمثالِ هذهِ المواضِعِ، أَعني: ما إذا كانَ الجَزاءُ جملةً اسميَّةً، و(أولئك): مبتدأٌ، و(أصحابُ النّارِ): خَبرُهُ، والجملةُ: جوابُ الشّرطِ، وهذهِ الجملةُ: خبرُ (مَن) الشّرطيّةِ، وهذا بالنّظرِ إلى مَعنى (مَنْ) وكَذا جملةُ: (هُم فيها خالدونَ) فهيَ: خَبَرٌ بعدَ خَبرٍ، وإِنَّما ذَكر هذه الجملةَ المعطوفةَ على الجملةِ الأولى بغيرِ حَرفِ عَطفٍ؛ لِوجودِ الضّميرِ الذي يَربطُها على الأولى كَما أَنَّ حَرفَ العَطفِ يَربطُها بها، وكَما أَنَّ الأخبارَ المتّعدّدةَ إذا كانت مُفردَةً يجوزُ فيها ذِكرُ العاطِفِ وتَركُهُ على التّفصيلِ الذي ذَكرناهُ في زينةِ السّالكِ، كَقولِهم: هذا حُلْوٌ حامِضٌ، وزيدٌ عالمٌ عاقِلٌ، وقولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[1]، وقولِهِ تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[2] وفي مَوضعٍ آخَرَ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾[3]، كذلكَ إذا كانَت جملةً يجوزُ فيها ذِكرُ العاطِفِ وتَركُهُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[4]، والآيةُ التي نحنُ فيها، ومثلُهُ قولُهُ تعالى في سورةِ

---

(١) سورة البروج ٨٥: ١٤ـ١٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٨.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٣٩.

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ١ـ٤.

الذّارياتِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(١) بدونِ الواوِ في الجميعِ، وكَقولِهِ تعالى: ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾(٢)، و﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٣) وقولِهِ تعالى في سورةِ الواقعةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا﴾(٤) الآيةُ بالعاطفةِ في الجميعِ، وإعرابُ (والّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إلى آخرِها، مثل إعرابِ (مَنْ كَسَبَ) إلى آخرِهِ، وإنَّما لَم يَأتِ بـ(الفاءِ) هنا معَ أنَّ اسمَ الموصولِ مُتَضمِّنٌ لِمعنى الشّرطِ؛ لأنَّ هذهِ الفاءَ في مثلِ ذلكَ يجوزُ الإتيانُ بها وتَرْكُها، قالَ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥)، و﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾(٦) وكَالآيةِ المذكورةِ كَما بُيِّنَ في موضِعِهِ. [٤٠٠]

المعنى:

رَدَّ اللهُ سبحانهُ على اليَهودِ أَمانِيَّهُم الفارغَةَ وقَولَهم: لَن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّامًا مَعدودَةً قَليلةً بقولِهِ: **﴿بَلَى﴾** وهوَ إثباتٌ لِما نَفَوهُ مِن مساسِ لهم زَمانًا طويلًا ودَهرًا غيرَ مُتَناهٍ على وَجهٍ أَعَمَّ ليكونَ كالبرهانِ على بطلانِ قولِهم، أي: ليسَ الأمرُ كَما تَمَنَّوهُ مِن قَولِهِم: لَن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّامًا مَعدودَةً، بَلى تَمَسُّكُمُ النّارُ دائمًا على سَبيلِ الخلودِ بقرينةِ قولِهِ تعالى: **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، لكن **﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾**، أي: فِعْلَةً قَبيحَةً وخَطيئةً فاحِشَةً، كالشِّركِ والكُفرِ والكَبيرةِ الموبقةِ الّتي يَلقى فاعِلُها آثامًا يُضاعَفُ لهُ العَذابُ ويَخلُدُ فيهِ مُهانًا، منَ الذُّنوبِ الّتي أَوعَدَها اللهُ بها الخُلودَ في النّارِ، وأَصَرَّ عليها

---

(١) سورة الذاريات ٥١: ١٦، ١٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٤٥.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٥.

(٤) سورة الواقعة ٥٦: ٤٥-٤٧.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٧٤.

(٦) سورة النحل ١٦: ٥٣.

ونَوى فِعلَها على الدّوامِ بقَرينةِ جَوابِ الشّرطِ.

دقيقةٌ بيانيَّة:

وقد مَرَّ في الآيةِ السّابقَةِ أنَّ الكَسبَ هوَ: استِجلابُ النّفعِ ودَفعُ المضِرَّةِ، فعَلى هذا يكونُ تَعليقُهُ ههنا بالسَّيئةِ على طريقَةِ الاستِعارَةِ التَّهكُّمِيَّةِ والتَّمليحِيَّةِ لتَنزيلِ التَّضادِّ أو التّناقُضِ[1] مَنزلَةَ التّناسُبِ بواسِطةِ تهَكُّمٍ واستِهزاءٍ وسُخرِيَّةٍ وتَمليحٍ كَقولِهِ تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، أي: أَنذِرهُم، استُعِيرَت البَشارَةُ الّتي هيَ الإخبارُ بِما يُوجِبُ سُرُورَ المخبَرِ بِهِ للإنذارِ الّذي هوَ ضِدُّها بإِدخالِهِ في جِنسِها على سَبيلِ التَّهَكُّمِ والاستِهزاءِ كَما حُقِّقَ في مَوضعِهِ ، وإنَّما قالَ: مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً خالَفَ بينَ اللّفظينِ لِما قُلنا منَ الفَرقِ ولِلإشارةِ إلى قولِهِ: ووَيلٌ لَهم مِّمّا يَكسِبونَ ولِيكونَ أَبلغَ وأَفصَحَ. **﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾**، أي: أَحدَقَت بهِ مِن كُلِّ جانبٍ لا يَجِدُ عنها مَخلَصًا ولا مَخرَجًا واستَولَت عَليهِ واشتَمَلَت جُملَةَ أَحوالِهِ حَتّى صارَ كالمُحاطِ بِها، لا يَخلو عَنها شَيءٌ مِن جَوانبِهِ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3]؛ ولذا فَسَّرَها السَّلَفُ: بالكُفرِ والشِّركِ.

---

(١) الاستعارةُ التّهكّميَّةُ والتّمليحيّةُ: (وهما ما نزلَ فيهِما التّضادُّ منزلةَ التّناسبِ لأجلِ التّهكّمِ والاستِهزاءِ، أو لأجلِ الملاحَةِ والظَّرافةِ، ، وقيل: الاستعارة التي أُستُعمِلَت ضدَّ معناها الحقيقي). علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: ٢٦٦، والأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم:٢: ٢٦٠.

فإن أُستُعمِلَ اللّفظُ للهزئ والسّخريةِ كانت تهكّميّةً، وإن أُستُعمِلَ لبَسطِ السّامعين وإزالةِ السّآمةِ عنهم بواسطةِ الإتيانِ بشيءٍ مُستملَحٍ كانت تَمليحيَّةً. ينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: ٢٦٦

التّضادُّ: هو: تقابلُ الأمرينِ الوجوديّينِ اللّذينِ لا يجتمعانِ وقَد يَرتفعانِ كالبياضِ والسّوادِ). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٦: ٣٨٨٨، والأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٢: ٢٦١.

التّناقضُ: (هوَ اختلافُ القضيّتينِ بالإيجابِ والسّلبِ، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى، وقيل: تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأحدُهُما وجودي والآخرُ عدمي، كقولنا: زيد إنسان، زيد ليس بإنسان). التعريفات: ٦٨، والأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٢: ٢٦١.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٣) سورة التوبة ٩: ٤٩.

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «السَّيّئةُ المُحيطةُ بهِ هيَ التي تُخرِجَهُ عن جملةِ دينِ اللهِ وتَنزِعَهُ عن وِلايةِ اللهِ ولا تُؤمِنَهُ من سَخَطِ اللهِ، وهيَ: الشِّركُ باللهِ والكُفرُ بهِ وبِنُبوّةِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وولايةِ عليٍّ عليه السلام وخُلَفائِهِ، كُلُّ واحدَةٍ من هذهِ سَيِّئةٌ تُحيطُ بهِ»[1]، وقالَ البيضاوي: «تحقيقُ ذلكَ: أنَّ مَن أذنبَ ذنبًا ولَم يَقلعْ عنهُ استَجرَّهُ إلى مُعاودَةِ مثلهِ والانهماكِ فيهِ وارتكابِ ما هوَ أكبرَ منهُ حَتَّى يَستوليَ عليهَ الذَّنبُ، ويأخذَ بمجامعِ قَلبهِ فَيصِير بطبعِهِ مائلًا إلى المعاصي مُستَحسِنًا إيَّاها، مُعتقِدًا أن لا لَذَّةَ سِواها، مُبغضًا لِمَن يَمنعَهُ عنها، مُكَذِّبًا لِمن يَنصحُهُ فيها، كَما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾[2]»[3].

﴿فَأُولَئِكَ﴾، أي: عامِلُوا هذهِ السَّيِّئةِ المُحيطةِ وفاعِلوها **﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾** مُلازمو نارِ جَهنَّمَ ومُصاحِبوها في الآخرةِ، كَما أنَّهم مُلازمو أَسبابِها ومُوجباتِها في الدُّنيا نِيَّةً وعَمَلًا، **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، أي: دائمونَ فيها أبدًا؛ لأنَّ نِيّاتِهم كانت في الدُّنيا أن لَو خُلِّدُوا فيها أن يَعصُوا اللهَ أبدًا، فبالنِّيّاتِ خُلِّدُوا، إنَّما الأعمالُ بالنِّيّاتِ، كَذا في الكافي عنِ الصّادقِ عليه السلام[4].

وفي كِتابِ التّوحيدِ: «بإسنادِهِ إلى ابنِ أبي عُميرٍ قالَ: سَمعتُ موسى بنَ جعفرٍ الكاظمَ عليه السلام يقولُ: لا يُخلِّدُ اللهُ في النّارِ إلّا أهلُ الكُفرِ والجُحودِ وأهلُ الضَّلالِ والشِّركِ»[5]، وفي الكافي: عن أحدِهِما عليهما السلام قالَ: «إذا جَحَدوا إمامةَ أَميرِ المؤمنينَ عليه السلام **﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**»[6]، وفيهِ: بإسنادِهِ إلى صَبّاح المزنِي عن أبي حمزةَ عَن أَبي عبدِ الله عليه السلام في قَولِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ **﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾** قالَ: إذا جَحَدَ إمامةَ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام **﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٤.

(٢) سورة الروم ٣٠: ١٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ١: ٩٠

(٤) ينظر: الكافي: ٢: ٨٥، حديث رقم: ٥.

(٥) التوحيد: ٤٠٧.

(٦) الكافي: ١: ٤٢٩، حديث رقم: ٨٢.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

ولمَّا جَرَت عادتُهُ سبحانهُ على أن يشفَعَ وَعدَهُ بوَعيدِهِ لِيُرجى رحمتهُ ويُخافُ عَذابُهُ ويُرغَّبُ ويُرهَّبُ كَما هوَ القاعدةُ في الموعظةِ؛ لِيكونَ المؤمنُ معَ الأعمالِ الصّالحةِ واقِعًا بينَ الخَوفِ والرّجاءِ، فَلا يَأمنُ مَكرَ الله ولا ييأَسُ مِن رَوحِهِ ولا يَقنَطُ من رَحمتِهِ قالَ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**؛ لأنَّ نِيّاتِهم في الدُّنيا أن لَو خُلِّدُوا فيها أن يُطيعُوا اللهَ ورسولَهُ وأُولي الأَمرِ أَبدًا ويَعمَلُوا بموجِباتِها دائمًا فَبالنِّيّاتِ خُلِّدوا في الجَنَّةِ، كَما في الكافي: عنِ الصّادقِ عليه السلام: « ثمَّ تَلا قَولَهُ تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[2] قالَ: عَلى نِيَّتِهِ»[3]، وعَطفُ العَمِلِ الصّالحِ على الإيمانِ يدُلُّ على خُروجِهِ عَن مُسَمّاه؛ لأنَّ الشّيءَ لا يُعطَفُ على نفسِهِ كَما مَرَّ تحقيقُهُ في أوّلِ السّورةِ.

والمرادُ بالخُلودِ في الآيتينِ هوَ: الدّوامُ لا اللّبثُ الطّويلُ المنقطِعُ، وبالسَّيِّئةِ المحيطةِ: ما يُوجِبُ الخُلودَ في النّارِ كَما مَرّت في الرّواياتِ المذكورةِ ونَحوِها لا مُطلَقِ الكَبيرةِ الّتي تدرُكُ صاحبَها الشّفاعةُ كَما مَرَّ بيانُهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[4] مُفصَّلًا مُستوفًى.

---

(١) الكافي: ١: ٤٢٩، حديث رقم: ٨٢.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٨٤.

(٣) الكافي: ٢: ٨٥، حديث رقم: ٥.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٤.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣)﴾ آيةٌ: [٤٠١]

القراءة:

قَرأَ عَبدُ الله بنُ كثيرٍ المكّيُّ وحمزةُ والكسائيُّ: لا يَعبُدُونَ بالياءِ بالنّظرِ إلى ما قَبل؛ لأنَّ الأسماءَ الظّاهرةَ كلَّها غُيَّبٌ فَحملُهُ على لفظِ الغَيبَةِ كَقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾[1]، والباقون: بالتّاءِ حكايةً؛ لِما خُوطِبوا بهِ؛ وباعتبارِ المعنى؛ وبالنَّظرِ إلى ما بعدهِ مِن نَحوِ: قولوا وغيرِهِ[2]، وقُرِئَ لا تَعبُدوا بصيغةِ النّهي حَملًا على المعنى[3]، كَما يَجيءُ في الإعرابِ، وقُرِئَ: أن لا تَعبُدُوا[4].

وقَرأَ حمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ: حَسَنًا بفتحِ الحاءِ والسّينِ معًا على أنَّهُ صفةٌ مُشبَّهةٌ، والباقونَ: حُسْنًا بضَمِّ الحاءِ واسكانِ السِّينِ على أنَّهُ مصدرٌ كالشُّكرِ والكُفرِ، أو صِفَةٌ مُشبَّهةٌ كالبُخلِ والرُّشدِ بمعنى: البَخيل والرَّشّيد، وجازَ ذلكَ في الصِّفَةِ كَما جازَ في الاسمِ، قالُوا: العُرْبَ والعَرَبَ وهوَ أُستُعمِلَ صفةٌ نحو: مَررتُ بقَومٍ عربٍ أجمعون، وقُرِئَ حُسُنًا بضَمَّتينِ وهوَ لغةُ أهلُ الحجازِ، وحَسْنًا وحُسْنَى على المصدرِ كَبُشْرَى، أو على الصِّفَةِ ضِدُّ السّوآى[5] كَما مَرَّ في الآيةِ السّابقَةِ.

اللغة:

الأخذُ: ضِدُّ الإعطاءِ والإطلاقِ، والأَخْذُ: القَبضُ، والميثاقُ: قَد مَرَّ لغةً، وكَذا العبادةُ، والوالدينِ: الأَبوانِ نَسَبًا أو إِحسانًا، والإحسانُ: البِرُّ والعَطفُ، وضِدُّ الإساءَةِ، وهوَ مُحسِنٌ،

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٣٨.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢: ٢١٨، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر: ١: ٤٥.

(٣) وهي قراءة ابن مسعود. ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٦٢.

(٤) ذكر هذه القراءة البيضاوي في تفسيره: ١: ٩١.

(٥) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢: ٢١٨، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر: ١: ٤٥.

والحَسَنةُ: ضِدُّ السَّيِّئةِ، والقُربى: مَصدرُ قولِهِم: قَرُبَت مِنِّي رَحِمُ فُلانٍ قَرابَةً وقُربى، وفِعلُهُ قَرُبَ كَكَرُمَ ونَحو: قَرِبَهُ كَسَمِعَ قُرْبًا وقُربانًا: دَنى، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[1]، و﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[2]، و﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[3]، والمقرَبةُ: مُثَلّثةُ الرّاءِ، والقُربَةُ والقَرابَةُ والقُربَى كُلُّها مصادرٌ.

معاني اليتيم في النّاسِ وغيرِهِ:

واليتامى: جمعُ يَتيمٍ كَندامى ونَديمٍ وأيامَى وأَيِّمٍ، واليَتيمُ منَ الإنسانِ هوَ: الذي ماتَ أَبوهُ قبلَ أن يَبلُغَ، ولا يُقالُ لِمَنْ ماتَت أُمُّهُ: يتيمٌ، وفِعلُهُ يَتَم كَضَرَب وعَلِمَ يُتْمًا ويَتْمًا وهوَ: يَتيمٌ ويَتْمانٌ ما لَم يَبلُغِ الحُلُمَ، والجَمعُ: أَيتامٌ ويَتَامَى ويَتَمَةٌ، واليُتْمُ بالضَّمِّ: الانفرادُ، وفقدانُ الأَبِ أو الإمامِ وغَيبَتِهِ، وفي البَهائِمِ: فقدانُ الأمِّ، واليَتيمُ في الدُّرِّ: ما لا أُختَ لهُ، واليَتيمُ: الفَردُ وكُلُّ شيءٍ يَعزُّ نَظيرُهُ.

والمسكينُ: المُتذَلِّلُ المُتَخَشِّعُ منَ الحاجَةِ، مَأخوذٌ منَ السّكونِ كأَنَّهُ أَسكنَهُ الفَقْرُ منَ الحِراكِ، قالَ تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[4]، والمسكَنَةُ: فَقْرُ النَّفسِ كَما قالَ تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[5] كَما مَرَّ، وتَمَسْكَنَ: إذا أَظهرَ الذُّلَّ والمَسكنَةَ، وتَشَبَّهَ بالمساكينِ، وكُلُّها يَدورُ معناها على الخُضوعِ والذِّلَّةِ وقِلَّةِ المالِ والحالِ السَّيِّئةِ، واستكانَ: إذا خَضَعَ وفي الحديثِ: «اللّهُمَّ أَحيِنِي مِسكِينًا وأَمِتنِي مِسكِينًا واحشُرنِي في زُمرَةِ المساكِينِ»[6]، أرادَ بهِ: التَّواضُعَ والاخباتَ وأن لا يكونَ منَ الجَبّارينَ المُتكَبِّرينَ، ولَم يُرِدْ الفَقْرَ وسُوءَ الحالِ وقِلَّةَ المالِ؛ لأنَّ الفقْرَ ثلاثةٌ: مثلَ قولِهِ ﷺ: «كادَ

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٣٤.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٣٢.

(٣) سورة النساء ٤: ٤٣.

(٤) سورة البلد ٩٠: ١٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٨٥، وبحار الأنوار: ٦٩: ١٧، حديث رقم: ١٥.

الفَقْرُ أن يكونَ كُفرًا»[1] و مثلَ قولِهِ عليه السلام: «الفَقْرُ سَوادُ الوَجهِ في الدَّارَينِ»[2] ومثلَ قولِهِ عليه السلام: «الفَقْرُ فَخري»[3] هذا هوَ المُرادُ بِهِ التَّواضُعُ والاخباتُ وهوَ الفَقْرُ إلى اللهِ فقط، وفي الحديثِ: إنَّهُ قالَ عليه السلام للمُصَلِّيَ: تَمَسكَنْ[4]، أي: تَذلَّلْ وتَخضَّعْ، وهوَ تَمَفْعَل منَ السّكونِ، والقياسُ: تَسَكَّنَ وهوَ الأكثرُ والأفصحُ، وقَد جاءَ على الأوَّلِ أَحْرُفٌ قَليلةٌ، قالوا: تَمَدْرَعَ وتَمَنْطَقَ وتَمَنْدَلَ وتَمَسْكَنَ كَما بُيِّنَ في موضعِهِ، والقِياسُ: تَدَرَّعَ وتَنَطَّقَ وتَنَدَّلَ وتَسَكَّنَ، والحُسْنُ بالضَّمِّ: الجمالُ، وجَمعُهُ: مَحاسنُ على غيرِ قياسٍ، حَسُنَ كَكَرُمَ ونَصَرَ فهوَ: حَسَنٌ وحاسِنٌ وحَسِينٌ كأَميرٍ، وحُسانٌ كغُرابٍ، وحُسَّانٌ كرُمَّانٍ، الجمعُ: حِسانٌ وحَسَّانونَ.

والتَّوَلِّي والتَّولِيَةُ: الإدبارُ والإعراضُ، يقالُ: وَلَّى تولِيَةً: أَدبَرَ، كَتَولَّى، وتَولَّى عنهُ: أَعرَضَ، والإعراضُ في الأصلِ: الذَّهابُ عنِ المواجَهَةِ إلى جهَةِ العَرْضِ.

الإعراب: [٤٠٢]

قَد مَرَّ إعرابُ (إذ) مِرارًا، و(ميثاقَ): مفعولٌ بِهِ لـ(أخذنا)، وفي قولِهِ: (لا تَعبُدونَ) وجوهٌ أَربعَةٌ:

أحدُها: أن يكونَ حالًا، فَالأولى حينئذٍ أن يُقرَأَ (لا يَعبُدونَ) بالياءِ؛ ليكونَ في الحالِ ضميرٌ من ذي الحالِ، فكَأَنَّهُ أخذنا ميثاقَهُم مُوحِّدِينَ.

وثانيها: أن يكونَ في اللّفظِ إخبارًا وفي المعنى إنشاءً[5]، وهذا أحسنُ الوجوهِ فيهِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[6] وهذا أَبلَغُ مِن صَريحِ النَّهيِ لِما فيهِ من إيهامِ أنَّ المنهيَّ سارَعَ إلى الانتهاءِ،

---

(١) الكافي: ٢: ٣٠٧، حديث رقم: ٤، والأمالي للصدوق: ٣٧١، حديث رقم: ٤٦٥.

(٢) عوالي اللئالي: ١: ٤٠، حديث رقم: ٤١، ورياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: ٢: ٦٠٤.

(٣) عوالي اللئالي: ١: ٣٩، حديث رقم: ٣٨، وبحار الأنوار: ٦٩: ٥٥، حديث رقم: ٨٥.

(٤) ينظر: السنن الكبرى: ٧: ١٢، والفائق في غريب الحديث: ١: ٦٣.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: نهيًا، وهو إنشاءٌ.

(٦) سورة البقرة ٢: ٢٨٢.

فهوَ يُخبِرُ عنهُ، ويَعضُدُهُ قِراءَةُ (لا تَعبُدُوا) بصيغةِ النّهي، وعلى هذا الوَجهِ لا بدَّ مِن تَقديرِ القَولِ، والتّقديرُ: وإذ أَخَذنا ميثاقَهُم قُلنا لَهُم: لا تَعبُدونَ إلَّا اللهَ.

تنبيه: ذكرُ النُّكاتِ المعانيّةِ لذكرِ الخَبرِ في مَوقِعِ الإنشاءِ:

اعْلَم أنَّ الخَبَرَ قَد يَقَعُ موقِعَ الإنشاءِ لِنُكتةٍ، إمَّا للتَّفأُّلِ بلَفظِ الماضِي دلالةً على أنَّهُ كأنَّهُ قد وَقعَ، نحو: وَفَّقَكَ اللهُ للتّقوى، مَقامَ لِيوَفِّقكَ، وإمَّا لإظهارِ الحِرصِ في وقوعِهِ لِما تبيَّنَ أنَّ الطّالبَ إذا عَظُمَ رَغبَتُهُ في شيءٍ يَكثُرُ تَصوّرُهُ إيَّاهُ، فَربَّما يُخيَّل ذلكَ حاصِلًا إليهِ، نحو: رزَقَني اللهُ لقاءَكَ، في مقامِ لِيَرزُقَني، وإمَّا لِلاحتِرازِ عن صورةِ الأَمرِ كَقولِ العَبدِ لمولاهُ: ينظرُ المَولى إليَّ ساعةً في مقامِ أُنظُرْ؛ لِأنَّهُ في صورةِ الأَمرِ وإن قُصِدَ بهِ الدّعاءُ أو الشّفاعةُ في الحقيقةِ، وإمَّا لِحَملِ المُخاطَبِ على المطلوبِ بأن يكونَ المُخاطَبُ ممَّن لا يُحِبُّ أن يُكَذِّبَ المتكلِّمُ الطّالبُ، أي: يُنسَبَ إلى الكذبِ، كَقولكَ لِصاحبِكَ الذي لا يُحِبُّ تكذيبَكَ: تأتيني غَدًا مقامَ ائتِنِي تَحملُهُ بأَلْطَفٍ على الإتيانِ؛ لأنَّهُ إذا لَم يأتِكَ صِرتَ كاذبًا من حيثُ الظّاهر لكَونِ كلامِكَ في صورةِ الخَبرِ، وما نحنُ فيهِ من هذا القِسمِ الأخيرِ، أَعني: لِحَملِ المُخاطَبِ على المطلوبِ.

وثالثُها: أن يكونَ على تقديرِ: (أن لا تَعبُدوا) والتّقديرُ: أخذنا ميثاقَهُم بأن لا تَعبُدوا إلَّا اللهَ، فيكونُ حينئذٍ (أن لا تَعبُدُوا) بَدلًا منَ الميثاقِ، أو مُتعلِّقًا بالميثاقِ على حَذفِ الجارِّ، فَلَمّا حُذِفَت (أن) ارتَفَعَ الفعلُ، ومِن ذلكَ قولُهُ تعالى في سورةِ الرّومِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، أي: أن يُرِيكُم، وإنَّما يجبُ تقديرُ أن في هذهِ الآيةِ؛ لِكونِ قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خَبرًا مُقدَّمًا، ويُرِيكُم مُبتدأً مُؤخَّرًا، وبقرينةِ الآياتِ الّتي قَبلَها كَقَولِهِ تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾[2] وقولِهِ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[3] الآية،

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٢٤.

(٢) سورة الروم ٣٠: ٢٠.

(٣) سورة الروم ٣٠: ٢١.

وقولِهِ تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] الآية، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] الآية، وبقَرينَةِ ما بعدَها كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[3] الآية، فَلَمَّا حُذِفَت ارتَفَعَ الفِعلُ، ومثل قَولِ طرفَةَ:

أَلا أيُّهذا اللّائِمي أَحضُرُ الوَغى[4] وإن أشهدَ اللّذّاتِ هَل أَنتَ مُخْلِدي [5]

ورُوِيَ الزّاجِرِي[6] بدلُ اللّائِمي، قُرِئَ بنَصبِ أحْضُرَ، أي: أن أَحضُرَ فَلَمَّا حُذِفَ (أن) جازَ رفعُهُ على القِياسِ، ونَصبُهُ شاذًّا، وقَرأَ الحَسَنُ: تأمُرونِّي أَعبُدَ بالنّصبِ، والباقونَ بالرّفعِ على القياسِ[7]، ويَعضُدُ هذا الوجهِ قراءَةُ: أن لا تَعبُدُوا.

ورابعُها: أن يكونَ لا تَعبُدونَ جَوابَ قَسَمٍ دلَّ عليهِ المعنى؛ لأنَّ أَخْذَ الميثاقِ في مَعنى القَسَمِ كأَنَّهُ قالَ: وإذ حَلَّفناهُم لا تَعبُدون إلَّا اللهَ، وقولُهُ: إِلَّا اللهَ مستثنًى مُفرَّغٌ معربٌ على حَسَبِ العَوامِلِ، أي: لا تَعبُدون شيئًا أو أَحَدًا إِلَّا اللهَ وحدَهُ.

وقولُهُ: (وقولوا): عطفٌ على (لا تَعبُدونَ) معَ اختِلافِ لَفظَيهِما خبرًا وإنشاءً وذلكَ جائزٌ؛ لِكَونِهِما انشائيَّتينِ معنًى؛ لأنَّ قولَهُ: لا تَعبُدونَ: خَبرٌ في معنى الإنشاءِ، أي: لا تَعبُدوا، ولا يَحتاجُ إلى تقديرِ: قُلنا لَهم: قُولوا، كَما فعلَهُ بعضُهُم.

و(بالوالدينِ): مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ لا مَحالَّةَ، فيجوزُ أن يُقدَّرَ الخَبرُ في مَعنى الإنشاءِ والطّلبِ؛ لِيكونَ في اللّفظِ مُوافِقًا لِـ(تَعبُدونَ)، وفي المعنى مُوافقًا لِـ(قُولوا)، أي: وتُحسِنونَ بمعنى: وأحسِنُوا، فَتكونُ

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٢٢.

(٢) سورة الروم ٣٠: ٢٣.

(٣) سورة الروم ٣٠: ٢٥.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: والوغى: الحَربُ، والمعنى يا مَن يَلُومُني أن أَحضُرَ الحَربَ، وإن اتَّفقَ في الخَميسِ وغيرِها مِن أبوابِ الفُتوَّةِ والغَنيمةِ واللَّذّةِ، هَل في وَسعِكَ أن تخلدني ما أكفّ عن ذلكَ.

(٥) البيت من الطويل. ديوانه: ٢٥، والمقتضب: ٢: ٨٥.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: يا هذا الذي يزجرني.

(٧) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ٣٨٥، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر: ١: ٣٦٠.

الجملتانِ[1] خَبَرًا لَفظًا إنشاءً معنًى، وفائدةُ تَقديرِ الخَبَر ثمَّ جَعلُهُ بمعنى الإنشاءِ: أمَّا لَفظًا؛ فَلِلمُلائَمَةِ معَ قولِهِ تعالى، وأمَّا معنًى؛ فلِلمبالغَةِ باعتِبارِ أنَّ المُخاطَبَ كَأنَّهُ قد سارَعَ إلى الامتِثالِ فهوَ يُخبِرُ عنهُ كَما تقولُ لِصاحبِكَ: تَذهبُ إلى فُلانٍ وتقولُ لهُ كَذا وكَذا وأَنتَ تُريدُ الأَمرَ، أي: اذهَبْ إلى فُلانٍ وقُل لَهُ كَذا وكَذا كَما مَرَّ بَيانُهُ، ويجوزُ أن يُقدَّرَ مِن أوَّلِ الأَمرِ صَريحُ الإنشاءِ والطَّلَبِ على ما هوَ الظّاهر، أي: وأحسِنُوا بالوالدَينِ فتكونا إنشائِيَّتينِ معنًى، معَ أنَّ لفظةَ الأولى إخبارٌ ولَفظَةَ الثّانية إنشاءٌ.

وتُستَعمَلُ صِلَةُ أحسَنَ بـ(الباءِ) وبِـ(إلى)، أمَّا استعمالُها بالباءِ فَكَما في هذهِ الآيةِ، وفي قولِهِ تعالى في سورةِ يوسفَ: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾[2]، وأمَّا استِعمالُها بِـ(إلى) فكَقَولِهِ تعالى: ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[3] ولا يجوزُ أن يكونَ (بالوالدينِ) مُتعلِّقًا بـ(إحسانًا)؛ لأنَّ ما تَعَلَّقَ [٤٠٣] بالمصدَرِ لا يَتقدَّمُ عليهِ، و(إحسانًا): مفعولٌ مطلقٌ للفعلِ المحذوفِ، أي: وأَحسِنوا بالوالدين إِحسانًا، هذا [إن] أُريدَ بالوالدَينِ الأَبوانِ نَسَبًا، وأمَّا إذا أُريدَ بهما رسولُ الله ﷺ وعليٌّ عليه السلام كَما يَجيءُ في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام، فَإحسانًا: يجوزُ أن يكونَ تمييزًا ومفعولًا مُطلقًا أيضا بخلافِ الأوّلِ، و(ذي القُربى): عَطفٌ على (الوالدَينِ)، وكَذا: اليَتامَى والمساكِينُ.

قولُهُ: (حُسْنًا) بضَمِّ الحاءِ وسكونِ السِّينِ: إذا كانَ مَصدرًا: يكونُ نَعتًا لِمفعولٍ مُطلقٍ مَحذوفٍ على حَذفِ مُضافٍ، أي: قُولُوا للنَّاسِ قَولًا ذا حُسنٍ، وكَذا كُلُّ ما كانَ مَصدرًا منَ القِراءاتِ المذكورَةِ، وإذا كانَ صِفَةً: فهوَ نَعتٌ لمفعولٍ مطلقٍ مَحذوفٍ من غيرِ حاجَةٍ إلى حَذفِ مُضافٍ كَما لا يَحتاجُ إليهِ (حَسَنًا) بفَتحتينِ، وقولُهُ: (إلَّا قَليلًا): مُستثنَى مُتَّصِلٌ واجبُ النَّصبِ؛ لِكَونِ الكَلامِ مُوجبًا تامًّا، و(منكُم): نَعتٌ لقليلٍ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا تعبدون وتحسنون.

(٢) سورة يوسف ١٢: ١٠٠.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٧٧.

تحقيقُ مقامٍ في ذكرِ ناصبِ المستثنى بـ(إلّا):

اعْلَمْ أنَّ النُّحاةَ اختَلفوا في ناصِبِ الْمُستثنَى بـ(إلَّا) على ثَمانيةِ أَقوالٍ:

القَولُ الأوَّلُ: مَذهَبُ بعضِ البَصرِيِّينَ(١)، وهو: أنَّ العاملَ هوَ الْمُتَقدِّمُ بغَيرِ واسطةِ إلَّا، وإليهِ ذهَبَ الْمُبرِّدُ(٢) وابنُ خروفٍ(٣) والزَّجّاجُ في أَحدِ قوليهِ(٤).

الثّاني: إنَّهُ نفسُ إلَّا وَحدَها، وإليهِ ذَهبَ ابنُ مالكٍ(٥) وزَعَمَ أنَّهُ مذهَبُ سيبويه(٦) والْمُبَرِّدِ.

الثّالثُ: إنَّهُ الفِعلُ الْمُتقدِّمُ بواسطةِ إلَّا، وإلى هذا ذَهَبَ أبو سعيدٍ السّيرافيُّ(٧) والفارسيُّ(٨) وابنُ

---

(١) ينظر: شرح المفصّل لابن يعيش: ٢: ٧٦.

(٢) ينظر: المقتضب: ٤: ٣٩٠.

والمدقّقُ في قولِ المبرِّدِ يرى إنّ مذهبه يميل إلى القول الخامس لا الأوّل، إذ يقول: (نَحْو: مَا جَاءَنِي أحد إِلَّا زيد وَمَا مَرَرْت بِأحد إِلَّا زيد وَذَلِكَ لِأَنَّك لما قلت: جَاءَنِي الْقَوْم، وَقع عِنْد السَّامع أَنّ زيدا فيهم، فَلَمَّا قلت: إِلَّا زيدا كَانَت إِلَّا بَدَلا من قَوْلك: أَعنِي زيدا، وَاسْتثنى فِيمَن جَاءَنِي زيدا، فَكَانَت بَدَلا من الْفِعْل)، وهو القول الخامس.

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢: ٢٧٧.

ابن خروف: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي: نحوي، عالم بالعربية، له كتب، منها: شرح كتاب سيبويه، شرح الجمل للزجاجي، توفي سنة (٦٠٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٢: ٢٦، ترجمة رقم: ٢٠، والأعلام: ٤: ٣٣٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٤١.

الزّجّاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: نحوي لغوي، وُلِدَ وماتَ في بغداد، علّمهُ المبرِّدَ أصولَ النّحو، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، والأمالي في الأدب واللغة، توفي سنة (٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤: ٣٦٠، ترجمة رقم: ٢٠٩.

(٥) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢: ٢٧٧.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢: ٣١٠.

(٧) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

أبو سعيد السيرافي: الحسن بن عبد الله بن المرزبان: اللغوي النحوي، اخذ القراءات عن ابن مجاهد واللغة عن ابن دريد، والنحو عن ابن السراج، ولي القضاء، من تصانيفه: الاقناع في النحو، شرح المقصورة لابن دريد، صناعة الشعر، طبقات النحاة، توفي سنة (٣٦٧هـ). ينظر: هدية العارفين: ١: ٢٧١.

(٨) ينظر: الجنى الداني: ٥١٦.

الباذش[1].

الرَّابعُ: إنَّهُ تَمامُ الكَلامِ، فَإنَّهُ يَنتصِبُ كَما يَنتَصِبُ دِرهَمًا بعدَ عِشرينَ[2].

الخامسُ: إنَّهُ الفِعلُ المحذوفُ المفهومُ مِن دلالةِ الفَحوى كَاستَثنَى، وإليهِ ذَهبَ الزَّجّاجُ في أحدِ قوليهِ[3].

السادسُ: أنَّ العاملَ المخالفةُ المفهومةُ منَ الكَلامِ، أي: كونُ ما بعدَ إلَّا مُخالفًا لِما قَبلَها، وحُكِيَ ذلكَ عن الكِسائيّ في أحدِ قَوليهِ[4].

السّابعُ: أنَّ بفتحِ الهمزةِ وتَشديدِ النّونِ مَحذوفةً هيَ وخَبرُها بعدَ إلَّا، والتَّقديرُ في جاءَني القَومُ إلَّا زيدًا: إلَّا أنَّ زيدًا لَم يَقُمْ، حَكاهُ السِّيرافيُّ عنِ الكِسائيّ في أحدِ قَوليهِ[5].

الثّامنُ: مَذهَبُ الفرّاءِ وابنِ عُصفورٍ[6] وهو: أنَّ إلَّا مُرَكَّبَةٌ مِن (إنَّ) المكسورةِ المُشدَّدةِ و(لا) العاطفةِ حُذِفَتِ النُّونُ الثّانيةُ مِن إنَّ، وأُدغِمَتِ النُّونُ الأُولى السَّاكنةُ في لامِ (لا) فَإذا انتَصَبَ الاسمُ بعدَها فَبـ(إنَّ)، وإذا أُتبِعَ على ما قَبلَها في الإعرابِ فَـ(بِلا) العاطِفَةِ، فكان أَصلُ قامَ القومُ إلَّا زيدًا: قامَ القَومُ إنَّ زيدًا لا قامَ، أي: لَم يَقُمْ، فَـ(لا) لِنَفي حُكمِ ما قبلَ (إلَّا) ونَقضِهِ نَفيًا كانَ ذلكَ

---

(١) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

ابن الباذش: أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي: أديب نحوي، من تصانيفه: شرح أصول ابن السراج في النحو، شرح الايضاح لأبي على الفارسي، شرح كتاب سيبويه، توفي سنة (٥٢٨هـ). ينظر: توضيح المشتبه: ١: ٣٢٠، وهدية العارفين: ١: ٦٩٦.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٣: ١٥٠٦.

(٣) ينظر: همع الهوامع: ٢: ٢٧٤.

(٤) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

(٦) ينظر: الجنى الداني: ٥١٧.

ابن عصفور: علي بن موسى بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي: أبو الحسن النحوي: من تصانيفه شرح اشعار الستة، شرح ديوان المتنبي، كتاب الأزهار، كتاب البديع، توفي سنة (٦٦٩هـ). ينظر: هدية العارفين: ١: ٧١٢، والكنى والألقاب: ١: ٣٥٦.

الحُكمُ أو إثباتًا، فهوَ كَقولِكَ: كَأنَّ زيدًا أَسَدٌ الأصلُ عندَ الخليلِ ومَن وافقَهُ إنَّ زيدًا كَأسَدٍ فَقَدَّمُوا الكافَ ورَكَّبوهُ معَ إنَّ[1]. وهذهِ الأقوالُ الثّمانيةُ وما يَردُ على بعضِها ذكرناها مُفصَّلًا في زينةِ السّالكِ.

وجملةُ: (وأنتُم مُعرِضُونَ): حالٌ من فاعلِ (تَوَلَّيتُم) مفيدَةٌ للتّأكيدِ، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾[2]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾[3]، وقولِهِ: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[4]، و﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[5].

المعنى:

ثُمَّ عادَ سبحانُهُ إلى ذكرِ بَني إسرائيلَ بأَخذِهِ المواثيقَ المُتعدِّدةَ عليهم، فقالَ: **﴿وَإِذْ﴾**، أي: واذكُرُوا إذ **﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**، أي: عَهدَهُم المؤكَّدَ عَليهم من جِهةِ العَقلِ والشَّرعِ ومواثيقَ أَنبيائِهِم على أُمَمِهِم، والعَهدَ والميثاقَ يكونانِ بالقَولِ، فكأَنَّهُ قالَ: أَمَرناهُم و وَصَّيناهُم وأَكَّدنا عَليهِم **﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾**، أي: بأن لا تَعبُدوا أَحَدًا إِلَّا اللهَ وحدَهُ، أو أحلَفناهُم بِذاتي وجَلالِي وعَظَمَتِي لا تَعبُدونَ إِلَّا اللهَ وَحدَهُ، أو حالَ كَونِهِم موحّدينَ أو قُلنا لَهُم لا تَعبُدونَ إِلَّا اللهَ دونَ ما سِواهُ منَ الأندادِ والأَشباهِ ولا تُشبِّهونَهُ بخَلقِهِ ولا تُجوّرونَهُ[6] في حُكمِهِ، ولا تَعملونَ ما يُرادُ بهِ وَجهُهُ تُريدونَ بهِ وَجهَ غَيرِهِ.

قال الإمامُ[7] عليه السلام: «قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن شَغَلَتهُ عِبادةُ الله عَن مَسأَلَتِهِ أَعطاهُ اللهُ أَفضَلَ ما يُعطِي

(١) ينظر: همع الهوامع: ١: ٤٨٧.

(٢) سورة النمل ٢٧: ١٩.

(٣) سورة النمل ٢٧: ١٠.

(٤) سورة التوبة ٩: ٢٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٦٠.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا تنسبونه على الجور.

(٧) الإمام العسكريّ عليه السلام.

السّائلينَ»[١]، وقالَ الصّادقُ عليه السلام: «ما أَنعمَ اللهُ على عَبدٍ أَجَلَّ مِن أن لا يكونَ في قَلبِهِ معَ اللهِ غيرُهُ»[٢]، وهذا الميثاقُ وجميعُ تلكَ المواثيقِ الآتيةِ جاريَةٌ في أخلافِ بَني إسرائيلَ قَرنًا بعدَ قَرنٍ كَما كانَت جاريَةً في أَسلافِهم وفي هذهِ الأمَّةِ أيضًا مِن غيرِ فَرقٍ كَما يأتي بَيانُهُ في ذي القُربى ﴿وَ﴾ بأن تُحسِنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾ مِن جِهةِ التّوالدِ، ﴿إِحْسَانًا﴾ وهوَ الإحسانُ الذي أَخذَ عَليهم الميثاقَ وفَرَضَ عَليهم بأن يَفعلوهُ إليهِما مِن فِعلِ المعروفِ بهِما والقَولِ الجَميلِ وخَفضِ جِناحِ الذُّلِّ لَهما، والتَّحنُّنِ عَليهِما والرّأفةِ بهِما مُكافاة مِن إحسانِهِما إليهِم، والدّعاءُ والخَيرُ لَهما ممّا أَمرَهُ اللهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وآله واحتِمالِ المكروهِ الغَليظِ لِترَفيهِهِما، و«سُئِلَ الصّادقُ عليه السلام ما هذا الإحسانُ؟ قالَ: أن تُحسِنَ صُحبَتَهما وأن لا تُكَلِّفَهُما أن يَسألاكَ شَيئًا ممّا يَحتاجونَ إليهِ وإن كانا مُستغنَينِ»[٣]. [٤٠٤]

أَليسَ اللهُ تعالى يقولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤] وسَنُشيرُ إلى وجوبِ إنفاقِهِما في آخرِ الآيةِ إن شاءَ اللهُ، أو بأن تُحسِنوا بالوالدَينِ مِن جِهةِ الإحسانِ والهِدايةِ والإنعامِ الحَقيقي كَما تَجيءُ الإشارةُ إلى ذلكَ في تفسيرِ الإمامِ عليه السلام.

﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾، أي: وبأن تُحسِنوا بذِي القُربى: بأن تَصِلُوا قَرابَتَهُ ورَحِمَهُ على الوَجهِ اللّائقِ، ﴿وَالْيَتَامَى﴾، أي: بأن تُحسِنوا باليَتامَى أن تَعطِفُوا عَليهِم بالرّأفةِ والرّحمةِ وإيصالِ ما يَحتاجونَ إليهِم، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾، أي: وبالمساكِينِ بأن تُعطُوهُم حقوقَهُم الّتي أَوجبَها اللهُ تعالى في أَموالِكُم مِنَ الزّكاةِ المفروضَةِ والمندوبَةِ، وقولِهِ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فيهِ عُدُولٌ إلى الخِطابِ الإنشائِي[٥] بعدَ الخَبَرِ، وأَجازَتِ العَربُ ذلكَ إذا كانَ الخَبَرُ عَمَّن يُخاطِبُ بعَينِهِ لا عَن غَيرِهِ وقد يُخاطِبونَ أيضًا ثمَّ يصيرونَ بعدَ الخِطابِ إلى الخَبَرِ، مثالُ الأوَّلِ: الآيةُ المذكورةُ، وقَولُ عَنتَرَةَ:

---

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٢٧، حديث رقم: ١٧٥.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٢٨، حديث رقم: ١٨٥، وبحار الأنوار: ٦٧: ٢٤٩، حديث رقم: ٢٥.

(٣) الكافي: ٢: ١٥٧، حديث رقم:١، ومن لا يحضره الفقيه: ٤: ٤٠٨، حديث رقم: ٥٨٨٣.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٩٢.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: بقسميهِ منَ الغَيبة على قراءةِ لا يعبُدون بالياءِ، ومنَ الخطابِ على قراءَتهِ بالتّاءِ.

شَطَّت مَزارُ العاشِقينَ فَأَصبَحَت عَسِرًا على طلابِكِ ابنةَ مَخرمِ [1]

ومثالُ الثّاني: قولُ كُثيرُ عَزَّةَ:

أسيئِي بنا أو أَحسِنِي لا مَلومةٌ لَدينا ولا مَقليَّةٌ إن تَقَلَّتِ [2]

والتَّقديرُ: وقُلنا لهُم: قُولُوا للنّاسِ قَولًا حَسَنًا سَمَّاهُ حُسنًا للمُبالغَةِ أو عَلى المواطأةِ إذا كانَ وَصفًا كَما بَيانُهُ في الإعرابِ، أي: قَولًا جميلًا وخُلقًا كَريمًا ممَّا ارتَضاهُ اللهُ وَاحبَّهُ ويَدخُلُ فيهِ الأَمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكَرِ؛ لأنَّ كِليهِما حَسَنٌ مَرضِيٌّ ومَحبوبٌ لهُ سبحانُهُ.

وفي المجمَعِ: (روى جابرٌ الجُعفي عَن أَبي جعفرٍ الباقِرِ عليه السلام في قَولِهِ تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ قالَ: قُولُوا للنَّاسِ أَحسَنَ ما تُحِبُّونَ أن يُقالَ لكم فَإنَّ اللهَ يُبغِضُ اللَّعّانَ السَّبَّابَ، الطَّعّانَ على المؤمنينَ، الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ، السّائِلَ المُلحِفَ، ويُحِبُّ الحَيِّيَّ الحليمَ، العَفيفَ المُتعَفِّفَ)[3].

ثمَّ قالَ صاحبُ المجمَعِ: (واُختُلِفَ فيهِ من وَجهٍ آخَرَ، فقيلَ: هوَ عامٌّ في المؤمِنِ والكافِرِ ـ يعني: إنَّ النّاسَ في ﴿**لِلنَّاسِ**﴾ يَشملهُما ـ على ما رُوِيَ عنِ الباقرِ عليه السلام .

وقيلَ: هوَ خاصٌّ في المؤمِنِ، واختَلفَ مَن قالَ إنَّهُ عامٌّ، فقالَ ابنُ عَبّاس وقتادةُ: إنَّهُ مَنسوخٌ بآيةِ السّيفِ[4]، وبِقولِهِم عليهم السلام: «قاتِلوهُم حَتّى يَقولوا لا إلهَ إلّا اللهُ أو يُقِرُّوا بالجِزيَةِ»، وقَد رُوِيَ ـ أيضًا عنِ الباقِرِ عليه السلام كَما يَجيءُ و ـ عنِ الصّادِقِ عليه السلام أيضًا، وقالَ الأَكثرونَ أنَّها لَيسَت بمَنسوخَةٍ؛ لأَنَّهُ يُمكِنُ قِتالُهُم معَ حُسنِ القَولِ في دعائِهِم إلى الإيمانِ كَما قالَ تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5] وقالَ في آيةٍ أُخرى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[6])[7] انتهى كلامُ صاحِبِ المجمَعِ.

---

(١) ديوانه: ١٨٦، وينظر: لسان العرب: ٧: ٣٣٤، (شطط).

(٢) ديوانه: ٥٧، وينظر: الشعر والشعراء: ١: ٥٠٦.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٨٦.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصّاص:١: ٤٧.

(٥) سورة النحل ١٦: ١٢٥.

(٦) سورة الأنعام ٦: ١٠٨.

(٧) مجمع البيان: ١: ٢٨٦.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾، أي: أَدُّوها بِتَمامِ حُدُودِها الواجبةِ عليكم.

حديثٌ نفيسٌ في ذكرِ الصّلواتِ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وإلّا لَمْ تُقبَلِ الصّلاةِ:

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «وأَقيمُوا الصّلاةَ بتَمامِ ركوعِها وسُجُودِها وحِفظِ مَواقيتِها وأَداءِ حقوقِها الّتي إذا لَمْ تُؤدَّ لَمْ يَتَقبَّلْها رَبُّ الخلائقِ، أَتَدرونَ ما تلكَ الحقوقُ؟ هوَ اتْباعُها بالصَّلاةِ على مُحَمَّدٍ و عَليٍّ وآلِهِما مُنطَوِيًا على الاعتِقادِ بأنَّهم أَفضَلُ خِيرةِ الله والقُوَّامِ بحقوقِ الله والنُّصّارِ لدينِ الله»[1]، وقالَ عليه السلام: «وأَقيمُوا الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ عندَ أَحوالِكُم ورِضاكُم وشِدَّتِكُم ورَخائِكُم وهُمومِكُم المُعلَّقةِ بقُلوبِكُم»[2].

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، أي: اعطُوها أَهلَها من الأصنافِ الثّمانيَةِ كَما أَوجبَها اللهُ عليكُم وأَمرَكُم بها، وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «وآتُوا الزَّكاةَ منَ المالِ والجاهِ وقُوَّةِ البَدَنِ»[3]، وهذا التّفسيرُ أَحسَنُ وأَشمَلُ، وهذهِ المواثيقُ كُلّها جاريَةٌ في هذهِ الأُمَّةِ كَما أَشرنا إليهِ سابقًا.

وفي المجمَعِ: (قالَ ابنُ عَبّاسٍ: إنَّ الزّكاةَ الّتي فَرَضَها اللهُ سبحانهُ على بَني إسرائيلَ كانَت قُربانًا تَهبِطُ إليهِ نارٌ من السَّماءِ فَتَحمِلُهُ فكانَ ذلكَ تَقَبُّلُهُ، ومَتى لَمْ تَفعلِ النّارُ بِهِ ذلكَ كانَ غيرَ مُتَقَبَّلٍ)[4]، انتهى.

مناقشةٌ على ابنِ عبّاسٍ:

وفي قَولِ ابنِ عبّاسٍ نَظَرٌ ظاهرٌ: فإنَّ ذلكَ القُربانَ ليسَ من الزَّكاةِ ولَمْ يُسَمَّ بها أَصلًا، والمُستَحِقُّ في زمنِهِم موجودٌ بَل أَكثرَ مِن زمنِ هذهِ الأُمَّةِ، بَل الزَّكاةُ واجبَةٌ في أَموالِهِم للفُقراءِ والمساكِينِ كَما تَجبُ في أَموالِ المسلمينَ مِن غَيرِ فَرقٍ؛ لأنَّهم مُكلَّفونَ بِفروعِ الدّينِ وأُصولِهِ كالمسلِمينَ مِن غَيرِ تَفرِقَةٍ، بَل ذلكَ القُربانُ أَمرٌ آخَرُ غيرَ الزَّكاةِ وكانَ ذلكَ فيهِم دليلًا على صِدقِ مُدَّعي النُّبوَّةِ والإمامةِ، ومَن

---

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٦٤، حديث رقم: ٢٥٣.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٢٦، حديث رقم: ١٧٤.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٦٤، حديث رقم: ٢٥٤.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٨٦.

كانَ مُحِقًّا ومَن كانَ مُبطِلًا كَما حَكَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَنهم في سورةِ آلِ عِمرانَ بقولِهِ: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾[1]، وكَما في سورةِ المائدةِ عَن ابني آدمَ قابيلَ وهابيلَ في استِحقاقِ الإمامةِ والرِّسالةِ والخِلافةِ لآدمَ عليه السلام، كَما يَجيءُ بَيانُ ذلكَ في الرِّواياتِ الصّحيحةِ والمُعتبَرةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾[2] الآية.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: أَعرضتُم أَيُّها اليَهودُ عنِ الوَفاءِ بالميثاقِ والعَهدِ الّذي أَدّاهُ إليكُم أَنبياؤُكُم وأَسلافُكُم فأَخبَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عنِ اليَهودِ بأَنَّهُم نَقَضُوا ميثاقَهُ ونَكَثوا عَهدَهُ وخالَفوا أَمرَهُ وتَوَلَّوا عنهُ مُعرضينَ إِلَّا القَليلَ مِنهم مِمَّن عَصَمَهُ اللهُ فَوَفَى بعهدِ اللهِ ومِيثاقِهِ، وهُمُ الّذينَ أَسلَموا منهم كَعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأَمثالِهِ. [٤٠٥]

مُناقشةٌ على صاحبِ الكَشّافِ والبيضاوي بوَجهينِ:

وفي كَونِ (تولَّيتُم) التِفاتًا كَما قالَهُ صاحبُ الكَشّافِ[3] وتبِعهُ البَيضاوي[4] نَظَرٌ ظاهرٌ على ما عَرَّفَهُ عُلَماءُ المعاني وما تَداوَلَ بينَهم إِلَّا أن يُريدا بالالتفاتِ: تَغييرَ الأُسلوبِ مِنَ المضارعِ المخاطَبِ أو الأَمرِ المخاطَبِ إلى ماضي المخاطَبِ، أو يقالُ: إِنَّهُ التِفاتٌ بالنَّظَرِ إلى (لا يَعبُدونَ) إن قُرِئَ بالياءِ وإِلَّا فَلا التفاتَ فيهِ أَصلًا؛ لأنَّ (لا تَعبُدونَ)، والفِعلَ المحذوفَ، وقُولُوا، وتَولَّيتُم كُلَّها: خِطابٌ، ولَم يُغَيَّرْ إلى الغَيبَةِ، أو التَّكلّمِ، حَتّى يكونَ تَولَّيتُم التفاتًا مُصطَلَحًا عليهِ، وفي كَونِ تَوَلَّيتُم التفاتًا بالنَّظَرِ إلى (لا يَعبُدونَ) بالياءِ التّحتانيّةِ نَظَرٌ أيضًا؛ لأنَّ الالتفاتَ حينئذٍ يكونُ في (قُولُوا) دونَ (تَوَلَّيتُم) ودونَ (وأَنتُم مُعرِضونَ)؛ لأَنَّهُما جاريانِ على طَريقةِ (قُولُوا) كَما أَنَّ الالتفاتَ في سورةِ الحَمدِ كانَ في (إِيَّاكَ نَعبُدُ) فقط بالنَّظَرِ إلى ما قَبلها، وأمَّا (وإِيّاكَ نَستعينُ) و(اهدِنا) و(أَنعمتَ)

(١) سورة آل عمران ٣: ١٨٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ٢٧.

(٣) ينظر: الكشّاف: ١: ١٥٩.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ٩١.

فَليسَ فيها التفاتٌ؛ لأنَّها جَرَت على طَريقةِ (إِيَّاكَ نعبُدُ)، كَما نَصُّوا على ذلكَ قاطبَةً، والخِطابُ في (تَوَلَّيتُم) للمَوجودينَ مِنَ اليَهودِ زَمنَ رسولِ الله ﷺ، أو لَهُم ولِمَن قَبلهم فَذَمَّ سبحانَهُ كُلَّهُم بذلكَ(1).

نكتةٌ معانيّةٌ:

وقولُهُ: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَن ذلكَ العَهدِ والميثاقِ غافلينَ عنهُ تاركينَ لهُ، وإنَّما جَمعَ بينَ التَّولّي والإعراضِ معَ أنَّ معناهُما واحِدٌ للتّأكيدِ والتّحقيقِ في إعراضِهِم كَما ذكرناهُ في الإعرابِ.

وقيلَ: مَعنى التَّولّي: فِعلُ الإعراضِ، ومَعنى (وأَنتُم مُعرِضونَ): مُستَمرُّونَ على ذلكَ، وأَنتُم قَومٌ عادَتكُم الإِعراضُ عنِ الطَّاعةِ والوَفاءِ بالمَواثيقِ فَيكونُ تَأسيسًا، وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: في قولِهِ تعالى: ﴿وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: أفضَلُ والدَيكُم وأحقُّهُما بشُكرِكُم مُحمَّدٌ وعَليٌّ»(2)، و«قالَ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: أَنا وعَليٌّ أَبوا هذهِ الأُمَّةِ، ولَحَقُّنا عَليهِم أَعظَمُ مِن حَقِّ أَبوَي وِلادتِهِم فإنَّا نُنقِذُهُم إن أَطاعُونا منَ النَّارِ إلى دارِ القَرارِ، ونُلحِقُهُم منَ العبوديَّةِ بخِيارِ الأحرارِ»(3)؛ ولِهذا(4) صارَ المؤمنونَ إِخوةً.

ذكرُ فضائلِ إحسانِ ذي القُربى، وإحسانِ قُربى رسولِ الله ﷺ:

﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾: وأن تُحسِنُوا بقَراباتِهما لِكَرامتِهما، وقالَ أيضًا: «هُم قَراباتُكَ من أَبيكَ وأُمّكَ، قيلَ لكَ: اعرف حَقَّهم كَما أَخذَ العَهدَ بهِ على بَني اسرائيلَ وأَخذَ عليكُم مَعاشِرَ أُمَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ بمَعرفةِ حقِّ قَراباتِ مُحمَّدٍ الّذينَ هُم الأئمّة عليهم السلام بعدَهُ، ومَن يَليهم مِن خِيارِ أَهلِ دِينِهِم»(5).

---

(1) ومنه في حاشية الأصل: أي: بنقضِهِم الميثاقَ ونكثِهِم عهدَ الله ومخالفتهم أمرهُ سبحانهُ وتولّيهم عنهُ معرضينَ كَما مرَّ.

(2) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٣٣٠، حديث رقم: ١٨٩.

(3) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٣٣٠، حديث رقم: ١٩٠.

(4) ومنه في حاشية الأصل: أي: من أجلِ أنَّ محمَّدًا وعليًّا أَبوا هذهِ الأُمّةِ.

(5) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٣٤، حديث رقم: ٢٠١.

قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: مَن رَعَى حَقَّ قُرباتِ أَبَويهِ أُعطِيَ في الجَنَّةِ أَلفَ أَلفِ دَرجةٍ ثمَّ قالَ: ومَن رَعى حَقَّ قُربَى مُحمَّدٍ وعَليٍّ عليهما السلام أُوتيَ مِن فَضائِلِ الدّرجاتِ وزِيادةِ المَثوباتِ على قَدرِ زِيادةِ فَضلِ مُحمَّدٍ وعَليٍّ على أَبَوي نَسَبِهِ»(١).

ذكرُ اليَتامَى المُتعارفُ المشهورُ، واليتيمُ الّذي هوَ أَشَدُّ يُتمًا منهُم:

﴿**وَالْيَتَامَى**﴾: الّذينَ فَقَدوا آباءَهُم الكافلينَ لَهم أُمورَهم، السَّائقينَ إِليهِم قُوْتَهُم وغِذاءَهُم، المُصلحينَ لَهم مَعاشَهُم، قالَ عليه السلام: «وأَشدُّ مِن يُتمِ هذا اليَتيمِ(٢) مَن يَتِمَ عَن إِمامِهِ لا يَقدِرُ على الوُصولِ إليهِ ولا يَدري كَيفَ حُكمُهُ فيما يُبتَلى بهِ مِن شَرائِعِ دِينِه، أَلا فَمَن كانَ مِن شيعتِنا عالمًا بعُلومِنا، وهذا الجاهِلُ بشَريعَتِنا المُنقَطِعُ عن مُشاهدَتِنا يَتيمٌ في حِجرِه، أَلا فَمَن هَداهُ وأَرشَدَهُ وعَلَّمَهُ شريعَتَنا كانَ مَعَنا في الرَّفيقِ الأَعلى حَدَّثَني بذلكَ أَبي عن آبائِهِ عن رسولِ الله ﷺ»(٣).

ذكرُ إنَّ المساكينَ أيضًا قِسمانِ، وذِكرُ ثَوابِ مُواساتِهما:

﴿**وَالْمَسَاكِينِ**﴾، هوَ: مَن سَكَّنَ الضُّرُّ والفَقرُ حَرَكتَهُ، قالَ: «أَلا فَمَن واساهُم بحَواشِي مالِهِ وَسَّعَ اللهُ عليهِ جِنانَهُ وأَنالَهُ غُفرانَهُ ورِضوانَهُ، ثمَّ قالَ عليه السلام: وإنَّ مِن مُحِبِّي مُحمَّدٍ ﷺ مَساكينَ مُواساتُهم أَفضلُ مِن مُواساةِ الفُقراءِ، وهُم الّذينَ سَكَنَت جَوارحُهُم وضَعُفَت قُواهُم عَن مُقابلَةِ اَعداءِ اللهِ الّذينَ يُعَيِّرونَهُم بدِينِهِم ويُسَفِّهونَ أَحلامَهُم، أَلا فَمَن قَوَّاهُم بِفِقهِهِ وعِلمِهِ حَتّى أَزالَ مَسكَنَتَهُم ثمَّ سَلَّطَهُم على الأَعداءِ الظّاهرينَ مِنَ النّواصِبِ وعَلى الأَعداءِ الباطِنينَ إِبليسَ ومَرَدتَهُ حَتّى يَهزِموهُم عَن دينِ اللهِ ويَذودوهُم(٤) عَن أَولياءِ رسولِ الله ﷺ حَوَّلَ اللهُ تلكَ المَسكنَةَ إِلى شَياطِينِهِم وأَعجزَهُم عَن إِضلالِهِم، قَضَى اللهُ بذلكَ قَضاءً حَقًّا عَلى لِسانِ رسولِ الله ﷺ»(٥).

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٣٤، حديث رقم: ٢٠٢.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قد مَرَّ سابقًا في ذكرِ اللّغةِ: إنَّ فِعلَ اليتيمِ: يَتَمَ كَضَرَبَ وعَلِمَ: يُتْمًا ويَتْمًا فهوَ يتيمٌ.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٣٩، حديث رقم: ٢١٤.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: منَ الذّودِ وهو: المنعُ.

(٥) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٤٦، حديث رقم: ٢٢٦، و٢٢٧.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ الّذين لا مَؤنَةَ لَهُم عَليكُم: ﴿حُسْنًا﴾، عامِلُوهُم بخُلُقٍ جَميلٍ، قالَ: «قالَ الصّادقُ عليه السلام: قُولُوا للنَّاسِ حُسناً كُلِّهم مُؤمِنيهِم ومُخالِفيهِم، أمَّا المؤمِنونَ فَيَبسُطَ لهم وَجهَهُ وبشرَهُ، وأمَّا المُخالِفونَ فَيُكَلِّمَهُم بالمُداراةِ؛ لِاجتِذابِهِم إلى الإيمانِ، فإن يَيأَس مِن ذلكَ يُكَفَّ شُرورُهُم عَن نَفسِهِ وإخوانِهِ المؤمنينَ»[1]. [٤٠٨]

ذكرُ مُداراةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ومُعاشَرتِهِ معَ المُنافِقينَ والمُخالِفينَ:

ثمَّ قالَ عليه السلام: «إنَّ مُداراةَ أَعداءَ الله مِن أَفضلِ صَدَقةِ المَرءِ على نَفسِهِ وإخوانِهِ، كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في مَنزلِهِ إذ استَأذنَ عبدُ الله بنُ أَبي سَلولٍ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: بئسَ أخو العَشريَةِ إئذَنُوا لهُ، فَلَمَّا أَجلَسَهُ وبَشَرَ في وَجهِهِ، فَلَمَّا خَرجَ قالَت لهُ عائشةُ: يا رسولَ الله: قُلتَ فيهِ ما قُلتَ وفَعلتَ فيهِ مِنَ البِشرِ ما فَعلتَ! فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: يا عُوَيْشُ يا حُميراءُ إنَّ شَرَّ النّاسِ عندَ الله يومَ القِيامةِ مَن يُكرَمُ[2] اتِّقاءَ شَرِّهِ»[3]، انتهى تفسيرُ الإمامِ عليه السلام.

ذكرُ مَن يُبغِضُهُ اللهُ:

وفي الكافي والعَيّاشي: عنِ الباقرِ عليه السلام في هذهِ الآيَة: «قُولُوا للنّاسِ أَحسَنَ ما تُحبُّونَ أن يُقالَ لكُم، فإنَّ اللهَ يُبغِضُ اللَّعّانَ السَّبّابَ الطَّعّانَ على المؤمِنينَ الفاحِشَ المُتفَحِّشَ السَّائِلَ المُلحِفَ، ويُحِبُّ الحَيِّيَ العَفيفَ المُتعَفِّفَ»[4] كَما مَرَّ.

وفي الكافي: عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «لا تَقولُوا إلَّا خيرًا حَتَّى تَعلَمُوا ما هوَ»[5]، وفيهِ، وفي التّهذيبِ والخِصالِ: عنهُ، والعَيّاشي: عنِ الباقرِ عليه السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: «وقُولُوا للنَّاسِ حُسناً نزلَت في اَهلِ الذِّمَّةِ ثُمَّ نَسخَها قولُهُ تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٥٣، حديث رقم: ٢٤٠.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: في الدّينِ خوفًا منهُ ومن شرّه.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٥٤، حديث رقم: ٢٤١.

(٤) الكافي: ٢: ١١٢، حديث رقم: ٨، وتفسير العيّاشي: ١: ٤٨، حديث رقم: ٦٣.

(٥) الكافي: ٢: ١٦٤، حديث رقم: ٩.

حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[1]»[2].

وفي تفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: «إنَّها نَزلَت في اليَهودِ ثمَّ نُسِخَت بقولِهِ تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[3]»[4]، وفي تفسيرِ الصّافي: «أقولُ: إن قيلَ فَما وَجهُ التّوفيقِ بينَ نَسخِها وبَقاءِ حُكمِها؟ قُلنا: إنَّما نُسِخَت في حَقِّ اليَهودِ وأَهلِ الذِّمَّةِ المأمورِ بقِتالِهِم، وبَقِيَ حُكمُها في سائرِ النَّاسِ»[5]، انتهى.

وفي تَهذيبِ الأَحكامِ: «أحمدُ بنُ مُحمَّدٍ عنِ الحُسينِ بنِ سَعيدٍ عن أَبي عَليٍّ قالَ: كُنَّا عندَ أَبي عَبدِ الله عليه السلام فقالَ رَجلٌ: جُعِلتُ فَداكَ قَولُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ هوَ للنَّاسِ جَميعًا؟ فَضَحِكَ، وقالَ: لا، عَنِيَ قُولُوا: مُحمَّدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وعَليٌّ أهلُ بيتِهِ عليهم السلام»[6].

وفي تفسيرِ العَيّاشي: «عَن حريزٍ عَن سديرٍ قالَ: قُلتُ لأبي عَبدِ الله عليه السلام: أُطْعِمُ رَجلًا سائِلًا لا أَعرِفُهُ مُسلِمًا؟ قالَ: نعم، أَطعِمهُ ما لَم تَعرِفهُ بوِلايَةٍ ولا بِعَداوَةٍ، إنَّ اللهَ يقولُ: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾»[7]، عَن عَبدِ الله بنِ سنانٍ عَن أَبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: سَمِعتُهُ يقولُ: «اتَّقُوا اللهَ ولا تَحمِلُوا

---

(1) سورة التوبة: ٩: ٢٩.

(2) الكافي: ٥: ١١، حديث رقم: ٢، وتهذيب الأحكام: ٤: ١١٥، حديث رقم: ٣٣٦، والخصال: ٢٧٥، حديث رقم: ١٨، وتفسير العيّاشي: ٢: ٨٥، حديث رقم:٤٢.

(3) سورة التوبة ٩: ٥.

(4) تفسير القمّي: ١: ٥١.

(5) التفسير الصافي: ١: ١٥٢.

(6) تهذيب الأحكام: ٣: ٥٥، حديث رقم:١٩٠.

أبو علي: هو عمرو بن عثمان الثقفي الخزاز، وقيل الأزدي، كوفي، ثقة، نقي الحديث ، صحيح الحكايات، روى عن أبيه عن سعيد بن يسار، وروى عن أبي عبد الله عليه السلام ، وروى عنه الحسين بن سعيد. ينظر: خلاصة الأقوال: ٢١٤، ترجمة رقم: ٦، وجامع الرواة: ٢: ٤٠٣.

(7) تفسير العيّاشي: ١: ٤٨، حديث رقم: ٦٤.

سدير: هو أبو الفضل بن حكيم بن صهيب الصيرفي: كوفي، مولى، من أصحاب الباقرين. ينظر: رجال البرقي: ١٨، وخلاصة الأقوال: ١٦٥، ترجمة رقم: ٣.

النَّاسَ على أَكتَافِكُم إنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كِتابِهِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾»(١).

وفي أصولِ الكافي: «بإسنادِهِ إلى أَبي عَمرو الزُّبَيريّ عَن أَبي عَبدِ الله عليه السلام: إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالى فَرَضَ الإيمانَ على جَوارِحِ ابنِ آدمَ وقَسَمَهُ عليها وفَرَّقَهُ فيها ـ إلى أَن قالَ ـ وفَرَضَ على اللِّسانِ: القَولَ والتَّعبيرَ عنِ القَلبِ بما عَقَدَ عليهِ وأَقرَّ بهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾»(٢).

وفي مصباحِ الشّريعةِ: قالَ: قالَ الصّادقُ عليه السلام: «ولا تَدَعِ النَّصيحَةَ في كُلِّ حالٍ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾»(٣).

دلالةُ هذهِ الآية على تَرتيبِ الحُقوقِ:

وفي المجمَعِ: «وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على تَرتيبِ الحُقوقِ، فَبَدأَ اللهُ بذِكرِ حَقِّهِ وقَدَّمَهُ على كُلِّ حَقٍّ؛ لأَنَّهُ الخالقُ المُنعِمُ بأُصولِ النِّعمِ، ثمَّ ثَنَّى بحَقِّ الوالدَينِ وخَصَّهُما بالمَزيَّةِ؛ لكَونِهِما سَببًا للوجودِ، وإنعامِهِما بالتَّربيةِ، ثمَّ ذَكرَ ذَوي القُربى؛ لأَنَّهُم أقربُ إلى المُكلَّفِ من غَيرِهِم، ثمَّ ذَكَرَ حَقَّ اليَتامَى؛ لضَعفِهِم، والفقراءِ؛ لفَقرِهِم»(٤)، انتَهى كَلامُهُ أَعلى اللهُ مقامَهُ.

أقولُ: وفيها أيضًا دلالةٌ على مُجامَلَةِ النَّاسِ ومُعاشَرَتِهِم كُلِّهِم بالبِشرِ وطَلاقَةِ الوَجهِ وحُسنِ الخُلْقِ والقَولِ الجَميلِ والمداراةِ بهِم، وعلى وجوبِ أَداءِ الصّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ المفروضَةِ، فَتدلُّ على وجوبِ مَعرفَتِهِ تعالى أيضًا بالطريقِ الأَولى؛ لأَنَّهُ لا يُمكِنُ أَداءُ حُقوقِ الله وتخصيصُهُ بالعِبادةِ وحدَهُ إِلَّا بمعرفَتِهِ تعالى وتَوحيدِهِ وعَدلِهِ وقدرتِهِ وحِكمتِهِ واستِحقاقِهِ لذلكَ، وخَلعِ الأندادِ وعَدَمِ الإشراكِ وعَدَمِ تَشبيهِهِ بخَلقِهِ إلى غيرِ ذلكَ، ولا أَداءُ حُقوقِ الوالدَينِ إحسانًا إِلَّا بمَعرفَتِهِما صلواتُ اللهِ عليهِما وجَعْلِهِما في موضِعِهِما وعَدَمِ اشتراكِ أَحَدٍ بهِما في مقامِهِما المختَصِّ في كُلِّ مَوطِنٍ

---

(١) تفسير العيّاشي: ١: ٤٨، حديث رقم: ٦٥.

(٢) الكافي: ٢: ٣٥، حديث رقم: ١.

أبو عمرو: هو محمد بن عمرو بن عبد الله بن عمر بن مصعب بن الزبير بن العوام، متكلّم حاذق من أصحابنا، كثير الرواية ومقبولها، له كتاب في الإمامة حسن يعرف بكتاب الصورة، له أحاديث جياد. ينظر: رجال النجاشي: ٣٣٩، ترجمة رقم: ٩٠٩، ومستدركات علم رجال الحديث: ٨: ٤٢٧، ترجمة رقم: ١٧١٤٩.

(٣) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: ٤٣، الباب: التاسع عشر.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٨٧.

ومَوقِفٍ، لأنَّ طاعَتَهما طاعةُ الله سبحانهُ ومَعصِيَتَهما مَعصيَتُهُ فمَن أَشرَكَ بهِما فقَد أَشرَكَ بالله إلى غَيرِ ذلكَ البيانِ.

تنبيه:

اعلَم أَنَّهُ يَدخلُ في إحسانِ الوالدَينِ: إنفاقُهُما أيضًا مع سائرِ الحُقُوقِ المذكورةِ سابقًا، فَيجبُ إِنفاقُهُما عندَ احتياجِهِما إلى النَّفقةِ وإن كانا فاسقَينِ؛ للعُمومِ لكن يُشتَرَطُ في وجوبِ إنفاقِهِما حُرِّيَتُهُما وإِلَّا فالنفقَةُ على مولاهِما، ويَدخُلُ في الوالدَينِ آباؤهُما وإن عَلَوا. [٤٠٩]

وإِنفاقُ الزَّوجةِ واجبٌ وهوَ مُقدَّمٌ على إِنفاقِ الوالدَينِ بالنَّصِّ والاجماعِ(١)، ويجبُ أيضًا إنفاقُ الأَولادِ وإنفاقُ المَملوكِ منَ الحَيوانِ(٢) مُطلَقًا، ويُستَحبُّ إنفاقُ باقي الأقارِبِ منَ الإِخوَةِ والأَخواتِ وأولادِهِم والأَعمامِ والأَخوالِ ذُكُورًا وإِناثًا وأَولادِهِم، ويَتأَكَّدُ الاستِحبابُ في الوارِثِ منهُم، وكُلُّهم داخِلونَ في ذِي القُربى لكن بشَرطِ قُدْرَةِ المُنفِقِ وحاجَةِ المُنفَقِ عليهِ، كَما بُيِّنَ في موضِعِهِ؛ لأَنَّهُ سبحانَهُ لا يُكَلِّفُ نَفسًا إِلَّا وُسعَها.

وقولُهُ تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)﴾** آيةٌ:

اللغة:

قَد مَرَّ أَنَّ السَّفكَ هوَ: الصَّبُّ والإراقَةُ، يقالُ: سَفَكْتُ الدَّمَ أَسْفِكُهُ سَفْكًا: إذا أَرَقتَهُ، والدَّمُ: أُختُلِفَ في وزنِهِ قيلَ: دَمَيٌ بالفَتحتَينِ على وزنِ جَبَلٍ(٣)، قالَ الشّاعرُ:

فَلَو أَنّا عَلى حَجَرٍ ذُبِحنا جَرَى الدَّمَيانِ بالخَبَرِ اليَقِينِ(٤)

---

(١) ينظر: ايضاح الفوائد: ٣: ٢٦٦ ـ ٢٨٧، واللمعة الدمشقيّة: ١٧٧.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: ناطقٌ كانَ أم عُجمًا.

(٣) ينظر: شرح التصريف: ٤١٦.

(٤) البيت من الوافر، وقد أُختُلِفَ في نسبته؛ فنُسِبَ إلى المثقّب العبدي، والفرزدق، والأخطل، والمرادس بن عمرو، ولعلي بن بدال بن سليم. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١: ١٣٦، والمخصّص: ٤: ١٩٣، ولسان العرب: ١٤: ٢٦٨، (دمي)، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ٢٩٢، وخزانة الأدب: ١: ٢٦٣.

وقيلَ: دَمْيٌ بفَتحِ الدَّالِ وسُكونِ الميمِ على وزنِ فَلْسٍ لكن لمَّا رَدَّ الشّاعرُ الياءَ المحذوفَةِ بالتَّثنيَةِ كَما هوَ القاعدةُ في رَدِّ آخرِ الأسماءِ المَحذوفَةِ الأعجازِ في التَّثنيَةِ حَرَّكَ الميمَ، وجَمْعُهُ دِماءٌ كَجِبالٍ في جَبَلٍ.

والنَّفسُ: مَأخوذَةٌ منَ النَّفاسَةِ وهيَ الجَلالَةُ، فَنَفْسُ الانسانِ أَنْفَسُ ما فيهِ، والنَّفْسُ: العَينُ والذّاتُ كَما في جاءَ زيدٌ نَفسُهُ، وكَما في الآيةِ، والنَّفْسُ: الرُّوحُ، والدّارُ هيَ: المَنزِلُ الّذي فيهِ أَبنيَةُ المقامِ بِخِلافِ مَنزِلِ الارتِحالِ، وقالَ بعضُهُم: كُلُّ مَوضِعٍ حَلَّ فيهِ قَومٌ فهوَ دارٌ لَهُم وإن لَم تكنْ فيهِ أَبنيَةٌ، ويُسمَّى القَبرُ أيضًا دارًا[١]، ومنهُ حديثُ زيارةِ القُبورِ: «السَّلامُ عَليكُم يا أَهلَ دارِ قَومٍ مُؤمنينَ»[٢] تَشبيهًا لَها بِدارِ الأحياءِ؛ لاجتِماعِ المَوتَى فيها، وفي حديثِ الشّفاعَةِ: «فَاستَأذِن لي عَلى رَبِّي في دارِهِ»[٣] أي: في حَضرَةِ قُدسِهِ، وقيلَ: في جَنَّتِهِ، فإنَّ الجَنَّةَ تُسمَّى دارَ السَّلامِ، والسَّلامُ هوَ: اللهُ، كَما في سورةِ الحَشرِ: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[٤] وقولِهِ ﷺ في الدُّعاءِ: «اللّهُمَّ انت السَّلامُ»[٥] إلى آخِرِهِ، والدَّارَةُ: أَخَصُّ منَ الدَّارِ كَقولِهِ: بِدَارَةِ جُلْجُلِ[٦]، وتُجمَعُ الدَّارُ على اثني عَشَرَ وَجهًا: أَدْوُرٍ وأَدْؤُرٍ وأَدُرٍ وأَدْوِرَةٍ ودُورٍ ودِيارٍ ودِيارَةٍ ودِيارَاتٍ ودُوراتٍ ودِيْرانٍ ودُورانٍ وأَدْوارٍ.

والإقرارُ والاعتِرافُ والشَّهادَةُ نظائرُ، وأُخِذَتِ الشّهادَةُ منَ المُشاهَدَةِ وهوَ: الإخبارُ عنِ الشَّيءِ بما يَقومُ مقامَ المُشاهِدِ في المَعرفةِ.

الإعراب:

إعرابُ هذهِ الآيةِ وتَقديرُها مِثلَ الّذي ذَكرناهُ في الآيةِ السّابقَةِ بعَينِها، ومِن كَونِ (لا تَسفِكونَ) مثلَ (لا تَعبُدُونَ) إلى آخِرِ ما مَرَّ فيها.

---

(١) ينظر: العين: ٨: ٥٨، (دار).

(٢) مسند أحمد: ٦: ١٨٠، وكنز العمال: ١٥: ٧٦٠، حديث رقم: ٤٢٩٩٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٣٩.

(٤) سورة الحشر ٥٩: ٢٣.

(٥) الكافي: ٢: ٥٨٧، حديث رقم: ٢٤، وملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ٩: ١٤٧.

(٦) هو: موضع بديار كندة، يقال له الحمى. معجم ما استعجم: ٢: ٣٨٩.

المعنى:

ثمَّ ذكرَ سبحانُهُ مواثيقَ أُخَرَ قَد أَخذَها من يَهودِ بَني إسرائيلَ، ويَهودِ هذهِ الأُمّةِ، بقولِهِ: ﴿**وَإِذْ**﴾، أي: اذكُروا أيّتُها اليَهودُ والمنافِقونَ الوَقتَ الّذي ﴿**أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾، أي: مِيثاقَ أَسلافِكُم الّذينَ كانوا في عَهدِ موسى عليه السلام والأنبياءِ الماضِين وإنَّما أَضافَ الميثاقَ إليهِم؛ لأجلِ أنَّهُم أَخلافٌ لَهُم وهوَ جارٍ فيهِم وفي أَخلافِ أَخلافِهِم أو أَعمَّ منَ الّذين كانوا زَمنَ موسى عليه السلام وزَمنَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله على التَّغليبِ.

﴿**لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**﴾، أي: بأن لا تَسفِكوا ولا تُريقُوا دِماءَكُم بأن يَقتُلَ بعضُكُم وإنَّما جَعَلَ قَتْلَ الرّجُلِ منهُم الآخَرَ منهُم قَتلَ نَفسِهِ؛ لاتّصالِهِا نَسَبًا أو دِينًا أو كِلَيهِما، وأَهلُ الدِّينِ الواحِدِ بمَنزلَةِ الشّخصِ الواحِدِ في ولايَةِ بعضِهِم لبَعضٍ؛ لِقَولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «إنَّما المؤمِنونَ في تَراحُمِهِم وتَعاطُفِهِم بمنزِلةِ الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشتكَى منهُ عُضوٌ تَداعَى لهُ سائرَ الجَسَدِ»(١)، وقولِهِ صلى الله عليه وآله: «المؤمنونَ يَدٌ واحدَةٌ»(٢)؛ أو لأنَّهُ يُوجِبُ قِصاصًا فَيكونُ بذلكَ قاتِلًا لِنَفسِهِ؛ لأنَّهُ كالسَّبَبِ فيه.

﴿**وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾، أي: لا يَتعرَّضَ بعضُكُم بعضًا بالإجلاءِ من أَوطانِكُم كَما فَعَلهُ بَنو النَّضيرِ، وكَما فَعَلَ هؤلاءِ اليَهودُ والمنافِقونَ والكَفرةُ مِن هذهِ الأُمَّةِ، وهذانِ الميثاقانِ أيضًا جارِيانِ في هذهِ الأُمَّةِ بَل فيهِم حقيقةً كَما يَجيءُ في شَأنِ النُّزولِ، وقَد نَقَضوهُما بأن سَفَكُوا دِماءَ خِيارِهِم ومَن أَوصَى اللهُ تعالى بإحسانِهِم ومَوَدَّتِهِم وأَجْلَوهُم مِن دِيارِهِم وخَرَّبُوا دِيارَهُم ومنازِلَهُم، وهَتَكوا حَريمَهُم وطَرَدُوا صادِقَهُم وآوَو طَرِيدَهُم، ولَقد قالوا كَلمةَ الكُفرِ وهَمُّوا بِما لَم يَنالُوا وسائر ما فَعَلَ الصّنَمانِ وما سَنَّا لأَتباعِهِم إلى يومِ يُبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجٌ مِمَّن يُكَذِّبُ بآياتِ اللهِ. [٤١٠]

---

(١) مسند أحمد: ٤: ٢٧٠، والسنن الكبرى: ٣: ٣٥٣، وكنز العمال: ١: ١٤٩، حديث رقم: ٧٣٧، وقد جاء فيها بلفظ: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِم وتعاطفِهِم وتراحمِهِم مثلُ الجسَدِ إذا اشتكى منهُ شيءٌ تداعى لهُ سائرُ الجَسدِ بالسّهرِ والحمّى».

(٢) بحار الأنوار: ٥٨: ١٥٠، حديث رقم: ٢٩.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بذلكَ الميثاقِ واعتَرفتُم بلِزومِهِ عليكُم لُزُومَ الأَطواقِ في أَعناقِ الحَمامِ وَالحالُ ﴿أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وتَعتَرفونَ بِما أَقرَرتُم واعتَرَفتُم بهِ والتَزمتُم على أَنفسِكُم بأن لا تنكُثُوهُ ولا تَنقُضُوهُ ومعَ ذلكَ نَكَثتُموهُ ونَقَضتُموهُ بِما تَهوى أَنفُسُكُم، فَيكون وأَنتُم تَشهدونَ تأكيدًا في الآيةِ السّابقةِ أو وأَنتُم تَشهَدونَ وتَحضُرونَ سَفكَ دِمائِكُم وإِخراجَ أنفسِكُم من دِيارِكُم، وسَفكَ دِماءِ مَن هوَ أَولى بِكُم مِن أَنفُسِكُم، وإِخراجَهُم مِن دِيارِهم فَيكونُ تَأسيسًا كَما في تفسيرِ الإمامِ(1).

فالخِطابُ في هذهِ الآيةِ وما قبلَها وفي الآياتِ الآتيةِ لأسلافِ اليَهودِ وأَخلافِهم على التَّغليبِ، ولهذهِ الأُمَّةِ أيضًا حَذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ والقُذَّةِ بالقُذَّةِ هذا هوَ المَعنيُّ بهذهِ الآيةِ، ويَحتَملُ أن يكونَ معناها لا تَرتَكِبُوا ما يُبيحُ سَفكَ دِمائِكُم وإخراجَكُم مِن دِيارِكم مِنَ المُحارَبةِ على الله ورسولِهِ ﷺ والسَّعِي في فَسادِ أَهلِ الأَرضِ كَما قالَ سبحانُهُ في سورةِ المائدةِ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(2)، وقيلَ: معناها لا تَفعَلُوا ما يُردِيكُم ويَصرِفكُم عنِ الحياةِ الأَبديَّةِ فإِنَّهُ القَتلُ في الحَقيقةِ، ولا تَقْتَرِفوا ما تُمنَعُونَ بِهِ عنِ الجَنَّةِ الّتي هيَ دارُكُم الأبديَّة فإِنَّهُ الجلاءُ الحَقيقيُّ.

النُّزول:

في تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: (قولُهُ تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ إلى** آخرِهِ، فإنّها نزلَت في أَبي ذَرٍّ رحمةُ الله عليهِ [وفيما فَعَلَ بهِ](3) عثمانُ بنُ عفَّانٍ؛ وكانَ سببُ ذلكَ:

لَمَّا أَمرَ عثمانُ بنفيِ أَبي ذَرٍّ ﵁ إلى الرّبذة دَخلَ عليهِ أبو ذرٍّ وكانَ عَليلًا مُتوكِّئًا على عَصاهُ وبينَ يَدَي

---

(1) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٦٧.

(2) سورة المائدة ٥: ٣٣.

(3) الاضافةُ منَ المُصنِّفِ لم ترد في نسخة المصدر.

عثمان مائةُ ألفِ دِرهَمٍ قَد حُمِلَت إليهِ من بعضِ النّواحي وأصحابُهُ حولَهُ ينظُرونَ إليهِ ويَطمَعونَ أن يَقسِمَها فيهِم، فقالَ أبو ذَرٍّ لِعثمانَ: ما هذا المالُ؟ فقالَ عثمانُ: مائةُ ألفِ دِرهَمٍ حُمِلَت إليَّ من بعضِ النّواحي أريدُ أن أضُمَّ إليها مِثلَها ثمَّ أرى فيها رَأيي، فقالَ أبو ذَرٍّ: يا عثمانُ أيُّها أكثرُ مائةُ ألفِ دِرهَمٍ أو أربعةُ دَنانيرٍ؟ فقالَ عثمانُ: بَل مائةُ ألفِ دِرهَمٍ، قالَ: أَما تَذكُرُ إذ أنا وأنتَ قَد دَخلنا على رسولِ الله ﷺ عِشاءً فَرأيناهُ كَئيبًا حَزينًا فَسلَّمنا عليهِ فَلَم يَرُدَّ عَلينا السَّلامَ، فَلَمَّا أصبَحنا أَتيناهُ فَرأيناهُ ضاحِكًا مُستبشِرًا فقُلنا لهُ بآبائِنا وأمَّهاتِنا دَخلنا إليكَ البارحةَ فَرأيناكَ كَئيبًا حَزينًا ثُمَّ عُدنا إليكَ اليومَ فَرأيناكَ ضاحِكًا[1] مُستبشِرًا، فقالَ: نَعَم، كانَ قَد بَقيَ عندي مِن فَيءِ المسلمينَ أربعةُ دَنانيرٍ لَم أكن قَسَمتُها وخِفتُ أن يُدرِكَني الموتُ وهيَ عِندي وقَد قَسَمتُها اليومَ واستَرحتُ مِنها، فَنظَرَ عُثمانُ إلى كَعبِ الأحبارِ وقالَ لهُ: يا أبا إسحاقَ ما تقولُ في رَجُلٍ أدَّى زَكاةَ مالِهِ المفروضَةَ هَل يجبُ عليهِ فيما بعدُ ذلكَ شيئًا؟ فقالَ: لا، ولَو اتَّخَذَ لَبنةً مِن ذَهَبٍ ولَبنَةً من فِضَّةٍ ما وَجبَ عليهِ شيءٌ. فَرفَعَ أبو ذَرٍّ عَصاهُ فَضرَبَ بها رأسَ كَعبٍ ثمَّ قالَ لهُ: يا بنَ اليَهوديَّةِ [المشركةِ][2] الكافِرةِ ما أنتَ والنَّظرُ في أحكامِ المسلمينَ؟ قولُ الله أصدَقُ مِن قَولِكَ حيثُ قالَ: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

فقالَ عثمانُ: يا أبا ذَرٍّ إنَّكَ شَيخٌ قَد خَرِفتَ وذَهَبَ عقلُكَ ولولا صُحبَتُكَ لِرسولِ الله ﷺ لَقَتلتُكَ، فقالَ: كَذِبتَ يا عثمانُ، أَخبَرَني حَبيبي رسولُ الله ﷺ فقالَ: لا يَفتِنُونَكَ ولا يَقتُلُونَكَ، أمَّا عَقلي فَقَد بَقِيَ منهُ ما أَحفَظُ حَديثًا سَمعتُهُ مِن رسولِ الله ﷺ فيكَ وفي قَومِكَ، فَقالَ [عثمانُ][4]: وما سَمعتَ

---

(١) ورد في نسخة المصدر بلفظ: فَرحًا مُستبشرًا.

(٢) الاضافة من المُصنِّف لم ترد في نسخة المصدر.

(٣) سورة التوبة ٩: ٣٤، ٣٥.

(٤) الاضافة من المُصنِّف لم ترد في نسخة المصدر.

مِن رسولِ الله ﷺ فيَّ وفي قَومي؟ قالَ: سَمعتُهُ يقولُ: [وهو قولُهُ ﷺ][(١)] إذا بَلغَ آلُ أبي العاصِ ثَلاثينَ رَجُلًا صَيَّرُوا مالَ الله دُوَلًا وكِتابَ الله دَغَلًا[(٢)] وعِبادَهُ خَوَلًا[(٣)] والصّالحينَ حَربًا والفاسقينَ حِزبًا[(٤)].

فقالَ عثمانُ: يا معشرَ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ هل سَمِعَ أحدٌ منكم هذا مِن رسولِ الله ﷺ؟ فقالوا: لا، ما سمِعنا هذا مِن رَسولِ الله ﷺ، فقالَ عثمانُ: ادعُوا عَليًّا، فجاءَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام، فقالَ لهُ عثمانُ: يا أبا الحسنِ انظر ما يقولُ هذا الشّيخُ الكَذّابُ؟ فقالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: مَه يا عثمانُ لا تَقُل كَذّاب، فإنِّي سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: ما أظَلَّتِ الخَضراءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبراءُ على ذِي لَهجَةٍ أصدَقَ مِن أبي ذَرٍّ، [٤١١] فقالَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ: صَدَقَ عَليٌّ قَد سَمعنا هذا من رسولِ الله ﷺ فَبكى أبو ذَرٍّ عندَ ذلكَ، فقالَ: وَيلَكُم، كُلُّكُم قد مَدَّ عنقَهُ إلى هذا المالِ ظَنَنتُم أنِّي أَكذِبُ على رسولِ الله ﷺ، ثمَّ نَظرَ إليهِم فقالَ: مَنْ خَيرُكُم؟ فَقالُوا: مَنْ خَيرُنا؟ فقال: أنا، فَقالوا: أنتَ تقولُ أنَّكَ خَيرَنا؟ قالَ: نَعَم، خَلَّفتُ حبيبي رسولَ الله عليه السلام في هذهِ الجُبَّةِ [وهيَ عَليَّ بعدُ][(٥)] وهوَ عَنِّي راضٍ، وأنتُم قَد أحدَثتُم أَحداثًا كَثيرةً واللهُ سائِلُكُم عن ذلكَ غَدًا[(٦)] ولا يَسألني، فقالَ عثمانُ: يا أبا ذَرٍّ أسألُكَ بحَقِّ رسولِ الله ﷺ إلّا ما أَخبرتَني عن شيءٍ أسألكَ عنهُ، فقالَ أبو ذَرٍّ: واللهِ لَو لَم تَسألني بحَقِّ مُحمَّد رسولِ الله ﷺ أيضًا لأخبَرتُكَ.

فَقالَ: أيُّ البلادِ أحَبُّ إليكَ أن تكونَ فيها؟ فقالَ: مَكَّةُ حَرَمُ الله وحَرَمُ رسولِ الله ﷺ أعبُدُ اللهَ

---

(١) الاضافة من المُصنِّف لم ترد في نسخة المصدر.

(٢) الدّغلُ: دخل مفسد في الأمور، وأدغلت في هذا الأمر، أي: أدخلتُ فيه ما يخالفهُ. العين: ٤: ٣٩٢، (دغل).

(٣) الخَوَلُ مُحرّكةٌ: ما أعطاكَ اللهُ تعالى منَ النّعمِ والعبيدِ والإماءِ. القاموس المحيط: ٣: ٣٧٢،(خال). أي: عبيدًا.

(٤) ورد في نسخة المصدر بلفظ: الفاسقينَ حزبًا والصّالحينَ حربًا.

(٥) الاضافة من المُصنِّف لم ترد في نسخة المصدر المعتمد.

(٦) لفظ: (غدا) اضافة من المصنف لم يرد في نسخة المصدر المعتمد.

فيها حتَّى يأتيَني الموتُ، فقالَ: لا، ولا كَرامةَ لكَ، قالَ: المدينةُ حَرَمُ رسولِ الله ﷺ؟، قالَ: لا، ولا كَرامةَ لكَ، فَسَكتَ أبو ذَرٍّ ، فقالَ عثمانُ: وأيُّ البِلادِ أبغَضُ إليكَ أن تكونَ فيها؟ قالَ: الرَّبذةُ الّتي كنتُ فيها عَلى غَيرِ دينِ الإسلامِ، فقالَ عثمانُ: سِر إليها، فَقالَ أبو ذَرٍّ : قَد سألتَني فَصدَقتُكَ وأَنا أسألُكَ فَاصدُقني، قالَ: نَعم، قالَ: أخبرني لَو بَعثتَني في مَن بَعَثتَ من أصحابِكَ إلى المشركينَ فَأسَروني، فقالوا: لا نَفديهِ إلَّا بثُلُثِ ما تملِكُ؟ قالَ: كنتُ أفديكَ، قالَ: فَإن قالُوا لا نَفديهِ إلَّا بنِصفِ ما تَملِكُ؟ قالَ: كنتُ أفديكَ، قالَ فإن قالُوا لا نَفديهِ إلَّا بِكلِّ ما تَملِكُ. قالَ: كنتُ أفديكَ.

قالَ أبو ذرٍّ : اللهُ أكبرُ، قالَ لي حبيبي رسولُ الله ﷺ يومًا: يا أبا ذَرٍّ كيفَ أنتَ إذا قيلَ لكَ: أيُّ البِلادِ أحَبُّ إليكَ أن تَكونَ فيها؟ فتقول مكَّةُ حَرَمُ الله وحَرَمُ رسولِهِ ﷺ أعبدُ اللهَ فيها حَتَّى يَأتيَني الموتُ، فيُقالُ لكَ: لا، ولا كَرامَةَ لكَ، فتَقولُ فالمدينَةُ حَرَمُ رسولِ الله ﷺ؟ فيُقالُ لكَ: لا، ولا كَرامةَ لكَ، ثمَّ يُقالُ لكَ: فأيُّ البلادِ أبغَضُ إليكَ أن تكونَ فيها؟ فتقولُ: الرّبذةُ التي كنتُ فيها على غَيرِ دينِ الإسلامِ، فيقالُ لكَ: سِر إليها، فَقُلتُ: وإنَّ هذا لَكائنٌ يا رسولَ الله ؟ فقال: إي والّذي نَفسي بيدِهِ إنَّهُ لَكائنٌ، فقُلتُ: يا رسولَ الله أفَلا أضَعُ سَيفي هذا عَلى عاتِقِي فَأضرِبُ بِهِ قدمًا قدمًا؟ قالَ: لا، اسْمَعْ واسْكُتْ ولَو لِعَبدٍ حَبَشِيٍّ وقَد أَنزَلَ اللهُ فيكَ وفي عثمانَ [خصمكَ][1] آيةً، فقُلتُ: وما هيَ يا رسولَ الله؟ فقالَ: قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2] .

---

(١) الاضافةُ من المُصنِّف لم ترد في نسخة المصدر.

(٢) تفسير القمّيّ: ١: ٥١ ـ ٥٤.

انتهى الحديثُ وإنَّما ذَكرنا شأنَ النّزولِ بينَ الآيةِ المذكورةِ والآيتينِ الآتيتَينِ؛ لِكَونهِ مُشتركًا بينَهُما وهُما هذهِ، أعني:

قولُهُ تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦)**﴾ آيتانِ:

القراءة:

قرَأَ أَهلُ الكوفةِ كعاصمِ بنِ أَبي النّجُودِ وغيرِهِ: تَظاهَرونَ بتَخفيفِ الظّاءِ ههنا، وفي سورةِ التّحريمِ، وأَصلُهُ: تَتَظاهرونَ فَحُذِفَتِ التّاءُ الثّانيةُ كَما هوَ القاعدةُ في صورةِ اجتِماعِ التّائَينِ في أَوَّلِ بابِ التَّفعُّلِ والتّفاعُلِ والتَّفعْلُلِ، والباقونَ: بتَشديدِ الظّاءِ[١]، والأَصلُ فيهِ أيضًا تَتَظاهَرونَ فَأُدغِمَتِ التّاءُ الثّانيةُ في الظّاءِ؛ لِقُربِ مَخرجِهِما فكُلُّ واحدٍ منَ الفَريقينِ كَرِهوا اجتِماعَ المثلَينِ، فَفَريقٌ خَفَّفَ بالحَذفِ، وفَريقٌ خَفَّفَ بالادغامِ، فالتّاءُ الّتي اعتَلَّت بالحَذفِ هيَ الّتي اعتَلَّت بالادغامِ، وقُرِئَ: تَظَّهَّرونَ بالإدغامِ من بابِ التّفعُّلِ بمعنى: تَتَظَهَّرونَ[٢]، وقُرِئَ: تُقَتِّلُونَ بالتّشديدِ[٣]؛ لِتكثيرِ المفعُولِ كَما في: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[٤].

وقَرَأَ أبو جعفرٍ ونافعٌ وعاصمٌ ويعقوبُ والكِسائيُّ: أُسارَى وتُفادُوهُم بالألِفِ فيهِما، أمَّا أُسارَى وان كانَ على خِلافٍ؛ فَلِلتَّشبيهِ بِكُسالَى وذلكَ لأنَّ الأسيرَ لَمَّا كانَ مَحبوسًا عَن كَثيرٍ مِن تَصرُّفاتِهِ لِلأسرِ، كَما أَنَّ الكَسلانَ مُحتَبِسٌ عَن ذلكَ؛ لعادَتِهِ السَّيِّئةِ شُبِّهَ بِهِ فَأُجرِيَ عليهِ هذا الجَمعُ، كَما قالُوا

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٤، ومعاني القراءات: ١: ١٦٢، والحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٣٠.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١: ٣٥٦، وهي قراءة أبو جعفر ونافع وابن كثير.

(٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٨٣، وهي قراءة الحسن.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٢٣.

مَرضَى [٤١٢] ومَوتَى وهَلكَى لِما كانُوا مُبتَلينَ بهذهِ الآفاتِ مُصابينَ بها تَشبيهًا لها في المعنى بالفَعيلِ بمعنى المفعُولِ في إصابةِ الآفةِ، كَقَتيلٍ وقَتلى وجَريحٍ وجَرحَى فأجرى عَليها في الجَمعِ هذا اللّفظ الّذي هوَ لِفَعيلٍ، أو يكونُ أُسارَى جَمعَ أَسْرَى جَمعَ أَسيرٍ، كَسَكرى وسُكارَى فهوَ[1] جَمعُ الجَمعِ فَلا شُذوذَ حينئذٍ، وأمَّا تُفادُوهُم بالألفِ لِكَونِ ذلكَ مُشترَكاً بينَ كُلٍّ منَ الفَريقينِ، وقَرَأَ حمزةُ: أَسرَى وتَفْدُوهُم بغيرِ الألِفِ فيهِما[2].

أمَّا أسرَى فهوَ جَمعُ أسيرٍ فَعيلٍ بمعنى مَفعول، نحو: قتيلٍ وقَتلَى وجَريحٍ وجَرحَى وهوَ أقيَسُ من أُسارى، وقَد يُجمَعُ أيضًا على أُسَراءَ حَملًا لهُ على الفَعيلِ بمعنى الفاعِلِ، نحو: كَريمٍ وكُرَماءَ وشَريفٍ وشُرَفاءَ، وقَد يُجمَعُ أيضًا على أَسارى بفَتحِ الهمزةِ مع الألفِ حَملًا لهُ على فَعِلٍ، نحو: حَباطى ووَجاعى في جَمعِ حَبِطٍ ووَجِعٍ لِموافَقتِهِما في اصابةِ الآفَةِ، فَيُجمَعُ الأسيرُ على أربعَةِ أوزانٍ.

وأمَّا تَفْدُوهُم فالمَعنى فيهِ مِثلَ المعنى في تفادوهم وقَد يكونُ في طَرَفٍ واحِدٍ وهذا الفِعلُ يَتَعدّى إلى مَفعولَينِ، نحو: فادَيتُ زيدًا عَشرةَ آلافِ دِرهَمٍ، والى الثّاني بالجارِّ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وقولِ الشّاعِرِ:

يودُّونَ لَو يَفدُونَني بِنفوسِهِم[4]	[ومثلُ الأواقي والقيانِ النَّواهِدِ]

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: أُسارى بالألف.

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبعة: ١: ٨٤، ومعاني القراءات: ١: ١٦٣، والحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٤٣.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٠٧.

(٤) لم يقف الباحث على البيت سوى في كتاب: إيضاح شواهد الإيضاح: ١: ٤٧٠، وقد نسبه لأبي ذؤيب الهذلي، كما أورده صاحب مجمع البيان: ١: ٢٩٠، من غير نسبة.

الأواقي: جمعُ أُوقِيَّة، وهي: زِنةُ سَبعةِ مَثاقِيلَ، وزنةُ أَربعينَ درهماً. لسان العرب: ١٥: ٤٠٤، (وقي).

القيان: جمع قيّنة، وهي: الأمَةُ مغنّيةٌ كانت أو غيرُ مغنّية. الصحاح: ٦: ٢١٨٦، (قين).

النّواهد: جمع ناهد، قال أَبو عبيد : إِذا نَهَدَ ثَدْيُ الجارية قيل: هي ناهِد، ونَهَدَ الثديُ إذا ارتفع عن الصّدرِ وصار له حَجْمٌ. لسان العرب: ٣: ٤٢٩، (نهد).

اللغة:

التّظاهُرُ: التّعاونُ، والظَّهيرُ: المُعينُ والنّاصرُ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1]، أي: مُعينُونَ وناصِرونَ لِرسولِ الله ﷺ، والظّهيرُ وإن كانَ في اللّفظِ [مفرد] لكنَّهُ في المعنى جَمعٌ ومثلُهُ كثيرٌ في القرآنِ، والتَّظاهُرُ: التّغالُبُ، وقالَ تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[2]، أي: غالبينَ، ومنهُ الحديثُ: «فظَهَرَ الّذينَ كانَ بينَهُم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهدٌ»[3]، أي: غَلَبوهُم، ومنهُ حَديثُ عليٍّ عليه السلام: «إنَّهُ بارزَ يومَ بَدرٍ فَظاهَرَ»[4]، أي: نَصَرَ وأعانَ، وفيهِ: «إنَّهُ عليه السلام ظاهَرَ بينَ دِرعَينِ يومَ أُحُدٍ»[5]، أي: جَمعَ، وليسَ أَحدُهُما فوقَ الأُخرى، وكأَنَّهُ من التَّظاهرِ والتَّعاونِ، ومِن أَسمائِهِ تعالى: الظّاهِرُ، وهو: الّذي ظَهَرَ فوقَ كُلِّ شيءٍ وعَلا عليهِ وغَلَبَ، وهوَ الّذي عُرِفَ بطُرُقِ الاستِدلالِ العقليِّ بما ظَهَرَ لهم مِن آثارِ أَفعالِهِ وأَوصافِهِ.

والإثمُ بالكَسرِ: الذَّنبُ والخَمرُ والقِمارُ، والفِعلُ القَبيح الّذي يَستَحقُّ بهِ اللّومَ والعِقابَ، وأن يَعمَلَ ما لا يَحِلّ لهُ، يقالُ: أَثِمَ كَعَلِمَ إِثْمًا ومَأْثَمًا، فهوَ: آثِمٌ وأَثِيمٌ وأَثَّامُ وأَثومُ، وأَثَمَهُ إليهِ في كَذا كَمَنَعَهُ ونَصَرَهُ: عَدَّهُ إليهِ إِثْمًا فهوَ مَأْثُومٌ، وتَأَثَّمَ، أي: جانَبَ الإثْمَ، كتَحَرَّجَ بمعنى: جانَبَ الحَرَجَ، ونَظيرُ الإثمِ: الوِزْرُ، وَزْنًا ومَعنًى، وقالَ قَومٌ: معنى الإثْمَ: ما تَنَفَّرَ منهُ النَّفسُ ولَم يَطمَئِنَّ إليهِ القَلبُ، ومنهُ قولُ النَّبيِّ ﷺ لِنواس بنِ سمعانَ[6] حينَ سَأَلَهُ عَنِ البرِّ والإثْمِ، فقالَ ﷺ: «البرُّ ما

---

(١) سورة التحريم ٦٦: ٤.

(٢) سورة الصف ٦١: ١٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٦٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٦٦.

(٦) هو: ابن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر العامري الكلابي: من أصحاب النّبيّ ﷺ، معدود في الشاميّين، روى عن النّبيِّ ﷺ، قال أقمت مع النّبيِّ ﷺ سنة بالمدينة ما يمنعني منَ الهجرة إلّا المسألة. ينظر: أسد الغابة: ٥: ٤٥، والتاريخ الكبير: ٨: ١٢٦، ترجمة رقم: ٢٤٤٣، والجرح والتعديل: ٨: ٥٠٧، ترجمة رقم: ٢٣١٧.

اطمَأَنَّت إليهِ نَفسُكَ، والإثمُ ما حَكَّ في صَدرِكَ»[١].

والعُدوانُ: الإفراطُ في الظُّلمِ وتَجاوُزُ الحَدِّ، والعادِي: الظّالِمُ، يقالُ: عَدا فُلانٌ عَدْوًا وعُدُوًا وعُدْوانًا، وعَداءً بالفَتحِ والمدِّ إذا ظَلَمَ وتَجاوَزَ الحَدَّ، ومنهُ الحديثُ: «المُعتَدي في الزّكاةِ كَمانِعِها»[٢]، وهوَ أن يُعطيَها غَيرَ مُستحقِّها، ومنهُ الحديثُ: «سيَكونُ قَومٌ يَعتَدونَ في الدُّعاءِ»[٣]، وهوَ: الخُروجُ عنِ الوَضعِ الشَّرعِيِّ والسُّنّةِ المأثورةِ.

والأسرُ: القُوَّةُ والغَلَبَةُ والغَصبُ والأخذُ بالقَهرِ، ومنهُ سُمِّيَ الأسيرُ، وأَصلُهُ: الشَّدُّ والحَبسُ بالحَبلِ والقِدِّ الّذي يُشَدُّ بهِ الأَسيرُ، وأَسَرَهُ: إذا شَدَّهُ وفي الحديثِ: «لا يُؤسَرُ في الإسلامِ أَحَدٌ بشَهادَةِ الزّورِ إنّا لا نَقبَلُ إلّا العُدولَ»[٤]، أي: لا يُحبَسُ، والأَسيرُ: الأخيذُ بالقَهرِ والغَصبِ والمُقَيَّدُ، والمَسجُونُ جمعُهُ: أُسَراءُ وأُسارى وأَسارى وأَسرى كَما مَرَّ بيانُهُ في القراءةِ، والأُسْرَةُ بالضَّمِّ: عَشيرةُ الرّجُلِ وأَهلُ بَيتِهِ؛ لأَنَّهُ يَتَقَوّى بِهِم، والأُسرَةُ: الدِّرْعُ الحَصينَةُ.

خدشةٌ على أبي عَمرو:

وقَد فَرَقَ بينَ الأُسارَى والأسرى أَبو عَمرو بنُ العَلاء حيثُ قالَ: الأُسارَى: الّذينَ هُم في الوَثاقِ، والأسرى: الّذينَ هُم في اليَدِ وإن لَم يكونوا في الوَثاقِ[٥]؛ ويُكذِّبُ ذلكَ ما يَجيءُ في سُورةِ الأنفالِ مِن حِكايَةِ عبّاسِ بنِ عَبدِ المطَّلِبِ وغَيرِهِ، فَكَأَنَّهُ سَمِعَ قَولَهُم: إنَّ زيادَةَ المَباني تَدلُّ على زيادَةِ المَعاني، وليسَ ذلكَ بكُلّي بَل قَد يكونُ الأَمرُ بالعَكسِ كَما بُيِّنَ في موضِعِهِ.

---

(١) لم يقف الباحث على الحديث في متون الكتب الحديثية بهذا النصّ، وأثبته من كتب التبيان: ١: ٣٣٥، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢: ٧٠، وقد جاء معناهُ في أحاديث متفرّقة. ينظر: مسند أحمد: ٤: ٢٢٨، والمعجم الأوسط: ٣: ٢٢٦، ووسائل الشيعة: ٢٧: ١٦٦، حديث رقم: ٣٣٥٠٢، والخرائج والجرائح: ١: ١٠٦، حديث رقم: ١٧٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٩٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ١٩٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٨.

(٥) ينظر: معاني القراءات: ١: ٤٤٥، وحجة القراءات: ١: ٣١٤.

والخِزْيُ بالكَسرِ: السُّوءُ والذُّلُّ، يقالُ: خَزِيَ الرّجلُ يَخزى خِزْيًا بالكَسرِ، وخزاءً من بابِ عَلِمَ إذا ذَلَّ وهانَ ووَقَعَ في بَلِيَّةٍ وشُهرَةٍ فذَلَّ بذلكَ، وقَد يكونُ الخِزيُ بمعنى الهَلاك، ومنهُ حديثُ: «شارِبُ الخَمرِ أَخزَاهُ اللهُ»(١) ويُروَى خَزاهُ اللهُ، أي: قَهَرَهُ وأهلَكَهُ وفَضَحَهُ.

الفرقُ بينَ الخِزي بمعنى: الذّلِّ، والهوانِ والحَياءِ: [٤١٣]

ويقالُ: في الحياءِ خَزِيَ يَخزى خَزايَةً بالفَتحِ، وخِزًى بالكَسرِ والقَصرِ مِن بابِ عَلِمَ أيضًا، أي: اسْتَحيَى فهوَ خَزيانُ، وامرَأَةٌ خَزْيا، ومنهُ حديثُ وَفدَ عَبدُ القَيسِ: (مَرحَبًا بالقَومِ غَيرَ خَزايا ولا نَدامَى)(٢)، خَزايا جَمعُ خَزيان وهوَ: المُستَحيي، ونَدامَى جَمعُ نادِم على غَيرِ قياسٍ، والقياسُ نادمينَ، ومنهُ الدّعاءُ المأثورُ: (غَيرُ خَزايا ولا نادمينَ)(٣) فكِلاهُما من بابِ عَلِمَ والفَرقُ بينَهُما كَما إنَّ وَجَدَ جاءَ بمعنى عَلِمَ وأَصابَ واستَغنَى وحَزِنَ وحَقَدَ ويَختَلِفنَ بالمصادِرِ وبعضُها بالمضارِعِ أيضًا.

والاشتِراءُ: الاستِبدالُ والاختِيارُ، والخِفَّةُ: نَقيضُ الثّقلِ، والتَّخفيفُ والتَّهوينُ والتّسهيلُ نظائِرُ، واُختُلِفَ في الخِفَّةِ والثّقلِ أنَّهما حقيقَةٌ يرجعانِ تناقُصِ الجَواهِرِ والأجسامِ وتَزايدِهما، فَعلى هذا لا يُطلَقانِ على المعاني والأَحداثِ إلَّا مَجازًا، وقيلَ: إنَّ الاعتِمادَ اللّازمَ المُختَصّ بجِهةِ السَّفلِ يُسَمَّى ثقلًا، والاعتِمادِ اللَّازمِ المختَصّ بجِهةِ العُلو يُسمَّى خِفّةً، وهذا المعنى أيضًا مَجازٌ في أَمثالِ العَذابِ أيضًا، بَل التَّخفيفُ ههنا مُقابلٌ للتَّشديدِ، فيكونُ معنى لا يُخَفَّفُ عنهُم العَذابُ بَل يُشَدُّ بقَرينةِ أَشَدِّ العَذابِ الَّذي هوَ مُقابلٌ لِلأَخَفِّ.

الإعراب:

(ثُمَّ): حرفُ عَطفٍ مُفيدٌ للتّرتيبِ معَ البُعدِ والتّراخي في الزَّمانِ لكن ههنا اُستُعيرَت لاستِبعادِ المنزلةِ، وبُعدِ ما ارتكَبوهُ بعدَ أَخذِ الميثاقِ والإقرارِ بهِ والشّهادةِ عليهِ، وفي قَولِهِ: ﴿**أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ**

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٠.

(٢) مسند أحمد: ١: ٢٢٨، وصحيح البخاري: ١: ١٩.

(٣) نهج البلاغة: ١: ٢٠٤، من خطبة في ذكر النّبيّ ﷺ، وإقبال الأعمال: ٢: ١٧٤، والمصباح: ٤٣٠.

تَقْتُلُونَ﴾ أَربعةُ أَوجُهٍ:

أَحَدُها: أن يكونَ (أَنتُم): مبتدأً، و(هؤلاءِ): اسمُ اشارةٍ خبرُهُ، وجملةُ: (تقتلون): حالًا، والعاملُ فيها مَعنى الاشارةِ، فيكونُ لَها محلٌّ من الإعرابِ، أو بَيانًا لجملةِ المبتدأِ والخَبَرِ فَلا محَلَّ لها حينئذٍ.

والثّاني: أن يكونَ (أَنتُم): مبتدأً أيضًا، و(هؤلاءِ): اسمٌ موصولٌ بمَعنى الّذينَ: خبرُهُ، وجملةُ: (تقتلونَ): صِلَتهُ، فَلا محَلَّ لها حينئذٍ أيضًا، وقَد يكونُ (تلكَ وهذا وهؤلاءِ) اسماءً مَوصولةً عندَ الكوفيّينَ كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[1] أي: ما الّتي بيَمينِكَ؟ وأَنشَدوا قولَ يزيدِ بنِ ربيعةَ الحِميَريّ يَصحَبُ عَبّادًا أَخا معاويةَ بنَ أَبي سفيان:

عَدَس[2] ما لِعَبّادٍ عَليكِ أَمارَةٌ أَمِنتِ وهذا تَحمِلينَ طَليقٌ[3]

أي: والّذي تَحمِلينَهُ طليقٌ.

والثّالثُ: أن تكونَ (أَنتُم): مبتدأً أيضًا، خبرُهُ: جملةُ: (تقتلونَ)، فلَها محلٌّ منَ الإعرابِ، و(هؤلاءِ): مُنادى مُفرد معرفة بحَذفِ النّداءِ تقديرُهُ: (ثمَّ أَنتُم تقتلونَ أَنفسَكُم يا هؤلاءِ).

والرابعُ: أن يكونَ (أَنتُم) مبتدأً أيضًا، و(هؤلاءِ) تأكيدٌ لهُ، وجملةُ: (تَقتلونَ): خبرهُ، فَلَها محلٌّ أيضًا.

---

(١) سورة طه ٢٠: ١٧.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: عَدَس: زجرٌ للبَغلِ وقَد يُجعَلُ عَلَمًا لهُ، وكِلا الأمرينِ مُحتَملٌ ههنا، فإن كانَ عَلَمًا فَحرفُ النّداءِ محَذوفٌ وأُسكِنتِ السّينُ للشّعرِ، وعَبّادُ: اسم ملكٍ بسِجستان حبسَ نوا الشّاعر، [هو عَبّاد بنُ زِيَاد بن أَبِي سُفْيَانَ ، وكانَ قد وَلاّه معَاوِيَةُ سِجِسْتَانَ. الوافي بالوفيّات: ١٦: ٣٤٩، ترجمة رقم: ٥٨٩٥]. ثمَّ هربَ من السّجنِ ورَكبَ بغلةً وخاطَبَها بهذا الشّعرِ، أي: يا عَدَس، أي: يا بغلةَ أَسرعي في الهَرَبِ فإنَّهُ لا حُكمَ لعبّادٍ عليكِ، وهذا الذي تَحمِلينَهُ طليقٌ، أي مُطلَقٌ ملخص وأَرادَ بالطَّليقِ نفسَهُ، هذا عندَ الكوفيّين، وأَمَّا البّصريّين فيقولونَ: إنَّ هذا اسمُ اشارةٍ مبتدأ، وخبرهُ طَليقٌ، وجملةُ تَحملينَ: حالٌ وعاملُها معنى الحدثان كما في الآية.

(٣) البيت من الطويل. ديوانه: ١١٥، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٥٨٩، الشاهد: ٤٤٣، وخزانة الأدب: ٦: ٤١.

وقائله: ابن مفرغ: من فحول الشعراء، وله هجو مقذع، ومديح، ونظمه سائر، هجا عبيد الله بن زياد، فأتى وطلب من معاوية قتله، فلم يأذن، وقيل: أدّبهُ، توفي سنة (٦٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣: ٥٢٢، ترجمة رقم: ١٢٩، والأعلام: ٨: ١٨٣.

وقُرِئَ: (تُقَتِّلُونَ) بالتَّشديدِ؛ لِتكثيرِ المفعولِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾(١) وقولِهِ تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾(٢)، وَ(تُخْرِجُونَ فَرِيقًا) على التَّقاديرِ المذكورةِ عَطفٌ عَلى (تقتلونَ أنفسَكُم).

و(منكُم): نعتٌ لِـ(فريقًا)، و(مِن دِيارِهِم): مُتعلِّقٌ بـ(تُخرِجونَ)، وجملةُ: (تَظاهرونَ عَليهم بالإثمِ والعُدوانِ): حالٌ مِن فاعلِ (تُخرِجونَ) أو مِن مفعولِهِ أو كِلَيهما، و(أن يَأتُوكُم) منَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ: شَرطٌ، و(أُسارى) على القِراءَتينِ: حالٌ من فاعلِ (يأتُوكُم) وهوَ: (الواوُ)، وجملةُ: (تُفادوهُم) من الفعلِ والفاعلِ والمفعولِ: جوابُ الشّرطِ، و(هم) راجعٌ إلى (أُسارَى)، والمفعولُ الثّاني مِن (تُفادوهُم) محَذوفٌ: مجرورٌ بالباءِ، أي: تُفادُوهُم بالأموالِ أو بالأنفُسِ، أي: بأسيرٍ آخَرَ منهُم.

وفي قولِهِ تعالى: ﴿**وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**﴾ ثلاثةُ أَوجُهٍ:

أَحدُها: أن يكونَ (هوَ): مبتدأً راجعًا إلى الإخراجِ المفهومِ مِن (تُخرِجونَ)، وخبرَهُ: (مُحَرَّمٌ)، وفيهِ ضميرٌ راجعٌ إلى المبتدأِ، و(إِخراجُهُم): تأكيدٌ لهُ أو بيانٌ لهُ، وإنَّما احتاجَ إلى التّأكيدِ والبَيانِ؛ لِتَراخي الكَلامِ عَن ذكرِ المرجِعِ.

والثّانِي: أن يكونَ (هوَ): ضميرَ الشّأنِ، و(الحديثُ): مبتدأٌ، و(مُحَرَّمٌ): خبرُهُ، و(إِخراجُهُم): نائبُ فاعلِ (مُحرَّم)، أي: والشّأنُ والحديثُ مُحُرَّمٌ عليكُم إخراجُهُم، كقَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٣)، أي: الأَمرُ والشّأنُ الّذي هوَ الحَقُّ اللهُ أَحدٌ.

والثّالثُ: أن يكونَ ضَميرًا مُبهَمًا يُفسِّرُهُ إخراجُهُم، خبرُهُ: (محرّمٌ) إلى آخِرِهِ.

وعَلى الأَوجهِ الثّلاثةِ (عَليكُم): مُتعلِّقٌ بمُحرَّمٍ، وهذهِ الجملة على الأوجهِ الثّلاثةِ: حالٌ مِن فاعِلِ (تُخرِجونَ)، أو مِن مفعولِهِ أو كِليهِما، أو مِن فاعلِ (تَظاهرونَ)، أو مُتعلّقةٌ على سبيلِ التّرادُفِ أو

(١) سورة يوسف ١٢: ٢٣.

(٢) سورة الحج ٢٢: ١٩.

(٣) سورة الإخلاص ١١٢: ١.

التّداخُلِ، والجملةُ الشّرطيّة: مُعتَرِضَةٌ بينَ الحالِ وصاحبِها.

قولُهُ: (أفَتُؤمِنونَ ببَعضِ الكِتابِ): (الهمزَةُ): للإنكارِ والتّقريعِ، و(ما): نافية انتَقَضَ نَفيُها بـ(إلّا)، و(جَزاءُ): مبتدأٌ، و(مَن): مُضافٌ إليهِ، وجملة: (يفعَلُ ذلكَ) منَ الفِعلِ والفاعلِ والمفعولِ بهِ: صِلَةُ مَن أو صِفَتُهُ، و(منكُم): حالٌ مِن فاعلِ يَفعلُ، و(إلّا خِزيٌ): خَبَرُ المبتدأِ، والمُستَثنى مُفرَّغٌ حُذِفَ المُستثنى منهُ، و(في الحياةِ): مُتعلّقٌ بـ(خِزي)، و(الدُّنيا): صِفةُ الحياةِ، و(يومَ القِيامةِ): ظَرفٌ لِـ(يُردُّونَ)، و(إلى أشَدِّ العَذابِ): مُتعلّقٌ بهِ، والباقي: واضِحٌ على ما سَبَقَ مثلُهُ في آيةٍ بعدَ حكايةِ البَقَرةِ، و(أولئكَ): مبتدأٌ: خبرُهُ: (الّذينَ)، وجملةُ: (اشتَرُوا): صِلَةُ الّذينَ، و(الباء): بمَعنى البَدَلِ، وتُسَمَّى باءُ المُقابلَةِ والتّعويضِ، وتَدخُلُ في الأثمانِ كَقَولِهِ تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[1] وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[2]، والباقي: واضِحٌ. [٤١٤]

المعنى:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يا مَعشَرَ اليَهودِ من بَني إسرائيلَ والمُنافقينَ واليَهودِ من هذهِ الأمّةِ بعدَ إقرارِكُم بالميثاقِ الّذي أخذناهُ عليكُم لا تَسفِكونَ دماءَكُم، ولا تُخرِجونَ أنفسَكُم مِن ديارِكُم وبعدَ اعتِرافِكُم وشَهادتِكُم على أنفسِكُم بذلكَ أنّهُ واجبٌ عليكُم، ولازِمٌ لكُم الوَفاءُ بهِ.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ الناقِضونَ لذلكَ الميثاقِ والنّاكثونَ لذلكَ العَهدِ نَظيرُ قولكَ أنتَ ذاكَ الّذي فَعَلَ كَذا نُزِّلَ تغييرِ الصّفةِ مَنزلةَ تغييرِ الذّاتِ، **﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾**، أي: حال كَونِكَم قاتلينَ أنفسَكُم بأن يَقتلَ بعضُكُم بعضًا لقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[3] لِيُسَلِّمَ بعضُكُم بعضًا أو لِيُسلِّمَ الشّخصُ على نفسِهِ بأن يقولَ: السّلامُ علينا وعلى [عِبادِ] الله الصّالحينَ، أو غَيرٌ ممّا مَرَّ

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١١.

(٣) سورة النور ٢٤: ٦١.

بيانُهُ في الآيةِ السّابقةِ، أو أَنتُم الّذينَ تَقتلونَ أَنفسَكُم وغيرَ ذلكَ مِمَّا مَرَّ في بيانِ الإعرابِ، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾ كائنًا ﴿مِنكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: حالَ كونِكُم مُتعاونينَ عليهِم في إِخراجِكُم إِيَّاهُم مِن مَنازِلِهِم، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ لا بالبِرِّ والتّقوى، عَكسَ ما وَصَّى اللهُ بهِ في قولِهِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١).

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾، أي: وأَنتُم معَ قَتلِكُم مَن تَقتُلُونَهُم منكُم إن وَجدتُمُوهُم أُسارى في أَيدِي أَعدائِكُم تَفدُوهُم؛ لأَنَّهُم منكُم ومِن أَنفسِكُم ومِن أَهلِ دينِكُم ومِن عُظَمائِكُم، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، والحالُ أَنَّ قَتلَكُم إِيَّاهُم وإِخراجَكُم إِيَّاهُم وإِجلاءَكُم إِيَّاهُم مُحَرَّمٌ عليكُم، أو الحالُ والشَّأنُ مُحَرَّمٌ عليكُم إخراجُكُم إِيَّاهُم وإِجلاؤكُم إِيَّاهُم عَن أَوطانِهِم ومَنازِلِهِم الّتي هيَ حَرَمُ اللهِ ورسولِهِ كَما مَرَّ في النّزولِ مِن حِكايةِ أَبي ذَرٍّ ﷺ، فكَما أَنَّ قَتلَكُم أنفسَكُم وإِخراجَكُم مِن ديارِكُم حَرامٌ عليكم، كَذلكَ تَركَكُم إِيَّاهُم أُسارى على أَيدِي أَعدائِهِم حَرامٌ عليكُم، فَكيفَ تَستَجيزونَ قَتلَهُم وإِخراجَهُم ولا تَستَجيزونَ تَركَ فِدائِهِم مِن عَدوِّهِم وهُما جميعًا في حُكمِ الواجبِ عليكُم واللّازمِ لكُم على السَّواءِ.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾، أي: المكتوبِ المفروضِ الّذي فَرضناهُ عليكُم، فيهِ فَرائِضي وثَبَّتنا فيهِ حُدودي، وأَخذنا عَليكُم بالعَمَلِ بما فيهِ ميثاقِي، فَتُصدِّقونهُ فَتُفادونَ أَسراكُم من أَيدِي عَدُوِّهِم بالأَموالِ والأَنفسِ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ مِن ذلكَ المكتوبِ المفروضِ فَتَجحَدونهُ، فَتقتُلونَ مَن حَرَّمنا عليكُم قَتلَهُ مِن أَهلِ دينِكُم وأَشرَفِ أَهلِ مِلَّتِكُم وإِمامِكُم، وتُخرِجونهم مِن ديارِهِم ومَنازِلِهِم مِن حَرَمِ اللهِ وحَرَمِ رسولِهِ ﷺ وقَد عَرَفتُم أَنَّ كُفرَكُم ببعضِهِ نَقضٌ لِميثاقِي ونَكثٌ لِعَهدِي، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢) بَل الكُفرُ بالبَعضِ كُفرٌ بالجميعِ في الحقيقةِ.

---

(١) سورة المائدة ٥: ٢.

(٢) سورة الفتح ٤٨: ١٠.

ففي أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى أَبي عَمرو الزّبيريّ عن أَبي عبدِ الله عليه السلام في حديثِ وجوهِ الكُفرِ في القرآنِ أَنَّهُ قالَ: «الوَجهُ الرّابعُ مِنَ الكُفرِ: تَركُ ما أَمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بهِ، وهوَ قولُ الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** ـ إلى قولِهِ:ـ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ﴾** إلى آخِرِه، فكَفَّرَهُم بتَركِهِم ما أَمَرَ اللهُ، ونَسَبَهُم إلى الإيمانِ، ولَم يَقبلْهُ منهُم ولَم يَنفَعْهُم عندَهُ فقالَ: **﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾** الآيةِ»[1]، والحديثُ طويلٌ أَخذنا منهُ موضِعَ الحاجَةِ.

واختَلَفَ أَهلُ التّفاسيرِ فيمَن عُنِيَ بهذهِ الآيةِ: فَرُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ قُرَيظَةَ والنّضيرَ منَ اليَهودِ كانا أَخوينِ كالأوسِ والخَزرجِ منَ العَرَبِ، والأَوسُ والخَزرَجُ مِن أَهلِ الشّركِ يَعبدُونَ الأَوثانَ لا يَعرِفونَ جَنَّةً ولا نارًا ولا قِيامةً ولا كِتابًا، وقُريظَةُ كانوا حُلَفاءَ الأَوسِ والنّضيرُ حُلفاءَ الخَزرَجِ، فإذا اقتَتَلوا عاوَنَ كُلُّ فريقٍ حُلفاءَهُ في القَتلِ والأَسرِ وتَخريبِ الدّيارِ وإجلاءِ أَهلِها، فإذا وَضَعَتِ الحَربُ أَوزارَها اجتَمعُوا تَفدُوا أُساراهُم بالأَموالِ والأَسيرِ؛ تَصديقًا لِما في التَّوراةِ؛ فَوَبَّخَ اللهُ تعالى اليَهودَ بما فَعلوهُ.

وقالَ أَبو العاليةِ: كانَ بَنو إسرائيلَ إذا استَضعَفَ قومٌ قَومًا أَخرَجوهُم مِن ديارِهِم، وقَد أَخَذَ اللهُ عليهِم الميثاقَ بأن لا يَسفِكُوا دماءَهُم ولا يُخرِجُوا أَنفسَهُم من ديارِهِم، وأَخَذَ سبحانَهُ عليهِم الميثاقَ إن أَسَرَ بعضُهُم بعضًا أن يُفادُوهُم، ثمَّ إنَّهُم فادُوهُم فَآمَنوا بالفِداءِ فَفَدَوا، وكَفَرُوا بالإخراجِ منَ الدِّيارِ فَأَخرَجوهُم.   [٤١٥]

(١) الكافي: ٢: ٣٩٠، حديث رقم: ١.

وقالَ أبو مُسلمٍ الأَصفهانيُّ[١]: ليسَ المرادُ بقولِهِ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ الآية، إنَّهُم يَخرُجونَ وهوَ مُحرَّمٌ عليهِم، وَيَفدُونَ وهوَ واجِبٌ عليهِم، وإنَّما يَرجِعُ ذلكَ إلى بَيانِ صِفَةِ مُحمَّدٍ ﷺ وغَيرِه»[٢]، انتهى، هكذا قالَهُ في المجمَعِ.

والأولى: أن يُرادَ ما هوَ الأَعمُّ مِن ذلكَ، ومِن إخراجِ صِفاتِ مُحمَّدٍ ﷺ ووَصيِّهِ عليه السلام، وقَتلِ المعصومِ منَ الأنبياءِ كَزَكريَّا ويَحيى وغَيرِهِما، والإمامِ عليه السلام كَعَليِّ بنِ أَبي طالبٍ والحَسَنينِ وغَيرِهِم عليهم السلام، وإِخراجِهِم من دِيارِهِم الّتي هيَ حَرَمُ الله وحَرَمُ رسولِهِ ﷺ، وقَتلِ عمّارٍ وأَبيهِ ياسِر وأُمِّهِ سُميَّة، وإخراجِ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه على ما مَرَّ في النّزولِ.

وفي تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «قالَ رسولُ الله ﷺ: لمَّا نزلَت في اليَهودِ، أي: الّذينَ نَقَضُوا عَهدَ الله وكَذَّبُوا رُسُلَ الله وقَتَلوا أَولياءَ الله: أَفَلا أُنَبِّئُكُم بمَن يُضاهِيهِم مِن يَهودِ هذهِ الأُمَّةِ؟ قالوا: بَلى يا رسولَ الله، قالَ: قَومٌ مِن أُمَّتِي يَنتَحِلونَ أَنَّهُم مِن أهلِ مِلَّتي، يَقتُلونَ أَفاضِلَ ذُرِّيَّتِي وأَطائِبَ أَرومَتِي[٣]، ويُبَدِّلونَ شَريعَتِي وسُنَّتِي، ويَقتُلونَ وَلَدَيَّ الحَسَنِ والحُسَينِ كَما قَتَلَ أَسلافُ اليَهودِ زَكريَّا ويَحيى، ألا وإنَّ اللهَ يَلعنُهُم كَما لَعَنَهُم، ويَبعَثُ اللهُ على بَقايا ذَرارِيهِم قَبلَ يومِ القِيامَةِ هاديًا مَهديًّا مِن وُلدِ الحُسَينِ المظلومِ يُحرِقُهُم بسيوفِ أَوليائِهِ إلى نارِ جهنَّم»[٤]، انتهى. وهذا هوَ الّذي أَشرنا إليهِ سابقًا.

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهوَ القَوَدُ والقصاصُ والانتِقامُ،

---

(١) هو: مُحمّدُ بنُ بحر الأصفهاني: المعتزلي، عالمٌ بالتفسيرِ وبغيرِهِ من العلومِ، ولي أصفهان وبلاد فارس، من كتبهِ: جامع التأويل، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢: ١٧٥، والأعلام: ٦: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ١: ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) الأرومَةُ: أصلُ الحَسَبِ، وهي: أصلُ كلِّ شيءٍ ومُجتمعِهِ. معجم مقاييس اللغة: ١: ٨٥، (أرم).

(٤) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٦٩.

وأَخذُ الجزيةِ في الدُّنيا مِن تَسليطِ شابورِ ذي الأَكتافِ[1] وبُخْتَ نَصَّر[2] وخروجِ المهدي مِن آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ في الرّجعةِ قَبلَ يومِ القيامةِ، وضَربِ الجزيةِ عَليهم هذا كُلُّه في الدُّنيا، ثمَّ أَعلَمَ سبحانَهُ أنَّ هؤلاءِ معَ الخِزيِ والعَذابِ والانتِقامِ في الدُّنيا غَيرُ مُكَفَّرٍ عنهم ذُنوبُهم، وإنَّهُم صائرونَ من بَعدِهِ إلى العَذابِ الشّديدِ والخُلودِ الدائِمِ فيهِ بقولِهِ: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ**﴾ الّذي أَعَدَّهُ اللهُ سبحانَهُ لِأعدائِهِ وهوَ العَذابُ الذي لا رَوحَ فيهِ معَ اليَأسِ من التّخلّصِ؛ لأنَّ عِصيانَهم أَشَدُّ ولا يَموتونَ فيها ولا يَحيَونَ ولا يُخَفَّفُ مِن عَذابِهِم شيءٌ ولا هُم يُنصَرونَ.

تَسميةُ القِيامةِ بالقِيامةِ:

وفي العِلَلِ: بإسنادِهِ إلى أحمد بن عبدِ الله بنِ يزيدِ بنِ سلامٍ أَنَّهُ سأَلَ رسولَ الله ﷺ فقالَ: أَخبرني عنِ القِيامةِ لِمَ سُمِّيَتِ القيامةُ؟ قالَ: «لأنَّ فيها قيامَ الخَلقِ للحِسابِ»[3] الحديث.

و﴿**مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ هذا تأكيدٌ للوَعيدِ؛ لأنَّهُ سبحانَهُ لَبِالمرصادِ ولا يَغفُلُ عَن أفعالِهِم القَبيحةِ، وقَد مَرَّ أنَّهم يَقرَأونَ (بالتّاءِ والياءِ)، ثمَّ أَخبرَ سبحانَهُ عن هؤلاءِ اليَهودِ مِن بَني إسرائيلَ والمنافِقينَ واليَهودِ من هذهِ الأُمَّةِ الّذينَ يُؤمنونَ بِبَعضِ الكِتابِ ويَكفُرونَ بِبَعضٍ بقولِهِ: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ**﴾، أي: ابتاعُوا رِئاسةَ الدُّنيا بالآخرَةِ، أي: رَضُوا بالدُّنيا الفانيةِ

---

(١) هو شاه شابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز: أحد ملوك الطوائف، خرجَ لمحاربةِ الأعرابِ التي زحفت من كاظمةِ البحرين وتطرّقوا نواحيه يغيرون عليها ويُفسدونَ فيها وجعل يقتلُهُم وينزعُ أكتافَهم ويتبعهم في بوادِيهم ودِيارِهم، وكان ملكه اثنين وسبعين سنة وملك الحيرة في أيّامِهِ امرؤ القيس الأوّل. ينظر: البدء والتاريخ: ٣: ١٦٣.

(٢) هو ملك بابل الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيّهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا، ودخل بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم فخرّب بيت المقدس، بعد ثمان مائة سنة من بنائه، وأحرقَ التوراة، ثمّ انصرف راجعا إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل فنقلهم إلى أصبهان وبلاد العراق إلى أن ردّهم بعض ملوك الكيانيّة من الفرس إلى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم. ينظر: البداية والنهاية: ٢: ٤٢ ـ ٤٦، وتاريخ ابن خلدون: ١: ٣٥٤.

(٣) علل الشرائع: ٢: ٤٧٠، حديث رقم: ٣٣، وراويه: أبو جعفر ، الذي يروي عن أبيه، عن آبائه، عن أخيه عبد الله مولى رسول الله ﷺ. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ١: ٣٥٧، ترجمة رقم: ١١٥١.

عِوَضًا وبَدَلًا عنِ الآخرَةِ الباقيةِ الّتي أَعدَّها اللهُ سبحانُهُ للمؤمنينَ واختارُوها عَنها؛ لأنَّ المُشتَري يَختارُ المُثْمَنَ عِوَضًا عنِ الثَّمَنِ فَجَعَلَ اللهُ سبحانُهُ تَركَهُم حُظوظَهُم وأَنْصِباءَهم مِن نَعيمِ الآخرَةِ بِسبَبِ كُفرِهِم بآياتِ اللهِ وإِنكارِهِم مواثيقَهُ ثَمَنًا لِما ابتاعُوهُ واختارُوهُ من خَسِيسِ الدُّنيا كَما مَرَّ في قَولِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[1] الآية، ثمَّ أَخبرَ سبحانُهُ بأنَّ لَهم أَشَدَّ العَذابِ في الآخرةِ ولا حَظَّ لَهم في نَعيمِها بقولِهِ: **﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾**، أي: لا يُسَهَّلُ ولا يُهَوَّنُ ولا يُنْقَصُ من عَذابِهِم شيءٌ مِمَّا استَحقُّوهُ، **﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾**، أي: لا يَنصُرُهُم أَحَدٌ في دَفعِ عَذابِ الله عنهُم في الآخرَةِ، ولا يَشفَعُ لَهم شافِعٌ فيَقولونَ: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[2]، نعوذُ بالله منَ الغوايةِ وحَيرَةِ الضَّلالَةِ والكُفرِ والنِّفاقِ والشِّقاقِ والشَّكِّ والشِّركِ والعَمى في دينِ الله.

وقولُهُ تعالى: **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾** آيةٌ:

القراءة:

قَرأَ عبدُ الله بنُ كثيرٍ المكِّيُّ: (القُدْس) بسُكُونِ الدَّالِ في جَميعِ القرآنِ؛ لأنَّ الأَصلَ فيهِ التّسكينُ والباقونَ: بضَمِّ القافِ والدَّالِ جميعًا[3]؛ لجَوازِ التّثقيلِ في مثلِهِ، نحو: الحُلْمُ والحُلُمُ، والعُنْقُ والعُنُقُ والعُسْرُ والعُسُرُ، واليُسْرُ واليُسُرُ كَما مَرَّ، ورُوِيَ في الشَّواذِّ: عن أَبي عَمرو بنِ العلاءِ (وآيَدْناهُ) على وَزنِ أَفعَلناهُ من بابِ الافْعالِ، والجمهورُ (أَيَّدناهُ) بالتَّشديدِ منَ التَّأييدِ[4]، وهذهِ القراءةُ هيَ الأصلُ

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٦.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ١٠٠، ١٠١.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٤، والحجة في القراءات السبع: ١: ٨٥، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٢.

(٤) ينظر: الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٤٩، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: ١: ١٨٤.

والأصَحُّ؛ لأنَّ عَينَ الكَلمةِ بَقِيَت على حالِها منَ الصِّحّةِ معَ حُصولِ التَّخفيفِ بالادغامِ، وأمَّا على قِراءةِ (آيَدْناهُ) على أَفْعَلْناهُ يَلْزَمُ تَوالِي الاعلالَينِ عَلى ما هوَ القِياسُ، ومَعنى ذلكَ: أنَّهُ لَو أُعِلَّت عَينُهُ

[٤١٦]

كَما يَجِبُ إعلالُ أَفْعَلْتُ منَ الأجوَفِ الواوي واليائي مثلَ: أَقَمتُ وأَبَعتُ لَزِمَ فيهِ اِعلالانِ؛ لأنَّ أَصلَ: آيَدتُ: أَأْيَدْتُ، كَما إنَّ أَصلَ: آمَنَ: أَءمَنَ فَانقَلَبتِ الهمزَةُ الثّانيةُ أَلفًا؛ لاجتِماعِهِما في كَلِمةٍ واحدَةٍ وكَونِ الأُولى منهُما مَفتوحةً والثّانيةِ ساكنَةً، وكانَ يَجِبُ أن تُلْقَى حَرَكةُ العَينِ الّتي هيَ الياءُ على فاءِ الكَلمةِ ويُحذَفُ العَينُ كَما أُلقِيَت حَرَكةُ الواوِ والياءِ في أَقْوَمْتُ وأَبْيَعْتُ إلى القافِ والباءِ فَصارَا: أَقَمْتُ وأَبَعْتُ، وكانَ يجِبُ على هذا أيضًا أن تُقْلَبَ الفاءُ الّتي هيَ الهمزةُ الثانيَةُ واوًا؛ لأنَّها قَد تَحَرَّكَت وانفتَحَ ما قَبلَها ولا بدَّ مِن قَلبِها واوًا؛ لاجتِماعِ الهمزَتينِ المُتَحرّكتينِ المفتوحَتينِ، كَما قُلِبَت وُجُوبًا في تَكسيرِ آدَمَ على أَوَادِمَ، أَصلُهُ: أَءَادِمُ قُلِبَتِ الهمزَةُ الثّانيةُ واوًا وُجوبًا كَما بُيِّنَ في موضعِهِ، معَ أنَّ أَصلَ: آدم: أَءْدَمُ، فكانَ يَجِبُ أن يقالَ: أَوَدْناهُ بروحِ القُدُسِ، كَأَقَمناهُ فتُحذَفُ الياءُ الّتي هيَ عينُ الكَلمةِ فيَلزَمُ فيهِ إعلالانِ: قَلبُ الفاءِ الّتي هيَ الهمزةُ الثّانيةُ واوًا وحَذفُ العينِ الّتي هيَ الياءُ فَيَعتلُّ الفاءُ والعينُ جميعًا، وإذا لَم يُعتَلّ عينهُ الّتي هيَ الياءُ كَما في أَعْوَرْتُ وأَغْيَمَتِ الياءُ وأَغيَلَتِ المرأةُ[١] لَزِمَ الشّذوذُ على ما بُيِّنَ في موضِعِهِ، ويَحتَمِلُ عندي أن يكونَ قراءةُ (آيَدْنا) على وَزنِ فاعَلْناهُ من بابِ المفاعَلةِ لا أَفعَلناهُ فَلا يَلْزَمُ الإعلالانِ و لا الشُّذُوذُ.

اللغة:

التّقفيَةُ: جعلُ الشّيءِ رَديفًا لآخَرَ وجاعِلًا إِيّاهُ خَلفَهُ، مَأخوذًا منَ القَفاء، تقولُ: قَفَوتُ فُلانًا: إذا صِرتَ خَلفَ قَفاهُ، وقَفَوتُ الرّجُلَ: إذا تَبِعتَهُ، وفي أَسماءِ النَّبيِّ ﷺ: المُقَفَّى، يعني: أَنَّهُ آخِرُ الأنبياءِ المُتَّبعِ لَهم فَلا نَبيَّ بعدَهُ، وفي حَديثِ طلحةَ: «فَوَضَعوا اللُّجَ على قَفَيَّ»[٢]، أي: وَضَعوا السَّيفَ على

(١) الغَيلُ: «إرضاعُ المرأةِ ولدَها على حَبَلٍ». العين: ٤: ٤٤٨، (غيل).

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٣: ٢٩٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٩٠، و٤: ٩٤.

قَفَايَ، وهيَ لغةٌ طائيَّةٌ وتَميميَّةٌ يَقلِبونَ الألفَ المقصورةَ ياءً ويُدغِمونَها في ياءِ المُتكَلِّمِ.

والرُّسُلُ بضَمَّتينِ: جَمعُ رسولٍ كَالصُّبُرِ والشُّكرِ والغُفُرِ والفُخُرِ في جَمعِ صَبورٍ وشَكورٍ وغَفورٍ وفَخورٍ، قالَ طَرفَةُ:

ثُمَّ زادُوا أنَّهُم في قَومِهِم غُفُرٌ ذَنبَهُمُ غَيرُ فُخُرٍ(١)

وقَد يُسكَنُ عَينُ مِثلِهِ كَما مَرَّ.

والتّأييدُ: التّقويةُ، منَ الأيْدِ، وهيَ: القُوَّةُ، وفي حَديثِ حَسَّانِ بنِ ثابتٍ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤَيِّدُكَ»(٢)، أي: يُقَوِّيكَ ويَنصُرُكَ، ورَجُلٌ أَيِّدٌ بالتّشديدِ أي: قَوِيٌّ، ومنهُ خطبةُ عَليٍّ ﷺ: «وأَمسَكَها مِن أن تَمورَ بأَيدِهِ»(٣)، أي: بِقُوَّتِهِ وقُدرَتِهِ، وقالَ تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾(٤) أي: بقُوَّةٍ، وفعلُهُ: آدَ يَئِيدُ، كَباعَ يَبِيعُ، أي: اشتَدَّ وقَوِيَ وأَيَّدتُهُ تَأييدًا.

والقُدسُ: بالضّمِّ وبضَمَّتَينِ: الطُّهرُ، اسمٌ ومَصدَرٌ، والتَّقديسُ: التَّطهيرُ، وفي أَسماءِ اللهِ تعالى: القُدُّوسُ، أي: الطّاهرُ المُنَزَّهُ مِن أن يكونَ لهُ ولدٌ أو كُفوٌ أو شَريكٌ أو شَبيهٌ، ومِن أن يكونَ في فِعلِهِ وحُكمِهِ ما ليسَ بعَدلٍ ومِن أن يكونَ فيهِ عَيبٌ ونَقصٌ، وفُعُّولٌ بالضَّمِّ والتّشديدِ من أَبنيةِ المُبالَغَةِ، وقَد تُفتَحُ القافُ وليسَ بالكَثيرِ، ولَم يَجِئ منهُ إلَّا قَدُّوسٌ وسَبُّوحٌ وذَرُّوحٌ كَما ذَكرناهُ سابقًا في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(٥)، والأرضُ المُقدَّسَةُ في قولِهِ تعالى حِكايةً عن

---

(١) البيت من الرمل، ديوانه: ٦٤، وهو من شواهد سيبويه: ١: ١١٣، كما ينظر: خزانة الأدب: ٨: ١٩٠.

ومنه في حاشية الأصل: يعني: أنّهم زادُوا عندَ قومِهِم وفُضِّلوا عليهِم؛ لأجلِ أنَّهم غُفُرٌ ذَنبَ قَومِهم، وأنَّهم غيرُ مُفتَخرينَ في غُفرانِ ذَنبِهم ولَم يَتطاوَلوا عليهِم ولَم يَمُنُّوهُم.

(٢) صحيح مسلم: ٧: ١٦٥، والسنن الكبرى: ١٠: ٢٣٨، وكنز العمال: ١١: ٦٧٢، حديث رقم: ٣٣٢٤٦.

(٣) نهج البلاغة: ١: ١٦٧، وبحار الأنوار: ٧٤: ٣٢٠.

(٤) سورة الذاريات ٥١: ٤٧.

(٥) سورة البقرة ٢: ٣٠.

موسى وقومِهِ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي﴾[1]، الآية، هيَ: الشّامُ وفلسطينُ وسُمِّيَ بيتِ المَقدِسِ؛ لأَنَّهُ الموضِعُ الّذي يتقدَّسُ فيهِ منَ الذُّنوبِ، يقالُ: بيتُ المَقدِس كَمَجلِس بالإضافةِ والبَيتُ المُقَدَّسُ كَمُعَظَّمٍ بالتّوصيفِ، وبيتُ القُدُسِ بضَمِّ الدّالِ وسُكونِها.

وقالَ في المجمَعِ: (وبيتُ المَقدِسِ: لا يَخلُو المَقدِسُ إمَّا أن يكونَ مَكانًا أو مصدرًا، فإن كانَ مَكانًا فالمَعنى بيتُ المَكانِ الّذي فُعِلَ فيهِ الطّهارةُ، وأُضِيفَ إلى الطّهارةِ لأنَّهُ مَنسَكُ الأَنبياءِ، كَما جاءَ ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾[2]، وتَطهيرُهُ: إخلاؤُهُ مِنَ الصَّنَمِ وإبعادُهُ، فَعَلى هذا يكونُ معناهُ: بيتُ مكانِ الطّهارةِ، وإن كانَ مَصدرًا كانَ كَقولِهِ تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾[3] ونحوهِ منَ المصادِرِ الّتي جاءَت على هذا المثالِ)[4]، انتهى.

وفي الحَديثِ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوعِي»[5]، يعني: جبرئيل عليه السلام؛ لأَنَّهُ خُلِقَ مِن طَهارَةٍ وبَرَكةٍ، ومنهُ الحديثُ: «لا قُدِّسَت أُمَّةٌ لا يُؤخَذُ لِضَعيفِها حقّهُ مِن قَوِيِّها»[6]، أي: لا طُهِّرت، والهَوى بالقَصرِ هوَ: الشّهوةُ، يقالُ: هَوِيَ يَهوَى هَوًى، كَفَرِحَ يَفرَحُ فَرَحًا: إذا أَحَبَّ واشتَهى، وأَمَّا هَوى يَهْوِي هَوِيًّا بالفتحِ فَمِن بابِ ضَرَبَ: إذا هَبطَ وسَقطَ، وهَوَى يَهوِي هُوِيًّا بالضَّمِّ من بابِ ضَرَبَ أيضًا: إذا صَعَدَ، وقيلَ: بالعَكسِ كَما في القاموسِ: (هَوى يَهوِي هَوِيًّا بالفَتحِ والضَّمِّ وهَوَيانًا سَقَطَ من عِلْوٍ إلى سِفلٍ كَانْهَوى، والهَوِيُّ بالفتحِ للإصعادِ، والهُوِيُّ بالضّمِّ للانحدارِ)[7]، انتهى.

وهَوى يَهوِي هَوِيًّا بالفتحِ من بابِ ضَرَبَ أيضًا إذا أَسرَعَ في السَّيرِ، ومنهُ حديثُ البُراقِ: «ثمَّ انطَلَقَ

(١) سورة المائدة ٥: ٢١.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٥٥.

(٤) مجمع البيان: ١: ٢٩٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٧٧، و٤: ٢٤، وبحار الأنوار: ٧٤: ١٨٥، حديث رقم: ٣١.

(٦) مجمع الزوائد: ٥: ٢٠٩، والمعجم الكبير: ١٩: ٣٨٨.

(٧) القاموس المحيط: ٤: ٤٠٤، (هوي).

يَهوِي»[1] أي: يُسرِعُ، والهَوِيُّ بالفتحِ الحِينُ الطّويلُ منَ الزّمانِ، وقيلَ مُختَصٌّ باللّيلِ. [٤١٧]

الإعراب:

(اللّامُ) في و(لقد): مُوطِّئةٌ للقَسَمِ، و(موسى والكتاب): مَفعولا آتينا، و(قَفَّينا): عَطفٌ على (آتينا)، و(من بعدِهِ، وبالرّسُلِ): مُتعلِّقانِ بـ(قَفَّينا)، و(الهاءُ) في (مِن بَعدِهِ): عائدٌ إلى موسى عليه السلام، و(عيسى): مفعول أوّل (آتينا)، و(بنَ مريمَ): صفة؛ ولذا حُذِفَت همزةُ ابن لِوقوعِهِ نَعتًا بينَ العَلَمينِ على ما بُيِّنَ في موضِعِهِ، و(البيِّناتِ): مفعولُهُ الثّاني، و(الهاءُ) في (أيَّدناهُ): راجعٌ إلى عيسى، و(بروحِ القُدُسِ): مُتعَلِّقٌ بـ(أيَّدناهُ)، و(الهمزةُ) في (أفَكُلَّما): للتّوبيخِ والتّقريعِ، و(الفاءُ): للسّببيّةِ عَطَفَت ما بَعدَها على (آتينا)، كَقولِهِم: يَطيرُ الذُّبابُ فَيَغضَبُ زيدٌ، فَوُسِّطَت الهمزةُ بينَ الفاءِ وما تَعلَّقَت بهِ تَوبيخًا لَهم على تَعقِيبِهِم تلكَ النِّعَمِ العِظامَ، مِن إرسالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الكُتُبِ الّتي هي الهِدايةُ، والنِّعَمُ الدّنيويّةِ والنَّجاةُ الأخرَويَّةِ بهذا الفِعلِ القَبيحِ والظّلمِ الصَّريحِ، مِن الاستِكبارِ وتَكذيبِ بعضِ الأَنبياءِ وقَتلِ آخرينَ، هذا مَذهَبُ سيبويه[2] لاستِدعاءِ الهمزَةِ كَمالَ التَّصدُّرِ.

ويَجوزُ أن يكونَ (أفكُلَّما) إلى آخرِهِ: كَلامًا مُستأنَفًا، و(الفاءُ): للعَطفِ على مُقدَّرٍ بعدَ الهمزةِ، كَأنَّهُ قيلَ: ولَقد آتينا منَ الأَنبياءِ ما آتيناهُ فكَذّبوهُم، كَقولِهِ تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾[3]، ثم قالَ: أَكَفروا، فكلَّما جاءكم رسولٌ إلى آخرِهِ نظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[4]، أي: أَنُهمِلُكُم فَنَضرِبُ، أي: فَنَصرِفُ عنكُم الذّكرَ صَفحًا، أي: اعراضًا أو مُعرضينَ كَما سَنُشيرُ إلى بَيانِ الوَجهينِ في المعنى، وقولُهُ تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾[5]، أي: أَمَكَثُوا فَلَم يَسيروا؟ وقولُهُ تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[6]، أي: أتُؤمِنونَ بِهِ في حياتِهِ فَإن ماتَ أو قُتِلَ إلى آخِرِه، وقولُهُ تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ

---

(١) عمدة القاري: ٦: ٧٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ٢٨٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢: ١٢٨.

(٣) سورة المؤمنون ٢٣: ٤٤.

(٤) سورة الزخرف ٤٣: ٥.

(٥) سورة يوسف ١٢: ١٠٩.

(٦) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

بِمَيِّتِينَ﴾[1]، أي: أنحنُ مُخلَّدونَ فَما نَحنُ بمَيِّتينَ؟، هذا مَذهَبُ غَيرُ سيبويه، ولا مَحذوفَ عندَ سيبويه[2].

و(كُلَّما): سُورُ القَضيّةِ الشّرطيّةِ: ظَرفٌ للجَزاءِ على الأصَحِّ وقيلَ: للشّرطِ، (كُم) في (جاءَكُم): منصوبٌ بنَزعِ الخافِضِ، أي: جاءَ إليكُم، و(رسولٌ): فاعلٌ: جاءَ، و(بِما): مُتعَلِّقٌ بهِ، وجملةُ: (لا تَهوى أَنفُسُكُم) منَ الفِعلِ والفاعلِ: صِلَةُ ما، و(تهوى) من بابِ عَلِمَ كَما ذكرناهُ في اللغةِ، والعائدُ إلى (ما) مَحذوفٌ، أي: بِما لا تَهواهُ، وجملةُ: (جاءَ) معَ المتعَلِّقاتِ: شَرطٌ، و(استكبَرتُم): جَوابُ الشّرطِ، وقولُهُ: (فَفَريقًا): الفاءُ: سَبَبيَّةٌ فَصيحةٌ أو للتَّفصيلِ، و(فَريقًا): مفعولٌ بهِ في الموضِعينِ، قُدِّمَ على عاملِهِ للاهتِمامِ وعَدَمِ استِماعِ التّكذيبِ والقَتلِ ابتِداءً، ورعايَةِ الفَواصِلِ، وإنَّما لَم يَقُل: وفَريقًا قَتَلتُم كَما قالَ: فَفَريقًا كَذَّبتُم بَل جاءَ بلَفظِ المضارِعِ؛ لِوُجوهٍ:

أَحدُها: أن يكونَ لِرعايَةِ الفَواصِلِ.

وثانيها: أن يكونَ حِكايَةً للحالِ الماضيَةِ؛ استِحضارًا لَهَا في النُّفوسِ فإنَّها أَمرٌ شَنيعٌ، فَأُريدَ استِحضارُهُ في النُّفوسِ وتَصويرُهُ في القُلوبِ، كَما مَرَّ نظيرُهُ مَرّتينِ في الآياتِ السّابقةِ.

ثالثُها: للدّلالةِ على أنَّهم كائنونَ في مِثلِ هذا الفِعلِ القَبيحِ والظّلمِ على الدَّوامِ[3]، فإنَّهم حَاولوا قَتْلَ مُحمَّدٍ ﷺ لَولا أنَّهُ تعالى يَعصِمُهُ منهُم؛ ولذلكَ سَحَروهُ تارَةً وسَمُّوا لهُ الشّاةَ، وقَتلَ وَصيِّهِ وأَولادِهِ وإجلائِهِم من ديارِهِم كَما فَعلتُم أَنتُم أَيُّها اليَهودُ من هذهِ الأُمَّةِ أيضًا.

(١) سورة الصافات ٣٧: ٥٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣: ٥٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٣، والإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: ١٠: ٣٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: فإنَّ المضارعَ يكونُ للدّوام كما مرَّ في قولِهِ تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [سورة البقرة ٢: ١٥]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [سورة البقرة ٢: ٢٤٥].

المعنى:

ثمَّ عدَّدَ سبحانُهُ أنعامَهُ عليهِم: بإرسالِ رُسُلِهِ وإنزالِ كُتُبِهِ إليهِم، معَ سائرِ المعجزاتِ الهاديَةِ إلى سبيلِ الرّشادِ، وما قابَلُوهُ بها مِن تَكذيبِهِم وكُفرانِهِم وقَتلِهِم الأنبياءَ وتَحريفِهِم الكِتابَ عن مَواضِعِهِ بقولِهِ: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾، أي: أَعطيناهُ التَّوراةَ، ﴿**وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ**﴾، أي: أَتبَعنا مِن بَعدِ موسى بالرُّسُلِ بأن أَرسَلنا على أَثَرِهِ الرُّسُلَ، أي: الكَثيرَ منَ الرُّسُلِ، كَيُوشَعَ واشموئيلَ وشمعونَ وداودَ وسليمانَ وشَعيا وأُرمِيا وعُزَير وحزقيل وإلياس واليَسَع ويُونس وزَكريّا ويَحيى وغيرِهِم، كَقولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾[1]، أي: واحِدًا بعدَ واحِدٍ، فكُلُّ واحِدٍ منهم يَدعُو النّاسَ إلى وَحدانيّةِ الله تعالى والقِيامِ بشرائعِهِ على مِنهاجٍ واحِدٍ؛ لأنَّ كُلَّ مَن بَعَثَهُ سبحانُهُ نَبيًّا بعدَ موسى إلى زَمنِ عيسى فَإنَّما بَعَثَهُ بإقامَةِ التَّوراةِ والعَمَلِ بما فيها والدُّعاءِ إلى ذلكَ، ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ**﴾، أي: أَعطيناهُ الُمعجزاتِ الواضِحاتِ الدِّلالاتِ على صِدقِ نبوَّتِهِ، كَإحياءِ الَموتَى وإبراءِ الأَكمَهِ والأَبرَصِ[2]، وخَلْقِ الطِّينِ كَهيئَةِ الطّيرِ ونَفخِهِ فيها وإحيائِها طَيرًا بإذنِ الله تعالى، والاخبارِ بالُمغيَّباتِ وبما يَأكلونَ وما يَدَّخِرون في بيوتِهِم، والانجيلَ الّذي فيهِ الأَحكامُ والآياتُ الفارِقةُ بين الحَرامِ والحَلالِ. [٤١٨]

معنى عيسى ومريم:

وعيسى بالعِبريَّةِ: ايشوع، أي: المبارَكُ، ومريمُ بلِسانِ السِّريانيَّةِ بمعنى: الخادِمَةُ، وهيَ بالعَربيَّةِ: منَ النِّساءِ كَالزِّئْرِ منَ الرِّجالِ، قالَ رؤبةُ:

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ٤٤.

(٢) الأكمه: (الذي يولد أعمى). الصحاح: ٦: ٢٢٤٧، (كمه)، ومجمع البحرين: ٦: ٣٦٠، (كمه).

الأبرص: (البَرَصُ: داءٌ معروفٌ، نسأَل اللهَّ العافيةَ منه ومن كل داءٍ، وهو: بياضٌ يقعُ في الجسدِ). لسان العرب: ٧: ٥، (برص)، والقاموس المحيط: ٢: ٢٩٥، (برص).

قُلتُ لِزئرٍ لَم تَصِلهُ مَريَمه[1] [ضِلِّيلُ أهواءِ الصّبا يُندِّمُهُ]

ووزنُها مَفعَل إذ لَم يثبتْ فَعْيَل فالميمُ مزيدةٌ دونَ الياءِ، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾، أي: قَوَّينا عيسى بنَ مَريَمَ وأَعنَّاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، أي: بجبرئيلَ عليه السلام وقَد مَرَّ في اللّغةِ أنَّهُ رُوحُ القُدُس؛ لِكَونِهِ مَخلوقًا منَ الطّهارَةِ والبَرَكَةِ، أو كَونِ الغالبِ فيهِ الرّوحانيّة المُطهَّرة، وإنَّما خُصَّ تَشريفًا مِن بَينِ سائرِ الملائكَةِ، أو بالرُّوحِ المُقَدَّسةِ كَما يقالُ: حاتَمُ الجُودِ، وأَرادَ رُوحَ عيسى عليه السلام نفسهُ ووَصَفَها بِهِ؛ لأَنَّهُ لا تَضمُّهُ الأصلابُ ولا أرحامُ الطَّوامِثِ؛ أو لِطهارَتِهِ عَن خُسُءِ الشّيطانِ؛ أو لِكَرامتِهِ على الله تعالى؛ ولِذا أضافَ إلى نفسِهِ في قولِهِ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[2].

و(رَوَى الضّحَّاكُ عن ابنِ عبّاسٍ: إنَّ الرُّوحَ هوَ: الاسمُ الأعظَمُ الّذي كانَ عيسى عليه السلام يُحيي المَوتى بذِكرِهِ)[3]، وإنَّما خَصَّ عيسى عليه السلام مِن بَينِ الأنبياءِ بأنَّهُ مُؤيَّدٌ بجبرئيلَ معَ أنَّ كُلَّ نَبيٍّ مُؤَيَّدٌ بهِ كَما سنُشيرُ إلى ذلكَ فيما بعدُ منَ الأحاديثِ؛ لِثبوتِ اختِصاصِهِ بِهِ قبلَ خَلقِهِ وحينَ خَلقِهِ ومِن صِغَرِهِ إلى كِبَرِهِ فكانَ يسيرُ معهُ حيثُ سارَ، ولَمَّا هَمَّ اليَهودُ بقتلِهِ لَم يُفارِقْهُ حَتَّى صَعَدَ بِهِ إلى السَّماءِ، وكانَ تَمَثَّلَ لِمريَمَ عليها السلام عندَ حَملِها بِهِ وبَشَّرَها ونَفَخَ فيها، وقيلَ: القُدُسُ هوَ: اللهُ تعالى عنِ الرَبيعِ والحَسَنِ[4]، وقالَ ابنُ زيدٍ: والقُدُّوسُ والقُدُسُ واحِدٌ[5]؛ ولِذا يقالُ لِعيسى رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ، وقَولُهُ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، معناهُ: ولَقد آتَينا يا بَني إسرائيلَ

---

(١) البيت من الرجز. ديوانه: ١٤٩، وجاء بلفظِ: (لزيرٍ).كما ينظر: العين: ٧: ٩، (ضلّ)، وخزانة الأدب: ٤: ٤١٢.والزيرُ: الّذي يُكثِرُ مُجالَسَةِ النّساءِ، وهو: مشتقٌّ منَ الفارسيّةِ، ويقالُ: فلانٌ زِيرُ نساءٍ: إذا كان يحبُّ زيارتهنَّ ومحادثتهنَّ ومجالستهنَّ: العين: ٧: ٣٨١، (زير)، ولسان العرب: ٤: ٣٣٦، (زير)، أمَّا الزِّئرُ فهو: الغَضْبانُ المُقاطِعُ لِصاحِبه. لسان العرب: ٤: ٣١٤، (زأر)، وتاج العروس: ٦: ٤٤٩، (زأر).

وعليه فالمناسب أن يكون الرَّجزُ: قلتُ لزيرٍ ؛لأنّهُ الموافق للمعنى.

(٢) سورة الحجر ١٥: ٢٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٩٦، وتفسير القرطبي: ٢: ٢٤.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٣٣، وتفسير البغوي: ١: ١٤٠، وتفسير مفاتيح الغيب: ٦: ٥٢٨.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢: ٣٢٣، وتفسير الماوردي: ١: ١٥٦.

أنبياءَكُم ما آتيناهُم مِن أسبابِ هِدايَتِكُم ومنافِعِكُم الدّنيَويّةِ والدّينيّةِ والأُخرَويَّةِ، أَفَكُلَّما جاءَ إليكُم رسولٌ منهُم بالحَقِّ والصِّدقِ استكبَرتُم عَنِ الايمانِ بهِ؟ فَوَسَّطَ الهمزةَ بينَ الفاءِ وما تَعَلَّقت بهِ تَوبيخًا لَهم وتَقريعًا لِحالِهِم وتَعجيبًا مِن شَأنِهِم، يَعني: أنَّ الغَرَضَ المَطلوبَ مِن إرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتُبِ؛ أن يكونَ سَبَبًا لِتَصديقِكُم إيَّاهُم، وقَبُولِكُم أقوالَهُم، والعَمَلِ بما تُوجِبُهُ أقوالُهُم وكُتُبُهم؛ لِكَي تَنجوا مِن نِيرانِ جَهَنَّم والعَذابِ الأَبَديِّ، فَجَعلتُمُوها عَلى خِلافِ ذلكَ فَوَضَعتُموهُ سَبَبًا لِنَقيضِهِ بأَنَّهُ كُلَّما جاءَكُم رَسولٌ مِن رُسُلي بالحَقِّ الّذي هوَ غَيرُ ما تَهواهُ أنفسُكُم أَنِفتُم وتَجَبَّرتُم واستكبَرتُم عَنِ الإيمانِ واتّباعِ الرُّسُلِ والعَمَلِ بما جاؤوا بِهِ، فَلَم تُؤمِنوا بِهِم ولَم تَعمَلُوا بِما تُؤمَرونَ بهِ، ولَم تَنتَهُوا عَمَّا نُهيتُم عنهُ بَل زِدتّم رِجسًا إلى رِجسِكُم كَما أَخبَرَ سبحانُهُ وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾(1)، هذا إذا كانَ المعطوفُ عليهِ (لَقد آتينا) إلى آخرِهِ، وأمَّا إذا كانَ المعطوفُ عليهِ محذوفًا بعدَ الهمزَةِ كَما أَشَرنا إليهِ في بَيانِ الإعرابِ، فَمَعناهُ: ولَقد آتينا الأنبياءَ ما آتيناهُم مِنَ الكُتُبِ والبَيِّناتِ الواضِحاتِ؛ لأجلِ هِدايَتِكُم وإرشادِكُم إلى الحَقِّ وإيصالِكُم إلى نَعيمِ الأبَدِ فَفَعَلتُم ما فَعَلتُم، ثمَّ وَبَّخَهُم عَلى ذلكَ فقالَ أكَفَرتُم بِما جاءَكُم بهِ تلكَ الرُّسُلُ **﴿فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾** الآية، **﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾**، فَكَذَّبتُم مِن تلكَ الرُّسُلِ بعضَهُم الّذي لَم تَقدِرُوا على قَتلِهِ مثلَ قَتلِ عيسى ومُحَمَّدٍ ﷺ وغَيرِهِما، وقَتَلتُم بعضًا منهُم مثلَ زَكريَّا ويَحيى وغَيرِهِما.

وقَد مَرَّت النُّكتَةُ في وَضعِ (تَقتُلونَ) مَوضِعَ قَتَلتُم منَ الأَوجُهِ الثّلاثَةِ في الإعرابِ، كَما تَقولُ لِمَنْ تُوَبِّخُهُ: وَيلَكَ لِمَ تُكَذِّبُ؟ ولا تُريدُ ما يَفعلُهُ بعدُ وإنَّما تريدُ لِمَ فَعَلتَ وأَنتَ عليهِ موطَّنٌ؟ وإنَّما أضافَ هذا الفِعلَ إلى اليَهودِ من بَني إسرائيلَ المَوجودَ زَمَنَ الرّسولِ ﷺ وإن لَم يُباشِروهُ بنُفوسِهِم؛ لأنَّهُم رَضُوا بِفِعلِ أسلافِهِم، ومَن رَضِيَ بفِعلٍ فَهوَ كَفاعِلِهِ في استِحقاقِ الثّوابِ والعِقابِ؛ أو لأنَّهُم أيضًا هَمُّوا بقَتلِ مُحَمَّدٍ ﷺ وإخراجِهِ فيكونُ تَغليبًا، وهذا التَّوبيخُ والتَّقريعُ جارٍ على يَهودِ هذهِ

(1) سورة التوبة ٩: ١٢٤، ١٢٥.

الأُمَّةِ و مُنافِقِيهِم كَما فَعَلُوا بنبيِّهِم صلى الله عليه وآله وأوصيائِهِ ما فَعَلُوا منَ القَتلِ والأسرِ والإخراجِ، فَيكونُ الخِطابُ لَهُم على الحَقيقةِ، كَما في تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام حيثُ قالَ: «وأَنتُم رُمتُمْ[1] [٤١٩] قَتلَ مُحمَّدٍ وعَليٍّ فَخَيَّبَ اللهُ سَعيَكُم وردَّ كَيدَكُم في نُحُورِكُم»[2]، ثمَّ قالَ عليه السلام: «ولَقد رامَتِ الفَجَرَةُ الكَفَرَةُ ليلَةَ العَقَبةِ قَتلَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله على العَقَبةِ، ورامَ مَن بَقِيَ مِنَ المُنافقينَ بالمَدينَةِ قَتلَ عَليِّ بنِ أَبي طالبٍ عليه السلام، فَما قَدَرُوا على مُغالَبَةِ رَبِّهِم حَمَلَهُم على ذلكَ حَسَدُهُم لِرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في عَليٍّ عليه السلام لمَّا فَخَّمَ أمرَهُ وعَظَّمَ شَأنَهُ»[3]، ثمَّ ذَكَرَ القِصّةَ بطُولِها.

ويَجيءُ بعضُها في سورةِ التّوبةِ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[4]، حيثُ تَحالَفُوا في الكَعبةِ أن لا يَرُدُّوا هذا الأَمرَ في بَني هاشِمٍ فَهيَ كَلمةُ الكُفرِ، ثمَّ قَعَدُوا لِرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في العَقَبةِ وهَمُّوا بقَتلِهِ وهوَ قولُهُ تعالى: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.

وعنِ الصّادقِ عليه السلام: «لمَّا أقامَ رسولُ اللهِ أميرَ المؤمنينَ عَليًّا يومَ غَديرِ خُمٍّ كانَ بحِذائِهِ سبعةُ نَفَرٍ منَ المنافِقِينَ وهُم فُلانٌ وفُلانٌ وعَبدُ الرّحمنِ بنُ عَوفٍ وسَعدُ بنُ أَبي وقّاصٍ وأَبو عُبيدةَ وسالمٌ مَولى أبي حُذَيفةَ والمُغيرةُ بنُ شُعبَة، قالَ الثّاني: أما تَرَونَ عَينَيهِ كَأنَّهُما عَينا مَجنونٍ ـ يَعني النَّبيَّ صلى الله عليه وآله ـ السَّاعةَ يَقومُ ويقولُ: قالَ رَبِّي، فَلَمّا قامَ قالَ: أيُّها النّاسُ مَن أَولَى بكُم مِن أَنفُسِكُم؟ قالُوا: اللهُ ورَسولُهُ، قالَ اللَّهُمَّ فاشهَد، ثمَّ قالَ: أَلا مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَليٌّ مَولاهُ، فَسَلِّمُوا عليهِ بإمرَةِ المؤمنينَ، ونَزَلَ جبرئيلُ عليه السلام وأعلَمَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله بِمَقالَةِ القَومِ فَدَعاهُم وسَأَلَهُم فأَنكَروا وحَلَفُوا، فأَنزلَ اللهُ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[5]»[6].

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: قصدتم.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٧٩، حديث رقم: ٢٦٤.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٨٠، حديث رقم: ٢٦٥.

(٤) سورة التوبة ٩: ٧٤.

(٥) سورة التوبة ٩: ٧٤.

(٦) تفسير القمّي: ١: ٣٠١، وبحار الأنوار: ٣١: ٦٣٥، ٦٣٦، حديث رقم: ١٤٣، و٣٧: ١١٩، حديث رقم: ٨، وقد ذكرَ العلّامةُ المجلسي اسمَي الأوّلِ والثّاني بَدلَ فُلانٍ وفُلانٍ.

وفي المجمَعِ: «إنَّها نَزلت في أهلِ العقَبةِ حينَ أَضمَرُوا أن يَقتُلُوا رسولَ الله في العَقَبةِ، فاطلَعَهُ اللهُ على ذلكَ، وكانَ مِن جُملةِ مُعجزاتِهِ؛ لأنَّهُ لا يُمكِنُ مَعرفتُهُ إلّا بوَحيٍ منَ الله تعالى، فَسارَ رسولُ الله ﷺ في العَقَبةِ وَحدَهُ وعمّارٌ وحُذيفةُ بنُ اليَمانِ أحدُهُما يقودُ ناقتَهُ والآخرُ يَسوقُها، وأَمَرَ النّاسَ كُلَّهُم بسُلُوكِ بَطنِ الوادي، وكانَ الّذينَ هَمُّوا بقَتلِهِ اثنَى عَشَرَ رَجُلًا أو خَمسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عَرَفَهُم رسولُ الله ﷺ وسَمَّاهُم بأسمائِهِم ثَمانيَةٌ مِن قُريشٍ والباقونَ منَ العَرَبِ»[1] إلى غيرِ ذلكَ ممَّا يَجيءُ في سورةِ التّوبةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

والعَيّاشي: عنِ الباقرِ عليه السلام قالَ: «ضَرَبَ اللهُ مثَلًا لِأُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ فقالَ لَهُم فَإن جاءَكُم رَسولٌ بِما لا تَهوى أَنفُسُكُم بمُوالاةِ عَليٍّ عليه السلام استكبَرتُم، فَفَريقًا مِن آلِ مُحمَّدٍ كَذَّبتُم وفَريقًا تَقتُلونَ، قالَ عليه السلام فَذلكَ تفسيرُها في الباطِنِ»[2]، انتهى.

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: في أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى إبراهيمَ بنِ عُمَر اليَماني عَن جابرِ الجعفي عن أَبي عبدِ الله عليه السلام: ـ في حَديثٍ طَويلٍ نذكُرُهُ بتَمامِهِ في أوَّلِ سورةِ الواقعةِ إن شاءَ الله تعالى، وفيهِ يقولُ عليه السلام ـ: هم رُسُلُ الله عليهم السلام وخاصَّةُ الله مِن خَلقِهِ جَعَلَ فيهِم خَمسَةَ أَرواحٍ أَيَّدَهُم بِرُوحِ القُدُسِ فَبِهِ عَرَفوا الأَشياءَ»[3].

وبإسنادِهِ: إلى المنخلِ عَن جابرٍ عن أَبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: سَأَلتُهُ عَن عِلمِ العالِمِ العامِلِ؟ فقالَ لي: «يا جابر إنَّ في الأنبياءِ والأوصياءِ خَمسةَ أرواحٍ: روح القُدُسِ، ورُوحُ الإيمانِ، ورُوحُ الحَياةِ، ورُوحُ القُوَّةِ، ورُوحُ الشَّهوَةِ، فَبِروحِ القُدُسِ يا جابرُ: عَرَفُوا ما تَحتَ العَرشِ إلى ما تَحتَ الثّرى، ثمَّ قالَ: يا جابرُ إنَّ هذهِ الأَربَعَةَ الأرواحَ يُصيبُها الحَدثانِ[4] إلّا رُوح القُدُسِ، فإنَّها لا تَلهُو ولا تَلعَبُ»[5].

---

(١) مجمع البيان: ٥: ٩١.:

(٢) تفسير العياشي: ١: ٤٩، حديث رقم: ٦٨، والتفسير الصافي: ١: ١٥٨، حديث رقم: ٨٧.

(٣) الكافي: ١: ٢٧١، ٢٧٢، حديث رقم: ١.

(٤) وهي حوادث الدهر ونوائبه. شرح أدب الكاتب: ٣٢٩، ولسان العرب: ٢: ١٣٢، (حدث).

(٥) الكافي: ١: ٢٧٢، حديث رقم:٢.

وبإسناده: إلى مُحمَّدِ بنِ سنانٍ عنِ المفضَّلِ بنِ عُمَر عن أَبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: سَألتُهُ عن عِلمِ الإمامِ عليه السلام بِما في أقطارِ الأَرضِ وهوَ في بيتِهِ مُرخى عَليهِ سترُهُ؟ فقالَ: «يا مُفَضَّلُ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى جَعَلَ في النَّبيِّ صلى الله عليه وآله خَمسَةَ أَرواحٍ: رُوحُ الحياةِ فَبِهِ دَبَّ وَدرَجَ، ورُوحُ القُوَّةِ فَبِهِ نَهَضَ وجاهَدَ أعداءَ اللهِ، ورُوحُ الشَّهوةِ فَبِهِ أَكَلَ وشَرِبَ وأَتى النّساءَ منَ الحَلالِ، ورُوحُ الإيمانِ فَبِهِ آمَنَ وعَدَلَ، ورُوحُ القُدُسِ فَبِهِ حَمَلَ النّبوَّةَ، فإذا قُبِضَ النّبيُّ صلى الله عليه وآله انتقَلَ رُوحُ القُدُسِ فَصارَ إلى الإمامِ، ورُوحُ القُدُسِ لا تَنامُ ولا تَغفُلُ ولا تَلهُو ولا تَزهُو[1] ولا تلعَبُ، والأربَعَةُ الأرواح تَنامُ وتَغفُلُ وتَلهُو وتَزهُو»[2].

وفي تفسيرِ العَيّاشي رحمه الله: عَن جابرٍ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «أمّا قولُهُ تَبارك وتعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ**﴾ الآية، قالَ أَبو جعفرٍ عليه السلام: ذلكَ مَثَلُ موسى عليه السلام و الرُّسُلُ مِن بَعدِهِ وعيسى ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِأُمَّةِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله»[3] إلى آخرِ ما مَرَّ بعينِهِ، وفي أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى مَنخلٍ عَن جابرٍ عَن أَبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «أفكلَّما جاءَكُم مُحمَّدٌ بِما لا تَهوى أَنفسُكُم بِموالاةِ عَليٍّ فاستكبَرتُم فَفَريقًا مِن آلِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَذَّبتُم وفَريقًا تَقتُلونَ»[4].

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)** ﴾ آيةٌ:

القراءة: [٤٢٠]

المشهورُ بينَ الجُمهورِ: غُلْفٌ بضَمِّ الغَينِ وسُكونِ اللّامِ، وهوَ حينئذٍ جَمعُ: أغْلَفَ غَلفاءَ، مثلَ: حُمْرٍ في جَمعِ: أَحمَرَ وحَمراءَ، وسُودٍ في أَسودَ وسَوداءَ، يقالُ: سَيفٌ أَغْلَفُ، وقَوسٌ غَلفاءَ، إذا كانا في غِلافِهِما وجَمعُهُما جَميعًا: غُلْفٌ، ومنهُ يقالُ: الأَغْلَفُ للّذي لَم يُختَنْ، ولا يَجوزُ تَحريكُ عَينِ الكَلِمةِ بالضَّمِّ إلّا لِضَرورةٍ شِعريّة، ورُوِيَ في الشَّواذِ: غُلُفٌ بضَمَّتينِ عَن أَبي عَمرٍو[5].

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا تتكبر.

(٢) الكافي: ١: ٢٧٣، حديث رقم: ٣.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٤٩، حديث رقم: ٦٨.

(٤) الكافي: ١: ٤١٨، حديث رقم: ٣١.

(٥) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٤، ومعاني القراءات: ١: ١٦٥.

فَحينئذٍ يكونُ جَمعَ غِلافٍ، كَمُثُلٍ وحُمُرٍ وكُتُبٍ في جَمعِ: مِثالٍ وحِمارٍ وكِتابٍ، فَحينئذٍ يكونُ مَعناهُ: إنَّ قُلوبَنا أَوعيَةٌ للعِلمِ والخَيرِ فَما بالُها لا تَفهَمُ، ويَجوزُ أن يكونَ التّسكينُ عنِ التّثقيلِ، مِثلَ رُسْلٍ في رُسُلٍ وكُتْبٍ في كُتُبٍ.

اللغة:

الغِلافُ بالكَسرِ: الغِشاءُ، وغِمدُ السّيفِ وغَيرِهِ، ومنهُ حديثُ الخُدري: «القُلوبُ أربعةٌ: فَقَلبٌ أغلَفُ، أي: عليهِ غِشاءٌ عَن سَماعِ الحَقِّ وقَبولِهِ»[1]، وفي صِفَةِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّهُ يفتحُ قُلوبًا غُلفًا»[2]، أي: مُغَشّاةً مُغطّاةً، مُذَكّرها أغلَفُ، ومنهُ: الأغْلَفُ للّذي لَم يُختَنْ.

وأصلُ اللّعنِ: الطّردُ والابعادُ مِن ساحَةِ رحمَةِ الله، واللّعنُ منَ الله: عَذابُهُ وغَضَبُهُ، ومنَ الخَلقِ: السَّبُّ والدُّعاءُ عليهِ، يقالُ: لَعَنَ فُلانٌ فُلانًا فَهوَ مَلعونٌ، ثمَّ يُصرَف مَفعولٌ إلى فَعيلٍ فيُقالُ: لَعينٌ، قالَ الشَّمّاخُ:

وماءٍ قَد وَرَدتُ لِوَصْلِ أروَى[3]		عليهِ الطَّيرُ كَالوَرَقِ اللَّجينِ
ذَعَرتُ بِهِ القَطا وَنَفَيتُ عنهُ		مَقامَ الذِّئبِ كالرَّجُلِ اللَّعينِ[4]

لَعَنَهُ كَجَعَلَهُ: طَرَدَهُ وأَبعَدَهُ فهوَ لَعينٌ ومَلعونٌ، جَمعُهُ مَلاعينٌ، ومنهُ اللِّعانُ بينَ الزّوجينِ، واللُّعنَةُ كَاللُّقمَةِ مَن تَلعَّنَهُ النّاسُ، وكَهُمَزَةٍ: الكَثيرُ اللَّعنِ لهُم، جَمعُهُما: لُعَنٌ كَتُخمَةٍ وتُهمَةٍ وتُخَمٍ وتُهَمٍ، وفي

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٧٩.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أروَى: اسمُ امرأةٍ، ورُوِيَ: سَلمَى بَدلَ أروَى، واللَّجِين بفَتحِ اللّامِ وكَسرِ الجيمِ هوَ: الوَرَقُ الّذي سَقَطَ من الحَجَر.

(٤) البيت من الوافر. ينظر: اساس البلاغة: ٨٤٧، وخزانة الأدب: ٤: ٣٢١.

والشاهد فيه: استعمالُهُ لعينٌ بمعنى مَلعونٌ.

وقائلُهُ: معقلُ بنُ ضرار الغطفاني: شاعرٌ مُخضرَمٌ، أدركَ الجاهليّةَ والإسلامَ، صحبَ النّبيَّ ﷺ، من شعراء الطبقة الثالثة، توفي سنة (٢٢ هـ). ينظر: الأعلام: ٣: ١٧٥.

الحديثِ: «اتّقُوا اللاّعِنَينِ»[1]، أي: الأمرَينِ الجالِبَينِ للَّعنِ الباعِثَينِ للنّاسِ عليهِ، فإنّهُ سَبَبٌ لِلَعنِ مَن فَعَلَهُ منَ الحَدَثَينِ في المواضِعِ المعهُودَةِ، كَشُطوطِ الأَنهارِ، وظِلِّ النّزالِ، وأَبوابِ الدّورِ، وتَحتَ الأشجارِ المُثمِرَةِ، ومنهُ الحديثُ: «ثَلاثُ لَعِيناتٌ»[2]، اللَّعِينةُ: اسمُ المَلعونِ، كالرَّهينَةِ بمَعنى المَرهونِ، أو هيَ بمَعنى: اللَّعنِ، كَالشَّتيمَةِ بمَعنى الشَّتمِ، ولا بُدَّ على الثّاني مِن تَقديرِ مُضافٍ مَحذوفٍ أي: ذَوُو لَعِيناتٍ.

الإعراب:

جملة: (قُلُوبُنا غُلفٌ) منَ المُبتَدأِ والخَبَرِ: مَقولُ قالُوا، و(الفاءُ) في قولِهِ: (فَقَليلًا): فَصيحَةٌ، و(قَليلًا): منصوبٌ على أنَّهُ صِفةُ مَصدرٍ مَحذوفٍ، أي: فَإيمانًا قَليلًا ما يُؤمِنونَ، أو صِفةُ ظَرفٍ مَحذوفٍ، أي: فَزمانًا قَليلًا ما يُؤمِنونَ بألسِنَتِهِم ولَم يَتَثَبَّتوا فيهِ، أو حالٌ، أي: فيُؤمِنونَ وهُم قَليلٌ كَعبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ[3]، و(ما): مَزيدةٌ للتَّأكيدِ والمُبالغةِ، ولا مَعنى لَها، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[4] و﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[5]، وتَدلُّ على غايةِ إبهامِ إيمانِهِم وفَرْطِ نُدرَتِهِ، والباقي: واضِحٌ.

المعنى:

ثمَّ ذَكرَ سبحانُهُ حِكايَةَ اليَهودِ وسُوءَ مَقالِهِم وقُبْحَ فَعالِهِم، بقولِهِ: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾، معناهُ:

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١: ١٦٧، والسنن الكبرى: ١: ٩٧، وبحار الأنوار: ٦٩: ١١٣، حديث رقم: ١١.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٣: ٢٠٤، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٤، وبحار الأنوار: ٦٩: ١١٤، حديث رقم: ١١.

(٣) هو: أبو يوسف المدني: حليفُ الخزرجِ من بني إسرائيلَ مِن وُلدِ يوسُفَ بنِ يعقوبَ عليه السلام، كان اسمُهُ الحُصَينُ فَسمّاهُ النّبيّ صلى الله عليه وآله: عبدَ الله، أسلمَ بعدَ الهجرة المباركةِ للنّبيِّ صلى الله عليه وآله للمدينة، توفيَ سنة (٤٣هـ). ينظر: أسد الغابة: ٣: ١٧٦، والجرح والتعديل: ٥: ٦٢، ترجمة رقم: ٢٨٨.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٥) سورة المؤمنون ٢٣: ٤٠.

عَلى القِراءَةِ الأُولى إنّهم قالُوا قُلُوبُنا في غِلافٍ وغِشاءٍ، أي: خُلِقَت مُغَشّاةً مُغطّاةً ممنوعَةً مِن وصولِ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إليها ومِن قَبُولِهِ ومِن فِهمِهِ، أي: لا تَفهَمُهُ مُستعارٌ منَ الأَغْلَفِ الّذي لَم يُختَنْ، فَأيُّ فائدةٍ في إنذارِكَ إيّانا ونحنُ لا نَفهَمُ ما تقولُ إذ ما تقولُ ليسَ ممَّا يُفهَمُ، كَقولهِم في مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾(١)، وأمَّا على القِراءَةِ الثّانيةِ مِن تَحريكِ عَينِ الكَلمَةِ بالضّمّةِ فَمعناهُ: قالُوا: إنَّ قُلُوبَنا أوعيَةٌ للعِلمِ والخَيرِ ونَحنُ عُلماءُ وذَوُو الأَفهامِ، فَلَو كانَ ما تقولُهُ شيئًا يُفهَمُ أو لَهُ طائلٌ لَفَهِمناهُ، أو المرادُ ليسَ في قلوبِنا الّتي هيَ نفسُ الأوعيَةِ ما تَذكُرُهُ، فَلَو كانَ ما تذكُرُهُ عِلمًا لكانَ فيها معَ إنَّهُ ليسَ فيها، فَلَيسَ بعِلمٍ، ثمَّ ردَّ اللهُ سبحانَهُ قولَهم هذا بقولِهِ تعالى: **﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾**، أي: ليسَ للعِلمِ ذلكَ، كَما زَعمُوا أنَّ قُلوبَهُم خُلِقَت مُغَشّاةً مُغَطَّاةً وفي أكِنَّةٍ، وإنَّ في آذانِهِم وَقرًا، بَل خُلِقَت على فِطرةِ الإسلامِ وإزالةِ العِلَلِ(٢) قبلَ التّكليفِ، والتّسويَةِ في التَّوفيقِ بينَ الضّعيفِ والشّريفِ، والتَّمكينِ مِن أداءِ المأمورِ، والتَّسهيلِ مِن اجتِنابِ المحظورِ، وهِدايةِ السّبيلِ وأسبابِ الفَهمِ، وغَيرِ ذلكَ، كَما مَرَّتِ الإشارةُ إليها في أوَّلِ السُّورةِ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣) في دَفعِ شُبهَةِ الفَخرِ الرّازيّ(٤).

ولكن لَعَنَهُم اللهُ بعدَ ذلكَ وخَذَلَهُم وطَرَدَهُم وأبعَدَهُم من رَحمَتِهِ بِسَبَبِ كُفرِهِم ومُخالَفَتِهِم أوامرَهُ وارتِكابِهِم مَناهِيَهُ، ولَم يَتَدبَّرُوا بعُقولِهِم في آياتِهِ وفي الآفاقِ والأَنفُسِ حَتّى يَعرِفوا الحَقَّ الأبلَجَ

---

(١) سورة فصلت ٤١: ٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وإزالةَ العِلَلِ إلى آخرِهِ إشارةٌ إلى ما وَقَعَ في الأدعيةِ الصَّحيحةِ المأثورةِ عَن أهلِ العِصمةِ والطَّهارةِ عليهم السلام بقوله عليه السلام: «أزاحَ العِلَلَ في التّكليفِ وسَوّى في التَّوفيقِ بينَ الضّعيفِ والشّريفِ، مَكَّنَ أداءَ المأمورِ وسَهَّلَ سبيلَ اجتنابِ المحظورِ، لَم يُكَلِّفِ الطّاعةَ إلّا دونَ الوُسعِ والطّاقَةِ» الدعاء.[مفاتيح الجنان: ١٥٩].

(٣) سورة البقرة ٢: ٦.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢: ٢٨٦.

الطَّالِعَ عَن أُفُقِ بَيانِ صاحِبِ الشّريعةِ الغَرّاءِ والمِلَّةِ البَيضاءِ، ولَم يَتبَعوهُ فَيهتَدوا، بَل نابَذُوهُ حَسَدًا وعِنادًا وحُبًّا للرّئاسَةِ بعدَ ما عَرَفوهُ كَما عَرَفُوا أَبناءَهُم، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١)، ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾(٢)، ثمَّ وَصَفَهُم بعَدمِ الإيمانِ أَصلًا بقولِه: **﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾**، أي: لا يُؤمنونَ أَصلًا؛ لأنَّ الإيمانَ ببعضِ الكُتُبِ المُنزلةِ وببعضِ الأنبياءِ والكُفرَ بباقِيهِما كُفرٌ بالجميعِ، وليسَ بإيمانٍ أَصلًا كَما مَرَّ؛ ولأنَّ عادةَ العَرَبِ استعمالُ لفظِ القِلّةِ على العَدَمِ، وقيلَ معناهُ: أنَّ هؤلاءِ الّذين وَصَفَهُم اللهُ قليلُو الإيمانِ بِما أنزلَ على نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وإن كانَ معَهُم بعضُ الإيمانِ منَ التّصديقِ باللهِ وبصِفاتِهِ وغَيرِ ذلكَ مِمَّا كانَ فَرضًا عَليهِم، وذلكَ قليلٌ بالنّسبةِ إلى ما جَحَدوهُ منَ التَّصديقِ بنَبيِّنا وبما جاءَ بهِ، والّذي يَليقُ بمَذهَبنا أن يكونَ بهِ لا إيمانَ لَهم أصلًا حَتّى يُؤمنُوا بمُحمَّدٍ ﷺ وبما جاءَ بهِ، فَإنَّما وَصفهم بالقَليلِ كَما يقالُ: قَلَّ ما رأيتُ هذا قَطّ، أي: ما رأيتُهُ قَطّ، وان جَعلتَ: قَليلًا: حالًا، فالمعنى: لا يُؤمِنُ بِهِ منهُم إلَّا نَفَرٌ قَليلٌ كَعَبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وأصحابِهِ. [٤٢١]

(وهذهِ الآيةُ رَدٌّ على المُجبِّرَةِ؛ لأنَّ هؤلاء اليَهودِ قالُوا مثلَ ما يقولُونهُ مِن أنَّ على قُلوبِهم ما يَمنَعُ منَ الإيمانِ ويحولُ بينَها وبينَهُ فَكَذَّبَهُم في ذلكَ بأن لَعَنَهُم وخَذَلَهُم وذَمَّهُم إذ لَو كانوا صادِقِينَ في ذلكَ لَمَا استَحقُّوا اللَّعنَ والطَّردَ ولَكانَ سبحانهُ قد كَلَّفَهُم بما لا يُطيقُونَهُ وهوَ مُحالٌ)(٣)، نَصَّ على ذلكَ في المجمَعِ .

وفي تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام: إنَّهُ قالَ عليه السلام: «إذا قُرِئَ: غُلْفٌ فإنَّهم قالُوا قُلوبُنا في غِطاءٍ فَلا نَفهَمُ كَلامَكَ وحَديثَكَ، كَما قالَ تعالى حكايَةً عنهُم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ

(١) سورة محمَّد ٤٧: ٢٤.

(٢) سورة الحجر ١٥: ١٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٩٨.

بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[1]، وقالَ: كِلتا القِراءتينِ حَقٌّ وقَد قالُوا بهذا وهذا جميعًا»[2].

وقولُهُ تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾** آيةٌ:

القراءة:

القِراءةُ المشهورَةُ: مُصَدِّقٌ بالرّفعِ: نَعتٌ لِـ(كتابٌ)، وقُرِئَ: مُصَدِّقًا بالنّصبِ[3]، على أنَّهُ حالٌ من كتابٍ لِتَخصيصِهِ بالوَصفِ، مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾[4] على وَجهٍ[5].

---

(١) سورة فصلت ٤١: ٥.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٩٠، حديث رقم: ٢٦٦.

(٣) لم يقف الباحث على هذه القراءة في كتب القراءات وأثبتها من معاني القرآن للفرّاء: ١: ٥٥، وتفسير روح المعاني: ١: ٣١٩، وهي: قراءة ابن أبي عبلة.

(٤) سورة الدخان ٤٤: ٤، ٥.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: على وَجهٍ، وإنَّما قُلنا على وَجهٍ وهوَ أن يكونَ حالًا مِن أمرٍ؛ لِكَونِهِ مَوصوفًا بحَكيمٍ؛ لأنَّ فيهِ ثَمانيةَ أوجُهٍ أُخَرَ:

أَحدُها: أن يكونَ (أَمرًا): مفعولًا مطلقًا؛ لأنَّ مَعنى قولُهُ: فيها يُفرَقُ: فيها يُؤمَرُ، قالَهُ: الزّجّاجُ.[ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٤٢٤].

الثّاني: نَصبُهُ على الاختِصاصِ، أي: أَخُصُّ أَمرًا مِن عِندِنا.

الثّالثُ: انتِصابُهُ على المفعولِ لهُ.

الرّابعُ: انتِصابُهُ على الحالِ من فاعلِ (أَنزلناهُ)، أي: آمِرينَ.

الخامسُ: انتِصابُهُ على الحالِ من مفعولِ (أَنزلناهُ).

السّادسُ: انتِصابُهُ على الحالِ منَ (الضّميرِ المستترِ في حَكيمٍ).

السّابعُ: انتِصابُهُ على الحالِ من فاعلِ (مُنذِرينَ أو مِن اسمِ كُنّا).

الثّامنُ: انَّهُ مفعولٌ بهِ لِـ(منذِرينَ). فَفي ذلكَ تسعةُ أَوجُهٍ كَما بَيّنّاها مُفَصَّلًا في شَرحِنا المسمَّى بزينةِ السّالِكِ .

اللغة:

والمعاني اللُّغويَةُ لأمثالِ هذهِ الألفاظِ قَد مَرَّت فَلا نُعيدُها.

الإعراب:

(لمَّا) هذهِ ظرفيَّةٌ توقيتيَّةٌ مُختَصَّةٌ بالفِعلِ الماضي استُعمِلَت أداةَ الشّرطِ فيَقتَضي جملَتينِ فِعليّتينِ ماضِيَتينِ لَفظًا أو مَعنًى، وُجِدَت ثانِيَتُهما عندَ وجود أُولاهُما، ويقالُ لها: حَرفُ وجودٍ لِوجودٍ، ويقولُ بعضُهُم: حَرفُ وجوبٍ لِوجوبٍ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾[1]، وقَد تكونُ الجملةُ الثّانيةُ اسميّةً مَقرونَةً بـ(إذا) المفاجِئة، كَقولِهِ تعالى في سُورةِ العنكبوت: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[2] وفي لُقمان: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾[3].

وقيلَ في مثلِ هذهِ الآيةِ: جوابُها فعلُ ماضٍ محذوفٌ، أي: فلمّا نجّاهُم إلى البَرِّ انقَسَمُوا قِسمَينِ فَمِنهُم مُقتَصِدٌ ومنهُم جاحِدٌ بآياتِنا كافِرٌ بها، وعامِلُ لمَّا: الجوابُ، فَفي ما نَحنُ فيهِ جوابُ (لمَّا) الأُولى: مَحذوفٌ عندَ الزَّجّاجِ والأخفشِ[4]، والتّقديرُ: ولمَّا جاءَهُم كِتابٌ مِن عندِ الله مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم كَذَّبُوا بهِ وجَعَلوهُ وراءَ ظُهورِهِم، أو نحو ذلكَ، أو يكونُ جَوابُها: قولُهُ تعالى: **﴿كَفَرُوا بِهِ﴾** فحينئذٍ يكونُ لمَّا الثَّانيةُ تَكريرًا لِلأولى وتأكيدًا فَلا تَحتاجُ إلى جوابٍ عندَ المُبَرِّدِ[5]، أو يكون كَفَروا جَوابًا لِكِلتَيهِما.

وقيلَ: جملةُ كَفَروا جوابٌ للثّانيةِ، والثّانيةُ معَ جوابِها جوابٌ لِلأولى، و(كتابٌ): فاعلُ جاءَهُم، و(هُم): منصوبٌ بنزعِ الخافِضِ كَما مَرَّ، و(مِن عندِ الله): نعتٌ لِـ(كتاب)، وكَذا (مُصَدّقٌ) على قراءةِ الرَّفعِ المشهورةِ، وأمَّا على قراءةِ النَّصبِ فهوَ: حالٌ مِن (كتاب)؛ لتَخصيصِهِ بالوَصفِ كَما

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٦٧.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٥.

(٣) سورة لقمان ٣١: ٣٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧١، ومعاني القرآن للأخفش: ١: ١٤٢.

(٥) لم يقفِ الباحثُ على رأيِ المبرِّدِ في كتبهِ، وقد نقل صاحب المجمع: ١: ٢٩٩ نسبة القول إليه.

مَرَّ، ومِثلُهُ قولُ الشّاعرِ:

نَجَّيتَ يا رَبِّ نُوحًا واستَجَبتَ لَهُ   في فُلكٍ ماخِرٍ في اليَمِّ مَشحونًا(١)

فَإنَّ مشحونًا وَقَعَ حالًا مِن فُلْكٍ وهوَ نكرةٌ تَخَصَّصَت بالصّفَةِ وهيَ قولُهُ ماخِرٍ، مِن مَخَرَ بالخاءِ المُعجَمَةِ إذا شَقَّ، و(لِما) مُتعَلِّقٌ بِـ(مُصدّقٌ)، و(مَعَهُم): صلةُ (ما)، و(مِن قبلُ): مَبنيٌّ على الضّمِّ، على ما مَرَّ بَيانُهُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾(٢) مُتعَلِّق بـ(كانوا)، أو بقَولِهِ: (يَستَفتحونَ)، وجملةُ: (يَستَفتِحونَ): خَبرُ كانوا، و(السِّينُ) هنا للتّأكيدِ والمبالَغةِ والتّنبيهِ على أنَّ الفاعلَ يَطلبُ ذلكَ عن نَفسِهِ، ونَظيرُهُ في كَونِ السّينِ للتّأكيدِ والمبالَغةِ قولُهُ: في سورةِ آلِ عِمرانَ(٣): ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٤)، وقولُ عبّاسِ بنِ الأحنفِ:

سَأطلُبُ بُعدَ الدّارِ عَنكُم لِتَقْرُبُوا   وَتَسكُبُ عَيناي الدُّموعَ لِتَجْمُدا (٥)

و(عَلى الّذينَ): مُتَعلِّقٌ بقَولِهِ: يَستفتِحونَ، و(ما): فاعلُ جاءَكُم، وجملةُ: (عرفوا): صِلةُ (ما)، والعائِدُ مَحذوفٌ، أي: ما عَرَفوهُ، وجملةُ: (كَفَرُوا) الثّانية: جوابُ (لَمَّا) على التَّفصيلِ المذكورِ، وجملةُ: (وكانوا مِن قَبلُ يَستفتِحونَ على الّذينَ كَفَرُوا) منَ الاسمِ والخَبَرِ والمُتعلَّقِ: حالٌ مِن مَفعولِ جاءَ الأوَّلِ، و(الفاءُ) في (فَلَعنةُ الله): فَصيحةٌ.

---

(١) البيت من البسيط، وهو مجهول القائل. ينظر: شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ٢٣٣، وشرح ابن عقيل: ١: ٦٣٦، الشاهد: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٥.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: في سورةِ آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآيةُ ١٨١].

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٨١.

(٥) البيت من الطويل. ينظر: مختصر المعاني: ١٩، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ٢٦.

وقائله: هو: أبو الفضل العبّاس بن الأحنف بن الأسود من بني حنيفة: نشأ في بغداد، وعاصر الرشيد، وقيل: توفي بعده، من شعراء الغزل، ولم يقل في المديح والهجاء إلّا شيئًا قليلًا، توفي سنة (١٨٨ أو ١٩٢ هـ). ينظر: تاريخ بغداد: ١٢: ١٢٧، ترجمة رقم: ٦٥٨٢، وهديّة العارفين: ١: ٤٣٦.

النّزول: [٤٢٢]

في المجمَعِ: «قالَ ابنُ عبّاسٍ: كانَتِ اليَهودُ يَستفتِحونَ، أي: يَستَنصِرونَ عَلى الأَوسِ والخَزرَجِ برسولِ الله ﷺ قبلَ مَبعَثِهِ، فَلَمّا بَعَثَهُ اللهُ منَ العَرَبِ ولَم يكنْ مِن بَني إسرائيلَ كَفَروا بِهِ وجَحَدوا ما كانوا يَقولونَهُ فيهِ، فقالَ لَهُم: مَعاذُ بنُ جَبَلٍ وبِشرُ بنُ براء بنُ معرورٍ[1]: يا مَعشرَ اليَهودِ اتَّقوا اللهَ وأَسلِمُوا فَقد كُنتُم تَستَفتِحونَ علينا بمُحمَّدٍ ﷺ ونَحنُ أهلُ الشّركِ وتَصِفونَهُ وتَذكُرونَهُ أنَّهُ مَبعوثٌ، فَقالَ سَلامُ بنُ مَشكم[2] أخو بَني النَّضيرِ: ما جاءَنا بشَيءٍ نَعرِفُهُ وما هوَ بالّذي كُنّا نَذكُرُهُ لَكُم، فأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيَةَ: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ**﴾ الآيَةَ»[3].

وفي الكافي والعَيَّاشي: بإسنادِهِما إلى أبي بَصيرٍ عَن أَبي عَبدِ الله جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادقِ عليه السلام في هذهِ الآيةِ قالَ: «كانَت اليَهودُ تَجِدُ في كُتُبِها أنَّ مُهاجَرَ مُحَمَّدٍ ﷺ ما بَينَ عِيرٍ وأُحُدٍ، فَخَرَجوا يَطلُبُونَ المَوضِعَ فَمَرُّوا بجَبَلٍ يقالُ لهُ حَداء، فقالوا حَداءَ وأُحُدَ سَواءٌ، فَتَفَرَّقُوا عندَهُ فَنَزَلَ بعضُهُم بِتَيمَا وبعضُهُم بفَدَك وبعضُهُم بخَيبَرَ، فَاشتاقَ الّذينَ كانُوا بتَيمَا إلى بعضِ إخوانِهِم فَمَرَّ بِهِم أعرابيٌّ مِن قَيسٍ فتكارَوا منهُ، وقالَ: أَمُرُّ بكُم ما بينَ عِيرٍ وأُحُدٍ، فقالُوا: إذا مَرَرتَ بِهما فَآذِنّا بِهما، فَلَمّا تَوسَّطَ بِهِم أَرضَ المدينَةِ قالَ لَهم: ذاكَ عِيرٌ وهذا أُحُدٌ، فَنَزَلوا عَن ظَهرِ إبِلِهِ، وقالُوا: قَد أَصَبنا بِغيَتَنا فَلا حاجةَ لَنا في إبلِكَ فَاذهَب حَيثُ شِئتَ، وكَتَبُوا إلى إخوانِهِم الّذينَ بفَدَك وخَيبَرَ إنَّا قَد أصَبنا المَوضِعَ فَهَلُمُّوا إِلينا، فَكَتَبوا إليهِم إنّا قَد استَقَرَّت بنا الدّارُ واتَّخَذنا الأموالَ وما أقرَبَنا منكُم، فَلَمّا كانَ ذلكَ فَما أسرَعَنا إليكُم فَاتَّخَذوا بأرضِ المدينَةِ أموالًا؛ فَلَمّا كَثُرَت أَموالُهُم بَلَغَ ذلكَ تُبَّعًا فَغَزاهُم، فَتَحَصَّنُوا منهُم فَحاصَرَهُم وكانوا يَرِقُّونَ لِضُعَفاءِ أَصحابِ تُبَّعٍ فَيُلقُونَ إِليهِم باللّيلِ التَّمرَ والشّعيرَ، فَبَلَغَ ذلكَ تُبَّعًا فَرَقَّ لَهُم فَآمَنَهُم، ونَزَلوا إليهِ فقالَ لَهُم: إنّي قَد استَطَبتُ بلادَكُم ولا أَراني

(١) ومنه في حاشية الأصل: هما منَ الأوسِ والخزرجِ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: منَ اليَهودِ.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٩٩.

إلَّا مُقيمًا فيكُم، فَقالوا لهُ: إنَّ ذاكَ ليسَ لكَ، إنَّما مُهاجَرُ نبيٍّ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ حَتَّى يكونَ ذلكَ، فقالَ لهُم: إنّي مُخَلِّفٌ فيكُم مِن اُسرَتي مَن إذا كانَ ذلكَ ساعَدَهُ ونَصَرَهُ، فَخَلَّفَ حَيَّينِ: الأوسَ والخَزرَجَ، فَلَمَّا كَثُروا بها كانُوا يَتَناوَلونَ أموالَ اليَهودِ، وكانَت اليَهودُ تقولُ لهُم: أَما لَو قَد بُعِثَ فيهِم مُحَمَّدٌ ﷺ لَنُخرِجَنَّكُم مِن ديارِنا وأموالِنا، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ آمَنَت بهِ الأَنصارُ[1] وكَفَرَت بهِ اليَهودُ وهوَ قولُهُ تعالى: ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾»[2].

وفي الكافي: عَن الصّادقِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِل عَن هذهِ الآيةِ فقالَ: «كانَ قَومٌ ما بينَ مُحَمَّدٍ وعيسى صَلواتُ الله عليهما وكانُوا يَتَوعَّدون أهلَ الأصنامِ بالنَّبيِّ ﷺ ويقولونَ: لَيَخرُجَنَّ نبيٌّ ولَيُكَسِّرَنَّ أَصنامَكُم ولَيَفعَلَنَّ بكُم ولَيَفعَلَنَّ، فَلَمَّا خَرجَ رسولُ الله ﷺ كَفروا بهِ»[3].

وفي تفسيرِ عليِّ بنِ إبراهيمَ: «كانَت اليَهودُ يقولونَ للعَرَبِ قبلَ مَجيءِ النَّبيِّ ﷺ: أيُّها العَرَبُ هذا أوانُ نَبيٍّ يَخرجُ من مكّةَ وتكونُ مُهاجَرَتُهُ بالمدينةِ وهوَ آخِرُ الأنبياءِ وأفضلُهُم، في عَينَيهِ حُمرَةٌ وبينَ كَتِفَيهِ خاتَمُ النُّبوَّةِ، يَلبَسُ الشَّملةَ[4] ويَجتَزِئُ[5] بالكِسرَةِ والتُّميراتِ، ويَركَبُ الحِمارَ العَري[6]، وهوَ الضَّحوكُ القَتّالُ يَضَعُ سَيفَهُ على عاتِقِهِ لا يُبالي مَن لاقى، يَبلُغُ سلطانُهُ مُنقَطَعَ الخُفِّ والحافِرِ، لَنَقتُلَنَّكُم بهِ يا مَعشَرَ العَربِ قَتلَ عادٍ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ نَبيَّهُ ﷺ بهذهِ الصِّفَةِ حَسَدُوهُ وكَفَروا بهِ، كَما قالَ اللهُ تعالى: ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ**﴾ الآيَةَ»[7].

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: وهم: الأوسُ والخزرجُ.

(٢) الكافي: ٨: ٣٠٨، حديث رقم: ٤٨١، وتفسير العيّاشي: ١: ٤٩، ٥٠، حديث رقم: ٦٩.

(٣) الكافي: ٨: ٣١٠، حديث رقم: ٤٨٢.

(٤) الشملةُ: كساءٌ يُشتملُ بهِ. العين: ٦: ٢٦٦، (شمل).

(٥) أي: يكتفي.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: بلا سرجٍ.

(٧) تفسير القمّي: ١: ٣٣.

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «قال أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: إنَّ اللهَ تعالى أخبرَ رسولَهُ صلى الله عليه وآله بما كانَ من إيمانِ اليَهودِ بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله قبلَ ظُهورِهِ، ومِن استِفتاحِهِم على أعدائِهِم بذِكرِهِ والصّلاةِ عليهِ وعلى آلِهِ.

قالَ عليه السلام: وكانَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أمرَ اليَهودَ في أيّامِ موسى عليه السلام وبعدَهُ إذا دهِمَهُم أمرٌ أو دَهَتْهُم داهِيَةٌ أن يَدعو اللهَ عَزَّ وجَلَّ بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وآلِهِ الطّيّبينَ، وأن يَستَنصِرُوا بِهِم، وكانُوا يَفعلونَ ذلكَ حَتَّى كانَت اليَهودُ من أهلَ المدينَةِ قبلَ ظُهورِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بسِنينَ كثيرةٍ يفعلونَ ذلكَ، فَيَكفُّونَ البَلاءَ والدّهماءَ والدّاهيةَ(١).

وكانَتِ اليَهودُ قبلَ ظُهورِ مُحَمَّدٍ النّبيِّ صلى الله عليه وآله بعَشرِ سِنينَ يُعادِيهِم أَسَدٌ وغَطَفانُ ـ قَومٌ منَ المشركينَ ـ ويَقصِدونَ أَذاهُم، وكانوا يَستَدفِعونَ شُرُورَهُم وبَلاءَهُم بسُؤالِهِم رَبَّهُم بمُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيّبينَ، حَتَّى قَصَدَهُم في بعضِ الأوقاتِ أَسَدٌ وغَطَفانُ في ثَلاثَةِ آلافِ فارسٍ إلى بعضِ قُرى اليَهودِ حَوالَي المدينَةِ، فَتَلَقَّاهُم اليَهودُ وهُم ثَلاثمائةِ فارسٍ، ودَعَوُا اللهَ بمُحمَّدٍ وآلِهِ الطَّيّبينَ الطّاهرينَ فَهَزَمُوهُم وقَطَعُوهُم. [٤٢٣]

فَقالَ أَسَدٌ وغَطَفانُ بعضُهُما لبَعضٍ: تَعالَوا نَستَعِنْ(٢) عَليهِم بسائرِ القَبائلِ، فاستَعانُوا عَليهِم بالقَبائلِ وأكثَرُوا حَتَّى اجتَمَعُوا قَدْرَ ثَلاثينَ ألفًا، وقَصَدُوا هؤلاءِ الثّلاثمائة في قَريَتِهِم، فَأَلجَأُوهُم إلى بيوتِها، وقَطَعوا عَنها المياهَ الجارِيَةَ الّتي كانَت تَدخُلُ إلى قُراهُم، ومَنَعوا عَنهم الطَّعامَ، واستَأمَنَ اليَهودُ مِنهُم فَلَم يُؤمِنُوهُم، وقالُوا: لا، إلّا أن نَقتُلَكُم ونَسبيَكُم ونَنهَبَكُم.

فَقالَتِ اليَهودُ بعضُها لبعضٍ: كيفَ نَصنعُ؟ فَقالَ لَهم أماثِلُهُم وذَوُو الرَّأيِ منهُم: أما أَمَرَ موسى عليه السلام أسلافَكُم ومَن بَعدَهُم بالاستِنصارِ بمُحمَّدٍ وآلِهِ؟ أما أَمَرَكُم بالابتِهالِ إلى الله تعالى عندَ الشّدائدِ بِهِم؟

قالوا: بَلى، قالوا: فَافعَلُوا.

فقالوا: اللّهُمَّ بجاهِ مُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيّبينَ لمَّا سَقَيتَنا، فَقَد قَطَعَتِ الظَّلَمَةُ عنَّا المياهَ حَتَّى ضَعُفَ شَبابُنا، وتَماوَتَ وِلدانُنا، وأَشرَفنا على الهَلَكَةِ.

(١) الدّهماء: القدر. الصحاح: ٥: ١٩٢٤، (دهم). والداهية: الأمر العظيم. العين: ٨: ٢٦٣، (أمر).

(٢) ومنه في حاشية الأصل: بالجزمِ لجوابِ الأمرِ.

فَبَعَثَ اللهُ تعالى لَهُم وابِلًا هَطَلًا صَبًّا مُتَتابعًا مَلأَ حِياضَهُم وآبارَهُم وأنهارَهُم وأوعِيَتَهُم وظُروفَهُم، فَقالوا: هذهِ إحدى الحُسنيَينِ، ثمَّ أشرَفُوا مِن سُطوحِهِم عَلى العَساكِرِ المحيطَةِ بِهِم، فإذا المَطَرُ قَد آذاهُم غايةَ الأذى، وأَفسَدَ أمتِعَتَهُم وأَسلِحَتَهُم وأموالَهُم، فَانصَرَفَ عنهُم لذلكَ بعضُهُم؛ وذلكَ أنَّ المطَرَ أتاهُم في غَيرِ أوانِهِ في حمارّةِ القَيظِ[1] حينَ لا يكونُ مَطَرٌ، فقالَ الباقونَ منَ العَساكِرِ: هَبكُم سُقِيتُم، فَمِن أينَ تأكُلونَ؟ ولَئِنِ انصَرَفَ عنكُم هؤلاءِ فَلَسنا نَنصَرِفُ حَتَّى نَقهَرَكُم على أنفُسِكُم وعِيالاتِكُم وأهالِيكُم وأموالِكُم، ونَشفِي غَيظَنا مِنكُم.

فَقالتِ اليَهودُ: إنَّ الّذي سَقانا بدُعائِنا بمُحمَّدٍ وآلِهِ قادِرٌ على أن يُطعِمَنا، وإنَّ الّذي صَرَفَ عنَّا مَن صَرَفَهُ قادرٌ عَلى أن يَصرِفَ الباقِينَ، ثمَّ دَعَوُا اللهَ بمُحمَّدٍ وآلِهِ أن يُطعِمَهُم، فَجاءَت قافِلَةٌ عظيمةٌ من قَوافِلِ الطَّعامِ قَدرَ ألفَي جَمَلٍ وبَغلٍ وحِمارٍ مُوقَرَة[2] حِنطَةً ودَقيقًا، وهُم لا يَشعُرونَ بالعَساكِرِ فانتَهَوا إليهِم وهُم نِيامٌ، ولَم يَشعُروا بِهِم؛ لأنَّ اللهَ تعالى ثَقَّلَ نومَهُم حَتَّى دَخلوا القَريَةَ، ولَم يَمنَعوهُم، وطَرَحُوا فيها أمتِعَتَهُم وباعُوها منهُم فَانصَرَفوا وأبعَدُوا، وتَرَكُوا العَساكِرَ نائِمةً لَيسَ في أهلِها عَينٌ تَطرُفُ، فَلَمّا أُبعِدُوا انتَبَهُوا، ونابَذوا اليَهودَ الحَربَ، وجَعَلَ يقولُ بعضُهُم لبَعضٍ: الوَحا، الوَحا فإنَّ هؤلاءِ اشتَدَّ بِهِم الجوعُ وسَيَذِلُّونَ لَنا.

قالَ لَهُم اليَهودُ: هَيهاتَ بَل قَد أطعَمَنا رَبُّنا وكُنتُم نِيامًا، جاءَنا منَ الطّعامِ كَذا وكَذا، ولَو أرَدنا قَتلَكُم في حالِ نومِكُم لَتهيَّأَ لَنا ولكنّا كَرِهنا البَغيَ عَليكُم ، فَانصَرِفوا عَنَّا وإلّا دَعَونا عَليكُم بمُحمَّدٍ وآلِهِ، واستَنصَرنا بِهِم أن يُخرِجَكُم[3] كَما قَد أطعَمَنا وأسقانا، فَأبَوا إلّا طُغيانًا، فَدَعَوا اللهَ بمُحمَّدٍ وآلِهِ واستَنصَرُوا بِهِم.

ثمَّ بَرَزَ الثّلاثُمائة إلى الثّلاثِينَ أَلفًا فَقَتَلوا منهُم وأَسَرُوا، وطَحطَحُوهُم[4] واستَوثَقُوا منهُم بأُسَرائِهِم، فكانَ لا يَبدَأُهُم مَكروهٌ مِن جِهَتِهِم لخَوفِهِم على مَن لَهُم في أيدِي اليَهودِ.

---

(١) أي: شدة الحر. الصحاح: ٢: ٦٣٨، (حمر).

(٢) أي: حاملة حملًا ثقيلًا. ينظر: الصحاح: ٢: ٨٤٨، (وقر).

(٣) وردت في نسخة المصدر بلفظ: (يُخزيكُم).

(٤) طَحْطَحَ الشيءَ، فتَطَحْطَحَ: فرّقهُ وكَسَرَهُ إهلاكاً. لسان العرب: ٢: ٥٢٨، (طحح).

فَلَمّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ حَسَدُوهُ، إذ كانَ مِنَ العَرَبِ وَكَذَّبوهُ. ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: هذهِ نُصرَةُ الله تعالى لليَهودِ عَلى المشركِينَ بذِكرِهِم لُمحمَّدٍ وآلِهِ، ألا فاذكُرُوا يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا وآلَهُ عندَ نَوائِبِكُم وشَدائِدِكُم لِيَنصُرَ اللهُ بِهِ ملائِكَتَكُم على الشّياطِينِ الّذينَ يَقصِدُونكُم، فَإِنَّ كُلَّ واحِدٍ منكُم مَعَهُ مَلَكٌ عَن يَمينِهِ يَكتُبُ حَسَناتِهِ، ومَلَكٌ عن يَسارِهِ يكتُبُ سَيِّئاتِهِ، ومَعَهُ شَيطانانِ من عِندِ إبليسَ يُغوِيانِهِ، فإذا وَسْوَسا في قَلبِهِ ذَكَرَ اللهَ تعالى وقالَ: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيّبينَ خَنَسَ الشّيطانانِ واختَفَيا»[1] الحديث.

وفي تَفسيرِ العَيَّاشي: عن جابرٍ الجعفِيّ قالَ: سَألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عَن هذهِ الآيةِ مِن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ ؟ قالَ: «تَفسيرُها في الباطِنِ: لَمّا جاءَهُم ما عَرَفُوا في عَلِيٍّ كَفَرُوا بهِ، فقالَ اللهُ فيهِ: يَعنِي بَنِي أُمَيَّةَ هُمُ الكافِرونَ في باطِنِ القُرآنِ»[2]، انتهى.

المعنى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، أي: اليَهودَ مِن بَني إسرائيلَ الّذينَ وَصَفَهُم اللهُ بما مَرَّ مِن خُبثِ سَريرَتِهِم، ومَن يَحذُو حَذوَهُم مِن هذهِ الأُمَّةِ ﴿كِتَابٌ﴾ كائنٌ نازِلٌ ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، يعني: القُرآنَ الّذي أَنزَلَهُ على نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾، أي: للكِتابِ الّذي مَعَهُم منَ التّوراةِ والانجيلِ وغيرِهِما الّتي أُنزِلَت قبلَ القرآنِ فَهوَ مُصَدِّقٌ لَها بأنَّها مِن عِندِ الله، وأنَّها حَقٌّ، وَ الحالُ أنَّ اليَهودَ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: مِن قَبلِ مَبعَثِ النَّبيِّ ﷺ ونُزولِ القُرآنِ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: يَستَنصِرونَ في الشّدائِدِ والحُروبِ على مُشرِكِي العَرَبِ وعلى قَومِ تُبَّعٍ مِنَ الأَوسِ والخَزرَجِ على ما مَرَّ في النّزولِ منَ الأَحاديثِ. [٤٢٤]

وفي تفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «بأن يَقولُوا: اللّهُمَّ افتَحْ عَلينا وانصُرنا بحَقِّ النَّبيِّ الأُمّيِّ، اللّهُمَّ انصُرنا بحَقِّ النَّبيِّ المبعُوثِ إلينا، نَبِيِّ آخِرِ الزّمانِ المنعُوتِ في التّوراةِ والإنجيلِ»[3]، وغَيرِ ذلكَ ممَّا مَرَّ في تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام.

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٩٣ـ٣٩٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٥٠، حديث رقم: ٧٠.

(٣) لم يقف الباحث عليه في تفسير الإمام العسكري عليه السلام بالنّصّ، وقد جاء بالمعنى في الحديث آنفًا.

أو المَعنى: يَستَعلِمونَ مِن عُلمائِهِم صِفَةَ نَبيٍّ يُبْعَثُ فَيفتَحونَ عَليهم ويُعَرِّفُونَهُم أنَّ نَبيًّا يُبعَثُ صِفَتُهُ كَذا وكَذا كَما مَرَّ في تفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ وغَيرِهِ في النّزولِ وقَد قَرُبَ زَمانُهُ، **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا** أي: فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مُحَمَّدًا نَبيًّا وجاءَهُم ما عَرَفوهُ وعَلِمُوهُ منَ الأوصافِ والمُهاجرةِ إلى طِيبَةَ ما بينَ عِيرٍ وأُحُدٍ على ما زُبِرَ[1] في التّوراةِ بِلا نُقصانٍ و قُصُورٍ كَما يَعرِفونَ أَبناءَهُم **﴿كَفَرُوا بِهِ﴾**، أي: سَتَروهُ وأَنكَرُوهُ وقالُوا ليسَ هوَ هذا، وحَرَّفُوا أَوصافَهُ في التّوراةِ والانجيلِ حَسَدًا وعِنادًا وبَغيًا وحُبًّا للرّئاسَةِ، **﴿فَلَعْنَةُ اللهِ﴾**، أي: غَضَبُهُ وعَذابُهُ **﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**.

والمناسِبُ للمَقامِ أن يقولَ: فَلَعنةُ الله عَليهِم، فَوَضَعَ المُظهَرَ مَوضِعَ المُضمَرِ؛ لأمرينِ:

أَحدُهُما: للدّلالَةِ على أنّهُم لُعِنوا لأجلِ كُفرِهِم، فَيكونُ اللّامُ للعَهدِ الخارجي لِتَقَدُّمِ ذلكَ في كَفَرُوا، ويَجوزُ أن يكونَ للجِنسِ فَيدخُلونَ فيهِ دُخولًا أَوَّليًّا أَصليًّا؛ لأنَّ الكَلامَ فيهِم؛ ولأنّهُم رأسُهُم ورئيسُهُم.

وثانيهُما: لِدفعِ تَوهُّمِ الرّجوعِ إلى مُطلَقِ أهلِ الكِتابِ معَ أنَّ بعضَهُم آمَنوا بهِ ﷺ كَعَبدِ الله بنِ سَلامٍ وأَصحابِهِ، فَكَأنَّهُ قالَ: فَلَعنَةُ الله على الكافرينَ منهُم ومِن غَيرِهِم، وغَيرِ ذلكَ منَ التّفاسيرِ الّتي مَرَّت في النّزولِ.

في دلالةِ هذهِ الآية (عدمُ جوازِ كتمانِ العِلمِ وعِقابُ كاتِمِهِ):

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على أنَّهُ إذا سُئِلَ العالِمُ عَن عِلمِهِ فَكَتَمَهُ وسَتَرَهُ حيثُ يَجِبُ إظهارُهُ حَسَدًا[2] وعِنادًا أو غَيرَ ذلكَ فَهوَ كافرٌ مَلعونٌ مُعَذَّبٌ بعَذابِ الله وعِقابِهِ، كَما أنَّ اليَهودَ من بَني إسرائيلَ كانوا عارفينَ بمُحمَّدٍ ﷺ وصِفاتِهِ على ما نَطَقَ بهِ التّوراةُ والإنجيلُ، واستَشهَدَهُم رسولُ الله ﷺ بذلكَ فَكَتَموهُ وسَتَروهُ وأَنكَروهُ حَسَدًا وعِنادًا فَصارُوا كافِرينَ مَلعونينَ أَحِقَّاءَ بِغَضَبٍ مُتَوالٍ، واستَحَقُّوا العَذابَ المُهينَ، وكَما أنَّهُ بَيَّنَ ﷺ بِوصايَةِ وَصِيِّهِ عليٍّ عليه السلام وأَوصيائِهِ الطّيّبينَ لِيَهودِ هذهِ

---

(١) أي: كُتِبَ. ينظر: الصحاح: ٢: ٦٦٧، (زبر).

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: حَسَدًا وعِنادًا: مفعولٌ لهُ لِقولِهِ: فَكَتَمَهُ وسَتَرَهُ.

الأُمَّةِ مَرَّةً بعدَ أُخرى تَصريحًا و تَعريضًا وإيماءً وتَلويحًا ورَمزًا وإشارةً سَفرًا وحَضرًا فعَلِمُوهُ يقينًا، وكانُوا عارِفينَ بأنَّ ذلكَ نَزَلَ مِن عِندِ اللهِ سبحانِهِ فأنكرُوهُ وسَترُوهُ، وكَفرُوا بما أَنزَلَ اللهُ على مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام بَغيًا وحَسَدًا وطَلَبًا لِما ليسَ لَهُم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] فَاحتَجَّهُم عَليٌّ عليه السلام في ذلكَ واستَشهَدَهُم في مواطِنَ كثيرةٍ على ذلكَ، وأَنشَدَهُم باللهِ وطَلَبَ حَقَّهُ المختَصَّ بهِ منهُم، فكَفَروا بما أَنزَلَ اللهُ، وما بَيَّنَ وأَوضَحَ لَهم الرّسُولُ صلى الله عليه وآله فكَتَموهُ وسَتَروهُ ووَضَعُوا غَيرَ ذلكَ في مَوضعِهِ، فَصارُوا أَحِقَّاءَ بغَضَبٍ مُتَتالٍ، واستَحقُّوا العَذابَ المُهينِ، وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: «سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقولُ: مَنْ سُئِلَ عَن عِلمِهِ فَكَتَمَهُ حيثُ يَجِبُ إظهارُهُ، ويَزولُ عنهُ التَّقيّةَ جاءَ يومَ القِيامةِ مُلْجَمًا بلِجامٍ مِن نارٍ[2]»[3].

---

(١) سورة الملك ٦٧: ٢٧.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: وفي حديثٍ آخَر: «قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ عَلِمَ عِلمًا وكَتَمَهُ أَلجَمَهُ اللهُ يومَ القيامَةِ بلِجامٍ مِن نارٍ». [نهج الحق وكشف الصدق: ٣٧، وقد ورد الحديث بأسانيد وألفاظ متعدّدة وبنفس المعنى، ومنها من مصادر العامّة: مسند أحمد: ٢: ٣٥٣، وسنن ابن ماجة: ١: ٩٧، حديث رقم: ٢٦٤، ومن مصادر الخاصّة: أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧٧، وعوالي اللئالي: ٤: ٧١، حديث رقم: ٤٠، وبحار الأنوار: ٢: ٦٨، حديث رقم: ١٩. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله: «أيّما رجلٍ آتاهُ اللهُ علمًا فكتمَهُ وهوَ يعلمُهُ، لَقيَ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ مُلجّمًا بلِجامٍ من نارٍ»].

ومنَ الآياتِ الّتي دَلَّت على تَحريمِ كِتمانِ العِلمِ وحَظرِ إخفاءِ الدّلائِلِ والبَراهينِ والآياتِ قولُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢: ١٥٩]، وقولُهُ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [سورة البقرة ٢: ١٧٤، ١٧٥]، وقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «إذا ظَهَرَتِ البِدَعُ في أُمّتي فَلْيُظهِرِ العالِمُ منكُم عِلمَهُ، فَمَن لَم يفعَلْهُ فعليهِ لَعنَةُ اللهِ». [الكافي: ١: ٥٤، حديث رقم: ٢، ودعائم الإسلام: ١: ٢] الحديث.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٤٠٢، حديث رقم: ٢٧٣، وبحار الأنوار: ٢: ٧٢، حديث رقم: ٣٧.

وقولُهُ تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ أبو عَمرو بنُ العلاءِ: (أن يُنْزِلَ) مُخَفَّفَةً في كُلِّ القرآنِ إلَّا في سورةِ الأنعامِ ﴿أَنْ يُنَزِّلَ﴾[1] فَإِنَّهُ شَدَّدَها، وقَرَأَ عبدُ الله بنُ كَثيرٍ: بالتّخفيفِ في كُلِّ القرآنِ إلَّا في سُورةِ بَني إسرائيلَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[2]، و﴿حَتَّى تُنَزِّلَ﴾[3] فإنَّهُ شَدَّدَهُما، وقَرَأَ حمزةُ والكِسائيُّ: في كُلِّ القرآنِ بالتّشديدِ إلَّا في سورةِ لقمان وسورةِ الشّورى: ﴿ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[4] فإنَّهما قَرَآهُما بالتّخفيفِ، وقَرَأَ الباقونَ: بالتّشديدِ في كُلِّ القرآنِ، واتَّفَقوا جميعًا في سورةِ الحِجْرِ: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[5] على التّشديدِ[6].

الحجَّةُ في اختلافِ تلكَ القراءاتِ:

الحُجّةُ في ذلكَ: أنَّ نَزَلَ مِن بابِ ضَرَبَ: فِعلٌ لازمٌ لا يَتعدَّى إلى مفعولٍ إلَّا بأحَدِ أُمورٍ ثَلاثةٍ: بالهمزةِ وبتَضعيفِ العَينِ وبحَرفِ الجَرِّ، فأنزَلَ ونَزَّلَ من بابَيِ الأفعالِ والتَّفعيلِ لُغَتانِ جاءَتا في القرآنِ، كُلٌّ منهُما في مَقامِ الآخَرِ مِن غَيرِ فَرقٍ بينهما إلَّا بدَليلٍ آخَرَ في الخارِجِ، وقَد يُفرَقُ بينهما: أنَّ التّنزيلَ هوَ: نُزولُ الشّيءِ مُنَجَّمًا تَدريجًا، والانزالُ: نُزولُهُ جُملةً دفعةً واحدَةً، كَما ذكرَهُ صاحبُ الكشّافِ في أوّلِ سورةِ آلِ عِمرانَ في قولِهِ تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٣٧.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٨٢.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٩٣.

(٤) سورة لقمان: ٣١: ٣٤، وسورة الشورى ٤٢: ٢٨.

(٥) سورة الحجر ١٥: ٢١.

(٦) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٥، ١٦٦، والحجة في القراءات السبع: ١: ٨٥، والحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٥٦، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٢، ١٣٣.

وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[1]، حيثُ قالَ: «إنّما قيلَ: نَزَّلَ الكِتابَ وهوَ القرآنَ، وأنزلَ التّوراةَ والإنجيلَ؛ لأنَّ القرآنَ نزلَ مُنجَّمًا، وأنزلَ الكتابانِ جُملةً»[2] انتهى. [٤٢٥]

خدشةٌ على صاحِبِ الكَشّافِ:

فَعَلى هذا يَنبَغي تَأويلُ بعضِ الآياتِ، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[3]، و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[4] بأنَّهُ أُنزِلَ القرآنُ جملةً واحدةً منَ اللّوحِ المَحفوظِ إلى السّماءِ الدُّنيا في ليلَةِ القَدرِ التي هيَ اللّيلةُ المُبارَكَةُ، ثمَّ نُزِّلَ بَعدَ ذلكَ مُنَجَّمًا في عشرينَ سَنَةً أو أكثَرَ، معَ أنَّ بعضَ آياتِ الإنزالِ لا يَقبَلُ التّأويلَ، وكَذا بعضُ آياتِ التّنزيلِ كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[5]، و﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾[6]، و﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ﴾[7] الآية، وقولِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾[8] الآية، ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[9]، قَرَؤوا بالتَشديدِ وغَيرِ ذلكَ منَ الآيةِ، فالصَّحيحُ ما قُلناهُ أوَّلًا، وممَّا عُدِّيَ بحرفِ الجَرِّ قولُهُ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[10] برَفعِ الرُّوحِ.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٣.

(٢) تفسير الكشّاف: ١: ٣٣٦.

(٣) سورة القدر ٩٧: ١.

(٤) سورة الدخان ٤٤: ٣.

(٥) سورة الفرقان ٢٥: ٤٨.

(٦) سورة ق ٥٠: ٩.

(٧) سورة آل عمران ٣: ١٩٩.

(٨) سورة المائدة ٥: ٤٨.

(٩) سورة آل عمران ٣: ٩٣.

(١٠) سورة الشعراء ٢٦: ١٩٣.

اللغة:

ذكرُ فِعلَي المدحِ والذّمِّ وخَواصِّهِما وشرائِطِهِما:

بِئْسَ، وكَذا نِعْمَ: فِعلانِ ماضيانِ غيرُ مُتَصرِّفَينِ مِن أَفعالِ الذَّمِّ والمَدحِ على الأصَحِّ بدَليلِ دُخولِ تاءِ التّأنيثِ السّاكنَةِ عَليهِما عندَ الجميعِ، نحو: نِعْمَت وبِئْسَت وبنائِهِما عَلى الفَتحِ كَالأفعالِ الماضِيَةِ واتِّصالِ ضَميرِ الرَّفعِ البارِزِ بِهِما في لغةِ قَومٍ حَكاها الكِسائِيُّ والأخفَشُ[1]، يقولُ: الزّيدانِ نِعْما رَجُلينِ والزّيدونَ نِعْموا رجالًا، خِلافًا لِبعضِ الكوفيّين كَالفَرّاءِ فإنَّهُ يقولُ: إنَّهُما اسمانِ بدَليلِ دُخولِ حَرفِ الجرِّ عَليهِما في قَولِ الأعرابيِّ لمَّا بُشِّرَ بمَولودةٍ، فقيلَ: نِعْمَ المولودةُ، فقالَ: (والله ما هيَ بِنِعْمَ المولودة نَصْرُها بُكاءٌ وبِرُّها سَرِقةٌ)[2]، وقولهُم: نِعْمَ السَّيرُ على بِئْسَ العَيرُ، وقولَ الشّاعرِ:

صَبَّحَكَ اللهُ بخَيرٍ باكِرِ		بِنِعْمَ طَيْرٍ وشَبابٍ فاخِرِ[3]

والجوابُ أنَّهُ على حَذفِ الموصوفِ، والتَّقدير: ما هيَ بمَولودةٍ نِعْمَ المولودة، ونِعْمَ السَّيْرُ على عَيْرٍ بِئْسَ العَيْرُ، وبِطَيرٍ نِعْمَ، أي: طَيْرٍ مَيمُونٍ، أو عَلى سَبيلِ الحِكايةِ.

أصلُ نِعمَ وبِئسَ ولغاتُهُما:

وهُما من بابِ عَلِمَ أَصلها على وَزنِ فَعِل بفتحِ الفاءِ وكَسرِ العَينِ، وفي كُلِّ واحدٍ منهُما أَربعُ لُغاتٍ:

ـ نَعِمَ وبَئِسَ، بفتحِ الفاءِ وكَسرِ العَينِ على الأصلِ.

ـ ونَعْمَ وبَئْسَ، بفتحِ الفاءِ وسُكونِ العَينِ تَخفيفًا.

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ٨٦.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ٨٢، واللمحة في شرح الملحة: ١: ٤١١.

(٣) البيت من الرجز، لا يُعرَفُ قائله. ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ١١٠٣، وشرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ٣٣٣.

والمُصَنِّف يذهب إلى قول البصريّين من كونِهما فعلين ماضيين، وسيأتي بيان ذلك.

ـ ونِعْمَ وبِئْسَ، بكَسرِ الفاءِ وسُكونِ العَينِ كذلكَ، وذلكَ أنَّهُ نُقِلَت كَسرةُ العَينِ إلى الفاءِ بعدَ حَذفِ فتحةِ الفاءِ.

ـ ونِعِمَ وبِئِسَ، بكَسرِ الفاءِ والعَينِ جميعًا بإتباعِ حَركةِ الفاءِ حركةَ العَينِ، وكذلكَ كُلُّ فِعلٍ واسمٍ بفَتحِ الفاءِ وكَسرِ العَينِ مِمَّا ثانِيهِ حَرفُ حَلقٍ، نحو: شَهِدَ ورَحِمَ وفَخِذٍ يجوزُ فيهِ تلكَ اللّغاتُ الأربعُ بخِلافِ نحو: عَلِمَ وكَتِفٍ.

شرطُ فاعلِهما ومَخصوصِهِما:

ويَقَعُ بعدَهُما اسمانِ مرفوعانِ: أَحدُهُما فاعلٌ لهُما، والثّاني مَخصوصٌ بالمَدحِ والذَّمِّ، ويُشترَطُ في فاعلِهِما أن يكونَ إمَّا مُعرَّفًا باللّامِ، نحو: نعمَ الرّجُلُ زيدٌ وبئسَ الرّجُلُ بكرٌ، أو مُضافًا إلى المُعرَّف بهِ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[1]، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]، ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[3]، أو ضَميرًا مُبهَمًا مُمَيَّزًا بنكرةٍ مَنصوبةٍ، نحو: نِعمَ رجُلًا زيدٌ وبِئسَ للظّالمينَ بَدَلًا، أو بـ(ما) نحو قولِهِ تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾[4] و﴿نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[5]، و**﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ﴾** على وَجهٍ يَجيءُ في الإعرابِ، ويُشترَطُ في المخصوصِ أن يكونَ مُطابقًا للفاعلِ إفرادًا وتَثنيةً وجَمعًا، وتَذكيرًا وتَأنيثًا[6].

واشتَرَوا: افتَعَلُوا، منَ الشَّراءِ بالفتحِ والمدِّ، يقالُ: شَراهُ يَشرِيهِ مِن بابِ ضَرَبَ: مَلَكَهُ بالبَيعِ، وباعَهُ كَاشتَرَى، فَهُما ضِدٌّ، يعني: أنَّ شَرَى واشتَرَى جميعًا بمَعنى: باعَ واشتَرَى معًا، لكنَّ الأكثرَ في الكَلامِ أنَّ (شَرَيتُ) بمَعنى: بعتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[7]، أي: باعُوهُ.

---

(١) سورة النحل ١٦: ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٧٢.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٥١.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٧١.

(٥) سورة النساء ٤: ٥٨.

(٦) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ١١٠٥، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٣: ٢٤٠.

(٧) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

واشتَريتُ بمَعنى: ابتَعْتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[1]، وقولِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[2]، وقَد يَجيءُ اشتَريتُ بمَعنى: بعتُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾[3] الآية، أي: باعَ، ويُحتَملُ هنا أن يكونَ بمَعنى: ابتَاعَ، وكَذا فيما نَحنُ فيهِ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾، أي: باعُوا، وشَريتُ بمَعنى: ابتَعتُ فَهوَ من قَبيلِ الأضدادِ، والأكثرُ ما تَقدَّمَ. [٤٢٦]

والبَغيُ: الفَسادُ، والظُّلمُ، ومُجاوَزَةُ الحَدِّ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[4]، وحديثُ عَمّارٍ: «تَقتُلُهُ الفِئةُ الباغِيَةُ»[5]، أي: الظّالِمةُ الخارجَةُ عَن طاعةِ الله ورسُولِهِ ﷺ والإمامِ القائِمِ مَقامَهُ، مَأخوذٌ مِن بَغَى الجُرْحُ: إذا فَسَدَ، ومنهُ حديثُ أبي سَلمة: «أقامَ شَهرًا يُداوي جُرحَهُ فَدَمَلَ على بَغيٍ»[6]، أي: على فَسادٍ، والبَغْيُ: الفُجورُ، وامرأَةٌ بَغِيٌّ، أي: فاجرَةٌ، يقالُ: بَغَتِ المرأَةُ تبغِي بِغاءً بالكَسرِ والمَدِّ: إذا زَنَت، فَهِيَ بَغِيٌّ، جعَلُوا البِغاءَ على زِنَةِ العُيُوبِ كالحِرانِ والشِّرادِ والشِّماسِ[7]؛ لأنَّ الزّنا عَيبٌ قالَ تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[8]، وقيلَ: أَصلُ البَغي: الطَّلَبُ؛ لأنَّ الباغِي يَطلُبُ التّطاوُلَ الّذي لَيسَ لهُ، وسُمِّيَتِ الزّانيَةُ بَغِيًّا؛ لأنَّها تَطلُبُ،

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ٨٦.

(٣) سورة التوبة ٩: ١١١.

(٤) سورة النساء ٤: ٣٤.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٣١، ومعاني الأخبار: ٣٥، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٣٥٠، حديث رقم: ٨٢٧، و٨٢٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٤٤.

(٧) الحران: عدم الانقياد. ينظر: الصحاح: ٥: ٢٠٩٧، (حرن).

والشّماس: جماح الدّابّة وشرودها، ومنعها ظهرها. ينظر: لسان العرب: ٦: ١١٣، (شمس).

(٨) سورة النور ٢٤: ٣٣.

والباغِي: الطّالِبُ، جَمعُهُ: بُغاةٌ وبُغيانٌ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾[1]، أي: أطلُبُ، والإهانَةُ: الإذلالُ، قالَ الشّاعرُ:

لا تُهِينَ الفَقيرَ عَلَّكَ أن تَركَعَ يَومًا والدَّهرُ قَد رَفَعَهُ[2]

وقَد مَرَّ مَعنى الكُفرِ والغَضَبِ لغَةً.

الإعراب:

فاعلُ (بئسَ) في مثلِ هذا المقامِ: إمَّا ضميرٌ مَبهمٌ مُستترٌ فيه، و(ما) مُميِّزٌ لهذا الضّميرِ، وذلكَ لِما قالَ الزّجّاجُ وغيرُهُ: (إنَّ نِعْمَ وبِئْسَ لا يعملانِ في اسم عَلَم، إنَّما يَعملانِ في اسمٍ مَنكورٍ دالٍّ على جنسٍ، أو اسمٍ فيه ألفٌ ولامٌ يدُلُّ على جنسٍ؛ وإنَّما كانَت كذلكَ لأنَّ نِعْمَ مستوفية لجميعِ المدحِ، وبِئْسَ مستوفية لجميعِ الذّمِّ، فإذا قُلتَ: نِعْمَ الرّجلُ زيدٌ فَقد قُلتَ: استَحَقَّ زيدٌ المدحَ الّذي يكونُ في سائرِ جنسهِ، وكذلكَ إذا قلتَ: بِئْسَ الرّجلُ زيدٌ دَلَلتَ على أنَّهُ استوفَى الذّمَّ الّذي يكونُ في سائرِ جنسهِ، فَلَم يجزْ إذا كانَ يَستوفي مدحَ الأجناسِ أن يَعملَ مِن غيرِ لَفظِ جنسٍ، فإذا كانَ مَعَهما اسمٌ بغَيرِ ألفٍ ولامٍ فهوَ نَصبٌ أبدًا، وإذا كانَت فيهِ ألفٌ ولامٌ فَهوَ رَفعٌ أبدًا، نحو: نِعْمَ الرّجلُ زيدٌ، ونِعْمَ رجلًا زيدٌ، وإنَّما نَصَبتَ رجلًا للتّمييزِ، وفي نِعْمَ اسمٌ مُضمَرٌ على شَريطةِ التّفسيرِ؛ وكذلكَ كانَت (ما) في نِعْمَ بغَيرِ صِلة لأنَّ الصّلةَ تُوضِّحُ وتُخَصِّصُ، والقَصدُ في نِعْمَ أن يَليَها اسمٌ مَنكورٌ أو اسمُ جنسٍ، فقولُهُ تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**﴾، تقديرُهُ: بِئْسَ شيئًا اشتَرَوا)[3].

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٦٤.

(٢) البيت من المنسرح، للأضبط بن قريع. ينظر: اساس البلاغة: ٣٦٨، وخزانة الأدب: ١١: ٤٧٧، وجاء في البيان والتبيين: ٣: ٢٢٣ بلفظ: (لا تُحقّرَنَّ)، وفي الزاهر في معاني كلمات الناس: ٦١٧، والأضداد لابن الأنباري: ٢٩٧ بلفظ: (ولا تُعادِ).

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٢.

وقالَ أبو عَليٍّ: «وقولُهُ[١]: ولَذلكَ كانَت ما في نِعْمَ بغَيرِ صِلةٍ يدُلُّ على أنَّ (ما) إذا كانَت موصولةً لَمْ يجزْ عندَهُ أن تكونَ فاعلةَ نِعْمَ وبِئْسَ، وذلكَ عندَنا لا يَمتنِعُ، وجهَةُ جَوازِهِ أنَّ (ما) اسمٌ مُبهَمٌ يقَعُ على الكَثرَةِ ولا تَخصُّ واحدًا بعَينِهِ، كَما أنَّ أسماءَ الأجناسِ تكونُ للكَثرةِ، وذلكَ في نَحوِ قولِهِ تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[٢] فالقصدُ بهِ ههنا إلى الكَثرةِ وإن كانَ في اللّفظِ مُفرَدًا بدلالةِ قولِهِ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾، وتكونُ معرفةً ونكرةً كَما أنَّ اسماءَ الأجناسِ تكونُ معرفةً ونكرةً»[٣]، وقَد أَجازَ أبو العبَّاسِ المبرّدُ في (الّذي) أن يَليَ نِعْمَ وبِئْسَ إذا كانَ عامًّا غَيرَ مَخصوصٍ[٤]، وإذا أجازَ في (الّذي) كانَ في (ما) أجوَزَ، فَفي قولِهِ تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾، ونحوِهِ مِمَّا وَلِيَ نِعْمَ وبِئْسَ (ما)، ووَقَعَ بعدَ (ما) فِعلٌ كَقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[٥] عَشَرَةُ أَوجُهٍ بحَسَبِ الاحتِمالِ العَقليِّ:

أن تكونَ (ما): موصولةً، ومعرفَةً تامَّةً، ونَكرَةً موصوفَةً، ونَكرَةً تامَّةً، ومَصدريّةً، فَهذهِ خَمسَةُ أوجُهٍ، وعلى الأوجُهِ الخمسَةِ يجوزُ أن تكونَ (ما) فاعلَةً لِنعْمَ وبِئْسَ، أو تمييزًا لِضميرٍ مُستَترٍ فيهِ على قَولِ الكوفيّينَ بجوازِ كَونِ التّمييزِ مَعرفَةً أيضًا[٦]، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٧] وقولِهِ تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[٨] كَما أشارَ إلى مثلِ ابنِ مالكٍ في أُرجُوزتِهِ بقولِهِ:

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: الزّجّاج. والقائلُ أبو عليّ الفارسيّ.

(٢) سورة يونس ١٠: ١٨.

(٣) لم يقف الباحث على قول أبي عليٍّ الفارسي في كتبِهِ ولا في غيرها من كتب النحو واللغة، وقد نقل قوله صاحب تفسير مجمع البيان: ١: ٣٠٢.

(٤) ينظر: المقتضب: ٢: ١٤٣.

(٥) سورة النساء ٤: ٥٨.

(٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ١٠٩.

(٧) سورة البقرة ٢: ١٣٠.

(٨) سورة القصص ٢٨: ٥٨.

وَما مُمَيِّزٌ وقيلَ فاعِلُ   في نَحوِ نِعْمَ ما يَقولُ الفاضِلُ [1]

انتهى.

ويكونُ الفِعلُ الّذي بعدَ (ما): صِلةً على تقديرِ كَونِها موصولةً، وصِفةً على تقديرِ كَونِها موصوفَةً، وصِفَةً لِمخصوصٍ مَحذوفٍ على تَقديرِ كَونِ (ما) مَعرفَةً تامَّةً، أو نَكرَةً تامَّةً، والمصدريَّة واضِحَة، والتقديرُ: نِعْمَ الوَعظُ الّذي يَعِظُكُم بهِ، أو نِعْمَ شَيءٌ، أي: وَعْظٌ يَعْظِكُم بهِ، أو نِعْمَ الشّيءِ شَيءٌ يَعِظُكُم بهِ، أو نِعْمَ شَيءٌ يَعِظُكُم بهِ، أو نِعْمَ وَعظُ الله إيَّاكُم.

إعرابُ المخصوصِ بالمَدحِ أو الذَّمّ:

وإذا كانَ بعدَ (ما) اسمٌ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فَفيها ثَلاثَةُ أوجُهٍ:

كَونُ (ما) مَعرفَةً تامَّةً فاعلةً لِنِعْمَ، أو نكرَةً تامَّةً فاعلةً لهُ أيضًا، أو تَمييزًا تَقديرُهُ فَنِعْمَ الشَّيءُ هِيَ أو نِعْمَ شَيءٌ أو نِعْمَ شَيئًا هِيَ، وعليهِ فَقِسِ الآيَةَ المذكورَةَ.

و(أنفُسَهُم): مفعولٌ بهِ لـ(اشتَرَوا)، وقولُهُ: (أن يَكفُرُوا): (أن) مَعَ ما بَعدَهُ في مَوضِعِ رَفعٍ على أنَّهُ مَخصوصٌ بالذَّمِّ، وفي إعرابِ المَخصوصِ وَجهانِ مَشهورانِ:

أحدُهُما: أن يكونَ مبتدأً مُؤخَّرًا، وجملةُ: (بئسَما) ونحوها: خَبرًا مُقدَّمًا، أي: بِئْسَما اشتَرَوا بهِ أنفُسَهُم كُفْرُهُم بِما أنزَلَ اللهُ. [٤٢٧]

والثّاني: أن يكونَ خَبَرًا لِمبتدَأٍ مَحذوفٍ كَأَنَّهُ لَمَّا قالَ سبحانَهُ: **﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾**، سَأَلَهُ سائلٌ: ما هذا البَئِيسُ الّذي اشتَرَوا بهِ أَنفسَهُم؟ فقالَ سبحانَهُ: كُفْرُهُم بما أنزَلَ اللهُ، أي: هذا الشَّيءُ المَذمومُ كُفرُهُم بما أنزلَ اللهُ.

و(بغيًا): مفعولٌ لهُ لقولِهِ: أن يَكفُروا؛ لاستِجماعِهِ شرائطَ النّصبِ وهيَ: كَونُهُ مَصدرًا، وفِعلًا لفاعِلِ الفِعلِ المُعَلَّلِ، ومُقارِنًا لهُ في الوجودِ، ويجوزُ أن يكونَ تَعليلًا لِقولِهِ اشتَرَوا أيضًا.

---

(١) البيت من الرجز. ألفيّة ابن مالك: ٤٣.

والشاهد فيه: مجيء (ما) في موضِعِ نصبٍ تمييز لضميرِ الفاعلِ المستتِر.

قالَ حاتمُ الطّائيّ:

وأغفِرُ عَوراءَ الكَريمِ ادّخارَهُ وأُعرِضُ عَن شَتمِ اللّئيمِ تكرُّمًا[1]

وقولُهُ تعالى: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ﴾: (أن) معَ ما بعدَها في موضِعِ جَرٍّ بحرفِ جَرٍّ محذوفٍ مُتعلّقٌ بقولِهِ: (بَغيًا)، أي: بَغيًا مِن أجلِ أن يُنَزِّلَ اللهُ، أو لِأن يُنَزِّلَ اللهُ، أو على أن يُنَزِّلَ اللهُ، وإعرابُ الباقي قَد مَرَّ مثلُهُ في بعضِ الآياتِ السّابقَةِ.

المعنى:

ثمَّ إنَّهُ سبحانَهُ ذَمَّ هؤلاءِ اليَهودَ والمنافِقينَ وعابَهُم بإيثارِهِم الدُّنيا على الدِّينِ، والكُفرَ والشَّكَّ على اليَقينِ، وإغماضَ الحقِّ وإخفاءَهُ على عَوامِّ الخَلقِ بقولِهِ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾، أي: بِئْسَ شَيءٌ شَيئًا باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الّذي باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الشَّيءُ شَيئًا باعُوا بهِ أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ بَيعُهُم أَنفُسَهُم، أو بِئْسَ الّذي ابْتاعُوا بهِ أنفُسَهُم إلى آخِرِهِ، بدَليلِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[2] كَما مَرَّ قُبيلَ هذا فَيكونُ منَ الأضدادِ، ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ هوَ المخصوصُ بالذَّمِّ كَما مَرَّ في الإعرابِ، أي: بِئْسَ الّذي باعُوا أو ابتاعُوا بهِ أنفُسَهُم كُفْرُهُم إلى آخِرِ ما في الإعرابِ مِن وَجهَي إعرابِ المخصوصِ، يعني: كُفرُهُم وسَترُهُم ما عَلِمُوهُ يَقينًا، وإنكارُهُم بما أَنزَلَهُ اللهُ على موسى في التَّوراةِ مِن تَصديقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أو بما أَنزَلَهُ على مُحَمَّدٍ ﷺ في عَليٍّ عليه السلام.

كَما في أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى منخلٍ عَن جابرٍ عَن أَبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «نَزَلَ جبرئيلُ عليه السلام بهذهِ الآية على مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ في عَليٍّ بَغيًا»[3]، أو كُفرُهُم بما أَنزَلَ اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ منَ القرآنِ الّذي يُصَدِّقُ ما مَعَهُم منَ التّوراةِ ودينِ الإسلامِ، وجَعلَهُ خاتَمَ

(١) البيت من الطويل. ديوانه: ٤٥، وهو من شواهد سيبويه: ١: ٣٦٨، وخزانة الأدب: ٣: ١١٧.

ومنه في حاشية الأصل: ادّخارَهُ وتكَرّمًا كلاهُما: مفعولٌ لهُ: الأوّلُ: مضافٌ تعليلٌ للفعلِ الأوّلِ، والثّاني: نكرةٌ تعليلٌ للفِعلِ الثّاني، والمَعنى واضحٌ.

(٢) سورة البقرة ٢: ٨٦.

(٣) الكافي: ١: ٤١٧، حديث رقم: ٢٥.

الأنبياءِ وأَفضلَ النَّبيِّينَ والمُرسلينَ طُرًّا، فَباعُوا أَنفُسَهُم بالهَدايا والفضولِ الّتي تَصِلُ إليهِم مِن عَوامِّهِم وبِما أَنفَقُوهُ في عَداوَةِ رَسولِ اللهِ ودَفعِهِ لِيَبقَى لَهُم عِزٌّ في الدُّنيا ورئاسَةٌ على الجُهّالِ، ويَنالُوا منَ المُحَرَّماتِ ما شاؤوا ويُصِيبُوا فُضولَ الدُّنيا منَ السَّفَلةِ ويَصرِفُوهُم عَن سَبيلِ الرَّشادِ، ويَقِفُوهُم عَلى طَريقِ الضّلالِ والعِنادِ معَ أَنَّهُ سبحانَهُ أمرَهُم في التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، وعَهِدَ إليهِم بشِراءِ أنفُسِهِم منَ اللهِ بطاعَتِهِم لهُ ولِرسولِهِ ﷺ، وصَرْفِ أموالِهِم في طاعَتِهِ وطاعةِ رَسولِهِ ﷺ، ووَعَدَهُم وأوجَبَ عَلى نَفسِهِ أن يَجعَلَ لِأنفُسِهِم الانتِفاعَ بها دائِمًا، والعوضَ عَنها مُخَلَّدًا في نَعيمِ الآخِرَةِ، كَما أَشارَ إِليه سبحانُهُ بقولِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، فإن قيلَ: كيفَ باعَتِ اليَهودُ والمنافِقونَ أَنفُسَهُم بالكُفرِ وبما يَلحَقُ بهِ منَ العِقابِ والاذلالِ؟

والجوابُ: أنَّ البَيعَ والشّراءَ: إزالةُ مُلكِ المالِكِ إلى غَيرِهِ بعِوَضٍ يَعتاضُهُ مِنهُ، ثمّ أُستُعمِلَ في كُلِّ مُعتاضٍ مِن عَمَلِهُ عِوَضًا خَيرًا كانَ أو شَرًّا، فاليَهودُ منَ الطّائفتَينِ لَمّا أَوبَقُوا نُفُوسَهُم بكُفرِهِم بمُحمَّدٍ ﷺ ووَصِيِّهِ، وصَرْفِ أَموالِهِم وأَنفُسِهِم في قَتلِهِ ودَفعِهِ، وأهلَكُوها، خاطَبَهُم اللهُ بِما يَعرِفونَهُ فَقالَ: بِئسَ الشّيءُ الّذي رَضُوا بهِ النّارُ والعَذابُ المُهينُ عِوَضًا مِن ثَوابِ اللهِ الدّائِمِ، وما أعَدَّهُ لَهُم لَو كانُوا آمَنُوا باللهِ وبِرسُولِهِ وبِما أَنزَلَهُ عَلى رَسولِهِ والعَمَلِ بِما فيهِ.

﴿بَغْيًا﴾: عِلّةٌ لِقولِهِ: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أو ﴿اشتَرَوا﴾ أو كِلَيهِما، نحو: ضَربتُ زيدًا وأَهَنتُهُ تَأديبًا، أي: إنّما اشتَرَوا أَنفُسَهُم بالكُفرِ وصَرْفِ الأَموالِ والأنفُسِ في دَفعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وعَداوَتِهِ، وبالعَذابِ المُهينِ حَسَدًا إذ كانَ مِن وُلدِ إسماعِيلَ، وظُلمًا وعِنادًا لهُ ﷺ، وطَلَبًا لِما لَيسَ لَهُم منَ النّبوَّةِ والرّئاسَةِ، **﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾**، أي: بَغيًا وحَسَدًا وعِنادًا وتَجاوزًا عَن حَدِّهِم وطَلَبًا لِما لَيسَ لَهُم أن يُنَزِّلَ اللهُ، أي: عَلى أن يُنَزِّلَ، أو لِأن يُنَزِّلَ اللهُ، أو مِن أجلِ أن يُنَزِّلَ اللهُ مِن

(١) سورة التوبة ٩: ١١١.

فَضلِهِ، أي: منَ النّبوَّةِ والوَحي والكِتابِ والإمامةِ والرّئاسَةِ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، أي: على مَنِ اختارَهُ للرّئاسَةِ والإمامةِ كَمُحمَّدٍ ﷺ ووَصِيِّهِ، وما جاءَ بِهِ مِن دينِ الإسلامِ والمِلّةِ البَيضاءَ ومعجزاتهِ وفَضائِلِ أَهلِ بيتِهِ عليهم السلام . [٤٢٨]

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾، أي: رَجعُوا وعَليهِم غَضَبٌ منَ اللهِ عَلى أَثَرِ غَضَبٍ، فَصارُوا أَحِقّاءَ بغَضَبٍ مُتَوالٍ ونكالٍ مُتَتالٍ بِسَبَبِ تَغييرِ التّوراةِ، وإخراجِ صِفاتِ مُحَمَّدٍ وتَحريفِ آيةِ الرَّجمِ وعِبادةِ العِجلِ، فَالغَضَبُ الأوَّلُ حينَ كَذّبُوا بعِيسى عليه السلام وبما جاءَ بِهِ فَجَعَلَهُم اللهُ قِردَةً خاسِئينَ وخَنازيرَ، ولَعَنَهم عَلى لِسانِ عيسى عليه السلام.

والغَضَبُ الثّاني حينَ كَذَّبُوا بمُحمَّدٍ ﷺ فَسَلَّطَ اللهُ عَليهِم بسيفِهِ وسُيوفِ أَصحابِهِ حينَ ذَلَّلَهم بها، فَإمَّا دَخَلوا في الإسلامِ طائِعينَ، وإمَّا أعطَوُا الجِزيَةَ عَن يَدٍ وهُم صاغِرونَ إلى يومِ القِيامِ، فَرَجَعَتِ اليَهودُ مِن بَني إسرائيلَ بعدَ ما كانُوا عليهِ منَ الاستِنصارِ بمُحمَّدٍ ﷺ والاستِفتاحِ بِهِ والإخبارِ بأَنَّهُ نَبيٌّ مَبعوثٌ مَنعوتٌ في التَّوراةِ، ونُزُولُهم حَوالي المدينةِ طَلَبًا لِمبعَثِهِ الشّريفِ ومَقْدَمِهِ المُنيفِ مُرتَدِّينَ ناكِصينَ عَلى أعقابِهِم حينَ بَعَثَهُ اللهُ نَبيًّا كَما وَصَفَهُ في التّوراةِ، بغَضَبٍ منَ اللهِ استَحقُّوهُ بكُفرِهِم بهِ وبما أنزلَهُ إليهِ منَ الوَحيِ والكِتابِ والنُّبوَّةِ حَسَدًا كَما قالَ سبحانُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ﴾(1) الآية بتَمامِها في سورةِ النّساءِ، والمرادُ بالنّاسِ المحسودونَ هُم: رَسولُ اللهِ ﷺ وأَهلُ بيتِهِ الطَّيِّبونَ كَما هوَ المنصوصُ في النّصوصِ

(١) سورة النساء ٤: ٥١ ـ ٥٥

الصَّحيحَةِ[1]، وكَذا آلُ ابراهيمَ.

وفي الكافي: بإسنادِهِ عَن طلحةَ بنِ زيدٍ[2] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ مَن أَشرَكَ معَ إمامٍ إمامتَهُ مِن عِندِ الله مَن لَيسَت إمامتُهُ مِنَ الله كانَ مُشرِكًا بالله»[3]، فيدُلُّ هذا الحديثُ على كُفرِ اليَهودِ مِن بَني إسرائيلَ واليَهودِ من هذهِ الأمَّةِ، وشِركِهِم بالله، والْمُشرِكُ نَجَسٌ معَ أَنَّهُم أُصولُ أَهلِ الكُفرِ.

وعَن ابنِ أبي يَعفورٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: سمعتُهُ يقولُ: «ثَلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللهُ يومَ القيامةِ ولا يَنظُرُ اِليهِم ولا يُزَكِّيهِم ولَهُم عَذابٌ أَليمٌ: مَنِ ادَّعَى إمامَةً مِنَ الله لَيسَت لَهُ، ومَن جَحَدَ إمامًا إمامَتُهُ مِنَ الله، ومَن زَعَمَ أنَّ لَهُم في الإسلامِ نَصيبًا»[4]، وقولُهُ: ومَن زَعَمَ أنَّ لَهُم في الإسلامِ نَصيبًا، هذهِ الفقرةُ تُخَرِّبُ بُنيانَ الْمُستدلّينَ على كَونِ الطّائفتَينِ الأوْلَيَينِ مُسلِمَتَينِ طاهِرَتَي الجَسَدِ والسُّؤرِ مِنَ القَواعِدِ، وتُومِئُ إلى كَونِهِما كافِرَتينِ بالله تعالى وبرَسولِهِ، ومشرِكَتينِ بالله نَجِسَتَينِ نَجاسَةً عَينيّةً إيماءً ورَمزًا وتَعريضًا وتَلويحًا؛ لأَنَّهُ ليسَ لَهُما بعدَ الإسلامِ إلّا الشِّركُ والكُفرُ، كَما وَقَعَ التّصريحُ بهِ في الأحاديثِ الأُخَرِ معَ أَنَّهم لَيسُوا بمُستَضعَفينَ، قَد أدرَكُوا صُحبَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله والأصحابِ، ونَصَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله فيمَن نَصَّ ولَعَنَ مَن لَعَنَهُ ونَقَلُوا ذلكَ كابرًا عَن كابرٍ وأثبَتُوهُ في كُتُبِهِم الصِّحاحِ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: في الكافي: عنِ الباقر عليه السلام: «أم لهم نصيبٌ منَ الْمُلكِ يعني: الإمامةَ والخلافةَ. وقال عليه السلام: ونحنُ النّاسُ الذينَ عَنى الله»، وفي المجمعِ: عن الباقر عليه السلام: «المرادُ بالنّاسِ النّبيُّ وآلُهُ». وعنهم عليهم السلام: «نحنُ النّاسُ، وشيعتُنا أشباهُ النّاسِ، وسائرُ النّاسِ نسناسٌ»، وعنهم عليهم السلام في عِدَّةِ رواياتٍ: «نحنُ النّاسُ المحسودون على ما آتانا الله منَ الإمامةِ» وسَيَجيءُ تَفصيلُهُ في سورةِ النّاسِ إن شاءَ اللهُ تعالى. الكافي:١: ٢٠٥، حديث رقم:١، ومجمع البيان: ٣: ١٠٩، والتفسير الصافي: ١: ٤٥٩، و دعائم الإسلام: ١: ٢١، والوافي: ٣: ٥١٨، حديث رقم: ١٠٣٠.

(٢) هو: أبو الخزرج النّهديّ الشاميّ: ويُقال الخزريّ، عاميّ المذهب، رَوَى عن الإمام الصادق عليه السلام، له كتاب مُعتمَد يرويه جماعة. ينظر: رجال النجاشي: ٢٠٧، ترجمة رقم: ٥٥٠، وفهرست الشيخ الطوسي: ١٤٩، ترجمة رقم: ٣٧٢، وخلاصة الأقوال: ٣٦١، ترجمة رقم: ١.

(٣) الكافي: ١: ٣٧٣، حديث رقم: ٦.

(٤) الكافي: ١: ٣٧٤، حديث رقم: ١٢.

قولُهُ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، أي: ولَهُم عَذابٌ مُهينٌ، إنَّما وَضَعَ الظّاهرَ مَوضِعَ المُضمَرِ للدلالةِ على أنَّ سَبَبَ العَذابِ المُهينِ هوَ الكُفرُ كَما مَرَّ نظيرُهُ في الآيةِ السّابقةِ، وأنَّ هؤلاءِ الطّائفتَينِ كافِرتانِ معناهُ: وللجاحِدينَ نُبوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَذابٌ مُهينٌ في الدَّارَينِ، يُذِلُّهُم في الدّارَينِ ويُلبِسُهُم الهَوانَ والخِزيَ فَلا يَنتقِلُونَ منهُ إلى إعزازٍ وإكرامٍ أبدًا، بخِلافِ عَذابِ العاصِي فإنَّهُ مَطهَرةٌ لِذُنوبِهِ إذا كانَ تَمحيصًا وتكفيرًا ينتقِلُ بعدَهُ إلى إعزازٍ وكَرامةٍ، كَعذابِ مَن يَنتقِلُ مِن عَذابِ النّارِ إلى الجَنَّةِ فَلا يكونُ عَذابُهُ مُهينًا.

في دلالةِ الآيةِ:

فَتدُلُّ هذهِ الآيةُ كَالّتي قَبلَها على أنَّهُ إذا سُئِلَ العالِمُ عَن عِلمِهِ فَكَتَمَهُ وسَتَرَهُ حيثُ يَجبُ إظهارُهُ حَسَدًا وعِنادًا أو غَيرِ ذلكَ مِنَ الأغراضِ فَهوَ كافرٌ مَلعونٌ مُعذَّبٌ بعَذابٍ مُهينٍ إلى آخِرِ ما في الآيةِ السّابقةِ من قَولِهِ مُلجمًا بلِجامٍ مِن نارٍ. [٤٢٩]

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾ آيةٌ:

اللغة:

الوَراءُ: معناهُ: بَعْدُ وسِوى، وفي الحَديثِ: «ليسَ وراءَ الله مَرمًى»[١]، أي: ليسَ بعدَ الله لِطالبٍ مَطلَبٌ، فَإليهِ انتهتِ العُقولُ ووَقَفَت، فَليسَ وَراءَ مَعرفتِهِ سبحانَهِ والإيمانِ بِهِ غايةٌ يُقصَدُ إليهِ، والمَرمَى: الغَرَضُ الّذي يَنتهي إليهِ سَهمُ الرَّامِي فَيَكونُ هُنا استِعارةً، قالَ النّابغَةُ[٢]:

---

(١) الموطأ: ٢: ٩٠١، حديث رقم: ٩، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٦٩.

(٢) هو: زيادُ بنُ معاوية بن ضباب الذبياني، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، عاش عمرا طويلا، من أصحابِ المعلَّقاتِ، وكان يفد على النّعمانِ، وكان خاصًّا بِهِ، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، له ديوان صغير، توفي سنة (نحو ١٨ ق. هـ).ينظر: الكنى والألقاب: ٣: ٢٢٨، والأعلام: ٣: ٥٥.

حَلَفتُ ولَم أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وَليسَ وَراءَ اللهِ[1] لِلمَرءِ مَذهَبُ[2]

ورُوِيَ مَطلَبُ، أي: سِوى الله، فقَولُهُ تعالى: ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾، أي: بِما بَعدَهُ وما سِواهُ، وقالَ الشّاعرُ:

تَمَنَّى الأَماني ليسَ شيءٌ وراءَها كَموعِدِ عُرقُوبٍ أخاهُ بيَثرِبِ[3]

وقالَ الفَرّاءُ: (مَعنى وَراءَهُ: سِواهُ، كَما يقالُ للرّجُلِ يَتكَلَّمُ بالكَلامِ الحَسَنِ: ما وراءَ هذا الكَلام شَيءٌ، يُريدُ ليسَ عندَ المُتكَلّمِ بهِ شيءٌ سِوى ذلكَ الكَلام)[4].

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وليس وراءَ الله، البيت مِن قصيدةٍ يَعتذرُ فيها النّابغةُ إلى نعمان بنِ مُنذرٍ وقَد مَدَحَ آل جَفنَةَ بالشّام، فَينكرُ النُّعمانُ من ذلكَ، أوّلُهُ:

حَلَفتُ ولَم أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وَليسَ وراءَ الله للمَرءِ مَطلَبُ
لَئن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عَنّي خِيانَةً لَمبَلِّغُكَ الواشِي أغَشُّ وَأكذَبُ
ولكنَّني كُنتُ امرءًا لِيَ جانِبُ مِنَ الأرضِ فيهِ مُستَرَأدٌ ومَذهَبُ
مُلُوكٌ وإخوانٌ إذا ما مَدَحتُهُم أُحَكَّمُ في أمْوالِهم وأُقَرَّبُ
كَفِعلِكَ في قَومٍ أراكَ اصطَنَعتَهُم فَلَم تَرَهُم في مَدحِهِم لَكَ أذنَبُوا

قولُهُ: رِيبَةً، أي: شَكًّا، قولُهُ: وليسَ وراءَ الله مَطلَبُ، فكيفَ يَحلفُ بهِ كاذِبًا؛ قولُهُ: لئن: اللّامُ مُوطئةٌ للقَسَم، لَمبَلِّغُكَ بفتحِ اللّامِ الأُولى جوابُ القَسَمِ، قولُهُ: أغَشُّ: مِن غَشَّ إذا خانَ، قولُهُ: فيهِ، أي: في ذلكَ الجانِبِ وأرادَ بهِ الشّام، قولُهُ: مُستَرَأدٌ، أي: مَوضِعُ طَلَبِ الرّزقِ، مِن رَأَدَ الكَلأَ، قولُهُ: مذهبُ، أي: مَوضِعُ ذهابٍ للحاجاتِ، قولُهُ: مُلوكٌ، أي: في ذلكَ الجانبِ مُلوكٌ، قولُهُ: أُحَكَّمُ في أموالِهم، أي:أتَصرَّفُ فيها كيفَ شِئتُ، قولُهُ: وأُقَرَّبُ، أي: أكونُ عندَهُم مُقرَّبًا وصِرتُ رفيعَ المنزِلَةِ، قولُهُ: كَفِعلِكَ، أي: كَما تَفعَلُ أنتَ، قولُهُ: اصطَنَعتَهُم، أي: أحسَنتَ إليهِم، قولُهُ: فَلَم تَرَهُم في مَدحِهِم لكَ أذنَبوا، أي: لا تُعاتِبني على مَدحِ آل جِفنَةَ المُحسِنينَ إليَّ، المُنعِمينَ عَليَّ، كَما لا تُعاتِبُ قَومًا أحسَنتَ إليهِم فَمَدَحوكَ، وهذهِ الطّريقَةُ يُسَمّيها عُلماءُ البَديعِ: المَذهَبُ والكلامُ، ويُسَمِّيها الفُقَهاءُ: قِياسًا، وهوَ: صُورَةُ القِياسُ الاستِثنائي، أي: لَو كانَ مَدحي لآلِ جَفنةَ ذَنبًا لَكانَ مَدحُ ذلكَ القَوم لكَ أيضًا ذَنبًا، واللّازمُ باطلٌ فكَذا الملزومُ.

(٢) البيت من الطويل. ديوانه: ١٩.

(٣) البيت من الطويل، وهو مجهول القائل، ولم يقف الباحث عليه في كتب اللغة والنحو وقد ورد في تفسير التبيان: ١: ٣٥٠، ومجمع البيان: ١: ٣٠٤، كما أنّ عجزه مثل مشهور. ينظر: مجمع الأمثال: ٢: ٢٦٨.

(٤) معاني القرآن للفرّاء: ١: ٦٠.

وقالَ تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾[1] أي: ما سِوى تلكَ الأصنافِ السّت عَشرَةَ منَ النِّساءِ.

والوَراءُ: الخَلْفُ، والقُدّامُ ضِدٌّ، في حَديثِ الشّفاعَةِ يقولُ إبراهيمُ عليه السلام: «كنتُ خَليلًا مِن وَراءَ وَراءَ»[2] هكَذا يُروى مَبنِيًّا على الفَتحِ، أي مِن خَلفِ حِجابٍ، وفي حَديثِ مَعقلَ: (أنَّهُ حَدَّثَ ابنَ زيادٍ بحديثٍ، فقالَ: أَشَيءٌ سَمِعتَهُ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أو مِن وراءَ وَراءَ)[3]، أي: مِمَّن جاءَ خَلفَهُ وبعدَهُ، والوَراءُ أيضًا: وَلَدُ الوَلَدِ، والوَراءُ: ما تَوارى، ومنهُ التَّوراةُ، وفي الحَديثِ: (أنَّهُ صلى الله عليه وآله إذا أرادَ سَفَرًا وَرَّى بغَيرِهِ)[4]، أي: سَتَرَهُ وكَنَّى عَنهُ وأوهَمَ أنَّهُ يُريدُ غَيرَهُ، وأَصلُهُ منَ الوَراءِ، أي: ألقى البَيانَ وَراءَ ظَهرِهِ، والوَراءُ في الأَصلِ: مَصدَرٌ، ثمَّ جُعِلَ ظَرفًا، فَقَد يُضافُ إلى الفاعلِ[5] فيُرادُ بهِ ما يُتَوارَى بهِ وهوَ خَلفُهُ، وقَد يُضافُ إلى المفعولِ فَيُرادُ بهِ ما يُوارِيهِ وهوَ قُدَّامُهُ، ومِن ثمَّ عُدَّ منَ الأَضدادِ[6].

الإعراب:

جملةُ: (آمِنوا بِما أَنزَلَ اللهُ): في مَوضِعِ رَفعٍ مَقولُ قِيلَ، وجملةُ: (نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ عَلينا): مَقولُ قالُوا، وجملةُ: (ويَكفُرونَ بِما وَراءَهُ): حالٌ مِن فاعلِ قالُوا على حَذفِ المُبتَدأ، أي: وهُم يكفُرونَ؛ لأنَّ المضارعَ المُثبَتَ إذا وَقَعَ حالًا لا يَتَصَدَّرُ بالواوِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[7]، وإذا تَصَدَّرَ بالواوِ وَجَبَ حَذفُ المبتدأِ؛ لِيكونَ جملةً اسميَّةً كَقولِهِ:

---

(١) سورة النساء ٤: ٢٤.

(٢) صحيح مسلم: ١: ١٢٩، والمستدرك على الصحيحين: ٤: ٥٨٨، وملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ٥: ٣٦٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٧٨، وبحار الأنوار: ٤٧: ٢٦٥، حديث رقم: ٣٤.

(٤) شعب الإيمان: ٤: ٢٠٣، حديث رقم: ٤٧٩٢، والفائق في غريب الحديث: ٣: ٣٥٥، وبحار الأنوار: ١٣: ١٣٥.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: وسَيَجيءُ بيانُ ذلكَ في المعنى إن شاءَ الله تعالى.

(٦) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٦٨.

(٧) سورة المدثر ٧٤: ٦.

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظافِيرَهُم نَجوتُ وأَرهَنُهُم مالِكًا [1]

وأنا أَرهَنُهُم، و وَراءَهُ: ظرفٌ لِفِعلٍ مُقدَّرٍ صِلةُ (ما) وهوَ مُبتدأٌ راجعٌ إلى ما وَراءَهُ، و(الحَقُّ): خَبرُهُ، والجملةُ: حالٌ مِن (ما) في (ما وَراءَهُ)، و(مُصَدِّقًا): حالٌ مُؤكِّدةٌ لِمضمونِ الجملةِ الاسميّةِ ولازمةٌ لصاحبِها، نحو: زيدٌ أبوكَ عَطوفًا، وهوَ الحَقُّ بَيِّنًا، و﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾[2]، قالَ سالمُ بنُ دارَةَ:

أنا ابنُ دارَةَ مَعروفًا بِها نَسَبِي وَهَل بِدارَةَ يا لِلنّاسِ مِن عارِ [3]

وقَولُ الحاتَمُ:

أنا حاتمٌ جَوادًا وهوَ الحَجَّاجُ سَفّاكَ الدِّماءِ [4]

وقالَ الزّجّاجُ: ((زَعَمَ سيبويهُ والخَليلُ وجميعُ النَّحويّينَ الموثوقِ بعِلمِهم[5]: أنَّ قولَكَ: هوَ زيدٌ حقًّا خَطَأٌ؛ لأنَّ قولَكَ: هوَ زَيدٌ كنايَةٌ عن اسمٍ مُتَقَدِّمٍ فليسَ في الحالِ فائدةٌ؛ لأنَّ الحالَ تُوجِبُ ههنا أنَّهُ إذا كانَ قائِمًا فهوَ زيدٌ، وإذا تَركَ القِيامَ فَليس بزَيدٍ فَهذا خَطَأٌ، فَأمَّا قولكَ: هوَ زيدٌ مَعروفًا، وهوَ

---

(١) البيت من المتقارب، وهو: لعبد الله بن همام السلولي. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٩، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ١٥٣، ونسبه صاحب المحكم والمحيط الأعظم: ٤: ٣٠٠، إلى همام بن مرّة.

(٢) سورة الاعراف ٧: ٧٣.

(٣) البيت من البسيط، من قصيدة يهجو بها بني فِزارة، و (دارة) : اسم أمّه؛ سُمّيت بذلك لجمالها تشبيهًا لها بدارة القمر. ينظر: الكتاب: ٢: ٧٩، والخصائص: ٢: ٢٧٠.

والشاهد فيه: مجيء الحال (معروفًا) مؤكّدة لخبر الجملة.

وقائله: سالمُ بنُ مسافعِ بنُ عقبة الجشمي الغطفاني: شاعرٌ مُخضرَمٌ، أدرك الجاهليّةَ والإسلامَ، كان هجّاءً، هَجا ثابتَ بن رافع الفزاريّ فقتلَهُ نحو سنة (٦٠ هـ). ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٣٨٩، ومعجم المؤلفين: ٤: ٢٠٤.

(٤) لم يقف الباحث على البيت في كتبِ اللّغةِ والنّحو، ولا في غيرِها منَ الكتبِ، وإنّما ورد شطرا البيت كُلٌّ على حدة في الكتب النحويّة كشواهد نحويّة لمجيء الحال مؤكّدة لخبر الجملة. ينظر: الأمالي لابن الحاجب: ١: ٣٣٢، وشرح الرضي على الكافية: ٢: ٥٠.

(٥) ينظر: الكتاب: ٢: ٧٩، ٨٠، والانتصار لسيبويه على المبرّد: ١٣٥، والأمالي لابن الشجري: ٣: ٢٢.

الحقُّ مُصدّقًا ففي الحالِ هنا فائدةٌ كأنَّكَ قُلتَ: أثبتهُ لهُ مَعروفًا، وكأنَّهُ بمنزلَةِ هوَ زيدٌ حَقًّا، فمَعروفًا حالٌ؛ لأنَّهُ إنَّما يكونُ زيدًا؛ لأنَّهُ يُعرَفُ بزيدٍ، وكَذلكَ القرآنُ هوَ الحقُّ إذا كانَ مُصدّقًا لِكُتُبِ الرُّسُلِ عليهم السلام)[1]، انتهى.

وما قالَهُ فَهوَ حَقٌّ لا خِلافَ فيهِ، فـ(حَقًّا) في نحوِ: هوَ زيدٌ حَقًّا مَفعولٌ مُطلقٌ، وليسَ بحالٍ لِعَدَمِ جَوازِ الحاليةِ كَما عَرَفتَ.

و(الفاءُ) في قولِهِ: (فَلِمَ تَقتلونَ): فَصيحةٌ، يَجيءُ بَيانُهُ في المعنى، والجملةُ: مقولُ قُل، وهوَ وإن كانَ بلَفظِ المضارِعِ فالمرادُ بهِ: الماضي بدليلِ قولِهِ مِن قَبلُ أيضًا[2]، وإنَّما ذَكَرَ كَذلكَ حِكايَةً للحالِ الماضيَةِ واستِحضارًا بِفعلِهِم القَبيحِ وأَمرِهِم الشّنيعِ في النُّفُوسِ، ودَلالةً على أنَّهُم بَعدُ في ذلكَ الأمرِ الفَظيعِ فإنَّهُم حوْلَ[3] قَتلَ مُحمَّدٍ ﷺ ووَصِيِّهِ لَولا عَصَمَهُما اللهُ؛ ولذلكَ سَمُّوا لَهُ الشّاةَ وَهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا كَما مَرَّ، وذلكَ أنَّ لَفظَ المستَقبَلِ يُطلَقُ على الماضي إذا كانَ ذلكَ منَ الصّفاتِ اللازمَةِ كَما يقالُ: أنتَ تَسرِقُ وتَقتُلُ إذا صارَ ذلكَ عادَةً، ولا يُرادُ بذلكَ ذَمُّكَ وتَوبيخُكَ على ذلكَ الفِعلِ بالمستَقبلِ، وإنَّما يُرادُ التَّوبيخُ والذَّمُّ على ما مَضى وما صارَ عادَةً لهُ دائِمًا كَقولِهِ تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾[4] أي: دائِمًا.

وجملةُ: (إن كُنتُم مُؤمِنينَ): شَرطٌ حُذِفَ جَوابُهُ بدَلالةِ ما تَقَدَّمَ، والتّقديرُ: إن كُنتُم مُؤمنينَ فَلِمَ تَقتُلونَ أنبياءَ اللهِ؟ وقالَ الزّجَّاجُ: (إنْ) هنا بمَعنى: ما النّافية، أي: ما كُنتُم مُؤمنينَ[5] وهوَ بعيدٌ.

[٤٣٠]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٤.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: بدلالةِ المعنى وبدليل قولِهِ: مِن قبلُ أيضًا.

(٣) الصحيح: حاولوا.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٤٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٦.

المعنى:

﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**﴾، أي: لليَهودِ مِن بَني إسرائيلَ الّذين تَقَدَّمَ ذكرُهُم: ﴿**آمِنُوا**﴾، أي: صَدّقُوا وسَلِّمُوا واعمَلُوا ﴿**بِمَا أَنْزَلَ اللهُ**﴾ منَ الكُتُبِ السّماويّةِ المُنزَلَةِ من عندِ الله عَلى الأنبياءِ منَ التّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ وغيرِها ممَّا تَقَدَّمَها، وبالشّرائعِ الّتي جاؤوا بها، ﴿**قَالُوا**﴾، أي: اليَهودُ: ﴿**نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**﴾، أي: بالتّوراةِ فقط، فَقَد تَمَّ كلامُ اليَهودِ عندَ قَولِهِ: بما أُنزِلَ علينا، ثمَّ ابتَدَأَ سبحانَهُ بالإخبارِ عنهُم بقولِهِ: ﴿**وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ**﴾، أي: والحالُ أنَّهُم يكفرونَ بِما بَعدَهُ وبِما عداهُ وبِما سِواهُ، وبِما يُوارِيَ التّوراةَ ويَجعَلُها خلفَهُ منَ الكُتُبِ المُنزَلَةِ مثلَ الإنجيلِ والقرآنِ، أو بِما تُوارِيهِ التَّوراةُ منَ الصُّحُفِ المُتَقَدِّمةِ على التَّوراةِ كَصُحُفِ إبراهيمَ ونُوحٍ وإدريسَ وشِيثٍ على ما أَشَرنا إليهِ في مَعنى الوَراءِ لُغَةً منَ الأضدادِ، ﴿**وَهُوَ الْحَقُّ**﴾، أي: ما وَراءَهُ، يَعني: ما وَراءَ ما أُنزِلَ عَليهِم هوَ الحَقُّ الثَّابتُ حالَ كونِهِ ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ**﴾، أي: للتّوراةِ، فَيَكونُ تَأكيدًا وأَشَدَّ رَدًّا لِمَقالَتِهِم: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ عَلينا، وتَلوِيحًا بكُفرِهِم بالتَّوراةِ أيضًا فَإنَّهم لَمَّا كَفَروا بِما يُوافِقُ التّوراةَ ويُصَدِّقُها فَقَد كَفَروا بالتَّوراةِ البَتَّةَ، وأيضًا تَصديقَ مُحَمَّدٍ ﷺ وصِفاتِهِ وما أُنزِلَ عَليهِ منَ القرآنِ مَكتوبٌ عندَهُم في التَّوراةِ، وهوَ مِن أَجزاءِ التَّوراةِ، فَتكذِيبُهُ والكُفرُ بِهِ وبِما أُنزِلَ اليهِ كُفرٌ بالتَّوراةِ حَقيقةً.

وقالَ الزَّجّاجُ: (وفي هذا دَلالةٌ على أنَّهُم قَد كَفَروا بِما مَعَهُم إذ كَفَروا بِما يُصَدِّقُ ما مَعَهُم)[1] ثمَّ رَدَّ سبحانُهُ عليهِم قولَهم: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ عَلينا ثانِيًا تَعريضًا لِكُفرِهِم وهوَ أَبلَغُ منَ التَّصريحِ بقولِهِ: ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ**﴾، أي: قُل لَهُم يا مُحَمَّدُ: إن كانَ قولُكُم نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ علينا حَقًّا لا شُبهَةَ فيهِ وكُنتُم صادقينَ في ذلكَ الادِّعاءِ فَلِمَ قَتَلتُم أنبياءَ الله مِن قَبلِ بِعثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ونُزولِ القرآنِ كَما قَتَلتُم زَكريَّا ويَحيَى وغيرَهُما؟ والحالُ أنَّ ما أُنزِلَ عليكُم منَ التّوراةِ لا تُسَوِّغُهُ بَل صَرَّحَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى فيها بتَحريمِ قَتلِهِم، وأَمَرَكُم باتِّباعِهِم، وفَرَضَ عليكُم طاعَتَهُم، وتَصديقَهُم، وتَسليمَ ما يَحكُمُونَ عليكُم، وتَصديقَ ما وَصَّوكُم بِهِ منَ الإيمانِ بمُحمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبينَ واتِّباعِهِ، وإنَّما

(1) معاني القرآن وإعرابه: 1: 174.

أضافَ إليهِم فِعلَ آبائِهِم وأسلافِهِم؛ لِوَجهينِ:

أحدُهُما: أنَّ الخِطابَ لِمَن شَهِدَ مِن أهلِ مِلَّةٍ واحدَةٍ ومَن غابَ منهُم واحِدٌ، لأنَّهُ إذا قَتَلَ أسلافُهُم وهُم مُقيمونَ على مَذهَبِهِم وطَريقَتِهِم فَقَد شَرِكُوهُم في ذلكَ.

والثّاني: أنّهُم راضُونَ بأفعالِهِم، والرّاضي بِفعلِ قَومٍ كَالدّاخِلِ فيهِ معَهُم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِما أُنزِلَ عليكُم منَ التّوراةِ الّتي فيها تَحريمُ قَتلِ الأنبياءِ إلى آخِرِ ما مَرَّ، ومثل ذلكَ يُسمَّى في عِلمِ البَيانِ: تَعريضًا وكِنايَةً[1]، وهو أبلغُ منَ التَّصريحِ، وأَفضَحُ اظهارِ الشّناعَةِ، يعني: إذا لَم تَعمَلوا بما أُمِرتُم بهِ في التَّوراةِ لَم تكونُوا مؤمنينَ بها أَصلًا، بَل كُنتم مُنافِقينَ كاذِبينَ في ادِّعاءِ الإيمانِ بأفواهِكُم ما ليسَ في قُلوبِكُم، واللهُ يشهَدُ أنَّ المنافقينَ لَكاذبونَ، ونَظيرُ ذلكَ منَ التَّعريضِ ما قالَهُ عليه السلام في عُرضِ مَن يُؤذِي المسلِمينَ: «المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ»[2]، وقالَ عليه السلام أيضًا: «مَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلا يُؤذِينَّ جارَهُ»[3] والمعنى: أنَّ مَن آذى المسلمينَ بيدِهِ أو بِلِسانهِ فَليسَ بِمؤمنٍ ولا مُسلِمٍ؛ لأنَّهُ كِنايةٌ عَن نَفيِ صِفةِ الإسلامِ والإيمانِ عَنِ المُؤذِي.

دلالةُ هذهِ الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ واضحَةٌ على أنَّ الإيمانَ ببعضِ كُتُبِ اللهِ المنزَلَةِ ورُسُلِهِ لا يكونُ إيمانًا إلّا إذا حَصَلَ الإيمانُ بما سِواهُ منَ الكُتُبِ والرُّسُلِ، بَل المؤمنُ: مَن آمَنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورسُلِهِ، وعَمِلُوا بما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ سَمعًا وطاعَةً، ولَم يَعمَلُوا بخِلافِ ما جاؤُوا بهِ، كَما قالَ اللهُ تعالى:

(١) التعريض: هوَ المعنى المدلولِ عليهِ بالقَرينةِ دونَ اللّفظِ، وقيل: ما يُفهِمُ بِهِ السّامعُ مُراده من غير تصريح. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١: ١٩٤، والتعريفات: ٦٢.

والكناية: لفظٌ أُريدَ بِهِ غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جوازِ إرادةِ المعنى. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١: ٩٤، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٨٧.

(٢) الكافي: ٢: ٢٣٤، حديث رقم: ١٢، وأمالي الشيخ الطوسي: ٢٧١، حديث رقم: ٥٠٥، ووسائل الشيعة: ١٢: ١٢٨، حديث رقم: ١٥٨٤٢.

(٣) مسند أحمد: ٢: ٤٣٣، والمصنّف: ١١: ٧، حديث رقم: ١٩٧٤٦، ومستدرك الوسائل: ٨: ٤٢١، حديث رقم: ٩٨٦٥.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(١) الآية، لا كما قالَ أَهلُ الكِتابِ: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾(٢)، وقولهُم: ﴿آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٣)؛ لأنَّ ذلكَ هو الكُفرُ بالجميعِ حقيقةً، نَعوذُ باللهِ مِنَ الغوايةِ وحَيرةِ الضّلالةِ والشَّكِّ والعَمى في دينِ اللهِ، ومِن حُبِّ الرّئاسةِ الباعثةِ لجميعِ ذلكَ.

وقولُهُ تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)﴾** آيةٌ: قَد مَرَّت لُغاتُهُ وإعرابُهُ وقراءتُهُ، و(ثمَّ): هنا أيضًا لمجرَّدِ استبعادِ المرتَبةِ، والمفعولُ الثّاني مِن (اتَّخذتُم): محذوفٌ أيضًا، أي: اتَّخذتُم العِجلَ إلهًا مَعبودًا، و(مِن بَعدِهِ): مُتعلِّقٌ بـ(اتَّخذتُم)، وجملةُ: (وأَنتُم ظالمونَ): حاليَّةٌ، فَيكونُ لَها محلٌّ منَ الإعرابِ، أو مُعترضَةٌ: فَلا محَلَ لها. [٤٣١]

المعنى:

ثمَّ ذَكرَ سبحانُهُ ما يدُلُّ على قِلّةِ بَصيرتِهم في الدّينِ، وضَعفِهم في اليَقينِ على سَبيلِ التّوكيدِ القَسَميّ، بقولِهِ: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ﴾**، أي: واللهِ لَقَد جاءَكُم أيُّها اليَهودُ **﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾**، والآياتِ التّسعِ الدّالةِ على صِدقِهِ، والمُعجِزاتِ المؤيِّدةِ لنُبوَّتِهِ، كَقَلبِ العَصا حيَّةً، واليَدِ البَيضاءِ، وانفجارِ الماءِ منَ الحَجَرِ اثنتَا عَشرَةَ عَينًا، وفَلقِ البَحرِ، والطّوفانِ، والجَرادِ، والقُمَّلِ، والضّفادعِ، آياتٍ مُفصَّلاتٍ وغيرِ ذلكَ، وسَمّاها بيِّناتٍ لِظُهورِها وتِبيانِها للنّاظِرينَ إليها أنَّها مُعجزَةٌ يَتعذَّرُ الإتيانُ بها على كُلِّ بَشَرٍ.

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، ثُمَّ إنَّكُم معَ مَجيءِ موسى عليه السلام بالبَيِّناتِ الواضِحاتِ الدّالّةِ على صِدقِ نبوّتِهِ وتَوحيدِ مُرسِلِهِ واستِحقاقِهِ العِبادةَ دونَ غَيرِهِ اتَّخذتُم العِجلَ المَعهودَ الّذي مَرَّ بيانُهُ إلهًا مَعبودًا فَعَبدتُموهُ مِن دونِ اللهِ وجَعلتُموهُ نِدًّا لهُ سبحانَهُ وشَريكًا لهُ في استِحقاقِ العِبادةِ **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾**، أي:

(١) سورة البقرة ٢: ٢٨٥.

(٢) سورة النساء ٤: ١٥٠.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٧٢.

مِن بَعدِ مَجيءِ موسى نَبيًّا مُرسَلًا مِن عندِ الله، أو مِن بعدَ ذهابِهِ إلى جَبلِ طورِ سَيناءَ وجَعلِهِ أخاهُ خليفةً فيكُم، أو مِن بَعدِ مُضيِّهِ إلى مِيقاتِ رَبِّهِ، أو مِن بَعدِ مَجيئِهِ عليه السلام بالبَيِّناتِ الواضِحاتِ، فـ(الهاءُ) في (مِن بَعدِهِ) على جَميعِ التّقاديرِ: راجِعٌ إلى موسى فَقَط، على تَقديرِ مُضافٍ مَحذوفٍ كَما ترى فَخالَفتُم أيُّها اليَهودُ كِتابَ موسى وظَلمتُم وَصيَّهُ وخَليفتَهُ الّذي نَصَّ عليهِ فكِدتُم تَقتُلونَهُ مع أنّهُما أي: التّوراةُ وهارونُ سَبَبٌ ووَسيلَةٌ لِنَجاتِكُم منَ الغَرَقِ في بحارِ نارِ جهَنَّم، كَما أنَّ نَبيَّنا مُحمَّدًا صلى الله عليه وآله فَعَلَ مثلَ ذلكَ ونَصَّ عليهِ فقالَ: «إنّي تارِكٌ أو مُخَلِّفٌ فيكُم الثّقلينِ ما ان تَمسَّكتُم بِهِما لَن تَضِلُّوا أبدًا»[١] الحديث، فَخالَفَ أُمَّتُهُ ومُنافِقوها أَمرَهُ وفَعَلوا على كتابِهِ وخَليفتِهِ ما فَعَلوهُ، ولَم يَحذَروا مُخالفَةَ أَمرِهِ، ولَم يَسمَعوا كَلامَ الله تعالى في ذلكَ ولَم يُطيعوهُ كَما قالَ عَزَّ من قائلٍ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] فوقَعَ سائرُ النّاسِ بشؤمِهِم في فِتنَةٍ عَمياءَ وحَنادِسِ[٣] الأباطيلِ، فَصارَت أَولادُ الزُّناةِ والفَسَقَةُ الغُواةُ أُمراءَ، (أينَ بَقيّةُ الله الّتي لا تَخلُو منَ العِترةِ الطّاهرةِ، أَينَ المُعَدُّ لِقَطعِ دابرِ الظّلمَةِ، أينَ المُنتَظَرُ لإقامَةِ الأمتِ[٤] والعِوَجِ، أينَ المُرتَجى لإزالَةِ الجَورِ والعُدوانِ، أينَ المُدَّخَرُ لِتَجديدِ الفَرائضِ والسُنَنِ، أينَ المُتخيَّرُ لإعادةِ المِلّةِ والشّريعةِ، أينَ المُؤمَّلُ لإحياءِ الكِتابِ وحُدودِهِ، أينَ مُحيي مَعالِمِ الدِّينِ وأهلِهِ، أينَ قاصِمُ شَوكَةِ المُعتدينَ، أينَ هادِمُ أبنيَةِ الشّركِ والنّفاقِ، [أينَ مُبيدُ أهلِ الفُسُوقِ والعِصيانِ والطّغيانِ]، أينَ حاصِدُ فُرُوعِ الغَيِّ والشّقاقِ، [أينَ طامِسُ آثارِ الزّيغِ والأهواءِ، أينَ قاطِعُ حَبائلِ الكَذِبِ والافتِراءِ] ، أينَ مُبيدُ العُتاةِ والمَرَدَةِ، أينَ مُستَأصِلُ أهلِ العِنادِ والتّضليلِ والالحادِ، أينَ مُعِزُّ الأولياءِ ومُذِلُّ الأعداءِ، أينَ جامِعُ

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٩٨، والإرشاد: ١: ١٧٦، ومشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ١١.

(٢) سورة النور ٢٤: ٦٣.

(٣) جمع حندس، وهو: الليل المظلم. القاموس المحيط: ٢: ٢٠٩، (حندس). أي: ظلام الأباطيل.

(٤) الأَمْت: الانخفاضُ، والارْتفاعُ، وكذا هو الثني الحاصل في السّقاء عند عدم ملئه بالماء. العين: ٨: ١٤١، (أمت)، وتاج العروس: ٣: ٦، (أمت).

الكَلِمِ على التَّقوَى، أينَ بابُ الله الّذي منهُ يُؤتَى، [أينَ وجهُ الله الّذي يَتوجَّهُ إليهِ الأولياءُ، أينَ السَّبَبُ المُتَّصِلُ بينَ الأرضِ والسّماءِ، أينَ صاحِبُ يومَ الفَتحِ وناشِرُ رايةِ الهُدى، أينَ مُؤلِّفُ شَملِ الصَّلاحِ والرِّضا]، أينَ الطّالبُ بذُحولِ[1] الأنبياءِ وأبناءِ الأنبياءِ، أينَ الطّالِبُ بدمِ المقتولِ بكربلاءَ»[2] ، فَعَجِّلِ اللّهُمَّ فَرَجَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وعَجِّل فَرَجَنا بِهِم، واجعَلنا مِن أنصارِهِم وأعوانِهِم، والذّابّينَ عَنهُم، واحشُرنا مَعَهُم وفي زُمرَتِهِم، آمينَ رَبَّ العالمينَ.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾، أي: والحالُ أنتُم ظالمونَ على أنفُسِكُم، وعلى كِتابِ موسى ووَصيِّهِ وخَليفتِهِ باتِّخاذِكُم العِجلَ إلهًا مَعبودًا وعبادتِكُم إيّاهُ من دونِ الله معَ أنَّهُ لا تَجوزُ العبادةُ لِغيرِ الله، فَأنتُم واضِعونَ العبادَةَ في غَيرِ مَوضِعِها، وبالإخلالِ بأوامِرِ الله تعالى ونواهِيهِ، هذا على تَقديرِ أن تكونَ جملةُ (وأنتُم ظالمونَ): حاليَّةً، وأمَّا إذا كانَت: مُعتَرِضةً فالمعنى: وأنتُم قَومٌ عادتُكُم الظُّلمُ وسَجيَّتُكُم الشّقاقُ والنّفاقُ.

وقولُهُ تعالى: **﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)﴾** آيةٌ:

اللغة:

اسمَعُوا: أي: اقبَلُوا وأجيبُوا، ومنهُ قولُهُ عليه السلام: «سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ»[3] أي: قَبِلَ حَمْدَ مَن حَمِدَهُ وأجابَ حَمدَهُ وتَقبَّلَهُ، يقالُ: اسمَعْ دُعائي، أي: أَجِبْ؛ لأنَّ غَرَضَ السّائلِ الاجابَةُ والقَبولُ، ومنهُ:

(١) الذُّحلُ بالذّالِ المُعجمةِ والحاءِ المُهملةِ: طلبُ الثّأرِ، يقالُ: طَلَبَ بذِحلِهِ أي: بثأرِهِ والجمعُ ذُحول. الصحاح: ٤: ١٧٠١.

(٢) المزار: ٥٧٨، وإقبال الأعمال: ١: ٥٠٨، وبحار الأنوار: ٩٩: ١٠٧، ومفاتيح الجنان: ٧٧٠، والإضافة أوردناها من المصدر، لم يذكرها المصنِّف في تفسيره.

(٣) قرب الإسناد: ٢١٩، حديث رقم: ٨٥٧، والكافي: ٢: ٥٠٣، حديث رقم: ١.

«اللّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن دعاءٍ لا يُسمَعُ»[1] أي: لا يُستجابُ ولا يُعتَدُّ بهِ فكَأَنَّهُ غيرُ مسموعٍ.

والعِصيانُ: ضدُّ الطّاعةِ، والشُّربُ: تجرُّعُ الماءِ، يقالُ: شَرِبَ كَسَمِعَ شَربًا ويُثَلَّثُ، ومَشرَبًا: جرَعَ، وأَشرَبتُهُ أنا وأَشرَبتُ الزّرعَ: سَقيتُهُ، وأَشرَبَ فُلانٌ قلبَهُ حُبَّ هذا، أي: أَحَلَّهُ مَحَلَّ الشَرابِ، قالَ زهيرٌ:

فَصَحَوتُ عَنها بَعدَ حُبٍّ داخِلٍ والحُبُّ يَشربُهُ فُؤادُكَ داء[2]

والاشرابُ: خَلطُ لَونٍ بلَونٍ، كأنَّ أحدَ اللَّونينِ يَسقي اللَّونَ الآخَرَ، وشَرِبَ كَنَصَرَ وفَرِحَ عَطِشَ، ورَوِيَ ضِدٌّ، والمَشرَبَةُ: الغُرفَةُ، كَمَشربَةِ أُمِّ إبراهيمَ[3]. [٤٣٢]

الإعراب:

إعرابُ قولُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ـ إلى قولهِ ـ بِقُوَّةٍ﴾ قد مَرَّ قَبلَ ثلاثِ آياتٍ قَبلَ آياتِ البقرةِ[4]، و(اسمَعُوا): عَطفٌ على (خُذُوا) فهوَ أيضًا: مَقولٌ لِـ(قُلنا) مَحذوفًا كَما مَرَّ، وجملةُ: (سَمِعنا): مَقولُ قالوا، و(عَصَينا): عَطفٌ على (سَمِعنا)، و(العِجلَ): مفعولٌ ثانٍ لـ(أُشرِبُوا) على حَذفِ مُضافٍ، أي: حُبِّ العِجلَ، فلَمّا حُذِفَ المضافُ أُقيمَ المُضافُ إليهِ مَقامَهُ وأُعرِبَ بإعرابِهِ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[5] وقولِهِ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[6]، أي: أَهلَها وأَهلَ نادِيهِ، و(الباءُ) في بِـ(كُفرِهِم): سَبَبيَّةٌ مُتعلِّقةٌ بكُلِّ واحِدٍ من قَولِهِ: (عَصَينا وأُشرِبُوا) وتَعليلٌ لَهُما، وقولُهُ: (بِئسَما يَأمُرُكُم بهِ

(١) الكافي: ٢: ٥٨٦، حديث رقم: ٢٤، ومن لا يحضره الفقيه: ١: ٣٣٥، حديث رقم: ٩٨١، والمصباح: ٣٥.

(٢) البيت من الكامل. ديوانه: ٢١، وجاء بلفظ: (تُشرِبُهُ)، أي: تدخلُهُ. فالحبُّ داءٌ تُدخلُهُ قلبكَ برضًى وقبولٍ، وينظر أساس البلاغة: ١: ٥٠٠.

(٣) من صدقات النّبيِّ ﷺ، وهي من مالِ مُخيريق من بَني قُريظة، وسُمّيَت بذلك؛ لأنَّ ماريّةَ زوج النّبيِّ ﷺ ولدت إبراهيمَ فيها، وتَعلَّقت حينَ ضربَها المخاضُ بخَشبةٍ من خَشباتِ تلكَ المَشرَبِ. ينظر: تاريخ المدينة: ١: ١٧٣، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٣: ٣٠٠.

(٤) أي: الآية: ٦٣، وقد مرَّ بيانها، ص: ٢٦٦.

(٥) سورة يوسف ١٢: ٨٢.

(٦) سورة العلق ٩٦: ١٧.

إيمانُكُم): قَد مَرَّ إعرابُهُ في قولِهِ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ إِلَّا أنَّ المخصُوصَ بالذَّمِّ هنا محذوفٌ، والتّقديرُ، بِئسَما يَأمُرُكُم بهِ إيمانُكُم هذا الأمرُ الشَّنيعُ، وهوَ اتِّخاذُكُم العِجلَ إلهًا مَعبودًا، وقَتلُكُم الأنبياءَ، و(إيمانُكُم): فاعلُ (يَأمُرُكُم)، وقولُهُ: (إن كُنتُم مُؤمِنينَ): قَد مَرَّ مثلُهُ في آيةٍ قَبلَ الآيةِ السّابقَةِ.

المعنى:

قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ قد مَرَّ تَفسيرُهُ، وقالَ في المَجمَعِ: «والفائدةُ في تكريرِ هذا وأمثالِهِ: التّأكيدُ وإيجابُ الحُجَّةِ عليهِم على عادةِ العَرَبِ في مخاطباتِها، وقيلَ: إنَّهُ سبحانَهُ لمَّا عَدَّدَ فضائحَ اليَهودِ أعادَ ذِكرَ رَفعِ الجَبَلِ، وقيلَ: إنَّهُ تعالى إنَّما ذَكَرَ الأوَّلَ لِلاعتبارِ بأخبارِ مَن مَضى، والثّاني للاحتِجاجِ عَليهِم»[1]، انتهى كلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ.

أَقولُ: يحتَملُ أيضًا أن يكونَ تَكريرُهُ لأجلِ ما ذَكَرَهُ بعدَهُ، أعني: قولَهُ تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ إلى آخرِهِ كَما هوَ عادَةُ البُلَغاءِ، فقولُهُ ﴿وَاسْمَعُوا﴾ معناهُ: مُنضَمًّا إلى ما قَبلَهُ، أي: قُلنا لَكُم ولأسلافِكُم خُذُوا ما آتيناكُم في التَّوراةِ، أي: ما أُمِرتُم بهِ فيها بِجِدٍّ ويَقينٍ، واسمَعُوهُ سَماعَ طاعَةٍ وتَقَبُّلٍ واقبَلُوا ما سَمِعتُم واعمَلُوا بهِ وأَطيعُوا اللهَ ورَسولَهُ فيما أمَراكُم بِهِ لا سَماعَ آذانٍ فَقَط، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قَولَكَ بِآذانِنا، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمرَكَ بِقُلوبِنا ولَم نَتَقبَّلهُ ولَم نَعمَلْ بهِ، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾، أي: دَخَلَ وخَلَطَ في قُلوبِهِم حُبُّهُ، وتَداخَلَهُم حُبُّهُ ورَسَخَ في قُلوبِهِم مَحَبَّتُهُ وصورَتُهُ؛ لِشدَّةِ شَغَفِهِم بِهِ كَما يَتَداخلُ الشّرابُ أَعماقَ البَدَنِ، والصّبغُ أجزاءَ الثّوبِ؛ ولذلكَ عَبَّرَ عَن حُبِّ العِجلِ بالشّربِ دونَ الأكلِ؛ لأنَّ شُربَ الماءِ يَتَغلغَلُ في الأَعضاءِ حَتَّى يَصِلَ بَواطِنَها بخِلافِ الطّعامِ، وليسَ المعنى في قولِهِ: ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ أَنَّ غَيرَهُم فَعَلَ ذلكَ بهِم بَل هُم أَنفُسُهُم الفاعِلونَ لذلكَ، أو المرادُ بهِ فِعلُ السّامِري.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٠٧.

ويَحتَمِلُ مَعنًى آخَرَ: وهوَ ما رَواهُ العَيّاشي: عَنِ الباقِرِ عليه السلام قالَ: «لمَّا ناجى موسى رَبَّهُ أَوحى اللهُ تعالى إليهِ: أن يا موسى قَد فَتَنتُ قومَكَ، قالَ: بِماذا يا رَبِّ؟ قالَ: بالسَّامِرِيِّ، قالَ: وما فَعَلَ السَّامِرِيُّ؟ قالَ: صاغَ لَهم مِن حِلِيِّهِم عِجلًا، قالَ: يا رَبِّ إنَّ حليَّهم لا يَحتَمِلُ أن يُصاغَ منهُ غَزالٌ أو تمثالٌ أو عِجلٌ فكَيفَ فتَنتَهُم؟ قالَ: إنَّهُ صاغَ لَهم عِجلًا فَخارَ، قالَ: يا رَبِّ ومَن أخارَهُ؟ قالَ: أَنا، فقالَ عندَها موسى: إن هيَ إلَّا فِتنَتُكَ تُضِلُّ بها مَن تَشاءُ وتَهدي بها مَن تَشاءُ، قالَ: فَلَمّا انتَهى موسى إلى قَومِهِ ورَآهُم يَعبدونَ العِجلَ أَلقى الأَلواحَ مِن يَدِهِ فكُسِرَت، قالَ أَبو جعفرٍ عليه السلام: كانَ ينبغي أن يكونَ ذلكَ عندَ إخبارِ الله تعالى إيَّاهُ، قالَ: فَعَمَدَ موسى عليه السلام فَبَرَّدَ العِجلَ[1] مِن أنفِهِ إلى طَرَفِ ذَنَبِهِ ثمَّ أَحرَقَهُ بالنّارِ فَذَرَّهُ في اليَمِّ، قالَ عليه السلام: فكانَ أحدُهُم لَيَقعُ في الماءِ وما بِهِ إليهِ مِن حاجَةٍ فَيتعَرَّضُ لذلكَ الرّمادِ فَيَشرَبُهُ وهوَ قَولُ الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾**»[2] الحديث.

وفي **﴿قُلُوبِهِمُ﴾**: بَيانٌ لِمكانِ الإشرابِ والتَّخليطِ، كَما أَنَّ في بُطونِهِم بيانٌ لِمكانِ الأكلِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[3]، **﴿بِكُفْرِهِمْ﴾**[4] إنَّما قالُوا: عَصَينا أمرَكَ فَلَم نَقبَلْهُ ولَم نَعمَلْ بهِ بسَبَبِ كُفرِهِم باللهِ سبحانه؛ وإنَّما أُشرِبُوا في قُلُوبِهِم حُبَّ العِجلِ بِسَبَبِ كُفرِهِم باللهِ تعالى، وتَخَيّلِهُم بقَولِ السّامريِّ: هذا إلهُكُم وإلهُ موسى أَنَّهُ تعالى جِسمٌ أو حَلَّ في جِسمٍ، وتَجويزُهُم عبادَةَ غَيرِ اللهِ؛ لأَنَّهُم لَم يَرَوا جِسمًا أعجَبَ منهُ، فتَمَكَّنَ في قُلُوبِهِم ما سَوَّلَ لهم السّامريُّ، وليسَ المعنى إنَّما أُشربوا في قُلُوبِهِم حُبَّ العِجلِ جَزاءً على كُفرِهِم؛ لأنَّ مَحبَّةَ العِجلِ أيضًا كُفرٌ قَبيحٌ وأنَّ اللهَ سبحانَهُ لا يَفعَلُ الكُفرَ في العَبدِ لا ابتِداءً ولا جَزاءً، «فقَولُ مَن قالَ: فَعَلَ اللهُ تعالى ذلكَ بِهِم عُقوبَةً ومجازاةً

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ عليه السلام: فَبَرَّدَ العِجلَ إلى آخرِهِ: إشارةٌ إلى قولِهِ تعالى في سورةِ طه: ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [٢٠: ٩٧]، إلى آخرِهِ.

(٢) تفسير العياشي: ١: ٥١.

(٣) سورة النساء ٤: ١٠.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: قَد مَرَّ أَنَّهُ تعليلٌ لكلِّ واحدٍ من قولِهِ: عَصَينا، وأُشرِبُوا.

غَلَطٌ فاحشٌ؛ لأنَّ حُبَّ العِجلِ ليسَ منَ العُقوبَةِ في شيءٍ[1]، نَصَّ على ذلك في المجمَعِ.

[٤٣٣]

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾، أي: قُل لَهُم يا مُحَمَّدُ: بِئسَ الشّيءُ، أو بِئسَ شَيءٌ، أو بِئسَ شَيئاً يأمُرُكُم بهِ إيمانُكُم، أي: بالتَّوراةِ كَما قُلتُم نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ عَلينا هذا الأمرُ[2] القَبيحُ والكُفرُ الصَّريحُ وهوَ اتِّخاذُكُم العِجلَ إلهًا مَعبودًا، ومَحبَّتُكُم إيَّاهُ كَحُبِّ الله، أو أَشَدُّ حُبًّا، وقَتلُكُم الأنبياءَ على ما مَرَّ سابقًا، وقولُهُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: شَرطٌ حُذِفَ جَوابُهُ على ما مَرَّ، وقَدحٌ في دَعواهُمُ الإيمانَ بالتّوراةِ وبِما أُنزِلَ عَليهم منَ الآياتِ والمُعجزاتِ، والتّقديرُ: إن كُنتُم فَما أَمَرَكُم بهذهِ القَبائحِ وما رَخَّصَ لَكُم في فِعلِها؛ لأنَّهُ ليسَ في التّوراةِ تَجويزُ عِبادةِ العِجلِ واتِّخاذِهِ مَعبودًا، فَكُنتُم كاذِبينَ في دَعواكُم الإيمانَ بالتّوراةِ، فإضافَةُ الأمرِ إلى إيمانِهِم تَهَكُّمٌ كَما قالُوا لِشُعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[3] الآية، وكَذا إضافَةُ الإيمانِ إليهِم، أو إن كُنتُم مؤمنينَ بها فَبئسَما يَأمُرُكُم بهِ إيمانُكُم بِها؛ لأنَّ المؤمِنَ يَنبغي أن لا يَعمَلَ إلَّا ما يَقتَضيهِ إيمانُهُ، لكنَّ الإيمانَ بها لا يَأمُرُ بأمثالِ هذهِ القَبائحِ فَلَستُم بمؤمنينَ.

دلالة هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دَلالةٌ على أنَّهُ سبحانَهُ نَفى عنِ التّوراةِ أن يَكونَ يَأمُرُ شَيئًا يَكرَهُهُ اللهُ سبحانَهُ من أمثالِ أفعالِهِم، وإعلامٌ بأنَّ الّذي يَأمُرُهُم بذلكَ هوَ أهواؤُهُم المُضِلَّةُ، ويَحمِلُهُم عليهِ هوَ آراؤُهُم المُغوِيَةُ.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٠٨.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: وهو المخصوصُ بالذّمِّ كما أشرنا إليهِ في الإعرابِ.

(٣) سورة هود ١١: ٨٧.

وقولُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) ﴾ آيتانِ:

اللغة:

مَعنى الخَلاصُ والإخلاصُ:

الخالِصَةُ: الصّافيةُ منَ المَشوباتِ الكَدِرَةِ، يقالُ: ذَهَبٌ خالصٌ لا يَشوبُهُ شَيءٌ منَ الجَواهِرِ الأُخَرِ، والخالصَةُ والخالصُ: ما لا شِركَةَ فيها وهوَ المرادُ هنا، يقالُ: خَلصَ ليَ هذا الأمرُ أو هذا المالُ، أي: صارَ ليَ وَحدي وصَفا لي، يَخلُصُ خُلُوصًا وخالصَةً فهوَ: خالصٌ، وهيَ: خالصَةٌ، فالخالصَةُ هنا: تَحتمِلُ أن يكونَ مَصدرًا كالعَافيةِ والباقيَةِ والكاذبَةِ، أو صِفةً، وأصلُ الخُلوصِ أن يَصفُوَ الشّيءُ مِن كُلِّ شائبَةٍ، وخُلاصَةُ كُلِّ شَيءٍ: صَفوَتُهُ، والخِلاصُ بالكَسرِ: ما أخلَصَتهُ النّارُ منَ الذّهَبِ وغَيرِهِ، وكَذا الخُلاصَةُ بالضّمِّ.

وسُمِّيَت ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1] سُورَةُ الإخلاصِ؛ لأنَّها خَالِصَةٌ في صِفَةِ الله تعالى خاصَّةً، أو لأنَّ اللّافِظَ بها قَد أخلَصَ التّوحيدَ لله تعالى ولَم يُشرِكْ بِهِ شَيئًا، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]، وقولُهُ: ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[3]، والخَلاصُ بالفتحِ: التّمييزُ والانفرادُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾[4] أي: تَميَّزوا عَنِ النّاسِ مُتناجينَ، وخَلَصَ فُلانٌ إلى فُلانٍ، أي: وَصَلَ إليهِ، وخَلَصَ أيضًا: سَلِمَ ونَجا.

تحقيقُ معاني (دون):

ودُون بالضَّمِّ: نقيضُ فَوقُ، ويكونُ ظَرفًا بمَعنى: أمام ووَراء، وفَوق ضدٌّ، وبمَعنى: سِوَى

---

(١) سورة الإخلاص ١١٢: ١.

(٢) سورة البينة ٩٨: ٥.

(٣) سورة غافر ٤٠: ١٤.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٨٠.

وغَيرٍ، ومنهُ قولُهُ ﷺ: «ليسَ فيما دُون خَمسِ أواقٍ[١] صَدَقَةٌ»[٢] وهوَ المرادُ في الآيةِ، وبمَعنى الشّريفِ[٣]، والخَسيسِ ضدٌّ، فَمعنى دُون في الأصلِ: أدنى مَكانٍ منَ الشّيءِ، يقالُ: هذا دُونَ ذاكَ: إذا كانَ أحَطَّ منهُ قليلًا، ثمَّ استُعِيرَ للتّفاوتِ في الأحوالِ والرُّتَبِ، فيقالُ: زيدٌ دُونَ عَمرٍو في الشَّرَفِ، وللاِختِصاصِ بمَزيدِ المَنزِلَةِ.

ذكرُ مَعنَى (التّمنِّي) وما هوَ الحقُّ فيهِ:

والتَّمنّي مِن جنسِ الأقوالِ عندَ أكثرِ المُتكلّمينَ وهوَ الصّحيحُ، وهوَ أن يقولَ القائلُ لِما كانَ: لَيتَهُ لَم يَكُن، ولِما لَم يَكن: لَيتَهُ كانَ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾[٤]، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[٥]، وقالَ أبو هاشمٍ: «هوَ مَعنًى في القَلبِ، ولا خِلافَ في أنَّه ليسَ مِن قَبيلِ الشّهوةِ»[٦].

و(لَن): لِتأكيدِ النّفي دُونَ التَّأبيدِ كَما مَرَّ تَحقيقُهُ ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي﴾[٧] الآية، والأبَدُ: الدّهرُ، جَمعُهُ آبادٌ وأُبُودٌ، والدّائمُ والقَديمُ: الأزَليُّ.

الإعراب:

(الدّارُ) بالرّفعِ: اسمُ كانَت، و(الآخِرَةُ): صِفةٌ لَها، و(لَكُم): خبرُ كانَت، و(عندَ الله): ظَرفُ الخَبَرِ، و(خالصةً): نَصبٌ على الحالِ منَ الدّارِ، والمُرادُ بها: الجنَّةِ، و(الفاءُ): جَزائيَّةٌ واجبةٌ هنا؛ لِكَونِ الجزاءِ طَلَبيَّةً، و(تمَنَّوا): فِعلُ أَمرٍ وفاعلٌ، و(الموتَ): مفعولٌ بهِ، والجملةُ: جَوابُ الشّرطِ، وقولُهُ: (إن كُنتُم صادِقِينَ): شَرطٌ حُذِفَ جَوابُهُ بدَلالةِ ما قَبلَهُ، و(أَبَدًا): ظرفٌ لِـ(يَتمنَّوهُ)، أي:

---

(١) جمعُ أُوقِيَّةٌ، وهيَ: زِنةُ سَبعة مَثاقِيلَ، وزنةُ أَربعينَ درهَماً. لسان العرب: ١٥: ٤٠٤، (وقي).

(٢) مسند أحمد: ٣: ٣٠، وعوالي اللئالي: ١: ٨٥، حديث رقم: ١٣، جامع أحاديث الشيعة: ٨: ٨٩، حديث رقم: ٢٥٣.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: ودون يكون بمعنى: الشريف إلى آخره.

(٤) سورة النساء ٤: ٧٣.

(٥) سورة النبأ ٧٨: ٤٠.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٠٩، ومجمع البحرين: ١: ٣٩٩، (منا).

(٧) سورة البقرة ٢: ٢٤.

طُولَ عُمُرِهِم، و(الباءُ) في (بِها) للسَّبَبيَّةِ، و(ما): مَوصولةٌ اسمِيَّةٌ أو حَرفيَّةٌ مَصدريَّةٌ، وعلى التَّقديرينِ: مُتعلِّقٌ بقولِهِ: (ولَن يَتمَنَّوهُ)، وعلى الأوَّلِ يكونُ العائدُ: محذوفًا، أي: بما قَدَّمتهُ أيديهِم، بخِلافِ الثّاني، أي: بتَقدِمَةِ أيديهِم. [٤٣٤]

المعنى:

ثمَّ احتجَّ اللهُ على اليَهودِ بقَضيّةٍ عادِلةٍ بينَهُ وبينَهُم فقالَ: ﴿**قُلْ**﴾ لَهم يا مُحمَّدُ: ﴿**إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾، أي: الجنَّةُ، ﴿**خَالِصَةً**﴾ لكم خاصّةً بكُم دونَ سائرِ النّاسِ، وليسَ لأحَدٍ سِواكُم فيها حَقٌّ وشِركَةٌ، أي: إن كانَت الجنَّةُ مُختَصَّةً بكُم وكُنتُم مخصوصينَ بدُخولِها دونَ مَن سِواكُم كَما زَعمتُم في قولِكُم: لَن يَدخُلَ الجنَّةَ إلّا مَن كانَ هُودًا، وقَولِكُم: نَحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤهُ لَن يُعَذّبنا اللهُ وكُنتُم صادقينَ في تلكَ الدَّعوى، ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾؛ لأنَّ مَن أيقَنَ أنَّهُ مِن أهلِ الجنَّةِ قَطعًا وأنَّهُ مَخصوصٌ بدُخولِها والتَّنعُّم بنَعيمِها والتَّزوّجِ بِحورِها الحِسانِ كانَ الموتُ أحبَّ إليهِ منَ الحياةِ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ الخَسيسةِ الفانيةِ المَشوبَةِ بأنواعِ الآلامِ والغُمومِ وأصنافِ المَشاقِّ والهُمُومِ، وكانَ مُشتاقًا إليها غايةَ الاشتياقِ؛ لِيَتخلَّصَ منها ويفوزَ بالنَّعيمِ المُقيمِ فيُؤثِرَ الموتَ على الحياةِ كَما أنَّهُ مَكتوبٌ في التَّوراةِ: إنَّ أولياءَ اللهِ يَتمنَّونَ الموتَ ولا يَرهَبونَهُ، ألا تَرى إلى قَولِ أميرِ المؤمنينَ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام وهوَ يطوفُ بينَ الصَّفَّينِ بصِفِّينَ في غُلالَةٍ[1] لمَّا قالَ لهُ الحسَنُ ابنُهُ عليه السلام: «ما هذا بزَيِّ المُحاربينَ؟ فقالَ لهُ: يا بُنَيَّ إنَّ أباكَ لا يُبالي وَقَعَ على الموتِ أو وَقَعَ الموتُ عليه»[2]، وقولِهِ عليه السلام: «فُزتُ ورَبِّ الكَعبةِ»[3] عندَ ضَربةِ ابنِ مُلجمٍ على رأسِهِ، وقَولِ عمّارِ بنِ ياسرٍ بصِفِّينَ أيضًا: «الآنَ أُلاقي الأحِبَّةَ مُحمَّدًا وحِزبَهُ»[4]، وقولِ حبيبِ بنِ مُظاهرٍ حينَ ضَحِكَ يومَ الطَّفِّ، فقيلَ لهُ في ذلكَ فقالَ: «وأيُّ مَوضعٍ أحَقُّ بالسّرورِ مِن هذا الموضِعِ؟ واللهِ ما هوَ إلّا أن يُقبِلَ علينا هؤلاءِ القَومُ

---

(١) الغلالةُ: «الثّوبُ الذي يُلبَسُ تحتَ الثّيابِ أو تحتَ دِرْعِ الحديدِ». لسان العرب: ١١: ٥٠٢، (غلَّ).

(٢) تخريج الأحاديث والآثار: ١: ٧٤، ورياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٥: ٣٥٢.

(٣) خصائص الأئمّة: ٦٣، وشرح الأخبار: ٢: ٤٤٢، حديث رقم: ٧٩٤، ومناقب آل أبي طالب: ١: ٣٨٥.

(٤) شرح الأخبار: ١: ٤٠٧، حديث رقم: ٣٥٨، والاختصاص: ١٤.

بسيوفِهِم فنُعانِقَ الحُورَ العينَ)[1]، وقولِ حُذَيفَةَ حينَ احتَضَرَ: (جاءَ على فاقَةٍ لا أفلَحَ مَن نَدِمَ)[2]، أي: جاءَ الموتُ الّذي هوَ المحبوبُ على حاجَةٍ وشَوقٍ إليهِ، وقولِهِ: لا أفلَحَ مَن نَدِمَ دعاءٌ عَليهِ، أي: وإن كانَت مُقدِّماتُ الموتِ صَعبةً ومَشاقَّ لكن مَعَ هذا لا فَلاحَ لِمَن يَندَمُ على التَّمنِّي بهِ.

وفي المجمَعِ: (وأمَّا ما رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «لا يَتَمنَّيَنَّ أحدُكُم الموتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بهِ، ولكن لِيَقُل: اللّهُمَّ أحيِيني ما دامَتِ الحَياةُ خَيرًا لي، وتَوَفَّني إذا كانَت الوَفاةُ خَيرًا لي»[3]، فإنَّما نَهى ﷺ عَن تَمَنّي الموتَ؛ لأنَّهُ يَدُلُّ على الجَزَعِ، والمأمورُ بهِ الصَّبرُ وتَفويضُ الأمورِ إليهِ؛ ولأنّا لا نَأمَنُ وُقوعَ التّقصيرِ فيما أُمِرنا بهِ ونَرجو في البَقاءِ التَّلافيَ)[4]، انتهى.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، ثمَّ أخبَرَ سبحانَهُ عن هؤلاءِ الّذينَ قيلَ لَهُم: فَتَمَنَّوا الموتَ إن كُنتُم صادِقِينَ بأنَّهُم لا يَتَمَنَّونَهُ أبدًا، ثُمَّ عَلَّلَ عدمَ تَمنِّيهِم ذلكَ بقولِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: بِسَبَبِ ما قَدَّموهُ مِن مُوجباتِ النَّارِ منَ الكُفرِ بمُحمَّدٍ ﷺ وتَحريفِ صِفاتِهِ وآيَةِ الرَّجمِ ونَحوِها منَ التَّوراةِ، وارتِكابِ أنواعِ المعاصِي والقَبائحِ، وتَكذيبِ الكُتُبِ والرُّسُلِ.

نكتةُ إضافةِ المعاصِي إلى اليَدِ:

وإنَّما أضافَ تلكَ المعاصِي إلى اليَدِ وإن كانُوا فَعَلوا ذلكَ باللّسانِ وسائرِ الجَوارِحِ أيضًا؛ لأنَّ الغالبَ في تَحصيلِ الجنايَةِ باليَدِ؛ ولأنَّها آلةٌ في الإنسانِ يَقتَدِرُ بها على عامَّةِ صنائِعِهِ، ومنها أكثَرُ منافِعِهِ؛ ولذلكَ يُعبَّرُ بها عنِ النَّفسِ تارَةً كما هنا، وعنِ القُدرَةِ أُخرى.

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، أي: عليمٌ بِهِم فهوَ تَهديدٌ لَهُم وتَحقيقٌ على أنَّهُم ظالمونَ؛ ولِذا وَضَعَ الظّاهرَ مقامَ المُضمَرِ وغيرِ ذلكَ منَ النّكاتِ على ما مَرَّ.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٩٣، حديث رقم: ٣٣، والعوالم، الإمام الحسين: ٣٣٤. وقد جاء بلفظ: (الطغام) بدل القوم، وهم: أوغاد الناس. القاموس المحيط: ٤: ١: ٤٤، (الطغام).

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٥٠٢، وكنز العمال: ١١: ٢٢٣.

(٣) مسند أحمد: ٣: ١٠٤، وصحيح مسلم: ٨: ٦٤.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٠٩.

وفي هذهِ الآيةِ دَلالةٌ واضِحَةٌ على صِدقِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ وصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ؛ لأنَّهُ أخبرَ بالغَيبِ قَبلَ كَونهِ فكانَ كَما أخبرَ؛ لأنَّهُم لَو تَمَنَّوهُ لَنُقِلَ واشتَهَرَ منهُم، فإنَّ التَّمنِّي كَما مَرَّ في اللغةِ ليسَ مِن عَملِ القَلبِ لِيَخفَى بَل هوَ مِن جِنسِ القَولِ بأن يقولَ لَيتَهُ كَذا أو لَيتَ كانَ أو لَم يكنْ، ولَو كانَ بالقَلبِ لَقالُوا تَمَنَّينا، ولَو تَمَنَّوهُ لماتُوا، وعَنِ النَّبيِّ ﷺ: «لَو تَمَنَّوا الموتَ لَغَصَّ كُلُّ إنسانٍ منهُم برِيقِهِ فَماتَ مكانَهُ وما بَقِيَ على وَجهِ الأرضِ يَهوديٌّ»(١)، ورَوى الكَلبِي: (عَن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قالَ: لَو أَنَّ اليَهودَ تَمَنَّوا الموتَ لَمَاتُوا، ولَرَأَوا مَقاعِدَهُم منَ النّارِ)(٢). [٤٣٥]

وقالَ في المجمَعِ بعدَ ذِكرِ دَلالةِ الآيةِ على ما مَرَّ: (وهذهِ القِصَّةُ شَبيهَةٌ بِقِصَّةِ المُباهَلَةِ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا دَعا النَّصارَى إلى المباهَلَةِ امتَنَعُوا لِقِلَّةِ ثِقَتِهِم بِما هُم عليهِ، وخَوفِهِم مِن صِدقِ النَّبيِّ ﷺ في قَولِهِ: لَو باهَلُونِي لَرَجَعُوا لا يَجِدونَ أهلًا ولا مالًا، فَلَمّا لَم يَتَمَنَّ اليَهودُ الموتَ افتَضَحُوا، كَما أَنَّ النَّصارى لَمَّا أحجَمُوا عَنِ المباهَلَةِ افتَضَحُوا وظَهَرَ الحَقُّ، فإن قِيلَ: مِن أينَ علمتم أَنَّهُم لَم يَتَمَنَّوا الموتَ بقُلُوبِهِم؟ فالجوابُ: إنَّ مَن قالَ: إنَّ التَّمنِّي هوَ القَولُ، فالسُّؤالُ ساقطٌ عنهُ، ومَن قالَ: هوَ معنًى في القَلبِ، قالَ: لَو تَمَنَّوهُ بقُلُوبِهِم لأظهَرُوهُ بألسِنَتِهِم حِرصًا منهُم على تكذِيبِهِ في إخبارِهِ؛ ولأنَّ تَحدِّيَهُم بتَمَنِّي الموتِ إنَّما وَقَعَ بما يظهَرُ باللّسانِ فكانَ يَسهُلُ عَليهِم أن يَقولُوا: لَيتَ المَوتَ نَزَلَ بِنا فَلَمّا عَدَلُوا عَن ذلكَ ظَهَرَ صِدقُهُ ﷺ، وصِحَّةُ حُجَّتِهِ ﷺ)(٣)، انتهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ، وقَد ظَهَرَ الجوابُ من هذا السُّؤالِ سابقًا أيضًا.

---

(١) بحار الأنوار: ٦: ١٢٥، و١٧: ١٦٩.

(٢) مسند أحمد: ١: ٢٤٨، والسنن الكبرى: ٦: ٣٠٨، حديث رقم: ١١٠٦١، ومسند أبي يعلى: ٤: ٤٧٢، حديث رقم: ٢٦٠٤، وفيها الحديث مرويّ عن عكرمة عن ابن عبّاس، وما ذكره المُصنِّف عن الكلبي عن ابن عبّاس فقد جاء بلفظ: «أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ لليَهودِ: إن كنتم صادقينَ في مَقالتِكُم فقولوا: اللّهمّ أمتنا، فَوَ الذي نفسي بيدِهِ لا يقولها رجلٌ منكم إلّا غَصَّ بريقهِ و ماتَ مكانَهُ». تخريج الأحاديث والآثار: ١: ٧٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣١٠.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)** ﴾ آيةٌ:

القراءة :

قُرِئَ: على الحياةِ بـ(الألِفِ واللّامِ)، والجمهورُ: على حَياةٍ بغَيرِ (الألفِ واللَّامِ)[١].

اللغة:

وَجَدَ يَجيئُ على ستَّةِ مَعانٍ:

الأوَّلُ: بمَعنى عَلِمَ فيَتَعدّى إلى مفعولينِ، نحو: وَجَدتُ زيدًا فاضِلًا، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾[٢] فالهاءُ: مفعولُهُ الأوَّلُ، وخَيرًا: مفعولُهُ الثّاني، ولا يجوزُ أن يكونَ حالًا، و(هوَ) ضَميرُ فَصلٍ وإنَّما ساغَ مَجيئُ وَجَدَ بمَعنى عَلِمَ؛ لأنَّ مَن وَجَدَ الشّيءَ على صِفَةٍ فَقَد عَلِمَهُ بها أن لَم يَكُن مَعلُومًا لهُ.

الثّاني: بمَعنى أصابَ وصادَفَ، فيَتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو: وَجَدتُ الضّالّةَ وِجدانًا بالكَسرِ: إذا أدرَكتَها وَلَقيتَها، أي: أصَبتَها.

دلالةُ الآيتينِ على تجسيمِ الأعمالِ:

وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[٣] وقولُهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾[٤] فَمُحتَمِلٌ للوَجهينِ فإن كانَ وَجَدَ بمَعنى: عَلِمَ، فَحاضِرًا ومُحضَرًا: مَفعولُهُ الثّاني، وإن كانَ بمَعنى: أصابَ وصادَفَ فهوَ: حالٌ، وعَلى الثّاني يكونُ في الآيتَينِ دَلالةٌ على تَجسيمِ

(١) لم يقف الباحث على القراءة في كتب القراءات، وهي قراءةُ أُبيّ، وتم إثباتها من كتب التفسير، كتفسير الثعلبي: ١: ٢٣٨، و الكشّاف: ١: ١٦٨، والبحر المحيط: ١: ٥٠٢، وروح المعاني: ١: ٣٢٩.

(٢) سورة المزمل ٧٣: ٢٠.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٤٩.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٣٠.

الأعمالِ، ومِثلُهُما في احتمالِ الوَجهينِ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ﴾[1] وقولُهُ تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[2] الآيات، وقولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3]، ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[4].

الثّالثُ: بمَعنى استغنَى، فَيكونُ لازمًا، وفي أسمائِهِ تعالى: الواجِدُ هوَ: الغَنيُّ الَذي لا يَفتَقِرُ، وقَد وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً، أي: استغنَى غِنًى لا فقرَ بعدَهُ، ومنهُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[5]، أي: لا يَستَغنونَ عنهُ، كَما في الكافي عَن معاويَةَ بنِ وَهب عنِ الصّادقِ عليه السلام[6].

الرّابعُ: بمَعنى غَضِبَ، فَيكونُ لازمًا أيضًا فَيَتعدَّى بعَلى، يقالُ: وَجَدَ عليهِ يَجِدهُ وَجدًا ومَوجِدَةً، أي: غَضِبَ عليهِ، وفي حديثِ الإيمانِ: «اللّهُمَّ إنّي سائلكَ فَلا تَجِد عَلَيَّ»[7]، أي: لا تَغضَبْ عَلَيَّ مِن سُؤالي إيَّاكَ، ومنهُ الحديثُ: «لَم يَجِدِ الصّائمُ على المُفطِرِ»[8]، أي: لَم يَغضَبْ عَليهِ.

الخامسُ: بمَعنى حَزِنَ، فيكونُ لازمًا أيضًا، يقالُ: وَجَدَ فُلانٌ يَجِدُ وَجدًا بالفَتحِ إذا حَزِنَ، قالَ ذو الرُّمّةِ:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٩٦.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ٧.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٧.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٠٢.

(٥) سورة النور ٢٤: ٣٣.

(٦) «في قول الله عزّ وجلَّ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(٦) قال: يتزوّجُوا حتّى يُغنيَهم من فضلِهِ». الكافي: ٥: ٣٣١، حديث رقم: ٧، والراوي: أبو الحسن البجلي: عربي صميمي، ثقة، حسنُ الطّريقةِ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، روى عنه ابن أبي عمير، لهُ كتبٌ، منها: كتابُ فضائلِ الحَجِّ. ينظر: رجال النجاشي: ٤١٢، ترجمة رقم: ١٠٩٧، وخلاصة الأقوال: ٢٧٤، ترجمة رقم: ٢، ونقد الرجال: ٤: ٣٩١، ترجمة رقم: ٥٣٣٨.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٥٥.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٥٦.

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نَفسَهُ لِشَيءٍ نَحتْهُ عَن يَدَيك المقادِرُ [1]

الباخعُ: القاتلُ.

السّادسُ: بمَعنى أحَبَّ، فَيكونُ لازمًا أيضًا فيَتعدَّى بالباءِ، نحو: وَجَدتُ بفُلانَةَ وَجدًا: إذا أحبَبتَها حُبًّا شَديدًا، ومنهُ الحديثُ: «فَمَن وَجَدَ منكُم بِمالِهِ شيئًا فلَيَبِعهُ»[2] أي: أحَبَّهُ واغتبَطَ بهِ.

هذا هوَ الأصلُ في لَفظِ وَجَدَ على ما بَيَّنّاهُ في شرحِنا المُسمَّى بزِينَةِ السّالِكِ، وقالَ في القاموسِ: (وَجَدَ المطلوبَ كَوَعَدَ ووَرِمَ يَجِدُهُ ويَجُدُهُ بضَمِّ الجيمِ لا نَظيرَ لها وَجْدًا وَجِدَةً ووُجْدًا ووُجُودًا ووِجْدانًا و إجدانًا بكَسرِهِما: أدركَهُ، والمالُ وغَيرُهُ يَجِدهُ وَجْدًا مُثَلّثَةً وَجِدَةً: استَغنَى، وعَليهِ يَجِدُ ويَجُدُ وَجْدًا وَجِدَةً ومَوجِدَةً: غَضِبَ، وبهِ وَجدًا في الحُبِّ فَقَط)[3]، انتهى.

وفي مصادِرِ بعضِها خَلْطٌ على ما ذَكَرهُ، ثمَّ قالَ: (ووُجِدَ منَ العَدَمِ، كَعُنِيَ فهوَ: مَوجودٌ، ولا يقالُ: وَجَدَهُ اللهُ، وإنَّما يقالُ: أوجَدَهُ اللهُ)[4]، انتَهى.

والحِرصُ: الجَشَعُ وشِدّةُ الطَّلَبِ، ورجلٌ حَريصٌ وقَومٌ حِراصٌ يقالُ: حَرِصَ كَضَرَبَ وعَلِمَ فهوَ حَريصٌ، والحارِصَةُ: السّحابَةُ الّتي تَقشرُ وَجهَ الأرضِ بمَطرِها، ومِن أصنافِ الشِّجاجِ: الحارِصَةُ وهيَ: الّتي تَحرِصُ الجِلدَ[5]، أي: تَشُقُّهُ، يقالُ: حَرَصَ القَصّارُ الثّوبَ إذا شَقَّهُ. والوُدُّ والوَدادُ ويُثَلَّثانِ والوَدادَةُ والمِودَّةُ والمَوَدَّةُ والمَوْدَدةُ كُلُّها بمَعنى الحُبِّ والمَحبَّةِ، يقالُ: وَدِدتُ فُلانًا أوَدُّهُ وَدًّا وَوُدًّا وَوُدادًا ومَودَّةً إلى آخِرِهِ، والودُّ أيضًا: المُحِبُّ، وَيُثَلَّثُ كالوَديدِ، والكَثير الحُبِّ كالوَدودِ، ومِن أسماءِ الله تعالى الوَدُودُ وهوَ فَعُولٌ بمَعنى مَفعولٍ، يعني: أنَّهُ تعالى مَودُودٌ، أي:

---

(1) البيت من الطويل. ديوانه: ٣٦١، وأساس البلاغة: ٣٤، ولسان العرب: ٨: ٥، (بخع).

(2) مسند أحمد: ٢: ٤٥١، وصحيح البخاري: ٨: ٥٧، وكنز العمال: ٤: ٣٦٤، حديث رقم: ١٠٩٢٣.

(3) القاموس المحيط: ١: ٣٤٣، (وجد).

(4) القاموس المحيط: ١: ٣٤٣، (وجد).

(5) ينظر: النّاصريّات: ٣٩١، والخلاف: ٥: ١٩١، والسرائر: ٣: ٤٠٦.

مَحبوبٌ في قُلوبِ عِبادِهِ، أو بمَعنى فاعلٍ، أي: أنَّهُ تعالى يُحبُّ عبادَهُ الصّالحينَ بمَعنى يَرضى عنهُم، والوِدُّ بالكَسرِ: الصّديقُ.

والتَّعميرُ: تَطويلُ العُمُرِ، والعُمْرُ والعُمُرُ بالضّمِّ وبضَمَّتينِ لُغتانِ، والعَمْرُ بالفَتحِ: العُمْرُ، ولا يقالُ في القَسَمِ إلّا بالفَتحِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١)، ويقالُ: عَمْرَكَ اللهُ، أي: اسألُ اللهَ تَعميرَكَ وأن يُطيلَ عُمرَكَ، والعُمرُ: البَقاءُ، كَما يقالُ: لَعَمرُ اللهِ قَسَمِي، أي: بَقاؤُهُ، وأصلُهُ منَ العِمارَةِ ضِدَّ الخَرابِ، ومنهُ العُمْرَةُ، فالعُمرُ: المُدَّةُ الّتي يَعمُرُ فيها البَدنَ بالحياةِ.

[٤٣٦]

والأَلْفُ: بفتحِ الهمزةِ وسُكونِ اللّامِ منَ التّأليفِ؛ سُمِّيَ بذلكَ العَددُ لأنَّهُ ضَمُّ عَشرِ مائاتٍ، وأصلُ سَنَةٍ: سَنوَةٌ بدَليلِ سَنواتٍ، وقيلَ: سَنْهَةٌ كَجَبهَةٌ لِقولِهِم: سانَهتُ الأجيرَ مُسانَهَةً، وسَنَهَتِ النَّخلَةُ: أتَت عَليها سِنُونَ، والزَّحزَحَةُ: التّبعيدُ والتّنحِيَةُ، زَحزَحتُهُ فتَزَحزَحَ، وفي الحديثِ: «مَن صَامَ يومًا في سَبيلِ الله زَحزَحَهُ اللهُ عَنِ النّارِ سَبعينَ خَريفًا»(٢)، أي: نَحّاهُ وباعَدَهُ عنها، يعني: باعَدَهُ اللهُ عنِ النّارِ مَسافةً تُقطَعُ في سَبعينَ سَنَةً؛ لأنَّ كُلَّما مَرَّ خَريفٌ فقد انقَضَت سَنَةٌ، ومِنه حَديثُ أميرِ المؤمِنينَ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام أنَّهُ قالَ لِسُليمانَ بنِ صُرَدٍ(٣) لمَّا حَضَرَهُ بعدَ فَراغِهِ منَ الجَمَلِ: «تَزَحزَحتَ وتَرَبَّصتَ فَكَيفَ رَأيتَ اللهَ صَنَعَ؟»(٤)، وقالَ الشّاعرُ:

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٧٢.

(٢) سنن الترمذي: ٣: ٨٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٩٧.

(٣) هو: عبد العزّى بنُ منقذٍ الخزاعي: يكنى أبا مطرف، أسلمَ وصَحبَ النّبيَّ صلى الله عليه وآله، كان اسمُهُ يسار، فلمّا أسلَمَ سَمّاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله سُليمان، وكانت له سنٌّ عاليةٌ وشرفٌ في قومِهِ، شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام الجَملَ وصفّين، وهو ممّن تقاعس عن نصرة الحسين بن علي عليه السلام، ثمّ ندمَ بعدها وتزعّمَ معسكرَ التّوابين، قُتِلَ سنة (٦٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٤: ٢٩٢، وتاريخ بغداد: ١: ٢١٥، ترجمة رقم: ٤١.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ٢: ٢٩، وغريب الحديث لابن سلام: ٣: ٤٧٥.

وقالُوا تَزَحزَحْ لابِنا فَضلُ حاجَةٍ إليكَ ولا أمنًا لِوَهيكَ دافِعُ[1]

والبَصيرُ: المُبصِرُ، كالبَديعِ والسّميعِ والأليمِ بمَعنى: المُبدِعِ والمُسمِعِ والمُؤلِمِ، هذا في اللّغةِ، وأمّا عندَ المُتكلِّمينَ: المُبصِرُ هوَ: المُدرِكُ للمُبصَراتِ، والبَصيرُ هوَ: الحَيُّ الّذي لا آفَةَ بهِ، فهوَ مَن يَجبُ أن يُبصِرَ المُبصَراتِ، وليسَ أحَدُهُما هوَ الآخَرُ، وكذلكَ القَولُ في السَّميعِ والسَّامِعِ، هكذا قالهُ في المجمَعِ[2]، وفيهِ بعدُ شَيءٌ، لأنَّ مِن أسمائِهِ سبحانهِ: السّامِعُ كالسَّميعِ، كقَولِهِ عليه السلام: «يا سامِعُ يا جامِعُ»[3]، وغيرِ ذلكَ، فيَنبَغي التَّأويلُ في القِسمينِ عندَ إطلاقِهِما عليه سبحانه بمعنى عِلمِهِ بالمُبصَراتِ والمَسموعاتِ بخِلافِ غَيرِهِ تعالى، قالَ سيِّدُ السّاجدينَ عَليُّ بنُ الحُسينِ زينُ العابدينَ عليه السلام: «سُبحانَكَ سُبِّحتَ في الملأِ الأعلى، سبحانَكَ تَسمَعُ وتَرى ما تَحتَ الثَّرى، سُبحانَكَ تَرى ما في قَعرِ الماءِ، سُبحانَكَ تَسمَعُ أنفاسَ الحيتانِ في قُعُور البِحارِ»[4].

الإعراب:

(اللّامُ): في (لَتَجِدَنَّهُم) معَ مَدخُولِها: جَوابٌ لِقَسَمٍ مَحذوفٍ، قالَ سيبويهُ: سَألتُ الخَليلَ عَن قولِهِ: لَتَفْعَلَنَّ إذا جاءَت مُبتَدَأةً، فقالَ: هيَ عَلى نِيَّةِ القَسَمِ[5]، و(أحرَصَ): مفعولٌ ثانٍ لِـ(تَجِدَنَّهُم) إذا كانَ بمَعنى العِلمِ وهوَ الأظهرُ، وحالٌ: إذا كانَ بمَعنى أصابَ وصادَفَ، كَما مَرَّ بيانُهُ في اللّغةِ، وعلى التَّقديرَينِ هوَ مِن أفعَلِ التَّفضيلِ المضافِ.

ولاسمِ التَّفضيلِ عندَ الإضافَةِ مَعنَيانِ:

أحَدُهُما: أن يُرادَ أنَّهُ زائدٌ على المُضافِ إليهِم في الخصلَةِ الّتي هوَ وهُم فيها شُركاءُ، كَما هوَ المرادُ ههنا.

---

(١) نسبه صاحب لسان العرب: ١٥: ٤١٧، إلى الحطيئة، ولم يقف الباحث عليه في ديوانه، والوهي: السّقاء. كما ينظر: تاج العروس: ٢٠: ٣٢١، (وهي).

(٢) مجمع البيان: ١: ٣١١.

(٣) المصباح:٢٤٨، وبحار الأنوار: ٩١: ٣٨٥، (دعاء الجوشن)، ومفاتيح الجنان: ١٦٥.

(٤) الصحيفة السجّاديّة: ٢٣، (في التسبيح)، والمصباح: ٨٣.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣: ١٠٦، والأصول في النحو: ٢: ١٩٩.

والثّاني: أن يُؤخَذَ مُطلقًا لهُ الزّيادَةُ فيها اطلاقًا، ثمَّ يُضافُ لا للتَّفضيلِ على المضافِ إليهِم لكن لمُجرَّدِ التّخصيصِ كَما يُضافُ ما لا تَفضيلَ فيهِ أصلًا كَقَولِكَ: النّاقصُ والأشَجُّ[1] أعدَلا بَنِي مَروانَ، كَأنَّكَ قُلتَ: عادِلا بَنِي مَروانَ.

فَعَلى المعنى الأوّلِ يَجوزُ توحيدُ أفعَلِ التَّفضيلِ وتَذكيرُهُ، وإن كانَ مَوصُوفُهُ تَثنيَةً وجَمعًا، ومُؤنَّثًا كَقولِكَ: زَيدٌ أفضَلُ النّاسِ، الزّيدانِ أفضلُ النّاسِ، الزَّيدونَ أفضَلُ النّاسِ، هِندٌ أفضَلُ النِّساءِ، ومِن هذا القِسمِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾، ويجوزُ المُطابَقَةُ أيضًا.

وعلى الوَجهينِ تكونُ الإضافَةُ بمَعنى (مِن) وقَد اجتَمَعَ الوَجهانِ في قولِهِ ﷺ: «ألا أُخبِرُكُم بأحَبِّكُم إلَيّ وأقرَبِكُم مِنِّي مَجالِسَ يومَ القيامَةِ أحاسِنُكُم أخلاقًا المُوَطَّؤونَ أكنافًا الّذينَ يَألَفُونَ ويُؤلِفونَ، ألا أُخبِرَكُم بأَبغَضِكُم إلَيَّ وأبعَدِكُم مِنِّي مَجالِسَ يومَ القِيامةِ أساوئكُم أخلاقًا الثَّرثارونَ المُتَفَيهِقونَ»[2]، وعلى المعنى الثّاني لا يَجوزُ إلّا المُطابقَةَ فَقَط كَما بُيِّنَ في مَوضِعِهِ، وهذا القَدْرُ كافٍ في هذا المقامِ.

و(مِنَ الّذينَ): عَطفٌ عَلى (النّاسِ) بِحَسَبِ المعنى كَما قالَ الزّجّاجُ والفَرّاءُ[3]، والتَّقديرُ: ولَتَجِدَنَّهُم

---

(١) الناقص: هوَ: يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشّام، وُلِدَ وتُوفِّي في دمشق، لُقِّبَ بالناقص؛ لكونه نقص من عطاء الجند، توفي سنة (١٢٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥: ٣٧٤، ترجمة رقم: ١٧٠، والأعلام: ٨: ١٩٠.

الأشجّ: هوَ: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، وُلِدَ ونشأ بالمدينة، ولي الخلافة سنة (٩٩هـ) لُقِّبَ بالأشجِّ لشجَّةٍ في وجهه أصابته وهو غلام، توفي سنة (١٠١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٥: ٣٣٠، والأعلام: ٥: ٥٠.

(٢) مسند أحمد: ٤: ١٩٣، والمجازات النبويّة: ١٨٧.

ومنه في حاشية الأصل: الموصوفُ في هذا الحديثِ لفظُ (كم) في: أُخبِرُكُم، فَوَحَّدَ بأحبِّكُم وأقرَبِكُم وأبغَضِكُم وأبعَدِكُم، وجَمعَ أحاسِنكُم وأساوئكُم، و(مَجالسَ) في الموضِعينِ: تمييزٌ، وكَذا (أخلاقًا) فيهِما وكَذا (أكنافًا)، و(الثَّرثارُ): كثيرُ الكَلامِ بِما لا يَعني، وكَذا (المُتَفيهِقُ)، والباقي: واضحٌ.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٨، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٦٣.

أحرَصَ مِنَ النّاسِ ومِنَ الّذينَ أشرَكُوا أيضًا، كَما يقالُ: السّلطانُ أسخى النّاسِ وَمِن حاتَمٍ، أي: هوَ أسخَى مِنَ النّاسِ ومِن حاتَمٍ؛ لأنَّ إضافَتَهُ في هذا المعنى بِمَعنى (مِن) فيكونُ مِن قَبيلِ ذِكرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ؛ لِمزيدِ الاهتِمامِ؛ ولِتَفظيعِ حالِ اليَهودِ؛ وللمبالغَةِ في تَوبيخِهِم وهذا هوَ الأَصَحُّ، ويَجوزُ أن يكونَ و(مِنَ الّذينَ) مُتَعلِّقًا بـ(أحرَصَ) آخَرَ مَحذوفًا، أي: وأحرَصَ مِنَ الّذينَ أشرَكوا فَحُذِفَ لِدلالَةِ الأوَّلِ عليهِ، «وقيلَ: إنَّما دَخلَت (مِن) في قَولِهِ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ولَم يَدخلْ في أحرَصَ النّاسِ؛ لأنَّهُم بعضُ النّاسِ، والإضافةُ في بابِ أفعَلِ التَّفضيلِ لا تكونُ كذلكَ، تقول: الياقوتُ أفضَلُ الحِجارَةِ ولا تقولَ: الياقوتُ أفضَلُ الزّجاجِ، بَل تقول أفضَلُ مِنَ الزّجاجِ؛ فَلذلكَ قالَ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ؛ لأنَّ اليَهودَ لَيسُوا بعضَ المَجوسِ وهُم بعضُ النّاسِ»[1]، انتهى.

[٤٣٧]

فيهِ: إنَّ ما قالَهُ هذا القائلُ مِنَ المثالِ وإن كانَ صَحيحًا إلَّا أنَّهُ لا يَصحُّ ذلكَ في الآيَةِ؛ لأنَّ الجميعَ مِنَ النّاسِ إلَّا أن يُرادَ بالنّاسِ جَمعٌ مَعهودونَ، وفيهِ بَعدُ شَيءٌ.

ويَجوزُ أن يكونَ (ومِنَ الّذينَ اَشرَكُوا): خَبَرًا لِمُبتَدأٍ مَحذوفٍ مُؤخَّرٍ، وحينئذٍ تكونُ جملةُ: يَوَدُّ إلى آخِرِهِ: صِفَةً للمُبتدأِ المحذوفِ فَيكونُ لها مَحَلٌّ، والتّقديرُ: ومِنَ الّذينَ أشرَكُوا ناسٌ أو طائفَةٌ يَوَدُّ أحَدُهُم إلى آخِرِهِ فَحينئذٍ يكونُ تَمامُ الكلامِ عندَ قَولِهِ على حَياةٍ.

وأمَّا على الوَجهينِ الأوَّلَينِ، أعني: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ عَطفًا على النّاسِ، أو مُتَعلِّقًا بـ(أحرَصَ) آخَرَ مَحذوفًا، فَتكونُ جملةُ: (يَوَدُّ أحَدُهُم) إلى آخِرِهِ: حالًا مِن مَفعولِ (لَتَجِدَنَّ) فيكونُ لَها مَحَلٌّ أيضًا، أو استِئنافيّةً بيانيّةً جَوابًا لِسُؤالٍ مُقدَّرٍ فَلا مَحَلَّ لَها، و(لَو): مَصدريّةٌ مَعَ ما بَعدَها مفعولُ (يَوَدُّ)، و(ألفَ سَنَةٍ): ظرفٌ لِـ(يَوَدُّ)، أي: يَوَدُّ أحَدُهُم تعميرَهُ ألفَ سَنَةٍ، أو حَرفُ تَمَنٍّ.

وفي قَولِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ وجوهٌ:

أحدُها: أن يكونَ (هوَ) اسمَ (ما النّافية) راجعًا إلى أحَدِهِم الّذي جَرى ذِكرُهُ، و(بِمُزَحزِحِهِ): خَبرُ

---

[1] مجمع البيان: ١: ٣١٢.

(ما)، و(أن يُعَمَّرَ): في مَوضِعِ رفعٍ بأنَّهُ فاعلُ مُزَحزِحِهِ، والتّقديرُ والمعنى: وما أحَدُهُم بِمُزَحزِحِهِ منَ العَذابِ تَعميرُهُ بهذا القَدْرِ أو أكثرَ، مثلَ: ما أحَدٌ بِمُعجِبٍ غُلامُهُ أو قِيامُهُ.

ثانيها: أن يكونَ (هوَ) راجعًا إلى التَّعميرِ المفهومِ مِن قَولِهِ (لَو يُعَمَّرُ ألفَ سَنَةٍ) كما أنَّهُ في قولِهِ تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[1] راجعٌ إلى العَدلِ المفهومِ مِن اعدِلُوا، فيكونُ أن يُعمَّرَ: بيانًا لَهُ، والتّقديرُ: وما تَعمِيرُهُ ألفَ سَنَةٍ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذابِ، فَحينئذٍ فاعلُ مُزَحزِحِهِ: مُستَتِرٌ فيهِ، فكَأَنَّهُ قيلَ: وما هوَ الّذي لَيسَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذابِ؟ فقيلَ: تَعميرُهُ.

ثالثُها: أن يكونَ (هوَ) ضَميرًا مُبهَمًا يُفسِّرُهُ قولُهُ: أن يُعَمَّرَ.

رابعُها: أن يكونَ (هوَ) ضميرَ شأنٍ مُبتدأً أوَّلَ، و(أن يُعَمَّرَ): في تأويلِ المَصدرِ: مُبتدأ ثانٍ، و(بِمُزَحزِحِهِ): خَبَرُ الثّاني، والجملةُ: خَبَرُ الأوَّلِ، وهذا الوَجهُ بعيدٌ باعتِبارِ العَربيّةِ، حَتَّى مَنَعَهُ الزّجّاجُ وقالَ: «لا يُجيزُ البَصريُّونَ: ما هوَ قائمًا زيدٌ، وما هوَ بِقائمٍ زيدٌ بمَعنى الأمرِ والشّأنِ»[2]، وقالَ غيرُهُ: إذا كانَت (ما) غيرَ عاملَةٍ في الباءِ جازَ، كَقولِهِم: ما بهذا بَأسٌ[3]، فيهِ: أنَّ مرادَ الزّجّاجِ أنَّ الإتيانَ بضَميرِ الشّأنِ في مثلِ هذا المقامِ لا يُجوِّزُهُ البَصريُّونَ سواءٌ كانَت (ما) عاملةً في الباءِ أو لَم تَكُنْ؛ لأنَّ لضَميرِ الشّأنِ شَأنًا عَظيمًا لَيسَ ذلكَ في مثلِ هذا المقامِ.

المعنى:

أخبَرَ سبحانُهُ عَن أحوالِ اليَهودِ وشِدَّةِ حِرصِهِم على الحياةِ والبَقاءِ في الدُّنيا وعَدَمِ تَمنِّيهِم الموتَ وكَونِهِم كاذِبينَ في ادِّعائِهِم بأنَّهُم أبناءُ اللهِ وأحبّاؤُهُ، وفي كَونِ الجَنَّةِ خالصةً لَهم تأكيدًا على التّأكيدِ بقَولِهِ تعالى: **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾**، أي: وَلَتَعلَمَنَّ يا مُحَمَّدُ هؤلاءِ اليَهودِ قاطبةً عُلماءَهُم وعَوامَّهُم **﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾**، أي: حِرصَهُم على البَقاءِ في الدُّنيا أشَدَّ مِن حِرصِ سائرِ النّاسِ

---

(١) سورة المائدة ٥: ٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٧٩.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢: ٩٤٨، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٢: ٢٧٤.

لِيأسِهِم عَن رَوحِ اللهِ ونَعيمِ الآخِرةِ؛ لانهماكِهِم في الكُفرِ وعِلمِهِم بأنَّهُ لا حظَّ لَهُم معَ ما قَدَّمَت أيدِيهِم في شَيءٍ مِن نَعيمِ الجِنانِ، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنَ المجوسِ وغَيرِهِم من سائرِ المُشركينَ الّذينَ لا يَرونَ النَّعيمَ إلَّا في الدُّنيا ولا يَأملونَ خَيرًا في الآخرَةِ، بَل لا يَقولونَ بها، أي: حِرصُهُم على البَقاءِ في الدُّنيا أشَدُّ مِن حِرصِ الّذينَ أشرَكوا أيضًا معَ أنَّهُم لا يَعرفونَ إلَّا الحياةَ العاجِلَةَ والنّعمةَ الفانيَةَ، ولَم يُقِرُّوا بالجَزاءِ وهُم مُقِرّونَ بهِ، فَهُم[1] للمَوتِ أكرَهُ منهُم[2] فيَكونُ التَّوبيخُ عَليهِم أشَدَّ والتّقريعُ عَليهِم أفظَعَ فإنَّهُ لمَّا زادَ حِرصُهُم على البَقاءِ وهُم مُقِرُّونَ بالجَزاءِ على حِرصِ المُنكرينَ بهِ دَلَّ ذلكَ على عِلمِهِم بأنَّهُم صائِرونَ إلى النّارِ على عَكسِ ما ادَّعَوهُ بكَونِ الجَنَّةِ خالصَةً لَهُم، وتَنكيرُ (حياةٍ) للتَّعظيمِ أو النَّوعِيّةِ، أي: على حَياةٍ عَظيمةٍ وهيَ الحياةُ المتَطاولةُ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[3]، أي: نَوعٌ مِن أنواعِ الأغطِيَةِ وهوَ: غِطاءُ التّعامِي عَن آياتِ اللهِ، أو غِشاوَةٌ عَظيمَةٌ تَحجُبُ أبصارَهُم بالكُلِّيّةِ وتَحولُ بينَها وبَينَ الادراكِ، وكَقولِ حسّانُ في مَدحِهِ ﷺ:

لَهُ حاجِبٌ في كُلِّ أمرٍ يَشِينُهُ[4]		[وَليسَ لهُ عَن طالِبِ العُرفِ حاجِبُ]

أي: مانِعٌ عَظيمٌ في كُلِّ أمرٍ يَعيبُهُ ﷺ.		[٤٣٨]

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، أي: والحالُ أنَّهُ يَوَدُّ أحَدُهُم تَعميرَهُ ألفَ سَنَةٍ، أو مِنَ الّذينَ أشرَكُوا طائِفَةٌ منهُم أو ناسٌ منهُم يَوَدُّ أحَدُهُم تَعميرَهُ ألفَ سَنَةٍ، أو بيانٌ لِزيادَةِ حِرصِهِم على الحياةِ والبَقاءِ كَأنَّهُ قيلَ: وبِمَ يُعلَمُ كَونُ حِرصِهِم على البَقاءِ أشَدَّ منَ النّاسِ ومِنَ الّذينَ أشرَكُوا؟ فَقالَ تعالى في الجَوابِ: يَوَدُّ أحَدُهُم إلى آخِرهِ على ما مَرَّ في بَيانِ الإعرابِ، وإنَّما خُصَّ ألفَ سَنَةٍ؛ لأنَّها

---

(١) أي: اليهود.

(٢) أي: من المشركين.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧.

(٤) البيت من الطويل. وهو منسوب إلى ابن أبي السمط، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٥١، ومغني اللبيب: ٢: ٥٧٧، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١: ٢٥.

نِهايَةُ ما كانَتِ المجوسُ يَدعُو بعضُهُم لبَعضٍ وتُحَيَّى بهِ المُلوكُ، ويَقولونَ ألفَ مَهرَجان، وقالَ ابنُ عَبّاسٍ: «هوَ قَولُ أحَدِهِم لَمَن عَطَسَ: هزارسال بزي»[1]، انتهى.

فقولُهُ: لَو يُعَمَّرُ حِكايَةٌ لِودَادَتِهم، وكانَ القِياسُ لَو أُعَمَّرُ إلّا أنَّهُ أجرَى لَفظَ الغَيبةِ مُوافقًا لِقولِهِ يَودُّ كَقَولِكَ: حَلَفَ باللهِ لَيَفعَلَنَّ كَذا والقِياسُ لَأفعَلَنَّ، ﴿**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ**﴾، أي: ما أحَدُهُم بِمُنجيهِ ومُبعِدِهِ مِن عَذابِ الله تَعمِيرُهُ ألفَ سَنَةٍ أو أكثرَ؛ لأنَّهُ لابُدَّ للعُمُرِ الفَناءُ والزَّوالُ، أو ومَا تَعميرُهُ ألفَ سَنَةٍ بِمُبعِدِهِ ومُنجِيهِ مِنَ العَذابِ، أو ما الشّأنُ والأمرُ تَعميرُهُ ألفَ سَنَةٍ بِمُنجِيهِ ومُبعِدِهِ مِنَ العَذابِ، أو الشّيءُ الّذي لَيسَ بِمُنجِيهِ مِن عَذابِ الله هوَ تَعميرُهُ ألفَ سَنَةٍ على ما مَرَّ في ذِكرِ الإعرابِ.

﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾، أي: عَليمٌ بأعمالِهِم أو بالّتي عَمِلُوها مِنَ المعاصِي والقَبائِحِ لا يَخفَى عليهِ شَيءٌ منها، بَل هوَ مُحيطٌ بجَميعِها فَيُجازِيهِم بها ويُذِيقُهُم بها العَذابَ الأليمَ، وذُكِرَ بصُورةِ المُضارِعِ؛ لاستِحضارِ صُورةِ أعمالِهِم القَبيحَةِ كَما مَرَّ مِرارًا.

وقالَ في المجمَعِ: «وفي هذهِ الآيَةِ دَلالَةٌ على أنَّ الحِرصَ على طُولِ البَقاءِ لِطَلَبِ الدُّنيا ونَحوِهِ مَذمومٌ، وإنَّما المحمودُ طَلَبُ البَقاءِ للازدِيادِ في الطّاعَةِ، وتَلافِي الفائِتِ بالتَّوبَةِ والإنابَةِ، ورَدِّ مَظالِمِ العِبادِ، ودَركِ السّعادَةِ بالإخلاصِ في العِبادَةِ»[2]، وإلى هذا المَعنى أشارَ أميرُ المؤمِنينَ عليه السلام في قَولِهِ: «بَقِيَّةُ عُمُرِ المُؤمِنِ لا قيمَةَ لَهُ يُدرِكُ بها ما فاتَ، ويُحيِي بها ما أماتَ»[3]، انتهى.

(١) مجمع البيان: ١: ٣١٣، وتعني: تعشْ ألفَ سنةٍ.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣١٣.

(٣) الدعوات: ١٢٢، حديث رقم: ٢٩٨، واثنا عشر رسالة: ٨: ٣١.

وقولُهُ تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) ﴾ آيتانِ:

القراءَةُ:

في جَبرَئيلَ ثَماني لُغاتٍ: أربَعٌ منها مَشهورَةٌ قُرِئَ بِهِنَّ(١):

أحَدُها: جَبرَئيل مثلَ سَلسَبيل وعَندَليب، وهيَ قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيُّ وأبي بَكرٍ.

وثانيتُها: جَبْرِيل بفَتحِ الجيمِ وسُكونِ الباءِ وكَسرِ الرّاءِ مِن غَيرِ هَمزٍ، وهيَ قِراءةُ عبدِ الله بنِ كَثيرٍ.

ثالثتُها: جَبْرَئِل بفتحِ الجيمِ وفَتحِ الرّاءِ وحَذفِ الياءِ بعدَ الهمزةِ المَكسورَةِ على وَزنِ جَحْمَرِشٍ، وهيَ قِراءةُ عاصمٍ على رِوايةِ أبي بكرٍ.

رابعَتُها: جِبْرِيْل بكَسرِ الجيمِ وكَسرِ الرّاءِ بعدَها ياءٌ ساكنَةٌ على وَزنِ قِنْدِيْلٍ.

وهذهِ اللّغاتُ الأربعُ مَشهورَةٌ، وأربَعٌ أُخَرُ شَواذٌّ(٢):

خامستُها: جِبْرالّ بكَسرِ الجيمِ وتَشديدِ اللّامِ كَقِرْطاسٍ وقِنْطارٍ.

سادسَتُها: جِبرائيل كإسماعِيل.

سابعَتُها: جِبْرائِل بالألفِ معَ حَذفِ الياءِ بعدَ الهمزةِ.

ثامِنتُها: جِبْرائِن بإبدالِ النّونِ منَ اللّامِ.

---

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٥، وغيث النفع في القراءات السبع: ١: ٨٤، ٨٥، والسبعة في القراءات: ١: ١٦٦، ١٦٧، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٦٤، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٤. والقراءة الرابعة مرويّة عن نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص، وهي قراءة أهلِ الحجاز.

(٢) ينظر: الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٦٣، ١٦٤، وجامع البيان في القراءات السبع: ٢: ٨٧٩، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ٨٨. والقراءة الخامسة جاءت في رواية ابن محيصن، والسابعة في رواية يحيى الجعفي عن أبي بكر، كما قرأ بها ابن عبّاس، وأورد القراءة الثامنة الآلوسي في تفسيره روح المعاني: ١: ٣٣٢.

وفي مِيكالَ خَمسُ لُغاتٍ[1]:

أحَدُها: مِيكائِل بِهَمزٍ مَكسورٍ بعدَ الألفِ على وَزنِ مِيكاعِل، وهيَ قِراءةُ نافعٍ وسائرِ أهلِ المدينَةِ.

ثانِيَتُها: مِيكال بِلا هَمزٍ ولا ياءٍ كَمِيعادٍ وقِنْطارٍ، وهيَ قِراءةُ أبي عَمرٍو ويَعقوبَ وعاصِمٍ بِروايةِ حَفصٍ وسائرِ أهلِ البَصرةِ.

ثالِثَتُها: مِيكائِيْل بياءٍ ساكنَةٍ بعدَ همزَةٍ مَكسورَةٍ بعدَ ألفٍ على وَزنِ مِيكاعِيل، وهيَ قراءةُ الباقينَ.

رابعَتُها: مِيْكَئِل بحَذفِ الألفِ معَ همزةٍ مَكسورَةٍ من غَيرِ ياءٍ.

خامسَتُها: مِيْكَئِيل بحَذفِ الألفِ معَ همزةٍ مَكسورَةٍ بعدَها ياءٌ ساكنَةٌ، وقُرِئَ بِهِا أيضًا.

ومُنِعَ صَرفُ جَبرئِيلَ ومِيكالَ في جميعِ اللّغاتِ للعُجمَةِ والعلمِيَّةِ معَ الزّيادَةِ على الثّلاثَةِ.

اللغة:

جَبرئيل ومِيكائيل: اسمانِ أعَجميّان عُرِّبا، وقيلَ: جَبْرُ في اللّغةِ السّريانيَّةِ والعِبرانيَّةِ بمَعنى: العَبدِ، وإيل هوَ: اللهُ، ومِيك بمَعنى: عُبَيدٍ فمَعنى جَبرئيل ومِيكائيل: عَبدُ الله، وعُبَيدُ الله، كَما مَرَّ في إسرائيلَ في قَولِهِ تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[2]، الآيةِ.

اعتِراضُ أبي عَليٍّ الفارسيّ:

وقالَ أبو عَليٍّ الفارسِيّ: «هذا لا يَستَقيمُ مِن وَجهَينِ:

أحَدُهُما: إنَّ إيل: لا يُعرَفُ مِن أسماءِ الله في اللّغةِ العَربيّةِ.

والآخَرُ: إنَّهُ لَو كانَ كذلكَ لَكانَ آخِرُ الاسمِ مَجرورًا أبدًا كَقولِهم: عَبدُ الله»[3]، انتهى. [٤٣٩]

(١) ينظر: الحجّة في القراءات السبع: ١: ٨٦، وغيث النفع في القراءات السبع: ١: ٨٥، والسّبعة في القراءات: ١: ١٦٦، ١٦٧، والاقناع في القراءات السبع: ١: ٣٠٠، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١: ٩٧. والقراءة الرابعة أوردها ابن هرمز الأعرج وابن محيصن، والخامسة قراءة ابن عامر.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٦٩.

مناقشةٌ على أبي عَليٍّ:

فيهِ: أنَّهُ يُمكنُ أن يكونَ تَركيبُ جَبرئيل وميكائيل مثلَ تَركيبِ مَعدِي كَربٍ، وبَعَلبَكَ، لا مثلَ عَبدِ الله، وأن يكونَ إيل مِنَ الإيالَةِ[1].

وقالَ ابنُ الأثيرِ في نِهايَتِهِ: (وفيهِ ذكرُ جَبرئيلَ وميكائيلَ، قيلَ: هُما جَبْرُ ومِيكا أُضِيفا إلى إيلٍ وهوَ: اسمُ الله تعالى، وقيلَ: هوَ الرّبوبيَّةِ)[2]، انتهى. ومنهُ: إيليا، وفي القاموسِ: (إيلٌ بالكَسرِ: اسمُ الله تعالى)[3] انتهى.

والبُشرى والبَشارَةُ: الخَبَرُ السّارُّ أوَّلُ ما يَرِدُ فَيَظهَرُ ذلكَ في بَشرةِ الوَجهِ، وقَد مَرَّ تَحقيقُهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[4] الآية.

الإعراب:

(مَن): شَرطيَّةٌ: مُبتدَأٌ، واسمُ كانَ: ضَميرٌ مُستترٌ فيهِ راجعٌ إلى (مَن)، و(عَدوًّا) خَبَرُهُ، و(لجبرَئيلَ) مُتعلِّقٌ بـ(عدوٍّ)، والجملةُ: شَرطٌ، وجَوابُهُ محذوفٌ، تَقديرُهُ: مَن كانَ عَدوًّا لِجَبرَئيلَ فَليَمُت غَيظًا، و(الفاءُ) في (فَإنَّهُ): للتَّعليلِ، ولَيسَت بجَزائيَّةٍ، نظيرُ ذلكَ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾[5]، أي: وإن كَذَّبُوكَ فاصبِر ولا تَحزَن فإنَّهُ قد كُذِّبَت رُسُلٌ مِن قَبلِكَ فَصبَروا على ما كُذِّبُوا، والجملةُ الجَزائيَّةُ: خَبَرُ المبتدَأِ، والمجموعُ: مَقولُ قُل، قَولُهُ: فَإنَّهُ نَزَّلَهُ.

جملةُ (نَزَّلَهُ): خَبَرُ إنَّ، و(الهاءُ) في قولِهِ: (فَإنَّهُ) عائدٌ إلى جَبرئيلَ، وفي (نَزَّلَهُ): عائدٌ إلى القرآنِ وإن لَم يَجرِ لَهُ ذِكرٌ؛ لِتَعيُّنِهِ وفَرطِ شُهرَتِهِ وتَعظيمِ شَأنِهِ، فَلَم يَحتجْ إلى سَبقِ ذِكرِهِ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ

(١) وهي: السّياسة. لسان العرب: ١١: ٣٤، (أول).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٨٥.

(٣) القاموس المحيط: ٣: ٣٣٢.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٥.

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٨٤.

يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[1]، وفي مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾[2]، أي: الأرضِ، و(على قَلبِكَ) و(بإذنِ الله): مُتَعلِّقانِ بـ(نَزَّلَهُ)، أو (بإذنِ الله): حالٌ مِن فاعلِ (نَزَّلَ)، و(مُصَدِّقًا): حالٌ مِنَ (الهاءِ) في (نَزَّلَهُ) وهوَ: ضَميرُ القرآنِ كَما مَرَّ، وكَذا (هُدًى وبُشرَى): حالانِ منهُ، و(للمُؤمِنينَ): مُتَعلِّقٌ بكُلِّ واحدٍ مِن (هُدًى وبُشرى)، والباقِي: واضِحٌ بما مَرَّ.

النُّزول:

في المجمَعِ: «عَن ابنِ عَبّاس قالَ: كانَ سَبَبُ نزولِ هذهِ الآيةِ ما رُوِيَ أنَّ ابنَ صُورِيا وجَماعةً مِن يَهودِ أهلِ فَدَك لمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ سَأَلُوهُ، فَقالُوا: يا مُحَمَّدُ كيفَ نَومُكَ؟ فَقَد أُخبِرنا عَن نَومِ النَّبيِّ الّذي يَأتي في آخِرِ الزّمانِ، فقالَ: تَنامُ عَينايَ وقَلبِي يَقظان، قالوا: صَدَقتَ يا مُحَمَّدُ، فَأخبِرنا عَنِ الوَلَدِ يكونُ مِنَ الرّجُلِ أو مِنَ المرأةِ؟ فَقالَ: أمَّا العظامُ والعَصَبُ والعُرُوقُ فَمِنَ الرّجُلِ، وأمَّا اللّحمُ والدَّمُ والظُّفُرُ والشَّعَرُ فَمِنَ المرأةِ، قالُوا: صَدَقتَ يا مُحَمَّدُ، قالُوا: فَما بالُ الوَلَدِ يَشْبَهُ أَعمامَهُ لَيسَ فيهِ مِن شَبَهِ أَخوالِهِ شَيءٌ؟ أو يَشبَهُ أَخوالَهُ ليسَ فيهِ مِن شَبَهِ أَعمامِهِ شَيءٌ؟ فقالَ: أيُّهما عَلا ماؤُهُ كانَ الشَّبَهُ لهُ، قالُوا: صَدَقتَ يا مُحَمَّدُ، قالُوا: فَأَخبِرنا عَن رَبِّكَ ما هوَ؟ فَأنزَلَ اللهُ سبحانهُ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[3] السُّورةُ، فقالَ لهُ ابنُ صُوريا: خصلَةٌ واحدَةٌ إن قُلتَها آمَنتُ بكَ واتَّبَعتُكَ، أيُّ مَلَكٍ يَأتيكَ بِما يُنزِلُ اللهُ عَليكَ؟ قالَ: فقالَ جَبرئيلُ، قالَ: ذاكَ عَدُوُّنا يَنزِلُ بالقِتالِ والشِّدَّةِ والحَربِ، ومِيكائيلُ ينزِلُ باليُسرِ والرّخاءِ، فَلَو كانَ مِيكائيلُ هوَ الّذي يَأتيكَ لآمَنَّا بكَ»[4]، انتهى.

وقالَ البَيضاوي: «نَزَلَ في عَبدِ الله بنِ صُورِيا سَأَلَ رسولَ الله ﷺ عَمَّن يَنزِلُ عليهِ بالوحي؟ فقالَ: جبرئيلُ، فقالَ: ذاكَ عَدوُّنا، عادانا مِرارًا وأَشَدُّها أنَّهُ أُنزِلَ على نَبيِّنا أنَّ بيتَ المَقدِسِ سَيُخَرِّبَهُ

(١) سورة النحل ١٦: ٦١.

(٢) سورة فاطر ٣٥: ٤٥.

(٣) سورة الإخلاص ١١٢: ١.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣١٥.

بُختَ نَصَّر فبَعَثنا مَن يَقتُلُهُ فَرَآهُ ببابِلَ فَدَفَعَ عنهُ جبرئيلُ، وقالَ: إن كانَ ربُّكم أَمَرَهُ بِهلاكِكُم فَلا يُسَلِّطكُم اللهُ عليهِ وإلَّا فَبِمَ تَقتُلونَهُ؟.

وقيلَ: دَخَلَ عُمَرُ مدارسَ اليَهودِ يومًا فَسَأَلهُم عَن جَبرئيلَ؟ فقالوا: ذاكَ عَدُوُّنا يُطلِعُ مُحَمَّدًا على أَسرارِنا، وأَنَّهُ صاحِبُ خَسفٍ وعَذابٍ، ومِيكائيلُ صاحِبُ الخِصبِ والسّلامِ، فقالَ: وما مَنزِلَتُهما منَ اللهِ؟ قالُوا: جَبرئيلَ عَن يَمينِهِ ومِيكائيلَ عَن يَسارِهِ وبَينَهُما عَداوَةٌ، فقالَ: لَئِن كانا كَما تَقولونَ فَلَيسا بعَدوّينِ ولَأنتُم أكفَرُ منَ الحَميرِ، ومَن كانَ عَدوَّ أحدِهِما فَهوَ عَدوُّ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ فَوَجدَ جَبرئيلَ قَد سَبَقَهُ بالوَحيِ، فقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: لَقَد وَافَقَكَ رَبُّكَ يا عُمَرُ[1]، انتَهى كَلامُ البَيضاوي، ولِتَنظرْ فيهِ نَظَرَ الاعتِبارِ. [٤٤٠]

وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: (أنَّها نَزَلَت في اليَهودِ الّذينَ قالوا لِرسُولِ الله ﷺ لَو كانَ المَلَكُ الّذي يَأتيكَ مِيكائيلَ لَآمَنَّا بك، فَإنَّهُ مَلَكُ الرّحمةِ وهوَ صَديقُنا، وجَبرئيلُ مَلَكُ العَذابِ وهوَ عَدُوُّنا)[2].

وفي تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام: «إنَّ اللهَ تعالى ذَمَّ اليَهودَ في بُغضِهِم لجبرئيلَ الّذي كانَ ينفذُ قَضاءَ الله تعالى فيهِم فيما يَكرهونَ كَدَفعِهِ عَن بُخْتَ نَصَّرَ أن يَقتُلَهُ دانيالُ مِن غَيرِ ذَنبٍ جَناهُ بُخْتَ نَصَّر حَتَّى بَلَغَ كِتابُ اللهِ في اليَهودِ أَجَلَهُ وحَلَّ بِهِم ما جَرى في سابِقِ عِلمِهِ، وَذَمَّهُم أيضًا وذَمَّ النَّواصِبَ في بُغضِهِم لجَبرئيلَ ومِيكائيلَ ومَلائكةِ اللهِ النّازلينَ؛ لِتَأييدِ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام عَلى الكافِرينَ حَتَّى أذَلَّهُم بسَيفِهِ الصّارِمِ»[3]، و«ذلكَ قَولُ مَن قالَ مِنَ النّواصِبِ لَمَّا قالَ النَّبيُّ ﷺ في عَليٍّ عليه السلام: جبرئيلُ عَن يَمينهِ ومِيكائيلُ عَن يَسارِهِ وإسرافيلُ مِن خَلفِهِ ومَلَكُ الموتِ أمامَهُ واللهُ تعالى مِن فَوقِ عَرشِهِ ناظِرٌ بالرّضوانِ إليهِ ناصِرُهُ، قالَ بعضُ النَّواصِبِ: أنا أبرأُ مِنَ اللهِ ومِن جَبرئيلَ ومِيكائيلَ والملائِكَةِ الّذينَ حالُهُم معَ عَليٍّ ما قالَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فقالَ اللهُ تعالى: مَن كانَ عَدُوًّا لِهؤلاءِ تَعَصُّبًا على عَليٍّ فَإنَّ

(١) تفسير البيضاوي: ١: ٩٥، ٩٦.

(٢) ينظر: تفسير القمّي: ١: ٥٤.

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٤٤٨.

اللهَ يَفعلُ بهِم ما يَفعَلُ بالعَدُوِّ»(١).

وفيهِ وفي الاحتِجاجِ: قالَ أبو مُحمَّدٍ عليه السلام: «قالَ جابرُ بنُ عبدِ الله: لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله المدينَةَ أتوهُ بعَبدِ الله بنِ صُورِيا غُلامٌ أعورٌ يَهودِيّ تَزعُمُ اليَهودُ أنَّهُ أعلَمُ يَهوديٍّ بكِتابِ الله وعُلُومِ أنبيائِهِ، فَسَألَهُ عَن أشياءَ فَأجابَهُ عَنها رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بما لَم يَجِدْ إلى إنكارِ شَيءٍ منهُ سَبيلًا، إلى أن قالَ: بَقِيَت خصلَةٌ إن قُلتَها آمَنتُ بكَ واتَّبعتُكَ، أيُّ مَلَكٍ يَأتيكَ بِما تَقولُهُ عَنِ الله تعالى؟ قالَ: جَبرَئيلُ، قالَ ابنُ صُورِيا: ذاكَ عَدُوُّنا مِن بَينِ الملائِكَةِ يَنزِلُ بالقَتلِ والشِّدَّةِ والحَربِ، ورَسُولُنا مِيكائيلُ يَأتي بالسُّرورِ والرَّخاءِ، فَلو كانَ مِيكائيلُ هوَ الّذي يَأتيكَ آمَنَّا بِكَ، ومِيكائيلُ كانَ يَشُدُّ مَلِكَنا، وجَبرئيلُ كانَ يُهلِكُ مَلِكنا فهوَ عَدُوُّنا، قالَ: فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: وَيحَكَ أَجَهِلتَ أمرَ الله تعالى؟ وما ذَنبُ جَبرئيلَ إن أطاعَ اللهَ فيما يُريدُ بِكُم؟ أَرَأَيتُم الآباءَ والأُمَّهاتِ إذا أَوْجَرُوا(٢) الأولادَ الدَّواءَ الكَريهَ لِمصالحِهِم يَجِبُ أن يَتَّخِذَهُم أولادُهُم أعداءً مِن أجلِ ذلكَ؟ لا، ولَكنَّكُم باللهِ جاهِلونَ وعَن حُكمِهِ غافِلونَ، أشهَدُ أنَّ جَبرئيلَ ومِيكائيلَ بأمرِ الله عامِلانِ ولَهُ مُطيعانِ، وأنَّهُ لا يُعادى أحَدُهُما إلّا مَن عادَى الآخَرَ، وأنَّهُ مَن زَعِمَ أنَّهُ يُحِبُ أحدَهُما ويُبغِضُ الآخَرَ فَقَد كَذَبَ، وكَذلكَ مُحَمَّدٌ رسُولُ الله وعَليٌّ أخَوانِ، فَمَن أحَبَّهُما فَهوَ مِن أولياءِ الله، ومَن أبغَضَهُما فَهوَ مِن أعداءِ الله، ومَن أبغَضَ أحَدَهُما وزَعِمَ أنَّهُ يَحِبُ الآخَرَ فَقَد كَذَبَ وهُما منهُ بَريئانِ، واللهُ تعالى ومَلائِكَتُهُ وخِيارُ خَلقِهِ منهُ بُراءٌ»(٣).

قالَ الإمامُ عليه السلام: «فقالَ لهُ سَلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه: فَما بَدءُ عَداوَتِهِ لَكُم؟ قالَ: نَعم يا سَلمانُ عادانا مِرارًا كَثيرةً، وكانَ مِن أشَدِّ ذلكَ عَلينا أنَّ اللهَ أنزَلَ عَلى أنبيائِهِ: أنَّ بيتَ المَقدِسِ يُخَرَّبُ على يَدِ رَجُلٍ يقالُ لهُ بُخْتَ نَصَّر وفي زَمانِهِ أخبَرَنا بالخَبَرِ الّذي يُخَرَّبُ بهِ، واللهُ يُحدِثُ الأمرَ بَعدَ الأمرِ فَيمحُو ما

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٤٥١.

(٢) اوجروا: الدّواء الذي يوضع في الفمِّ. ينظر: الصحاح: ٢: ٨٤٤، (وجر).

(٣) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٤٠٦، ٤٠٧، والاحتجاج: ١: ٤٦، ٤٧.

يشاءُ ويُثْبِتُ ما يَشاءُ، فَلَمّا بَلَغَنا ذلكَ الخَبَرُ الّذي يَكونُ فيهِ هَلاكُ بيتِ المَقدِسِ بَعَثَ أوائِلُنا رَجُلًا مِن أقوياءِ بَني إسرائيلَ وأفاضِلِهِم كانَ يُعدُّ من أنبيائِهِم يقالُ لهُ دانيال في طَلَبِ بُخْتَ نَصَّر لِيَقتُلَهُ، فَحملَ مَعهُ وِقرَةَ مالٍ(١) لِيُنْفِقَهُ في ذلكَ، فَلَمّا انطَلَقَ في طَلَبِهِ لَقِيَهُ بِبابلَ غُلامًا ضَعيفًا مِسكينًا ليسَ لهُ قُوَّةٌ ولا مِنعَةٌ فَأَخذَهُ صاحِبُنا لِيَقتُلَهُ فَدَفَعَ عنهُ جبرئيلَ، وقالَ لِصاحِبِنا: إن كانَ ربُّكُم هوَ الّذي أمَرَ بهلاكِكم فَإنَّهُ لا يُسَلِّطُكَ عليهِ، وإن لَم يكنْ هذا فَعلى أيِّ شَيءٍ تَقتُلَهُ؟ فَصَدَّقَهُ صاحِبُنا وتَرَكَهُ ورَجَعَ إلينا فَأخبَرَنا بذلكَ، وقَوِيَ بُخْتَ نَصَّر ومَلَكَ وغَزانا وخَرَّبَ بَيتَ المقدِسِ؛ فَلِهذا نَتَّخِذهُ عَدُوًّا، ومِيكائيلُ عَدُوٌّ لجبرئيلَ، فقالَ سلمانُ: يا ابنَ صُوريا بهذا العَقلِ المَسلوكِ بِهِ غَير سَبيلِهِ ضَلَلتُم، أَرَأَيتُم أَوائِلَكُم كَيفَ بَعَثُوا مَن يَقتُلَ بُخْتَ نَصَّر وقَد أخبَرَ اللهُ تعالى في كُتُبِهِ على ألسِنَةِ رُسُلِهِ أَنَّهُ يَملِكُ ويُخَرِّبُ بيتَ المقدِسِ، أرادُوا بذلكَ تَكذيبَ أنبياءِ الله تعالى في خَبَرِهِم واتَّهَمُوهُم في أخبارِهِم، أو صَدَّقُوهُم في الخَبَرِ عَنِ الله ومَعَ ذلكَ أرادُوا مُغالَبَةَ الله تعالى، هَل كانَ هؤلاء ومَن وَجَّهُوهُ إلّا كُفّارًا باللهِ، وأيَّ عَداوَةٍ يجوزُ أن يَعتَقِدَ لجبرئيلَ وهوَ يَصُدُّهُ عَن مُغالَبَةِ الله تعالى ويَنهَى عَن تَكذِيبِ خَبَرِ الله تعالى، فقالَ ابنُ صُورِيا: قَد كانَ اللهُ أخبَرَ بذلكَ عَلى ألسُنِ أنبيائِهِ، ولكنَّهُ يَمحُو ما يَشاءُ ويُثبِتُ، قالَ سَلمانُ: فَإذَن لا تَثِقُوا بِشَيءٍ مِمَّا في التَّوراةِ مِنَ الأخبارِ عَمّا مَضى وما يَستَأنفُ فَإنَّ اللهَ يَمحُو ما يَشاءُ ويُثبِتُ، وإذًا لَعَلَّ قَد كانَ عَزَلَ موسى وهارونَ عَنِ النُّبوَّةِ وأبطَلا في دَعوَتِهِما؛ لأنَّ اللهَ يَمحُو ما يَشاءُ ويُثبِتُ، أو لَعَلَّ كانَ ما أخبَراكُم أَنَّهُ يكونُ لا يَكونُ، وما أخبَراكُم أَنَّهُ لا يكونُ يَكونُ، وكَذلكَ ما أخبَراكُم عَمّا كانَ لَعَلَّهُ لَم يكُنْ، وما أخبَراكُم أَنَّهُ لَم يكُنْ لَعَلَّهُ كانَ، ولَعَلَّ ما وَعَدَهُ منَ الثّوابِ يَمحُوهُ، ولَعَلَّ ما تَوَعَّدَ بهِ مِنَ العِقابِ يَمحُوهُ، فَإنَّهُ يَمحُو ما يَشاءُ ويُثبِتُ، وأنَّكُم جَهِلتُم مَعنى يَمحُو ما يَشاءُ ويُثبِتُ؛ فَلذلكَ أنتُم باللهِ كافِرونَ ولإخبارِهِ عَنِ

(١) وِقرةُ مالٍ: أي: حملُ مالٍ. الصحاح: ٢: ٨٤٨، (وقر).

الغُيوبِ مُكذِّبونَ وعَن دِينِ الله مُنسَلِخونَ، ثمَّ قالَ سلمانُ: فَإنِّي اشهَدُ أنَّ مَن كانَ عَدُوًّا لجبرئيلَ فَإنَّهُ عَدُوٌّ لمِيكائيلَ، وَإنَّهما جميعًا عَدُوَّانِ لِمَن عاداهُما، وسِلمانِ لِمَن سَالَمَهما، فَأنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عندَ ذلكَ مُوافِقًا لِقَولِ سَلمانَ ﵀: **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾** في مُظاهَرتِهِ لِأولياءِ الله على أعداءِ الله، ونُزولِهِ بِفَضائلِ عَليٍّ وَليِّ الله مِن عندِ الله **﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾** فإنَّ جَبرئيلَ نزَّلَ هذا القرآنَ **﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾** بِأمرِهِ **﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** مِن سائرِ كُتُبِ الله **﴿وَهُدًى﴾** مِنَ الضّلالَةِ **﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** بِنُبُوَّةِ مُحمَّدٍ وولايَةِ عَليٍّ ومَن بَعدَهُما مِنَ الأئِمَّةِ فَإنَّهُم أولياءُ الله إذا ماتُوا على مُوالاتِهِم لِمُحمَّدٍ وعَليٍّ وآلهِما الطَّيِّبينَ»[1]، والحديثُ طَويلٌ أخَذنا منهُ مَوضِعَ الحاجَةِ.

وفي الاحتِجاجِ: قالَ أبو مُحمَّدٍ ﵇: «أمَّا ما كانَ مِنَ النُّصّابِ فَهوَ أنَّ رسولَ الله لَمَا كانَ لا يَزالُ يَقولُ في عَليٍّ الفَضائلَ الّتي خَصَّهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بها، والشَّرفَ الّذي أهَلَهُ الله تعالى لَهُ، وكانَ في كُلِّ ذلكَ يقولُ: أخبَرَني جَبرئيلُ عَنِ الله تعالى، ويَقولُ في بعضِ ذلكَ: جَبرئيلُ عَن يَمينِهِ وميكائيلُ عَن يَسارِهِ، يَفتَخرُ جَبرئيلُ على مِيكائيلَ في أنَّهُ عَن يَمينِ عَليٍّ ﵇ الّذي هو أفضَلُ مِنَ اليَسارِ، كَما يَفتَخِرُ نَديمُ مَلِكٍ عَظيمٍ في الدُّنيا يُجلِسُهُ المَلِكُ عَن يَمينِهِ على النَّديمِ الآخَرِ الّذي يُجلِسُهُ عَن يَسارِهِ، ويَفتَخرانِ على إسرافيلَ الّذي خَلْفَهُ بالخِدمَةِ، ومَلَكُ الموتِ الّذي أمامَهُ بالخِدمَةِ، وأنَّ اليَمينَ والشِّمالَ أشرَفَ من ذلكَ، كَافتِخارِ حاشِيَةِ المَلِكِ على زيادَةِ قُربِ مَحلِّهِم مِن مَلِكِهِم.

وكانَ رسُولُ الله ﷺ يقولُ في بعضِ أحاديثِهِ: إنَّ الملائكَةَ أشرَفُها عندَ الله أشَدُّها لِعَليِّ بنِ أبي طالِبٍ حُبًّا، والّذي شَرَّفَ عَليًّا على جَميعِ الوَرَى بعدَ مُحمَّدٍ المصطفى ﷺ، ويقولُ مَرَّةً: إنَّ ملائكَةَ السّماواتِ والحُجُبِ لَيَشتاقونَ إلى رُؤيَةِ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ كَما تَشتاقُ الوالدَةُ الشَّفيقَةُ إلى وَلَدِها البارِّ الشَّفيقِ، فكانَ هؤلاءِ النُّصّابُ يَقولونَ: إلى مَتَى يَقولُ مُحَمَّدٌ: جَبرئيلَ ومِيكائيلَ والملائكَةَ كُلُّ ذلكَ تَفخيمٌ لِعَليٍّ وتَعظيمٌ لِشَأنِهِ؟ ويقولُ اللهُ تعالى لِعَليِّ بنِ أبي طالِبٍ خاصّ مِن سائرِ الخَلائِقِ، بَرِئنا مِن

(١) تفسير الإمام العسكريّ ﵇: ٤٥٣ ـ ٤٥٦، والاحتجاج: ١: ٤٩، ٥٠.

رَبٍّ ومِن ملائكَةٍ ومِن جَبرئيلَ ومِن مِيكائيلَ هُم لِعَليٍّ بعدَ مُحمَّدٍ مُفضّلونَ وَبَرئنا مِن رُسُلِ اللهِ الّذينَ هُم لِعَليٍّ بعدَ مُحمَّدٍ يُفضِّلونَ»[1] الحديث.

المعنى:

أنزَلَ اللهُ هاتَينِ الآيتينِ جَوابًا لليَهودِ مِن بَني إسرائيلَ والنُّصّابِ والمُنافقينَ مِن هذهِ الأُمَّةِ، وَرَدًّا على جَميعِهِم، فقالَ: ﴿**قُلْ**﴾ يا مُحمَّدُ لَهُم ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾ مِن جِهَةِ أَنَّهُ كانَ هوَ المُنزِلَ عليكَ الكتابَ وفَضائِلَ وَصِيِّكَ فَليَمُت غَيظًا وَليَمدُد بِسَببٍ إلى السَّماءِ ثُمَّ لِيَقْطَع فَلينظُر هَل يُذهِبَنَّ كَيدُهُ ما يَغيظُ ﴿**فَإِنَّهُ**﴾، أي: فَإنَّ جَبرئيلَ إنَّما ﴿**نَزَّلَهُ**﴾، أي: هذا القُرآنَ وهذهِ الفَضائلَ ﴿**عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾، أي: بأمرِهِ لا مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، وإنَّما ذَكَرَ القَلبَ؛ لأنَّهُ إذا نَزَّلَهُ عَليهِ ﷺ كانَ يَحفَظُهُ ويَفهَمُهُ بقَلبِهِ، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[2]، أي: نازِلًا عَلى قَلبِكَ، أي: حِفظِكَ وفَهمِكَ إيَّاهُ، وأثبَتَهُ في قَلبِكَ إثباتَ ما لا يُنسَى كَقولِهِ تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[3]، وإنَّما قالَ على قَلبِكَ ولَم يَقُل على قَلبِهِ أو قَلبِي جَريًا على نَهجِ العُرفِ المألوفِ كَما تقولُ لِمَن تُخاطِبُهُ: لا تَقُل للقَومِ إنَّ الخَبَرَ عِندَكَ، معَ أنَّهُ يَجوزُ أن تقولَ لَهُ: لا تَقُل لَهُم الخَبَرَ عِندِي، حالَ كَونِ هذا القُرآنَ ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ مِن سائِرِ كُتُبِ اللهِ مُوافِقًا لَها، ومِن أنَّها كُلَّها حَقٌّ مِن عِندِ اللهِ وحالَ كَونِهِ ﴿**هُدًى**﴾ مِنَ الضّلالَةِ إلى ثَوابِ اللهِ ودُخُولِ الجِنانِ وَحالَ كَونِهِ ﴿**بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ بالثَّوابِ الدّائِمِ لَهُم، وبِنزولِ الأمرِ بالحَربِ والشِّدَّةِ والعِقابِ على الكافِرينَ، وإنَّما خَصَّ الهُدى والبُشرى بالمُؤمِنينَ مِن حَيثُ كانوا هُم المُهتَدينَ المُنتَفعينَ بِهِ وإن كانَ هُدًى وبُشرى لِغَيرِهِم أيضًا إذا أطاعُوهُ، وقولُهُ تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ**﴾، أي: مَن كانَ مُعادِيًا للهِ، أي: يَفعَلُ فِعلَ المُعادِي مِنَ المُخالَفَةِ والعِصيانِ، فَإنَّ حَقيقَةَ العَداوَةِ طَلَبُ الاضرارِ بِهِ وهذا

(١) الاحتجاج: ١: ٤٧، ٤٨.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ١٩٣، ١٩٤.

(٣) سورة الأعلى ٨٧: ٦.

يَستَحيلُ على الله تعالى؛ ولِذا قيلَ: المُرادُ بهِ مُعاداةَ أوليائِهِ ومُعادِيًا لملائكَتِهِ ورُسُلِهِ، ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ هذا مِن قَبيلِ ذِكرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ تَنبيهًا على فَضِيلتَهُما ومَنزِلَتَهُما كَقولِهِ تعالى: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(١)، وقولِهِ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾(٢)؛ للتَّنبيهِ على مَزيَّةِ الخاصِّ على العامِّ حَتَّى لَيسَ مِن جِنسِ العامِّ؛ وتَنزيلًا للتّغايرِ في الوَصفِ مَنزِلَةَ التّغايُرِ في الذّاتِ، فَإنَّهُ لمَّا امتازَ عَن سائرِ أفرادِ العامِّ بِما لَهُ مِنَ الأوصافِ الشَّريفَةِ جُعِلَ كَأنَّهُ شَيءٌ آخَرُ مُغاير للعامِّ لا يَشملُهُ ولا يُعرَفُ حُكمُهُ منهُ، وعلى أنَّ مُعاداةَ الواحِدِ والكُلِّ سَواءٌ في الكُفرِ واستِجلابِ العَداوَةِ مِنَ الله سبحانه، وعلى أنَّ مَن عادَى أحَدَهُم فَكَأنَّهُ عادَى الجَميعَ إذ المُوجِبُ لِمَحبَّتِهِم وعَداوَتِهِم على الحَقيقةِ واحِدٌ؛ ولأنَّ المحاجَّةَ كانَت فيهِما ولِذا أعادَ ذِكرَهُما؛ لأنَّ اليَهودَ قالَت: جَبرئيلُ عَدُوُّنا ومِيكائيلُ وَلِيُّنا فَخَصَّهُما اللهُ تعالى بالذِّكرِ فَكانَ ذِكرُهُما أهمَّ لِبُطلانِ زَعمِهِم أنَّهُما لَيسا بداخِلَينِ في جُملةِ الملائِكَةِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، والظّاهِرُ أن يقولَ: فَإنَّ اللهَ عَدُوٌّ لَهُ أو لَهُم، فَوَضَعَ الظّاهرَ مَوضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على أنَّ مُعاداةَ الله إيَّاهُم لِكُفرِهِم، وأنَّ عَداوَةَ الملائكَةِ والرُّسُلِ كُفرٌ، وإنَّما لَم يقلْ: فَإنَّهُ عَدُوٌّ للكافِرينَ لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ أنَّ الضَّميرَ راجِعٌ إلى جَبرئيلَ أو مِيكائيلَ.

وقالَ في المجمَعِ: «وَقَد طَعَنَ بعضُ المُلحِدَةِ في هذا، فقالَ: كيفَ يَجوزُ أن يَقولَ عاقلٌ: أنا عَدُوٌّ لجَبرئيلَ؟ والجوابُ لَيسَ هذا القَولُ مِنَ اليَهودِ بِمُستَنكَرٍ ولا عَجَبٍ مَعَ ما أخبَرَ اللهُ تعالى عَن قَولِهِم بَعدَ مُشاهَدَتِهِم فَلَقَ البَحرِ والآياتِ الخارِقَةِ للعادَةِ: اجعَل لَنا إلهًا كَما لَهُم آلهَةٌ، وقولِهِم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾(٣) وعَبادَتِهِم العِجلَ وغَيرِ ذلكَ مِن جَهالاتِهِم»(٤)، انتهى.

---

(١) سورة الرحمن ٥٥: ٦٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

(٣) سورة النساء ٤: ١٥٣.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣١٦.

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)﴾ آيتانِ:

القراءة:

قُرِئَ: أَوْ كُلَّما بسُكونِ الواوِ[١] بمَعنى: بَل، وقُرِئَ: عَهِدُوا وعُوهِدُوا[٢].

اللغة:

الآيةُ: العَلامةُ الّتي فيها عِبرةٌ وحُجّةٌ، والآيةُ مِن كِتابِ الله: جَماعَةُ حُروفٍ وكَلماتٍ فيها عِبرَةٌ وحُجَّةٌ، مَأخوذَةٌ مِن قَولِهِم: خَرَجَ القَومُ بآيَتِهِم، أي: بجماعَتِهِم لَم يَدعُوا وَراءَهُم شَيئًا، وفي الحديثِ: «أحَلَّتها آيةٌ وحَرَّمَتها آيةٌ أُخرى»[٣]، الآيةُ المُحلِّلَةُ هيَ قولُهُ تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٤]، والآيةُ المُحرِّمَةُ: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٥]، وأصلُ آيةٍ: أَوَيَةٌ، قُلِبَتِ الواوُ ألِفًا لتَحرّكِها وانفِتاحِ ما قَبلِها والنّسبةُ إليهِ أَوَوِيٌّ، وقيلَ: أصلُها فاعِلةٌ، فَحُذِفَتِ اللّامُ أو العَينُ تَخفيفًا، ولَو جاءَت تامَّةٌ لكانَت: آيِيَةً.

والبَيِّنَةُ: الدِّلالَةُ الفاصِلَةُ بينَ الصّادقِ والكاذِبِ، والقَضيةِ الصّادِقَةِ والكاذبَةِ، مَأخوذَةٌ مِن إبانَةِ أحَدِ الشّيئينِ مِنَ الآخَرِ بحيثِ يُزولُ التِباسُهُ بهِ، والفِسقُ: خُروجٌ مِن شَيءٍ إلى شَيءٍ آخَرٍ والخُروجُ مِن طاعَةِ الله ورَسُولِهِ ﷺ، والمُرادُ بِهِ هنا: الكُفْرُ؛ لأنَّ الفِسقَ إذا اُستُعمِلَ في نَوعٍ منَ المعاصِي دَلَّ على أعظَمِهِ كَأنَّهُ مُتَجاوزٌ عَن حَدِّهِ، كَما يقالُ: هوَ فاسِقٌ في الزّنا، أي: هوَ أشَدُّ ارتِكابًا لَهُ وأقبَحُهُ، وهوَ فاسِقٌ في الشُّربِ، أي: أشَدُّ ارتِكابًا لهُ وتَجاوُزًا عَن حَدِّهِ، والنَّبذُ: طَرحُ الشَّيءِ في

(١) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٠، والنشر في القراءات العشر: ٢: ١٥٨، وهي قراءة أبي السّمال.

(٢) والقراءتان من رواية ابن مجاهد عن روح عن أبي السمال، وقراءة (عُوهِدُوا) قراءة الحسن وأبي الرجاء. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١: ٩٩.

(٣) الكافي: ٥: ٤٧٤، حديث رقم: ١، والاستبصار: ٣: ١٧٣، حديث رقم: ٦٢٩.

(٤) سورة النساء ٤: ٣.

(٥) سورة النساء ٤: ٢٣.

اليَدِ إلى خَلف، لكنَّهُ يَغلبُ فيما يُنسَى، والنَّبذُ: التَّركُ، والمَنبوذُ: المَطروحُ، والمَنبوذونَ: هُم الأولادُ الّذينَ يُطرَحونَ، ومنهُ سُمِّيَ النَّبيذُ نبيذًا؛ لأنَّ التَّمرَ يُنبَذُ في الجَرَّةِ ونَحوِها.

الإعراب:

و(اللّامُ): جَوابٌ للقَسَمِ المحذوفِ، و(قَد): لِتَقريبِ الماضي منَ الحالِ مَعَ تَوقّعِ الإخبارِ، و(إلَّا الفاسِقونَ): فاعلُ يَكفُرُ، والاستِثناءُ مُفرَّغٌ مُتَّصِلٌ، قَولُهُ: (أَوَ كُلَّما): الواوُ عندَ سِيبويه وجُمهورِ النُّحاةِ: واوُ العَطفِ على السّابِقِ؛ وذلكَ لأنَّ الهمزةَ أصلُ أدواتٍ وأُمُّها؛ ولِذا خُصَّت بأحكامٍ لَيسَت في غَيرِها، منها: جَوازُ حَذفِها مُطلَقًا[1]، ومنها: تَرِدُ لِطَلَبِ التّصوّرِ، نحو: أزيدٌ قائمٌ أم عَمرٌو؟، ولِطَلَبِ التّصديقِ، نحو: أزيدٌ قائمٌ؟ وهَل: مُختَصَّةٌ بِطَلَبِ التّصديقِ فَقَط، نحو: هَل قامَ زيدٌ؟ والبَواقِي لِطَلَبِ التّصورِ فَقَط، ومنها: أنَّها تَدخُلُ على الإثباتِ والنَّفي، نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾[2]، و﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾[3]، وقولُهُ:

---

(١) قولُهُ: مطلَقًا، أي: سَواءٌ تَقدَّمَت على (أم)، كَقولِهِ:

فَوَ الله ما أدري وإن كُنتُ دارِيًا　　　بِسَبعٍ رَمَينَ الجَمرَ أم بثمانٍ

أي: أَبِسَبعٍ؟. [البيت من الطويل. وقائله: عمرو بن أبي ربيعة. ديوانه: ٨٨، كما ينظر: الكتاب: ٣: ١٧٥، وخزانة الأدب: ١١: ١٢٩].

وقولُهُ:　فَوَ الله ما أدري وإن كُنتُ داريًا　　　شُعَيثُ بنُ سَهمٍ أم شُعَيثُ بنُ مِنقَرِ

أي: أشعيثٌ؟ إلى آخره. [البيت من الطويل، وقائله: الأسود بن يعفر التميمي. وهو من شواهد سيبويه: ٣: ١٧٥، كما ينظر: المقتضب: ٣: ٢٩٤، وخزانة الأدب: ١١: ١٢٩].

أم لَم تَتَقدَّم، كَقولِ الكُميتِ:

طَربتُ وما شَوقًا إلى البِيضِ أطرَبُ　　　ولا لَعِبًا مِنِّي وذو الشَّيبِ يَلعَبُ

أرادَ: أَوَ ذو الشّيبِ يَلعَبُ؟. [البيت من الطويل. من قصائده الهاشميّات: ١١٨، وينظر: خزانة الأدب: ١١: ١٢٩].

(٢) سورة الشرح ٩٤: ١.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٦٥.

ألا اصطِبارَ لِسَلمَى أم لَهَا جَلَدٌ[1] [إِذا أُلَاقِي الّذي لاقاه أمثالي]

ومنها: تَمامُ التَّصديرِ، وهوَ المُرادُ هنا بدَليلينِ: [٤٤٣]

أحَدُهُما: إنّها لا تُذكَرُ بعدَ (أم) الّتي للإضرابِ كما يُذكَرُ غَيرُها، لا يقالُ: قامَ زيدٌ أم أقعَدَ، ويقالُ: قامَ زيدٌ أم هَل قَعَدَ.

والثّاني: أنّها إذا كانَت في جملةٍ مَعطوفةٍ بالواوِ أو بالفَاءِ أو بِثُمَّ قُدِّمَت على العاطِفِ لَفظًا وان كانَت مُؤَخَّرًا معنًى تَنبيهًا على أصالتِها في التَّصَدُّرِ كَقولِهِ تعالى: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا**﴾، وقولِهِ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾[2] وقولِهِ تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[3] وقولِهِ تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾[4] وقولِهِ تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾[5] وقولِهِ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾[6]، بخِلافِ أخواتِها فَإنَّها تَتَأَخَّرُ عن حُروف العَطفِ كما هوَ قياسُ جميعُ أجزاءِ الجملَةِ المعطوفَةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾[7] وقولِهِ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[8] وقولِهِ: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[9] وقولِهِ: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[10] وقولِهِ: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾[11] وقولِهِ تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[12]،

---

(١) البيت من البسيط. نُسِبَ لمجنون بني عامر قيس بن الملوّح، ولم يجده الباحث في ديوانه. ينظر: شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك: ١٣٩، واللمحة في شرح الملحة: ١: ٤٩٧، وخزانة الأدب: ٤: ٦٤.

(٢) سورة يوسف ١٢: ١٠٩.

(٣) سورة الزخرف ٤٣: ٥.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

(٥) سورة الصافات ٣٧: ٥٨.

(٦) سورة يونس ١٠: ٥١.

(٧) سورة آل عمران ٣: ١٠١.

(٨) سورة التكوير ٨١: ٢٦.

(٩) سورة العنكبوت ٢٩: ٦١.

(١٠) سورة الأحقاف ٤٦: ٣٥.

(١١) سورة الأنعام ٦: ٨١.

(١٢) سورة النساء ٤: ٨٨.

فَعَلى هذا يكونُ جملةُ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ إلى آخِرِه مَعطوفَةً على جملةِ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ إلى آخِرِه، هذا مَذهَبُ سيبويه وجُمهورِ النُّحاةِ(1)، وخالَفَهُم جماعَةٌ فَزَعمُوا أنَّ الهمزةَ في تلكَ المواضِعِ واقِعَةٌ في موقِعِها الأصلي(2)، وأنَّ العَطفَ على جملةٍ مُقدَّرةٍ بينَ الهمزةِ وبينَ العاطِفِ فيقولونَ: إنَّ التَّقديرَ: (أَكَفَروا بالآياتِ البيِّناتِ) و(كُلَّما عاهَدُوا) إلى آخِرِه، و(أَمَكَثوا فَلَم يَنظُرُوا)، و(أَمَكَثوا فَلَم يَسيرُوا)، و(أَنُهمِلُكُم فَنَضربُ عنكُم الذِّكرَ صَفحًا)، و(أَتُؤمنونَ بهِ في حياتِهِ فَإن ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبتُم)، و(أَنَحنُ مُخلَّدونَ فَما نَحنُ بمَيِّتينَ)، هذا كُلُّهُ على قراءةِ: (أَوَ كُلَّما) بفَتحِ الواوِ.

وأمَّا على قِراءةِ: (أَوْ كُلَّما) بسُكونِ الواوِ، فهيَ معَ الهمزةِ: عاطفةٌ، وليسَت الهمزةُ باستفهامٍ، فيكونُ بمَعنى: بَل، كَما يَجيءُ بَيانُهُ في المعنى إن شاءَ اللهُ تعالى، ونَصبُ كُلَّما على الظَّرفيّةِ وهوَ مِن جُملةِ السُّورِ للقَضيَّةِ الكُلِّيَّةِ، فَيَقتَضي التَّكريرُ مُرَكَّبٌ مِن (كُلٍّ وما المَوصولةِ أو الموصوفَةِ)، والعاملُ فيهِ: الجَزاءُ، وهوَ هنا قولُهُ تعالى: ﴿نَبَذَهُ﴾ ولا يَجوزُ أن يَعملَ فيهِ الشّرطُ، أعني: قولُهُ: ﴿عَاهَدُوا﴾؛ لأنَّهُ مُتَمِّمٌ لِما لِكَونهِ صِلَةً أو صِفَةً، و(فَرِيقٌ): فاعلُ (نَبَذَهُ)، و(مِنهُم): نَعتٌ لِـ(فَريقٌ)، و(أَكثَرُهُم لا يُؤمِنونَ): مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ.

النُّزول:

في المجمَعِ وغَيرِهِ: «وقالَ ابنُ عبّاس: إنَّ ابنَ صُوريا قالَ لِرسُولِ الله ﷺ: يا مُحمَّدُ ما جِئتَنا بشَيءٍ نَعرِفُهُ، وما أُنزِلَ عليكَ مِن آيَةٍ بَيِّنَةٍ فَنَتَّبِعَكَ بها، فَأنزَلَ اللهُ سبحانهُ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾»(3)، إلى آخِرِه.

---

(1) ينظر: الكتاب: ١: ٩٩، والجنى الداني في حروف المعاني: ٣١، ومغني اللبيب: ٢٢، وهمع الهوامع: ٢: ٥٨٢.

(2) منهم الزمخشري. ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٣٧، ومغني اللبيب: ٢٣، وهمع الهوامع: ٢: ٥٨٣.

(3) مجمع البيان: ١: ٣١٧، وتفسير الثعلبي: ١: ٢٤١، وتفسير البغوي: ١: ٩٧، وزبدة التفاسير: ١: ١٩٩، وكنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢: ٩٧.

والحَقُّ أنَّها نَزَلَت في أمثالِ ابنِ صُورِيا مِن بَني إسرائيلَ والنُّصّابِ(١) المُنافِقينَ مِن هذهِ الأُمَّةِ كَما يُعلَمُ مِن تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام(٢).

المعنى:

﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ يا مُحمَّدُ ﴿**آيَاتٍ**﴾ مُعجزاتٍ أعطيتُكُها مِنَ القرآنِ وغَيرِهِ دالّاتٍ على صِدقِكَ في نُبُوَّتِكَ وإمامَةِ عَليٍّ أخيكَ، ﴿**بَيِّنَاتٍ**﴾ مُوضِحاتٍ عَن كُفرِ مَن شَكَّ فيكُما، فاصِلاتٍ بينَ المُحِقِّ منكُم والمُبطِلِ، ﴿**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا**﴾، أي: بالآياتِ البَيِّناتِ الدَّالّاتِ على ذلكَ ﴿**إِلَّا الْفَاسِقُونَ**﴾، أي: إلّا المُتمَرِّدونَ الخارِجونَ عَن دِينِ الله وطاعتِهِ، وطاعَةِ رسُولِهِ، منَ اليَهودِ الكَفَرَةِ والنَّاصِبينَ الكَفَرَةِ المُتَسَمِّينَ بالمُسلِمِينَ، فَالمُرادُ بالفاسقينَ هُم: الكافِرونَ، على ما مَرَّ بَيانُهُ في الإعرابِ.

وقالَ في المجمَعِ: «في تَفسيرِ ﴿**إِلَّا الْفَاسِقُونَ**﴾: الكافِرونَ، وإنَّما لَم يَقُلِ الكافِرونَ وان كانَ الكُفرُ أعظَمَ مِنَ الفِسقِ لِأمرَينِ:

أحَدُهُما: إنَّ المُرادَ أنَّهُم خَرَجُوا عَن أمرِ الله تعالى إلى ما يَعظُمُ مِن مَعاصِيهِ.

والثّاني: إنَّ المُرادَ بِهِ الفاسِقونَ المُتَمَرّدونَ في كُفرِهِم؛ لأنَّ الفِسقَ لا يكونُ إلَّا أعظمَ الكَبائرِ، فَإن كانَ في الكُفرِ فهوَ أعظَمُ الكُفرِ، وإن كانَ فيما دُونَ الكُفرِ فَهوَ أعظَمُ المَعاصِي»(٣) انتهى.

---

(١) قيلَ: هم قوم يتديّنونَ ببغضِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام خاصّةً وأهلِ بيتِهِ عليهم السلام عامَّةً، وقيلَ: إنّهم مَن نَصَبوا العداوةَ لشيعتِهِم، [معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٤٣١، ومجمع البحرين: ٢: ١٧٤، (نصب)]، وهو المستفادُ من عدّةِ أحاديثٍ منها ما وردَ عن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: « أنّه ليسَ النّاصبُ مَن نَصَبَ لنا أهلُ البيت؛ لأنّه لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغُض محمّداً وآل محمّد، ولكنَّ النّاصبَ مَن نَصبَ لكم، وهوَ يعلمُ أنّكم تَتولّونا أو تتبرّؤون مِن أعدائنا »[علل الشرائع: ٢: ٦٠١، حديث رقم: ٦٠.]

(٢) إذ قالَ الإمامُ العسكري عليه السلام: «قالَ الباقرُ عليه السلام: قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وهوَ يُوبِّخُ هؤلاءِ اليَهودِ الّذينَ تَقدَّمَ ذكرُ عنادِهِم، وهؤلاءِ النّصّابِ الّذينَ نَكثُوا ما أخذَ مِنَ العَهدِ عَليهِم فقالَ: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا**﴾، واثَقُوا عاقدُوا لِيكونوا لُمحمَّدٍ طائعينَ، ولِعليٍّ بعدَهُ مُؤتمرينَ، وإلى أمرِهِ صابرينَ ﴿ **نَبَذَهُ** ﴾، نَبذَ العَهدَ ﴿ **فَرِيقٌ مِنْهُم** ﴾ وخالفَهُ». تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٦٤، حديث رقم: ٣٠٢.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣١٧.

وقالَ في الكَشّافِ في مَعنى ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾، «أي: المُتمَرِّدونَ مِنَ الكَفَرَةِ، وعَنِ الحَسَنِ إذا أُستُعمِلَ الفِسقُ في نُوعٍ مِنَ المَعاصِي دَلَّ على أعظَمِ ذلكَ النّوعِ مِن كُفرٍ وغَيرِهِ كَأَنَّهُ مُتَجاوِزٌ عَن حَدِّهِ»[1]، انتهى.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾، أي: عاقَدُوا ووَاثَقُوا، أو أكفَرُوا، وكُلَّما عاقَدُوا ووَاثَقُوا عَهدًا لَكَ يا مُحَمَّدُ لَيُؤمِنوا باللهِ ويَكونُوا طائِعينَ لكَ، ولِعَلِيٍّ بعدَكَ مُؤتَمِرينَ، وإلى أمرِهِ صائِرينَ، كَما في تَفسيرِ الإمامِ عليه السلام[2].

«وقالَ ابنُ عَبّاس: أرادَ بالعَهدِ: العَهدَ الّذي أَخَذَهُ الأَنبياءُ عليهم السلام أن يُؤمنُوا بالنَّبيِّ الأُمِّيّ، وقالَ عَطا: هيَ العُهُودُ الّتي كانَت بينَ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وبينَ اليَهودِ فَنَقَضوها، كَفِعلِ بَني قُرَيظَةَ والنَّضيرِ حيثُ عاهَدُوا أن لا يُعِينُوا عَليهِ أحَدًا، فَنَقَضُوا ذلكَ وأعانُوا عليهِ قُرَيشًا يومَ الخَندَقِ»[3]، انتهى.

و(كُلَّما): يَقتَضي التَّكريرَ، فَيَقتَضي تَكرُّرِ النَّقض منهُم، هذا كُلُّهُ إذا قُرِئَ: (أَوَ كُلَّما) بِهَمزةِ الاستفهامِ والواوِ العاطفَةِ. [٤٤٤]

وأمَّا على قِراءةِ: (أَوْ) بسُكونِ الواوِ تَكونُ بمَعنى: بَلِ العاطِفةِ، فَيَكونُ ما بَعدَها مَعطوفًا على (إِلَّا الفاسِقونَ)، بأنَّ (اللّامَ) في الفاسِقونَ مَوصولةٌ بمَعنى: إِلَّا الّذينَ فَسَقُوا فكَأَنَّهُ قيلَ: وما يَكفُرُ بها إِلَّا الّذينَ فَسَقُوا أو نَقَضُوا عَهدًا مِرارًا كَثيرَةً، (أَوْ كُلَّما)، أي: بَل كُلَّما عاهَدُوا فإنَّهُ تعالى لمَّا أثبَتَ فِسْقَهُم أضرَبَ عنهُ، أو والمَعنى إنَّهُ ليسَ هذا أوَّلَ فِسقِهِم وكُفرِهِم بآياتِ اللهِ، بَل كُلَّما عاهَدُوا نَقَضَهُ فَريقٌ منهُم ثمَّ أضرَبَ عنهُ إلى ما هوَ أعلى منهُ بقَولِهِ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما صَدَرَ النَّبذُ مِن فَريقٍ قَليلٍ بَل أكثرُهُم كافرونَ، ﴿نَبَذَهُ﴾، أي: نَقَضَ ذلكَ العَهدَ المَعهودَ ﴿فَرِيقٌ﴾، أي: جَماعَةٌ ﴿مِنْهُم﴾، وخَالَفُوهُ وعاهَدُوا على خِلافِهِ ونَسُوهُ وجَعَلُوهُ وَراءَ ظُهورِهِم، وخانُوا رَسُولَكَ

---

(١) الكشّاف: ١: ١٧١.

(٢) مرَّ بيانُهُ في الصفحة السابقة.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣١٨.

واتّهموهُ وبايَنُوهُ وحَلُّوا عَقدَهُ في وَصِيِّهِ ونبَذُوا عَهدَهُ في خَليفتِهِ وغَيَّروا أحكامَهُ وبَدَّلُوا سُنَّتَهُ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾، أي: أكثَرُ هؤلاءِ اليَهودِ، ومَن يَحذُو حَذوَهُم مِنَ النَّواصِبِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أبدًا لا في الحالِ ولا في مُستَقبَلِ أعمارِهِم ولا يَرعَوُونَ[1] ولا يَتوبُونَ مِن كُفرِهِم الأصليّ مع مُشاهَدَتِهِم الآياتِ الواضِحَةِ حُبًّا للرّئاسَةِ، وعِنادًا على أولياءِ الله؛ وإنّما قالَ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾، أي: المعاهدونَ؛ لأنَّ بعضَهُم لَم ينقَضِ العَهدَ بَل آمَنَ كَعَبدِ الله بنِ سَلامٍ وكَعبِ الأَحبارِ[2] وغَيرِهما.

وفي المجمَعِ: «فأمَّا وَجهُ دُخُولِ (بَل) على قَولِهِ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لأمرَينِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ لمَّا نَبَذَهُ فَريقٌ منهُم دلَّ عَلى أنَّ ذلكَ الفريقَ كَفَرُوا بالنّقضِ، فقالَ: أكثرُهُم كُفّارٌ بالنَّقضِ الّذي فَعَلُوهُ، وان كانَ بعضُهم نَقَضَهُ جَهلًا، وبعضُهُم نَقَضَهُ عِنادًا.

والثّاني: أنَّهُ أرادَ: كَفَرَ فَريقٌ منهُم بالنَّقضِ، وكَفَرَ أكثَرُهُم بالجَحدِ للحَقِّ، وهوَ: أمرُ النَّبيّ ﷺ وما يَلزَمُ مِن اتِّباعِهِ والتّصديقِ بهِ»[3]، انتهى.

وفي رَوضَةِ الكافي: في رسالةِ أبي جعفرٍ عليه السلام إلى سَعدِ الخَيرِ[4]: «وكُلّ أُمَّةٍ قَد رُفِعَ عنهُم عِلمُ الكِتابِ حينَ نَبَذوهُ، ووَلّاهُم[5] عَدُوَّهُم حينَ تَوَلَّوهُ، وكانَ مِن نَبذِهِم الكِتابَ أن أقامُوا حُرُوفَهُ وحَرَّفُوا حُدُودَهُ، فَهُم يَروُونَهُ ولا يَرعَونَهُ، والجُهّالُ يُعجِبُهُم حِفظُهُم للرّوايَةِ، والعُلَماءُ يَحزنُهم

(١) ومنه في حاشية الأصل: مِن: ارعَوَى يَرعَوي بمَعنى: انكَفَّ عَنِ المَعاصِي وارتَدَعَ.

(٢) هو: أبو إسحاق ابن ماتع الحميري اليماني الكتابي: أسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: أوّل خلافةِ عمر، رَوَى عن عُمرٍ، وصُهيبٍ، وعَن أهلِ الكتابِ، كما رَوَى عنهُ: أسلم مولى عُمر، وأبو هريرةَ، وابنُ عبّاسٍ، توفي سنة (٣٢هـ). ينظر: تاريخ الاسلام: ٣: ٣٩٧، والوافي بالوفيّات: ٢٤: ٢٦٠.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣١٨.

(٤) هو: سعدُ بنُ عبدِ الملكِ مِن وُلدِ عبدِ العزيزِ بنِ مروان، سمّاهُ الإمامُ الجوادُ عليه السلام سعدَ الخيرِ، إذ دخلَ عليهِ وهو يبكي، فقالَ لهُ: ما يُبكيكَ يا سعدُ؟ فقال: وكيفَ لا أبكي وأنا منَ الشّجرةِ الملعونةِ في القرآنِ، فقال له: لستَ منهم، أنتَ أمويٌّ مِنّا أهلَ البيتِ، له كتابان. ينظر: منتهى المقال في أحوال الرجال: ٣: ٣٢٨، ترجمة رقم: ١٢٨١، ومستدركات علم رجال الحديث: ٤: ٣٩، ترجمة رقم: ٦١٤٠.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: جعلَ وليَّهُم والقائمَ بأمرِهِم عدوَّهُم.

تَركُهُم للرِّعايَةِ، وكانَ مِن نَبذِهِم الكِتابَ أن وَلَّوهُ[1] الّذينَ لا يَعلَمونَ فَأوردُوهُم الهَوى وأصدَرُوهُم إلى الرَّدَى، وغَيَّروا عُرَى الدِّينِ، ثُمَّ وَرِثُوهُ[2] في السَّفَهِ والصِّبا، فالأُمَّةُ يصدرونَ عَن أمرِ النّاسِ بَعدَ أمرِ الله تباركَ وتعالى، وعليهِ يَرُدُّونَ فبِئسَ للظّالمينَ بَدَلًا، ولايَةُ النّاسِ بعدَ ولايَةِ الله تعالى، وثَوابُ النّاسِ بَعدَ ثوابِ الله تعالى، ورِضا النّاسِ بَعدَ رِضا الله تعالى، فَأصبَحَتِ الأُمَّةُ لذلكَ فيهم المُجتهدونَ في العِبادَةِ على تلكَ الضَّلالَةِ، مُعجَبونَ مُفتَنُونَ، فَعِبادَتُهُم فِتنَةٌ لَهُم ولِمَن اقتَدى بِهِم، وقَد كانَ في الرُّسُلِ ذِكرى للعَابدينَ: أنَّ نَبيًّا مِنَ الأنبياءِ كانَ يَستكمِلُ الطّاعَةَ ثمَّ يَعصِي اللهَ تَباركَ وتعالى مِنَ البابِ الواحِدِ، فَيَخرُجُ بِهِ مِنَ الجَنَّةِ، ويُنبَذُ بِهِ في بَطنِ الحوتِ، ثُمَّ لا يُنجِيهِ إلّا الاعترافَ والتَّوبَةَ، فَاعرِف أشباهَ الأحبارِ والرّهبانِ الذينَ سارُوا بكِتمانِ الكِتابِ وتَحريفِهِ فَما رَبِحَت تِجارَتُهُم وما كانُوا مُهتَدينَ، ثمَّ اعرف أشباهَهُم مِن هذهِ الأُمَّةِ الّذينَ أقامُوا حُروفَ الكِتابِ وحَرَّفُوا حُدُودَهُ، وهُم مَعَ السّادَةِ[3] والكَثرَةِ، فَإذا تَفَرَّقَت قادَةُ الأهواءِ كانُوا مَعَ أكثَرِهِم دُنيا، وذلكَ مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ لا يَزالونَ كَذلكَ في طَمَعٍ وطَبَعٍ لا يَزالُ يُسمَعُ صَوتُ إبليسَ على ألسنَتِهِم بباطِلٍ كَثيرٍ يَصبرُ منهُم العَلماءُ على الأذى والتَّعنيفِ، ويَعيبُونَ على العُلَماءِ بالتَّكليفِ، والعُلَماءُ في أنفُسِهِم خانَةٌ[4] إن كَتَمُوا النَّصيحَةَ، أن أرادُوا تائِهًا ضالًّا لا يَهدُونَهُ أو مَيِّتًا لا يُحيُونَهُ فَبِئسَ ما يَصنعونَ؛ لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أخَذَ عَليهِم الميثاقَ في الكِتابِ أن يَأمُرُوا بالمَعروفِ وبما أُمِرُوا بِهِ، وأن يَنهَوا عَمَّا نُهُوا عنهُ، وأن يَتَعاوَنوا على البِرِّ والتَّقوى ولا يتعاوَنوا على الإثمِ والعُدوانِ ـ إلى أن قالَ ـ: أُولئِكَ أشباهُ الأحبارِ والرُّهبانِ وقادَةُ الهَوى وسادَةُ الرَّدَى، وآخَرونَ منهم جُلوسٌ بينَ الضَّلالَةِ والهُدى لا يَعرِفونَ إحدى الطّائِفَتينِ مِنَ الأُخرَى، يَقولونَ: ما كانَ النّاسُ يَعرفونَ هذا ولا يَدرونَ ما هوَ ـ إلى أن قالَ ـ: فَلَمّا غَشَى النّاسَ ظُلمَةُ خَطاياهُم صارُوا ما بَينَ داعٍ إلى الله تَباركَ وتعالى وداعٍ إلى النّارِ،

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: جعلوا وليَّ الكتابِ والقَيّمَ عليهِ والحاكمَ بهِ الّذينَ لا يعلمونَ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: جعلوهُ ميراثًا يرثهُ كلُّ سفيهٍ جاهلٍ أو صَبيٍّ غيرِ عاقلٍ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: هم معَ أهلِ السّيادةِ والدّولة.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: جمعُ خائن.

فَعندَ ذلكَ نَطَقَ الشّيطانُ فَعَلا صَوتُهُ على لِسانِ أوليائِهِ، وكَثُرَ خَيلُهُ ورَجلُهُ، وشارَكَ في المالِ والوَلَدِ مَن أشرَكَهُ، فَعَمِلَ بالبِدعَةِ وتَرَكَ الكِتابَ والسُّنَّةَ، ونَطَقَ أولياءُ الله بالحُجَّةِ، وأخَذُوا بالكِتابِ والحِكمَةِ فَتَفَرَّقَ مِن ذلكَ اليومِ أهلُ الحَقِّ وأهلُ الباطِلِ»[1]، الحديثُ طَويلٌ أخذنا منهُ مَوضِعَ الحاجَةِ. [٤٤٥]

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ آيةٌ:

الإعراب:

(لمَّا): بالتَّشديدِ ظرفٌ بمَعنى (إذ) استُعمِلَ استِعمالَ الشّرطِ، يَليهِ فِعلانِ ماضِيانِ لَفظًا ومعنًى، أو معنًى كَما مَرَّ سابقًا، وقالَ سيبويهُ: (لمَّا) لِوقوعِ أمرٍ لِوقوعِ غَيرِهِ، وهيَ هنا مَنصوبَةٌ على أنَّها ظَرفٌ لِقولِهِ: نبَذَ؛ لأنَّ عامِلَهُ الفِعلُ الثّاني دُونَ الأوَّلِ، و(مُصَدِّقٌ): مرفوعٌ؛ لأنَّهُ صِفةُ رَسولٍ، ولَو نُصِبَ كانَ جائزًا؛ لأنَّ رَسولًا قَد وُصِفَ بقَولِهِ: (مِن عِندِ الله) إلَّا أنَّ القِراءَةَ بالرّفعِ وهيَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، و(ما) في (لِما): مَوصولَةٌ في مَوضِعِ جَرٍّ باللّامِ مُتَعلِّقٌ بـ(مُصَدِّقٌ) صِلَتُها مَعَ، والنّاصِبُ لهُ مَعنى الاستِقرارِ، و(فَريقٌ): فاعلُ (نبَذَ)، و(مِنَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ): نَعتٌ لَهُ، و(الكتابَ): مفعولٌ ثانٍ لِـ(اوتُوا)، و(كِتابَ الله): مفعولُ (نبَذَ)، و(وَراءَ): ظَرفٌ لِـ(نَبَذ)، والباقي: واضِحٌ.

المعنى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، أي: اليَهودَ الّذينَ كانُوا في عَصرِ النَّبيِّ ﷺ، أو الأعَمَّ، أو الأعَمَّ منَ القِسمينِ والمنافقينَ النَّاصبينَ مِن هذهِ الأُمَّةِ، **﴿رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾**، يعني: مُحَمَّدًا ﷺ، أو مُحَمَّدًا وعيسى عليه السلام، أو رسالَةً؛ لأنَّهُ قَد جاءَ بمعناها، كَما قالَ كُثيرٌ:

---

(١) الكافي: ٨: ٥٣ـ ٥٥، حديث رقم: ١٦.

فَقَد كَذَبَ الواشونَ ما بُحتُ عندَهم		بلَيلَى وما أرسلتُهُم بِرَسُولِ[1]

أي: برسالَةٍ، ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ مِنَ الكُتُبِ السّماويّةِ مِنَ التّوراةِ والإنجيلِ بأنّهما حَقٌّ جاءَا مِن عِندِ الله، ﴿نَبَذَ﴾، أي: طَرَحَ ونَسِيَ وتَرَكَ وألقى، ﴿فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، أي: طائفَةٌ مِن علماءِ اليَهودِ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ الّذي هوَ التّوراةَ، أو منهُم ومِنَ النّواصِبِ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ الّذي هوَ القرآنَ، وإنّما لَم يَقُلْ فَريقٌ منهُم معَ أَنَّهُ قَد تَقَدَّمَ ذِكرُهُم؛ لأَنَّهُ يُريدُ علماءَ اليَهودِ فأعادَ ذِكرَهُم؛ لاختِلافِ المَعنى، وقيلَ: هُم مُطلَقُ اليَهودِ أيضًا إلّا أنّهُ لمّا طالَ الكَلامُ أعادَ ذلكَ، ﴿كِتَابَ اللهِ﴾، أي: التَّوراةَ؛ لأنَّ كُفرَهُم بالرّسولِ المُصدِّقِ للتّوراةِ كُفرٌ بها فيما يُصدِّقُهُ ونَبْذٌ لِما فيها مِن وُجوبِ الإيمانِ بالرُّسُلِ المؤيَّدينَ بالآياتِ البيِّناتِ، أو القرآنَ نفسَهُ، وقولُهُ: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كِنايةٌ عَن نِسيانِهِم إيّاهُ، وتَركِهِم العَمَلَ بِهِ، وعَدَمِ قَبولِهِم إيَّاهُ حَسَدًا لمُحمَّدٍ ﷺ على نُبُوَّتِهِ، وعَليٍّ على وَصيَّتِهِ، وجَحدًا على ما وَقفُوا عَليهِ مِن فَضائِلِهما فَصارُوا نابذينَ لذلكَ.

وقالَ أبو مُسلم: «لمّا جاءَهُم الرّسولُ بهذا الكِتابِ الّذي هوَ القرآنُ فَلَم يَقبَلُوهُ صارُوا نابذِينَ للكِتابِ الأوَّلِ أيضًا، الّذي فيهِ البِشارةِ بهِ، وقالَ الشّعبيُّ: هوَ الكِتابُ الّذي بينَ أيدِيهِم، يقرؤونَهُ ولكن نَبَذُوا العَمَلَ بهِ، وقالَ سُفيانُ بنُ عُيينَةَ: أدرجُوهُ بالحَريرِ والدِّيباجِ وحَلَّوهُ بالذَّهَبِ والفِضّةِ، ولَم يُحِلُّوا حَلالَهُ ولَم يُحرِّمُوا حَرامَهُ فَذلكَ هوَ المُرادُ بالنَّبذِ، وقالَ السُّدّي: نَبَذوا التَّوراةَ وأخَذوا بكِتابِ آصِفِ بنِ بِرخِيا وسِحرِ هاروتَ وماروتَ، يَعني: أَنَّهُم تَرَكوا ما تدلُّ عليهِ التَّوراةُ مِن صِفَةِ النَّبيِّ ﷺ، وقالَ قَتادَةُ وجَماعةٌ مِن أهلِ العِلمِ: إنَّ ذلكَ الفَريقَ كانُوا مُعاندينَ، وإنّما ذَكَرَ فَريقًا منهُم؛ لأنَّ الجَمعَ العَظيمَ والجَمَّ الغَفيرَ والعَدَدَ الكَثيرَ لا يَجوزُ عَليهِم كِتمانُ ما عَلِموهُ معَ اختِلافِ الهِمَمِ وتَشَتُّتِ الآراءِ وتَباعُدِ الأهواءِ؛ لأنّهُ خِلافُ المألوفِ مِنَ العاداتِ إلّا إذا كانُوا عَددًا يَجوزُ على مِثلِهِم التّواطُؤُ على الكِتمانِ»[2] نَصَّ على ذلكَ في المجمَعِ.

---

(١) البيت من الطويل. ديوانه: ١٧٨، وينظر: تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ١٧٦، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ١: ٤٧٤.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣١٩، ٣٢٠.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهُ كِتابُ الله وأنَّهُ حَقٌّ وصِدقٌ، أو لا يَعلمونَ ما يَقَعُ عليهِم بذلكَ مِنَ العِقابِ والخُلودِ في العَذابِ، والمرادُ: أنَّهُم كانُوا عالمينَ بما فيهِ مِنَ الحَلالِ والحَرامِ، وصِفةِ النَّبيِّ ﷺ وصِدقِ نُبُوَّتِهِ، لكن كَتَموهُ بَغيًا وعِنادًا وحُبًّا للرِّئاسةِ، وكَذا مَن يَحذو حَذوَهُم مِن هذهِ الأُمَّةِ مِنَ المنافقينَ.

وفي الكافي: في رسالةِ أبي جعفرٍ عليه السلام إلى سعدِ الخَيرِ إلى أن قالَ: عَن أبي بَصيرٍ عَنِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: «بَينَا رسُول الله ﷺ ذاتَ يومٍ جالسًا إذ أقبَلَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام، قالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: إنَّ فيكَ شَبَهًا مِن عيسى بنِ مَريمَ لَولا أن تقولَ فيكَ طَوائفُ مِن أُمَّتي ما قالَتِ النّصارى في عيسى بنِ مَريمَ لَقُلتُ فيكَ قَولًا لا تَمُرُّ بمَلأٍ مِنَ النّاسِ إلَّا أَخَذُوا التّرابَ مِن تَحتِ قَدَمَيكَ يَلتَمِسونَ بذلكَ البَرَكَةَ، قالَ أبو عبدِ الله: فَغَضِبَ الأعرابيّانِ والمُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ[1] وعِدَّةٌ مِن قُرَيشٍ مَعَهُم، فقالوا: ما رَضِيَ أن يَضرِبَ لابنِ عَمِّهِ مَثَلًا إلَّا عيسى بنِ مريمَ؟ فَأنزَلَ اللهُ تعالى عَلى نَبيِّهِ ﷺ: [٤٤٦]
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ـ يعني من بني هاشم ـ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[2]، قالَ: فَغَضِبَ الحارثُ بنُ نعمانِ الفِهري[3] فقالَ:

(١) هو: أبو عبدِ الله وقيل: أبو عيسى ابن أبي عامر بن مسعود من بني ثقيف: أسلمَ عامَ الخندقِ وشهدَ الحديبيَّةَ، كان موصوفًا بالدَّهاءِ، ولّاهُ عُمرُ بنُ الخطّابِ على البصرةِ، ثمَ ولّاهُ الكوفةَ، وأقرَّه عثمانُ ومعاوية عليها فلَم يزل فيها إلى أن توفي سنة (٥٠هـ). ينظر: أسد الغابة: ٤: ٤٠٦.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٥٧ ـ ٦٠.

(٣) اختلفَ أهلُ العلمِ في اسمِهِ كثيرًا، فقال ابن عبّاس: هو النّضرُ بنُ الحارث، وقيل: الحارثُ بنُ النّعمانِ، وقيل: جابر بن النضر بن الحارث، وقيل: النعمان بن المنذر، وقيل: النعمان بن الحارث، وقيل: الحارث بن عمرو، وقيل: فقامَ إليهِ أعرابيٌّ، وتحديد الاسمِ بحاجةٍ إلى تحقيقٍ أكثرَ ليسَ هذا موضعَهُ. ينظر: تفسير الثعلبي: ١٠: ٣٥، وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٢: ٣٨١ـ ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٢٧٨.

﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ـ أنَّ بَني هاشمٍ يَتوارَثُونَ هِرَقْلًا[1] بَعدَ هِرَقْلٍ ـ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] ـ إلى أن قالَ ـ: ولكن أرحَلُ عَنكَ، فَدَعا براحِلَتِهِ فَرَكِبَها فَلَمّا صارَ بِظَهرِ المَدينةِ أَتَتهُ جَندَلَةٌ فَرَضَخَت هامَتَهُ[3]، ثمَّ أتى الوَحيُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ ـ بولاية عليٍّ ـ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[4]، قالَ: قُلتُ: جُعِلتُ فِداكَ إنّا لا نَقرَأها هكذا، فقالَ: هكذا واللهِ نَزَلَ بها جَبرئيلُ عليه السلام على مُحَمَّدٍ ﷺ، وهكذا هوَ واللهِ مُثبَتٌ في مُصحَفِ فاطمَةَ عليها السلام»[5].

وقولُهُ تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾** آيتانِ:

القراءة:

قَرَأَ عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ الشّامي وحمزةُ والكسائي: (ولكِن) بتَخفيفِ النّونِ ورَفعِ الاسمِ بعدَها في قولِهِ تعالى: (ولكِنِ الشّياطينُ كَفَروا)، وفي قولِهِ تعالى: (وَلكِنِ اللهُ قَتَلَهُم)، (وَلكِنِ اللهُ رَمَى)؛ لأنَّها إذا خُفِّفَت لَم تَعملْ عَمَلَ الحروفِ المشبّهَةِ بالفِعلِ بخِلافِ أخواتِها، مِن نحوِ: إنَّ وأنَّ وكأنَّ على

(١) هرقل: اسمُ مَلكِ الرّومِ، وهو: أوَّلُ مَن ضَربَ الدّنانيرَ، وأحدثَ البَيعَةَ. القاموس المحيط: ٤: ٦٨، (هرقل).

(٢) سورة الأنفال ٨: ٣٢.

(٣) الجندَلُ: ما يقلّهُ الرّجلُ منَ الحجارةِ. القاموس المحيط: ٣: ٣٥٢، (جندل).

والرَّضْخُ: كسر الرأس. لسان العرب: ٣: ١٩، (رضخ).

والهامَةُ: الرّأسُ. القاموس المحيط: ٤: ١٩٣، (هام).

(٤) سورة المعارج ٧٠: ١ـ٣.

(٥) الكافي: ٨: ٥٧، ٥٨.

روايةٍ فيها، والباقونَ: بتَشديدِ النّونِ ونَصبِ الاسمِ بعدَها فيها(1)، وقُرِئَ في الشّواذِّ: (على المَلِكَينِ) بكَسرِ اللّامِ عَن ابنِ عبّاس والحَسَنِ(2)، وقُرِئَ: هاروتُ وماروتُ مَرفوعَينِ، والجمهورُ: بالفَتحِ في مَوضِعِ الجَرِّ(3)، كَما يَجيءُ بيانُهُ في الإعرابِ.

اللغة:

الاتِّباعُ: الاقتِداءُ، يقالُ: اتَّبَعَهُ فُلانٌ: إذا اقتَدَى بهِ، والتِّلاوةُ: القِراءةُ، مِن تَلوتُ الكِتابَ، أي: قَرَأتُهُ، والتِّلاوةُ: التَّتَبُّعُ، يقالُ: يَتلو فُلانٌ فُلانًا، أي: يَتبَعُهُ؛ لأنَّ التّالي تابعٌ، فَقَولُهُ تعالى: ﴿**مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ**﴾ يَحتَمِلُ المَعنيَينِ، وكَذا قَولُ حسَّانِ بنِ ثابتٍ:

نَبيٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاسُ حَولَهُ ... وَيَتلُو كِتابَ الله في كُلِّ مَشهَدِ(4)

أي: يَقرَأُهُ أو يَتبَعُهُ.

تَحقيقُ مَقامٍ لِإزالةِ إبهامٍ:

وأمَّا ما قالَهُ صاحِبُ المجمَعِ ﷺ: «قالَ اللهُ تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾(5)، أي: تَتبَعُ»(6)، انتهى، فَكَأنَّهُ مِن سَهوِ القَلَمِ؛ لأنَّ الكَلامَ في الكَلامِ في تَتلُو والتِّلاوَةِ، لا في تَبلُو، والبَلوِ والبَلُو بالباءِ الموحَّدَةِ التَّحتيَّةِ: الاختِبارُ والامتِحانُ ونَحوِهِما.

---

(1) ينظر: السبعة في القراءات: 1: 168، والمبسوط في القراءات العشر: 1: 134.

(2) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1: 100، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: 1: 490.

(3) وهي رواية الشيزري عن أبي جعفر. ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: 1: 490.

(4) البيت من الطويل. ديوانه: 60، وفي رواية الديوان: في كلِّ مسجدِ.

(5) سورة يونس 10: 30.

(6) مجمع البيان: 1: 321، وفي (تبلو) ثلاث قراءات: (تتلو) بتائين، وهي قراءة الزيّات والكسائي، و(نتلو) بالنون والتاء عن أبي حاتم عن هارون، و(تبلو) بالتاء والباء عن البقيّة. ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: 1: 567.

ويقالُ: تَلا عَليهِ إذا كَذَبَ، وإذا صَدَقَ يقالُ: تَلا عَنهُ، وإذا أُبهِمَ جازَ الأمرانِ عَن أبي مُسلِمٍ[1]، والسّحرُ والكَهانَةُ والحيلَةُ نظائرُ.

تعريفُ السِّحرِ ومَعانيهِ:

وقالَ الخليلُ في عَينِ اللّغةِ: «السِّحرُ: عَمَلٌ يُقَرِّبُ إلى الشّياطينِ، ومِنَ السِّحرِ الأخذَةُ الّتي تَأخُذُ بالعَينِ»[2]، حَتّى تَظنُّ أنَّ الأمرَ كَما تَرى معَ أَنَّهُ ليسَ كَما تَرى، فالسِّحرُ عَمَلٌ خَفِيٌّ؛ لخفاءِ سَبَبِهِ يُصوِّرُ الشّيءَ بخِلافِ صورَتِهِ ويُقلِّبُهُ عَن جنسِهِ في الظّاهِرِ، ولا يُقلّبُهُ عَن جِنسِهِ في الحَقيقةِ، ألا تَرى إلى قولِهِ تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3]، يقالُ: سَحَرَهُ يَسحَرُهُ سحرًا، والسَّحرُ: الغِذاءُ، قال امرؤُ القَيسِ:

أرانا مُوضِعِينَ لِحَتمِ عَيبٍ وَنُسحَرُ للطَّعامِ وللشَّرابِ[4]

ومنهُ السَّحورُ، والسِّحرُ أيضًا: الرِّئَةُ، يقالُ للجَبانِ: انتَفَخَ سِحرُهُ.

والفِتنةُ والامتِحانُ والاختِبارُ نظائرُ، والفِتنَةُ تَجيءُ بمَعنى العَذابِ كَقولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[5]، أي: يُعذَّبونَ، وقولِهِ تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[6]، وبمَعنى الكُفرِ والشِّركِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[7] على وَجهٍ، ويقالُ: فَتَنْتُهُ وافتَنْتُهُ وفَتَنْتُ الذَّهَبَ في النّارِ: إذا اختَبرتَهُ فيها لِتَعلَمَ أخالِصٌ هوَ أم مَغشوشٌ؟ فقيلَ لِكُلِّ ما أحميتَهُ في النّارِ: فَتنتَهُ، وفَتَنتُ الخُبزَةَ في

---

(1) ينظر: تفسير الرازي: ٣: ٢٠٣، والفروق اللغويّة: ١٤٠.

(2) العين: ٣: ١٣٥، (سحر).

(3) سورة طه ٢٠: ٦٦.

(4) البيت من الوافر. ديوانه: ٧٨، وينظر: جمهرة أشعار العرب: ١٣، وجاء في الديوان وغيرِهِ بلفظ:

أرانا مُوضِعينَ لأمرِ غَيبٍ وَنُسحَرُ بالطّعامِ وبالشّرابِ

(5) سورة الذاريات ٥١: ١٣.

(6) سورة الذاريات ٥١: ١٤.

(7) سورة البقرة ٢: ١٩١.

النّارِ أنضَجتُها، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[1]، أي: يُشوَوْنَ ويُعَذَّبونَ، وتَعَلَّم: قَد يَكونُ بمَعنى: أعلَمَ كَما قيلَ: عَلَّمتُ وأعلَمْتُ بمَعنًى، ومثلُهُ فَهَّمتُ وأفْهَمْتُ، قال كَعبُ بنُ زهيرٍ:

تَعَلَّمَ رسولَ الله أنَّكَ مُدرِكِي وأنَّ وَعيدًا مِنكَ كَالأخذِ باليَدِ[2]

وقيلَ: إنَّ بينَهُما فَرقًا، فمَعنى تَعَلَّمَ: تَسَبَّبَ إلى ما بهِ يَعْلَمُ مِنَ النّظرِ في الأدلّةِ، كَقولِكَ: تَعَلَّمَ زيدٌ النَّحوَ والفِقهَ، وليسَ في أعْلَم هذا المَعنى، يقالُ: لما يَعلَمَ بلا تَأمّلٍ[3]، والمَرءُ: الرّجلُ، تَأنيثُهُ: المرأةُ بلا ألفٍ فيهِا، ويقالُ: امرءا وامرأة بالألفِ فيهِا، ويقالُ: مَرَةٌ بلا همزٍ أيضًا، والزَّوجُ: امرأةُ الرّجُلِ، وقَد مَرَّ بيانُهُ مُفصَّلًا في أوّلِ السّورةِ[4]. [٤٤٧]

معاني الضُّرّ وما يُشتَقُّ منهُ:

والضَّرَرُ والألمُ والأذى نظائرُ، والضَّرُّ: نَقيضُ النَّفعِ، يقالُ: ضَرَّهُ يَضرَّهُ وأضَرَّ بهِ إضرارًا، قالَ صاحِبُ العَينِ: ((الضَّرُّ والضُّرُّ لُغتانِ فإذا ضَممتَ إليهِ النَّفعَ فَتحتَ الضّادَ))[5]، وفي الحديثِ: ((لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ في الإسلامِ))[6] يعني: لا في أحَدِ الطّرفَينِ ولا في كِلَيهِما، والضّريرُ: الذّاهبُ البَصَرِ، وضَريرُ الوادي: جانِباهُ، وكُلُّ شَيءٍ يزحمكَ فَقَد أضَرَّ بكَ، وأصلُ البابِ: الانتِقاصُ.

---

(١) سورة الذاريات ٥١: ١٣.

(٢) البيت من الطويل. ديوانه: ١٩٠، وينظر: مغني اللبيب: ٢: ٥٩٤.

وقائلهُ: أبو المضرب ابن أبي سلمى المازني: شاعر عالي الطبقة في الجاهليّة ومن بيت شعراء، هَجا النّبيَّ ﷺ وأقامَ يَشّبَّبُ بنساءِ المسلمينَ، فَهدَرَ النّبيُّ ﷺ دمهُ، فجاءَهُ كعب مُستأمنًا، وقد أسلمَ، وأنشدهُ لاميّتهُ المشهورةُ الّتي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النّبيُّ ﷺ وخلعَ عليهِ بُردتهُ، توفي سنة (٢٦هـ). ينظر: أسد الغابة: ٤: ٢٤٠، والأعلام: ٥: ٢٢٦.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ١: ٤٢٠.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾. [سورة البقرة ٢: ٢٥].

(٥) العين: ٧: ٦، (ضرّ).

(٦) معاني الأخبار: ٢٨١، ووسائل الشيعة: ٢٦: ١٤، حديث رقم: ٣٢٣٨٢.

حَدُّ النَّفعِ والضَّرِّ:

والنَّفعُ والمَنفعَةُ واللّذَّةُ نظائرُ، وحَدُّ النّفعِ: كُلُّ ما يكونُ بهِ الحَيَوانُ مُلتَذًّا؛ إمَّا لأنَّهُ لَذَّةٌ، أو ما يُؤَدِّي إلى لَذَّةٍ، فَحدُّ الضّرَرِ: كُلُّ ما يكونُ بِهِ الحَيَوانُ آلِمًا إمَّا لأنَّهُ أَلَمٌ أو ما يُؤدِّي إلى أَلَمٍ.

معاني الإذنِ لُغَةً:

والإذنُ في اللّغَةِ أربعَةُ أقسامٍ:

الأوَّلُ: التَّخليَةُ ورَفعُ المانِعِ، كَما في أفعالِ العِبادِ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ، كَما في حَديثِ الخِصالِ السَّبعِ[1].

الثّاني: العِلمُ والتَّهَيُّؤُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾[2]، أي: إن لَم تَتُوبوا مِنَ الرِّبا فأذَنوا بحَربٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ، أي: فَتَهَيَّؤا وكُونُوا على عِلمٍ، وقَولِ الحُطَيئَة:

يا هِندُ إنِّي قَد جَدَّدتُ وَصلًا وإلَّا فَأذَنِيني عاجِلًا بانصِرامِ[3]

الثّالثُ: الإباحَةُ والاطلاقُ والاجازَةُ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾[4] الآية.

الرّابعُ: الأمرُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[5]، أي: بأمرِهِ كَما مَرَّ، يقالُ: أذِنَ كَسَمِعَ: إذنًا بالكسرِ، وأذَنًا مُحَرَّكَةً: والأذانُ والتَّأذينُ: النّداءُ إلى الصّلاةِ، والأذِينُ كَأميرٍ: المُؤَذِّنُ، والأذانُ: الإعلامُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ﴾[6] الآيةُ كَما يَجيءُ في أَوَّلِ سورةِ التّوبَةِ إن شاءَ اللهُ.

---

(١) مرَّ ذكرُ الحديثِ، ص: ٢٤٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٤.

(٣) لم يقف الباحث على البيت في ديوان الحطيئة، ولا غيره من الكتب اللغويّة والنحويّة، وأثبته من كتب التفسير، كجامع البيان: ١: ٦٥٠، والتبيان: ١: ٣٨٠.

(٤) سورة النساء ٤: ٢٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٩٧.

(٦) سورة التوبة ٩: ٣.

والاشتِراءُ: الاستِبدالُ والاختِيارُ، والشّراءُ بمَعنى: البَيع كَما مَرَّ مِرارًا، والخَلاقُ: النَّصيبُ الوافِرُ مِنَ الخَيرِ، قالَ: أُمَيَّةُ بنُ أبي الصّلتِ:

يَدعُونَ بالوَيلِ فيها لا خَلاقَ لَهُم   إلّا سَرابيلُ مِن قِطْرٍ وأغلالُ [1]

الإعراب:

و(اتَّبَعُوا): عَطفٌ على قَولِهِ: (نَبَذَ فَريقٌ) إلى آخِرِهِ، أي: نَبَذُوا كِتابَ الله وراءَ ظُهورِهِم واتَّبَعوا كُتُبَ السّحرِ الّتي تَقرَأُها أو تَتْبَعُها الشّياطينُ مِنَ الجِنِّ أو الإنسِ أو مِنهُما جَميعًا، و(ما) في (ما تَتلُوا): مَوصولَةٌ مفعولٌ لِـ(اتَّبَعوا)، و(تتلُوا): يَحتَمِلُ أن يكونَ بمَعنى الماضِي، أي: تَلَت، على أن يكونَ المُرادُ: على عَهدِ مُلكِ سُليمانَ، أو في زمَنِ مُلكِهِ، أو بمُلكِ سُليمانَ، فيمَن جَعَلَ (على) بمَعنى: الباء أو في، قالَ سيبويهُ: "قَد يَقَعُ نَفعَلُ في مَوضِعِ فَعَلْنا"[2]، كَقولِ الشّاعرِ:

وَلَقد أمُرُّ عَلى اللّئيمِ يَسُبُّني   فَمَضَيتُ ثُمَّتَ قُلتُ لا يَعنِيني [3]

وأن يكونَ بمَعنى المضارِعِ، على أن يكونَ المرادُ: حِكايَةَ حالٍ وإن كانَ ماضِيًا، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[4] حِكايَةً للحَالِ، وتَنبيهًا على تَفظيعِ حالِهِم وإن كانَ مُنقَرِضًا، ومنهُ ما أنشَدَهُ ابنُ الأعرابي:

جاريَةٌ في رَمَضان الماضِي   تُقَطِّعُ الحَديثَ بالإيماضِ [5]

(١) البيت من البسيط. ديوانه: ٤٧.

(٢) الكتاب: ٣: ٢٤.

(٣) البيت من الكامل، لرجل من بني سلول، وهو من شواهد سيبويه: ٣: ٢٤، وبلا نسبة في الصحاح: ٥: ١٨٨٢، (ثمّ)، وخزانة الأدب: ١: ٣٤٧.

(٤) سورة البقرة ٢: ٤٩.

(٥) البيت من الرجز. ينظر: لسان العرب: ٧: ١٤٣، (الخضاض)، ومغني اللبيب: ٢: ٦٩١، وخزانة الأدب: ١: ١٦٤.

(الشّياطينُ): فاعلُ (تَتْلو)، وجملةُ: (تَتلُو): صِلَةُ (ما) والعائدُ محذوفٌ، أي: ما تَتلُوهُ وتَقرَأُهُ وتَتبعَهُ الشّياطِينُ، وعلى (مُلكِ سُليمانَ): مُتَعلِّقٌ بـ(تَتلُو) على ما مَرَّ بيانُهُ، و(سُليمان): غَير مُنصَرِفٍ للعَلَميّةِ والألِفِ والنّونِ المَزيدَتينِ، و(ما) في (وَما كَفَرَ): نافيَةٌ، و(سُليمانُ): فاعلُ كَفَرَ، و(لكنَّ) بتَشديدِ النّونِ: مِنَ الحُروفِ المُشبَّهَةِ بالفِعلِ، و(الشَّياطينَ) بالنَّصبِ: اسمُها، وجملةُ: (كَفَروا): خَبَرُها، وعلى قِراءةِ تَخفيفِ (لكن): (الشَّياطينُ): مَرفوعٌ بالابتِداءِ، وجملةُ: (كَفَروا): خَبَرُهُ، و(النّاسَ والسِّحرَ): مَفعولا يُعَلِّمونَ، و(الواوُ) في (يُعَلِّمونَ): عائدٌ إلى (الشّياطِينِ)، والجملةُ: حالٌ مِن فاعلِ (كَفَرُوا)، وفي (ما) في قَولِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ وُجوهٌ:

أحَدُها: النَّصبُ، وعلى وَجهينِ:

إمَّا أنَّهُ مَعطوفٌ على (السِّحرِ) فَيكونُ مَوصولًا اسمِيًّا مَفعولًا ثانيًا لِيُعَلِّمونَ، وصِلَتهُ أنزَلَ.

أو مَعطوفٌ على (ما تَتلو الشَّياطينُ) فَيكونُ أيضًا مَوصولًا مَفعولَ: اتَّبَعُوا.

وثانيها: الجَرُّ، فَيكونُ مَوصولًا اسميًّا أيضًا مَعطوفًا على مُلكِ سُليمانَ، أي: اتَّبِعُوا ما تَتلُوهُ الشَّياطينُ على مُلكِ سُليمانَ، وعلى ما أنزَلَ على المَلَكَينِ.

وثالثُها: أن تكونَ نافيَةً، وتكونُ الجملَةُ مَعطوفَةً على (وما كَفَرَ سُليمانُ)، تَقديرُهُ: وما كَفَرَ سُليمانُ ولَمْ يُنزِلِ اللهُ على المَلَكَينِ. [٤٤٨]

و(بابلُ): اسمُ بَلدَةٍ بالعراقِ مِن قُربِ بَغدادَ[١] لا يَنصَرِفُ للعَلَميَّةِ والتّأنيثِ، وهيَ: أرضٌ مَلعونَةٌ، وفي حَديثِ عَليٍّ عليه السلام: «نَهاني صلى الله عليه وآله أُصَلِّيَ في أرضِ بابلَ فَإنَّها مَلعونَةٌ»[٢]، وفي الفَقيهِ: (رُوِيَ عَن جُوَيريَةَ بنِ مُسْهِرٍ[٣] أنَّهُ قالَ: أقبَلنا معَ أميرِ المؤمِنينَ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام مِن قَتلِ الخَوارِجِ حَتَّى إذا قَطَعنا في أرضِ بابلَ حَضَرَت صَلاةُ العَصرِ فَنَزَلَ أميرُ المؤمنينَ عَليٌّ عليه السلام ونَزَلَ النّاسُ،

---

(١) معجم ما استعجم: ١: ٢١٨، ومعجم البلدان: ١: ٣٠٩.

(٢) سنن أبي داود: ١: ١١٨، حديث رقم: ٤٩٠، والسنن الكبرى: ٢: ٤٥١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٩٠.

(٣) العبديّ: كوفي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعدَّهُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام من ثقاتِهِ العشرِ الّذينَ أمر بإحضارِهِم، وسمّاهُم، روى عنه أبي الجارود. ينظر: نقد الرجال: ١: ٣٧٦، ترجمة رقم: ١٠٧٧، ومستدركات علم رجال الحديث: ٢: ٢٤٨، ترجمة رقم: ٢٩٧٠.

فقالَ عَليٌّ عليه السلام: أيُّها النّاسُ إنَّ هذهِ الأرضَ مَلعونَةٌ قَد عُذِّبَت في الدَّهرِ ثَلاثَ مَرّاتٍ، وفي خَبَرٍ آخَر مَرّتينِ وهيَ تَتوقَّعُ الثّالثَةَ، وهي إحدى المُؤتَفكاتِ(١)، وهيَ أوَّلُ أرضٍ عُبِدَ فيها وَثَنٌ، وإنَّهُ لا يَحِلُّ لِنَبيٍّ ولا لِوَصِيِّ نَبيٍّ أن يُصَلِّيَ فيها، فَمَن أرادَ منكُم أن يُصَلِّيَ فَليُصَلِّ، فَمالَ النّاسُ عَن جَنبَي الطّريقِ يُصَلّونَ، ورَكِبَ هوَ بَغلَةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ومَضى، قالَ جُويرِيَةُ: فَقُلتُ: واللهِ لَأَتَّبِعَنَّ أميرَ المؤمنينَ ولَأُقَلِّدَنَّهُ صَلاتي اليومَ، فَمَضَيتُ خَلفَهُ فَوَ اللهِ ما جُزنا جِسرَ سُورى(٢) حَتّى غابَتِ الشّمسُ، فَشَكَكتُ، فَالتَفَتَ إليَّ وقالَ: يا جُوَيرِيَةُ أَشَكَكتَ؟ فَقُلتُ: نَعَم يا أميرَ المؤمنينَ، فَنَزَلَ ناحيَةً فَتَوضَّأَ ثُمَّ قامَ نَطَقَ بكَلامٍ لا أُحسِنُهُ إلّا كَأنَّهُ بالعِبراني، ثمَّ نادَى العَصرَ وصَلَّيتُ مَعهُ فَلَمّا فَرَغنا مِن صَلاتِنا عادَ اللَّيلُ كَما كانَ فَالتَفَتَ إليَّ فَقالَ: يا جُوَيرِيَةُ بنُ مسهرٍ إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾(٣) وإنّي سَأَلتُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ باسمِهِ العَظيمِ فَرَدَّ عَلَيَّ الشّمسَ، وَرُوِيَ أنَّ جُوَيرِيَةَ لَمّا رَأى ذلكَ قالَ: لَأنتَ وَصيُّ نَبيٍّ ورَبِّ الكَعبَةِ(٤).

و(بابلَ): ظرفٌ لِـ(أنزَلَ)، أو حالٌ مِنَ (المَلَكَينِ)، أو الضّميرُ في (أنزَلَ)، و(هاروتَ وماروتَ): بَدَلان، أو عَطفُ بَيانٍ لِـ(المَلَكَينِ)، وهُما لا يَنصَرِفانِ؛ للعُجمَةِ والعَلَميّةِ والزّيادَةِ على الثّلاثِ، ولَو كانا عَرَبيّينِ مَأخوذَينِ مِنَ الهَرْتِ والمَرْتِ بمَعنى الكَسرِ؛ لَانصَرَفا، وأمّا على قِراءَةِ رَفعِهِما فَهُما: خَبَرانِ لمبتَدَأٍ محذوفٍ، أي: هُما هاروتُ وماروتُ، وبعضُهُم جَعَلَهُما في صُورَةِ النَّصبِ، وَكَونِ (ما) في (ما أُنزِلَ): نافيَةً بَدَلَينِ للشّياطِينِ بَدَلَ البَعضِ فَيكونُ التَّقديرُ: ولَكنَّ الشّياطينَ هاروتَ وماروتَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحرَ فَيَتَعلَّمونَ منهُما، أي: مِنَ السِّحرِ والكُفرِ ما يُفَرِّقونَ بَينَ المرءِ وزَوجِهِ، ولَم يَنزِلِ السِّحرُ والكُفرُ على المَلَكَينِ، و(ما يُعَلِّمانِ)، أي: المَلَكانِ أحَدًا إلى آخِرِه.

و(ما) في (وَما يُعَلِّمانِ): نافيَةٌ، وفاعلُ (يُعَلِّمانِ) هوَ: الألِفُ الرّاجعُ إلى المَلَكَينِ هاروتَ وماروتَ،

---

(١) ديارُ قومِ لوطٍ التي أهلكَها اللهُ بالخسفِ. معجم البلدان: ٥: ٢١٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: هو نَهرُ الفُراتِ مِن جَنبِ الحِلَّةِ.

(٣) سورة الواقعة ٥٦: ٧٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ١: ٢٠٣، ٢٠٤، حديث رقم: ٦١١.

و(من): مَزيدَةٌ في المفعولِ الأوّلِ لِـ(يُعَلِّمانِ)، ومفعولُهُ الثّاني: محذوفٌ، أي: وما يُعَلِّمانِ أحَدًا السِّحرَ وإبطالَهُ، كَما يَجيءُ بَيانُ ذلكَ في حديثِ عُيونِ الأخبارِ، أي: حَتَّى يَنصَحاهُ ويَقولا لَهُ: (إنَّما نحنُ فِتنَةٌ): مبتدأٌ وخَبَرٌ، أي: امتِحانٌ وابتِلاءٌ مِنَ الله فَمَن تَعَلَّمَ منَّا وعَمِلَ بِهِ كَفَرَ، ومَن تَعَلَّمَ وتَوَقَّى عَمَلَهُ سَلِمَ وثَبَتَ على الإيمانِ، فَلا تَكفُر باعتِقادِ جَوازِهِ والعَمَلِ بِهِ، فَيَكونُ (حَتَّى) بمَعنى إلَّا، وعلى تَقديرِ كَونِ (ما) في (ما أنزَلَ): نافيَةً وكَونِ هاروتَ وماروتَ بَدَلا بَعضٍ مِنَ الشّياطينِ، يكونُ التّقديرُ والمعنى: وما يُعَلِّمانه أحَدًا حَتَّى يَقولا لَهُ: إنَّما نَحنُ مَفتُونانِ فَلا تَكنْ مِثلَنا.

قولُهُ: (فَيَتَعلَّمونَ): فاعلُهُ: الواو الرَّاجعُ إلى العامِّ المَدلولِ عَليهِ مِن أحَدٍ؛ لأنَّ (أحَدًا) عامٌّ فَيدُلُّ على الجَمعِ، و(منهُما): مُتَعلِّقٌ بقَولِهِ: (يَتَعَلَّمونَ)، وضَميرُ التَّثنيةِ لهاروتَ وماروتَ، ويَجوزُ أن يَكونَ ضَميرُ التّثنيَةِ في (منهُما) راجِعَينِ إلى السِّحرِ والكُفرِ لا إلى المَلَكَينِ ولا إلى هاروتَ وماروتَ، أو راجِعَينِ إلى القَبيلَينِ الجِنِّ والإنسِ، أو راجِعَينِ إلى ما تَتلُوا الشّياطينُ وإلى ما أنزَلَ إلى المَلَكَينِ، أي: مِن هذَينِ الصِّفَتينِ، وحينئذٍ يَجوزُ أن تكونَ (مِن) في (مِنهما): بمَعنى البَدَلِ كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[1] وقولِهِ تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً﴾[2] وقولِهم: لَيتَ لَنا مِن كَذا كَذا، وقالَ الشّاعرُ:

جَمعتَ مِنَ الخَيراتِ وَطْبًا[3] وَعُلْبَةً وَصرًّا لِأخلافِ المزَمَّمَةِ البُزْلِ
ومِن كُلِّ أخلاقِ الكِرامِ نَميمَةً وَسَعيًا على الجارِ المُجاورِ بالمحلِ[4]

(١) سورة التوبة ٩: ٣٨.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٦٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: الوَطبُ: القِربَةُ، والذّقُّ الّذي فيهِ السَّمنُ واللَّبنُ من جِلد الجِذعِ فَما فوقَهُ، جَمعُهُ: أوطابٌ، والعُلْبَةُ بضَمِّ العَينِ المهملة وسُكونِ اللّامِ: ظَرفٌ مِن جِلدٍ يُحلَبُ فيهِ البَقرَةُ، والصُّرُّ: شَدُّ مَضرَعِ الناقةِ الحلوبَةِ، والأخلافُ: جَمعُ خِلفٍ بالكَسرِ، والضَّرعُ لكُلِّ ذاتِ ظِلفٍ وخُفٍّ، وقيلَ هو: مَقبَضُ يَدُ الحالِبِ مِنَ الضّرعِ، والبُزْلُ بالضَّمِّ: جَمعُ بازِلٍ، وهيَ: منَ الإبِلِ الّذي تَمَّ ثَمانيَ سِنينَ ودَخَلَ في التّاسِعَةِ، والمَحْلُ: القَحطُ.

(٤) لم يقف الباحث على نسبة البيت من الكتب المختصّة، وأثبته من جامع البيان: ١: ٦٤٩، وأمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد: ١: ٤٢١، والتبيان: ١: ٣٧٨، أي: جمع بدل مكارم الأخلاق هذه الصفات القبيحة.

وقَولِ الآخَرِ يَصِفُ عامِلِي الزّكاةِ بالجَورِ:

أَخَذَ المَخاضَ مِنَ الفَصِيلِ غُلُبَّةً ظُلْمًا وَيَكتُبُ للأميرِ أَفِيلًا [1]

وعلى هذا الوَجهِ يجوزُ أن يكونَ ضَميرُ التّثنيَةِ راجِعًا إلى المَلَكَينِ أيضًا، أي: فَيَتَعَلَّمونَ بَدَلًا مِمَّا عَلَّماهم ما يُفَرِّقونَ بهِ بَينَ المَرءِ وزَوجِهِ لا ما يُصلِحُونَ بَينَهُما، ولا ما يُبْطِلُونَ بهِ الفَسادَ والنِّفاقَ بَينَهُما، وهذهِ الجملةُ، أعني: (فَيَتَعَلَّمونَ): مَعطوفةٌ بالفاءِ على فِعلٍ مَحذوفٍ يَدُلُّ عليهِ قَولُهُ: (فَلا تَكفُر)، أي: فَيَأبونَ فَيَتَعَلَّمونَ منهُما إلى آخِرِهِ، أو عَلى (يُعَلِّمانِ) المذكور، وأَمَّا كَونُ (فَيَتَعَلَّمونَ) مَعطوفًا على (كَفَرُوا) فَيكونُ خَبَرُ لكنَّ أيضًا، أو على (يُعَلِّمونَ) فَيكونُ حالًا مِن فاعلِ كَفَرُوا، أو بَدَلًا مِن كَفَروا؛ لأنَّ تَعليمَ الشَّياطينِ كُفرٌ فَبَعيدٌ. [٤٤٩]

و(ما) في (ما يُفَرِّقونَ): مَوصولَةٌ، مفعولُ (فَيَتعَلَّمونَ)، و(ما) في (وما هُم): نافيَةٌ، و(هُم): اسمُها، و(بضارِّينَ): خَبَرُها، و(الباءُ): مَزيدَةٌ قِياسًا، و(مِن) في (مِن أَحدٍ): مَزيدَةٌ في مَفعولِ ضارِّينَ، و(إلَّا بإذنِ اللهِ): مُتَعلِّقٌ (بِضارِّينَ) على الاستِثناءِ المُفَرَّغِ، و(اللّامُ) في (لَقَد عَلِمُوا): جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ، وفي (لَمَنِ اشتَراهُ) لِلابتِداءِ كَما في: عَلِمتُ لَزَيدٌ قائمٌ، والفِعلُ مُعلَّقٌ بها، و(مَن) مُبتدأٌ، وجملةُ: (اشتَراهُ): صِلَتُها، وجملةُ: (ما لَهُ في الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ) مِنَ المبتدَأِ والخَبَرِ: خَبَرُ (مَنْ)، و(اللّام) في (لَبِئسَ): جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ أيضًا، وإعرابُ (بِئسَ ما شَرَوا) إلى آخِرِهِ: قَد مَرَّ بيانُهُ مُفصَّلًا، و(لَو) في (لَو كانُوا يَعلَمونَ): شَرطيَّةٌ، وجوابُها: مَحذوفٌ، أي: لَو كانُوا يَعلَمونَ وَخامَتَهُ[2]

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: الأفيلُ: الصّغيرُ مِنَ الإبلِ؛ لأَنَّهُ يَأفُلُ بينَ الإبلِ، أي: يَغيبُ، وانتِصابُ أفيلًا على الحِكايَةِ؛ لأنَّهُم يَكتُبونَ أَدَّى فُلانٌ أفيلًا، وغُلُبَّة: بالغَينِ المُعجمَةِ واللّامِ المضمومَتَينِ وتَشديدِ الباءِ الموحَدَةِ: الغَلَبَةُ. والبيت من الكامل، لعُبيد الراعي. ينظر: مغني اللبيب: ١: ٣٢٠، وإيضاح شواهد الإيضاح: ٢: ٨٧٩، وقد جاء بلفظ: أَخَذُوا الكرامَ مِنَ العِشارِ ظُلامةً مِنّا ويُكْتَبُ للأميرِ أفيلا

أي: بدلٌ من الفصيل.

(٢) أمر وخيم: أي ثقيل رديء. الصحاح: ٥: ٢٠٤٩، (وخم)، ولسان العرب: ١٢: ٦٣١، (وخم).

لَامتَنَعُوا مِن ذلكَ، ويُحتَمَلُ أن تَكونَ للتَّمَنِّي، ففيهِ أيضًا نَفيٌ للعِلمِ بطَريقٍ آخَرَ مَعَ التَّحسُّرِ والتَّوجّعِ، والباقي: واضِحٌ.

المعنى:

﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾ على ما هوَ الصّحيحُ مِن جِهةِ اللّفظِ والمذهَبِ والمَعنى مُوافِقًا لِما في تَفسيرِ الأئمَّةِ عليهم السلام أنَّ اليَهودَ ومَن يَحذو حَذوَهُم نَبَذُوا كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهورِهِم وتَركوهُ واتَّبَعُوا واقتَدَوا كُتُبَ السِّحرِ والصّحيفَةِ الملعُونَةِ الّتي تَقرَأُها أو تَتبَعُها كَفَرَةُ الشّياطِينِ مِنَ الجِنِّ أو الإنسِ أو كِلَيهِما في عَهدِ مُلكِ سُليمانَ، أو في زَمَنِه، أوِ اتَّبَعُوا ما تكذِبُ الشّياطِينُ منهُما على مُلكِ سُليمانَ، وما يَكذِبونَ على المَلَكَينِ بأن كانُوا يَستَرِقُّونَ السّمعَ ويَضُمُّونَ إلى ما سَمِعُوا أكاذِيبَ كَثيرةً ويُلقونَها إلى الكَهَنَةِ وهُم يُدَوِّنونَها ويُعَلِّمونَ النّاسَ، وفَشا ذلكَ في عَهدِ مُلكِ سُليمانَ بنِ داوُد عليهما السلام وزَعمُوا أنَّ سُليمانَ كانَ كافِرًا ساحِرًا ماهِرًا بهِ، وبذلكَ العِلمِ مِنَ السِّحرِ والنَّيرنجاتِ[1] تَمَّ مُلكُ سُليمانَ، وبهِ نالَ ما نالَ، ومَلَكَ ما مَلَكَ، وقَدَرَ ما قَدَرَ، وتَسَخَّرَ بهِ الإنسَ والجِنَّ والريحَ والطّيرَ حَتَّى قيلَ: إنَّ الجِنَّ يَعلَمونَ الغَيبَ، فَقالَ تعالى رَدًّا لِاعتِقادِهِم في سورةِ سَبأ بعدَ قِصَّةِ سَليمانَ عليه السلام مِن قَولِهِ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[2].

---

(١) هي: إظهارُ خواصِّ غرائبِ الامتزاجات، وأسرار النّيرين، ويلحقُ بهِ الطّلسمات، وهو: تمزيجُ القوى العالية بالقوى السافلة. سداد العباد ورشاد العباد: ٤٢٩، والاصطلاحات الفقهيّة في الرسائل العمليّة: ٢٢٢.

(٢) سورة سبأ ٣٤: ١٢ـ ١٤.

قالَ الرِّضا عليه السلام في العُيونِ: «تَبَيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجِنَّ لَو كانُوا يَعلَمونَ الغَيبَ»(١) إلى آخِرِه وسَنُشيرُ إلى ذلكَ في ذِكرِ قِصّةِ هاروتَ وماروتَ إن شاءَ اللهُ تعالى، وحَتَّى قالُوا: نَحنُ بِهِ نُظهِرُ العَجائبَ حَتَّى يَنقادَ لنا النّاسُ ونَستَغني بِهِ عَنِ الانقِيادِ لُمحَمَّدٍ وعَليٍّ عليهما السلام.

وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ والعَيّاشي: عَن أبي بصيرٍ عَن أبي جَعفرٍ الباقِرِ عليه السلام أنَّهُ قالَ: «لمَّا هَلَكَ سُليمانُ عليه السلام وَضَعَ إبليسُ السِّحرَ ثُمَّ كَتَبَهُ في كِتابٍ فَطَواهُ وكَتَبَ على ظَهرِهِ: هذا ما وَضَعَ آصِفُ بنُ بَرخِيا لِلمَلِكِ سُليمانَ بنِ داوُد عليه السلام مِن ذَخائِرِ كُنوزِ العِلمِ مَن أراد كَذا وكَذا فَليَعمَل كَذا وكَذا، ولْيَقُل كَذا وكَذا، ثمَّ دَفَنَهُ تَحتَ السّريرِ ثمَّ استَبانَ لَهُم فَقَرَأُوهُ فقالَ الكافِرونَ: ما كانَ يَغلِبُنا سُليمانُ إلّا بهذا، وقالَ المؤمنونَ: بَل هوَ عَبدُ اللهِ ونَبيُّهُ، فقالَ تعالى في كِتابِهِ: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾** الآيةِ، وما تَتلوا الشّياطِينُ هوَ السِّحرُ»(٢).

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ولا استَعمَلَ السِّحرَ كَما زَعمَ هؤلاء الكَفَرَةُ، **﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾** باستِخراجِهِم السِّحرَ وبنِسبَتِهِ إلى سُليمانَ عليه السلام، وفي الاحتِجاجِ: «عنِ الصّادقِ عليه السلام في حَديثٍ: قالَ السّائلُ: فَمن حَيثُ عَلِمَ الشّياطينُ السِّحرَ؟ قالَ: مِن حيثُ عَرَفَ الأطبّاءُ الطِّبَّ، بعضُهُ تَجربَةٌ وبعضُهُ عِلاجٌ»(٣)، وسنُشيرُ إلى تَتِمّهِ.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، يعني: إنَّ الشّياطينَ كَفَروا بدَلالَتِهِم على استِخراجِ كُتُبِ السّحرِ مِن تَحتِ كُرسِيِّ سُليمانَ عليه السلام وبتَعليمِهِم النّاسَ ذلكَ السِّحرَ الّذي نَسَبوهُ إلى سُليمانَ عليه السلام، **﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾**، أي: وبِتَعليمِهِم النّاسَ ما أُنزِلَ على المَلَكَينِ، أي: ماهيَّةَ السِّحرِ وصِفَتَهُ وكَيفيَّةَ الاحتِيالِ فيهِ؛ لِيُعَرِّفا ذلكَ ويُعَرِّفاهُ النّاسَ فَيَجتَنبوهُ، غَيرَ أنَّ الشّياطينَ لمَّا عَرِفُوهُ استَعمَلوهُ، وإن كانَ المؤمنون إذا عَرِفوهُ اجتَنَبوهُ وانتَفعُوا بالاطِّلاعِ على كَيفِيَّتِهِ، هذا إذا كانَ ما أُنزِلَ عَطفًا على

(١) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ٢٤٠.

(٢) تفسير القمّي: ٢: ٢٠٠، وتفسير العيّاشي: ١: ٥٢.

(٣) الاحتجاج: ٢: ٨٢.

السِّحرِ في قَولِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وأمَّا إذا كانَ عطفًا على مُلكِ سُليمانَ يكونُ المعنى: واتَّبَعُوا ما كَذَبَ الشّياطينُ على مُلكِ سُليمانَ وعلى ما أُنزِلَ على المَلَكَينِ، أي: ما كَذِبُوا بهِ على ألسِنَتِهما، كَقولِهِ تعالى: ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾(١)، أي: مَعَهُم وعلى ألسِنتِهِم، وقولِهِ: هاروتَ وماروتَ على هذينِ الوَجهينِ: بَدَلٌ، أو عَطفُ بَيانٍ للمَلَكَينِ، وكَذا إذا كانَ (ما) في (وما أُنْزِلَ عَلى المَلَكَينِ): نافيةً، فيكونُ المعنى: وما كَفَرَ سُليمانُ ولا أنزَلَ اللهُ السِّحرَ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ، ولكنَّ الشّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ، ويكونُ في الكَلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، ويحتملُ أيضًا على تَقديرَ كَونِ (ما) نافيةً أن يكونَ هاروتُ وماروتُ رَجُلينِ مِن شَياطينِ الجِنِّ والإنسِ، ويَكونا بَدَلَ بعضٍ مِنَ الشّياطينِ على ما مَرَّ في الإعرابِ، فيَكونُ المعنى: وما كَفَرَ سُليمانُ، ولا أنزَلَ اللهُ السِّحرَ على المَلَكَينِ، ولكنَّ الشّياطينَ هاروتَ وماروتَ كَفَرُوا يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ ببابلَ، ويَسوغُ ذلكَ كَما ساغَ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾(٢) يعني: حُكمَ داوُدَ وسُليمانَ، وحينئذٍ يكونُ المَلكانِ اللّذانِ نَفَى عنهُما السِّحرَ جَبرئيلَ ومِيكائيلَ؛ لأنَّ سَحرَةَ اليَهودِ فيما ذُكِرَ كانَت تَدَّعِي: أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أنزلَ السِّحرَ على لِسانِ جبرئيلَ ومِيكائيلَ على سُليمانَ فَأكَذَبَهُم اللهُ تعالى، والوَجهُ الأوَّلُ مِن هذهِ الأَوجهِ الأربعَةِ هوَ الأصَحُّ والأظهرُ. [٤٥٠]

وقالَ الإمامُ عليه السلام: «قالَ الصّادقُ عليه السلام: وكانَ بعدَ نوحٍ عليه السلام قد كَثُرَ السِّحرُ والمُمَوِّهونَ فَبعَثَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مَلَكَينِ إلى نَبيِّ ذلكَ الزّمانِ بذِكرِ ما يَسحرُ بِهِ السَّحرَةُ وذِكرِ ما يُبطَلُ بِهِ سِحرُهُم ويُرَدُّ بهِ كَيدُهُم فتَلَقَّاهُ ذلكَ النَّبيُّ عَنِ المَلَكَينِ وأدَّاهُ إلى عِبادِ الله بأمرِ الله عَزَّ وجَلَّ، وأمَرَهُم أن يَقِفُوا بهِ على السِّحرِ وأن يُبطِلوهُ ونَهاهُم أن يَسحروا بِهِ النَّاسَ وهذا كَما يُدَلُّ على السَّمِّ ما هوَ؟ وما يُدفَعُ بِهِ غائلةَ السَّمِّ ثمَّ يُقالُ لِمُتعلِّمِ ذلكَ: هذا هوَ السَّمُّ، فَمَن رَأيتَهُ سُمَّ فَادفَعْ غائلَتَهُ بكَذا، وإيَّاكَ أن تَقتلَ بالسَّمِّ أحَدًا، قالَ: وذلكَ النَّبيُّ عليه السلام أمَرَ المَلَكَينِ أن يَظهَرا للنَّاسِ بصُورَةِ بَشَرينِ ويُعَلِّماهُم ما عَلَّمَهُما اللهُ

(١) سورة آل عمران ٣: ١٩٤.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٧٨.

مِن ذلكَ ويَعِظاهُم، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ ذلكَ السِّحرَ وإبطالَهُ ﴿حَتَّى يَقُولَا﴾، أي: إلَّا أن يَقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾، أي: امتِحانٌ منَ اللهِ تعالى للعِبادِ لِيُطيعُوا اللهَ عَزَّ وجَلَّ فيما يَتعلَّمونَ مِن هذا ويُبطِلُون بهِ كَيدَ السَّحَرةِ، ولا يَسحَروا بهِ، فَمَن تَعَلَّمَ منّا وعَمِلَ بهِ فَقَد كَفَرَ كَما قالا: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستِعمالِ هذا السَّحرِ وطَلَبِ الإضرارِ بهِ ودُعاءِ النّاسِ إلى أن يَعتَقِدوا أنَّكَ بهِ تُحيي وتُميتُ وتَفعَلُ ما لا يَقدِرُ عليهِ إلَّا اللهُ فإنَّ ذلكَ كُفرٌ»(١).

دلالةُ الآية:

فَتدُلُّ الآيةُ على أنَّ تَعلُّمَ السِّحرِ، وما لا يَجوزُ استِعمالُهُ غَيرُ مَحظورٍ، وإنَّما المَحظورُ اتِّباعُهُ والعَمَلُ بهِ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾، أي: طالِبوا السِّحرِ المفهومِ مِن أحَدٍ على ما بَيَنّاهُ في الإعرابِ؛ لِكَونِهِ مِن صِيَغِ العُمومِ في أمثالِ هذهِ المواضِعِ، ﴿مِنْهُمَا﴾، أي: مِنَ السِّحرِ والكُفرِ، أو مِمّا تَتلُوا الشّياطينُ وما أُنزِلَ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ يَتَعَلَّمونَ مِن هذَينِ الصِّنفَينِ أو مِنَ المَلَكَينِ على ما مَرَّ بيانُهُ في حَديثِ الصّادقِ عليه السلام ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، أي: السِّحرَ الّذي يكونُ سَبَبًا لِتفريقِهِما وإضرارًا لِأحَدِهِما ولِسائرِ النّاسِ، فَيَتَعلَّمونَ التّفريقَ بأصنافٍ مِنَ الحِيلةِ والنَّميمَةِ والوِشايَةِ حَتَّى يَؤُلَ إلى الفِرقَةِ والمُبايَنَةِ، أو يُغْوُونَ أحَدَ الزّوجَينِ ويَحمِلونَهُ على الشّركِ والكُفرِ باللهِ تعالى، فَيَكونُ بذلكَ فارَقَ زَوجَهُ المؤمِنَ المُقيمَ على دِينِهِ، فَيُفرِّقُ بينَهُما لاختِلافِ المِلَّةِ وتَبايُنِ النِّحلَةِ، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾، أي: لا يَكونُ المُتعلِّمونَ لِما يُفرِّقونَ بهِ بينَ المَرءِ وزَوجِهِ بضارِّينَ بذلكَ أحَدًا ولا يُلحِقُونَ بذلكَ بغَيرِهِم ضَرَرًا إلَّا بتَخليَةِ اللهِ وعِلمِهِ ورَفعِهِ الموانِعَ، فَإنَّهُ سبحانَهُ لَو شاءَ لَمَنعَهُم فَمَن شاءَ مَنَعَهُ فَلا يَضُرَّهُ السِّحرُ ومَن شاءَ خَلَّى بينَهُ وبَينَهُ فَيَضُرَّهُ؛ لأنَّ ذلكَ السِّحرَ وغَيرَهُ مِنَ الأسبابِ المُضِرَّةِ غَيرُ مُؤَثِّرَةٍ بالذّاتِ، بَل بأَمرِهِ سبحانَهُ وبتَخليَتِهِ وجَعلِهِ إيّاها مُؤثِّرَةً.

وقِراءَةُ: (بِضارِّي بهِ مِن أحَدٍ)(٢) على إضافَتِهِ إلى أحَدٍ بِجَعلِ الظَّرفِ والجارِّ جُزءًا منهُ كَما ذَكَرَهُ

(١) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٤٧٣.

(٢) وهي قراءة الأعمش. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٣.

الزَّمخشَريُّ[1] فكَريهةٌ قَبيحَةٌ، بَل حَذفُ النُّونِ منهُ ليسَ لِلإضافَةِ، بَل للتَّخفيفِ الاعتِباطي في قَولِهِ تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾[2] عَلى قِراءَةِ نَصبِ (الصّلاةِ) معَ حَذفِ النّونِ[3]، ومِن ثَمَّ لَم نذكُرْ ذلكَ في القِراءَةِ.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾؛ لأنَّهُم إذا تَعلَّموا ذلكَ لِقَصدِ أن يَسحَروا على النّاسِ ويَضُرُّوهُم لا أن يَجتَنِبوهُ، فَقَد تَعلَّموا ما يَضُرُّهُم في دينِهِم وفي آخِرتِهِم ولا يَنفَعُهُم فيهِما بَل يَخرُجونَ بذلكَ مِن دينِ الله، وإن كانَ يَنفَعُهُم في الدُّنيا بأخذِ أموالِ النّاسِ، **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾**، أي: واللهِ لَقَد عَلِمَ هؤلاءِ المُتَعَلِّمونَ مِنَ اليَهودِ ومَن يَحذو حَذوَهُم أنَّ مَن اشتَرى كِتابَ السِّحرِ والشَّعبذَةِ، أي: استَبدَلَهُ واختارَهُ على كِتابِ الله تعالى لَم يَكُنْ لهُ في الآخِرَةِ مِن نَصيبٍ مِنَ الثّوابِ آجِلًا، **﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**، واللهِ لَبِئسَ ما باعُوا بِهِ أنفُسَهُم، أي: حُظُوظَها لَو كانُوا يَعلمونَ بذلكَ الشَّري، أي: بثَمَرَتِهِ وحَقيقَةِ ما يَتَرتَّبُ عليهِ مِن أنَّهُ لا خَلاقَ لَهُم في الآخِرَةِ لامتَنَعُوا عنهُ، ومَساقُ هذهِ الآيةِ لِتَقبيحِ حالِهِم يَقتَضي تَعلُّقَ (يَعلَمونَ) بِما تَعَلَّقَ بِهِ (عَلِمُوا) فَيَتَّحدُ مُتَعَلِّقُ المُثبَتِ والمنفِيِّ، وأنَّ معنى الآيَةِ على ما مَرَّ: أنَّ مَن اشتَرَى واستَبدَلَ كِتابَ السِّحرِ عَلى كِتابِ الله تعالى ما لَهُ في الآخِرَةِ نَصيبٌ أصلًا لا أنَّهُ ليسَ لَهُ

[٤٥١]

نَصيبٌ وأجرٌ على ذلكَ الشِّراءِ كَما في المُباحاتِ، ولا يَخفى أنَّ ذلكَ نِهايَةُ المذمُوميَّةِ، فَاندَفَعَ ما يُقالُ مِن أنَّ مُتَعلَّقَ العِلمِ المُثبَتِ عَدَمُ النَّفعِ، ومُتَعلِّقُ الجَهلِ غايَةُ المَضَرَّةِ المستَفادَةِ مِن كَلمةِ بِئسَ المَوضوعَةِ للذَّمِّ العامِّ فَلا اتِّحادَ بينَهُما؛ لِوُجُودِ الأَوَّلِ بدونِ الثّاني في المُباحاتِ، وقيلَ: معنى **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**: لَو كانُوا يَعمَلونَ بعلمِهِم، فَإِنَّ مَن لَم يَعملْ بعِلمِهِ فهوَ والجاهِلُ سَواءٌ، كَما قالَ

---

(١) ينظر: الكشّاف: ١: ١٧٣.

(٢) سورة الحج ٢٢: ٣٥.

(٣) وهي قراءة ابن أبي اسحاق وابن أبي عمرو. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ٢: ٨٠، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٦٠٣.

صاحبُ المفتاحِ: «وإن شِئتَ فَعَليكَ بكَلامِ رَبِّ العِزَّةِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ كَيفَ تَجدُ صَدرَهُ يَصِفُ أهلَ الكِتابِ بالعِلمِ ـ بقولِهِ: ولَقَد عَلِموا إلى آخِرِهِ ـ على سَبيلِ التَّوكيدِ القَسَمِيّ وآخِرَهُ بنفيِهِ عَنهم ـ بقَولِهِ: لَو كانُوا يَعلَمونَ ـ حَيثُ لَم يَعمَلُوا بعِلمِهِم، ثمَّ قالَ: وإنَّ وجودَ الشّيءِ سَواءٌ كانَ هوَ العِلمُ وغَيرُهُ يُنزَّلُ مَنزِلَةَ عَدَمِهِ، فَقالَ: ونَظيرُهُ في النَّفي والإثباتِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[1]»[2].

دلالةُ الآية:

وقالَ في المجمَعِ: «وفي هذهِ الآيةِ دَلالَةٌ على أنَّ الأفعالَ تَختَلفُ باختِلافِ المقاصِدِ، ولذلكَ كانَ تَعَلُّمُ السِّحرِ؛ لإزالَةِ الشّبهَةِ والتَّحرُّزِ منهُ واجتِنابِهِ إيمانًا، وتَصديقِهِ واستِعمالِهِ كُفرًا، واُختُلِفَ في ماهيَّةِ السِّحرِ على أقوالٍ:

فَقيلَ: إنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّخيّلِ، وصَنعَةٌ مِن لَطيفِ الصّنائعِ، وقَد أمَرَ اللهُ تعالى بالتَّعوّذِ منهُ، وجَعَلَ التَّحرُّزَ بكِتابهِ وِقايَةً منهُ، وأنزَلَ فيهِ سُورةَ الفَلَقِ، وهوَ قولُ الشّيخُ المُفيدِ أبي عَبدِ اللهِ[3] مِن أصحابِنا. وقيلَ: إنَّهُ خُدَعٌ ومَخاريقُ[4] وتَمويهاتٌ لا حَقيقَةَ لَها، يُخَيَّلُ إلى المسحورِ أنَّ لَها حَقيقَةً. وقيلَ: إنَّهُ يُمكنُ السّاحِرُ أن يَقلِبَ الإنسانَ حمارًا مِن صُورةٍ إلى صُورةٍ، ويُنشِئُ الحَيَوانَ على وَجهِ الاختِراعِ.

---

(١) سورة الأنفال ٨: ١٧.

(٢) مفتاح العلوم: ١: ١٧٢.

(٣) هو: محمد بن محمد بن النعمان، يُعرَفُ بابن المعلم، رئيسُ مَشايخِ الشّيعةِ وأستاذهِم، برع في الفقه والكلام والرواية، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه، له أكثر من مائتي كتاب في مختلف العلوم والفنون، منها: كتابا المقنعة والأركان في الفقه، وكتاب الارشاد، وكتاب الايضاح في الإمامة وغيرها، توفي سنة (٤١٣هـ). ينظر: رجال النجاشي: ٤٠٢، ترجمة رقم: ١٠٦٧، وخلاصة الأقوال: ٢٤٨، ترجمة رقم: ٤٦، وسير أعلام النبلاء: ١٧: ٣٤٤. ولم يقف الباحث على هذه النسبة في أي من كتب الشيخ ﵀، وقد نقلها عنه صاحب المجمع.

(٤) هي: جمعُ مِخراق، وهو في الأصلِ: ثوبٌ يُلفُّ ويَضربُ بِهِ الصّبيانُ بعضَهُم بعضًا، والممخرقُ: المموَّهُ. لسان العرب: ١٠: ٧٦، (خرق)، و٣٣٩، (مخرق).

وهذا لا يَجوزُ، ومَن صَدَّقَ بهِ فَهوَ لا يَعرِفُ النُبُوَّةَ ولا يَأمنُ أن تكونَ مُعجزاتُ الأنبياءِ مِن هذا النَّوعِ، ولَو أنَّ السّاحرَ والمُعزِمَ قَدَرا على نَفعٍ أو ضَرٍّ وعَلِما الغَيبَ لَقَدَرا على إزالَةِ المَمالِكِ واستِخراجِ الكُنوزِ مِن مَعادِنِها والغَلَبَةِ على البُلدانِ بِقَتلِ المُلوكِ مِن غَيرِ أن يَنالَهُم مَكروهٌ وضَرَرٌ فلَمّا رَأيناهُم أسوَءَ النّاسِ حالًا وأكثَرَهُم مَكيدَةً واحتِيالًا عَلِمنا أنَّهُم لا يَقدِرونَ على شَيءٍ مِن ذلكَ، فَأمَّا ما رُوِيَ منَ الأخبارِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُحِرَ فكانَ يَرى أنَّهُ فَعَلَ ما لَم يَفعَلْهُ، أو أنَّهُ لَم يَفعَلْ ما فَعَلَهُ فَأخبارٌ مُفتَعَلَةٌ لا يُلتَفَتُ إليها، وقَد قالَ اللهُ تعالى حِكايَةً عَنِ الكُفّارِ: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[1] فَلَو كانَ السِّحرُ عَمِلَ فيهِ لَكانَ الكُفّارُ صادِقينَ في مَقالَتِهِم حاشَى النَّبيُّ ﷺ مِن كُلِّ صِفَةِ نَقصٍ تُنَفِّرُ عَن قَبولِ قَولِهِ فَإنَّهُ حُجَّةُ اللهِ عَلى خَليقَتِهِ وصَفوَتُهُ على بَرِيَّتِهِ»[2]، انتهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ.

أقولُ: ويَعضُدُ ما قالَهُ ﵀ ما رَوى في كِتابِ الاحتِجاجِ: بإسنادِهِ عن أبي عَبدِ اللهِ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ، وفيهِ: قالَ السّائلُ لَهُ عليه السلام: فَمِن أينَ عَلِمَ الشّياطينُ السِّحرَ؟ قالَ: «مِن حَيثُ عَرَفَ الأطبّاءُ الطِّبَّ بعضُهُ تَجربَةٌ وبعضُهُ عِلاجٌ، قالَ: فَما تَقولُ في المَلَكَينِ هاروتَ وماروتَ وما يَقولُ النّاسُ بأنَّهُما يُعَلِّمانِ النّاسَ السِّحرَ؟ قالَ: إنَّهُما مَوضِعُ ابتِلاءٍ ومَوقِفُ فتنَةٍ بتَسْبيحِهِما اليومَ لَو فَعَلَ الإنسانُ كَذا وكَذا لَكانَ كَذا وكَذا، ولَو يُعالَجُ بكَذا وكَذا لَصارَ كَذا أصنافَ السِّحرِ، قالَ: أَفَيَقدِرُ السّاحرُ أن يَجعَلَ الأنسانَ بِسِحرِهِ في صُورةِ الكَلبِ أو الحِمارِ أو غَيرِ ذلكَ؟ قالَ عليه السلام: هوَ أعجَزُ مِن ذلكَ وأضعَفُ مِن أن يُغَيِّرَ خَلْقَ اللهِ، إنَّ مَن أبطَلَ ما رَكَّبَهُ اللهُ وصَوَّرَهُ وغَيَّرَهُ فهوَ شَريكُ اللهِ في خَلقِهِ تعالى اللهُ عَن ذلكَ عُلُوًّا كبيرًا»[3] ، انتهى الحديثُ.

(١) سورة الإسراء ١٧: ٤٧.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) الاحتجاج: ٢: ٨٢.

قِصَّةُ هاروتَ وماروتَ وتَفسيرُ الآيتَينِ على ما رُوِيَ في أحاديثِ أهلِ العِصمَةِ والطَّهارَةِ صَلواتُ الله عليهِم أجمعينَ:

في عُيونِ الأخبارِ: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ القاسِمِ[1] المُفَسِّرِ المعروفِ: بأبي الحَسَنِ الجُرجانِي ﷺ قالَ: حَدَّثَنا يُوسفُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ زيادٍ وعَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنُ سَيّارٍ[2] عَن أبَوَيهِما عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ عَن أبيهِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ عَن أبيهِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ عَن أبيهِ الرِّضا عَلِيِّ بنِ موسى عَن أبيهِ موسى بنِ جَعفَرٍ عَن أبيهِ الصّادِقِ جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾: «قالَ: اتَّبَعوا ما تَتلو كفرَةُ الشّياطينِ مِنَ السّحرِ والنّيرنجاتِ على مُلكِ سُليمانَ، الّذينَ يَزعُمُونَ أنَّ سُليمانَ بهِ مَلَكَ، ونَحنُ أيضًا بهِ [٤٥٢] نُظهِرُ العجائبَ حَتّى يَنقادَ لَنا النّاسُ، وقالوا كانَ سُليمانُ كافرًا ساحرًا ماهرًا بِسِحرِهِ مَلَكَ ما مَلَكَ وقَدَرَ ما قَدَرَ، فرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَليهِم فقالَ: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ ولا استَعمَلَ السِّحرَ كَما قالَ هؤلاءِ الكافِرونَ، ولكنَّ الشَّياطينَ كَفَروا يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ الّذي نَسَبوهُ إلى سُليمانَ، ولا ما أُنزِلَ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ، وكانَ بعدَ نوحٍ عليه السلام قَد كَثُرَتِ السَّحَرَةُ والمُمَوّهونَ فَبَعَثَ اللهُ مَلَكَينِ إلى نَبِيِّ ذلكَ الزّمانِ بِذكرِ ما يَسحَرُ بهِ السَّحَرَةُ، وذِكرِ ما يبطلُ بهِ سِحرُهُم ويُرَدُّ بِهِ كَيدُهُم، فتَلَقّاهُ النّبيُّ عَنِ المَلَكَينِ وأدّاهُ إلى عِبادِ الله بأمرِ الله عَزَّ وجَلَّ وأمَرَهُم أن يَقِفوا بهِ على السِّحرِ وأن يُبطِلُوهُ، ونَهاهُم أن يَسحَروا بِهِ النّاسَ، وهذا كَما يُدَلّ على السَّمِّ ما هوَ وعلى ما يُدفَعُ بِهِ غائلةَ السَّمِّ ثمَّ قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى**

---

(١) الاسترابادي: روى عنهُ الصّدوقُ كثيرًا مُترَضّيًا عليهِ، وهذا الالتزامُ منهُ بالتّرضّي يكشفُ عن كونِ الرّجلِ جليلًا ثقةً ثبتًا. ينظر: منتهى المقال في أحوال الرجال: ٦: ١٦٥، ترجمة رقم: ٢٨٣٠، ومستدركات علم رجال الحديث: ٧: ٢٩٥، ترجمة رقم: ١٤٣٣٣.

(٢) هما: أبو يعقوب وأبو الحسن من الشيعة الإماميّة، استأذن أبواهما على الإمام العسكري عليه السلام، فقال لهما: خلِّفا عَلَيَّ وَلديكما لأفيدهما العلمَ الذي يُشرّفهما الله تعالى به، ويُستفادُ من تفسيرِ الإمام العسكري عليه السلام مدحهما ووثاقتهما. ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٧٠٠ وما بعدها، ومستدركات علم رجال الحديث: ٥: ٤٥١، ترجمة رقم: ١٠٣٩٢، و٨: ٢٨٨، ترجمة رقم: ١٦٥٠٤، ومن أراد تفصيل الكلام في سند تفسير الإمام العسكري فليراجع: الرسائل الرجالية: ٢: ٦٢٨ وما بعدها.

يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، يعني: إنَّ ذلكَ النَّبيَّ أمَرَ المَلَكَينِ أن يَظهَرا للنّاسِ بصُورةِ بَشَرَينِ ويُعلِّماهُم ما عَلَمَهُما اللهُ مِن ذلكَ، فقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: وما يُعَلِّمانِ مِن أحَدٍ ذلكَ السِّحرَ وإبطالَهُ حَتَّى يَقولا للمُتَعَلِّمِ إنَّما نَحنُ فِتنَةٌ وامتِحانٌ للعبادِ، لِيُطِيعوا اللهَ فيما يَتَعَلَّمونَ مِن هذا ويُبطِلُوا بهِ كَيدَ السَّحَرَةِ ولا يُسحِروهُم فَلا تَكفُر باستِعمالِ السِّحرِ وطَلَبِ الإضرارِ بهِ ودُعاءِ النّاسِ إلى أن يَعتَقِدُوا أنَّكَ تُحيي وتُميتُ وتَفعَلُ ما لا يَقدِرُ عليهِ إلّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ فَإنَّ ذلكَ كُفرٌ، قالَ اللهُ تعالى: **﴿فيَتَعَلَّمونَ﴾**، يَعني: طالِبي السِّحرِ منهُما، يَعني: مِمَّا كَتَبتهُ الشّياطينُ على مُلكِ سُليمانَ مِنَ النّيرنجات، وما أنزَلَهُ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ يَتَعَلَّمونَ مِن هذَينِ الصِّنفَينِ ما يُفرِّقونَ بهِ بينَ المرءِ وزَوجِهِ، هذا مَن يَتَعَلَّمُ لِلإضرارِ بالنّاسِ يَتَعَلَّمونَ التَّفريقَ بضُروبِ الحِيَلِ والتَّمائِم[1] والإيهامِ، وأنَّهُ قَد دُفِنَ في مَوضِعِ كَذا وكَذا لِيُحبِّبَ الرّجُلَ إلى المَرأةِ، والمرأةَ إلى الرّجُلِ، أو يُؤدّي إلى الفِراقِ بينَهُما، ثمَّ قالَ عَزَّ وجَلَّ: **﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾**، أي: ما المُتَعَلِّمونَ لذلكَ بضارِّينَ بهِ مِن أحَدٍ إلّا بإذنِ اللهِ، يَعني: بتَخلِيَةِ اللهِ وعِلمِهِ فإنَّهُ لَو شاءَ لَمَنَعَهُم بالجَبرِ والقَهرِ، ثمَّ قالَ تعالى: **﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾**، لأنَّهم إذا تَعَلَّموا ذلكَ السِّحرَ لِيسحَروا بهِ ويَضرُّوا فَقَد تَعَلَّموا ما يَضُرُّهُم في دينِهِم ولا يَنفَعُهُم فيهِ، بَل يَنسَخِلونَ[2] عَن دينِ اللهِ بذلكَ، ولَقَد عَلِمَ هؤلاءِ المُتَعَلِّمونَ لِمَن اشتَراهُ بِدينِهِ الّذي يَنسَخُ عنهُ بتَعلُّمِهِ ما لَهُ في الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ، أي: مِن نَصيبٍ في ثَوابِ الجَنَّةِ، ثمَّ قالَ تعالى: **﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾** ورَهَنُوها بالعَذابِ لَو كانُوا يَعلَمونَ أنَّهُم قد باعُوا الآخِرَةَ وتَرَكُوا نَصيبَهُم مِنَ الجَنَّةِ؛ لأنَّ المُتَعَلِّمينَ لهذا السِّحرِ الّذينَ يَعتَقِدونَ أن لا رَسُولَ ولا إلَهَ ولا بعثَ ولا نُشُورَ، وقالَ تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾**؛ لأنَّهُم يَعتَقِدونَ أنَّها إذا لَم تكُنْ آخِرَةٌ فَلا خَلاقَ لَهُم في دارٍ بعدَ الدُّنيا، وإن كانَ بعدَ الدُّنيا

---

(١) جمعُ تميمَةٍ: خرزَةٌ تُثقَبُ ويُجعَلُ فيها خُيوطٌ تُعلَّقُ بها، وهي عوذةٌ تُعلّقُ في أعناقِ الصّبيانِ كانت العربُ تُعلّقها على أولادِهِم يتّقونَ بها العينَ في زعمِهِم فأبطلَها الاسلامُ. العين: ٨: ١١١، (تم)، ولسان العرب: ١٢: ٧٠، (تمم).

(٢) الصحيحُ: يَنسلِخونَ، ولعل الخطأ من النَسخِ.

آخِرةٌ فهُم مَعَ كُفرِهِم بها لا خَلاقَ لَهُم فيها، ثمَّ قالَ تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ باعُوا الآخِرَةَ بالدُّنيا ورَهَنُوا بالعَذابِ الدائِمِ أنفُسَهُم لَو كانُوا يَعلَمونَ أنَّهُم قَد باعُوا أنفُسَهُم بالعَذابِ ولكِن لا يَعلَمونَ ذلكَ لِكُفرِهِم بِهِ فلَمّا تَرَكُوا النَّظَرَ في حُجَجِ الله حَتّى يَعلَمُوا عَذَّبَهُم اللهُ على اعتِقادِهِم الباطِلِ وجَحدِهِم الحَقَّ»[1].

قالَ يوسُفُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ زيادٍ وعَليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنُ سيَّارٍ عَن أبَوَيهِما أنَّهُما قالا: قُلنا للحَسَنِ أبي القائِمِ عليهما السلام: فَإنَّ قومًا عِندَنا يَزعمونَ أنَّ هاروتَ وماروتَ مَلَكانِ اختارَتهُما الملائِكَةُ لَمّا كَثُرَ عِصيانُ بَني آدمَ وأنزَلَهُما معَ ثالِثٍ لَهُما إلى الدُّنيا وأنَّهُما أتَيا بالزُّهرَةِ وأرادَا الزّنا بِها وشَرِبَا وقَتَلا النَّفسَ المُحَرَّمَةَ وأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُعذّبهُما ببابِلَ وأنَّ السَّحرَةَ منهُما يَتَعَلَّمونَ السِّحرَ، وأنَّ اللهَ مَسَخَ تلكَ المرأةَ هذا الكَوكَبُ الّذي هوَ الزُّهرَةُ، فقالَ الإمامُ عليه السلام: «مَعاذَ اللهُ مِن ذلكَ إنَّ الملائكَةَ مَعصُومُونَ مَحفُوظونَ مِنَ الكُفرِ والقَبائِحِ بألطافِ الله تعالى، قالَ اللهُ تعالى فيهِم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، وقالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[3] وقالَ تعالى في الملائكَةِ أيضًا: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[4] ثم قالَ عليه السلام: لَو كانَ كَما يَقولونَ كانَ اللهُ [٤٥٣] قَد جَعَلَ هؤلاءِ الملائكَةَ خُلفاءَهُ على الأرضِ وكانوا كَالأنبياءِ في الدُّنيا أو كَالأئمَّةِ، أَفَيكونُ منَ الأنبياءِ والأئمَّةِ عليهم السلام قَتلُ النَّفسِ والزّنا؟ ثمَّ قالَ عليه السلام: أوَلَستَ تَعلَمُ أنَّ اللهَ تعالى لَم يَخلِ الدُّنيا قَطُّ مِن نَبيٍّ أو إمامٍ مِنَ البَشَرِ، أوَ لَيسَ اللهُ يقولُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾[5]،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٤١، ٢٤٣.

(٢) سورة التحريم ٦٦: ٦.

(٣) سورة الأنبياء ٢١: ١٩، ٢٠.

(٤) سورة الأنبياء ٢١: ٢٦ - ٢٨.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ٧.

يَعني: إلى الخَلْقِ إلّا رِجالًا نُوحي إليهِم مِن أهلِ القُرى فَأخبرَ أنَّهُ لَم يَبعَثِ الملائِكَةَ إلى الأرضِ لِيَكونوا أئِمَّةً وحُكّامًا، وإنَّما أُرسِلُوا إلى أنبياءِ الله. قالا: فَقُلنا لَهُ: فَعَلى هذا لَم يَكُنْ إبليسُ أيضًا مَلَكًا؟ فقالَ: لا، بَل كانَ مِنَ الجِنِّ، أما تَسمَعانِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾(١) فأخبرَ عَزَّ وجَلَّ أنَّهُ كانَ مِنَ الجِنِّ، وهوَ الّذي قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾(٢)»(٣).

قالَ الإمامُ الحَسَنُ بنُ عَليٍّ عليهما السلام: حَدَّثَني أبي عَن جَدِّي عَنِ الرِّضا عليه السلام عَن آبائِهِ عَن عَليٍّ عليهم السلام قالَ: «قالَ رسُول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ اختارَنا مَعاشِرَ آلَ مُحَمَّدٍ واختارَ النَّبِيِّينَ واختارَ الملائِكَةَ المقَرَّبينَ، ما اختارَهُم إلّا على عِلمٍ منهُ بِهِم أنَّهُم لا يُواقِعونَ ما يَخرُجونَ بِهِ عَن ولايَتِهِ، ويَنقَطِعونَ بهِ عَن عِصمَتِهِ، ويَنتَهونَ بِهِ إلى المُستَحقِّينَ لِعَذابِهِ ونِقمَتِهِ، قالا: فَقُلنا لَهُ: فَقَد رُوِيَ أنَّ عَليًّا عليه السلام لمّا نَصَّ عليهِ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله بالإمامَةِ عَرَضَ اللهُ تعالى ولايَتَهُ في السّمواتِ على فِئامٍ فِئامٍ(٤) مِنَ الملائكَةِ فَأبَوها فَمَسَخَهُم اللهُ ضَفادِعَ؟ فقالَ عليه السلام: مَعاذَ الله هؤلاءِ المُكَذِّبونَ لَنا المُفتَرونَ علينا، الملائكَةُ هُم رُسُلُ اللهِ فَهُم كَسائِرِ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ إلى الخَلقِ، أَفَيَكونُ منهُم الكُفرُ باللهِ؟ قُلنا: لا، قالَ: فَكذلكَ الملائكَةُ، إنَّ شَأنَ الملائكَةِ لَعَظيمٌ وإنَّ خَطبَهُم لَجَليلٌ»(٥).

حَدَّثَنا تَميمُ بنُ عبدِ الله بنُ تَميمِ القَرَشيّ رضي الله عنه قالَ: حَدَّثَنا أبي عَن أحمدَ بنِ عَليٍّ الأنصاري عَن عَليٍّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الجَهمِ قالَ: سَمِعتُ المأمونَ يَسألُ الرِّضا عليه السلام عَمّا يَرويهِ النّاسُ مِن أمرِ الزُّهرَةِ وأنَّها امرأَةٌ فُتِنَ بها هاروتُ وماروتُ، وَما يَروونَهُ مِن أمرِ سُهَيلٍ وأنَّهُ كانَ عَشّارًا باليَمَنِ؟ فقالَ الرِّضا عليه السلام: «كَذَبُوا في قَولِهِم، إنَّهما كَوكَبانِ، وإنَّما كانَتا دابَّتَينِ مِن دوابِّ البَحرِ فَغَلِطَ النّاسُ وظَنُّوا أنَّهُما

(١) سورة الكهف ١٨: ٥٠.

(٢) سورة الحجر ١٥: ٢٧.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧٥، ٤٧٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: كُلُّ فِئامٍ: مائةُ ألفٍ.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧٦، ٤٧٧.

الكَوكَبانِ، وما كانَ اللهُ لِيَمسَخَ أعداءَهُ أنوارًا مُضيئَةً ثمَّ يُبقِيها ما بَقِيَتِ السّماواتُ والأرضُ، وأنَّ المُسوخَ لَم تَبقَ أكثرَ مِن ثَلاثَةِ أيّامٍ حَتّى ماتَت وما يَتَناسَلُ منها شَيءٌ، وما على وَجهِ الأرضِ اليومَ مَسخٌ، وإنَّ الّتي وَقَعَ عَليها اسمُ المُسوخِيّةِ مِثلَ القِردِ والخِنزيرِ والدُّبِّ وأشباهِها إنّما هيَ مِثلُ ما مَسَخَ اللهُ تعالى على صُوَرِها قَومًا غَضِبَ اللهُ عَليهِم ولَعَنَهُم بإنكارِهِم تَوحيدَ الله وتَكذِيبِهِم رُسلَ الله، وأمّا هاروتُ وماروتُ فكانا مَلَكَينِ عَلَّما النّاسَ السِّحرَ لِيَتَحَرَّزوا بهِ مِن سِحرِ السَّحَرَةِ ويُبطِلُوا بهِ كَيدَهُم، وما عَلَّما أحَدًا مِن ذلكَ شَيئًا إلّا قالا لَهُ: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾**، فَكَفَرَ قَومٌ باستِعمالِهِم لِما أُمِرُوا بالاحتِرازِ منهُ، وجَعَلوا يُفرِّقونَ بِها يَتَعَلَّمونَ بينَ المَرءِ وزَوجِهِ، قالَ اللهُ تعالى: **﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله﴾** يَعني بِعِلمِهِ»[1].

دلالةُ الحَديثَينِ السّابقَينِ:

ويُعلَمُ مِن هذَينِ الحَديثَينِ: أنَّ هاروتَ وماروتَ كانا مَلَكَينِ مَعصومَينِ، لَم يُرِدَا الزِّنا، ولَم يَشرَبا الخَمرَ، ولَم يَقتُلا النَّفسَ المُحرَّمَةَ، ولَم يُمسَخا، ولَم يُعَذِّبهُما اللهُ عَزَّ وجَلَّ، بَل أنزَلَهُما اللهُ لِتَعليمِهِما السِّحرَ على النَّاسِ لأجلِ إبطالِهِ والاحتِرازِ منهُ، فَخالَفَ هؤلاءِ الكُفّارُ وجَعَلُوهُ نَقيضًا لِما أوصاهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ.

عَنِ الرِّضا عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ في تِعدادِ الكَبائِرِ وبَيانِها مِن كِتابِ الله، وفيهِ: «يَقولُ الصّادقُ عليه السلام: والسِّحرُ؛ لأنَّهُ تعالى يقولُ: **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾**»[2]. وفي كِتابِ الخِصالِ: عَن أبي عبدِ الله عليه السلام عَن أبيهِ عَن جَدِّهِ عليهم السلام قالَ: «إنَّ المُسوخَ مِن بَني آدمَ ثَلاثَةَ عَشَرَ ـ إلى أن قالَ ـ: وأمّا الزُّهرَةُ: فَكانَت امرَأَةً فَتَنَت هاروتَ وماروتَ فَمَسَخَها اللهُ كَوكَبًا»[3]، عَن جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَن أبيهِ عَن جَدِّهِ عَن عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهم السلام قالَ: «سَأَلتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله عَن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٥٨.

(٣) الخصال: ٤٩٣، حديث رقم: ١.

المُسُوخِ؟ فَقالَ: هيَ ثَلاثَةُ عَشَرَ ـ إلى أن قالَ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: وأمَّا الزُّهَرةُ فكانَت امرَأةً نَصرانيَّةً وكانَت لِبعضِ مُلوكِ بَني إسرائيلَ، وهيَ الّتي فُتِنَ بها هاروتَ وماروتَ وكانَ اسمُها ناهِيلَ»(1). [٤٥٤]

وفي كِتابِ عِلَلِ الشّرائعِ: بإسنادِهِ إلى مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ بن علّان(2) عَن أبي الحَسَنِ عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ، فيه يقولُ عليه السلام: «وَمُسِخَتِ الزُّهَرَةُ؛ لأنّها امرَأةٌ فُتِنَ بها هاروتُ وماروتُ»(3)، وبإسنادِهِ إلى عَليِّ بنِ جعفرٍ عَن أخيهِ موسى بنِ جعفرٍ عَن أبيهِ أبي عَبدِ الله عَن جَدِّهِ عليهما السلام في حَديثٍ طويلٍ يقولُ فيهِ عليه السلام: «وأمَّا الزُّهرةُ فكانَت امرأةً فتَنَت هاروتَ وماروتَ فَمَسَخَها اللهُ زُهرَةً»(4).

وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: حَدَّثَني أبي عَن ابنِ أبي عُمَير عَن أبان بنِ عثمان عَن أبي بَصيرٍ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «إنَّ سُليمانَ بنَ داودَ عليهما السلام أمَرَ الجِنَّ فَبَنَوا لَهُ بَيتًا مِن قَواريرَ، قالَ: فَبينا هوَ مُتَّكِئٌ على عَصاهُ يَنظُرُ إلى الشّياطينِ كَيفَ يَعمَلونَ ويَنظُرونَ إليهِ أيَّ جانِبٍ منهُ التِفاتَةٌ فإذا هوَ بِرَجُلٍ معهُ في القُبَّةِ فَفَزِعَ منهُ فقالَ: مَن أنتَ؟ فقالَ: أنا الّذي لا أقبَلُ الرُّشا ولا أهابُ المُلُوكَ، أنا مَلَكُ المَوتِ، فَقَبَضَهُ وهوَ مُتَّكِئٌ على عَصاهُ، فَمَكَثُوا سَنَةً يَبنونَ ويَنظرونَ إليهِ، ويَدأَبُونَ لهُ ويَعمَلونَ حَتّى بَعَثَ اللهُ تعالى الأرَضَةَ فَأَكَلَت مِنسأَتَهُ، وهيَ: العَصا، فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الإنسُ أن لَو كانَ الجِنُّ يعلَمونَ الغَيبَ ما لَبِثُوا سَنَةً في العَذابِ المُهينِ، فالجِنُّ تَشكُرُ الأرَضَةَ بما عَمِلَت بعَصا سُليمانَ، قالَ: فَلا تَكادُ تَراها في مَكانٍ إلّا وُجِدَ عندَهُ ماءٌ وطينٌ، فَلَمّا هَلَكَ سُليمانُ وَضَعَ إبليسُ السِّحرَ وكَتَبَهُ في كِتابٍ ثمَّ طَواهُ وكَتَبَ على ظَهرِهِ: هذا ما وَضَعَ آصِفُ بنُ بَرَخِيا للمَلِكِ سُليمانَ بنِ داودَ مِن ذَخائرِ كُنُوزِ العِلمِ، مَن أرادَ فَليَفعَلَ كَذا وكَذا، ثمَّ دَفَنَهُ تَحتَ سَريرِهِ، ثمَّ استَبانَ لَهُم فَقَرَأَهُ، فَقالَ الكافِرونَ: ما كانَ سُليمانُ يَغلِبُنا إلّا بهذا، وقالَ المؤمِنونَ: بَل هوَ عَبدُ الله تعالى ونَبيُّهُ، فقالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ:

(١) علل الشرائع: ٢: ٤٨٨.

(٢) روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى روايات في الكافي والتهذيب والاستبصار، وروى عن محمد بن حكيم وحمّاد بن عيسى. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٧: ٣٤، ترجمة رقم: ١٣٠٤٩.

(٣) علل الشرائع: ٢: ٤٨٦.

(٤) علل الشرائع: ٢: ٤٨٨.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ الآية»[1].

حَدَّثَني أبي عَنِ الحَسَنِ بنِ مَحبوبٍ عَن عَليِّ بنِ رِئابٍ عَن مُحَمَّدِ بنِ قَيسٍ[2] عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: سَأَلَهُ عَطا ونَحنُ بمَكَّةَ، مَن هاروتُ وماروتُ؟ فقالَ أبو جعفرٍ عليه السلام: «إنَّ الملائِكَةَ كانُوا يَنزِلونَ مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ في كُلِّ يومٍ ولَيلَةٍ يَحفظونَ أعمالَ أوساطِ أهلِ الأرضِ مِن وُلدِ آدمَ والجِنِّ فَيكتُبونَ أعمالَهُم ويَعرِجونَ بها إلى السَّماءِ، فقالَ: فَضَجَّ أهلُ السّماءِ من مَعاصِي أوساطِ أهلِ الأرضِ فتَآمَرُوا بينَهُم مِمَّا يَسمَعونَ ويَرَونَ مِن افتِرائِهِم الكَذِبَ على الله تَباركَ وتعالى وجُرأَتِهِم عليهِ، ونَزَّهُوا اللهَ مِمَّا يَقولُ فيهِ خَلقُهُ ويَصِفونَ، فقالَ طائفَةٌ مِنَ الملائكَةِ: يا ربَّنا أما تَغضَبُ مِمَّا يَعمَلُ خَلقُكَ في أرضِكَ ومِمَّا يَصِفونَ فيكَ الكَذِبَ ويَقولونَ الزّورَ ويَرتَكِبونَ المعاصِيَ وقَد نَهيتَهُم عَنها وهُم في قَبضَتِكَ وقُدرَتِكَ وخِلالِ عَافيَتِكَ؟ قالَ أبو جعفرٍ عليه السلام: فَأَحَبَّ أن يُرِيَ الملائكَةَ القُدرَةَ ونَفاذَ أمرِهِ في جَميعِ خَلقِهِ، ويُعَرِّفَ الملائكَةَ ما مَنَّ بِهِ عَليهِم مِمَّا عَدَلَهُ عنهُم مِن صُنعِ خَلقِهِ، وما طَبَعَهُم عليهِ مِنَ الطّاعَةِ وعَصَمَهُم بهِ مِن ذُنوبِ بَني آدمَ، فَأوحى اللهُ إلى الملائِكَةِ أن انتَدِبُوا منكُم مَلَكَينِ حَتّى أُهبِطَهُما إلى الأرضِ ثمَّ اجعَلُ فيهِما مِن طَبائعِ المَطعَمِ والمَشرَبِ والشَّهوَةِ والحِرصِ والأمَلِ مِثلَ ما جَعَلتَهُ في وُلدِ آدمَ ثمَّ اختبِرُهُما في الطّاعَةِ لي، قالَ: فَنَدَبوا لذلكَ هاروتَ وماروتَ وكانا أشَدَّ المَلائكَة قَولًا في العَيبِ لِوُلدِ آدمَ واستِجرارِ غَضَبِ الله عَليهِم، قالَ: فَأوحى اللهُ إليهِما أنِ اهبِطا إلى الأرضِ فَقَد جَعَلتُ فيكُما مِن طَبائِعِ المَطعَمِ والمَشرَبِ والشّهوَةِ والحِرصِ والأمَلِ ما جَعَلتُ في وُلدِ آدَمَ، قالَ: ثمَّ أوحَى اللهُ إليهِما أنظُرا أن لا تُشرِكا بيّ شَيئًا، ولا تَقتُلا النَّفسَ الّتي حَرَّمَ اللهُ، ولا تَزنِيَا، ولا تَشرَبَا الخَمرَ، قالَ: ثمَّ كَشَطَ عَنِ السّماواتِ السّبعِ لِيُرِيَهُما قُدرَتَهُ، ثمَّ أهبَطَهُما إلى

---

(1) تفسير القمّي: ٢: ١٩٩، ٢٠٠.

(2) أبو نصر الأسدي، أحد بني نصر بن قعين بن الحارث: وجهٌ مِن وجوهِ العربِ بالكوفةِ، رَوَى عن أبي جعفرٍ وأبي عبدِ الله عليهما السلام، لهُ كتابٌ في قضايا أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، وكتابٌ آخرُ نوادرُ، ثقةٌ ثقة. ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٣، ترجمة رقم: ٨٨٠، ورجال ابن داود: ١٨٢، ترجمة رقم: ١٤٨٧.

الأرضِ في صُورَةِ البَشَرِ ولباسِهِم، فَهَبَطا ناحيَةَ بابلَ، فَرَفَعَ لَهُما بناءٌ مُشرِفٌ فَأقبَلا نَحوَهُ فَإذا بحَضرَتِهِ امرأَةٌ جَميلةٌ حَسناءُ مُتَزَيِّنَةٌ عَطِرَةٌ مُسفِرَةٌ مُقبِلَةٌ نَحوهُما، قالَ: فَلَمّا نَظَرا إليها وناطَقا وتَأمَّلا حُسنَها وَقَعَت في قُلوبِهِما مَوقِعًا شَديدًا؛ لِموضِعِ الشَّهوَةِ الّتي جُعِلَت فيهِما، فَرَجَعا إليها رُجوعَ فِتنَةٍ وخِذلانٍ وراوَدَاها عَن نَفسِها [٤٥٥] فقالَت لَهُما: إنَّ لي دِينًا أُدِينُ بهِ وليسَ أَقدِرُ في دِيني على أَن أُجيبَكُما إلى ما تُريدانِ إلَّا أن تَدخُلا في دِيني الّذي أَدِينُ بهِ، فَقالا لَها: وما دينُكِ؟ قالَت: لي إلهٌ مَن عَبَدَهُ وسَجَدَ لهُ كانَ لي إلى أن أُجيبَهُ إلى كُلِّ ما سَأَلَني، فَقالا لَها: وما إلهُكِ؟ قالَت: إلهي هذا الصَّنَمُ، قالَ: فَنَظَرَ أحَدُهُما إلى صاحِبِهِ، فقالَ: هاتانِ خِصلَتانِ مِمَّا نَهانا عَنهُما: الشِّركُ والزِّنا؛ لأنّا إن سَجَدنا لِهذا الصَّنَمِ وعَبَدناهُ أَشرَكنا باللهِ، وإنَّما نُشرِكُ باللهِ لِنَصِلَ إلى الزِّنا، وهوَ ذا نَحنُ نَطلُبُ الزِّنا ولَيسَ نُخطِئُ إلَّا بالشِّركِ، فقالَ: فَائتَمَرا بَينَهُما فَغَلَبَتهُما الشَّهوةُ الّتي جُعِلَت فيهِما، فقالا لَها: فإنّا نُجيبُكِ إلى ما سَأَلتِ، فَقالَت: فَدُونَكُما فَاشرَبا هذا الخَمرَ فَإنَّهُ قُربانٌ لَكُما عندَهُ وبهِ تَصِلانِ إلى ما تُريدانِ، فَائتَمَرا بينَهُما فَقالا: هذهِ ثَلاثُ خِصالٍ مِمّا نَهانا [عَنها رَبُّنا][1] الشِّركُ والزِّنا وشُربُ الخَمرِ، وإنَّما نَدخُلُ في شُربِ الخَمرِ والشِّركِ حَتَّى نَصِلَ إلى الزِّنا، فَائتَمَرا بَينَهُما فَقالا: ما أَعظَمَ البلِيَّةُ بكِ قَد أَجبناكِ إلى ما سَأَلتِ، قالَت: فَدُونكُما فَاشرَبَا مِن هذا الخَمرِ واعبُدَا هذا الصَّنَمَ واسجُدا لَهُ، فَشَرِبا الخَمرَ وعَبَدا الصَّنَمَ ثمَّ رَاوَدَاها عن نَفسِها، فَلَمّا تَهيّأَت لَهُما وتَهيَّئَا لَها دَخَلَ عَليهِما سائلٌ يَسأَلُ فَلَمّا رَآهُما ورَأَياهُ ذُعِرا منهُ، فقالَ لَهُما: إنَّكُما مُريبانِ[2] ذَعِرانِ قَد خَلوتُما[3] بهذهِ المرأَةِ العَطِرَةِ الحَسناءِ، إنَّكُما لَرَجُلا سَوءٍ [لَأَفعَلَنَّ بكُما][4] وخَرَجَ عنهُما، فقالَت لَهُما: لا وإلهي لا تَصِلانِ الآنَ إليَّ وقَد اطَّلَعَ هذا الرَّجُلُ على حالِكُما وعَرَفَ مَكانَكُما فَيخرُجُ الآنَ ويُخبِرُ بخَبَرِكُما ولكن بادِرا إلى هذا الرَّجُلِ فَاقتُلاهُ قَبلَ أن يَفضَحكُما ويَفضَحنِي، ثمَّ دونكما فَاقضِيا حاجَتَكُما وأنتُما مُطمئنّانِ آمِنانِ، قالَ: فَقاما

---

(١) العبارة في نسخة المصدر بلفظ (ربُّنا عنها).

(٢) وَرَدَ اللفظُ في نُسخةِ المصدَرِ بلفظِ: (لامرءان).

(٣) وَرَدَ اللفظُ في نُسخةِ المصدَرِ بلفظِ: (فَدَخلتُما).

(٤) ما بينَ المعقوفينِ مِن نُسخةِ المُصنِّفِ لَم يرد في نُسخةِ المَصدَرِ المُعتمدِ.

إلى الرَّجُلِ فأدرَكاهُ فقَتَلاهُ، ثمَّ رَجَعا إليها فَلَم يَرَياها وبَدَت لَهُما سَوأتُهُما ونُزِعَ عنهُما رِياشُهُما وأُسقِطَ في أَيدِيهما، قالَ: فأوحَى اللهُ تعالى إلَيهما: إنَّما أَهبَطتُكُما إلى الأَرضِ معَ خَلقِي ساعةً منَ النَّهارِ فَعَصَيتُماني بأربعٍ مِن مَعاصِي كُلُّها قد نَهَيتُكُما عَنها [وتَقدّمتُ إليكُم فيها](١) فَلَم تَرقُباني ولَم تَستَحِيا مِنِّي، وقَد كُنتُما أَشَدَّ مَن نَقَمَ على أَهلِ الأَرضِ للمَعاصِي واستَجَرَّ أَسَفي وغَضَبِي عَليهِم، ولمَّا جَعَلتُ فيكُما مِن طَبعِ خَلقِي وعصمَتِي إيَّاكُما مِنَ المَعاصِي فَكَيفَ رَأيتُما مَوضِعَ خِذلاني فيكُما، اختارَا عَذابَ الدُّنيا أو عَذابَ الآخرَةِ؟ فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: نَتَمَتَّعُ مِن شَهواتِها في الدُّنيا إذ صِرنا إليها إلى أن نَصيرَ إلى عَذابِ الآخرَةِ، فَقالَ الآخَرُ: إنَّ عَذابَ الدُّنيا لَهُ مُدَّةٌ وانقِطاعٌ، وعَذابُ الآخرَةِ دائمٌ لا انقِضاءَ لهُ فَلَسنا نَختارُ عَذابَ الآخرَةِ الدائِمَ الشَّديدَ على عَذابِ الدُّنيا المُنقَطِعِ الفاني، قالَ: فَاختارا عَذابَ الدُّنيا، وكانا يُعَلِّمانِ النّاسَ السِّحرَ في أرضِ بابلَ، ثمَّ لمَّا عَلَّما النَّاسَ السِّحرَ رُفِعا مِنَ الأرضِ إلى الهَواءِ فَهُما مُعَذَّبانِ مُنكَّسانِ مُعَلَّقانِ في الهَواءِ إلى يومِ القِيامةِ(٢)»(٣).

وقَد ذَكَرَ في المجمَعِ مثلَ هذا الخَبَرِ، ثمَّ قالَ: «هذا الخَبَرُ رَواهُ العَيَّاشي(٤) مَرفوعًا إلى أبي جَعفرٍ الباقِرِ

(١) ما بينَ المعقوفينِ مِن نُسخةِ المُصنِّفِ لَم يرد في نُسخةِ المَصدَرِ المُعتمدِ.

(٢) ومنه في حاشيةِ الأصل: لا يَخفى إنَّ هذهِ الرّوايةَ وإن كانَ ظاهِرُها مِمَّا يُنكِرُهُ العَقلُ والنَّقلُ؛ لِكَونهِ قادحًا في قَداسَةِ الملائكةِ الّذينَ لا يَعصونَ اللهَ طَرفَةَ عَينٍ؛ لأنَّهم عِبادٌ مُكرَمونَ لا يَسبقونَهُ بالقَولِ، وإنَّهُ قد وَرَدَ في البابِ أخبارٌ رادَّةٌ لَها كَالخَبَرِ المروي في تَفسيرِ الإمامِ العَسكري عليه السلام، إلَّا أنَّ التَّأمّلَ الدّقيقَ يُعطِي عدمَ مُنافاتِها للعَقلِ ـ لأنَّ عِصيانَ الملائكَةِ مُستحيلٌ معَ كَونِهم كَذلكَ ـ أمَّا بعدَ أن أعطاهُما اللهُ تعالى ما للبَشَرِ مِنَ القُوى الشَّهويّةِ والإحساساتِ النّفسانيَّةِ ـ كَما يَظهَرُ مِن الرّوايةِ ـ فظاهِرُهُ صَيرورَتُهما بَشرًا أو مِثلَ البَشَرِ في فُقدانِ العِصمَةِ وإمكانِ المَعصيَةِ، وإشكالُ الفَلاسفةِ بعدَمِ إمكانِ انقلابِ الماهيّاتِ مَدفوعٌ بعُمومِ قُدرةِ اللهِ تعالى، والمعاجِزُ الصّادرةُ عَن المعصومينَ عليهم السلام شاهدَةٌ على ذلكَ ـ لكنَّهُ قد وَردَ في تَفسيرِ الإمامِ العَسكري عليه السلام ما يَرُدُّ هذا الخَبَرَ فَحينئذٍ يُؤخَذُ بالأوضَحِ مَتنًا والأوثَقِ سَنَدًا ويُعمَلُ بالمرجّحاتِ كَما هوَ المناطُ في بابِ اختِلافِ الرّوايَتَينِ ولمَّا لم يكُن ثَمَّةَ ثَمرةٍ عَمَليّةً لم نُطِلِ الكَلامَ في تَنقيحِ المقامِ.

(٣) تفسير القمّي: ١: ٥٥ـ ٥٧.

(٤) ينظر: تفسير العيّاشيّ: ١: ٥٢ـ ٥٤.

عليه السلام، ومَن قالَ بعِصمةِ الملائكةِ لَم يُجِزْ هذا الوَجهَ»[1]، انتهى. ونَحنُ ذَكرناهُ مُسنَدًا مِن تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ عنهُ عليه السلام.

وَرَوى العَيَّاشي: بإسنادِهِ إلى أبي الطّفيلِ قالَ: كنتُ في مَسجدِ الكوفَةِ فَسَمعتُ عَليًّا عليه السلام وهوَ على المَنبَرِ وناداهُ ابنُ الكَوَّاءِ[2] وهوَ في مُؤَخَّرِ المَسجِدِ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ما الهُدى؟ قالَ: «لَعَنَكَ اللهُ ولَم يُسمِعهُ، ما الهُدى تُريدُ ولكنَّ العَمَى تُريدُ، ثمَّ قالَ لهُ: أُدنُ، فَدَنَا منهُ فَسَأَلَهُ عَن أشياءَ فَأخبَرَهُ، فقالَ: أخبِرني عَن هذهِ الكَوكَبَةِ الحَمراء، يَعني: الزُّهرَةَ، قالَ: إنَّ اللهَ أَطْلَعَ ملائكَتَهُ على خَلقِهِ وهُم على مَعصِيَةٍ مِن مَعاصِيهِ، فقالَ المَلكانِ هاروتُ وماروتُ: هؤلاء الّذينَ خَلقتَ أباهُم بيَدِكَ وأسجَدتَ لهُ مَلائكَتكَ يَعصونَكَ، قالَ تعالى: لَعَلَّكُم لَو أُبتُلِيتُم بمِثلِ الّذي ابتَلَيتُهُم بهِ عَصَيتُموني، قالا: لا وعِزَّتِكَ، قالَ: فَابتَلاهُم بمِثلِ الّذي ابتَلَى بهِ بَني آدمَ مِنَ الشّهوةِ، ثمَّ أمَرَهُم أن لا يُشركوا بهِ شَيئًا ولا يَقتُلوا النَّفسَ الّتي حَرَّمَ اللهُ ولا يَزنُوا ولا يَشرَبُوا الخَمرَ، ثمَّ أهبَطَهُما إلى الأرضِ فكانا يَقضِيانِ بينَ النّاسِ هذا في ناحِيَةٍ [٤٥٦] وهذا في ناحيَةٍ، فكانا بذلكَ حَتَّى أَتَت إحداهما هذهِ الكَوكَبةُ تُخاصِمُ إليهِ، وكانَت مِن أَجمَلِ النَّاسِ فَأعجَبَتهُ، فقالَ لها: الحَقُّ لَكِ، ولا أقضِي لَكِ حَتَّى تُمكِّنيني مِن نَفسِكِ، فَواعَدَت يومًا، ثمَّ أَتَتِ الآخَرَ فَلَمّا خاصَمَت إليهِ وَقَعَت في نَفسِهِ وأعجَبتهُ كَما أَعجَبَتِ الآخَرَ، فقالَ لها مِثلَ مَقالَةِ صاحِبِهِ، فَواعَدَتهُ السّاعَةَ الّتي وَاعَدَت[3] صاحِبَهُ فَاتَّفَقا جَميعًا عِندَها في تلكَ السّاعَةِ، فَاستَحيَى كُلُّ واحِدٍ منهُما[4] مِن صاحِبِهِ حيثُ رَآهُ، وَطَأطَآ رؤوسَهُما ونَكَسا، ثمَّ نُزِعَ الحَياءُ منهُما، فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: يا هذا جاءَ بي الّذي جاءَ بِكَ، قالَ: ثمَّ أَعلَماها وَرَاوَدَاها عَن نَفسِها، فَأَبَت عَليهِما حَتَّى يَسجُدا لِوَثَنِها ويَشرَبا مِن شَرابِها، وأَبَيا عَليها

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٣١.

(٢) هو: عبدُ الله بنُ عمرو مِن بَني يَشكر: مِن أصحابِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، خارجيٌّ ملعونٌ. ينظر: خلاصة الأقوال: ٣٦٩، ترجمة رقم: ١، ونقد الرجال: ٣: ١٣٣، ترجمة رقم: ٣١٧٤، والكنى والألقاب: ١: ٣٩٦.

(٣) لم يَردْ لفظُ (واعدت) في نُسخةِ المصدَرِ المُعتمدِ، بل جاءَ بلفظِ: (وَعدَت).

(٤) لَم يَردْ لفظُ (منهُما) في نُسخةِ المصدَرِ المُعتمدِ.

وسَأَلاها، فَأَبَت إلَّا أن يَشرَبَا مِن شَرابِها فلَمّا شَرِبَا وَسَجَدا[1] لِوَثَنِها وَدَخَلَ مِسكينٌ فَرآهُما، فَقالَت لَهُما: يَخرُجُ هذا فَيُخبِرُ عَنكُما، فَقامَا إليهِ فَقَتَلاهُ، ثُمَّ رَاوَدَاها عَن نَفسِها فأَبَت حَتَّى يُخبِراها بِما يَصعَدانِ بهِ إلى السَّماءِ، وكانا يَقضِيانِ بالنّهارِ فإذا كانَ اللّيلُ صَعِدا إلى السّماءِ، فأَبَيا عَلَيها وأَبَت [إلَّا أن يُخبِرَاها][2] فَأخبَرَاها، فَقالَت ذلكَ لِتُجَرِّبَ مَقالَتَهُما وصَعِدَت، فَرَفَعا أَبصارَهُما إليها فَرَأَيا أَهلَ السّماءِ مُشرِفِينَ عَلَيها يَنظُرونَ إليها وتَناهَت إلى السّماءِ، فَمُسِخَت فَهِيَ الكَوكَبَةُ الّتي تُرى»[3].

وهذهِ الأَحاديثُ الثّمانيَةُ[4] تَدُلُّ على أنَّ الزُّهرَةَ امرَأَةٌ صَعِدَت إلى السَّماءِ ومُسِخَت بِافتِتانِ هاروتَ وماروتَ بها، وأنَّ هاروتَ وماروتَ مَلَكانِ ارتَكَبا مَعاصِيَ الله تعالى باعتِبارِ جَعلِ طَبائِعِ المَطعَمِ والمَشرَبِ والشَّهوَةِ والحِرصِ فيهِما لا باعتِبارِ طَبائِعِ المَلَكِيَّةِ، والحَديثانِ السّابقانِ يَدُلّانِ على خِلافِ ذلكَ كَما مَرَّتِ الإشارَةُ إليهِ[5].

أقولُ: يُمكِنُ دَفعُ التَّنافي بأنَّ كَونَ الملائكَةِ مَعصومينَ حَقٌّ ثابتٌ لا شَكَّ فيهِ إذا كانوا على حالَتِهِم الأَصليَّةِ المَلَكِيّةِ، وأمَّا إذا خُلِقَ فيهِم طَبائعُ الإنسانيّةِ مِنَ المَطعَمِ والمَشرَبِ والشَّهوَةِ والحِرصِ والأَمَلِ؛ لِأَجلِ الامتِحانِ والاختِبارِ ودَفعِ المَعرّةِ فَلا استِبعادَ في ذلكَ كَما هوَ صَريحُ بعضِ هذهِ الأَحاديثِ، وأومَأنا إلى مِثلِ ذلكَ في ذِكرِ جَعلِ آدمَ عليه السلام خَليفَةً، واستِفهامِ الملائكَةِ عَن ذلكَ، فَحديثُ عُيونِ الأَخبارِ ونَحوِهِ بالنَّظَرِ إلى حالَتِهِم الأَصليّةِ المَلَكِيَّةِ، وسائِرِ الأَخبارِ بالنّسبَةِ إلى ما جُعِلَ فيهِما مِن طبائِعِ بَني آدمَ فَلا تَنافيَ ولا تَناقُضَ لِعَدَمِ الاتِّحادِ في الإضافَةِ والشَّرطِ.

---

(١) لَم يرِدْ لفظُ (وَسَجَدا) في نُسخةِ المصدَرِ المُعتمدِ، بَل جاءَ بلفظِ: (صَلَّيَا).

(٢) الاضافَةُ من نُسخةِ المُصنِّف، لَم تَرِدْ في نُسخةِ المصدَرِ المُعتمدِ، وإنّما جاءَت بلفظِ: (أن تَفعَلَ).

(٣) تفسير العياشي: محمد بن مسعود: ١: ٥٤-٥٥.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وهذهِ الأحاديثُ الثّمانيَةُ إلى آخرِه، وهيَ مِن قَولِهِ: عَنِ الرِّضا عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ في تِعدادِ الكَبائرِ إلى ههنا، أعني: قولَهُ عليه السلام: فَهيَ الكَوكَبَةُ الّتي تُرى.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: كَما مَرَّتِ الإشارَةُ إليهِ إشارَةٌ إلى قولنا: بعدَ ذِكرِ الحَديثَينِ: ويُعلَمُ مِن هذينِ الحَديثَينِ أنَّ هاروتَ وماروتَ كانا مَلَكَينِ مَعصومَينِ لَم يَرِدا الزِّنا ولَم يَشرَبا الخَمرَ ولَم يَقتُلا النَّفسَ المُحرَّمَةَ ولَم يُمسَخا إلى آخِرِهِ.

وقالَ في الصّافي: (وأقولُ: وأمّا ما كَذَّبُوهُ عليهم السلام مِن أمرِ هاروتَ وماروتَ وَمَسخِ الزُّهرةِ وقِصَّتِهِم المشتَهرَةِ بينَ النّاسِ فَقد وَرَدَ عَنهُم عليهم السلام في صِحَّتِها أيضًا رِواياتٌ، والوَجهُ في الجَمعِ والتَّوفيقِ أن تُحمَلَ رِواياتُ الصّحَّةِ على كَونِها مِن مَرمُوزاتِ الأوائِلِ وإشاراتِهِم، وأنَّهُم عليهم السلام لَمَّا رَأَوا أنَّ حُكاتَها كانُوا يَحمِلونَها على ظاهِرِها كَذَّبُوها ولا بأس بإيرادِها وحَلِّها، فَإنَّ ههنا مَحَلَّها)[1].

ثمَّ قالَ: (وأقولُ: في نِسبَةِ افتِتانِهِما إلى قَولِ النَّاسِ دَليلٌ على ما قُلناهُ مِن أنَّها مِنَ المَرموزاتِ، وأمَّا حَلُّها فَلَعَلَّ المُرادَ بالمَلَكَينِ الرُّوحُ والقَلبُ، فإنَّهُما مِنَ العالَمِ الرّوحاني أُهبِطا إلى العالَمِ الجِسماني؛ لإقامَةِ الحَقِّ فافتُتِنا بزَهرَةِ الحَياةِ الدُّنيا ووَقَعا في شَبَكَةِ الشَّهوَةِ، فَشَرِبا خَمرَ الغَفلةِ وعَبَدا صَنَمَ الهَوَى وقَتَلا عَقلَهُما النَّاصِحَ لَهُما بمَنعِ تَغذِيَتِهِ [بالعِلمِ][2] والتَّقوى ومَحَوَا أَثَرَ نُصحِهِ عَن أنفُسِهِما وتَهَيَّئا للزِّنا ببَغِيِّ الدُّنيا الدَّنيَّةِ الّتي تَلي تَربِيَةَ النّشاطِ والطّربِ فِيها الكَوكَبُ المسمَّى بالزُّهرَةِ فَهَرَبت الدُّنيا منهُما وفاتَتهُما لِما كانَ مِن عادَاتِها[3] أن تَهرَبَ مِن طالِبِيها؛ لأنَّها مَتاعُ الغرورِ، وبَقِيَ إشراقُ حُسنِها في مَوضِعٍ مُرتَفِعٍ بحيثُ لا تَنالُها أيدي طُلّابِها مادامَتِ الزُّهرَةُ باقِيَةً في السَّماءِ، وحَمَلَهُما حُبُّها في قَلبِهِما إلى أن وَضَعا طَرائِقَ مِنَ السِّحرِ وهوَ ما لَطُفَ مَأخَذُهُ ودَقَّ، فَخُيِّرا للتَّخلّصِ مِنها فاختارا بَعدَ التَّنبُّهِ وعَودِ العَقلِ إليهِما أهوَنَ العَذابَينِ، ثمَّ رُفِعا إلى البَرزَخِ مُعَذَّبَينِ ورَأسَهُما بَعدُ إلى أَسفَلَ إلى يَومِ القِيامَةِ، هذا ما خَطَرَ بالبالِ في حَلِّ هذا الرَّمزِ، وأمَّا حَلُّ بَقِيَّةِ أجزائِهِ الّتي في رِوايَةِ أبي الطُّفَيلِ فَمَوكولٌ إلى بَصيرَةِ ذَوي البَصائِرِ. [٤٥٧]

وقيلَ: بَل هوَ إشارَةٌ إلى أنَّ الشَّخصَ العالِمَ الكامِلَ المقَرَّبَ مِن حَظائِرِ القُدسِ قَد يُوكَلُ إلى نَفسِهِ الغَرَّارَةِ ولا تَلحَقَهُ العِنايَةُ والتَّوفيقُ، فَيَنبُذُ عِلمَهُ وَراءَ ظَهرِهِ ويُقبِلُ على مُشتَهَياتِهِ الحِسِّيَّةِ الخَسيسَةِ، ويَطوِي كَشحَهُ عَنِ اللّذّاتِ الحَقيقيَّةِ والمَراتِبِ العَلِيَّةِ، فَيَنحَطُّ إلى أسفَلِ السَّافِلينَ، والشَّخصَ

(١) التفسير الصافي: ١: ١٧٣.

(٢) لَمْ يَرِدْ لفظُ: (العِلمِ) في نُسخَةِ المُصنِّفِ وأُضيفَ مِنَ المَصدرِ المُعتَمدِ.

(٣) وردَ لفظ: (عاداتها) في نُسخَةِ المصدرِ المُعتَمَدِ بلفظِ: (عادَتِها).

[الجاهِلَ النّاقصَ][1] المُنغَمِسَ في الأوزارِ قَد يَختَلِطُ بذلكَ الشّخصِ العالِمِ قاصِدًا بذلكَ الفَسادَ والفَحشاءَ، فَيُدركُهُ توفيقٌ إلهي فَيَستَفيدُ من ذلكَ العالِمِ ما يَضرِبُ بِسَبَبِهِ صَفحًا عَن أَدناسِ [دار] الغُرورِ وأرجاسِ عالَمِ الزّورِ، ويَرتَفِعُ ببَرَكَةِ ما تَعَلَّمَهُ عَن حَضيضِ الجَهلِ والخُسرانِ إلى أَوجِ العِزَّةِ[2] والعِرفانِ، فَيَصيرُ المُتعلِّمُ في أرفَعِ دَرَجِ العُلى والمُعَلِّمُ في أسفَلِ دَرَكِ الشّقاءِ.

أقولُ: هذا الحَلُّ غَيرُ مُنطَبِقٍ على الرَّمزِ بتَمامِ أجزائِهِ[3]، انتَهى كَلامُ الصّافي.

وأقولُ: حَلُّهُ الأوَّلُ أيضًا لا يَنطَبِقُ على الآيَةِ والرّواياتِ بتَمامِ أجزائِها؛ لأَنَّهُ إذا جُعِلَ القَلبُ والرُّوحُ عبارَتَينِ عَن هاروتَ وماروتَ فَأَيَّ شَيءٍ تَعليمهُما لِكُلِّ أَحَدٍ؟ وأيَّ شَيءٍ نَصيحَتُهُما لَهُ بقَولِهِما: إنَّما نَحنُ فِتنَةٌ، وبقَولِهِما: فَلا تَكفُر؟ وأيَّ شَيءٍ منهُما حَتّى يُفَرِّقُوا بينَ المَرءِ وزَوجِهِ؟ وأيَّ شَيءٍ هذا المَرءِ وزَوجِهِ؟ وكَذا حُكمُ أجزاءِ ما بَعدَ هذهِ الآيَةِ وما قَبلَها في عَدَمِ الانطِباقِ كَما لا يَخفَى، فهذانِ الحَلّانِ وإن كانا في أنفُسِهِما كَلامَينِ صَحيحَينِ لكنَّهُما لا يُناسِبُ كَونُهُما تَفسيرَينِ للقرآنِ المجيدِ بَل لا يَصُحُّ؛ لأَنَّهُ سبحانَهُ وتعالى نَزَّلَ القرآنَ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ يَعرفهُ العَرَبُ، ومثلُ هذينِ الحَلَّينِ لا يَعرِفُهُا العَرَبُ بَلِ اللهُ تعالى هوَ العالِمُ بمَقاصِدِهِ ومَقاصِدِ خُلَفائِهِ وحُجَجِهِ وأوليائِهِ، وحُجَجُهُ هُمُ العالِمونَ بمَقاصِدِهِ سبحانَهُ.

وفي رَوضَةِ الكافي: «عَليُّ بنُ إبراهيمَ عَن أبيهِ عَن عَليِّ بنِ أسباطٍ عَن عَليِّ بنِ أبي حَمزَةَ عَن أبي بصيرٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام: واتَّبَعُوا ما تَتلُوا الشَّياطِينُ بِوِلايَةِ عَليٍّ عَلى مُلكِ سُليمانَ»[4].

---

(١) ما بين المعقوفين ورد في نسخة المصدر بلفظ: الناقص الجاهل.

(٢) وَرَدَ اللفظُ في نُسخةِ المصدَرِ بلفظِ: (العِزِّ).

(٣) التفسير الصافي: ١: ١٧٧.

(٤) الكافي: ٨: ٢٩٠، حديث رقم: ٤٤٠، وقد جاء بلفظ: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ** ـ بولايةِ الشَّياطينِ ـ **عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾.

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ في الشّواذِ: لَمَثْوَبَةٌ بسُكون الثّاءِ وفَتحِ الواوِ(١)، كَما قالُوا: مَشُورَةٌ ومَشْوَرَةٌ.

اللغة:

المثوبَةُ والثَّوابُ والأجرُ نَظائرُ، فالثَّوابُ هوَ: النَّفعُ المُستَحَقُّ المُقارِنُ للتَّعظيمِ والاجلالِ، الّذي يَحصَلُ للإنسانِ بتَوَسّطِ التَّكليفِ والعَمَلِ بمُقتَضاه، وعِلَّةُ حُسنِ التَّكليفِ هيَ: التّعريضُ للثَّوابِ، أي: المَنفَعَةُ العَظيمَةُ الدّائمَةُ معَ التَّعظيمِ والاجلالِ، وهيَ عامَّةٌ بالنّسبةِ إلى المؤمِنِ والكافِرِ، ويكونُ في الخَيرِ فقَط، وأمّا قَولُهُ تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢) استِعارةٌ تبعيَّةٌ تهكُّميَّةٌ كَقولِهِ تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣)، ونَقيضُ المَثوبَةِ والثَّوابِ: العُقوبَةُ والعِقابُ، يقالُ: ثابَ يَثوبُ ثُوُوبًا وإثابَةً وثَوابًا ومَثُوبَةً، وأصلُهُ: الرّجوعُ؛ لأَنَّهُ نَفعٌ يَرجعُ إلى فاعِلِهِ مُكافأَةً لِما فَعَلَهُ، ومنهُ التّثويبُ في الأذانِ وهوَ: تَرجيعُ الصّوتِ وتَكريرُهُ، وفي الحَديثِ: «إذا ثُوِّبَ بالصّلاةِ فَأتُوها وعَليكُم بالسَّكِينَةِ»(٤)، فَالتَّثويبُ هنا: إقامَةُ الصَّلاةِ والرّجوعُ إليها، ويقالُ لِلإقامَةِ: التّثويبُ؛ لأنَّها رُجوعٌ إلى ما قالَهُ في الأذانِ، والمَثابَةُ: المَنزِلُ والمَوضِعُ الّذي يَثوبُ إليهِ النّاسُ، أي: يَرجِعونَ إليهِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾(٥)، أي: مَرجِعًا ومُجتَمَعًا لَهُم ومَوضِعًا يَحصَلُ فيهِ ثَوابٌ لَهُم، وكُلُّ داعٍ مُثَوِّبٌ، يقالُ: ثابَ الدَّاعِي إذا كَرَّرَ دُعاءَهُ إلى الحَربِ وغَيرِها، يقالُ: انهَزَمَ القَومُ إذا: ثابُوا، أي: رَجِعُوا، ومنهُ الثَّوبُ؛ لأَنَّهُ ثابَ لِباسًا بَعدَ أن كانَ قُطنًا أو غَزلًا، وفي حَديثِ

---

(١) وهي قراءة قتادة وابن بريدة وأبي السّمّال. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٣، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٠.

(٢) سورة المطففين ٨٣: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٢٢٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٢٥.

ابنِ التَّيهانِ: «أَثِيبُوا أخاكُم»[1]، أي: جازُوهُ على صَنيعِهِ، يقالُ: أثابَهُ يُثيبُهُ إثابَةً، والاسمُ: الثَّوابُ، والثَّوابُ: العَسَلُ والنَّحلُ، يقالُ: تَثَوَّبَ بعدَ الفَريضَةِ بمَعنى تَنَفَّلَ وكَسَبَ الثّوابَ، وخَيرُ: اسمُ تَفضيلٍ كالشَّرِّ أصلهُما: أخيَرَ وأشَرَّ حُذِفَتِ الهمزَةُ تَخفيفًا؛ لِكَثرةِ استِعمالِهما.

الإعراب:

(أنَّهُم) بفَتحِ الهمزَةِ معَ اسمِها وخَبَرِها: فاعلٌ لِفِعلٍ محَذوفٍ؛ لأنَّ (لَو) مِن خَواصِّ الأفعالِ، أي: لَو ثَبَتَ وتَحَقَّقَ إيمانُهُم واتِّقاؤُهُم، والضّميرُ في (أنَّهُم) عائدٌ على الّذينَ يَتَعلَّمونَ السِّحرَ، أو الأعَمَّ منهُم ومِن سائِرِ اليَهودِ، و(اللّامُ) في (لَمَثوبَةٌ): لامُ الابتِداءِ وَقَعَت معَ مَدخولِها جَوابًا لِـ(لَو)، فَمَثوبَةٌ: مُبتدأٌ، و(مِن عِندِ الله): صِفَةٌ لَها، و(خَيرٌ): خَبَرُها، والجملَةُ: جَوابُ (لَو) كَما قُلنا، وتَقديرُ المَعنى: لَأُثِيبُوا مَثوبَةً مِنَ الله خَيرًا مِمَّا شَرَوا بهِ أنفَسَهُم وما تَعَلَّموهُ مِنَ السِّحرِ، فَحُذِفَ الفِعلُ وعُدِلَ مِنَ النَّصبِ إلى الرَّفعِ؛ لِيَدُلَّ على ثَباتِ المَثوبَةِ والجَزمِ بخَيرِيَّتِها ثمَّ حُذِفَ المُفَضَّلُ عَليهِ أيضًا تَنويهًا[2] لِلمُفضِّلِ مِن أن يُنسَبَ إليهِ وتَشويهًا[3] لِلمَفَضَّلِ عليهِ مِن أن يكونَ مِن جِنسِ الخَيرِ، وجَوابُ (لَو كانُوا يَعلَمونَ) محَذوفٌ بدَلالَةِ ما قَبلهُ، أعني: لَمَثُوبَةٌ مِن عِندِ الله خَيرٌ، ويَجوزُ أن يكونَ (لَو) الثّاني للتَّمَنّي أيضًا كالأوَّلِ. [٤٥٨]

والمعنى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾، أي: وَلَو أنَّ الّذينَ يَتَعلَّمونَ السِّحرَ ويَعمَلونَ بهِ وغَيرَهُم مِن سائرِ اليَهودِ الّذينَ نَبَذُوا كِتابَ الله وَراءَ ظُهورِهِم ﴿آمَنُوا﴾، أي: صَدَّقُوا مُحَمَّدًا وكِتابَهُ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾، أي: السِّحرَ والكُفرَ وتَرَكُوا المَعاصِيَ كَنَبذِ كِتابِ الله وَراءَ ظُهورِهِم واتِّباعِ السِّحرَ وتَعلُّمِهِ والعَمَلِ بِهِ ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾، أي: لَأُثِيبُوا مَثوبَةً مِنَ الله سبحانه خَيرًا مِمَّا شَروا بِهِ أنفُسَهُم وما تَعَلَّموهُ إلى آخِرِ ما مَرَّ في بَيانِ الإعرابِ آنِفًا، وتَنكيرُ (مَثوبَةٌ) لإفادَةِ أنَّ قَليلًا مِن ثَوابِ الله خَيرٌ مِمَّا شَرَوا بِهِ أنفُسَهُم

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٢٢٧.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: تعظيمًا وإجلالًا.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: تقبيحًا.

وأخَذوا بذلكَ مِن حُطامِ الدُّنيا، فَكيفَ بكَثيرِه؟ أي: لَشَيءٌ قَليلٌ مِنَ الثّوابِ عندَ الله خَيرٌ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ أنَّ ثَوابَ الله خَيرٌ لَهُم مِمَّا اختارُوهُ وإنَّما جَهلهُم اللهُ تعالى تَنبيهًا عَلى تَركِ التَّدبُّرِ في عاقِبةِ أُمورِهِم وتَركِ العَمَلِ بعِلمِهِم، والمعنى: لَو كانُوا يَعلَمونَ لَظَهَرَ لَهُم بالعِلمِ ذلكَ، أي: لَعَلِمُوا أنَّ ثَوابَ الله خَيرٌ مِن اتِّباعِ السِّحرِ وكُتُبِ الشَّياطينِ ونَبذِ كِتابِ الله وَراءَ الظَّهرِ.

دلالَةُ الآيةِ:

ففيها دَلالَةٌ على جَهلِهِم، وتَرغيبٌ لَهُم في أن يَعلَمُوا ذلكَ وأن يَطلُبُوا ما هوَ خَيرٌ لَهُم، وهوَ الثَّوابُ الدّائمُ الّذي يُنالُ بطاعَةِ الله ومَرضاتِهِ، وقالَ في المجمَعِ: «وفي الآيةِ دَلالَةٌ على بُطلانِ قَولِ أصحابِ المَعارِفِ[2]؛ لأنَّهُ تعالى نَفَى ذلكَ العِلمَ عَنهُم»[3]، انتهى.

وقولُهُ تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: راعُونا على لَفظِ الجمعِ؛ لِتَوقيرِ النَّبيِّ ﷺ، وراعِنًا بالتَّنوينِ على أن يكونَ اسمُ فاعِلٍ[4]، يَعنونَ أصلَ الكَلمةِ مِنَ الرُّعونَةِ، أي: لا تَقولُوا قَولًا ذا رَعْنٍ، وقُرِئَ: أَنْظِرْنا بفَتحِ الهَمزَةِ وكَسرِ الظّاءِ مِنَ الإنظارِ[5]، أي: أَمهِلنا لِنَحْفَظَ.

---

(١) سورة التوبة ٩: ٧٢.

(٢) هم: «الذينَ يقولونَ لا حاجَةَ بنا إلى بعثةِ الأنبياءِ؛ لأنَّ عقولَنا مُستقلّةٌ بها يَحتاجُ إليهِ في المَعاشِ والمعادِ». [كشف المراد: ٤٣٧].

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٣٥.

(٤) قراءةُ الجمعِ: عَن ابن مسعودٍ والأعمَش وأبانَ بنِ يزيدٍ، أمَّا قراءةُ اسم الفاعلِ فهي لابن مُحَيصن، وحُمَيد، والحسن، وأبو حيوة. ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٠، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي: ١: ٣٩.

(٥) والقراءة عن الأعمَش. ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٣٧٦.

اللغة:

المُراعاةُ: تَفَقُّدِ الشَّيءِ في نَفسِهِ وأحوالِهِ، وَراعَيتُهُ: لاحظتُهُ مُجيبًا إليهِ، والمُراعاةُ والمُحافَظَةُ والمُراقَبَةُ نَظائرُ، وضِدُّ المُراعاةِ: الإغفالُ، ورَعَى اللهُ فُلانًا، أي: حَفِظَهُ، واستَرعاهُ: استَحفَظَهُ، ورَعَيتُ حَقَّهُ وعَهدَهُ فيمَن خَلَفَ، وراعَيتُهُ سَمعِي: إذا أصغَيتُ إليهِ، وراعَيتُهُ بعَينِي: إذا لاحَظتُهُ، والرَّاعِي: كُلُّ مَن وَلِيَ أمرَ قَومٍ فَهوَ راعِيهِم وهُم رَعِيَّتُهُ، وجَمعُهُ رِعاءٌ بالكَسرِ كَرِجالٍ، ورُعاةٌ بالضَّمِّ كَهُداةٍ، ورُعيانٌ كَرُغفانٍ، والمَرعِيُّ مِنَ النَّاسِ: المَسوسُ، والرَّاعِي: السَّائِسُ، والارعاءُ: الابقاءُ على أخيكَ والتَّرَحُّمُ عَليهِ، يقالُ: أرعَيتُ عليهِ، أي: أبقَيتُ وتَرَحَّمتُ، والبُقْيَا: التَّرَحُّمُ، والاسمُ: الرُّعيا والرُّعوَى ويُفتَحُ، وأرْعِني سَمعَكَ وراعِني سَمعَكَ، أي: استَمِع لِمَقالي، وأصلُ البابِ: الحِفظُ والتَّرَفّقُ وتَخفيفُ الكُلَفِ والأثقالِ عَنهُ، ومنهُ الحديثُ: «كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ»(١)، أي: حافظٌ مُؤتَمَنٌ، وهذهِ المعاني مِن أوَّلِ البابِ إلى هنا هيَ المُرادَةُ مِنَ الآيةِ، وقَد جاءَ: رَعا يَرعُو بمَعنى كَفَّ عَنِ الأُمورِ، وقَد ارعَوَى عَنِ القَبيحِ يَرعَوِي ارعِواءً، والاسمُ: الرَّعيَا بالفَتحِ والضَّمِّ أيضًا، والارعواءُ: النَّدَمُ على الشَّيءِ، والانصرافُ عنهُ وتَركُهُ، وفي الحَديثِ: «شَرُّ النَّاسِ رَجُلٌ يَقرَأُ كِتابَ الله لا يَرعَوي إلى شَيءٍ منهُ»(٢) أي: لا يَنكَفُّ ولا يَنزَجِرُ.

ونَظَرتُ فُلانًا أنظُرُهُ نَظرَةً بمَعنى: انتَظَرتُهُ وارتَقَبتُهُ، والانتِظارُ والانظارُ: التّأمُّلُ والإمهالُ، ويقالُ: نَظَرَهُ كَنَصَرَهُ وضَرَبَهُ وسَمعَهُ، وإليهِ نَظَرًا ومَنظَرًا ونَظرانًا ونَظرَةً وتَنْظارًا: تَأَمَّلَهُ بعَينِهِ.

الإعراب:

جملَةُ: (راعِنا) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ: في مَوضِعِ النَّصبِ مَقولُ لا تَقولُوا، وجملَةُ: (انظُرنا): مَقولُ قُولُوا، وجملَةُ: (واسمَعُوا): عَطفٌ على قُولُوا، و(للكافِرينَ عذابٌ أليمٌ): خَبَرٌ ومُبتَدَأٌ ونَعتٌ.

(١) مسند أحمد: ٢: ٥٤، وصحيح البخاري: ١: ٢١٥، وبحار الأنوار: ٧٢: ٣٨، حديث رقم: ٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٣٦.

والمعنى: [٤٥٩]

ثُمَّ بعدَ نَهيِ اليَهودِ عَن اتِّباعِ السِّحرِ نَهى اللهُ سبحانَهُ المؤمنينَ عَن إطلاقِ هذهِ اللَّفظَةِ فَقالَ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾**، وكانَ المُسلمونَ يَقولونَ لِرسُولِ الله ﷺ إذا ألقى إليهِم شَيئًا مِنَ العِلمِ وأحكامِ الشَّرعِ: راعِنا يا رَسُولَ الله، أي: راقِبنا وتَأَنَّ بِنا فيما تُلَقِّنُنا حَتَّى نَفهَمَهُ ونَحفَظَهُ، وكانَت لليَهودِ كَلِمَةٌ يَتسابُّونَ بها وهيَ (راعِينا)، فَلَمَّا سَمِعُوا بقَولِ المُسلمينَ: (راعِنا) افترَصُوهُ[١] وخاطَبُوا الرّسُولَ ﷺ بِهِ وهُم يَعنونَ تلكَ الكَلِمَةَ مُريدينَ نِسبَتَهُ إلى الرَّعنِ مِنَ الرُّعُونَةِ، أو إلى الرَّعيِ، أي: أنتَ راعِي غَنَمِنا، أو سَبَّهُ بالكَلِمَةِ العِبرانِيَّةِ الّتي يَتَسابُّونَ بها، كَما رُوِيَ عَن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام أَنَّهُ قالَ: (هذهِ الكَلِمةُ سَبٌّ بالعِبرانيَّةِ)[٢] فَنُهِيَ المؤمنونَ عَنها وأُمِرُوا بما هوَ في مَعناها ويُفيدُ تلكَ الفائدَةَ ولا يَقبَلُ التَّلبيسَ والسَّبَّ أصلًا وهوَ قولُهُ تعالى: **﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾** بمَعنى: انتَظِرنا، مِن نَظَرُهُ إذا انتَظَرَهُ وأمهِلنا وتَأَنَّ بِنا، أو اُنظُر إلينا، فَهوَ حينئذٍ مِن بابِ الحَذفِ والإيصالِ. وقُرِئَ: أَنْظِرنا مِنَ الإنظارِ، أي: أَمهِلْنا لِنَفهَمَ ونَحفَظَ، وعَلى قِراءَةِ: راعِنًا بالتَّنوينِ مِن الرُّعونَةِ، يكونُ التَّقديرُ: لا تَقولُوا قَولًا ذا رَعنٍ وهوَ الحَماقَةُ وما شابَهَ قَولَ اليَهودِ في كَلِمَتِهِم الّتي يَتَسابُّونَ بها، وقيلَ: مَعناهُ عندَهُم: اسمَعْ لا سَمِعتَ، فَنُهِيَ المؤمنونَ عَنها وأُمِرُوا بما هوَ في مَعناها.

﴿وَاسْمَعُوا﴾، أي: أحسِنُوا الاستِماعَ ما يُكَلِّمُكُم بِهِ النَّبيُّ ﷺ بآذانٍ واعِيَةٍ حَتَّى لا تَحتاجُوا إلى طَلَبِ المُراعاةِ والمُحافَظَةِ، أو اسمَعُوا ما أمَرَكُم بِهِ ﷺ سَماعَ قَبولٍ وطاعَةٍ وجِدٍّ ويَقينٍ لا كَسَماعِ اليَهودِ حيثُ قالُوا: سَمِعْنا وعَصَيْنا، **﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾**، أي: للَّذينَ كَفَروا بمُحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ مِنَ اليَهودِ الّذينَ استَهزَؤُا بالرَّسولِ وتَهاوَنُوا بِهِ وسَبُّوهُ وغَيرِهِم عُمومًا، **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**، أي: مُؤلِمٌ مُوجِعٌ.

(١) أي: انتهزوهُ. ينظر: لسان العرب: ٧: ٦٥، (الفرص).

(٢) بحار الأنوار: ٩: ٦٧.

النُّزولُ:

وفي تَفسيرِ العَيَّاشي: عَن أميرِ المؤمنينَ والسَّجّادِ زَينِ العابدينَ عَليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام: «لَيسَ في القرآنِ: يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا إلَّا وهيَ في التَّوراةِ: يا أيُّها المَساكينُ، **﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾**، أي: راعِ أحوالَنا واسمَعْ مِنَّا نَسمَع مِنكَ؛ وذلكَ لأنَّ اليَهودَ لمَّا سَمِعُوا المُسلِمينَ يُخاطِبونَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله بقَولِهِم راعِنا وكانَ راعِنا بِلُغَتِهِم سَبًّا بمَعنى: اسمَعْ لا سَمِعتَ، قالَ بعضُهُم لِبَعضٍ: لَو كُنَّا نَشتِمُ مُحَمَّدًا إلى الآنِ سِرًّا فتَعالَوا الآنَ نَشتِمُهُ جهرًا، فكانُوا يَقولونَ لَهُ راعِنا يُريدُونَ شَتمَهُ، فَفَطِنَ لذلكَ سَعدُ بنُ مَعاذٍ الأنصاري فَلَعَنَهُم وأوعَدَهُم بضَربِ أعناقِهِم لَو سَمِعَها منهُم فَنَزَلَتِ الآيَةُ»(١).

دلالَةُ الآيةِ:

فَفيها دَلالَةٌ على أنَّ كُلَّ مَنْ سَبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله مِن غَيرِ تَقِيَّةٍ وإكراهٍ فَهوَ كافِرٌ كائنًا مَن كانَ.

وقولُهُ تعالى: **﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾** آيةٌ:

اللغة:

الوَدُّ والمَودَّةُ: محَبَّةُ الشّيءِ مَعَ تَمَنّيهِ، ويُستَعمَلُ في كُلٍّ منهُما، والاختِصاصُ بالشَّيءِ هوَ: الانفِرادُ بهِ والامتِيازُ، وضِدُّهُ الاشتِراكُ، ويقالُ: خَصَّهُ بالشّيءِ يَخُصّهُ خصًّا إذا فَضَّلَهُ بهِ دونَ غَيرِهِ، ومنهُ يقالُ: للفَرجِ: الخِصاصُ؛ لِانفِرادِ كُلِّ واحِدٍ عَنِ الآخَرِ مِن غَيرِ جَمعٍ بينَهُما، والباءُ: في بِرَحمَتِهِ مثلُها في قَولِهِم: نَخُصُّكَ بالعِبادَةِ، بمَعنى: لا نَعبُدُ غَيرَكَ، وأصلُ هذهِ الباءِ أن تَدخُلَ على ذي الخاصَّةِ وعلى المَقصورِ عَليهِ دونَ الخاصَّةِ والمقصورِ، فيقالُ: واللهُ يَختَصُّ رَحمَتَهُ بِمَن يَشاءُ، ونَخُصُّ العِبادَةَ بكَ ثُمَّ قُلِبَ الكَلامُ لِتَضمينِ مَعنى الاِمتِيازِ؛ لأنَّ تَخصيصَ شَيءٍ بآخَرَ في قُوَّةِ تَمييزِهِ بالآخَرِ في العُرفِ حَتَّى صارَ كَأنَّهُ حَقيقَةٌ فيهِ.

(١) لم يقف الباحث على الرواية في تفسير العيّاشي، وتم اثباتها عن العيّاشي نقلا من التّفسيرِ الصّافي: ١: ١٧٨.

الإعراب:

(ما): نافيَةٌ، (الّذينَ): فاعلٌ، (يَوَدُّ): مضارعٌ بابَ عَلِمَ، وجملةُ: (كَفَرُوا): صِلَتَهُ.

اجتِماعُ (مِن) التَّبيينيَّةِ والزّائدَةِ والابتِدائيَّةِ:

و(مِن) الأولى للتَّبيينِ؛ لأنَّ الّذينَ كَفَرُوا جِنسٌ تَحتَهُ نوعانِ: أهلُ الكِتابِ والمُشرِكونَ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾[1].

و(مِن) الثّانيَةِ: مَزيدَةٌ للاستِغراقِ، و(خَيرُ): نائبُ فاعلِ (يُنَزَّلَ)، و(أن) مَعَ ما بَعدَها: في مَوضِعِ نَصبٍ: مَفعولِ (يَوَدُّ).

و(مِن) الثّالثَةُ: أعني:(مِن رَبِّكُم) لابتِداءِ الغَايَةِ مُتَعَلِّقٌ بمُقَدَّرٍ: صِفَةُ خَير، أي: مِن خَيرٍ صادرٍ أو ناشئٍ أو مُنَزَّلٍ مِن رَبِّكُم، ولَيسَت (مِن) هذهِ للتَّفضيلِ، و(اللهُ): مُبتدَأٌ، وجملَةُ: (يَختَصُّ): خَبَرُهُ، و(برَحمَتِهِ): في المعنى مَفعولٌ بهِ لِـ(يَختَصَّ)، و(مَن يَشاءُ): مَفعولُهُ بالواسِطَةِ، وفي اللّفظِ بالعَكسِ على ما أشرنا إليهِ في اللّغَةِ، والباقِي: واضِحٌ. [٤٦٠]

والمعنى:

ثمَّ أخبَرَ سبحانُهُ عَن أحوالِ اليَهودِ والنَّصارى وسائِرِ المُشركينَ مِن أصنافِ الكُفّارِ وعَبَدَةِ الأوثانِ بقولِهِ: **﴿مَا يَوَدُّ﴾**، أي: ما يُحِبُّ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾**، أي: وَحيٌ ونُبُوَّةٌ صادِرَةٌ **﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾**؛ لأنَّ أهلَ الكِتابِ والمشركينَ يَرونَ أنَّهُم أحَقُّ مِنكُم بالوَحيِ والنُّبُوَّةِ فَيَحسُدُونَكُم وما يُحِبُّونَ أن يُنَزَّلَ عليكُم شَيءٌ مِنَ الوَحيِ والنُّبُوَّةِ، **﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾**، أي: بالنُّبُوَّةِ والوَحيِ والقرآنِ والشَّرائعِ والعِلمِ والنُّصرَةِ، وشَرافَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرافَةِ أهلِ بَيتِهِ، ومُوالاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأهلِ بَيتِهِ، والتَّوفيقِ لذلكَ، **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾** ولا يَشاءُ سبحانُهُ إلّا ما تَقتَضِيهِ حِكمَتُهُ سبحانُهُ، وعَن أميرِ المؤمنينَ وعَنِ الباقرِ عليهما السلام: «أنَّ المُرادَ برَحمَتِهِ ههنا

(١) سورة البيّنة ٩٨: ١.

النُّبُوَّةِ كَقولِهِ تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[1] الآيةُ»[2].

وفي قَولِهِ تعالى: **﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** إيذانٌ بأَنَّ اتياءَ النُّبُوَّةِ مِنَ الفَضلِ العَظيمِ كَقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[3]، وكُلُّهُ تَفضُّلٌ منهُ تعالى على عِبادِهِ، وقالَ في المجمَعِ: «**﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** هذا خَبرٌ منهُ سبحانهُ؛ لأنَّ كُلَّ خَيرٍ نالَ عِبادَهُ في دينِهِم ودُنياهُم فَإنَّهُ مِن عِندِهِ تعالى ابتِداءً منهُ إليهِم، وتَفضُّلًا عَليهِم مِن غَيرِ استِحقاقٍ منهُم لِذلكَ عَليهِ، فَهوَ عَظيمُ الفَضلِ وذو الطَّولِ»[4]، انتهى.

وقولُهُ تعالى: **﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾** آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ[5]: (نُنْسِخْ) بضَمِّ النّونِ وكَسرِ السّينِ، مِن أَنْسَخَ: أَفْعَلَ، بمَعنى: فَعَلَ، مثل حَلَّ مِن إحرامِهِ وأَحَلَّ، مِن كَونِ نَسَخَ وأنسَخَ لُغتَينِ، أو مِن كَونِ الهمزَةِ للنَّقلِ، مثل: نَسَختُ الكِتابَ وأنسَختُهُ، أو مِن كَونِ الهَمزَةِ للوِجدانِ، أي: وِجدانِ الفاعِلِ المفعولَ صاحِبَ أَصْلِ الفِعلِ، يقالُ: أنسَختُ الآيَةَ، بمَعنى: وَجَدتُها مَنسُوخَةً، مثلَ: أحمدتُهُ، أي: وَجدتُهُ محمودًا، وأبخَلتُهُ، أي: وَجَدتُهُ بَخيلًا، وَقَرَأَ الباقونَ: بفَتحِها، وهيَ: أوضَحُ وأبيَنُ[6].

وَقَرَأَ عبدُ اللهِ بنُ كَثيرٍ المَدَنيُّ وأبو عَمرو بنُ العَلاءِ البَصريُّ: (نَنْسَأْها) بفَتحِ النُّونِ والسِّينِ مَعًا مَعَ إثباتِ الهَمزَةِ السَّاكِنَةِ بالجَزمِ مِن: نَسَأَ يَنْسَأُ، كَمَنَعَ يمنَعُ، مِنَ النَّسَئِ، وهوَ: التَّأخيرُ، يقالُ: نَسَأتُ

---

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢: ١٤، ومستدرك سفينة البحار: ٤: ١٠٠.

(٣) سورة الاسراء ١٧: ٨٧.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٢٧.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: ابنُ عامرٍ مِن قُرَّاءِ الشّامِ، وابنُ كَثيرٍ مِنَ المَدينَةِ كَما مَرَّ في أوائلِ الكِتابِ.

(٦) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٨، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ١٨٠.

الإبِلَ عَنِ الحَوضِ أنْسَأُها: إذا أخَّرتَها عنهُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾(١) الآيةُ، على ما يَجيءُ في سُورَةِ التَّوبَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، وقَرَأَ الباقونَ: (نُنْسِها) بضَمِّ النُّونِ وكَسرِ السِّينِ بِلا هَمزٍ، فهوَ مِنَ النّسيانِ الّذي هوَ بمَعنى: السَّهوِ وإذهابُ الشَّيءِ وتَركُهُ، أي: نُنْسِ أحَدًا إيَّاها، بِحَذفِ المفعولِ الأوَّلِ(٢)، وقُرِئَ: (تَنْسَها) بفَتحِ التَّاءِ والسِّينِ، أي: أنتَ، و(تُنْسَها) عَلى البِناءِ للمَفعولِ، و(نُنْسِكَها) بضَمِّ النُّونِ الأولى وكَسرِ السِّينِ مَعَ إظهارِ المفعولَينِ(٣)، وقَرَأَ أهلُ البَيتِ عليهم السلام: (بخَيرٍ مِنها مِثلِها)(٤) بدونِ ذِكرِ (أو) العاطِفَةِ، وهوَ الأصَحُّ على ما سنُشيرُ إليهِ في بَيانِ المَعنى، المَعنى، وهم عليهم السلام أدرى بِما فيهِ.

اللغة:

النَّسخُ لُغةً: إزالَةُ صُورَةِ الشَّيءِ وإثباتُها في غَيرِهِ، مِن نَسَخَتِ الشّمسُ الظِّلَّ، أي: أذهَبَتْهُ وأضاءَت مَكانَهُ، وإذهابُ الشَّيءِ عَن أصلِهِ سَواءٌ بإبدالِ آخَر مَكانَهُ أم لا، ويقالُ: نَسَخَهُ كَمَنَعَهُ: أزَالَهُ وغَيَّرَهُ وأبْطَلَهُ سَواءٌ أقامَ شَيئًا مَقامَهُ أم لا، ومِن ذلكَ التَّناسُخِ والمُناسَخَةِ في المِيراثِ وهوَ مَوتُ وَرَثَةٍ بَعدَ وَرَثَةٍ، وأصلُ المِيراثِ قائمٌ لَم يُقْسَمْ بَعدُ، ومنهُ تَناسُخَ الأزمِنَةِ والقُرُونِ بَعدَ القُرونِ الماضِيَةِ، وإنساخُها الأمْرُ بِنَسْخِها وإبطالُها أو إبطالُ حُكْمِها.

تَحديدُ النَّسخِ وتَعريفُهُ:

وقالَ في المجمَعِ: «وأولَى ما يُحَدُّ بِهِ النَّسخُ أن يقالَ: هوَ كُلُّ دَليلٍ شَرعِيٍّ دَلَّ عَلى أنَّ مِثلَ الحُكَمِ

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٧.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٦٨، والحجة في القراءات السبع: ١: ٨٦.

(٣) (تَنْسَها): قراءة سعد بن أبي وقّاص والحسن ويحيى بن يعمر، (تُنْسَها): قراءة سعيد بن المسيب والضّحّاك، (نُنْسِكَها): قراءة سالم مولى أبي حذيفة. ينظر: الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٩٤، ١٩٥، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ١: ١٠٣.

(٤) ينظر: تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، والبرهان في تفسير القرآن: ١: ٣٠٢، وبحار الأنوار: ٤: ١١٦، حديث رقم: رقم: ٤٣، و٢٣: ٢٠٨، حديث رقم: ١٠.

الثّابتِ بالنَّصِّ الأوَّلِ غيرُ ثابتٍ في المُستقبَلِ على وَجهٍ لَولاهُ لَكانَ ثابتًا بالنَّصِّ الأوَّلِ مَعَ تَراخِيهِ عنهُ، والنَّسخُ في القرآنِ على ضُروبٍ، منها:

ـ أن يُرفَعَ حُكمُ الآيةِ وتِلاوتُها، كَما رُوِيَ عَن أبي بَكرٍ أنَّهُ قالَ: كُنَّا نَقرَأُ: (لا تَرغَبُوا عَن آبائِكُم فإنَّهُ كُفرٌ بِكُم)[1].

ـ وَمِنها: أن تُثْبَتَ الآيةُ في الخَطِّ ويُرفَعَ حُكمُها، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾[2] إلى آخرِ الآيةِ فهذهِ الآيةُ ثابتةٌ في الخَطِّ واللّفظِ مُرتَفِعَةُ الحُكمِ ـ وأقولُ: وكَآيةِ النَّجوى بنَصٍّ ما بَعدَها، وكَقولِهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[3] ثمَّ نَسَخَها بقولِهِ سبحانه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[4] وَبِآيَةِ الرُّبعِ والثُّمنِ ونَحوِ ذلكَ مِنَ الآياتِ المَنسُوخَةِ الّتي تَأتي في أثناءِ التَّفسيرِ إن شاءَ اللهُ تعالى ـ.		[٤٦١]

ـ ومنها: ما يَرتَفعُ اللّفظُ ويَثبتُ الحُكمُ كَآيةِ الرَّجمِ، فَقد قيلَ: أنّها كانَت مُنزلَةً فَرُفِعَ لفظُها، وقَد جاءَت أخبارٌ كَثيرَةٌ بأنَّ أشياءَ كانَت في القرآنِ فَنُسِخَ تلاوتُها.

ـ ومنها: ما رُوِيَ عَن أبي موسى: أنَّهُم كانُوا يَقرأونَ: لَو أنَّ لابنِ آدمَ وادِيَينِ مِن مالٍ لابْتَغى لَهُما ثالثًا، ولا يَملأُ جَوفَ ابنِ آدمَ إلّا التُّرابُ، ويَتوبُ اللهُ على ما تابَ ثمَّ رُفِعَ[5][6]، انتهى.

معنى النِّسيانِ والإنساءِ لُغةً، ودفعُ الإشكالِ في الاستِثناءِ:

ونُنسِها: نَذهَبُ بِحفظِها عَنِ القلوبِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[7]

---

(١) الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ١٨٠.

(٢) سورة الممتحنة ٦٠: ١١.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٤٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٣٤.

(٥) ناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي: ١: ٢٨، والاتقان في علوم القرآن: ٣: ٨٣.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٣٨.

(٧) سورة الأعلى ٨٧: ٦، ٧.

مِمَّا يَجوزُ أن يُنسَخَ أو يُنسَى دونَ ما لا يَجوزُ، وقالَ أبو عُبيدَة: «مَعنى نُنْسِها أي: نُمضِها فَلا نَنْسَخها، وبالهَمزَةِ نُؤَخِّرها»[1]، وفي الحَديثِ: «مَن أحَبَّ أن يُنْسَأَ في أجَلِهِ فَليَصِلْ رَحِمَهُ»[2]، والنَّسَأُ: التَّأخيرُ، ومنهُ الحديثُ: «صِلَةُ الرَّحِمِ مَثراةٌ في المالِ، ومَنسَأَةٌ في الأجَلِ والأثَرِ»[3]، ومنهُ يقالُ للعَصا: مِنْسَأَةٌ؛ لأنَّها يُنسَأُ بها، أي: يُؤَخَّرُ ما ساقَ عَن مَكانِهِ، أو يَدفَعُ بها الإنسانُ عَن نَفسِهِ الأذى ويُؤَخِّرُهُ عنهُ.

الإعراب:

(ما): شَرطيَّةٌ جازِمَةٌ لِـ(نَنسَخْ ونُنسِ)، وهوَ في مَوضعِ نَصبٍ مفعولٌ بِهِ لِـ(نَنسَخْ)، وإنَّما لَزِمَهُ التَّقديمُ معَ أنَّهُ مفعولٌ بهِ، ومَرتَبَةُ المفعولِ بعدَ الفِعلِ لِنِيابَتِهِ مَنابَ حَرفِ الشَّرطِ الّذي لهُ صَدرُ الكَلامِ، وكَذا حُكمُ جَميعِ أسماءِ الشَّرطِ وحُروفِهِ، و(مِن) في (مِن آيَةٍ) لِلتَّبيينِ حالٌ مِن (ما)، أو لِلتَّبعيضِ كذلكَ[4]، وقيلَ: مَزيدةٌ[5] فَلَيسَ بشيءٍ، والجملتانِ: شَرطٌ ومَعطوفَةٌ، و(نَأتِ) مَجزومٌ بـ(ما)؛ لأنَّهُ جَزاءٌ، وبـ(خَيرٍ) مُتعلِّقٌ بـ(نَأتِ)، و(منها) مُتعلِّقٌ بـ(خَيرٍ)، فَعلى هذا تكونُ (مِن) في (منها) لِلتَّفضيليّةِ، (أو مثلِها) بالجَرِّ عَطفٌ على (خَيرٍ)، و(أو) لِمَنعِ الخلوِّ، وهذا الإعرابُ على القِراءةِ المَشهورَةِ.

وأمَّا على قِراءَةِ أهلِ البَيتِ عليهم السلام: (بخَيرٍ مِنها مِثلِها) بالجَرِّ بدونِ (أو) العاطفَةِ كَما مَرَّ، فَـ(مِنها) مُتعلِّقٌ بمُقدَّرٍ صِفَةٌ لـ(خيرٍ)، ولَيسَت (مِن) لِلتَّفضيليّةِ على هذهِ القِراءَةِ؛ لِفَسادِ المَعنى، و(مثلِها) نَعتٌ بعدَ نعتٍ لـ(خَيرٍ)، والتَّقديرُ: نَأتِ بخَيرٍ ناشِئٍ أو صادرٍ مِن تلكَ الآيَةِ ومِن صُلبِها مِثلِها في

---

(1) التبيان: 1: 397.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر: 5: 44، ومستدرك الوسائل: 15: 244، حديث رقم: 18125.

(3) ورد الحديث بصورتين: الأولى: «صِلَةُ الرَّحِمِ مَثراةٌ في المالِ، ومَنسَأَةٌ في الأجَلِ». من لا يحضره الفقيه: 1: 205، حديث رقم: 613، والوافي: 4: 263، حديث رقم: 1906. والثانية: «صِلَةُ الرَّحِمِ مَثراةٌ في المالِ، ومَنسَأَةٌ في الأثرِ». النهاية في غريب الحديث والأثر: 1: 210، وبحار الأنوار: 71: 112، حديث رقم: 71.

(4) ومنه في حاشية الأصل: أي: حالٌ من (ما) أيضًا.

(5) وهو قول العكبري. ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1: 102.

الخَيريَّةِ، وسَيَجيءُ بيانُ ذلكَ في ضِمنِ حَديثِ الكافي إن شاءَ اللهُ تعالى.

والهمزَةُ في (أَلَمْ تَعلَم): للاستفِهامِ التَّقريري، أي: حَملِ المُخاطَبِ على اقرارِ ما بَعدَ النَّفي، كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(١)، أي: اللهُ كافٍ، ويقالُ لمثلِ هذهِ الهَمزَةِ: استفهامُ إنكارٍ أيضًا، وهوَ معنى التّقريرُ أيضًا؛ لأنَّ إنكارَ النَّفيِّ نفيٌ لهُ، ونَفيُ النَّفيِ إثباتٌ، ومنهُ قَولُ جرير:

أَلَستُم خيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندى العَالَمينَ بُطونَ راحِ (٢)

والخِطابُ في (أَلَمْ تَعلَمْ) عامٌّ لِكُلِّ أحَدٍ قابلٍ لهُ.

والمعنى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾، أي: كُلَّ آيَةٍ نَذهَبُ بها عَلى ما تُوجِبُهُ الحِكمةُ وتَقتَضيهِ المَصلحَةُ في كُلِّ عَصرٍ مِنَ الأعصارِ مِن إزالَةِ حُكمِها دونَ لَفظِها أو بالعَكسِ، كَآيَةِ الرَّجمِ، أو كلَيهِما على سَبيلِ مَنعِ الخُلُوّ إلى بَدَلٍ، أو لا إلى بَدَلٍ نَأتِ بخَيرٍ مِنها لِلعِبادِ، أي: بآيَةٍ العَمَلُ بها أحوزُ(٣) في النَّفعِ والثَّوابِ، وأسهَلُ في العَمَلِ، أو مثلُها في ذلكَ، والمقصودُ: نَأتِ بخَيرٍ مِنها لَكُم وأيسَرَ كَالأمرِ بالقِتالِ الّذي كانَ أسهَلَ على المُسلمينَ بقولِهِ تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ﴾(٤)، بعد قولِهِ تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٥) الآيةُ، فيكونُ هذا التَّخفيفُ والنَّسخُ خيرًا وأسهَلَ؛ لأنَّهُ حينئذٍ يكونُ واحدٌ مِنَ المسلِمينَ مُقابِلًا لاثنَينِ مِنَ الكُفّارِ بخِلافِ الحُكمِ السّابقِ فإنَّ الواحِدَ فيهِ مُقابلٌ للعَشرَةِ، أو مثلِها، أي: مثلُها في السُّهولَةِ كَالعِبادَةِ بالتَّوجّهِ إلى الكَعبَةِ بَعدَ أن كانَت إلى بيتِ المَقدسِ

(١) سورة الزمر ٣٩: ٣٦.

(٢) البيت من الوافر. ديوانه: ٧٧، وينظر: الشعر والشعراء: ١: ٤٥٩.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: أجمعُ.

(٤) سورة الأنفال ٨: ٦٦.

(٥) سورة الأنفال ٨: ٦٥.

على ما يَجيءُ في هذهِ السُّورةِ مُفصَّلًا في تفسيرِ المعصومِ.

أو المعنى: ما نَنْقُصُ وما نُميتُ نَبيًّا مِنَ الأنبياءِ وإمامًا مِنَ الأئمَّةِ إلّا نَأتِ بخَيرٍ منها، كأُولي العَزمِ بعدَ غَيرِ أُولي العَزمِ، وكَخاتَمِ النَّبيّينَ ﷺ بعدَ غَيرِهِ مِنَ الأنبياءِ، أو مثلِها كإمامٍ بعدَ إمامٍ كَما هوَ المَرويُّ عنهم عليهم السلام في الكافي وغيرِهِ. [٤٦٢]

في أُصولِ الكافي: عليُّ بنُ مُحمَّدٍ عَن إسحاقَ بنِ مُحمَّدٍ عَن شاهَوَيه بن عبدِ الله الجَلّابِ[١] قالَ: كَتَبَ إليَّ أبو الحسنِ عليه السلام في كتابٍ: «أردتَ أن تَسأَلَ عَنِ الخَلَفِ بعدَ أبي جَعفرٍ عليه السلام وقَلَقتَ لذلكَ، فَلا تَغتَمَّ فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يُضِلُّ قَومًا بعدَ إذ هَداهُم حَتَّى يُبيِّنَ لَهم ما يَتَّقونَ، وصاحِبُكم بَعدي أبو مُحمَّدٍ ابني، وعندَهُ ما تَحتاجونَ إليهِ يُقَدِّمُ ما يَشاءُ ويُؤَخِّرُ ما يَشاءُ **﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾** قَد كَتَبتُ بما فيهِ بَيانٌ وقِناعٌ لِذي عَقلٍ يَقظان»[٢].

وفي تفسيرِ العَيّاشي: عَن عُمَرِ بنِ يَزيدٍ[٣] قالَ: سَأَلتُ أبا عَبدِ الله عليه السلام عَن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾**، فقالَ: «كَذَبُوا ما هكَذا هيَ، إذا كانَ يَنسخُها ويَأتِ بمِثلِها لَم يَنسَخْها، قُلتُ: هكَذا قالَ اللهُ تعالى؟ قالَ عليه السلام: لَيسَ هكَذا قالَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى، قُلتُ: فَكَيفَ قالَ؟ قالَ: لَيسَ فيها أَلِفٌ ولا واوٌ، قالَ: ما نَنسَخْ مِن آيةٍ أو نُنْسِها نَأتِ بخَيرٍ مِنها مِثلِها، يقولُ: ما نُمِت مِن إمامٍ أو نُنْسِهِ ذِكرَهُ نَأتِ بخَيرٍ منهُ مِن صُلبِهِ مِثلِهِ»[٤]، انتَهى الحديثُ، أو المَعنى: ما نَنسَخ مِن شَريعةٍ مِن شَرائعِ الأنبياءِ عليهم السلام بأن نَرفَعَ حُكمَها أو نُنسِها بأن نَرفَعَ رَسمَها

---

(١) من أصحاب الهادي والعسكري عليهما السلام. ينظر: رجال الطوسي: ٣٩٩، ترجمة رقم: ٥٨٥٣، ونقد الرجال: ٢: ٣٩٠، ترجمة رقم: ٢٥١٢.

(٢) الكافي: ١: ٣٢٨، حديث رقم: ١٢.

(٣) بيّاعُ السّابري: أبو الأسود مولى ثقيف، ثقة، روى عَن أبي عبد الله وأبي الحسنِ عليهما السلام، أثنى عليه الإمام الصّادق عليه السلام، له كتابٌ. ينظر: رجال البرقي: ٣٦، ورجال الطوسي: ٣٣٩، ترجمة رقم: ٥٠٤٦، والتحرير الطاووسي: ٤١٦، ترجمة رقم: ٢٩٦.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، حديث رقم: ٧٨.

ونُنْسِيَ عَنِ القُلوبِ حِفظَها ونَترُكُها، أي: نَأمُرُكُم بتَركِ العَمَلِ بِها؛ لِما رُوِيَ مِن أنَّ سُورةَ الأحزابِ كانَت أطولَ مِن سورةِ البَقَرَةِ فَتُرِكَت، نَأتِ بشَريعَةٍ هيَ خَيرٌ منها كَشَرائعِ أُولي العَزمِ النّاسخَةِ لِما قَبلِها أو مثلِها في كَونِها أيضًا شَريعَةَ أُولي عَزمٍ ونحو ذلكَ مِنَ التّفاسيرِ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، أي: أيُّها السّامِعُ، أو أيُّها الإنسانُ ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: على آياتٍ وسُوَرٍ مثلِ القرآنِ يَنسَخُ بها ما أمَرَ بهِ، فيقومُ في النَّفعِ مَقامَ المَنسوخِ فَيَقدِرُ على النَّسخِ والإتيانِ بالنّاسِخِ وبِما هوَ خَيرٌ منهُ.

دلالاتُ هذهِ الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دَلالةٌ على جَوازِ النَّسخِ، إذ الأصلُ اختِصاصُ كَلِماتِ الشَّرطِ وما يَتَضمَّنها بالأُمورِ المُحتمَلَةِ، وعَلى جَوازِ تأخيرِ الإنزالِ؛ وذلكَ لأنَّ الأحكامَ شُرِعَت والآياتِ نَزَلَت لِمصالِحِ العِبادِ وتَكميلِ نُفُوسِهِم فَضلًا مِنَ اللهِ سبحانَهُ ورحمةً، وذلكَ يَختلِفُ باختِلافِ الأعصارِ والأشخاصِ فَإنَّ النّافعَ في عَصرٍ قَد يضرُّ في غَيرِهِ.

واستَدَلَّ مَن مَنَعَ النَّسخَ بلا بَدَلٍ، أو بَدَلٍ أثقَلَ، ونَسخَ الكِتابِ بالسُّنّةِ بهذهِ الآية، فقالَ: أضافَ سبحانُهُ الإتيانَ بخَيرٍ مِنها إلى نَفسِهِ، فالنّاسخُ المأتيُّ بِهِ بَدَلًا، والسُّنّةُ لا تُضافُ إليهِ سبحانه حَقيقَةً، والجميعُ ضَعيفٌ إذ قَد يكونُ عَدَمُ الحُكمِ أو الأثقَلُ أصلَحَ لِدينِنا ودُنيانا كَما مَرَّ نبَذٌ مِنها في آيةِ البَقَرَةِ، والنَّسخُ قَد يُعرَفُ بغَيرِ القرآنِ، وإضافَةُ السُّنّةِ إلى اللهِ تعالى صَحيحَة؛ لأنَّها إنَّما هيَ بوَحيِهِ تعالى وأمرِهِ فَإضافَتُها إليهِ تعالى كإضافَةِ كَلامِهِ إليهِ.

وفيها أيضًا دَلالةٌ على أنَّ القرآنَ مُحدَثٌ على ما هوَ الحَقُّ مِنَ المَذهَبِ، وأنَّهُ غَيرُ اللهِ تعالى؛ لأنَّ القَديمَ تعالى لا يَصُحُّ نَسخُهُ ولا أنَّهُ ثَبَتَ لهُ مِثلٌ وأنَّهُ سبحانَه قادرٌ عليهِ وما كانَ داخلًا تَحتَ القُدرَةِ فهوَ فِعلٌ، والفِعلُ لا يكونُ إلّا مُحدَثًا.

خَدشَةٌ على البَيضاوي:

فقَولُ البَيضاوي في جَوابِ كَونِ القرآنِ مُحدَثًا: «بأنَّ التَّغيُّرَ والتّفاوتَ مِن عَوارِضِ الأُمورِ المُتعلِّقَةِ بالمعنى القائِمِ بالذّاتِ القَديمِ»(١) لا طائلَ تحتَهُ، بَل هوَ حَشوٌ فاسِدٌ مُفسِدٌ كَما مَرَّ في أوائِلِ السُّورةِ ويَجيءُ في أثناءِ التّفسيرِ أيضًا إن شاءَ اللهُ تعالى.

النُّزول:

نَزَلَت هذهِ الآيةُ حينَ قالَ المشركونَ وأهلُ الكِتابِ: ألا تَرونَ إلى مُحمَّدٍ يَأمُرُ أصحابَهُ بأمرٍ ثمَّ يَنهاهُم عنهُ ويَأمُرُهُم بخِلافِهِ، و«عَن عَليِّ بنِ عيسى: أنَّهُ لمَّا قالَ سبحانَهُ في الآيةِ الأُولى ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(٢) فَدَلَّ بهذهِ الآيةِ على أنَّهُ سبحانَهُ لا يُخليهِم مِن إنزالِ خَيرٍ إليهِم بخِلافِ ما تَمنَّاهُ أعداؤُهُم فيهِ، وأنَّهُ أبدًا يُنزِلُ عَليهِم ما هوَ أصلَحُ لَهُم، وعَن أبي مُسلِمٍ: أنَّهُ سبحانَهُ لمَّا عابَ اليَهودَ بأشياءَ ورَدَّ عليهِم ما رامُوا بهِ الطَّعنَ في أمرِ نَبيِّنا ﷺ كانَ مِمَّا طَعَنُوا بهِ فيهِ أن يَقولَ: بنَسْخِ كُلِّ شَريعةٍ تَقَدَّمَت شريعَتَهُ، فَبَيَّنَ اللهُ سبحانَهُ جَوازَ ذلكَ رَدًّا عَليهِم»(٣). [٤٦٣]

وقولُهُ تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

الوَلِيُّ هوَ: القائمُ بالأمرِ والمُتوَلِّي لأمورِ العالَمِ والخلائِقِ، القائمُ بها، والمالِكُ وصاحِبُ اختيارِ الكُلِّ، والمَلِكُ والرَّبُّ والنَّاصرُ والمُنعِمُ والمُحِبُّ، يقالُ: وَلِيَ الشّيءَ وعليهِ وِلايَةً ووَلايَةً، وبالكَسرِ: الإمارَةُ والسُّلطانُ، وقَد يَجيءُ الوَلِيُّ بمَعانٍ أُخَرَ لَيسَت بمُرادَةٍ هنا، وهيَ: المُعتِقُ والقَريبُ وابنُ

(١) تفسير البيضاوي: ١: ٩٩.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٠٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٣٩.

العَمِّ وابنُ الأُختِ والجارُ والحَليفُ والنَّزيلُ والشّريكُ والتّابعُ والعَقيدُ والصِّهرُ والعَبدُ والمُعتَقُ والمُنعَمُ عَليهِ، وقَد تَختلِفُ مَصادرُ هذهِ الأشياءِ، فَالوَلايَةُ بالفَتحِ: في النَّسَبِ والنُّصرَةِ والعِتقِ، والوِلايَةُ بالكَسرِ: في الإمارةِ والسُّلطانِ، والوَلاءُ بالفَتحِ: في المُعتقِ.

ودونَ اللهِ: بمعنى سِوى اللهِ، وغَيرِ اللهِ، والنَّصيرُ: النَّاصِرُ، وهوَ: المُؤَيِّدُ المُقَوّي، قالَ البَيضاوي: «والفَرقُ بينَ الوَليّ والنَّصيرِ أنَّ الوَليَّ قَد يَضعُفُ عَنِ النُّصرَةِ، والنَّصيرُ قَد يكونُ أجنَبيًّا عَنِ المَنصورِ»[1]، انتهى.

الإعراب:

و(الهمزةُ) في ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾: استفهامُ تقريرٍ وتَثبيتٍ، أي: حَملُ المُخاطَبِ على الإقرارِ بِما بَعدَ النَّفي، أو إنكارَ النَّفي على ما مَرَّ بيانُهُما في الآيةِ السّابقَةِ فكَأنَّهُ يقولُ: قَد عَلِمتَ هذا الأمرَ حَقيقَةً كَما مَرَّ في قَولِ جريرٍ:

ألَستُم خَيرَ مَن رَكَبَ المَطايَا		[وأندى العالمينَ بطونَ راحِ]

والخِطابُ في ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾ عامٌّ كَما مَرَّ أيضًا، والمرادُ بِهِ: وأمَّتِهِ بدَليلِ قَولِهِ: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ إلى آخِرِهِ، وإنَّما لم يَجِئ بالعاطِفِ؛ لأنَّهُ كَالتَّعليلِ والدَّليلِ على جَوازِ الفَسخِ وعلى قَولِهِ: ﴿**أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، و(الله) اسمُ إنَّ، و(لَهُ) خَبرٌ مُقدَّمٌ، و(مُلكُ السّمواتِ) مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ، والجملةُ: خَبرُ إنَّ، وهيَ معَ ما بَعدَها في مَحلِّ نَصبٍ قائم مَقامَ مَفعولَي تَعلَمُ، و(ما) نافيةٌ بَطَلَ عَمَلُها بتَقديمِ الخَبَرِ، و(لَكُم) خَبرٌ مُقدَّمٌ، و(وَلِيٌّ) مبتدَأٌ مُؤخَّرٌ، و(مِن) مَزيدةٌ قِياسًا، و(مِن دونِ الله) مُتعَلِّقٌ بـ(لَكم)، أو بمُقدَّرٍ حالٌ مِن (وَلِيٍّ)؛ لأنَّ نَعتَ النّكرَةِ إذا قُدِّمَ كانَ حالًا عَنها، و(لا) مَزيدَةٌ لِتأكيدِ النَّفي، و(نَصيرٌ) عَطفٌ على (وَلِيٍّ).

---

(١) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٠.

المعنى:

﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾ أيُّها الإنسانُ، أو أيُّها السّامِعُ ﴿**أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾، أي: قَد عَلِمتَ أيُّها الإنسانُ ذلكَ يَقينًا في نَفسِكَ وإن جَحَدتَهُ باللّسانِ؛ لأنَّهُ سبحانهُ هوَ الّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وما فيهِما فَيَفعَل ما يَشاءُ ويَحكُمُ ما يُريدُ لا غَيرُهُ؛ لأنَّ غَيرَهُ سبحانهُ لا يَقدِرُ على شيءٍ مِن ذلكَ يَقينًا، وإنَّما لم يَجِئ بالعَطفِ لِما مَرَّ في بَيانِ الإعرابِ من أنَّهُ كالدّليلِ على ما قَبلِهِ ولمَّا كانَ الخِطابُ في ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾ عامًّا لِكُلِّ مُكَلَّفٍ قابلٍ لَهُ أتى بضَميرِ الجَمعِ في قَولِهِ ﴿**وَمَا لَكُمْ**﴾، أي: مالَكُم أيُّها السَّامِعونَ، أو النَّاسُ ﴿**مِنْ دُونِ اللهِ**﴾، أي: سِوى الله وغَيرِهِ ﴿**مِنْ وَلِيٍّ**﴾ يَقومُ بأُمُورِكُم ويُدَبِّرُ أحوالَكُم بعِلمِهِ وتَدبيرِهِ؛ لأنَّهُ لا يَصلُحُ لذلكَ إلّا الله ولا يَقدِرُ بِهِ غَيرُهُ، ﴿**وَلَا نَصِيرٍ**﴾، أي: ولا لَكُم مِن ناصِرٍ ومُعينٍ يَنصرُكُم ويُعينُكُم في الشَّدائدِ والأهوالِ، ويَدفَعُ عَنكُم المَكارِهَ إن أرادَ اللهُ سبحانهُ إنزالَها بكُم، والعُقوبَةَ إن أرادَ الله إحلالَها بكُم.

وقولُهُ تعالى: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

السُّؤالُ: هوَ طَلَبُ أمرٍ مِمَّن يَعلَمُهُ، والضَّلالُ هنا: بمَعنى الذَّهابُ عَنِ الاستِقامَةِ والدِّينِ القَويمِ يَمينًا وشِمالًا، والضَّلالُ: الضَّياعُ وبُطلانُ السَّعيِ والعَمَلِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، أي: ضاعَ، يقالُ: ضَلَّ الشَّيءُ: إذا ضاعَ، وضَلَّ النّاسي: إذا غابَ عنهُ حِفظُ الشَّيءِ، والسَّواءُ: بفَتحِ السِّينِ معَ المَدِّ على ثَلاثَةِ أوجُهٍ:

بمَعنى عَدَلَ وقَصَدَ، وبمَعنى وَسَطَ في قولِهِ تعالى: ﴿سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[2]، وبمَعنى غَيرٍ، نَحو: رأيتُ سَواءَكَ، أي: غَيرَكَ، والسَّبيلُ والطَّريقُ نظائرُ، جمعُهُ السُّبُلُ كَرَغيفٍ ورُغُفٍ.

---

(١) سورة الكهف ١٨: ١٠٤.

(٢) سورة الصافات ٣٧: ٥٥.

الإعراب:

(أم) هذهِ مُنقطِعَةٌ بمَعنى (بَل والهمزةُ)، وهيَ ثَلاثَةُ أنواعٍ:

ـ مسبوقَةٌ بالخَبَرِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[1].[٤٦٤]

ـ ومَسبوقَةٌ بهمزَةٍ لغَيرِ الاستفهامِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[2] إذا قَدَّرتَ أنَّ الهمزةَ في ذلكَ للإنكارِ فإنَّها حينئذٍ بمَنزلَةِ النَّفيِ، وأم المتَّصلةُ لا تَقَع بعدَهُ.

ـ ومَسبوقَةٌ باستِفهامٍ بغيرِ الهَمزةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[3].

فَمعنى أم المنقطِعَةُ هوَ: الإضرابُ، وهوَ مَعنى (بَل)، ثمَّ تارةً تكونُ لهُ مُجرَّدَةً، وتارةً تَتَضمَّنُ معَ ذلكَ استِفهامًا انكاريًّا أو استِفهامًا طَلَبيًّا:

فَمِنَ الأوَّلِ: قولُهُ تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾[4]، أمَّا الأُولى[5] فلأنَّ الاستفهامَ لا يَدخُلُ على الاستِفهامِ، وأمَّا الثّانيةُ[6] فَلأنَّ المَعنى على الإخبارِ عَنهُم باعتِقادِ الشّركاءِ لله تعالى عَن ذلكَ.

---

(١) سورة السجدة ٣٢: ١ـ٣.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٩٥.

(٣) سورة الرعد ١٣: ١٦.

(٤) سورة الرعد ١٣: ١٦.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونها للإضرابِ فقط مُجرَّدَةً، وهي قولُه تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونها مُتضمّنَةً معَ ذلكَ استفهامًا انكاريًّا، وهي أم الثّانية وهيَ قولُهُ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾.

ومِنَ الثّاني[1]: أيضًا قولُهُ تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ[2]﴾[3]، والتّقديرُ: بَل أَلَهُ البَناتُ ولَكُم البَنونَ، إذ لَو قُدِّرَت للإضرابِ المَحضِ لَزِمَ المُحالُ.

ومِنَ الثّالثِ[4]: قولهُم: إنّها لَإبِلٌ أم شاءٌ، والتّقديرُ: بَل أهِيَ شاءٌ، وقولُ الأخطَلِ:

كَذَبَتْكَ عَينُكَ أم رَأيتَ بِواسِطٍ غَلَسَ الظّلام مِنَ الرَّبابِ[5] خِيالًا[6]

فَهيَ، أي: أم المنقطعة لا تكونُ إلّا بعدَ كَلامٍ كَما مَرَّت مِنَ الأمثلةِ، وتَقَعُ هي في الاستِفهامِ والخَبَرِ كَما مَرَّ، بخِلافِ أم المتّصلَةِ فإنّها لا تَقعُ إلّا في الاستِفهامِ وتَحتاجُ إلى جَوابٍ البَتَّة، وأم في **﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾** فيما نَحنُ فيهِ مُنقَطِعَةٌ، تَقديرُهُ: بَل أَتُريدُونَ.

مناقشةٌ على البيضاوي:

فَقَولُ البيضاوي في **﴿ أَمْ تُرِيدُونَ﴾**: «أم مُعادِلَةٌ للهمزةِ في **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾** - يعني أنّها مُتّصلَةٌ مُعادلَةٌ للهَمزةِ في **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾**- أي: أَلَم تَعلَمُوا أنَّ مالكَ الأُمورِ قادرٌ على الأشياءِ كُلِّها يَأمُرُ ويَنهى كَما أرادَ، أم تَعلَمونَ وتَقتَرِحونَ بالسُّؤالِ كَما اقتَرَحت اليَهودُ على موسى عليه السلام»[7]، انتهى، فاسدٌ ولَيسَت

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونها مُتضمِّنَةً استفهامًا انكاريًّا.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ في سورةِ الطّورِ أوَّلُها: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ إلى آخِرِ الآياتِ الخَمس عَشرةَ وكُلُّها سائرَةٌ في ذلكَ مِمَّا فيها أم.

(٣) سورة الطور ٥٢: ٣٩.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونها تَضَمَّنت استفهامًا طَلَبيًّا.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: الرَّبابُ: اسمُ امرأة.

(٦) البيت من الكامل. ديوانه: ٢٤٥، وينظر: خزانة الأدب: ٦: ١٠. والتقدير: أكذبتك عينك، وقد حُذفت همزة الاستفهام بدلالة أم عليها.

وواسط: اسم يقع على مواضع عدّة؛ منها: واسط: المدينة التي بناها الحجّاج شرقي نهر دجلة بين بغداد والبصرة، واسط نجد، وواسط الحجاز، وواسط الجزيرة، وواسط اليمامة. ينظر: معجم البلدان: ٥: ٣٤٨، ومعجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: ٤: ١٣٦٣.

(٧) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٠.

مُعادلَةً لِقولِهِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، ولا يَجوزُ ذلكَ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ داخلٌ في فاعلِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ كَما مَرَّ واعتَرَفَ بهِ البَيضاوي أيضًا، وغَيرُ داخلٍ في فاعلِ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ﴾ كَما لا يَخفَى ومثلُ هذا التَّفاوتِ لا يَجوزُ في المُعادلَينِ كَما بُيِّنَ في مَوضِعِهِ، وجَعْلُهُ مُعادلًا لِما يُفهَم مِن قَولِهِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ لَو سُلِّمَ جَوازُهُ فَبَعيدٌ جدًّا، فَالوَجهُ: القَطعُ بكَونِها مُنقَطعَةً فَقَط كَما ذَكرناهُ.

و(أن) في (أن تَسأَلُوا رَسولَكُم) معَ ما بَعدَها في مَوضِعِ النَّصبِ على أنَّهُ مفعولٌ بهِ لِـ(تُريدُونَ)، و(الكافُ) في (كَما) حَرفُ جَرٍّ، و(ما) مَصدريَّةٌ، و(موسى) نائبُ فاعلِ (سُئِلَ)، و(مِن قَبلُ) بالبناءِ على الضَّمِّ في مَحَلِّ الجَرِّ بـ(مِن) مُتعلِّقٌ، و(ما) مَعَ ما بَعدَها مَجرورٌ بالكافِ نَعتٌ لَمصدرٍ مُقدَّرٍ على حَدِّ قَولِهِ:

فَلَم يَبقَ سِوى العُدوانِ دِنَّاهُم كَما دَانُوا [1]

والتَّقديرُ: بَل أَتُريدونَ أن تَسأَلُوا رَسُولَكُم سُؤالًا كَسُؤالِ قَومِ موسى عليه السلام إيَّاهُ مِن قَبلُ، و(مَن) شَرطيَّةٌ: مُبتدأٌ، و(يَتَبَدَّلْ) مَجزومٌ بـ(مَنْ)، و(الفاءُ) في (فَقَد ضَلَّ): جَوابُ الشّرطِ، والجملَةُ: خَبَرُ المبتدأِ.

النُّزول:

قالَ في المجمَعِ: ((أُختُلِفَ في سَبَبِ نُزولِ هذهِ الآيةِ، فَرُوِيَ عَن ابنِ عبّاس أَنَّهُ قالَ: إنَّ رافعَ بنَ حَرملةَ ووَهبًا قالا لِرسُولِ اللهِ ﷺ: ائتِنا بكِتابٍ تُنزِلُهُ علينا مِنَ السَّماءِ نَقرَأُهُ، وفَجِّر لَنا أنهارًا نَتَّبِعكَ ونُصَدِّقكَ فَأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيَةَ. وقالَ الحَسَنُ: عَنى بذلكَ مُشركي العَرَبِ وقَد سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾[2] إلى قَولِهِ ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾[3]، وقالوا ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أَوّلُهُ: فَلَمَّا أصبحَ الشّرُّ وأمسى وهوَ عُريانُ.

وقائله: الفند الزّمّاني. ينظر: ديوان الحماسة: ١٢، وخزانة الأدب: ٣: ٣٩٩.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٩٠.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٩٢.

عُتُوًّا كَبِيرًا﴾(1).

وقالَ السُّدِّي: سَألتِ العَرَبُ مُحَمَّدًا ﷺ أن يَأتيَهُم اللهُ فَيَرَوهُ جَهرَةً كَما قالَ قَومُ موسى. وقالَ مُجاهدٌ: سَألَت قُريشٌ مُحَمَّدًا ﷺ أن يَجعَلَ لَهُم الصَّفا ذَهَبًا، فقالَ: نَعَم، ولكن تكونُ لَكُم كَالمائدَةِ لِقَومِ عيسى عليه السلام فَرَجَعُوا. وقالَ أبو عَليٍّ الجُبّائي: رُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ سَأَلَهُ قَومٌ أن يَجعَلَ ذاتَ أنواطٍ كَما كانَ للمُشركينَ أنواطٌ، وهيَ شَجَرَةٌ كانوا يَعبدُونَها ويُعَلِّقونَ عَليها التَّمرَ وغَيرَهُ مِنَ المأكولاتِ كَما سَألُوا موسى، فَقالوا: يا مُوسى اجعَل لَنا إلهًا كَما لَهُم(2).

المعنى: [٤٦٥]

﴿**أَمْ تُرِيدُونَ**﴾، أي: بَل أَتُريدُونَ يا كُفّارَ قريشٍ ومَعشَرَ اليَهودِ ﴿**أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ**﴾، أي: مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الاقتِراحاتِ والمحالاتِ العاديَّةِ والواقِعيَّةِ الّتي لا تَعلمونَ هل فيها صَلاحُكُم أو فَسادُكُم ﴿**كَمَا سُئِلَ**﴾، أي: كَما سَأَلَ قَومُ موسى ﴿**مُوسَى مِنْ قَبْلُ**﴾، أي: مِن قَبلِكُم مِنَ الاقتِراحاتِ والمحالاتِ العادِيَّةِ والمحالاتِ الواقعيَّةِ مِن جَعلِ الأصنامِ آلهَةً، ورُؤيةِ الله تعالى، ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ**﴾، أي: استبَدَلَ الكُفرَ والجُحودَ بالله وبآياتِهِ بالتَّصديقِ بالله وآياتِهِ، فَآثَرَ الجُحودَ بالله وبآياتِهِ واختارَهُ على التَّصديقِ بالله والإقرارِ بهِ وبآياتِهِ، واقتَرَحَ المحالاتِ العاديَّةَ والواقعيَّةَ على النَّبيِّ ﷺ وسَألَهُ عَمّا لا يَعنيهِ بعدَ ظُهُورِ الدّينِ وَوُضوحِ الحَقِّ بالبَراهينِ ﴿**فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾، أي: ذَهَبَ عَن قَصدِ الطّريقِ والصِراطِ السَّويِّ والدِّينِ القَويمِ وعَن طَريقِ الاستِقامَةِ وعَن وَسَطِ الطّريقِ يَمينًا وشِمالًا؛ لأنَّ وَسَطَ الطّريقِ خَيرٌ مِن أطرافِهِ، أي: لا تَقتَرِحُوا فَتَضِلُّوا وَسَطَ الطّريقِ وتَخرُجُوا عَنِ الحَقِّ، فالمقصودُ مِن هذهِ الآيةِ أنَّهُ سبحانهُ لَمَّا بَيَّنَ للعِبادِ في الآياتِ السّابقَةِ أنَّهُ قَديرٌ مُدبِّرٌ لِأُمُورِهِم فيما يَنسَخُهُ مِنَ الآياتِ وما يَأتي بِهِ ويَختارُهُ لَهُم ما هوَ الأصلَحُ في أحوالِهِم كُلِّها، أرادَ أن يُوَصِّيَهُم بالثِّقَةِ بِهِ سبحانهُ فيما هوَ أصلَحُ لَهُم مِمّا يَتَعَبَّدُهُم بِهِ، فإذا

---

(1) سورة الفرقان ٢٥: ٢١.

(2) مجمع البيان: ١: ٣٤٤، ٣٤٥.

أتى بآيةٍ تَقومُ بها الحُجَّةُ فَليَسَ لِأحَدٍ منهُم أن يَعترَضَ عَليها ويَقترَحَ على رسُولِهِم غيرَها مِمَّا لا يَعنيهِ، مُحالًا كانَ ذلكَ الاقتِراحُ أم لا؛ لأنَّ ذلكَ بعدَ البُرهانِ بها يكونُ تَعَنّتًا مثلَ ما اقترَحتَهُ آباءُ هؤلاءِ اليَهودِ على موسى عليه السلام مِنَ الأشياءِ الّتي كانَت عاقبتُها وَبالًا عَليهِم كَقولِهِم أرِنا اللهَ جَهرَةً، وقولِهِم: لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرى اللهَ جَهرَةً، وقولِهِم: يا موسى اجعَل لَنا اِلهًا كَما لَهُم آلِهَةٌ وغيرِ ذلكَ مِنَ الأشياءِ الّتي تَجيءُ في مَواضِعِها في أثناءِ التّفسيرِ إن شاءَ اللهُ، فَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بالإيمانِ بأن تَرَكَ الثّقَةَ بالآياتِ المُنزَلَةِ على رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وشَكَّ فيها واقتَرَحَ غيرَها، فَقَد ذَهَبَ عَن قَصدِ الطَّريقِ والصِراطِ المستَقيمِ، وأخطَأَ طَريقَ القَصدِ المؤدِّيَةِ إلى الجِنانِ، وأخَذَ في الطَّريقِ المؤدِّيَةِ إلى النّيرانِ.

وقولُهُ تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾** آيةٌ:

اللغة:

قَد مَرَّ مَعنى وَدَّ يَوَدُّ لُغَةً، والحَسَدُ: إرادَةُ زَوالِ نعمةِ المحسودِ، أو كراهَةُ النّعمةِ الّتي هوَ فيها وإرادَةُ أن تَصيرَ تلكَ النّعمةُ بعينِها لهُ، فَقَد يكونُ تَمَنّي زَوالِ نِعمَةِ الغَيرِ حَسَدًا وإن لَم يَطمَعِ الحاسِدُ في تَحويلِ تلكَ النّعمةِ منهُ إليهِ، وأمَّا الغِبطَةُ فهيَ: أن يُرادَ مثل النّعمَةِ الّتي فيها الغَيرُ ولَم يُرِدْ زَوالَها عنهُ، ولا يَكرَهُ كَونَها لهُ، فَالحَسَدُ أن يَرَى الرّجُلُ لأخيهِ نِعمَةً فَيَتَمنّى أن تَزولَ عنهُ وتَكونَ لهُ دونَهُ، والغَبطُ: أن يَتمنَّى أن يَكونَ لهُ مِثلُها ولا يَتَمنَّى زَوالَها عنهُ، فَالغَبطُ غَيرُ مَذمومٍ، والحَسَدُ مَذمومٌ يَأكُلُ الإيمانَ كَما تَأكُلُ النَّارُ الحطَبَ، يقالُ: حَسَدتُ فُلانًا على الشَّيءِ أحسُدُهُ، مِن بابِ نَصَرَ حَسَدًا وحَسَدتُهُ الشَّيءَ بمَعنًى واحِدٍ، ومنهُ قَولُ الشّاعِرِ:

أَتَوا نارِي فَقُلتُ مَنُونَ أنتُم؟ فَقالُوا: الجِنُّ، قُلتُ: عِمُوا ظَلامًا[1]

فَقُلتُ إلى الطَّعامِ فَقالَ منهُم زَعيـمٌ نَحسُدُ الإنسَ الطَّعامـا

الأبياتُ[2].

الفَرقُ بينَ العَفوِ والصَّفحِ:

والعَفوُ والصَّفحُ والتَّجاوزُ عَنِ الذّنبِ والاعراضُ عنهُ نَظائرُ، وقيلَ: العَفوُ: تَركُ عُقوبَةِ الذَّنبِ، والصَّفحُ: تَركُ تَثرِيبِهِ، ويقالُ: صَفَحتُ عنهُ، أي: لَم آخُذهُ بذَنبِهِ وأبدَيتُ لَهُ مِنِّي صَفحَةً جَميلَةً، ولَم يَرَ مِنِّي ما يَقبِضُ صَفحَهُ، أي: بَشَرَتُهُ و ظاهِرُ جِلدِهِ، ومنهُ صَفحتُ الكِتابَ، أي: تَجاوزتُهُ صَفحَةً بعدَ صَفحةٍ، وطالعتُهُ صَفحَةً بعدَ صَفحَةٍ.

الإعراب:

(وَدَّ): فِعلُ ماضٍ مِن بابِ عَلِمَ، و(كثيرٌ): فاعلُ وَدَّ على حَذفِ الموصوفِ، أي: جَمعٌ أو فَريقٌ كَثيرٌ، و(مِن أهلِ الكِتابِ): نَعتُ (كَثيرٍ)، أو نَعتُ الموصوفِ المُقدَّرِ، و(لَو) يَجوزُ أن تكونَ مَصدريَّةً بمَعنى (أنِ المَصدريّةِ) وهيَ معَ ما بَعدَها مفعولُ (وَدَّ)، وأن تكونَ للتَّمنِّي والمفعولُ بِهِ مَحذوفٌ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: أتَوا نارِي البَيتينِ قائله: تَأبَّطَ شَرًّا، أوَّلها:

ونارٍ قَد خضَأتُ بُعيدَ وَهنٍ بدارٍ ما أَردتُ بها مَقاما

سِوى تَرحيلِ راحِلَةٍ وعَينٍ أُكالِئُها مَخافَةَ أن تَناما

وبعدَهُما:

لَقَد فُضِّلتُم بالأكلِ مِنَّا ولكِن ذاكَ يُعقِبُكُم سَقاما

أَمِطْ عَنَّا الطَّعامَ فَإنَّ فيهِ لآكِلَةَ البَغاضَةِ والسَّقاما

خَضَأتُ بالخاءِ و الضّادِ المُعجَمَتينِ، معناهُ: أسعَرتُ وأوقَدتُ، وبُعَيد: ظَرفُ خَضَأتُ، والوَهنُ: أوَّلُ اللَّيلِ إلى ثُلُثِهِ، وتَرحيلُ النّاقَةِ: إزالَةُ الرَّحلِ عنها، وأُكالِئُها معناهُ: أحرُسُها وأحفَظُها.

والاستِشهادُ فيما نَحنُ فيهِ: أنَّا نَحسُدُ الإنسَ الطَّعاما، تَعَدَّى إلى المفعولَينِ بنفسِهِ، وفي قَولِهِ: مَنونَ أنتُم؟ استِشهادٌ في أنَّ لَفظَ (مَن) أُجرِيَ في الوَصلِ مَجرَى الوَقفِ في بابِ الحِكايَةِ على ما بُيِّنَ في مَوضِعِهِ.

(٢) الأبيات من الوافر. ديوانه: ٢٥٤، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٤: ٢٩٥، وخزانة الأدب: ٦: ١٦٢.

بدَلالَتِهِ عليهِ، و(مِن بعدِ إيمانِكُم): ظَرفٌ لِقولِهِ (يَرُدُّونَكُم)، و(كُفَّارًا): مَفعولٌ ثانٍ لِـ(يَردّونَ)، ومَفعولُهُ الأوَّلِ (كُم)، و(حَسَدًا): مفعولٌ لهُ، والتَّنكيرُ فيهِ للتَّعظيمِ، وعامِلُهُ (يَرُدُّونكُم)، أي: يَرُدُّونكُم كُفَّارًا لأجلِ الحَسَدِ عَليكُم، ويَجوزُ أن يكونَ مَفعولًا مُطلقًا لِدَلالَةِ الجُملَةِ الّتي قَبلَهُ على عامِلِهِ، أي: يَحسُدُونَكُم حَسَدًا، كَما يقالُ: فُلانٌ يَتَمَنَّى لَكَ الشَّرَّ حَسَدًا.

وقالَ الزَّجَّاجُ: «قولُهُ: (مِن عِندِ أنفسِهِم) مُتَعلِّقٌ بقَولِهِ (وَدَّ)، ـ أي: وَدُّوا ذلكَ وتَمَنَّوهُ مِن قِبَلِ أنفُسِهِم وشَهَواتِهِم لا مِن قِبَلِ المَيلِ مَعَ الحَقِّ؛ لأنَّهُم وَدُّوا مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أنَّكُم عَلى الحَقِّ، فَكَيفَ يكونُ تَمنِّيهِم مِن قِبَلِ الحَقِّ ـ ولَيسَ مُتعَلِّقًا بقَولِهِ (حَسَدًا)؛ لأنَّ حَسَدَ الإنسانِ لا يكونُ مِن عندِ نَفسِهِ»[1]، وقالَ غَيرُهُ: يَجوزُ أن يَتَعلَّقَ بقَولِهِ حَسَدًا[2]، أي: حَسَدًا مِن أصلِ نفُوسِهِم، فَيكونُ على سَبيلِ التّوكيدِ دونَ الاحترازِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[3] فيكونُ حينئذٍ رَدًّا على اليَهودِ وأضرابِهِم حيثُ أضافُوا الكُفرَ والمَعاصِيَ إلى الله سبحانه فَقالَ تعالى تَكذيبًا لَهُم: إنَّ ذلكَ نَشأَ مِن حَسَدِهِم ومِن عِندِ أنفُسِهِم، و(مِن بَعدِ): مُتعَلِّقٌ بقَولِهِ (وَدَّ) أيضًا، ويَجوزُ تَعلّقُهُ بقَولِهِ (حَسَدًا)، أي: يَحسُدُونَكُم مِن بَعدِ أن ظَهَرَ لَهُم أنَّكُم على الحَقِّ وهُم عَلى الباطِلِ، و(ما): مَصدريَّةٌ، و(الحَقُّ): فاعلُ (تبيَّنَ)، وهيَ مَعَ ما بعدَها في مَحَلِّ الجَرِّ بإضافةِ (بَعد) إليهِ، و(حَتَّى): جارَّةٌ، و(يَأتيَ اللهُ): مَنصوبٌ بإضمارِ (أن)، وهيَ مَعَ ما بَعدَها مُجرورٌ بـ(حَتَّى) مُتعَلِّقٌ بكُلِّ واحِدٍ مِن (فاعفُوا وَاصفَحُوا). [٤٦٦]

النُّزول:

في المَجمَعِ: «نَزَلَت الآيةُ في حُيي بنِ أخطَبَ وأخيهِ ياسرِ بنِ أخطَبَ[4] وقَد دَخلا على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٩٣.

(٢) ينظر: تفسير الكشّاف: ١: ١٧٧، وتفسير القرطبي: ٢: ٧٠.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

(٤) هما من سادات اليهود من بني النضير، وكان حييُ أشدّهما عداوة للمسلمين وللنبيّ ﷺ. ينظر: تاريخ الاسلام: ٢: ١٥٢، والبداية والنهاية: ٣: ٢٥٨، والأعلام: ٢: ٢٩٢.

فَلَمّا خَرَجا قيلَ لِحُيي: أهوَ نَبيٌّ؟ قالَ: هوَ هوَ، فَقيلَ: فَما لهُ عندَكَ؟ قالَ: العَداوَةُ إلى الموتِ.

وهوَ الّذي نَقَضَ العَهدَ وأثارَ الحَربَ يومَ الأحزابِ عَن ابنِ عَبّاسٍ، وقيلَ: نَزَلَت في كَعبِ بنِ الأشرفِ عَن الزُّهري، وقيلَ: في جماعَةٍ مِنَ اليَهودِ، عَن الحَسَنِ[1]، انتهى.

المعنى:

ثمَّ أخبَرَ اللهُ سبحانهُ عَن خُبثِ سَرائِرِ اليَهودِ وضَمائِرِهم فقالَ: ﴿**وَدَّ**﴾، أي: أحَبَّ وتَمَنَّى ﴿**كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ كَحُيَي وياسِرِ ابنَي أخطَبَ وكَعبِ بنِ الأشرَفِ وأضرابِهِم ﴿**لَوْ يَرُدُّونَكُمْ**﴾، أي: أن يَرُدُّوكُم ويَرجِعُوكُم يا مَعاشرَ المؤمنينَ ﴿**مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾، أي: رُجُوعَكُم كُفّارًا بِما يُورِدونَهُ عَليكُم مِنَ الشُّبَهِ مِن بَعدِ إيمانِكُم بمُحمَّدٍ ووَصِيِّهِ وآلِهِما الطَّيِّبينَ ﴿**حَسَدًا**﴾؛ لأجلِ حَسَدٍ مِنهُم لَكُم بأن أكرَمَكُم اللهُ بمُحمَّدٍ وعَليٍّ وآلِهِما الطَّيِّبينَ، وبِما أعَدَّ اللهُ تعالى لَكُم مِنَ الثَّوابِ الدّائمِ والخَيرِ غَيرِ الزّائلِ، وإنَّما قالَ: كَثيرٌ مِن أهلِ الكِتابِ؛ لأنَّ قَليلًا مِنهُم آمَنَ بمُحمَّدٍ وأوصيائِهِ كَعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وكَعبِ الأحبارِ، وقيلَ: إنَّما حَسَدَ اليَهودُ المسلمينَ على وَضعِ النُّبُوَّةِ فيهِم وذَهابِها عَنهُم وزَوالِ الرِّئاسَةِ عَنهُم، ﴿**مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾ أي: تَمَنَّوا ذلكَ مِن قِبَلِ أنفُسِهِم وتَشَهِّيهِم لا مِن قِبَلِ تَدَيُّنِهِم ومَيلِهِم إلى الحَقِّ؛ لأنَّهم وَدُّوا ذلكَ بَعدَ ما ظَهَرَ لَهُم أنَّكُم على الحَقِّ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وأنَّ الاسلامَ دينُ اللهِ؛ لأنَّ الدّينَ عندَ اللهِ هوَ الاسلامُ، ومَن يَبتَغِ غَيرَ الاسلامِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ منهُ، فَكَيفَ يكونُ تَمَنِّيهِم مِن قِبَلِ الحَقِّ، أو يَحسُدونَكُم حَسَدًا كامِلًا مُنبَعِثًا مِن عِندِ أنفُسِهِم ومِن أصلِ نُفوسِهِم الخَبيثَةِ ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾، أي: مِن بَعدِ ما وَضَحَ وكَشَفَ لَهُم الحَقُّ، وأنَّكُم على الحَقِّ والحَقُّ مَعَكُم، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وأنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الاسلامُ، وأنَّهُ سبحانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] بالمُعجزاتِ الدّالّاتِ على صِدقِ مُحَمَّدٍ وفَضلِ عَليٍّ وآلِهِما الطَّيِّبينَ، وبالنُّعوتِ المُختَصَّةِ بمُحمَّدٍ وعَليٍّ

(١) مجمع البيان: ١: ٣٤٧.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٣.

المذكورَةِ في التَّوراةِ، ومَعرِفَتِهِم إيَّاهُ كَمَعرِفَتِهِم أبناءَهُم، يَعرِفونَهُ كَما يَعرِفونَ أبناءَهُم، ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**﴾، أي: تَجاوَزوا عَنهُم وعَن جَهلِهِم وقابِلُوهُم بِحُجَجِ الله الباهرَةِ وبَراهِينِهِ القاهرَةِ، وادفَعُوا بها أباطيلَهُم وأرسِلُوهُم كَالبَهائِمِ فإنَّهم لا يَفوتُونَ اللهَ ولا يُعجِزونَهُ ولا يَخرُجُونَ عَن مُلكِهِ وقُدرَتِهِ، وإنَّما أمَرَهُم سبحانهُ بالعَفوِ والصَّفحِ وإن كانوا مَقهورِينَ مُضطَهَدِينَ صاغِرِينَ مِن حيثُ إنَّ كَثيرًا مِنَ المسلمينَ كانوا عَزيزينَ في قَبائِلِهِم وعَشائِرِهِم يَقدِرونَ على الانتِقامِ مِنَ الكُفَّارِ فَأَمَرَهُم بالعَفوِ والاعراضِ وتَركِ عُقوبَةِ ذُنوبِهِم وتَركِ تَثرِيبِهِم[1] عَليها وان كانوا قادِرينَ على الانتِصافِ، ﴿**حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾، أي: اعفُوا واصفَحُوا عَنهُ حَتَّى يَأتِيَ اللهُ بأمرِهِ وإذنِهِ لَكُم بِقِتالِهِم وعِقابِهِم كَما أتى سبحانهُ بأَمرِهِ ذلكَ، فقالَ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2]، أو بأمرِهِ تعالى بالقَتلِ يومَ فَتحِ مَكَّةَ وقَتلِ بَني قُرَيظَةَ وسَبيِ نِسائِهِم وذَرارِيهِم، وإجلاءِ بَني النَّضيرِ وإذلالِ مَن سِواهُم مِنَ اليَهودِ بضَربِ الجِزيَةِ عَليهِم.

وعَنِ الباقِرِ عليه السلام أنَّهُ قالَ: «لَم يُؤمَرْ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله بقِتالٍ، ولا أُذِنَ لهُ حَتَّى نَزَلَ جبرئيلُ عليه السلام بهذهِ الآيَةِ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[3] وقَلَّدَهُ سَيفًا»[4].[٤٦٧]

﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، أي: قَديرٌ على عِقابِهِم إذ هوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، أو قَديرٌ على أن يَدعُو الخَلائقَ إلى دِينِهِ بما أحَبَّ مِمَّا هوَ الأليَقُ بالحِكمَةِ فَيَأمُرُ بالصَّفحِ تارَةً، وبالعِقابِ أُخرَى عَلى حَسَبِ المَصلَحَةِ عَنِ الزَّجّاجِ[5]، أو لأنَّهُ لَمَّا أمَرَ سبحانهُ بالإمهالِ والتَّأخيرِ في قَولِهِ تعالى: ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**﴾ قالَ: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، أي: قادرٌ على عُقوبَتِهِم بأن يَأمُرَ بِقِتالِهِم ويُعاقِبَهُم

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: التّثريبُ: التّعيّرُ والاستِقصاءُ في اللّومِ.

(٢) سورة التوبة ٩: ٢٩.

(٣) سورة الحج ٢٢: ٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ٢٢: ١٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١: ١٩٣.

في الآخرَةِ بنفسِهِ دَفعًا لِإيهامِ خِلافِ المَقصودِ، ويُسَمَّى ذلكَ في عِلمِ المَعاني بالتَّكميلِ والاحتِراسِ[1] أيضًا كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2].

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)** ﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: (وما تُقْدِمُوا) مِنَ الإقْدامِ، و(بِما يَعمَلونَ) بالياءِ[3]، فَيَكونُ وَعِيدًا لأهلِ الكِتابِ، ولغاتُها واضِحَةٌ بما مَرَّ.

الإعراب:

(وأقيمُوا الصّلاةَ) عَطفٌ على قَولِهِ: (فَاعفُوا واصفَحُوا)، وما بَينَهُما اعتِراضٌ، و(ما): اسمُ شَرطٍ، فَيجوزُ فيهِ في مِثلِ هذا الموضِعِ وَجهانِ:

أحَدُهُما: أن يكونَ مَنصوبًا مَفعولًا مُقدَّمًا على عامِلِهِ، وهوَ (تُقدِّموا) ولا حَذفَ حينئذٍ.

والثّاني: أن يكونَ مَرفوعًا بالابتِداءِ، وجملةُ الشَّرطِ والجَزاءِ: خَبَرُهُ، أو الجَزاءُ فقط، والعائدُ إلى (ما) حينئذٍ مَحذوفٌ، أي: وما تُقَدِّمُوهُ، و(لأنفُسِكُم) مُتَعَلِّقٌ بقَولِهِ: (تُقَدِّمُوا)، و(مِن) في قَولِهِ: (مِن خَيرٍ) للتَّبيينِ حالٌ مِن (ما) على الأوَّلِ، أو منَ العائدِ المَحذوفِ على الثّاني.

---

(١) التَّكميلُ: هو أن يأتي المتكلِّمُ بمعنًى منَ المعاني ثمَّ يراهُ غيرَ كاملٍ، فيُكمله بمعنًى آخرَ، كمَن أرادَ مدحَ إنسانٍ بالشجاعةِ ورأى مدحهُ بالاقتِصارِ عليها دونَ الكرمِ مثلاً غيرَ كاملٍ، فكمَّلهُ بذكرِ الكرمِ.
أمَّا الاحتراسُ: فهو أن يأتي المتكلِّمُ بمعنًى يتوجَّهُ عليهِ دخلٌ، فيفطنُ لهُ، فيأتي بما يُخلِّصه من ذلك.
والفرقُ بينَهما: أنَّ المعنى قبلَ التّكميلِ صحيحٌ تامٌّ، ثمَّ يأتي التّكميلُ بزيادةٍ يُكملُ بها حُسنهُ، والاحتِراسُ لاحتِمالِ دَخلٍ على المعنى، وإن كانَ تامّاً كاملاً. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ١: ٢٤٥، و٣٥٧.

(٢) سورة المائدة ٥: ٥٤.

(٣) لم يقف الباحث على هاتين القراءتين في كتب القراءات، وأثبتها من كتب التفسير، كتفسير البيضاوي: ١: ١٠٠، وتفسير أبي السعود: ١: ١٤٦.

مناقشةٌ إعرابيّةٌ على صاحِبِ المجمَعِ ﷺ:

فَقَولُ صاحبِ المجمَعِ ﷺ: «بأنَّ (مِن) مَزيدَةٌ، والجارّ والمجرورِ مَفعول (تُقَدِّمُوا)»[1] لَيسَ بسَديدٍ بَل هوَ مِن سَهوِ النَّاسخينَ أو مِن طُغيانِ القَلَمِ؛ أَمَّا أَوَّلًا: فَلأنَّ (مِن) لاتُزادُ في الإثباتِ كَما مَرَّ مِرارًا، وأمَّا ثانِيًا: فَلأنَّهُ إذا كانَ (خَيرًا) مفعولُ (تُقَدِّمُوا) لا ارتباطَ بَينَ (ما) ومعمولِهِ الّذي هوَ (تُقَدِّمُوا)؛ لأنَّهُ لا يُقَدَّرُ حينئذٍ عائدٌ، ولَو قُدِّرَ العائدُ لَم يكنْ (خَيرًا) مفعولَ (تُقَدِّمُوا).

و(تَجِدُوهُ) مجزومٌ؛ لأنَّهُ جَزاءُ الشّرطِ، وعَلامةُ الجَزمِ في الشَّرطِ والجَزاءِ سُقُوطُ النّونِ، و(الهاءُ): مفعولُ أوّل (تَجِدُوهُ)، ومَفعولُهُ الثّاني مَحذوفٌ، أي: تَجِدُوهُ عِندَ الله هوَ خَيرًا وأعظَمَ أجرًا، بدَلالةِ ما قَبلَهُ وبدَليلِ قولِهِ تعالى في سُورةِ المزَّمِّلِ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[2] هذا هوَ الأصلُ، أو تَقديرُهُ: تَجِدُوه، أي: تَجِدُوا ثوابَهُ[3] مُعَدًّا لَكُم أو مَكتُوبًا مَحفوظًا عندَ الله، ويَجوزُ أن يكونَ وَجَدَ بمَعنى أصابَ مِن قولِهِ: وَجَدتُ الضّالَّةَ، أي: أصَبتُها، كقولِهِ تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[4]، وحينئذٍ يكونُ مُتَعدِّيًا إلى مَفعولٍ واحِدٍ، فالهاءُ حينئذٍ مَفعولُهُ على حَذفِ المُضافِ، أي: تُصيبُوهُ، أي: تُصيبُوا ثَوابَهُ وتَنالُوهُ، و(بَصيرٌ): خَبَرُ إنَّ، و(ما) في (بِما تَعمَلونَ) يَجوزُ أن تَكونَ مَصدريَّةً أو مَوصولًا اسميًّا، وعلى التَّقديرَينِ فَهوَ مَجرورٌ بالباءِ مُتَعَلِّقٌ بقَولِهِ (بَصيرٌ)، وعلى الثّاني يَكونُ العائدُ مَحذوفًا، أي: إنَّ اللهَ بَصيرٌ بما تَعمَلونَهُ بخِلافِ الأوَّلِ، أي: إنَّ اللهَ بَصيرٌ بعَمَلِكُم.

المعنى:

لمَّا أمَرَ اللهُ سبحانهُ المسلِمينَ بالعَفوِ والصَّفحِ عَنِ اليَهودِ والكُفَّارِ وشَقَّ ذلكَ عَليهِم مَعَ شِدَّةِ عَداوَةِ اليَهودِ لَهُم عَقَّبَهُ بالأمرِ بالصَّبرِ، والمُخالَقَةِ على العِبادِ، واللّجوءِ إلى الله سبحانِهِ بالعِبادَةِ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٤٨.

(٢) سورة المزمل ٧٣: ٢٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: على تقديرِ حذفِ مُضافٍ بينَ الهاءِ والفعلِ.

(٤) سورة الضحى ٩٣: ٨.

والبرِّ، والاستِعانَةِ على ذلكَ بالصَّلاةِ والزّكاةِ لِيَستَعينُوا بِهِما على ما شَقَّ عَليهِم، فإنَّ في ذلكَ مَعونَةً لَهُم على الصَّبرِ مَعَ ما يَحوزونَ بِهما مِنَ الثَّوابِ الدّائمِ والأجرِ الباقِي، فَقالَ: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ بشَرائِطِها وآدابِها، ﴿**وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ المفروضَةَ والمَندوبَةَ على مُستَحِقِّيها على النَّهجِ الشّرعيّ كَما قالَ تعالى في مَوضِعٍ آخَرَ سابقًا: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾[1] الآيَةَ، ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ**﴾ أي: مِن طاعَةٍ أو صَدَقَةٍ وإحسانٍ بمالٍ تُنفِقُونَهُ في طاعةِ الله، أو جاهٍ تَبذُلُونَهُ لإخوانِكُم المؤمِنينَ تَجرُّونَ بِهِ إليهِم المنافِعَ وتَدفَعونَ بِهِ المضارَّ عَنهُم، وعَمَلٍ صالِحٍ مِن صَلاةٍ وزَكاةٍ وغَيرِهِما مِن إطاعَةِ الله وإطاعَةِ الرّسولِ وأُولِي الأمرِ، ﴿**تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ**﴾، أي: تَجِدوهُ عندَ الله هوَ خَيرًا وأعظَمَ أجرًا تَتَضاعَفُ بِهِ حَسَناتُكُم وتُرفَعُ بِهِ دَرَجاتُكُم، أو تَجِدُوا ثَوابَهُ مُعدًّا لَكُم عندَ الله أو مَكتوبًا محَفوظًا عِندَهُ تعالى لِيُجازيَكُم بِهِ ﴿**إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، أي: عالمٌ بِما تَعمَلونَهُ لا يَضِيعُ عِندَهُ عَمَلَ عاملٍ ولا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ مِن أعمالِكُم وأفعالِكُم الظّاهِرَةِ والباطنَةِ فَيُجازيكُم على حَسَبِ نِيّاتِكُم وعقائِدِكُم على الإحسانِ والبِرِّ بِما تَستَحِقّونَهُ مِنَ الثّوابِ على التّضاعُفِ وعلى الإساءَةِ بِما تَستَحِقُّونَهُ مِنَ العِقابِ مَثَلًا بمثلٍ، فَاعمَلُوا عَمَلَ مَن يَستَيقِنُ أَنَّهُ يُجازِيهِ عَلى ذلكَ مَن لا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ مِن عَمَلِهِ. [٤٦٨]

دلالةُ هذهِ الآية:

وقالَ في المجمَعِ: «في هذهِ الآيَةِ دَلالَةٌ على أنَّ ثَوابَ الخَيراتِ والطّاعاتِ لا يَضيعُ ولا يَبطُلُ ولا يَحبطُ؛ لأنَّهُ إذا حَبطَ لا يَجِدُونَهُ، وفيها أيضًا دَلالَةٌ على الوَعدِ والوَعيدِ والأمرِ والزَّجرِ وان كانَ في اللَّفظِ خَبَرًا عَن غَيرِ ذلكَ»[2]، انتهى.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٤٨، ٣٤٩.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾ آيتانِ:

اللغة:

في هُودٍ ثلاثَةُ أقوالٍ:

أحَدُها: أنَّهُ جمعُ هائِدٍ، كَعائِذٍ وعُوذٍ: وهيَ مِنَ النّوقِ الحَديثَةُ النِّتاجِ، وعائِطٍ وعُوطٍ: وهيَ المَرأَةُ الّتي لَم تَحمِلْ سِنينَ مِن غيرِ عقرٍ، وجمعُها عُوطٌ كَسُودٍ، فَ(هُودٌ) جمعٌ للمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ على لَفظٍ واحِدٍ، والهائِدُ: الرَّاجِعُ إلى الحَقِّ والتّائِبُ؛ لِقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[1] سُمُّوا بذلك؛ لِتوبَتِهِم مِن عِبادَةِ العِجلِ، وقيلَ: الهائِدُ هوَ: المائِلُ؛ سُمُّوا بذلكَ؛ لأنَّهُم هادُوا، أي: مالُوا عَنِ الإسلامِ وعَن دِينِ موسى عليه السلام كَما ذَكَرنا مُفصَّلًا في هذهِ السُّورةِ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾[2] الآيةُ.

وثانِيها: أن يكونَ مَصدَرًا يَصلُحُ للواحِدِ والجَمعِ كَما يقالُ: رَجُلٌ صَومٌ وقَومٌ صَومٌ، رَجُلٌ فِطرٌ وقَومٌ فِطرٌ، ورَجُلٌ حُسْنٌ بضَمِّ الحاءِ وسُكونِ السِّينِ وقَومٌ حُسْنٌ.

وثالِثُها: أنَّ مَعناهُ إلَّا مَن كانَ يَهودًا فَحَذَفَ الياءُ الزّائِدَةُ؛ لِكَونِهِم مَنسوبينَ إلى يَهودا أكبَرَ وُلدِ يَعقوبَ عليه السلام وغَيرِ ذلكَ مِمّا ذَكرناهُ في الآيةِ المَذكورَةِ في مَوضِعِ الحَوالَةِ.

واليَهودُ: اسمُ جَمعٍ، واحِدُهُم يَهوديّ، كَالزَّنجِ والزِّنجيّ، والرُّومِ والرُّومِيّ كَما مَرَّ أيضًا، والنَّصارَى: جَمعُ نَصرانٍ، كَسَكرانٍ وسَكارَى ونَدمانٍ ونَدامَى، هذا قَولُ سيبويه[3]، قالَ الشّاعِرُ:

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦٣.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣: ٢٥٥.

تَراهُ إذا كانَ العَشيُّ محنَفًا تُضحَّي لَديهِ وهوَ نَصرانُ شامِسٌ[1]

وهوَ المُمتَلِئُ نَصرًا كَما أنَّ الغَضبانَ هوَ المُمتَلِئُ غَضبًا، وقيلَ في مُؤَنَّثِهِ: نَصرانَةٌ[2].

أُختُلِفَ في اشتِقاقِ هذا الاسمِ، فقالَ ابنُ الأثيرِ هوَ: مَأخوذٌ مِن ناصِرَةَ، قَريَةٌ كانَ يَسكُنُها عيسى عليه السلام فَنُسِبُوا إليها[3]، قيلَ: سُمُّوا بذلكَ؛ لِتَناصُرِهِم، أي: نُصرَةِ بعضِهِم بعضًا، وقيلَ: إنَّما سُمُّوا بذلكَ؛ لِقولِهِ تعالى حِكايَةً عَن قَولِ عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾[4]، وقَد مَرَّ مُفصّلًا في مَوضِعِ الحَوالَةِ أيضًا، وهاتِ: بمَعنى أحضِرْ، والأمرُ هنا للتَّعجيزِ، وقَد مَرَّ مَعنى التَّمَنِّي لُغَةً.

وقالَ في المجمَعِ: «والبُرهانُ والحُجَّةُ والدِّلالَةُ والبَيانُ بمَعنًى واحدٍ، وهوَ ما أمكَنَ الاستِدلالُ بهِ على ما هوَ دلالةٌ عليهِ مَعَ قَصدِ فاعلِهِ إلى ذلكَ، وَفَرَقَ عَليُّ بنُ عيسى بَينَ الدّلالةِ والبُرهانِ، بأنْ قالَ: الدّلالَةُ قَد تُنبِئُ عَن مَعنى فَقط لا يَشهَدُ بمَعنى آخَرَ، وقَد تُنبِئُ عَن مَعنى يَشهَدُ بمَعنى آخَرَ، والبُرهانُ لَيسَ كَذلكَ؛ لأَنَّهُ بَيانٌ يُنبِئُ عَن مَعنًى آخَرَ، وقَد نُوزِعَ في هذا الفَرقِ، وقيلَ: إنَّهُ مَحضُ الدَّعوَى»[5]، انتهى كَلامُ صاحبُ المجمَعِ.

وقالَ ابنُ الأثيرِ فيهِ: «الصَّدَقَةُ: بُرهانٌ، البُرهانُ: الحُجَّةُ والدَّليلُ، أي: إنَّها حُجَّةٌ لِطالِبِ الأجرِ مِن أجلِ فَرضٍ يُجازي اللهُ بهِ وعليهِ، وقيلَ: دَليلٌ على صِحَّةِ إيمانِ صاحبِها لِطِيبِ نَفسِهِ بإخراجِها وذلكَ لِعلاقَةٍ بينَ النَّفسِ والمالِ»[6]، انتهى.

---

(١) البيت من الطويل، مجهول القائل. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٥٥٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣: ٢٥٥.

(٣) لم يقف الباحث على قول ابن الأثير، وقد ورد نسبته إلى ابن عبّاس. ينظر: مجمع البيان: ١: ٢٤٢، وتفسير ابن كثير: ١: ١٠٧.

(٤) سورة الصف ٦١: ١٤.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٤٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٢٢.

فالبُرهانُ مِن بَرَهَ، بمَعنى: غَلَبَ النَّاسَ، وأبرَهَ بمَعنى أتى بالبُرهانِ أو بالعَجائِبِ، وبَلى: حَرفُ ايجابٍ، والإسلامُ: الانقيادُ، يقالُ: أسلَمَ أي: انقادَ، وفي الحَديثِ: «ما مِن آدَمِيٍّ إلَّا ومَعَهُ شَيطانٌ، قيلَ: وَمَعَكَ؟ قالَ: نَعَم، ولكنَّ اللهَ أعانَنِي عَليهِ فَأسلَمَ»(١)، وفي روايةٍ: «حَتَّى أسلَمَ»(٢)، أي: انقادَ وكَفَّ عَن وَسوَسَتِي، وقيلَ: «دَخَلَ في الإسلامِ فَسَلِمتُ مِن شَرِّهِ»(٣)، وقيلَ: إنَّما هوَ فَأسلَمُ بضَمِّ الميمِ على أنَّهُ فِعلٌ مُستقبلٌ(٤)، أي: أسلَمُ أنا مِنهُ ومِن شَرِّهِ، ويَشهَدُ للأَوَّلِ الحديثُ الآخَرُ: «كانَ شَيطانُ آدمَ كافرًا، وشَيطاني مُسلِمًا»(٥)، ويقالُ: أسلَمَ وَجهَهُ بمَعنى: أخلَصَ، وهوَ المُرادُ في الآيَةِ.

وفي المجمَعِ: (يُستعمَلُ أسلَمَ في شَيئينِ: [٤٦٩]

أحَدُهُما: أسلَمَهُ إلى كَذا، أي: صَرَفَهُ إليهِ، تقولُ: أسلَمتُ الثَّوبَ إليهِ.

والثّاني: أسلَمَ لهُ بمَعنى أخلَصَ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾(٦)، أي: خالِصًا، وقالَ زيدُ بنُ عَمرٍو بنُ نُفيلٍ:

أسلَمتُ وَجهي لِمَن أسلَمَت ... لَهُ الأرضُ تَحمِلُ صَخرًا ثِقالًا

وأسلَمْتُ وَجهِي لِمَن أسلَمَت ... لهُ المُزنُ تَحمِلُ عَذبًا زُلالًا(٧)

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٥، وكنز العمال: ١: ٢٤٧، حديث رقم: ١٢٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٩٥.

(٦) سورة الزمر ٣٩: ٢٩.

(٧) السيرة النبويّة: ابن هشام: ١: ١٥١، والسيرة النبويّة: ابن كثير: ١: ١٦٢.

والقائل: ابن عبد العزّى القرشي العدوي: من الحكماء، لم يدرك الإسلام، طلبَ الدّين وكَرهَ النّصرانيّة واليَهوديّةَ وعبادةَ الأوثانِ، توفيَ قبل نزول الوحي على النبيّ الأكرم ﷺ بخمسِ سنينٍ. ينظر: الطبقات الكبرى: ٣: ٣٧٩، وأسد الغابة: ٢: ٢٣٦.

ويُروَى: أسلَمتُ نَفسِي وَالوَجهُ مُستَقبِلُ كُلِّ شَيءٍ، ووَجهُ الإنسانِ: مُحَيَّاهُ، ويُقالُ: وَجهُ الكَلامِ تَشبيهًا بِوَجهِ الإنسانِ؛ لأنَّهُ أوَّلُ ما يَبدُو مِنهُ ويُعرَفُ بهِ، ويقالُ: هذا وَجهُ الرَّأيِ، أي: الّذي يَبدو منهُ ويُعرَفُ بهِ، أو الوَجهُ مِن كُلِّ شَيءٍ: أوَّلُ ما يَبدُو فَيَظهَرُ بظُهورِهِ ما بَعدَهُ، وقَد استَعمَلَتِ العَرَبُ لَفظَةَ وَجهٍ لِلشَّيءِ وهُم يُريدُونَ نَفسَهُ، إلّا أنّهُم ذَكَروهُ باللَّفظِ الأشرَفِ الأنبَهِ ودَلُّوا عَليهِ بِهِ كَما قالَ سبحانهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]، أي: إلّا إيَّاهُ، وقالَ تَعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[2]، أي: رَبُّكَ، وقالَ الأعشى:

وأوَّلُ الحُكمِ على وَجهِهِ ... لَيسَ قَضائِي بالهَوَى الجائِرِ[3]

أي: على ما هوَ بهِ مِنَ الصّوابِ، وقالَ ذو الرّمّةِ:

فَطاوَعتُ هَمِّي وانجَلَى وَجهُ بازِلٍ ... مِنَ الأمرِ لَم يَترُكْ خِلاجًا بزولها[4]

يُريدُ وانجَلَى النّازِلُ مِنَ الأمرِ[5]، انتهى.

الإعراب:

(قالُوا): فِعلُ ماضٍ، و(الواو): فاعلُهُ، وهيَ راجعَةٌ إلى أهلِ الكِتابِ، أعني: اليَهودَ والنَّصارَى جميعًا، ومثل هذا يُسمَّى في عِلمِ البَديعِ لَفًّا ونَشرًا إجماليًّا وهوَ: أن يُذكَرَ المُتَعَدِّدُ على الإجمالِ، فإنَّ ضَميرَ قالُوا لليَهودِ والنَّصارَى، فَذُكِرَ الفَريقانِ على الإجمالِ بالضَّميرِ العائِدِ إليهِما ثمَّ ذُكِرَ ما لِكُلٍّ، أي: قالَتِ اليَهودُ: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كانَ هودًا، وقالَتِ النَّصارَى: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كانَ نَصارَى، فَلَفَّ بَينَ الفَريقينِ أو القَولَينِ إجمالًا ثِقَةً بأنَّ السّامِعَ يَرُدُّ إلى كُلِّ فَريقٍ قَولَهُ، وأمْنًا مِنَ الالتِباسِ لِما عُلِمَ مِنَ المُخالَفَةِ بينَ الفَريقَينِ؛ لِلعِلمِ بتَضليلِ كُلِّ فَريقٍ صاحِبَهُ أو اعتِقادُهُ أنَّ داخلَ

(١) سورة القصص ٢٨: ٨٨.

(٢) سورة الرحمن ٥٥: ٢٧.

(٣) البيت من السريع. ديوانه: ١٣٩، وينظر: خزانة الأدب: ٣: ٣٦٩.

(٤) البيت من الطويل. ديوانه: ٣٤٧.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٥٠، ٣٥١.

الجَنَّةِ هُوَ لا صاحِبُهُ، ولا يُتَصَوَّرُ في هذا الضَّربِ مِنَ اللَّفِّ والنَّشرِ التَّرتيبُ وعَدَمُهُ.

و(لَن) لِتأكيدِ النَّفي دونَ التَّأبيدِ كَما مَرَّ تَحقيقُهُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي﴾(١) الآية، و(الجَنَّة): مفعولٌ فيهِ لِـ(يدخُلَ)، و(إلَّا) هُنا لِنَقضِ نَفي لَن، و(مَن): مَوصولةٌ فاعلُ يَدخُلُ، واسمُ كانَ: ضَميرٌ عائدٌ إلى (مَن)، فَوَحَّدَ اسمَ كانَ حَملًا على لَفظِ (مَن)، و(هُودًا): خَبَرُهُ، فَجَمَعَ خَبَرَهُ حَملًا على المَعنى، و(نَصارَى): عَطفٌ على (هُودًا)، والجملةُ: صِلَةُ (مَن)، ومَجموعُ جُملةِ (لَن يَدخُلَ) إلى آخرِها: مَقولُ (قالُوا)، و(تلك): مُبتدأٌ، ونَعتُهُ مَحذوفٌ، و(أمانِيُّهُم): خَبَرُهُ، أي: تلكَ المقالَةُ أو تلكَ الأمانيّ الكاذبَةُ أمانِيُّهُم، (قُل): فعلُ أمرٍ وفاعلٌ، وجملَةُ (هاتُوا بُرهانَكُم) من فِعلِ الأمرِ وفاعلِهِ ومفعولِهِ في مَحَلِّ النّصبِ مقولُ (قُل)، و(إن): شَرطِيَّةٌ، و(صادِقِينَ): خَبَرُ (كُنتُم)، والجملَةُ: شَرطٌ حُذِفَ جوابُهُ بدَلالَةِ ما قَبلَهُ، أعني قولَهُ: (هاتُوا بُرهانَكُم) والتَّقديرُ: إن كُنتُم صادِقِينَ في هذا القَولِ وفي تلكَ الأمانِيِّ فَهاتُوا بُرهانَكُم على ذلكَ.

ذِكرُ بَلى واستعمالُهُ، ونِعمَ واستعمالُهُ، وتَحقيقُ المقامِ:

(بَلى): حرفُ ايجابٍ، أي: إثباتٍ لِما بَعدَ النَّفي، وتَقَعُ جوابًا لِلاستِفهامِ غالبًا وفي الخَبَرِ قليلًا، تقولُ لمن قالَ: لَم يَقُمْ زيدٌ أو ألَم يَقُمْ زيدٌ؟ بَلَى، أي: قَد قامَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٢)، أي: أنتَ رَبُّنا، وقالَ تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾(٣)، أي: نَجمَعُها قادِرينَ، وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾(٤) مَعَ أَنَّهُ لَم يَتَقَدَّمْ حَرفُ النَّفي فَلأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي﴾(٥) يَدُلُّ على نَفيِ هِدايَتِهِ، أي: بَلَى قَد هَدَيتُكَ بمَجيءِ آياتِي وأرشَدتُكَ بها فَكَذَّبتَ، فَيكونُ بَلى هُنا أيضًا بَعدَ النَّفي.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

(٣) سورة القيامة ٧٥: ٤.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٥٩.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ٥٧.

تنبيه:

اعلَم إنَهُ إذا قيلَ: قامَ زيدٌ، فَتَصديقُهُ نَعَم، وتَكذيبُهُ لا، ولا يكونُ تَكذيبُهُ بَلى؛ لِعَدَمِ النَّفي، وأمَّا إذا قيل: ما قامَ زيدٌ فَتَصديقُهُ نَعَم، وتَكذيبُهُ بَلَى كَقَولِهِ تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾(١) ويمتَنِعُ أن يكونَ تَكذيبُهُ لا؛ لأنَّ لا لِنَفي الإثباتِ، وَبَلَى لِنَفي النَّفي، وإذا دَخلَتِ الاستِفهامُ على النَّفي وقيلَ: أَلَم يَقُمْ زيدٌ؟ فإن أثْبَتَّ القِيامَ لِزيدٍ قُلتَ: بَلَى، وإن نَفيتَهُ عنهُ قُلتَ: نَعَم، كَقولِهِ تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٢) أي: أنتَ رَبُّنا، وقولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾(٣) وقولِهِ تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾(٤)، ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ـ إلى قولِهِ ـ بَلَى﴾(٥) ولا يَصُحُّ: لا ولا نَعَم، هذا هوَ الأفصَحُ، وقَد يَقَعُ نَعَم مَقامَ بَلَى في إيجابِ النَّفي، وبَلَى مَقامَ نَعَم في اِيجابِ الإيجابِ وتَصديقِهِ عندَ جَماعَةٍ مِنَ المتَقدّمينَ والمُتأَخِّرينَ سِيّما في أبوابِ الأقاريرِ والاعتِرافاتِ كَما وَقَعَ في الكُتُبِ الفقهيَّةِ أيضًا، وبَلَى في الآيةِ الّتي نَحنُ فيها اِثباتٌ لِما نَفوهُ مِن دُخولِ غَيرِ هاتَينِ الفَريقَينِ الجَنّةَ كَأَنَّهُ قيلَ: لَيسَ الأمرُ كَما قالَ الزّاعِمانِ لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلَّا مَن كانَ هُودًا أو نَصارَى ولكن مَن أسلَمَ وَجهَهُ لله وهوَ مُحسِنٌ فَهوَ يَدخُلُها. [٤٧٠]

و(مَن) في (مَن أسلَمَ) يَجوزُ أن تكونَ شَرطيّةً أو مَوصولَةً مُتَضمّنَةً مَعنى الشَّرطِ وهيَ على التَّقديرَينِ: مُبتدأٌ خَبَرُهُ جملَةُ: (فَلَهُ أجرُهُ)، و(الفاءُ): جَزائيّةٌ على التّقديرَينِ، و(وَجهَهُ): مفعولُ أسلَمَ، و(لله): مُتعَلِّقٌ بـ(أَسلَمَ)، و(الواو) في (وَهوَ مُحسِنٌ): حاليّةٌ، و(هوَ): مُبتدأٌ، و(مُحسِنٌ): خَبرُهُ، والجملةُ حالٌ مِن فاعلِ (أسلَمَ)، و(عندَ رَبِّهِ) مُتعَلِّقٌ بمُقَدَّرٍ حالٍ مِنَ المُستكنِّ في (فَلَهُ) وعامِلُها هوَ المَحذوفُ الّذي تَعَلَّقَ بِهِ اللّامُ، و(لا خَوفٌ عَليهِم): مُبتدأٌ وخَبَرٌ بقَرينَةِ (ولا هُم

---

(١) سورة التغابن ٦٤: ٧.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

(٣) سورة الملك ٦٧: ٨، ٩.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

(٥) سورة يس ٣٦: ٨١.

يَحزَنونَ)؛ ولأنَّ عَمَلَ لَيسَ في (لا) شاذٌّ سَماعِيٌّ كَقولِهِ:

[مَن صَدَّ عَن نيرانِها] فَأَنا ابنُ قَيسٍ لا بَراحُ[1]

وَإنَّما قالَ: (فَلَهُ أجرُهُ) بالتَّوحيدِ حَملًا عَلى لَفظِ (مَن)، و(لا خَوفٌ عَليهِم ولا هُم يَحزَنونَ) على الجَمعِ حَملًا عَلى المَعنى، ويَجوزُ أن يَكونَ (مَن) فاعِلًا لِفعلٍ مَحذوفٍ بدَلالةِ الآيةِ الأُولى، والتّقديرُ: بَلَى يَدخُلُها مَن أسلَمَ وَجهَهُ، و(مَن) في هذا الوَجهِ مَوصولَةٌ، وحينئذٍ يكونُ قولُهُ: (فَلَهُ أجرُهُ) مَعطوفًا عَلى يَدخُلُها مَن أسلَمَ، وقالَ سيبويه: «استعمالُ لا بمَعنى لَيسَ قليلٌ، ومنهُ قولُهُ:

مَن صَدَّ عَن نيرانِها فَأنا ابنُ قَيسٍ لا بَراحُ»[2]

المعنى:

ثُمَّ حَكَى اللهُ سبحانهُ طَرَفًا مِن أقوالِ اليَهودِ والنَّصارَى وتَمَنّياتِهِم الكاذبَةِ وعاداتِهِم الباطلَةِ، فقالَ: ﴿**وَقَالُوا**﴾، أي: اليَهودَ والنَّصارَى جَميعًا، فهذا على سَبيلِ الايجازِ وتَقديرُهُ ومَعناهُ كَما مَرَّ في الإعرابِ، قالَتِ اليَهودُ: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ أحَدٌ إلَّا مَن كانَ هُودًا، وقالَتِ النَّصارَى: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ أحَدٌ إلَّا مَن كانَ نَصارَى، وبَيانُ تَوحيدِ الاسمِ وجَمعيَّةُ الخَبَرِ قَد مَرَّ في بَيانِ الإعرابِ، وإنَّما قُلنا: إنَّ تَقديرَهُ ومَعناهُ كذلكَ؛ لأنَّ مِنَ المَعلومِ أنَّ اليَهودَ لا يَشهَدونَ للنَّصارَى بالجَنَّةِ ولا بالعَكسِ ونَظيرُهُ قَولُ حَسَّان:

أمَن يَهجُو رَسُولَ اللهِ مِنكُم وَيَمدَحُهُ ويَنصُرُهُ سَواءُ[3]

والتّقديرُ: ومَن يَمدَحُهُ ويَنصُرُهُ، غَيرَ أنَّهُ لَمَّا كانَ اللّفظُ واحدًا جَمَعَ مَعَ الأوَّلِ وصارَ كَأنَّهُ إخبارٌ عَن جملةٍ واحدَةٍ، وإنَّما حَقيقَتهُ عَن صِنفَينِ مُفترقَينِ مُتَخالِفَينِ، ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**﴾، أي: تلكَ المَقالَةُ الباطلَةُ، أو تلكَ الأماني الكاذبَةُ أمانِيُّهُم الّتي يَتَمنَّونَها عَلى اللهِ بلا حُجَّةٍ وبُرهانٍ عَليها، فَتلكَ

---

(١) البيت من مجزوء الكامل، مجهول القائل. من شواهد سيبويه، ينظر: الكتاب: ١: ٥٨، وخزانة الأدب: ١: ٤٤٥.

(٢) الكتاب: ١: ٥٨.

(٣) البيت من الوافر. ديوانه: ٢٠، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٤٢، وخزانة الأدب: ٩: ٢٣٥.

إشارَةٌ إلى هذهِ المقالَةِ وما مَرَّ قَبلَها، أي: امنِيَّتُهم أن لا يُنزَلَ على المؤمِنينَ خَيرٌ مِن رَبِّهِم، وأُمنِيَّتُهُم أن يَرُدُّوهُم كُفَّارًا، وأُمنِيَّتُهُم أن لا يَدخُلَ الجَنَّةَ إلَّا مَن كانَ هُودًا أو نَصارى، وغَيرَ ذلكَ مِن تَمَنّياتِهِم الباطِلَةِ، وقالَ المُؤرجُ[1]: «مَعنى أمانِيِّهُم: أباطيلُهُم بلُغَةِ قُريشٍ»[2]، وقيلَ مَعناهُ: تلكَ أقاويلُهُم الكاذبَةُ وتِلاوتُهُم، مِن قَولِهِم: تَمَنَّى كِتابَ الله بمَعنى: تَلا، على ما مَرَّ سابقًا في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[3]، ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، أي: احضِرُوا حُجَّتَكُم ودَليلَكُم على ما ادَّعَيتُم ولَيسَ أَمرًا لَهُم بإحضارِ الحُجَّةِ إذ لَيسَ لَهُم حُجَّةٌ وبُرهانٌ عَليهِ ولَم يُمكنْهُم الإتيانُ بَل هوَ تَعجيزٌ وإنكارٌ كَقولِهِ تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾[4]، وقولِهِ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[5]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكُم ومَقالَتِكُم هذهِ لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ، الآيةِ.

دلالةُ هذهِ الآية:

«وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ على جَوازِ المُحاجَّةِ في الدِّينِ، وعلى فَسادِ التَّقليدِ، ألا تَرى أنَّهُ لَو جازَ التَّقليدُ لَمَا أُمِرُوا بأن يَأتُوا فيما قالُوهُ ببُرهانٍ»[6] نَصَّ على ذلك في المجمَعِ، وعَلى أنَّ كُلَّ قَولٍ لا دليلَ عليهِ فهوَ باطلٌ.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: لَيسَ الأمرُ كما زَعِمَ هذانِ الفَريقانِ بقَولِهِم: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلى آخِرِهِ لكن مَن أسلَمَ وَجهَهُ لله لمَّا سَمِعَ الحَقَّ وبُرهانَهُ وأخلَصَ نَفسَهُ لله بأن سَلَكَ طَريقَ مَرضاتِهِ وفَوَّضَ أمرَهُ إليهِ سبحانَهُ، واستَسلَمَ لأَمرِ الله، وخَضَعَ وانقادَ وتَواضَعَ لله وأنبيائِهِ

(١) أبو فيد، مؤرجُ بنُ عمرو السّدوسيّ العجليّ: النّحويّ البصريّ، من أصحاب الخليل، كما روى الحديث عن شعبة وأبي عمرو بن العلاء، من كتبه: كتاب الأنواء، وغريب القرآن، كتاب جماهير القبائل، توفي سنة (١٩٥هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٥٤، والكنى والألقاب: ٢: ٥٢.

(٢) التبيان: ١: ٤١٠، ومجمع البيان: ١: ٣٥٠.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧٨.

(٤) سورة يونس ١٠: ٣٨.

(٥) سورة الأعراف ٧: ١٦٦.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٥٠.

وحُجَجِهِ وهوَ مُحسِنٌ مُخلِصٌ في عَمَلِهِ، ومُؤمِنٌ بهِ تعالى وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، فهوَ يَدخُلها ولهُ أجرُهُ إلى آخرِهِ، أو بَلَى يَدخَلها مَن أسلَمَ إلى آخِرِهِ، وقالَ في المجمَعِ: «وإنَّما خصَّ الوَجه [٤٧١] ؛ لأنَّهُ إذا جاءَ بوَجهِهِ في السُّجودِ لَم يَبخَلْ بسائِرِ جَوارحِهِ غالبًا»[١]، انتهى؛ ولأنَّ الصَّلاحَ والفَسادَ يُعرَفُ في السِّيماءِ[٢]، قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٣]، وقالَ تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[٤].

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾، أي: جَزاءُ عَمَلِهِ **﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾** سبحانه وتعالى يومَ الفَصلِ والقَضاءِ، **﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** حينَ يَخافُ هؤلاءِ المُتَمَنُّونَ الكاذِبونَ والكافِرونَ مِمَّا يُشاهدونَهُ مِنَ العَذابِ والغَضَبِ والنَّكالِ عندَ الاحتِضارِ، والمُعايَنةِ عندَ الموتِ وبعدَ الموتِ في البَرزَخِ والآخِرَةِ، **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** عندَ الاحتِضارِ والمُعايَنَةِ؛ لأنَّ البشارَةَ بالجِنانِ تَأتِيهِم، أو المَعنى: «لا خَوفٌ عَليهِم في الآخرَةِ ولا هُم يَحزَنونَ فيها، وهو ظاهِرٌ على قَولِ مَن يَقولُ: لا يكونُ على أهلِ الجَنَّةِ خَوفٌ ولا حُزْنٌ في الآخرةِ، وأمَّا على قَولِ مَن يقولُ: إنَّ بعضَهُم يَخافُ ثُمَّ يَأمَنُ فَمعناهُ أنَّهُم لا يَخافونَ فَوتَ جَزاءِ أعمالِهِم؛ لأنَّهُم يكونونَ على ثِقَةٍ بأنَّ ذلكَ لا يَفوتُهُم»[٥] نَصَّ على ذلكَ في المجمَعِ.

في كِتابِ الاحتِجاجِ للطّبرسيّ ﵀ في حَديثٍ طويلٍ: عَنِ النَّبيِّ ﷺ وفيهِ: فَقالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابِهِ: «قُولُوا إيَّاكَ نَعبُدُ، أي: نَعبُدُ واحِدًا، لا نَقولُ كَما قالَتِ الدَّهريَّةُ: إنَّ الأشياءَ لا بَدوَ لها، وهيَ دائمةٌ، ولا كَما قالَ مُشرِكُو العَرَبِ: إنَّ أوثانَنا آلهَةٌ فَلا نُشرِكُ بكَ شَيئًا ولا نَدعُو مِن دونِكَ إلهًا كَما يَقولُ هؤلاءِ الكُفَّارُ، ولا نقولُ كَما قالَ اليَهودُ والنَّصارَى: إنَّ لَكَ وَلَدًا تَعالَيتَ عَن ذلكَ عُلُوًّا

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٥٢.

(٢) هي: العلامة. لسان العرب: ١٢، ٣١٢، (سوم).

(٣) سورة الفتح ٤٨: ٢٩.

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ٤١.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٥٢.

كَبيرًا، قالَ: فَذلكَ قَولُهُ تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾، وقالَت طائِفَةٌ غيرُهُم مِن هؤلاءِ ما قالُوا، قالَ اللهُ تعالى: يا مُحَمَّدُ تلكَ أمانِيُّهُم الَّتي يَتَمَنَّونَها بِلا حُجَّةٍ قُل هاتُوا بُرهانَكُم، حُجَّتَكُم على دَعواكُم إن كُنتُم صادقينَ فيها كَما أتَى مُحَمَّدٌ ببَراهِينِهِ الّتي سَمَعتُموها، ثمَّ قالَ تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ**﴾، يَعنِي: كَما فَعَلَ هؤلاء الّذينَ آمَنُوا بِرسُولِ الله ﷺ لمـَّا سَمِعُوا براهينَهُ وحُجَّتَهُ وهو مُحسِنٌ في عَمَلِهِ لله فَلَهُ أجرُهُ عندَ رَبِّهِ يومَ الفَصلِ والقَضاءِ، ولا خَوفٌ عليهم حينَ يَخافُ الكافرونَ بِما يُشاهدونَهُ مِنَ العِقابِ، ولا هُم يَحزنونَ عِندَ الموتِ؛ لأنَّ البشارَةَ بالجِنانِ تَأتيهِم»[1].

وفيه: «عَنِ الصّادقِ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ وفيهِ: فالجِدالِ بالّتي هيَ أحسَنُ قَد قَرَنَهُ العُلَماءُ بالدِّينِ، والجِدالِ بغَيرِ الّتي هيَ أحسَنُ مُحرَّمٌ حَرَّمَهُ الله تعالى على شِيعتِنا، وكَيف يَحرُمُ الجِدالُ جُملَةً وهوَ تعالى يقولُ: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾، قالَ اللهُ تعالى: ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾، فَجَعَلَ عِلمَ الصّدقِ والإيمانِ بالبُرهانِ، وهل يُؤتَى بالبُرهانِ إلَّا في الجِدالِ بالَّتي هيَ أحسَنُ [والّتي لَيسَت بأحسَنِ]»[2].

في كِتابِ الخِصالِ: في احتِجاجِ عَليٍّ عليه السلام على النَّاسِ يومَ الشُّورَى قالَ: «نَشَدتُكُم بالله هل فيكُم أحَدٌ قالَ لهُ رسُولُ الله ﷺ مِثلَ ما قالَ لي: أهلُ ولايتِكَ يَخرُجونَ يومَ القِيامَةِ مِن قُبورِهِم على نُوقٍ بيضٍ شِراكُ نِعالِهِم نُورٌ يَتَلألأُ، وقَد سُهِّلَت عَليهِم المَوارِدُ، وفُرِّجَت عَنهُم الشَّدائِدُ وأُعطُوا الأمانَ وانقَطَعَت عَنهُم الأحزانُ حَتَّى يُنطَلَقُ بِهم إلى ظِلِّ عَرشِ الله، يَحزَنُ النَّاسُ، ولا يَحزَنونَ غَيري؟ قالُوا: اللّهُمَّ لا»[3]، انتهى.

---

(١) الاحتجاج: ١: ٢٥.

(٢) الاحتجاج: ١: ١٤، وما بينَ المعقوفينِ مِن نسخةِ المُصنِّف لم ترد في نسخةِ المصدرِ المُعتَمدِ.

(٣) الخصال: ٥٥٨، ٥٥٩.

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) ﴾ آيةٌ:

اللغة:

القِيامَةُ في الأصلِ: مَصدَرٌ كالكِتابةِ، يقالُ: قامَ يقومُ قِيامًا وقِيامَةً، مثلَ: عاذَ يَعوذُ عِياذًا وعِياذَةً، أصلُ قِيامًا وعِياذًا: قِوامًا وعِواذًا، قُلِبَتِ الواوُ فيهما ياءً لانكِسارِ ما قَبلِها، وكَذا قِيامَةً وعِياذَةً، ثمَّ صارَتِ (القِيمَةُ) بالغَلَبَةِ عَلَمًا لِوقتٍ مُعيَّنٍ، وهو: الوَقتُ الّذي يَبعَثُ اللهُ الخَلقَ للحِسابِ والجَزاءِ فَيقومونَ مِن قُبورِهِم، فَحُذِفَت ألِفُها لِكَونِها عَلَمًا كَثيرَ الاستِعمالِ كَما في الحرثِ والقسِمِ.

الإعراب:

و(الواو) في (وَهُم يَتلُونَ الكِتابَ): حاليَّةٌ، والجملَةُ: حالٌ مِنَ اليَهودِ والنَّصارَى، وعامِلُها: (قالَت)، وكَذلكَ مُتعَلِّقٌ بقالَ أو بـ(يَتلونَ)، والتّقديرُ: قالَ الّذينَ لا يَعلَمونَ، وهُم المشرِكونَ والدَّهريَّةُ كَما قالَ اليَهودُ والنَّصارَى، أو هُم يَتلُونَ كِتابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَتِلاوَةِ اليَهودِ والنَّصارَى كِتابَيهِما، و(مثلَ) مَنصوبٌ: نَعتٌ لمصدَرٍ مَحذوفٍ تَقديرُهُ: قَولًا مِثلَ قَولِهِم.

النُّزول: [٤٧٢]

قالَ ابنُ عَبّاس: «إنَّهُ لَمَّا قَدِمَ وَفدُ نَجرانَ مِنَ النَّصارَى على رسُولِ الله ﷺ أتَتهُم أحبارُ اليَهودِ فَتَقاوَلُوا وتَنازَعُوا فَقالَ رافِعُ بنُ حَرملَةَ اليَهودي: ما أنتُم يا مَعشَرَ النَّصارَى على شَيءٍ، وجَحَدَ نُبوَّةَ عيسى عليه السلام، وكَفَرَ بالإنجيلِ، فَقالَ رَجلٌ مِن أهلِ نَجرانَ: لَيسَتِ اليَهودُ على شَيءٍ، وجَحَدَ نُبوَّةَ موسى عليه السلام، وكَفَرَ بالتّوراةِ، فَأنزلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيَةَ»(١).

وقالَ الإمامُ العَسكري عليه السلام: «قالَ الحَسنُ بنُ عَليِّ بنُ أبي طالبٍ عليهما السلام: إنّما نَزَلَت هذهِ الآيَة لأنَّ قَومًا مِنَ اليَهودِ وقَومًا مِنَ النَّصارَى جاؤوا إلى رسُولِ الله ﷺ فَقالوا: يا مُحَمَّدُ اقضِ بينَنا، فَقالَ: قُصُّوا

(١) جامع البيان: ٢: ٥١٤، والتبيان: ١: ٤١٤.

قِصَّتكُم، فقالَتِ اليَهودُ: نَحنُ المؤمنونَ باللهِ الواحِدِ الحَكيمِ وأولياؤُهُ[1]، ولَيسَتِ النَّصارَى على شَيءٍ مِنَ الدِّينِ والحَقِّ، وقالَتِ النّصارَى: بَل نَحنُ المؤمنونَ باللهِ الواحِدِ الحكيمِ وأوليائِهِ ولَيسَت هؤلاءِ اليَهودُ على شَيءٍ مِنَ الحَقِّ والدّينِ، فَقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّكُم مُخطِئونَ مُبطِلونَ فاسِقونَ عَن دينِ اللهِ وأمرِهِ، فَقالَتِ اليَهودُ: كَيفَ نكونُ كافرينَ وفِينا كِتابُ اللهِ التَّوراةُ نَقرأُهُ؟ وقالَتِ النَّصارَى: كيفَ نكونُ كافرينَ وفينا كِتابُ اللهِ الإنجيلُ نَقرأُهُ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إنَّكُم خالفتُم أيُّها اليَهودُ والنّصارَى كِتابَ اللهِ فَلَمْ تَعملُوا بهِ، فَلَو كُنتُم عاملينَ بالكِتابَينِ لَـمَّا كَفَّرَ بعضُكُم بعضًا بغَيرِ حُجَّةٍ؛ لأنَّ كُتُبَ اللهِ أنزَلَها شِفاءً مِنَ العَمى وبَيانًا مِنَ الضّلالَةِ تَهدِي العاملينَ بها إلى صِراطٍ مُستقيمٍ، وكِتابَ اللهِ إذا لَم تَعملُوا بهِ كانَ وَبالًا عَليكُم، وحُجَّةَ اللهِ إذا لَم تَنقادُوا لَها كُنتُم للهِ عاصِينَ ولِسَخَطِهِ مُتعَرِّضينَ، ثمَّ أقبلَ رَسولُ اللهِ ﷺ على اليَهودِ فَقالَ: احذَرُوا أن يَنالَكُم لِخلافِ أمرِ اللهِ وخِلافِ كِتابِهِ ما أصابَ أوائِلَكُم الّذينَ قالَ اللهُ فيهِم: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[2][3].

المعنى:

ثمَّ بَيَّنَ سبحانهُ ما بَينَ أهلِ الكِتابِ مِنَ الاختِلافِ والتّكفيرِ، ووَبَّخَهُم على ذلكَ مَعَ تِلاوَتِهِم الكِتابَ فقالَ: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى﴾** في تَديُّنِهِم بالنَّصرانيَّةِ **﴿عَلَى شَيْءٍ﴾**، أي: على أمرٍ مُعتَدٍّ بهِ مِن دينٍ حَقٍّ ومَذهبٍ صَحيحٍ، بَل دينُهُم باطلٌ ومَذهبُهُم كُفرٌ، **﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ﴾** في تَديُّنِهِم باليَهوديَّةِ **﴿عَلَى شَيْءٍ﴾**، أي: على دينٍ حَقٍّ ومَذهَبٍ صَحيحٍ، بَل دينُهُم باطلٌ ومَذهبُهُم كُفرٌ وزَندقَةٌ، **﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾**، أي: والحالُ أنَّهُم يَتلونَ الكِتابَ ويَقرَؤُونَهُ، والمُرادُ بالكِتابِ: الجِنسَ، أي: التّوراةُ والإنجيلُ ولا يَتأمَّلونَ فيهِما ولا يَعمَلونَ بهِما لِيَتخَلَّصوا مِنَ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أولياؤُهُ في الموضِعينِ بالرَّفعِ عَطفٌ على (المؤمنون)، وبالجرِّ عَطفٌ على (الله).

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٩.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٤٤، ٥٤٥.

الكُفرِ والضّلالَةِ، واهتدَوا بالدِّينِ الحَقِّ والإيمانِ الخالِصِ بالله ورُسُلِهِ وكُتُبِهِ مَعَ أنَّهُم مِن أهلِ العِلمِ والكِتابِ، فلَمّا لَمْ يَتأمَّلوا في كِتابَيهِم، ولَمْ يَعمَلوا بهما؛ عِنادًا وَحُبًّا للرِّئاسَةِ، وتَقليدًا لأوائِلِهِم الضّالِّينَ المُضلِّينَ بلا حُجَّةٍ وبُرهانٍ في دَعاوِيهِم، وإنكارِهِم مِلَّةَ الإسلامِ، وإبطالِ كُلِّ فريقٍ منهُم مِلَّةَ الفَريقِ الآخَرِ، كانَ سبيلُهُم كَسَبيلِ مَن لا يَعلَمُ مِن مُشرِكِي العَرَبِ الّذينَ هُم عَبَدَةُ الأوثانِ، وغَيرِهِم مِمَّن لا كِتابَ لَهُم مِنَ الّذينَ لَم يَقولوا بالصّانِعِ تَعالى كَالدَّهرِيَّةِ كَما أشارَ سبحانَهُ إلى ذلكَ بقَولِهِ: **﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾** فَهذا تَوبيخٌ لَهُم حيثُ نَظَمُوا أنفُسَهُم مَعَ كَونِهِم عالِمِينَ في سِلكِ مَن لا عِلمَ لَهُم مِنَ المشركينَ والدَّهرِيَّةِ الّذينَ قالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا وأصحابَهُ لَيسُوا عَلى شَيءٍ مِنَ الدّينِ الحَقِّ والمَذهَبِ الصَّحيحِ، مِثلَ ما قالَتِ اليَهودُ والنّصارَى بعضُهُم لبَعضٍ، بَل مُشرِكُو العَرَبِ والدَّهرِيَّةِ قالُوا: إنَّ جميعَ الأنبياءِ وأُمَمَهُم لَيسوا على شَيءٍ، بَل كانوا عَلى خَطَأٍ فَقَد ساوَوكُم يا مَعشَرَ اليَهودِ والنّصارَى في الإنكارِ مَعَ أنَّهُم لَم يكونوا مِن أهلِ العِلمِ والكِتابِ، إنَّما وَبَّخَهُم اللهُ تعالى عَلى المُكابَرَةِ والتَّشَبُّهِ بالجُهّالِ مِن مُشرِكِي العَرَبِ والدَّهرِيَّةِ معَ كَونِهِم صادقينَ في ذلكَ؛ لأنَّ كِلا الدّينَينِ والكِتابَينِ بعدَ النّسخِ والتّحريفِ لَيسَ بشَيءٍ؛ لأنَّهُم لَم يَقصُدُوا ذلكَ بَل قَصَدَ بِهِ كُلُّ فَريقٍ إبطالَ دِينِ الآخَرِ مِن أصلِهِ، والكُفرَ بنَبيِّهِ وكِتابِهِ، مَعَ أنَّ ما لَم يُنسَخْ وما لَم يُحَرَّفْ واجبُ القَبولِ والعَمَلِ بهِ، وقيلَ: إنَّ هؤلاءِ الّذينَ لا يَعلَمونَ أُمَمٌ كانَت قبلَ اليَهودِ والنَّصارَى، وقبلَ التّوراةِ والإنجيلِ، كَقَومِ نوحٍ وهودٍ وعادٍ وثَمودَ وصالحٍ وغَيرِهِم[1]، **﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾**، أي: بينَ هؤلاءِ الفِرَقِ الباطِلَةِ الكاذِبَةِ الكافِرَةِ مِنَ اليَهودِ والنّصارَى وغَيرِهِم **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** في الدُّنيا فَيُبيِّنُ كِذبَهُم وفِسقَهُم وكُفرَهُم، ويَحكُمُ بينَهُم بالقَضاءِ الفَصلِ، فَيُجازي كُلَّ فَريقٍ منهُم بقَدَرِ استِحقاقِهِ وما يَليقُ بِهِ مِنَ العِقابِ، والإذلالِ في دُخولِ النّارِ فَيَنتَصِفُ مِنَ الظّالِمِ المُكذِّبِ بغَيرِ حُجَّةٍ ولا بُرهانٍ للمَظلومِ المُكذَّبِ، بأن يُرِيَهُم مَن يَدخُلُ النّارَ عِيانًا، ومَن يَدخُلُ الجَنَّةَ عِيانًا. [٤٧٣]

(١) وهو قول عطاء. ينظر: جامع البيان: ٢: ٥١٧، وتفسير الثعلبي: ١: ٢٦٠، والتبيان: ١: ٤١٥.

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾ آيتانِ عندَ البَصريّينَ، حيثُ عَدُّو (إلَّا خائفينَ) آيةً، وآيةٌ واحدَةٌ عندَ غَيرِهِم حيثُ لَم يَعُدُّوا (خائِفينَ) آيةً(١):

اللغة:

المَنعُ والصَّدُّ والحيلولَةُ نظائرُ، فَضِدُّ المَنعِ هنا: الإطلاقُ، وقَد يَكونُ ضِدُّهُ الإعطاءَ، وعَلى كِلا المَعنَيينِ يَتعدَّى إلى مَفعولَينِ بنَفسِهِ غالبًا، ومِن أسماءِ الله تعالى: المانِعُ وهوَ: الّذي يَمنَعُ مِن أهلِ طاعَتِهِ ويَحوطُهُم ويَنصُرُهُم، وقيلَ: يَمنَعُ مِن خَلقِهِ ما يُريدُ ويُعطِيهِ ما يُريدُ، يقالُ: مَنَعتُهُ كَذا فامتَنَعَ منهُ، ورَجُلٌ مَنيعٌ لا يُخلَصُ إليهِ وهوَ في عَزٍّ ومَنَعَةٍ بفَتحِ [النّون] وسُكونِها، وفي الحَديثِ: «سَيعودُ بهذا البَيتِ قَومٌ لَيسَت لَهُم مَنْعَةٌ»(٢)، أي: قُوَّةٌ تَمنَعُ مَن يُريدُهُم بسوءٍ، وقَد تُفتَحُ النّونُ، وقيلَ: هيَ بفَتحِ النُّونِ: جَمعُ مانعٍ، مثلَ كافرٍ وكَفَرَةٍ وفاسِقٍ وفَسَقَةٍ، وامرأَةٌ مَنيعَةٌ: لا تُؤاتَى على فاحِشَةٍ.

معاني السَّعي:

والسَّعيُ والعَدوُ والرَّكضُ نظائرُ، وضِدُّ السَّعيِ: الوَقْفُ، والسَّعيُ قَد يكونُ مَشيًا، وقَد يكونُ عَمَلًا وتَصرُّفًا، وقَد يكونُ قَصدًا، فإذا كانَ بمَعنى العَدْوِ والمُضِيِّ عُدِّيَ بـ(إلى) كَما في مِثلِ قولِهِ تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾(٣)، وإذا كانَ بمَعنى العَمَلِ عُدِّيَ بـ(اللّامِ) كَقولِهِ تعالى: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾(٤)، وفي حَديثِ عَليٍّ عليه السلام في ذَمِّ الدُّنيا: «مَن سَاعَاهَا فَاتَتْهُ»(٥) أي: سابَقَها، وهيَ مُفاعَلَةٌ مِنَ

(١) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن: ١: ١٤٠، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ١١٣، وجمال القرّاء وكمال الإقراء: ١: ٢٨٩.

(٢) عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار: ٤٢٧، حديث رقم: ٨٩٣، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٢: ٤٧٢.

(٣) سورة الجمعة ٦٢: ٩.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ١٩.

(٥) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٠١، والرواشح السماويّة: ١٣٥.

السَّعيِ، كَأنَّها تَسعَى ذاهبَةً عنهُ وهوَ يَسعَى مُجِدًّا في طَلَبِها، فَكُلٌّ منهُما يَطلُبُ الغَلبَةَ في السَّعيِ، والسَّعْيُ: الكَسْبُ، يقالُ: فُلانٌ يَسعَى عَلى عِيالِهِ، أي: يَكسبُ لَهُم، واستِسعاءُ العَبدِ: وهوَ إذا عُتِقَ بعضُهُ، ورُقَّ بعضُهُ: هوَ أن يَسعَى في فَكاكِ ما بَقِيَ مِن رِقيَّتِهِ ويَكسبُ ويَصرِفُ ثَمنَهُ إلى مَولاهُ، وسَعَى للسُّلطانِ إذا وَلِيَ أمرَ الصَّدَقَةِ لهُ، وكُلُّ مَن وَلِيَ أمرَ قَومٍ فهوَ ساعٍ لَهُم، والسَّاعِي: آخِذُ الصَّدقاتِ مِن أربابِها، ومنهُ قَولُ الشّاعرِ:

سَعَى عِقالًا فَلَمْ يَترُكْ لَنا سَبَدًا فَكَيفَ لَو قَد سَعَى عَمرٌو عِقالَينِ (1)

العِقالُ: صَدَقَةُ عامٍ واحدٍ، وساعَى الرَّجُلُ الأمَةَ إذا فَجَرَ بِها، ولا تَكونُ إلَّا في الإماءِ، وفي الحَديثِ: «لا مُساعاةَ في الإسلامِ، ومَن ساعَى في الجاهِليَّةِ فَقَد لَحِقَ بعَصَبتِهِ»(2)، والمُساعاةُ: الزِّنى، و(كانَ الاصمعِيُّ يَجعلها في الإماءِ دونَ الحَرائرِ؛ لأنَّهُنَّ كُنَّ يَسعَينَ لِمواليهِنَّ فَيكسِبنَ لَهم بضَرائِبَ كانَت عَليهِنَّ، يقالُ: ساعَتِ الأمَةُ: إذا فَجَرَت، وسَاعَاهَا فُلانٌ: إذا فَجَرَ بِها، وهوَ مُفاعَلَةٌ مِنَ السَّعيِ كَأَنَّ كُلَّ واحِدٍ منهُما يَسعَى لِصاحِبِهِ في حُصولِ غَرَضِهِ فَأبطَلَ الإسلامُ ذلكَ ولَم يَلحَقْ النَّسَبَ بها، وعَفا عَمَّا كانَ منها في الجاهِليَّةِ مِمَّن أُلحِقَ بِها)(3).

وقالَ ابنُ الأثيرِ: (ومنهُ حديثُ عُمَرَ: أنَّهُ أُتِيَ في نِساءٍ وإماءٍ ساعَينَ في الجاهِليَّةِ فَأمَرَ بأولادِهِنَّ أن يُقَوَّمُوا على آبائِهِم ولا يُستَرَقُّوا، ومَعنى التَّقويم: أن تكونَ قيمَتُهُم على الزَّانِينَ لِموالِي الإماءِ ويَكونُوا أحرارًا لاحِقِي الأنسابِ بآبائِهِم الزُّناةِ، وكانَ عُمَرُ يُلحِقُ أولادَ الجاهليَّةِ بمَن ادّعاهُم في الإسلامِ على شَرطِ التّقويمِ، وإذا كانَ الوَطؤُ والدَّعوى جَميعًا في الإسلامِ فَدعواهُ باطلَةٌ والوَلَدُ مَملوكٌ؛ لأنَّهُ عاهِرٌ، وأهلُ العِلمِ مِنَ الأئمَّةِ على خِلافِ ذلكَ؛ ولِذا أنكَرُوا بأجمعِهِم على مُعاويَةَ في

---

(1) البيت من البسيط، قائله: عمرو بن العداء الكلبي. ينظر: خزانة الأدب: ٧:٥٤٥.

والسبد: الشعر والوبر، ويكنّى بها عن القلّة. ينظر: العين: ٧: ٢٣٢، (سبد)، والصحاح: ٢: ٤٨٣، (سبد).

(2) مسند أحمد: ١: ٣٦٢، وسنن أبي داود: ١: ٥٠٤.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٦٩.

استِلحاقِهِ زِيادًا، وكانَ الوَطؤُ في الجاهليَّةِ والدَّعوى في الإسلامِ»[1]، انتهى.

معاني الخراب:

والخَرابُ والهَدمُ والنَّقضُ نظائرُ، والخَرابُ والخَرَبَةُ أصلُها: العَيبُ والفَضِيحَةُ والهَوانُ، ثمَّ استُعمِلَ بمَعنى الهَدمِ والنَّقْضِ وإخلاءِ الجَماعَةِ مِنَ الدُّخولِ في المَساجِدِ، والخَرَبَةُ: البَليَّةُ والجِنايَةُ، وضِدُّ الخَرابِ: العِمارَةُ، وفي الحديثِ: «مِن اقتِرابِ السّاعَةِ إخرابُ العامِرِ وعِمارَةُ الخَرابِ»[2]، كَما يَفعَلُهُ الملوكُ والمُترَفونَ مِن تَخريبِ المَساكِنِ العامِرَةِ لِغَيرِ ضَرورَةٍ واتِّساعِها، والخُرْبَةُ بالضَّمِّ: خَرْقُ الأُذْنِ وكُلُّ ثَقبٍ مُستديرٍ، ومِن ذلكَ ما جاءَ في الحديثِ: «أنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَن اتيانِ النِّساءِ في أدبارِهِنَّ فقالَ: في أيِّ الخُربَتَينِ»[3]، يَعني في أيِّ الثُّقبَتَينِ، ورَجُلٌ مُخَرَّبٌ أي: مَثقوبُ الأُذُنِ، وفي حَديثِ سُليمانَ عليه السلام: «كانَ تَنبُتُ في مُصَلّاهُ مِن مَسجِدِ بَيتِ المَقدِسِ كُلَّ يومٍ شَجَرَةٌ [٤٧٤] فَيَسأَلُها ما أنتِ؟ فَتقول: أنا شَجَرةُ كَذا أنبُتُ في أرضِ كَذا، أنا دَواءٌ مِن كَذا، فيأمُرُ بها فَتُقطَّعُ ثمَّ تُصَرُّ ويُكتَبُ على الصُّرَّةِ اسمُها ودَواءُها، فَلَمّا كانَ في آخِرِ ذلكَ نَبَتَتِ اليَنبُوتَةُ، فَقالَ: ما أنتِ؟ فَقالَت: أنا الخَرُّوبَةُ وسَكَتَت، فقالَ سُليمانُ عليه السلام: الآن أعلَمُ أنَّ اللهَ تعالى قَد أذِنَ في خَرابِ هذا المَسجِدِ وذَهابِ هذا الملكِ، فَلَم يلبَث أن ماتَ»[4]، والخَرُّوبَةُ مُعرَّبُ خَرنُوب، وسَنَذكُرُ مثلَ ذلكَ في حِكايَةِ أرمِيا النَّبيِّ عليه السلام في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[5] الآية إن شاءَ اللهُ تعالى.

والخارِبُ: اللّصُّ أيضًا، قال الاصمَعيُّ: (يَختَصُّ بسارِقِ الإبِلِ ثمَّ نُقِلَ إلى غَيرِها اتِّساعًا)[6].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٦٩.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ١: ٣١٢، وغريب الحديث: ابن قتيبة: ١: ١٥٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ١٨.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٥٩.

(٦) لسان العرب: ١: ٣٤٨، (خرب)، وتاج العروس: ١: ٤٥٤، (خرب)، ومن دون نسبة إلى الاصمعيِّ.

الإعراب:

(مَن): اسمُ استِفهامٍ في مَوضِعِ رَفعٍ بالابتِداءِ، و(أظلَمُ): اسمُ تَفضيلٍ مَرفوعٌ لَفظًا خَبَرٌ لهُ، و(مِن) بكَسرِ الميمِ للتّفضيليَّةِ، و(مَن) بفَتحِها: مَوصولَةٌ مَجرورةٌ بـ(مِن) مُتعلِّقَةٌ بـ(أظلَمَ)، وجملَةُ (مَنَعَ) صلتُها، و(مَساجدَ الله): كَلامٌ إضافيٌّ مَفعولٌ أوَّلُ لـ(مَنَعَ)، و(أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ): مفعولُهُ الثّاني، تقولُ: مَنَعتُهُ دِرهَمًا، ومنعتُهُ أمرَ كَذا ومثلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾[1]، أي: وَما مَنَعَ النَّاسَ إيمانَهُم، و(أن قالُوا): فاعلُ (مَنَعَ)، ومثلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾[2]، أي: وما مَنَعَنا إرسالَ الآياتِ إلَّا تَكذيبُ الأوَّلينَ بها، والتّقديرُ فيما نَحنُ فيهِ: ومَن أظلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَساجدَ الله ذِكرَ اسمِهِ سبحانهُ فيها، ويَجوزُ تَقديرُ (عَن) الجارَّةِ في المفعولِ الثّاني أيضًا، أي: عَن أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ، ويَجوزُ أن يكونَ أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ بَدَلَ اشتِمالٍ مِن مَساجِدِ الله أيضًا، تقديرُهُ: ومَن أظلَمَ مِمَّن مَنَعَ أن يُذكَرَ في مساجدِ الله اسمُهُ سبحانَهُ، وأن يكونَ مَفعولًا لَهُ لـ(منَعَ)، أي: ومَن أظلَمُ مِمَّن مَنَعَها كَراهَةَ أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ تعالى، وجملَةُ (سَعى في خَرابِها): عَطفٌ على جُملةِ مَنَعَ إلى آخِرِهِ.

(اولئِكَ): مُبتدأٌ، و(ما): نافيةٌ، (لَهُم): خَبَرُ كانَ، و(أن يَدخُلُوها) بفَتحِ الهَمزَةِ: في مَوضِعِ رَفعٍ اسمٌ لِـ(كانَ)، والجملَةُ: خَبَرُ أولئِكَ، والعائدُ: الضَّميرُ المجرورُ في (لَهُم)، وقيلَ: (كانَ) ههنا مَزيدَةٌ بَينَ أجزاءِ الكَلامِ فَحينئذٍ يكونُ (أن يَدخُلوها): مُبتدأٌ، وخَبَرُهُ (لَهُم)، والجملَةُ: خَبَرُ أولئِكَ، والتّقديرُ: أولئِكَ ما لَهُم أن يَدخُلُوها، أي: دَخلُوها، فَبَطَلَ حينئذٍ عَمَلُ (ما) النّافيةِ المُشابِهَةِ بلَيسَ بتَقديمِ الخَبَرِ، و(إلَّا): حَرفُ استِثناءٍ، وهوَ هُنا لِنَقضِ النَّفي، و(خائفينَ): حالٌ مِن فاعلِ (يَدخلُوها)، فَهوَ مُستَثنًى مُفرَّغٌ مُعرَبٌ على حَسَبِ العَوامِلِ، أي: ما كانَ لَهُم أن يَدخُلوها في حالٍ

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٩٤.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٥٩.

مِنَ الأحوالِ إلَّا حالَ كَونِهِم خائِفينَ، و(لَهُم): خَبَرٌ مُقدَّمٌ، و(خِزيٌ): مُبتدَأٌ مُؤخَّرٌ، و(في الدُّنيا) مُتَعلِّقٌ بـ(لَهُم)، أو بـ(خِزي)، أو حالٌ مِنَ الضَّميرِ المُستكِنِّ في (لَهُم) العائدُ إلى (خِزي) أو (مِن خِزْيِ نَفسِهِ)؛ لأنَّ نَعتَ النَّكرَةِ إذا تَقدَّمَ عَليها صارَ حالًا مِنها، وجملَةُ المبتدأ والخَبَرِ بَيانٌ لِقَولِهِ: خائِفينَ، أو مُستَأنَفَةٌ جَوابٌ لِسؤالٍ مُقدَّرٍ عَن سَبَبِ خَوفِهِم، وكَذا إعرابُ جملَةِ: (وَلَهُم في الآخرَةِ عَذابٌ)، و(عَظيمٌ): صفةُ عَذاب.

النُّزول:

عَن أبي عَبدِ الله جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادقِ عليه السلام: «أنَّها نَزَلَت في قريشٍ حينَ مَنَعُوا رسُولَ الله صلى الله عليه وآله عَن دُخولِ مَكَّةَ والمَسجِدِ الحَرامِ»[١]، وسَعَوا في تَخريبِهِ بمَنعِ طاعَةِ الله فيهِ، إلى أن ألجَأُوا رَسولَ الله صلى الله عليه وآله إلى الخُروجِ مِن مَكَّةَ حَتَّى أظهَرَ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله بفَتحِ مَكَّةَ، فَأمَرَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله مُنادِيًا يُنادِي: «ألَا لا يَحِجَّنَّ هذا البَيت بعدَ هذا العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطوفَنَّ بهذا البَيت عُريانٌ»[٢]، الحديث، وبِهِ قالَ الرّمّاني والبَلَخي وأبو عَليٍّ[٣]، وقالَ ابنُ عَبّاسٍ ومُجاهِدٌ: «إنَّها نَزَلَت في الرُّومِ حينَ غَزَوا بيتَ المَقدِسِ، وسَعَوا في خَرابِهِ حَتَّى كانَت أيّامُ عُمَرَ فَأظهَرَ اللهُ المُسلمينَ عَليهِم وصارُوا لا يَدخُلونَها إلَّا خائِفينَ»[٤].

وقالَ الحَسَنُ وقَتادَةُ: «هوَ[٥] بُخْتَ نُصَّر خَرَّبَ بَيتَ المَقدِسِ وأعانَهُ عَليهِ النَّصارَى»[٦]، وسَنذكُرُ كَيفيَّةَ تَخريبِ بُخْتَ نُصَّرَ بَيتِ المَقدِسِ في هذهِ السّورَةِ في تَفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٥٥.

(٢) وسائل الشيعة: ١٣: ٤٠٠، حديث رقم: ١٨٠٦٢، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٢٥، حديث رقم: ٥١٣.

(٣) ينظر: التبيان: ١: ٤١٦، ومجمع البيان: ١: ٣٥٥، وقد نسب الثّعلبي في تفسيره: ١: ٢٦٢، هذا القول إلى عطاء وعبد الرحمن بن عوف.

(٤) تفسير ابن عبّاس: ١: ١٧، ومعاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٤، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: مَن منَعَ مساجدَ الله.

(٦) تفسير الثّعلبي: ١: ٢٦١، وأسباب النّزول للواحدي: ١: ٣٦، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٠.

قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[1] الآية، وحديثُ سُليمانَ عليه السلام[2] يُومِئُ إلى ذلكَ أيضًا فهوَ حُكمٌ عامٌّ في جِنسِ مَساجِدِ الله؛ ولِذا جَمَعَ المَسجدَ، أو باعتِبارِ مَواضِعِ السُّجودِ كَما نُشيرُ إليهِ في المَعنى.

وعَن زيدِ بنِ عَليٍّ عَن آبائِهم عليهم السلام عَن عَليٍّ عليه السلام: «إنَّهُ أرادَ جَميعَ الأرضِ؛ لِقَولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: جُعِلَت لِيَ الأرضُ مَسجِدًا وتُرابُها طَهُورًا»[3].

فَلا مُنافاةَ بينَ هذهِ الأقوالِ؛ لأنَّهُ تعالى ذَمَّ في هذهِ الآيةِ وما قَبلَها أهلَ الكِتابِ وَغيرَهُم مِمَّن لا يَعلَمونَ؛ لأنَّ الكَلامَ خَرَجَ مَخرجَ الذّمِّ، فَتارَةً تَوَجَّهَ الذّمُّ إلى اليَهودِ، ومَرَّةً إلى النَّصارى، وأُخرى إلى المُشركينَ وعَبدَةِ الأوثانِ والدَّهريَّةِ. [٤٧٥]

المعنى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أي: وأيُّ أحدٍ وأيُّ شَخصٍ أعظَمُ وأشَدُّ ظُلمًا **﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾**، أي: لا أحَدَ أظلَمَ مِمَّن مَنَعَ أن يُذكَرَ في مَساجِدِ الله اسمُهُ جَلَّ شَأنُهُ، ومَنَعَ النَّاسَ عَن إقامَةِ الجَماعَةِ والعِبادَةِ فيها، فَهوَ حُكمٌ عامٌّ لِكُلِّ مَن مَنَعَ ذلكَ وخَرَّبَ مَسجِدًا، وسَعَى في تَعطيلِ كُلِّ مَكانٍ مَهيَّئٍ للصّلاةِ؛ ولِذا جَمَعَ المَسجِدَ.

وعَن زيدِ بنِ عَليٍّ عَن آبائِهِ عليهم السلام: عَن عَليٍّ عليه السلام: «إنَّهُ أرادَ جَميعَ الأرضِ لِقولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: جُعِلَت لِيَ الأرضُ مَسجدًا» إلى آخِرِهِ كَما مَرَّ في النُّزولِ، وإن كانَ المُنزَلُ فيهِ بيتُ المَقدِسِ، أو الكَعبةُ، فَجمعيَّتُهُ إمَّا باعتِبارِ كَونِ كُلِّ واحدٍ منهُما مَواضعَ السَّجدةِ، بأن يكونَ مَساجدُ: جَمعَ المَسجَدِ بفَتحِ الجيمِ أو كَسرِها، فإنَّ المسجدَ العظيمَ يقالُ لِكلِّ مَوضعٍ منهُ مَسجدٌ، ويقالُ لجملتِهِ مَسجِدٌ، وإمَّا باعتبارِ أن يدخُلَ في ذلكَ جميعُ المساجِدِ الّتي بَناها وهَيَّأَها المسلمونَ للصّلاةِ والعِبادَةِ، **﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾** مِنَ العِمارةِ وعَملِ الطّاعةِ والعِبادَةِ بإخراجِ أهلِ الإيمانِ عندَ الهجرَةِ وغيرِها وصَدِّهم عَنِ الصّلاةِ

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الذي ذكرناهُ في بيانِ الخَرابِ لغَةً.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٥٥، والحديث في وسائل الشيعة: ٥: ١١٨، حديث رقم: ٦٠٨٦، وعوالي اللئالي: ٢: ١٣، حديث رقم: ٢٦.

فيها، ﴿أُولَئِكَ﴾ المانعونَ السّاعونَ في تَخريبِها ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾، أي: ما كانَ يَنبغي لَهُم أن يدخُلوها في حالٍ مِنَ الأحوالِ إلَّا حالَ كَونِهِم مُمتَلئينَ بالخَوفِ والخَشيَةِ مِنَ المؤمنينَ، خائفينَ بالإخراجِ عَلى وَجهِ الطَّردِ فَضلًا عَن أن يَجترؤوا(١) على خَرابِها، أو ما لَهُم أن يدخُلُوها إلَّا خائفينَ مِن المؤمنينَ أن يَبطشوهُم ويَضربُوهُم بالسِّياطِ ويأخُذوا منهُم الجِزيَةَ عَن يَدٍ وهُم صاغِرونَ، ويَقتلوهُم إن امتَنَعوا فَضلًا عَن أن يَمنَعوا المؤمنينَ عَن أن يَذكُروا اسمَ اللهِ ويُصَلُّوا فيها.

قالَ ابنُ عَبّاس: «إنَّهُ لا يَدخلُ نَصرانِيٌّ بيتَ المَقدِسِ إلَّا نُهِكَ ضَربًا وأُبلِغَ عُقوبةً وهوَ كذلكَ اليومَ، وقالَ أيضًا: وَلمَّا نَزلَت أمَرَ النَّبيُّ ﷺ مُناديًا يُنادِي ألَا لا يَحجَّنَّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ ولا يَطوفَنَّ بهذا البَيتِ عُريانٌ، فكانوا لا يَدخلونَهُ بعدَ ذلكَ»(٢)، أو ما كانَ لَهُم في قَضائِهِ سبحانه أن يَدخلُوها إلَّا خائفينَ؛ لأنَّهُ تعالى كَتَبَ في اللَّوحِ أن يَعزَّ الدّينَ ويَنصُرَ المؤمنينَ فَيكونُ وَعدًا للمؤمنينَ بالاستيلاءِ عَليهِم بالنُّصرةِ واستِخلاصِ المَساجدِ منهُم، وقَد أنجَزَ اللهُ تعالى وَعدَهُ ونَصَرَ عبدَهُ فَأعلمَ اللهُ سبحانهُ في هذهِ الآيةِ أنَّ أمرَ المسلِمينَ يَظهرُ على جَميعِ مَن خالفَهُم حَتَّى لا يُمكنُ دُخولُ مُخالِفٍ في مَساجدِهِم إلَّا خائفًا لإعزازِ الله تعالى الدِّينَ وإظهارِهِ المُسلمينَ ولَو كَرِهَ المُشركونَ.

الحكومةُ في المَساجِدِ:

وقالَ أبو عَليٍّ الجُبّائيّ: «بَيَّنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى أنَّهُ لَيسَ لهؤلاءِ المُشركينَ دُخولُ المَسجدِ الحَرامِ ولا غَيرِهِ مِنَ المساجِدِ، فإن دَخلَ منهُم داخلٌ في بَعضِ المَساجِدِ كانَ على المُسلمينَ إخراجُهُ منهُ إلَّا أن يَدخُلَ إلى بعضِ الحُكَّامِ لخصُومَةٍ بينهُ وبَينَ غَيرِهِ فَيكونُ في دُخولِهِ خائفًا مِنَ الإخراجِ بالطَّردِ بعدَ انقِضاءِ خُصومتِهِ ولا يَقعُدُ فيهِ مُطمئِنًّا كَما يَقعُدُ المُسلمُ» ـ وقالَ الشّيخُ أبو جَعفرٍ الطّوسي ؒ ـ:

(١) ومنه في حاشية الأصل: من الجرأة.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٦، وقد أورد صاحب التبيان: ١: ٤١٨، الخبرين عن قتادة وابن زيد، وكذا جاء في تفاسير العامّة كجامع البيان: ٢: ٥٢٣، والكشّاف: ١: ١٨٠، ومفاتيح الغيب: ٤: ١٢.

وهذا يَليقُ بمَذهَبِنا)[1].

الاستدلالُ بهذهِ الآية:

وقيلَ: مَعناهُ النَّهي عَن تَمكينِهِم مِنَ الدُّخولِ في المساجِدِ، أي: لا يَذَرِ المُسلمونَ أحَدًا مِن هؤلاءِ الظّالمينَ المانعينَ أن يَدخُلَ مَسجدًا مِن مَساجِدِ المُسلمينَ، فَيُمكِنُ الاستِدلالُ بهذهِ الآيةِ على أنَّ الكُفّارَ والمُشركينَ لا يَجوزُ أن يُمَكَّنُوا مِن دُخولِ المساجِدِ على كُلِّ حالٍ، فَأَمَّا المسجِدَ الحَرامَ خاصَّةً فَيُستَدَلُّ عَلى أنَّ المُشركينَ يُمنَعُونَ مِن دُخولِهِ ولا يُمَكَّنُونَ منهُ لِحكومَةٍ ولا غيرِها، بأنَّ اللهَ تعالى قَد أمَرَ بمَنعِهِم مِن دُخولِهِ بقَولِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾[2]، يَعني: المسجدَ الحَرامَ بالاعتِبارِ المذكورِ، وبقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[3]، وأمَّا أبو حَنيفةَ فَجَوَّزَ دُخولَهم في جَميعِ المساجِدِ مُطلقًا، ومَنَعَ مالكٌ مُطلقًا، وفَرَقَ الشّافعيُّ بينَ المَسجدِ الحَرامِ وغَيرِهِ فَمَنَعَهُ في المسجدِ الحَرامِ مُطلقًا وجَوَّزَهُ في غَيرِهِ بشَرطِ إذنِ مُسلِمٍ[4].

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: خِزيٌ بطَردِهِم مِن مَساجِدِ المُسلمينَ، وذِلَّةٌ بأخذِ جِزيَةٍ عَن يَدٍ وهُم صاغِرونَ إن انقادُوا للمُسلمينَ ولَمْ يَفعلوا ما يُنافِي الذِّمَّةَ، وقَتْلٌ وسَبْيٌ إن لَم يَنقادُوا لَهُم ولَم يُؤدُّوا الجِزيَةَ، وبفتحِ مَدائِنِهِم قِسطَنطِينيّة ورُوميَّة عِندَ قِيامِ المَهدي عليه السلام، **﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** بِسَبَبِ كُفرِهِم وشِركِهِم وظُلمِهِم فَيُعَذِّبُهُم اللهُ تعالى في نارِ جَهَنَّم بالعَذابِ الأعظَمِ؛ لِكَونِهِم أظلَمَ مِن كُلِّ ظالِمٍ.

---

(١) التبيان: ١: ٤٢٠.

(٢) سورة التوبة ٩: ١٧.

(٣) سورة التوبة ٩: ٢٨.

(٤) ينظر: المغني: ١٠: ٦١٦، والشرح الكبير: ١٠: ٦٢٤، وتذكرة الفقهاء: ٢: ٤٣٣.

دلالةُ هذهِ الآيةِ:

فَفي هذهِ دَلالةٌ على أنَّ مَن مَنَعَ أحَدًا أن يَذكُرَ اللهَ في مَسجِدٍ مِن المساجِدِ، ويُصلِّيَ فيها، وسَعَى في خَرابِها بإخلاءِ المُسلمينَ مِنها، وصَدِّهِم عَنِ الدُّخولِ فيها للعِبادَةِ، فَهوَ في غايَةِ الظّلمِ ولَهُ الخِزيُ والعَذابُ العَظيمُ في الدّارينِ، وقالَ الإمامُ أبو مُحَمَّدٍ الحَسَنِ العَسكريّ عليه السلام: «قالَ عَليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام: ولَقَد كانَ في المنافِقينَ والضّعفاءِ من أشباهِ المنافِقينَ قَصدٌ إلى تَخريبِ المَساجِدِ بالمدينَةِ، وتَخريبِ مَساجِدِ الدُّنيا كُلِّها، بِما هَمُّوا بهِ مِن قَتلِ عَليٍّ عليه السلام بالمدينَةِ، وقَتلِ رسُولِ الله صلى الله عليه وآله في طَريقِهِم إلى العَقَبةِ في غَزوَةِ تَبُوك[1]»[2]. [٤٧٦]

وقولُهُ تعالى: ﴿**وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

المَشرِقُ بكَسرِ الرّاءِ: عَلى خِلافِ القِياسِ كالمَغرِبِ، لكنَّهُما مُوافقانِ لاستِعمالِ الفُصحاءِ والعَرَبِ العَرباءِ، فالمَشرِقُ والشّرقُ اسمانِ لِمَطلَعِ الشَّمسِ والقَمَرِ وسائِرِ الكَواكِبِ، يقالُ: شَرَقَتِ الشّمسُ: إذا طَلَعَت، وأشرَقَت إذا أضاءَت، والإضاءَةُ مَعَ الارتفاعِ، ويقالُ: لا أفعَلُ كَذا ما ذَرَّ شارِقٌ، أي: ما طَلَعَ قَرْنُ الشّمسِ، وفي حديثِ عَليٍّ عليه السلام: «لا تَشريقَ إلّا في مِصرٍ أو جامِعٍ»[3]، أي: لا صَلاةَ عِيدٍ؛ لأنَّ وقتَها طُلوعُ الشّمسِ، ويقالُ لِمَوضِعِها: المُشَرَّق.

تَسميَةُ أيَّامِ التّشريقِ:

وفي حَديثِ مَسروقٍ: «انطلقْ بِنا إلى مَشرَّقكُم يَعني المُصلَّى الّذي يُصَلّى فيهِ العِيدُ»[4]، ويقالُ لِمَسجِدِ الخَيفِ المُشَرَّقُ، وأيَّامُ التَّشريقِ: ثَلاثةُ أيَّامٍ تَليَ عِيدَ النَّحرِ؛ سُمِّيَت بذلكَ مِن تَشريقِ اللَّحمِ، وهوَ تَقديدُهُ وبَسْطُهُ في الشّمسِ؛ لِيَجِفَّ؛ لأنَّ لُحومَ الأضاحِي كانَت تُشَرَّق فيها بِمِنى؛ وقيلَ: سُمِّيَت بهِ

(١) ومنه في حاشية الأصل: كَما نَذكرُهُ في قَولِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، [سورة البقرة ٢: ١٢٤].

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٦٠، حديث رقم: ٣٣١.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ٢: ١٠، حديث رقم: ٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٤.

لأنَّ الهَدْيَ والضَّحايا لا تُنحَرُ حَتَّى تَشرُقَ الشّمسُ، أي: تَطلُعَ، وفيهِ: إنَّ المشركينَ كانُوا يَقولونَ: أَشْرِق ثَبيرُ كَيما نَغيرَ[1]، وثَبيرُ: جَبَلٌ بينَ المِنى والمَشعَرِ، أي: أُدخُل أيُّها الجَبَلُ في الشُّروقِ كَيما نَغيرُ، أي: نَدفَعُ الأضاحِي والهدايا للنَّحرِ، وذَكَرَ بعضُهُم: أنَّ أَيَّامَ التّشريقِ بِهذا سُمِّيَت بهِ، وفي حَديثِ ابنِ عَبّاس: (في السَّماءِ بابٌ للتّوبةِ يقالُ لهُ المِشريقُ، وقَد رُدَّ حَتَّى ما بَقِيَ إلَّا شَرقُهُ)[2]، أي: الضّوءُ الّذي يَدخُلُ مِن شَقِّ البابِ.

بَيانُ الدّيُّوث:

وفي الحديثِ: «إذا كانَ الرّجلُ لا يُنكِرُ عَمَلَ السّوءِ على أهلِهِ جاءَ طائرٌ يُقالُ لهُ: القَرْقَفِيَّةُ[3]، فَيَقَعُ على مِشريقِ بابِهِ فَيَمكُثُ أربعينَ يومًا، فإن أنكَرَ طارَ، وإن لَم يُنكِرْ مَسَحَ بجَناحَيهِ على عَينَيهِ فَصارَ قُنْذُعًا[4] دَيُّوثًا»[5].

وفي الحديثِ: «لا تَستَقبِلوا القِبلَةَ ولا تَستَدبروها، لكن شَرِّقُوا أو غَرِّبُوا»[6]، هذا أمرٌ لِمَن كانَت قِبلَتُهُ مِن جِهةِ الجَنوبِ أو الشِّمالِ، فأمَّا مَن كانَت قِبلَتُهُ المَشرِقَ أو المَغرِبَ فَلا يَجوزُ أن يُشَرِّقَ أو يُغَرِّبَ، والشَّرَقُ مُحَرَّكَةً: غَصُّ الرّيقِ والماءِ في الحَلقِ وعَدَمُ القُدرَةِ في إساغَتِهِ وابتِلاعِهِ، والشَّرقاءُ: ناقَةٌ مَشقُوقَةُ الأُذنَينِ، وفي الحديثِ: (نُهِيَ أن يُضَحّى الشّرقاءُ)[7].

والمَغرِبُ والمَغيبُ مِنَ النّظائرِ، وهوَ في الأصلِ: مَوضِعُ الغُروبِ، ثمَّ استُعمِلَ في المَصدَرِ والزَّمانِ، وقِياسُهُ الفَتحُ لكنِ اُستُعمِلَ في الكَسرِ كَالمشرِقِ والمَسجِدِ، يقالُ: غَرَبَتِ الشّمسُ تَغرُبُ: إذا غابَت.

---

(1) ومنه في حاشية الأصل: يقالُ: أغارَ إغارَةَ الثّعلبِ: إذا دَفَعَ في السَّيرِ وأسرَعَ مِن فائق.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٤.

(3) وجاء في نسخة المصدر المعتمد وغيره بلفظ: (القَرْقَفَنَّةُ).

(4) القُنذُع: الدّيّوث، الذي لا غيرة له. العين: ٢: ٢٩٦، (قنذع)، والصحاح: ١: ٢٨٢، (الديّوث).

(5) الفائق في غريب الحديث: ٢: ١٩٧، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٥.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٥.

(7) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٤٦٦.

والشّرقاء: الشّاةُ المشقوقةُ الأُذن باثنين. لسان العرب: ١٠: ١٧٧، (شرق).

مَعنى الغَريب ومَعاني الغرب:

وأصلُ الغَربِ: الحِدَّةُ والتّباعدُ، وغُربَةُ النَّوَى بُعدُ المُنتَأى، ومنهُ سُمِّيَ الغَريبُ غَريبًا؛ لِبُعدِهِ مِن بِلادِهِ، وغَربُ السّيفِ: حَدُّهُ، سُمِّيَ بذلكَ؛ لأنَّهُ يَمضي فَلا يُرَدُّ، وفي الحديثِ: «إنَّ رَجلًا قالَ لهُ: إنَّ امرَأَتي لا تَرُدُّ يَدَ لامِسٍ، فقالَ: أغرِبْها»[١]، أي: أبعِدها، يريدُ الطّلاقَ، يقالُ: هَل مِن مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ؟ أي: هَل مِن خَبَرٍ جَديدٍ مِن بَلَدٍ بَعيدٍ؟ والغَرْبُ بسُكونِ الرّاءِ: الدَّلْوُ العظيمَةُ الّتي تُتَّخَذُ مِن جِلدِ ثَورٍ، وفي حَديثِ الزّكاةِ: «وما سُقِيَ بالغَربِ فَفيهِ نِصفُ العُشْرِ»[٢].

والوَجهُ والجِهَةُ والوِجهَةُ مِنَ النَّظائرِ، مِثَلَ الوَزنِ والزِّنَةِ، والوّعدِ والعِدَةِ، والوَجهُ: القَصدُ، قالَ الشّاعرُ:

استَغفِرِ اللهَ ذَنبًا لَستَ مُحصِيَهُ ... رَبَّ العِبادِ إليهِ الوَجهُ[٣] والعَمَلُ[٤]

أي: إليهِ القَصدُ بالعِبادَةِ، والوَجهُ: الذّاتُ، والوَجهُ: الرّضوانُ، والوَجهُ: مُستَقبلُ كُلِّ شيءٍ، والوَجهُ: الجِهَةُ، وفي حَديثِ أمِّ سَلَمَةَ لعائِشَةَ حينَ خَرَجَت إلى البَصرَةِ في حَربِ عليٍّ عليه السلام: «قَد وَجَّهتِ سِدافَتَهُ»[٥]، أي: أخَذتِ وَجهًا هَتَكْتِ سِترَكِ وأزَلتِ سِدافَتَهُ وهيَ الحِجابُ مِنَ المَوضِعِ الّذي أُمِرتِ أن تَلزَميهِ مِن قَولِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٣٤٩، وفي الكافي: ٣: ٥١٣، حديث رقم: ٣، والاستبصار: ٢: ١٥، حديث رقم: ٤٢ مثله.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: والوَجهُ: وَجنَةُ الانسانِ، والوَجهُ: الطّريقُ، ومنهُ قَولُ الشّاعرِ:

لَم تَلقَ هذا الوَجهَ شَمسُ نَهارِنا ... إلَّا بِوَجهٍ لَيسَ فيهِ حَياءُ

والوَجهُ الأوَّلُ في البيتِ هوَ الوَجهُ المَعروفُ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة ٥: ٦]، والثّاني هوَ: الطّريقُ والطّرَفُ، أو على سَبيلِ المُشاكَلَةِ والمَجازِ.

(٤) البيت مجهول القائل. وهو من شواهد سيبويه: ١: ٣٧، وينظر: خزانة الأدب: ٣: ١٠٦.

(٥) معاني الأخبار: ٣٧٦، والاختصاص: ١١٧، وغريب الحديث لابن قتيبة: ٢: ١٨٦.

(٦) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

والسِّعَةُ والفسحَةُ مِنَ النّظائرِ، والواسِعُ مِن اسمائِهِ تعالى هوَ: الغَنِيُّ؛ سُمِّيَ بِهِ لِسِعَةِ مَقدوراتِهِ يفعَلُ ما يشاءُ، والكَثيرُ الرَّحمةِ؛ لِكَثرَةِ رَحمتِهِ، فهوَ الّذي وَسِعَ غِناهُ كَلَّ فَقيرٍ، ورَحمَتُهُ كُلَّ شَيءٍ، يقالُ: وَسِعَهُ الشّيءُ يَسِعَهُ سِعَةً فهوَ: واسِعٌ، ووَسُعَ بالضَّمِّ كَحَسُنَ وَساعَةً فهوَ: [٤٧٧] وَسيعٌ، والوُسْعُ والسّعَةُ الجِدَةُ والطّاقَةُ، وفي الحديث: «إنَّكُم لَن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالِكُم فَسَعُوهُم بأخلاقِكُم»[١] أي: لا تَتَّسِعَ أموالُكُم لِعَطائِهِم فَوَسِّعُوا أخلاقَكُم لِصُحبَتِهِم.

يقالُ: جَمَلٌ وَساعٌ بالفَتحِ، أي: واسِعُ الخَطوِ سَريعُ السّيرِ، وفي حديثِ جابرٍ: (فَضَرَبَ رسولُ الله ﷺ عَجُزَ جَمَلي وكانَ فيهِ قِطافٌ فانطَلَقَ أوسَعَ جَمَلٍ رَكِبتُهُ قَطُّ)[٢] أي: أسرَعَ جَمَلٍ سَيرًا، وأوسَعَهُ خَطْوًا، وضِدُّ السّعَةِ الضِّيقُ، وأوسَعَ الرّجلُ: إذا صارَ ذا سَعَةٍ في المالِ، فهوَ حينئذٍ لازِمٌ، نَحو: أغَدَّ البَعيرُ وأصرَمَ النَّخلُ وأجرَبَ الرّجُلُ، أي: صارَ ذا غُدَّةٍ وذاتَ صِرامٍ وذا جَرَبٍ.

الإعراب:

(لله): خَبَرٌ مَقدّمٌ، و(اللّامُ) فيهِ للمُلكِ، و(المَشرِقُ): مُبتدأٌ مُؤخّرٌ، و(المَغرِبُ): عَطفٌ عليهِ، وإنَّما وَحّدَ المَشرِقَ والمغربَ؛ لأَنَّهُ أرادَ الجِنسَ، فَدَلَّ على الجَمعِ كَما في قَولِهِم: أهلَكَ النّاسَ الدِّينارُ والدِّرهَمُ، أو باعتِبارِ النّاحيَةِ والسّمتِ[٣] والجِهَةِ، وقالَ تعالى في مَوضِعٍ آخَرَ مِنَ القرآنِ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٤] بصيغَةِ التّوحيدِ أيضًا، وفي مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[٥] بصيغَةِ التّثنيَةِ، وفي مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا

(١) أمالي الصدوق: ٦٢، حديث رقم: ٢٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٥٨، ومن لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٩٤، حديث رقم: ٥٨٣٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥: ١٨٤.

والقطاف: الضّيّق المشي. الصحاح: ٤: ١٤١٧، (قطف).

(٣) أي: الطريقُ. الصحاح: ١: ٢٥٤، (سمت).

(٤) سورة المزمّل ٧٣: ٩.

(٥) سورة الرحمن ٥٥: ١٧.

لَقَادِرُونَ﴾[١] بصيغةِ الجمعِ، فَوجهُ التّوفيقِ بينَ هذهِ الآياتِ ونَحوِها إنَّ جَمعيَّتَها باعتِبارِ كُلِّ يومٍ مِن أيَّامِ السّنَةِ، بَيانُ ذلكَ:

إنَّ للشّمسِ في أوَّلِ السّرَطانِ إلى آخِرِ القَوسِ، وهيَ سِتَّةُ أشهُرٍ في كُلِّ يومٍ مَشرِقًا ومَغرِبًا، ومَجموعُ ذلكَ مائةٌ واثنانِ وثَمانونَ يومًا، هذا باعتِبارِ ذَهابِ الشّمسِ مِن أوَّلِ السّرَطانِ إلى آخِرِ القَوسِ، ولَها مِن أوَّلِ الجَدي إلى آخِرِ الجَوزاءِ وهيَ سِتّةُ أشهُرٍ أُخَرَ باعتِبارِ العَودِ في كُلِّ يومٍ مَشرِقٌ ومَغربٌ مَجموعُ ذلكَ مائةٌ وثَلاثةٌ وثَمانونَ يومًا فَيكونُ مَجموعُ كُلِّ واحدٍ مِنَ المَشرِقِ والمَغرِبِ ثَلاثَمائة وخَمسَةً وسِتِّينَ مَشرِقًا ومِثلَهُ مَغرِبًا، هذا كُلُّهُ بَيانٌ لجمعيَّتِها، وأمَّا تَثنيَتُهُما فَباعتِبارِ مَجموعِ الذّهابِ الّذي هوَ مائةٌ واثنانِ وثَمانونَ يومًا، ومَجموعِ العَودِ الّذي هوَ مائةٌ وثلاثةٌ وثَمانونَ يومًا، وأمَّا إفرادُهُما فَباعتِبارِ اجتِماعِ تَمامِ الذّهابِ والعَودِ الّذي هوَ ثَلاثُمائة وخَمسَةٌ وسُتّونَ.

و(أينَ): ظرفُ مَكانٍ، وهيَ هنا مِن أسماءِ الشّرطِ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾[٢]، وقولِهِ تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾[٣]، و(ما) في مثلِها كَلمةٌ تُهيّئ (أينَ) لِعَملِ الجَزمِ؛ فَلِذا لَم يُجازِ بـ(إذْ وحيثُ) حَتَّى تُضَمَّ إليهِما (ما) يُقالُ: حيثُما تكُنْ أكُنْ، وإذما تَقُمْ أقُمْ، ولا يقالُ: حيثُ تكُنْ أكُنْ وإذ تَقُمْ أقُمْ، لكن (أينَ) يَجزِمُ الفِعلَينِ الشّرط والجَزاء بدونِ (ما) أيضًا، مثلَ: أينَ تُسافِرْ أُسافِرْ مَعَكَ، بجَزمِ الفِعلَينِ، وقالَ الشّاعرُ:

أينَ تَصرِفْ بِنا الغَداةَ تَجِدْنا   نَصرِفُ العِيسَ نحوَها للتَّلاقِي [٤]

وبُنِيَ (أينَ) لِتَضمُّنِهِ مَعنى حَرفِ الشّرطِ كَما بُنِيَ في الاستِفهامِ لِتَضمُّنِهِ مَعنى حَرفِ الاستِفهامِ،

(١) سورة المعارج ٧٠: ٤٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٤٨.

(٣) سورة النساء ٤: ٧٨.

(٤) البيت من الخفيف، نسبه سيبويه في الكتاب: ٣: ٥٨، لابن همام السّلولي، وقد أوردهُ بلفظِ: (أينَ تضرِبْ بنا العُداةُ تجدنا)، وهو بلا نسبة في المقتضب: ٢: ٤٨، وشرح تسهيل الفوائد: ٤: ٧٢.

كَقولِهِ تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[1]، وبُنِيَ على الحَرَكَةِ لالتِقاءِ السّاكنينِ، وعلى الفَتحِ لِلخِفَّةِ.

و(تُوَلُّوا) مجزومٌ بـ(أينَ)، وعَلامةُ جَزمِهِ سُقوطُ النّونِ، وهوَ مُضارعٌ مَعلومٌ من بابِ التّفعيلِ لِجمعِ المُذَكّرِ المُخاطَبِ، فَـ(أينَ) مَنصوبُ الموضِعِ: ظَرفٌ لِـ(تُوَلُّوا)، ومَفعولُهُ وظَرفُهُ الآخَرُ محذوفانِ، أي: فَأينَما تُوَلُّوا وُجوهَكُم شَطْرَ القِبلَةِ، ثمَّ نُزِّلَ مَنزلَةَ اللّامِ بعدَ حَذفِهِا كَأنَّهُ مِن جِنسِ الأفعالِ غَيرِ المُتعدِّيَةِ كَقَولِهِم: فُلانٌ يُعطِي ويَمنَعُ ويَصِلُ ويَقطَعُ، أي: فَفي أيِّ مَكانٍ فَعلتُم التّولِيَةَ شَطرَ القِبلَةِ فَثَمَّ وَجهُ اللهِ، على حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[2] أي: افعَلِ الصّلاحَ وأوجِدهُ ليَ في ذُرِّيَّتي، وقَولِ ذي الرُّمّةِ:

وإن تَعتَذِرْ[3] بالمَحْلِ مِن ذِي ضُرُوعِها ... إلى الضَّيفِ يَجرَحْ في عَراقِيبِها نَصلي[4]

فَعلى هذا لَيسَت هذهِ الآيَةُ في قِبلَةِ المُتحيِّرِ، بَل هيَ رَدٌّ على اليَهودِ والنَّصارَى والمجَسِّمَةِ، وفيهِ وَجهٌ آخَرَ على ما يَأتي في النُّزولِ لا يَحتاجُ إلى ذلكَ.

وجوابُ الشّرطِ: جُملَةُ (فَثَمَّ وَجهُ اللهِ)، و(الفاءُ): جَزائيَّةٌ ودُخولُها في مِثلِهِ واجبٌ؛ لِكَونِها جملةً اسميَّةً، (فَثَمَّ): اسمُ اشارَةٍ خَبرٌ مُقدَّمٌ؛ لِكَونِهِ ظَرفُ زَمانٍ مُعيَّنٍ وإنَّما بُنِيَ (ثَمَّ) لِكَونِهِ مُشابهًا بحرفِ إشارَةٍ غَيرِ مَوضوعٍ، وكانَ القِياسُ أن يُوضَعَ لِلإشارَةِ أيضًا حَرفٌ كَما وُضِعَ لِسائرِ المَعانِي المُتضمِّنَةِ مَعنى الحَرفِ حَرفٌ، فَإنَّهُ وُضِعَ لِكُلِّ مَعنًى مِنَ المَعاني حَرفٌ كَما وُضِعَ للتّنبيهِ: ها وألا وأمَا،

---

(١) سورة التكوير ٨١: ٢٦.

(٢) سورة الأحقاف ٤٦: ١٥.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: وإن تَعتذِرْ البيت، الاستشهادُ في قولِهِ: يَجرَحْ، حذفَ مَفعولَهُ وهوَ غيرُ مُرادٍ؛ لأنَّ مَقصودَهُ إيقاعُ الجَرحِ في عَراقيبِها لا أنَّهُ يُصيبُ مَوضعًا مُعَيَّنًا، والضّميرُ في تَعتذِرْ للنَّاقةِ، والمَحْلَ: ضِدُّ الخِصْبِ، وذو ضُروعِها: هوَ اللَّبَنُ كما يقالُ ذو بَطنِها ويُرادُ بهِ الجَنينُ، والعَراقِيب: جمعُ عُرقوب، وهوَ العَصَبُ الغَليظُ، يَصفُ ذو الرُّمَّةِ نفسَهُ بالكَرَمِ، يقولُ: إن اعتَذَرتِ النّاقةُ بقِلَّةِ اللَّبَنِ بِسَبَبِ المَحْلِ والقَحطِ، أي: لَم يكن لَها لَبَنٌ، يَجرَح نَصلي في عَراقِيبِها، يعني: أوقَعتُ الجَرحَ فيها وسَخَرتُها لأجلِ الأضيافِ وجَعلتُ اللّحمَ بَدَلَ اللَّبنِ، ونَصلِي: فاعلُ يَجرح، والمرادُ بالنَّصلِ هنا: السَّيفُ.

(٤) البيت من الطويل. ديوانه: ٦١، وينظر: خزانة الأدب: ٢: ١١١.

وللخِطابِ: الكافُ، وللتَّشبيهِ: الكافُ وكَأنَّ، وللاستِثناءِ: إلّا، وللتَّفسيرِ: أي وأن، وللتَّمنِّي: لَيتَ، وللتَّرجِّي: لَعَلَّ، وللاستِدراكِ: لكنَّ، وللتَّقريبِ: قَد، وللاستِقبالِ: سَوفَ والسّين، وللنَّفي: ما ولا وإن، وللشَّرطِ: إن، إلى غيرِ ذلكَ، فَبُنِيَ جَميعُ أسماءِ الاشارةِ إلّا ما استُثنِيَ لِشَبَهِها في المَعنى حَرفَ اشارةٍ غَيرِ موضوعٍ كَما بَيَّنّاهُ مُفَصَّلًا في شَرحِنا المُسمَّى بزينةِ السّالِكِ، وبُنِيَ (ثَمَّ) على الحَرَكَةِ لالتِقاءِ السّاكنينِ وعلى الفَتحِ للخِفَّةِ.

وقالَ في المجمَعِ: «وإنَّما بُنِيَ ثَمَّ في الأصلِ؛ لأنَّهُ معرفةٌ، وحُكمُ الاسمِ المُعرَّفِ أن يكونَ بحَرفٍ، فَبُنِيَ لِتضمُّنِهِ مَعنى الحَرفِ الّذي يكونُ فيهِ التَّعريفُ والعَهدُ، ألا تَرى أنَّ ثَمَّ لا يُستَعمَلُ إلّا في مَكانٍ مَعهودٍ مَعروفٍ لمخاطِبَكَ»[1]، انتهى.

فهوَ عندَهُ ﷺ مِثلَ (أمسِ) في كَونِهِ مُتَضمِّنًا للّامِ المُعرِّفَةِ، وهذهِ العلّةُ لا تَجري في جَميعِ أسماءِ الإشارةِ، وإعرابُ الباقي: واضِحٌ. [٤٧٨]

النُّزول:

أُختُلِفَ في سَببِ نُزولِ هذهِ الآيةِ، عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «أنَّها نَزَلَت في قِبلَةِ المُتحيِّرِ»[2]، في الفَقيهِ: «وسَألَهُ معاويةُ بنُ عَمّارٍ عَنِ الرّجُلِ يقومُ في الصّلاةِ، ثمَّ ينظُرُ بعدَما فرغَ فَيَرى أنَّهُ قد انحَرَفَ عَنِ القِبلَةِ يَمينًا وشِمالًا، فَقالَ لهُ: قَد مَضَت صَلاتُهُ، وما بينَ المَشرِقِ والمَغربِ قِبلَةٌ، ونَزَلَت هذهِ الآيةُ في قِبلَةِ المُتحيِّرِ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾»[3]، انتهى.

وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ ابراهيمَ: «إنَّها نَزَلَت في صَلاةِ النّافلَةِ تُصلِّيها حيثُ تَوَجَّهتَ في السّفرِ، أمّا الفَرائضُ فَقولُهُ تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[4] يعني: الفرائضَ لا تُصلِّيها إلّا إلى القِبلَةِ»[5]، انتهى.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٥٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١: ٢٧٦، حديث رقم: ٨٤٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١: ٢٧٦، حديث رقم: ٨٤٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٥) تفسير القمّي: ١: ٥٩.

وفي المجمَعِ: «إنَّها نَزَلَت في صَلاةِ التّطوّعِ على الرّاحلَةِ تُصلِّيها حيثُما توجَّهتَ إذا كُنتَ في سَفَرٍ، وأمَّا الفرائضُ فقَولُهُ تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يَعني: إنَّ الفرائضَ لا تُصلِّيها إلّا إلى القِبلَةِ، وهذا هوَ المَروي عَن أئمَّتِنا عليهم السلام، قالُوا: وصَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ايماءً على راحِلَتِهِ أينَما تَوجَّهَت بهِ حيثُ خَرَجَ إلى خَيبَرَ، وحينَ رَجَعَ مِن مَكَّةَ، وجَعَلَ الكَعبَةَ خَلفَ ظَهرِهِ»[1].

والعَيَّاشي: عَنِ الباقرِ عليه السلام: «أنزَلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ في التّطوّعِ خاصّةً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وصَلَّى رَسولُ الله صلى الله عليه وآله ايماءً على راحلَتِهِ أينَما توجَّهَت بهِ حيثُ خَرَجَ إلى خَيبَرَ، وحينَ رَجَعَ من مَكَّةَ وجَعَلَ الكَعبَةَ خَلفَ ظَهرِهِ»[2]، «وقالَ زرارةُ: قُلتُ لأبي عبدِ الله عليه السلام: الصّلاةُ في السَّفرِ في السّفينةِ والمَحمَلِ سَواءٌ؟ قالَ: النّافلَةُ كُلُّها سَواءٌ، تُومِئُ ايماءً أينَما تَوجَّهَت دابَّتُكَ وسَفينَتُكَ، والفَريضَةُ تَنزِلُ لها منَ المَحمَلِ إلى الأرضِ إلّا مِن خَوفٍ، فَإن خِفتَ أومَأتَ، وأمَّا السّفينةُ فَصَلِّ فيها قائمًا وتَوَخَّ[3] القِبلَةَ بجَهدِكَ فإنَّ نوحًا عليه السلام قَد صَلَّى الفَريضَةَ فيها قائمًا مُتوجِّها إلى القِبلَةِ وهيَ مُطَبَّقَةٌ عليهِم، قالَ: قُلتُ: وما كانَ عِلمَهُ بالقِبلَةِ فَيَتَوجَّهُها وهيَ مُطبَقَةٌ عليهِم، قالَ: كانَ جبرئيلُ عليه السلام يُوجِّهُهُ نَحوَها، قالَ: قُلتُ: فَأَتَوجَّهُ نَحوَها في كُلِّ تكبيرٍ؟ قالَ: أمَّا النّافلَةُ فَلا، إنَّما تُكَبِّرُ في النّافلَةِ على غَيرِ القِبلَةِ، ثمَّ قالَ: كُلُّ ذلكَ قِبلَةٌ للمُتَنَفِّلِ، إنَّهُ سبحانهُ قالَ: **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**»[4].

والعَيَّاشي وفي العِلَلِ: عنهُ عليه السلام: أنَّهُ سُئِلَ عَن رَجلٍ يَقرَأُ السَّجدَةَ وهوَ على ظَهرِ دابَّتِهِ؟ قالَ: «يَسجُدُ حيثُ تَوجَّهَت، فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يُصَلِّي على ناقَتِهِ النّافلَةَ وهوَ مُستقبلٌ المدينَةَ، يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**»[5]، «وَرُوِي عَن جابرٍ قالَ: بَعَثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله سَريَّةً كنتُ فيها فَأصابَتنا ظُلمَةٌ فَلَم نَعرِفِ القِبلَةَ، فقالَ طائِفَةٌ مِنَّا: قَد عَرَفنا القِبلَةَ هيَ ههنا

(١) مجمع البيان: ١: ٣٥٨.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، حديث رقم: ٨٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: فعلُ أمرٍ من التّوَخّي، وهو للاختيار.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٥٦، ٥٧، حديث رقم: ٨١.

(٥) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٢، وعلل الشّرائع: ٢: ٣٥٩، حديث رقم: ١.

قِبَلَ الشّمالِ فَصَلُّوا وخَطُّوا خُطوطًا، وقالَ بعضُنا القِبلَةَ ههنا قِبَلَ الجنوبِ فَخَطُّوا خُطوطًا، فَلَمّا أصبَحُوا وطَلَعَتِ الشّمسُ، أصبحَت تلكَ الخُطوطُ لِغَيرِ القِبلَةِ، فلَمّا قَفَلنا[1] مِن سَفَرِنا سَألنا النَّبيَّ ﷺ عَن ذلكَ فَسَكَتَ، فأنزَلَ اللهُ هذهِ الآيةَ»[2]، فَهِيَ قِبلَةُ المُتحيِّرِ، و«قالَ ابنُ عبّاس: إنَّ اليَهودَ أنكَرُوا تَحويلَ القِبلَةِ عَن بَيتِ المَقدِسِ إلى الكَعبَةِ فنَزَلَت هذهِ الآيةُ رَدًّا عليهِم، واختارَهُ الجُبّائيُّ وقالَ: بَيَّنَ سبحانهُ أنَّهُ لَيسَ في جِهَةٍ دونَ جِهَةٍ ومَكانٍ دونَ مَكانٍ كَما تقولُ المُجسِّمَةُ، وقالَ قَتادَةُ: كانَ للمسلِمينَ التّوجّهُ إلى حَيثُ شاؤا في صَلاتِهِم وفيهِ نَزَلَت هذهِ الآيةُ، ثمَّ نَسخَ ذلكَ قَولُهُ تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3] وقالَ: وكانَ النَّبيُّ ﷺ قَد اختارَ التَّوجُهَ إلى بَيتِ المَقدِسِ وكانَ لَهُ أن يَتوَجّهَ إلى حيثُ شاءَ»[4].

المعنى:

﴿وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، أي: إنَّ ناحِيَتَي الأرضِ كُلُّها مُلكٌ لهُ تعالى، وهوَ خالِقُهُما وصانِعُهُما وهوَ سبحانهُ يَتولّى إشراقَ الشَّمسِ مِن مَشرِقِها وإغرابَها مِن مَغرِبِها، وهُما مُسخَّرانِ بأَمرِهِ دائِبانِ بإرادتِهِ، فَلَهُ الأرضُ فَلا يَختَصُّ بِهِ سبحانهُ مَكانٌ دونَ مَكانٍ وجِهَةٌ دونَ جِهَةٍ كَما تَقولُ المُجسِّمَةُ، **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾** فَفي أيِّ مَكانٍ فَعلتُم التَّولِيَةَ، أي: تَولِيَةَ وجوهِكُم شَطرَ القِبلَةِ بدَلالَةِ قَولِهِ تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ـ وقولِهِ ـ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[5]، **﴿فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾**، أي: جِهَتُهُ الّتي أمَرَ سبحانُهُ بِها ورَضِيَها، والمعنى: إذا مُنِعتُم أن تُصَلُّوا في المَسجِدِ الحَرامِ ونَحوهِ على ما مَرَّ في الآيةِ السّابقَةِ فَقد جَعلتُ لَكُم الأرضَ مَسجدًا فَصَلُّوا في أيِّ بُقعَةٍ مِن بِقاعِها وافعَلوا التَّولِيَةَ فيها إلى شَطرِ القِبلَةِ، فإنَّ إمكانَ التّولِيَةِ لا يَختَصُّ بمَسجِدٍ دونَ مسجدٍ

(١) القَفلُ: الرّجوعُ منَ السّفرِ. معجم مقاييس اللغة: ٥: ١١٢.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٨، وبحار الأنوار: ٨١: ٣١.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

(٤) التبيان: ١: ٤٢٤، ومجمع البيان: ١: ٣٥٨.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

ومَكانٍ دونَ مَكانٍ، أو فَثَمَّ يَقصدُ اللهَ سبحانهُ وَيَتَوجَّهُ القَصدُ إلى عِبادتِهِ، أو فَثَمَّ ذاتُهُ أي: عالِمٌ مُطّلِعٌ بِما يَفعَلُ فيهِ العِبادُ، هذا ما ذَكرناهُ في الإعرابِ مِن تَنزيلِ (تُوَلُّوا) مَنزِلَةَ اللّازمِ بعدَ حَذفِ مَفعولِهِ، فَعَلى هذا لا تَكونُ الآيةُ مَنسوخَةً، ولا في قِبلَةِ المَتحيِّرِ، بَل للرَّدِّ على الطّوائِفِ المذكورَةِ كَما يَجيءُ في قَولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1] الآية على وَجهٍ، أو المعنى: فَفي أيِّ مَكانٍ تَوجَّهتُم إليهِ فَهناكَ وَجهُ الله، أي: قِبلَةَ الله سبحانهُ، والوَجهُ والجِهَةُ والوِجهَةُ للقِبلَةِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[2] على وَجهٍ يَجيءُ إن شاءَ اللهُ تعالى، [٤٧٩]
أو ثَمَّ رضوانُ الله يَعني: الوَجه الّذي يُؤدِّي إلى رِضوانِهِ باعتِبارِ الانقِيادِ والطَّوعِ والقُبولِ لأمرِهِ سبحانه وعَدَمِ الإنكارِ كَما تَجيءُ الإشارَةُ إلى ذلكَ في حَديثِ الاحتِجاجِ، فهوَ تَمهيدٌ لِنَسخِ قِبليَّةِ بيتِ المَقدِسِ، وتَنزيهٌ لله سبحانهُ مِن أن يكونَ في حَيِّزٍ ومَكانٍ وجِهاتٍ مُعيّنةٍ، وأن يكونَ لَهُ وَجهٌ كَما تَقولُ المُجسِّمَةُ تَعالى عَمّا يَقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا؛ لأنَّهُ سبحانهُ لَو كانَ جِسمًا ولَهُ وَجهٌ جِسمانِي لَكانَ مُختَصًّا بجانِبٍ مُعَيَّنٍ وَجِهَةٍ مُعيّنَةٍ، فَلَمّا نَصَّ اللهُ عليهِ عُلِمَ أنَّهُ سبحانهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الجِسميَّةِ والجِهَةِ، فَإطلاقُ الوَجهِ لهُ تعالى عَلى سَبيلِ المَجازِ كَما يَجيءُ تَوضِيحُهُ في الأحاديثِ الآتِيَةِ إن شاءَ اللهُ، فَلَيسَت هذهِ الآيةُ على هذا الوَجهِ مَنسوخَةً أيضًا، بَل تَوطِئَةٌ لِنسخِ قِبلَةِ اليَهودِ وتَمهيدٌ لِما يأتي مِن قَولِهِ تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[3] الآية، أو المعنى: ولله المَشرِقُ والمَغرِبُ، فَفي أيِّ مَكانٍ اشتَبَهَ عَليكُم القِبلَةُ الحَقيقيّةُ فَتُوَلُّونَ وُجوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ، أو ما بَينَ كُلِّ واحِدٍ بينَهُما وبينَ نُقطةِ الجَنوبِ مَثَلًا فَثَمَّ وَجهُ الله، أي: جِهَتُهُ المَرضيَّةُ وقِبلَتُهُ المأمورُ بِها وصَحَّت صَلاتُكُم الفَريضَةُ إليها فَتكونُ حينئذٍ هذهِ الآيةُ لِبيانِ قِبلَةِ المُتحيِّرِ على ما مَرَّ في النُّزولِ، أو المَعنى: ولله المَشرِقُ والمَغرِبُ فَفِي أيِّ مَكانٍ وإلى أيِّ جِهَةٍ سافرتُم وتَوَجَّهَت دَوابُّكُم إليها فَصَلُّوا صَلَواتَكُم

(١) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٤٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

النّوافِلَ إليها؛ لأنَّ ثَمَّ وَجهُ [الله] وجِهَتُهُ المأمورِ بها مِن غَيرِ حاجَةٍ إلى القِبلَةِ، فَتكونُ حينئذٍ لِبَيانِ قِبلَةِ النَّوافِلِ في السَّفَرِ، بَل في الحَضَرِ أيضًا، بَل قِبلَةِ سَجدَةِ التّلاوَةِ أيضًا.

﴿**إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ**﴾، أي: غَنِيٌّ عَن طاعَتِكُم وعبادَتِكُم وإنَّما يُريدُ مَنافِعَكُم وإطاعَتَكُم لِأوامِرِه، وواسِعُ المَرحَمَةِ وواسعُ المَقدورِ يَفعلُ ما يَشاءُ، فَوَسَّعَ لِعبادِهِ، ورَخَّصَ ووَسَّعَ في الدِّينِ، ولَم يَجعَلْ فيهِ الضّيقَ والحَرَجَ؛ لِقولِهِ تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١)، أي: ضِيقٍ، فَتبطُلَ(٢) صَلاةُ مَن صَلَّى إلى المَشرِقِ والمَغرِبِ وما بَينَهُما على ما مَرَّ في صُورَةِ التَّحيّرِ أو في النّافلَةِ.

﴿**عَلِيمٌ**﴾ بمَصالِحِ عِبادِهِ وأعمالِهِم في الأماكِنِ كُلِّها، وعَليمٌ بِوجُوهِ الحِكمَةِ فيَأمُركُم في كُلِّ وَقتٍ بِما يُصلِحُ أحوالَكُم، فَبادِرُوا إلى ما أمَرَكُم بِهِ، عالِمٌ بنِيّاتِكُم أينَما صَلَّيتُم ودَعَوتُم.

قالَ في المجمَعِ: «وَجهُ اتِّصالِ هذهِ الآيةِ بما قَبلَها: إنَّ التَّقديرَ: لا يَمنَعكُم تَخريبُ مَن خَرَّبَ المَساجِدَ أن تَذكُروهُ سبحانهُ حيثُ كُنتُم مِن أرضِهِ، فَللّهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ، والجِهاتُ كُلُّها، عَن عَليِّ بنِ عِيسى، وقيلَ: لمَّا تَقدَّمَ ذِكرُ الصّلاةِ والمساجِدِ عَقَّبَهُ بذِكرِ القِبلَةِ»(٣)، انتهى.

في كِتابِ الخِصالِ(٤): «في سُؤالِ بعضِ اليَهودِ عَليًّا عليه السلام: إلى أن قالَ لَهُ اليَهودِيُّ: فَأينَ وَجهُ رَبِّكَ؟ فقالَ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام: يا ابنَ عَبّاس ائتِني بنارٍ وحَطَبٍ، فَأتاهُ بنارٍ وحَطَبٍ فَأضرَمَها ثُمَّ قالَ: يا يَهودِيُّ أينَ يَكونُ وَجهُ هذهِ النّارِ؟ فقالَ: لا أقِفُ لَها عَلى وَجهٍ، قالَ عليه السلام: رَبِّي عَزَّ وجَلَّ على هذا المَثَلِ، ﴿**وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**﴾»(٥).

وفيهِ أيضًا: «بإسنادِهِ إلى سلمانَ الفارسيِّ في حديثٍ طويلٍ يَذكُرُ فيهِ قُدومَ الجاثَليقِ(٦) بالمدينَةِ مَعَ مائةِ

---

(١) سورة الحج ٢٢: ٧٨.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: منصوبٌ بـ(أن) مضمرةٌ في جوابِ النّفي.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٥٩.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: ذكرُ الأحاديثِ على أنَّ إطلاقَ الوَجهِ عَليهِ تعالى عَلى سَبيلِ المَجازِ كَما وَعدناهُ.

(٥) الخصال: ٥٩٧، حديث رقم: ١.

(٦) الجاثَليق: رئيسُ النّصارى في بلاد الإسلام. القاموس المحيط: ٣: ٢١٧، (الجاثليق).

مِنَ النّصارَى بعدَ وَفاةِ النَّبيِّ ﷺ، وسُؤالِهِ أبا بَكرٍ عَن مَسائلٍ لَم يُجبْهُ عَنها، ثَمَّ أرشَدَهُ إلى أميرِ المؤمنينَ عليه السلام فَسَألَهُ عَنها، فكانَ مِمّا سَألَهُ أن قالَ لهُ: أخبِرني عَن وَجهِ الرَّبِّ تَبارَكَ وتَعالى، فَدَعا عَليٌّ عليه السلام بنارٍ وحَطَبٍ فَأضرَمَهُ فَلَمّا اشتعَلَت قالَ عَليٌّ عليه السلام: أينَ وَجهُ هذهِ النّارِ؟ قالَ النَّصرانيُّ: هيَ وَجهٌ مِن جَميعِ حُدودِها، فقالَ عَليٌّ عليه السلام: هذهِ النّارُ مُدَبَّرَةٌ مَصنوعَةٌ لا تَعرِفُ وَجهَها، وخالِقُها لا يَشبَهُها **﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾** لا يَخفَى عَلى رَبِّنا خافِيَةٌ»[1]، ومثلهُ في كِتابِ التّوحيدِ: عَن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه في حديثِ الجاثَليقِ[2].

ذِكرُ البِداءِ الّذي لا يَجوزُ على الله تعالى:

وفي الاحتِجاجِ للطّبرِسِي رحمه الله في بَيانِ نَسخِ قِبليَّةِ بيتِ المَقدِسِ: إلى أن قالَ أبو مُحَمَّدٍ العَسكريّ عليه السلام: «قالَ رسولُ الله ﷺ لِقَومٍ مِنَ اليَهودِ: أليسَ اللهُ يَأتي بالشِّتاءِ في أثَرِ الصّيفِ، والصّيفِ بعدَ الشّتاءِ، أبَدًا لَهُ في كُلِّ واحِدٍ مِن ذلكَ؟ قالُوا: لا، قالَ: فَكَذلكَ لَم يَبدُ لَهُ في القِبلَةِ، قالَ: ثُمَّ قالَ: أوَ لَيسَ قَد ألزَمَكُم في الشّتاءِ أن تَحتَرِزُوا مِنَ البَردِ بالثِّيابِ الغَليظَةِ، وألزَمَكُم في الصّيفِ أن تَحتَرِزُوا منَ الحَرِّ، أفَبَدا لَهُ في الصّيفِ حِينَ أمَرَكُم بخِلافِ ما كانَ أمَرَكُم بِهِ في الشِّتاءِ؟ قالوا: لا، فقالَ رسُولُ الله ﷺ: فكذلكَ اللهُ تَعَبَّدَكُم في وَقتٍ لِصَلاحٍ لِعلمِهِ بِشيءٍ، ثُمَّ تَعَبَّدَكُم في وَقتٍ آخَرَ لِصَلاحٍ آخَرَ لِعلمِهِ بشيءٍ آخَرَ، فإذا أطَعتُمُ اللهَ في الحالَتَينِ استَحقَقتُمُ ثَوابَهُ، فَأنزَلَ اللهُ تعالى: **﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**، يَعني: إذا تَوَجَّهتُم بأَمرِهِ إلى جِهَةٍ فَثَمَّ وَجهُ الله الّذي تَقصِدونَ منهُ اللهَ وتَأمُلونَ ثَوابَهُ»[3]، والحديثُ طويلٌ أخَذنا منهُ مَوضِعَ الحاجَةِ، ونَذكُرُ تَمامَهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[4] الآيةُ إن شاءَ اللهُ تعالى. [٤٨٠]

---

(١) لم يقف الباحث على الرواية بالنّصّ في كتابِ الخصالِ، وقد نقلها جميعُ مَن أوردها من كتاب التوحيد، كبحار الأنوار: ٣: ٣٢٨، حديث رقم: ٢٨، والتفسير الصافي: ١: ١٨٤، وقد جاءت بألفاظ قريبة منها في أجوبة مسائل اليهودي المارّة الذكر في الخصالِ.

(٢) التوحيد: ١٨٢، حديث رقم: ١٦.

(٣) الاحتجاج: ١: ٤٥.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٤٤.

تفسيرُ (وجهُ الله) بوَجهٍ آخَرَ:

وقَد فُسِّرَ وَجهُ الله: برَسُولِ الله ﷺ، والأئمَّةِ المَعصومينَ مِن أوصيائِه، في كِتابِ الاحتِجاجِ: عَن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ: قالَ السّائلُ: مَن هؤلاءِ الحُجَجُ؟ قالَ: «هُم رَسُولُ الله ومَن حَلَّ محَلَّهُ مِنَ الأصفياءِ الّذينَ قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾، الّذين قَرَنهُمُ اللهُ بِنَفسِهِ، ورَسُولِه، وفَرَضَ على العِبادِ مِن طاعَتِهِم مِثلَ الّذي فَرَضَ عِليهِم مِنها لِنَفسِهِ»(١)، وفيهِ قالَ أيضًا في الحُجَجِ: «وَهُم وَجهُ الله الّذي قالَ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُهُ﴾»(٢)، وفي المَناقِبِ لابنِ شَهرِ آشوب: عَنِ الرّضا عليه السلام: «قَولُهُ تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُهُ﴾، قالَ: عَليٌّ عليه السلام»(٣).

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦) ﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ ابنُ عامرٍ: (قالُوا) بغيرِ واوِ العَطف، فَتكونُ جملةً مُستأنَفَةً بيانيَّة لِما قَبلَها مِن كَونِهِم كافرينَ مُشركينَ، وعَدمِ كَونِهم على شَيءٍ مِنَ الدِّينِ الحَقِّ، فإنَّ الّذينَ قالُوا اتَّخَذَ اللهُ ولدًا مِن جملَةِ الّذينَ تَقَدَّمَ ذِكرُهُم، والباقونَ: بـ(الواو) لِتكونَ عَطفًا على ما تقَدَّمَ(٤)، كَما نُصرِّحُ في الإعرابِ للمُغايَرَةِ في الجملةِ.

اللغة:

أصلُ القُنوتِ: الدَّوامُ على الطّاعَةِ واللُّزومُ عليها، ويقعُ على مَعانٍ مُتعدِّدَةٍ:

ـ بمَعنى الصّلاةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(٥).

---

(١) الاحتجاج: ١: ٣٧٥.

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٧٥.

(٣) المناقب: ٣: ٦٤.

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٨، وتحبير التيسير في القراءات العشر: ١: ٢٩٣.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٤٣.

ـ وبمَعنى طُولِ القِيامِ، عَن (جابرِ بنِ عَبدِ الله أَنَّهُ سَألَ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الصّلاةِ أفضَلُ؟ قالَ: طول القُنوتِ)[1]، أي: طول القِيامِ.

ـ وبمَعنى الدّعاءِ، قالَ الخليلُ في عَينِ اللّغةِ: القُنوتُ في الصّلاةِ: دعاءٌ بعدَ القِراءَةِ في آخِرِ الوِترِ يدعو قائِمًا ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[2] [3]، أقولُ: ويُحتمَلُ قَويًّا أن يكونَ المعنى: أمَّنْ هوَ مُصَلٍ آناءَ اللّيلِ إلى آخِرِهِ.

ـ وبمَعنى السّكوتِ، وفي حَديثِ: (زيدِ بنِ أرقمَ: كُنَّا نَتكَلّمُ في الصّلاةِ حَتَّى نَزَلَت: ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[4] فأمسَكنا عِنِ الكَلامِ)[5] أرادَ بِهِ السّكوتَ، وفي الحديثِ: (تَفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن قُنوتِ ليلةٍ)[6].

ـ وبمَعنى الخُشوعِ والانقيادِ.

فَيَرِدُ القُنوتُ على المعاني المتَعدِّدَةِ فَيصرفُ في كُلِّ واحدٍ مِن هذهِ المعاني ما يَحتَمِلُهُ لَفظُ الآيةِ والحديثِ الواردَينِ فيهِ، وقالَ ابنُ الأنباري: (القُنوتُ على أربعَةِ أقسامٍ: الصّلاةُ، وطولُ القِيامِ، وإقامَةُ الطّاعَةِ، والسُّكوتُ)[7].

الإعراب:

(وقالُوا) بالواوِ العاطفَةِ: عَطفٌ على (قالَتِ اليَهودُ) أو عَلى جملةِ: (ومَن أظلَمُ أو عَلى مَنَع)، وأمَّا بغَيرِ الواوِ: فَهيَ مُستأنفةٌ كَما مَرّتِ الإشارَةُ في القراءَةِ، و(سبحانَهُ): جملةٌ تَنزيهيَّةٌ، وهوَ مفعولٌ

---

(١) مسند أحمد: ٣: ٣٠٢، وصحيح مسلم: ٢: ١٧٥، وقد ورد الحديث في الخصال: ٥٢٤، ومعاني الأخبار: ٣٣٣، ووسائل الشيعة: ٥: ٢٤٨، حديث رقم: ٦٤٦١ عن أبي ذرٍّ.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٩.

(٣) ينظر: العين: ٥: ١٢٩، (قنت).

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١١١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١١١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١١١.

مُطلقٌ لفِعلٍ مَحذوفٍ، (بَل): حَرفُ عَطفٍ لِنَفي ما قَبلَه، و(لهُ ما في السَّماواتِ): مُبتدأٌ وخَبَرٌ وصِلَةٌ للمَوصولِ، و(كُلٌّ): مُبتدأٌ خَبَرُهُ (قانِتونَ)، و(لَهُ): مُتعلِّقٌ بـ(قانِتونَ) قُدِّمَ للحَصرِ ونَحوِهِ، وتَنوينُ (كُلٌّ) عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إليهِ، أي: كُلُّ ما فيهِما، أو كُلُّ مَن جَعَلوهُ إلهًا ومَعبودًا مِنَ الملائِكةِ والمَسيحِ وعُزَيرٍ.

النُّزول:

نَزَلَت في اليَهودِ حيثُ قالُوا: عُزَيرٌ ابنُ الله، وفي النَّصارَى حيثُ قالُوا: المسيحُ ابنُ الله، وفي مُشرِكِي العَرَبِ حيثُ قالُوا: الملائِكَةُ بَناتُ الله.

المعنى:

لَمَّا حَكَى اللهُ سبحانهُ قَولَ اليَهودِ والنّصارَى وما قالُوهُ في أمرِ القِبلَةِ مِن مَنعِ المؤمِنينَ في دُخولِ المساجِدِ وإشراكِهِم لله مَخلوقَهُ، رَدَّ عَليهِم قَولَهم، وذِكْرَ مَقالَتِهِم في التَّوحيدِ، وأنكَرَ ما قالُوهُ أشَدَّ إنكارٍ، واستَدَلَّ على فَسادِهِ بخَمسَةِ أوجهٍ مِنَ الحُجَّةِ والبُرهانِ:

فَقالَ: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾**، أي: يُنَزِّهُ تنزيهًا وإجلالًا لَهُ تعالى عَنِ اتِّخاذِ الوَلدِ وارتِكابِ القَبائِحِ والسّوءِ والصّفاتِ الّتي لا تَليقُ بحالِهِ؛ لأنَّ ذلكَ يَقتضي التَّشبيهَ والاحتِياجَ والفَناءَ:

الحُجَّةُ الأولى:

ولِذا لَم تَتّخذِ الأجرامُ الفَلكيَّةُ مَعَ إمكانِها وفنائِها ما يكونُ كالوَلدِ لَها، مثلَ اتِّخاذِ الحَيوانِ والنّباتِ اختيارًا أو طَبعًا، مَعَ كَونِها باقيَةً ما دامَ العالَمُ.

و«سَأَلَ طَلحَةُ بنُ عُبيدِ الله[1] النَّبيَّ ﷺ عَن مَعنى قولِهِ تعالى: **﴿سُبْحَانَهُ﴾**، فَقالَ: تَنزيهًا لله عَزَّ وجَلَّ عَن كُلِّ سوءٍ»[2]، فَأشارَ أَوَّلًا إلى بُطلانِ ما قالُوهُ مِن قَولِهِم: اتَّخَذَ اللهُ ولدًا، بقَولِهِ: سبحانهُ، ثُمَّ

(١) هو: أبو محمد القرشيّ: أسلمَ في بداية الدعوة، وشهد المشاهد كلّها غير بدرٍ، قتَلَهُ مروانُ بنُ الحكم في وقعة الجمل سنة (٣٠هـ)، ودُفنَ بالبصرة، وله أربع وستون سنة، روى عنهُ جماعة. ينظر: الطبقات الكبرى: ٣: ٢١٤، والإكمال في أسماء الرجال: ١١٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١: ٥٠٢، والدعاء: ٤٩٨، حديث رقم: ١٧٥١.

استَدَلَّ ثانيًا عَلى فَسادِ ما قالُوهُ بقَولِهِ: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: لَيسَ الأمرُ كَما زَعمُوا بَل لهُ سبحانهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ مُلكًا لهُ، والوَلَدُ لا يكونُ مُلكًا للوالِدِ؛ لأنَّ البُنُوَّةَ والمُلكَ لا يَجتمعانِ كَما هوَ المُقرَّرُ في مَوضعِهِ، ولِذا احتَجَّ الفُقهاءُ على أنَّ مَن مَلَكَ وَلَدَهُ عُتِقَ عَليهِ؛ لأنَّهُ تعالى نَفَى الوَلَدَ بإثباتِ المُلكِ وذلكَ يَقتَضي تَنافيهما(١)، أو إنَّهُ سبحانهُ خالقُ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ مِن جملتِهِ الملائكةُ والمسيحُ وعُزيرٌ، والمَخلوقُ لا يكونُ مِن جِنسِ الخالِقِ بالضّرورَةِ، والوَلَدُ لا يكونُ إلّا مِن جِنسِ الوالِدِ.

الحُجَّةُ الثّانيةُ: [٤٨١]

أو بَل لهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ في كَونهِ فِعلًا لهُ تعالى، والفعلُ لا يكونُ مِن جِنسِ الفاعِلِ، والولَدُ من جِنسِ الوالِدِ، فكَيفَ تكونُ الملائكَةُ الّذينَ هُم في السّماءِ والمسيحُ وعُزَيرٌ اللّذَينِ هُما في الأرضِ وَلَدًا لهُ؟ فاستَدَلَّ بذلكَ على أنَّ الملائكَةَ والمَسيحَ وعُزَيرًا وغيرَهم عَبيدٌ لَهُ مَخلوقونَ مَملوكونَ، فَهم بمَنزلَةِ سائرِ مَخلوقاتِهِ.

الحُجَّةُ الثّالثةُ:

ثُمَّ احتجَّ ثالثًا عَلى فَسادِ ما قالوهُ بقَولِهِ: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾، أي: كُلُّ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ مُطيعونَ لهُ مُنقادونَ خاضِعونَ دائِمونَ على الإطاعَةِ والعُبوديَّةِ والانقيادِ لا يَمتَنِعونَ عَن مَشيئَتِهِ وتَكوينِهِ، أو كُلُّهُم قائمٌ لَهُم بالشَّهادَةِ والاقرارِ بالعبوديَّةِ، أو كُلُّهم مَقصورونَ في مُلكِهِ سبحانهُ يَتَصرَّفُ فيهِم كَيفَ يَشاءُ، أو كُلُّهُم دائمٌ على حالَةٍ واحدَةٍ بِما فيهِم مِن آثارِ مَصنوعِيَّتِهِم والدّلالةِ عَلى ربوبِيَّتِهِ تعالى لَهم، أو كُلُّ مَن جَعَلوهُ إلهًا مَعبودًا مِنَ الملائكَةِ والمسيحِ وعُزَيرٍ مُطيعونَ لهُ مُقِرُّونَ بالعُبودِيَّةِ، فَكلُّ ما كانَ بهذهِ الصّفاتِ لَم يُجانِسْ خالقَهُ ومُكَوِّنَهُ، الواجبَ لِذاتِهِ، غيرَ المُحتاجِ إلى غَيرِهِ مِنَ الصّاحِبةِ والوَلَدِ والشَّريكِ والمُعاوِنِ وغَيرِ ذلكَ، فَلا يكونُ لَهُ ولدٌ؛ لأنَّ الوَلَدَ لا يكونُ إلّا مِن جِنسِ والدِهِ فَلَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ ولَم يَتَّخذْ صاحِبَةً ولا وَلَدًا تَعالى عَن جَميعِ ذلكَ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: البُنُوَّة والمُلك.

فيكونُ إلزامًا بعدَ الحُجَّةِ والبُرهانِ.

دلالَةُ هذهِ الآية:

ففي الآيةِ دلالَةٌ على بُطلانِ قَولِهم بثَلاثَةِ أوجُهٍ كَما مَرَّ، وتَأتِي الحُجَّةُ الرّابعَةُ والخامِسَةُ في الآيةِ الآتيةِ، وإنَّما أتى بِما الّذي لِغَيرِ أُولي العِلمِ في قَولِهِ: ﴿**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ **إلى** آخرِه، ثمَّ قالَ: ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ عَلى تَغليبِ أُولي العِلمِ؛ تَعظيمًا لِشأنِ أُولي العِلمِ، وتَحقيرًا لِشأنِ العُقلاءِ الّذينَ جَعَلوهُم وَلدًا لهُ سبحانهُ كَما عَبَّرَ عَنِ الملائكَةِ في مِثلِ هذا المقامِ بلَفظِ الجِنَّةِ المُنبِئِ عَنِ التّستّرِ والخَفاءِ وكَمالِ الحَقارَةِ كَقَولِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[1] والمُرادُ بالجِنَّةِ الملائكَةُ فَعبَّرَ عنهُم بها تَحقيرًا لِشأنِهم وتَهوينًا بحالِهم ثمَّ أدخلَهُم في زُمرَةِ أُولي العِلمِ في قَولِهِ: ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ تَعظيمًا لَهم بهذا الاعتِبارِ، أي: باعتِرافِهم في كونِهم مَخلوقينَ عابدينَ مُطيعينَ لهُ تعالى، وعَدَمِ التّثريبِ عَليهِم كَما اعترَفَ المسيحُ لِنفسِهِ بالعبوديَّةِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[2]، وقولِهِ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[3] الآياتِ، وقولِهِ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4]، الآيةِ، وقالَ تعالى في مِثلِ هذا المقامِ في سُورةِ الأنبياءِ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[5]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[6]، الآياتِ.

---

(١) سورة الصافات ٣٧: ١٥٨.

(٢) سورة المائدة ٥: ١١٧.

(٣) سورة مريم ١٩: ٣٠.

(٤) سورة النساء ٤: ١٧٢.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ١٩.

(٦) سورة الأنبياء ٢١: ٢٦، ٢٧.

في كِتابِ العِلَلِ: بإسنادِهِ إلى سُفيان بنِ عُيينَة[1] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام قالَ: «لَم يَخلُقِ اللهُ شجرَةً إلّا ولَها ثَمرَةٌ تُؤكَلُ، فلَمّا قالَ النّاسُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، ذَهَبَ ثَمرُها فلَمّا اتَّخذُوا مَعَ الله إلهًا شاكَ الشَّجرُ»[2].

وقولُهُ تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: (بديعِ) بالجرِّ على البَدليّةِ مِنَ الضّميرِ المجرورِ في لهُ، وبالنَّصبِ على المَدحِ والاختِصاصِ، وقَرَأَ الجمهورُ: بالرّفعِ عَلى أنَّهُ خَبَرٌ لمبتدأٍ مَحذوفٍ[3]، وقَرَأَ عبدُ الله بنُ عامرٍ (فَيكونَ): بالنَّصبِ في جَميعِ القرآنِ، في هذا الموضِعِ وفي يس وغَيرِهِ، والباقونَ: بالرَّفعِ في الجَميعِ[4].

الحُجَّةُ:

حُجَّةُ مَن قَرَأَ [بالنّصبِ]: أنَّهُ وَقَعَ لَفظُ الأمرِ فَحمَلَهُ على اللّفظِ ولَم يُلاحِظْ مَعناهُ، وفاعِلَي الفِعلَينِ، حَتَّى يكونَ مثلَ قولِهم: زُرني فَأُكرِمَكَ، وقَولِ أبي النَّجمِ العَجَلي:

يا ناقَ سِيري عُنُقًا فَسيحًا　　　　إلى سُليمانَ فَنَستَريحا[5]

وأمَّا حُجَّةُ مَن قَرأَ بالرَّفعِ: فهو ما صَرَّحَ بِهِ أبو عَليٍّ وغَيرُهُ مِنَ النّحاةِ: «أنَّهُ يُمتَنَعُ النّصبُ في قَولِهِ تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾؛ لأنَّ قَولَهُ: ﴿كُنْ﴾ وان كانَ على لَفظِ الأمرِ فَلَيسَ بأمرٍ، بَل المُرادُ بِهِ الخَبَرَ؛ لأنَّ المَنفِيَّ الّذي لَيسَ بكائنٍ لا يُؤمَرُ ولا يُخاطَبُ»[6]، فالتّقديرُ: يكونُ فَيكونُ فَاللّفظُ لَفظُ الأمرِ والمُرادُ بِهِ الخَبَرُ، كَقَولِهِم في التَّعجّبِ: أكرِمْ بزيدٍ، فإذا لَم يكنْ قَولُهُ: (كُنْ) أمرًا في المَعنى، وإن كانَ على لَفظِهِ، لَمْ يَجزْ نَصبُ المضارِعِ بعدَهُ بعدَ الفاءِ بأنَّهُ جوابُهُ، كَما لَم يَجزِ النَّصبُ في الفِعلِ الّذي يدخُلُهُ

---

(١) هو: أبو محمد بن ميمون الهلالي الكوفي: من الموالي، كان حافظا، واسع العلم، من كتبه: الجامع في الحديث، وكتاب في التفسير، توفي سنة (١٩٨هـ). ينظر: هدية العارفين: ١: ٣٨٧، والأعلام: ٣: ١٠٥.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٥٧٣، حديث رقم: ١.

(٣) ينظر: تحفة الأقران في ما قُرئ بالتثليث من حروف القرآن: ١: ١٢٠.

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١: ٨٨، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٥.

(٥) مرَّ بيانه سابقًا، ص: ٢٠٦.

(٦) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٠٥، و مجمع البيان: ١: ٣٦٢.

الفاءُ بعدَ الإيجابِ، لا يُقالُ: آتِيكَ فَأُحدِّثَكَ بالنَّصبِ، بَل يَجِبُ الرّفعُ إلّا أن يكونَ في الضّرورةِ الشّعريَّةِ، كَقولِهِ:

لَنا هَضْبَةٌ لا يَنزِلُ الذُّلُّ وَسْطَها وَيَأوِي إليها المُستَجيرُ فَيُعصَما [1]

ويَدُلُّ على امتِناعِ النَّصبِ فيهِ: أنَّ الجَوابَ بالفاءِ في مِثلِ ذلكَ لا يكونُ جَوابًا وجَزاءً فلا يَجوزُ نحو: اذهَبْ فَتَذهَبَ، بالنَّصبِ على قِياسِ قراءَةِ ابنِ عامرٍ (كُنْ فَيكونَ)؛ لأنَّ المَعنى يَصيرُ إن ذَهَبتَ ذَهَبتَ، وهذا كَلامٌ لا فائدَةَ فيهِ، وإنَّما يُفيدُ إذا اختَلَفَ الفاعِلانِ والفِعلانِ، مثلَ: زُرنِي فَأُكرِمَكَ، وقُمْ فَأُعطِيَكَ؛ لأنَّ المَعنى إن تَزرنِي أُكرِمكَ، وإن تَقُمْ أُعطِكَ فيكونُ بعدَ الفاءِ جَوابًا وجَزاءً كَما كانَ بدونِها، وإذا كانَ الأمرُ على هذا المنوالِ لَم يكنْ ما رُوِيَ عَن ابنِ عامرٍ مِن نَصبهِ (فَيكونَ) مُتَّجِهًا فَالوجهُ الصّحيحُ في (فَيكونُ) الرّفعُ، على أن يكونَ (فَيكونُ) مَعطوفًا على (كُنْ)؛ لأنَّ المرادَ بهِ: يَكونُ فَيكونُ، أو يَكونُ خَبرًا لِمُبتدأٍ مَحذوفٍ أي: فَهوَ يَكونُ. [٤٨٢]

اللغة:

البَديعُ: بمَعنى المُبدِعُ كَالنَّبيِّ بمَعنى: المُنبِئُ، وبَينَهما فَرقٌ مِن حيثُ إنَّ في بَديعٍ مُبالغةً لَيسَت في مُبدِعٍ؛ لِكَونِهِ مِن أمثِلَةِ المبالغَةِ ويَستحقُّ الوَصفُ بهِ في غَيرِ حالِ الفِعلِ على الحَقيقَةِ بمَعنى أنَّ مِن شَأنِهِ إنشاءَ الأشياءِ المَعدومَةِ مِن غَيرِ مادّةٍ ومِثالٍ واحتِذاءِ قَديمَينِ، رَدًّا عَلى الحكماءِ الفَلاسفَةِ الزَّنادِقَةِ، والابتِداعُ والاختِراعُ والإنشاءُ نظائرُ، فالبَديعُ هوَ: الخالِقُ الموجِدُ المُختَرِعُ لِلأشياءِ لا عَن مادّةٍ ولا مِثالٍ قَديمَينِ، فَعيلٌ بمَعنى مُفعِلٍ، يقالُ: أبدَعَ فهوَ مُبدِعٌ، فَعلى هذا بَديعُ السّماواتِ مِن إضافَةِ أمثلَةِ المُبالَغَةِ إلى مَفعولِها، ويقالُ: بَدُعَ الشّيءُ فَهوَ بَديعٌ، فَعلى هذا مِن إضافَةِ الصّفةِ المُشبَّهَةِ إلى فاعِلِها، أي: بَديعٌ سَماواتُهُ وأرضُهُ، وكُلُّ مَن أحدَثَ شَيئًا فَقد أبدَعَهُ، والاسمُ: البِدْعَةُ.

---

(١) البيت من الطويل، وقد اُختُلفَ في نسبته، فنسبه سيبويه في كتابه: ٣: ٣٩، إلى طرفة، وقال البغدادي في خزانة الأدب: ٨: ٣٤١: للأعشى.

حَديثُ عُمَر وابتداعُهُ في دينِ النَّبيِّ ﷺ:

وفي الحديثِ النّبويِّ المُتّفقِ عَليهِ: «كُلُّ بِدعَةٍ في الدِّينِ ضَلالَةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ سَبيلُها إلى النّارِ»(١)، وقالَ ابنُ الأثيرِ في حَديثِ عُمَر في قِيامِ رَمَضانَ: «نِعمَتِ البِدعَةُ هذهِ، والبِدعَةُ بِدعَتانِ: بدعَةُ هُدًى وبدعَةُ ضلالَةٍ، فَما كانَ في خِلافِ ما أنزَلَ اللهُ بِهِ ورسُولُهُ فَهوَ في حَيِّزِ الذَّمِّ والإنكارِ، وما كانَ واقعًا تَحتَ عُمومِ ما نَدَبَ اللهُ إليهِ وحَضَّ عَليهِ هوَ أو رَسولُهُ فَهوَ في حَيِّزِ المَدحِ، وما لَم يكنْ لهُ مِثالٌ مَوجودٌ كَنوعٍ مِنَ الجودِ والسّخاءِ وفعلِ المَعروفِ فهوَ مِنَ الأفعالِ المَحمودَةِ ولا يَجوزُ أن يكونَ ذلكَ في خِلافِ ما وَرَدَ الشَّرعُ بهِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قَد جَعَلَ لهُ في ذلكَ ثَوابًا فقالَ: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كانَ لهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها إلى يَومِ القِيامَةِ ـ وقالَ في ضِدِّهِ ـ: مَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عليهِ وِزرُها وَوِزرُ مَن عَمِلَ بها إلى يَومِ القِيامَةِ»(٢) وذلكَ إذا كانَ في خِلافِ ما أمَرَ اللهُ تعالى بهِ ورسُولُهُ، ومِن هذا النّوعِ قَولُ عُمَرَ: نِعمَتِ البِدعَةُ هذهِ لِما كانَت مِن أفعالِ الخَيرِ وداخلَةً في حَيِّزِ المَدحِ سَمّاها بِدعَةً ومَدَحها؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَم يَسُنَّها لَهُم وإنَّما صَلّاها لَيالِيَ ثُمَّ تَرَكَها ولَم يُحافِظْ عَليها ولا جَمَعَ النّاسَ لَها ولا كانَت في زَمَنِ أبي بَكرٍ وإنَّما عُمَرُ جَمَعَ النّاسَ عَليها ونَدَبَهُم إليها فَبهذا سَمّاها بِدعَةً وهيَ على الحَقيقَةِ سُنَّةٌ؛ لِقَولِهِ ﷺ: «عَليكُم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرّاشدينَ مِن بَعدِي»(٣)، وقولِهِ: «اقتَدُوا باللّذَينِ مِن بَعدي أبي بَكرٍ وعُمَرَ»(٤)، وعَلى هذا التّأويلِ يُحمَلُ الحَديثُ الآخَرُ: «كُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ»(٥) إنَّما يُريدُ ما خالَفَ أُصولَ الشَّريعَةِ ولَم يُوافِقِ السُنَّةَ، وأكثَرُ ما يُستَعمَلُ المُبتَدَعُ عُرْفًا في الذَّمِّ»(٦)، انتهى كَلامُ ابنُ الأثيرِ.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٥٧٢، حديث رقم: ٤٩٥٤، وتهذيب الأحكام: ٣: ٧٠.

(٢) مسند أحمد: ٤: ٣٥٧، وصحيح مسلم: ٣: ٨٧، وسنن النسائي: ٥: ٧٦. (مع تغيير ببعض الألفاظ).

(٣) مسند أحمد: ٤: ١٢٦، وسنن ابن ماجة: ١: ١٦، وسنن أبي داود: ٢: ٣٩٣.

(٤) سنن الترمذي: ٥: ٢٧١، والمستدرك على الصحيحين: ٣: ٧٥.

(٥) سنن أبي داود: ٢: ٣٩٣، والمستدرك على الصحيحين: ١: ٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٠٦، ١٠٧.

اعتِراضٌ على ابنِ الأثير:

فَتعَقَّل ما فيهِ مِنَ التَّهافُتِ والعُذرِ الّذي هوَ أسوَءُ مِنَ الجُرمِ، أمَّا أوَّلًا: فَلأنَّ تَقسيمَهُ البدعَةَ على قِسمَينِ يُنافي الحَديثَ المُتّفَقِ عَليهِ: «كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالةٌ، وكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلُّ بِدعَةٍ ضَلالةٌ، وكُلُّ ضَلالةٍ مَصيرُها إلى النَّارِ»(١)؛ لأنَّ لَفظَ (كُلّ) يَهدِمُ هذا التّقسيمَ والتّأويلَ، ولا مَعنى لِقَولِهِ: كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٍ ضَلالَةٌ.

وأمَّا ثانيًا: فَلأنَّهُ اعتَرَفَ نفسُهُ بأنَّ ما فَعَلَهُ عُمَرُ في شَهرِ رَمضانَ مِنَ الصّلواتِ المَسنونَةِ المُبتَدَعَةِ جَماعَةً لَم تَكنْ في زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ ولَم يَرضَ ﷺ بها، ولا في زَمَنِ أبي بكرٍ، على أنَّهُ قالَ: فَما كانَ في خِلافِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى بهِ ورَسولُهُ فهوَ في حَيِّزِ الذّمِّ والإنكارِ مَعَ أنَّ ذلكَ الّذي فَعَلَهُ عُمَرُ لَم يُنزِلِ اللهُ تعالى بهِ ولَم يَندِبْ رَسولَهُ ﷺ إليهِ، ولَم يَحُضَّ اللهُ تعالى ولا رَسولُهُ عَليهِ، بَل ولا أبو بَكرٍ، ولَم يَرضَوا بهِ، بَل أبدَعَهُ مِن عِندِ نَفسِهِ، فَتكونُ هذهِ البِدعَةُ خِلافَ ما وَرَدَ بهِ الشَّرعُ؛ لأنَّ الشّارعَ الّذي هوَ اللهُ تعالى ورَسُولُهُ لَم يُشَرِّعا فيها شَيئًا، ولَم يكنِ النَّبيُّ ﷺ عاجزًا عَن فِعلِها مَعَ كَونِهِ ﷺ رَحمَةً للعالَمينَ، والصّلاةُ المَسنونَةُ المذكورَةُ وإن كانَت مِن أفعالِ الخَيرِ لكِن فِعلها جَماعَةً بِدعَةٌ مَعَ دُخولِ قَولهِم: اقتَدوا إلى آخِرِهِ وغَيرِهِ تَحتَ كُلُّ مُحدَثَةٍ بدعَةٌ إلى آخرِهِ إلى غَيرِ ذلكَ مِنَ التّهافتِ.

معاني القضاء:

والقَضاءُ والحكمُ مِنَ النّظائرِ، وأصلُ القَضاءِ: الفَصلُ والقَطعُ والحُكمُ وإحكامُ الشّيءِ، يقالُ: قَضى يَقضِي قَضاءً فهوَ قاضٍ: إذا حَكَمَ وفَصَلَ وقَطَعَ، وقَضاءُ الشّيءِ: إحكامُهُ وإمضاؤُهُ والفَراغُ منهُ، وبمَعنى الخَلقِ والجَعلِ. وقالَ الأزهري: «القَضاءُ في اللّغةِ على وُجوهٍ، مَرجِعُها إلى انقِطاعِ الشّيءِ وتَمامِهِ»(٢)، وكُلُّ ما أُحكِمَ عَمَلُهُ، أو أُتِمَّ، أو خُتِمَ، أو أُوجِبَ، أو أُعلِمَ، أو أُنفِذَ، أو أُمضِيَ، أو أُدِّيَ: فَقَد قُضِيَ، وقَد جاءَت هذهِ الوجوهُ كُلُّها في الحديثِ، ومنهُ القَضاءُ المقرونُ بالقَدَرِ، والمُرادُ

(١) سنن ابن ماجة: ١: ١٨، وسنن أبي داود: ٢: ٣٩٣، والسنن الكبرى للنسائي: ١: ٥٥٠، حديث رقم: ١٧٨٦، ودعائم الاسلام: ١: ٢١٣، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ١٣٧، حديث رقم: ١٩٦٤.

(٢) تهذيب اللغة: ٩: ١٦٩، (قضي).

بالقَدَرِ: التّقديرُ، وبالقَضاءِ: الخَلْقُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾(1) أي: خَلقَهنَّ، فالقَضاءُ والقَدَرُ مُتلازمانِ لا ينفَكُّ أحدُهُما عَنِ الآخَرِ؛ لأنَّ أحدَهُما بمَنزلَةِ الأساسِ وهوَ القَدَرُ، والآخَرُ بمَنزلَةِ البناءِ وهوَ القَضاءُ، فَمَن رامَ الفَصلَ بَينَهُما رامَ هَدمَ البناءِ ونَقضَهُ فَمِنَ القَضاءِ بمَعنى إحكامِ الشّيءِ قَولُ أبي ذُؤَيبٍ: [٤٨٣]

وعَليهِما مَسرودَتانِ قَضاهُما داودُ أو صنع السَّوابغ تُبَّعُ(2)

أي: عَليهِما دِرعانِ مَسرودَتانِ، أي: مَنسوجَتانِ أحكَمَهُما داودُ عليه السلام.

فَيُستَعمَلُ على عَشرَةِ أوجُهٍ:

أحَدُها: بمَعنى الأمرِ والوَصيَّةِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(3)، أي: أمَرَ وأوصَى.

وثانيها: بمَعنى الفراغِ والأداءِ، كَقولِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾(4)، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾(5)، أي: أدَّيتُم وفَرَغتُم مِن مَناسِكِكُم، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾(6)، الآية.

ثالثُها: الإخبارُ والإعلامُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾(7)، أي: أخبَرناهُم وأعلمناهُم، وقولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ

---

(١) سورة فصلت ٤١: ١٢.

(٢) البيت من الكامل، ديوان الهذليّين: ١: ١٩، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٢٩، وجمهرة أشعار العرب: ٢٢.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة ٦٢: ١٠.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٠٠.

(٦) سورة النساء ٤: ١٠٣.

(٧) سورة الإسراء ١٧: ٤.

أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[١]، أي: أعلَمنا وعَهِدنا إلى لُوطٍ، وفيما رَواهُ عَليُّ بنُ موسى الرِّضا عليه السلام عَن جَدِّهِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: «القَضاءُ على عَشرَةِ أوجُهٍ»[٢]، ذَكَرَ منها الوُجوهَ الثّلاثَةَ الّتي ذَكَرناها.

رابعُها: بمَعنى الفِعلِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[٣]، أي: فَافعَل ما أنتَ فاعلٌ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾[٤]، يقولُ تعالى: ما كانَ لمؤمنٍ ولا مُؤمنَةٍ إذا فَعَلَ اللهُ تعالى ورسُولُهُ شَيئًا في تَزويجِ (زَينب) أن يَكونَ لَهم الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥]، أي: إذا كانَ في عِلمِهِ تعالى أن يَفعَلَهُ، ويَحتمِلُ أن يكونَ قَضى هنا بمَعنى الإرادَةِ الّتي هيَ فيهِ تعالى: الإحداثُ؛ لأنَّ إرادَتَهُ تعالى: إحداثُهُ، كَما قالَ في مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦].

خامسُها: إتمامُ الأجلِ ونُزولُ الموتِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٧] أي: لِيَنزلِ الموتُ، وقَولِهِ تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[٨]، أي: لا يَنزلُ بِهِم الموتُ، وقولِهِ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[٩]، أي: فَأنزَلَ بِهِ الموتُ.

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٦٦.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٦٢، وقد نقل هذه الأوجه الشيخ الصدوق في التّوحيد: ٣٨٥، والعلّامة المجلسي في بحاره: ٥: ١٠٧، نقلًا عن أهل العلم.

(٣) سورة طه ٢٠: ٧٢.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٤٧.

(٦) سورة يس ٣٦: ٨٢.

(٧) سورة الزخرف ٤٣: ٧٧.

(٨) سورة فاطر ٣٥: ٣٦.

(٩) سورة القصص ٢٨: ١٥.

سادسُها: الإيجابُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[1]، أي: وَجَبَ العَذابُ فَوَقعَ بأهلِ النّارِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2]، أي: أوجَبَ أو أمَرَ أو أوصَى كَما مَرَّتِ الإشارةُ إليهِ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[3].

سابعُها: الإثباتُ والكِتابةُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[4]، أي: مَكتوبًا مُثبتًا في اللوحِ المحفوظِ أنَّهُ يكونُ البَتَّة، ومنهُ قَولُ الصّادقِ عليه السلام في الدّعاءِ المأثورِ عنهُ: «اللّهُمَّ فإن حالَ بَيني وبَينَهُ الموتُ الّذي جَعلتَهُ على عِبادِكَ حَتمًا مَقضِيًّا»[5].

ثامنُها: بمَعنى الإتمامِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾[6]، أي: أتَمَّ، وقولِهِ تعالى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾[7]، أي: أتممتُ فَلا عُدوانَ عَلَيَّ، وقولِهِ تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[8] يعني: مِن قَبلِ أن يُتِمَّ إليكَ جَبرئيلُ الوَحيَ.

تاسعُها: الحُكمُ والفَصلُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[9]، وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾[10]، أي: يَحكُمُ ويَفصِلُ، وفي سورةِ الأنعامِ: (يقضي الحَقَّ)[11]، أي: يَفصِلُ الأمرَ بَيني بإنزالِ العَذابِ.

---

(١) سورة مريم ١٩: ٣٩.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٢٣.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٢٢.

(٤) سورة مريم ١٩: ٢١.

(٥) المصباح: ٥٥١، وبحار الأنوار: ٩٩: ١١١.

(٦) سورة القصص ٢٨: ٢٩.

(٧) سورة القصص ٢٨: ٢٨.

(٨) سورة طه ٢٠: ١١٤.

(٩) سورة الزمر ٣٩: ٦٩.

(١٠) سورة يونس ١٠: ٩٣.

(١١) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وابن عامر والكسائيّ. ينظر: الحجّة للقرّاء السبعة: ٣: ٣١٨، وحجّة ١: ٢٥٤.

عاشرُها: بمَعنى الجَعلِ والخَلقِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[1]، أي: فَجعلَهُنَّ وخَلَقهُنَّ. هكذا صَرَّحَ في المجمَعِ[2].

الإعراب:

(بديعُ) بالرّفعِ: خَبرٌ لِمُبتدأٍ مَحذوفٍ، أي: هوَ بَديعُ السّماواتِ، وبالنَّصبِ: على الاختِصاصِ والمدحِ، أي: نَخُصُّ بَديعَ السّماواتِ، وبالجَرِّ: على أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضّميرِ المجرورِ في (لهُ)، وعلى التّقاديرِ الثّلاثةِ إضافَتُهُ إلى السَّماواتِ مِن إضافَةِ أمثلَةِ المُبالغَةِ إلى مَفعولِها أو مِن إضافةِ الصّفةِ المُشبَّهَةِ إلى فاعلِها كَما أشرنا إلى ذلكَ في بَيانِ اللّغةِ، والأوَّلُ: أحسنُ وأنسَبُ بالمقامِ، وجملةُ: (إذا قَضَى أمرًا فإنَّما يَقولُ لهُ كُنْ فَيكونُ) مِنَ الشّرطِ والجَزاءِ ومَقولِ القَولِ: استئنافٌ بَياني لِقولِهِ: (بَديعُ السَّماواتِ).

و(الفاءُ) الأولى، أعني قَولَهُ: (فَإِنَّما): جَزائيّةٌ، والثّانيةُ: عاطفَةٌ تَفريعيَّةٌ تَدخُلُ في النّتائجِ غالبًا، و(كُنْ فَيكونُ): كِلاهُما مِن كانَ التّامّة، بمَعنى: حَدَثَ وثَبَتَ، أي: أُحدُثْ فَيَحدُثُ وأَثْبُت فَيَثْبُتُ، والجملَةُ: مَقولُ القَولِ.

المعنى:

الحُجَّةُ الرّابعَةُ:

ثمَّ احتجَّ سبحانُهُ رابعًا على فَسادِ قَولِهم في اتِّخاذِهِ تعالى وَلَدًا بقَولِهِ: **﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، أي: هوَ مُنشِئُ السَّماواتِ والأرضِ، ومُختَرِعُهُما وخالقُهُما على غَيرِ مادَّةٍ قديمَةٍ، وعلى غَيرِ مِثالٍ قَديمٍ امتَثَلَهُ، ولا احتِذاءٍ مِن صُنعِ خالقٍ كانَ قبلَهُ.

تَقريرُ الحُجَّةُ الرّابعَةُ:

إنَّ الوالدَ في كُلٍّ مِنَ الحَيَوانِ والنّباتِ وغَيرِهِما مِن عُنصُرِ الوَلَدِ يَنفَعِلُ بانفِصالِ مادَّتِهِ منهُ، واللهُ

(١) سورة فصلت ٤١: ١٢.

(٢) ينظر: مجمع البيان: ١: ٣٦٢.

سبحانهُ مُبدِعُ الأشياءِ كُلِّها لا عَن شَيءٍ، مُنزَّهٌ عَنِ الانفِعالِ فَلا يَكونُ والدًا، والابتِداعُ كَما مَرَّ: اختراعُ الشّيءِ لا عَن شَيءٍ.

وفي أصولِ الكافي: مُحَمَّدُ بنُ يَحيى عَن عَبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عيسى عَنِ الحَسَنِ بنِ مَحبوبٍ عَن عَليِّ بنِ رِئاب عَن سَديرِ الصَّيرَفي قالَ: سَمعتُ حَمران بنَ أعين[1] يَسألُ أبا جَعفرِ الباقرِ عليه السلام عَن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ فَقالَ أبو جَعفرٍ عليه السلام: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ابتَدَعَ الأشياءَ كُلَّها بعِلمِهِ على غَيرِ مِثالٍ كانَ قَبلَهُ، فابتَدَعَ السّماواتِ والأرضَ ولَم يَكنْ قَبلَهُنَّ سَماواتٌ ولا أرَضونَ، أما تَسمَعُ لِقولِهِ تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[2]»[3]. [٤٨٤]

الحُجَّةُ الخامسَةُ:

ثمَّ احتجَّ خامِسًا بقَولِهِ: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا**﴾، أي: إذا أرادَ إحداثَ أمرٍ وخَلقَهُ وفِعلَهُ كَما قالَ تعالى في مَوضعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾[4]، وقيلَ مَعناهُ: إذا أحكَمَ أمرًا وحَتَمَ بأن يَفعَلَهُ ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾، أي: أُثبت وأُحدُث فَيَحدُثُ ويَثبُتُ هذا، أعني قَولَهُ: كُنْ فَيكونُ تَمثيلٌ في حُصولِ ما تَعَلَّقَت بِهِ إرادَتُهُ بسهولَةٍ بلا مُهلَةٍ بطاعَةِ المَأمورِ المُطيعِ بلا تَوقُّفٍ، ولا بصَوتٍ يُقرَعُ، ولا بِنداءٍ يُسمَعُ، ولا بلَفظٍ، ولا نُطقٍ بِلسانٍ، ولا هِمَّةٍ، ولا تَفكُّرٍ، فَلا قَولَ هناكَ ولا نُطقَ، بَل ذلكَ كِنايةٌ عَن سُرعَةِ الإجابَةِ والانقِيادِ نَظيرَ قَولِ الشّاعرِ:

---

(١) هو: أبو الحسن الشّيبانيّ الكوفيّ: من حواريّ الإمامين الصّادقين عليهما السلام، مولاهم، تابعي، من أكبر مشايخ الشيعة الذينَ لا يُشَكُّ فيهم، عالمًا بالنّحوِ واللّغةِ، توفي أيّام الإمام الصّادق عليه السلام. ينظر: تاريخ آل زرارة: ١٠٣، ورجال الطوسي: ١٣٢، ترجمة رقم: ١٣٦٢، وخلاصة الأقوال: ١٣٥.

(٢) سورة هود ١١: ٧.

(٣) الكافي: ١: ٢٥٦، حديث رقم: ٢، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٣: ١١١، حديث رقم: ٢.

(٤) سورة يس ٣٦: ٨٢.

امتَلأَ الحَوضُ فقالَ قَطْني		مَهْلًا رُوَيدًا قد مَلأتُ بَطنِي[1]

وقولِهِ تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2]، وقَولِ الشّاعرِ:

وقالَت لَهُ العَينانِ سَمعًا وطاعَةً		تَحَدَّرَتا كَالدُّرِّ لمَّا يُثَقَّب[3]

و(قالَ بعضُهُم: إنَّ الأشياءَ المَعدومَةَ لمَّا كانَت مَعلومَةً عندَ الله سبحانَهُ ـ وأنَّ الشَّيءَ يَعُمُّ الموجودَ والمَعدومَ كَما مَرَّ مِن كَلامِ سيبويه وغَيرِهِ[4]، وكَقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[5]ـ صارَت كالمَوجودِ فَصَحَّ أن يُخاطبَها ويقولَ لما شاءَ إيجادَهُ مِنها كُنْ)[6]، أقولُ فيهِ: إنَّهُ معَ ذلكَ لا يَحتاجُ إلى القَولِ والنُّطقِ باللّسانِ والصّوتِ والنّداءِ بَل ذلكَ تَمثيلٌ في حُصولِ ذلكَ على ما مَرَّ.

ذِكرُ الإرادَةِ مِنَ الله تعالى ومِنَ المَخلوقِ:

وفي نَهجِ البَلاغَةِ: «يقولُ تعالى لِما أرادَ كَونَهُ: (كُنْ فَيَكونُ) لا بِصَوتٍ يُقرَعُ، ولا نِداءٍ يُسمَعُ، وإنَّما كَلامُهُ سبحانَهُ فِعلٌ منهُ أنشأهُ، ومِثلُهُ لَم يكنْ مِن قَبلِ ذلكَ كائنًا، ولَو كانَ قَديمًا لَكانَ إلهًا ثانيًا، ـ وفيهِ قالَ:ـ يقولُ ولا يَلفُظُ، ويُريدُ ولا يُضمِرُ»[7].

وفي الكافي والتَّوحيدِ: عَن أبي ابراهيمَ موسى بنِ جعفرٍ عليه السلام: «الإرادَةُ مِنَ المخلوقِ: الضّميرُ وما

---

(١) البيت من الرجز، مجهول القائل. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٦٤٠، والصحاح: ٣: ١١٥٣، (قطط).

(٢) سورة فصلت ٤١: ١١.

(٣) البيت من الرجز، مجهول القائل. ينظر: الخصائص: ١: ٢٣، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١: ٢٦.

(٤) لم يقف الباحث على نسبة الكلام إلى سيبويه، وجاء عند غيره، كالإيضاح في علل النحو: ٥٧، واللباب في علل البناء والإعراب: ١: ٤٧٢.

(٥) سورة يس ٣٦: ٨٢.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٦٤.

(٧) نهج البلاغة: ٢: ١٢٢.

يَبدو لَهُ بعدَ ذلكَ مِنَ الفِعلِ، وأمَّا مِنَ الله تعالى فَإرادَتُهُ للفِعلِ إحداثُهُ لا غيرُ؛ لأَنَّهُ تعالى لا يَرويّ[1] ولا يَهمُّ ولا يَتفكَّرُ، وهذهِ الصّفاتُ مَنفيَّةٌ عنهُ سبحانهُ، وهيَ مِن صِفاتِ الخَلقِ، فَإرادَةُ الله هيَ الفِعلُ لا غَير ذلكَ، يقولُ لَهُ: (كُنْ فَيَكونُ) بِلا لَفظٍ ولا نُطقٍ بلِسانٍ، ولا هِمَّةٍ ولا تَفكُّرٍ، ولا كَيفَ لِذلكَ، كَما أَنَّهُ تعالى لا كَيفَ لَهُ»[2].

وفي الاحتِجاجِ للطَّبرسي ﵀: عَن يعقوبَ بنِ جَعفرٍ[3] عَن أَبي ابراهيمَ موسى بنِ جَعفرٍ عليهما السلام أَنَّهُ قالَ: «ولا أوجَدَهُ بلَفظٍ بِشَقِّ فَمٍ، ولكن كَما قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ بمَشيئَتِهِ مِن غَيرِ تَرَدُّدٍ في نَفسٍ»[4].

وفي كِتابِ الاهليلجِيّةِ: قالَ الصّادقُ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ: «فَالإرادَةُ مِنَ الله تعالى للفِعلِ إحداثُهُ إنَّما يَقولُ لهُ: (كُنْ فَيَكونُ) بلا تَعَبٍ ولا كَيفٍ»[5].

وفي عُيونِ الأخبارِ: بإسنادِهِ إلى صَفوان بنِ يحيى[6] عَن أَبي الحَسنِ الرِّضا عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ يقولُ فيهِ: «فَإرادةُ الله: هوَ الفِعلُ لا غَيرُ ذلكَ، يقولُ لَهُ: (كُنْ فَيَكونُ) بلا لَفظٍ ولا نُطقٍ بلِسانٍ، ولا هِمَّةٍ

---

(١) رويت الأمر: نظرت وفكرت. القاموس المحيط: ٤: ٣٣٧، (روي).

(٣) الكافي: ١: ١٠٩، ١١٠، حديث رقم: ٣، والتوحيد: ١٤٧: حديث رقم: ١٧.

(٣) هو: ابن إبراهيم بن محمد الجعفري: رَوَى عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ورَوَى عنهُ الحسنُ بنُ راشد والحُسينُ بنُ زياد. ينظر: جامع الرواة: ٢: ٣٤٦، ومستدركات علم رجال الحديث: ٨: ٢٧١، ترجمة رقم: ١٦٤٢٣.

(٤) الاحتجاج: ٢: ١٥٦.

(٥) بحار الأنوار: ٣: ١٩٦، وتفسير نور الثقلين: ١: ١١٩، حديث رقم: ٣٣٢.

وكتابُ الاهليلجيّة: هو الخبرُ المرويُّ عَنِ المفضّلِ بنِ عُمر في التّوحيدِ. ينظر: بحار الأنوار: ٣: ١٥٢.

(٦) هو: أبو محمد البجلي بيّاعُ السّابري: كوفيٌّ، ثقةٌ ثقةٌ، عينٌ، رَوَى عنِ الرّضا والجواد عليهما السلام، لهُ كتبٌ: منها كتاب الشراء والبيع، التّجارات، المحبّة، توفي سنة (٢١٠هـ). ينظر: رجال النجاشي: ١٩٧، ترجمة رقم: ٥٢٤، ومعالم العلماء: ٩٤، ترجمة رقم: ٤٠٢.

ولا تَفكُّرٍ، ولا كَيفَ لِذلكَ، كَما أنَّهُ سبحانهُ لا كَيفَ لَهُ»[1]. وفيهِ أيضًا في حَديثٍ طويلٍ: عَنِ الرّضا عليه السلام يقولُ فيهِ: «وكُنْ: منهُ صُنعٌ، وما يكونُ بهِ: المَصنوعُ»[2].

فَهذا، أعني قولَهُ: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ تَقريرٌ وبَيانٌ لمعنى الابداعِ وإشارَةٌ إلى الحُجَّةِ الخامسَةِ وهيَ: أنَّ اتِّخاذَ الوَلَدِ يكونُ بأطوارٍ مُختلفَةٍ وإمهالٍ وانقِضاءِ أزمنَةٍ، وفِعلُهُ سبحانهُ مُستَغنٍ عَن ذلكَ وأنَّهُ يَحصلُ أقلَّ مِن طَرفَةِ عَينٍ، وأنَّ مِن شَأنِ الوَلَدِ أن يَشبهَ والدَهُ في شَيءٍ مِنَ الأشياءِ كَما مَرَّتِ الإشارةُ إليهِ مَعَ أنَّهُ سبحانهُ يقولُ وهوَ أصدَقُ القائلينَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، واعتَرَفَ اليَهودُ والنَّصارَى بذلكَ في احتِجاجِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله عَليهِم، حيثُ قالَ: «أَلَستُم تعلمونَ أنَّهُ لا يكونُ وَلَدٌ إلَّا ويَشبَهُ أباهُ؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: أَلَستُم تَعلَمونَ أنَّ رَبَّنا حَيٌّ لا يموتُ وأنَّ عُزَيرًا وعِيسى يَأتي عَليهِ الموتُ والفَناءُ؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: أَلَستُم تَعلمونَ أنَّ رَبَّنا قَيِّمٌ على كُلِّ شَيءٍ يَحفظهُ ويَرزقهُ؟ قالُوا: بَلى، قالَ: فَهَل يَملكُ عُزَيرٌ وعِيسى مِن ذلكَ شَيئًا؟ قالُوا: لا، قالَ: أَلَستُم تَعلمونَ أنَّ اللهَ لا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: فَهَل يَملكُ مِن ذلكَ عِيسى إلَّا ما عُلِّمَ؟ قالُوا: لا، قالَ: فإنَّ رَبَّنا صَوَّرَ عيسى في الرَّحِمِ كيفَ شاءَ، ورَبَّنا لا يَأكُلُ ولا يَشرَبُ ولا يحدثُ؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: أَلَستُم تَعلمونَ أنَّ عيسى حَمَلتهُ أُمُّهُ كَما تَحمِلُ المَرأةُ، ثمَّ وَضَعَتهُ كَما تَضَعُ المرأَةُ وَلَدَها، ثمَّ غُذِّيَ كَما يُغَذَّى الصّبي، ثمَّ كَانَ يَطعَمُ ويَشرَبُ ويُحدِثُ؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: فَكيفَ يكونُ هذا كَما زَعمتُم؟ فَسَكَتُوا وبُهِتُوا»[4]، وأنَّ الملائِكَةَ عبادُ اللهِ المُكرَمونَ مُقرُّونَ لهُ بالعُبوديَّةِ يَعبُدونَهُ ولا يُشرِكونَ بهِ شَيئًا، ويَموتونَ ولا يَسبقُونَهُ بالقَولِ وهُم بأمرِهِ يَعمَلونَ.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١١٠، حديث رقم: ١١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٥٤.

(٣) سورة الشورى ٤٢: ١١.

(٤) جامع البيان: ٣: ٢٢٢، ومجمع البيان: ٢: ٢٣٥.

دلالةُ الآيتَينِ: [٤٨٥]

فَدَلَّتِ الآيتانِ عَلى فَسادِ قَولِ اليَهودِ والنَّصارى ومُشرِكي العَرَبِ ومَن يَحذو حَذوَهُم عَلى خَمسَةِ أوجُهٍ على ما مَرَّت مُفصَّلةً.

قالَ البيضاوي: ((اعلَم أنَّ السّبَبَ في هذهِ الضّلالَةِ أنَّ أربابَ الشّرائعِ المتَقدِّمَةِ كانُوا يُطلِقونَ الأبَ على الله تعالى، باعتِبارِ أنّهُ السَّبَبُ الأوَّلُ حَتَّى قالُوا: إنَّ الأبَ هوَ الرّبُّ الأصغرُ، واللهُ سبحانهُ هوَ الرّبُّ الأكبرُ، ثمَّ ظَنَّتِ الجَهَلةُ منهُم أنَّ المرادَ بِهِ مَعنى الوِلادَةِ فاعتَقَدوا ذلكَ تَقليدًا؛ ولِذا كُفِّرَ قائلُهُ ومُنِعَ منهُ مُطلقًا حَسمًا لمادّةِ الفَسادِ))[1]، انتهى.

مناقشة:

لا يَخفى ما فيهِ لاسِيَّما مِن مِثلِ عَبدِ المسيحِ والعاقِبِ والأسقَفِ[2] وغَيرِهِم مِنَ العُلماءِ مَعَ معارضَتِهِم النَّبيّ ﷺ في أمثالِ ذلكَ، وإخبارِ الله تعالى عنهُم بلَفظِ الاتِّخاذِ، وأيضًا لَو كانَ ما قالَهُ صِدقًا لَما يَختَصُّ ذلكَ الظّنُّ بخُصوصِ عُزَيرٍ وعيسى والملائكةِ فقَط، بَل سَبَبُ ظَنِّهم أمرٌ آخَرُ كَما قالُوهُ أنفُسُهُم.

وقولُهُ تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ جمهورُ القُرّاءِ: تَشابَهَت تَفاعَلَت بتَخفِيفِ الشّينِ، وقُرِئَ في الشّواذِ: بتَشديدِها معَ وجودِ الألِفِ والتّاءِ اللاحِقَةِ في آخِرِ الكلمةِ للتّأنيثِ لا مَساغَ لهُ[3].

---

(١) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٣.

(٢) وهم رؤساء وفد نجران، الذين أرادوا مباهلة النبي الأكرم ﷺ، وهم: أميرُ القومِ وصاحبُ مشورتِهِم الذي لا يُخالفون رأيه، وصاحبُ رَحلِهِم، واسمُهُ الأيهم، وأسقفهُم وحَبرُهُم وإمامُهُم. ينظر: تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٣٣، وحقائق التأويل: ١٠٩، وتفسير القرآن المجيد: ٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤: ١٠٦.

(٣) لم يقف الباحث على القراءة في كتب القراءات، وأثبتها من كتب التفسير، كتفسير الثعلبي: ١: ٢١٨، وتفسير ابن عطيّة: ١: ٢٠٣، والبحر المحيط في التفسير: ١: ٤١٠.

اللغة:

العِلمُ واليقينُ والمعرِفَةُ نظائرٌ في اللّغةِ، والعِلمُ: أعَمُّ مِن كُلِّ واحدٍ منهُما، ونَقيضُ العِلمِ والمعرفَةِ: الجَهلُ، ونَقيضُ اليقينِ: الشّكُّ، وأيقَنَ وتيَقَّنَ واستَيقَنَ بمعنًى، واليَقينُ عِلمٌ يَثلُجُ بِهِ الصَدرُ؛ ولِذا يقالُ: وَجَدتُ بَردَ اليَقينِ ولا يُقالُ: وَجدتُ بَردَ العِلمِ، ومِن أسماءِ الله تعالى: العَليمُ، وهو: العالمُ المُحيطَ عِلمُهُ بجَميعِ الأشياءِ ظاهِرِها وباطِنِها جَليلِها ودَقيقِها عَلى أتَمِّ الإمكانِ، وفَعيلٌ مِن أبنِيَةِ المُبالغَةِ، والتَّشبيهُ: جَعلُ أحَدِ الشّيئَينِ النّاقِصِ في وَجهِ الشَّبَهِ مُشَبَّهًا، والكامِلِ فيهِ مُشَبَّهًا بهِ، وإلَّا يُحكَمُ بالتّشابُهِ ويُترَكُ التَّشبيهُ، كَقولِهِ:

تَشابَهَ دَمعِي إذ جَرَى وَمُدامَتِي فَمِن مِثلِ ما في الكَأسِ عَينَيَّ تَسكُبُ
فَوَ الله ما أدرِي أبِالخَمرِ أسْبَلَت جُفُونِي أم مِن عَبرَتِي كُنتُ أشرَبُ [١]

الإعراب:

(لَولا): مِن حروفِ التّحضِيضِ إذا دَخلَت على المُضارعِ، فَتكونُ للحَثِّ على الفِعلِ، والتّنديمِ إذا دَخلَت على الماضِي، فَتكونُ للّومِ على تَركِ الفِعلِ، وهيَ أربعَةٌ: هَلّا وألّا ولَولا ولَوما، وهيَ مِن خَواصِّ الفِعلِ، فَلا تَدخُلُ إلّا عَلى فِعلٍ ماضٍ أو مُستقبلٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[٢]، وقالَ: ﴿لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾[٣]، ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]، فإن وَقَعَ بعدَها اسمٌ مَنصوبٌ أو مَرفوعٌ كانَ بإضمارِ ناصِبٍ أو رافِعٍ، كَقولِكَ لِمَن ضَرَبَ قَومًا: لَولا زَيدًا، أي: لَولا زَيدًا ضَربتَهُ، أو لَولا ضَرَبتَ زَيدًا، وقالَ جَريرٌ:

(١) البيت من الطويل، لأبي اسحاق الصابي. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٤٦، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١: ٧٩.

(٢) سورة المنافقون ٦٣: ١٠.

(٣) سورة الحجر ١٥: ٧.

(٤) سورة الواقعة ٥٦: ٨٦، ٨٧.

بَنِي ضَوطَرِي لَولَا الكَمِيَّ المُقَنَّعا[2] تَعُدُّونَ عَقرَ[1] النِّيبِ أفضَلَ مَجدِكُم

أي: هَلَّا تعقرونَ الكَمِيَّ المُقَنَّعَ في السِّلاحِ، و(اللهُ): فاعلُ (يُكلِّمُنا)، و(نا): مَفعولُهُ، و(أو): للتَّخييرِ، أو الاباحَةِ عَلى اعتِقادِهِم، أو لِلإضرابِ، و(آيةٌ): فاعلُ (تَأتينا)، و(نا): مَفعولُهُ، وكذلكَ مُتعلِّقٌ بقالَ الثّاني، أو نَعتٌ لمَصدرٍ محذوفٍ، أي: قَولًا مِثلَ الّذينَ مِن قَبلِهِم، وجملَةُ: (تَشابَهَت قُلوبُهُم): حاليّةٌ بتَقديرِ قَد، أو استئنافٌ بيانيٌّ، فَعَلى الثّاني: لا مَحَلَ لَها مِنَ الإعرابِ، وجملَةُ: (قَد بَيَّنا الآياتِ) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ: حاليّةٌ، وجملَةُ: (يوقنونَ): صِفَةٌ لِقومٍ.

المعنى:

لَمَّا بَيَّنَ سبحانُهُ حالَ اليَهودِ والنَّصارَى، ومُشرِكِي العَرَبِ ومُنافِقِيهِم، ومَن يَحذو حَذوَهُم مِنَ الدَّهرِيَّةِ، في إنكارِهِم التّوحيدِ وادِّعائِهِم عَليهِ اتِّخاذَ الأولاد، وأبطَلَ قولَهُم في ذلكَ بخَمسَةِ أوجُهٍ عَقَّبَ ذلكَ بذِكرِ خِلافِهِم في النُّبوّاتِ، وسُلوكِهِم في أمثالِ ذلكَ طريقَ التَّعنُّتِ والاستِكبارِ والعِنادِ فقالَ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، أي: جَهلَةُ اليَهودِ والنَّصارَى الّذينَ لا يَعمَلونَ بِما يَعلَمونَ، ومُشرِكُو العَرَبِ، ومَن يَحذو حَذوَهُم مِنَ الّذينَ سَأَلُوا المُحالاتِ العاديَّةِ والمُقتَرَحاتِ، ولَم يَقتَصِروا على ما اتَّضَحَ لَهم مِنَ المُعجزاتِ مِنَ القرآنِ وغَيرِهِ: ﴿**لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ**﴾، أي: هَلّا يُكلِّمُنا اللهُ بكَلامِهِ مُعايَنَةً فَيُخبِرُنا بأنَّكَ نَبيٌّ مُرسَلٌ كَما كَلَّمَ الملائكَةَ وكَلَّمَ موسى وغَيرَهُ مِنَ الأنبياءِ، أو يُوحِي إلينا رَبُّكَ: بأنَّكَ رَسُولُهُ، قالُوا ذلكَ استِكبارًا منهُم وعُتُوًّا.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: العَقرُ: قَطعُ العُرقوبِ، والنِّيبُ بكَسرِ النّونِ وسكونِ الياءِ المثنّاةِ تحت والباءِ الموحَّدةِ: جَمعُ نابٍ، وهوَ المُسِنُّ مِنَ الإبلِ، وابن ضَوطَرِي: مُنادَى حُذِفَ منهُ حَرفُ النّداءِ، والضّوطَرِ على وَزنِ جَعفَرٍ: الرّجُلُ الأحمَقُ الّذي لا غِنَى عندَهُ، والضّوطَرَى: المرأةُ الحمقاءُ، والمُقَنَّعُ على وَزنِ مُعظَّم: الّذي عَليهِ المِغفَرُ والبَيضَةُ والسّلاحُ، يقولُ: يا بنَ ضَوطَرِي أنتُم تَتَفاخَرونَ في عَقرِ الإبِلِ وجَعلتُمُوهُ أفضَلَ مَجدِكُم، فَما بالُكُم لا تَفتَخِرونَ بمُعاقَرَةِ الأبطالِ والشّجعانِ وقَتلِ الكُماةِ المُكلَّينَ بالسِّلاحِ، والكُماةُ: على وزنِ هُداة: جمعُ كَمِي وهوَ الشُّجاعُ.

(٢) البيت من الطويل. ديوانه: ٢٦٥، وينظر: خزانة الأدب: ١: ٢٦٢.

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾، أي: أو قالُوا هَلّا تَأتِينا آيةٌ، أي: حُجَّةٌ على صِدقِكَ مُعجزَةٌ مُوافِقَةٌ لِما اقتَرَحناها مِن تَفجيرِ الأرضِ لَنا يَنبُوعًا، وتَحويلِ الصّفا ذَهَبًا ونَحوِ ذلكَ، كَما جاءَت على الأنبياءِ آياتٌ مُوافقَةٌ لِدعوتِهِم، لَم يُريدُوا أنَّهُ لَم تَأتِهِم آيةٌ أصلًا؛ لأنَّهُ قد جاءَتهُم الآياتُ المُعجزاتُ، بَل قالُوا ذلكَ جُحُودًا وعِنادًا على استِهانَةِ ما آتاهُم مِن آياتِ الله، وأنَّها لَيسَت بآياتٍ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾(١)، وأن يَكونَ نَبيًّا يُوحَى إليهِ دونَ غَيرِهِ، **﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾**، أي: قالَتِ الجَهلَةُ الّذينَ لا يَعلمونَ أصلًا، والّذينَ لا يَعمَلونَ بعلمِهِم مِنَ الّذينَ كانُوا مِن قَبلِ هؤلاءِ مِنَ الأُمَمِ الماضيَةِ قولًا رَديًّا فاسِدًا مثلَ قَولِ هؤلاءِ المُقتَرحينَ الحاضِرينَ في زمانِكَ حيثُ اقترَحَتِ اليَهودُ عَلى موسى عليه السلام فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾(٢)، وقالُوا: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾(٣)، والنَّصارَى على عيسى عليه السلام مِن قَولِهِم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾(٤) [٤٨٦] ومُشرِكُو العَربِ عَلى مُحمَّدٍ ﷺ في ما حَكَى اللهُ تعالى عَنهُم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾(٥)، **﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**، أي: قُلوبُ هؤلاءِ، وقُلوبُ مَن كانَ قَبلَهُم مُتَشابِهَةٌ مُتساوِيَةٌ في العَمَى والقَسوَةِ والعِنادِ والكُفرِ والإلحادِ والاعتِراضِ على أنبيائِهِم مِن غَيرِ حُجَّةٍ وبُرهانٍ، بَل عِنادًا وتَعنُّتًا واستِكبارًا وحُبًّا للرِّئاسَةِ، بَل تَواصَى كُلُّ أُمَّةٍ منهُم بذلكَ، كَما قالَ سبحانَهُ في سورةِ الذّارياتِ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا

---

(١) سورة المدثر ٧٤: ٥٢.

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٥.

(٣) سورة النساء ٤: ١٥٣.

(٤) سورة المائدة ٥: ١١٢.

(٥) سورة الإسراء ١٧: ٩٠-٩٣.

قَوْمًا فَاسِقِينَ * ـ إلى قولِهِ ـ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، الآيات.

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾، أي: والحالُ أنّا قد بيَّنّا الحُجَجَ وأوضَحنا المُعجزاتِ الّتي يُعلَمُ بها صِحَّةُ كَونِ الصّانعِ تعالى مَوجودًا واجِبًا لِذاتِهِ، وواحدًا لا شَريكَ لَهُ، لَم يَتَّخذْ صاحبةً ولا وَلَدًا، وصِحَّةُ كَونِ عُزَيرًا وعيسى نَبيّينِ ورَسولَينِ وعِبادًا لهُ تعالى، مَخلوقَينِ بقُدرَتِهِ كَسائرِ الأنبياءِ والأُمَمِ؛ لِكَونِهِ مُبدِعَ السّماواتِ والأرضِ وما فيهِما على غَيرِ مادَّةٍ ومِثالٍ قَديمَينِ خَلَقَهُما صانِعٌ كانَ قَبلَهُ تعالى، وصِحَّةُ نُبوَّةِ نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ وصِدقِ أوصيائِهِ المعصومينَ سَلامُ الله عَليهِم أجمَعينَ، **﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**، أي: لِقَومٍ يَطلبونَ اليَقينَ ويَعلَمونَ الحَقائقَ، فَيَستَدلُّونَ بها مِنَ الوَجهِ الّذي يَجِبُ الاستِدلالُ بِهِ، فَيُنصِفونَ ويُوقِنونَ أنّها آياتٌ يَجِبُ الاعتِرافُ بِها والاكتِفاءُ بها عَن غَيرِها، لا يَعتَرِيهِم شَكٌّ ولا شُبهَةٌ في أنّها واجِبَةُ الاتِّباعِ، ولا يَدورُ في خَلَدِهِم استِكبارٌ ولا عِنادٌ ولا جُحُودٌ فاستَدِلُّوا أنتُم أيضًا حَتَّى تُوقِنُوا كَما أيقَنَ هؤلاءِ، والمقصود أنَّ فيما ظَهَرَ مِنَ الآياتِ الباهراتِ الدَّالَّةِ على كَونِ الصّانِعِ مَوجودًا واجِبًا لِذاتِهِ واحِدًا لا شَريكَ لَهُ كِفايَةٌ لِمَن تَرَكَ الاستِكبارَ والتَّعَنُّتَ والعِنادَ، فَلَمْ يَحتَجْ إلى غَيرِها مِنَ المُقتَرَحاتِ الّتي اقتَرَحوها مِن عِندِ أنفُسِهِم.

دلالة الآية:

وفي هذهِ الآيةِ إشارَةٌ إلى أنّهُم ما قالُوا ذلكَ لِخفاءٍ في الآياتِ المَأتيِّ بِها، أو لِطَلَبِ مَزيدِ يَقينٍ، وإنّما قالُوهُ تَعَنُّتًا وعُتُوًّا وعِنادًا؛ ولِذا لَم يَأتِ بالآياتِ الّتي اقتَرَحوها مِن عِندِ أنفُسِهِم.

وفي المجمَعِ: «فإن قيلَ لِمَ لَم تُؤتَ الآياتُ الّتي اقتَرَحوها لِتكونَ الحُجَّةُ عَليهِم آكَدَ؟ قُلنا: الاعتِبارُ في ذلكَ بالمصالِحِ ولَو عَلِمَ اللهُ سبحانهُ أنَّ في إظهارِ ما اقتَرَحوهُ مِنَ الآياتِ مَصلَحَةً لأظهَرَها؛ فَلَمّا لَم يُظهِرها عَلِمنا أنَّهُ لَم يَكنْ في إظهارِها مَصلَحَةٌ»(٢) انتهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مقامَهُ.

(١) سورة الذاريات ٥١: ٤٦ـ ٥٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٦٦.

وقَولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ نافعُ بنُ عبدِ الرّحمنِ ويَعقوبُ: (ولا تَسأَلْ) بفَتحِ التّاءِ والجَزمِ على صِيغَةِ النّهي المخاطَبِ المعلومِ، ورُوِي ذلكَ عن أبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام، وذَكَرَ ابنُ عبّاس ذلكَ وأبو القاسِمِ البَلخي، وقَرَأَ الباقونَ: (ولا تُسأَلُ) عَلى لَفظِ الخَبَرِ على ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ[1] نَصَّ على ذلكَ في المجمَعِ[2].

اللغة:

قَد مَرَّ مَعنى الحَقِّ والتَّبشيرِ والانذارِ لُغَةً، والجَحيمُ: النّارُ إذا شَبَّ وَقُودُها وصارَ كَالعَلَمِ على طَبَقَةٍ مِن طَبَقاتِ جَهَنَّمَ، وأصلُهُ: ما اشتَدَّ لَهَبُهُ مِنَ النّيرانِ، يقالُ: جَحَمَتِ النّارُ تَجحُمُ جحمًا: إذا اضطَرَمَت، ومنهُ الجُحامُ بالضَّمِّ كَغُلامٍ: وهوَ داءٌ يأخُذُ الكَلبَ في رَأسِهِ فَيُكوَى منهُ ما بينَ عَينَيهِ، وقَد يُصيبُ الإنسانُ أيضًا، والجُحُم هيَ: العَينُ بلغَةِ حَميرٍ، قالَ الشّاعرُ:

أيا جَحْمَتِي ابكِي عَلى أُمِّ واهِبٍ قَتيلَةَ قِلُّوبٍ بإحدى المَذانِبِ[3]

وَجحمَتا الأسدِ: عيناهُ.

الإعراب:

جملَةُ: (أرسَلنا): خَبَرُ إنَّ، و(بالحَقِّ، وبَشيرًا، ونَذيرًا): كُلُّها أحوالٌ مِنَ الكافِ في (أرسَلناكَ) فَتكونُ مِنَ الأحوالِ المتَرادِفَةِ، والعاملُ في كُلِّ واحدٍ منها (أرسَلنا)، ويَجوزُ أن يكونَ الأوَّلانِ مِنَ الأحوالِ المتَداخِلَةِ دونَ الثّالثِ بالنّسبةِ إلى الثّاني دونَ الأوّلِ، ويَجوزُ أن يكونَ بَشيرًا ونَذيرًا مَفعولًا

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٥، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٥، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩١.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٦٦.

(٣) البيت مجهول القائل. وقد اُختُلِف في لفظه، فجاء في معجم مقاييس اللغة: ١: ٤٢٩ بلفظ: أمّ عامرٍ، أكيلةَ، وفي لسان العرب: ١٢: ٨٥ بلفظ: أمّ مالكٍ، وفي تاج العروس: ١٤: ٢٣ بلفظ: أمّ واهبٍ.
والقِلُّوب: الذئب. لسان العرب: ١٢: ٨٥، (جحم)، والمذانب: جمع ذنب، وهم: مسيل الماء. لسان العرب: ١: ٣٩١، (ذنب).

لهُ، وكَما تَقَعُ الصّفةُ مصدرًا ومفعولًا لَهُ يَقَعُ المصدَرُ في مَوضِعِ الحالِ، والتّقديرُ: إنَّا أرسلناكَ لِأن تُبَشِّرَ وتُنذِرَ لا لِتُجبِرَ على الإيمانِ على حَدِّ قولِهِ تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾(١)، وقولِهِ تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(٢)، وجملَةُ: (ولا تُسألُ) على قراءَةِ الجمهورِ: إمَّا عَطفٌ على قَولِهِ: (بشيرًا ونَذيرًا) فَتكونُ حالًا مِنَ الكافِ أيضًا في (أرسلناكَ)، أي: إنَّا أرسلناكَ بَشيرًا ونَذيرًا، وغَيرَ مَسؤُولٍ عَن أصحابِ الجَحيمِ، فَيكونُ لَها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ حينئذٍ فَيكونُ ذِكرُ الجُملَةِ بعدَ المفردِ الّذي هوَ بَشيرًا مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾(٣) بَعدَ قَولِهِ: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٤)، وقولِ الشّاعرِ:

والله يُبقِيكَ لَنا سالِمًا بُردَاكَ تَبجيلٌ وتَعظيمٌ(٥) [٤٨٧]

وإن لَم تكنْ فيهِ الواوُ: إمَّا مُستَأنفَةٌ، كَأنَّهُ قيلَ: ولَستَ تُسأَلُ، أو مُعترِضَةٌ، عَلى قَولِ مَن جَوَّزَ وقُوعَ الاعتِراضِ آخرَ جملَةٍ لا تَلِيها جُملَةٌ مُتَّصلَةٌ بها معنًى، وهوَ كَثيرٌ فَيَشملُ التَّذييلَ وبعضَ التَّكميلِ أيضًا إذا لَم يكنْ لَهُ مَحلٌّ.

وأمَّا على قِراءَةِ نافعٍ ويعقوبَ: (ولا تَسأَلْ) بالجَزمِ: فَيكونُ نَهيًا عَنِ المسألَةِ عَن أحوالِ أصحابِ الجَحيمِ؛ لِتَفخيمِ ما أعَدَّ اللهُ لَهُم مِنَ العِقابِ وتَناهِيهِ في الشِّدَّةِ، أي: قَد صارَت أحوالُهُم إلى أكثرِ مِمَّا تُريدُهُ، كَقولِ القائلِ: لا تَسألْ عَن حالِ فُلانٍ، أي: قَد صارَ إلى أكثرِ مِمَّا تُريدُهُ وأنتَ لا تَستَطيعُ استِماعَ خَبَرِهِ.

---

(١) سورة يس ٣٦: ٦.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٢.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٤٥.

(٥) نسبه الخطيب القزويني في الإيضاح في علوم البلاغة: ١٧٧ إلى ابن الرّوميّ، ودون نسبة في مختصر المعاني: ١٦٧.

ذِكرُ سَأَلَ ومَفعولَيهِ:

وَسَأَلَ يَتعدَّى إلى مَفعولَينِ، كَقولِ الشّاعرِ:

فَلَو أنكِ في يَومِ الرَّخاءِ سَألتِني   فِراقَكِ لَم أبخَلْ وأنتِ صَديقُ [1]

وقولِهِ عليه السلام: «اللّهُمَّ إنِّي أسألُكَ أن تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ»[2]، وقَد يُقتَصَرُ فيهِ على مَفعولٍ واحدٍ فَيُستَعمَلُ حينئذٍ عَلى قِسمَينِ:

أحدُهُما: أن يَتَعَدَّى بنَفسِهِ في ذلكَ الواحِدِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾[3]، وقولِهِ تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[4].

والآخَرُ: أن يَتعَدَّى بحَرفِ الجَرِّ كَقولِهِ تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[5]، لكِن هنا أعنِي قَولَهُ: (بعَذابٍ) مفعولُهُ الثّاني، فَعَلى هذا مفعولُ لا تَسأَلْ محَذوفٌ، أي: لا تَسأَلنِي عَن حالِ أصحابِ الجَحيمِ وقَدرِ عِقابِهِم وشِدَّةِ عِنادِهِم لَكَ ونَحوِ ذلكَ، وعَلى القراءَةِ المشهورةِ يكونُ المفعولُ الأوَّلُ (أنتَ) المُستَتِرِ قائِمًا في مَقامِ الفاعِلِ، والتّقديرُ: لا نَسأَلُكَ عَن أصحابِ الجَحيمِ ما لَهُم لَمْ يُؤمِنُوا بَعدَ التَّبليغِ والتّبشيرِ والانذارِ.

المعنى:

ثُمَّ سَلَّى سُبحانَهُ نَبيَّهُ صلى الله عليه وآله بتَأييدِهِ بالحُجَجِ، وبَعثِهِ بالحَقِّ وعَدَمِ الحَرَجِ عَليهِ صلى الله عليه وآله بعدَ التَّبليغِ والتَّبشيرِ والانذارِ؛ لِئَلَّا يَضيقَ صَدرُهُ صلى الله عليه وآله بإصرارِهِم على الكُفرِ والإشراكِ، وتَواصِيهِم عَلى عَدَمِ الإيمانِ بالأنبياءِ، فَقالَ: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾** يا مُحَمَّدُ مُتَلَبِّسًا ومُصاحَبًا **﴿بِالْحَقِّ﴾**، أي: بالقرآنِ والإسلامِ ودِينِ الحَقِّ، وبكَونِكَ مَبعوثًا عَلى الحَقِّ، ومُحِقًّا حالَ كَونِكَ **﴿بَشِيرًا﴾** مَن اتَّبَعَكَ، وآمنَ

---

(١) البيت من الطويل، مجهول القائل. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٦٠، وخزانة الأدب: ٥: ٤٠٩.

(٢) إقبال الأعمال: ٢: ١٤٢، وبحار الأنوار: ٩٥: ٢٥٧.

(٣) سورة الممتحنة ٦٠: ١٠.

(٤) سورة النحل ١٦: ٤٣.

(٥) سورة المعارج ٧٠: ١.

بِي وبِكَ بالثّوابِ والجَنّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن خالَفَكَ، وكَفَرَ بي وبِكَ بالعِقابِ والنّارِ فَلا بأسَ عَليكَ بعدَ أن بَلَّغتَ وبَشَّرتَ وأنذَرتَ إن أصَرُّوا أو كابَروا، أو المَعنى: إنَّا أرسَلناكَ لِأن تُبَشِّرَ وتُنذِرَ لا لِتُجبرَ وتَقسِرَ عَلى الإيمانِ؛ لأنَّهُ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١)، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢)، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾(٣)، وَ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾(٤)، وما عليكَ إلَّا البَلاغُ.

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ والحالُ أنَّكَ غَيرُ مَسؤولٍ عَن أحوالِهِم وعَدَمِ [اسلامهم] بَعدَ أن بَلَّغتَ رسالَتَكَ، ولَيسَ عَليكَ إجبارُهُم على القبولِ مِنكَ فَلا تَذهبْ نَفسُكَ عَليهِم حَسَراتٍ، فَهذا تَسليَةٌ لَهُ ﷺ لِئَلَّا يَضيقَ صَدرُهُ بإصرارِهِم عَلى الكُفرِ والزَّندَقَةِ، ولِئَلَّا يَبخَعَ ﷺ نَفسُهُ ألَّا يَكونوا مُؤمِنينَ كَما قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٥)، وقالَ تعالى أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(٦)، أو أنتَ لا تُؤخَذُ بِذُنوبِهِم كَقولِهِ تعالى: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾(٧)، أي: فَعَليهِ الإبلاغُ، وعَليكُم القبولُ، هذا كُلُّهُ على قِراءةِ: (لا تُسأَلُ) على لَفظِ الخَبرِ على ما لَم يُسمْ فاعلُهُ، وأمَّا عَلى قِراءةِ نافعٍ ويعقوبَ فَمَعناهُ: لا تَسأَلني يا مُحَمَّدُ عَن شِدَّةِ نَكالِ أصحابِ الجَحيمِ؛ لأنَّكَ لا تَستطيعُ استِماعَهُ لِفَظاعَتِهِ وشَناعَتِهِ.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٦.

(٢) سورة يونس ١٠: ٩٩.

(٣) سورة الغاشية ٨٨: ٢٢.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٧٢.

(٥) سورة الشعراء ٢٦: ٣.

(٦) سورة الكهف ١٨: ٦.

(٧) سورة النور ٢٤: ٥٤.

اعتِراضٌ على البَيضاوي:

وأمّا ما ظَنَّ البَيضاوي مِن أنَّ أبوَي رَسولِ الله ﷺ كانا مِن أصحابِ الجَحيمِ حيثُ قالَ: «وقَرَأَ نافعُ ويعقوبُ: (وَلا تَسأَلْ) عَلى أنَّهُ نَهيٌ للرّسولِ ﷺ عَنِ السّؤالِ عَن حالِ أبَوَيهِ»[1] انتَهى، فاسدٌ، وأنَّ بعضَ الظّنِّ إثمٌ، بَل أبواهُ ﷺ كانا مُؤمِنَينِ صالحَينِ، فإنَّهُ ﷺ كانَ مِن صُلبٍ طاهِرٍ ورَحِمٍ مُطهَّرةٍ كَما نَصَّ ﷺ نفسُهُ غيرَ مَرَّةٍ[2].

وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)** ﴾ آيةٌ:

اللغة:

الرِّضا وَالرّضوانُ والمَودَّةُ والمَحبَّةُ نَظائرُ، وضِدُّ الرِّضا: السّخطُ والغَضَبُ، وضِدُّ المَودَّةِ والمَحبَّةِ: العَداوَةُ والبُغضُ وهوَ مِن بَناتِ الواوِ بدَليلِ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[3]، والرِّضا بمَعنى: المَرضِيِّ والمُرتَضى أيضًا، يقالُ: رَجُلٌ رِضًا وامرأةٌ رِضًا وَرِجالٌ رِضًا ونِساءٌ رِضًا. [٤٨٨]

والمِلَّةُ والنِّحلَةُ والدِّيانَةُ نَظائرُ، والمِلّةُ: الدِّينُ، كَمِلَّةِ الإسلامِ واليَهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ، وفي الحديثِ: «لا يَتَوارَثُ أهلُ مِلَّتَينِ»[4]، وقيلَ: هيَ مُعظَمُ الدِّينِ، وجملَةُ ما يَجيُءُ بِهِ الرُّسُلُ، امتَلَّ الرَّجُلُ: إذا أخَذَ في مِلَّةِ الإسلامِ، أي: قَصَدَ ما أمَّلَ فيهِ، والاملالُ: إملالُ الكِتابِ لِيُكتَبَ، يقالُ: أملَلتُ الكِتابَ وأملَيتُهُ: إذا ألقَيتَهُ على الكاتِبِ لِيكتُبَهُ، والمِلَّةُ أيضًا: الدِّيَةُ، جَمعُها: مِلَلٌ، قالَ الزُّهري: «كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يَطَؤونَ الإماءَ ويَلِدْنَ لَهُم فَكانوا يُنسَبونَ إلى آبائِهِم وهُم عَرَبٌ، فَرَأى عُمَرُ أن يَرُدَّهُم على

(١) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٣.

(٢) كما في قوله ﷺ: «لم يزل ينقُلني مِن أصلابِ الطّاهرين، إلى أرحامِ المطهّراتِ حتّى أخرجَني في عالمِكم هذا». أوائل المقالات: ٤٦، حديث رقم: ٩، وبحار الأنوار: ١٥: ١١٧، حديث رقم: ٦٣.

(٣) سورة التوبة ٩: ٧٢.

(٤) الكافي: ٧: ١٤٢، حديث رقم: ١، ودعائم الإسلام: ٢: ٣٨٥، حديث رقم: ١٣٦٩، ومن لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٣٥، حديث رقم: ٥٧٢٣.

آبائِهم فيُعتقونَ ويأخذُ مِن آبائِهم الدِّيَةَ لمواليهِنَّ عَن كُلِّ واحدٍ خَمسًا مِنَ الإبلِ)[1]، كَما (قالَ عُمَرُ: لَيسَ على عَرَبيٍّ مِلك ولَسنا بنازعينَ مِن يَدِ رَجُلٍ شَيئًا أسلَمَ عَليهِ، ولكنَّا نُقَوِّمُهُم المِلّةَ على آبائِهم خَمسًا مِنَ الإبلِ)[2]، انتهى.

والمَلُّ والمَلَّةُ بالفتحِ: الرَّمادُ الحارُّ الّذي يُحمَى لِيُدفَنَ فيهِ الخُبزُ لِينضجَ، والمَلالُ: عَدَمُ الرّغبَةِ في شَيءٍ، وفي الحديثِ: «اكلِفُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطيقُونَ فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»[3]، معناهُ: إنَّ اللهَ لا يَمَلُّ أبدًا مَلَلتُم أم لَم تَمَلُّوا، فَجَرَى مَجرَى قَولهِم: (حَتَّى يَشيبَ الغُرابُ، ويَبيَضَّ القارُ)[4]، أو مَعناهُ: إنَّ اللهَ لا يَقطَعُ عنكُم فَضلَهُ حَتَّى تَمَلُّوا سُؤالَهُ فَسُمِّيَ فِعلُ اللهِ مَلَلًا على طَريقِ الازدِواجِ في الكَلامِ كَقولِهِ تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[5] وقولِهِ تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى﴾[6]، وهذا بابٌ واسعٌ في العَربيَّةِ كَثيرٌ في القُرآنِ.

والهَوَى رَأيٌ يَتبَعُ الشَّهوَةَ، والوَليُّ هنا: المُعينُ، والأولَى بالتَّصرُّفِ في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا والأحَقُّ بذلكَ والمتَولِّي والمالِكُ في تَدبيرِ الأُمورِ، والنَّصيرُ هوَ: النّاصِرُ.

الإعراب:

(لَن) مِن الأحرُفِ النَّواصِبِ للفِعلِ المضارِعِ، ومَعناهُ: تأكيدُ النَّفي فَقَط على الأصَحِّ دونَ التَّأبيدِ، والتَّأبيدُ في بعضِ المواضِعِ يُفهَمُ مِن دليلٍ خارجٍ كَقولِهِ تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[7]، و(تَرضَى): مَنصوبٌ بـ(لن) بالفَتحةِ تَقديرًا، أصلُهُ: (لَن تَرضَوَ)، كَتَعلَمَ قُلِبَتِ الواوُ ياءً لِوقوعِها رابعَةً ولَم يُضَمّ ما قَبلها

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٣٦١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٩: ٧٤، والفائق في غريب الحديث: ٣: ٢٥٩.

(٣) مسند أحمد: ٦: ٤٠، وميزان الحكمة: ٣: ٢١٢٦، حديث رقم: ٢٩٤٣.

(٤) الأمالي للمرتضى: ٢: ٦٤، وجمهرة الأمثال: ٣٦٢.

والقار: هو القير، ويكون لونه أسود، وقيرت السفينة: طليتها. العين: ٥: ٢٠٦، (قير)، والصحاح: ٢: ٨٠١، (قير).

(٥) سورة الشورى ٤٢: ٤٠.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٩٤.

(٧) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

كَما هوَ المُقرَّرُ في عِلمِ التَّصريفِ ثُمَّ قُلِبَتِ الياءُ ألِفًا لِتحرُّكِها وانفِتاحِ ما قَبلَها، وقُلِبَتِ الواوُ في ماضِيهِ ياءً لِتَطرُّفِها وانكِسارِ ما قَبلَها، وفاعلُهُ اليَهودُ، و(عَنكَ): مُتعلِّقٌ بـ(تَرضَى).

و(النَّصارَى): عَطفٌ على اليَهودِ، و(لا): مَزيدةٌ لِتَأكيدِ نَفي (لَنْ) كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1]؛ لِتَأكيدِ النَّفي المفهومِ مِن (غَيرِ)، و(حتَّى): حَرفُ جَرٍّ، و(تَتَّبعَ): مَنصوبٌ بأن مُضمَرَةً بعدَ (حَتَّى)، قالَ الخليلُ وسيبويه: إنَّ النّاصبَ للفِعلِ بعدَ حَتَّى (أن) إلَّا أنَّها لا تَظهَرُ بَعدَ حَتَّى[2]، ويَدلُّ على أنَّ حَتَّى لا تَنصِبُ بنَفسِها أنَّها تَجُرُّ الاسمَ في قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[3] ولا يُعرَفُ في العَربيّةِ حَرفٌ يَعمَلُ في اسمٍ يَعمَلُ في فِعلٍ، ولا حَرفٌ جارٌّ يكونُ ناصِبًا لِفعلٍ، فَصارَ مثلَ اللّامِ في قَولِكَ: ما كانَ زيدٌ لِيَضرِبَكَ، وقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[4] في أنَّها جارَّةٌ، والنّاصِبُ لِيَضرِبَكَ (أن) المُضمَرَةُ، ولا يَجوزُ إظهارُها مَعَ هذهِ اللّامِ، أعني: لامَ الجُحُودِ أيضًا، و(مِلَّتَهُم): مفعولُ تَتَّبِعَ، و(هُدَى اللهِ): كَلامٌ إضافيٌّ اسمُ (إنَّ) بكَسرِ الهمزَةِ، و(هوَ): ضَميرُ الفَصلِ لا مَحلَ لهُ مِنَ الإعرابِ على الأصَحِّ، و(الهُدَى): خَبَرُ إنَّ، وعلى مَذهَبِ مَن جَعَلَ لِضَميرِ الفَصلِ مَحلًّا مِنَ الإعرابِ[5] فهوَ: مُبتدأٌ، و(الهُدى) خَبَرُهُ، والجملَةُ: خَبَرُ (إنَّ)، وجملَةُ: (إنَّ مَعَ اسمِهِ وخَبَرِهِ): مَقولُ قُل، وعَلى التَّقديرَينِ يُفيدُ الحَصرَ كَما مَرَّ بَيانُهُ مُفصَّلًا في أوَّلِ السّورَةِ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6]، واللّامُ في (لَئِن اتَّبَعتَ) مُوطئةٌ للقَسَمِ المَحذوفِ، وجملَةُ: (اتَّبَعتَ أهواءَهُم) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ: شَرطيَّةٌ، و(بعدَ) ظرفٌ لـ(اتَّبَعتَ)، و(الّذي):

(١) سورة الفاتحة ١: ٧.

(٢) ينظر: الجمل في النحو: ٧٧، والكتاب: ٣: ٧.

(٣) سورة القدر ٩٧: ٥.

(٤) سورة الأنفال ٨: ٣٣.

(٥) وهو مذهب الكوفيّين. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٥٧٩، وشرح المفصّل لابن يعيش: ٢: ٣٢٨.

(٦) سورة البقرة ٢: ٥.

مُضافٌ إليهِ، وجملَةُ: (جاءَ): صِلَةُ (الّذي)، و(الكافُ) مَنصوبٌ على نَزعِ الخافِضِ، أي: جاءَ إليكَ، و(مِنَ العِلمِ): مُتعلِّقٌ بمُقدَّرٍ مِن فاعِلِ (جاءَ) العائِدِ إلى (الّذي)، و(ما): نافِيَةٌ، و(لَكَ): خَبَرٌ مُقدَّمٌ، و(مِن وَلِيٍّ) في مَوضِعِ رَفعٍ: مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ، و(مِن): مَزيدَةٌ للتّأكيدِ.

و(نَصيرٍ): عَطفٌ على (وَلِيٍّ)، و(لا): مَزيدةٌ لِتأكيدِ النَّفيِ، و(مِنَ اللهِ): مُتعلِّقٌ بمُقدَّرٍ حالٌ مِنَ (الكاف) في ذلكَ، أو حالٌ مِن كُلِّ واحدٍ مِن (وَلِيٍّ ولا نَصيرٍ)، وهذا أولى؛ لأنَّ نَعتَ النَّكرَةِ إذا قُدِّمَ عَليها كانَ حالًا لَها، وجملَةُ (ما لَكَ) إلى آخِرِها: جَوابٌ للقَسَمِ المحذوفِ، بدليلِ وجودِ الحَرفِ الدّالِّ عَلى جَوابِ القَسَمِ وهوَ: (ما) هنا، والحُروفُ الدّالّةُ على جَوابِ القَسَمِ (ما ولا وإن النّافِياتِ، وإنَّ، واللّام)، وحُذِفَ جَوابُ الشّرطِ بدَلالَةِ جَوابُ القَسَمِ عَليهِ وعَدَمِ وجودِ الحَرفِ الدّالِّ عَلى جَوابِ الشّرطِ، أعني: الفاءَ.

قاعدَةٌ نحويّة:

كُلَّما اجتمَعَ الشَّرطُ والقَسَمُ حُذِفَ جَوابُ المتأَخِّرِ منهُما، واستُغنِيَ بجَوابِ المُتقدِّمِ عَن جَوابِ المُتأخِّرِ، مِن ذلكَ قولِهِ تعالى: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**﴾ الآيةِ، وقولِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾(١)، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ﴾(٢)، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾(٣)، وقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(٤) الآيةِ، وقولِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾(٥)، كَما قالَ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ مالكٍ في أُرجوزَتِهِ المُسمّاةِ بالخُلاصَةِ:

---

(١) سورة الحشر ٥٩: ١٢.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٥٧.

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٤١.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٨٨.

(٥) سورة المائدة ٥: ٢٨.

واحذِف لَدَى اجتِماعِ شَرطٍ وقَسَمِ جَوابَ ما أَخَّرتَ فَهوَ مَلتَزِم[1] [٤٨٩]

فَلَو قُدِّمَ الشَّرطُ وأُخِّرَ القَسَمُ حُذِفَ جَوابُ القَسَمِ، كَقولِكَ: إن يَقمْ زيدٌ والله أقُمْ أو فَأُكرِمْهُ، هذا كُلُّهُ إذا لَمْ يَتقدَمْهُما ـ أي الشّرطَ والقَسَمَ ـ ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ، فإن تَقدَّمَهُما ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ يُحذَفُ جَوابُ القَسَمِ مُطلَقًا سَواءٌ قُدِّمَ القَسَمُ عَلى الشَّرطِ أو أُخِّرَ، نحو: زيدٌ والله إن يَقُمْ أُكرِمْهُ أو زيدٌ إن يَقمْ والله أقُمْ، ورُبَّما يُرجَّحُ الشّرطُ ويُذكَرُ جَوابُهُ ويُحذَفُ جَوابُ القَسَمِ، وإن قُدِّمَ القَسَمُ ولَم يَتقدَّمهُما ما يَحتاجُ إلى الخَبَرِ؛ وذلكَ لأنَّ القَسَمَ لِتَرويجِ الكَلامِ، أعني: الشَّرطَ والجَزاءَ ولَيسَ نفسُهُ مَقصودًا بذاتِهِ كَقولِ الشّاعِرِ:

لَئِن كانَ ما حُدِّثتُهُ اليومَ صادقًا أَصُمْ في نَهارِ القَيظِ للشَّمسِ بادِيًا

واركَب حِمارًا بينَ سَرجٍ وفَروَةٍ وَأعرُ مِنَ الخاتامِ[2] صُغرى شِمالِيًا[3]

حيثُ قَدَّمَ القَسَمَ على الشّرطِ؛ لأنَّ التّقديرَ: والله لَئِن كانَ ما حُدِّثتُهُ اليومَ صادقًا مَعَ أَنَّهُ ذَكرَ جَوابَ الشَّرطِ وهوَ (أصُمْ وأركَبْ وأعرُ) كُلَّ واحدٍ مَنها بالجَزمِ على صِيغَةِ المعلومِ مِنَ المتكلِّمِ وحدهُ، وحَذَفَ جَوابَ القَسَمِ بدَلالَةِ جَوابِ الشّرطِ عليهِ.

المعنى:

قيلَ: كانَت اليَهودُ والنَّصارَى يَسألونَ النَّبيَّ الهُدنَةَ ويُرونَهُ إذا هادَنَهُم وأمهَلَهُم اتَّبَعوهُ، فأقنَطهُ اللهُ تعالى مِن مَوافَقَتِهِم إيَّاهُ وآيَسهُ منها، وقيلَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ مُجدًّا في طَلَبِ ما يُرضِيهِم لِيَدخُلوا في الإسلامِ فَآيَسَهُ اللهُ مِن ذلكَ وأقنَطَهُ عنهُ على سَبيلِ المُبالغَةِ والتّأكيدِ فَقالَ: **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ**

---

(١) ألفيّة ابن مالك: ٥٩. وهو: أبو عبد الله جمال الدين الطائي الجياني: من أئمّة العربيّة، له العديد من الكتب، منها: الألفية، وتسهيل الفوائد، والكافية الشافية، وشواهد التوضيح، وغيرها، توفي سنة (٦٧٢هـ). ينظر: بغية الوعاة: ٥٣، والوافي بالوفيّات: ٣: ٣٥٩.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الخاتامُ لُغةً: في الخاتمِ.

(٣) الأبيات من الطويل، قائلها من بني عُقَيْلٍ. ينظر: لسان العرب: ١٢: ١٦٤، (ختم)، وخزانة الأدب: ١١: ٣٥٠.

وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، أو كانَتِ اليَهودُ والنَّصارَى قالُوا: لَن نَرضَى عَنكَ يا مُحَمَّدُ وإن طَلَبتَ رِضاءَنا جُهدَكَ[١] حَتَّى تَتَّبعَ مِلَّتَنا، أي: دينَنا، فَحَكى اللهُ سبحانهُ كَلامَهُم واتِّباعُهُ ﷺ مِلَّتَهُم ودِينَهُم الّتي هيَ الكُفرُ والإشراكُ حَرامٌ ومُحالٌ، والتَّعليقُ على المُحالِ مُحالٌ أيضًا فَرِضاهُم عنهُ ﷺ أيضًا مُحالٌ فَهذا يَدُلُّ على أَنَّهُ لا يَصُحُّ إرضاءُ اليَهودِ والنَّصارِى ومَن يَحذو حَذوَهُم على حالٍ مِنَ الأحوالِ؛ لأَنَّهُ سبحانهُ عَلَّقَ رِضاهُم بأن يَصيرَ ﷺ يَهوديًّا أو نَصرانيًّا وإذا استَحالَ إرضاؤُهُم بأَنَّهُ لا يَرضَى كُلُّ فِرقَةٍ منهُم إلَّا أن يَتَّبعَ ﷺ مِلَّتَهُم ودِينَهُم وقِبلَتَهُم، واجتِماعِ إرضاءِ كِلا الفَريقَينِ أيضًا مُحالٌ؛ ولِذا قالَ سبحانُهُ: **﴿قُلْ﴾** يا مُحَمَّدُ **﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾**، جَوابًا عَن قَولِهِم: لَن نَرضَى عَنكَ إلى آخِرِهِ، يَعني: إنَّ هُدى اللهِ هوَ: الإسلامُ، هوَ: الهُدى الحَقُّ الواجبُ الاتِّباعِ الّذي يَصُحُّ أن يُسَمَّى هُدًى، وهوَ الدِّينُ الّذي أنتَ عَليهِ دونَ غَيرِهِ بدَلالَةِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢] وقولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣]، فاليَهوديَّةُ والنَّصرانيّةُ والمجوسِيَّةُ والتَّفويضُ والجَبرُ والارجاءُ ونَحوها لَيسَت مِنَ الإسلامِ في شَيءٍ، وهذا الإسلامُ هوَ الإيمانُ بَل أعلى وأَخَصُّ، ولَيسَ مِنَ السِّلمِ الّذي هوَ الصُّلحُ كإيمانِ الأعرابِ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٤]، وهوَ الإسلامُ المُرادُ في قَولِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[٥]، وقالَ تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ: جُهدَكَ بالنَّصبِ: حالٌ، على تَأويلِ مُجتهدًا كَما بُيِّنَ في النّحو، ورِضاءَنا: مفعولٌ بهِ لِطَلَبتَ.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٩.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٨٥.

(٤) سورة الحجرات ٤٩: ١٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٢٨.

المُشْرِكِينَ﴾[1]، وهوَ التَّسليمُ والانقيادُ والطّوعُ لله تعالى ولأوليائِهِ، والعَمَلُ بما جاؤا بهِ في أحوالِ النَّشأتَينِ كَما بَيَّنَهُ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام في خُطبَةٍ لهُ عليه السلام أنَّهُ قالَ: «لَأنسِبَنَّ الإسلامَ نِسبَةً لم يَنسِبها أحدٌ قَبلِي ولا يَنسِبها أحَدٌ بَعدي: الإسلامُ هوَ التَّسليمُ، والتّسليمُ هوَ اليَقينُ، واليَقينُ هوَ التَّصديقُ، والتَّصديقُ هوَ الإقرارُ، والإقرارُ هوَ الأداءُ، والأداءُ هوَ العَمَلُ»، الخطبَةُ رَواها عليُّ بنُ ابراهيمَ في تفسيرِهِ، وغيرِهِ[2]، ثمَّ حَذَّرَ سبحانهُ نَبيَّهُ صلى الله عليه وآله في إرضائِهِ إيّاهُم باتِّباعِ أقوالِهِم وأهوائِهِم ومُراداتِهِم بقَولِهِ تعالى: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ**﴾، أي: واللهِ، أو أُقسِمُ بعِزَّتي وجَلالي لَئِن اتَّبعتَ أقوالَهُم الّتي هيَ أهواءٌ وبِدَعٌ وتَقَوُّلٌ وافتِراءٌ ﴿**بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾، أي: مِنَ الوَحي والدِّينِ المعلومِ صِحَّتُه بالدَّلائلِ والحُجَجِ والبَراهينِ ﴿**مَا لَكَ**﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿**مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ**﴾، أي: مِن مُعينٍ وصاحبِ تَدبيرٍ واختيارٍ يَحفَظُكَ مِن عِقابهِ ﴿**وَلَا نَصِيرٍ**﴾، أي: ولا ظَهيرٍ يُعينُكَ عليهِ ويَدفعُ بنَصرِهِ عَذابَهُ عنكَ، وهذا مِن بابِ: إيَّاكَ أعني واسمَعِي يا جارَة.

دلالة هذه الآية:

فَهذِهِ الآيةُ تَدلُّ على أنَّ مَن عَلِمَ اللهُ تعالى منهُ أنَّهُ لا يَعصِي يَصُحُّ وَعيدُهُ وتَهديدُهُ كَما هوَ المُتعارَفُ المَعهودُ مِنَ الفُصحاءِ والعَرَبِ العَرباء والأُمَراءِ في كُلِّ عَصرٍ مِنَ الأعصارِ؛ لأنَّهُ سبحانهُ عَلِمَ أنَّ نَبيَّهُ صلى الله عليه وآله لا يَتَّبِعُ أهواءَهُم ولا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا، فإنَّ صِدقَ القَضيَّةِ الشَّرطيَّةِ مَبنيٌّ على التَّعليقِ وإن كانَ مُحالًا، فَجرَت أمثالُ هذهِ الآيةِ مَجرَى قولِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]، والمقصودُ منهُ: التَّنبيهُ عَلى أنَّ حالَ أُمَّتِهِ فيهِ أغلَظُ وأشَدُّ مِن حالِهِ.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٦٧.

(٢) تفسير القمي: ١: ١٠٠، وخصائص الأئمّة: ١٠٠: ووسائل الشيعة: ١٥: ١٨٣، حديث رقم: ٢٠٢٣١.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٦٥.

وقولُهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾ آيةٌ:

قَد مَرَّت مَعاني ألفاظِ هذهِ الآيةِ لُغةً في أمثالِها. [٤٩٠]

الإعراب:

(الّذينَ): مبتدأٌ، وهوَ مُتضَمِّنٌ لمعنى الشَّرطِ يجوزُ في خَبَرِهِ الفاءُ، كَقولِهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وعَدَمُهُ كَما في هذهِ الآيةِ، وجملَةُ (آتيناهُمُ الكِتابَ) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولَينِ: صِلَةُ (الّذينَ)، وجملَةُ (يتلونَهُ): خَبَرُ المبتدأِ، و(أُولئِكَ يُؤمِنونَ بهِ): مُبتدأٌ وخَبَرٌ، والجملَةُ: خَبَرٌ ثانٍ (للّذينَ) على حَدِّ قَولِهِم: زيدٌ عالمٌ عاقِلٌ، وقولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[2]، ويَجوزُ أن يكونَ خَبَرُ (الّذينَ) جملَةُ (أُولئِكَ يُؤمنونَ بهِ)، وتَكونَ جملَةُ (يَتلونَهُ): حالًا مُقدَّرَةً، أي: مُستقبلَةً مِن (هُم) في (آتيناهُم)، أو مِن (الكِتابَ)، أو منهُما جَميعًا، لأنَّهُم[3] في وَقتِ إيتاءِ الكِتابِ لَم يَكونُوا تالينَ لَهُ، ولا كانَ الكِتابُ مَتلُوًّا لَهُم، بَل بَعدَ الإيتاءِ يَتلونَ الكتابَ، نظيرَهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[4]، فإنَّ الخلودَ لَم يكنْ وَقتَ الدُّخولِ بَل بَعدَهُ مُتَّصلًا بِهِ، وقَولُهُم: جاءَني رَجلٌ مَعَهُ صَقرٌ صائِدًا بهِ غدًا، و(حَقَّ تِلاوَتِهِ): مفعولٌ مُطلَقٌ لِقولِهِ (يَتلونَهُ)؛ لإضافَةِ الحَقِّ إلى مَصدَرِهِ، و(مَن): شَرطيَّةٌ مبتدأٌ، و(يَكفُرْ) مجزومٌ بهِ بحَذفِ الحَرَكةِ.

وجملَةُ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ مِنَ المبتدأِ، وضَميرِ الفَصلِ، والخَبَرِ: جَوابُ الشَّرطِ، وخَبرُ المبتدأِ، أو مَجموعُ الشّرطِ والجَزاءِ: خَبَرُ المبتدأِ، وقَد مَرَّ بَيانُ ضَميرِ الفَصلِ ومَحَلِّهِ وحُكمِهِ في ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ مُفَصَّلًا، وفي الآيةِ السّابقَةِ مُجمَلًا.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٧٤.

(٢) سورة البروج ٨٥: ١٤-١٦.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: تعليلٌ لكونِهِ من الحالِ المقدَّرَةِ.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٧٣.

النُّزول:

في المجمَعِ: «قيلَ: نَزَلَت في أهلِ السّفينةِ الّذينَ قَدِمُوا مَعَ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه مِنَ الحَبشَةِ، وكانوا أربعَينَ رَجُلًا: اثنان وثَلاثونَ مِنَ الحَبَشَةِ، وثَمانيَةٌ مِن رُهبانِ الشّامِ، منهُم بُحيرَى الرّاهبُ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، وقيلَ: هُم مَن آمَنَ مِنَ اليَهودِ كَعبدِ الله بنِ سَلامٍ وشُعبَة بنِ عَمرٍو وتَمامِ بنِ يَهوذا وأسَدٍ وأُسَيدٍ ابنَي كَعبٍ وابنِ يامِينَ وابنِ صُوريا، عَنِ الضّحّاكِ، وقيلَ: هُم أصحابُ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله، عَن قَتادَةَ وعِكرمَةَ، وعَلى القَولينِ الأوَّلينِ يكونُ المرادُ بالكِتابِ: التّوراةَ، وعلى القَولِ الأخيرِ المُرادُ بِهِ: القُرآنَ»[1] انتَهى كَلامُ صاحبِ المجمَعِ.

أقولُ: وعلى الأقوالِ الثّلاثَةِ يَجوزُ أن يكونَ المرادُ بالكِتابِ: القُرآنَ، وسنَذكُرُ ذلكَ مُفصَّلًا في سورةِ المائدَةِ عندَ ذِكرِ مُهاجَرَةِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه إلى الحَبشَةِ عندَ قَولِهِ تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ـ إلى قَولِهِ ـ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾[2] الآياتِ الثّلاثِ.

وفي أُصولِ الكافي: «مُحمَّدُ بنُ يَحيَى عَن أحمدَ بنِ مُحمَّدِ بنِ مَحبوبٍ عَن أبي وَلّادٍ[3] قالَ: سألتُ أبا عبدِ الله عليه السلام عَن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾**، قالَ: هُمُ الأئِمَّةُ عليهم السلام»[4]، فالمُرادُ بالكِتابِ حينئذٍ هوَ: القُرآنُ أيضًا.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٧٠، وينظر: أسباب النزول للواحدي: ١: ٤٠.

(٢) سورة المائدة ٥: ٨٢ ـ ٨٤.

(٣) هو: حفص بن سالم الحَنّاط: كوفي مولى جعفي، ثقةٌ، لا بأسَ بهِ، رَوى عَن أبي عبد الله عليه السلام، له أصل، وله كتاب يرويه الحسن بن محبوب. ينظر: رجال النجاشي: ١٣٥، ترجمة رقم: ٣٤٧، وفهرست الشيخ الطوسي: ١١٧، ترجمة رقم: ٢٤٥، وخلاصة الأقوال: ١٢٧.

(٤) الكافي: ١: ٢١٥، حديث رقم: ٤.

المعنى:

﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ**﴾، أي: أعطيناهُم ﴿**الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾، أي: يَقرَؤونَهُ حَقَّ قِراءَتِهِ، ويَفهمونَ مَعانيهِ، ويَعمَلونَ بحَلالِهِ، ويَقِفونَ عندَ حَرامِهِ، ويتَّبعونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[1]، أي: تَبِعَها، فَيَعملونَ حَقَّ العَمَلِ بمُحكَمِهِ، ويُؤمِنونَ بمُتَشابِهِهِ، ويَكِلُونَ ما أشكَلَ عَليهِم إلى عالمِهِ مِنَ النَّبيِّ والوَصيِّ، ويَقِفونَ عِندَ ذِكرِ الجَنَّةِ والنّارِ، فَيَسألونَ في الأُولى ويَستَعيذونَ في الأُخرى، كَما هوَ المرويُّ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام كَذا في المجمَعِ والعَيّاشي[2].

وفي الكافي والعَيّاشي: عنهُ عليه السلام: «هُمُ الأئمَّةُ عليهم السلام»[3] كَما مَرَّ في النّزولِ، وإن كانَ المُرادُ بـ(الّذين آتيناهُم): مَن آمَنَ مِنَ اليَهودِ وغَيرِهِم، وبالكِتابِ: التّوراةِ، فَالمعنى: إنَّ اليَهودَ آمَنوا، يَتلونَ التّوراةَ ويَتَّبعونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ، ولا يُحَرِّفونَهُ، ويُحِلُّونَ حَلالَهُ، ويُحَرِّمونَ حَرامَهُ، ولا يُغَيِّرونَ ولا يُخفونَ ما وَجَدُوا فيهِ مِن وَصفِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ووَصِيِّهِ عليه السلام، وقيلَ: الهاءُ في يَتلونَهُ راجعٌ إلى مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والمُرادُ بالتّلاوَةِ التّوصيفُ والاتِّباعُ، أي: يَصفونَهُ حَقَّ صِفَتِهِ في كُتُبِهِم لمن يَسأَلُهُم مِنَ النّاسِ، ويُؤمنونَ بهِ ولا يُخفُونَهُ عنهُم، ويَتَّبعونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ.

﴿**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾، أي: بالكِتابِ الّذي هوَ القرآنُ، أو التَّوراةُ غَيرُ المُحرَّفِ، أو بالنَّبيِّ صلى الله عليه وآله، أو بكُلِّ واحدٍ مِنَ الثّلاثَةِ، ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ**﴾، أي: بالنَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وبالكِتابِ الّذي هوَ القُرآن، واتَّبَعَ التّوراةَ المُحرَّفَ وأخفَى صِفَتَهُ صلى الله عليه وآله عَنِ النّاسِ السّائلينَ عَن وَصفِهِ وشَمائِلِهِ مِنَ اليَهودِ[4] والنَّصارَى وجَميعِ الكفّارِ، ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ لا غَيرُهُم؛ لأنَّهُم الّذينَ خَسِروا أنفسَهُم وأعمالَهُم وأهالِيَهُم في الدُّنيا مِنَ الظَّفَرِ والنُّصرَةِ، وفي الآخِرَةِ ما أعَدَّ اللهُ تعالى للمُؤمنينَ مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ في الجَنَّةِ، فَضَلَّ سَعيُهُم في الحياةِ الدّنيا وهُم يَحسِبونَ أنَّهُم يُحسِنونَ صُنعًا، كَما قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ

---

(١) سورة الشمس ٩١: ٢.

(٢) ينظر: مجمع البيان: ١: ٣٧١، وتفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٤.

(٣) الكافي: ١: ٢١٥، حديث رقم: ٤، وتفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٣.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: قولُهُ مِنَ اليَهودِ إلى آخرِهِ: بَيانٌ لمَن يَكفُرُ.

نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾[1]. [٤٩١]

وقولُهُ تعالى: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (١٢٣)﴾** آيتانِ:

ذِكرُ النّكت في تكرارِ هاتَينِ الآيتَينِ:

قَد تَقَدَّمَ مثلُ هاتَينِ الآيتَينِ ومَضَى بَيانُهما لُغةً وإعرابًا وتفسيرًا، والنُّكتَةُ في تكرارِهما على وجُوهٍ:

أحدُها: أنّهُ (لمَّا بَعُدَ ما بَينَ الكَلامَينِ حَسُنَ الإعادةُ والتّكريرُ إبلاغًا في التّنبيهِ والاحتِجاجِ للتّذكيرِ)، كذا في الجَوامِعِ[2].

وثانيها: (لمَّا صَدَّرَ قِصَّتَهُم بالأمرِ بذِكرِ النِّعَمِ والقِيامِ بحُقوقِها والحَذَرِ عَن إضاعَتِها والخَوفِ منَ السّاعةِ وأهوالها، كَرَّرَ ذلكَ وختَمَ بِهِ الكَلامَ مَعَهُم؛ مُبالغَةً في النُّصحِ، وإيذانًا بأنَّهُ فَذلَكَةُ القضيَّةِ، والمقصودُ مِنَ القِصَّةِ)، كَذا في أسرارِ التّنزيلِ[3].

ثالِثُها: أنَّ نِعَمَ الله تعالى لمَّا كانَت أُصولَ كُلِّ نِعمَةٍ كَرَّرَ التّذكيرَ بها مُبالغَةً في استِدعائِهِم إلى ما يَلزَمُهُم مِن شُكرِها؛ لِيُقبِلُوا إلى طاعَةِ رَبِّهِم المُظاهِرِ نِعَمَهُ عَليهِم لِيَتَوصَّلُوا بهذهِ إلى نِعمَةٍ أعظَمَ وأعلَى وهيَ: الإيمانُ بمُحمَّدٍ ﷺ ووَصِيِّهِ، وهُما عليهما السلام مِن نِعمَةِ الله العُظمى، ومَعَ ذلكَ يَعرفونَ نِعمَةَ الله ثمَّ يُنكِرونَها، كَما هوَ المرويُّ عنهُم عليهم السلام[4].

(١) سورة الكهف ١٨: ١٠٣ـ ١٠٦.

(٢) تفسير جوامع الجامع: ١: ١٤٥.

(٣) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٤.

(٤) ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢: ١٢٣.

رابعُها: أنّهُ سبحانَهُ لمَّا ذَكَرَ التّوراةَ وفيها الدّلالةُ على شَأنِ عِيسى ومُحمَّدٍ عليهما السلام في النُّبوَّةِ والبِشارَةِ بِهما ذَكَّرَ نِعمتَهُ عَليهِم بذلكَ، وما فَضَّلَهُم بهِ، كَما عَدَّدَ سبحانَهُ النِّعمَ في سورةِ الرّحمنِ وكَرَّرَ قَولَهُ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]، فَكُلُّ تَفريعٍ جاءَ بعدَ تَفريعٍ، فإنَّما هوَ مَوصولٌ بتَذكيرِ نِعمَةٍ غيرِ الأُولى، والثّالثَةُ غَيرُ الثّانيَةِ، والرّابعَةُ غَيرُ الثّالثَةِ، وهكذا إلى آخِرِ السّورَةِ، وكَذا الوَعيدُ في سُورَةِ المُرسَلاتِ بقَولِهِ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، إنَّما هوَ بَعدَ الدَّلالةِ على أعمالٍ يَعظُمُ التّكذيبُ بِما تَدعُو إليهِ الأدِلَّةُ.

وقَد مَرَّ أنَّ العَدلَ: هوَ الفَريضَةُ أو الفِديَةُ، والعَيّاشي عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «أنَّ العَدلَ الفَريضَةُ»[3]، وفيهِ عَنِ الباقرِ عليه السلام: «أنَّ العَدلَ الفِداءُ»[4].

وقولُهُ تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾** آيةٌ:

القراءة:

في إبراهيمَ تسعُ لُغاتٍ:

قَرَأَ عبدُ الله بنِ عامرٍ وهُشامٍ في أكثرِ المواضِعِ مِنَ القرآنِ: إبراهامَ، والباقونَ إبراهيمَ[5]، وفيهِ تسعُ لُغاتٍ: إبراهيم، وإبراهام، وإبراهُوم، وإبراهُم، مُثلَّثةُ الهاءِ معَ الألِفِ بعدَ الراءِ بغَيرِ ياءٍ، وإبرَهُم مُثلَّثةُ الهاءِ أيضًا بلا ألِفٍ وياءٍ، كُلُّها اسمٌ عَجمِيٌّ تَصغيرُهُ: بُرَيْهٌ، أو أُبَيْرِهٌ، أو بُرَيْهِيْمٌ، والبَراهِمَةُ: قومٌ لا يُجوِّزونَ عَلى الله تَعالى بِعثَةَ الرُّسُلِ عليهم السلام.

---

(١) سورة الرحمن ٥٥: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١...، إذ تكرّرت الآية إحدى وثلاثين مرّةً.

(٢) سورة المرسلات ٧٧: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨...، فقد تكرّرت الآية عشرَ مرّاتٍ.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٥.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٥٧، حديث رقم: ٨٦.

(٥) ينظر: الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٢٦، وجامع البيان في القراءات السبع: ٢: ٨٨٥، والنشر في القراءات العشر: ٢: ٣٨٤.

وقَرَأَ حَفصٌ وابنُ حَمزةَ: (عَهْدِي الظّالمينَ) بحَذفِ الياءِ لَفظًا؛ لأنَّهُ لَمَّا كانَ ما قبلَ الياءِ مَكسورًا كانَ سُكونُها أولى مِن تَحريكِها كَمَعدِيْ كَرِبٍ وقالِيْ قَلا وبادِيْ بَدَا بتَسكِينِ الياءِ في هذهِ المواضِعِ، فَلَمَّا وُصِلَت بالظّالمينَ التَقَى ساكِنانِ فَحُذِفَتِ الياءُ، وقَرَأَ الباقونَ بفَتحِ الياءِ[1]؛ لأنَّهُ الأصلُ، إذ الأصلُ في الكَلِمةِ الّتي على حَرفٍ واحدَةٍ هوَ: الحَرَكةُ؛ لِئلَّا يَلزَمُ الابتِداءُ بالسّاكِنِ حَقيقَةً أو حُكمًا، والأصلُ فِيما يُبنَى عَلى الحَرَكةِ الفَتحُ، والسُّكُونُ إنَّما عارِضٌ للتّخفيفِ، ويَثقُلُ الضَّمُّ والكَسرُ على الياءِ، وما قالُوا: إنَّ الأصلَ في المَبنِيّ: السُّكونُ، فَإنَّما هوَ فيما كانَ على أكثرِ مِن حَرفٍ واحِدٍ. وقُرِئَ: برَفعِ (إبراهيمُ) ونَصبِ (ربَّهُ)[2] على أنَّهُ عليه السلام دَعا رَبَّهُ بكَلِماتٍ نَظيرَ قولِهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[3]، وقَولِهِ: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[4] لِيَرى هَل يُجيبُهُ أم لا؟

وقُرِئَ: ذِرِّيَّتِي بكَسرِ الذّالِ وهيَ لغَةٌ فِيها[5]، وقَرَأَ ابنُ مسعودٍ: الظّالمونَ عَلى أنَّهُ فاعلُ (لا يَنالُ) و(عَهدِيَ) مَفعولُهُ عَلى عَكسِ الجمهورِ[6]، والمَعنى في الصّورَتينِ واحدٌ؛ لأنَّ كُلَّ ما نالَكَ فَقَد نِلتَهُ، لكن لا يُساعِدُهُ المقصودُ مِنَ الآيةِ، ومُرادُ الله سبحانهُ فيها، كَما سَنُشيرُ إلى ذلكَ في ذَيلِ الأحادِيثِ إن شاءَ اللهُ تعالى، فَهيَ مَرذولَةٌ رَدِيَّةٌ[7].

اللغة:

الابتِلاءُ والاختِبارُ والامتِحانُ نظائرُ، قالَ القُتَيبِيُّ[8]: يقالُ: مِنَ الخَيرِ أبلَيتُهُ أُبلِيهِ إبلاءً، ومِنَ الشَّرِّ

(١) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٩٦، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٥٩.

(٢) وهي قراءة ابن عبّاس وأبو الشعثاء. ينظر: مفاتيح الغيب: ٤: ٣٤، وتفسير الآلوسي: ١: ٣٧٣.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

(٤) سورة ابراهيم ١٤: ٣٥.

(٥) وهي قراءة المطوّعيّ. ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٦، ومعاني القرآن وإعرابه: ١: ٢٠٥، وإعراب القرآن للدعّاس: ١: ٥٣.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: تلك القراءة.

(٨) هو: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري: من أئمّة اللغة والنحو والشعر، له العديد من المصنّفات، ومنها: غريب الحديث، أدب الكاتب، الشعر والشعراء، وغيرها، توفي سنة (٢٧٠ هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٨٦، والأعلام: ٤: ١٣٧.

بَلَوتُهُ أبلُوهُ بَلاءً»[١]، والمعروفُ إنَّ الابتِلاءَ يكونُ في الخَيرِ والشَّرِّ مَعًا مِن غَيرِ فَرقٍ بينَ فِعلَيهما، ومنهُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٢]، وفي الحَديثِ: «مَن أُبلِيَ فَذَكَرَ فَقَد شَكَرَ»[٣].

والإبلاءُ: الإنعامُ والإحسانُ كَقولِهِ عليه السلام: «والحمدُ لله عَلى ما أبلانَا»[٤]، أي: أعطانَا وأنعَمَنا، وفي حَديثِ كَعبِ بنِ مالِكٍ[٥]: (ما عَلِمتُ أحدًا أبلاهُ اللهُ أحسَنَ مِمَّا أبلانِي)[٦]، يقالُ: بَلَوتُ الرَّجُلَ، وأبلَيتُ عِندَهُ بَلاءً حَسَنًا.

والابتِلاءُ في الأصلِ: الاختِبارُ والامتِحانُ بالتَّكليفِ بالمشاقِّ، ومنهُ الحديثُ: «اللَّهُمَّ لا تُبلِنا إلَّا بالَّتي هيَ أحسنُ»[٧]، أي: لا تَمتَحِنَّا. [٤٩٢]

والتَّمامُ والكَمالُ والوَفاءُ نظائرُ، وضِدُّ التَّمامِ: النُّقصانُ، يقالُ: تَمَّ الشَّيءُ يَتِمُّ تَمًّا وتَمامًا، وأتَمَّهُ إتمامًا، وتَمَّمَهُ تَتميمًا وتَتِمَّةً، ولَيلٌ تِمامٌ وبَدرٌ تِمامٌ بكَسرِ التّاءِ، واستَتَمَّ النِّعمَةَ: سَأَلَ إتمامَها، والإمامُ: اسمٌ لِمَن يُؤتَمُّ بهِ، مِن أمَّهُم: إذا تَقَدَّمَهُم.

والذّرِّيَّةُ والنّسلُ والوَلَدُ نظائرُ، وبعضُ العَرَبِ يَكسِرُ الذّالَ وبعضُهُم يَضُمُّ، واشتِقاقُها إمَّا مِن ذَرَءَ بالهَمزِ كَجَعَلَ، أي: خَلَقَ؛ لأنَّها مَخلوقَةٌ منهُ، ويقالُ ذَرَءَ الشَّيءَ، أي: كَثَّرَهُ، ومنهُ الذُّرِّيَّةُ مُثَلَّثَةٌ لِنَسلِ الثَّقَلينِ، وإمَّا مِن الذَّرِّ وهوَ النَّملُ الأحمَرُ الصَّغيرُ، وجَمعُها ذرّيّاتٌ وذَرارِيُّ مُشدَّدَ الياءِ، وإمَّا مِنَ الذّرّ وهوَ ما يُذَرُّ في العَينِ وعِطرٌ كالذّريرةِ، وإمَّا مِنَ الذّرِّ بمَعنى التّفريقِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى ذَرَّهُم في الأرضِ، وإمَّا مِنَ الذُّرَى وهوَ التّعظيمُ والارتِفاعُ، ومِنَ السّيفِ كَثيرُ الماءِ، وإمَّا مِنَ الذَّريرَةِ وهيَ نَوعٌ مِنَ الطّيبِ فلَمّا كُرِّرَتِ الرّاءُ قُلِبتِ الأخيرَةُ ياءً وأُدغِمَتِ الياءُ في الياءِ فَصارَت ذُرِّيَّةً.

---

(١) الفروق اللغويّة:١٢.

(٢) سورة الانبياء ٢١: ٣٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٥٥.

(٤) الكافي: ١: ٤٨٩، حديث رقم: ٧، وأمالي الصدوق: ١: ١٦١، حديث رقم: ١٦٠.

(٥) شاعر النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقد مرت ترجمته.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٥٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٥٥.

والنَّيلُ واللِّحاقُ والادراكُ نظائرُ، والنَّيلُ والنَّوالُ: ما نِلتَهُ مِن مَعروفِ انسانٍ، وأنالَهُ معروفَهُ، ونَوَّلَهُ: أعطاهُ، فَالنَّوالُ والنّالُ والنّائلُ: العَطاءُ، ونِلتُهُ ونِلتُ بهِ أنولَهُ بهِ، وأنَلتُهُ إيّاهُ ونَوّلتُهُ ونَوَّلتُ بهِ وعليهِ ولَهُ: إذا أعطَيتَهُ، وقَولُهُم: نَوْلُكَ أن تَفعَلَ كَذا، مَعناهُ: حَقُّكَ، وقَولُهُم: لا نَوْلُكَ أن تَفعلَ كَذا مَعناه: لا حَقَّ لَكَ، أو لا يَنبَغي لَكَ أن تَفعَلَ كَذا.

الإعراب:

و(إذ): مفعولٌ بهِ لِفعلٍ مَحذوفٍ، أي: اذكُر يا مُحَمَّدُ، أو اذكُروا أيُّها الُمخاطَبونَ، أو لَمذكورٍ قبلَهُ، أعني: قولَهُ: يا بَني إسرائِيلَ اذكُروا، وحينئذٍ جملةُ (قالَ إنِّي جاعِلُكَ) إلى آخرِهِ: مُستأنفَةٌ جَوابٌ لِسؤالٍ مُقدَّرٍ، كَأنَّهُ قيلَ: فَماذا قالَ لَهُ رَبُّهُ حينَ أَتَمَّ الكَلماتِ؟ فَقيلَ: قالَ: إنِّي جاعِلُك للنّاسِ إمامًا، ويَجوزُ أن يكونَ عاملُ (إذ) قولُهُ: جاعِلُكَ، فَحينئذٍ تكونُ هذهِ الجملةُ بَيانًا وتَفسيرًا لِقَولِهِ: (إذ ابتَلى)، عَلى تَقديرِ أن يكونَ الُمرادُ بالكَلماتِ ما ذَكَرَهُ فيما بَعدُ مِنَ الإمامةِ وتَطهيرِ البَيتِ ورَفعِ قَواعِدِهِ ونَحوِ ذلكَ مِمَّا هوَ مَذكورٌ فيما بَعدُ، و(إبراهيمَ) على قِراءةِ النّصبِ: مفعولٌ بِهِ لقَولِهِ: (ابتَلى)، و(رَبُّهُ) بالرَّفعِ: فاعلُهُ، والضّميرُ لـ(إبراهيمَ) وحَسُنَ لِتَقدّمِهِ لَفظًا، وإن كانَ مُتأَخِّرًا في الرّتبةِ، وعلى هذهِ القراءةِ لا يَجوزُ تَقديمُ رَبُّهُ بالرَّفعِ على إبراهيمَ بالنّصبِ؛ لأَنَّهُ مِنَ الإضمارِ قبلَ الذِّكرِ لَفظًا ورُتبَةً، وهوَ غيرُ جائزٍ في السّعةِ، والجملةُ: مَجرورَةٌ مَحلًّا بإضافَةِ (إذ) إليها.

و(للنّاسِ) مُتعلِّقٌ بمُقدّرٍ: حالٌ مِن (إمامًا)؛ لأنَّ نَعتَ النّكرَةِ إذا قُدِّمَ كانَ حالًا مِنها كَما مَرَّ بيانُهُ في الآياتِ السّابقةِ، هذا هوَ الأصلُ؛ لأنَّ مَعناهُ: إنِّي جاعِلُكَ إمامًا للنّاسِ، ويَجوزُ أن يَتعَلَّقَ بقَولِهِ: جاعِلُكَ، وعَلى التّقديرَينِ (إمامًا) مفعولٌ ثانٍ لـ(جاعِلُكَ)، و(الواو) في (وَمِن ذُرِّيَّتي): عاطفَةٌ مِن عَطفِ التَّلقينِ[1]، و(ذُرِّيَّتي): عَطفٌ على (الكافِ) في (جاعِلُكَ)، أي: قُل: إنِّي جاعِلُكَ للنّاسِ

---

(١) هو: وهو أن يُلقِّنَ المخاطَبُ المتكَلّمَ بالعطفِ كما تقولُ: أكرمكَ، فيقولُ المخاطَبُ: وزيدًا، أي: قُل: وَزيدًا أيضًا. كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢: ١١٨٩، ومشرق الشمسين وإكسير السعادتين: ٣٦٩، ومسالك الإفهام إلى آيات الأحكام: ١: ١١٦.

إمامًا، وبعضَ ذُرِّيَّتِكَ أيضًا إمامًا، كَما يقالُ لكَ: سَأُكرِمُكَ، فَتقولَ: وَزيدًا، أو مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ، وَاجعَل مِن ذُرِّيَّتِي إماماً للنّاسِ، والجملَةُ: مَقولُ قالَ، والباقِي: واضِحٌ على ما مَرَّ في القِراءَةِ.

المعنى:

اذكُر يا مُحمَّدُ أو اذكُرُوا ﴿**إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**﴾، أي: وَقتًا اختبَرَ وامتَحَنَ ابراهيمَ رَبُّهُ وعامَلَهُ المُختبِرِ وكَلَّفَهُ بأوامِرَ ونَواهٍ شاقّةٍ؛ لأنَّ الابتلاءَ في الأصلِ التّكليفُ بالمَشاقِّ، لكنّها لَمَّا استَلزَمَ الاختِبارَ بالنّسبةِ إلى مَن يَجهَلُ عَواقِبَ الأُمورِ ظَنَّ تَرادُفَهُما فهوَ مَجازٌ، فَحَقيقَتُهُ أَنَّهُ أَمَرَ ابراهيمَ رَبُّهُ، وأيضًا أَنَّهُ تعالى لَمَّا عامَلَ عِبادَهُ مُعامَلَةَ المُختبَرِ المُبتَلَى إذ لا يُجازِيهِم عَلى ما يَعلَمُهُ منهُم أنّهُم سَيفعَلونَهُ قبلَ أن يَقَعَ ذلكَ الفِعلُ منهُم، كَما لا يُجازِي المُختَبِرِ للغَيرِ ما لَم يَقعِ الفِعلُ منهُ، سَمَّى أمرَهُ ابتِلاءً.

﴿**بِكَلِمَاتٍ**﴾، في الكَلِماتِ عَشرَةُ أقوالٍ:

أحدُها: ما رَواهُ عَلِيُّ بنُ ابراهيمَ في تَفسيرِهِ: عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «أَنَّهُ سبحانهُ ابتَلاهُ في نَومِهِ بذَبحِ وَلَدِهِ اسماعيلَ أبِ العَربِ، فَأتمَّها ابراهيمُ وعَزَمَ عليهِ وسَلَّمَ لأمرِ الله تعالى، فلَمّا عَزَمَ ﴿**قَالَ**﴾ اللهُ تعالى ثَوابًا لهُ لِما صَدَّقَ وسَلَّمَ وعَمِلَ بِما أمَرَهُ اللهُ بهِ ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، ثمَّ أنزَلَ عليهِ الحَنيفيَّةَ، وهيَ: الطّهارَةُ، وهيَ: عَشرَةُ أشياءَ: خَمسَةٌ منها في الرّأسِ، وخَمسَةٌ في البَدَنِ، فَأمَّا الّتي في الرَّأسِ: فَأخذُ الشّارِبِ، وإعفاءُ اللِّحى، وطَمُّ الشّعرِ[1]، والسِّواكُ، والخِلالُ[2]، وأمَّا الّتي في البَدَنِ: فَحَلقُ الشّعرِ مِنَ البَدَنِ، والخِتانُ، وقَلمُ الأظفارِ، والغُسلُ مِنَ الجَنابَةِ، والطَّهورُ بالماءِ، فَهذهِ الحَنيفيَّةُ الطّاهِرَةُ الّتي جاءَ بها ابراهيمُ عليه السلام، فَلَم تُنسَخْ ولا تُنسَخُ إلى يومِ القِيامَةِ وهيَ قولُهُ تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[3]، وهذهِ إحدى الرِّوايَتَينِ عَن ابنِ عَبّاس: [٤٩٣]

---

(١) هو: جزُّهُ أو قصّهُ. مجمع البحرين: ٦: ١٠٧، (طمم).

(٢) هو: العودُ الذي يُتخلَّلُ بِهِ، وما يُخلُّ بهِ الثّوبُ أيضًا. الصحاح: ٤: ١٦٨٧، (خلل).

(٣) سورة النساء ٤: ١٢٥.

«أنّها عَشرُ خِصالٍ، كانَت واجبَةً في شَرعِهِ، وسُنَّةً في شَريعتِنا: المَضمَضَةُ، والاستِنشاقُ، وفَرقُ الرّأسِ، وقَصُّ الشّارِبِ، والسِّواكُ، في الرّأسِ، والخِتانُ، وحَلقُ العانَةِ، ونَتْفُ الإبطِ، وتَقليمُ الأظفارِ، والاستِنجاءُ بالماءِ، في البَدَنِ»[1].

وثانيها: ما في الرّوايَةِ الأُخرى عَن ابنِ عَبّاسٍ: «أنَّهُ سبحانهُ ابتلاهُ بثَلاثينَ خِصلةً مِن شَرائعِ الإسلامِ لَم يَبتَلِ أحدًا بِها فَأقامَها كُلَّها ابراهيمُ عليه السلام، أتَمَّهُنَّ وكَتَبَ لَهُ البَراءَةَ، فقالَ تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[2]»، وهيَ عَشرٌ في سُورةِ التّوبَةِ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وعَشرٌ في سُورةِ الأحزابِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]، وعَشرٌ في سُورةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]، ورَوى عَشرٌ في سُورةِ: سَأَلَ سَائِلٌ إلى قولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وهي قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ

(١) بحار الأنوار: ١٢: ٥٦.

(٢) سورة النجم ٥٣: ٣٧.

(٣) سورة التوبة ٩: ١١٢.

(٤) سورة الاحزاب ٣٣: ٣٥.

(٥) سورة المؤمنون ٢٣: ١-١١.

الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾(١) فجعَلَها أربعينَ»(٢).

وثالثُها: ما في رِوايَةٍ ثالثةٍ عِن ابنِ عبّاسٍ: «أنَّهُ سبحانهُ أمَرَهُ بمَناسِكِ الحجِّ»(٣)، مِنَ الإحرامِ والطّوافِ والسّعي والرّمي والحَلقِ والهَدْي وغيرِها.

ورابعُها: أنَّهُ تعالى ابتَلاهُ بالكوكَبِ والقمَرِ والشّمسِ كَما في سُورةِ الأنعام(٤)، والخِتانِ وذَبحِ الوَلَدِ والنّارِ النُّمرُوديَّةِ والهجرَةِ مِن كُوثا(٥) إلى الشّامِ فأَتمَّهُنَّ كُلَّهُنَّ وأدّاهُنَّ كَملًا وقامَ بِهِنَّ حَقَّ القِيامِ لِقولِهِ تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(٦).

وخامِسُها: ما قالَ المجاهدُ: «أنَّهُ ابتَلاهُ اللهُ سبحانهُ بِما تَضَمَّنتهُ الآياتُ الّتي بَعدَها مِن قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخرِ القِصّةِ»(٧)، مِن تَطهيرِ البَيتِ للطّائِفينَ والعاكِفينَ والرُّكَّعِ السُّجودِ ورَفعِ قَواعِدِهِ والإسلامِ ونَحوِها مِمّا تَضَمَّنتهُ الآياتُ الآتيَةُ.

وسادِسُها: ما قالَهُ أبو عَليٍّ الجُبّائِيُّ: «أرادَ بالكَلماتِ جَميعَ ما كَلَّفَهُ مِنَ الطّاعاتِ العَقليَّةِ والشّرعيّةِ»(٨).

(١) سورة المعارج ٧٠: ٢٢-٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(٤) سورة الأنعام: ٦: ٧٦-٧٨.

(٥) كوثا: موضع في أرض بابل. ينظر: معجم البلدان: ٤: ٤٨٧.

(٦) سورة النجم ٥٣: ٣٧.

(٧) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(٨) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

سابعُها: إنَّ ابراهيمَ عليه السلام أوّلُ النّاسِ أضافَ الضَّيفَ، وأوَّلُ النّاسِ اختتَنَ، رَواهُ السَّكوني عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام وزادَ فيهِ: «إنَّ أوّلَ مَن قَصَّ الشَّارِبَ: إبراهيمُ عليه السلام، وأوّلَ مَن قاتَلَ في سبيلِ الله: إبراهيمُ عليه السلام، وأوّلَ مَن أخرجَ الخُمسَ: إبراهيمُ عليه السلام، وأوَّلَ مَن اتّخذَ النّعلَينِ: إبراهيمُ عليه السلام، وأوّلَ مَن اتَّخذَ الرّاياتِ: إبراهيمُ عليه السلام»(١).

ثامنُها: ما رُوِيَ في كِتابِ الخِصالِ: بإسنادِهِ عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «هيَ الكَلِماتُ الّتي تَلَقّاها آدمُ عليه السلام مِن رَبِّهِ فَتابَ عَليهِ وهوَ أنَّهُ قالَ: يا رَبِّ أسأَلُكَ بِحَقِّ مُحمَّدٍ وعَليٍّ وفاطِمَةَ والحَسنِ والحُسينِ إلَّا تُبتَ عَليَّ، فَتابَ عَليهِ إنَّهُ هوَ التّوابُ الرّحيمُ، فَقيلَ: يا بنَ رَسولِ الله: فَما يَعني بقَولِهِ عَزَّ وجَلَّ ﴿**فأتمّهنّ**﴾؟ قالَ: يَعني: أتمَّهُنَّ إلى القائِمِ اثني عَشَرَ إمامًا تِسعَةٌ مِن وُلدِ الحُسينِ عليهم السلام»(٢). والعَيّاشي مُضمَرًا: قالَ: «أتمَّهُنَّ بمُحمَّدٍ وعَليٍّ والأئمَّةِ مِن وُلدِ عَليٍّ عليهم السلام، قالَ: وقالَ إبراهيمُ عليه السلام: يا رَبِّ فَعَجِّل لُمحمَّدٍ وعَليٍّ ما وَعَدتَني فيهما، وعَجِّل نَصرَكَ لَهُما»(٣).

تاسِعُها: ما يُفهَمُ مِن أحاديثِ الكافي مِنَ الأُمورِ الأربَعَةِ الّتي عَدَّدَها عليه السلام مِنَ العُبوديَّةِ والنُّبوَّةِ والرِّسالةِ والخُلَّةِ فَأتَمَّها، اتَّخذَهُ إمامًا:

ـ عَن مُحمَّدِ بنِ خالدٍ عَن مُحمَّدِ بنِ سنانٍ عَن زَيدٍ الشَّحّامِ قالَ: سَمعتُ أبا عَبدِ الله عليه السلام يقولُ: «إنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى اتَّخذَ إبراهيمَ عَبدًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ نَبيًّا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخذَهُ نَبيًّا [٤٩٤] قَبلَ أن يَتَّخذَهُ رَسولًا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخذَهُ رَسولًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ خليلًا، وإنَّ اللهَ تعالى اتَّخذَهُ خليلًا قَبلَ أن يجعَلَهُ إمامًا، فَلَمَّا جَمعَ الأشياءَ قالَ: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، قالَ: فَمِن عِظَمِها في عَينِ إبراهيمَ عليه السلام قالَ: ومِن ذُرِّيَّتي؟ قالَ تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، قالَ: لا يكونُ السّفيهُ إمامَ التَّقيِّ»(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ١٢: ٥٧.

(٢) الخصال: ٣٠٥، حديث رقم: ٨٤.

(٣) تفسير العياشي: ١: ٥٧، ٥٨، حديث رقم: ٨٨.

(٤) الكافي: ١: ١٧٥، حديث رقم: ٢.

ـ عَن جابرٍ الجُعفِيِّ: عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: سَمعتُهُ يقولُ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ اتَّخذَ ابراهيمَ عَبدًا قبلَ أن يَتَّخذَهُ نبيًّا، واتَّخَذَهُ نبيًّا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ رَسولًا، واتَّخَذَهُ رَسولًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ خليلًا، واتَّخَذَهُ خَليلًا قَبلَ أن يَتَّخذَهُ إمامًا، فلَمَّا جمَعَ هذهِ الأشياءَ وقَبَضَ يَدَهُ قالَ لهُ: يا إبراهيمُ إنِّي جاعِلُكَ للنَّاسِ إمامًا، فَمِن عِظَمِها في عَينِ إبراهيمَ قالَ: يا رَبِّ ومِن ذُرِّيَّتِي؟ قالَ تَعالى: **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**»[1].

ورَوى الشّيخُ أبو جَعفرٍ بنِ بابَويه رحمه الله في كِتابِ النُّبوَّةِ: مَرفوعًا إلى مُفضَّلِ بنِ عُمَر عَنِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: سَألتهُ عَن قولِ الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾**، ما هذهِ الكَلماتُ؟ قالَ: «هيَ الكَلِماتُ الّتي تَلَقَّاها آدمُ مِن رَبِّهِ فَتابَ عليهِ، وهوَ أنَّهُ قالَ: يا رَبِّ أسألكَ بحَقِّ مُحَمَّدٍ وعَليٍّ وفاطِمةَ والحَسنِ والحُسينِ إلَّا تُبتَ عَلَيَّ، فَتابَ اللهُ عَليهِ إنَّهُ هَوَ التّوابُ الرّحيمُ، قالَ المُفضَّلُ: فَقلتُ لَهُ: يا بنَ رَسولِ الله فَما يَعنِي بقَولِهِ تعالى: **﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾**؟ قالَ: أتَمَّهُنَّ إلى القائمِ عليه السلام اثنى عَشَرَ إمامًا، تِسعَةٌ مِن وُلدِ الحُسينِ عليه السلام، قالَ المُفَضَّلُ: فَقُلتُ لهُ: يا بنَ رَسولِ الله فَأخبِرنِي عَن قَولِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[2]، قالَ: يَعني بذلكَ الإمامَةَ جَعلَها في عَقِبِ الحُسينِ عليه السلام إلى يَومِ القِيامَةِ، فقُلتُ: يا بنَ رسولِ الله فَكيفَ صارَتِ الإمامَةُ في وُلدِ الحُسينِ عليه السلام دونَ الحَسَنِ عليه السلام وهُما جَميعًا وَلَدَا رَسولِ الله وسِبطاهُ وَسَيِّدَا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ؟ فَقالَ: إنَّ موسى وهارونَ نَبيَّانِ مُرسَلانِ أخَوانِ فَجَعلَ اللهُ النُّبوَّةَ في صُلبِ هارونَ دونَ صُلبِ موسى، ولَم يكنْ لأحَدٍ أن يقولَ لِمَ فَعلَ اللهُ ذلكَ، وأنَّ الإمامَةَ خِلافَةُ الله عَزَّ وجَلَّ لَيسَ لأحَدٍ أن يَقولَ لِمَ جَعَلَها في صُلبِ الحُسينِ دونَ الحَسَنِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ هوَ الحَكيمُ في أفعالِهِ لا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وهُم يُسأَلُونَ»[3] الحَديثُ، هذا مِثلَ ما مَرَّ في كِتابِ الخِصالِ في قَولِنا: ثامِنُها مَعَ شَيءٍ زائدٍ مِمَّا فيهِ.

---

(١) الكافي: ١: ١٧٥، حديث رقم: ٤.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٢٨.

(٣) معاني الأخبار: ١٢٦، ١٢٧، حديث رقم: ١.

وقالَ الشّيخُ أبو جعفرٍ بنِ بابَويه ﵀: «ولِقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ وَجهٌ آخرَ: فَإنَّ الابتِلاءَ على ضَربَينِ: أَحَدُهُما: مُستحيلٌ عَلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، والآخرُ: جائزٌ، فَالمُستَحيلُ: هوَ أن يَختَبِرَهُ لِيَعلَمَ ما تَكشِفُ الأَيّامُ عنهُ، وهذا ما لا يَصُحُّ؛ لأَنَّهُ سبحانَهُ عَلّامُ الغُيوبِ، والجائِزُ: أن يَبتَلِيَهُ حَتَّى يَصبِرَ فيما يَبتَليهِ بهِ فَيَكونَ ما يُعطيهِ مِنَ العَطاءِ على سَبيلِ الاستِحقاقِ، ولِيَنظُرَ إليهِ النّاظِرُ فيَقتَدِيَ بهِ، فَيَعلَمُ مِن حِكمَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَنَّهُ لَم تكنِ الإمامَةُ إلَّا إلى الكافِي المُستَقِلِّ بِها الّذي كَشَفَتِ الأَيّامُ عَنهُ، ثمَّ قالَ ﵀: فَأمَّا الكَلِماتُ سِوى ما ذَكَرناهُ مِنها: اليَقِينُ، وذلكَ قَولُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾(١)، ومِنها: المَعرِفَةُ بالتَّوحيدِ، والتَّنزيهُ عَنِ التَّشبيهِ حِينَ نَظَرَ إلى الكَوكَبِ والقَمَرِ والشّمسِ، ومِنها: الشّجاعَةُ، بدَلالَةِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾(٢)، ومُقاوَمَتُهُ وَهوَ واحدٌ أُلُوفًا مِن أعداءِ اللهِ، ومِنها: الحِلْمُ، قَد تَضَمَّنَهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾(٣)، ومِنها: السّخاءُ، ويَدُلُّ عِليهِ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾(٤)، ثمَّ العُزلَةُ عَنِ العَشيرَةِ، وتَضَمَّنَهُ قولُهُ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٥)، ثمَّ الأمرُ بالمَعروفِ والنّهيُ عَنِ المُنكَرِ، وبَيانُ ذلكَ في قولِهِ تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾(٦) الآياتُ، ثمَّ دَفعُ السّيِّئَةِ بالحَسَنَةِ في جَوابِ أبيهِ، مِن قَولِهِ: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾(٧)، ثمَّ التّوكُّلُ، وبَيانُ ذلكَ في قولِهِ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٥.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٥٨.

(٣) سورة هود ١١: ٧٥.

(٤) سورة الذاريات ٥١: ٢٤.

(٥) سورة مريم ١٩: ٤٨.

(٦) سورة مريم ١٩: ٤٢.

(٧) سورة مريم ١٩: ٤٦، ٤٧.

يَهْدِينِ﴾[1] إلى آخرِهِ، ثمَّ المِحنَةُ في النّفسِ حينَ جُعِلَ في المَنجَنيقِ وقُذِفَ بهِ في النّارِ، ثمَّ المحنَةُ في الوَلَدِ حينَ أُمِرَ بذَبحِ ابنِهِ إسماعِيلَ، ثمَّ المِحنَةُ في الأهلِ حِينَ خَلَّصَ اللهُ حُرمَتَهُ مِن عِبادَةِ القِبطِي في الخَبَرِ المَشهورِ، ثمَّ الصَّبرُ على سُوءِ خُلْقِ سارَةَ، ثمَّ استِقصارُ النّفسِ في الطّاعَةِ بقَولِهِ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[2]، ثمَّ الزُّلفةُ في قَولِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]، ثمَّ الجمعُ لِشروطِ الطّاعاتِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[4]، ثمَّ استِجابَةُ الله تعالى دَعوتَهُ حينَ قالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[5] الآيةُ، ثمَّ اصطَفاهُ اللهُ سبحانهُ في الدُّنيا،
[٤٩٥] ثمَّ شَهادتُهُ لهُ في العاقِبةِ أَنَّهُ مِنَ الصّالحينَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[6]، ثمَّ اقتَدَى مَن بَعدَهُ مِنَ الأنبياءِ بهِ في قَولِهِ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾[7] الآيةُ، وفي قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[8][9]، انتهى كَلامُ الشّيخِ أبي جعفرٍ ﵀، وهوَ العاشرُ مِنَ الأقوالِ في الكَلِماتِ، فتلكَ عَشَرَةٌ كاملةٌ، والآيةُ الشّريفَةُ مُحتَمِلَةٌ لجميعِ هذهِ الأقوالِ مِن غَيرِ تَنافٍ بينَها، وتُطلَقُ الكَلمةُ والكَلِماتُ على المَعاني والذَّواتِ مِنَ الإمامِ والرّسُولِ والأفعالِ الحَميدةِ والخِصالِ الجَميلَةِ وفي أضدادِها كَما مَرَّت في الآياتِ والرّواياتِ.

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٧٨.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام ٦: ١٦٢، ١٦٣.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٣٠.

(٧) سورة البقرة ٢: ١٣٢.

(٨) سورة النحل ١٦: ١٢٣.

(٩) معاني الأخبار: ١٢٧ـ ١٣٠ (مختصرا).

وَيَجِيءُ قَولُهُ: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، أي: فَوَفَّى إبراهيمُ عليه السلام بِهِنَّ لِقولِهِ تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[1]، أو عَمِلَ بِهِنَّ وقامَ بِهِنَّ حَقَّ القِيامِ، وقالَ البَلخيُّ والحَسنُ بنُ عَلِيٍّ المَغربيّ[2]: «الضّميرُ المُستَتِرُ في أتمَّهُنَّ عائدٌ إلى الله تعالى»[3]، أي: أَتَمَّ اللهُ سبحانهُ هذهِ الكَلماتِ والخِصالِ وجَمَعها في إبراهيمَ عليه السلام وأكمَلَها فيهِ، ثمَّ ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، أي: إمامًا يُقتَدَى بكَ في أفعالِكَ وأقوالِكَ؛ لأنَّ المُستفادَ مِن لَفظِ الإمامِ الذي هوَ مَن يُؤْتَمُّ بهِ أمرانِ:

أحدُهُما: أنَّهُ المُقتَدَى بهِ في أفعالِهِ وأقوالِهِ.

والثّاني: أنَّهُ الّذي يَقومُ بتَدبيرِ الأُمَّةِ، وبِسِياسَتِها، والقِيامِ بأُمورِها دِينًا ودُنْيا، وتَأديبِ جُناتِها، وتَولِيَةِ وِلاتِها، وإقامَةِ الحُدودِ على مُستَحقِّيها، ومُحارَبَةِ مَن يَكيدُها ويُعادِيها.

فَعَلى الوَجهِ الأوَّلِ لا يَجِبُ في كُلِّ نَبيٍّ أن يَكونَ إمامًا، إذ يَجوزُ أن لا يَكونَ مَأمورًا بتَأدِيبِ الجُناةِ، ومُحاربَةِ العُداةِ، والدّفاعِ عَن حَوزَةِ الدِّينِ، ومُجاهَدَةِ الكافِرينَ.

وإمامَةُ إبراهيمَ عليه السلام عَلى الوَجهِ الثّاني؛ لأنَّ إمامَتَهُ عامَّةٌ مُؤَبَّدَةٌ، إذ لَم يُبعَث بَعدَهُ نَبيٌّ أو وَصِيٌّ إلَّا كانَ مِن ذُرِّيَّتِهِ ومِن دَعوَتِهِ مَأمورًا باتِّباعِهِ، وقَد مَرَّ أَنَّهُ عليه السلام أوَّلُ مَن قاتَلَ في سَبيلِ الله، وأَنَّهُ أوَّلُ مَن اتَّخَذَ الرّاياتِ، فَلَمّا ابتَلَى اللهُ سبحانهُ إبراهيمَ عليه السلام بالكَلِماتِ فَأَتَمَّهُنَّ جَعَلَهُ اللهُ إمامًا للنّاسِ؛ جَزاءً لَهُ ومُكافأَةً لِما فَعَلَهُ ومُرَتَّبًا على ذلكَ.

تَحقيقُ مَقامٍ:

والدَّليلُ عليهِ: أنَّ قَولَهُ تعالى: ﴿جاعِلُكَ﴾ عَمِلَ في إمامًا، واسمُ الفاعِلِ إذا كانَ بمَعنى الماضي لا يَعملُ في شَيءٍ عَمَلَ الفِعلِ، ولَو قُلتَ: أنا ضاربٌ زيدًا أمسِ بِنَصبِ زيدٍ لَم يَجُزْ بَل وَجَبَ إضافَةُ ضاربٍ إليهِ، فَوَجبَ أن يكونَ المُرادُ إمامًا إمَّا في الحالِ، أي: حالِ إتمامِ الكَلماتِ أو الاستِقبالِ، أي:

---

(١) سورة النجم ٥٣: ٣٧.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) التبيان: ١: ٤٤٦، ومجمع البيان: ١: ٣٧٦.

بَعدَهُ، والنُّبوَّةُ كانَت حاصِلَةً لَهُ قَبلُ، كَما مَرَّ التّصريحُ بهِ في أحادِيثِ أُصولِ الكافي وغَيرِهِ.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، أي: قُل: إنِّي جاعِلُكَ للنّاسِ إمامًا وبعضَ ذُرِّيَّتِكَ أيضًا إمامًا، فَعَلى هذا (مِن ذُرِّيَّتِي) مَعطوفٌ على (الكافِ) في (جاعِلُكَ) عَطفُ التّلقينِ، أو اجعَل مِن ذُرِّيَّتِي إمامًا أيضًا مُوَشَّحًا بهذهِ الكَرامَةِ العَظيمةِ والمَرتَبةِ الرَّفيعَةِ، وقيلَ: إنَّما قالَ ذلكَ على جِهَةِ التّعرُّفِ لِيعلَمَ هَل يَكونُ في ذُرِّيَّتِهِ أئمَّةٌ يُقتَدى بِهِم، والأَصَحُّ والأولى إنَّ ذلكَ على وَجهٍ، والسُّؤالُ مِنَ اللهِ سبحانهُ أن يَجعَلَهُم أئمَّةً مِثلَهُ كَما يَجيءُ الإيماءُ بهِ في حَديثِ عُيونِ الأخبارِ، ثمَّ قالَ تعالى إجابَةً مُلتَمَسِهِ عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ تَنبيهًا عَلى أنَّهُ يكونُ مِن جُملَةِ ذُرِّيَّتِهِ ظَلَمَةٌ، وأنَّ الظّالمينَ مُطلَقًا سَواءٌ كانُوا مِن ذُرِّيَّتِهِ عليه السلام أو غَيرِهِم لا تَنالُهُم الإمامَةُ؛ لأنَّها عَهدٌ وأمانَةٌ مِنَ اللهِ تعالى، وأنَّ مَن ثَبَتَ لَهُ الظُّلمُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ لا يَصلُحُ لَها سَواءٌ كانَ ظالمًا لِنَفسِهِ أو لِغَيرِهِ أولَهُما، وإنَّما تَنالُ البَرَرَةَ الأتقياءَ المَعصومينَ مِنَ الذُّنوبِ كُلِّها.

وفي المجمَعِ: «قالَ المُجاهدُ: العَهدُ: الإمامَةُ، وهوَ المَرويُّ عَن أبي جَعفرٍ الباقرِ وأبي عَبدِ الله عليهما السلام، أي: لا يَكونُ الظّالمُ إمامًا للنّاسِ، فَهذا يَدُلُّ عَلى أنَّهُ يَجوزُ أن يُعطَى ذلكَ بعضُ وُلدِهِ إذا لَم يكنْ ظالمًا؛ لأنَّهُ لَو لَم يُرِدْ أن يَجعلَ أحَدًا منهُم إمامًا للنّاسِ لَوَجَبَ أن يَقولَ في الجَوابِ: لا، أو لا يَنالُ عَهدِي ذُرِّيَّتَكَ»[1] انتهى.

وقالَ القاضِي ناصرُ الدّينِ البَيضاوي في تفسيرِهِ في قَولِهِ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: «تَنبيهٌ عَلى أنَّهُ قَد يَكونُ مِن ذُرِّيَّتِهِ ظَلَمَةٌ وأنَّهُم لا يَنالُونَ الإمامَةَ؛ لأنَّها أمانَةٌ مِنَ اللهِ وَعَهدٌ، والظّالمُ لا يَصلُحُ لَها وإنَّما يَنالُها البَرَرَةُ الاتقياءُ منهُم، وفيهِ دَليلٌ على عِصمَةِ الأنبياءِ مِنَ الكَبائِرِ قَبلَ البِعثَةِ، وأنَّ الفاسِقَ لا يَصلُحُ للإمامَةِ»[2] انتهى كَلامُ البَيضاوي. [٤٩٦]

(١) مجمع البيان: ١: ٣٧٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٤.

قَد نَطَقَ بالحَقِّ غَفلَةً بأنَّ الإمامَةَ أمانَةٌ مِنَ الله وعَهدٌ لَهُ إلى آخِرِه[1] فكيفَ يَجوزُ لأحَدٍ أن يَأخُذَ أمانَةَ الله مِن عِندِ نَفسِهِ عُنفًا مِن غَيرِ إذنٍ مِنَ الله ورسولِهِ ومِن غَيرِ نَصٍّ وإشارَةٍ مِنهُما، بَل ابتِزازًا[2] وظُلمًا عَلى مَن نَصّا لَهُ وعَيَّناهُ، مَعَ كَونِهِ ظالمًا لِنفسِهِ سابقًا، ولَها ولِغَيرِهِ لاحِقًا، وفاسِقًا كَما يَجيءُ بَيانُهُ مِرارًا تَصريحًا وتَلويحًا وإيماءً وتَعريضًا وإشارَةً ورَمزًا، وفي أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى هشامِ بنِ سامٍ ودُرَستَ بنِ أبي مَنصورٍ عَنِ الصّادِقِ عليه السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾، فَقالَ اللهُ: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ مَن عَبَدَ صَنَمًا أو وَثَنًا لا يَكونُ إمامًا»[3]، انتهى. وفيهِ تَعريضٌ بالثَّلاثَةِ حيثُ عَبَدُوا الأصنامَ والأوثانَ قَبلَ الإسلامِ، وفي الأمالي: عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله في حَديثٍ طَويلٍ وقالَ في آخِرِهِ: «فَانتهَتِ الدَّعوةُ إليَّ وإلى أخِي عَليٍّ لَم يَسجُدْ أحَدٌ مِنَّا لِصَنَمٍ قَط، فَاتَّخَذَني اللهُ نَبيًّا وعَليًّا وَصِيًّا»[4] وفيهِ تَلويحٌ وتَعريضٌ بالثّلاثَةِ أيضًا.

وفي عُيونِ الأخبارِ: بإسنادِهِ إلى الرِّضا عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ يقولُ فيهِ عليه السلام: «إنَّ الإمامَةَ خَصَّ اللهُ تعالى بِها إبراهيمَ الخَليلِ صَلواتُ الله عَليهِ وآلِهِ بَعدَ النُّبوَّةِ، والخُلَّةَ مَرتَبَةٌ ثالثَةٌ وفَضيلَةٌ شَرَّفَهُ بها وأشارَ بِها جَلَّ ذِكرُهُ، فَقالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، فَقالَ الخَليلُ: سُرورًا بِها: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، فَأبطَلَت هذهِ الآيَةُ إمامَةَ كُلِّ ظالمٍ إلى يومِ القِيامةِ وصارَت في الصَّفوَةِ»[5]، انتهَى. وفيهِ تَلويحٌ إلى أنَّهُم لا تَنالُهُم الإمامَةُ مِنَ الله ورَسُولِهِ؛ لِكَونِهِم ظالمينَ قَديمًا وحَديثًا.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: والظالمُ لا يَصلُحُ لَها، فَدَلَّت عَلى عِصمَةِ الإمامِ أيضا قَبلَ الإمامَةِ، مِمَّا يَصيرُ بِهِ ظالمًا مِن أنواعِ المَعاصِي، صَغائرَ كانَت أم كَبائرَ.

(٢) أي: سلبًا. ينظر: الصحاح: ٣: ٨٦٥، (بزز)، ولسان العرب: ٥: ٣١٢، (بزز).

(٣) الكافي: ١: ١٧٥، حديث رقم: ١.

(٤) أمالي الطوسي: ٣٧٩، حديث رقم: ٨١١.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٩٦، حديث رقم: ١.

وفي الاحتِجاجِ للطَّبرِسي ﵀: عَن أميرِ المؤمنينَ ﵇ في حَديثٍ طَويلٍ يقولُ فيهِ ﵇: «قَد حظَرَ اللهُ تعالى عَلى مَن مَسَّهُ الكُفرُ تَقلُّدَ ما فَوَّضَهُ سُبحانَهُ إلى أنبيائِهِ وأوليائِهِ بقَولِهِ: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، أي: المُشركِينَ؛ لأنَّهُ تعالى سَمَّى الشّركَ ظُلمًا بقَولِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] فَلَمَّا عَلِمَ إبراهيمُ ﵇ إنَّ عَهدَ اللهِ تَباركَ وتعالى اسمُهُ بالإمامَةِ لا تَنالُ عَبَدَةَ الأصنامِ قالَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[2]»[3]، انتهى.

وفيهِ رمزٌ وإشارةٌ وتَعريضٌ بالثّلاثةِ ومَن يَحذو حَذوَهُم مِن كَونِهِم مُشرِكينَ وظالمينَ بأعظَمِ الظّلمِ.

ويُفهَمُ مِن هذهِ الأحاديثِ المُعتبَرةِ أنَّ الصّحيحَ هوَ القراءَةُ المَشهورَةُ[4] في قَولِهِ تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ برَفعِ عَهدِي تَقديرًا على الفاعليَّةِ لِـ(يَنالُ) ونَصبِ (الظّالمين) على المفعوليَّةِ، وأمَّا عَكسُ المشهورِ، وإن كانَ جائزًا في العَربيّةِ لكِن لا يُساعِدُهُ المعنِيُّ مِنها، والمُرادُ منهُ سبحانهُ؛ لأنَّ المقصودَ مِنَ الآيةِ أنَّ الإمامَةَ الّتي هيَ عَهدُ اللهِ وأمانَتُهُ لَيسَت حَقًّا للظّالمينَ، ولَم يكونُوا مُستَحقِّينَ لَهَا، ولَم تَنلهُم مِنَ اللهِ ورَسولِهِ ﷺ، لا أنَّهُم لا يَنالونَها ظُلمًا وعُدوانًا وغَصبًا كَما يَأخُذُ الظّالمُ مالَ الغَيرِ ظُلمًا وعُدوانًا، فَيَندفعُ تَمسُّكُ المُخالِفِ.

استِدلالُ الأصحابِ الإماميَّةِ:

وقالَ في المجمَعِ: (واستَدلَّ أصحابُنا بهذِهِ الآيةِ على أنَّ الإمامَ لا يَكونُ إلّا مَعصومًا عَنِ القَبائِحِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانهُ نَفَى أن يَنالَ عَهدَهُ الّذي هوَ الإمامَةُ ظالمٌ، ومَن لَيسَ بمَعصومٍ فَقد يَكونُ ظالمًا، إمَّا لِنَفسِهِ أو لِغَيرِهِ، فَإن قيلَ: إنَّما نَفَى أن يَنالَهُ ظالمٌ في حالِ ظُلمِهِ فَإذا تابَ لا يُسمَّى ظالمًا فَيَصُحُّ أن يَنالَهُ، فالجَوابُ: إنَّ الظالمَ وإن تابَ فَلا يَخرُجُ مِن أن تَكونَ الآيةُ قَد تَناوَلَتهُ في حالِ كَونِهِ ظالمًا، فإذا

(١) سورة لقمان ٣١: ١٣.

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٣٥.

(٣) الاحتجاج: ١: ٣٧٣.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: ما يُفهَمُ مِنَ الآيةِ و الأحاديثِ أنَّ القراءَةَ المشهورَةَ هيَ الصّحيحَةُ دونَ العكسِ كَما وَعدناهُ في القِراءَةِ.

نَفَى أن يَنالَهُ فَقد حُكِمَ عليهِ بأنَّهُ لا يَنالُها، والآيةُ مُطلَقَةٌ غيرُ مُقيّدَةٍ بوَقتٍ دونَ وَقتٍ فَتَجِبُ أن تكونَ مَحمولَةً عَلى الأوقاتِ كُلِّها فَلا يَنالُها الظّالمُ وإن تابَ فيما بَعدُ[1]»، انتهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مَقامَهُ.

أقولُ: وقَد دَلَّتِ الآيةُ الشّريفةُ والرّواياتُ الصّحيحَةُ والمُعتَبَرةُ على أنَّ مَنِ اتَّصَفَ بالظّلمِ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وفي حالٍ مِنَ الأحوالِ، أو عَبَدَ صَنمًا أو وَثَنًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وزمانٍ مِنَ الأزمنَةِ كانَ كافِرًا مُشركًا في ذلكَ الوَقتِ بعَينِهِ، والكافِرونَ هُمُ الظّالمونَ، وأنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ، وكُلُّ مَن كانَ كافِرًا مُشرِكًا ظالمًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وزَمانٍ مِنَ الأزمنَةِ لا يَنالُ عَهدَ الله الّذي هوَ الإمامَةُ أصلًا، لا في وَقتِ الاتِّصافِ بالكُفرِ والشِّركِ والظّلمِ ولا بَعدَهُ، وإن تابَ فَرضًا وتَقديرًا، ولا يَستَحقُّ الإمامَةَ، ولا تكونُ الإمامةُ حَقًّا لَهُ؛ وذلكَ لأنَّ مِن شَرائطِ استِحقاقِ أحَدٍ عَهدَ الله الّذي هوَ الإمامَةَ عِصْمَتَهُ دائمًا قَبلَ النَّيلِ وبعدَهُ بالاتّفاقِ، كَما اعتَرَفَ بِهِ الخُصومُ أيضًا بدَلالَةِ قَطٍّ ونَحوِه أيضًا، ومَن فَعَلَ الظّلمَ والفِسقَ والكُفرَ وعَبَدَ صَنمًا أو وَثَنًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ لَم يكنْ مَعصومًا البَتَّة، بَل يكونُ مُتَّصِفًا بالظُّلمِ والكُفرِ والشِّركِ ولَو في بعضِ الأوقاتِ باعتِرافِ الخُصُومِ أيضًا، ومَن اتَّصَفَ بِهِ كَذلكَ سَواءٌ كانَ إطلاقُ الوَصفِ المذكورِ عَليهِ حَقيقَةً دائمًا أو مَجازًا في بعضِ الأوقاتِ وحَقيقَةً في بعضِها لَم يَكنْ مُستَحقًّا للإمامَةِ ولَم تَنَلْهُ مِن قِبَلِ الله ورَسولِهِ ﷺ؛ لانتِفاءِ شَرطِها فيهِ، فَمَن ظَلَمَ في وَقتٍ دونَ وَقتٍ لَم يَصلُحْ للإمامَةِ ولَم يكنْ مُستَحقًّا لَها ولَم تَنَلْهُ دائمًا، فَكيفَ يَستَحِقُّها مَن كانَ ظالمًا في جَميعِ الأوقاتِ ولا سِيَّما عِندَ ابتِزازِها؟ ولا يَجوزُ قِياسُ استِحقاقِ شَخصٍ باقِي الصّفاتِ عَليها.

بَيانُ ذلكَ على وُجوهٍ:

أحَدُها: إنَّ صِدقَ وَصفِ الموضوعِ على ذاتِهِ في القَضايا المُعتَبَرَةِ في العُلومِ بالإمكانِ عندَ الحكيمِ أبي

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٧٧، ٣٧٨.

نَصرٍ الفارابي[1]، وبعبارةٍ أُخرى: أنَّ اتِّصافَ ذاتِ الموضوعِ بوَصفِهِ العُنواني في القَضايا المُعتَبَرَةِ في العُلومِ بالإمكانِ عندَ الفارابي حَتَّى أنَّ المقصودَ مِن قَولِنا: كُلُّ أسودَ كاتِبٌ، كُلُّ ما صَدَقَ عَليهِ الأسودُ بالإمكانِ سَواءٌ كانَ السّوادُ ثابتًا لهُ بالفِعلِ، أو مَسلوبًا بَعدَ إمكانِ ثُبوتِ السّوادِ لَهُ كانَ كاتبًا، فَيكونُ مَعنى قَولِنا: كُلُّ أسودَ كاتبٌ: كُلُّ مَن يُمكِنُ أن يَكونَ أسودَ فَهوَ كاتِبٌ، وعلى مَذهَبِ الشّيخِ أبي عَليٍّ[2]: صِدقُ وَصفِ الموضوعِ على ذاتِهِ بالفِعلِ الخارِجي[3]، فَيكونُ مَعنى قولِنا: كُلُّ أسودَ كاتبٌ مَثَلًا ما صَدَقَ عَليهِ أسودٌ بأحَدِ الأزمِنَةِ الثّلاثَةِ الخارِجيَّةِ كاتبٌ، وعلى التّقديرَينِ يَحصلُ المُدَّعَى: وهوَ عَدَمُ استِحقاقِ كُلُّ ظالمٍ الإمامَةَ وعَدَمُ نَيلِها إيَّاهُم في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ، بَل بِمَحضِ اتِّصافِهِم بالظُّلمِ ولَو في حِينٍ مِنَ الأحيانِ لا تَنالُهُم الإمامَةُ أصلًا كَما هوَ المفهومُ مِنَ الآيَةِ والرّوايَةِ. [٤٩٧]

أمَّا على مَذهَبِ الشّيخِ أبي عَليٍّ فَظاهرٌ؛ لأنَّهُ يكونُ مَعنى أنَّ كُلَّ مَن اتَّصَفَ بالظُّلمِ في أحَدِ الأزمِنَةِ الثّلاثَةِ: الماضي أو الحالِ أو الاستِقبالِ لا تَنالُهُ الإمامَةُ أصلًا في حالِ اتِّصافِهِ بِهِ ولا بَعدَهُ، بَل بِمَحضِ اتِّصافِهِ بِهِ لا يكونُ قابلًا للإمامَةِ ولا مُستَحقًّا لَها سَواءٌ تابَ أم لَم يَتُبْ؛ لِكَونِهِ مُتَّصفًا بالفِسقِ والظّلمِ في الجُملَةِ ولَم تُقبَلْ شَهادَتُهُ أبدًا كَما ذَهبَ إليهِ أبو حَنيفَةَ وأصحابُهُ[4]، فَكيفَ يَصلُحُ

(١) ينظر: نصوص الكلم على كتاب فصوص الحكم: ٤٨.

وهو: مُحمّدُ بنُ محمّد بنُ طرخان: من أكبر الفلاسفة المسلمين، يُعرفُ بالمعلم الثاني، تركي الأصل، ترجم كتب ارسطو ، له كتب كثيرة، منها: الفصوص، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، آراء أهل المدينة الفاضلة، وغيرها، توفي سنة (٣٣٩هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: ٣٢٢، والأعلام: ٧: ٢٠.

(٢) هو: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا: الفيلسوف البلخي ثمّ البخاري، صاحب التّصانيف في لطب والفلسفة والمنطق، له عدّة تصانيف، منها: الانصاف، البر والاثم، القانون، الإشارات، وغيره، توفي سنة (٤٢٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧: ٥٣٣، ترجمة رقم: ٣٥٦، ووفيّات الأعيان: ٢: ١٥٧.

(٣) ينظر: منطق المشرقيّين: ٦٢.

(٤) ينظر: المبسوط: ١٦: ١٣٠، ١٣١، وبدائع الصنائع: ٦: ٢٧٠.

للإمامَةِ الّتي هيَ عَهدُ الله ولَم يَجعلْهُ سبحانهُ إمامًا؛ لِكَونِ ذلكَ قَبيحًا، والحَكيمُ تعالى شَأنُهُ مُنزَّهٌ عَنِ القَبائحِ مَعَ تَصريحِهِ تعالى في مُحكَمِ كِتابِهِ أنَّ عَهدَهُ الّذي هوَ الإمامَةَ [لا] يَنالُ الظّالمينَ في شَيءٍ مِنَ الأوقاتِ، فَمَن لَم تُقبلْ شَهادَتُهُ في شَيءٍ مِنَ الأمورِ الشّرعيّةِ لَم تَجُزْ إمامَتُهُ بالطّريقِ الأولى، ولا شَكَّ أنَّ الثَّلاثَةَ وأضرابَهُم عَبَدُوا صَنَمًا ووَثَنًا قَبلَ الإسلامِ باتِّفاقِ الفَريقَينِ فَصاروا مُتَّصِفِينَ بالكُفرِ والشِّركِ والظّلمِ في أحدِ الأزمنَةِ فَلمْ يَصلُحوا للإمامةِ فَلَم تَنَلْهُمُ الإمامَةُ مِن عِندِ الله تعالى ورَسولِهِ ولَم يَأذَنا لَهُم فيها، فَغَصَبوا حَقَّ غَيرِهِم عِنادًا وظُلمًا كَما اعتَرَفوا هُم أنفسُهُم على ما يَجيءُ ويُخبِرُ اللهُ سبحانهُ بِهِ وهوَ أصدَقُ المُخبِرينَ، فَيكونونَ أظلَمَ حينَ تَصَرَّفُوا الإمامَةَ الَتي هيَ حَقٌّ لِمَن عَيَّنَهُ اللهُ ورسُولُهُ ﷺ، فَعَدَمُ تَوبتِهِم مِنَ الظُّلمِ في الحالِ أظهَرُ مَنَ الشّمسِ كَما سَنُصرِّحُ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ ولِذا قُلنا: وإن تابَ فَرضًا وتَقديرًا، وأمَّا على مَذهَبِ الحَكيمِ أبي نَصرٍ الفارابي فَأظهَرُ ولا يَحتاجُ إلى البَيانِ(1).

ثانيها: إنَّ الجَمعَ المُحلّى باللّامِ سَواءٌ كانَ بحَرفِ التَّعريفِ أو باللّامِ المَوصولِ أو غَيرِهِ يكونُ لِلاستِغراقِ، ويَشمِلُ الأفرادَ والأوقاتِ والأزمنَةَ كُلَّها كَما ذَكَرَهُ أئمَّةُ الأُصولِ(2) والنّحوِ(3)، ودَلَّ عَليهِ الاستِقراءُ، وصَرَّحَ بِهِ أئمَّةُ التّفسيرِ(4)، فَيكونُ مَعنى قولِهِ تعالى: **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**: لا يَنالُ عَهدُ الإمامَةِ كُلَّ فَردٍ مِن أفرادِ مَنِ اتَّصَفَ بالظّلمِ في حالٍ مِنَ الأحوالِ، وزَمانٍ مِنَ الأزمنَةِ في شَيءٍ(5) مِنَ الأزمنَةِ وفي شَيءٍ مِنَ الأحوالِ، ولا شَكَّ أنَّ الثّلاثَةَ إلى آخِرِهِ.

(1) ومنه في حاشية الأصل: لأنَّهُ يكونُ المعنى: مَن يُمكِنُ أن يَصدُرَ منهُ ظُلمٌ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ لا تَنالُهُ الإمامَةُ، فَدَلَّ على الرَّفعِ كَونُ الإمامِ واجبُ العِصمَةِ.

(2) ينظر: معارج الأصول: ٨٤، والوافية في أصول الفقه: ١١٣.

(3) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١: ٢٩٦.

(4) ينظر: كنز العرفان في فقه القرآن: ٢: ٩٠، وزبدة التفاسير: ٢: ٨٧.

(5) ومنه في حاشية الأصل: قوله: في شيء إلى آخره متعلّقٌ بقولِهِ: لا ينالُ.

ثالثُها: إنَّ جميعَ أهلِ العَربيّةِ والبَيانِ والأُصولِ(١) اتَّفقوا على أنَّ الغَرضَ مِن وَضعِ الفِعلِ مَعَ اقتِرانِهِ بأحَدِ الأزمنَةِ على أخصَرِ وَجهٍ إفادَةُ التّجَدُّدِ الّذي هوَ مِن لوَازِمِ الزّمانِ، الّذي هوَ جزءٌ مِن مَفهومِ الفِعلِ، وتَجدُّدُ الجُزءِ وحُدوثُهُ يَقتَضي تَجدُّدَ الكُلِّ وحُدوثَهُ، وأنَّ الغَرضَ مِن وَضعِ الاسمِ إفادَةُ الثّبوتِ والتَحقُّقِ، مَثلًا: الكاتبُ والضّاربُ والظّالمُ مَوضوعٌ لِذاتٍ ثَبتَ لَهُ الكِتابَةُ والضَّربُ والظّلمُ في أحَدِ الأزمنَةِ الثّلاثَةِ، فَيَصُحُّ زَيدٌ كاتبٌ أو ضاربٌ أو ظالمٌ سَواءٌ صَدَرَ منهُ الكِتابَةُ أو الضّربُ أو الظّلمُ في الماضي أم في الحالِ أم في الاستِقبالِ كَما نَصَّ عَليهِ أئمَّةُ النّحوِ(٢)، فَيَصُحُّ حَملُ كاتبٍ وضاربٍ وظالمٍ على زيدٍ مِن غَيرِ تَجوّزٍ، قالَ الشّيخُ عبدُ القاهرِ في دَلائلِ الإعجازِ وأسرارِ البَلاغةِ: «إن كانَ المقصودُ مِنَ الإخبارِ هوَ الإثباتُ المُطلَقُ فَينبَغي أن يَكونَ بالاسمِ، وإن كانَ الغَرضُ لا يَتُمُّ إلّا بإشعارِ زَمانِ ذلكَ الثّبوتِ فَينبَغي أن يَكونَ بالفِعلِ، ـ وقالَ أيضًا: ـ مَوضوعُ الاسمِ أن يُثبَتَ بِهِ الشّيءُ للشّيءِ مِن غَيرِ اقتِضاءِ أنَّهُ يَتَجدَّدُ ويَحدُثُ شَيئًا فَشيئًا فَلا تَعرُّضَ في نَحوِ: زيدٌ مُنطلِقٌ أكثرُ مِن إثباتِ الانطِلاقِ فِعلًا لَهُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ»(٣)، انتهى.

فَحينئذٍ يكونُ مَعنى الآيَةِ: مَن ثَبتَ وصَدَرَ منهُ الظُّلمُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ وزمانٍ مِنَ الأزمنَةِ لا يَنالُهُ عَهدُ اللهِ الّذي هوَ الإمامَةُ أصلًا سَواءٌ تابَ أم لَم يَتُبْ؛ لأنَّهُ بعدَ التّوبةِ أيضًا صَدَقَ عليهِ أنَّهُ الّذي صَدَرَ منهُ الظُّلمُ في واحِدٍ مِنَ الأزمنَةِ فَلا يَنالُهُ عَهدُ اللهِ، ولَمَّا خاطَبَ اللهُ سبحانهُ إبراهيمَ الخَليلَ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَليهِ بقَولِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، سَأَلَ الخَليلُ عليه السلام سُرورًا بهذِهِ الكَرامَةِ الجَليلَةِ مِن رَبِّهِ هذهِ المرتَبَةَ العَظيمَةَ لِذُرِّيّتِهِ حيثُ قالَ: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾، قالَ تَعالى في جَوابِهِ: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، كَما مَرَّ في حَديثِ عُيونِ الأخبارِ وغَيرِهِ، وكُلُّ مَن صَدَرَ

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢: ١١٣، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١: ٣٨، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ١: ٢٣٨، وهداية المسترشدين: ١: ٣٦٧، وتعليقة على معالم الأصول: ١: ٧٠.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢: ١٠٢٩، وشرح التسهيل: ٣: ٧٣، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٠٣.

(٣) دلائل الإعجاز: ١: ١٧٤ (بتصرّف).

منهُ الكُفرُ والشِّركُ والظُّلمُ في وَقتٍ مِن أوقاتِ عُمُرِهِ فهوَ ظالمٌ لِنفسِهِ، أو لِغَيرِهِ، أو لَهُما، فكُلُّ ظالمٍ كَذلكَ[1] لا تَنالُهُ الإمامَةُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ، لا قَبلَ التّوبةِ ولا بَعدَهُ لِما مَرَّ[2] مِن صِدقِ الظُّلمِ عَليهِ حقيقةً، فهؤلاءِ الثّلاثَةُ كَذلكَ فَلا تَنالُهُم الإمامةُ أصلًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ. [٤٩٨]

رابعُها: إنَّ تَعليقَ الحُكمِ بوَصفٍ مُشعرٌ عَلى عليَّةِ المُشتقِّ منهُ، مَثلًا إذا قُلنا: أهِنِ الفاسِقَ، كانَ صُدورُ الفِسقِ منهُ عِلَّةً وسَبَبًا للإهانَةِ فَتجبُ إهانَتُهُ؛ لأجلِ كَونِهِ فاسقًا؛ ولأجلِ أنَّهُ صَدَرَ منهُ الفِسقُ فَتَجبُ إهانَتُهُ مُطلَقًا، أي: بعدَ صُدورِ الفِسقِ منهُ وحالَ تَلَبُّسِهِ بهِ، فَيكونُ مَعنى الآيةِ الشّريفَةِ: أنَّ عَدَمَ نَيلِ الإمامَةِ الظّالمينَ إنَّما هوَ لأجلِ ظُلمِهِم؛ ولأجلِ كَونِهِم ظالمينَ؛ ولأجلِ أنَّهُ صَدَرَ منهُم الظُّلمُ حَقيقةً وَقتًا مَّا، وصادِقٌ عَليهِم أنَّهُم ظالمونَ فَلا تَنالُهُم الإمامَةُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ ولا يَصلُحونَ للإمامَةِ دائمًا بمَحضِ صُدورِ الظُّلمِ منهُم في وَقتٍ فَلا تَنفَعُهُم في ذلكَ التّوبةُ وإن تابُوا فَرضًا وتَقديرًا.

تَتميمٌ نَفعُهُ عَميمٌ:

إنَّما قُلنا في صَدرِ الاستِدلالِ وهنا: وإن تابُوا فَرضًا وتَقديرًا؛ لأنَّهُم لَم يَتوبوا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ أصلًا، لا في حَياةِ النَّبيِّ ﷺ ولا بَعدَ وَفاتِهِ، وكانُوا أعداءً لِرسولِ الله ﷺ ولأهلِ بَيتِهِ في حَياتِهِ وبعدَ مَوتِهِ، وأسلَموا وآمَنوا في حَياتِهِ ﷺ بالإقرارِ اللّساني فَقط، كَما هوَ شَأنُ المُنافقينَ يَقولونَ بأفواهِهِم ما لَيسَ في قُلوبِهِم، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[3]، بَل هُم بَعدَ مَوتِهِ ﷺ أظلمُ وأطغَى ولَم يَحومُوا حَولَ التّوبةِ، بَل أصَرُّوا على الكُفرِ والنّفاقِ ومَرَدُوا مَعَ الغَيِّ والشّقاقِ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في سُورةِ الأنعامِ وهوَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: صَدَرَ منهُ الظّلمُ في وَقتٍ من أوقاتِ عُمرِهِ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: مِن أنَّهُ صَدَقَ عَليهِ أنَّهُ صَدَرَ منهُ الظّلمُ في واحدٍ مِنَ الأزمنَةِ فهوَ ظالمٌ حقيقةً.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤.

أصدقُ القائلينَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[1]، يَعني: كَما جعلنا لَكَ عَدُوًّا جَعَلنا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوًّا.

عَليُّ بنُ إبراهيمَ: عَنِ الصّادقِ عليه السلام أَنّهُ قالَ: «ما بَعثَ اللهُ نَبيًّا قَطُّ إلّا وفي أُمّتِهِ شَيطانانِ يُؤذِيانهُ ويُضِلّانِ النّاسَ بَعدَهُ، فَأمّا صاحِبا نُوحٍ: فَغَبطيقوسُ وحَزامُ، وأمّا صاحِبا ابراهيمَ: فَمَكثَلُ ورزامُ، وأمّا صاحِبا موسى: فَالسّامِريُّ ومُرَ عقِيبا، وأمّا صاحِبا عيسى: فَبولِيس ومَرتَيون، وأمّا صاحِبا مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله: فَحَبترٌ وزُرَيق»[2]، أي: الأوّلُ والثّاني، بَل هَمُّوا بقَتلِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وتَواثَقُوا عَلى أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في بَني هاشِمٍ، حَتّى أخبَرَ اللهُ سبحانهُ بذلكَ وهوَ أصدَقُ المُخبرينَ في سُورَةِ التّوبَةِ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[3].

عَليُّ بنُ إبراهيمَ: «أنّها نَزَلت في الّذينَ تَحالَفُوا في الكَعبَةِ أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في بَني هاشمٍ، فَهيَ كَلمةُ الكُفرِ، ثمَّ قَعدُوا لِرسولِ الله صلى الله عليه وآله في العَقَبَةِ وهَمُّوا بقَتلِهِ وهوَ قولُهُ تعالى: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[4]»[5]، «فَلَمّا أطلَعَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ وأخبَرَهُ حَلَفُوا لَهُ أنّهُم لَم يَقولُوا ذلكَ ولَم يَهُمُّوا بِهِ حَتّى أنزلَ اللهُ تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا﴾[6] الآيَةَ»[7].

وعَنِ الصّادقِ عليه السلام: «لَمّا أقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أميرَ المؤمنينَ عليه السلام يومَ غَديرِ خُمٍّ كانَ بحِذائِهِ سَبعةُ نَفَرٍ مِنَ المنافقينَ وهُم: فُلانٌ، وفُلانٌ، وعَبدُ الرّحمنِ بنِ عَوفٍ، وسَعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ، وأبو عُبيدَةَ، وسالمُ مَولى أبي حُذيفةَ، والمُغيرَةُ بنُ شُعبةَ، قالَ الثّاني: ألا تَرونَ عَينَيهِ كَأنّهُما عينا مجنونٍ، يَعني النّبيَّ

(١) سورة الأنعام ٦: ١١٢.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٢١٤.

(٣) سورة التوبة ٩: ٧٤.

(٤) سورة التوبة ٩: ٧٤.

(٥) تفسير القمّي: ١: ٣٠١.

(٦) سورة التوبة ٩: ٧٤.

(٧) تفسير القمّي: ٢: ٣٥٨.

ﷺ[1] السّاعةَ يَقومُ ويَقولُ: قالَ لي رَبِّي، فَلَمّا قامَ قالَ: أيُّها النّاسُ مَن أولَى بكُم مِن أنفُسِكُم؟ قالُوا: اللهُ ورَسولُهُ، قالَ: اللّهُمَّ فاشهَد، ثمَّ قالَ: ألا مَن كُنتُ مَولاهُ فَهذا عَليٌّ مَولاهُ، فَسَلِّمُوا عَليهِ بإمْرَةِ المؤمنينَ، ونَزَلَ جبرئيلُ عليه السلام وأعلَمَ رسولَ الله ﷺ بمَقالَةِ القَومِ، فَدَعاهُمُ النّبيُّ ﷺ وسَألَهُم فأنكَروا وحَلَفُوا، فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية»[2]، وفي روايةٍ: «أنّها نَزَلَت في أهلِ العَقَبةِ، فإنّهُم أضمَروا أن يَقتُلُوا رَسولَ الله في العَقَبةِ حينَ مَرجِعُهُم مِن تَبوكٍ، وأرادُوا أن يَقطَعُوا أنساعَ[3] راحِلَتِهِ ثمَّ يَنخَسُوا[4] بهِ، فأطلَعَهُ اللهُ تعالى على ذلكَ، وكانَ مِن جُملةِ مُعجزاتِهِ أنَّهُ لا يُمكِنُ مَعرفةُ ذلكَ إلّا بوَحيٍ مِنَ الله تعالى فَبادَرَ رسولُ الله ﷺ في العَقَبةِ وَحدَهُ وعَمّارٌ وحُذيفَةُ أحَدُهُما يَقودُ ناقَتَهُ والآخَرُ يَسوقُها، وأمَرَ النّاسَ كُلَّهُم بِسلوكِ بَطنِ الوادِي، وكانَ الّذينَ هَمُّوا بقَتلِهِ اثنى عَشَرَ رَجُلًا أو خَمسَةَ عَشَرَ عَرَفَهُم رسولُ الله ﷺ وسَمّاهُم بأسمائِهِم»[5]، وقالَ الباقرُ عليه السلام: «كانَت ثَمانيةٌ منهُم مِن قُريشٍ وأربعَةٌ مِنَ العَرَبِ»[6].

ورَوى العَيّاشي: عَنِ الصَّادقِ عليه السلام: «لمَّا قالَ النّبيُّ ﷺ ما قالَ في غَديرِ خُمٍّ وصاروا بالأخبيَةِ[7]، مَرَّ المُقدادُ بجَماعَةٍ منهُم يَقولونَ: إذا دَنَا مَوتُهُ وفَنِيَت أيّامُهُ وحَضَرَ أجلُهُ أرادَ أن يُوَلِّينا عَليًّا مِن بَعدِهِ، أما واللهِ لَيَعلَمُنَّ، قالَ: فَمَضَى المُقدادُ وأخبَرَ النّبيَّ ﷺ، فقالَ ﷺ: الصّلاةُ جامِعَةٌ، قالَ: فَقالوا: قَد رَمانا المُقدادُ فَقُوموا نَحلِفُ عَليهِ، قالَ: فَجاءوا حَتّى جَثَوا بَينَ يَديهِ فَقالوا: بآبائِنا وَأُمَّهاتِنا يا رَسولَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أيُّ كُفرٍ أعظمُ مِن قَتلِ رسولِ الله ﷺ ونِسبَتِهِ الجُنونَ وعَداوتِهِ وعَداوةِ أهلِ بَيتِهِ.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٣٠١.

(٣) «النّسعُ: سيرٌ يُضفَرُ كهيئةِ أعنَّةِ البغالِ يُشدُّ به الرّحال على طرفي البطان، ويُجمعُ على نسوعٍ وأنساعٍ». العين: ١: ٣٣٨، (نسع).

(٤) «النّخسُ: تغريزُكَ مُؤخّر الدّابةِ بعودٍ أو غَيرِهِ». العين: ٤: ٢٠٠، (نخس).

(٥) بحار الأنوار: ١٧: ١٨٤، والتفسير الصافي: ٢: ٣٥٩.

(٦) بحار الأنوار: ١٧: ١٨٤.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: جمعُ خِبا يَعني: خَيمَة.

الله والّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ والّذي كَرَّمَكَ بالنُّبوَّةِ ما قُلنا ما بَلَغَكَ، والّذي اصطَفاكَ مِنَ البَشَرِ، قالَ: فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِّ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا﴾ بِكَ لَيلَةَ العَقَبةِ»[١]. [٤٩٩]

دَلالةُ هذهِ الآيةِ والرّوايةِ:

فَهذهِ الآيةُ وهذهِ الرّوايَةُ نَصٌّ صَريحٌ في أَنّهُم كانُوا كافرينَ، وكَفَروا في أيّامِ حَياتِهِ ﷺ، وقالُوا كَلمَةَ الكُفرِ، وعَنِ الباقرِ عليه السلام: «إنَّ قولَهُ تعالى في سُورةِ التّوبةِ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَّ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[٢] نَزَلَت في اثني عَشَر رَجُلًا وَقَفُوا عَلى العَقَبةِ ائتَمَرُوا بينهُم لِيَقتُلوا رَسولَ الله ﷺ، وقالَ بعضُهُم لبَعضٍ: إن فَطنَ نَقولُ إنّما كُنّا نَخوضُ ونَلعَبُ، وإن لَم يَفطِنْ نَقتُلْهُ وذلكَ عِندَ رجوعِهِ مِن تَبوك، فَأخبَرَ جبرئيلُ عليه السلام رَسولَ الله ﷺ بذلكَ وأمَرَهُ أن يُرسِلَ إليهِم ويَضرِبَ وُجوهَ رَواحِلِهِم فضَرَبَها حَتّى نَحّاهُم، فَلَمّا نَزَلَ قالَ لحُذيفَةَ: مَن عَرَفتَ مِنَ القَومِ؟ قالَ: لَم أعرِفْ منهُم أحَدًا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: فُلانٌ وفُلانٌ وفُلانٌ حَتّى عَدَّدَهُم، فَقالَ حُذيفَةُ: أَلّا نَبعَثُ إليهِم فَنقتُلَهُم؟ فَقالَ: أكرَهُ أن تَقولَ العَرَبُ لَمّا ظَفِرَ بأصحابِهِ أقبَلَ يَقتلُهُم»[٣].

وفي روايَةٍ: «تَواثَقُوا أن يَدفَعُوهُ عَن راحلَتِهِ في الوادِي إذا تَسَنَّمَ العَقَبَةَ باللّيلِ، فَأخذَ عَمّارُ بنُ ياسرٍ بِخُطامِ ناقَتِهِ يَقودُها، وحُذيفَةُ خَلفَها يَسوقُها، فَبينَما هُما كَذلكَ إذ سَمِعَ حُذيفَةُ بِوقعِ أخفافِ الإبِلِ وبقَعقَعَةِ السّلاحِ فَالتَفَتَ إليهِ فإذا هُم مُلَثَّمونَ، فَقالَ: إليكُم يا أعداءَ الله، وضَرَبَ وُجوهَ رَواحِلِهِم حَتّى نَحّاهُم»[٤].

---

(١) تفسير العيّاشي: ٢: ١٠٠، حديث رقم: ٩٠.

(٢) سورة التوبة ٩: ٦٤، ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢١: ١٩٦.

(٤) تفسير جوامع الجامع: ٢: ٨١.

وعنهَ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ غايةَ الطّولِ في الاحتِجاجِ والكافي وغَيرِهما في حِكايةِ وَصيَّةِ غَديرِ خُمّ: «إلى أن قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في مَسجِدِ الخَيفِ: أيُّها النّاسُ إنّي تارِكٌ فيكُم الثّقلَينِ، قالوا: يا رَسولَ الله وما الثَّقَلانِ؟ فقالَ: كِتابُ الله وعِترَتي أهلَ بَيتي، فإنَّهُ قَد نَبَّأَني اللّطيفُ الخَبيرُ أنَّهُما لَم يَفتَرِقا حَتَّى يَرِدَا عَليَّ الحَوضَ كَاصبِعَيَّ هاتَينِ وجَمَعَ بينَ سَبَّابَتَيهِ، ولا أقولُ كَهاتَينِ وجَمَعَ بينَ سَبَّابَتِهِ والوُسطَى فَتفضُلُ هذهِ على هذهِ، فَاجتَمَعَ قَومٌ مِن أصحابِهِ وقالُوا: يُريدُ مُحَمَّدٌ أن يَجعَلَ الإمامَةَ في أهلِ بيتِهِ، فَخَرَجَ منهُم أربعَةُ نَفرٍ إلى مَكَّةَ، ودَخَلوا الكَعبَةَ وتَعاهَدُوا وتَعاقَدُوا، وكَتَبُوا فيما بَينِهِم كِتابًا إن أماتَ اللهُ مُحَمَّدًا أو قَتَلَهُ أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في أهلِ بَيتِهِ، فَأنزَلَ تعالى عَلى نَبيِّهِ: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(١)، فَخَرَجَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِن مَكَّةَ يُريدُ المدينَةَ حَتَّى نَزَلَ مَنزِلًا يُقالُ لَهُ غَديرُ خُمٍّ، وقَد عَلَّمَ النّاسَ مَناسِكَهُم وأوعَزَ إليهِم وَصيَّهُ إذ أنزَلَ اللهُ عليهِ هذهِ الآيَة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾(٢) الآية، فَقامَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله فقالَ: تَهديدٌ ووَعيدٌ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عَليهِ ثمَّ قالَ: أيُّها النّاسُ هَل تَعلَمونَ مَن وَليُّكُم؟ قالُوا: نعم، اللهُ ورسُولُهُ، قالَ: ألَستُم تَعلَمونَ أنّي أولَى بِكُم مِنكُم بأنفُسِكُم؟ قالُوا: بَلَى، قالَ: اللّهُمَّ اشهَد، فَأعادَ ذلكَ عَليهِم ثَلاثًا كُلُّ ذلكَ يَقولُ مِثلَ قَولِهِ الأوَّلِ ويَقولُ النّاسُ كَذلكَ، ويَقولُ اللّهُمَّ اشهَد، ثمَّ أخَذَ بيَدِ أميرِ المؤمنينَ فَرَفَعَها حَتَّى بَدَا للنّاسِ بَياضُ اِبِطِهِ ثمَّ قالَ: ألا مَنْ كُنتُ مَولاهُ فَهذا عَليٌّ مَولاهُ، اللّهُمَّ والِ مَن وَالاهُ وعادِ مَن عاداهُ، وانصُر مَن نَصَرَهُ، واخذُل مَن خَذَلَهُ، واحبُب مَن أحَبَّهُ، ثمَّ قالَ: اللّهُمَّ اشهَد عَليهِم وأنا مِنَ الشّاهدينَ، فَاستَفهَمَهُ عُمَرُ مِن بَينِ أصحابِهِ فقالَ: يا رسولَ الله هذا مِنَ الله ومِن رَسولِهِ؟ قالَ: نَعَم، هذا مِنَ الله ومِن رَسولِهِ، إنَّهُ أميرُ المؤمنينَ وقائدَ الغُرِّ المُحجَّلينَ يُقعِدُهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ عَلى الصّراطِ فَيُدخِلُ

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٧٩، ٨٠.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٧.

أولياءَهُ الجَنَّةَ وأعداءَهُ النّارَ، فَقالَ أصحابُهُ الّذينَ ارتَدُّوا بَعدَهُ: قَد قالَ مُحَمَّدٌ ما قالَ في مَسجِدِ الخَيفِ، وقالَ ههنا ما قالَ، وإن رَجَعَ إلى المدينَةِ يَأخُذُنا بالبَيعَةِ لَهُ، فاجتَمَعَ أربعَةُ عَشَرَ نَفَرًا وتآمَروا على قَتلِ رَسولِ الله ﷺ وقَعَدُوا لهُ في العَقَبَةِ، وهيَ عَقَبَةُ هَرشَى[1] بَينَ الجُحفَةِ والأبواءِ، فَقَعَدَ سَبعَةٌ عَن يَمينِ العَقَبَةِ وسَبعَةٌ عَن يَسارِها لِيُنفِّرُوا ناقَةَ رسولِ الله ﷺ، فَلَمّا جَنَّ عَليهِ اللّيلُ تَقَدَّمَ رسولُ الله ﷺ في تِلكَ الليلَةِ العَسكَرَ، فَأقبَلَ يَنعَسُ على ناقَتِهِ فَلَمّا دَنا مِنَ العَقَبَةِ ناداهُ جَبرئيلُ: يا مُحَمَّدُ إنَّ فُلانًا وفُلانًا وفُلانًا قَد قَعَدُوا لَكَ، فَنَظَرَ رسولُ الله ﷺ قالَ: مَن هذا خَلفِي؟ فَقالَ حُذيفَةُ بنُ اليَمانِ: أنا حُذيفَةُ بنُ اليَمانِ يا رسولَ الله، قالَ: سَمِعتَ ما سَمِعتُ؟ قالَ: بَلى، قالَ: فَاكتُمْ، ثمَّ دَنا رَسُولُ الله ﷺ منهُم فَناداهُم بأسمائِهِم، [٥٠٠]

فَلَمّا سَمِعُوا نِداءَ رسولِ الله ﷺ مَرُّوا ودَخَلُوا في غِمارِ النّاسِ وقَد كانُوا عَقَلُوا رَواحِلَهُم فَتَرَكوها ولَحِقَ النّاسُ بِرَسولِ الله ﷺ وطَلَبُوهُم، وانتَهى رسولُ الله إلى رَواحِلِهِم فَعَرَفَها، فَلَمّا نَزَلَ قالَ: ما بالُ أقوامٍ تَحالَفُوا في الكَعبَةِ إن أماتَ اللهُ مُحَمَّدًا أو قَتَلَهُ أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في أهلِ بَيتِهِ أبدًا، فَجاؤوا إلى رَسولِ الله ﷺ فَحَلَفُوا أنَّهُم لَم يَقولُوا مِن ذلكَ شَيئًا ولَم يُريدُوهُ ولَم يَهُمُّوا بشَيءٍ في رَسولِ الله، فَأنزَلَ اللهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا﴾: أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في أهلِ بَيتِ رسولِ الله، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا﴾ مِن قَتلِ رَسولِ الله ﷺ»[2].

---

(١) وهي: «ثنيّةٌ في طريقِ مكّةَ قريبةٌ منَ الجُحفة يُرى منها البحر». معجم البلدان: ٥: ٣٩٧.

والجحفة: «قريةٌ كبيرةٌ تقعُ على طريقِ المدينةِ مِن مكّةَ، وهي: ميقاتُ أهلِ مصرَ والشّام». معجم البلدان: ٢: ١١١.

والأبواء: «قريةٌ مِن أعمالِ الفرعِ منَ المدينةِ بينها وبينَ الجُحفَةِ». معجم البلدان: ١: ٧٩.

(٢) لم يقف الباحث على نصِّ الحديث كاملًا من كتابي الاحتجاج والكافي، وجاء فيهما مقتطفات منه، ينظر: الاحتجاج: ١: ٦٨١، والكافي: ٢: ٤١٥، وأثبته بالكامل من تفسير القمّي: ١: ١٧٣ـ ١٧٥، وبحار الأنوار: ٣٧: ١١٤ـ ١١٦، حديث رقم: ٦.

وفي كِتابِ الاحتِجاجِ: عَنِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: «لَمَّا فَرِغَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله مِن هذهِ الخِطبَةِ رُئِيَ في النّاسِ رَجلٌ جَميلٌ بَهِيٌّ طَيِّبُ الرّيحِ، فقالَ: تَاللهِ ما رَأيتُ مُحمّدًا كَاليومَ قَطُّ، ما أَشَدَّ ما يُؤَكِّدُ لابنِ عَمِّهِ، وإنَّهُ لَعَقَدَ عَقدًا لا يُحِلُّهُ إلّا كافِرٌ باللهِ العَظيمِ وبِرسولِهِ الكَريمِ، وَيلٌ طَويلٌ لِمَن حَلَّ عَقدَهُ، قالَ: والتَفَتَ إليهِ عُمَرُ حِينَ سَمِعَ كَلامَهُ فأعجَبَتهُ هَيئَتُهُ، ثمَّ التَفَتَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وقالَ: أما سَمِعتَ ما قالَ هذا الرَجلُ؟ قالَ كَذا وكَذا، فَقالَ النّبيُّ: يا عُمَرُ أتَدري مَن ذلكَ الرَّجُلُ؟ قالَ: لا، قالَ: ذاكَ الرُّوحُ الأمينُ جَبرئيلُ، فَإيّاكَ أن تُحِلَّهُ فَإنَّكَ إن فَعلتَ فإنَّ اللهَ ورَسُولَهُ وملائِكَتَهُ والمؤمِنينَ منكَ بُراءُ»[1]، انتهى.

اُنظُر إلى ما قالَ جَبرئيلُ مِن قَولِهِ: «لا يُحِلُّهُ إلّا كافِرٌ باللهِ العَظيمِ وبِرسولِهِ الكَريمِ، وَيلٌ طَويلٌ لِمَن حَلَّ عَقدَهُ»، وإلى تَحذيرِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إيَّاهُ، فَلا شَكَّ ولا رَيبَ في كُفرِهِ وكُفرِ صاحِبِهِ وأضرابِهِما باللهِ العَظيمِ وبِرسُولِهِ الكَريمِ، وقَد شَهِدَ اللهُ سبحانَهُ بذلكَ وكَفَى باللهِ حيثُ قالَ وهوَ أصدَقُ القائلينَ في سُورةِ النّساءِ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾[2].

---

(١) الاحتجاج: ١: ٨٤.

(٢) سورة النساء ٤: ١٣٦، ١٣٧.

عَليُّ بنُ إبراهيمَ: «عنهُم عليهم السلام أَنَّها نَزَلَت في الّذينَ آمَنوا بِرسولِ الله إقرارًا لا تَصديقًا، ثمَّ كَفَرُوا لمَّا كَتَبوا الكِتابَ فيما بَينَهُم أن لا يَرُدُّوا هذا الأمرَ في أهلِ بَيتِهِ أبدًا، فَلَمّا نَزَلَتِ الولايَةُ وأخذَ رسولُ الله المِيثاقَ عَليهِم لأميرِ المُؤمنينَ عليه السلام آمَنوا إقرارًا لا تَصديقًا، فَلَمَّا مَضَى رسولُ الله كَفَرُوا فازدادُوا كُفرًا»[1].

ورَوَى العَيّاشي: عَنِ الباقرِ عليه السلام قالَ: «هُما والثّالثُ والرّابعُ وعَبدُ الرّحمنِ وطَلحَةُ، وكانُوا سَبعَةَ عَشَرَ رجلًا»[2]، الحديثُ، وذَكَرَ مَراتِبَ إيمانِهِم وكُفرِهِم.

وعنِ الصَّادقِ عليه السلام: «أنّها نَزَلَت في فُلانٍ وفُلانٍ وفُلانٍ، آمَنوا بَرسولِ الله في أوّلِ الأمرِ، ثمَّ كَفَروا حينَ عُرِضَت عَليهِم الولايَةُ حينَ قالَ: مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَليٌّ مَولاهُ، ثمَّ آمنوا بالبَيعةِ لأميرِ المؤمِنينَ عليه السلام، حيثُ قالُوا بأمرِ الله وأمرِ رَسُولِهِ، فَبايَعوهُ، ثمَّ كَفَرُوا حيثُ مَضَى رسولُ الله، فَلَمْ يُقِرُّوا بالبَيعَةِ ثمَّ ازدَادُوا كُفرًا بأخذِهِم مَن بايَعوهُ بالبَيعَةِ لَهُم، فَهؤلاءِ لَمْ يَبقَ فيهِم مِنَ الإيمانِ شَيءٌ»[3]، الحديثُ، بَل لَم يَبقَ لَهُم إسلامٌ، ولا فيمَن زَعَمَ أنَّهُم فيما أتَوا بِهِ صادقٌ، بَل مَن زَعَمَ أنَّ لهم نَصِيبًا في الإسلامِ لَم يكنْ لَهُ نَصيبٌ في الإسلامِ.

في الكافي: بإسنادِهِ إلى عبدِ الله بن أبي يَعفور[4] عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: سَمِعتُهُ يقولُ: «ثَلاثَةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيامَةِ [ولا يَنظُرُ إليهِم] ولا يُزَكِّيهِم ولَهُم عَذابٌ أليمٌ: مَن ادَّعَى إمامَةً مِنَ الله لَيسَت لَهُ، وَمَن جَحَدَ إمامًا مِنَ الله، ومَن زَعَمَ أنَّ لَهُم نَصيبًا في الإسلامِ»[5]، فَإذا لَم يَكنْ لَهُم نَصيبٌ

---

(١) تفسير القمّي: ١: ١٥٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٢٧٩، حديث رقم: ٢٨٦.

(٣) الكافي: ١: ٤٢٠، حديث رقم: ٤٢، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٥: ٤٦، حديث رقم: ٤٢.

(٤) هو: أبو محمَّدٌ العبدي: ثقة ثقة، كان قارئًا للقرآنِ في مسجدِ الكوفةِ، جليلٌ في أصحابنا، من أصحابِ الإمامينِ الصّادقينِ عليهما السلام، لهُ كتابٌ، توفيَ في حياةِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام. ينظر: رجال النجاشي: ٢١٣، ترجمة رقم: ٥٥٦، وخلاصة الأقوال: ١٩٦، ترجمة رقم: ٢٥.

(٥) الكافي: ١: ٣٧٣، حديث رقم: ٤، وما بينَ المعقوفينِ من نسخةِ المُصنِّفِ لم يرد في نسخة المصدر المُعتَمَد.

في الإسلامِ لَمْ يكونُوا إلَّا مُشرِكينَ كافِرينَ.

وبإسنادِهِ عَن طَلحَةَ بنِ زيدٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ مَن أشرَكَ مَعَ إمامٍ إمامَتُهُ مِن عِندِ الله مَن لَيسَت إمامَتُهُ مِنَ الله كانَ مُشرِكًا بالله»(١)، الحديث. وقالَ عليه السلام: «وأخلَيَا مِنبَرَهُ مِن وَصيِّهِ ووارِثِ عِلمِهِ، وجَحَدا إمامَتَهُ، وأشرَكَا بِرَبِّهِما»(٢) إلى آخِرِهِ. وقولُهُ عليه السلام: «ومَن جَحَدَكُم كافرٌ ومَن حارَبَكُم»(٣) إلى آخِرِهِ.

وفي الكافي: بإسنادِهِ عَن جابرِ الجُعفِي قالَ: سَألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عَن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾(٤)، قالَ: «هُم والله أولياءُ فُلانٍ وفُلانٍ وفُلانٍ اتَّخَذوهُم أئِمَّةً دونَ الإمامِ الّذي جَعَلَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ للنّاسِ إمامًا فَلذلكَ قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾(٥)، [٥٠١] ثمَّ قالَ أبو جعفرٍ عليه السلام: هُم والله أئمَّةُ الظَّلَمَةِ وأشياعُهُم»(٦)، الحديث، فَهُم أعداءُ الله وأعداءُ رسولِهِ وأعداءُ أهلِ بيتِهِ عَلانِيَّةً؛ لأنّهُم وإن لَم يَقولُوا نَحنُ نُبغِضُ مُحمَّدًا وأهلَ بَيتِهِ لكنَّهُم أظهَروا عَداوَتَهُم بالعَمَلِ عَلى خِلافِ فِعلِهِم وقَولِهِم، وعلى خِلافِ رِضاهُم، بَل قَد أظهَروا ذلكَ باللّسانِ تَصريحًا وإيماءً ورَمزًا وإشارَةً ودِلالَةً، وهيَ أبلَغُ مِنَ التّصريحِ كَما مَرَّ ويَجيءُ؛ لأنّهُم وعُلماءَهُم أفتَوا عَلى خِلافِ ما عَليهِ رَسولُ الله وأهلُ بَيتِهِ صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَليهِ وعَليهِم،

(١) الكافي: ١: ٣٧٣، حديث رقم: ٦.

(٢) المصباح: ٥٥٢، وبحار الأنوار: ٨٢: ٢٦٠، حديث رقم: ٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٣٠٧، حديث رقم: ١، والمزار: ٥٢٩، ومفاتيح الجنان: ٧٨٦.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٦٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٦٥، ١٦٧.

(٦) الكافي: ١: ٣٧٤، حديث رقم: ١١.

وشَيَّدُوا دَلائِلَهُم وسَنُّوا سُنَّتَهُم ووَضَعُوا الأحاديثَ الكاذِبَةَ(١) كابرًا عَن كابرٍ عَلى نَقيضِ ما عَليهِ الرّسولُ وأهلُ بَيتِهِ المَعصومونَ، وعَلى غَصبِ حُقوقِهِم ظُلمًا وعِنادًا لله ولِرسولِهِ ولأهلِ بَيتِهِ وشِيعتِهِم، وأوصَى كُلُّ واحِدٍ منهُم أولادَهُ وعَهِدَ إليهِم عَلى بُغضِ عَليٍّ وأولادِهِ وشِيعَتِهِم.

فهَل هذا إلَّا إظهارُ العَداوَةِ، فَجَرَوا هُم وأتباعُهُم مِنَ العُلَماءِ والتّابعينَ على أثَرِ أسلافِهِم، فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنَ الطّبقاتِ اللّاحقَةِ أشَدُّ عَداوَةً وعِنادًا مِنَ السَّابقَةِ، أتَواصَوا بِهِ بَل هُم قَومٌ طاغُونَ؟ بَل يَضَعونَ أحاديثَ كاذِبَةً لَم يَضَعها السَّلَفُ منهُم، وقالَ تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾(٢)، الآية، مَعَ كَونِهِما مَصدَرَينِ لجميعِ أنواعِ المَعاصِي والمَناهِي مِنَ الزِّنا واللِّواطِ والفَواحِشِ، وقَتلِ الرّسولِ وقَتلِ أئمَّةِ الهُدى وأولادِهِم وأحفادِهِم وشِيعَتِهِم في كُلِّ عَصرٍ وزَمانٍ ومَحلٍّ ومَكانٍ، وسَبْيِ ذَرارِيهِم ونِسوانِهِم مِنَ السّاداتِ العَلويّةِ والحَسَنيَّةِ والحُسَينيَّةِ، وغَصبِ أموالِهِم، وتَخريبِ دِيارِهِم، وتَخريبِ بَيتِ النُّبوَّةِ ومَوضِعِ الرِّسالَةِ، مِن إضرامِهِ بالنّارِ، وَجَعلِ عاليهِ سافِلَهُ، وكَسرِ البابِ، وَدَقِّ ضِلعِ البَتولِ العذراءِ، وإسقاطِ وَلَدِها، وغَصبِ فَدَكِها، وتَمزيقِ صَكِّها، وما فَعَلوا بأميرِ المؤمنينَ والحَسنِ والحُسينِ وأولادِهِم وشِيعَتِهِم عِندَ وَفاةِ النَّبيِّ ﷺ إلى الآن، وما يَفعلونَ بِهِم إلى قِيامِ القائِمِ عليه السلام.

---

(١) ومن أمثلتها:

ـ عن أبي سعيدٍ عنه ﷺ: «لَو كُنتُ مُتّخذًا مِنَ النّاسِ خليلًا غيرَ ربّي لاتّخذتُ أبا بَكرٍ، ولكن إخوّةُ الإسلامِ أو مودّتُهُ، لا يَبقى بابٌ في المسجدِ إلّا سُدَّ إلّا بابَ أبي بكرٍ». مسند أحمد: ٣: ١٨.

ـ «عن أبي سعيد الخدريّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: إنَّ أهلَ علييّنَ لَيراهم مَن هوَ أسفلَ منهُم كَما يُرى الكوكَبُ في أُفُقِ السّماءِ، وإنَّ أبا بكرٍ وعُمرٍ لمنهُم وأنعُما». مسند أحمد: ٣: ٥٠.

ـ «قالَ رسولُ الله ﷺ: إنّي لا أدري ما قَدرُ بقائي فيكم، فاقتدوا باللّذينِ مِن بَعدي، وأشارَ إلى أبي بكرٍ وعُمرٍ». سنن ابن ماجة: ١: ٣٧، حديث رقم: ٩٧.

ـ «عن أنس بن مالك أنَّ نبيَّ الله ﷺ صَعدَ أُحُدًا فَتبعَهُ أبو بكرٍ وعُمرٍ وعُثمانَ، فَرجفَ بهم، فَضرَبَهُ نَبيُّ الله ﷺ برجلِهِ وقالَ: أثبت أُحُد نبيٌّ وصِدّيقٌ وشهيدانِ». سنن أبي داود: ٢: ٤٠٢، حديث رقم: ٤٦٥١.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

فَهَل هذا إلّا إظهارُ العَداوَةِ لِرسولِ الله وأهلِ بَيتِهِ عَلى أنَّ هؤلاءِ العُداةِ سَبُّوهُم عليهم السلام عَلى المنابِرِ، وغَدَروا بِهِم، ونَكَثُوا بَيعَتَهُم، وجَحَدُوا ولايَتَهُم، وأنكَرُوا مَنزِلَتَهُم، وخَلَعُوا رِبقَةَ طاعَتِهِم، وهَجَروا أسبابَ مَودّتِهِم، وتَقَرّبوا إلى فَراعِنَتِهِم بالبَراءَةِ منهُم عليهم السلام، ومَنَعُوهُم مِن إقامَةِ الحُدودِ، واستِئصالِ الجُحُودِ، وشَعبِ الصَّدعِ، ولَمِّ الشّعثِ، وسَدِّ الخَلَلِ، وإمضاءِ الأحكامِ، وتَهذيبِ الإسلامِ، فَأَصَبُّوا على النِّفاقِ، وأكَبُّوا عَلى عَلائِقِ الشّقاقِ، فَاختَطَفوا الغِرَّةَ، وانتَهزوا الفُرصَةَ، وانتَهكُوا الحُرمَةَ، وغَادَرُوهُ صلى الله عليه وآله عَلى فِراشِ الوَفاةِ، وأسرَعُوا لِنَقضِ البَيعَةِ، ومُخالَفَةِ المواثِيقِ المؤكّدَةِ، وخِيانَةِ الأمانَةِ المعروضَةِ على السّماواتِ والأرضِ والجِبالِ الرّاسِيَةِ وَأبَت أن تَحمِلَها وحَمَلَها الإنسانُ الظَّلُومُ الجهولُ ذو الشِّقاقِ والعِزَّةِ بالآثامِ المُوبِقَةِ، والأَنَفَةِ عَنِ الانقِيادِ لحَميدِ العاقِبَةِ، فَحُشِرَ سِفْلَةُ الأعرابِ، وبَقايَا الأحزابِ إلى دارِ النُّبوَّةِ والرّسالَةِ ومَهبِطِ الوَحيِ والملائكَةِ، ومُستَقَرِّ سُلطانِ الولايَةِ، ومَعدِنِ الوَصيَّةِ والخِلافَةِ والإمامَةِ، حَتَّى نَقَضُوا عَهدَ المُصطَفَى صلى الله عليه وآله في أخيهِ عَلَمِ الهُدى، وَجَرَحُوا كَبِدَ خَيرِ الوَرَى في ظُلمِ ابنَتِهِ، واضطِهادِ حَبيبَتِهِ، واهتِضامِ عَزيزَتِهِ وبَضعَةِ لَحمِهِ وَفِلذَةِ كَبِدِهِ، وخَذَلوا بَعلَها، وَصَغَّرُوا قَدْرَها، واستَحَلُّوا محَارِمَهُ، وقَطَعُوا رَحِمَهُ، وأنكَرُوا أُخُوَّتَهُ، وهَجَرُوا مَودَّتَهُ، ونَقَضُوا بيعَتَهُ، ونَقَصُوا إطاعَتَهُ وجَحَدُوا وِلايَتَهُ، وأطمَعُوا العَبيدَ في خِلافَتِهِ، وقادُوهُ إلى بَيعَتِهِم مُسْلَتَةً سُيُوفُها، مُشْرِعَةً أسِنَّتُها، وهوَ عليه السلام ساخِطُ القَلبِ هائِجُ الغَضَبِ، شَديدُ الصّبرِ، كاظِمُ الغَيظِ، يَدعونَهُ إلى بَيعَتِهِم الّتي عَمَّ شُؤمُها الإسلامَ، وَذَرَعَت في قُلُوبِ أهلِها الآثامَ، وَعقَّت سَلمانَها، وَطَرَدَت مِقدادَها، ونَفَت جُندُبَها، وَفتَقَت بَطْنَ عَمّارِها، وَحرَّقَتِ القُرآنَ، وَبَدَّلَتِ الأحكامَ، وَغَيَّرَتِ المَقامَ، وأباحَتِ الخُمُسَ للطّلَقاءِ، وَسَلَّطَت أولادَ اللُّعَناءِ عَلى الفُروجِ والدِّماءِ، وَخَلَّطَتِ الحَلالَ بالحَرامِ، واستَخَفَّت بالإيمانِ والإسلامِ، وهَدَمَتِ الكَعبَةَ، وأغارَت عَلى دارِ الهِجرَةِ يومَ أبرَزَت بَناتِ المُهاجرينَ والأنصارِ للنّكالِ والسَّورَةِ(١)،

(١) السّطوةُ والبطشُ والاعتداءُ. ينظر: العين: ٧: ٢٨٩، (سور)، وتاج العروس: ٦: ٥٥١، (سور).

وألبَسَتهُنَّ ثَوبَ العارِ والفَضِيحَةِ، ورَخَّصَت لأهلِ الشُّبهَةِ في قَتلِ بَيتِ الصَّفوَةِ، وإبادَةِ نَسلِهِ، واستِئصالِ شَأفَتِهِ(١)، وسَبْيِ حَريمِهِ، وقَتلِ أنصارِهِ، وكَسْرِ مِنْبَرِهِ، وقَلْبِ مَفْخَرِهِ(٢)، [٥٠٢] وإخفاءِ دِينِهِ، وقَطعِ ذِكرِهِ، فَهُم عليهم السلام بَينَ صَريعٍ في المِحرابِ قَد فَلَقَ السَّيفُ هامَتَهُ، وشَهيدٍ فَوقَ الجِنازَةِ قَد شُبِّكَت بالسِّهامِ أكفانُهُ، وقَتيلٍ بالعَراءِ قَد رُفِعَ فَوقَ القَناةِ رَأسُهُ، ومُكَبَّلٍ في السِّجنِ قَد رُضَّت بالحَديدِ أعضاؤُهُ، ومَسمُومٍ قَد قُطِعَت بِجُرَعِ السَّمِّ أمعاؤُهُ.

وهَل هذا إلّا الظُّلمُ؟ وسَنَذكُرُ سائِرَ الأحاديثِ في بَيانِ ظُلْمِ هؤلاءِ النَّبيَّ وأهلَ بيتِهِ المَعصومِينَ، وعَداوَتِهِم إيّاهُم عليهم السلام بطولِها في أماكِنِها إن شاءَ اللهُ تعالى.

أفَلا يَكفي هذا القَدرُ مِن الظُّلمِ في عَدَمِ نَيلِ الإمامَةِ والأمانَةِ، آه آه، وما مُصيبَتاهُ، واحَسرَتاهُ، أينَ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ؟ أينَ البَتولُ العَذراءُ؟ أين الحَسَنُ؟ أينَ الحُسَينُ؟ أينَ أبناءُ الحُسَينِ؟ صالحٌ بعدَ صالحٍ، وصادقٌ بعدَ صادقٍ، هَل مِن مُعينٍ فَأُطيلَ مَعهُ العَويلَ والبُكاءَ؟ هَل مِن جَزوعٍ فَأُساعِدَ جَزَعَهُ إذا خَلا؟ هَل قَذِيَت عَينٌ فَتُسعِدَها عَيني عَلى القَذى؟.

وَهَل يَكونُ لهؤلاءِ نَصيبٌ في الإسلامِ أم يَزعُمُ أحدٌ أنَّ لَهُم في الإسلامِ نَصيبًا؟ مَعَ أنَّهُ صلى الله عليه وآله قالَ للأوَّلِ والثّاني بعدَ وَفاتِهِ يومَ إحراقِهِم بابَ بَيتِ النُّبوَّةِ: أَكَفرتَ بالّذِي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلًا؟ إذا عَرَفتَ هذهِ المَراتِبَ عَرَفتَ أنَّ الأنبياءَ والأئمَّةَ يَجِبُ أن يَكونُوا مَعصومِينَ بَرَرَةً أتقياءَ كَما اعترَفَ بذلكَ المُخالِفُ أيضًا، دونَ كافِرينَ ظالمينَ مُشرِكينَ سُفَهاءَ، وأنَّ المعصومينَ بَعدَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: عَليٌّ وأولادُهُ الأحَدَ عَشَرَ الصّفوةُ الطّاهرونَ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ [عَليهِم] أجمعينَ، وأنَّ هؤلاءِ الثّلاثَةَ وأضرابَهُم لَمْ يُؤمِنوا باللهِ ورَسُولِهِ تَصديقًا وطَوعًا في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ أصلًا، بَل كَفَروا باللهِ العَظيمِ ورَسولِهِ الكَريمِ، كَما قالَ جَبرئيلُ عليه السلام عَلى ما مَرَّ وصَرَّحَ بهِ

(١) الشأفة: «قرحةٌ تخرجُ في أسفلِ القَدمِ فتُكوى فتذهَبُ، يقالُ في المَثلِ: استأصَلَ اللهُ شأفتَهُ، أي: أذهبَهُ اللهُ كما ذهبَ تلكَ القرحةَ بالكَي». الصحاح: ٤: ١٣٧٩، (شأف).

(٢) «المَفْخَرَةُ والمَفْخُرةُ، بفتحِ الخاءِ وضَمِّها: المَأْثُرةُ وما فُخِرَ به». لسان العرب: ٥: ٤٩، (فخر).

القُرآنُ الكَريمُ على ما مَضَى، وإذا ثَبَتَ ظُلمُهُم وكُفرُهُم وشِركُهُم ثَبَتَ أنّهُم لَمْ يَكونوا صالحينَ لِلإمامَةِ ولا يَنالُهُم عَهدُ اللهِ الّذي هوَ الإمامَةُ مِن عِندِ اللهِ وعِندِ رَسولِهِ، بَل غَصَبُوا حَقَّ مَنْ نَصَّ اللهُ تعالى ورَسولُهُ ﷺ عليهِ ظُلمًا وعِنادًا وعَداوَةً لله ورَسولِهِ وأهلِ بَيتِهِ الصّفوةِ الطّيّبينَ الطّاهرينَ المعصومينَ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليهِ وآلِهِ أجمعينَ، فإذا ثَبَتَ أنَّ الثّلاثَةَ وأضرابَهُم لَم يَكونوا صالحينَ للإمامَةِ؛ لِكَونِهِم ظالمينَ مُشركينَ كافرينَ عابِدينَ للأصنامِ قَبلَ البِعثَةِ بالاتّفاقِ(١)، وأشَدَّ كُفرًا وضَلالَةً بَعدَها في حَياةِ النَّبيِّ ﷺ وبَعدَ وَفاتِهِ، كَما مَرَّ بيانُهُ مِنَ الآياتِ والرّواياتِ المُتظاهِرَةِ، والكافِرونَ هُمُ الظّالمونَ، وأنَّ الظّالمينَ لا يَنالُهُم عَهدُ اللهِ الّذي هوَ الإمامَةُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ ووَقتٍ مِنَ الأوقاتِ على ما مَرَّ بيانُهُ، ثَبَتَت إمامَةُ مَولانا ومُقتَدانا أميرِ المؤمنينَ بَعدَ النَّبيِّ ﷺ بِلا فَصلٍ؛ للسَّبرِ والتّقسيمِ(٢)؛ لأنَّ الإمامَ بلا فَصلٍ بَعدَ النَّبيِّ ﷺ بإجماعِ الأُمَّةِ إمَّا عَليٌّ أو أبو بَكرٍ، وإذا انتَفَت إمامَةُ أبي بَكرٍ بدَلالَةِ الآيَةِ والحَديثِ؛ لِسَبقِ كُفرِهِ وشِركِهِ وظُلمِهِ سابقًا ولاحِقًا؛ ولِكَونِهِ غَيرُ مَعصومٍ باتّفاقِ الأُمَّةِ، ثَبَتَت إمامَةُ عَليٍّ عليه السلام بَعدَهُ ﷺ بِلا فَصلٍ، وإلّا لَزِمَ خَرقُ الإجماعِ مَعَ أنَّهُ عليه السلام مَنصوصٌ عَليهِ مِن عِندِ اللهِ ورَسُولِهِ باعترافِ الخُصُومِ أيضًا.

(١) ومن الأمثلة على ذلك ممّا أورده أهل الحديث في كتبهم:

ـ «ففضيلةُ السّبقِ في الإسلامِ قد ثبتَت لعليٍّ وصحّت، وفي الإسلامِ فضيلةٌ أخرى لعليٍّ تتلو ما تقدمَ، وهو أنَّ إسلام أبي بكرٍ كان عن كُفرٍ تقدّم، وإسلامَ عليٍّ عن غيرِ خطأٍ وزللٍ». المعيار والموازنة: ٧٢.

ـ ما رواهُ «عبدُ الله بنُ نجيحٍ المكيِّ عن أصحابهِ عن إسلامِ عُمر أنّهُ كانَ يقولُ: كنتُ للإسلامِ مُباعداً، وكنتُ صاحبَ خمرٍ في الجاهليّةِ أُحبُّها وأشربُها». الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٢: ٢٧٩.

ـ ما ورد في قصّة إسلامِ عُمرَ، أنّه ﷺ قالَ لهُ حينَ أعلنَ إسلامَهُ: «يا عُمر! استرهُ، قالَ: فقلتُ: والذي بَعثكَ بالحقِّ لأعلنتُهُ كما أعلنتُ الشّركَ». المصنّف لابن أبي شيبة: ٨: ٤٥٢.

(٢) السَّبرُ والتّقسيمُ: «حصرُ الأوصافِ التي يُظنُّ أنّها علّةُ الحكمِ، ثمَّ إبطالها الواحدَ تلوَ الآخرِ إلّا واحدًا منها حيثُ يَتعيّنُ كونهُ علّةً». المصطلحات: ١٣٢٤، ومعجم لغة الفقهاء: ٢٣٩.

وقالَ بعضُ أفاضِلِ السّاداتِ الأجِلَّةِ[1] أيَّدَهُ اللهُ تعالى: ومِنَ الدّلائِلِ والبَراهينِ الباهِرَةِ على إمامَةِ مَولانا أميرِ المؤمِنينَ عَليهِ أفضَلُ الصّلواتِ والتّحيَّاتِ قَولُهُ تعالى مُخاطِبًا لإبراهيمَ عَلى نبيِّنا وعَليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، وَجهُ الاستِدلالِ:

أنَّهُ تعالى نَفَى وُصولَ عَهدِ الإمامَةِ إلى الظّالِمِ، ولا شَكَّ أنَّ الخُلفاءَ الثّلاثَةَ كانُوا قَبلَ البِعثَةِ ظالمينَ، إذ كانُوا كافرينَ بالاتِّفاقِ، ولا ظُلمَ أشَدَّ مِنَ الكُفرِ فَلا يَكونونَ صالحينَ للإمامَةِ، وإذا انتَفى إمامَتُهُم ثَبَتَ إمامَةُ مَولانا أميرِ المؤمنينَ عليه السلام؛ لأنَّ الإمامَ عِندَ الخَصمِ أبو بَكرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثمَّ عُثمانُ ثُمَّ عَليٌّ عليه السلام وَهؤلاءِ لَمْ يَصلحوا لِذلكَ؛ لِسَبقِ كُفرِهِم وظُلمِهِم دونَ عَليٍّ عليه السلام فَيَبقَى إمامَتُهُ صَلواتُ الله عَليهِ بِلا فَصلٍ ثابِتَةً؛ ولاتِّفاقِ الأُمَّةِ عَلى أنَّ الإمامَ والخَليفَةَ بِلا فَصلٍ بَعدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله إمَّا أميرُ المؤمنينَ عليه السلام أو أبو بَكرٍ وإذا انتَفَى إمامَةُ أبي بَكرٍ بِمُقتَضى الآيَةِ؛ لِسَبقِ كُفرِهِ وظُلمِهِ ثَبَتَ إمامَةُ عَليٍّ عليه السلام وإلَّا لَزِمَ خَرقُ الإجماعِ المُركَّبِ[2] وهوَ باطلٌ بالاتِّفاقِ، والقَولُ بإمامَةِ عَبّاسٍ[3] مُستَحدَثٌ مُختَرَعٌ في زَمَنِ الخُلفاءِ العَبّاسِيّةِ؛ تَقرُّبًا إليهِم كَما نَقَلوهُ مَعَ أنَّهُ أيضًا غَيرُ صالِحٍ للإمامَةِ؛ لِكُفرِهِ قَبلَ البِعثَةِ،

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: وهوَ جَنابُ السّيدِ الجَليلُ النّبيلُ الحَسيبُ النّسيبُ مُعاصِرُنا مِير مُحَمَّد صالح الحُسَيني أيَّدَهُ الله تعالى.

(فاضلٌ مُحقّقٌ مُحدّث، لهُ كتابُ المناقبِ المرتضويّة في الإمامةِ بالفارسيّة، حسنٌ جامعٌ، منَ المعاصرينَ للشّيخ البهائي). أمل الآمل: ٢: ٢٧٧، ترجمة رقم: ٨١٧، ومعجم رجال الحديث: ١٩: ٨٢، ترجمة رقم: ١٢١١٢.

(٢) وهو: (إطباقُ جماعةٍ منَ الفقهاءِ في مسألةٍ واحدةٍ على قَولينِ بحيث لم يقلْ واحدٌ منهم بثالثٍ). معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٠، والمصطلحات: ٦٥.

(٣) وهو: أبو العبّاسِ السّفّاحُ، عبدُالله بنُ محمّدِ بنُ عليِّ بنُ عبدِ الله بنُ العبّاسِ بنُ عبدِ المطّلبِ: أوّلُ خلفاء بني العبّاس، اُستُخلِفَ وهو ابنُ سبعٍ وعشرينَ سنةٍ، توفيَ سنة (١٣٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد: ١٠: ٤٩، ترجمة رقم: ٥١٧٨.

واعتَرَضَ عَليهِ القَوشَجي[1] في الشّرحِ الجَديدِ للتّجريدِ: «بأنَّ غايَةَ الأمرِ ثُبوتُ التّنافي بَينَ الظُّلمِ والإمامَةِ ولا مَحذورَ فيهِ إذا لَم يَجتَمِعا»[2]، انتَهى. [٥٠٣]

وأجابَ عنهُ المُحقِّقُ الأردَبيلي في حاشِيَتِهِ على الشّرحِ المَذكورِ بقَولِهِ: «لا شَكَّ أنَّ مَعنى الآيَةِ نَفيُ الإمامَةِ وعَدَمُ ثُبوتِها لأحَدٍ مِنَ الظّالمينَ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وحالٍ مِنَ الحالاتِ، وبالجملةِ المُتَبادر منهُ السّلبُ الكُلّي بالنّسبَةِ إلى الأحوالِ والأشخاصِ والأزمانِ فَإنَّ الجَمعَ المُحلّى باللّامِ للعُمومِ، وأيضًا شُمولُ الأزمانِ والأحوالِ إن لَمْ يُكتَفَ في ثُبوتِها بِهِ[3] لَمْ يُوجَدْ عُمومُ الأزمانِ والأحوالِ في شَيءٍ، ولَمْ يَصُحّ أكثرُ الاستِدلالاتِ بعُمومِ القُرآنِ والأخبارِ وغَيرِهِما، إذ قَليلًا ما يُوجَدُ التّصريحُ بعُمومِها، بَل إنّما هوَ بالتّبادُرِ والظّهورِ، مِثلَ قَولِهِ تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[4]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[5]، و﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[6]، و﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[7]، بَل صَرَّحَ أهلُ المَنطِقِ بأنَّ إذا للمهملةِ لغَةً فَلابُدَّ مِن دَعوَى الظّهورِ والتّبادُرِ عُرفًا، كَما نُقِلَ عَنِ الشّريفِ في حاشِيَةِ المَطالِعِ[8]، فَنقولُ حينئذٍ: لا شَكَّ في صُدورِ الظُّلمِ مِنَ الكُفرِ وغَيرِهِ قَبلَ البِعثَةِ وبَعدَها مِنهُم، مِثلَ شُربِ الخَمرِ، والجِماعِ لَيلَةَ الصّيامِ بَعدَ تَحريمِهِ، والفِرارِ مِنَ الزّحفِ وغَيرِ ذلكَ، فَيَصدُقُ عَليهِم الظّلمُ حَقيقَةً اتّفاقًا، وقَد نَفى في الآيَةِ وُصولَ العَهدِ والإمامَةِ إليهِم مُطلقًا لِما ذَكَرناهُ ولِبُعدِ النَّفي

---

(١) وهو: علاء الدّين عليُّ بنُ محمّد السّمرقنديّ: من علماء الحنفيّة، اشتهر بالفلك والرياضيّات، له عدّة مصنّفات، منها: شرح تجريد العقائد المشهور بالشّرحِ الجديد، الرسالة المحمدية في علم الحساب، شرح الكافية لابن الحاجب، وغيرها، توفي سنة (٨٧٩هـ). ينظر: الكنى والألقاب: ٣: ٩٤، وهديّة العارفين: ١: ٧٣٦.

(٢) شرح تجريد العقائد: ٣٩٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: بالتبادر.

(٤) سورة التحريم ٦٦: ٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٨٣.

(٦) سورة المائدة ٥: ٦.

(٧) سورة الطلاق ٦٥: ١.

(٨) ينظر: الحاشية على مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار: ٢٥٨.

والشّريف: هو: علي بن محمّد الجرجاني.

حالَ الاشتِغالِ بالظُّلمِ فَقط، فَإنَّهُ زمانٌ قَليلٌ والإمامَةُ عَلى تَقديرِ ثُبوتِها إنَّما تَكونُ دائمَةً، وأيضًا مَعلومُ الانتِفاءِ حينئذٍ فَقط[1]، فَلا يَحتاجُ إلى هذا النّفي؛ ولأنَّ مِنَ المُتيقَّنِ أنَّ إبراهيمَ عَلى نَبيِّنا و عَليهِ السّلامُ كانَ يَعرِفُ ذلكَ، بَل يَعرِفُ كُلَّ أحَدٍ أنَّ الكافرَ حينَ صُدورِ الكُفرِ لَم يَكن إمامًا وخَليفَةً مِنَ اللهِ عَلى النّاسِ في أُمورِ دِينِهِم ودُنياهُم فَلا يَحتاجُ أن يَقولَ اللهُ تعالى ذلكَ ويُعْلِمَهُ أنَّ ذلكَ لَمْ يَصِلْ إلى ذُرِّيَّتِهِ حينَ الكُفرِ، بَل لَمْ يكنْ ذلكَ في خَيالِهِ وخاطِرِهِ ولا يَحتَمِلُ سُؤالُهُ ذلكَ حَتَّى يَنفِيَهُ وهوَ ظاهِرٌ عِندَ كُلِّ عاقِلٍ، فَالآيةُ دَلَّت عَلى نَفيِ الإمامَةِ لِمَن اتَّصَفَ بالظُّلمِ وَقتًا ما، وبِهذا حَمَلَها عَليهِ المُفسِّرونَ، قالَ الشّيخُ الطَّبرسِي: «إنَّها دَلَّت عَلى اشتِراطِ العِصمَةِ للنَّبيِّ والإمامِ»[2]، وقالَ البَيضاوي: «وفيهِ دَليلٌ عَلى عِصمَةِ الأنبياءِ مِنَ الكَبائرِ قَبلَ البِعثَةِ»[3]، مَعَ أنَّهُ قالَ: «الإمامَةُ أمانَةٌ مِنَ اللهِ وعَهدٌ والظّالِمُ لا يَصلُحُ لَها»[4]، فَدَلَّت عَلى عِصمَةِ الإمامِ أيضًا قَبلَ الإمامَةِ مِمَّا يَصيرُ بِهِ ظالمًا، حَتَّى الصّغائرِ أيضًا، فَإنَّ الظُّلمَ هوَ: الذّنبُ والتَّجاوُزُ عَن حُدودِ اللهِ فَمَن يَتَعَدَّ حُدودَ اللهِ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ»[5]، انتَهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مَقامَهُ.

وَما أفادَهُ ﷺ في غايَةِ الجَودَةِ والمَتانَةِ، وحاصِلُهُ: أنَّ المُستفادَ مِنَ الآيَةِ الكَريمَةِ عَدَمُ وُصولِ الإمامَةِ إلى الظّالِمِ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وفي حالٍ مِنَ الأحوالِ، لا حالَ الظُّلمِ فَقَط، كَما فَهِمَهُ الشّارحُ القَوشَجيّ لِوُجوهٍ:

الأوّلُ: إنَّ الجَمعَ المُحلّى باللّامِ يُفيدُ العُمومَ بالنّسبَةِ إلى الأشخاصِ والأزمانِ والأحوالِ كَما بُيِّنَ في الأُصولِ.

الثّاني: إنَّهُ يُفهَمُ مِن هذا الكَلامِ ذلكَ العُمومُ عُرفًا وإن لَم يكنْ مَدلولُهُ لغَةً، كَما في نَظائِرِهِ مِن: أقِيمُوا الصّلاةَ وغَيرِهِ، وكَما قالُوا في كَلِمَةِ (إذا).

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: حال الاشتغال بالظلم.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٧٧.

(٣) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ١: ١٠٤.

(٥) الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٢٣٨ـ ٢٤٠.

الثّالثُ: بُعْدُ كَونِ المُرادِ نَفْيَ الإمامَةِ حالَ الاشتِغالِ بالظُّلمِ فَقط؛ لِكَونِ زَمانِهِ قَليلًا، والإمامَةُ بَعدَ ثُبوتِها تَكونُ دائِمَةً، وفيهِ خَفاءٌ ويُمكِنُ تَوجيهُهُ بوَجهَينِ:

أحَدُهُما: إنَّهُ لَو كانَ المُرادُ ذلكَ لَكانَت الإمامَةُ ثابتَةً في زَمَنِ عَدَمِ الاشتِغالِ بظُلمٍ، وهوَ زَمانٌ قَليلٌ مَعَ أنَّ الإمامَةَ بَعدَ ثُبوتِها تَكونُ دائمَةً.

وثانيهُما: إنَّهُ لَو حُمِلَ عَلى أنَّ الظّالِمَ حالَ اشتِغالِهِ بالظُّلمِ لا يَكونُ إمامًا وإن كانَ في سائِرِ الأوقاتِ يُمكِنُ أن تَثبُتَ لَهُ، يَلزَمُ أنَّهُ يُمكِنُ صُدورُ الظُّلمِ منهُ بَعدَ ثُبوتِ الإمامَةِ أيضًا، إذ لا يَكونُ حينئذٍ مَعصومًا، فَعَلى تَقديرِ الوُقوعِ تَكونُ الإمامَةُ مُنتَفِيَةً وزائِلَةً عنهُ[1] بمُقتَضَى ذلكَ مَعَ أنَّ الإمامَةَ بعدَ ثُبوتِها تَكونُ دائِمَةً ولا يُمكِنُ زَوالُها.

الرّابعُ: إنَّهُ معلومُ الانتِفاءِ حينَ الظُّلمِ فَقَط فَلا يَحتاجُ إلى نَفيِهِ. [٥٠٤]

الخامِسُ: إنَّ عَدَمَ وُصولِ الإمامَةِ إلى الظّالِمِ حِينَ الظُّلمِ الّذي يَعرِفُهُ كُلُّ أحدٍ، كَيفَ يَخفَى عَلى خَليلِ الرّحمنِ عَلى نَبيِّنا وعَليهِ السّلامُ حَتَّى يَسأَلَ اللهَ جَعلَهُ في ذُرِّيَّتِهِ؟ وكَيفَ يَحتَمِلُ سُؤالَهُ ذلكَ حَتَّى يَحتاجَ إلى أن يُعلِمَهُ تعالى أنَّهُ لا يَصِلُ إلى ذُرِّيَّتِهِ حِينَ الكُفرِ والظُّلمِ عَهدُ الإمامَةِ، تعالى اللهُ ورُسُلُهُ عَمَّا يَقولُ الظّالمونَ عُلُوًّا كبيرًا، لا يُقالُ غايَةُ ما يَلزَمُ مِمَّا ذُكِرَ: أنَّ مَن صَدَرَ مِنهُ الظُّلمُ حِينَ نُزولِ الآيَةِ وحالَ الخِطابِ أو بَعدَهُ لا يَكونُ قابلًا للإمامَةِ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وفي حالٍ مِنَ الأحوالِ وإن كانَ تائِبًا بَعدَهُ، لا مَن كانَ ظالمًا وصارَ تائبًا قَبلَ نُزولِ الآيَةِ فَإنَّهُ لا يَصدُقُ عليهِ حينئذٍ أنَّهُ ظالمٌ؛ لأنَّ إطلاقَ المُشتَقِّ على مَن اتَّصَفَ بالمَبدَأِ في الماضِي مُختَلَفٌ فيهِ والأكثرونَ على أنَّهُ مَجازٌ، والحَملُ على الحَقيقةِ أولَى، وأيضًا لا يُقالُ عُرفًا لِمَن كانَ كافِرًا مَثَلًا ثمَّ أسلَمَ أنَّهُ كافرٌ، وأيضًا تَعليقُ الحُكمِ عَلى الوَصفِ مُشعِرٌ بالعِلِّيَّةِ، فَيُفهَمُ أنَّ عَدَمَ النَّيلِ لأجلِ الظّلمِ وفي حالِهِ، وحينئذٍ لَعَلَّ الخَصمَ يَقولُ: إنَّ الخُلفاءَ الثّلاثَةَ لَم يكونوا حِينَ نُزولِ الآيَةِ كافرينَ بَل كانوا مُسلمينَ غَيرَ ظالمينَ وإن كانُوا قَبلَ البِعثَةِ كافرينَ، ولَمْ يَصدُرْ منهُمُ الظّلمُ بعدَ إسلامِهِم إلى آخِرِ أَيّامِ إمامَتِهِم، غايَتُهُ أنَّهُم صاروا مَعصومينَ بعدَ الإسلامِ وإن لَم يكونوا واجِبي العِصمَةِ كَما نَقَلَهُ الرّازي في بَحثِ الإمامَةِ؛ لأنّا نَقولُ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: فيكونُ زمانُ الإمامةِ قليلًا بالنّسبةِ إلى الدّوام.

مَعَ قَطعِ النّظرِ عَن صُدورِ الظّلمِ مِنهُم في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ وزَمَنِ خِلافَتِهِم كَما هوَ منقولٌ في رِواياتِهِم[1]، وعَن عَدَمِ قَولِ أحَدٍ مِنهُم بعِصمَتِهِم سِوى ما نَقَلَهُ الرّازي بقَولِهِ: (رُبَّما قيلَ: إنّهُما ـ أي: أبا بَكرٍ والعَبّاسَ ـ مَعصومانِ، وإن لَم يَقُلْ أحَدٌ مِنَ الأُمَّةِ أنَّهُما كانا واجِبَي العِصمَةِ)[2]، انتهى، ولَم يَظهَرْ لهُ قائلٌ وإنَّما الظّاهرُ اتّفاقُ الأمَّةِ عَلى عَدَمِ عِصمَتِهِم، لا رَيبَ في أنَّ الإمامَ إذا لَم يكنْ مَعصومًا واجِبَ العِصمَةِ يُمكِنُ صُدورُ المَعصِيَةِ منهُ، فَعلى تَقديرِ الوُقوعِ يَصيرُ ظالمًا ويَلزَمُ سَلبُ الإمامَةِ عنهُ بعدَ ثُبوتِهِ، وقَد تَبيَّنَ في الوَجهِ الرّابعِ أنَّ الإمامَةَ بعدَ ثُبوتِها لا يُمكِنُ زَوالُها، مَعَ أنَّ ما ذُكِرَ في الوَجهِ الخامِسِ مِنَ الوُجوهِ جارٍ هنا؛ لِعَدَمِ احتِمالِ سُؤالِ الخَليلِ عليه السلام ذلكَ، وعَدَمِ مَعرفَتِهِ بعَدَمِ صَلاحيَّةِ مَن كانَ على الكُفرِ مُدَّةً مُتَمادِيَةً للإمامَةِ، مَعَ أنَّ عَقلَ كُلِّ عاقلٍ يَحكُمُ بذلكَ، فَحينئذٍ عَلى تَقديرِ تَسليمِ كَونِ ما ذَكرتُم مِنَ الاحتِمالِ ظاهِرًا للوُجوهِ الّتي ذَكَرتُم لا بُدَّ مِن صَرفِهِ عَنِ الظّاهِرِ؛ لِيَكونَ الجَوابُ مُطابقًا للسّؤالِ عَلى أنَّ عِلِّيَّةَ الوَصفِ للحُكمِ إنَّما تُفيدُ كَونَ الظّلمِ عِلَّةً لِعَدَمِ النَّيلِ لا كَونَ عَدَمِ النَّيلِ حالَ الظُّلمِ، ويَحكُمُ بهِ كُلُّ ذي فِطرَةٍ سَليمةٍ. وفَوقَ ذلكَ كَلامٌ: وهوَ أنَّ الآيَةَ الكَريمَةَ حِكايَةٌ عَن كَلامِهِ سبحانهُ في جَوابِ الخَليلِ عليه السلام حينَ مَسألَتِهِ كَونَ الإمامَةِ في ذُرِّيَّتِهِ ولا شَكَّ أنَّ في ذلكَ الوَقتِ لَم يكنْ الخُلفاءُ الثّلاثَةُ مَوجودينَ وإنَّما وُجِدُوا وصارُوا ظالمينَ

---

(١) ومن ذلك:

ـ (قال عُمرُ: يا أبا بكرٍ كيفَ تُقاتِلُ النّاسَ وقَد قالَ رسول الله ﷺ: أُمرتُ أن أُقاتلَ النّاسَ حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فَمَن قالَ لا إله إلّا الله فَقَد عَصَمَ مِنّي مالَهُ ونفسَهُ إلّا بحقِّهِ، وحسابُهُ على الله تعالى؟

قال أبو بكرٍ: والله لأقتلَنَّ مَن فَرّقَ بينَ الصّلاةِ والزّكاةِ فإنَّ الزّكاةَ حقُّ المالِ، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدّونَها إلى رسولِ الله ﷺ لَقاتلتُهُم على منعِها، قالَ عُمرُ: فَوَ الله ما هوَ إلّا أن رأيتُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فَعرفتُ أنّهُ الحقُّ). مسند أحمد: ١: ١٩، وصحيح البخاري: ٢: ١١٠.

ـ (عن فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ سألت أبا بكرٍ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ أن يقسِمَ لها ميراثَها مِمّا تركَ رسولُ الله ﷺ مِمّا أفاءَ اللهُ عليهِ، فقالَ لها أبو بكرٍ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: لا نُورِّثُ، ما تركنا صَدقةً، فغَضِبت فاطمةُ فَهجرَت أبا بكرٍ فَلم تَزل مُهاجرَتَهُ حتّى تُوفِّيَت). مسند أحمد: ١: ٧.

وفي صحيح مسلم: ٥: ١٥٤: (فوَجَدت فاطمةُ على أبي بكرٍ في ذلكَ، قالَ: فهجرَتهُ فَلم تُكلّمهُ حتّى تُوفّيَت).

(٢) الأربعين في أصول الدين: ٢: ٢٧٣.

بَعدَهُ وأنتُم سَلَّمتُم أنَّ مَن صَدَرَ منهُ الظُّلمُ بعدَ الخِطابِ لا تَنالُهُ الإمامَةُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وحالٍ مِنَ الأحوالِ بالوُجوهِ الخَمسَةِ الّتي ذُكِرَت، فَحَينئذٍ مَعنى الآيَةِ الكَريمَةِ: إنَّ مَنْ وُجِدَ أو سَيُوجَدُ مِن ذُرِّيَّتِكَ وكانَ ظالمًا بالفِعلِ، أو صَدَرَ منهُ ظُلمٌ في المُستقبَلِ لَمْ يَصلْ إليهِ عَهدُ الإمامَةِ بعدَ مُرورِ الظُّلمِ أبدًا في أيِّ وَقتٍ كانَ وَيَتمُّ المطلوبُ بحَمدِ الله.

وأقولُ: يُمكِنُ أن يقالَ أيضًا زائِدًا عَلى ما أفادَهُ المُحقِّقُ الأردَبيلي: أنَّ مَضمونَ الآيَةِ: الحُكمُ بعَدَمِ نَيلِ الإمامَةِ على الظّالمِ، فَيكونُ الظّالمُ مَوضوعًا للحُكمِ المَذكورِ، وصَرَّحَ المنطِقيُّونَ بأنَّ الوَصفَ العِنواني للمَوضوعِ إمَّا بالإمكانِ عَلى ما هوَ رَأي الفارابي، أو بالفِعلِ على ما هوَ رأي الشَّيخِ أبي عَليٍّ ابنِ سِينا[1].

فَعلى الأوَّلِ يَكونُ المعنى: مَن يُمكِنُ أن يَصدُرَ منهُ الظُّلمُ لا تَصِلُ إليهِ الإمامَةُ، فَيَدُلُّ على لُزومِ كَونِ الإمامِ مَعصومًا واجِبَ العِصمَةِ.

وَعلى الثّاني يكونُ المعنى: مَن صَدَرَ منهُ الظُّلمُ في أحَدِ الأزمنَةِ سَواءٌ كانَ في الماضِي أو في الحالِ أو الاستِقبالِ لا يَصلُحُ للإمامَةِ، فَيَدُلُّ على نَفي صَلاحِيَةِ الثّلاثَةِ للإمامَةِ صَريحًا، والحَمدُ لله على إكمالِ الدِّينِ وإتمامِ النِّعمَةِ.

ثمَّ أقولُ ومِمَّا يُؤكِّدُ دَلالَةَ الآيَةِ الكَريمَةِ على ما استَدَلَّ بهِ أصحابُنا الإماميَّةُ رُضوانُ الله عَليهِم مَعَ كَونهِ دَليلًا بِرَأسِهِ أيضًا ما رَواهُ الجُمهورُ ومِن جُملتِهِم ابنُ المَغازِلي الشّافِعِي[2] في كِتابِ المَناقِبِ: بإسنادِهِ إلى عَبدِ الله بنِ مَسعودٍ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «انتهَتِ الدّعوَةُ إليَّ وإلى عَليٍّ لَم يَسجُدْ أحَدُنا قَطُّ لِصَنَمٍ فَاتَّخَذَني نبيًّا، واتَّخَذَ عَليًّا وَصِيًّا»[3] الحديثُ.

---

(١) ينظر: نصوص الكلم على كتاب فصوص الحكم: ٤٨، و منطق المشرقيّين: ٦٢، والمواقف: ١: ١٣٨.

(٢) هو: أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحمّدِ بنُ الطَّيّبِ الخطيبِ الواسِطي: فقيهٌ شافعيٌّ، صنّفَ في مَناقبِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، وهو غيرُ ابنُ المغازليّ القاصّ الذي يُضحِكُ النّاسَ، تُوفي سنة (٤٨٣هـ). ينظر: الوافي بالوفيّات: ٢٢: ٨٥، والكنى والألقاب: ١: ٤١٦، وقاموس الرجال: ١١: ٦٣٨، ترجمة رقم: ١٢٥١.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٢٤، حديث رقم: ٢٩١.

وَجهُ الدَّلالَةِ:

إنَّ المُرادَ بالدَّعوةِ المَذكورَةِ في هذهِ الرّوايةِ دَعوَةُ إبراهيمَ عليه السلام وطَلَبُ الإمامَةِ لِذُرِّيَّتِهِ مِنَ اللهِ تعالى، فَدَلَّتِ الرّوايَةُ على أنَّ المُرادَ بالوَصايَةِ الإمامَةُ، وأنَّ سَبقَ الكُفرِ وسُجودِ الصَّنَمِ يُنافي الإمامَةَ في ثاني الحالِ كَما أوضَحناهُ فَيَنتَفي إمامَةُ الثّلاثَةِ ويَصيرُ نَصًّا في إمامَةِ عَليِّ بنِ أبي طالِبٍ صَلواتُ اللهِ عَليهِ، وَاندَفَعَ ما أورَدَهُ الفَضلُ بنُ رَوزبهان[1] عَلى العَلّامَةِ الحِلّي قدس سره في كِتابِ (كَشفُ الحَقِّ وَنَهجُ الصِّدقِ)[2] حينَ استَدَلَّ بهذهِ الرّوايَةِ عَلى إمامَةِ مَولانا أميرِ المؤمنينَ عليه السلام مِن (أنَّ المُرادَ مِنَ الوِصايَةِ: مِيراثُ العِلمِ والحِكمَةِ، ولَيسَت هيَ نَصًّا في الإمامَةِ كَما ادَّعاهُ، وَجهُ الدَّفعِ ظاهرٌ لا يَخفى)[3]، ثمَّ إنَّ صاحِبَ إحقاقِ الحَقِّ[4] نَوَّرَ اللهُ مَرقَدَهُ قالَ: (إن قِيلَ لا يَلزَمُ مِن هذهِ الرّوايَةِ عَدَمُ إمامَةِ الثّلاثَةِ إذ كَما أنَّ انتِهاءَ الدَّعوَةِ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله لا يَدُلُّ على عَدَمِ نَبيٍّ قَبلَهُ فَكذلكَ انتِهاءُ الدّعوَةِ إلى عَليٍّ لا يَدُلُّ على عَدَمِ إمامٍ قَبلَهُ، بَل اللّازِمُ مِنَ الرّوايَةِ أنَّ الإمامَ المُنتَهى إليهِ الدَّعوَةُ يَجبُ أن لا يَسجُدَ صَنَمًا قَطُّ ولا يَلزَمُ مِنها أن يَكونَ قَبلَ الانتِهاءِ أيضًا كَذلكَ، قُلتُ: قَولُهُ صلى الله عليه وآله انتَهَت بِصِيغَةِ الماضِي يَدُلُّ عَلى وُقوعِ الانتِهاءِ عِندَ تَكَلُّمِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وسَبقِ إمامَةِ غَيرِ عَليٍّ عليه السلام يُنافي ذلكَ، نَعَم لَو قالَ صلى الله عليه وآله: سَتَنتَهي الدَّعوةُ إلى آخِرِهِ لَكانَ لِذلكَ الاحتِمالُ مَجالٌ ولَيسَ فَلَيسَ)[5] انتهى. [٥٠٥]

أقولُ: على تَقديرِ تَسليمِ أنَّ انتِهاءَ الدّعوَةِ إلى عَليٍّ عليه السلام لا يَدُلُّ على عَدَمِ إمامٍ قَبلَهُ، نَقولُ: لابُدَّ أن تكونَ الأئِمَّةُ قَبلَ عَليٍّ عليه السلام لَم يَسجُدْ أحَدٌ منهُم صَنَمًا قَطُّ، كَما أنَّ الأنبياءَ قَبلَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله كَذلكَ، فَإن

---

(١) هو: فضلُ اللهِ بنُ روزبهان بنُ فضلُ اللهِ الأمين: خُنجيُّ الأصل، شيرازيٌّ شافعيٌّ صوفيٌّ، فقيه مُتكلّم، من علماء المعقول والمنقول، متعصّبٌ لمذهبِهِ، توفي سنة (٩٢٧هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٦: ١٧١، وروضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات: ٦: ١٧.

(٢) ينظر: نهج الحق وكشف الصدق: ١٨٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥: ٢٠٧، ودلائل الصدق لنهج الحق: ٤: ٤١٨، نقلًا عنه.

(٤) هو: القاضي نورُ اللهِ التّستَريّ عليُّ بنُ مُحمّدٍ شريفُ الدّينِ بنُ ضياءِ الدّينِ الحسيني المرعشي: فاضلٌ عالمٌ مُحقّقٌ علّامةٌ مُحدّثٌ، من تصانيفه: مجالسُ المؤمنينَ، وإحقاقُ الحقِّ، ومصائبُ النّواصِبِ، والصّوارمُ المهرقةُ، وغيرها، قُتلَ في الهندِ لتشيّعِهِ سنة (١٠١٩هـ). ينظر: الكنى والألقاب: ٣: ٥٦.

(٥) إحقاق الحق وإزهاق الباطل: ٣: ٨١.

جوَّزتُم أن يكونَ الأنبياءُ قَبلَ الانتِهاءِ إلى نَبيِّنا ﷺ عابِدينَ للأصنامِ في وَقتٍ فَجوَّزوا في الإمامِ أيضًا قَبلَ الانتِهاءِ ذلكَ ولَيسَ فَلَيسَ، ثمَّ قالَ نَوَّرَ اللهُ مَرقَدَهُ: «لا يُقالُ: لَو صَحَّ هذهِ الرِّوايةُ لَزِمَ أن لا يَكون باقِي الأئمَّةِ عليهم السلام إمامًا؛ لأنَّا نَقولُ: الانتِهاءُ بمَعنى الوُصولِ لا الانقِطاعُ»[1] انتَهى.

وهوَ كَما أفادَهُ رَحِمهُ اللهُ، انتَهى كَلامُ بعضِ أفاضِلِ السّاداتِ الأجِلَّةِ أيَّدَهُ اللهُ.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ نافعُ بنُ عبدِ الرّحمنِ وعَبدُ اللهِ بنُ عامرٍ: واتَّخَذُوا، بفَتحِ الخاءِ على صِيغةِ الماضِي المعلومِ، والباقونَ: بكَسرِها على صيغَةِ الأمرِ الحاضِرِ[2].

الحُجَّةُ:

مَن قَرَأَ بفتحِ الخاءِ جَعَلَهُ عَطفًا على (جَعلنا) فَهو أيضًا مُضافٌ إليهِ إذ، أي: وإذِ اتَّخَذُوا، ومَن قَرَأَ بكَسرِها عَطَفَهُ على (اذكُروا) في قَولِهِ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾[3]، أو عَلى إرادَةِ القَولِ، أي: وقُلْنا اتَّخِذُوا، بأن يَكونَ (قُلنا) عَطفًا عَلى (جَعَلنا) و(اتَّخِذُوا) مَقُولًا لَهُ، أو عَلى كَونِهِ عَلى ما صارَ إليهِ مَعنى: جَعَلنا البَيتَ مَثابَةً؛ لأنَّ مَعناهُ: تُوبُوا واتَّخِذُوا مِن مَقامِ إلى آخِرِه.

اللغة:

في المجمَعِ: «البَيتُ والمَأوَى والمنزِلُ نظائِرُ، وفيهِ ما فيهِ، والبَيتُ: مِن أبياتِ الشِّعرِ سُمِّيَ بذلكَ؛ لِضَمِّهِ الحُروفَ والكَلامَ كَما يَضُمُّ البَيتُ مِن بُيوتِ النّاسِ أهلَهُ، وبَيتُ الرّجُلِ: دارُهُ وقَصرُهُ وشَرَفُهُ، وامرَأَةُ الرّجُلِ: بَيتُهُ»[4].

---

(١) شرح إحقاق الحق: ٣: ٨٢، والقائل: القاضي نورُ الله التّستريّ.

(٢) ينظر: الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٢٠، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٥.

(٣) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٧٨.

والبيتُ في الآيةِ ونحوِها صارَ عَلَمًا بالغَلَبَةِ للكَعبةِ كَالنّجمِ: للثُّريَّا، والعَقَبَةِ: لِعقبَةِ أيْلَةَ(١)، والنّابغَةِ: لِنابغَةِ ذُبيان(٢)، والأعشَى: لأعشَى الهَمَدانِ(٣)، والكِتابِ: لِكِتابِ سِيبوَيه.

والمَثابَةُ والمَثابُ: الرُّجوعُ، واسمٌ للمَوضِعِ الّذي يُثابُ إليهِ، مِن ثابَ يَثوبُ مَثوبَةً ومَثابًا وثُوُوبًا: إذا رَجَعَ، ومنهُ ثابَ إليهِ عَقلُهُ، أي: رَجَعَ، وهيَ المَنزِلُ؛ لأنَّ أهلَهُ يَثوبونَ إليهِ، أي: يَرجِعونَ، والتّثويبُ: التَّرجيعُ، وأصلُ التّثويبِ أن يَجيءَ الرَّجُلُ مُستَصرِخًا فَيُلَوِّحُ بصوتِهِ لِيُرَى ويَشتَهِرَ؛ فَسُمِّيَ الدّعاءُ تَثويبًا لِرجوعِ الدّاعِي إلى اللهِ سبحانهُ، وإذا قالَ المُؤذِّنُ: حَيَّ عَلى الصّلاةِ، فَقَد دَعا النّاسَ إليها، والتّثويبُ: قَولُ: الصّلاةُ خيرٌ مِنَ النّومِ عِندَ صَلاةِ الفَجرِ عِندَهُم.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾، أي: مَرجِعًا ومَجمَعًا لَهُم، والمَثابَةُ: المُجازاةُ بالثّوابِ، وفي حَديثِ ابنِ التّيهانِ: (أثِيبُوا أخاكُم)(٤)، أي: جازُوهُ على قَدْرِ صَنِيعِهِ، يقالُ: أثابَهُ يُثِيبُهُ إثابَةً، والاسمُ: الثّوابُ، ويكونُ في الخَيرِ والشَّرِّ غَيرَ أنَّهُ بالخَيرِ أكثرُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٥)، أي: جُوزِيَ الكُفّارُ، فَأصلُ مَثابَة: مَثْوَبَة على مَفعَلَة، نُقِلَت فَتحَةُ الواوِ إلى الثّاءِ، ثمَّ قُلِبَت ألفًا لِتَحرُّكِها في الأصلِ وانفِتاحِ ما قَبلِها كَما هوَ القاعدَةُ المُستَمرّةُ، وقيلَ: التّاءُ فيها للمُبالَغَةِ كَعَلّامَةٍ ونَسّابَةٍ، وقيلَ: مَعنى مَثابَةٍ ومَثابٍ: واحِدٌ، كَمَقامٍ ومَقامَةٍ، وأصلُ مَقامٍ ومَقامَةٍ مثلَ مَثابٍ ومَثابَةٍ، وجَمعُ مَقامٍ: مَقاوِمٍ كَمَثابٍ ومَثاوِبٍ، قالَ الشّاعرُ:

وَإِنّي لَقَوّامٌ مَقاوِمَ لَمْ يَكُنْ   جَريرٌ ولا مَولَى جَريرٍ يَقُومُها(٦)

---

(١) هي: مدينةٌ على ساحلِ بحرِ القَلزمِ بينَ مِصرَ والشّامِ. ينظر: معجم البلدان: ١: ٢٩٢.

(٢) هو: أبو أمامة زيادُ بنُ عمرو، غَلبَ عليهِ النّابغةُ؛ لأنّهُ غَبرَ برهةً لا يقولُ الشّعرَ ثمَّ نبغَ فقالهُ، من أشرافِ الشّعراءِ، ومن أصحابِ المعلّقاتِ، توفي قبل أن يُدركَ الإسلام. ينظر: التذكرة الحمدونيّة: ٧: ٣٧٢، ترجمة رقم: ١٣٣٢، والكنى والألقاب: ٣: ٢٢٨.

(٣) هو: أبو المصبح عبدُ الرّحمن بنُ عبد الله بن الحارث الهمداني، عابدٌ فقيهٌ كوفيّ، من شعراءِ الدّولةِ الأمويّةِ، قتلَهُ الحجّاج سنة (٨٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤: ١٨٥، ترجمة رقم: ٧٥، والأغاني: ٦: ٣١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٢٢٧.

(٥) سورة المطففين ٨٣: ٣٦.

(٦) البيت من الطويل، للأخطل، ديوانه: ٣٢٢، وينظر: الخصائص: ٣: ١٤٧.

والطَّوافُ: الدَّوَرانُ حَولَ الشّيءِ، يقالُ: طافَ يَطوفُ طَوافًا وطَوَفانًا: إذا دارَ حَولَ الشّيءِ، وطَوافُ البيتِ: الدَّوَرانُ حَولَهُ، تقولُ: طُفْتُ أطُوفُ طَوفًا فهوَ طائِفٌ، والجمعُ أطوافٌ، والطّائِفُ: بَلَدٌ مَعروفٌ. [٥٠٦]

وَجهُ تَسميةِ الطّائفِ بالطّائِفِ:

في كِتابِ عِلَلِ الشّرائعِ: بإسنادِهِ عَن إبراهيمَ بنِ مَهزيارٍ عَن أخيهِ عليٍّ[١] بإسنادِهِ قالَ: قالَ أبو الحَسَنِ عليه السلام في الطّائِفِ: «أتَدري لِمَ سُمِّيَ الطّائفُ؟ قُلتُ: لا، فَقالَ: إنَّ إبراهيمَ عليه السلام دَعا رَبَّهُ أن يَرزُقَ أهلَهُ مِن كُلِّ الثّمراتِ، فَقَطَعَ اللهُ لهُ قِطعَةً مِنَ الأُردُنِ فَأقبلَت حَتّى طافَت بالبَيتِ سَبعًا، ثمَّ أقَرَّها اللهُ عَزَّ وجَلَّ في مَوضِعِها الّذي سُمِّيَ بالطّائِفِ؛ سُمِّيَتِ الطّائفُ للطَّوافِ بالبَيتِ»[٢]، وبإسنادِهِ إلى أحمدَ بنِ مُحمَّدٍ قالَ: قالَ الرِّضا عليه السلام: «أتَدري لِمَ سُمِّيَ الطائفُ الطائفَ؟ قُلتُ: لا، قالَ: لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَمّا دَعاهُ إبراهيمُ عليه السلام أن يَرزُقَ أهلَهُ مِنَ الثّمراتِ أمَرَ بِقِطعَةٍ مِن الأُردُنِ فَسارَت بِثِمارِها حَتّى طافَت بالبَيتِ، ثمَّ أمَرَها أن تَنصَرِفَ إلى هذا المَوضِعِ الّذي سُمِّيَ بالطّائِفِ؛ فَلذلكَ سُمِّيَ الطّائفُ»[٣] الحديثُ، ويقالُ: أطافَ بِهِ: إذا ألَمَّ بِهِ، وأطافَ بِهِ: إذا أحاطَهُ.

والطّائفُ: الخادِمُ والمملوكُ الّذي يَخدِمُكَ بِرِفقٍ وعِنايَةٍ، والطَّوّافونَ: المَماليكُ، أخذًا مِن قَولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾[٤]، وفي الحَديثِ: «الهِرَّةُ مِنَ الطّوّافينَ عَليكُم، والطّوّافاتِ»[٥].

---

(١) هو: أبو الحسنِ الأهوازي: مولى، جليلُ القَدرِ، ثقةٌ في رِوايتهِ لا يُطعَنُ عليهِ، رَوَى عنِ الرّضا والجوادِ والهادي عليهم السلام، واختصَّ بأبي جعفرٍ الثّاني عليه السلام، لهُ ثلاثةٌ وثلاثونَ كتابًا: ككُتُبِ الحسينِ بن سعيد، كتاب الوضوء، كتاب الصّلاة، وكتاب الحدود، وغيرها. ينظر: رجال النجاشي: ٢٥٣، ترجمة رقم: ٦٦٤، وفهرست الشيخ الطوسي: ١٥٢، ترجمة رقم: ٣٧٩.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٤٤٢، حديث رقم: ١.

(٣) المحاسن: ٢: ٣٤٠، حديث رقم: ١٣٠، والكافي: ٤: ٤٢٨، حديث رقم: ٧.

(٤) سورة النور ٢٤: ٥٨.

(٥) مستدرك الوسائل: ٨: ٣٠٣، حديث رقم: ٩٥٠٥، وعوالي اللئالي: ٤: ٦، حديث رقم: ٥.

والطّائِفُ: طائفُ الجِنِّ والشَّياطينَ، وكُلُّ شَيءٍ يَغشَى القَلبَ مِن وِسواسِهِ، وهوَ طَيفٌ أيضًا، وقُرِئَ بهما في الأعرافِ، والعاكِفُ: المُقيمُ على الشَّيءِ، المُلازِمُ لهُ، يقالُ: عَكَفَ يَعكِفُ ويَعكُفُ كَيَضرِبُ ويَنصُرُ عَكفًا وعُكُوفًا فهوَ: عاكِفٌ، واعتكَفَ يَعتكِفُ اِعتِكافًا فهوَ: مُعتكِفٌ، فالعاكِفُ والمُعتكِفُ: مَن لازَمَ المَسجِدَ وأقامَ عَلى العِبادَةِ فيهِ، والعُكُوفُ: أيضًا جَمعُ عاكِفٍ، كَسُجودٍ وقُعُودٍ في جَمعِ ساجِدٍ وقاعِدٍ، قالَ النّابغَةُ:

عُكُوفٌ عَلى أبياتِهِم يَثمِدُونَها رَمَى اللهُ في تِلكَ الأكُفُّ الكَوانِعُ [1]

والرُّكَّعُ: جَمعُ راكِعٍ، والسُّجودُ في الآيةِ: جَمعُ ساجِدٍ.

قاعدَةٌ لغويَّةٌ:

كُلُّ فِعلٍ مَصدرُهُ على فُعولٍ جازَ في جَمعِ الفاعِلِ منهُ أن يكونَ على فُعُولٍ كالرُّكوعِ والسُّجودِ والقُعودِ ونَحوِها، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾[2] الآيةُ، فالقِيامُ هنا: جَمعُ قائمٍ، كَرِجالٍ في جَمعِ راجِلٍ، والقُعودُ: جَمعُ قاعِدٍ.

الإعراب:

(إذ): مفعولٌ بهِ لـ(اذكُروا) المذكورُ قَبلَهُ في قَولِهِ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾، أو المَحذوفُ بدَلالَةِ المَذكورِ كَما مَرَّ سابقًا، فَيكونُ قَولُهُ: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا**﴾ مَعطوفًا عَلى قَولِهِ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى**﴾، و(البيتَ): مَفعولٌ أوَّلُ لـ(جَعَلنا)، و(مَثابَةً): مَفعولُهُ الثّاني، والجملَةُ مُضافٌ إليها، و(لِلنّاسِ): مُتَعلِّقٌ بـ(مَثابَةً)، و(أمْنًا): عَطفٌ عَلى (مَثابَة) عَلى حَذفِ مُضافٍ، أي: مَوضِعَ أمنٍ، أو ذا أمنٍ، و(اتَّخَذُوا) بفَتحِ الخاءِ عَلى صِيغَةِ الماضي: عَطفٌ عَلى (جَعَلنا) كَما مَرَّ في ذِكرِ القِراءَةِ، أي: جَعَلنا واتَّخَذَ النّاسُ

---

(١) البيت من الطويل، ديوانه: ٧٩، وقد جاء في الديوان بلفظ:

قُعودًا لدى أبياتهم يثمُدونها رمَى الله في تلكَ الأُنوفِ الكوانعُ

وعلى هذه القراءة فلا شاهد فيه.

ويثمدون: يُكثرون السؤال حتّى ينفد ما عنده. ينظر: الصحاح: ٢: ٤٥١، (ثمد).

والكوانع: جمع كانع، وهو الخاضع، «وأكنع الشيء: لانَ وخَضَعَ». العين: ١: ٢٠٤، (كنع).

(٢) سورة النساء ٤: ١٠٣.

مِن مَقامِ ابراهيمَ مُصَلًّى، وحينئذٍ لا يُوقَفُ عَلى (أمنًا)؛ لأنَّ قَولَهُ: (اتَّخَذُوا) عَطفٌ عَلى (جَعَلنا)، وبِكَسرِ الخاءِ عَلى صِيغَةِ الأمرِ: عَطفٌ عَلى (اذكُرُوا) لَفظًا، أو عَلى (تُوبُوا) مَعنًى، كَما مَرَّ بَيانُهُ، أو مَقولٌ لِقُلنا المَحذوف، و(قُلنا): عَطفٌ عَلى (جَعَلنا) كَما مَرَّ في الحُجَّةِ، وعَلى هذهِ الوُجوهِ يُوقَفُ على (أمنًا).

وَ(مُصَلًّى): مَفعولٌ أوَّلُ (اتَّخذوا) عَلى التّقديرَينِ، و(مِن مَقامِ إبراهِيمَ): مَفعولُهُ الثّاني، أو بالعَكسِ عَلى قَولٍ، وَ(عَهِدنا): عَطفٌ عَلى (جَعَلنا)، و(أن) في (أنْ طَهِّرَا): مُفَسِّرَةٌ، بمَعنى: أي لِما في عَهِدنا مِن مَعنَى القَولِ، أي: أَمَرناهُما، وقُلنا لَهُما ذلكَ، أي: طَهِّرا إلى آخِرِهِ، أو مَصدَرِيّةٌ، والتّقديرُ: بأن طَهِّراهُ، و(بيتِي): مَفعولُ (طَهِّرَا)، ومُتَعَلّقُهُ مُحذوفٌ، أي: مِنَ الأوثانِ والخَبائِثِ وما لا يَليقُ، و(للطّائِفينَ): مُتعلّقٌ بِـ(طَهِّرَا)، و(العاكِفينَ والرُّكَّعِ): مَعطوفانِ عَليهِ، و(السُّجُودِ): صِفةٌ للرُّكَّعِ.

المعنى:

اذكُروا يا بَني اِسرائِيلَ، أو يا أيُّها المُخاطَبونَ، أو يا مُحَمَّدُ ﴿**إِذْ جَعَلْنَا**﴾ الوَقتَ الّذي جَعَلنا ﴿**الْبَيْتَ**﴾ الحَرامَ وهوَ الكَعبَةُ عَلى ما مَرَّ ﴿**مَثَابَةً**﴾، أي: مَرجِعًا، ومَحَلَّ عَودٍ ومَجمَعًا ﴿**لِلنَّاسِ**﴾ يَرجعونَ إليهِ كُلَّ عامٍ، ومَوضِعَ ثوابٍ لَهُم، وفي الحَديثِ المُعتَبَرِ: «مَن رَجعَ مِن مَكَّةَ وهوَ يَنوي الحجَّ مِن قابلٍ زِيدَ في عُمُرِهِ، ومَن خَرجَ مِن مَكَّةَ ولا يَنوِي العَودَ إليها فَقد قَرُبَ أجَلُهُ»(١).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن أرادَ دُنيا وآخِرَةً فَليَؤُمَّ هذا البيتَ، ومَن رَجعَ مِن مَكَّةَ وهوَ يَنوي الحجَّ مِن قابلٍ زِيدَ في عُمُرِهِ، ومَن خَرجَ مِن مَكَّةَ وهوَ لا يَنوِي العَودَ إليها فَقد قَرُبَ أجَلُهُ ودَنا عَذابُهُ»(٢)، وَرُوِيَ عَنِ الصّادِقِ عليه السلام أنَّهُ قالَ: «تَرَونَ هذا الجَبَلَ ثافِلًا(٣)، إنَّ يَزيدَ بنَ مُعاوِيَةَ لَمَّا رَجعَ مِن حَجِّهِ مُرتَحِلًا إلى الشّامِ أنشَأَ يقولُ:

---

(١) الكافي: ٤: ٢٨١، حديث رقم: ٣، ووسائل الشيعة: ١١: ١٥١، حديث رقم: ١٤٤٩٧، و١٤٤٩٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٢٠، حديث رقم: ٢٢٢٢، و٢٢٢٣، و٢٢٢٤.

(٣) هما «ثافلان: الأكبرُ والأصغرُ، جبلان ممّا يلي المدينة، عَن يمينِ المصعدِ إلى مكّة». معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ١: ١٣٦.

إذا تَركنا ثَافِلًا يَمِينًا

فَلَن نَعُودَ بَعدَهُ سِنِينا

للحجِّ والعُمْرَةِ ما بَقِينا

فأماتَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ قَبلَ أجَلِهِ»[1]، انتهى.

وَجهُ التّسمِيَةِ بالبَيتِ الحَرامِ:

(وَرُوِيَ أَنَّهُ سُمِّيَ البَيتَ الحَرامَ؛ لأَنَّهُ حَرُمَ على المُشركينَ أن يَدخُلُوهُ كَما مَرَّ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾[2] الآيَةَ، أو لِكَونِهِ ذا حُرمَةٍ وتَعظيمٍ.

وَسُمِّيَ الكَعبَةَ؛ لأنَّها مُرَبَّعَةٌ، وإنَّما صارَت مُرَبَّعَةً؛ لأنَّها بحذاءِ البَيتِ المَعمورِ وهوَ مُربَّعٌ، وصارَ البَيتُ المَعمورُ مُرَبَّعًا؛ لأنَّهُ بحَذاءِ العَرشِ وهوَ مُربَّعٌ وصارَ العَرشُ مُربَّعًا؛ لأنَّ الكَلماتِ الّتي بُنِيَ عَليها الإسلامُ أربَعٌ وهيَ: سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ)، كَذا في المجمَعِ والعِلَلِ[3]. [٥٠٧]

﴿وَأَمْنًا﴾، أي: مَوضِعَ أمْنٍ، أو ذا أمْنٍ، أو مَأمَنًا، فَجَعَلَهُ سبحانهُ أمنًا بأن حَكَمَ أنَّ مَن عاذَ بهِ والتَجأَ إليهِ لا يَخافُ عَلى نَفسِهِ مادامَ فيهِ كَما قالَ سبحانهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[4]، وبِما جَعَلَهُ اللهُ سبحانهُ في قُلوبِ العَرَبِ مَن يُعَظِّمهُ حَتّى لا يَتَعَرَّضونَ مَن فيهِ، فَهوَ آمِنٌ في نَفسِهِ ومالِهِ وإن كانُوا يَتَخَطَّفونَ النّاسَ مِن حَولِهِم، ومِن تَعظيمِ حُرمَتِهِ أنَّهُ لا يُقامُ فيهِ الحَدُّ الشّرعِيُّ عَلى مَن جَنَى جِنايَةً والتَجأَ إليهِ وإلى حَرَمِهِ، حَتّى كانَ قَبلَ الإسلامِ يَرَى الرّجُلُ قاتلَ أبيهِ في الحَرَمِ فَلا يَتَعرَّضُ لهُ، وهذا شَيءٌ كانُوا يَتَوارَثونَهُ مِن دينِ إسماعيلَ عليه السلام فَبَقُوا عَليهِ إلى أيّامِ نَبيِّنا صلى الله عليه وآله، لكن يُضَيَّقُ عَليهِ في المَطعَمِ والمَشرَبِ والبَيعِ والشّراءِ وغَيرِها حَتّى يَخرُجَ منهُ فَيُقامُ عَليهِ الحَدُّ إلّا أن يُحدِثَ فيهِ ما يُوجِبُ

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٢٠، حديث رقم: ٢٢٢٥، وتهذيب الأحكام: ٥: ٤٤٤، حديث رقم: ١٥٤٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ١١٤.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٧٩، وعلل الشرائع: ٢: ٣٩٨، حديث رقم: ٢.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٩٧.

الحَدّ فَيُقامُ عَليهِ الحَدُّ فيهِ؛ لأنَّهُ هَتَكَ حُرمَةَ الحَرَمِ وقالَ تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾(١).

وفي الكافي: عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «مَن دَخَلَ الحَرَمَ مِنَ النّاسِ مُستَجيرًا بهِ فَهوَ آمِنٌ مِن سَخَطِ الله عَزَّ وجَلَّ، ومَن دَخلَهُ مِنَ الوَحشِ والطَّيرِ كانَ آمِنًا أن يُهاجَ أو يُؤذَى حَتَّى يَخرُجَ مِنَ الحَرَمِ»(٢)، ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، أي: وقُلنا للنَّاسِ: اتَّخِذُوا مِن مَقامِ إبراهيمَ، أي: اجعَلوا مَقامَهُ مَوضِعَ صَلاةٍ وَصَلُّوا فيهِ صَلاةَ الطّوافِ الفَريضَةِ عندَ مَقامِ إبراهيمَ عليه السلام، وهوَ الحَجَرُ الّذي فيه أثَرُ قَدَمِهِ كَما سَنذكُرُهُ، أو الموضِعُ الّذي فيهِ ذلكَ الحَجَرُ حينَ قامَ عَليهِ ودَعا النَّاسَ بقَولِهِ: هَلُمَّ إلى الحَجِّ، وهَوَ مَوضِعُهُ الآن، فَالمرادُ بالصّلاةِ في هذَينِ الوَجهَينِ: هيَ الطَّوافُ الفَريضَةُ، حيثُ أُمِرنا بركعَتَي الطّوافِ الفَريضَةِ فيهِ؛ لِما رُوِيَ (عَن جابرٍ أنَّهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا فَرِغَ مِن طَوافِهِ عَمَدَ إلى مَقامِ إبراهيمَ فَصَلَّى خَلفَهُ رُكعَتَينِ)(٣)، وفي التَّهذيبِ: عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «يَعني بذلكَ رُكعَتَي الطّوافِ الفَريضَة»(٤)، ومِثلِهِ في الكافي(٥).

استِدلالُ الأصحابِ في صَلاةِ الطّوافِ:

وفي الكافي أيضًا: بإسنادِهِ إلى أبي الصّباحِ الكِناني(٦) قالَ: سألتُ أبا عَبدِ الله عليه السلام عَن رَجُلٍ نَسيَ أن يُصَلِّيَ الرُّكعَتَينِ عندَ مَقامِ إبراهيمَ عليه السلام في طَوافِ الحَجِّ والعُمرَةِ؟ فَقالَ: «إن كانَ بالبَلَدِ صَلَّى رُكعَتَينِ عندَ مَقامِ إبراهيمَ صَلّى اللهُ عليهِ فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وإن كانَ قَد ارتَحَلَ فَلا آمُرُهُ أن يَرجِعَ»(٧)، واستدَلَّ أصحابُنا بهِ عَلى أنَّ صَلاةَ الطّوافِ فَريضَةٌ؛ لأنَّ اللهَ

(١) سورة البقرة ٢: ١٩٤.

(٢) الكافي: ٤: ٢٢٦، حديث رقم: ١.

(٣) مسند أحمد: ٣: ٣٢٠، وصحيح ابن خزيمة: ٤: ٢٢٩.

(٤) تهذيب الأحكام: ٥: ١٣٦، حديث رقم: ٤٤٧.

(٥) ينظر: الكافي: ٤: ٤٢٤، حديث رقم: ٦.

(٦) هو: إبراهيمُ بنُ نعيمِ العبدي: كوفيٌّ ثقةٌ، من أصحاب الباقر والصّادقِ عليهما السلام، من عبدِ القيسِ، و نُسِبَ إلى بني كنانة لأنهُ نزلَ فيهم، له كتابٌ. ينظر: التحرير الطاووسي: ١٢، ونقد الرجال: ١: ٩٢، ترجمة رقم: ١٥٥.

(٧) الكافي: ٤: ٤٢٥، حديث رقم: ١.

تعالى أَمَرَ بذلكَ، وظاهرُ الأمرِ يقتَضي الوجوبَ، ولا صَلاةَ واجبَةٌ عندَ مَقامِ إبراهيمَ عليه السلام غيرَ صَلاةِ الطّوافِ بِلا خِلافٍ نُصَّ على ذلكَ(١).

في المجمَعِ: «وقالَ مُجاهدٌ: مقامُ إبراهيمَ: الحَرَمُ كُلُّهُ، وقالَ ابنُ عَبّاس: الحَجُّ كُلُّهُ مَقامُ إبراهيمَ، وقالَ عَطاءُ: مَقامُ إبراهيمَ: عَرَفَةُ والمُزدلِفَةُ ومِنى والجِمارُ وغيرُها، فاتِّخاذُها مُصلًّى فِعْلُ الصّلاةِ اليَوميَّةِ، أو الدُّعاءُ فيها والتَّقرّبُ إليهِ سبحانهُ؛ لأنَّ الصّلاةَ لغةً: الدُّعاءُ، هذا كُلُّهُ إذا كانَ (اتَّخِذوا) بصِيغَةِ الأمرِ، وأمَّا كانَ على صِيغَةِ الماضي يكونُ مَعناهُ: وإذ جَعَلنا البَيتَ مَثابَةً للنّاسِ وأمنًا، واتَّخَذَ النّاسُ مَقامَ إبراهيمَ مُصَلًّى، أي: قِبلَةً يُصَلُّونَ إليها»(٢).

ثَلاثةُ أحجارٍ نَزَلَت مِنَ الجَنَّةِ:

وفي المقامِ دلالةٌ ظاهرَةٌ على نُبوَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، فإنَّهُ سبحانهُ جَعَلَ الحَجَرَ تَحتَ قَدَميهِ كَالعَجينِ حَتَّى دَخلَت قَدَماهُ فيهِ فكانَ في ذلكَ مُعجزَةٌ لهُ عليه السلام، والعَيّاشي: عَن أبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام: «أنَّهُ نَزَلَت ثَلاثةُ أحجارٍ مِنَ الجَنَّةِ: مَقامُ إبراهيمَ عليه السلام، وحَجَرُ بَني إسرائيلَ، والحَجَرُ الأسودُ، استَودَعَهُ اللهُ تعالى إبراهيمَ حَجَرًا أبيضَ وكانَ أَشَدَّ بَياضًا مِنَ القَراطِيسِ فَاسوَدَّ مِن خَطايا بَني آدمَ»(٣)، وقَد مَرَّتِ الإشارَةُ إلى ذلكَ مِرارًا.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾، أي: أمَرناهُما وألزَمناهُما وقُلنا لَهُما: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾، أي: بأن طَهِّراهُ، هذا إذا كانَت (أن) مَصدَريّةً، أو، أي: طَهِّراهُ إذا كانَت مُفسِرَةً لِما يَتَضمَّنُ عَهِدنا مِن مَعنى القَولِ كَما مَرَّ في الإعرابِ، يَعني: طَهِّراهُ مِنَ الأوثانِ والأنجاسِ والخَبائِثِ مِنَ الفَرثِ والدَّمِ الّذي كانَ يَطرحُهُ المُشركونَ عندَ البَيتِ قَبلَ أن يَصيرَ في يَدِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام.

ذِكرُ شِكايَةِ الكَعبَةِ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ:

وفي تَفسيرِ عَليِّ بنِ إبراهيمَ: «طَهِّرا: نَحِّيا عَنهُ المُشركينَ، وقالَ: ولَمَّا بَنَى إبراهيمُ عليه السلام البَيتَ وحَجَّ النّاسُ، شَكَتِ الكَعبَةُ عَلى اللهِ تباركَ وتعالى ما تَلقَى مِن أنفاسِ المُشركينَ، فَأوحَى اللهُ إليها: قَرّي

(١) ينظر: المؤتلف من المختلف بين أئمّة السلف: ١: ٣٨٤، وغنية النزوع: ٩٧، وشرائع الإسلام: ١: ٢٠٠.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٠.

(٣) تفسير العياشي: ١: ٥٩، حديث رقم: ٩٣.

كَعبَتِي فَإنّي أبعثُ في آخِرِ الزّمانِ قومًا يَتنَظّفونَ بِقُضبانِ الشّجَرِ ويَتَخَلّلونَ»[1].

وفي الفَقيهِ: «ورُوِيَ أنّ الكَعبةَ شَكَت إلى اللهِ عَزّ وجَلّ ما تَلقى مِن أنفاسِ المُشركينَ، فأوحى اللهُ تَبارَكَ وتعالى إليها: قَرّي يا كَعبَةُ فَإنّي مُبَدِّلُكِ بِهِم قومًا يَتنَظّفونَ بقُضبانِ الشّجَرِ، فَلَمّا بَعثَ اللهُ عَزّ وجَلّ نبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ نَزَلَ عليهِ الرُّوحُ الأمينُ جبرئيلُ عليه السلام بالسّواكِ»[2].

وفي عِلَلِ الشّرائعِ والعيّاشي: «عَنهُ عليه السلام أنّهُ سُئِلَ: أتغتَسِلُ النّساءُ إذا أتينَ البيتَ؟ قالَ: نَعَم، إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ يقولُ: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فَينبَغِي للعَبدِ أن لا يَدخُلَهُ إلّا وهوَ طاهِرٌ قَد غُسِلَ منهُ العَرَقُ والأذى وطُهِّرَ»[3]، وفي الكافي[4] مِثلُهُ، أو يكونُ مَعناهُ: أخلِصاهُ بِبِنائِكُما لَهُ عَلى الطَّهارَةِ والتَّقوى، كَما قالَ سُبحانَهُ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[5]. [٥٠٨]

وأضافَ سبحانُهُ البَيتَ إلى نَفسِهِ تَعظيمًا لهُ وتَفضيلًا لهُ على سائِرِ البِقاعِ وتَشريفًا، كَما هوَ كَذلكَ في الحَقيقَةِ.

رَوى أبو حَمزَةَ الثّماليّ قالَ: قالَ عَليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام: «أيُّ البِقاعِ أفضَلُ؟ فَقُلنا: اللهُ ورَسُولُهُ وابنُ رَسُولِهِ أعلَمُ، فَقالَ لَنا: أفضَلُ البِقاعِ ما بَينَ الرُّكنِ والمَقامِ، وهوَ الحَطيمُ، وهوَ: المَوضِعُ الّذي تابَ اللهُ عَلى آدمَ، وَلَو أنَّ رَجُلًا عُمِّرَ ما عَمَّرَ نُوحٌ في قَومِهِ ألفَ سَنَةٍ إلّا خَمسينَ عامًا، يَصومُ النَّهارَ ويَقومُ اللّيلَ في ذلكَ المَقامِ، ثمَّ لَقِيَ اللهَ عَزّ وجَلّ بغَيرِ وِلايَتِنا لَمْ يَنفَعهُ ذلكَ شَيئًا»[6]، وفي رِوايَةٍ: «ألفانِ

(١) تفسير القمّي: ١: ٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١: ٥٥، حديث ١٢٥.

(٣) علل الشرائع: ٢: ٤١١، حديث رقم: ١، وتفسير العيّاشي: ١: ٥٩، حديث رقم: ٩٥.

(٤) «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ يقولُ في كتابِهِ: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فينبغي للعبدِ أن لا يَدخلَ مَكّةَ إلّا وهو طاهرٌ قد غَسَلَ عَرقَهُ والأذى وتَطَهّرَ». الكافي: ٤: ٤٠٠، حديث رقم: ٣.

(٥) سورة التوبة ٩: ١٠٩.

(٦) تفسير أبي حمزة الثّمالي: ١٣٦، حديث رقم: ٤٥، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٥، حديث رقم: ٢٣١٣.

وخَمسمائَةِ سَنَةٍ»[1].

وقولُهُ: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾، أي: طَهِّراهُ للّذينَ يَطوفونَ ويَدورُونَ حَولَ البَيتِ، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾، أي: وللمُجاوِرينَ للبَيتِ، المُقيمينَ بحَضرَتِهِ والمُعتكِفينَ فيهِ، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، أي: وللرّاكِعِينَ السّاجدينَ، أي: المُصلِّينَ عندَهُ، أو في الآفاقِ مِنَ المُصلِّينَ؛ لأن الرُّكوعَ والسُّجودَ مِن هَيئةِ المُصلّي وهُما: جَمعا راكِعٍ وساجِدٍ كَما مَرَّ.

وقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «الطّائفونَ: هُمُ الطّارِئونَ عَلى مَكَّةَ مِنَ الآفاقِ، والعاكفون: هُمُ المُقيمونَ فيها. وقالَ عَطاءُ: إنَّ أحَدًا إذا طافَ بهِ فَهوَ مِنَ الطَّائِفِينَ، وإذا جَلَسَ فهوَ مِنَ العاكِفينَ، وإذا صَلَّى فهوَ مِنَ الرُّكَّعِ السُّجودِ»[2]، وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لله عَزَّ وجَلَّ في يَومٍ ولَيلَةٍ عِشرينَ ومائةَ رَحمَةٍ تُنزَلُ على هذا البَيتِ: سُتُّونَ مِنها للطّائفينَ وأربعونَ مِنها للمُصَلِّينَ وعُشرونَ للنَّاظِرينَ»[3].

ذِكرُ قِصَّةِ مَقامِ إبراهيم عليه السلام:

ذِكرُ قِصَّةِ الحَجَرِ الّذي هوَ مَقامُ إبراهيمَ عليه السلام عَلى ما رَواهُ ابنُ عَبّاسٍ وعَليُّ بنُ إبراهيمَ - كَما يَجيءُ تَمامُهُ فيما بَعدُ - في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾[4] إلى آخِرِهِ، عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «إنَّهُ لَـمَّا أَتى ابراهيمُ عليه السلام بإسماعِيلَ وهاجَرَ فَوَضَعَهُما بمَكَّةَ وأَتَت عَلى ذلكَ مُدَّةٌ ونَزَلَها الجُرهُميُّونَ وتَزَوَّجَ إسماعيلُ امرأةً مِنهُم عَلى ما يَجيءُ وماتَت هاجَرُ فَاستَأذَنَ سارةَ أن يأتِيَ هاجَرَ وإسماعيلَ فَأذِنَت لَهُ وَشَرَطَت عَليهِ أن لا يَنزِلَ، فَقَدِمَ إبراهيمُ عليه السلام وقَد ماتَت هاجرُ فَذَهَبَ إلى بَيتِ إسماعيلَ فَقالَ لامرَأَتِهِ: أينَ صاحِبُكِ؟ قالَت: لَيسَ ههنا، ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ، وكانَ إسماعيلُ يَخرُجُ مِنَ الحَرَمِ فَيَصيدُ ثُمَّ يَرجِعُ، فَقالَ لَها إبراهيمُ: هَل عِندَكِ ضِيافَةٌ؟ قالَت: لَيسَ عِندي شَيءٌ، وما عِندِي أَحَدٌ، فَقالَ لَها إبراهيمُ عليه السلام: إذا جاءَكِ زَوجُكِ فَاقرَئِيهِ السّلامُ وقُولي لَهُ: فَليُغَيِّر عَتَبَةَ بابِهِ، وذَهَبَ إبراهيمُ عليه السلام. فَجاءَ إسماعيلُ فَوَجَدَ رِيحَ أبيهِ فَقالَ لامرَأَتِهِ: هَل جاءَكِ أَحَدٌ؟ قالَت: جاءَني شَيخٌ صِفَتُهُ كَذا وكَذا

(١) لم يقف الباحث على هذه الرواية فيما تيسّر لهُ من مصادر ومراجع.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٣.

(٣) مستدرك الوسائل: ٩: ٣٥٧، حديث رقم: ١١٠٦٧.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٢٧.

كَالمُستخِفَّةِ بشأنِهِ، قالَ: فَما قالَ لَكِ؟ قالَت: قالَ لي: إقرئِي زَوجَكِ السَّلامَ وقُولي لَهُ: فَليُغيِّر عَتبَةَ بابِهِ، فَطَلَّقَها، وتَزَوّجَ، فَلَبِثَ إبراهيمُ عليه السلام ما شاءَ اللهُ أن يَلبَثَ ثمَّ استَأذَنَ سارَةَ أن يَزورَ إسماعيلَ فَأَذِنَت لَهُ واشتَرَطَت أن لا يَنزِلَ، فَجاءَ إبراهيمُ عليه السلام حَتَّى انتَهَى إلى بابِ إسماعِيلَ فَقالَ لامرَأَتِهِ: أينَ صاحِبُكِ؟ قالَت: ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ، وهوَ يَجيءُ الآن إن شاءَ اللهُ فَانزِل يَرحَمُكَ اللهُ، قالَ لَها: هَل عِندَكِ ضِيافَةٌ؟ قالَت: نَعَم، فَجاءَت باللَّبَنِ واللَّحمِ، فَدَعا لَهُما بالبَرَكَةِ. فَلَو جاءَت يَومئذٍ بخُبزٍ أو بُرٍّ أو شَعيرٍ أو تَمرٍ لَكانَ أكثَرُ أرضِ الله بُرًّا وَشَعيرًا وَتَمرًا، فَقالَت لَهُ: انزِل حَتَّى أغسِلَ رَأسَكَ، فَلَم يَنزِل، فَجاءَت بالمَقامِ فَوَضَعَتهُ عَلى شِقِّهِ الأيمَنِ فَوَضَعَ قَدَمَهُ عليهِ، فَبَقِيَ أثَرُ قَدَمِهِ عليهِ، فَغَسَلَت شِقَّ رَأسِهِ الأيمَنَ، ثمَّ حَوَّلَتِ المَقامَ إلى شِقِّهِ الأيسرِ فَغَسَلت شِقَّ رَأسِهِ الأيسَرِ، فَبَقِيَ أثَرُ قَدَمِهِ عَليهِ، فَقالَ لَها: إذا جاءَ زَوجُكِ فَاقرَأيهِ السّلامَ وقَولي لَهُ: قَد استَقامَت عَتَبَةُ بابِكَ، فَلَمّا جاءَ إسماعِيلُ وَجَدَ رِيحَ أبيهِ فَقالَ لامرَأَتِهِ: هَل جاءَكِ أحَدٌ؟ قالَت: شَيخٌ أحسَنُ النّاسِ وَجهًا وأطيَبُهُم رِيحًا، فَقالَ لي: كَذا وكَذا، وقُلتُ لَهُ: كَذا وكَذا وغَسَلتُ رَأسَهُ وهذا مَوضِعُ قَدَميهِ على المَقامِ، فقالَ لَها إسماعيلُ: ذاكَ إبراهيمُ عليه السلام أبي.

وَقَد رَوَى هذهِ القِصَّةَ بعَينِها عَليُّ بنُ إبراهيمَ عَن أبيهِ عَن ابنِ أبي عُميرٍ عَن أبان عَنِ الصّادقِ عليه السلام وإن اختَلَفَ بعضُ ألفاظِهِ وفي آخِرِها: إذا جاءَ زَوجُكِ فَقولي لَهُ: جاءَ ههنا شَيخٌ وهوَ يُوصِيكَ بعَتبَةِ بابِكَ خيرًا، قالَ فَأكَبَّ إسماعيلُ على المَقامِ يَبكِي ويُقَبِّلَهُ. [٥٠٩]

وفي رِوايَةٍ أُخرَى عَنهُ عليه السلام: إنَّ إبراهيمَ عليه السلام استَأذَنَ سارَةَ أن يَزورَ إسماعيلَ فَأَذِنَت لهُ عَلى أن لا يَلبَثَ عَنها ولا يَنزِلَ مِن حِمارِهِ، فَقيلَ: كَيفَ كانَ ذلكَ؟ فَقالَ: إنَّ الأرضَ طُوِيَت لهُ»[١].

وَرَوى عَبدُ الله بن عُمَر عَن رَسولِ الله صلى الله عليه وآله قالَ: «الرُّكنُ والمَقامُ ياقوتَتانِ مِن ياقوتِ الجَنَّةِ طَمَسَ اللهُ نورَهُما، ولَولا أنَّ نورَهُما طُمِسَ لأضاءَ ما بَينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ»[٢] هكذا في المجمَعِ.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٨٠ـ ٣٨٢، وبحار الأنوار: ١٢: ٨٤، ٨٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٢.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ: فَأُمْتِعُهُ، بسكونِ الميمِ وكَسرِ التّاءِ مُخفَّفًا، مِن أمتَعَ مِن بابِ الأفعالِ وهي لغَةٌ، والباقونَ: فَأُمَتِّعُهُ، بفتحِ الميمِ وكَسرِ التّاءِ مُشدَّدًا(١)، مِن مَتَّعَ مِن بابِ التّفعيلِ، وهذهِ القراءةُ أولَى وأحسنُ لِورودِ هذهِ اللّغة في القرآنِ، قالَ تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً﴾(٢)، وقالَ: ﴿كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾(٣) وعلى هاتَينِ القراءتَينِ ضَميرُ قالَ عائِدٌ إلى اللهِ تعالى، وَرُوِيَ عَن ابنِ عَبّاسٍ في الشّواذِّ: (فَأَمْتِعْهُ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) بِصيغَةِ الأمرِ على الدُّعاءِ مِن إبراهيمَ عليه السلام(٤)، وعلى هذهِ القراءةِ ضميرُ قالَ لإبراهيمَ عليه السلام، أي: وقالَ إبراهيمُ: وَمَن كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَليلًا يا رَبِّ ثمَّ أضطَرُّهُ إلى عَذابِ النّارِ، وإنَّما حَسُنَ إعادَةُ (قالَ) لِطُولِ الكَلامِ وتَغييرِ المَقامِ؛ لانتِقالِهِ مِنَ الدُّعاءِ لِقَومٍ إلى الدُّعاءِ عَلى آخرينَ، ويَحتَمِلُ أيضًا عَلى هذهِ القراءَةِ أن يكونَ ضَميرُ قالَ اللهُ تعالى عَلى طَريقِ التَّجريدِ(٥)، ومُخاطَبَةِ الإنسانِ لِنفسِهِ، أي: قالَ اللهُ تعالى: فَأَمْتِعْهُ يا إلهَ العَالمينَ عَلى حَدِّ قَولِ الأعشى:

وَدِّع هُرَيرَةَ إنَّ الرَّكبَ مُرتَحِلٌ   وهَل تُطيقُ وَداعًا أيُّها الرَّجُلُ(٦)

وقُرِئَ: (نُمَتِّعُهُ ثمَّ نَضطَرُّهُ) على صِيغَةِ المُتكَلّمِ مَعَ الغَيرِ(٧)، وقُرِئَ: إِضْطُرُّهُ بكَسرِ الهَمزَةِ على لغَةِ مَن يَكسر حَرفَ المُضارَعَةِ غَيرَ الياءِ(٨)، مِن: تِعْلَمُ إِعْلَمُ نِعْلَمُ وإِخالُ ونَحوِها، وَقَرَأَ ابنُ مُحَيصٍ: (ثُمَّ

(١) ينظر: السّبعة في القراءات: ١: ١٧٠، والحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٢١.

(٢) سورة هود ١١: ٣.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٦١.

(٤) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٤.

(٥) وهو: ‹أن تأتي بكلامٍ يكونُ ظاهرُهُ خطابًا لغيرِكَ وأنتَ تُريدُهُ خطابًا لنفسِكَ، فتكونُ قد جَرَّدتَ الخطابَ عن نفسِكَ وأخلصتَهُ لغيرِكَ›. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢: ١٢٨.

(٦) البيت من البسيط، ديوانه: ٥٥، وينظر: خزانة الأدب: ٦: ٤٣٧، من قصيدةٍ يتغزّلُ فيها بمحبوبتِهِ هريرة.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٨، وهي قراءة أُبيّ.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٨، وهي قراءة يحيى بن وثّاب.

أطَّرُهُ) بإدغامِ الضّادِ في الطّاءِ[١]، وهيَ قراءَةٌ مَرذولَةٌ؛ لأنَّ حُروفَ (ضوى مشفر) يُدغَمُ فيها ما يُجاوِرُها ولا تُدغَمُ هيَ فيما يُجاوِرُها.

اللغة:

البَلَدُ والمدينَةُ والمصرُ والكورَةُ نظائرُ، والبَلَدُ مِنَ الأرضِ: ما كانَ مَأوًى للحَيوانِ، وأصلُ البَلَدِ: مِن بَلَدَ شَيءٌ في الجِلدِ: إذا أثَّرَ فيهِ، جمعُهُ بِلادٌ وأبلادٌ؛ لأنَّها مَواضِعَ مَواطِنُ النَّاسِ وتَأثيرُهُم، و مِن ذلكَ قولُهُم لِكَرْكَرةِ البَعيرِ: بَلدَةٌ؛ لأنَّها إذا بَرَكَت تَأثَّرَت، وفي الحَديثِ: «أعوذُ بِكَ مِن ساكِنِي البَلَدِ»[٢]، وفي حَديثِ العَبّاسِ: (فَهيَ لَهُم تالدَةٌ بالدَةٌ)[٣]، يَعني: الخِلافَةَ لأولادِهِ، ويقالُ للشّيءِ الدّائمِ الّذي لا يَزولُ: تالِدٌ بالِدٌ، فَالتّالِدُ: القَديمُ، والبالِدُ: اِتباعٌ لَهُ، بمَعنى الثّابِتِ.

والاضطِرارُ: هوَ الفِعلُ في الغَيرِ عَلى وَجهٍ لا يُمكِنُهُ الانفكاكُ منهُ إذا كانَ مِن جِنسِ مَقدورِهِ؛ ولِذا لا يُقالُ: فُلانٌ مُضطَرٌّ إلى لَونِهِ وإن كانَ لا يُمكِنُهُ الانفكاكُ مِن نَفسِهِ لِما لَم يَكنِ اللّونُ مِن جِنسِ مَقدورِهِ، ويقالُ: فُلانٌ مُضطَرٌّ إلى حَرَكَةِ الفالجِ وحَرَكَةِ العُروقِ، لِما كانَتِ الحَرَكَةُ مِن جِنسِ مَقدورِهِ، والمَصيرُ: الحالُ الّذي يُؤدّي إليها، وصارَ وحالَ وآلَ نَظائِرُ، والمصيرُ: المَرجِعُ، يقالُ: صِرتُ إلى فُلانٍ أصِيرُ مَصيرًا، وَصِيرُ البابِ: شَقُّهُ، وفي الحَديثِ: «مَنِ اطَّلَعَ مِن صِيْرِ بابٍ فَقَد دَمَرَ»[٤]، أي: دَخَلَ، والصِّيرَةُ: حَظِيرَةٌ تُتَّخَذُ للدَّوابِّ مِنَ الحِجارَةِ وأغصانِ الشَّجَرِ، وجَمعُها صِيَرٌ، وقالَ أبو عُبيدَةُ: صَيْرَةٌ بالفَتحِ[٥]، وهوَ غَلَطٌ.

الإعراب:

(إذ): مفعولٌ بِهِ لِفِعلٍ مَذكورٍ أو مَحذوفٍ عَلى ما مَرَّ، والجملَةُ بَعدَها مُضافٌ إليهِ، (رَبِّ): مُنادًى

---

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١٠٦، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٥١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٦٦.

(٥) لسان العرب: ٤: ٤٧٩، (صير).

مُضافٌ حُذِفَ طَرفاهُ، (هذا): مفعولٌ أوّلُ لـ(اجعَل)، و(بَلَدًا): مفعولُهُ الثّاني، و(آمِنًا): صفةُ (بَلَدًا) مِن بابِ المَجازِ العَقلي، و(أهلَهُ): مفعولُ (ارزُقْ)، و(مِنَ الثّمراتِ) مُتعلِّقٌ بهِ، و(مِن) للتَّبعيضِ، و(مَنْ) في (مَن آمَنَ): مَنصوبُ المَحلِّ بَدلٌ مِن (أهلَهُ) بدلُ البعضِ مِنَ الكُلِّ، مثلَ أكَلتُ الرَّغيفَ ثُلُثَهُ، وضَربتُ زَيدًا رَأسَهُ، وأمَّا (مَن) في (مَنْ كَفَرَ): فَشرطيَّةٌ أو موصولَةٌ مُتضمِّنَةٌ مَعنى الشّرطِ، وعلى التَّقديرَينِ فَهيَ مُبتدأٌ خَبَرُهُ جملةُ (فَأُمَتِّعُهُ)، وعلى التّقديرَينِ يجوزُ الإتيانُ بالفاءِ، فَإن قُلتَ: الشَّرطُ سَبَبٌ للجَزاءِ مَثل: إن جِئتَني أُكرِمكَ، والكُفرُ لَيسَ سَبَبًا للتَّمتيعِ، فَكيفَ صِحَّةُ ذلكَ فيما نَحنُ فيهِ؟ قُلتُ: إنَّ الكُفرَ وإن لَم يَكنْ سَبَبًا للتّمتيعِ لكنَّهُ سَبَبٌ لِتَقليلِهِ بأن يَجعَلهُ مَقصورًا بحظوظِ الدُّنيا غَيرَ مُتوسَّلٍ بهِ إلى نَيلِ الثَّوابِ الأُخرَوِي، ولذلكَ عَطَفَ عَليهِ قَولَهُ: ثُمَّ أضطَرُّهُ إلى عَذابِ النّارِ، بَل جَزاءُ الكُفرِ في الحقيقةِ ذلكَ وما قَبلهُ تَطفُّلٌ، و(إلى عَذابِ النّارِ): مُتعَلِّقٌ بـ(أضطَرُّهُ)، و(بِئسَ): مِن أفعالِ الذَّمِّ، و(المصيرُ): فاعلُهُ، والمَخصُوصُ بالذَّمِّ مَحذوفٌ بدَلالَةِ ما قَبلهُ، أي: بِئسَ المَصيرُ النّارُ، أو عَذابُ النّارِ، ونَحوِهِما، فالمَخصوصُ: مُبتدأٌ مُؤخّرٌ، وجملةُ (بئسَ المصيرِ): خَبرٌ مُقدَّمٌ، أو المَخصُوصُ: خَبرٌ لِمبتدأٍ مَحذوفٍ، أي: هيَ النّارُ، فيَكونُ: الجملَةُ المُستَأنفَةُ بتَمامِها كَما هوَ القاعدَةُ في نحو قولِه تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[1] على وَجهٍ، أي: نَحنُ نَحنُ. [٥١٠]

المعنى:

﴿وَ﴾ اذكُروا، أو اُذكُر يا مُحَمَّدُ **﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾**، أي، الوَقتَ الّذي قالَ إبراهيمُ: **﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾**، أي: هذا البَلَدَ، وهوَ مَكّة **﴿بَلَدًا آمِنًا﴾**، أي: ذا أمْنٍ، عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[2]، أي: ذاتِ رِضًى، كَما يقالُ: بَلَدٌ أهلٌ، أي: ذُو أهلٍ، أو بِمَعنى: يَأمَنُ النّاسُ فيهِ، كَقَولِهِم: لَيلٌ نائمٌ، أي: يُنامُ فيهِ، ونَهارٌ صائِمٌ، أي: يُصامُ فيهِ، وقالَ ابنُ عَبّاسٍ: (يَعني حرامًا مُحَرَّمًا لا يُصادُ

(١) سورة الذاريات ٥١: ٤٨.

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ٢١.

طَيرُهُ، ولا يُقطَعُ شَجَرُهُ، ولا يُختَلَى خَلاهُ»[1]، ومَرجِعُ الكُلِّ واحِدٌ، وإلى هذا المَعنى يُؤوَّلُ ما رُوِيَ عَنِ الصّادقِ عليه السلام مِن قَولِهِ عليه السلام: «مَن دَخَلَ الحَرَمَ مُستَجيرًا بِهِ فَهوَ آمِنٌ مِن سَخَطِ الله عَزَّ وجَلَّ، ومَن دَخَلَهُ مِنَ الوَحشِ و الطَّيرِ كانَ آمِنًا مِن أن يُهاجَ أو يُؤذَى حَتَّى يَخرُجَ مِنَ الحَرَمِ»[2] كَما مَرَّ، وقالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يومَ فَتحِ مَكَّةَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ حَرَّمَ مَكَّةَ يَومَ خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ فَهيَ حَرامٌ إلى أن تَقومَ السّاعَةُ لَمْ تَحِلّ لأحَدٍ قَبلي ولا تَحِلّ لأحَدٍ بَعدِي ولَمْ تَحِل لي إلّا ساعَةً مِن نَهارٍ»[3]، فَهذا الخَبَرُ وأمثالُهُ المشهورَةُ في رِواياتِ أصحابِنا تَدُلُّ على أنَّ الحَرَمَ كانَ آمِنًا قَبلَ دَعوةِ إبراهيمَ عليه السلام وإنَّما تَأكَّدَت حُرمَتُهُ بِدعائِهِ، وقيلَ: كانَت مَكّةُ كَسائرِ البِلادِ، وإنّما صارَ حَرَمًا بدُعاءِ إبراهيمَ عليه السلام، واستَدَلَّ على ذلكَ بقَولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وإنِّي حَرَّمتُ المَدينَةَ»[4]، وقيلَ: كانَت مَكّةُ حَرامًا قَبلَ الدَّعوةِ بوَجهٍ غَيرِ الوَجهِ الّذي صارَت بِهِ حَرامًا بَعدَ الدّعوَةِ:

والأوَّلُ: يمنعُها اللهُ تعالى مِنَ الاصطِلامِ والائتِفاكِ[5]، كَما لَحِقَ ذلكَ غيرُها مِن البِلادِ وبِما جَعَلَ في النُّفوسِ مِن تَعظيمِها والهَيبَةِ لَها.

والثّاني: بالأمرِ بِتَعظيمِهِ عَلى ألسِنَةِ الرُّسُلِ عليهم السلام فَأجابَهُ اللهُ تعالى إلى ما سَألَ، وإنَّما سَألَهُ أنْ يَجعَلَها آمِنَةً مِنَ الجَدبِ والقَحطِ؛ لأنَّهُ عليه السلام أسكَنَ أهلَهُ بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ ولا ضَرعٍ، ولَمْ يَسألْهُ أمنَها مِنَ الإئتِفاكِ والخَسفِ الّذي كانَ حاصِلًا، وقيلَ: إنَّهُ عليه السلام سَألَهُ الأمرَينِ عَلى أن يُديمَهُما وإن كانَ أحَدُهُما مُستَأنَفًا والآخَرُ قَد كانَ قَبلُ، نُصَّ على ذلكَ[6].

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٨٤.

ومنه في حاشية الأصل: قالَ ابنُ الأثيرِ في النّهايةِ [٢: ٧٥] في حَديثِ مَكّةَ: (ولا يُختَلَى خَلاهُ، الخَلا مَقصورًا: النّباتُ الرّقيقُ مادامَ رَطبًا، واختِلاؤهُ: قَطعُهُ، واختَلَتِ الأرضُ: كَثُرَ خلاها، وإذا يَبِسَ فهوَ حَشيشٌ).

(٢) الكافي: ٤: ٢٢٦، حديث رقم: ١، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٥١، حديث رقم: ٢٣٢٧.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢: ٤٠٤، حديث رقم: ١٦٦٢٨.

(٤) صحيح البخاري: ٥: ٤٠، وصحيح مسلم: ٤: ١١٣، وعوالي اللئالي: ٢: ٩٦، حديث رقم: ٢٥٩.

(٥) الاصطلام: القطع والابادة. ينظر: لسان العرب: ١٢: ٣٤٠، (صلم).

والائتفاك: الانقلاب. ينظر: الصحاح: ٤: ١٥٧٣، (افك).

(٦) ينظر: التبيان: ١: ٤٥٧، ومجمع البيان: ١: ٣٨٥.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: ارزُقِ المؤمنينَ منهُم خاصَّةً مِن أنواعِ الثّمراتِ مِنَ الحُبوبِ والفَواكِهِ وغَيرِهما، إنَّما سَأَلَ لَهُم ذلكَ لِيَجتَمِعَ لَهُم الأمْنُ والخِصْبُ فَيكونوا في سِعَةٍ ورَغَدٍ مِنَ العَيشِ، ورُوِيَ عَنِ الباقرِ عليه السلام: «أنَّ المُرادَ أنَّ الثّمراتِ تُحْمَلُ إليهِم مِنَ الآفاقِ»[١]، وقَد استَجابَ اللهُ لهُ حَتَّى لا تُوجَدُ في بِلادِ الشّرقِ والغَربِ ثَمَرَةٌ إلَّا تُوجَدُ فيها تُجْبَى، حَكَى إنَّهُ في يومٍ واحدٍ فَواكهُ رَبيعيَّةٍ وصيفيَّةٍ وخَريفيَّةٍ وشِتائيَّةٍ.

وعَن عَليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام: «أنَّهُ قولُهُ تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إيَّانا عَنِيَ بذلكَ وأولياءَهُ وشِيعَةَ وَصِيِّهِ، وقالَ: قالَ: إنَّ قَولَهُ تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قالَ: عَنِيَ بذلكَ مَن جَحَدَ وَصِيَّهُ ولَم يَتَّبِعهُ مِن أُمَّتِهِ، كذلكَ واللهِ حال هذهِ الأُمَّةِ»[٢]. وعَنِ الصّادِقِ عليه السلام: إنَّهُ قالَ: «هيَ ثَمراتُ القُلوبِ»[٣]، أي: حَبِّبْهُم إلى النَّاسِ لِيَأتُوا إليهِم كَما قالَ سبحانَهُ حِكايَةً عِن كَلامِهِ عليه السلام: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[٤]، وإنَّما خَصَّ عليه السلام المؤمنينَ بذلكَ حَتَّى قالَ سبحانَهُ: وَمَن كَفَرَ فَأنا أُمَتِّعُهُ قَليلًا إلى آخِرِه؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ كانَ أعلَمَهُ أَنَّهُ يكونُ في ذُرِّيَّتِهِ وغَيرِهِ ظالمونَ بقَولِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فَقاسَ إبراهيمُ عليه السلام الرِّزقَ عَلى الإمامَةِ حيثُ قالَ: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ وَنَبَّهَ سبحانَهُ عَلى أنَّ الرِّزقَ رَحمَةٌ دُنيَويَّةٌ تَعُمُّ المؤمِنَ والكافِرَ بخِلافِ الإمامَةِ والتّقدُّمِ في الدِّينِ، فَعَرَّفَهُ الفَرقُ بينهما؛ ولأنَّ الاستِخلافَ استِرعاءٌ يَختَصُّ بِمَن لا يَصدُرُ منهُ الظُّلمُ بخِلافِ الرِّزقِ فَإنَّهُ قَد يكونُ استِدراجًا للمَرزوقِ وإلزامًا وتَأكيدًا للحُجَّةِ كَأَنَّهُ سبحانَهُ قالَ: وأرزُقُ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ مَتاعًا قَليلًا أو زَمانًا، وهوَ كَونُهُ في دارِ الدُّنيا.

وقالَ في المجمَعِ: ‹وإنَّما خَصَّ بذلكَ مَن آمَنَ باللهِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى كانَ قَد أعلَمَهُ أَنَّهُ يكونُ في ذُرِّيَّتِهِ الظّالمونَ في جَوابِ مَسألَتِهِ إيّاهُ لِذُرِّيَّتِهِ الإمامَةَ بقَولِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فَخَصَّ بالدُّعاءِ في الرِّزقِ المؤمنينَ تَأدُّبًا بأَدَبِ اللهِ تعالى، وقيلَ: إنَّهُ عليه السلام ظَنَّ أَنَّهُ إذا دَعاهُ للكُفّارِ بالرِّزقِ أنَّهُم يَكثُرونَ

---

(١) عوالي اللئالي: ٢: ٩٦، حديث رقم: ٢٥٨، وبحار الأنوار: ١٢: ٨٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ٥٩، حديث رقم: ٩٦، وبحار الأنوار: ٢٤: ٢٠٤، حديث رقم: ٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٢: ٨٦.

(٤) سورة ابراهيم ١٤: ٣٧.

بمَكَّةَ ويُفسِدونَ ويَصُدُّونَ النّاسَ عَنِ الحجِّ فَخصَّ الدُّعاءَ أهلَ الإيمانِ»[1]. [٥١١]

﴿قَالَ﴾، أي: قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في جَوابِ إبراهيمَ عليه السلام: قَد استَجَبْتُ دَعوَتَكَ فيمَن آمَنَ مِنهُم، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ مَتاعًا ﴿قَلِيلًا﴾ بالرِّزقِ، أو زَمانًا قَليلًا، وهوَ أيّامُ حَياتِهِ، أو أُمَتِّعُهُ بالأمنِ والرِّزقِ إلى خُروجِ مُحمَّدٍ فيَقتُلَهُ إن أقامَ على كُفرِهِ، أو يُجْليهِ عَن مَكَّةَ، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾، أي: أدفَعُهُ ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ دفعَ المُضطَرِ الّذي لا يَملِكُ الامتِناعَ مِمَّا اُضْطُرَّ إليهِ، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، أي: وَساءَ المَرجِعُ والمَآبُ والمَأوَى والمَآلُ النّارُ وعَذابُها، نَعوذُ باللهِ مِنها أو المَعنى: قالَ إبراهيمُ عليه السلام سائِلًا رَبَّهُ بقَولِهِ: وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ مَتاعًا قَليلًا مِنَ الرِّزقِ، أو زَمانًا قَليلًا ثمَّ ادْفَعْهُ إلى عَذابِ النّارِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ آيةٌ:

اللغة:

الرَّفعُ والإصعادُ والإعلاءُ والصّعودُ نَظائرُ، ونَقيضُ الرَّفعِ: الوَضعُ والخَفضُ، ونَقيضُ الإصعادِ: الإنزالُ، ونَقيضُ الإعلاءِ: الإسفالُ، والرِّفعَةُ: نَقيضُ الذِّلّةِ، والقَواعِدُ: جَمعُ قاعدَةٍ، والقاعدَةُ والأساسُ مِنَ النّظائرِ، وأصلُ القاعدَةِ لُغةً: الثّبوتُ والاستِقرارُ، وقاعدَةُ البِناءِ: أساسُهُ الّذي بُنِيَ عَليهِ، وهيَ صِفَةٌ غالبَةٌ مَعناها الثّابتةُ، ورَفعُ القَواعِدِ[2] عبارَةٌ عَنِ البِناءِ عَليها؛ لأنّها إذا بُنِيَ عَليها ارتَفَعَت ويَجوزُ أن يَكونَ المُرادُ بِها سافاتِ البِناءِ؛ لأنَّ كُلَّ سافٍ قاعدَةٌ لِما يُبنَى عَليهِ ويُوضَعُ فَوقَهُ، وامرَأَةٌ قاعدَةٌ: أتَت عَليها سُنونَ لَم تَتزَوَّجْ، وإذا لَمْ تَحمِلِ النّخلَةُ والمَرأَةُ قيلَ: قَد قَعَدَت، فَهيَ قاعدَةٌ بالتّاءِ، وإذا قَعدَت عَنِ الحَيضِ: فَهيَ قاعِدٌ بغَيرِ التّاءِ؛ لأنّهُ لا فِعلَ لَها في قُعُودِها عَنِ الحَيضِ كالحائِضِ والطّامِثِ ونَحوِهِما، ومنهُ المُقْعَدُ للّذي لا يَقدِرُ عَلى القِيامِ لزمانةٍ بهِ كَأنَّهُ قد أُلزِمَ القُعودُ، وقيلَ: هوَ مِنَ القُعادِ: وهوَ داءٌ يَأخُذُ الإبِلَ في أوراكِها فَيُميلُها إلى الأرضِ.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٨٥.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: جوابٌ عَن دَخلَ مُقدّرٍ كَأنَّهُ قَليل، القاعدَةُ إذا فُسِّرَت بالأساسِ، وأساسُ البِناءِ يكونُ في الأرضِ فكيفَ يُرفَعُ؟ أجابَ بقَولِهِ: ورَفعُ القَواعِدِ إلى آخرِهِ.

وقالَ ابنُ الأثيرِ: «وفي حَديثِ أسماءِ الأشهَليَّةِ: إنَّا مَعاشِرَ النّساءِ مَحصوراتٌ مَقصوراتٌ قَواعِدُ بُيوتِكُم وحَوامِلُ أولادِكُم، القَواعدُ: جَمعُ قاعِدٍ: وهيَ المرأةُ المُسنَّةُ الكَبيرَةُ هَكذا يقالُ بغَيرِ هاءٍ، أي: أنّها ذاتَ قُعُودٍ»[1]،انتهى. يَعني: أنّها للنّسبَةِ كَلابِنٍ وتامِرٍ ونابِلٍ وغَيرِها، وقَد مَرَّ السَّميعُ والعَليمُ لُغَةً.

الإعراب:

و(إذ يَرفَعُ) قَد مَرَّ إعرابُ مِثلِهِ سابقًا، و(القَواعِدَ): مفعولُ (يَرفَعُ)، و(مِنَ البَيتِ): ظرفٌ مُستَقِرٌّ مُتعلِّقٌ بِمُقدَّرٍ حالٌ مِنَ (القَواعِدِ)، أو لَغوٌ مُتعلِّقٌ بقَولِهِ: (يَرفَعُ)، و(إسماعِيلُ): عَطفٌ على (إبراهيمَ)، و(رَبَّنا): مُنادًى مُضافٌ حُذِفَ منهُ حَرفُ النِّداءِ، و(تَقَبَّلْ): فِعلُ أمرٍ وفاعِلٌ، ومَجموعُ (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا): مَقولٌ لِقولٍ مَحذوفٍ، والتّقديرُ: يَقولانِ: رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا.

وجملَةُ (تقولانِ) مَعَ مَقولِها: حالٌ مِن إبراهيمَ وإسماعِيلَ عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2]، أي: يَقولونَ سَلامٌ عَليكُم، والباقِي: واضِحٌ.

المعنى:

﴿وَ﴾ اذكُروا، أو اُذكُر يا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ﴾، أي: الوَقتَ الّذي ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، أي: أساسَ البَيتِ الّذي كانَ قَبلُ قَد بَناهُ آدمُ عليه السلام ثمَّ عَفا أثَرُهُ بالطّوفانِ أيّامَ نوحٍ عليه السلام فَحَدَّدَهُ إبراهيمُ وبَناهُ، وهذا هوَ المَرويُّ عَن أئمَّتِنا عليهم السلام كَما تَجيءُ الإشارَةُ إلى ذلكَ في قِصَّةِ كَيفيَّةِ بِناءِ البَيتِ، وأوَّلُ مَن حَجَّ البيتَ آدمُ عليه السلام، وعَنِ الباقِرِ عليه السلام: «إنَّهُ قالَ: إنَّ اللهَ تعالى وَضَعَ تَحتَ العَرشِ أربَعَ أساطِينَ وَسَمّاهُ الضُّراحَ: وهوَ البَيتُ المعمورُ، وقالَ للملائكَةِ: طُوفُوا بِهِ، ثُمَّ بَعَثَ مَلائكَةً فَقالَ: ابنُوا في الأرضِ بَيتًا بِمِثالِهِ وقَدرِهِ، وأمَرَ مَن في الأرضِ أن يَطوفُوا بالبَيتِ»[3].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر:: ٤: ٨٦.

(٢) سورة الرعد ١٣: ٢٣، ٢٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ٩: ٣٢٨، حديث رقم: ١١٠١٦.

والعَيّاشي: بإسنادِهِ عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «إنَّ اللهَ تعالى أنزَلَ الحَجَرَ الأسوَدَ مِنَ الجَنَّةِ لآدمَ عليه السلام، وكانَ البَيتُ دُرَّةً بيضاءَ فَرَفَعَهُ اللهُ تعالى إلى السَّماءِ وبَقِيَ أساسُهُ فَهوَ بحِيالِ هذا البَيتِ، وقالَ: يَدخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ لا يَرجعونَ إليهِ أبدًا، فَأمَرَ اللهُ تعالى إبراهيمَ وإسماعِيلَ أن يَبنِيا البَيتَ عَلى القَواعِدِ»[1]، وفي العِلَلِ[2] مثلُهُ، وعَن أبي الوَردِ قالَ: قُلتُ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام: ما أوَّلُ شَيءٍ نَزَلَ مِنَ السّماءِ؟ قالَ: «إنَّ أوَّلَ شَيءٍ نَزَلَ مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ هوَ البَيتُ الّذي بمَكَّةَ أنزَلَهُ اللهُ ياقُوتَةً حَمراءَ فَفَسَقَ قَومُ نوحٍ في الأرضِ فَرَفَعَهُ»[3].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، أي: يَقولانِ، أي: إبراهيمُ وإسماعِيلُ عليهما السلام: يا رَبَّنا تَقَبَّل مِنَّا ما نَفعَلُهُ وأثِبنا على عَمَلِهِ، فَهُما عليهما السلام كِلاهُما كانَا يَبنِيانِ الكَعبَةَ، وقيلَ: (كانَ إبراهيمُ يَبنِي وإسماعِيلُ يُناوِلُهُ الحَجَرَ)[4]، هكَذا قالَهُ في المجمَعِ، وسَتَجيءُ الإشارَةُ إلى الوَجهَينِ في ذِكرِ القِصَّةِ والحَديثِ أيضًا آنِفًا إن شاءَ اللهُ تعالى.

ثمَّ قالَ فِيهِ: (وفي قَولِهِ: **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾** دَليلٌ عَلى أنَّهُما بَنَيا الكَعبَةَ مَسجِدًا لا مَسكَنًا؛ لأنَّهُما التَمَسا الثّوابَ عَليهِ، والثّوابُ إنَّما يُطلَبُ عَلى الطّاعَةِ، ومَعنى (تَقبَّل مِنَّا): أثِبْنا عَلى عَمَلِهِ، وهوَ أشبَهُ بقَبولِ الهَديَّةِ، فإنَّ المَلِكَ إذا قَبِلَ الهَديَّةَ مِن إنسانٍ أثابَهُ على ذلكَ.

---

(١) تفسير العيّاشي: ١: ٦٠، حديث رقم: ٩٨.

(٢) علل الشرائع: ٢: ٣٩٩، حديث رقم: ١.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٦٠، حديث رقم: ١٠٠، وبحار الأنوار: ٩٦: ٦٤، حديث رقم: ٤٢.

وقد وردت الرّوايةُ في المصدرينِ عن أبي الورقاء، وهو: فائدُ بنُ عبدِ الرّحمنِ، أبو بكرٍ العبديِّ: رَوَى عن عبدِ الله بنِ أبي أوفى، وَروى عنهُ أبو الحسنِ الدّارقطنيّ، يُكتبُ حديثُهُ. ينظر: تاريخ بغداد: ٣: ٧١، ترجمة رقم: ١٠٥٩، وميزان الاعتدال: ٣: ٣٣٩، ترجمة رقم: ٦٦٨٢.

ونقلَ المُصنِّفُ الروايةَ عن أبي الورد، وهو: ابنُ قيسٍ بنُ فهدٍ، من أصحابِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام. ينظر: رجال الطوسي: ٨٧، ترجمة رقم: ٨٨٨، ونقد الرجال: ٥: ٢٣٥، ترجمة رقم: ٦٢١٩.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٨٧.

وقَولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لِدُعائِنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِنا وبِنِيّاتِنا وبِما يُصلِحُنا، وَرُوِيَ عَن الباقِرِ عليه السلام: إنَّ إسماعيلَ أوَّلُ مَنْ شَقَّ لِسانَهُ بالعَربيّةِ وكانَ أبوهُ يقولُ لَهُ وهُما يَبنيانِ البيتَ: يا إسماعِيلُ هات ابنِي، أي: أعْطِنِي حَجَرًا، فيقولُ لهُ إسماعيلُ: يا أبَتِ هاكَ حَجَرًا، فَإبراهِيمُ يَبنِي وإسماعيلُ يُناوِلُهُ الحَجَرَ، وفي هذهِ الآيَةِ دَلالَةٌ على أنَّ الدُّعاءَ عِندَ الفَراغِ مِنَ العِبادَةِ مُرَغَّبٌ فيهِ ومَندوبٌ إليهِ كَما فَعَلَ إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام»[1] انتهَى كَلامُهُ أعلى اللهُ مَقامَهُ. [٥١٢]

قِصَّةُ مُهاجَرَةِ إسماعيلَ وهاجرَ:

رَوَى عَلِيُّ بنُ إبراهيمَ بنُ هاشمٍ: عَن أبيهِ عَنِ النَّضرِ بنِ سُويدٍ عَن هِشامٍ عَن أبي عَبدِ الله جَعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ عليه السلام قالَ: «إنَّ إبراهيمَ كانَ نازِلًا في بادِيَةِ الشّامِ، فلَمّا وُلِدَ لهُ مِن هاجرَ إسماعيلُ عليه السلام اغتَمَّت سارَةُ غَمًّا شَديدًا؛ لأنَّهُ لَمْ يكنْ لَهُ مِنها وَلَدٌ فكانَت تُؤذِي إبراهيمَ عليه السلام في هاجرَ وتَغُمُّهُ، فَشَكَى ذلكَ إبراهيمُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ، فَأوحَى اللهُ تعالى إليهِ: إنَّما مَثَلُ المرأَةِ مَثَلُ الضّلعِ المُعوجِّ إن تَركتَهُ استَمتَعتَ بهِ، وإن رُمتَ أن تُقيمَهُ كَسَرتَهُ ـ وقَد قالَ القائِلُ:

هيَ الضِّلعُ العَوجاءَ لَستَ تُقيمُها ألا إنَّ تَقويمَ الضُّلُوعِ انكسارُها[2]

ـ ثمَّ أمرَهُ اللهُ تعالى أن يُخرِجَ إسماعيلَ وأُمَّهُ عَنها، فقالَ: أي رَبِّ إلى أيِّ مَكانٍ؟ قالَ تعالى: إلى حَرَمِي وَأمنِي وَأوَّلِ بُقعَةٍ خَلَقتُها في أرضِي وهيَ مَكّةُ، وأنزلَ عَليهِ جبرئيلَ بالبُراقِ فَحمَلَ هاجرَ وإسماعِيلَ وإبراهيمَ، فَكانَ إبراهيمُ لا يمُرُّ بمَوضِعٍ حَسَنٍ فيهِ شَجرٌ ونَخلٌ وزرعٌ إلّا قالَ: يا جبرئيلُ إلى ههنا؟ فَيقولُ جبرئيلُ: لا، امْضِ حَتَّى وَافَى مَكَّةَ فَوضَعَهُ في مَوضِعِ البَيتِ وقَد كانَ إبراهيمُ عاهَدَ سارَةَ أن لا يَنزِلَ حَتَّى يَرجِعَ إليها، فَلَمّا نَزَلُوا في ذلكَ المكانِ كانَ فيهِ شَجرٌ فَألقَت هاجَرُ على ذلكَ الشّجَرِ كِساءً كانَ مَعَها فَاستَظَلَّت تَحتَهُ فَلَمّا سَرَحَهُم[3] إبراهيمُ ووَضَعَهُم وأرادَ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) البيت من الطويل، لحاجب بن ذبيان. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣: ٣٦٨، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٦: ٣٩٩٠.

(٣) أي: أرسلهم. ينظر: الصحاح: ١: ٣٧٤، (سرح).

الانصِرافَ عَنهُم إلى سارَةَ قالَت لَهُ هاجرُ: لِمَ تَدَعُنا في هذا الموضِعِ الّذي لَيسَ فيهِ أنيسٌ ولا ماءٌ ولا زَرعٌ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام: رَبِّيَ الّذي أمَرَني أن أضَعَكِ في هذا المكانِ، ثمَّ انصَرَفَ عَنهُم، فَلَمّا بَلَغَ كُداءَ: وهوَ جَبَلٌ بذِي طُوى[1]، التَفَتَ إليهِم إبراهيمُ فقالَ رَبِّ: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2] ثمَّ مَضى، فَبَقِيَت هاجرُ فَلَمّا ارتَفَعَ النّهارُ عَطِشَ إسماعيلُ فقامَت هاجرُ في الوادِي حَتَّى صارَت في مَوضِعِ المَسعَى فَنادَت في الوادِي: هَل مِن أنيسٍ؟ فَغابَ عَنها إسماعيلُ، فَصَعِدَت على الصّفَا ولَمَعَ السَّرابُ في الوادِي فَضَنَّت أنَّهُ ماءٌ فَنزلَت إلى بَطنِ الوادِي وَسَعَت، فَلَمّا بَلَغَتِ المَروَةَ غابَ عَنها إسماعيلُ، ثمَّ لَمَعَ لَها السّرابُ في ناحيَةِ الصَّفا فَهَبَطَت إلى الوادِي تَطلُبُ الماءَ، فَلَمّا غابَ عَنها إسماعيلُ عادَت حَتَّى بَلَغَت الصّفا، فَنَظَرت إلى إسماعيلَ حَتّى فَعَلَت ذلكَ سَبعَ مَرّاتٍ، فَلَمّا كانَ في الشّوطِ السّابعِ وهيَ عَلى المَروَةِ نَظَرَت إلى إسماعيلَ وقَد ظَهَرَ الماءُ مِن تَحتِ رِجلَيهِ، فَعادَت حَتَّى جَمَعَت حَولَهُ رَملًا فَإنَّهُ كانَ سائلًا فَزَمَّتهُ بِما جَعَلَت حَولَهُ؛ فَلذلكَ سُمِّيَت زَمزَمَ، وكانَت جُرهُم نازلَةً بذِي المَجازِ وعَرفاتٍ فَلَمّا ظَهَرَ الماءُ بمَكَّةَ عَكَفَتِ الطَّيرُ والوَحشُ على الماءِ فَنظَرَت جُرهُم إلى تَعَكُّفِ الطَّيرِ على ذلكَ المَكانِ فاتَّبَعوها، حَتَّى نَظَروا إلى امرأةٍ وصَبِيٍّ نازِلَينِ في ذلكَ المكانِ وقَد استَظَلّا بشَجَرَةٍ وقَد ظَهَرَ الماءُ لَهُما، فَقالُوا لهاجَرَ: مَن أنتِ، وما شَأنُكِ، وشَأنُ هذا الصَّبي؟ قالَت: أنا أُمُّ وَلَدِ إبراهيمَ خَليلِ الرّحمنِ وهذا ابنُهُ أمَرَهُ رَبُّهُ أن يُنزلَنا ههنا، فَقالوا لَها: أفتَأذَنينَ لَنا أن نَكونَ بالقُربِ منكُم؟ فَقالَت: حَتّى أسأَلَ إبراهيمَ فَلَمّا زارَهُم إبراهيمُ يومَ الثّالِثِ قالَت لهُ هاجرُ: يا خَليلَ الرّحمنِ إنَّ ههنا قومًا مِن جُرهُم يَسأَلونَ أن تَأذَنَ لَهُم بالقُربِ مِنّا، أفتَأذَنُ لَهُم في ذلكَ؟ فَقالَ إبراهيمُ عليه السلام: نَعَم، فَأَذَنت هاجرُ لجُرهُم، فَنزَلوا بالقُربِ مِنهُم وضَرَبُوا خِيامَهُم، وأنِسَت هاجرُ وإسماعيلُ بِهِم، فَلَمّا زارَهُم إبراهيمُ عليه السلام في المَرّةِ الثّالثَةِ ونَظَرَ

(١) ينظر: معجم البلدان: ٤: ٤٣٩.

(٢) سورة ابراهيم ١٤: ٣٧.

إلى كَثرَةِ النّاسِ حَولَهُم سَرَّ بذلكَ سُرورًا شَديدًا، فَلَمّا تَحرَّكَ إسماعيلُ وكانَت جُرهُم قَد وَهَبُوا لإسماعيلَ كُلُّ واحدٍ مِنهُم شاةً وشاتَينِ فَكانَت هاجرُ وإسماعيلُ يَعيشانِ بِها، فَلَمّا بَلَغَ إسماعيلُ مَبلَغَ الرّجالِ أمَرَ اللهُ تعالى إبراهيمَ أن يَبنِيَ البيتَ فَقالَ: يا رَبِّ في أيِّ بُقعَةٍ؟ قالَ: في البُقعَةِ الّتي أنزلتُ بها عَلى آدمَ القُبَّةَ فَأضاءَتِ الحَرَمَ، فإنَّ القُبَّةَ الّتي أنزَلَها على آدمَ لَم تَزَلْ كانَت قائمَةً حَتَّى كانت أيّامُ الطّوفانِ في زَمَنِ نوحٍ عليه السلام، فَلَمّا غَرِقَتِ الدُّنيا رَفعَ اللهُ تلكَ القُبَّةَ وبَقِيَ مَوضِعُها وهوَ مَكَّةُ لَمْ تَغرَقْ؛ ولِذا سُمِّيَ البيتُ العَتيقُ؛ لأنَّهُ أُعتِقَ مِنَ الغَرَقِ، فَلَمّا أمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ إبراهيمَ عليه السلام أن يَبنِيَ البيتَ لَمْ يَدرِ في أيِّ مَكانٍ يَبنِيهِ، فَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ جبرئيلَ عليه السلام فَخَطَّ لَهُ مَوضِعَ البيتِ وأنزَلَ عَليهِ القَواعدَ مِنَ الجَنَّةِ، وكانَ الحَجَرُ الّذي أنزَلَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ على آدمَ أشَدَّ بَياضًا مِنَ الثّلجِ فَلَمّا مَسَّتهُ أيدِي الكُفّارِ اسوَدَّ، قالَ: فَبَنَى إبراهيمُ عليه السلام البَيتَ. [٥١٣]

ونَقَلَ إسماعيلُ الحَجَرَ مِن ذي طُوى[١] فَرَفَعَهُ إلى السَّماءِ تِسعَةَ أذرُعٍ، ثمَّ دَلَّهُ عَلى مَوضِعِ الحَجَرِ فَاستَخرجَهُ إبراهيمُ ووَضَعَهُ في مَوضِعِهِ الّذي هوَ فيهِ الآن، وجَعَلَ لهُ بابَينِ: بابًا إلى المَشرِقِ، وبابًا إلى المَغرِبِ، فَالبابُ الّذي إلى المَغرِبِ يُسَمَّى المُستَجارُ، ثمَّ ألقَى الشَّجرَ والأذخِرَ، وعَلَّقَت هاجرُ على بابِهِ كِساءً كانَ مَعَها، فكانُوا يكونونَ تَحتَهُ، فَلَمّا بَناهُ وفَرِغَ حَجَّ إبراهيمُ وإسماعيلُ ونَزَلَ عَليهِما جبرئيلُ يومَ التّروِيَةِ لِثَمانٍ خَلَت مِن ذي الحِجَّةِ.

تسميةُ يومِ التّرويَةِ بالتّرويَةِ:

فَقالَ: قُمْ يا إبراهيمُ فَارتَوِ مِنَ الماءِ؛ لأنَّهُ لَمْ يكنْ بِمِنى وعَرفاتٍ ماءٌ؛ فَسُمِّيَتِ التّرويَةُ لذلكَ[٢]، ثمَّ أخرجَهُ إلى مِنى فَباتَ بِها، فَفَعَلَ بهِ ما فَعَلَ بآدمَ عليه السلام، فَقالَ إبراهيمُ: لَمّا فَرغَ مِن بناءِ البَيتِ: ﴿رَبِّ

---

(١) وادي يقعُ أسفلَ مكّةَ. ينظر: البلدان: ١: ١٥٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: وللتّسميَةِ بالتّرويَةِ وَجهٌ آخَر.

ملخصهُ: إنَّ إبراهيم عليه السلام لـمّا رأى في المنام أنّه يذبح ولده إسماعيل عليه السلام تروّى في الليلةِ الأولى ولم يفعلْ شيء، فتكرّرت الرؤيا في الليلةِ الثّانيةِ فعرفَ حقيقَتَها، ثمَّ تكرّرت ثالثًا في الليلةِ الثّالثةِ فتلّهُ للذّبحِ، فكان سببُ التّسميةِ من تروّي إبراهيم عليه السلام. ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١١: ١٥٧.

اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الآية[1].

وفي الكافِي: عنهُ عليه السلام في حَديثٍ طويلٍ: «فَلَمّا أَذِنَ اللهُ لهُ في البِناءِ قَدِمَ إبراهيمُ فَقالَ: يا بُنَيَّ قد أمَرَنا اللهُ بِبناءِ الكَعبَةِ، وكَشَفا عَنها فإذا هوَ حَجَرٌ واحدٌ أحمرُ فأوحَى اللهُ إليهِ: ضَعْ بناءَها عَليهِ، وأنزَلَ أربَعَةَ أملاكٍ يجمَعونَ إليهِ الحِجارَةَ، فكانَ إبراهيمُ وإسماعيلُ يَضعانِ الحِجارَةَ والملائِكَةُ تُناوِلهُما حَتَّى تَمَّت اثنى عَشَرَ ذِراعًا، وَهَيَّأَ لَهُ بابَينِ: بابًا يَدخُلُ فيهِ وبابًا يَخْرُجُ مِنهُ، ووَضَعَا عَليهِ عَتَبًا وشَرِيجًا[2] مِن جَرِيدٍ عَلى أبوابِهِ»[3]. وعَن أحدِهِما عليهما السلام: «قالَ: إنَّ اللهَ تعالى أمَرَ إبراهيمَ بِبناءِ الكَعبَةِ وأن يَرفَعَ قَواعِدَها ويُرِيَ النّاسَ مَناسِكَهُم، فَبَنَى إبراهيمُ وإسماعيلُ البَيتَ كُلَّ يَومٍ سافًا حَتَّى انتَهى إلى مَوضِعِ الحَجَرِ الأسودِ، قالَ أبو جَعفَرٍ الباقرُ عليه السلام: فَنادَى أبو قُبَيسٍ[4] إبراهيمَ عليه السلام: إنَّ لَكَ عِندي وَديعَةً فَأعطاهُ الحَجَرَ فَوَضَعَهُ مَوضِعَهُ»[5].

وفي كتابِ العَيّاشي: عَنِ الكاظمِ عليه السلام: «إنَّ إبراهيمَ صَلواتُ الله عَليهِ لَمّا أسكَنَ إسماعيلَ وهاجرَ مَكَّةَ وَدَّعَهُما لِيَنصَرِفَ عَنهُما بَكَيا، فَقالَ لَهُما إبراهيمُ عليه السلام: ما يُبكِيكُما فَقَد خَلَّفتُكُما في أَحَبِّ أرضِ الله تعالى، وفي حَرَمِ الله؟ فَقالَت لَهُ هاجرُ: يا إبراهيمُ ما كُنتُ أرَى نَبيًّا مِثلَكَ يَفعَلُ ما فَعَلتَ، فَقالَ: وما فَعَلتُ؟ قالَت: إنَّكَ خَلَّفتَ امرأةً ضَعيفَةً وغُلامًا ضَعيفًا لا حِيلَةَ لَهُما بلا أنيسٍ مِن بَشَرٍ، ولا ماءٍ يَظهَرُ، ولا زَرعٍ قَد بَلَغَ، ولا ضَرعٍ يُحلَبُ، قالَ: فَرَقَّ إبراهيمُ عليه السلام ودَمَعَت عَيناهُ عِندَما سَمِعَ مِنها فَأقبَلَ حَتَّى انتَهى إلى بابِ بَيتِ الله الحَرامِ فَأخَذَ بعُضادَتَي الكَعبَةِ ثُمَّ قالَ: اللّهُمَّ ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الآية، قالَ: فَأوحَى اللهُ إلى إبراهيمَ أن اصْعَدْ أبا قُبَيسٍ

---

(١) تفسير القمّي: ١: ٦٠ـ ٦٢.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الشّرِيجُ والشّرِيجةُ: شَيءٌ يُنسَجُ مِن سَعفِ النّخلِ لِيُحمَلَ فيهِ البِطيخُ ونَحوهُ، وبابٌ يُعمَلُ مِن قَصَبٍ للدّكاكينِ.

(٣) الكافي: ٤: ٢٠٣.

(٤) هو: جبلٌ عظيمٌ يطلُّ على مكّةَ، مُشرفٌ على الصّفا، يقعُ شرقَ مكّةَ. ينظر: معجم البلدان: ١: ٨٠.

(٥) الكافي: ٤: ٢٠٥، ووسائل الشيعة: ١٣: ٢١٢، حديث رقم: ١٧٥٨٣.

فَنادِ في النَّاسِ: يا مَعشَرَ الخلائِقِ إنَّ اللهَ يَأمُرُكُم بِحَجِّ هذا البيتِ الّذي بِمَكَّةَ مُحرَّمًا مَنِ استَطاعَ إليهِ سَبيلًا فَريضَةً مِنَ اللهِ، فَمَدَّ اللهُ تعالى لإبراهِيمَ في صَوتِهِ حَتَّى أسمَعَ بِهِ المَشرِقَ والمَغرِبَ وما بَينَهُما مِن جَميعِ ما قَدَّرَ اللهُ وَقَضَى في أصلابِ الرِّجالِ مِنَ النُّطَفِ، وجَميعِ ما قَدَّرَ اللهُ وقَضَى في أرحامِ النّساءِ إلى يَومِ القِيامَةِ، فَهناكَ وَجَبَ الحَجُّ على جَميعِ الخَلائقِ، والتَّلبيَةُ مِنَ الحاجِّ في أيَّامِ الحَجِّ هيَ إجابَةٌ لِنداءِ إبراهيمَ عليه السلام يومئذٍ بالحَجِّ عَنِ الله»[1].

أقولُ: هذا الحَديثُ يَدُلُّ على أنَّ الكَعبَةَ كانَت مَعمورَةً عندَ إسكانِ إبراهيمَ عليه السلام هاجرَ وإسماعيلَ فَيَحتاجُ الى التّأويلِ.

وفي الكافي والعَيّاشي: «عَنِ الباقرِ عليه السلام: أَنَّهُ نَظَرَ الى النّاسِ يَطوفونَ حَولَ الكَعبَةِ فقالَ: هكذا كانُوا يَطوفونَ في الجاهِليَّةِ، إنَّما أُمِرُوا أن يَطوفوا بِها ثُمَّ يَنفرُوا إلينا فَيُعلِموننا ولايَتَهُم ومَوَدَّتَهُم ويَعرِضُوا علَينا نُصْرَتَهُم ثمَّ قَرَأَ هذهِ الآيَةَ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾»[2]، وزادَ في كِتابِ العَيَّاشي: «آلُ مُحمَّدٍ آلُ مُحمَّدٍ، ثُمَّ إلَينا إلَينا»[3].

وَرَوَى أبو حَمزَةَ الثّمالي قالَ: قالَ لَنا عَليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام: «أيُّ البِقاعِ أفضَلُ؟ فَقلنا: اللهُ ورَسُولُهُ وابنُ رسولِهِ أعلَمُ، فَقالَ لَنا: أفضَلُ البِقاعِ ما بَينَ الرُّكنِ والمَقامِ وهوَ الحَطيمُ، وهوَ المَوضِعُ الّذي تابَ اللهُ عَلى آدمَ وَلَو أنَّ رَجُلًا عُمِّرَ ما عَمَّرَ نوحٌ عليه السلام في قَومِهِ ألفَ سَنَةٍ إلَّا خَمسينَ عامًا يَصومُ النّهارَ ويَقومُ اللّيلَ في هذا المَقامِ ثمَّ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ بغَيرِ ولايَتِنا لَم يَنفعْهُ ذلكَ شَيئًا»[4]، وقَد ذَكرناهُ سابقًا.

---

(1) تفسير العيّاشي: ٢: ٢٣٢، حديث رقم: ٣٧.

(2) الكافي: ١: ٣٩٢، حديث رقم: ١.

(3) تفسير العيّاشي: ٢: ٢٣٤، حديث رقم: ٤٣.

(4) تفسير أبي حمزة الثّمالي: ١٣٦، حديث رقم: ٤٥، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٥، حديث رقم: ٢٣١٣.

وقَولُهُ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ آيةٌ: [٥١٤]

القراءة:

قَرَأَ ابنُ كثيرٍ: أرْنا، بإسكانِ الرّاءِ في كُلِّ القرآنِ، ووَافَقَهُ عَبدُ الله بنُ عامرٍ ويعقوبُ والسُّوسي[١] عَن أبي عَمرٍو وأبو بكرٍ عَن عاصِمٍ في حَم السَّجدَةَ[٢]: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾[٣]، وقَرَأَ أبو عَمرٍو بنُ العَلاء: أرِنا بالاختِلاسِ[٤] لِكَسرَةِ الرّاءِ مِن غَيرِ إشباعِها في كُلِّ القرآنِ، والباقونَ: بالكَسرَةِ الخالِصَةِ كَما هوَ الأصلُ[٥]، وقُرِئَ: مُسلِمِينَ بكَسرِ الميمِ على الجَميعِ بإرادَةِ أنفُسِهما وهاجرَ[٦].

الحُجَّةُ:

المُختارُ: كَسرُ الرّاءِ؛ لأنَّها كَسرَةُ الهمزَةِ في الأصلِ نُقِلَت إلى الرّاءِ؛ لأنَّ فِعلَهُ الماضي: أرَى، ومُضارِعَهُ: يُرَى، أصلُهُما: أرْءَى ويُرْءِىُ، كَأكرَمَ يُكرِمُ، نُقِلَت فَتحَةُ الهمزةِ في الماضي إلى الرّاءِ ثمَّ حُذِفَت الهمزَةُ تخفيفًا فَصارَ: أرَى، ثمَّ قُلِبَتِ الياءُ ألفًا لِتَحرُّكِها وانفِتاحِ ما قَبلَها، وفي المُضارِعِ: نُقِلَت كَسرَةُ الهمزةِ إلى الرّاءِ فَحُذِفَتِ الهمزَةُ تخفيفًا على غَيرِ قِياسٍ فيهما، وأصلُ أرِنا: أرْءِنا كَأعْطِنا، بحَذفِ لامِ الفِعلِ، فَنُقِلَت كسرَةُ الهمزَةِ إلى الرّاءِ وحُذِفَتِ الهمزَةُ لِما مَرَّ؛ ولأنَّ في إسكانِ الرّاءِ بَعدَ حَذفِ الهمزَةِ إجحافًا بالكَلِمَةِ وإبطالًا للدّلالَةِ على الهمزَةِ المَحذوفَةِ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: وهوَ أبو شُعيبٍ.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٧٠، والمبسوط في القراءات العشر: ١: ١٣٦، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٢.

(٣) سورة فصلت ٤١: ٢٩.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: وهوَ الاتيانُ بالحَرَكَةِ الخَفيفَةِ.

(٥) ينظر: معاني القراءات: ١: ١٧٨، والعنوان في القراءات السبع: ١: ٧١.

(٦) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٢، والقراءةُ للحسنِ.

وحُجَّةُ مَن أسكَنَ الرّاءَ وإن كانَت مَرذولَةً: فعَلى التّشبيهِ بِما يُسَكّنْ في نَحوِ: كَبِدٍ وفَخِذٍ، وَاشْتَرْ في اشْتَرِ، وعُصْرَ في عُصِرَ، قالَ الشاعرُ:

قالَت سُلَيمَى اشْتَرْ لَنا سَويقًا وَاشْتَرِ وعَجِّل خادِمًا لَبيقا[1]

وقالَ:

[وهَزَّتِ الرِّيحُ النَّدَى حين قَطَرْ] لَو عُصْرَ منهُ البانُ[2] والمِسكُ انْعَصَر [3]

ومُنْتَصْبًا في مُنْتَصِبًا، وأمَّا الاختِلاسُ فَلِطَلَبِ الخِفَّةِ مَعَ بَقاءِ الدَّلالَةِ على حَذفِ الهَمزَةِ.

اللغة:

الإسلامُ كَما ذَكرناهُ سابقًا عَن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام: هوَ الطَّوعُ والتّصديقُ والانقِيادُ لأمرِ الله تعالى وأوليائِهِ بالخُضُوعِ والعَمَلِ بجَميعِ ما أوجَبَ اللهُ ورَسُولُهُ بهِ مِن أحوالِ النّشأَتَينِ كَما قالَ عليه السلام في خُطبَةٍ لهُ عليه السلام: «لأَنْسِبَنَّ الإسلامَ نِسبَةً لَمْ يَنْسِبها أحَدٌ قَبلي: الإسلامُ هوَ التّسليمُ، والتّسليمُ هوَ اليَقينُ، واليَقينُ هوَ التّصديقُ، والتّصديقُ هوَ الإقرارُ، والإقرارُ هوَ الأداءُ، والأداءُ هوَ العَمَلُ»[4]، الحديثُ على ما مَرَّ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾[5]، وهذا الإسلامُ هوَ الإيمانُ بَل أخصُّ منهُ؛ لِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[6]، وقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[7].

---

(١) البيت من الرجز، للعذافر الكندي. ينظر: الخصائص: ٢: ٣٤٢، ولسان العرب: ٦: ٢٥، (بخس)، وقد جاء فيهما بلفظ: (وقالت لُبَينى).

وموطن الشاهد فيه: مجيء الراء في (اشتر) ساكنة، وحقّها الكسر.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: البانُ: شَجرٌ لِحَبِّ ثَمرِهِ دهنٌ طَيِّبٌ، وحَبٌّ نافعٌ للبَرَصِ والبَهَقِ والجرب.

(٣) البيت من الرجز، لأبي النجم العجلي. ديوانه: ١٠٣، وهو من شواهد سيبويه: ٤: ١١٤.

وموطن الشاهد فيه: مجيئ الصاد في (عصر) ساكنة، وأصلها الكسر، والشاعرُ خَفّفها.

(٤) نهج البلاغة: ٤: ٢٩، حديث رقم: ١٢٥، والمحاسن: ١: ٢٢٢، حديث رقم: ١٣٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٢٠.

(٦) سورة آل عمران ٣: ١٩.

(٧) سورة آل عمران ٣: ٨٥.

وقالَ في المجمَعِ: «الإسلامُ: هوَ الانقِيادُ لأمرِ الله تعالى بالخُضُوعِ وبالإقرارِ بجَميعِ ما أوجَبَ اللهُ تعالى، وهوَ والإيمانُ واحِدٌ عِندَنا وعِندَ المُعتزِلَةِ، ومِنَ النّاسِ مَن قالَ بينَهُما فَرقٌ ويُبطِلُهُ قَولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[1]، و﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]»[3]، انتهى كَلامُهُ أعلى اللهُ مَقامَهُ، وقَد أوضَحنا ذلكَ في رِسالَتِنا الموضوعَةِ لِنَجاسَةِ النّواصِبِ مِن أهلِ الخِلافِ.

والمَناسِكِ هُنا: المُتعَبَّداتُ، وقالَ الزّجّاجُ: «كُلُّ مُتعَبَّدٍ مَنسَكٌ»[4]، والنُّسْكُ والنُّسُكُ في اللّغةِ: الطّاعَةُ والعبادَةُ وكُلُّ ما يُتَقَرَّبُ بهِ إلى الله تعالى، قالَ اللهُ تعالى حِكايَةً عَن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]، ورَجُلٌ ناسِكٌ عابِدٌ، وقَد نَسَكَ نسكًا، والنَّسَكُ والنَّسيكَةُ: الذّبيحَةُ، والجَمعُ: النُّسُكُ والنَّسائِكُ، والمَنسِكُ: المَوضِعُ الّذي يُذْبَحُ فيهِ النَّسائِكُ، والمَنسَكُ هوَ النُّسُكُ نَفسُهُ، قالَ تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾[6] فالمناسِكُ جَمعُ مَنْسَكٍ بفَتحِ السّينِ وكَسرِها وهوَ المُتَعَبَّدُ، ويَقَعُ على المَصدَرِ والزّمانِ والمَكانِ ثُمَّ سُمِّيَت أعمالُ الحَجِّ كُلُّها مَناسِكَ.

و«سُئِلَ ثَعلَبٌ عَنِ النّاسِكِ ما هوَ؟ فَقالَ: هوَ مَأخوذٌ مِنَ النَّسيكَةِ، وهيَ: سَبيكَةُ الفِضَّةِ المُصفَّاةِ كَأَنَّهُ صَفَّى نَفسَهُ لله تعالى»[7]، كَما قالَ إبراهيمُ عليه السلام: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآيَةَ، وقالَ ابنُ دُرَيدٍ: «النُّسُكُ أصلُهُ الذّبائِحُ، كانَت تُذبَحُ في الجاهِليَّةِ، والنَّسيكَةُ: شاةٌ كانُوا يَذبَحُونَها في الحَرَمِ في الإسلامِ ثُمَّ نُسِخَ ذلكَ بالأضاحِيِّ»[8]، وقالَ الأعشى:

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٩.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٨٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٩١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢٠٩.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٦٢.

(٦) سورة الحج ٢٢: ٣٤.

(٧) لسان العرب: ١٠: ٤٩٩، (نسك)، وعمدة القاري: ٣: ٢٧٣.

(٨) جمهرة اللغة: ٢: ٨٥٦.

وَذا النُّصُبِ المَنصوبَ لا تَنْسِكَنَّهُ ولا تَعْبُدِ الشّيطانَ واللهَ فَاعْبُدا [1]

وقالَ أبو عَليٍّ الفَسَوِيُّ: «المَناسِكُ: جَمعُ مَنسَكٍ، وهوَ المَصدَرُ جُمِعَ لاختِلافِ ضُرُوبِهِ»[2]، انتهى.

يَعنِي: إنَّ المصدَرَ لا يُجمَعُ إلَّا أن يُقصَدَ الأنواعُ كَما ذكرناها، وقَد مَرَّ مَعنى التّوبَةِ لغَةً.

الإعراب:

(رَبَّنا): مُنادَى مُضافٌ حُذِفَ منهُ حَرفُهُ، و(اجعَلنا مُسلِمَينِ) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمَفعولَينِ: مَقولٌ لِـ(قالا)، أو يَقولانِ مُقَدَّرًا كَما مَرَّ، و(لَكَ): مُتَعَلِّقٌ بمُسلِمَينِ، و(مِن) للتَّبعيضِ أو للتّبيينِ كَما في قولِهِ تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾[3]، و(ذُرِّيَّتنا): مفعولٌ أوّلُ (اجعَلْ) مَحذوفًا، و(أُمَّةً): مَفعولُهُ الثّاني، أي: واجعَل بَعضَ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً، و(مُسلِمَةً): صِفَةُ (أُمَّةً)، و(لَكَ): مُتَعَلِّقٌ بـ(مُسلِمَةً)، وَ(أرِنا): يَجوزُ أن يكونَ مِن رُؤيَةِ البَصَرِ في مِثلِ: رَأيتُ زَيدًا: إذا أبصرتَهُ، فيَتَعدَّى بدونِ الهمزَةِ إلى مَفعولٍ واحدٍ، ومَعَها إلى اثنَينِ، أي: أَبْصِرْنا أو بَصِّرْنا مَناسِكَنا، وأن يَكونَ مِنَ الرّأيِ في قَولِهم: فُلانٌ يَرَى رَأيَ الخَوارِجِ، كَقَولِ الشّاعِرِ: [٥١٥]

أرِينِي جَوادًا ماتَ هَزْلًا لَعَلَّني أرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلًا مُخَلَّدًا [4]

أي: أعْرِفْنا أو عَرِّفْنا مَناسِكَنا، ولَمْ يُرِدْ رُؤيَةَ العَينِ ولا الرُّؤيَةَ القَلبيَّةَ ولا الحُلُميَّةَ، وعلى التّقديرَينِ: (نا): مَفعولُهُ الأوَّلُ، و(مَناسِكَنا): مَفعولُهُ الثّاني عَلى حَذفِ المُضافِ أو بِدونِهِ، أي: بَصِّرْنا وعَلِّمْنا مَواضِعَ أعمالِنا وأفعالِنا، أو أعمالَ حَجِّنا، وعَلِّمْناها وعَرِّفْناها وَعَرِّفْنا مَحالَّها، والباقِي: واضِحٌ على ما مَرَّ.

---

(١) البيت من الطويل. ديوانه: ١٣٧، وقد جاء بلفظ: (ولا تعبُد الأوثان)، وينظر: العين: ٣: ١٥٢،(سبح).

(٢) الحجة للقرّاء السبعة: ٢: ٢٢٤، وهو: أبو علي الفارسيّ النّحويّ.

(٣) سورة النور ٢٤: ٥٥.

(٤) البيت من الطويل، من شعر حطائط. ينظر: الشعر والشعراء: ١: ٢٤٩، وخزانة الأدب: ١: ٣٨٩.

وموطن الشاهد: قوله: أرى ما تَرَيْنَ.

المعنى:

ثُمَّ حَكَى اللهُ سبحانَهُ تَتِمَّةَ دُعائِهِما بقَولِهِ: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾**، أي: قالا أو يَقولان: يا رَبَّنا وَاجعَلْنا مُسلِمَينِ مُنقَادَينِ خاضِعَينِ مُوَحِّدَينِ مُخْلَصَينِ لا نَعبُدُ إلَّا إيَّاكَ ولا نَدعُو رَبًّا سِواكَ، قائِمَينِ لَكَ بجَميعِ شَرائِعِ الإسلامِ عامِلَينِ لَكَ على ما أمَرتَنا بهِ في مُستَقبلِ عُمُرِنا كَما جَعلتَنا مُسلِمَينِ لَكَ فيما مَضَى مِنهُ بأن تُوَفِّقَنا وتَلْطُفُ بِنا بألطافِكَ الّتي تَدعونا إلى الثَّباتِ عَلى الإسلامِ كَالبُنيانِ المَرصوصِ، وتُؤَدِّبَنا بآدابِكَ، وَزِدْنا إخلاصًا وإذعانًا وثَباتًا عَلى ما أمَرتَنا بِهِ دائِمًا.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، أي: اجعَل بعضَ ذُرِّيَّتِنا وأولادِنا أُمَّةً مُسلِمَةً مُطيعَةً ومُنقادَةً مُوحّدَةً مُخلِصَةً لا يَعبُدونَ إلَّا إيّاكَ، وإنَّما خَصَّا الأولادَ والذُّرِّيَّةَ بالدّعاءِ؛ لأنَّهُم أحَقُّ بالعَطوفَةِ والشَّفَقَةِ؛ ولأنَّهُم إذا صَلَحُوا صَلَحَ أتباعُهُم مِنَ النّاسِ، وإنَّما خَصَّا بعضَهُم لِما أُعلِما أنَّ في ذُرِّيَّتِهِما ظَلَمَةً لا يَنالُهُم عَهدُهُ سبحانَهُ؛ لارتِكابِهِم الظّلمَ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ وعَنِيَ بقَولِهِ: **﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾**: أُمةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بدَلالَةِ قَولِهِ في الآيةِ الآتِيَةِ: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾[1]، ورُوِيَ عَنِ الصّادقِ عليه السلام: «أنَّ المرادَ بالأُمَّةِ بَنو هَاشِمٍ خاصّة»[2].

وَالعَيّاشي: عَن أبي عَمرٍو الزُّبَيريِّ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: قُلتُ: أخبِرني عَن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَن هُم؟ قالَ: «أُمَّةُ مُحمَّدٍ بَنو هاشِمٍ خاصّةً، قُلتُ: فَما الحُجَّةُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أنَّهُم أهلُ بَيتِهِ الّذينَ ذَكَرتَ دونَ غَيرِهِم؟ قالَ: قَولُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فَلَمّا أجابَ اللهُ إبراهيمَ وإسماعِيلَ وجَعَلَ مِن ذُرِّيَّتِهِما أُمَّةً مُسلمَةً، وبَعَثَ فيها رَسُولًا مِنها، يَعني مِن تلكَ الأُمَّةِ يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمَهُم الكِتابَ والحِكمَةَ، وَرَدَفَ إبراهيمُ دَعوَتَهُ الأُولَى بدَعوَتِهِ الأُخرَى فَسأَلَ لَهُم تَطهيرًا مِنَ

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٢: ٨٧.

الشّركِ ومِن عِبادَةِ الأصنامِ لِيَصحَّ أمرُهُ فيهِم ولا يَتَّبِعُوا غيرَهُم فقالَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، فهذهِ دلالَةٌ[2] أنَّهُ لا تكونُ الأئمَّةُ والأُمَّةُ المُسلمَةُ الّتي بُعِثَ فيها مُحَمَّدٌ ﷺ إلّا مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عليه السلام لِقَولِهِ تعالى: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾[3].

وفي الكافي: بإسنادِهِ إلى أبي عَمرٍو الزُّبَيريِّ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ يقولُ فيهِ: «ثمَّ ذَكَرَ مَن أذِنَ لهُ في الدُّعاءِ إليهِ بَعدَهُ وبَعدَ رَسُولِهِ في كِتابِهِ فَقالَ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4]، ثمَّ أخبَرَ اللهُ عَنِ الأُمَّةِ، ومَنْ هيَ؟ وأنّها مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ، ومِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ مِن سُكّانِ الحَرَمِ ممَّن لَمْ يَعبُدوا غيرَ الله قطُّ، الّذينَ وَجَبَت لَهُم الدَّعوَةُ، دعوَةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ مِن أهلِ المَسجِدِ الّذينَ أخبَرَ اللهُ عَنهُم في كِتابِهِ الّذينَ أذهَبَ اللهُ عَنهُم الرِّجسَ وطَهَّرَهُم تَطهِيرًا»[5].

قولُهُ: ﴿**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**﴾، أي: عَرِّفنا مَواضِعَ نُسُكِنا ومَواقِفَ أعمالِ حَجِّنا، وعَلِّمنا ما يَجِبُ علينا مِن عِباداتِنا وأعمالِنا أنفُسِها لِنفعَلَهُ على حَدِّ ما عَرَّفتَناهُ مِن غَيرِ زِيادَةٍ ولا نُقصانٍ ولا اختِراعٍ مِن عِندِ أنفُسِنا، وَنقولُ[6]: سَمعًا وطاعَةً ولا نَقولُ كَما يقولُ المُلحِدونَ والجاحِدونَ مِمَّا نُشيرُ إليهِ في المَقالِ الآتي آنِفًا إن شاءَ اللهُ، فَأراهُما اللهُ مَناسِكَهُما مِنَ الطّوافِ بالبَيتِ، والسّعي بَينَ الصَّفا والمَروَةَ، والوُقوفِ بعَرفاتٍ، والإفاضَةِ مِنها، والوُقوفِ بالمَشعَرِ، والنُّزولِ بمِنى، والرَّمي والذَّبحِ والحَلقِ وَغيرِ ذلكَ، وقَولُهُ تعالى: ﴿**وَتُبْ عَلَيْنَا**﴾، أي: وَقالا هذهِ الكَلمَةِ على وَجهِ التّسبيحِ والتّعبُّدِ

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٣٥، ٣٦.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: دليلٌ وحجّةٌ.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٦٠، ٦١، حديث رقم: ١٠١.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٠٤.

(٥) الكافي: ٥: ١٤، حديث رقم: ١.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: عطفٌ على قولِهِ: نفعلُهُ.

والتّخَضُّعِ والتّخَشُّعِ والانقِطاعِ إلى اللهِ تعالى، والتّعليمِ لِلعِبادِ؛ لِيقتَدِي بِهِما النّاسُ، أو المَعنى: ارجِع عَلَينا بالمَغفِرَةِ والرّحمَةِ والرّضوانِ، فَلَيسَ فيها دَلالَةٌ عَلى جَوازِ اقتِرافِ الذَّنبِ عَليهِم مِنَ الصّغائِرِ، وارتِكابِ القَبيحِ مِنهُم؛ لأنَّ الدّلائِلَ القاطِعَةَ والبَراهينَ السّاطعَةَ مِن جِهَةِ العَقلِ والنّقلِ قَد دَلَّت على أنَّ الأنبياءَ والأئمَّةَ عليهم السلام مَعصومونَ مُنَزَّهونَ عَنِ الصَّغائِرِ والكَبائِرِ، **﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾**، أي: القابِلُ للتَّوبةِ مِنَ الذّنوبِ العِظامِ، والكَثيرُ القَبولِ لَها مَرَّةً بَعدَ أُخرى، **﴿الرَّحِيمُ﴾** لِمَن تابَ، الرَّؤوفُ بِعِبادِهِ المُنعِمُ عَليهِم بالنِّعَمِ العِظامِ وتكفيرِ الذُّنوبِ والآثامِ. [٥١٦]

و(في هذهِ الآيةِ دلالَةٌ عَلى أنَّهُ يَحسُنُ الدُّعاءُ بِما يَعلَمُ الدّاعِي أنَّهُ يكونُ لا مَحالَةَ؛ لأنَّهُما كانَا عالمينِ بأنَّهُما لا يُقارِفانِ الذُّنوبَ والآثامَ ولا يُفارِقانِ الدّينَ والإسلامَ)[١]، نَصَّ عَليهِ في المجمَعِ، يُقارِفانِ الأوَّلُ بتَقديمِ القافِ على الفاءِ والثّاني بالعَكسِ.

ذِكرُ مَقالٍ لِتَفضيحِ حالِ المَلاحِدَةِ ومَن يَحذو حَذْوَهُم:

في كِتابِ مَن لا يَحضُرُهُ الفَقيهُ: (ورُوِيَ عَن عِيسى بنِ يُونُس[٢] قالَ: كانَ ابنُ أبي العَوجاء[٣] مِن تَلامِذَةِ الحَسَنِ البَصري فَانحَرَفَ عِنِ التَّوحيدِ فَقيلَ لهُ: تَرَكتَ مَذهَبَ صاحِبِكَ ودَخَلتَ فيما لا أصلَ لَهُ ولا حَقيقَةَ، فَقالَ: إنَّ صاحِبِي كانَ مُخَلِّطًا، كانَ يقولُ طَورًا[٤] بالقَدَرِ، وطَورًا بالجَبرِ، وَما أعْلَمُهُ اعتَقَدَ مَذهَبًا دامَ عَليهِ، قالَ: وَدَخَلَ مَكَّةَ تَمَرُّدًا وإنكارًا عَلى مَن يَحُجُّ، وكانَ يَكرَهُ العُلَماءُ

(١) مجمع البيان: ١: ٣٩٣.

(٢) من أصحابِ الصّادقِ والكاظمِ عليهما السلام، روى عنه سليمان بن داود المنقري، ومحمد بن عمرو بن محمد، وحماد بن عثمان، له كتاب، توفي سنة (١٨٧هـ). ينظر: معالم العلماء: ١٢٢، ترجمة رقم: ٥٩٩، ونقد الرجال: ٣: ٣٩٧، ترجمة رقم: ٤٠٦٦.

(٣) هو: عبد الكريم بن أبي العوجاء: أحد زنادقة عصر الإمام الصادق عليه السلام، من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد، أكثر الوضع في الحديث الشريف حتى قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام، قتله أمير البصرة. ينظر: منتهى المقال في أحوال الرجال: ١: ١٤، والكنى والألقاب: ١: ٢٠١.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: تارة.

مُساءَلَتَهُ إيَّاهُم ومُجالَسَتَهُ لَهُم؛ لِخُبثِ لِسانِهِ وفَسادِ ضَميرِهِ فَأَتى جَعفرَ بنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَجَلَسَ إليهِ في جَماعَةٍ مِن نُظرائِهِ ثمَّ قالَ لَهُ: إنَّ المجالسَ أماناتٌ ولا بُدَّ لِكُلِّ مَن كانَ بِهِ سُعالٌ أن يَسعُلَ، أفَتَأذَن لي في الكَلامِ؟ فَقالَ: تَكَلَّمْ، فَقالَ: إلى كَمْ تَدوسونَ هذا البَيدَرَ[1]، وتَلوذونَ بهذا الحَجَرِ، وتَعبُدونَ هذا البَيتَ المرفوعَ بالطُّوبِ[2] والمَدَرِ[3]، وتُهَروِلونَ حَولَهُ هَروَلَةَ البَعيرِ إذا نَفَرَ؟ مَن فَكَّرَ في هذا أو قَدَّرَ عَلِمَ أنَّ هذا فِعلٌ أَسَّسَهُ غَيرُ حَكيمٍ ولا ذي نَظَرٍ، فَقُلْ فَإنَّكَ رَأسُ هذا الأمرِ وسَنامُهُ، وأبوكَ أُسُّهُ ونِظامُهُ، فَقالَ أبو عَبدِ الله عليه السلام: «إنَّ مَن أَضَلَّهُ اللهُ[4] وأعمَى قَلبَهُ استَوخَمَ[5] الحَقَّ فَلَمْ يَستَعذِبْهُ، وصارَ الشّيطانُ وَلِيَّهُ يُورِدُهُ مَناهِلَ الهَلَكَةِ[6] ثمَّ لا يُصدِرُهُ[7]، وهذا بَيتٌ استَعبَدَ اللهُ بِهِ خَلقَهُ لِيَختَبِرَ طاعَتَهُم في إتيانِهِ فَحَثَّهُم على تَعظيمِهِ وزِيارَتِهِ، وجَعَلَهُ مَحَلَّ أنبيائِهِ وقِبلَةً للمُصلِّينَ لهُ، فَهوَ شُعبَةٌ مِن رِضوانِهِ، وطَريقٌ يُؤدِّي إلى غُفرانِهِ، مَنصوبٌ عَلى استِواءِ الكَمالِ ومُجتَمَعُ العَظَمَةِ والجَلالِ، خَلَقَهُ اللهُ قَبلَ دَحوِ الأرضِ بِأَلفَي عامٍ، وَأحَقُّ مَن أُطيعَ فيما أمَرَ، وانتَهى عَمَّا نَهى عَنهُ وزَجَرَ، اللهُ المُنشِئُ لِلأرواحِ بالصُّوَرِ[8]، فَقالَ ابنُ أبي العَوجاء: ذَكرتَ يا أبا عَبدِ الله فَأَحَلْتَ على غائِبٍ، فَقالَ أبو عَبدِ الله: وَيلَكَ، وكَيفَ يَكونُ غائِبًا مَنْ هوَ مَعَ خَلقِهِ شاهِدٌ وإليهِم أقرَبُ مِن حَبلِ الوَريدِ؟ يَسمَعُ كَلامَهُم، ويَرَى أشخاصَهُم، ويَعلَمُ أسرارَهُم، وإنَّما المَخلوقُ الّذي إذا انتَقَلَ عَن مَكانٍ اشتَغَلَ بِهِ

(١) ومنه في حاشية الأصل: البَيدَرُ: مأخوذٌ مِنَ المَوضِعِ الّذي يُداسُ فيهِ الطّعام. [القاموس المحيط: ٣: ٣٠، (رفع)].

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الطُّوبُ: الآجُرُ بلُغَةِ أهلِ مِصرَ. [الصِّحاح: ١: ١٧٣،(طيب)].

(٣) هو: قطعُ الطّينِ اليابسِ. القاموس المحيط: ٢: ١٣١، (مدر).

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: وَجَدَهُ ضالٌّ كَما بَيَّنّاه في الشّرحِ.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: الوّخمُ: كَكَتفٌ وأميرٌ وصَبورٌ: الرّجُلُ الثّقيلُ[القاموس المحيط: ١: ٨٩،(عهب)]، وطَعامٌ وَخيمٌ: غَيرُ مُوافِقٍ، وقَد وَخَمَ كَكَرَمَ، واستَوخَمَ: لَم يَستَمرأهُ، [أي: وجدهُ ثقيلًا].

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: مواضعُ الهلكَةِ.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا يُرجِعَهُ إلى الحَقِّ.

(٨) ومنه في حاشية الأصل: إشارةٌ إلى مَن أنكَرَ ذلكَ، فَلَيسَ صُورَتُهُ انسانيّةٌ، بَل هوَ مَحَضُ البَهائِمِ، بَل هوَ أضَلُّ.

مَكانٌ وخَلا منهُ مَكانٌ، فَلا يَدرِي في المَكانِ الّذي صارَ إليهِ ما حَدَثَ في المَكانِ الّذي كانَ فيهِ، فَأمَّا اللهُ العَظيمُ الشّأنِ المَلِكُ الدّيّانُ فَإنَّهُ لا يَخلو مِنهُ مَكانٌ ولا يَشتَغِلُ بهِ مَكانٌ، ولا يَكونُ إلى مَكانٍ أقرَبُ منهُ إلى مَكانٍ، والّذي بَعَثَهُ بالآياتِ المُحكمَةِ والبَراهينِ الواضِحَةِ، وأيَّدَهُ بنَصرِهِ، واختارَهُ لِتَبليغِ رِسالاتِهِ، صَدَّقنا قَولَهُ بأنَّ رَبَّهُ بَعَثَهُ وكَلَّمَهُ»، فَقامَ عَنهُ ابنُ أبي العَوجاء فَقالَ لأصحابِهِ: مَن ألقانِي في بَحرِ هذا؟ سَألتُكُم أن تَلتَمِسُوا لِيَ خُمْرَةً[1] فَألقَيتمونِي عَلى جَمرَةٍ، قالُوا: ما كُنتَ في مَجلِسِهِ إلّا حَقيرًا، قالَ: إنَّهُ ابنُ مَن حَلَقَ[2] رُؤوسَ مَن تَرونَ»[3]، وقالَ الصّادقُ عليه السلام في خَبرٍ آخَرَ يَذكُرُ فيهِ الإسلامَ والإيمانَ: «وَلَو أنَّ رَجُلًا دَخَلَ الكَعبَةَ فَبالَ فيها مُعانِدًا أُخرِجُهُ مِنَ الكَعبَةِ ومِنَ الحَرَمِ وَضَرَبتُ عُنُقَهُ»[4].

وَرُوِيَ عَن سعيدِ بنِ عَبدِ اللهِ الأعرَجِ[5]: عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام: «أنَّ قُريشًا في الجاهِليَّةِ هَدَموا البَيتَ فَلَمّا أرادُوا بِناءَهُ حِيلَ بَينَهُ وبَينَهُم بِخُروجِ حَيَّةٍ عَظيمَةٍ وأُلقِيَ في رَوعِهِم الرُّعبُ[6] حَتَّى قالَ قائلٌ: لِيَأتِ كُلُّ رَجُلٍ مِنكُم بأَطيَبِ مالِهِ ولا تَأتُوا بمالٍ اكتَسَبتُموهُ مِن قَطيعَةِ رَحِمٍ أو حَرامٍ، فَفَعَلوا فَخُلِّيَ بَينَهُم وبَينَ بِنائِهِ فَبَنوهُ حَتَّى انتَهَوا إلى مَوضِعِ الحَجَرِ الأسوَدِ فَتَشاجَرُوا[7] فيهِ أيُّهُم يَضَعُ الحَجَرَ في

(١) ومنه في حاشية الأصل: الخَمرَةُ بالفَتحِ والضَّمِّ: سجّادةٌ صَغيرَةٌ تُعمَلُ مِن لِيفِ النَّخلِ، وهيَ استِعارَةٌ للأمرِ السّهلِ المأخَذِ والرِّفقِ، والجَمرَةُ بالجيم: القِطعَةُ مِنَ النّارِ، وهي استِعارَةٌ لما فيهِ تَعَبٌ ومَشَقّةٌ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: إشارةٌ الى النّبيِّ صلى الله عليه وآله حيثُ أمَرَ النّاسَ بحَلقِ رُؤوسِهم لِقولِهِ تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ [سورة الفتح ٤٨: ٢٦]، يعني: يومَ النّحرِ.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٩ـ ٢٥١، حديث رقم: ٢٣٢٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٥١، حديث رقم: ٢٣٢٦.

(٥) هو: سعيد بن عبد الرحمن السَّمّان، أبو عبد الله التّيمي: مولاهم، كوفي، ثقة، رَوى عن أبي عبد الله عليه السلام، ورَوَى عنه صفوان، له أصل. ينظر: رجال ابن داود: ١٠٣، ترجمة رقم: ٦٩١، ونقد الرجال: ٢: ٣٢٣، ترجمة رقم: ٢٢٥٩.

(٦) الرّوعُ: القلبُ، والرُّعبُ بالضّمِّ: الخوفُ. [القاموس المحيط: ٣: ٣٢،(روع)].

(٧) ومنه في حاشية الأصل: التّشاجُرُ: التّنازعُ.

مَوضِعِهِ حَتَّى كادَ أن يكونَ بَينَهُم شَرٌّ، فَحَكَّمُوا أوَّلَ مَن يَدخُل بابَ المَسجِدِ، فَدَخَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ فلَمّا أتاهُم أمَرَ بثَوبٍ فَبُسِطَ، ثمَّ وَضَعَ الحَجَرَ في وَسَطِهِ، ثمَّ أخَذَتِ القَبائِلُ بجَوانِبِ الثَّوبِ فَرَفَعُوهُ، ثمَّ تَناوَلَهُ عليه السلام فَوَضَعَهُ في مَوضِعِهِ، فَخَصَّهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِهِ»[1]. [٥١٧]

وَرُوِيَ «أنَّ الحَجّاجَ لَمّا فَرِغَ مِن بِناءِ الكَعبَةِ سَأَلَ عَلِيَّ بنَ الحُسينِ عليهما السلام أن يَضَعَ الحَجَرَ في مَوضِعِهِ فَأَخَذَهُ ووَضَعَهُ في مَوضِعِهِ»[2]، «وما أرادَ الكَعبَةَ أحدٌ بسوءٍ إلّا غَضِبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَها، ونَوَى يومًا تُبَّعٌ[3] المَلِكُ أن يَقتُلَ مقاتلَةَ أهلِ الكَعبَةِ ويَسبِي ذُرِّيَّتَهُم ثُمَّ يَهدِمَ الكَعبَةَ، فَسالَت عَيناهُ حَتَّى وَقَعَتا عَلى خَدَّيهِ، فَسَأَلَ عَن ذلكَ، فَقالوا: ما نَرَى أنَّهُ أصابَكَ إلّا بِما نَوَيتَ في هذا البَيتِ؛ لأنَّ البَلَدَ حَرَمُ اللهِ، والبَيتَ بَيتُ اللهِ، وسُكّانَ مَكَّةَ ذُرِّيَّةُ إبراهيمَ خَليلِ اللهِ، فَقالَ: صَدَقتُم، فَما مَخرَجي مِمّا وَقَعتُ فيهِ؟ قالُوا: تُحَدِّثُ نَفسَكَ بغَيرِ ذلكَ، فَحَدَّثَ نَفسَهُ بخَيرٍ فَرَجَعَت حَدَقَتاهُ حَتَّى ثَبَتَتا في مَكانِهِما، فَدَعا القَومَ الّذينَ أشارُوا عَلَيهِ بهَدمِهِ فَقَتَلَهُم ثمَّ أتَى البَيتَ فَكَساهُ الأنطاعَ[4]، وأطعَمَ الطّعامَ ثَلاثينَ يَومًا، كُلَّ يومٍ مائَةَ جَزورٍ حَتَّى حُمِلَتِ الجِفانُ[5] إلى السّباعِ في رُؤوسِ الجِبالِ، ونُثِرَتِ الأعلافُ للوَحشِ، ثمَّ انصَرَفَ مِن مَكَّةَ إلى المدينَةِ فَأنزَلَ بها قَومًا مِن أهلِ اليَمَنِ مِن غَسّان وهُم الأنصارُ»[6].

وَرُوِيَ: «أنَّهُ ذُبِحَ لهُ سِتَّةُ آلافِ بَقَرَةٍ بشُعَبِ ابنِ عامرٍ وكانَ يُقالُ لها مَطابِخُ[7] تُبَّعٍ حَتَّى نَزَلَها ابنُ عامرٍ فَأُضِيفَت إليهِ فَقيلَ: شُعَبُ ابنُ عامرٍ، ولَم يَكنْ تُبَّعُ مُؤمنًا ولا كافرًا ولكنَّهُ كانَ مِمَّن يَطلُبُ

(١) الكافي: ٤: ٢١٧، حديث رقم: ٣، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٧، حديث رقم: ٢٣٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٧، حديث رقم: ٢٣٢١.

(٣) التَّبابعُ: مُلوكُ اليَمَنِ، الواحدُ: تُبَّع. [القاموس المحيط: ٣: ٨،(تبع)].

(٤) ومنه في حاشية الأصل: جمعُ نَطعٍ: جلدُ البقرةِ، وهي بالفارسيّة: بلقاء.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: الجِفانُ بالكسرِ: جمعُ جِفنة: وهيَ القصعَةُ.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٨، حديث رقم: ٢٣٢٤.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: أوَّلَ مرّةٍ، قبلَ أن يُقالَ لها: شِعبُ ابنُ عامرٍ.

الدِّينَ الحنيفَ ولَمْ يَملِكِ المَشرِقَ إلّا تُبّعٌ وكِسرَى[1]، وقَصَدَهُ أصحابُ الفِيلِ ومَلِكُهُم أبو يَكسوم أبرَهَةُ بنُ الصّباحِ الحِمْيَرِيّ لِيَهدِمَهُ فَأَرسَلَ اللهُ عَليهِم طَيرًا أبابيلَ تَرميهِم بحِجارَةٍ مِن سِجّيلٍ فَجَعَلَهُم كَعَصفٍ مَأكُولٍ؛ وإنَّما لَمْ يجرِ عَلى الحَجّاجِ ما جَرَى عَلى تُبّعٍ وأصحابِ الفِيلِ، لأنَّ قَصدَ الحَجّاجِ لَم يكنْ إلى هَدمِ الكَعبَةِ، إنَّما كانَ قَصدُهُ إلى ابنِ الزُّبَيرِ، وكانَ ضِدًّا لِصاحبِ الحَقِّ، فَلَمّا استَجارَ بالكَعبَةِ أرادَ اللهُ أن يُبيِّنَ للنّاسِ أنَّهُ لَم يُجِرهُ فَأمهَلَ مَنْ هَدَمَها عَليهِ[2].

ادراكُ أبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام أبا عَبدِ الله الحُسينِ عليه السلام:

وقالَ زُرارةُ بنُ أعين لأبي جَعفرٍ الباقرِ عليه السلام: قَد أدركتَ الحُسينَ عليه السلام، قالَ: «نَعَم، أذكُرُ وأنا مَعَهُ في المَسجِدِ الحَرامِ وقَد دَخَلَ السّيلُ والنّاسُ يَقومونَ عَلى المَقامِ يَخرُجُ الخارِجُ يَقولُ: قَد ذَهَبَ بهِ السَّيلُ، ويَدخُلُ الدّاخِلُ فَيقولُ: هوَ مَكانُهُ، قالَ: فَقالَ: يا فُلانُ ما يَصنَعُ هؤلاءِ؟ قُلتُ: أصلَحَكَ اللهُ يَخافونَ أن يكونَ السّيلُ قَد ذَهَبَ بالمَقامِ، قالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَهُ عَلَمًا لَم يكنْ لِيذهَبَ بهِ فَاستَقَرُّوا[3]، وكانَ مَوضِعُ المَقامِ الّذي وَضَعَهُ إبراهيمُ عليه السلام عِندَ جِدارِ البَيتِ فَلَمْ يَزَل هناكَ حَتَّى حَوَّلَهُ أهلُ الجاهليَّةِ إلى المكانِ الّذي هوَ فيهِ اليَومَ، فَلَمّا فَتَحَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله مَكَّةَ رَدَّهُ إلى المَوضِعِ الّذي وَضَعَهُ إبراهيمُ عليه السلام، فَلَمْ يَزلْ هناكَ إلى أن وُلِّيَ عُمَرُ، فَسأَلَ النّاسَ مَن مِنكُم يَعرفُ المكانَ الّذي كانَ فيهِ المَقامُ؟ فَقالَ لهُ رَجُلٌ: أنا قَد كُنتُ أخذتُ مِقدارَهُ بِنَسعٍ فهوَ عِندِي، فَقالَ: ائتِني بِهِ فَأتاهُ فَقاسَهُ، ثمَّ رَدَّهُ إلى ذلكَ المكانِ»[4]، (ورُوِيَ أنَّهُ قُتِلَ الحُسينُ بنُ عَليٍّ عليهما السلام ولأبي جَعفَرٍ الباقرِ عليه السلام أربعُ سِنينَ)[5].

---

(١) كسرى، بفتحِ الكافِ وكسرِها: ملكُ الفرسِ مُعرّبُ خِسرو، أي: واسعُ الملكِ. [القاموس المحيط: ٢: ١٢٧،(كسر)].

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٩، حديث رقم: ٢٣٢٤.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: قَرَّ النّاسُ ولَم يَفزَعوا.

(٤) الكافي: ٤: ٢٢٣، حديث رقم: ٢، والوافي: ١٢: ٦٣، ٦٤، حديث رقم: ١١٥٠٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٤، حديث رقم: ٢٣٠٩، والوافي: ١٢: ٦٤، حديث رقم: ١١٥١٠.

شِكايَةُ الكَعبَةِ:

وَرُوِيَ «أنَّ الكَعبَةَ شَكَت إلى الله عَزَّ وجَلَّ في الفَترَةِ بينَ عِيسى ومُحمَّدٍ صَلواتُ الله عَليهِما فَقالَت: يا رَبِّ مالي قَلَّ زُوّارِي، مالي قَلَّ عُوّادي؟ فَأَوحَى اللهُ جَلَّ جَلالُهُ إليها أنِّي مُنزِلٌ نُورًا[1] جَديدًا على قَومٍ يَحنُّونَ[2] إليكِ كَما تَحِنُّ الأنعامُ إلى أولادِها، ويَزِفُّونَ[3] إليكِ كَما تُزَفُّ النِّسوانُ إلى أزواجِها، يَعنِي أُمَّةَ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله»[4].

وَرَوَى حريزٌ[5] عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «وُجِدَ في حَجَرٍ: إنِّي أنا اللهُ ذُو بَكَّةَ صَنَعتُها يومَ خَلقتُ السّماواتِ والأرضَ ويومَ خَلَقتُ الشّمسَ والقَمَرَ وَحَفَفْتُها بِسَبعَةِ أملاكٍ حَفيفًا مُبارَكًا لأهلِها في الماءِ واللَّبَنِ يَأتِيها رِزقُها مِن ثَلاثَةِ سُبُلٍ مِن أعلاهَا وأسفَلِها والثَّنِيَّةِ[6]»[7]، ورُوِيَ أنَّهُ في حَجَرٍ آخرَ مَكتوبٌ: «هذا بَيتُ الله الحرامُ بِمَكَّةَ تَكَفَّلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِرزقِ أهلِها مِن ثَلاثَةِ سُبُلٍ مُبارَكٌ لَهُم في اللَّحمِ والماءِ»[8].

عَليُّ بنُ إبراهيمَ: بإسنادِهِ إلى أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ قُرَيشًا لَمَّا هَدَمُوا الكَعبَةَ وَجَدوا في قَواعِدِهِ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: كِنايَةً عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: يَميلونَ ويَعشَقونَ ويُحِبُّونَ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: يُسرِعونَ.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٤، حديث رقم: ٢٣١٠.

(٥) هو: أبو مُحمّد بنَ عبدِ الله السّجستانيّ الأزديّ: كوفيّ، ثقة، له كتب، منها: كتابُ الصّلاةِ، كتابُ الزّكاةِ، كتابُ الصّومِ، وكتابُ النوادر، وتعدُّ كلّها في الأصولِ، روى عن الإمامينِ الصّادقِ والكاظمِ عليهما السلام، أخبرَ بجميعِ كتبهِ الشّيخُ المفيد. ينظر: رجال النجاشي: ١٤٤، ترجمة رقم: ٣٧٥، وفهرست الشيخ الطوسي: ١١٨، ترجمة رقم: ٢٤٩.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أعلاها جانبُ الشّمالِ، أعني: الأبطَحُ، والأسفلُ: مُقابِلُهُ، وهوَ طَريقُ اليَمانيّين، والثَّنِيَّةُ: طَريقُ المَدنيّينَ، وهيَ العَقَبةُ.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٥، حديث رقم: ٢٣١١.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٥، حديث رقم: ٢٣١٢.

حَجَرًا فيهِ كِتابٌ لَمْ يُحسِنُوا قِراءَتَهُ حَتَّى دَعَوا رَجُلًا فَقَرَأَهُ فإذا فيهِ: أنا اللهُ ذُو بَكَّةَ»[1] إلى آخِرِهِ.

استِئذانُ النَّبيِّ ﷺ اللهَ سبحانهُ:

وَرَوَى كُليبٌ الأسديّ[2]: عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام: «إنَّ رَسولَ الله ﷺ استَأذَنَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ في مَكَّةَ ثَلاثَ مَرّاتٍ مِنَ الدّهرِ، فَأَذِنَ لهُ فيها ساعَةً مِنَ النّهارِ، ثمَّ جَعَلَها حَرامًا ما دامَتِ السّمواتُ والأرضُ»[3]، وقالَ عليه السلام: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ حَرَّمَ مَكَّةَ يومَ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ، ولا يُختَلَى[4] خَلاها، ولا يُعضَدُ[5] شَجَرُها، ولا يُنَفَّرُ صَيدُها، ولا يُلتَقَطُ لُقْطَتُها إلَّا لُمنْشِدٍ[6]، فَقامَ العَبّاسُ بنُ عَبدِ المُطّلبِ فقالَ: يا رَسُولَ الله إلَّا الأذخُرَ[7] فإنَّهُ للقَبرِ ولِسُقوفِ بُيُوتِها، فَسَكَتَ رَسولُ الله ﷺ ساعَةً، ونَدِمَ العَبّاسُ على ما قالَ، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: إلَّا الأذخُرَ»[8].

ذِكرُ السّكينةِ ونُزولِها على إبراهيمَ عليه السلام أيضًا:

ورَوَى أبو هُمامٍ إسماعيلُ بنُ هُمامٍ[9] عَنِ الرّضا عليه السلام أنَّهُ قالَ لِرجُلٍ: «أيُّ شَيءٍ السّكينَةُ عِندَكُم؟ فَلَم يَدرِ القَومُ ما هيَ، فَقالُوا: جَعَلَنا اللهُ فِداكَ، ما هيَ؟ قال: رِيحٌ تَخرُجُ مِنَ الجَنَّةِ طَيِّبَةٌ لَها صُورَةٌ

---

(١) الكافي: ٤: ٢٢٥، حديث رقم: ١، ووسائل الشيعة: ١٢: ٤٠٤، حديث رقم: ١٦٦٢٧.

(٢) هو: أبو مُحمّد، وقيل: أبو الحسين كليب بن معاوية بن جبلة الصيداوي الأسدي: روى عن الصادقين عليهما السلام، له كتابٌ رواهُ جماعةٌ، كما ترحَّمَ عليهِ الإمام الصّادقِ عليه السلام. ينظر: رجال النجاشي: ٣١٨، ترجمة رقم: ٨٧١، وخلاصة الأقوال: ٢٣٢، ترجمة رقم: ٤.

(٣) الوافي: ١٢: ٣٤، حديث رقم: ١١٤٥٣، والحدائق الناضرة: ١٥: ١٢٧.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا يُقطَعُ.

(٥) ومنه في حاشية الأصل: أي: لا يُقطَعُ.

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أنشَدَ الضّالَّةَ: عَرَفَها.

(٧) هي: حشيشةٌ طيّبةُ الرّيحِ أطولُ من الثّيِّل. العين: ٤: ٢٤٣، (ذخر).

(٨) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٦، حديث رقم: ٢٣١٦، ووسائل الشيعة: ١٢: ٥٥٨، حديث رقم: ٨٨.

(٩) هو: أبو همام بنُ عبدِ الرّحمنِ بنُ أبي عبدِ الله ميمونُ البَصريّ: مولى كندَة، ثقةٌ، رَوى عنِ الرّضا عليه السلام، لهُ كتابٌ يرويهُ عنهُ جماعةٌ. ينظر: رجال النجاشي: ٣٠، ترجمة رقم: ٦٢، ونقد الرجال: ١: ٢٣٤، ترجمة رقم: ٥٤٧.

كَصورَةِ الإنسانِ تَكونُ مَعَ الأنبياءِ عليهم السلام، وهيَ الّتي أُنزِلَت عَلى إبراهيمَ حينَ بَنَى الكَعبَةَ، فَأَخَذَت تَأْخُذُ كَذا وكَذا، وبَنَى الأساسَ عَلَيها»[1]، وقالَ الصّادقُ عليه السلام: «كانَ طولُ الكَعبَةِ تِسعَةَ أذرُعٍ ولَم يَكنْ لَها سَقفٌ، فَسَقَّفَها قريشٌ ثَمانيةَ عَشَرَ ذِراعًا ثمَّ كَسَرَها الحَجّاجُ على ابنِ الزُّبيرِ[2] فَبَناها وَجَعَلَها سَبعَةً وعِشرينَ ذِراعًا»[3]. وَرُوِيَ: (أَنَّهُ كانَ بُنيانُ إبراهيمَ عليه السلام الطُّولُ ثَلاثينَ ذِراعًا والعرضُ اثنَينِ وعِشرينَ ذِراعًا والسّمكُ تِسعَةَ أذرعٍ)[4]. [٥١٨]

ذِكرُ ذَبحِ إبراهيمَ عليه السلام ابنَهُ إسماعيلَ ومَوضِعُ ذَبحِهِ ومَجيءُ فِداهُ مِنَ الجَنَّةِ:

وَسُئِلَ الصّادقُ عليه السلام: «أينَ أرادَ إبراهيمُ أن يَذبَحَ ابنَهُ؟ فَقالَ: عَلى الجَمرَةِ الوُسطى، ولَمَّا أرادَ إبراهيمُ أن يَذبَحَ ابنَهُ صَلَّى اللهُ عَليهِما قَلَّبَ جبرئيلُ المُديَةَ، واجْتَرَّ الكَبشَ مِن قِبَلِ ثَبيرٍ[5]، واجتَرَّ الغُلامَ مِن تَحتِهِ، وَوَضَعَ الكَبشَ مَكانَ الغُلامِ، ونُودِيَ مِن مَيسَرَةِ مَسجِدِ الخَيفِ: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[6]، يعني: بكَبشٍ أملَحَ يَمشي في سَوادٍ، ويَأكُلُ في سَوادٍ، ويَنظُرُ في سَوادٍ، ويَبعُرُ في سَوادٍ، ويَبولُ في سَوادٍ، أقرَنَ فَحلٍ، وكانَ يَرتَعُ في رِياضِ الجَنَّةِ أربعينَ عامًا»[7].

ذِكرُ حِجرِ إسماعيلَ وتَسمِيَتُهُ بهِ:

وَرُوِيَ (أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام لَمَّا قَضَى مَناسِكَهُ أَمَرَهُ اللهُ عَزّ وجَلَّ بالانصِرافِ فَانصَرَفَ، وماتَت أُمُّ إسماعيلَ فَدَفَنَها في الحِجرِ، وحَجَّرَ عَليهِ لِئَلّا يُوطَأَ قَبرُها، وبَقِيَ إسماعيلُ وَحدَهُ، فَلَمّا أن كانَ مِن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٧٨، حديث رقم: ٨٠، ومعاني الأخبار: ٢٨٥، حديث رقم: ٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: هوَ: عبدُ الله بنُ الزُّبير مَعَ عَسكَرِهِ فَدخَلَ البيتَ فَخَرَّبَهُ الحَجّاجُ بالمَنجنيقِ في جبَلِ ابي قُبيسٍ فقَتَلَهُ.

(٣) الكافي: ٤: ٢٠٧، حديث رقم: ٨، ومن لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٧، حديث رقم: ٢٣١٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٧، حديث رقم: ٢٣٢٢.

(٥) هو: جبل معروف في مكّة. ينظر: معجم ما استعجم: ١: ١٠٦.

(٦) سورة الصافات ٣٧: ١٠٤ـ ١٠٧.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٣١، حديث رقم: ٢٢٧٩.

قابلٍ أذِنَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لإبراهيمَ عليه السلام في الحَجِّ وبِناءِ الكَعبَةِ، وكانَت العَرَبُ تَحُجُّ البيتَ وكانَ رَدمًا[1] إلّا أنَّ قَواعِدَهُ مَعروفَةٌ، وكانَ إسماعيلُ لَمّا صَدَرَ النّاسُ جَمَعَ الحِجارَةَ وطَرَحَها في جَوفِ الكَعبَةِ فَلَمّا قَدِمَ إبراهيمُ كَشَفَ هوَ وإسماعيلُ عَنها فَإذا هوَ حَجَرٌ واحِدٌ أحمرُ فَأوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إليهِ: ضَع بِناءَها عَليهِ، وأنزَلَ عَليهِ أربعَةَ أملاكٍ فَلَمّا هَمَّ بِبنائِهِ قَعَدَ[2] على كُلِّ رُكنٍ ثُمَّ نادَى: هَلُمَّ إلى الحجِّ هَلُمَّ إلى الحجِّ، فَلَو ناداهُم هَلُمُّوا إلى الحَجِّ لَمْ يَحِجّ إلّا مَن كانَ يومئذٍ إنسيًّا مَخلوقًا، وَلكنَّهُ نادَى هَلُمَّ إلى الحَجِّ فَلَبَّى النّاسُ في أصلابِ الرِّجالِ وأرحامِ النِّساءِ: لَبَّيكَ داعِيَ الله لَبَّيكَ داعِيَ الله، فَمَن لَبَّى مَرَّةً حَجَّ حِجَّةً واحِدَةً، ومَن لَبَّى عَشرًا حَجَّ عَشرَ حِجَجٍ، ومَن لَمْ يُلَبِّ لَمْ يَحِجّ، فَكانَ إبراهيمُ وإسماعيلُ يَضَعانِ الحِجارَةَ ويَرفَعانِ بِها القَواعِدَ، والمَلائكَةُ يُناوُلونَهُما حَتَّى تَمَّت اثنَى عَشَرَ ذِراعًا، فَلَمّا انتَهَى إلى مَوضِعِ الحَجَرِ ناداهُ أبو قُبَيسٍ: يا إبراهيمُ إنَّ لَكَ عِندي وَدِيعَةً، فَأعطاهُ الحَجَرَ فَوَضَعَهُ مَوضِعَهُ، وَهَيَّأَ لَهُ بابَينِ: بابًا يَدخُلُ فيهِ وبابًا يَخرُجُ منهُ، وجَعَلا عَتَبًا وشَرِيجًا مِن جَريدٍ عَلى أبوابِها فَكانَتِ الكَعبَةُ عُريانَةً فَصَدَرَ إبراهيمُ وقَد سَوّى البَيتَ، فَأقامَ إسماعيلُ، فَتَزَوّجَ إسماعيلُ امرأةً مِنَ العَمالِقَةِ[3] وَخَلّى سَبيلَها، وتَزَوَّجَ أُخرَى حِميَرِيَّةً، وكانَت عاقلَةً، فَتَأمَّلَت بابَي البَيتِ، فَقالَت لإسماعيلَ: هَلّا نُعَلِّقُ على هذَينِ البابَينِ سَترَينِ: سِترًا مِن ههُنا وسِترًا مِن ههُنا، فَقالَ لَها: نِعْمَ، فَعَمِلَت للبَيتِ سِترَينِ طولُهُما اثنا عَشَرَ ذِراعًا، فَعَلَّقَهُما إسماعيلُ عَلى البابَينِ فَأعجَبَها ذلكَ فَقالَت: فَهلّا أحُوكُ للكَعبَةِ ثِيابًا يَستُرُها كُلَّها فَإنَّ هذهِ الأحجارَ سَمِجَةٌ[4] فَقالَ لَها إسماعيلُ: بَلى، فَأسرَعَت في ذلكَ وبَعَثَت إلى قَومِها تَستَغزِلُهُم، وإنَّما وَقَعَ استِغزالُ النِّساءِ بَعضَهُنَّ مِن بَعضٍ لذلكَ، فَكُلَّما فَرَغَت مِن شُقَّةٍ عَلَّقَتها، فَجاءَ المَوسِمُ وقَد بَقِيَ وَجهٌ واحِدٌ مِن وُجوهِ الكَعبَةِ فَقالَت لإسماعيلَ:

---

(١) الرَّدْمُ: (ما يسقطُ من الجدارِ إذا انهدَمَ). لسان العرب: ١٢: ٢٣٦، (ردم).

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: قَعَدَ ابراهيمُ عليه السلام على كُلِّ رُكنٍ مِن أركانِهِ الأربَعَةِ.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: العمالِقَةُ: قومٌ مِن وُلدِ عِمليقِ بنِ لاوز بنِ آرم بن سام بن نوحٍ عليهما السلام.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: سَمُجَ الشّيءُ بالضّمِّ سَماجَةً، أي: قَبُحَ، يعني: مفتوحةٌ بارزةٌ قبيحةُ المنظرِ.

كَيفَ نَصنَعُ بهذا الوَجهِ؟ فكَسَوهُ خَصَفًا[1]، فلَمّا جاءَ الموسِمُ نَظَرَتِ العَرَبُ إلى أمرٍ أعجَبَهُم فقالُوا: يَنبَغي أن نُهدِيَ إلى عامرِ هذا البَيتِ، فَمِن ثَمَّ وَقَعَ فَجعَلَ يَأتِي الكَعبَةَ كُلُّ فَخذٍ[2] مِنَ العَرَبِ بشَيءٍ مِن وَرِقٍ وغَيرِهِ حَتَّى اجتَمَعَ شَيءٌ كَثيرٌ، فَنَزَعُوا ذلكَ الخَصَفَ وأتَمُّوا الكِسوَةَ وعَلَّقوا على البَيتِ بابَينِ، ولَم تَكنِ الكَعبَةُ مُسَقَّفَةً فَوضَعَ إسماعيلُ فيها أعمِدَةً مِثلَ الأعمِدَةِ الّتي تَرَونَ مِن خَشَبٍ، وسَقَّفَها بالجَرائِدِ وَسَوّاها بالطِّينِ، فَجاءَتِ العَرَبُ مِن الحَولِ فَدَخَلوا الكَعبَةَ وَرَأَوا عِمارَتَها، فَقالُوا: يَنبَغي لِعامرِ هذا البَيتِ أن يُزادَ، فَلَمّا كانَ مِن قابلٍ جاءَهُ الهَدْيُ فَلَم يَدرِ إسماعيلُ ما يَعمَلُ بِهِ، فَأوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أنِ انحَرهُ وأطعِمهُ الحاجَّ، وانقَطَعَ ماءُ زَمزَمَ فَشَكَا إسماعيلُ إلى إبراهيمَ قِلَّةَ الماءِ فَأوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى إبراهيمَ وأمَرَهُ بالحَفرِ، فَحَفَرَ هوَ وإسماعيلُ وجبرئيلُ حَتَّى ظَهَرَ ماؤُها، وضَرَبَ في أربَعِ زَوايا البِئرِ، وقالَ في كُلِّ ضَربَةٍ: بسمِ الله، فَتَفَجَّرَت أربعَةُ أعينٍ، فَقالَ لَهُ جبرئيلُ: اشرَبْ وادعُوا لِوُلْدِكَ فيها بالبَرَكةِ، وأفِضْ عَليكَ مِنَ الماءِ، وطُفْ بهذا البَيتِ، فَهذِهِ سُقيا سَقاها اللهُ لإسماعيلَ وَوُلْدِهِ»[3] الحديثُ.

ذِكرُ أنَّ كُلَّ ظُلمٍ صَدَرَ مِن انسانٍ في مَكَّةَ فهوَ إلحادٌ:

وَعَنِ الصّباحِ الكناني عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «كُلُّ ظُلمٍ يَظلمُهُ الرّجُلُ نَفسَهُ بِمَكّةَ مِن سَرِقَةٍ، أو ظُلمٍ، أو أخذِ شَيءٍ مِنَ الظُّلمِ، فإنِّي أراهُ إلحادًا»[4]؛ وَلذلكَ كانَ يَتّقِي الفقهاءُ أن يَسكُنُوا مَكّةَ.

---

(١) «الخَصَفُ مُحرَّكةٌ: الحِليَةُ تُعمَلُ مِن وَرَقِ النَّخلِ والثّوبِ الغَليظِ جدًا». القاموس المحيط: ٣: ١٣٤، (خصف).

(٢) «الفَخذُ مِنَ العَشائرِ: أقلُّ مِنَ البَطنِ، أوَّلُها الشّعبُ ثمَّ القَبيلةُ ثمَّ العُصبَةُ ثمَّ العِمارَةُ ثمَّ الفَخذُ». الصحاح: ٢: ٥٦٨، (فخذ).

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٣٢ـ ٢٣٤، حديث رقم: ٢٢٨٢.

(٤) الكافي: ٤: ٢٢٧، حديث رقم: ٣، وعلل الشرائع: ٢: ٤٤٥، حديث رقم: ١.

ذِكرُ بناءِ الكَعبَةِ عندَ هَدمِ الحَجّاجِ: [٥١٩]

عَليُّ بنُ إبراهيمَ: (بإسنادِهِ إلى أبان بن تَغلِبٍ[١] قالَ: لَمَّا هَدَمَ الحَجّاجُ الكَعبَةَ فَرَّقَ النّاسُ تُرابَها، فَلَمّا صارُوا إلى بِنائِها فَأرادُوا أن يَبنُوها خَرَجَت عَليهِم حَيَّةٌ فَمَنَعَتِ النّاسَ البِناءَ حَتَّى هَرَبُوا، فَأتَوا الحَجَّاجَ فَأخبَروهُ فَخافَ أن يَكونَ قَد مُنِعَ بِناءَها، فَصَعِدَ المنبَرَ ثمَّ أنشَدَ النّاسَ وقالَ: أنشَدَ اللهَ عبدًا عندَهُ مِمَّا ابتُلينا بِهِ عِلمٌ لَمّا أخبَرَنا بِهِ، قالَ: فَقامَ إليهِ شَيخٌ فقالَ: إن يكن عِندَ أحَدٍ عِلمٌ فَعندَ رَجُلٍ رَأيتُهُ جاءَ إلى الكَعبَةِ فَأخَذَ مِقدارَها ثمَّ مَضَى، فَقالَ الحَجَّاجُ: مَن هوَ؟ قالَ: عَليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام، فَقالَ: مَعدِنُ ذلكَ، فَبَعَثَ ألى عَليِّ بنِ الحُسينِ صَلواتُ الله عَليهِما فَأتاهُ فَأخبَرَهُ ما كانَ مِن مَنعِ الله إيّاهُ البِناءَ، فَقالَ لهُ عَليُّ بنُ الحُسينِ: يا حَجَّاجُ عَمَدتَ إلى بِناءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ فَألقَيتَهُ في الطّريقِ وأنهَبتَهُ كَأنَّكَ تَرى أنَّهُ تُراثٌ لَكَ، اصْعَدِ المنبَرَ وأنشِدِ النّاسَ أن لا يَبقَى أحَدٌ منهُم أخَذَ منهُم شَيئًا إلّا رَدَّهُ، قالَ: فَفَعَلَ وأنشَدَ النّاسَ ألَّا يَبقَى مِنهُم أحَدٌ عندَهُ شَيءٌ إلَّا رَدَّهُ، قالَ: فَرَدَّوهُ فَلَمّا رَأى جَمعُ التُّرابِ أتَى عَليُّ بنَ الحُسينِ صَلواتُ الله عَليهِما فَوَضَعَ الأساسَ وأمَرَهُم أن يَحفُروا، قالَ فَتَغَيَّبَت عَنهُم الحَيَّةُ وحَفَروا حَتَّى انتهَوا إلى مَوضِعِ القَواعِدِ، قالَ لَهُم عَليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام: تَنَحُّوا[٢]، فَتَنَحَّوا، فَدَنا مِنها فَغَطّاها بثَوبِهِ ثمَّ بَكَى ثمَّ غَطّاها بالتُّرابِ بِيَدِ نَفسِهِ ثمَّ دَعا الفِعلَةَ فَقالَ: ضَعُوا بِناءَكُم فَوَضَعوا البِناءَ فَلَمّا ارتَفَعَت حِيطانُها أمَرَ بالتّرابِ فَقُلِبَ فَأُلْقِيَ في جَوفِهِ فَلذلكَ صارَ البَيتُ مُرتَفعًا يُصعَدُ إليهِ بالدَّرجِ)[٣].

ذِكرُ حِجْرِ إسماعيلَ عليه السلام وأنَّهُ ليسَ مِنَ البَيتِ:

(مُحَمَّدُ بنُ يَحيى عَن احمدَ بن مُحَمَّدٍ عَنِ الحُسَينِ بنِ سَعيدٍ عَن فضالَةَ بنِ أيّوبَ عَن معاويَةَ بن

(١) هو: أبو سعيد البكري: مولى بني جرير بن عبادة، من وجوه القرّاء، فقيهٌ، لغويٌّ، عظيم المنزلة في أصحابنا، من أصحاب السجّاد والباقر والصّادق عليهم السلام، لهُ عدّة كتب، منها: تفسيرُ غريبِ القرآنِ، وكتابُ الفضائلِ. ينظر: رجال النجاشي: ١٠، حديث رقم: ٧، وفهرست الشيخ الطوسي: ٥٧، حديث رقم: ٦١.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: فعلُ أمرٍ، أي: بَعِّدُوا.

(٣) الكافي: ٤: ٢٢٢، حديث رقم: ٨، وعلل الشرائع: ٢: ٤٤٨، ٤٤٩، حديث رقم: ١.

عَمّارٍ[1] قالَ: سَألتُ أبا عَبدِ الله عليه السلام عَنِ الحِجْرِ ـ حِجْرِ إسماعيلَ ـ أمِنَ البَيتِ هوَ، أو فيهِ شَيءٌ مِنَ البَيتِ؟ فَقالَ: لا، ولا قُلامَةُ ظُفرٍ، ولكن إسماعيلُ دَفَنَ أُمَّهُ فيهِ فَكَرِهَ أن يُوطَأَ، فَحَجَرَ عَليهِ حَجَرًا وفيهِ قُبورُ أنبياءَ»[2].

كيفيَّةُ بناءِ الكَعبَةِ أوَّل مَرَّةٍ:

وفي كِتابِ عِلَلِ الشّرائِعِ: بإسنادِهِ إلى مُحَمَّدِ بنِ إسحاقَ عَن أبي جَعفرٍ عليه السلام عَن آبائِهِ عليهم السلام: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أوحَى إلى جبرئيلَ عليه السلام: أنا اللهُ الرّحمنُ الرّحيمُ أنّي قَد رَحِمتُ آدمَ وحَوّاءَ لِما شَكَيا إليَّ ما شَكَيَا، فَاهبِطْ عَلَيهِما بخَيمَةٍ مِن خِيَمِ الجَنَّةِ فَإنِّي رَحِمتُهُما لِبكائِهِما ووَحشَتِهِما ووَحدَتِهِما، فاضرِبِ الخَيمَةَ عَلى التّرعَةِ الّتي بَينَ جِبالِ مَكَّةَ، قالَ: والتِّرعَةُ مَكانُ البَيتِ وقَواعدُهُ الّتي رَفعَتها الملائِكَةُ قَبلَ آدمَ، فَهَبَطَ جَبرئيلُ عليه السلام عَلى آدمَ عليه السلام بالخَيمَةِ عَلى مِقدارِ مَكانِ البَيتِ وقَواعدِهِ فنَصَبَها، قالَ: وأنزَلَ جَبرئيلُ عليه السلام آدمَ مِنَ الصّفا وأنزَلَ حَوَّاءَ مِنَ المَروَةِ وجَمَعَ بَينَهُما في الخَيمَةِ ـ إلى أن قالَ ـ: ثمَّ قالَ: إنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى أوحَى إلى جَبرئيلَ عليه السلام بَعدَ ذلكَ أن اهبِطْ إلى آدَمَ وحَوَّاءَ فَنَحِّهِما عَن مَوضِعِ قَواعِدِ بَيتِي وارفَع بَيتِي لِمَلائِكَتِي ولِخَلقِي مِن وُلْدِ آدَمَ، فَهبَطَ جَبرئيلُ عليه السلام عَلى آدَمَ وحَوَّاءَ فَأخرَجَهُما مِنَ الخَيمَةِ ونَحّاهُما عَن تُرعَةِ البَيتِ ونَحَّى الخَيمَةَ عَن مَوضِعِ التّرعَةِ ـ إلى أن قالَ ـ: فَرَفَعَ قَواعِدَ البَيتِ الحَرامِ بحَجَرٍ مِنَ الصّفا، وحَجَرٍ مِنَ المَروَةِ، وحَجَرٍ مِن طَورِ سَيناءَ، وحَجَرٍ مِن وادِي السّلامِ، وهوَ ظَهرُ الكوفَةِ، فَأوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى جبرئيلَ أنِ ابْنِهِ وأتِمَّهُ، واقتَلَعَ جَبرئيلُ عليه السلام الأحجارَ الأربعَةَ بأَمرِ الله عَزَّ وجَلَّ مِن مَواضِعِها بِجَناحِهِ، فَوَضَعَها حيثُ أمَرَ اللهُ تعالى في أركانِ البَيتِ عَلى قَواعِدِهِ الّتي قَدَّرَها الجَبَّارُ جَلَّ جَلالُهُ ونَصَبَ أعلامَها، ثمَّ أوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى جَبرئيلَ عليه السلام ابنِهِ وأتِمَّهُ مِن حِجارَةِ أبي قُبَيسٍ، واجعَلْ لَهُ بابَينِ: بابًا شَرقًا، وبابًا غَربًا، فَأتَمَّهُ

(١) هو: ابنُ خبّاب بنُ عبد الله الدّهني: مولاهم كوفيّ، وجهٌ من أصحابِنا، عظيمُ الشّأنِ، ثقةٌ، رَوَى عنِ الصّادقِ والكاظمِ عليهما السلام، لهُ كُتبٌ، منها: كتابُ الحجِّ، رواهُ عنهُ جماعةٌ كثيرةٌ من أصحابنا. ينظر: رجال النجاشي: ٤١١، حديث رقم: ١٠٩٦، وخلاصة الأقوال: ٢٧٣، حديث رقم: ١.

(٢) الكافي: ٤: ٢١٠، حديث رقم: ١٥، وبحار الأنوار: ١٢: ١١٧، حديث رقم: ٥٥.

جبرئيلُ عليه السلام، فلَمّا فرَغَ طافَتِ الملائكَةُ حولَهُ، فلَمّا نظَرَ آدمُ وحوّاءُ إلى الملائِكَةِ يَطوفونَ حولَ البَيتِ انطَلَقا وَطافَا سَبعَةَ أشواطٍ، ثمَّ خرَجا يَطلُبانِ ما يأكلانِ»(١).

وقولُهُ تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

البَعثُ والإرسالُ مِنَ النّظائِرِ، والباعثُ: المُرسِلُ والمُحْيي، وفي أسماءِ الله تعالى: الباعِثُ، وهوَ الّذي يَبعَثُ الخَلقَ، أي: يُحييهِم بَعدَ الموتِ يومَ القِيامَةِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(٢)، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾(٣)، وفي وَصفِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «شَهيدُكَ يَومَ الدِّينِ، وبَعِيثُكَ نِعمَةً»(٤) أي: مَبعوثُكَ الّذي بَعَثتَهُ إلى خَلقِكَ أرسَلتَهُ إليهِم، فَعيلٌ بمَعنى مَفعولٍ، والبَعثُ: الإيقاظُ مِنَ النّومِ، ومنهُ الحديثُ: «أتاني الليلةَ آتِيان فَابتَعَثاني»(٥)، أي: أيقَظاني مِن نَومِي، والحِكْمَةُ بالكَسرِ: الشّريعَةُ، والأحكامُ المُتعلّقَةُ بأُمورِ الدِّينِ، والتَّزكيَةُ: التّطهيرُ مِنَ النّجاساتِ الظّاهِرَةِ والباطِنَةِ، والزُّكا: الطّاعَةُ والإخلاصُ. [٥٢٠]

مَعنى العَزيزِ لغَةً:

والعَزيزُ: الغالبُ القادِرُ القَويُّ الّذي لا يُغالَبُ، ولا يَمتَنِعُ عليهِ شَيءٌ أرادَ فِعلَهُ، وأصلُ العِزّةِ: القُوَّةُ والغَلَبَةُ والشّدّةُ، ونَقيضُ العِزِّ: الذُّلُّ، يقالُ: عَزَّ يَعِزُّ بالكَسرِ: عِزًّا وعِزَّةً: إذا صارَ عَزيزًا، وعَزَّ يَعَزُّ بالفَتحِ عَزًّا: إذا قَهَرَ وغَلَبَ، ومنهُ قَولُهُم: مَن عَزَّ بَزَّ(٦)، أي: مَن غَلَبَ سَلَبَ وَقَهَرَ، ومِن أسماءِ

(١) علل الشرائع: ٢: ٤٢٠ـ ٤٢٢، حديث رقم: ٣.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٧٩.

(٣) سورة يس ٣٦: ٥٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٣٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ١٣٨.

(٦) جمهرة الأمثال: ٢: ٢٨٨، مثل رقم: ١٦٩٨.

اللهِ: المُعِزُّ، وهوَ الّذي يَهِبُ العِزَّ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ويقالُ: عَزَّ المَرَضُ يَعَزُّ بالفَتحِ: إذا اشتَدَّ، وعَزَّ عَلَيَّ أن أراكَ مُجَدَّلًا، أي: اشتَدَّ، وعَزيزٌ عَلَيَّ أن أرَى الخَلْقَ ولا تُرَى، أي: اشتَدَّ وصَعُبَ عَلَيَّ، والعَزازُ بالفَتحِ: ما صَلُبَ مِنَ الأرضِ واشتَدَّ وخَشُنَ، ومنهُ الحديثُ: «أنَّهُ نُهِيَ عَنِ البَولِ في العَزازِ؛ لِئَلّا يَتَرَشَّشَ عَليهِ»[1]، وفي صِفَةِ الغَيثِ: وَأسالَتِ العَزازَ.

مَعنى الحَكيمِ لغَةً:

وَالحَكيمُ: هوَ الّذي يَعلَمُ الأشياءَ ويَحكُمُ بها دقائِقَها وجَلائِلَها ويُتقِنُها عَلى ما هيَ عَليهِ، والحَكَمَةُ: حَديدَةٌ تُجعَلُ في فَمِ الفَرَسِ، وهوَ اللّجامُ يَمنَعُ الفَرَسَ مِن مُخالَفَةِ راكِبِهِ، وكَذا يقالُ للعِلمِ: حِكمَةٌ؛ لأنَّهُ يَمنَعُ العالِمَ والمُتعَلِّمَ مِن ارتِكابِ القَبيحِ؛ لِما فيهِ مِنَ الدّعاءِ إلى الحَسَنِ، والزّجرِ عَنِ القَبيحِ، فالحِكمَةُ والإحكامُ والمَنعُ مِنَ الظّلمِ والقَبيحِ مِنَ النّظائِرِ، وفي حَديثِ ابنِ عَبّاسٍ: «كانَ الرّجُلُ يَرِثُ امرأةً ذاتَ قَرابَةٍ فَيَعضُلُها حَتّى تَموتَ أو تَرُدَّ إليهِ صِداقَها، فَأحكَمَ اللهُ عَن ذلكَ ونَهى عَنهُ»[2] أي: مَنَعَ منهُ، ويقالُ: أحكَمتُ فُلانًا، أي: مَنَعتُهُ، وبهِ سُمِّيَ الحاكِمُ؛ لأنَّهُ يَمنَعُ الظُّلمَ، وقيلَ: الحاكِمُ مَأخوذٌ مِن حَكَمتُ الفَرَسَ وأحكَمتُهُ: إذا قَرَعتَهُ وكَفَفتَهُ مِنَ الحَكَمَةِ، وفي الحديثِ: «في رَأسِ كُلِّ عَبدٍ حَكَمَةٌ إذا هَمَّ بسَيّئَةٍ فَإن شاءَ اللهُ أن يَقدَعَهُ بها قَدَعَهُ»[3]، أي: يَمنَعَهُ ويَكُفَّهُ، مَنَعَهُ وكَفَّهُ؛ لأنَّ القَدْعَ في الأصلِ الكَفُّ والمَنعُ.

حَديثُ زَواجِ النَّبيِّ ﷺ خديجَةَ:

كَما في حَديثِ زَواجِ النَّبيِّ ﷺ خَديجَةَ، قالَ وَرقَةُ بنُ نَوفلٍ[4]: «مُحَمَّدٌ يَخطُبُ خديجَةَ، هوَ الفَحلُ لا يُقدَعُ أنفُهُ»[5] يَعنِي: إنَّهُ الكَريمُ، يقالُ: قَدَعتُ الفَحلَ: وهوَ أن يَكونَ غَيرَ كَريمٍ فَإذا أرادَ ركوبَ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٢٢٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٢٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٢٠، وبحار الأنوار: ٧٠: ٢٢٤، حديث رقم: ١٦.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: ورقةُ بنُ نوفل: ابنُ عمٍّ لخديجةَ بنتِ خويلدٍ زوجِ النبيِّ ﷺ.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ٢٤.

النّاقَةَ غَيرِ الكَريمَةِ ضَرَبَ أنفَهُ بالرُّمحِ وغَيرِهِ حَتَّى يَرتَدِعَ ويَنْكَفَّ.

الإعراب:

(رَبَّنا): مُنادًى مُضافٌ كَما مَرَّ بَيانُهُ، و(ابعَثْ): فِعلُ أمرٍ وفاعلٌ عَطفٌ عَلى قَولِهِ: (تُبْ)، والجملَةُ: مَقولَةٌ لِقولٍ مَحذوفٍ، وجملَةُ (قالا): حالٌ على مَرَّ، و(فيهِم): إمَّا ظَرفٌ لغوٌ مُتعَلِّقٌ بـ(ابعثْ)، أو مُستَقرٌّ مُتعَلِّقٌ بِمُقدَّرٍ حالٌ مِن (رَسولًا)؛ لأنَّ نَعتَ النّكرَةِ إذا تَقدَّمَ عَليها كانَ حالًا مِنها كَما مَرَّ مِرارًا، وأصلُهُ: رَسُولًا كائِنًا فِيهِم، و(رَسولًا): مفعولُ (ابعَثْ)، و(مِنهُم): مُتعَلِّقٌ بمُقدَّرٍ نَعتٌ لِـ(رَسولًا)، وجملَةُ (يَتلُو) مِنَ الفِعلِ والفاعلِ: يَجوزُ أن تَكونَ صِفَةً بَعدَ صِفَةٍ لِـ(رسُولًا)، وأن تَكونَ حالًا مِنهُ؛ لِكَونِهِ نَكرَةً مَوصوفَةً، و(آياتِكَ): مفعولُ (يَتلو)، والباقِي: واضِحٌ عَلى ما مَرَّ.

المعنى:

قَالا، أي: إبراهيمُ وإسماعِيلُ يا ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ**﴾، أي: في هذهِ الأُمَّةِ المسلمَةِ الّتي هيَ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عليه السلام ﴿**رَسُولًا**﴾ كائنًا ﴿**مِنْهُمْ**﴾، أي: مِن هذهِ الأُمَّةِ المسلمَةِ الّتي هيَ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عَنِ الصّادقِ عليه السلام[1]، وقالَ عَليُّ بنُ إبراهيمَ: (يَعني: مِن وُلْدِ إسماعِيلَ؛ فَلِذا قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله: أنا دَعوَةُ أبي إبراهيمَ)[2]، فَهوَ نَبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، لِما رُوِيَ عنهُ صلى الله عليه وآله إنَّهُ قالَ: «أنا دَعوَةُ أبي إبراهيمَ»[3]، مِن قَولِهِ: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ**﴾، وبُشرَى عِيسَى، يَعني قَولَهُ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[4]، ورُؤيا أُمّي، فَالضّميرُ في: (فِيهِم، ومِنهُم) راجعٌ إلى الأُمَّةِ المُسلمَةِ الّتي سَألَ اللهَ إبراهيمُ أن يَجعَلَهُم مِن ذُرِّيَّتِهِ؛ لأنَّهُ لَم يُبعَثْ مِن هذهِ الذّرِّيَّةِ المسلِمَةِ إلّا مُحَمَّدٌ، فَهوَ المُجابُ بِهِ دَعوَتُهُما.

---

(١) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٨: ٣٣٨.

(٢) تفسير القمّي: ١: ٦٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٦٩، وأمالي الطوسي: ٣٧٨، حديث رقم: ٨١١.

(٤) سورة الصف ٦١: ٦.

في كِتابِ الخِصالِ: بإسنادِهِ عَن أبي أُمامَةَ[1] قالَ: قُلتُ: يا رسولَ الله ما بَدْءُ أمرِكَ؟ قالَ: «أنا دَعوَةُ أبي إبراهيمَ وبُشرَى [عيسى بن مريم]، ورَأَت أُمِّي أنَّهُ خَرجَ مِنها شَيءٌ أضاءَت مِنهُ قُصورُ الشّامِ»[2]. [٥٢١]

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، أي: يَقرَأُ عَليهِم آياتِكَ الّتي يُوحَى بها إليهِ مِنَ القرآنِ وغَيرِهِ، ويُبَلِّغُهُم الدّلائِلَ الدّالّةِ عَلى التّوحِيدِ والنُّبوَّةِ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، يَعني: القرآنَ، وتَعليمَ الكِتابِ بَعدَ تِلاوَةِ الآياتِ لا يُعدُّ مِنَ التّكرارِ، بَل هوَ مِن ذِكرِ الخاصِّ بَعدَ العامِّ عَلى وَجهَينِ:

أحَدُهُما: إنَّ الآياتِ أعَمُّ مِنَ القرآنِ.

وثانِيهُما: إنَّهُ سبحانَهُ خَصَّ الأوَّلَ بالتّلاوَةِ؛ لِيَعلَموا بذلكَ أنَّهُ مُعجِزٌ دالٌّ عَلى صِدقِ نُبوَّتِهِ، والثّاني بالتّعليمِ والتّفهيمِ لِيَعرِفُوا ما يَتَضَمَّنَهُ مِنَ التّوحيدِ وَأدِلَّتِهِ وَعَدلِهِ وحِكمَتِهِ وغَيرِ ذلكَ، وما يَشتَمِلُ عَليهِ مِن أحكامِ شَريعَتِهِ المُقدَّسَةِ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، أي: الشّريعَةَ مِمَّا يُكمِّلُ بهِ نفوسَهُم مِن بَيانِ الأحكامِ مِنَ الكِتابِ والسُنَّةِ، ومَعرفَةِ الدِّينِ والفِقهِ، والعِلمِ بالأحكامِ الّتي لا يُدرَكُ عِلمُها إلّا مِن قِبَلِ الرُّسُلِ والأئمَّةِ عليهم السلام، والعِلمُ الّذي يَعظُمُ مَنفعتُهُ وتَجُلُّ فائدتُهُ، والعِلمُ بمَواعِظِ القرآنِ وحَلالِهِ وحَرامِهِ، ومُحكَمِهِ ومُتشابِهِهِ، وناسِخِهِ ومَنسوخِهِ، ومُقدَّمِهِ ومُؤخَّرِهِ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3].

وعَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ آتاني القرآنَ، وآتانِي مِنَ الحِكمَةِ مِثلَ القرآنِ، وما مِن بَيتٍ لَيسَ فيهِ شَيءٌ مِنَ الحكمَةِ إلّا كانَ خَرابًا، ألا فَتَفَقَّهوا وتَعَلَّموا ولا تَمُوتُوا جُهّالًا»[4]؛ وذلكَ لأنَّ الحكمَةَ تَدعو صاحبَها إلى المَحاسِنِ والحَسناتِ، وتَمنَعُهُ عَنِ المَساوِئِ والسّيّئاتِ، كَالحَكَمَةِ في مَنعِ

---

(١) هو: أسعدُ بنُ زرارةَ الأنصاريّ الخزرجيّ: ممّن شهدَ العَقبتينِ، وأوّلُ مَن قَدِمَ إلى المدينةِ بالإسلامِ، توفي قبل معركة بدر. ينظر: أسد الغابة: ٥: ١٣٨.

(٢) الخصال: ١٧٧، حديث رقم: ٢٣٦، والإضافة من المصدر لم ترد في نسخة المصنِّف.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦٩.

(٤) مجمع البيان: ٢: ١٩٤، وتفسير نور الثقلين: ١: ٢٨٧، حديث رقم: ١١٣٧.

الفَرَسِ مِن مُخالفَةِ رَاكِبِه، فَالقرآنُ كِتابٌ وآياتٌ وحِكمَةٌ ولَيسَ كُلُّ حِكمَةٍ وكُلُّ آياتٍ قُرآنًا، وإنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحكمَةً، **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾**، أي: يُطَهِّرَهُم مِنَ الشّركِ والكُفرِ والأدناسِ، ويُخَلِّصَهُم مِنها ويَستَدعِيهِم إلى الإيمانِ والصَّلاحِ، ويَجعَلُهُم مُطِيعِينَ لله ولأوليائِهِ، مُخلِصِينَ لله تَعالى، **﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾**، أي: القَوِيُّ الشّديدُ في كَمالِ قُدرَتِكَ، القادِرُ الّذي لا يَمتَنِعُ عَليكَ شَيءٌ إذا أردتَ فِعلَهُ، المَنيعُ في جَلالِ عَظمَتِكَ، الغالِبُ الّذي لا يَغلِبُهُ شَيءٌ، **﴿الْحَكِيمُ﴾**: المُحكِمُ في بَدائِعِ صُنعِكَ، العالِمُ بِما هوَ أصلَحُ، الصّانِعُ عَلى وِفقِ الحِكمَةِ، ويَعلَمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالتَهُ لا جَورَ في قَضِيَّتِهِ ولا مَيلَ في مَشِيئَتِهِ، ولا ظُلمَ في تَقديرِهِ أزاحَ العِلَلَ في التّكليفِ، وسَوَّى في التّوفِيقِ بَينَ الضّعيفِ والشّريفِ، مَكَّنَ أداءَ المأمُورِ، وسَهَّلَ سَبيلَ اجتِنابِ المَحظورِ، فَنَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ هوَ هذا الرَّسولُ المَعهودُ، وأوصِياؤُهُ المَعصومونَ وعِترَتُهُ المُصطَفَونَ هُمُ الأُمَّةُ المُسلِمَةُ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، وهُم النّاسُ المَحسودونَ، وهُم الّذينَ آتاهُم اللهُ الكِتابَ والحِكمَةَ والمُلكَ العَظيمَ الّذي هوَ الإمامَةُ، لا غَيرُهُم مِن حاسِدِيهِم وغاصِبِي حَقِّهِم كَما قالَ سبحانَهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾(1)، عَلى ما يَأتي بَيانُهُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

قالَ في المجمَعِ: «وإنَّما ذَكَرَ هاتَينِ الصّفتَينِ ـ يَعني: قَولُهُ تعالى: **﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** ـ؛ لاتّصالِها بالدُّعاءِ، فَكَأنَّهُ قالَ: فَزِعنا إليكَ في دعائِنا؛ لأنَّكَ القادِرُ على إجابَتِنا، العالِمُ بما في ضَمائِرِنا، وبِما هوَ أصلَحُ لَنا، مِمَّا لا يَبلُغُهُ كُنهُ عِلمِنا وقُصارَى بَصائِرِنا.

دلالة هذه الآية:

وفي هذهِ الآيةِ دلالَةٌ عَلى أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام دَعَوا لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ بِجَميعِ شَرائِطِ النُّبوَّةِ؛ لأنَّ تَحتَ التّلاوَةِ الأداءَ، وتَحتَ التّعليمِ البَيانَ، وتَحتَ الحِكمَةِ السُّنَّةَ، وَدَعَوا لأُمَّتِهِ باللُّطفِ الّذي لأجلِهِ تَمَسَّكُوا بكِتابِهِ وشَرعِهِ فَصارُوا أزكِياءَ؛ وهذا لأنَّ الدُّعاءَ صَدَرَ مِن إسماعيلَ عليه السلام فَعُلِمَ بذلكَ

(1) سورة النساء ٤: ٥٣، ٥٤.

أنَّ النَّبيَّ المدعوَّ بهِ مِن وُلْدِهِ لا مِن وُلْدِ إسحاقَ، ولَمْ يكنْ في وُلدِ إسماعيلَ نبيٌّ غيرُ نبيِّنا سَيِّدِ الأنبياءِ»[1]، انتهى كَلامُهُ.

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

الرَّغبةُ: المَحبَّةُ والمَيلُ القَلبي لِما فيهِ للنَّفسِ مَنفَعَةٌ وهيَ حينئذٍ تَتَعدَّى بـ(فِي)، وقَد تَتَعدَّى بـ(عَن)، وهوَ ضِدُّ ما يَتَعدَّى بـ(فِي)، يقالُ: رَغِبَ فيهِ رَغبَةً ورَغَبًا ورُغْبًا، أي: أحَبَّهُ وحَرَصَ عليهِ وطَمِعَ فيهِ، والرُّغْبُ بالضَّمِّ: الشَّرَهُ والحِرصُ، وفي الحَديثِ: «الرُّغبُ شُؤمٌ»[2]، أي: الشَّرَهُ والحِرصُ عَلى الدُّنيا وطُولُ الأمَلِ، ويقالُ: رَغِبَ عنهُ، أي: تَنفَّرَ عَنهُ وعافَهُ وأعرَضَ عَنهُ، ومنهُ قَولُهُ ﷺ: «النِّكاحُ مِن سُنَّتِي، وَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي»[3]، وكَذا ما نَحنُ فيهِ مِنَ الآيةِ، فَالمَحبَّةُ المُتَعدِّيَةُ بـ(فِي)، والمَحبَّةُ والإرادَةُ مِنَ النَّظائِرِ، ونَقيضُ الرَّغبَةِ: الرَّهبَةُ، ونَقيضُ المَحبَّةِ: البُغضَةُ، ونَقيضُ الإرادةِ: الكَراهَةُ، ورَجُلٌ رَغيبٌ: شَديدُ الأكلِ، وفَرَسٌ رَغيبٌ: كَثيرُ الأخذِ بقَوائِمِهِ الأرضَ، ومَوضِعٌ رَغيبٌ: واسِعٌ.

تَسميةُ لَيلةُ الرّغائِبِ وصَلاةُ الرّغائِبِ:

والرَّغبَةُ: العَطاءُ الكَثيرُ الّذي يُرغَبُ فيهِ، ومنهُ سُمِّيَت صَلاةُ الرّغائِبِ، واحدتُها رَغيبَةٌ، فَعِيلةٌ بمَعنى مَفعولٍ، أي: ما يُرغَبُ فيهِ مِنَ الثّوابِ العَظيمِ، وفي الحديث: «لا تَدَعْ رُكعَتَي الفَجرِ فإنَّ فيهِما الرَّغائبَ»[4]، أي: ما يُرغَبُ مِنَ الأجرِ الجَسيمِ والثّوابِ العَظيمِ، وفي الحَديثِ: «أفضَلُ العَمَلِ

(١) مجمع البيان: ١: ٣٩٤.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٢: ٤٧.

(٣) فتح الباري: ٩: ٩٦، وبحار الأنوار: ١٠٠: ٢٢٠، حديث رقم: ٢٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٣٨.

مَنحُ الرِّغابِ، لا يَعلَمُ حُسبانَ أجرِها إلّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ»[1]، الرِّغابُ بالكَسرِ: الإبِلُ الواسِعَةُ الدَّرِّ، الكَثيرَةُ النَّفعِ، جَمعُ رَغيبٍ: وهوَ الواسِعُ، يقالُ: جَوفٌ رَغيبٌ، ووادٍ رَغيبٌ، والرَّغبَةُ: السّؤالُ والطّلَبُ، وفي الحَديثِ: «كَيفَ أنتُم إذا مَرَجَ الدِّينُ وظَهَرَتِ الرّغبَةُ»[2]، أي: قَلَّتِ العِفَّةُ وكَثُرَ السّؤالُ والطَّلَبُ. [٥٢٢]

والاصطِفاءُ والاجتِباءُ والانتِخابُ والاختِيارُ: نَظائرُ، وهوَ: مِنَ الصّفوَةِ، والصَّفا والنّقاءُ والخُلُوصُ نَظائرُ، وصَفوَةُ كُلِّ شَيءٍ: خالِصُهُ، ونَقيضُ الصَّفوِ: الكَدِرُ، ومنهُ يقالُ لآدمَ عليه السلام: صَفِيُّ اللهِ[3]، وناقَةٌ صَفِيَّةٌ: كَثيرَةُ اللَّبَنِ فتكونُ مُختارَةً، ونَخلَةٌ صَفِيَّةٌ كَثيرَةُ الحملِ مُختارَةٌ، والجَمعُ صَفايَا، ومنهُ صَفَايَا المُلوكِ وقَطائِعُهُم للإمامِ عليه السلام، واصطَفَينا: مِنَ الصّفوَةِ، أصلُهُ: اصتَفَينا: افتَعَلنا، قُلِبَتِ التّاءُ طاءً لِمناسَبَةِ الصّادِ في الاستِعلاءِ والاطباقِ، والصَّلاحُ ضِدُّ الفَسادِ، والصَّلاحُ: الفَوزُ.

الإعراب:

(مَن): اسمُ استِفهامٍ مبتدأ، وهوَ هُنا للإنكارِ والجَحدِ، كَأنَّهُ قالَ: و ما يَرغَبُ عَن مِلَّةِ إبراهيمَ، وجملةُ (يَرغَبُ): خَبرُ المبتدأِ، و(عَن مِلَّةِ إبراهيمَ): مُتعلِّقٌ بِـ(يَرغَبُ)، و(إلّا): حَرفُ استِثناءٍ، و(مَن): مَوصولٌ اسمِي، هوَ مَعَ صِلَتِهِ مَرفوعُ المحَلِّ عَلى البَدَلِيَّةِ للضّميرِ المُستكنِّ في (يَرغَبُ) عَلى المُختارِ، أو مَنصوبُ المَحلِّ عَلى الاستِثناءِ عَلى حَدِّ قَولِهِم: ما جاءَ أحَدٌ إلّا زَيدٌ؛ لأنَّ المُستثنى إذا وَقَعَ في كَلامٍ تامٍّ غَيرِ مُوجَبٍ يَجوزُ فيهِ النّصبُ عَلى الاستِثناءِ ويُختارُ البَدَلُ، فَإن قُلتَ: (سَفِهَ) لازمٌ فَما ناصِبُ (نَفسَهُ) بعدَهُ؟.

في نَصبِ (نَفسَه) مِنْ (سَفِهَ نَفسَهُ) أقوالٌ خَمسَةٌ:

أحَدُها: إنَّ (سَفِهَ) بمَعنى: جَهِلَ، و(نَفسَهُ): مفعولٌ بِهِ لَهُ، أو بمَعنى: أمْهَنَ[4]، أو أذَلَّ، أو

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٢٣٧.

(٣) ينظر: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٤٠٦، والمزار: ٤٨.

(٤) أمهَنَ: (أي: حقيرٌ ضعيفٌ). العين: ٤: ٦١، (مهن).

استَخَفَّ؛ لأنَّ أصلَ السَّفَهِ: الخِفَّةَ، أو بمَعنى: أهلَكَ، أو أوبَقَ(١)، وعَلى التّقاديرِ (نَفسَهُ): مَنصوبٌ عَلى أَنَّهُ مَفعولٌ بهِ، هذا هوَ الوَجهُ.

ثانيها: أن تَكونَ مَنصوبَةً عَلى التّمييزِ، وهوَ قَولُ الفَرّاءِ وجُمهورِ الكُوفِيّينَ(٢)، فإنَّهم لَمْ يَشتَرِطوا في التّمييزِ النّكارَةَ، ومِن ذلكَ قَولِهِم: غَبِنَ رَأيَهُ وبَطِرَ عَيشَهُ، وقولِهِ تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾(٣)، وألِمَ بَطنَهُ، ووَفِقَ أمرَهُ، ورَشِدَ أمرَهُ، وزَيدٌ الحَسَنُ الوَجهَ، بنَصبِ الجَميعِ في الأمثلَةِ عَلى التّمييزِ، وكانَ الكُلُّ في الأصلِ مَرفوعًا عَلى الفاعليَّةِ، أي: سَفِهَ نَفسُهُ، وغَبِنَ رَأيُهُ، وبَطِرَ عَيشُهُ، إلى آخِرِهِ، فَنُصِبَ على التّمييزِ، ومِنهُ قَولُ جَريرٍ:

وَنَأخُذ بَعدَهُ بِذِنابِ عَيشٍ أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيسَ لَهُ سَنامٌ(٤)

عَلى رِوايَةِ نَصبِ (الظّهرَ) عَلى التّمييزِ كَالوَجهِ في (زَيدٌ الحَسَنُ الوَجهَ)، والبَصريُّونَ يُنكِرونَ ذلكَ ويَشتَرِطونَ النّكارَةَ في التّمييزِ حَتّى قالَ الزّجّاجُ: (إنَّ مَعنى التّمييزِ لا يَحتَمِلُ التّعريفَ؛ لأنَّ التّمييزَ إنَّما هوَ شَيءٌ يَدُلُّ عَلى جِنسٍ أو خلَّةٍ تَخلصُ مِن خِلالٍ، فَإذا عَرَّفتَهُ صارَ مَقصودًا قَصدُهُ، وهذا لَمْ يَقلْهُ أحَدٌ مِمَّن تَقَدَّمَ مِنَ النُّحاةِ)(٥).

ثالِثُها: أن تَكونَ تَمييزًا أيضًا، لكن إضافَتَهُ على تَقديرِ الانفصالِ، و(اللّامُ): للعَهدِ الذّهنِي، كَما في: أجَبَّ الظّهرَ، والحَسَنُ الوَجهَ، وهذا أيضًا رَكيكٌ قَبيحٌ.

رابِعُها: أن تَكونَ مَنصوبَةً عَلى نَزعِ الخافِضِ، أي: مَن سَفِهَ في نَفسِهِ، وبَطِرَت في مَعِيشَتِها، ورَشِدَ في أمرِهِ، وهكَذا على حَدِّ قَولِهِ:

---

(١) أوبقَ: (ذهبَ بلا خَوفٍ ولا كَدِّ عملٍ). القاموس المحيط: ٣: ٢٠٨، (أبق).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٧٩، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ١٠٩.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٥٨.

(٤) البيت من الوافر، وهو للنّابغة الذّبياني. ديوانه: ١٠٨، وهو من شواهد سيبويه: ١: ١٩٦، وينظر: أساس البلاغة: ١: ١١٩. وقد أشار المصنِّف إلى أنَّ البيتَ لجرير.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢١٠، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١: ١٠٩.

[قلتُ إِذْ أَقبلَت وزهرٌ تَهادَى] كَنِعاجِ المَلا تَعَسَّفنَ رَمْلًا [1]

وقَولِهِ تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[2]، أي: مِن قَومِهِ، وقَولِهِ تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾[3]، أي: لأولادِكُم، وقَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[4]، أي: عَلى عُقدَةِ النّكاحِ إلى غَيرِ ذلكَ.

خامِسُها: عَلى ما قالَ المُبرَّدُ وثَعلَبُ: «أنَّ سَفِهَ بالكَسرِ مُتَعَدٍّ، وبالضَّمِّ لازمٌ»[5] فيكونُ (نَفسَهُ) حينئذٍ: حينئذٍ: مَفعولٌ بِهِ كَالأوَّلِ، وقَولِهِ: (لَمِنَ الصّالحينَ): خَبَرُ (إنَّهُ)، و(في الآخِرَةِ): ظَرفٌ مُستَقِرٌّ حالٌ مِنَ المُستكِنِّ في خَبَرِ إنَّ ولا يَجوزُ أن يَكونَ مُتعَلِّقًا بالصّالحينَ؛ لأنَّ الصّلَةَ لا تَتَقدَّمُ عَلى الموصولِ فَمَعمولُها لا يَتَقدَّمُ عَليهِ بالطَّريقِ الأولى سِيَّما إذا كانَ الموصولُ الألِفُ واللّامُ كَما هُنا، فَإنَّ ذلكَ فيهِ إجماعِيٌّ[6] كَما بُيِّنَ في النّحو، ذَكرناهُ مُفصّلًا في زِينَةِ السّالِكِ.

وَقالُوا في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[7]: إنَّ الجارَّ والمجرورَ، أعني: (فِيهِ): مُتعَلِّقٌ بِمَحذوفٍ دَلَّت عَليهِ صِلَةُ «ال» والتّقديرُ: وَكانُوا مِنَ الزّاهِدينَ فيهِ مِنَ الزّاهدينَ، ولا يَجوزُ تعلّقهُ بالزّاهدينَ المذكورِ لِما ذَكرناهُ، وكَذا الحُكمُ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[8] وفي هذهِ الآيةِ والّتي نَحنُ فِيها عِلَّةٌ أُخرَى لِلامتِناعِ المَذكورِ وهيَ: وُجودُ لامُ الابتِداءِ أيضًا.

النُّزول:

قالَ في المجمَعِ: «رُوِيَ أنَّ عَبدَ الله بنَ سلامٍ دَعَا ابنَا أَخيهِ سَلَمَةَ ومُهاجِرٍ إلى الإِسلامِ، فَقالَ: لَقد

---

(١) البيت من الخفيف لعمر بن أبي ربيعة، وقد مرَّ تخريجه.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٥٥.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٣٣.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٣٥.

(٥) الكلّيّات: ١٠٠٣.

(٦) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ٢: ٣١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٨: ٤١٤٠.

(٧) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

(٨) سورة الأعراف ٧: ٢١.

عَلِمنا صِفَةَ مُحمَّدٍ ﷺ في التّوراةِ، فَأسلَمَ سَلمَةُ، وأبى عَنِ الإسلامِ مُهاجرٌ فَأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيةَ»[1]. [٥٢٣]

لَمّا ذَكَرَ اللهُ سبحانهُ مِلَّةَ [الإسلام] وحَقِّيَّتَها وأنَّ هُدى الله هوَ الهُدى، وأنَّ المِلَّةَ والدِّينَ عِندَ الله هوَ الإسلامُ، وأنَّ مَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ منهُ، وأنَّ مِلَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ هيَ مِلَّةُ إبراهيمَ الّذي هوَ أبُوهُ عَقَّبَها بالحَثِّ عَلى اتِّباعِها فَقالَ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ هذا عَلى وَجهِ الاستِبعادِ والانكارِ، لِأن يُوجَدَ أحَدٌ يَرغَبُ عِن مِلَّةِ إبراهيمَ، الواضِحَةِ الغَرّاءِ، والحَنَفيَّةِ البَيضاءِ، أي: لا يَرغَبُ جَزمًا أحَدٌ عَن مِلَّةِ إبراهِيمَ عليه السلام، ولا يَزهَدُ فيها، ولا يُعرِضُ عَنها، ولا يُنَفِّرُ مِنها، إلَّا الّذي أضَلَّ نَفسُهُ، أو أذَلَّها، أو أوبَقَها[2]، أو استَخَفَّ بِها، أو جَهِلَ نَفسُهُ بِما فِيها الآياتِ الدّالةِ عَلى أنَّ لَها صانِعًا، وأنَّ مِلَّةَ إبراهيمَ هيَ المِلَّةُ الّتي هيَ أقوَمُ وأنَّها مِثلَ مِلَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ في كَونِها واجِبَ الاتِّباعِ، بَل هيَ هيَ بعَينِها بدَليلِ قَولِهِ تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

في المَحاسِنِ: عَن عَليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام: أنَّهُ قالَ: «ما أحَدٌ عَلى مِلَّةِ إبراهيمَ إلَّا نَحنُ وشِيعتُنا وسائِرُ النّاسِ مِنها بَراءٌ»[4]، عَنِ الصّادقِ والكاظِمِ عليهما السلام ما في مَعناهُ[5]، فَمَن يَرغَبُ عَنها ويَزهدُ فيها فيها خاطِئٌ خاسِرٌ، فَقولُهُ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾، أي: اجتَبَيناهُ في الدُّنيا بالرِّسالَةِ والإمامَةِ والمُلكِ العَظيمِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الفائِزينَ، حُجَّةٌ وبَيانٌ ودَليلٌ وبُرهانٌ لِخَطَأ رَأيِ

---

(١) مجمع البيان: ١: ٣٩٦.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الإيباق: الإهلاك.

(٣) سورة الحج ٢٢: ٧٨.

(٤) المحاسن: ١: ١٤٧، حديث رقم: ٥٤. والحديث منقول في المحاسن وغيره عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام لا عن ولدِهِ السّجّاد عليه السلام.

(٥) كالحديث المنقول في المحاسن: ١: ١٤٧، حديث رقم: ٥٦: عن أبي عبد الله عليه السلام: «يا عِبادِ، ما على مِلَّةِ إبراهيمَ أحدٌ غيرُكُم، وما يقبلُ اللهُ إلَّا منكم، ولا يغفرُ الذّنوبَ إلَّا لكم».

مَن يَرغَب عَن مِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، فَإنَّ مَن كانَ مِن صَفوَةِ عِبادِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في الدُّنيا بالنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ والإمامَةِ، ومُقتَدًى لِجميعِ الأنامِ مَشهُودًا لَهُ بالسَّدادِ والصّلاحِ والفَوزِ والنّجاحِ يومَ القِيامَةِ كانَ حَقيقًا بالاتِّباعِ، جَدِيرًا بالاقتِداءِ، لا يَرغَبُ عَنهُ إلّا سَفِيهٌ أو مُتَسَفِّهٌ، أذَلَّ نَفسَهُ بالجَهلِ، أو التّجاهلِ والإعراضِ عَنِ النَّظَرِ الصّائِبِ والتّعمُّقِ في عَواقِبِ الأُمورِ؛ لأنَّ مَن جَمَعَ الكَرامَةَ عندَ اللهِ في الدّارَينِ لَم يَكنْ أَحَدٌ أولى بأن يُرغَبَ في مِلَّتِهِ وطَرِيقَتِهِ منهُ[1].

وقَولُهُ تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾ آيةٌ:

الإعراب:

(إذ): ظَرفٌ لِقولِهِ (اصطَفَيناهُ) فَيكونُ مُتَّصِلًا بِما قَبلَهُ، تَقديرُهُ: وَلَقَد اصطَفَيناهُ حينَ قالَ لَهُ رَبُّهُ أسلِم، أو تَعليلٌ لَهُ، أو مَنصوبٌ عَلى أنَّهُ مَفعولٌ بِهِ لـ(اذكُرْ) مَحذوفًا كَأنَّهُ قِيلَ: اذكُرْ ذلكَ الوَقتَ لِتَعلَم أنَّهُ المُصطَفى الصّالِحُ المُستَحِقُ للنُّبوَّةِ والإمامَةِ والتّقدُّمِ على الأنامِ، و(رَبُّهُ): فاعلُ (قالَ)، و(لَهُ): مُتعلِّقٌ بهِ، والجملَةُ: مُضافٌ إليها، وجملَةُ (أسلِمْ): مَقولُ (قالَ)، وفاعلُ (قالَ) الثّاني: ضَميرُ إبراهيمَ، وجملَةُ (أسلَمْتُ لِرَبِّ العالمينَ) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ بالوَاسطَةِ: مَقولُ (قالَ) الثّاني.

المعنى:

اُختُلِفَ في أنَّهُ مَتى قِيلَ لَهُ ذلكَ، فَقالَ بعضُهُم: كانَ ذلكَ حينَ خَرجَ مِنَ السّربِ[2]، وقالَ بعضُهُم: كانَ هذا حينَ أفَلَتِ الشّمسُ ورَأى إبراهيمُ تلكَ الآياتِ الثّلاثِ[3] فاستَدَلَّ بها عَلى وِحدانِيَّتِهِ سبحانهُ وَ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] وأَنَّهُ أسلَمَ حينئذٍ، وهذا يَدُلُّ عَلى أنَّهُ كانَ قَبلَ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولهُ (منهُ): متعلّقٌ بقولِهِ: أولى، والضميرِ المجرورِ في (منه) عائدٌ إلى (مَن جَمَعَ).

(٢) وهو قول ابن عبّاس. ينظر: تفسير البغويّ: ١: ١٦٩.

(٣) وهو قول الضّحّاك. ينظر: تفسير القرطبي: ٧: ٢٤.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٧٨، ٧٩.

النُّبوَّةِ وأنَّهُ قالَ لَهُ ذلكَ إلهامًا؛ استِدعاءً منهُ إلى الإسلامِ، فَأسلَمَ حينئذٍ لِما وَضَحَ لهُ طَريقُ الاستِدلالِ بِما رَأى مِنَ الآياتِ كَما قالَ سبحانهُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾(١) الآية.

ولا يَصُحُّ أن يُوحِيَ اللهُ إليهِ قَبلَ إسلامِهِ بأنَّهُ نَبيُّ اللهِ؛ لأنَّ النُّبوَّةَ حالُ إجلالٍ وإعظامٍ ولا يَكونُ ذلكَ قَبلَ الإسلامِ، وقِيلَ: ذلكَ بَعدَ النُّبوَّةِ، وأنَّ مَعنى أسلِمْ: استَقِمْ عَلى الإسلامِ واثبتْ عَلى التَّوحيدِ، فَاعْلَمْ أنَّهُ لا إلهَ إلّا اللهُ، أو مَعناهُ: أخلِصْ دِينَكَ بالتَّوحيدِ، فَقالَ مُبادِرًا إلى الإذعانِ وإخلاصِ السِّرِّ: أسلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، أي: أخلَصتُ الدِّينَ للهِ رَبِّ العالِمِينَ ﴿وَجَّهْتُ وَجهِي﴾ الآيةُ؛ ولِقولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾(٢) وأنَّهُ عليه السلام نالَ ما نالَ بالمُبادَرَةِ إلى الإذعانِ، وإخلاصِ السِّرِّ حِينَ دَعاهُ رَبُّهُ وأخطَرَ ببالِهِ دَلائِلَهُ المُؤدِّيَةَ إلى المَعرفَةِ الدّاعيّةِ إلى الإسلامِ.

وقَولُهُ تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾** آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ أهلُ المدينَةِ، وهُم: أبو جعفرٍ يَزيدُ بنُ القَعقاعِ، وعَلِيٌّ مَولاهُ، ونافعُ بنُ عبدِ الرّحمنِ، وأهلُ الشّامِ، كَعبدِ اللهِ بنِ عامرٍ وغَيرِهِم: (أوصَى) بالهَمزَةِ وتَخفيفِ الصّادِ(٣)، بدليلِ قَولِهِ تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾(٤)، وقَولِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(٥)، وقَولِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(٦)، والباقونَ: (وَصَّى) بتَشديدِ الصّادِ(٧)، وهوَ أرجَحُ كَما نَذكرُهُ في اللّغَةِ،

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٧٥.

(٣) ينظر: حجّة القراءات: ١: ١١٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١: ١٩٣.

(٤) سورة النساء ٤: ١١.

(٥) سورة النساء ٤: ١١.

(٦) سورة النساء ٤: ١٢.

(٧) ينظر: حجّة القراءات: ١: ١١٥، وغيث النفع في القراءات السبع: ١: ٩٣.

اللّغَةِ، بدَليلِ قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾[1] فإنَّ التّوصِيَةَ مَصدرُ (وَصَّى)، مِثلَ بَصَّرَ تَبصِرَةً، وذَكَّرَ تَذكِرَةً، وقَطَّعَ تَقطِعَةً، لكن لا يَجيءُ مِنَ الُمعتَلِّ اللّامِ منهُ تَفعِيلٌ؛ لِكَراهيَّةِ اجتِماعِ ثَلاثُ ياءاتٍ، بَل يُقالُ: تَفعِلَة مِثلَ تَسمِيَة وتَعدِيَة وتَوصِيَة، وأمَّا قَولُ الشّاعِرِ:

وَهيَ تُنَزِّي دَلوَها تَنزِيّا كَما تُنَزِّي شَهلَةٌ صَبِيًّا[2]

شاذٌّ، مَعَ أَنَّهُ حَذَفَ إحدى الياءاتِ الثّلاثِ تَخفيفًا، وقُرِئَ: يَعقوبَ بالنَّصبِ عَطفًا عَلى بَنِيهِ، فَيَكونُ مِن ذِكرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ لِمزيدِ الاختِصاصِ ونَحوِهِ[3].

اللغة:

التّوصِيَةُ والايصاءُ والأمرُ والعَهدُ نظائرُ، فالتَّوصِيَةُ والايصاءُ: التَّقدِمَةُ إلى الغَيرِ بفِعلٍ فيهِ خَيرٌ وصَلاحٌ وقُربَةٌ. [٥٢٤]

تعريفُ الوصِيّةِ:

والتَّوصِيَةُ أبلَغُ مِنَ الايصاءِ مِن جِهَةِ البابِ؛ لأنَّ التَّفعيلَ للمُبالَغَةِ والتّكثيرِ، وأصلُ الوَصِيَّةِ: الوَصْلُ، يقالُ: وَصّاهُ: إذا وَصَلَهُ، وفَصّاهُ: إذا فَصَلَهُ، ويقالُ: وَصّى البُيوت: إذا اتَّصَلَ بعضُها ببعضٍ فَكَأنَّ الُموصِي بالوَصِيَّةِ وَصَلَ جُلَّ أمرِهِ بالُموصَى إليهِ، وَصَلَ فِعلَهُ بِفعلِهِ.

اشتِقاقُ يعقوبَ وتَسمِيَتُهُ بِهِ:

وَيَعقوبُ على يَفعولُ مِنَ العَقبِ بزِيادَةِ الياءِ والواوِ، كَيَنبوعٍ مِنَ النَّبعِ لكنَّهُ غَيرُ مُنصَرِفٍ للعَلميَّةِ والعُجمَةِ، وَليسَ على وَزنِ فَعلُولٍ بأصالَةِ الياءِ؛ لأنَّ فَعْولًا بالفَتحِ نادرٌ أو مَعدومٌ في كَلامِهِم؛ وإنَّما سُمِّيَ بِهِ لِخُروجِهِ في عَقِبِ أخيهِ عيصٍ كَما يَجيءُ ذِكرُهُ في الَمعنى، والباقِي: مَرَّ لغَةً في أمثالِهِ.

(١) سورة يس ٣٦: ٥٠.

(٢) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة. ينظر: العين: ٣: ٤٠١، (شهل)، والخصائص: ٢: ٣٠٤، ولسان العرب: ١٥: ٣٢٠، (نزا)، والتّنزّي: التّحرّك والوثوب، والشّهلة: العجوز الكبيرة.

(٣) لم يقف الباحث على القراءة المذكورة في كتب القراءات، وأثبتها من تفسير ابن عطيّة: ١: ٢١٣، والقراءة لعمرو بن فائد الإسواري.

الإعراب:

(إبراهيمُ): فاعِلُ (وَصَّى)، و(بِها): مُتعلِّقٌ بهِ، و(الهاءُ): عائدٌ إلى المِلَّةِ الّتي تَقدَّمَ ذِكرُها، وهوَ قَولُ الأكثرِ وقيلَ: راجعٌ إلى الكَلِمَةِ الّتي هيَ قَولُهُ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالمينَ، و(بَنِيهِ): جمعُ ابنٍ: مَفعولٌ بهِ لِـ(وَصّى)، و(يعقوبُ): مَرفوعٌ عَطفٌ على (إبراهيمُ)، والتّقديرُ: وَوَصَّى بها إبراهيمُ ويَعقوبُ بَنيهِما، وقيلَ: إنَّهُ عَلى الاستِئنافِ كَأَنَّهُ قالَ: وَوَصَّى يَعقوبُ أن يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ إلى آخِرِه، والأَوَّلُ أظهَرُ وأخصَرُ وأحسَنُ، والفَرقُ بينَهُما أنَّ الأوَّلَ لا إضمارَ فيهِ؛ لأَنَّهُ مَعطوفٌ مِن عَطفِ المفرَدِ عَلى المفرَدِ، والثّاني فيهِ إضمارٌ مِن عَطفِ الجملَةِ عَلى الجملَةِ، (يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ) إلى آخِرِه: مَقولَةٌ للقَولِ المُقدَّرِ، أي: قَالا: يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ إلى آخِرِه، ومَقولُ (وَصَّى) عِندَ الكوفِيِّينَ؛ لأنَّ وَصّى نَوعٌ مِنَ القَولِ[1]، و(الدِّينَ): مَفعولٌ بهِ لـ(اصطَفَى)، و(الأَلِفُ واللّامُ) فيهِ: للعَهدِ دونَ الاستِغراقِ، وهوَ: الإسلامُ الّذي قالَ سبحانهُ في قَولِهِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[2]، وقَولِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[3]، وغَيرِ ذلكَ مِمَّا مَرَّ، وهوَ والإيمانُ سَواءٌ، و(الفاءُ) في (فَلا): تَفريعيّةٌ أو فَصِيحَةٌ، و(لا): ناهيَةٌ، والنَّهيُ المذكورُ وإن كانَ في الظّاهِرِ نَهيًا لَهُم عَنِ المَوتِ، لكنَّهُ عَلى الحَقيقَةِ نَهيٌ عَن تَركِ الإسلامِ قَبلَ المَوتِ، لِئَلَّا يُصادِفَهُم الموتُ عَليهِ، ومِثلُهُ مِن كَلامِ العَرَبِ: لا أَرَيَنَّكَ في هذا المَزلَقِ، فَالنَّهيُ في اللَفظِ للمُتكَلِّمِ وإنّما هوَ في الحقيقَةِ للمُخاطَبِ، كَأَنَّهُ قالَ: لا تَتعَرَّضْ لهذا المَكانِ؛ لِأن أراكَ بِكَونِكَ فيهِ، ومِثلُ قَولِكَ: لا تُصَلِّ إلّا وأنتَ خاشِعٌ، فَلا تَنهاهُ عَنِ الصّلاةِ، ولكن تَنهى عَن تَرْكِ الخُشُوعِ في حالِ صَلَاتِهِ، ونَظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[4]، لَيسَ نَهيًا عَن فِعلِ الصّلاةِ وَلكِن نَهى عَن كَونِهِم سُكارَى في حالِ صَلاتِهِم، أو عَن فِعلِها حالَ السُّكرِ، وجملةُ (وَأنتُم مُسلِمونَ): مُستَثناةٌ مُفرَّغٌ لَها العامِلُ، فَهيَ: حالٌ مِن فاعِلِ (تَموتُنَّ) والمُستَثنَى منهُ

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١: ٨٠.

(٢) سورة أل عمران ٣: ١٩.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٨٥.

(٤) سورة النساء ٤: ٤٣.

مَحذوفٌ، أي: لا تَموتُوا في حالٍ مِنَ الأحوالِ إلّا حالَ كَونِكُم مُسلمينَ، مَعناهُ: لِيَأتِكُمُ الموتُ وأنتُم مُسلِمونَ.

المعنى:

لَمَّا بَيَّنَ سبحانهُ دُعاءَ إبراهيمَ عليه السلام لِنفسِهِ ولِذُرِّيَّتِهِ وحَكَمَ بسَفَهِ مَن يَرغَبُ عَن مِلَّتِهِ ويُعرِضُ عنهُ ذَكَرَ اهتِمامَهُ عليه السلام بأمرِ الدِّينِ ووَصِيَّتَهُ وعَهدَهُ إلى بَنِيهِ في أُمورِ الدّارَينِ فَقالَ: ﴿**وَوَصَّى بِهَا**﴾، أي: عَهِدَ وأمَرَ بالمِلَّةِ والدِّينِ الّذي هوَ الإسلامُ، أو بالكَلِمَةِ الّتي هيَ قَولُهُ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالمينَ، وبكَلِمَةِ الإخلاصِ الّتي هيَ لا إلهَ إلّا اللهُ، وبالكَلِمَةِ الباقِيَةِ في عَقِبِهِ مِنَ الأئمَّةِ الاثنا عَشَرَ، وكُلُّها مُتَلازِماتٌ،﴿**إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ**﴾، أي: أولادَهُ، إنَّما خَصَّ بِها أولادَهُ؛ لأنَّ إشفاقَهُ عَليهِم أكثرُ، وهُم بِقَبولِ وَصِيَّتِهِ أجدَرُ وإلّا فَمِنَ المعلومِ أنَّهُ عليه السلام يَدعو جَميعَ الأنامِ إلى الإسلامِ كَما مَرَّ في قَولِهِ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ مِن إنَّ الأولادَ أحَقُّ بالشَّفَقَةِ؛ ولِأنَّهُم إذا صَلَحُوا صَلَحَ أتباعُهُم، وَذَكَرَ البَنِينَ عَلى التّغليبِ فَالإناثُ داخِلَةٌ فِيهِم، والمَشهورُ أنَّ أبناءَ إبراهيمَ أربعَةٌ: إسماعيلُ وإسحاقُ ومَدينُ ومُدّانُ، وقيلَ ثَمانيةً، وقيلَ أربعَةَ عَشَرَ.

﴿**وَيَعْقُوبُ**﴾، أي: كَذا وَصَّى بِها يَعقوبُ، وهوَ إسحاقُ بَنِيهِ الاثنا عَشَرَ، وهُم الأسباطُ، وهُم: رُوبين، ويُقالُ: رُوبيل، وشَمعون، ولاوِي، ويَهودَا، ويَشنوخون، وذَبولون، ودُونَى، ونَقتونَى، وكُودا، واوشِير، وبِنيامِين، ويُوسُف عليه السلام، وإنَّما سُمِّيَ يَعقوبُ بِهِ؛ لأنَّهُ وأخاهُ عيصًا كانَا تَوأَمَينِ فَتَقدَّمَ عيصٌ في الوِلادَةِ، وخَرَجَ يَعقوبُ على أثَرِهِ آخِذًا بعَقِبِهِ.

في كِتابِ عِلَلِ الشّرائِعِ: بإسنادِهِ إلى أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «كانَ يَعقوبُ وعيصٌ تَوأَمَينِ، فَوُلِدَ عيصٌ ثمَّ وُلِدَ يَعقوبُ بعَقِبِ أخيهِ عيصٍ»(١).

﴿**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ**﴾، أي: فَقالا جَميعًا: يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ اختارَ واجتبى لَكُم الدِّينَ الّذي هوَ الإسلامُ، فَكَسَرَ همزَةُ إنَّ لِكَونِها مَقولَةً للقَولِ المُقدَّرِ كَما رَأيتَ، أو مَقولَةً لِوَصَّى؛

(١) علل الشرائع: ١: ٤٣، حديث رقم: ١.

لأنَّهُ نوعٌ مِنَ القَولِ، كَما يقالُ: رَجلانِ مِن بَنِي ضُبَّةَ أخبرَانا إنَّا كَسَونا رَجُلًا عُريَانًا، بكَسرِ هَمزَةِ إنَّ.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي: لا تَترُكوا الإسلامَ وَقتًا مِنَ الأوقاتِ فَيُصادِفَكُم الموتُ عَلى تَركِهِ، ولا تَتَعَرَّضُوا للمَوتِ على تَركِ الإسلامِ بفِعلِ الكُفرِ، أي: فاثبُتُوا عَلى الإسلامِ بحيث لا يَتطَرَّقُ إليهِ الزّوالُ في وَقتٍ ما، وقالَ الزّجّاجُ مَعناهُ: «الزَمُوا الإسلامَ دائمًا فَإذا أدرَكَكُم الموتُ صادَفَكُم مُسلِمينَ»[1]، وإنَّما غُيِّرَتِ العِبارَةُ لِيَدُلَّ على أنَّ مَوتَهم لا عَلى الإسلامِ مَوتٌ لا خَيرَ فيهِ، وأنَّ مِن حَقِّهِ أن لا يَحِلَّ بِهم. [٥٢٥]

دلالةُ هذهِ الآية:

قالَ في المجمَعِ: «وفي هذهِ الآيةِ دلالَةٌ عَلى التّرغِيبِ في الوَصِيَّةِ عندَ المَوتِ، وأنَّهُ يَنبَغي أن يُوَصِّيَ الانسانُ مَن يَلِي أمرَهُ بتَقوَى الله، وَلِزومِ الدِّينِ والطّاعَةِ»[2] انتهى.

وَفي أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى يونُس بنِ عبدِ الرّحمنِ عَن عَبدِ الأعلى[3] عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ أبي عليه السلام استودَعَني ما هُناكَ، فَلَمّا حَضَرَتهُ الوَفاةُ قالَ لي: ادعُ شُهودًا فَدَعوتُ لهُ أربَعَةً مِن قُريشٍ، مِنهُم نافعُ مَولى عبدُ الله بنِ عُمَر فقالَ: اُكتُب: هذا مَا أوصَى بِهِ يَعقوبُ بَنِيهِ: **﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**، وأوصَى مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ إلى جَعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ وأمرَهُ أن يُكَفِّنَهُ في بُردِهِ الّذي كانَ يُصلِّي فيهِ الجُمعَةَ»[4] الحديث.

وفي كمالِ الدّينِ وتمامِ النّعمَةِ: بإسنادِهِ إلى مُحَمَّدِ بنِ الفَضلِ عَن أبي حَمزَةَ الثّمالي عَن أبي جَعفرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الباقِرِ عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ ذَكَرَهُ في بابِ اتِّصالِ الوَصِيَّةِ مِن لَدُن آدَمَ عليه السلام يَقولُ فيهِ عليه السلام:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢١٢.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٩٩.

(٣) هو: مولى آل سام بن لؤي بن غالب: ممدوح، نُقِلَ عنهُ قالَ: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ النّاسَ يعيبونَ عَليّ بالكلامِ، فقالَ: أمّا مثلكَ مَن يَقع ثمّ يطير فَنعم، وأمّا مَن يقع ثمّ لا يطير فلا». خلاصة الأقوال: ٢٢٢، ترجمة رقم: ٢، ورجال ابن داود: ١٢٧، ترجمة رقم: ٩٣٣.

(٤) الكافي: ١: ٣٠٧، حديث رقم: ٨.

«وقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ وقَولُهُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ـ لِنَجعَلَها في أهلِ بَيتِهِ ـ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾[1]؛ لِنَجعَلَها في أهلِ بَيتِهِ»[2]، ونَذكُرُ باقِي أحكامِها في تَفسيرِ قَولِهِ: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾[3] في هذهِ السّورَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

وقَولُهُ تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ آية:

القراءة:

قُرِئَ: (حَضِرَ) بكَسرِ عَينِ الكَلمةِ، والجمهورُ: بفَتحِها[4]، وقُرِئَ: (إلهَ أَبِيكَ) على أَنَّهُ جَمعٌ بالواوِ والنّونِ رَفعًا، والياءِ والنّونِ جَرًّا ونَصبًا[5]، مِثلَ: هؤلاءِ أَبُونَ، ورَأيتُ أَبِينَ، ومَرَرتُ بأَبِينَ، فلَمّا أُضِيفَ إلى الكافِ حُذِفَتِ النّون، عَلى حَدِّ قَولِ الشّاعِرِ:

فَلَمّا تَبَيَّنَّ أَصْواتَنا ... بَكَينَ وفَدَّينَنَا بالأَبِينا[6]

أي: لَمَّا سَمِعنَ وَعَلِمنَ أصواتَنا بَكَينَ، وقُلنَ لَنا: آباؤُنا فِداؤُكُم، أو عَلى أَنَّهُ[7] مُفرَدٌ، و(إبراهيمَ) وَحدَهُ عَطفُ بَيانٍ أو بَدَلٌ لهُ، وإسماعِيلَ وإسحاقَ مَعطوفانِ عَلى أبيكَ، أي: إلهَ أبيكَ إبراهيمَ، وإلهَ إسماعِيلَ، وإلهَ إسحاقَ، والجُمهورُ: إلهَ آبائِكَ بِجَمعِ التَّكسيرِ[8].

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٨٤.

(٢) كمالُ الدّينِ وتمامُ النّعمَةِ: ٢١٦، حديث رقم: ٢.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٨٠.

(٤) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٣، والقراءة لأبي السَمّال.

(٥) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١١٢.

(٦) البيت من المتقارب، لزياد بن واصل السّلميّ. ينظر: تفسير ابن عطية: ١: ٢١٤، وبلا نسبة في الصحاح: ٦: ٦: ٢٢٦٠، (أبا)، وخزانة الأدب: ٤: ٩٨.

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: أبيك.

(٨) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١١٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: عشر: ١: ١٩٣، وهي قراءة ابن مجاهد والحسن وابن يعمر و الجحدري.

اللغة:

الشُّهودُ والحُضورُ مِنَ النّظائرِ، والشّهداءُ: جَمعُ شَهيدٍ، أو شاهدٍ، يقالُ: حَضَرتُ القَومَ أحضُرُهُم: إذا شَهدتَهُم، وقالَ تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾(١)، أي: حَضَرَ في البَلَدِ شَهرَ رَمضانَ فَلْيَصُمهُ.

النّهي في بَيعِ الحاضِرِ للبادِي:

وفي الحَديثِ: «لا يَبعْ حاضِرٌ لِبادٍ»(٢)، أي: الحاضِرُ الشّاهِدُ المُقيمُ في المُدُنِ والقُرى، والبادِي: المُقيمُ المُقيمُ في البادِيَةِ، والمَنهِيُّ عنهُ أن يَأتِيَ البَدَوِيُّ البَلدَةَ ومَعهُ قُوتٌ يَبغِي التَّسارُعَ إلى بَيعِهِ رَخيصًا فَيقولُ لَهُ الحَضريُّ أَتْرُكْهُ عِندِي لِأُغالِيَ في بَيعِهِ فَهذا الصّنيعُ مُحرَّمٌ لِما فيهِ مِنَ الإضرارِ بالغَيرِ، والبَيعُ إذا جَرَى مَعَ المُغالاتِ مُنعَقِدٌ وهذا إذا كانَتِ السّلعَةُ مِمَّا تَعمُّ الحاجَةُ إليها كَالأقواتِ، فَإن كانَت لا تَعمُّ الحاجَةُ إليها أو كَثُرَ القُوتُ واُستُغنِيَ عنهُ فَفي التّحريمِ تَردُّدٌ، يُعَوَّلُ في أَحَدِهِما على عُمومِ ظاهِرِ النّهي وحَسْمِ بابِ الضَّرَرِ فَيكونُ حَرامًا، وفي الثّاني عَلى مَعنى الضّرَرِ وزَوالِهِ فَيكونُ مَكروهًا عندَ عَدَمِ عُمومِ الحاجَةِ وكَثرَةِ الأقواتِ، والحَضِيرَةُ: الجَماعَةُ مِنَ النّاسِ ما بَينَ الخَمسَةِ إلى العَشرَةِ، وأحضَرَ الفَرَسُ يُحضِرُ فَهوَ مُحضِرٌ: إذا عَدَا عَدوًا شَدِيدًا لازِمٌ، وحُضْرُ الفَرَسِ بالضَّمِّ: عَدوُهُ، وحاضَرْتُ الرّجُلَ مُحاضَرَةً: إذا عَدَوتَ مَعَهُ، وحاضَرْتُهُ: إذا جاثَيتَهُ عِندَ السّلطانِ أو في خُصُومَةٍ، وحَضْرَةُ الرّجُلِ: قُرْبُهُ وفِناؤُهُ، وفي حَديثِ الجَرمي: (كُنَّا بِحَضرَةِ ماءٍ)(٣)، أي: عِندَهُ وقُربَهُ، وأصلُ بابُ الحُضورِ: خِلافُ الغَيبَةِ، وكَذا الشّهودِ، وَقد مَرَّ مَعنى الإلهِ لغَةً في تَفسيرِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(٤)، وإبراهيمُ وإسماعِيلُ وإسحاقُ ويَعقوبُ: مُمتَنِعٌ صَرفُها للعَلَميَّةِ والعُجمَةِ كَما مَرَّ.

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٨٥.

(٢) الكافي: ٥: ١٦٨، حديث رقم: ١، ومن لا يحضره الفقيه: ٣: ٢٧٣، حديث رقم: ٣٩٨٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٣٩٩.

(٤) سورة الفاتحة ١: ١.

الإعراب: [٥٢٦]

(أم): هذه مُنقَطِعَةٌ على الأقوى، ولا تَجيءُ (أم) مُنقَطعَةٌ إلّا وقبلَها كَلامٌ؛ لأنّها بمَعنى (بَل والهمزَةِ) كَقولِهم: إنّها لَإبِلٌ أم شاءٌ، أي: بَل أهِيَ شاءٌ، كَأنَّهُ قِيلَ: بَل أكُنتُم شُهداءَ، ومَعنى الهمزَةِ في الآيَةِ الانكارُ والجَحدُ، أي: ما كُنتُم شُهداءَ حاضِرينَ يَعقوبَ، وإنّما كانَت صورَتُهُ صُورَةَ الاستِفهامِ، والمَعنَى عَلى خِلافِهِ؛ لأنَّ إخراجَهُ مُخرَجَ الاستِفهامِ أبلَغُ في البَراعَةِ والفَصاحَةِ، وأشَدُّ مُظاهَرَةً في الحِجاجِ[١]، إذ يَخرُجُ مُخرَجَ التّقريرِ بالحَقِّ فتَلزَمُ الحُجَّةُ أو الانكارُ لَهُ، فتَظهَرُ الفَضِيحَةُ، ويَجوزُ أن تَكونَ (أم) هُنا مُتّصِلَةً أيضًا عَلى أن يُقدَّرَ مُعادِلُها مَحذوفًا قَبلَها، أي: أكُنتُم غائِبينَ أم كُنتُم شاهِدينَ، أو أتَدَّعونَ عَلى الأنبياءِ اليَهوديَّةَ أم كُنتُم شُهداءَ إلى آخِرِهِ عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[٢] عَلى وَجهٍ، أي: أخبِروني آللهُ أذِنَ لَكُم في التّحريمِ والتّحلِيلِ أم تَكذِبونَ عَلى اللهِ في نِسبَةِ ذلكَ إليهِ، وقولِهِ تعالى: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[٣]، و(شهداءُ): خَبَرُ كُنتُم، و(إذ) الأُولَى ظَرفٌ لِـ(شُهداءَ)، و(الموتُ): فاعِلُ (حَضَرَ)، و(يَعقوبَ): مَفعولُهُ، و(إذ): الثّانيَةِ بَدَلٌ مِنَ الأُولَى، أو الثّانِيَةُ ظَرفٌ لِحَضَرَ وكِلاهُما جائزٌ، و(ما): اسمُ استِفهامٍ مَنصوبُ المَحَلِّ مَفعولٌ بهِ لِـ(تَعبدونَ) قُدِّمَ عَليهِ لِلزومِ التّصدُرِ إنّما وَضَعَ (ما) في مَوضِعِ (مَن)؛ لأنَّ النّاسَ كانُوا يَعبُدونَ الأصنامَ كَأنَّهُ قالَ: أيَّ الأشياءِ تَعبُدونَ؟ و(مِن بَعدِي) مُتعَلِّقٌ بِـ(تَعبدونَ) عَلى حَذفِ مُضافٍ، والجملَةُ: مَقولَةٌ لِـ(قالَ)، وجملَةُ (قالُوا) إلى آخِرِهِ: جَوابُ الاستِفهامِ، أعنِي: قَولَهُ: ما تَعبُدونَ مِن بَعدِي، وجُملَةُ: نَعبُدُ إلى آخِرِهِ مَقولَةً: لِـ(قالوا).

(إلهَكَ): مَفعولٌ بهِ لِـ(نعبُدَ)، و(إلهَ آبائِكَ): عَطفٌ عَليهِ، و(إبراهيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ): كُلُّها مُجرورٌ بالفَتحَةِ عَلى البَدَلِيّةِ لآبائِكَ عَلى سَبيلِ التّغليبِ بالنّسبَةِ إلى (إسماعيلَ) مثلَ: مَرَرتُ بالعُلَماءِ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: في الاحتجاجِ والحجّةِ والغلبةِ.

(٢) سورة يونس ١٠: ٥٩.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ٨.

أبيكَ وأخِيكَ وصَدِيقِكَ وصاحِبِكَ، و(إلهًا): مَنصوبٌ عَلى أنَّهُ حالٌ مِن (إلهكَ)، والتّقديرُ: قالُوا نعبُدُ إلهَكَ حالَ وِحدانيّتِهِ، أو بَدَلٌ مِن مُفيدٍ للتّوكيدِ والتّصريحِ بالتّوحِيدِ ونَفيِ التّوهُّمِ النّاشِئِ مِن تَكريرِ الإلَهِ؛ لِتَعذُّرِ العَطفِ عَلى الضّميرِ المَجرورِ بدون إعادَةِ الجَارِّ وإنَّما يَجوزُ ذلكَ[1] لِكَونِهِ نكرَةً مَوصوفَةً بقَولِهِ واحِدًا على حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾[2]، أو منصوبٌ عَلى الاختِصاصِ أي: نُريدُ أو نَخُصُّ إلهًا واحِدًا، وجملَةُ (نَحنُ لهُ مُسلمونَ) في مَحلِّ النّصبِ: حالٌ مِن فاعِلِ (نَعبُدُ)، أو مِن مَفعولِهِ أو مِنهُما جميعًا؛ لِرجوعِ الضّميرِ إليهِ في (لَهُ)، ويَجوزُ أن تكونَ مُستأنَفَةً، أي: مِن حالِنا إنَّا لَهُ مُسلمونَ، أو مُعتَرِضَةٌ عِندَ مَن جَوَّزَ الاعتِراضَ في آخِرِ الكَلامِ كَما هوَ الحَقُّ، فَلا يَكونُ لهُ مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ في الصّورَتَينِ، و(لَهُ): مُتعلِّقٌ بـ(مُسلمونَ) قُدِّمَ للحَصرِ.

النُّزولُ:

رُوِيَ: «أنَّ اليَهودَ قالوا: يا رَسولَ الله ألَستَ تَعلَم أنَّ يَعقوبَ عليه السلام أوصَى بَنِيهِ باليَهودِيَّةِ يومَ ماتَ؟ فَنزَلَتِ الآيَةُ»[3].

المعنى:

خاطَبَ اللهُ سبحانهُ أهلَ الكِتابِ فَقالَ: **﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾**، أي: بَل أكُنتُم شهداءَ؟ يَعني: ما كُنتُم حُضُورًا[4] **﴿إِذْ﴾**، أي: حِينَ **﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾**، وما كُنتُم حُضُورًا **﴿إِذْ﴾**، أي: حِينَ **﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾**، أي: أيَّ شَيءٍ تَعبدونَ مِن بَعدِ وَفاتِي؟ بحَذفِ المُضافِ، فَلِمَ تَدَّعونَ اليَهوديَّةَ عَليهِ؟ يَعني: إنَّكُم لَم تَحضُروا ذلكَ فَلا تَدَّعُوا على أنبيائِي ورُسُلِي اليَهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ فَإنِّي ما بَعثتُهُم إلَّا بالحَنيفيَّةِ البَيضاءَ وذلكَ أنَّ اليَهودَ قالُوا: إنَّ يَعقوبَ عليه السلام يومَ ماتَ أوصَى بَنِيهِ باليَهوديَّةِ، فَأنزَلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ رَدًّا عَليهِم كَما مَرَّ في النُّزولِ، وإنَّما قالَ: ما تَعبدونَ ولَمْ

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: كونُ البدلِ نكرة والمبدلِ منهُ معرفة.

(٢) سورة العلق ٩٦: ١٥، ١٦.

(٣) أسباب النّزول للواحديّ: ١: ٤١.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: جمعُ حاضرٍ.

يَقلْ مَن تَعبدونَ؟ لِما مَرَّ في الإعرابِ، هذا إذا كانَت (أم) مُنقَطِعَةً وأمَّا إذا كانَت مُتَّصِلَةً فتَقديرُهُ ومَعناهُ: أكُنتُم غائِبينَ أم كُنتُم حاضِرينَ إذ حَضَرَ يَعقوبَ الموتُ إذ قالَ لِبَنيهِ ما قالَ، يَعنِي: إنَّ أوائِلَكُم كانُوا شاهدينَ لَهُ عندَ حُضُورِ مَوتِهِ إذ قالَ لِبَنيهِ ما قالَ حَتَّى عَلِمتُم ذلكَ، أم مَحْضُ دَعوَى باطِلَة، فَما لَكُم تَدَّعونَ عَلى الأنبياءِ ما هُم منهُ بُراءُ؛ وذلكَ لأنَّهُم، أي: اليَهودَ كانُوا يَقولونَ ما ماتَ نَبيٌّ مِنَ الأنبياءِ إلَّا عَلى اليَهوديَّةِ، وقِيلَ: إنَّ الخِطابَ للمؤمنينَ، يَعنِي: ما شَهِدتُم ذلكَ، أي: الّذي قالَهُ يَعقوبُ عليه السلام لِبَنيهِ وقالُوا في جَوابِهِ ما قالُوا، وإنَّما حَصَلَ لَكُم العِلمُ بهِ مِن طَريقِ الوَحيِ بإخبارِ الأنبياءِ.

﴿**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾، أي: نَعبُدَ الإلهَ المُتَّفَقَ عَلى وُجودِهِ وأُلوهِيَّتِهِ ووُجوبِ عِبادَتِهِ، وعَدَّ إسماعيلَ مِن آباءِ يَعقوبَ تَغليبًا لِلأبِ والجَدِّ عَلى العَمِّ؛ ولأنَّ العَرَبَ تُسمِّي العَمَّ أبًا؛ وذلكَ لِأنَّهُ يَجِبُ تَعظيمُهُ كَتَعظيمِ الأبِ؛ ولِذلكَ قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: «رُدُّوا عَليَّ أبي»[1]، يَعنِي العَبّاسَ عَمَّهُ، ولِقولِهِ صلى الله عليه وآله: «عَمُّ الرّجُلِ صِنُوُ أبيهِ»[2].

﴿**إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ**﴾، أي: لِلإلهِ الواحِدِ لا لِغَيرِهِ ﴿**مُسْلِمُونَ**﴾ مُذعِنُونَ مُقِرّونَ بالعُبوديَّةِ خاضِعونَ مُنقادُونَ مُستَسلِمونَ لِأمرِهِ ونَهيِهِ قَولًا وفِعلًا وعَقْدًا وعَهْدًا؛ لأنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ هوَ الإسلامُ، فَلا نَموتُ إلَّا ونَحنُ لَهُ وَحدُهُ مُسلِمونَ لا لِغَيرِهِ. سُبحانَكَ اللّهُمَّ أحيِنا مُسلِمينَ وأمِتنا مُسلِمينَ بحَقِّ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطّاهرينَ.

تَحقيقُ مَقامٍ لِتَبيينِ مُرامٍ: [٥٢٧]

اعلَمْ أنَّ المُرادَ بالواحِدِ في قَولِهِ تعالى حِكايَةً عَن أولادِ يَعقوبَ: ﴿**إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ لَيسَ مِنَ الواحِدِ في بابِ الأعدادِ والمَقاديرِ، ولا مِنَ الواحِدِ الجِنسِي والنّوعِي وغَيرِ ذلكَ، بَل المُرادُ بِهِ عَلى أربعَةِ أوجُهٍ:

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار: ١: ٨٩، وكنز العمّال: ١٠: ٥٢٧.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٤٩، حديث رقم: ٤٣٩، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣: ٥٧.

أحَدُها: إنَّهُ تعالى واحِدٌ لَيسَ بذِي أبعاضٍ، ولا يَجوزُ التَّجزُّءُ والانقِسامُ عَليهِ مُطلقًا، كَما نَذكُرُهُ آنِفًا.

والثّاني: إنَّهُ تعالى واحِدٌ لا نَظيرَ لَهُ ولا شَبيهَ.

والثّالثُ: إنَّهُ تعالى واحِدٌ في الإلهيَّةِ واستِحقاقِ العِبادَةِ.

والرّابعُ: إنَّهُ تعالى واحِدٌ في صِفاتِهِ الّتي يَستَحِقُّها لِنَفسِه.

ذِكرُ حَديثِ الأعرابيّ يومَ الجَمَلِ:

ورَوَى ابنُ بابَوَيهِ طابَ ثَراهُ في كِتابِهِ في التّوحِيدِ في بابِ مَعنى الواحِدِ والتَّوحيدِ والمُوحّدِ: «أنَّ أعرابيًّا قامَ يَومَ الجَمَلِ إلى أميرِ المؤمنين عليه السلام فَقالَ: يا أميرَ المؤمِنينَ أتقولُ إنَّ اللهَ واحِدٌ؟ فَحَمَلَ النّاسُ عَليهِ وقالُوا: يا أعرابيُّ أما تَرَى ما فِيهِ أميرُ المؤمِنينَ مِن تَقَسُّمِ القَلبِ[1]؟ فَقالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: دَعُوهُ فَإنَّ الّذي يُريدُهُ الأعرابيُّ هوَ الّذي نُريدُهُ مِنَ القَومِ، ثمَّ قالَ: يا أعرابِيُّ إنَّ القَولَ في أنَّ الواحِدَ عَلى أربَعَةِ أقسامٍ: فَوَجهانِ مِنها لا يَجوزانِ عَلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ووَجهانِ يَثبُتانِ فيهِ:

فَأمَّا اللّذانِ لا يَجوزانِ عَليهِ تعالى:

فَقَولُ القائِلِ: واحِدٌ يَقصُدُ بِهِ بابَ الأعدادِ، فَهذا ما لا يَجوزُ عَليهِ تعالى؛ لأنَّ ما لا ثانِيَ لَهُ لا يَدخُلُ في بابِ الأعدادِ، أما تَرَى أنَّهُ تعالى كَفَّرَ[2] مَن قالَ ثالِثُ ثَلاثَة.

وقَولُ القائِلِ: هوَ واحِدٌ مِنَ النّاسِ، يُريدُ بِهِ النَّوعَ فَهذا ما لا يَجوزُ عَليهِ تعالى؛ لأنَّهُ تَشبيهٌ جَلَّ رَبُّنا عَن ذلكَ وتعالى.

وأمَّا الوَجهانِ اللّذانِ يَثبُتانِ فيهِ تعالى:

فَقَولُ القائِلِ: هوَ عَزَّ وجَلَّ واحِدٌ لَيسَ لَهُ في الأشياءِ شَبَهٌ، كَذلكَ رَبُّنا.

وقَولُ القائِلِ: أنَّهُ عَزَّ وجَلَّ أحَدِيُّ المعنى، يَعني بِهِ: أنَّهُ تعالى لا يَنقَسِمُ في وجودٍ، ولا عَقلٍ، ولا وَهمٍ، كَذلكَ رَبُّنا»[3]، انتهَى الحديثُ.

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: تَفرُّقُ القلبِ.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: نَسبَ إلى الكفرِ.

(٣) التّوحيد: ٨٣، ٨٤.

وَمَعنى قَولُهُ عليه السلام: أَنَّهُ لا يَنقَسِمُ في وجودٍ ولا عَقلٍ ولا وَهمٍ إِنَّهُ تعالى لَيسَ مِنَ المَعدوداتِ ولا مِنَ المَقادِيرِ؛ لأنَّ الانقِساماتِ الثّلاثَةِ مِن خَواصِّها كَما في تَعريفِ الكَمِّ: بالخَواصِّ الثَّلاثِ، كَما بَيّنّاهُ مُفصّلًا في كتابِنا المُسمَّى بَرَشحِ السّحابِ في شَرحِ نَظمِ الحِسابِ، فَإِنَّ الانقِسامَ في الوجودِ هوَ: الانقِسامُ بالأجزاءِ المُنفَصِلَةِ، كَانقِسامِ البَيتِ إلى الجُدرانِ والسّقفِ وأمثالِ ذلكَ.

والانقِسامَ في العَقلِ هوَ: الانقِسامُ إلى الأجزاءِ المَحمولَةِ كالجِنسِ والفَصلِ، أو الأجزاءِ المِقدارِيَّةِ المُتَّصِلَةِ غَيرِ المُتعَيِّنَةِ في ذِهنِ مَن يَقسِمَهُ كَانقِسامِ الجِسمِ المُفرَدِ إلى نِصفٍ ونِصفٍ.

والانقِسامَ في الوَهمِ هوَ: الانقِسامُ في الوَهمِ إلى هذا النِّصفِ وذاكَ النِّصفِ، كَما بُيِّنَ في مَوضِعِهِ؛ ولأنَّ قَولَهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ لَيسَ شَيءٌ مِثلُهُ تعالى في الذّاتِ والصّفاتِ والأسماءِ والتَّجرُّدِ، بَل لا مُجَرَّدَ سِواهُ ولَم يَكنْ لَهُ كُفوًا أحَدٌ؛ ولِقَولِ الصّادِقِ عليه السلام في جَوابِ الزّنديقِ: «إنَّ لَنا صانِعًا مُتَعالِيًا عَنّا وعَن جَميعِ ما خَلَقَ»[2]، فَلا يَكونُ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ مُشابَهَةٌ ولا مُشتَرَكٌ مَعنَوِيٌّ مَوجودٌ في نَفسِهِ في الخارِجِ، انتهى؛ ولِأنَّ المُجرَّدَ هوَ فاعِلُ الأشياءِ بِمَحضِ الإرادَةِ، وأمرِ كُنْ، وَلَيسَ لِسِواهُ تعالى ذلكَ؛ ولأنَّ المُجرَّدَ هوَ الّذي لا مَكانَ لَهُ ولا يَحتاجُ إلى مَكانٍ، بَل إطلاقُ التّجرُّدِ فِيما سِوى الله تعالى مُجَرَّدُ اصطِلاحٍ لا مُشاحَّةَ فيهِ، بَل المجرَّدُ حقيقَةً هو ذاتُ الواجِبِ تعالى اللهُ عَن مُشابَهَةِ مَخلوقِهِ عُلُوًّا كَبيرًا.

تَنبيهٌ فيهِ تَفريحٌ للمُؤمنينَ مِن شِيعَةِ أميرِ المؤمِنينَ عليه السلام ومُحِبِّيهِ:

لَيسَ إطلاقُ المُسلمينَ عَلى غَيرِ الشّيعَةِ والمُحبِّينَ التّابعِينَ لآثارِ أهلِ البَيتِ عليهم السلام إلّا عَلى سَبيلِ المَجازِ، بَل ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[3] بَل لَيسَ لَهُم في الإسلامِ نَصيبٌ كَما مَرَّ بَيانُهُ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، في أُصولِ الكافي:

---

(١) سورة الشورى ٤٢: ١١.

(٢) الكافي: ١: ١٦٨، حديث رقم: ١، والتوحيد: ٢٤٩، حديث رقم: ١.

(٣) سورة النور ٢٤: ٣٩.

بإسنادِهِ عَن طَلحَةَ بنِ زَيدٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «إنَّ مَن أشرَكَ مَعَ إمامٍ إمامَتُهُ مِن عِندِ الله مَن لَيسَت إمامَتُهُ مِنَ الله كانَ مُشرِكًا بالله»(١) انتهى.

فَهذا الحديثُ يَدُلُّ عَلى أنَّ جَميعَ المُخالِفينَ مِن أهلِ القِبلَةِ سِوى المُستَضعَفينَ مِنهُم مُشرِكونَ وهوَ ظاهِرٌ، والمُشرِكُ نَجِسٌ ولَيسَ بمُسلِمٍ مَعَ أنَّهُم أُصولُ أهلِ الكُفرِ وبُنيانُهُ.

وبِسَندَينِ مُتّصِلَينِ إلى ابنِ أبي يَعفورٍ عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام قالَ: «سَمِعتُهُ يقولُ: ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللهُ يومَ القِيامَةِ ولا يَنظُرُ إليهِم ولا يُزَكِّيهِم ولَهُم عَذابٌ أليمٌ: مَنِ ادَّعَى إمامَةً مِنَ الله لَيسَت لَهُ، ومَن جَحَدَ إمامًا مِنَ الله، ومَن زَعَمَ أنَّ لَهُم في الإسلامِ نَصيبًا»(٢).

قولُهُ عليه السلام: «وَمَن زَعَمَ أنَّ لَهُم في الإسلامِ نَصيبًا» يُخَرِّبُ بُنيانَ المُستَدِلِّينَ عَلى كَونِ الطّائِفَتينِ الأُولَيَينِ مُسْلِمَتَينِ طاهِرَتَي السّؤرِ والجَسَدِ مِنَ القَواعِدِ، ويُومِئُ إلى كَونِهِما كافِرَتَينِ بالله تعالى وبِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، ومُشرِكَتَينِ إيماءً ورَمزًا وتَعريضًا؛ لأنَّهُ لَيسَ لَهُما بَعدَ الإسلامِ إلّا الشّركُ والكُفرُ كَما وَقَعَ التّصريحُ بذلكَ في أحاديثَ أُخَرَ.

وفي تَفسيرِ العَيّاشي: (عَن جابرِ الجُعفِي عَن أبي جَعفرٍ عليه السلام قالَ: سَأَلتُهُ عَن تَفسيرِ هذهِ الآيَةِ مِن قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا**﴾ قالَ: جَرَت في القائِمِ عليه السلام)(٣). [٥٢٨]

وقَولُهُ تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

الأُمَّةُ تَجِيءُ على سِتَّةِ أوجُهٍ:

---

(١) الكافي: ١: ٣٧٣، حديث رقم: ٦.

(٢) الخصال: ١٠٦، حديث رقم: ٦٩، ووسائل الشيعة: ٢٨: ٣٤٩، حديث رقم: ٣٤٩٣٧.

(٣) تفسير العيّاشي: ١: ٦١، حديث رقم: ١٠٢.

أحَدُها: الجَماعَةُ، كَما في هذهِ الآيةِ.

ثانيها: القُدوةُ والإمامُ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾(١)، أي: إمامًا مُقتَدَى الأنامِ، مُطِيعًا مُنقادًا لله تعالى.

ثالِثُها: بمَعنى القامَةِ، في قَولِ الأعشَى:

وإنَّ مُعاوِيَةَ الأكرَمِينَ   حِسانُ الوُجُوهِ طُوالُ الأُمَمِ(٢)

أي: طُوالُ القامَةِ.

رابِعُها: الاستِقامَةُ في الدِّينِ والدُّنيا، في قَولِ النّابِغَةِ:

حَلَفْتُ فَلَم أتْرُكْ لِنَفسِيَ رِيبَةً   وَهَل يَأثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهُوَ طائِعٌ(٣)

أي: ذو مِلَّةٍ ودِينٍ.

خامِسُها: الحِينُ، في قَولِهِ تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(٤) أي: بَعدَ حِينٍ.

سادِسُها: أهلُ المِلَّةِ الواحِدَةِ، في نحوِ قَولِهم: أُمَّةُ موسى، وأُمَّةُ عِيسى، وأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأصلُ الأُمَّةِ: القَصدُ، مِن أمَّهُ يَؤُمُّهُ: إذا قَصدَهُ، فالأُمَّةُ هيَ: المَقصودَةُ سُمِّيَت بِها؛ لأنَّ الفِرقَ تَؤُمُّها.

خَلَت: بمَعنَى: مَضَت؛ لِقَولِهِم لِتِسعٍ خَلَونَ مِن رَمضانَ، أي: مَضَينَ، وأصلُهُ الانفِرادُ وعَدَمُ كَونِ الشَّيءِ مَعَهُ، يقالُ: خَلَا الرَّجلُ بنَفسِهِ: إذا انفَرَدَ، وخَلَا المكانُ مِنَ الأنيسِ: إذا انفَرَدَ مِنهُم ولَم يَكنْ فيهِ شَيءٌ مِنَ الإنسانِ، والكَسبُ: الطَّلَبُ والسَّعيُ في طَلَبِ الرِّزقِ والمَعِيشَةِ، والعَمَلُ الَّذي يُجلَبُ بهِ نَفعٌ، أو يُدفَعُ بهِ ضَرَرٌ عَنِ النَّفسِ، وكَسَبَ لأهلِهِ: إذا اجتَلَبَ لَهُم ذلكَ بعِلاجٍ ومِراسٍ؛ ولِذا لا يُطلَقُ الكَسبُ في صِفَةِ الله تعالى، ويقالُ: كَسَبتُ مالًا وكَسَبتُ زَيدًا، أي: أعَنتُهُ عَلى كَسبِهِ أو جَعَلتُهُ

(١) سورة النحل ١٦: ١٢٠.

(٢) البيت من الرمل، ديوانه: ٣٢، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ١٥٠.

(٣) البيت من الطويل، ديوانه: ٧٧، وفيه برواية: فَلَم أتركْ لِنفسِكَ ريبةً.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٤٥.

يَكسِبُهُ، وفي الحديثِ: (نُهِيَ عَن كَسبِ الإماءِ)[١] هَكَذا جاءَ مُطلَقًا، وفي رِوايةٍ: (حَتَّى يُعلَمَ مِن أينَ هوَ)[٢]، وفي رِوايَةٍ: (إلَّا ما عَمِلَت بيَدِها)[٣].

وَجهُ الإطلاقِ: إنَّهُ كانَ لأهلِ مَكَّةَ والمدينَةِ إماءٌ عَلَيهِنَّ ضَرائِبُ، يَخدِمْنَ وَيَأخُذْنَ أُجورَهُنَّ وَيُؤَدّينَ ضَرائِبَهُنَّ فَلا يُؤمَنَّ أن تَبْدُوَ مِنهُنَّ زَلَّةٌ، إمَّا لِلاستِزادَةِ في المَعاشِ، وإمَّا لِشَهوَةٍ تَغْلِبُ، أو لِغَيرِ ذلكَ، والمَعصومُ قَليلٌ، فَنُهِيَ عَن كَسبِهِنَّ مُطلَقًا؛ تَنَزُّهًا، هذا إذا كانَ لِلأَمَةِ وَجهٌ مَعلومٌ تَكْسِبُ منهُ، فَكَيفَ إذا لَمْ يكنْ لَها وَجهٌ مَعلومٌ؟ وقَد مَرَّ العَمَلُ لغَةً.

الإعراب:

(تلكَ): اسمُ إشارَةٍ مُبتدأٌ خَبَرُهُ: (أُمَّةٌ)، وجملَةُ (قَد خلَت): صِفةُ أُمَّة، و(لَها): خَبَرٌ مُقدَّمٌ، و(ما): اسمٌ مَوصولٌ مُبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، وجملَةُ (كَسَبَت) مِنَ الفِعلِ والفاعِلِ: صِلَةُ (ما)، والعائدُ مَحذوفٌ، أي: ما كَسَبَتْهُ، وجملَةُ المبتَدأِ والخَبَرِ: حالٌ مِن فاعِلِ (خَلَت)، والعائدُ إلى ذِي الحالِ (الهاءُ) في (لَها)، أو صِفَةٌ بعدَ صِفَةٍ لِـ(أُمَّةٍ)، أو خَبَرٌ بَعدَ خَبَرٍ لِـ(تلكَ)، أو مُستَأنَفَةٌ، فَفِي هذهِ الجملَةِ أربَعَةُ أوجُهٍ: في ثَلاثَةٍ مِنها لَها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ، في الصُّورَةِ الأُولى النَّصبُ، وفي الثّانِيَةِ والثّالِثَةِ الرَّفعُ، وفي الرّابعَةِ لا مَحَلَ لَها، وجملَةُ (لَكُم مَا كَسَبْتُم) مِنَ المبتدَأِ والخَبَرِ والصِلَةِ: حاليّة، و(لا): نافيةٌ، و(الواوُ) نائِبُ فاعِلٍ في (تُسئَلُونَ)، وَ(عَمّا) مُتَعلِّقٌ بهِ، و(يَعمَلونَ) خَبَرُ (كانُوا)، والجملَةُ كُلُّها: صِلَةُ (ما).

المعنى:

﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**﴾، أي: هؤلاءِ الجَماعَةُ، يَعني: إبراهيمُ وأولادُهُ: أُمَّةٌ قَد مَضَت مِنَ الدُّنيا مُسلِمينَ صالحينَ مُتَّقينَ مُخلِصينَ ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾، أي: لَهُم ما كَسَبوهُ وما عَمِلَتْهُ أيدِيهِم مِن طاعَةِ اللهِ وعِبادَتِهِ، ﴿**وَلَكُمْ**﴾ يا مَعشَرَ اليَهودِ والنّصارَى، بَل كُلُّ مَن كانَ قابِلًا لِخِطابٍ، ﴿**مَا كَسَبْتُمْ**﴾،

(١) الكافي: ٥: ١٢٨، حديث رقم: ٨، و النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٧١.

أي: ما عَمِلتُمُوهُ مِن طاعَةٍ أو مَعصِيَةٍ لا يَنفَعُ أحَدًا كَسْبُ غَيرِهِ مُتقَدِّمًا كانَ أو مُتأَخِّرًا، وذلكَ أنَّهم افتخَرُوا بأوائِلِهِم فَلا يَنفَعكُم الانتِسابُ إليهِم، وإنَّما الانتِفاعُ بالأعمالِ كَما قالَ سبحانهُ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[1] يَعني: تُحرِقُ وُجُوهَهُم نارُ جَهَنَّمَ فَتُؤَثِّرُ فيها أشَدَّ تأثيرًا، وهُم فيها عابِسونَ مَقبوحَةَ المَنظَرِ مُتَقَلِّصَةَ الشِّفاهِ، نَعوذُ باللهِ مِنها.

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي: لا يُطالَبُ مِنكُم ما لَزِمَهُم مِن جِهةِ أعمالِهِم ولا يُقالُ لَكُم لِمَ عَمِلُوا كَذا وكَذا، كَما لا يُطالَبُ مِنهُم ما لَزِمَكُم مِن أعمالِكُم مِنَ الثّوابِ والعِقابِ، فَلا تُؤاخَذونَ أنتُم بِسَيّئاتِهِم كَما لا تُثابونَ بحَسَناتِهِم، بَل يُطالَبُ كُلُّ إنسانٍ بعَمَلِهِ دونَ عَمَلِ غَيرِهِ، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[2]. [٥٢٩]

تَحقيقُ مَقامٍ لِتَبيينِ مُرامٍ:

قالَ في المجمَعِ: (في هذه الآيةِ دلالَةٌ عَلى بُطلانِ مَذهَبِ المُجبِّرَةِ: أنَّ الأبناءَ مُؤاخَذونَ بذنوبِ الآباءِ، وأنَّ ذنوبَ المُسلمينَ تُحمَلُ عَلى الكُفّارِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى نَفى ذلكَ)[3] انتهى، فَعلى هذا ما وَرَدَ مِنَ الأخبارِ الصّحيحةِ[4] عَنهُم عليهم السلام: إنَّ مَن صَلَّى في بَيتِهِ أو في مَسجِدِهِ ثمَّ أتى مَسجِدًا مِن

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١ـ١٠٤.

(٢) سورة النجم ٥٣: ٣٨ـ٤١.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٠١، ٤٠٢.

(٤) ومن ذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال: «مَن صلَّى في منزلِهِ ثمَّ أتى مَسجدًا مِن مَساجدِهم فَصلَّى فيهِ خرجَ بحسناتِهم». وقولِهِ عليه السلام: « مَن صَلَّى في مَسجدِهِ ثمَّ أتى مَسجدًا مِن مساجدِهم فَصلَّى معهُم خرجَ بحسناتِهم». كَما في: من لا يحضره الفقيه: ١: ٤٠٧، حديث رقم: ١٢١٠، وتهذيب الأحكام: ٣: ٢٧٠، حديث رقم:٧٧٨، ووسائل الشيعة: ٨: ٣٠٤، حديث رقم:١٠٧٣٦.

مَساجِدِهِم فَصَلَّى مَعَهُم خَرَجَ بحَسناتِهِم مُؤوَّلٌ، يَعني: لَهُ مثلُ حَسَناتِهِم إن كانَت مِن غَيرِ أن يَنقُصَ لَهم حَسَناتُهُم بدَليلِ قَولِهِ ﷺ: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجرُها، وأجرُ مَن عَمِلَ بِها إلى يومِ القِيامَةِ مِن غَيرِ أن يَنقُصَ أُجورُهُم»[1]، أي: فَلَهُ أجرُها ومِثلُ أجرِ مَن عَمِلَ بِها إلى يَومِ القِيامَةِ مِن غَيرِ أن يَنقُصَ أُجورُهُم، «وَمَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وُزرُها، ووِزرُ مَن عَمِلَ بِها إلى يَومِ القِيامَةِ مِن غَيرِ أن يَنقُصَ وِزرُهُم»[2]، أي: مِثلُ وِزرِ مَن عَمِلَ بِها إلى آخِرِهِ؛ لِقولِهِ تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3].

نَعَم وَرَدَ ذلكَ[4] في قَتلِ المُؤمِنِ أنَّ جَميعَ ذنوبِهِ تُحمَلُ عَلى قاتِلِهِ، في كِتابِ ثَوابِ الأعمالِ: عَنِ الباقِرِ عليه السلام: «مَن قَتَلَ مُؤمِنًا أثبَتَ اللهُ على قاتِلِهِ جَميعَ الذّنوبِ وبَرِئَ المقتولُ مِنها، وذلكَ قَولُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[5]»[6]، فَيكونُ ما قالوهُ مِن أنَّ ذنوبَ المسلمينَ تُحمَلُ عَلى الكُفّارِ محمولًا على أحَدِ هذَينِ الوَجهينِ.

وكَذا ما وَرَدَ مِنَ الأخبارِ أنَّ الأبناءَ مُؤاخَذونَ بذنوبِ الآباءِ مُؤَوَّلٌ: بأنَّ إنسانًا إذا أكَلَ أموالَ اليَتامَى يَجعَلُ اللهُ سبحانهُ أولادَهُ يَتامَى فَيأكُلُ هؤلاءِ أو غَيرُهُم أموالَ أيتامِهِ كَما أكَلَ هوَ أموالَ اليَتامَى، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾[7] الآيةَ، وكَما يَزني انسانٌ امرَأَةَ غَيرِهِ يَزني الآخَرُ امرَأَتَهُ، بَل لِصَلاحِ الآباءِ يَحفَظُ اللهُ ويُصلِحُ أولادَهُ إلى سَبعمائَةٍ كَما وَقَعَ في تَفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ

---

(١) تهذيب الأحكام: ٦: ١٢٤، حديث رقم:٥٥.

(٢) ومثلهُ ما في مسند أحمد: ٤: ٣٥٧، وبحار الأنوار: ٧١: ٢٠٤: « مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنّةً سيئةً كانَ عليهِ وزرُها ووِزرُ مَن عَملَ بها مِن بعدهِ مِن غَيرِ أن يَنتقصَ مِن أوزارِهم شيءٌ».

(٣) سورة الزلزلة ٩٩: ٧، ٨.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: حملُ ذُنوبِ المسلمينَ على الكفّارِ.

(٥) سورة المائدة ٥: ٢٩.

(٦) ثواب الأعمال: ٢٧٨، ٢٧٩.

(٧) سورة النساء ٤: ٩.

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1] الآيةُ.

رَوى العَيّاشي: عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «إنَّهُ سبحانهُ لَيَحفَظُ وَلدَ المؤمِنِ لأبيهِ إلى ألفِ سَنَةٍ، وإنَّ الغُلامَينِ كانَ بينَهُما وبَينَ أبويهِما سَبعمائةَ سَنَةٍ»[2]، وعَنهُ عليه السلام: «إنَّ اللهَ لَيُصلِحُ لِصَلاحِ المُؤمِنِ وَلدَهُ ووَلَدَ وَلَدِهِ، ويَحفَظُهُ في دُوَيرَتِهِ ودُوَيراتٍ حَولَهُ، فَلا يَزالونَ في حِفظِ اللهِ لِكَرامَتِهِ عَلى اللهِ ـ ثمَّ ذَكَرَ الغُلامَينِ ـ وقالَ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ شَكَرَ صَلاحَ أَبويهِما»[3].

وفي العَوالي: عَنهُ عليه السلام: «لَمَّا أقامَ العالِمُ الجِدارَ أوحَى اللهُ إلى مُوسى عليه السلام: إنِّي مُجازِ الأبناءِ بِسَعي الآباءِ إن خَيرًا فَخَيرًا، وإن شَرًّا فَشَرًّا، لا تَزنُوا فَتُزنَى نِساؤكُم، مَن وَطِئَ فِراشَ مُسلِمٍ وُطِئَ فِراشُهُ، كَما تَدينُ تُدانُ»[4].

وقَولُهُ تعالى: **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾** آيةٌ:

القراءة:

قُرِئَ: مِلّةُ بالرّفعِ، والجمهورُ: بالنّصبِ[5].

اللغة:

مَعاني الحَنيف:

الحَنيفُ: هوَ المائِلُ إلى الإسلامِ، الثّابتُ عَليهِ، والحَنيفُ عندَ العَرَبِ: مَن كانَ عَلى دينِ إبراهيمَ عليه السلام، والحَنيفُ: المائِلُ عَنِ الأديانِ الباطلَةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ، وقالَ ابنُ دُريد: «الحَنيفُ: العادِلُ عَن دينٍ إلى دينٍ، وبهِ سُمِّيَتِ الحَنيفيّةُ؛ لأنَّها مالَت عَنِ اليَهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ إلى الإسلامِ»[6].

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٨٢.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢: ٣٣٩، حديث رقم: ٧٠.

(٣) تفسير العياشي: ٢: ٣٣٧، حديث رقم: ٦٣.

(٤) عوالي اللئالي: ٣: ٥٤٧، حديث رقم: ١٠.

(٥) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٣، وقراءة الرفع عن ابن أبي عبلة.

(٦) جمهرة اللغة: ١: ٥٥٦، (حنف).

والحَنيفُ: الثّابتُ عَلى الدّينِ المُستقيمِ، والحَنيفِيّةُ: الاستِقامَةُ على دِينِ إبراهيمَ عليه السلام، ومنهُ الحديثُ النَّبويِّ: «بُعِثتُ بالحَنيفيّةِ السَّمحَةِ السَّهلَةِ»[1]، وفيهِ أيضًا: «أَحبُّ الأديانِ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ: الحَنيفيَّةُ السّمحَةُ»[2]، وهيَ مِلَّةُ إبراهيمَ عليه السلام لا حَرَجَ فِيها ولا ضِيقَ، كَما قالَ سبحانهُ: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[3]، وأصلُ الحَنفِ: الميلُ، وفي الحديثِ: (إنَّهُ قالَ لِرَجلٍ: ارفَعْ إزارَكَ، قالَ: إنِّي أحنَفُ)[4]، الحَنَفُ مُحرَّكَةً: إقبالُ القَدَمِ ومَيلُها بأصابِعِها إلى القَدَمِ الأُخرَى، فَهوَ مَيلٌ في صَدرِ القَدَمِ إلى الطَّرَفِ الأُنْسِي، وقالَت امرَأَةٌ مِنَ العَرَبِ وهيَ تُرَقِّصُ وَلَدَها:

وَاللهِ لَولا حَنَفٌ بِرجلِهِ　　　مَا كانَ مِن صِبيانِكُم بمِثلِهِ[5]

وَجهُ تَسميةِ الباديَةِ بالمَفازَةِ:

وإنَّما قِيلَ للّذي يُقْبِلُ إحدَى قَدَميهِ عَلى الأُخرَى أحنَفُ تَفَؤّلًا بالسَّلامَةِ والاستِقامَةِ، كَما قِيلَ للمَهلَكَةِ مَفازَةٌ؛ تَفَؤُّلًا بالفَوزِ والنّجاةِ، عَلى ما نَصَّ عَليهِ أهلُ اللغَةِ[6]، وقَد مَرَّ مَعنى هودٍ ونَصارَى لُغَةً.

الإعراب:

(الواوُ) في قالُوا: راجِعَةٌ إلى أهلِ الكِتابِ، أعنِي: اليَهودَ والنّصارَى جَميعًا، ومِثلُ هذا يُسمَّى في عِلمِ البَديعِ لَفًّا ونَشرًا إجماليًّا، وهوَ أن يُذكَرَ المُتعَدِّدُ على الإجمالِ فَإنَّ ضَميرَ قالُوا لليَهودِ والنّصارَى

---

(١) الوافي: ٦: ٦٩، وبحار الأنوار: ٦٤: ١٣٦.

(٢) الجامع الصغير: ١: ٣٧، حديث رقم: ٢٠٨، وكنز العمال: ١: ٧٣، حديث رقم: ٢٩٠.

(٣) سورة الحج ٢٢: ٧٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١: ٤٥١.

(٥) البيت من الرجز. ينظر: العين: ٣: ٢٤٨، (حنف)، وفيه برواية: ما كان في فتيانكم كمثله، وتاج العروس: ١٢: ١٥١، (حنف).

(٦) ينظر: العبّاب الزّاخر واللباب الفاخر: ١: ٣٩٢، (حنف)، ولسان العرب: ٩: ٥٧، (حنف).

فَذُكِرَ على الإجمالِ بالضّميرِ العائِدِ إليهِما ثُمَّ ذُكِرَ ما لِكُلٍّ، إلى آخرِ ما ذَكرناهُ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾(1) الآيةُ. [٥٣٠]

وَجملةُ (كُونُوا هُودًا) مِن فِعلِ الأمرِ النّاقِصِ مَعَ اسمِهِ وخَبَرِهِ مَقولَةٌ لِـ(قالُوا)، (أو نَصارَى): عَطفٌ عَلى (هُودًا)، و(أو): للتّقسيمِ، أي: قالَتِ اليَهودُ كُونُوا هُودًا تَهتَدُوا، وقالَتِ النّصارَى كُونُوا نَصارَى تَهتَدوا، والتّخييرُ والإباحَةُ لا يُلائِمُ، بَل فاسِدٌ على اعتِقادِ الفَريقَينِ؛ لِما عُلِمَ مِنَ المُخالَفَةِ بَينَ الفَريقَينِ للعِلمِ بتَضليلِ كُلِّ فَريقٍ صاحِبَهُ، واعتِقادُ كُلٍّ مِنهُما أنَّ المُهتَدِي هوَ لا صاحِبُهُ عَلى ما مَرَّ في مَوضِعِ الحَوالَةِ، (تَهتَدُوا): مَجزومٌ عَلى أَنَّهُ جَوابُ الأمرِ عَلى تَضمِينِ الكَلامِ مَعنَى الشّرطِ كَما هوَ المُقَرَّرُ في النّحوِ، نحو: زُرنِي أُكرِمْكَ، أي: زُرنِي إنْ تَزُرنِي أُكْرِمْكَ، والتّقديرُ فِيما نَحنُ فيهِ: قالَتِ اليَهودُ: للمُؤمنينَ كُونُوا هُودًا إن تكونُوا هُودًا تَهتَدُوا، وقالَتِ النّصارَى: كُونوا نَصارَى إن تَكونُوا نَصارَى تَهتَدوا، فَانْجَزَمَ تَهتَدوا في الحَقيقَةِ عَلى الجَزائِيَّةِ للشَّرطِ المُقدَّرِ، و(بَل): حَرفُ عَطفٍ لِنقضِ قَولِهِم وإبطالِهِ.

و(مِلَّةَ) عَلى قِراءَةِ النّصبِ: إمَّا عَطفٌ عَلى مَذكورٍ بحَسبِ المَعنى، تَقديرُهُ: قُل أنتَ يا مُحَمَّدُ: اتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ؛ لأنَّ مَعنى كُونوا هُودًا أو نَصارَى: اتَّبِعُوا اليَهوديَّةَ أو النّصرانيّةَ فيَكونُ المعنى: قالَ أهلُ الكِتابِ لَكُم: اتَّبِعُوا اليّهوديَّةَ أو النَّصرانيَّةَ تَهتَدُوا، قُل أنتَ لَهُم: بَل اتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ تَهتَدُوا؛ لأَنَّهُ حَنيفٌ مُسلمٌ ولَيسَ بمُشرِكٍ، وأنتُم مُشرِكونَ، فَهذا عَطفٌ عَلى المَعنى، وإمَّا عَطفٌ عَلى مَحذوفٍ أي: بَل نَتَّبِعُ مِلَّةَ إبراهيمَ، أي: قُل في جَوابِهِم: لا نَكونُ هُودًا ولا نَصارَى ونَتَّبِعُهُم، بَل نَتَّبِعُ مِلَّةَ إبراهيمَ، وإمَّا عَطفٌ عَلى اللّفظِ، أي: بَل نَكونُ أهلَ مِلَّةِ إبراهيمَ فَحُذِفَ المُضافُ وأُقِيمَ المُضافُ إليهِ مَقامَهُ وأُعرِبَ بإعرابِهِ عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(2) أي: أهلَ القَريَةِ،

---

(1) سورة البقرة ٢: ١١١.

(2) سورة يوسف ١٢: ٨٢.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[1]، أي: أهلَ ناديِهِ، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[2]، أي: حُبَّ العِجلِ، أي: قالَ أهلُ الكِتابِ: كُونوا هُودًا أو نَصارَى، قُل في جَوابِهِم: لا نكونُ هُودًا أو نَصارَى، بَل نكونُ أهلَ مِلَّةِ إبراهيمَ.

وعَلى قراءَةِ رَفعِها فَهيَ: مُبتدأٌ مَحذوفُ الخَبَرِ أي: مِلَّةُ إبراهيمَ مِلَّتُنا، أو خَبَرٌ لمبتدأٍ مَحذوفٍ، أي: مِلَّتُنا مِلَّةُ إبراهيمَ، أو نَحنُ مِلَّةُ إبراهيمَ أي: أهلُ مِلَّتِهِ، و(حَنيفًا): حالٌ مِنَ المضافِ إليهِ، أعنِي: إبراهيمَ عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾[3]؛ لأنَّ المضافَ في الثّاني جُزءٌ للمُضافِ إليهِ فَيجوزُ حَذفُهُ والاكتِفاءُ بالمُضافِ إليهِ، أي: وَنَزَعنا ما فيهِم مِن غِلٍّ إخوانًا، وفي الأوَّلِ مِثلُ جُزءٍ لهُ فَيجوزُ حَذفُهُ أيضًا، أي: بَل نَتَّبعُ إبراهيمَ حَنيفًا، كَما بَيّنّاهُ مُفصَّلًا في زينَةِ السّالِكِ، والباقِي: واضِحٌ.

النُّزول:

في المجمَعِ: «عَن ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ عبدَ الله بنَ صُوريا وكَعبَ بنَ الأشرَفِ ومالكَ بنَ الضّيفِ، وجَماعةً مِنَ اليَهودِ، ونَصارَى نَجرانَ، خاصَموا أهلَ الإسلامِ كُلُّ فِرقَةٍ تَزعُمُ أنَّها أحَقُّ بدِينِ الله مِن غَيرِها، فَقالَت اليَهودُ: نَبيُّنا موسى أفضَلُ الأنبياءِ، وكِتابُنا التّوراةُ أفضَلُ الكُتُبِ، وقالَتِ النّصارَى: نَبيُّنا عِيسى عليه السلام أفضَلُ الأنبياءِ، وكِتابُنا الإنجِيلُ أفضَلُ الكُتُبِ، وكُلُّ فَريقٍ مِنهُما قالُوا للمُؤمنينَ: كُونوا عَلى دِينِنا، فَأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيَةَ، وقِيلَ: إنَّ ابنَ صُوريا قالَ لِرسولِ الله صلى الله عليه وآله: ما الهُدى إلّا ما نَحنُ عَليهِ فَاتَّبِعنا يا مُحَمَّدُ تَهتَدِ، وقالَتِ النّصارَى مِثلَ ذلكَ فَأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيَةَ»[4].

---

(١) سورة العلق ٩٦: ١٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٩٣.

(٣) سورة الحجر ١٥: ٤٧.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤٠٢، ٤٠٣.

المعنى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، أي: قالَتِ اليَهودُ: كُونوا هُودًا، وقالَتِ النّصارَى: كُونوا نَصارَى، كُلُّ فَريقٍ مِنهُما دَعا إلى ما هُم عَليهِ مِنَ اليَهوديَّةِ والنّصرانيَّةِ **﴿تَهْتَدُوا﴾**: تُصِيبُوا الحَقَّ وطَريقَ الصّوابِ، يَعني: إذا صِرتُم هُودًا أو نَصارَى فَقَد اهتَدَيتُمْ وصِرتُم على سُنَنِ الاستِقامَةِ **﴿قُلْ﴾** يا مُحَمَّدُ **﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾**، أي: بَل نَتَّبعُ مِلَّةَ إبراهيمَ ودِينَهُ، أو بَل نَكونُ أهلَ مِلَّةِ إبراهيمَ، أو قُل: بَل اتَّبِعُوا أنتُم يا مَعشَرَ اليَهودِ والنَّصارَى وأيُّها المؤمِنونَ مِلَّةَ إبراهِيمَ، وَقَد عَرَفتَ التّقديراتِ في الإعرابِ مِمّا لا مَزيدَ عَليهِ.

﴿حَنِيفًا﴾، أي: حالَ كَونِ إبراهيمَ مائِلًا عَنِ الأديانِ الباطِلَةِ إلى الدّينِ الحَقِّ وهوَ الإسلامُ ثابتًا مُستَقيمًا عَليهِ لا يَزولُ عنهُ أبدًا، وقَد مَرَّت مَعانِي الحَنيفيَّةِ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[1] الآيةُ.

والعَيّاشِي: عَنِ الصّادقِ عليه السلام قالَ: «الحَنيفيَّةُ هيَ: الإسلامُ، وعَنِ الباقرِ عليه السلام قالَ: ما أبقَتِ الحَنيفيَّةُ شَيئًا حَتَّى إنَّ مِنها قَصُّ الشّارِبِ وقَلمُ الأظفارِ والخِتانِ»[2]، **﴿وَمَا كَانَ﴾** إبراهيمُ عليه السلام **﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** تَعريضٌ باليَهودِ والنّصارَى وغَيرِهِم؛ لأنَّ كُلًّا مِنهُم يَدَّعُونَ اتِّباعَ مِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلام وهُم مَعَ ذلكَ كانُوا عَلى الشِّركِ، فَنَفَى اللهُ سبحانهُ الشِّركَ عَن إبراهيمَ وعَن مِلَّتِهِ وأثبَتَهُ في اليَهودِ والنّصارَى، فَكَيفَ يَجوزُ اتِّباعُهُم مَعَ كَونِهِم مُشرِكينَ حيثُ قالَتِ اليَهودُ: عُزيرٌ ابنُ اللهِ، وقالَتِ النّصارَى: المسيحُ ابنُ اللهِ، وقالُوا أيضًا: إنَّ اللهَ هوَ المسيحُ بنُ مريمَ، وقالُوا أيضًا: إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَة سبحانهُ وتَعالى عَمّا يُشرِكونَ. [٥٣١]

قالَ في المجمَعِ: ‹وفي قَولِهِ سبحانهُ: **﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾**: حُجَّةٌ عَلى وُجوبِ اتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ؛ لِسَلامَتِها منَ التّناقضِ؛ ولِوجودِ التّناقضِ في اليَهوديَّةِ والنّصرانيَّةِ؛ فَلِذلكَ صارَت مِلَّةُ إبراهيم

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

(٢) تفسير العياشي: ١: ٦١، حديث رقم: ١٠٣، و١٠٤.

أحرَى بالاتِّباعِ مِن غَيرِها، فَمِنَ التّناقضِ في اليَهوديَّةِ: مَنعُهُم مِن جَوازِ النّسخِ مَعَ ما في التّوراةِ مِنَ الدّلالَةِ على جَوازِهِ، وامتِناعُهُم مِنَ العَمَلِ بما تَقدَّمَت بهِ البِشارَةُ في التّوراةِ مِن اتِّباعِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ مَعَ إظهارِهِم التّمسُّكَ، وامتِناعُهُم مِنَ الإذعانِ لِما دَلَّت عَليهِ الآياتُ الظّاهِرةُ والمُعجزاتُ الباهِرةُ مِن نُبوَّةِ عِيسى ومُحمَّدٍ ﷺ مَعَ إقرارِهِم بنُبُوَّةِ موسى عليه السلام لِدلالَةِ المُعجزاتِ عَليها إلى غَيرِ ذلكَ مِن أنواعِ التّناقضِ، ومِنَ التّناقضِ في قَولِ النّصارَى: قَولُهُم الأبُ والابنُ ورُوحُ القُدُسِ إلهٌ واحدٌ، مَعَ زَعمِهِم أنَّ الأبَ لَيسَ هوَ الابنُ، وأنَّ الأبَ إلهٌ، وأنَّ الابنَ إلهٌ، وأنَّ رُوحَ القُدُسِ إلهٌ، وامتِناعُهُم مِن أن يقولوا: ثَلاثَةَ آلهَةٍ إلى غَيرِ ذلكَ مِن تَناقُضاتِهِم المذكورَةِ في الكُتُبِ»[1]، انتَهَى كَلامُهُ أعلَى اللهُ مَقامَهُ.

وقَولُهُ تعالَى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

الأسباطُ: جَمعُ سِبْطٍ، بكَسرِ السّينِ وسُكُونِ الباءِ: وَلَدُ الوَلَدِ، ويقالُ: الحافِدُ، ومنهُ الحديثُ: «الحَسَنُ والحُسينُ سِبطا رَسولِ اللهِ»[2]، أي: وَلَداهُ مِن ابنَتِهِ وطائفتانِ وقِطعَتانِ منهُ، وفي الحديثِ: «الحُسينُ عليه السلام سِبْطٌ مِنَ الأسباطِ، أي: أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ ذو الخَيرِ»[3]، والأسباطُ في أولادِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ بمَنزِلَةِ القَبائلِ في وُلدِ إسماعيلَ، وقِيلَ: الأسباطُ: خاصّةُ الأولادِ، وقيلَ: أولادُ البَناتِ، فَالأسباطُ: أولادُ أولادِ إسرائيلَ، وهوَ: يَعقوبُ بنُ إسحاقَ بنُ إبراهيمَ الخليلِ، وهُم اثنا عَشَرَ سِبطًا مِن اثنَي عَشَرَ ابنًا.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) الفضائل: ٨٣، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٦: ٢١١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢: ٣٣٤.

وقالَ الزَّجّاجُ: «السِّبْطُ: الجَماعةُ يَرجِعونَ إلى أبٍ واحدٍ، والسِّبطُ في اللغةِ: الشّجَرُ، فالسِّبْطُ: الّذينَ هُم مِن شَجَرَةٍ واحِدَةٍ»[١]، وفي صِفَتِهِ ﷺ: «سَبْطُ القَصَبِ»[٢] بفَتحِ السِّينِ وسُكونِ الباءِ وكَسرِها: المُمتَدُّ الّذي لَيسَ فيهِ تَعَقُّدٌ ولا نُتُوٌّ يُريدُ بِها ساعِدَيهِ وساقَيهِ، وقالَ ثعلبُ: «يقالُ: سَبَطَ عَليهِ العَطاءُ أو الضّربُ: إذا تَتابَعَ عَليهِ حَتَّى يَصلَ بعضُهُ ببعضٍ»[٣]، والسَّبِطُ كَكَتِفٍ: الطّويلُ، ورَجُلٌ سَبطُ اليَدَينِ: سَخِيٌّ، ومَطَرٌ سبطٌ: كَثيرٌ واسِعٌ، والشّجرَةُ لَها أغصانٌ كَثيرَةٌ، وأصلُها واحدٌ، والقَبيلَةُ مِنَ اليَهودِ.

الفَرقُ بينَ التّفريقِ والفَرقِ:

وقالَ في المجمَعِ: «الفَرقُ بَينَ التّفريقِ والفَرقِ: أنَّ التّفريقَ: جَعلُ الشّيءِ مُفارِقًا لِغَيرِهِ، والفَرْقُ: نَقيضُ الجَمعِ، والجَمعُ: جَعلُ الشّيءِ مَعَ غَيرِهِ، والفَرقُ: جَعلُ الشّيءِ لا مَعَ غَيرِهِ، والفَرقُ بالحُجَّةِ: هوَ بالبَيانِ الّذي يَشهَدُ أنَّ الحُكمَ لأحَدِ الشّيئَينِ دونَ الآخَرَ»[٤]، وَ أحَدٌ: قَد يُستَعمَلُ بمَعنى الجَمعِ سَواءٌ كانَ في حَيِّزِ النّفيِ أم لا، ولَيسَ عُمومُهُ مُختَصًّا باعتِبارِ وُقوعِهِ في حَيِّزِ النّفيِ كَما تَوَهَّمَهُ بَعضٌ؛ ولِذا صَحَّ دُخولُ (بَينَ) عليهِ، وعَودُ ضَميرِ الجَمعِ إليهِ في أمثالِ قَولِهِ تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[٥]، وقَولِهِ تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[٦]، وفَسَّروهُ في قَولِهِ تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[٧] بمَعنى: جَماعَةٍ مِن جَماعاتِ النّساءِ، وظاهرُ كَلامِ الجَوهَري في الصِّحاحِ: إنَّ استعمالَ أحَدٍ بمَعنًى بحَسَبِ وَضعِ اللُّغَةِ؛ لأنَّهُ قالَ: «هوَ اسمٌ لِمَن يَصلُح

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢١٨.

(٢) معاني الأخبار: ٨١.

(٣) التبيان: ١: ٤٨١.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤٠٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٨٥.

(٦) سورة الحاقة ٦٩: ٤٧.

(٧) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٢.

أن يُخاطَبَ بِهِ، يَستَوي فيهِ الواحِدُ والجَمعُ والمُذكَّرُ والمُؤنَّثُ[1]، انتَهى.

الإعراب:

(قُولوا): فِعلُ أمرٍ وفاعلٌ، وجملةُ (آمنَّا بالله) مِن الفِعلِ والفاعِلِ والمفعولِ بالواسطَةِ: مَقولةٌ لِقولِهِ (قُولوا)، و(ما): عَطفٌ على الله، وجملةُ (أُنزِلَ إلينا) مِن الفِعلِ المَبنِي للمَفعولِ والنّائبِ عَنِ الفاعلِ والمفعولِ بالواسطَةِ: صِلَةُ (ما)، وكَذا (ما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ)، وقولُهُ: (وإسماعيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ): مَجروراتٌ بالفَتحةِ عَطفٌ على إبراهيمَ، و(الأسباطِ): مَجرورٌ بالكَسرَةِ عَطفٌ عَليها، و(ما أُوتِيَ): عَطفٌ على (ما أُنزِلَ)، و(موسى): مَرفوعٌ تَقديرًا نائبٌ عَن فاعِلِ (أُوتِيَ)، والعائدُ إلى (ما) مَحذوفٌ والجملةُ صِلَةُ (ما)، أي: وما أُوتِيَهُ موسى، و(عِيسى): عَطفٌ على (موسى)، و(ما أُوتِيَ النَّبيّيونَ) مِثلَ (ما أُوتِيَ موسى) في الإعرابِ، و(مِن رَبِّهِم): ظَرفُ لَغوٍ مُتعَلِّقٌ بـ(أُوتِيَ) الثّاني، وهوَ مَطلوبٌ لـ(أُوتِيَ) الأوَّلَ أيضًا على سَبيلِ التّنازعِ، أو ظَرفٌ مُستقرٌّ حالٌ مِن مَفعولِ (أُوتِيَ) الّذي هوَ عائدٌ إلى (ما)، أي: آمَنَّا بِما أُوتِيَهُ موسى وعِيسى، وبِما أُوتِيَهُ النَّبيُّونَ حالَ كَونِهِ كائنًا أو مُنزَلًا مِن قِبَلِ رَبِّهِم، لا مُقتَرَحًا ولا مُبتَدَعًا مِن عِندِ أنفُسِهِم، وجملَةُ (لا نُفَرِّقُ) مِنَ الفِعلِ والفاعلِ: حالٌ مِن فاعِلِ (آمَنَّا)، أعني: (نا). [٥٣٢]

و(بَينَ): ظَرفٌ لِـ(نُفرِّقَ) وهوَ مِمَّا تَجِبُ إضافتُهُ إلى مُتعدِّدٍ لَفظًا أو مَعنًى عَلى سَبيلِ مَنعِ الخُلوِّ، و(منهُم): ظَرفٌ مُستَقرٌّ نَعتٌ لـ(أحدٍ)، وجملَةُ (ونَحنُ لهُ مُسلمونَ): حالٌ مِن فاعلٍ، أو مِن مَفعولِهِ بالواسِطَةِ أعني بـ(الله)، أو مِنهُما جَميعًا؛ لِوجودِ العادِّينَ عَلى ما مَرَّ في مِثلِهِ في ذَيلِ قَولِهِ تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ**﴾ الآيَةَ، أو مَقولَةٌ للقَولِ المحذوفِ وذلكَ القَولُ حالٌ، والأوَّلُ أصَحُّ.

---

(١) الصحاح: ٢: ٤٤٠، (أحد).

المعنى:

أمَرَ اللهُ سبحانهُ جَميعَ المُكلَّفينَ مِنَ المؤمنينَ والأنبياءِ والأوصياءِ، بَل أهلَ الكِتابِ وغَيرَهُم أيضًا مُخاطبًا لَهُم بقَولِهِ: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ**﴾، أي: صَدَّقناهُ وعَرَفنا وجُودَهُ وَصَدَّقنا تَوحيدَهُ، وانْقَدْنا لَهُ وأقرَرنا بِهِ قَلبًا ولِسانًا وجَوارحَ، وسَلَّمنا ما أمَرَنا بِهِ يَقينًا وإخلاصًا، فَأمَرَهُم اللهُ سبحانهُ بإظهارِ ما يَدينونَ بهِ عَلى النّهجِ المذكورِ، فَبَدَأَ بالإيمانِ بالله؛ لأنَّهُ أوَّلُ الواجِباتِ عَلى المكَلَّفينَ، وبتَقدّمِ مَعرِفَتِهِ تَصِحُّ النُّبوَّاتِ والشّرعِيَّاتِ، وفي كتابِ الخِصالِ: (فِيما عَلَّمَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام أصحابَهُ: إذا قَرَأتُم ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ**﴾ فَقولُوا: آمَنَّا بالله حَتَّى تَبْلُغُوا إلى قَولِهِ: ﴿**مُسْلِمُونَ**﴾)[1].

وفي كِتابِ مَن لا يَحضُرُهُ الفَقيه: (قالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في وَصِيَّتِهِ لابنِهِ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفيّةِ: وفَرَضَ عَلى اللّسانِ الإقرارَ والتّعبيرَ عَنِ القَلبِ ما عَقَدَ عَليهِ فَقالَ: قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ إلى آخِرِ الآيةِ)[2] انتهَى؛ وذلكَ لأنَّ الأمرَ في الآيةِ لِلإيجابِ بدلالَةِ العَقلِ والنَّقلِ، وفي أُصولِ الكافي: بإسنادِهِ إلى سَلام[3] عَن أبي جَعفرٍ عليه السلام في قَولِهِ تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ قالَ: إنّما عَنَى بذلكَ عَليًّا عليه السلام وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسينَ عليهم السلام وَجَرَت بَعدَهُم في الأئمَّةِ عليهم السلام ثمَّ يَرجعُ القَولُ مِنَ اللهِ في النّاسِ، فَقالَ: فَإن آمَنوا ـ يَعنِي: النّاسَ ـ بمِثلِ ما آمَنتُم بهِ ـ عَليًّا وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحَسَينَ والأئمَّةَ عليهم السلام ـ فَقَد اهتَدَوا، وإن تَوَلَّوا فَإنّما هُم في شِقاقٍ ـ يَعنِي: في كُفرٍ ـ)[4]، انتهَى الحَديثُ.

﴿**وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾، أي: وَقُولوا آمَنَّا بِما أُنزِلَ إلَينا، يَعنِي: القرآنَ، بأنَّهُ حَقٌّ وصِدقٌ مُنزَلٌ مِن عِندِ

(١) الخصال: ٦٢٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٦٢٧، حديث رقم: ٣٢١٥.

(٣) هو: سلامُ بنُ أبي عَمرَةَ الخراساني: كوفي، ثقةٌ، رَوَى عن الباقر والصّادق عليهما السلام، لهُ كتابٌ رواهُ عبدُ الله بنُ جبلة عنه. ينظر: رجال النجاشي: ١٨٩، ترجمة رقم: ٥٠٢، وفهرست الشيخ الطوسي: ١٤٤، ترجمة رقم: ٣٤٩.

(٤) الكافي: ١: ٤١٦، حديث رقم: ١٩.

اللهِ تَعالى واجبٌ عَلَينا وعَلى جَميعِ النّاسِ اتِّباعُهُ؛ لأنَّهُ أحَدُ الثّقَلَينِ اللَّذَينِ مَن تَمَسَّكَ بِهِما نَجا ومَن تَخَلَّفَ عَنهُما، أو عَن أحَدِهِما هَوَى، وإنَّما لَمْ يُصرِّحْ سبحانَهُ هُنا بأحَدِ الثّقَلَينِ أعني بالقرآنِ لِوَجهَينِ: أحدُهُما: لِتَفخيمِ ما أُنزِلَ إلينَا عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(١)، وقَولِهِ تعالى: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾(٢)، وقَولِهِ تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾(٣) على ما بَيَّنَ عِلمُ المَعاني(٤).

وثانيهُما: لِيَشمِلَ الثُّقلَ الآخَرَ كَما مَرَّ آنفًا في الحَديثِ المَنقولِ مِن أُصولِ الكافي عَن أبي جَعفرٍ عليه السلام فَتكونُ الآيةُ مُشتمِلَةً عَليهِما مَعًا.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، أي: قولوا آمَنّا بِما أُنزِلَ عَلى إبراهيمَ مِنَ الصُّحُفِ العَشَرَةِ كَما أشارَ إليها سبحانَهُ في سُورةِ الأعلى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾(٥)، في هذهِ دلالَةٌ عَلى أنَّهُ نَزَلَت على إبراهيمَ عَليهِ كُتُبٌ؛ لأنَّ الصُّحُفَ جَمعُ صَحيفَةٍ.

بَيانُ ذلكَ: ما رَوِيَ عَن أبي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ: «قُلتُ: يا رسولَ اللهِ كَمِ الأنبياءُ؟ قالَ: مائةُ نَبيٍّ وأربَعَةٌ وعُشرونَ ألفًا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ كَمِ المُرسَلونَ مِنهُم؟ قالَ: ثَلاثمائةَ وثَلاثَةَ عَشَرَ، وبَقِيَّتُهُم أنبياءُ، قُلتُ: أكانَ آدمُ نَبيًّا؟ قالَ: نَعَم، كَلَّمَهُ اللهُ وخَلَقَهُ بيدِهِ، يا أبا ذَرٍّ: أربعَةٌ مِنَ الأنبياءِ عَرَبٌ:

---

(١) سورة النجم ٥٣: ١٠.

(٢) سورة النجم ٥٣: ١٦.

(٣) سورة طه ٢٠: ٧٨.

(٤) وهو ما يسمّى بالإبهامِ والتّفسيرِ في علم المعاني: «فالمعنى المقصودُ إذا وَردَ فى الكلامِ مُبهَمًا فإنَّهُ يُفيدُهُ بلاغَةً، ويُكسبهُ إعجابًا وفَخامَةً؛ وذلك لأنَّهُ إذا قرعَ السَّمعَ على جهةِ الإبهامِ، فإنَّ السّامعَ لهُ يذهبُ فى إبهامِهِ كلَّ مَذهَبٍ، ووروده فى القرآنِ كثيرٌ، وهذا كقولِهِ تعالى فى قصّة موسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦: ١٩] فَلم يَذكرِ الفعلةَ بعينِها معَ كونِها مَعلومَةً؛ لما فى ذلكَ منَ المبالغَةِ فى أمرِها وتَعظيمِ شَأنِها». الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢: ٤٤.

(٥) سورة الأعلى ٨٧: ١٨، ١٩.

هُودٌ وصالحٌ وشُعَيبٌ ونَبيُّكَ، قُلتُ: يا رسولَ الله كَمْ أنزَلَ اللهُ مِن كِتابٍ؟ قالَ: مائةٌ وأربعَةُ كُتُبٍ أنزَلَ مِنها عَلى آدَمَ عَشَرَ صُحُفٍ، وعَلى شِيثٍ خَمسينَ صَحيفَةً، وعلى أُخْنُوخٍ وهوَ إدريسُ ثَلاثِينَ صَحيفَةً، وهوَ أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلَمِ، وعَلى إبراهيمَ عَشَرَ صَحائِفَ، والتّوراةَ والإنجيلَ والزّبورَ والفُرقانَ»[1]، فَما أُنزِلَ عَلى إبراهيمَ هوَ ما أُنزِلَ على إسماعيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ والأسباطِ؛ لأنَّهُم أولادُهُ وأولادُ أولادِهِ، وهُم مُتَعبّدونَ بِها داخِلونَ تَحتَ أحكامِها، فكَأنَّها مُنزَلَةٌ إليهِم كَما أنَّ القرآنَ مُنزَلٌ إلينا.

وقَد مَرَّ في اللّغَةِ أنَّ السِّبطَ بكَسرِ السِّينِ: وَلَدُ وَلَدِ الرّجُلِ كَأنَّهُ يُريدُ حَفَدَةُ يَعقوبَ فَقط، أو أبناءَهُ الاثنا عَشَرَ وذَرارِيهِ عَلى تَغليبِ أبناءِ الأبناءِ عَلى الأبناءِ، أو لأنَّ أبناءَ يَعقوبَ حَفَدَةُ إبراهيمَ وإسحاقَ عليهما السلام كَأنَّهُ قيلَ: وحَفَدَةُ إبراهيمَ وإسحاقَ وأبناءُ يعقوبَ، وَقَد مَرَّ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾، الآيَةُ: إنَّ أبناءَ يَعقوبَ عليه السلام اثنا عَشَرَ: يوسُفَ عليه السلام وبِنيامينَ ورُوبيلَ ويَهودا وشَمعونَ ولاوِي واُوشيرَ، وذَكَرَ بعضُهُم بَدَلَ هؤلاءِ الخَمسَةِ أعنِي: يَشنُوخونَ وذَبولونَ ودُوني وتَقتوني وكُودا ودّانَ وقَهابَ ويَشجرَ وتَقتاني وجادَ، وُلِدَ مِن كُلِّ واحِدٍ مِنهُم أُمَّةٌ مِنَ النّاسِ فَسُمُّوا الأسباطَ، وقالَ بعضُ المُفسّرينَ: إنَّ أولادَ يعقوبَ عليه السلام كانُوا كُلُّهُم أنبياءَ[2]. [٥٣٣]

وَليسَ كَذلكَ؛ لأنَّ الّذي يَقتَضِي مَذهبُنا أنَّهُم لَمْ يكونوا أنبياءَ بأجمَعِهِم[3]؛ لأنَّ ما وَقَعَ مِنهُم مِنَ المَعصِيَةِ والظُّلمِ فِيما فَعَلوهُ بِيوسُفَ وأبيهِم لا خَفاءَ بهِ، والنَّبيُّ يَجِبُ أن يَكونَ مَعصومًا مِنَ القَبائِحِ كُلِّها بدَلالَةِ قَولِهِ تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[4]، ولَيسَ في ظاهِرِ القرآنِ ولا في السُّنَّةِ ما يَدُلُّ

(١) الاختصاص: ٢٦٤، وبحار الأنوار: ١١: ٣٢ (بتصرّف).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي: ٦: ٢٠٩، وتفسير البغوي: ١: ١٧٢، وتفسير الرازي: ١١: ٣٣١.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أَجْمُعُ: بفَتحِ الهمزَةِ وسُكونِ الجيمِ وضَمِّ الميمِ: جَمعُ جَمعٍ، كَأفلُسٍ في جَمعِ فَلْسٍ، ولَيسَ مِن أفعلِ التّأكيدِ؛ لأنَّهُ لا يُستعمَلُ مُضافًا إلى الضّميرِ أصلًا، بَل يَتَغيَّرُ بالصِّيَغِ فَقط كَما بُيِّنَ في مَوضِعِهِ.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

على أنَّهُم كانُوا جميعًا أنبياءَ إلّا يُوسُفَ عليه السلام، وأمَّا قَولُهُ تعالى: **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾** فَلا يَدُلُّ على أنَّهُم كانُوا أنبياءَ؛ لأنَّ الإنزالَ يَجوزُ أن يَكونَ على بعضِهِم مِمَّن كانَ نَبيًّا ولَمْ يَصدرْ منهُ ما ذَكرناهُ مِنَ الأفعالِ القَبيحَةِ، مَعَ إنَّا قَد ذَكَرنا أنَّهُ لَمْ يَنزلْ إليهِم شَيءٌ بَل هُم مُتَعبّدونَ بِما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ مِنَ الصُّحُفِ فَهوَ مِثلَ قولِهِ تعالى: **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾** بالنِّسبَةِ إلى المؤمنينَ فَإنَّ النُّزولَ كانَ على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله خاصّةً لكن لَمَّا كانَ المؤمِنونَ مَأمورينَ بالتَّعبُدِ بِما فيهِ أُضيفَ الإنزالُ إليهِم.

وَقَد رَوَى العَيّاشي: عَن حَنان بنِ سديرٍ عَن أبيهِ عَن أبي جَعفرٍ الباقِرِ عليه السلام قالَ: قُلتُ لهُ: أكانَ وُلدُ يَعقوبَ عليه السلام أنبياءَ؟ قالَ: «لا، وَلكنَّهُم كانُوا أسباطَ أولادِ الأنبياءِ، ولَمْ يكونوا فارَقُوا الدُّنيا إلّا سُعَداءَ تابُوا وتَدارَكُوا ما صَنَعُوا»(١).

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾، أي: وَقُولوا آمَنَّا بِما أعطاهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مُوسى وعِيسى عليهما السلام مِنَ التّوراةِ والإنجيلِ أفْرَدَهُما بالذِّكرِ بِحُكْمٍ آخَرَ؛ لأنَّ حالَ التّوراةِ والإنجيلِ بالنِّسبَةِ إلى مُوسى وعِيسى مُغايرَةً لِما سَبَقَ، والنِّزاعُ وَقَعَ فيهِما، وهُمّا حُجَّتانِ عَلى اليَهودِ والنّصارَى، **﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾**، أي: قُولوا آمَنَّا بِما أُعطِيَهُ النَّبِيُّونَ جَميعًا، المَذكورونَ مِنهُم وغُيرُ المَذكورينَ، كَآدَمَ وشِيثٍ وإدريسَ وداودَ وغَيرِهِم، **﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾**، أي: حالَ كَونِ ما أُعطِيَهُ النَّبِيُّونَ، أعنِي: مُحَمَّدًا وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ ومُوسى وعِيسى وغَيرَهُم مِنَ الأنبياءِ والمرسَلينَ مُنْزَلًا مِن قِبَلِ رَبِّهِم لا مِن عِندِ أنفُسِهِم، **﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾** حالَ كَونِكُم قائلينَ: لا نُفَرِّقُ بينَ أحَدٍ مِن رُسُلِ اللهِ وأنبيائِهِ في الإيمانِ بهِم، بَل ولا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم في الإيمانِ بكُتُبِهِم أيضًا، ولا نَقولُ كَما يَقولُ اليَهودُ والنَّصارَى: نُؤمِنُ ببَعضٍ ونَكفُرُ ببَعضٍ، فَكَفَرَتِ اليَهودُ بعِيسى ومُحَمَّدٍ وغَيرِهِم، وكَفَرَتِ النّصارَى بموسى وسُلَيمانَ ومُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وغَيرِهِم، وفي الحَقيقَةِ: الكُفرُ بالبَعضِ كُفرٌ باللهِ وبجَميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ والكُتُبِ؛ لأنَّ جَحدَ اللّازِمِ وإنكارَهُ إنكارٌ للمَلزومِ، وكَذا إنكارُ بعضِ اللَّوازِمِ.

---

(١) تفسير العياشي: ١: ٦٢، حديث رقم: ١٠٦.

وَإنَّما قُلنا: لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم في الإيمانِ بِهِم؛ لأنَّا نُفَرِّقُ بَينَهُم في التّفضيلِ كَما فَضَّلَ اللهُ بعضَهُم على بعضٍ كَما قالَ سبحانهُ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1] الآيةُ، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2].

﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾، أي: لله لا لِغَيرِهِ **﴿مُسْلِمُونَ﴾** خاضِعُونَ بالطّاعَةِ، مُذعِنونَ بالعُبُوديَّةِ، مُصَدِّقونَ بالرُّبوبيَّةِ، مُنقادونَ لأوامِرِهِ ونَواهِيهِ، وقَد مَرَّ أنَّ المسلِمينَ مَنْ هُمْ؟ وأيَّ فِرقَةٍ؟ في الآيةِ السّابقَةِ في التّنبيهِ مُستَوفًى.

دلالَةُ هذهِ الآيةِ:

وفي هذهِ الآيةِ دلالَةٌ عَلى وُجوبِ الإيمانِ باللهِ تعالى قَلبًا ولِسانًا وجَوارِحَ، والإقرارِ والتَّصديقِ بالنَّبِيِّينَ وما أُنزِلَ إليهِم مِنَ الكُتُبِ والشّرائِعِ وإن كانَت شَرائِعُهُم غَيرَ لازمَةٍ؛ لِذا فإنَّ الإيمانَ بهِم لا يَقتَضِي لُزومَ شَرائِعِهِم إلَّا ما كانَ مُشتَرَكًا بَينَهُم، وعَلى وُجوبِ الرَّدِّ عَلى مَن فَرَّقَ بَينَ الرُّسُلِ والكُتُبِ في الإيمانِ بالبَعضِ والكُفرِ بالبَعضِ، وقِيلَ: إنَّ الهاءَ في (لَهُ) عائدٌ إلى ما تَقَدَّمَ ذِكرُهُ مِنَ اللهِ، **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾** إلى آخِرِ الآيَةِ، فَعَلى هذا يَكونُ المَعنى ولِما تَقَدَّمَ ذِكرُهُ: مُؤمِنونَ مُصَدِّقونَ غَيرُ كافرينَ بهِ، وغَيرُ مُنكِرينَ لَهُ.

وفي المجمَعِ: «رُوِيَ عَنِ الضّحّاكِ أنَّهُ قالَ: عَلِّمُوا أولادكُم وأهالِيكُم وخَدَمَكُم أسماءَ الأنبياءِ عليهم السلام الّذينَ ذَكَرَهُم اللهُ عَزَّ وجَلَّ في كِتابِهِ حَتَّى يُؤمِنوا بِهِم، ويُصَدِّقُوا بِما جاؤوا بهِ، فَإنَّ اللهَ تعالى يَقولُ: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾** إلى آخرِ الآيةِ»[3] انتَهى.

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٥٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٠٦.

وقَولُهُ تعالى: ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)**﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأ ابنُ عَبّاسٍ: (فَإن آمَنُوا بِما آمَنْتُم بِهِ) بِحَذفِ مِثْل، والجمهورُ بإثباتِهِ[١]، ويُعلَمُ حُجَّتُهُ فيما نَذكُرُهُ مِن بَيانِ الإعرابِ والمَعنى.

اللغة:

التَّوَلِّي والإعراضُ مِنَ النّظائِرِ، والشِّقاقُ والمُناواةُ[٢] والمُنازَعَةُ والمُحارَبَةُ والمُعاداةُ نظائرُ، والشِّقاقُ: الكُفرُ، اشتِقاقُهُ مِنَ الشَّقِّ، أي: الجانِبِ؛ لأَنَّهُ صارَ بالمُناواةِ والمُخالفَةِ في شِقٍّ غَيرِ شِقِّ صاحِبِهِ للعَداوَةِ والمُباينَةِ، أو مِنَ المَشَقَّةِ؛ لأنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُما يَسعَى أن يُدخِلَ صاحِبَهُ في مَشَقَّةٍ وأَذِيَّةٍ وتَعَبٍ، والكِفايَةُ: بُلوغُ الغايَةِ وما يَكفِي الإنسانُ ويُغنِيهِ، ويُكفِيءُ ويُجزِئُ ويُغنِي بمَعنًى واحِدٍ، يقالُ: كَفاهُ الأمرُ يكفِيهِ كِفايَةً: إذا قامَ الأمرُ مَقامَهُ، وكَفاكَ هذا الأمر، أي: حَسْبُكَ، ورَأيتُ رَجُلًا كافِيكَ مِن رَجُلٍ، أي: رأيتُ رَجلًا كَفاكَ بِهِ رَجُلًا، فَ(مِن رجلٍ): تمييزٌ، وجاءَ (كَفَى) مُتعدّيًا إلى مَفعولَينِ، كَقولِهِ تعالى: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[٣]، وفي الحَديثِ: «سَيَفتَحُ اللهُ عَليكُم، ويَكفِيكم اللهُ»[٤]، أي: يَكفِيكُم القِتالَ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**﴾ وفي الحَديثِ: «مَن قَرَأَ الآيتَينِ من آخِرِ البَقرَةِ في لَيلِهِ كَفَتاهُ»[٥]، أي: أغنَتاهُ عَن قِيامِ لَيلِهِ، أو تَكفِيانِ الشَّرَّ وتَقِيانِ المَكروهَ، والكُفاةُ، كَهُداةٍ: الخَدَمُ الّذينَ يَقومونَ بالخِدمَةِ، جَمعُ كافٍ. [٥٣٤]

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١: ١١٣.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: المناواة: المعاندة.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٩٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤: ١٩٣.

الإعراب:

(فَإن آمَنُوا): الفاءُ فَصيحَةٌ، و(إن آمَنُوا): جملَةٌ شَرطيَّةٌ، و(بِمِثلِ): الباءُ: مَزيدَةٌ للتّأكيدِ، كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾[1]، و(ما): مَصدريَّةٌ، وهيَ مَعَ ما بَعدَها: نَعتٌ لِمَصدَرٍ مَحذوفٍ مَعَ حَذفِ مُتعَلِّقِ (آمَنُوا)، والتّقديرُ: فَإن آمَنُوا بالله إيمانًا مِثلَ إيمانِكُم، ويَجوزُ أن تَكونَ الباءُ لِلآلَةِ لا للتّعدِيَةِ مَعَ حَذفِ مُتعَلِّقِ (آمَنُوا) أيضًا، ويكونُ المُرادُ بالمِثلِ: الطّريقُ، أي: فَإن آمَنُوا بالله بطَريقٍ يَهدِي إلى الحَقِّ مِثلِ طَريقِكُم، كَما تَقولُ: كَتبتُ على مِثلِ ما كَتبتَ وبِمِثلِ ما كَتبتَ، كَأنَّكَ تَجعلُ المِثلَ آلَةً تُوصِلُ بِها إلى العَمَلِ، كَالقَلَمِ في مِثلِ: كَتبتُ بالقَلَمِ، أي: كَتبتَ الكِتابَ بالقَلَمِ، ونَحو: نَجَرتُ بالقَدُومِ[2]، وإلَّا لا مَعنَى لِمثلٍ، ويَجوزُ أن يكونَ لَفظُ (مِثلُ) مُقحَمًا مَزيدًا كَما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾[3]، أي: عليهِ، ويُؤيِّدُهُ قِراءَةُ مَن قَرَأَ: (فَإن آمَنُوا بِما آمَنتُم بهِ)، وجملَةُ (فَقَد اهتَدوا): جَوابُ الشّرطِ فَيجوزُ في مَحلِّهِ الجَزمُ والرَّفعُ؛ لأَنَّهُ جَوابٌ لِشَرطٍ مَبنِيٍّ، وكذلكَ جملَةُ (فَإنَّما هُم في شِقاقٍ)، وَ(إنَّما): أداةُ الحَصرِ مَوضُوعَةٌ لإثباتِ الشّيءِ ونَفيِ غَيرِهِ، و(هُم): مُبتدأٌ، و(في شِقاقٍ): خَبرُهُ، والجملَةُ جوابُ الشّرطِ، أعنِي: وإن تَوَلَّوا، و(الفاءُ) في (فَسَيَكفيكَهُم اللهُ): يُحتَمَلُ أن تكونَ: فَصيحةً، أي: وإن شاقّوكُم ونافَقُوكُم وخَدَعوكُم فَسَيَكفيكَهُم، وأن تكونَ: تَعليلًا، أي: فَإن شاقُّوكُم وناوَوْكُم وعانَدُوكُم فَلا تَخافُوا ولا تَحزَنُوا لِأجلِ كِفايَةِ الله إيّاكَ مِنهُم، وجملَةُ (وهوَ السّميعُ العَليمُ): حاليَّةٌ، أو مُستَأنَفَةٌ، أو مُعتَرِضَةٌ، عَلى ما مَرَّ بيانُهُ، و(السِّينُ) للتّأكيدِ.

المعنى:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أخبَرَ اللهُ سبحانهُ المؤمنينَ بأنَّ هؤلاءِ الكُفّار مِن أهلِ الكِتابِ

---

(١) سورة يونس ١٠: ٢٧.

(٢) هي: ((الحديدةُ التي يُنحَتُ بها الخَشَبُ)). العين: ٥: ١٢٢، (قدم).

(٣) سورة الأحقاف ٤٦: ١٠.

وغَيرِهِم مَتَى آمَنوا عَلى طَرِيقِ إيمانِكُم وعَلى حَدِّ إيمانِكُم بأن آمَنُوا باللهِ وبِما أُنزِلَ إلى مُحمَّدٍ ﷺ، وبِما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ إلى آخِرِهِ، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ إلى طَرِيقِ الجَنَّةِ، وسَلَكُوا طَرِيقَ الهِدايَةِ والاستِقامَةِ فَيكونُ قَولُهُ تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ﴾ للتّعجيزِ والتَّبكِيتِ(1) عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(2)، إذ لا مِثلَ لِمَن آمَنَ بِهِ المؤمِنونَ، أعني: اللهُ جَلَّ جَلالُهُ حَتّى يَكونَ مِثلَهُ، ولا دِينَ كَدينِ الإسلامِ حَتَّى يَكونَ ذلكَ الدِّينُ مِثلَ دِينِ الإسلامِ؛ ولِذا قالَ ابنُ عَبّاسٍ: «اقرَأُوا بِما آمَنتُم بِهِ فَلَيسَ للهِ تعالى مِثْلٌ»(3)، فهذا القَولُ مِن ابنِ عَبّاسٍ محمولٌ عَلى أَنَّهُ تَفسيرٌ للكَلامِ، لا أَنَّهُ أنكَرَ القِراءَةَ الظّاهِرَةَ مَعَ صِحَّةِ المَعنى عَلى ما ذَكرناهُ.

وَلهذِهِ النُّكتَةِ قَد تُجعَلُ (الباءُ): تارَةً مَزِيدَةً، و(مِثلَ): صِفَةً لمَصدَرٍ محذوفٍ مَعَ حَذفِ مُتعَلَّقِ (آمَنوا)، كَما مَرَّ في الإعرابِ، أعنِي: فَإن آمَنوا باللهِ وما أُنزِلَ إلينَا إلى آخِرِهِ إيمانًا مِثلَ إيمانِكُم.

ولهذِهِ النُّكتةِ أيضًا قَد نَجعَلُها تارةً أُخرَى للآلَةِ لا لِتَعدِيَةِ (آمَنُوا) بِها، ويَجعَلُ (المِثل) بمَعنَى مَعَ حَذفِ مُتعَلِّقِ (آمَنُوا) أيضًا، أي: فَإن آمَنُوا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا إلى آخِرِهِ بطَرِيقٍ يَهدِي إلى الحَقِّ مِثلِ طَرِيقِكُم، فَإنَّ وِحدَةَ المَقصَدِ لا تَأبَى تَعَدُّدَ الطُّرُقِ.

ولهذِهِ النُّكتةِ أيضًا قَد يُجعَلُ لَفظُ (مِثلَ) زائِدًا كَما مَرَّ في الإعرابِ.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرَضُوا عَنِ الإيمانِ بالطّرِيقِ المَذكورِ وجَحَدُوهُ، ولَمْ يَعتَرِفوا بِهِ، ولَمْ يَدخُلوا فيهِ، أو وَإن تَوَلَّوا عَمّا تَقولونَ لَهُم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أي: مُناواةٍ ومُعانَدَةٍ لا غَيرُ، ولَيسوا مِن طَلَبِ الحَقِّ في شَيءٍ، أي: ما هُمْ إلَّا في شِقاقِ الحَقِّ ونِفاقِهِ ومُناواتِهِ ومُعاداتِهِ ومُخالفتِهِ ومُخالفَةِ أهلِهِ فَهُم في جانبٍ وأهلُ الحَقِّ في جانبٍ آخَرَ، وقِيلَ في ضَلالٍ(4)، ورُوِيَ عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «يَعني في

(1) أي: «التقريع والتعنيف». الصحاح: ١: ٢٤٤، (بكت).

(2) سورة البقرة ٢: ٢٣.

(3) تفسير الثعلبي: ١: ٢٨٣، وتفسير الرازي: ٤: ٧٣.

(4) ينظر: تفسير الثعلبي: ١: ٢٨٤، وتفسير الرازي: ٤: ٧٤، والقول لأبي عبيدة ومقاتل.

كُفرٍ»[1]، عَلى ما مَرَّ في تَفسيرِ الآيةِ السّابقَةِ مِن قَولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾، يَعني: النَّاسَ ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ عَلِيًّا وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسينَ والأئمَّةَ عليهم السلام ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، الحديث ثُمَّ سَلَّى اللهُ عَزَّ وجَلَّ نَبيَّهُ صلى الله عليه وآله وأوصياءَهُ عليهم السلام والمؤمِنينَ، ووَعَدَهُم بالنّصرَةِ والحِفظِ وكِفايَةِ مَن نَاواهُم وعَانَدَهُم مِنَ اليَهودِ والنّصارَى وغَيرِهِم مِنَ الكُفّارِ والمُنافِقينَ بقَولِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾، وَمَعنى السِّينِ: أنَّ ذلكَ الوَعدَ بالنَّصرِ والحِفظِ وكِفايةِ مَن نَاواهُ مِنَ الكُفّارِ كائِنٌ لا مَحالَةَ وإن تَأَخَّرَ إلى حينٍ كَما في ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾[2]، فَهذا ضَمانٌ مِنَ الله تعالى لإظهارِ نَبيِّهِ عَليهِم، وكِفايَةُ مَن يُشاقُّهُ مِنَ اليَهودِ والنّصارَى، وفيهِ دلالَةٌ على صِحَّةِ نُبوَّةِ نَبيِّهِ صلى الله عليه وآله؛ لأَنَّهُ سبحانهُ قَد أنجزَ وَعدَهُ فَوافَقَ المُخبَرُ الخَبَرَ.

وقَولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: تَهديدٌ ووَعيدٌ لَهُم، أي: يَسمَعُ ما يَنطِقونَ بهِ مِنَ الخِداعِ، ويَعلَمُ ما يُضمِرونَهُ مِنَ النّفاقِ والشّقاقِ فَيُعاقِبَهُم عَلى ذلكَ ويُجازِيهِم عَليهِ، ووَعْدٌ لِرَسولِهِ صلى الله عليه وآله وأوصيائِهِ والمؤمِنينَ، أي: يَسمَعُ ما تَدعُوهُم إليهِ مِنَ الإيمانِ بالله وبِما أُنزِلَ إليكَ، إلى آخرِهِ، ويَعلَمُ نِيَّتَكَ وإخلاصَكَ وإرادَتَكَ مِن إظهارِ الدِّينِ الحَقِّ، ومُستَجيبٌ لَكَ فَلَن يَصِلُوا إليكَ. [٥٣٥]

وقَولُهُ تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ آيةٌ:

اللغة:

الصِّبغُ بالكَسرِ: اللَّونُ الّذي يُصبَغُ بِهِ الثّوبُ ونَحوُهُ، يقالُ: صَبَغَهُ كَمَنَعَهُ وضَرَبَهُ ونَصَرَهُ، صَبغًا وصِبغًا بفَتحِ الصّادِ وكَسرِها: لَوَّنَهُ، وصَبَغَ يَدَهُ في الماءِ: غَمَسَها فيهِ، وفي الحديثِ: «فَيُصبَغُ في النّارِ صِبغَةً»[3]، أي: يُغمَسُ كَما يُغمَسُ الثّوبُ في الصِّبغِ، والصَّبّاغُ مَن يُلَوِّنُ الثِّيابَ، والكَذّابُ؛ لأَنَّهُ

---

(١) تفسير نور الثقلين: ١: ١٣٢، وبحار الأنوار: ٩: ٢٣٢، حديث رقم: ١٢٥، وفي تفسير القمّي: ١: ٦٢، دون نسبة.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨١.

(٣) مسند أحمد: ٣: ٢٠٣، وصحيح مسلم: ٨: ١٣٥.

يُلَوِّنُ الحديثَ وَيَحُوكُهُ، وفي الحديثِ: «أكذَبُ النّاسِ الصَّبّاغونَ»(١)، والصَّوّاغونَ: هُم صَبّاغُوا الثّيابِ، وصاغَةُ الحُلِي يُماطِلُونَ النّاسَ بالمَواعيدِ يَقولونَ غَدًا، وقيلَ: أرادَ الّذينَ يَصبِغونَ الكَلامَ ويَصُوغُونَهُ، وفي القاموسِ:

(والصِّبغَةُ بالكَسرِ: الدِّينُ والمِلَّةُ، وصِبغَةُ اللهِ: فِطرَةُ اللهِ الّتي أمَرَ بِها مُحَمَّدًا ﷺ وهيَ: الخِتانَةُ)(٢)، انتَهى.

فَصِبغَةُ اللهِ: فِعلَةٌ مِن صَبَغَ، كَالجِلسَةِ مِن جَلَسَ للحالَةِ والهَيئَةِ، مأخوذَةٌ مِنَ الصِّبغِ المعروفِ باعتِبارِ المُشاكَلَةِ على فِعلِ النّصارَى؛ لأنَّهُم كانُوا إذا وُلِدَ لَهُم مَولودٌ غَمَسُوهُ بماءٍ أصفَرَ يُسَمُّونَهُ بالمَعمودِيَّةِ، يَجعَلونَ ذلكَ تَطهيرًا لَهُ وعَلامَةً لِنَصرانيَّتِهِ، فَقيلَ في رَدِّهِم صِبغَةَ اللهِ لا تَطهيرَكُم بِتلكَ الصِّبغَةِ، وقالَ قَتادَةُ: (إنَّ اليَهودَ تَصبغُ أبناءَها يَهودًا، والنّصارَى تَصبغُ أبناءَها نَصارَى، أي: يُلَقِّنُونَ أولادَهُم اليَهوديَّةَ والنّصرانيَّةَ في الطّفوليَّةِ إلى حِينِ البُلوغِ؛ لِيَعتادوا ذلكَ فَلَمْ يُفارِقوهُ عِندَ البُلوغِ)(٣).

الإعراب:

(صِبغَةَ اللهِ) مَنصوبةٌ على أنّها: مَفعولٌ مُطلَقٌ لِفعلٍ مَحذوفٍ يُؤكِّدُ قَولَهُ (آمَنَّا باللهِ) إلى آخِرِهِ، أي: آمَنَّا باللهِ وَصَبَغَنا اللهُ بالإيمانِ بهِ صِبغَةً، فَحُذِفَ الفِعلُ وقُدِّمَ المصدَرُ وأُضِيفَ إلى الفاعِلِ، أو آمَنَّا باللهِ وَصَبَغنا أنفُسَنا بالإيمانِ باللهِ صِبغَةً، وطَهَّرناها تَطهيرًا لا كَتَطهيرِ اليَهودِ والنَّصارَى، أو عَلى الإغراءِ، أي: الزَمُوا صِبغَةَ اللهِ لا صِبغَةَ اليَهوديَّةَ والنّصرانيَّةَ، أو عَلى أنّها بَدَلٌ مِن (مِلَّةِ إبراهيمَ)، أي: اتَّبِعوا مِلَّةَ ابراهيمَ صِبغَةَ اللهِ، عَلى ما مَرَّ مِنَ التّقديراتِ.

---

(١) مسند أحمد: ٢: ٢٩٢، والسنن الكبرى للبيهقي: ١٠: ٢٤٩.

(٢) القاموس المحيط: ٣: ١٠٩، (صبغ).

(٣) تفسير الرازي: ٤: ٧٥، وتفسير القرطبي: ٢: ١٤٤.

و(مَنْ): اسمُ استفهامٍ لِلإنكارِ والجحدِ مُبتدأٌ، خَبَرُهُ: (أحسَنُ) بصِيغَةِ اسمِ التّفضيلِ، و(صِبغَةً): نَصبٌ عَلى التّمييزِ مِن نِسبَةِ أحسَن إلى فاعِلِهِ المُستكِن فيهِ، وجملَةُ (ونَحنُ لَهُ عابِدونُ): حالٌ مِن فاعلِ المَصدَرِ، أعنِي: اللهَ، أو مَقولَةٌ لِـ(قُولوا) المذكورِ في قَولِهِ: (قُولوا آمَنَّا باللهِ)، فَتكونُ عَطفًا على (آمَنَّا) مِن عَطفِ الاسمِيَّةِ على الفِعليَّةِ، هذا إذا كانَ (صِبغَةَ الله) مَفعولًا مُطلَقًا مُؤكِّدًا لِآمَنَّا باللهِ، أو مَقولَةٌ لِـ(قولوا) المَحذوفِ المَعطوفِ عَلى (الزَمُوا)، أو عَلى[1] (اتَّبِعُوا) عَلى تَقديرِ كَونِ صِبغَةَ اللهِ مَنصوبَةً على الاغراءِ، أو عَلى البَدَلِ مِن مِلَّةِ ابراهيمَ لِئَلَّا يَلزَمَ فَكُّ النُّظُمِ وعَدَمُ التّرتيبِ.

المعنى:

﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾، أي: الزَمُوا دِينَ اللهِ الّذي هُوَ الإسلامُ، أو اتَّبِعُوا دينَ اللهِ الّذي هُوَ مِلَّةُ إبراهيمَ الّتي هيَ الصِّبغَةُ حقيقةً، والتّطهيرُ عَنِ الأدناسِ والشِّركِ والكُفرِ الّتي هيَ اليَهوديّةُ والنّصرانيّةُ، وشَريعتُهُ[2] الحَنيفيّةُ العَشرُ، والّتي هيَ تَطهيرُ اللهِ، وفِطرةُ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَليها، أو قولوا آمَنَّا باللهِ إلى آخِرِهِ، وصَبَغَنا اللهُ وهَدَانا وأرشَدَنا وطَهَّرَ قُلُوبَنا بالإيمانِ باللهِ وبِما أُنزِلَ إلَينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ إلى آخِرِهِ صِبغَةً، إنَّما سُمِّيَ مِلَّةُ ابراهيمَ ودِينُهُ الّذي هوَ الإسلامُ صِبغَةً؛ لأنَّها حِليَةٌ لَهُم، كَما إنَّ الصِبغَةَ حِليَةُ المَصبوغِ، وأنَّها هَيئَةٌ يَظهَرُ أثَرُها بالمُشاهَدَةِ مِن آثارِ الطّهارَةِ والصّلاةِ والخُشوعِ والإخباتِ، سِيماهُم في وُجُوهِهِم مِن أثَرِ السُّجودِ وغَيرِ ذلكَ مِنَ الآثارِ الجَميلَةِ الّتي [هيَ] الصِّبغَةُ والعَلامَةُ؛ لأنَّها تَتَداخَلُ في قُلوبِهِم وتُؤَثِّرُ فيها تَداخُلَ الصِّبغِ الثّوبَ وتَأثِيرَهُ فيهِ.

وقَولُهُ: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾**: لَفظُهُ لَفظُ الاستِفهامِ ومَعناهُ الإنكارُ، أي: لا أحَدَ أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً، أي: لا دِينَ أحسَنُ مِن دِينِ اللهِ، ولا صِبغَةَ أحسَنُ مِن صِبغَةِ اللهِ ومِن تَطهيرِهِ، **﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾**، أي: للهِ لا لِغَيرِهِ **﴿عَابِدُونَ﴾** مُتذَلِّلُونَ مُطيعونَ مُنقادونَ مُخلِصونَ لَهُ الدّينَ لا نُشرِكُ بِهِ شَيئًا كَشِركِكُم مَخلُوقَهُ بِهِ مِمَّن لا يَملِكُ لَكُم نَفعًا ولا ضَرًّا ولا مَوتًا ولا حَياةً ولا نُشورًا، بَل ولا

---

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: المعطوف على اتبعوا.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: شريعةَ إبراهيمَ، وهيَ: عطفٌ على ملَّةِ إبراهيمَ.

لأنفُسِهم أيضًا، فَهذا تَعريضٌ بأهلِ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ والنّصارَى والمَجوسِ وغَيرِهم مِنَ الكُفّارِ وعَبدَةِ الأوثانِ. [٥٣٦]

وفي مَعانِي الأخبارِ: (بإسنادِهِ إلى أبانَ بنِ عُثمانَ[١] عَن أبي عَبدِ الله عليه السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾، فَقالَ: هيَ الإسلامُ)[٢]، وفي أُصولِ الكافي: (بإسنادِهِ إلى عبدِ الرّحمنِ بنِ كَثيرٍ[٣] عَن أبي عبدِ الله عليه السلام في قَولِهِ تعالى: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾، قالَ: صِبْغُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام بالوِلايَةِ في المِيثاقِ)[٤]، وبإسنادِهِ: (عَن أبي عبدِ الله عليه السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾، قالَ: الإسلامُ)[٥]، وبإسنادِهِ: (عَن مُحمَّدٍ بنِ مُسلمٍ عَن أحَدِهِما عليهما السلام في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾، قالَ: الصِّبغَةُ هيَ الإسلامُ)[٦].

---

(١) هو: أبان الأحمر البجليّ: مولاهُم، كوفيٌّ، رَوَى عن أبي عبدِ الله وأبي الحسنِ عليهما السلام، أجمعت العصابةُ على تَصحيحِ ما يصحُّ عنهُ، لهُ كتابٌ كبيرٌ يجمَعُ المبتدأ والمغازي والوفاةَ والرِّدَّة. ينظر: رجال النجاشي: ١٣: ترجمة رقم: ٨، ومعالم العلماء: ٦٣: ترجمة رقم: ١٤٠، وخلاصة الأقوال: ٧٤، ترجمة رقم: ٣.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٨، حديث رقم: ١.

(٣) هو: القرشيُّ، الهاشِميُّ، الكوفيُّ، مولى عباس بن محمدٍ بن عليٍّ بن عبدِ الله بن العبّاس، كان ضعيفًا، لهُ كتبٌ، منها: فضلُ سورةِ إنّا أنزلناهُ، وصُلحُ الحسنِ عليه السلام، وكتابُ فدك. ينظر: رجال النجاشي: ٢٣٤، ترجمة رقم: ٦٢١، ورجال ابن داود: ٢٥٦، ترجمة رقم: ٣٠٤.

(٤) الكافي: ١: ٤٢٢، ٤٢٣، حديث رقم: ٥٣، وقد ورد الحديث بلفظ: (قالَ: صِبغُ المؤمنينَ بالوِلايةِ في الميثاقِ)، وهو ما ورد أيضًا في: تفسير فرات الكوفي: ٦٢، حديث رقم: ٢٥، ومختصر بصائر الدرجات: ١٧١، وبحار الأنوار: ٢٣: ٣٦٦، حديث رقم: ٣٢.

(٥) الكافي: ٢: ١٤، حديث رقم: ١.

(٦) الكافي: ٢: ١٤، حديث رقم: ٣.

وقَولُهُ تعالى: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)**﴾ آيةٌ:

اللغة:

المُحاجَّةُ والحِجاجُ والجِدالُ والخِصامُ نظائرُ، والأعمالُ والأحداثُ والأفعالُ نظائرُ، مَعَ فَرقٍ مَا عَلى ما مَرَّ، والاخلاصُ والاختِصاصُ والإفرادُ نظائرُ، وضِدُّ الخالِصِ: المَشوبُ، وضِدُّ الإفرادِ: الإشراكُ.

الإعراب:

تَحقيقُ مَقامٍ في بَيانِ هَمزَةِ الإنكارِ وأنواعِهِ وشَرطِهِ:

(الهمزَةُ) في أتُحاجُّونَنَا: لِلإنكارِ، وشَرطُهُ أن يَلِيَ المُنكَرُ الهمزَةَ، فَتقولُ في إنكارِ الفِعلِ المضارِعِ: أتَضرِبُ زَيدًا وهوَ أخوكَ، قَصدًا إلى إنكارِ الفِعلِ الواقِعِ في الحالِ، بمَعنَى: أنَّهُ لا يَنبَغِي أن يكونَ، وقَولُهُ تعالى: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**﴾، قَصدًا إلى إنكارِ المُحاجَّةِ في شَأنِ اللهِ وأمرِهِ، بمَعنى أنَّهُ لا يَنبَغِي أن تَكونَ، وقَولُ الشّاعِرِ:

أَتَقتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي　　　وَمَسنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أغوالِ[1]

سَواءٌ أُعمِلَ ذلكَ الفِعلُ المُضارِعُ في جملَةٍ حاليّةٍ كَما في تلكَ الأمثلَةِ، أم لا، كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وقَولِكَ: أتُؤذِي أباكَ، وَأتَشتِمُ الأميرَ، بمَعنى أنَّهُ لا يَنبَغي أن يَكونَ، ولا يَصُحُّ وُقوعُ هَلِ الاستِفهامِيّةِ في أمثالِ هذهِ المَواضِعِ كَما بُيِّنَ في عِلمِ النّحوِ.

وتَقولُ في إنكارِ الفاعِلِ: أأنتَ ضَربتَ زَيدًا، وقَولِهِ تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾[3]، فَإنَّ المُنكَرَ أن يَكونُوا هُمُ القاسِمينَ لا نَفسُ القِسمَةِ؛ وَلِذا يَلِي الفاعِلُ

---

(١) البيت من الطويل، لامرئ القيس. ديوانه: ١٢٥، وينظر: مختصر المعاني: ١٩٠.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٢٨.

(٣) سورة الزخرف ٤٣: ٣٢.

الهمزَةَ كَما هوَ شَرطُ الإنكارِ، وأمَّا إنكارُ المفعولِ كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[1]، فَإنَّ المُنكَرَ هوَ اتِّخاذُ غَيرِ اللهِ وَلِيًّا لا اتِّخاذُ الوَلِيِّ، وقَولِهِ تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾[2]، وقَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، فَإنَّ المُنكَرَ هو طَلَبُ غَيرِ اللهِ حَكَمًا ورَبًّا لا اتِّخاذُ الحَكَمِ والرَّبِّ ولِذا يَلِي المفعولُ ـ أعنِي: غَيرَ اللهِ في تلكَ الآياتِ ـ الهَمزَةَ عَلى ما هوَ شَرطُ الإنكارِ.

ثُمَّ الإنكارُ قَد يكونُ للتّوبيخِ، أي: ما كانَ يَنبَغِي أن يكونَ ذلكَ الأمرُ الّذي كانَ، نحو: أَعَصَيتَ رَبَّكَ، أو لا يَنبَغِي أن يَكونَ، نحو: أَتَعصِي رَبَّكَ، وقَد يَكونُ للتّكذيبِ في الماضِي كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾[4]، أو في المُستقبلِ، أي: لا يكونُ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[5]، وقَولِهِ تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[6] فتَذَكَّر هذهِ القاعدَةَ تَنفَعْكَ فيما بَعدُ.

وجملَةُ (وهوَ رَبُّنا وَرَبُّكُم) مِنَ المبتدَأِ والخَبَرِ والمَعطوفِ: حالٌ مِن فاعِلِ (تُحاجُّونَنَا)، أعنِي: (الواو)، أو مِن مَفعولِهِ، أعنِي: (نا)، أو مِن مَفعولِهِ بالواسطَةِ، أعنِي: (في الله)، أو مِنَ الثّلاثَةِ؛ لِوجودِ العائِدِ إليها على ما مَرَّ سابقًا، و(الواو) في (وَهُوَ): حاليّةٌ، وجملَةُ (لَنا أعمالُنا): حالٌ مِنَ الفاعِلِ، أو المفعولِ، أو مِنهُما، وكَذا جملَةُ (وَلَكُم أعمالُكُم)، أو الجملَتانِ مُستَأنفَتانِ، وجملَةُ (وَنحنُ لَهُ مُخلصونَ): حالٌ مِنَ المفعولِ بهِ، أعنِي: (نا)، أو مِنَ المفعولِ بالواسطَةِ، أعنِي: (في الله)، أو مِنهُما؛ لِوجودِ العائِدَينِ إليهِما معًا.

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٤.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١١٤.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١٦٤.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٤٠.

(٥) سورة هود ١١: ٢٨.

(٦) سورة الزخرف ٤٣: ٥.

النُّزول:

رُوِيَ أنَّ أهلَ الكِتابِ قالُوا: الأنبياءُ كُلُّهم مِنَّا، ودِينُنا أقدَمُ، وكِتابُنا أسبَقُ، ولَمْ يكنْ مِنَ العَرَبِ نَبيٌّ، ونَحنُ أولَى باللهِ مِنكُم، ونَحنُ أبناءُ اللهِ وأحبّاؤُهُ، ولَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كانَ هُودًا أو نَصارَى، ونَحنُ أحَقُّ بالإيمانِ والدِّينِ مِنَ العَرَبِ الّذينَ عَبَدُوا الأوثانَ، فَلَو كُنتَ نَبيًّا لَكُنتَ مِنَّا، فَنَزَلَتِ الآيةُ(١).

المعنى:

﴿**قُلْ**﴾ يا مُحَمَّدُ أمَرَ اللهُ سبحانهُ نَبيَّهُ ﷺ في هذهِ الآيةِ أن يَقولَ لأهلِ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ والنّصارَى وغَيرِهِم مِنَ الكُفّارِ عَلى جِهَةِ الإنكارِ والتّوبيخِ: ﴿**أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ**﴾، أي: أتُخاصِمُونَنا وتُجادِلُونَنا في شَأنِ اللهِ واصْطِفائِهِ نِبيًّا مِنَ العَرَبِ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ، أو في دِينِ اللهِ، ثمَّ بَيَّنَ سبحانهُ أنَّهُ أعلَمُ بتَدبيرِ خَلقِهِ بقَولِهِ تعالى: ﴿**وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**﴾، والحالُ أنَّهُ سبحانَهُ خالِقُنا وخالِقُكُم والمُنعِمُ عَلَينا والمُنعِمُ عليكُم لا اختِصاصَ لَهُ بقَومٍ دونَ قَومٍ، بَل هوَ الّذي في السّماءِ إلهٌ وفي الأرضِ إلهٌ، يُصيبُ برَحمَتِهِ مَن يَشاءُ، وهوَ يَعلَمُ حيثُ يَجعَلُ رسالَتَهُ، ويَعلَمُ مَن الّذي يَقومُ بأعبائِها، ويَتَحَمَّلُها على وَجهٍ يكونُ أصلَحَ للخَلقِ وأولَى بتَدبيرِهِم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾(٢)، أهُم يَقسِمونَ رَحمَةَ رَبِّكَ، أي: النُّبوَّةِ والإمامَةِ نَحنُ قَسَمنا بَينَهُم مَعيشَتَهُم. [٥٣٧]

﴿**وَلَنَا أَعْمَالُنَا**﴾، أي: دِينُنا، أو جَزاءُ أعمالِنا، ﴿**وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾، أي: دِينُكُم وجَزاءُ أعمالِكُم، فَما عَلَينا مَضَرَّةٌ مِن أعمالِكُم وما لَكُم مَنفَعَةٌ مِن أعمالِنا، فَضَرَرُ أعمالِكُم عَليكُم، ونَفعُ أعمالِنا لَنا، فَأنكَرَ اللهُ سبحانهُ قَولَهُم: بأنَّ العَرَبَ عَبَدُوا الأوثانَ، وبَيَّنَ أنَّهُ لا حُجَّةَ فيهِ إذ كُلٌّ مَأخوذٌ بِما كَسَبَت يَداهُ ولا يُؤخَذُ أحَدٌ بجُرمِ غَيرِهِ، ﴿**وَنَحْنُ لَهُ**﴾ والحالُ أنّا للهِ لا لِغَيرِهِ ﴿**مُخْلِصُونَ**﴾ مُوَحِّدون غَيرُ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ١٠٩، وزبدة التفاسير: ١: ٢٥١.

(٢) سورة النساء ٤: ٥٤.

مُشرِكينَ، نُخلِصُهُ بالإيمانِ والطّاعَةِ، والمُخلِصُ: أولَى بالحَقِّ مِنَ المُشرِكِ.

وقيلَ: مَعناهُ الرَّدُّ عَلَيهِم بِما احتَجُّوا بهِ مِن عِبادَةِ العَرَبِ لِلأوثانِ، فكَأنَّهُ قالَ: لا عَيبَ عَلَينا في ذلكَ إذ كُنَّا مُوَحِّدينَ، كَما لا عَيبَ عَلَيكُم بِفِعلِ مَن عَبَدَ العِجْلَ مِن أسلافِكُم إذا اعتَقَدتُم الإنكارَ عَلَيهِم في ذلكَ، فَلا يَبعُدُ أن يُكرِمَنَا اللهُ بأعمالِنا، كَأنَّهُ ألزَمَهُم عَلى كُلِّ مَذهَبٍ يَنتَحِلونَهُ افْحامًا وتَبكِيتًا، فَإنَّ كَرامَةَ النُّبوَّةِ إمَّا تَفَضُّلٌ مِنَ اللهِ عَلى مَن يَشاءُ، والكُلُّ فيهِ سَواءٌ، وإمَّا إفاضَةُ حَقٍّ عَلى المُستعدِّينَ لَهَا بالمواظَبَةِ عَلى الطّاعَةِ والتّحَلِّي بالإخلاصِ.

فَصلٌ في ذِكرِ الإخلاصِ:

قالَ في المجمَعِ: «رُوِيَ عَن حُذيفَةَ بنِ اليَمانِ[1] قالَ: سَألتُ النَّبيَّ ﷺ عَنِ الإخلاصِ ما هُوَ؟ قالَ: سَألتُ جَبرئيلَ عَن ذلكَ، قالَ: سَألتُ رَبَّ العِزَّةِ عَن ذلكَ، فَقالَ: هُوَ سِرٌّ مِن سِرِّي استَودَعتُهُ قَلبَ مَن أحبَبتُهُ مِن عِبادِي. ورُوِيَ عَن أبي ادريسَ الخَولانِيِّ[2] عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: إنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقيقَةً، ومَا بَلَغَ عَبدٌ حَقيقَةَ الإخلاصِ حَتَّى لا يُحِبَّ أن يُحمَدَ عَلى شَيءٍ مِن عَمَلِ اللهِ. وقالَ سَعيدُ بنُ جُبيرٍ[3]: الإخلاصُ: أن يُخلِصَ العَبدُ دِينَهُ وعَمَلَهُ للهِ ولا يُشرِكَ في دِينِهِ ولا يَرائِيَ بعَمَلِهِ أحَدًا، وقِيلَ: الإخلاصُ: أن يَستَوِيَ عَمَلُ العَبدِ في الظّاهِرِ والباطِنِ، وقيلَ: هوَ ما استَتَرَ مِنَ الخَلائِقِ واستُصفِيَ مِنَ العَلائِقِ، وقيلَ: هوَ أن يَكتُمَ حَسناتِهِ كَما يَكتُمُ سَيِّئاتِه»[4].

---

(١) أبو عبدِ الله حسيل بنُ جابرٍ العَبسيّ: صاحبُ سرِّ رسولِ الله ﷺ، شهدَ أُحدًا وما بعدَها منَ المشاهِدِ، توفي بالمدائن سنة (٣٦هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٦: ١٥، وتهذيب الكمال: ٥: ٤٩٥، ترجمة رقم: ١١٤٧.

(٢) عائذُ الله بنُ عبدِ الله الدمشقيّ: من علماء الشام، رَوَى عن معاذِ بنِ جبلٍ وأبي الدرداء وأبي ذرٍّ وحُذيفةَ وعبادة بن الصّامتِ، كما روى عنهُ الزّهريّ ومكحول، توفي سنة (٨٠هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٧: ٤٤٨، وتذكرة الحفاظ: ١: ٥٦، ترجمة رقم: ٣٩.

(٣) هو: أبو عبد الله الأسدي التابعيّ: مولاهم الكوفيّ، أخذَ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قتلهُ الحجّاج في الكوت سنة (٩٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ٦: ٢٥٦، والوافي بالوفيات: ١٥: ١٣٠.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤١٠.

وقَولُهُ تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)﴾ آيةٌ:

القراءة:

قَرَأَ أهلُ الكُوفَةِ غيرَ أبي بَكرٍ: (أم تَقولونَ) بالتّاءِ، والباقونَ: بالياءِ[1]، وكَذا جاءَ الوَجهانِ في (تَعمَلونَ)[2].

الإعراب:

(أم تقولونَ): أمْ: على قراءَةِ تَقولونَ بالتّاءِ الخِطابيَّةِ يَحتمِلُ أنْ تكونَ: مُتَّصلَةً مُعادِلَةً لِما قَبلَها مِنَ الاستِفهامِ في (أتُحاجُّونَنا) بمَعنَى: أيَّ الأمرَينِ تَأتونَ المُحاجَّةَ، أي: في حُكمِ الله بِكَونِ إبراهيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ والأسباطِ عَلى الإسلامِ والحَنيفيَّةِ، أم ادِّعاءِ اليَهوديَّةِ والنّصرانيَّةِ عَلى الأنبياءِ، والاستِفهامُ لِلإنكارِ كَما مَرَّ، أو: أيَّ الحُجَّتَينِ تَتَشبَّثونَ في أمرِنا أبِالتّوحيدِ والإخلاصِ؟ فَنحنُ مُوَحّدونَ مُخلِصونَ، أم باتِّباعِ الأنبياءِ؟ فَنحنُ لَهُم مُتَّبِعونَ، وَهُم لَيسُوا عَلى اليَهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ، بَل هُم المُسلمونَ المُخلصونَ حُنفاءَ وَما كانُوا مِنَ المُشرِكينَ، والتَّقديرُ الأوَّلُ أحسَنُ وأوضَحُ، وأن تكونَ مُنقطِعَةً[3]، بمَعنى: بَل أتَقولونَ إنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلى آخِرِهِ، والهمزَةُ لإنكارِ الفِعلِ أيضًا مُريدًا بها التّوبيخِ والتّكذيبِ عَلى ما فَصَّلناهُ آنِفًا في الآيةِ السّابقَةِ.

وأمَّا عَلى قراءَةِ (يقولونَ) بالياءِ: فَلا تكونُ (أمْ) إلَّا مُنقطِعَةً وعُدولًا عَنِ الحِجاجِ الأوَّلِ إلى حِجاجٍ آخَرَ، فكَأنَّهُ قالَ: بَل أيَقولونَ إنَّ الأنبياءَ مِن قَبلِ أن تُنزَّلَ التّوارَةُ والإنجيلُ كانُوا هُودًا أو نَصارَى، فَيكونُ أعرَضَ مِن خِطابِهِم استِجهالًا لَهُم بِما كانَ مِنهُم، كَما يُقبِلُ العالِمُ على مَن بِحَضرَتِهِ

---

(١) ينظر: السبعة في القراءات: ١: ١٧١، والحجّة في القراءات السبع: ١: ٨٩.

(٢) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ١: ٤٩٣، وتحبير التيسير في القراءات العشر: ١: ٢٩٦.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: لأنَّ أم المنقطِعَةِ بمعنى: بَل والهمزة.

بَعدَ ارتِكابِ مُخاطَبَتِهِ جَهالَةً شَنيعَةً، فَيقولُ: قَد قامَت عَليهِ الحُجَّةُ، أمْ يقولُ بإبطالِ النّظَرِ المُؤدّي إلى المعرِفَةِ.

وجملَةُ (كانُوا هُودًا أو نَصارَى): خَبَرُ إنَّ، وجملَةُ (إنَّ معَ اسمِها وخَبَرِها) مَقولَةُ (يَقولونَ)، و(أمْ) في (أمِ اللهِ): مُتَّصلَةٌ لا غَيرُ، والهمزَةُ المُعادِلَةُ لَها هُنا للإنكارِ التّوبيخِي، وخَبَرُ المُعادِلُ الثّاني: مَحذوفٌ، أي: أأنتُم أعلَمُ أمِ اللهُ أعلَمُ، كَقَولِهِ تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾(1).

و(مَن): استِفهامِيَّةٌ إنكارِيَّةٌ: مُبتدأ، و(أظلَمُ): اسمُ تَفضيلٍ خَبَرُهُ، و(مِمَّنْ): مُتعلِّقٌ بـ(أظلَمَ)، وجملَةُ (كَتَمَ): صِلَةُ (مَنْ)، و(شَهادَةً): مَفعولٌ بِهِ لِـ(كَتَمَ)، و(عِندَهُ): نَعتٌ لِـ(شَهادَةً)، أي: شَهادَةً كائنَةً عِندَهُ، و(الهاءُ): عائدٌ إلى (مَن)، و(مِن) في (مِنَ اللهِ): لِلابتِداءِ عَلى حَدِّ قَولِهِ تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ﴾(2)، وقَولِكَ: شَهادَةٌ مِنِّي لِفُلانٍ إذا شَهِدتَ لَهُ، وهيَ مَعَ مَجرورِها: صِفَةٌ بعدَ صِفَةٍ لِـ(شَهادَةً)، أي: شَهادَةً صادِرَةً، أو ناشِئَةً مِنَ اللهِ سبحانهُ كَما شَهِدَ لِذاتِهِ وشَهِدَ لإبراهيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ والأسباطِ وغَيرِهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والأولياءِ بالإسلامِ والحَنيفيَّةِ وعَدَمِ الإشراكِ، ولَيسَت(3) صِلَةً لِـ(كَتَمَ)؛ لِفَسادِ المَعنى(4) إلّا أن يُقَدَّرَ مُضافٌ، أي: مِن عِبادِ اللهِ، ومَعَ ذلكَ سَمِجٌ(5)، والباقِي: واضِحٌ بما مَرَّ نَظيرُهُ في مَواضِعَ. [٥٣٨]

المعنى:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قَولِهِ: **﴿كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾** قَد مَرَّ بَيانُ ذلكَ وتَقديرُهُ في إعرابِ هذهِ الآيَةِ، والمَقصودُ أنَّ اليَهودَ ومَن يَحذُو حَذوَهُم ادَّعوا أنَّ الأنبياءَ المَذكورِينَ كانُوا هُودًا، والنَّصارَى ادَّعَوا أنَّ الأنبياءَ المَذكورِينَ كانُوا نَصارَى مَعَ أنَّ التّوراةَ والإنجيلَ ناطِقانِ بأنَّ هؤلاءِ

---

(١) سورة النازعات ٧٩: ٢٧.

(٢) سورة التوبة ٩: ١.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: (مِن) معَ مجرورِها.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: لأنَّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السّماءِ.

(٥) أي: قبيح. الصحاح: ١: ٣٢٢، (سمج).

الأنبياءَ والمؤمنينَ كانُوا عَلى الحَنيفيَّةِ كَالقُرآنِ، وأيضًا كانَ مُحَقَّقًا عِندَهُم أنَّ اسمَ اليَهوديَّةِ إنَّما يَقَعُ عَلى مَنْ تَمسَّكَ بشَريعَةِ التّوراةِ، واسمَ النَّصرانيَّةِ إنَّما يَقَعُ عَلى مَنْ تَمسَّكَ بشَريعَةِ الإنجيلِ، مَعَ أنَّ الكِتابَينِ أُنزِلا بَعدَ هؤلاءِ الأنبياءِ كَما أخبَرَ اللهُ سبحانهُ في كِتابِهِ وهوَ أصدَقُ المُخبِرينَ في سورةِ آلِ عِمرانَ بقَولِهِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وذلكَ أنَّهُ اجتَمَعَت أحبارُ اليَهودِ والنّصارَى عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ وزَعَمَ كُلُّ فَريقٍ مِنهُم أنَّ إبراهيمَ كانَ مِنهُم، فَقالَ لَهُم رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اليَهوديَّةَ حَدَثَت بَعدَ نُزولِ التّوراةِ، والنَّصرانيَّةَ بَعدَ نُزولِ الإنجيلِ، وبَينَ إبراهيمَ ومُوسى ألفُ سَنَةٍ، وبَينَهُ وعِيسى ألفانِ، فكَيفَ يكونُ إبراهيمُ عَلى دِينٍ لَمْ يُحدَثْ إلّا بَعدَ عَهدِهِ بأزمنَةٍ كَثيرةٍ أفَلا تَعقِلونَ، حَتَّى لا تُجادِلُوا مِثلَ هذا الجِدالِ المُحالِ؟ بَل يَجِبُ عَليكُم الاحتِجاجُ فيما لَكُم بهِ عِلمٌ مِمَّا نَطَقَ بهِ التّوراةُ والإنجيلُ مِن كَونِهِم عَلى الحَنيفيَّةِ والإسلامِ، وكَونِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وعَلى مِلَّتِهِ ودِينِهِ كَما نَطَقَ بهِ القُرآنُ أيضًا.

﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ صُورَتُهُ صُورَةُ الاستِفهامِ ومَعناهُ الإنكارُ مَعَ التّوبيخِ كَقولِهِ تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾[2] كَما مَرَّ، ونَفَى اللهُ الأمرَينِ[3]، والإشراكَ أيضًا عَن إبراهيمَ عليه السلام وأثبَتَ لَهُ الحَنيفيَّةَ والإسلامَ بقَولِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[4] الآيةُ، واحتَجَّ عَلى ذلكَ بقَولِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[5]، وهؤلاءِ المَذكورونَ،

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٦٥ـ ٦٧.

(٢) سورة النازعات ٧٩: ٢٧.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: اليهوديّة والنّصرانيّة.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٦٧.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٦٥.

أعني: إسماعيلَ إلى قَولِهِ وَالأسباطَ أتباعُهُ إجماعًا، يَعني: أنَّ اللهَ الّذي لا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ شَهِدَ لَهُم بالحَنيفيَّةِ ومِلَّةِ الإسلامِ بقَولِهِ: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١)، وزَعمتُم أنَّهُم كانُوا هُودًا أو نَصارَى فيَلزَمُكُم أن تَدَّعُوا أنَّكُم أعلَمُ مِنَ اللهِ وهذا غايَةُ الضّلالَةِ والخِزيِ الطَّويلِ.

وقالَ في المجمَعِ: «فَإن قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ وَقَد كانُوا يَعلَمونَهُ فَكَتَموهُ؟ وإنَّما ظاهرُ هذا الخِطابِ لِمَن لا يَعلَمُ، فَالجوابُ: إنَّ مَن قالَ: أنَّهُم كانُوا عَلى ظَنٍّ وتَوَهُّمٍ في ذلكَ فَوَجهُ الكَلامِ عَلى قَولِهِ واضِحٌ، ومَن قالَ: إنَّهم كانُوا يَعلَمونَ ذلكَ وإنَّما كانُوا يَجحَدونَهُ فَمَعناهُ: أنَّ مَنزِلَتَكُم مَنزِلَةَ المُعتَرِضِ عَلى ما يُعلَمُ أنَّ اللهَ أخبَرَ بِهِ، فَما يَنفَعُهُ ذلكَ مَعَ إقرارِهِ بأنَّ اللهَ أعلَمُ مِنهُ، وأنَّهُ لا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ؛ لأنَّ ما دَلَّ عَلى أنَّ اللهَ أعلَمُ هوَ الدّالُّ عَلى أنَّهُ لا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ، وهوَ أنَّهُ تعالى عالمٌ لِذاتِهِ يَعلَمُ جَميعَ المعلوماتِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ قَد مَرَّ في الإعرابِ أنَّ (مِنَ اللهِ) صِفَةٌ بَعدَ صِفَةٍ لِـ(شَهادَةً) ولَيسَ مُتعَلِّقًا بالكِتمانِ، يَعني كَتَمَ شَهادَةَ اللهِ الّتي عِندَهُ أنَّهُ شَهِدَ بِها، وهيَ شَهادَتُهُ سبحانهُ لإبراهيمَ بالحَنيفيَّةِ، والبَراءَةِ مِنَ اليَهوديَّةِ والنّصرانيَّةِ، فَيكونُ مَعناهُ: ما أحَدٌ أظلَمُ مِمَّن يَكونُ عندَهُ شَهادَةٌ مِنَ اللهِ فَيكتُمها، والمرادُ بهذِهِ الشّهادَةِ أنَّ اللهَ تعالى بَيَّنَ في كِتابَيهِم صِحَّةَ نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ والبِشارَةِ بِهِ، وأنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويَعقوبَ وأولادَهُ كانُوا حُنفاءَ مُسلمينَ فَكَتَموا هذهِ الشّهادَةَ، وادَّعَوا أنَّهُم كانُوا على دِينِهِم، فَهذهِ شَهادَةٌ مِنَ اللهِ عِندَهُم كَتَمُوها فَيَحتَمِلُ تَقديرَينِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ لا أحَدَ أظلَمُ مِن أهلِ الكِتابِ؛ لأجلِ كِتمانِهِم هذهِ الشّهادَةَ مَعَ عِلمِهِم بِها.

والثّاني: لا أحَدَ أظلَمُ مِنَّا لَو كَتَمنا هذهِ الشّهادَةَ فَنحنُ لا نَكتُمُها.

فَفيهِ تَعريضٌ بكِتمانِ أهلِ الكِتابِ شَهادَةَ اللهِ لُمحمَّدٍ ﷺ بالنُّبوَّةِ في كُتُبِهِم وغَيرِها.

وقَولُهُ: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وَعيدٌ لأهلِ الكِتابِ بِما يَجمَعُ كُلَّ وَعيدٍ، أي: لَيسَ اللهُ

(١) سورة آل عمران ٣: ٦٧.

بغافِلٍ ولا ساهٍ عَن كِتمانِ الشّهادَةِ الّتي لَزِمَكُم القِيامَ بِها للهِ تعالى، ولا يَغفُلُ ولا يَخفَى عَليهِ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، فَكونُوا عَلى حَذَرٍ مِنَ الجَزاءِ عَلى أعمالِكُم بِما تَستَحقّونَهُ مِنَ العَذابِ.

وفي عُيونِ الأخبارِ: بإسنادِهِ إلى أبي الحَسَنِ موسى بنِ جَعفرٍ عليه السلام في حَديثٍ طَويلٍ يَقولُ فيهِ: «وإن سُئِلتَ عَنِ الشّهادَةِ فَأَدِّها، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى يقولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(١)، وقالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾»(٢) انتَهى. [٥٣٩]

فَفِي هاتَينِ الآيَتَينِ تَعريضٌ بأظلَمِيَّةِ غاصِبِي حَقَّ آلِ مُحَمَّدٍ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَليهِ وعَليهِم؛ لأجلِ كِتمانِهِم شَهادَةَ اللهِ ورَسُولِهِ في حَقِّهِم عليهم السلام مَعَ عِلمِهِم بِها، والظّالِمُ لا يَنالُهُ عَهدُ اللهِ فَكَيفَ بالأظلَمِ؟.

وَقَولُهُ تعالى: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)﴾** آيةٌ:

قَد مَرَّت هذهِ الآيةُ وتَفسيرُها، قيلَ: إنَّما كَرَّرَ للمُبالَغَةِ في التَّحذيرِ والزّجرِ عَمّا استَحكَمَ في الطِّباعِ مِنَ الافتِخارِ بالآباءِ والاتّكالِ عَلَيهِم(٣)؛ لِقَولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(٤)، وقِيلَ: الخِطابُ فِيما سَبَقَ لَهُم وفي هذهِ الآيَةِ لَنا(٥)؛ تَحذيرًا عَنِ الاقتِداءِ فَلا تِكرارَ، وقِيلَ: المُرادُ بالأُمَّةِ في الأَوَّلِ: الأنبياءُ، أعنِي: إبراهيمَ ومَن ذُكِرَ مَعَهُ، وفي الثّاني: أسلافُ اليَهودِ والنَّصارَى(٦) فَلا تِكرارَ أيضًا، وقيلَ: إذا اختَلَفَت الأوقاتُ والمَواطِنُ لَمْ يَكُنْ التّكرارُ مَعِيبًا(٧).

---

(١) سورة النساء ٤: ٥٨.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١: ٣٤، حديث رقم: ٩.

(٣) ينظر: تفسير البغوي: ١: ١٧٤، وتفسير ابن عطيّة: ١: ٢١٧.

(٤) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١.

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ١: ١١٠.

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ٤: ٧٨.

(٧) ينظر: تفسير الرازي: ٤: ٧٨.

قَد تَمَّ تَفسيرُ الجُزءِ الأَوَّلِ مِنَ التّفسيرِ المُسمَّى: بـ(نورِ التّوفِيقِ وكَشفِ التَّدقيقِ) بِعَونِ واهبِ التَّوفيقِ، ويَتلُوهُ تَفسيرُ الجُزءِ الثّاني منهُ إن شاءَ اللهُ تعالى، أسأَلُ اللهَ مِن فَضلِهِ إتمامَهُ، وأن يَجعَلَ النُّورَ في بَصرِي، والشِّفاءَ في صَدرِي، والبَصِيرَةَ في دِينِي، واليَقينَ في قَلبِي، والاخلاصَ في عَمَلِي، والصِّحَّةَ في بَدَنِي، والسَّعَةَ في رِزقِي، وذِكرَهُ باللّيلِ والنّهارِ عَلى لِسانِي، والشُّكرَ لَهُ أبدًا ما أبقانِي، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ العَليِّ العَظيمِ، وصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطّاهِرينَ، والحَمدُ للهِ أوَّلًا وآخِرًا وباطِنًا وظاهِرًا.

[وبهذا ينتهي الجزءُ الأوَّلُ من تفسيرِ نورِ التّوفيقِ وكشفِ التّدقيقِ للملّا محسن القزوينيّ معَ نهايةِ الجزءِ الأوَّلِ منَ القرآنِ المجيدِ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ].

المصادرُ والمراجعُ

ثبتُ المصادرِ والمراجعِ:

- القرآن الكريم.

- **حرف الألف:**

١. آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (٦٨٢هـ) ، د. ط، د. ت، دار صادر، بيروت.

٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: احمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بالبناء (١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهدي، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، لبنان.

٣. إتفاق المباني وافتراق المعاني: سليمان بن خلف بن عوض الدقيقي المصري (٦١٣هـ)، تحقيق: يحيى عبد الرؤف، ط١، ١٤٩٥هـ - ١٩٨٥م، دار عمار، الأردن.

٤. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ)، تحقيق: فواز أحمد (١٤٢١هـ)، د. ط، د.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥. اثنا عشر رسالة: محمّد باقر بن شمس الدين محمّد الحسيني الأسترآبادي المعروف بالمحقّق الدّاماد (١٠٤١هـ)، د. ط، د. ت، طبعة حجرية.

٦. إحقاق الحق وازهاق الباطل: الشهيد نور الله الحسيني المرعشي التستري(١٠١٩هـ)، د. ط، د. ت، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٧. الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن ابي علي بن محمد الثعلبي الآمدي (٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، د. ط، د.ت، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨. الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن حزم الأندلسيّ الظاهريّ، ابن حزم (٤٥٦هـ)، ط٢، مطبعة العاصمة، القاهرة.

٩. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، د. ط، ١٤٠٥هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٠. أحكام القرآن: علي بن محمد بن علي: عماد الدين الكيا الهراسي الشافعي(٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. الاختصاص: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد(٤١٣هـ)، تحقيق: علي اكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

١٢. الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، ، د. ط، د. ت، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.

١٣. إرتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي(٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٤. إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود (٩٥١هـ)، محمد بن محمد العمادي، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٥. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد ، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة، بيروت.

١٦. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، د. ط، ١٩٦٠م، دار ومطابع الشعب، القاهرة.

١٧. أسباب الخطأ بالتفسير: طاهر محمود يعقوب، ط١، ١٤٢٥هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

١٨. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، دار الإصلاح، الدمام.

١٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني(٦٣٠هـ)، د. ط، د.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي (٤٧١هـ)، د، ط، د. ت، مطبعة المدني، القاهرة.

٢١. أسرار العربية: أبو البركات الانباري عبد الرحمن بن محمد الانصاري (٥٧٧هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، نشر دار الارقم بن ابي الارقم.

٢٢. أشعار الشعراء الستة الجاهليين: أبو الحجاج يوسف بن سليمان الاندلسي المعروف بالأعلم (٤٧٦هـ)، د. ط، د. ت.

٢٣. إصطلاحات الأصول: الشيخ علي المشكيني، ط٥، ١٤١٣هـ - ١٣٧١ش، دفتر نشر الهادي، قم.

٢٤. الإصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية: ياسين عيسى العاملي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥. أصول السرخسي: محد بن احمد بن ابي سهل السرخسي(٤٨٣هـ)، د. ط، د. ت، دار المعرفة، بيروت.

٢٦. الأصول في النحو: أبو بكر بن السري المعروف بابن السراج(٣١٦هـ)، د. ط، د. ت، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٧. الأضداد: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن سماعة بن دعامة الأنباري(٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

٢٨. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: إبراهيم بن محمد بن عريشاه الحنفي(٩٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، د. ط، د. ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩. الإعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار ابن عرفان، السعودية.

٣٠. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس احمد بن محمد بن إسماعيل المرادي(٣٣٨هـ)، ط١، ١٤٢١هـ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٣١. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: بهجت عبد الواحد صالح، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان.

٣٢. الأعلام: خير الدين الزركلي(١٤١٠هـ)، ط٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٣. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ)، د. ط، ١٤٠٣هـ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٤. الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ)، د. ط، د. ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. الإكمال في أسماء الرجال: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (٧٤١هـ)، د. ط، د. ت، مؤسسة اهل البيت(ع)، قم.

٣٦. ألفية ابن مالك: محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني (٦٧٢هـ)، د. ط، د. ت، نشر دار التعاون.

٣٧. الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل: جعفر السبحاني، ط٧، ١٤٣٠هـ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم.

٣٨. الأم: عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الفكر الطباعة، بيروت.

٣٩. الأمالي: أبو جعفر محمّد بن الحسن الشيخ الطّوسي (٤٦٠هـ)، ط: ١، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم.

٤٠. الأمالي: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي الشيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة، قم.

٤١. الأمالي: جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (٦٤٦هـ)، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة د. ط، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، دار عمار، الأردن.

٤٢. الأمالي: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي ابن الشجري(٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٣. الأمالي: علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي، الشريف المرتضى (٤٣٦هـ)، ط١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٤٤. إمتاع الأسماع: احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي(٨٤٥هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٤٥. الأمثال المولّدة: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي(٣٨٣هـ)،د. ط، ١٤٢٤هـ، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٤٦. أمل الآمل: محمد بن الحسن الحرّ العامليّ(١١٠٤هـ)، تحقيق: احمد الحسيني، د. ط، ١٣٦٢ش، دار الكتاب الإسلامي، قم.

٤٧. إملاء ما من به الرحمن: أبو البقاء العكبري (٦١٦ هـ)، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي(٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

٤٩. الإنتصار لسيبويه على المبرّد: أبو العباس احمد بن محمد بن ولاد التميمي(٣٣٢هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٠. الأنساب: السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(٥٦٢هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الجنان للطباعة والنشر، بيروت.

٥١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، ١٤١٨ه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٢. الأنوار النّعمانيّة: نعمة الله بن عبد الله الجزائري (١١١٢هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ، دار القارئ، بيروت.

٥٣. أوائل المقالات: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان العكبري(٤١٣هـ)، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

٥٤. إيضاح الاشتباه: العلامة الحلي(٧٢٦هـ)، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم.

٥٥. إيضاح شواهد الإيضاح: الحسن بن عبد الله القيسي (ق٦)، تحقيق: محد بن حمود الدعجاني، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٥٦. إيضاح الفوائد: ابن العلامة الحلي(٧٧٠هـ)، ط١، ١٣٨٩هـ ، مؤسسة اسماعيليان، قم.

٥٧. الإيضاح في شرح المفصّل: ابن الحاجب عثمان بن عمر (٦٤٦هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، د. ط، د. ت، دار سعد الدين، دمشق.

٥٨. الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزّجّاج(٣٣٧هـ)، تحقيق: مازن المبارك ، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، نشر دار النفائس، بيروت.

٥٩. الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين(٧٣٩هـ)، ط ١ ، ١٤١١هـ ، دار الكتاب الإسلامي، قم.

● **حرف الباء:**

٦٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٦١. البحر الرائق: ابن نجيم المصري(٩٧٠هـ)، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٦٢. البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي(٧٩٤هـ) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، تحقيق: محمد محمد ثامر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٦٣. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الاندلسي، د. ط، ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت.

٦٤. البدء والتاريخ: احمد بن سهل البلخي(٥٠٧هـ)، د. ط، ١٩٠٣م، طبع مكتبة المثنى، بغداد.

٦٥. بدائع الصنائع: أبو بكر الكاشاني(٥٨٧هـ)، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، المكتبة الحبيبية، باكستان.

٦٦. البداية والنهاية: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل الدمشقي(٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، ١٣٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٦٧. البديع في علم العربية: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير(٦٠٦هـ)، تحقيق: فتحي احمد علي الدين، ط١، ١٤٢٠هـ، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

٦٨. البديع في النحو: محمد بن مسعود الغزني الشافعي النحوي(٤٢١هـ)، تحقيق: يوحنا مرزا الخامس، د. ط، د. ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩. براءة آدم: جعفر مرتضى العالي، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، المركز الاسلامي للدراسات، بيروت.

٧٠. البرهان في تفسير القران: السيد هاشم البحراني(١١٠٧هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، د. ط، د. ت، قم.

٧١. بصائر الدرجات: محمد بن الحسن بن فروخ الصفار(٢٩٠هـ)، د. ط، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٢ش، منشورات الاعلمي، طهران.

٧٢. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي(١٣٩١هـ)، ط١٧، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: حمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، د. ت، المكتبة العصرية، لبنان.

٧٤. بلاغات النساء: أبو الفضل بن ابي طاهر ابن طيفور (٣٨٠هـ)، د. ط، د. ت، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

٧٥. البليغ في المعاني والبيان والبديع: احمد امين الشيرازي، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٧٦. البيان في عد آي القرآن : عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني(٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مركز المخطوطات والتراث، الكويت.

٧٧. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، ط١، ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

• **حرف التاء:**

٧٨. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، د. ط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت.

٧٩. تاريخ آل زرارة: أبو غالب الزراري(٣٦٨هـ)، د. ط، ١٣٩٩هـ، مطبعة رباني، ايران.

٨٠. تاريخ الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨١. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٢. تاريخ ابن خلدون(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر): عبد الرحمن المغربي بن خلدون (٨٠٨هـ)، ط٤، د. ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٨٣. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله، ابن عساكر(٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة، د. ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة، بيروت.

٨٤. التاريخ الكبير: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (٢٥٦هـ)، د. ط، د.ت، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

٨٥. تاريخ المدينة: ابن شبة النميري (٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم شلتون، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٣٦٨م، دار الفكر، قم.

٨٦. تاريخ اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر الكاتب اليعقوبي (٢٨٤هـ)، د. ط، د. ت، دار صادر، بيروت.

٨٧. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتبة الدينوري(٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، د. ط، د. ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٨. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، د.ط ، د. ت، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٩. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسيّ، د. ط، د. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٠. تحرير الأحكام: العلّامة الحليّ، تحقيق: إبراهيم البهادري، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الامام الصادق، قم.

٩١. تحرير التجبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني البغدادي ثم المصري(٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، د. ط، د.ت، نشر لجنة احياء التراث الإسلامي، مصر.

٩٢. تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، ابن شعبة الحرانيّ (ق ٤هـ)، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٩٣. تحفة الأقران في ما قُرئ بالتثليث من حروف القرآن: احمد بن يوسف بن مالك الرعيني (٧٧٩هـ)، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، نشر كنوز اشبيليا، السعودية.

٩٤. تخريج الأحاديث والآثار: الزيلعي (٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.

٩٥. تذكرة الأعيان: الشيخ جعفر السّبحاني، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم.

٩٦. التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد علي، ابن حمدون(٥٦٢هـ)، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، ط١، ١٩٩٦م، دار صادر للطباعة، بيروت.

٩٧. تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، قم.

٩٨. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الاندلسيّ، تحقيق: حسن هنداوي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار القلم، دمشق.

٩٩. تصحيح اعتقادات الامامية: الشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

١٠٠. التعليقة على كتاب سيبويه: الحسن بن احمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي(٣٧٧هـ)، تحقيق: عوض بن حمد، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠١. تعليقة على معالم الأصول: السيد علي الموسوي القزويني(١٢٩٨هـ)، تحقيق: علي العلوي القزويني، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١٠٢. تفسير الإمام ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي(٨٠٣هـ)، تحقيق: حسن المفاعي، ط١، ١٩٨٦م، نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس.

١٠٣. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام(٢٦٠هـ)، ط١، ١٤٠٩هـ، مدرسة الامام المهدي، قم.

١٠٤. تفسير جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١٠٥. التفسير الصافي: محمد محسن الفيض الكاشانيّ(١٠٩١هـ)، مؤسسة الهادي، قم، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٣٧٤ش، مؤسسة الهادي، قم.

١٠٦. تفسير ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (٨١٧هـ)، د. ط، د، ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٧. تفسير العز بن عبد السلام: العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت.

١٠٨. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي(٣٢٠هـ)، د. ط، د.ت، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

١٠٩. تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي(٣٥٢هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

١١٠. تفسير القرآن الحكيم: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (١٣٥٤هـ)، د.ط، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

١١١. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، ١٣٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر.

١١٢. تفسير القرآن العظيم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن منذر التميمي الرازي ، ابن أبي حاتم(٣٢٧هـ)، تحقيق: اسعد محمد الطيب، ط٣، ١٤١٩هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية.

١١٣. تفسير القمّي: علي بن إبراهيم القمّي(٣٢٩هـ)، تحقيق: السيد طيب الموسوي، ط٣، ١٤٠٤هـ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم.

١١٤. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: الشيخ محمد بن محمد رضا القمّي المشهدي(١١٢٥هـ)، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الطبع والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

١١٥. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦. تفسير الماوردي (النكت والعيون):أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)،تحقيق :ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د.ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٧. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (١٠٤هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، ١٤١٠ه – ١٩٨٩م، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

١١٨. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي (٧٨٢هـ)، تحقيق: محسن التبريزي، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة فرهنكي، ايران.

١١٩. تفسير مقتنيات الدرر: السيد علي الحائري الطهراني(١٣٥٣هـ)، د. ط، ١٣٣٧ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٢٠. تفسير النصوص في الفقه الاسلامي، محمد أديب صالح، ط١، مطبعة جامعة دمشق، سوريا.

١٢١. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسيّ الحويزيّ(١١١٢هـ)، ط٤، ١٤١٢هـ، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم.

١٢٢. التكفير ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين: الشيخ أكرم بركات، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت.

١٢٣. تكملة أمل الآمل: حسن بن هادي الصدر (١٣٥٦هـ)، تحقيق: حسين علي محفوظ وآخرون، ط١، د. ت، دار المؤرخ العربي، بيروت.

١٢٤. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي(١٣٠٠هـ)، نقله للعربية: جمال الخياط، ط١، ١٩٧٩م، نشر وزارة الثقافة والاعلام، العراق.

١٢٥. تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه: احمد الحسيني، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة آية الله المرعشي، قم.

١٢٦. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ)، ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٢٧. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش محمد بن يوسف (٧٧٨هـ)، د. ط، د.ت، دار السلام، القاهرة.

١٢٨. تنزيه الأنبياء: الشريف المرتضى، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، دار الأضواء، بيروت.

١٢٩. تنقيح الأصول: السيد روح الله الخميني (١٤٠٩هـ)، د. ط، د. ت، مؤسسة الإمام الخميني، طهران.

١٣٠. تنقيح المقال في علم الرجال: عبد الله المامقاني (١٣٥١هـ)، د. ط، د.ت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة.

١٣١. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٣٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٧٤٢هـ)، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٣. تهذيب اللغة: محمد بن احمد بن الازهري الهروي(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٣٤. التوحيد: الشيخ الصدوق، د. ط، د. ت، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١٣٥. توضيح المشتبه: محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن علي المرادي المصري(٧٤٩هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ، دار الفكر العربي.

١٣٧. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (١٠٣١هـ)، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عالم الكتاب، القاهرة.

١٣٨. التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الاندلسي (٤٤٤هـ)، تحقيق: خلف حمود سالم، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، دار الاندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

- **حرف الثاء:**

١٣٩. ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، ط٢، ١٣٦٨ش، منشورات الشريف الرضي، قم.

- **حرف الجيم:**

١٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)، د. ط، ١٤١٥- ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة، بيروت.

١٤١. جامع البيان في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني(٤٤٤هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، نشر جامعة الشارقة، الامارات.

١٤٢. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

١٤٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاريّ القرطبيّ، د. ط، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٤٤. جامع المقاصد في شرح القواعد: علي بن الحسين، المحقّق الكركي(٩٤٠هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

١٤٥. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازيّ، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٤٦. جمال القراء وكمال الاقراء: علم الدين السخاوي(٦٤٣هـ)، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري، تحقيق: مروان العطية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٤٧. الجمل في النحو: الخليل بن احمد الفراهيدي(١٧٠هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٤٨. جمهرة أشعار العرب: محمد بن ابي الخطاب القرشي(١٧٠هـ)، د. ط، د.ت، دار صادر، بيروت.

١٤٩. جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكريّ(٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار الجيل، بيروت.

١٥٠. جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥١. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن الازدي(٣٢١هـ) ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٥٢. الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري المالكي(٧٤٩هـ)،تحقيق: فخر الدين قبادة واخرون، ط١، ١٤١٣هـ،١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: احمد بن إبراهيم الهاشمي(١٣٦٢هـ)، د. ط، د.ت، المكتبة العصرية، بيروت.

١٥٤. الجواهر الحسان في تفسير القران : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكيّ الثّعالبيّ(٨٧٥هـ) تحقيق :د. عبد الفتاح أبو سنة، و د. عادل احمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٨هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٥٥. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفيّ، الشيخ الجواهري (١٢٦٦هـ) ، تحقيق: الشيخ علي الاخوندي، ط٩، ١٣٦٨ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٥٦. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (٨٧١هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٣١٦هـ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم.

١٥٧. الجوهر النقي: علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني(٧٥٤هـ)، د. ط، د.ت، دار الفكر، بيروت.

- **حرف الحاء:**

١٥٨. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني: محمد بن عرفة الدسوقي(١٢٣٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، د. ط، د.ت، المكتبة العصرية، بيروت.

١٥٩. حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار: محمد أمين، ابن عابدين (١٢٥٢هـ)، ط٢، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولادة، مصر.

١٦٠. حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي(١٢٠٦هـ)، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦١. الحاشية على الهيات الشرح الجديد للتجريد: احمد الاردبيلي، تحقيق: احمد العابدي، د. ط، ١٣٧٧ش، مركز نشر الحوزة العلمية، قم.

١٦٢. الحاشية على مطالع الأنظار على متن طوالع الانوار: شمس الدين بن محمود الاصفهاني(٧٤٩هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، دار الكتبي، مصر.

١٦٣. حجّة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة بن زنجلة (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، د. ط، د. ت، دار الرسالة، بيروت.

١٦٤. الحجّة للقرّاء السّبعة: أبو علي الفارسيّ، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٦٥. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطّاهرة: المحقّق يوسف البحراني (١١٨٦هـ)، د. ط، د.ت، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم.

١٦٦. الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية: علي خان بن احمد المدني (١١٢٠هـ)، تحقيق: أبو الفضل السجادي، د. ط، د.ت، نشر ذوي القرى، قم.

١٦٧. حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة: زين الدين بن علي بن احمد العامليّ، الشهيد الثاني (٩٦٥هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم المقدسة.

١٦٨. الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الادب ونخبة ديوان العرب): أبو العباس احمد بن عبد السلام الجرّاوي (٦٠٩هـ)، تحقيق: محمد رضوان، ط١، ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٦٩. حواشي الشرواني: عبد الحميد الشرواني واحمد بن قاسم العبادي(١١١٨هـ)، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٧٠. حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميريّ(٨٠٨هـ)، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

• **حرف الخاء:**

١٧١. خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغداديّ(١٠٩٣هـ)، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٢. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصليّ (٣٩٢هـ)، ط٤، د.ت، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧٣. خصائص الأئمّة: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغداديّ، الشريف الرضيّ(٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد هادي الاميني، د. ط، ١٤٠٦هـ، نشر مجمع البحوث الإسلامية الاستانة الرضوية، مشهد.

١٧٤. الخصال: الشيخ الصدوق، د. ط، ١٤٠٣ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١٧٥. الخير والبركة في الكتاب والسنة: محمد الريشهري، ط١، ١٤٢٣هـ، مركز بحوث دار الحديث، قم.

• **حرف الدال:**

١٧٦. دراسات في فقه اللغة: إبراهيم الصالح (١٤٠٧هـ)، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٧٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ابو العباس شهاب الدين احمد بن يوسف السمين الحلبيّ (٧٥٦هـ)، تحقيق: احمد محمد الخراط، د.ط، د.ت، دار القلم، دمشق.

١٧٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطيّ(٩١١هـ)، عبد الرحمن بن ابي بكر، د. ط، د.ت، دار الفكر، بيروت.

١٧٩. درر النحو: الشيخ علي الكورانيّ العامليّ، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٨٠. الدروس الشرعية في فقه الامامية: الشهيد الثانيّ، ط١، ١٤١٠هـ، منشورات مكتبة الداوري، قم.

١٨١. الدعاء: أبو القاسم سليمان بن احمد الطبرانيّ(٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٢. دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربيّ (٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي اصغر، د. ط، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، دار المعارف، القاهرة.

١٨٣. الدعوات (سلوة الحزين): قطب الدين الراونديّ(٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط١، ١٤٠٧هـ، نشر مدرسة الامام المهدي عليه السلام، قم.

١٨٤. دلائل الصدق لنهج الحق: محمد حسن المظفر(١٣٧٥هـ)، ط١، د.ت، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

١٨٥. ديوان الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل (٦٢٩م)، د. ط، د. ت، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٨٦. ديوان الإمام علي عليه السلام: مصطفى زماني، د. ط ، ١٣٦٨ش، انتشارات بيام اسلام، قم.

١٨٧. ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (٥٤٥هـ)، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المعرفة، بيروت.

١٨٨. ديوان تأبط شراً وأخباره: تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الغرب الإسلامي.

١٨٩. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: تحقيق: نعمان محمد امين، ط٣، د.ت، دار المعارف، القاهرة.

١٩٠. ديوان حاتم الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني(السنة ٨ بعد مولد النبي ص)، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩١. ديوان الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي(٢٣١هـ)، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٢. ديوان ذي الرمة: شرح أبو نصر احمد بن حاتم الباهلي(٢٣١هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الايمان، جدة.

١٩٣. ديوان زهير بن أبي سلمى: ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٤. ديوان كعب بن زهير: ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض.

١٩٥. ديوان النابغة الذبياني: أبو امامة زياد بن معاوية الذبيانيّ، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، دار المعرفة، بيروت.

١٩٦. ديوان أبي النجم العجلي: الفضل بن قدامة(١٣٠هـ)، جمع وشرح محمد أديب عبد الواحد، د. ط، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

١٩٧. ديوان الهذليين: الشعراء الهذليّون: ترتيب محمد محمود الشنقيطيّ، د، ط، ١٣٨٥هـ - ١٩٨٥م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

• حرف الذال:

١٩٨. الذريعة إلى أصول الشريعة: الشريف المرتضى، د. ط، ١٣٤٦ش، دانشكاه، طهران.

١٩٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرك الطهرانيّ(١٣٨٩هـ)، د. ط، د.ت، دار الأضواء، بيروت.

• حرف الراء:

٢٠٠. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٠١. رجال ابن داوود: ابن داوود الحلي تقي الدين أبو محمد الحسن بن علي(٧٤٠هـ)، د. ط، ١٣٩٢هـ، منشورات مطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف.

٢٠٢. رجال ابن الغضائري: احمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي (٤٥٠هـ)، تحقيق: محمد رضا الجلالي، ط١، ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠ش، دار الحديث، قم.

٢٠٣. رجال النجاشي: فهرست أسماء مصنفي الشيعة: النجاشي أبو العباس احمد بن علي النجاشي(٤٥٠هـ)، ط٥ ، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجامعة المدرسين، قم.

٢٠٤. الرجعة او العودة الى الحياة الدنيا بعد الموت: مركز الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ، مركز الرسالة، قم.

٢٠٥. رسالة الغفران: احمد بن عبد الله بن سليمان ابو العلاء المعري (٤٤٩هـ)، ط١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، مطبعة امين هندية، مصر.

٢٠٦. الرواشح السماوية: المحقّق الدّاماد، تحقيق: نعمة الله الجليلي: ط١، ١٤٢٢هـ- ١٣٨٠ش، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.

٢٠٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠٨. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانساري، د. ط، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، منشورات مركز الدار الإسلامية، بيروت.

٢٠٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي الأول(١٠٧٠هـ)، د. ط، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلمية، قم.

٢١٠. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: علي خان المدني الشيرازي (١١٢٠هـ)، ط٤، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٢١١. رياض المسائل: السيد علي الطباطبائي(١٢٣١هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة، قم.

٢١٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة: ابو جعفر احمد، المحبّ الطبريّ(٦٩٤هـ)، د. ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **حرف الزاي:**

٢١٣. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١٤. الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، ابن الانباريّ (٣٢٦هـ)، تحقيق: يحيى مراد، ط١، ٢٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٢١٥. زبدة البيان (زبدة التّفاسير): الملّا فتح الله بن شكر الله، الشّريف الكاشاني(٩٨٨هـ)، ابن شكر الله الشريف، ط١، ١٤٢٣هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٢١٦. زبدة البيان في أحكام القرآن: أحمد بن محمد، المقدّس الأردبيلي(٩٩٣هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، د.ط، د.ت، المكتبة المرتضوية لإحياء الاثار الجعفرية، طهران.

٢١٧. زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي الحصريّ القيروانيّ(٤٥٣هـ)، ط٤، ١٩٧٢م، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.

• **حرف السين:**

٢١٨. سداد العباد ورشاد العباد: الشيخ حسين آل عصفور(١٢١٦هـ)، تحقيق: محسن آل عصفور، ط١، ١٤٢١هـ، نشر المحلاتي، قم.

٢١٩. سعد السعود: السيد أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسني الحسينيّ، ابن طاووس(٦٦٤هـ)، د. ط، ١٣٦٣هـ، منشورات الرضا، قم.

٢٢٠. سنن الدار قطني: علي بن عمر الدار قطنيّ (٣٨٥هـ)، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢١. سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ) ، ط١، ١٤١٠هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٢٢٢. سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائيّ(٣٠٣هـ)، ط١، ١٣٤٨هـ، دار الفكر للطباعة، بيروت.

٢٢٣. السياق القرآني واثره في تفسير المدرسة العقلية: سعيد الشهراني، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، كلية الدعوة واصول الدين، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٢٤. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط٩، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢٥. السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميريّ، ابن هشام (٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقاد وآخرون، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٢٢٦. السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ، ابن كثير الدمشقيّ (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، د. ط، ١٩٧٦م، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

- **حرف الشين:**

٢٢٧. الشافي في شرح أصول الكافي: المولى خليل القزويني(١٠٨٩هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ، دار الحديث، قم.

٢٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي العكري الدمشقي ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٢٩. شرائع الإسلام: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، المحقّق الحليّ(٦٧٦هـ)، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، ط٢، ١٤٠٩هـ، انتشارات استقلال، طهران.

٢٣٠. شرح أبيات سيبويه: يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله أبو محمد السيرافي(٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد علي الديح هاشم، د. ط، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.

٢٣١. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربيّ، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٢٣٢. شرح أدب الكاتب: موهوب بن احمد الجواليقي(٥٣٩هـ)، د. ط، ١٣٥٠م، نشر مكتبة القدسي، القاهرة.

٢٣٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى الأشموني (٩٠٠هـ)، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٤. شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني(٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، هجر للطباعة والنشر.

٢٣٥. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن محمد الجرجاوي الازهري الوقّاد(٩٠٥هـ)، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٦. شرح التصريف: أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني(٤٤٢هـ)، تحقيق: إبراهيم البعيمي، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، نشر مكتبة الرشد.

٢٣٧. شرح ديوان المتنبي: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي (٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د. ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت.

٢٣٨. شرح الرضي على الكافية: محمد بن حسن رضي الدين الاسترابادي(٦٨٦هـ)، د. ط، د.ت، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران.

٢٣٩. شرح شافية ابن الحاجب: ركن الدين حسن بن محمد الحسيني الاسترابادي (٧١٥هـ)، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، مكتبة الثقافة الدينية.

٢٤٠. شرح طيبة النشر في القراءات العشر: أبو القاسم محب الدين محد النويري (٨٥٧هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل الهمداني(٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤، ١٣٨٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٢٤٢. شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن إبراهيم الانصاري(٧٦١هـ)، ط١١، ١٩٦٣م، مطبعة السعادة، مصر.

٢٤٣. شرح قواعد الاعراب لابن هشام: محمد بن مصطفى القوجوي شيخ زاده(٩٥٠هـ)، تحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٢٤٤. شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله أبو عبد الله جمال الدين ابن مالك الطائي(٦٧٢هـ)، ط١، د.ت، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

٢٤٥. شرح المعلقات التسع: منسوب لأبي عمرو الشيباني(٢٠٦هـ)، تحقيق: عبد المجيد همو، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٤٦. شرح المفصّل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش بن ابي السرايا أبو البقاء الاسدي الموصليّ، المعروف بابن يعيش (٦٤٣هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٧. شرح المقاصد في علم الكلام : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(٧٩٢هـ)، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، دار المعارف النعمانية، باكستان.

٢٤٨. شرح المكودي على الالفية في علمي النحو والصرف: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي(٨٠٧هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، د. ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٤٩. شرح النظّام على الشافية: نظّام الأعرج حسن بن محمد (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد زكي الجعفري، د. ط، د.ت، دار الحجة للثقافة، قم.

٢٥٠. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن ابي الحسين، ابن أبي الحديد(٦٥٦هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، ١٩٦٢م، دار احياء الكتب العربية، بيروت.

٢٥١. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٢. الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوريّ(٢٧٦هـ)، د. ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دار الحديث، القاهرة.

٢٥٣. الشفاعة عند اهل السنة والرد على المخالفين فيها: ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار اطلس للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٥٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من المكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني(٥٧٣هـ) : تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٢٥٥. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: عبد الله بن عبد الله بن احمد الحاكم الحسكانيّ (ق ٥هـ)، ، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

- **حرف الصاد:**

٢٥٦. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، د. ط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥٧. صحيح ابن حبّان: محمّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥٨. صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد ابن إسحاق السلمي النيسابوريّ، ابن خزيمة(٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي، ط ٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، المكتب الإسلامي.

٢٥٩. الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام (٩٤هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، دفتر نشر الهادي، قم.

- **حرف الضاد:**

٢٦٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاويّ(٩٠٢هـ)، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الجبل بيروت.

• **حرف الطاء:**

٢٦١. طبقات أعلام الشيعة: آقا بزرك الطهراني، د. ط، ١٤٣٠ه، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٦٢. طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي السبكيّ(٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي واخرون، د. ط، د.ت، دار احياء الكتب العربية.

٢٦٣. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي(٢٣٠هـ)، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٤. طرائف المقال: السيد علي البروجرديّ (١٣١٣هـ)، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم.

٢٦٥. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: يحيى بن حمزة بن علي الحسيني الملقب بالمؤيد بالله(٧٤٥هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

• **حرف العين:**

٢٦٦. العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن العدوي العمري الصغاني الحنفي(٦٥٠هـ)، د. ط، د.ت.

٢٦٧. العبر في خبر من غبر: الذهبيّ، تحقيق: فؤاد سيد، د. ط، ١٩٦١م، مؤسسة التراث العربي، الكويت.

٢٦٨. عدّة الداعي ونجاح الساعي: ابن فهد الحلي(٨٤١هـ)، د. ط، د.ت، مكتبة وجداني، قم.

٢٦٩. العدّة في أصول الفقه: الشيخ الطوسي، تحقيق: محمد رضا الانصاري، ط١، ١٤١٧هـ - ١٣٧٦ش، مطبعة ستارة، قم.

٢٧٠. العصمة: حقيقتها أدلتها: مركز الرسالة، ط١، ١٤٢٠ه، مركز الرسالة، قم.

٢٧١. عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: الشيخ جعفر السبحاني، ط٢، ١٤٢٩هـ - مؤسسة الامام الصادق (ع)، قم.

٢٧٢. عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٨٣هـ)، د.ط، د.ت، انتشارات انصاريان، قم.

٢٧٣. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، د. ط، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف.

٢٧٤. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم (١٤٢٤هـ)، ط٦، د.ت، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف.

٢٧٥. علوم القرآن التاريخيّة: تاريخ القرآن: محمد كاظم الفتلاوي، ط١، ٢٠٢٣م، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق.

٢٧٦. علوم القرآن الموضوعيّة: محمد كاظم الفتلاوي، ط١، ٢٠٢٤م، دار التوحيد، كربلاء.

٢٧٧. عمدة القاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفيّ، بدر الدين العينيّ (٨٥٥هـ)، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٧٨. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار: ابن البطريق يحيى بن الحسن الأسدي الحلي(٦٠٠هـ)، د. ط، ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٢٧٩. العنوان في القراءات السبع: أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الانصاري (٤٥٥هـ)، تحقيق: زهير زاهر وآخرون، د. ط، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت.

٢٨٠. عوائد الأيام: أحمد بن محمد مهدي، المحقّق النّراقي (١٢٤٤هـ)، ط١، ١٤١٧هـ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي.

٢٨١. العوالم، الامام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحرانيّ(١١٣٠هـ)، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٣٦٥ش، نشر وتحقيق مدرسة الامام المهدي عليه السلام، قم.

٢٨٢. عوالي اللآلي: ابن أبي جمهور الإحسائي(٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبى، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطبعة سيد الشهداء، قم.

٢٨٣. العين: الخليل بن احمد الفراهيدي(١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسسة دار الهجرة.

٢٨٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، د. ط، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- **حرف الغين:**

٢٨٥. غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام: السيد هاشم البحراني(١١٠٧هـ)، تحقيق: علي عاشور، د. ط، د.ت .

٢٨٦. غريب الحديث: أبو عبيد القاسم الهرويّ، ابن سلام (٢٢٤هـ)، ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط١، ١٣٨٤ه، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٨٧. الغريب المصنف: ابن سلام، تحقيق: صفوان عدنان، العدد: ١٠٣، ١٠٤، د. ط، ١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٨٨. غنية النزوع: ابن زهرة الحلبيّ(٥٨٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البهادري، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الامام الصادق، قم.

٢٨٩. غيث النفع في القراءات السبع: علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري المالكي(١١١٨هـ)، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **حرف الفاء:**

٢٩٠. الفائق في رواة وأصحاب الامام الصادق عليه السلام : عبد الحسين الشبستري، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٢٩١. الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩٢. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠ هـ)، د. ط، د.ت، عالم الكتب، بيروت.

٢٩٣. فتح الوهاب: زكريا الأنصاري(٩٣٦هـ)، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٢٩٤. الفتوحات المكية: أبو عبد الله محمد بن علي الحاتمي، ابن عربي (٦٣٨هـ)، د. ط، د.ت، دار صادر، بيروت.

٢٩٥. الفصول في الأصول: الجصاص الحنفي، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت.

٢٩٦. الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العامليّ، ط١، ١٤١٨، مؤسسة معارف إسلامي، قم.

٢٩٧. الفضائل: ابن شاذان بن جبرئيل القمي (٦٦٠هـ)، د. ط، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف.

٢٩٨. الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت: عبد الرحمن الجزيري، والسيد محمد الغروي، والشيخ ياسر المازح، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، نشر دار الثقلين، بيروت.

٢٩٩. فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك الثعالبي النيسابوري(٤٢٩هـ)، تحقيق: فائز محمد، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٠٠. فهرست النديم: ابن النديم البغدادي (٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراء، د. ط، د.ت.

٣٠١. الفوائد المدنية والشواهد المكية: محمد أمين الاسترابادي (١٠٣٣هـ)، السيد نور الدين العاملي (١١١٩هـ)، تحقيق: الشيخ رحمة الله الآركي، ط١، ١٤٢٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة.

- **حرف القاف:**

٣٠٢. القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

٣٠٣. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ)، د. ط، د.ت، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٣٠٤. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد محمد محمد سالم محيسن(١٤٢٢هـ)، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.

٣٠٥. قرب الإسناد: أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميريّ القمّيّ(٣٠٤هـ)، ط١، ١٤١٣هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

- **حرف الكاف:**

٣٠٦. الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الشيخ الكلينيّ(٣٢٩هـ)، ط٣، ١٣٦٧ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٠٧. الكافية في علم النحو: جمال الدين عثمان بن عمر المصري المالكيّ، ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، تحقيق: صالح عبد العظيم، ط١، ٢٠١٠م، مكتبة الآداب، القاهرة.

٣٠٨. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٧هـ)، تحقيق: جواد الفيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٣٠٩. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ابن الاثير (٦٣٠هـ)، د. ط، ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م، دار صادر للطباعة، بيروت.

٣١٠. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي اليشكري (٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد الشايب، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

٣١١. الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣١٢. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، د.ت، دار الجيل، بيروت.

٣١٣. كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين، الشريف الجرجانيّ(٨١٦هـ)، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٤. كتاب السبعة في القراءات: احمد بن موسى التميمي أبو بكر البغداديّ(٣٢٦هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، ١٤٠٠هـ، دار المعارف، مصر.

٣١٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري ، ط٣، ١٤٠٧ه، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣١٦. كشف الظنون: حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣١٧. كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن أبي الفتح الأردبيليّ(٦٩٣هـ)، د. ط، د.ت، دار الأضواء، بيروت.

٣١٨. كشف اللثام عن قواعد الأحكام: الفاضل الهنديّ، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣١٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي، تحقيق: حسن زادة الآملي، ط٧، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٣٢٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(٤٢٧هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٢١. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، د. ط، ١٤٠٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣٢٢. الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمّي (١٣٥٩هـ)، د.ط، ١٣٤٨ش، مكتبة الصدر، طهران.

٣٢٣. كنز العرفان في فقه القرآن: جمال الدين المقداد بن عبد الله، المقداد السّيوريّ (٨٢٦هـ)، د. ط، ١٣٨٤هـ، المكتبة الرضوية، طهران.

٣٢٤. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، المتقي الهندي(٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري جباتي، د، ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢٥. كنز الفوائد في حل مشكلات القواعد: السيد عميد الدين الأعرج(٧٥٤هـ)، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣٢٦. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسينيّ، أبو البقاء الحنفي(١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، د. ط، د.ت، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- **حرف اللام:**

٣٢٧. اللآلي العبقريّة في شرح العينية الحميرية: محمد بهاء الدّين الأصبهانيّ، الفاضل الهندي(١١٣٧هـ)، ط١، ١٤٢١هـ، مكتبة التوحيد، قم.

٣٢٨. اللباب في علل البناء والاعراب: أبو البقاء العكبري البغدادي(٦١٦هـ)، تحقيق: عبد الاله النبهان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر، دمشق.

٣٢٩. اللباب في علم الكتاب: ابو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣٠. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي (٧١١هـ)، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.

٣٣١. اللمحة في شرح الملحة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الحسن ابن الصائغ(٧٢٠هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٣٢. اللمع في أصول الفقه: إبراهيم بن علي الشيرازي(٤٧٦هـ)، ط٢، ١٤٠٦هـ، عالم الكتب، بيروت.

٣٣٣. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء: محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الانصاري (١٣١٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، قم.

٣٣٤. اللمعة الدمشقية: محمد بن جمال الدين مكي العامليّ، الشهيد الأول(٧٨٦هـ)، ط١، ١٤١١هـ، منشورات دار الفكر، قم.

٣٣٥. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى بن جعفر بن محمد، ابن طاووس(٦٦٤هـ)، ط١، ١٤١٧هـ، نشر انوار الهدى، قم.

- **حرف الميم:**

٣٣٦. المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف: الشيخ الطبرسي، ط١، ١٤١٠هـ، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد.

٣٣٧. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ)، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.

٣٣٨. مبادئ الوصول الى علم الأصول: العلّامة الحلي، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، ط٣، ١٤٠٤هـ، نشر مكتب الاعلام الإسلامي.

٣٣٩. المبسوط: شمس الدين السرخسي(٤٨٣هـ)، د. ط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

٣٤٠. المبسوط في القراءات العشر: احمد بن الحسين بن مهران النيسابوري(٣٨١هـ)، د. ط، ١٩٨١م، مجمع اللغة العربية، دمشق.

٣٤١. متشابه القرآن ومختلفه: محمد بن علي المازندرانيّ، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، د. ط، ١٣٢٨ش، مكتبة المصطفوي، طهران.

٣٤٢. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تحقيق: احمد الحوفي وبدوي طبانة، د. ط، د.ت، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

٣٤٣. المجازات النبوية: الشريف الرضيّ، تحقيق: طه محمد الزيني، د. ط، د.ت، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

٣٤٤. مجمع الأمثال: احمد بن محمد النيسابوري الميداني (٥١٨هـ)، د. ط، ١٣٦٦ش، مؤسسة الطبع والنشر التابعة المعاونية الثقافية للاستانة الرضوية المقدسة، ايران.

٣٤٥. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحيّ(١٠٨٥هـ)، ط٢، ١٣٦٢ش، نشر مرتضوي، طهران.

٣٤٦. مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطّبرسيّ، د. ط، ١٣٧٢ش، نشر ناصر خسرو، طهران.

٣٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، د. ط، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٨. مجمل اللغة: احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازيّ، ابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٤٩. المجموع شرح المهذب: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، د. ط، د.ت، دار الفكر للطباعة، بيروت.

٣٥٠. المحاسن: احمد بن محمد بن خالد البرقي(٢٧٤هـ)، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ط١، ١٣٧٠هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٥١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: عثمان بن جنّي (٣٩٢هـ)، تحقيق: عبد القادر عطا، د. ط، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥٣. المحصول في علم أصول الفقه: محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر العلواني، ط٢، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٥٤. المحلى: ابن حزم ، د. ط، د.ت، دار الفكر، بيروت.

٣٥٥. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر الرازي(٦٦٦هـ)، ط٥، ١٤٢٠هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٥٦. مختصر بصائر الدرجات: حسن بن سليمان الحلي(ق٩هـ)، ط١، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف.

٣٥٧. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي (٧١١هـ)، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٣٥٨. المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفداء): أبو الفداء عماد الدين إسماعيل(٧٣٢هـ)، د.ط، د.ت، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

٣٥٩. مختصر المعاني: التفتازاني (٧٩٢هـ)، د. ط، د.ت، دار الفكر، قم.

٣٦٠. مختلف الشيعة: العلامة الحلي، ط١، ١٤١٩، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣٦١. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحو اللغويّ، ابن سيده (٤٥٨هـ) ، د. ط، د.ت، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٦٢. المدونة الكبرى: الامام مالك بن أنس الأصبحي(١٧٩هـ)، ط١، ١٣٢٣هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٦٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني المكي (٧٦٨هـ)، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦٤. مرآة العقول في شرح اخبار الرسول: العلامة المجلسي، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٦٥. مرآة الكتب: علي بن موسى التبريزي(١٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد علي الحائري، د. ط، د.ت، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٣٦٦. مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي(٧٣٩هـ) ، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت.

٣٦٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦هـ)، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، منشورات دار الهجرة، قم.

٣٦٨. المزار: الشهيد الأول، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، قم.

٣٦٩. المزار: محمد بن جعفر المشهدي(ق٦هـ)، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهاني، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٣٧٠. المزهر في علم اللغة وانواعها: جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧١. المساعد على تسهيل الفوائد: بهاء الدين ابن عقيل(٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، ط١، ١٤٠٠هـ، دار الفكر، دمشق.

٣٧٢. مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٣٧٣. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، طبعة مزيدة بفهرس الاحاديث الشريفة، د. ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت.

٣٧٤. مستدركات أعيان الشّيعة: حسن الأمين(١٣٩٩هـ)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٧٥. مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي(١٤٠٥هـ)، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة حيدري، طهران.

٣٧٦. المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزّاليّ (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد بن سلام، د. ط، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧٧. المستطرف في كل فن مستطرف: شهاب الدين محمد بن احمد الأبشيهي (٨٥٢هـ)، ط١، ٢٠٠٠م، دار ومكتبة الهلال للطباعة، بيروت.

٣٧٨. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل(٢٤١هـ)، د. ط، د.ت، دار صادر، بيروت.

٣٧٩. مسند الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ عزيز الله عطاردي(١٤٠٦هـ)، د. ط، د.ت، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، مشهد.

٣٨٠. مسند أبي داوود الطيالسي: سليمان بن داوود الطيالسي(٢٠٤هـ)، د. ط، د.ت، دار العرفة، بيروت.

٣٨١. مسند الشهاب: محمد بن سلامة القضاعي (٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسس الرسالة، بيروت.

٣٨٢. مشكاة الانوار في غرر الاخبار: علي الطبرسي(ق٧هـ)، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، نشر دار الحديث، قم.

٣٨٣. المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية): الشيخ إبراهيم الكفعمي(٩٠٥هـ)، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.

٣٨٤. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٣٨٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أبو العباس احمد بن محمد بن علي الفيومي الحمويّ (٧٧٠هـ)، د. ط، د.ت، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٨٦. معارج الأصول: المحقق الحليّ، تحقيق: محمد حسين الرضوي، ط١، ١٤٠٣هـ، مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة، قم.

٣٨٧. معالم العلماء: ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، د. ط، د.ت، قم المقدسة.

٣٨٨. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، د. ط، ١٣٧٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣٨٩. معاني القراءات، محمد بن احمد بن الازهريّ الهرويّ (٣٧٠هـ)، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مركز البحوث في كلية الآداب، المملكة العربية السعودية.

٣٩٠. معانى القرآن: أبو الحسن البلخيّ ثمَّ البصريّ، المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٩١. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلميّ الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: احمد يوسف النجاشي وآخرون، ط١، د.ت، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

٣٩٢. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عالم الكتب، بيروت.

٣٩٣. معاني النحو: فاضل السامرائي، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار الفكر للطباعة، الأردن.

٣٩٤. المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي الطيب المعتزليّ، أبو الحسين البصري (٤٣٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٥. معجم الأدباء: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ، ياقوت الحمويّ (٦٢٦هـ)، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت.

٣٩٦. المعجم الأصولي: محمد صنقور، ط٢، ١٤٢٨هـ، منشورات الطيّار، قم.

٣٩٧. معجم ألفاظ الفقه الجعفري: أحمد فتح الله، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مطابع المدوخل، الدمام.

٣٩٨. المعجم الأوسط: الطبرانيّ، د. ط، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، دار الحرمين للطباعة.

٣٩٩. معجم البلدان: ياقوت الحموي، ط٢، ١٤١٥هـ، دار صادر، بيروت.

٤٠٠. المعجم الصغير: الطبراني، د. ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠١. المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٠٢. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ)، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عالم الكتب، بيروت.

٤٠٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (١٤٠٨هـ)، د. ط، د. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠٤. معجم ما استعجم: البكري الاندلسي(٤٨٧هـ)، ط٣، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت.

٤٠٥. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ط١، ١٩٩٩م، دار الفضيلة للطباعة والنشر، القاهرة.

٤٠٦. معجم مفردات أصول الفقه المقارن: تحسين بدري، ط١، ١٤٢٨هـ، المشرق للثقافة والنشر، طهران.

٤٠٧. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ الرازيّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.

٤٠٨. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. ط، د. ت، دار الدعوة، القاهرة.

٤٠٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار: الذهبيّ، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١٠. المعيار والموازنة: أبو جعفر الاسكافي(٢٢٠هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

٤١١. المغني: عبد الله بن قدامة(٦٢٠هـ)، طبعة جديدة بالاوفست، د. ط، د.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤١٢. مغني اللبيب: ابن هشام الانصاري(٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، ١٤٠٤هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٤١٣. مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمّيّ، ط٣، ١٣٨٥ش - ٢٠٠٦م، نشر مكتبة العزيزي، قم.

٤١٤. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤١٥. مفتاح الفلاح: الشيخ البهائي العاملي (١٠٣١هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٤١٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (٤٢٥هـ)، ط٢، ١٤٠٤هـ، دفتر نشر الكتاب.

٤١٧. المفصّل في تراجم الأعلام: أحمد الحسيني الأشكوري، د. ط، ١٣٩٣ه، مجمع الذخائر الاسلامي، قم.

٤١٨. المفصّل في صنعة الإعراب: الزمخشري، تحقيق: علي أبو ملحم، ط١، ١٩٩٣م، مكتبة الهلال، بيروت.

٤١٩. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية(شرح الشواهد الكبرى): بدر الدين محمود بن احمد بن موسى العيني(٨٥٥هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، دار السلام للطباعة، مصر.

٤٢٠. المقتضب: المبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، د. ط، د.ت، عالم الكتب، بيروت.

٤٢١. المقدمة الجزولية في النحو: عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشيّ (٦٠٧هـ)، تحقيق: شعبان عبد الوهاب، د. ط، د.ت، مطبعة ام القرى.

٤٢٢. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر: عمر بن قاسم الانصاري الشافعي المصري(٩٣٨هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢٣. ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: العلامة المجلسي، د. ط، ١٤٠٧هـ، مكتبة آية الله المرعشي، قم.

٤٢٤. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، د. ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت.

٤٢٥. الممتع الكبير في التصريف: علي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان، بيروت.

٤٢٦. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ط٢، ١٤٠٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٤٢٧. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، د.ط، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، نشر المكتبة الحيدرية، النجف.

٤٢٨. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي(نحو ٣٠٠هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤١٢هـ، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، قم.

٤٢٩. مناقب علي بن أبي طالب: ابن المغازلي (٤٨٣هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ، نشر انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، قم.

٤٣٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزيّ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا واخرون، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣١. منتهى المقال في أحوال الرجال: الشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني(١٢١٦هـ)، ط١، ١٤١٦هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٤٣٢. المنجد في اللغة: أبو الحسن علي بن الحسن الازدي، كراع النمل(بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: احمد مختار وضاحي عبد الباقي، ط٢، ١٩٨٨م، نشر عالم الكتب، القاهرة.

٤٣٣. منطق المشرقيين: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا(٤٢٨هـ)، ط٢، ١٤٠٥هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٤٣٤. مواقف الشيعة: الاحمدي الميانجي، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي، قم.

٤٣٥. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري (١٤١٤هـ)، ط٥، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مطبعة نكين، قم.

٤٣٦. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: احمد بن محمد بن يعقوب المغربي(١١٢٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم، د. ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣٧. موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١، ١٤١٨، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم.

٤٣٨. الموسوعة القرآنية: إبراهيم إسماعيل الابياري (١٤١٤هـ)، د. ط، ١٤٠٥هـ، مؤسسة سجل العرب.

٤٣٩. الموطأ: الإمام مالك بن أنس(١٧٩هـ)، د. ط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٤٠. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائيّ(١٤٠٢هـ)، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- **حرف النون:**

٤٤١. ناسخ القران ومنسوخه: ابن الجوزيّ، ، تحقيق: أبو عبد الله العاملي الداني، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، نشر شركة أبناء شريف الانصاري، بيروت.

٤٤٢. الناصريات: الشريف المرتضى، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، د. ط، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

٤٤٣. النجم الثاقب، شرح كافية ابن الحاجب: المهدي صلاح بن علي(٨٤٩هـ)، د. ط، د.ت، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.

٤٤٤. نزهة الأعين النواظر علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزيّ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٤٥. نزهة الألباء في طبقات الادباء: كمال الدين الانباري (٥٧٧هـ)، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانصاري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة المنار، الأردن.

٤٤٦. نصوص الكلم على كتاب فصوص الحكم: محمد بن محمد الفارابي(٣٣٩هـ)، ط١، ١٣٨٩ش، نشر مجلس الشورى الإسلامي، طهران.

٤٤٧. نفخ الأزهار في منتخبات الاشعار: شاكر بن مغامس البتلوني (١٣١٤هـ)، تحقيق: إبراهيم اليازجي، ط٣، ١٨٨٦م، المطبعة الأدبية، بيروت.

٤٤٨. نقد الرجال: السيد مصطفى بن الحسين التّفريشيّ(١٠١٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٤٤٩. النكت الاعتقادية: الشيخ المفيد، تحقيق: رضا المختاري، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

٤٥٠. نهاية الأحكام: العلامة الحلي، تحقيق: مهدي الرجائي، ط٢، ١٤١٠هـ ، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم المقدسة.

٤٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ط٤، ١٣٦٤ش، مؤسسة اسماعيليان للطباعة، قم.

٤٥٢. النهاية ونكتها: الشيخ الطوسي والمحقق الحلي، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي، قم.

٤٥٣. نهج البلاغة: المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، جمع الشريف الرضي، ط١، ١٤٣٣هـ، مؤسسة انوار الرسول للطباعة، طهران.

٤٥٤. نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحليّ، د. ط، ١٤٢١هـ، مؤسسة الطباعة والنشر، دار الهجرة، قم.

٤٥٥. النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الشروق.

٤٥٦. النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: السيد نعمة الله الجزائريّ، د. ط، ١٤٠٤هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشلي النجفي، قم.

- **حرف الهاء:**

٤٥٧. هداية الطالب الى مصادر كتاب المكاسب: عبد السلام كاظم الجعفري، ط١، ١٤٢٨هـ، مركز فقه الائمة الاطهار(ع)، قم.

٤٥٨. الهداية في النحو: أبو حيان الأندلسي، د. ط، ١٤٢٥هـ، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، قم.

٤٥٩. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، د. ط، د.ت، المكتبة التوفيقية، مصر.

- **حرف الواو:**

٤٦٠. الوافي: الفيض الكاشانيّ، ط١، ١٤١٦، مكتبة الامام امير المؤمنين، أصفهان.

٤٦١. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الدمشقي الشافعيّ الصفديّ (٧٦٤هـ)، تحقيق احمد الارناؤوط، د. ط، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار احياء التراث، بيروت.

٤٦٢. الوافية في أصول الفقه: عبد الله بن محمد البشروي الخراسانيّ، الفاضل التونيّ (١٠٧١هـ)، تحقيق: محمد حسين الرضوي، ط١، ١٤١٢هـ، مجمع الفكر الإسلامي، قم.

٤٦٣. وسائل الشيعة: الحر العامليّ، ط٢، ١٤١٤، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٤٦٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي (٤٦٨هـ)، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٥. الوضاعون وأحاديثهم: عبد الحسين احمد الأمينيّ النّجفيّ، الشيخ الأمينيّ (١٣٩٢هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٤٦٦. وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين: فاضل مدب متعب، اطروحة دكتوراه جامعة الكوفة، كلية الفقه، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٤٦٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، د. ط، د.ت، دار الثقافة، لبنان.

narrations, and this manuscript that is in our hands is One of the interpretations, one of the most important pillars of its exegetical material, was what was narrated on the authority of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his family, and the People of the House, peace be upon them, as the author - who is one of the notables of the twelfth century AH - collected the reliable narrations that were reported from them, peace be upon them, and mentions them, relying in some of them on those who He was preceded by commentators who transmitted these narrations, and in many cases he brings narrations from them, peace be upon them, that were not reported by those who preceded him.

Abstract

There is no doubt that the science of interpretation is of great importance. This is due to the constant need to understand the Holy Qur'an, and to explain its precise meanings and profound concepts, due to the sophisticated teachings, wisdom, rulings, stories, and sermons it contains, and its comprehensiveness that brought the highest level of clarification and eloquence. It was necessary to stop and contemplate to know its purposes, and with the expansion of this knowledge, the methods and approaches of interpretation appeared and multiplied. Its colors and schools, according to the sciences relied upon. The imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them, had a prominent and distinctive role in interpreting the Qur'an. They, peace be upon them, are the heirs of the Book and the bearers of its sciences and knowledge. They are the justice of the Qur'an and the weight of the speaker who is commanded to adhere to it. Their interpretive narrations drew general lines and established foundations. And solid rules for a clear-cut interpretive school that was later called the school of Ahl al-Bayt, peace be upon them, in interpretation, until narrations were transmitted from them, peace be upon them, that were recorded by their companions, thus forming interpretive material based on Qur'anic foundations and sound methods of deduction, especially in what is authentic from these

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

Nur alttwfyq wakashf alttdqyq Mullah Mohsen bin Muhammad Tahir al-Qazwini (1150 AH) from verse (35) of Surat Al-Baqarah to the end of the first part - study and investigation

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences/University of Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Philosophy of Sharia and Islamic Sciences.

Written by a student

Bahaa Mahdi Madhloom Dawij

Supervisor

A.P.D Mohammed Ali Hobby

2024 AD 1445 AH